مجلة الأزهر

٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٤١

المجلد التاسع والثلاثون

السنة ١٣٨٧هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ المحرم ١٣٨٧ هـ ـ إبريل سنة ١٩٦٧ م

١٧٢/١٧٦
١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى الهجرة

من القرى الثلاث إلى القارات الثلاث

بقلم
أحمد حسن الزيات

من القرى الثلاث : مكة والطائف والمدينة حيث بدأت الدعوة ، إلى القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوربا حيث انتهى الإسلام ، تنقل كتاب الله بالهدى والنور على أيدي الأمة الوسط بقيادة رسولها الأعظم وجهاد أبطالها الميامين ، فطهروا النفوس من الرجس ، وحرروا العقول من الشرك ، وثلوا عرش قيصر وقوضوا إيوان كسرى ، وشادوا على أنقاضهما منبر محمد ومأذنة بلال . ثم لم يلبث نور الله أن غمر الشرق حتى بلاد الصين ، وطبق الغرب حتى بلاد الغال .

على جبل النور اتصلت السماء بالأرض ، والتقى الملك بالإنسان ، ونزلت الكلمات الأولى من وحي الله على غار حراء فأشرق الحجاز كله ، ونزل الرسول المصطفى من الغار ونور الله يسعى بين يديه ، وصوت الروح الأمين يتردد في أذنيه ، فدعا إلى الله ثلاث حجج في طي الخفاء فلم تبلغ الدعوة ، لأن ظلام الجاهلية كان أكثف من أن ينفذ فيه الشعاع الهادي ، وكانت دار الأرقم بؤرة الأشعة الإلهية تجمعت فيها ريثما تخف الظلمة ويرق الضباب .

ثم أمر الله الرسول أن يصدع بالدعوة فعالن بها أئمة الكفر وصناديد الشرك من قريش فكاشفوه بالعداء ، وقصـــدوه بالإيذاء ، ونصبوا له الحبائل ، وتربصوا به الدوائر . فأصابوه فى بدنه ، واتهموه فى عقله ، وآذوه فى أهله ، وعذبوه فى صحبه ، وهو يتلقى كل ذلك بجنة صبره وعدة إيمانه ، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه ، وزوجه السيدة خديجة تواسيه وتقويه ، حتى سلخ على هذه الحال الشديدة عشر سنين . فلما توفى الله العم النبيل والزوجة الصالحة حرج بعدهما فى مكة مقامه ، فخرج منها إلى الطائف يبتغى نصرة الله من ثقيف ، فأغروا به الصبيان والسفهاء فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه فلجأ إلى بستان ابنى ربيعة يعتصم به منهم وهو يدعو الله ويقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على النـاس . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إلى من تكلنى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى » ، ثم رأى بوحى الله أن قفار مكة نبت على الغرس الإلهى فانتوى الهجرة بالمسلمين إلى المدينـة وقد أسلم فيها جماعة من الأوس والخزرج . فأحس المشركون منه هذا العزم فائتمروا به ليقتلوه ، ولـكنه خرج ليـــلة اجتماعهم على قتـله هو وصاحبه أبو بـكر إلى غار ثور . ومن هناك سار بهما الدليل إلى يثرب تـكلؤهما عين لا تغفو وقوة لا يقام لهـا بسبيل .

. . .

كانت هجرة الرسول صلوات الله عليه ملحمة من ملاحم البطولة القدسية لا يفتر عن إنشادها الدهر . استمدت وحيها من روح الله ونسجها من خلق الرسول وسيرتهـا من صدق العرب ، واستقرت فى مسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية ، يلهمهم الصبر على مكاره الرأى ، والاستمساك فى مزالق الفتنة ، والاستبسال فى مواقف المحنـــة ، والاستشهاد فى سبيل المبـدأ ، والاعتقاد بفوز الفـكرة .

بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه ، وقد تألبت عليه جهالة العصبية ، وحماقة الوثنية ، وسفاهة الحسد ، وعداوة المنافسة ، وحرمان الفقر ، وخذلان القلة فما استكان ولا وهن ، ثم هاجر بالغراس الطيب إلى البلد الطيب ، فتجلت فيه مواهب الـكمال الإنسانى ، فحشد للخصومة فى الله قوى النفس وقوى الحس ، فجاهد بالصدق وجالد بالصبر وجادل بالمنطق وصاول بالرأى وأثر باللسان وقهر باليـد ، وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل ، فـكل نبى وكل رسـول إنما بان شأوه على قومه فى بعض المزايا إلا الرسول العربى ، فقد كمل فيه ما نقص فى غيره من معجزات

الرجولة ، فكان رسولا فى الدين وعلما فى البلاغة وقطبا فى السياسة وإماما فى التشريع وقائداً فى الحرب .

وبهذه المزايا التى نشأت فى محمد بالفطرة ، وانتقلت إلى أصحابه بالقدوة ، أصبح الإسلام الذى بدأ بخديجة وعلى وأبى بكر وزيد ، ونشأ فى غار حراء ودار الأرقم ومسجد قباء وبيت أبى أيوب ، دين الناس ودنيا العالم ، فصارت القلة ملة ، وكل قرية من القرى الثلاث قارة !

* * *

لولا الهجرة لما كانت النصرة ، ولولا النصرة لما كانت بدر ، ولولا بدر لما كان فتح مكة ، ولولا فتح مكة لما فتحنا القادسية واليرموك ، ولولا فتح القادسية واليرموك لما ورثنا ملكى كسرى وقيصر ، ولولا الفتوح التى تلت ذلك لما غير القدر مجرى التاريخ وعدل وجهة الدنيا ، وجعل من البادية الجديبة والعروبة الشتيتة عمرانا طبق الأرض بالخير وملكا نظم الدنيا بالعدل ، ودينا ألف القلوب بالرحمة ، ومكن للعرب فى دورهم أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

* * *

إن تاريخنا الهجرى الذى انبثق من الغار ، واندفق من قلوب المهاجرين والأنصار ، وفاض مع المجاهدين على الأمصار والأقطار ، لتتألق أيامه الغر فى ظلام الماضى كما تتألق الكواكب الزهر فى حلك الليل . أرشدنا الضال فاهتدى ، وحمينا الذليل فاعتز ، وعلمنا الجاهل فتعلم ، ثم مكنا فى أرضنا الفسيحة ودنيانا العريضة لعناصر الجمال والخير والحق فتوثبت فى كل نفس ؛ وازدهرت فى كل جنس ، وانتشرت فى كل أفق ، وحققت لهذا الإنسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوة التى يعم بها النعيم ، والمساواة التى يقوم عليها العدل ، والحرية التى تخصب بها المدارك ، لأن رسالتنا لم يوحها الجوع ولا الطمع ، وإنما أوحاها الذى خلق الموت والحياة ، وجعل الظلمات والنور ، وأوجد الفساد والصلاح ، ليدرأ قوة بقوة ، وينقذ إنسانا بإنسان .

إن رسالتنا العربية التى هاجرت مغلوبة من مكة إلى المدينة ، سافرت غالبة من الشرق إلى الغرب ، بفضل مبدئها الالهى الذى قامت عليه ودعت إليه وفازت به ، وهو توحيد الله وتوحيد الكلمة وتوحيد القوة وتوحيد القصد . فإذا التمسنا من روحها الدليل ، واقتبسنا من وحيها الهدى ، استقمنا على الطريقة التى نهجها الرسول فتوافينا معا على الغاية وانتهينا جميعا عندها إلى الوحدة .

إن هذه الرسالة عامة لكل قوم، أبدية لكل زمن. ولا يكون العالم بغيرها إلا كما يكون الجسم بغير الروح، فلابد من محالفتها فى السياسة الدولية لإقـــرار النظام فى الدنيا والسلام فى العـالم.

أما المستعمرون الذين جعلوا عبقرية موسى رباً ودسيسة، وروحية عيسى مادية وخصومة، والذين هالهم سر الإسـلام وراعهم معناه فحاولوا أن يطفئوه فى الحجاز وهـو مشرق نوره ومصـدر صوته ليسرقوا الضمائر فى الظلام، ويسلبوا الذخائر فى الغفلة، فقـد أخطأوا فهمه وجهلوا قواه.

وأما الرجعيون الذين موهوا معدنه الإلهى بماء الذهب الأمريكى ليتخذوه وسيلة لحفظ العروش وملء الكروش فقـــد ذكروا الشيطان ونسوا الله.

فقولوا لهؤلاء وهـؤلاء: إن من حارب الله ورسوله مغلوب لا ريب، وإن من باع الإسلام وأهله خاسر لا محالة. وإن الإسلام مهما يهاجمه المستهتر بالحديد والنار، ويعاونه المستعمر بالباوند والدولار، فإن قوته من الوحى وسينتصر ما انتصر الإيمان، وإن نوره من الله وسيسطع ما سطعت الشمس، وإن صوته من السماء وسيرتفع ما ارتفع الحق، وإن سلطانه من العدل وسيبقى ما بقى الكون. فإذا انشقت الأرض وانفطرت السماء وانكدرت الشمس عاد إلى مصدره الأزلى باهرا كما صدر عنه طاهرا كما انبثق منه.

وقـد استوثق الأمر لأهله ما استمسكوا به. فلما تراخت العرى بينهم وبينه تقاذفتهم السبل وتقسمتهم الأطماع وصار بهم التخاذل والتواكل إلى ما هم عليه اليـوم: فريق فى الشرق وفريق فى الغرب، أو فريق فى الجنة وفريق فى السعير. ؟

أحمد حسن الزيات

من كلام أبى بكر رضى عنه فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم:

دخل أبو بـكر الصديق على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مسجى بثوب، فكشف عنه الثوب وقال: بأبى أنت وأمى! طبت حياً وميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء. ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس. ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشئون.

زهر الآداب الجزء الأول ص ٣٥

دروس الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أحيي إخوانى المسلمين فى مطلع العام الهجرى الجديد ، وأبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يعمهم بفضله ورحمته حتى يستعيدوا عزة الإسلام والمسلمين مرددا قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وأذكر ما مر بالإسلام والمسلمين من أحداث وما أفادوا منها من دروس ، وذلك من ميلاد النبى الخاتم إلى بعثته على رأس الأربعين من عمره وهجرة أصحابه إلى مدينة يثرب وهى المدينة المنورة التى استقبلت الرسول مهاجرا إليها هو وصاحبه أبو بكر الصديق من مكة المكرمة ، كما أذكر أثرها فى حياة المسلمين ـ وأول درس يفيدا المسلمين من هجرة الرسول التمهيد لها بتخطيط دقيق مع السرية التامة حتى يتقى الرسول شر مشركى قريش ـ وقد مهد الرسول لهجرته وهجرة أصحابه ببيعة العقبة الثانية التى التقى فيها الرسول وكبار أصحابه بوفد من مدينة يثرب من الأوس والخزرج ، وفى هذا الاجتماع بدأ العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث فقال : يا معشر الخزرج : إن محمدا منا حيث قد علمتم وهو فى عز من قومه ومنعة من بلده وقد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له فيما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه إليكم فمن الآن فدعوه .

فرد عليه وفد المدينة بقولهم : سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله خذ لنفسك ولربك ما أحببت . فأجاب محمد صلى الله عليه وسلم : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . فرد عليه كبيرهم البراء بن معرور ومد يده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبايعه على ذلك وقال : بايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . ثم هم القوم بالبيعة واعترضهم العباس بن عبادة بقوله : يا معشر الخزرج أتعلمون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهبت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا ، أسلمتموه فمن الآن فدعوه ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ،

وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . فأجاب القوم : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ـ وما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ . فيرد رسول الله عليهم بقوله : « الجنة » . ومدوا أيديهم إليه وبسط الرسول صلى الله عليه وسلم يده إليهم فبايعوه .

وبهذه المبايعة اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أنه سيجد بالمدينة إذا هاجر إليها أنصارا يوفون له ويؤيدونه ويناضلون معه لإعلاء كلمة الحق حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

كما مهد الرسول للهجرة بإخفاء موعدها وعدم البدء فيها إلا بعد أن أذن الله تعالى له بها ، ولم يطلع عليها أحدا من المسلمين غير صاحبه أبى بكر الصديق الذى أخذ هو أيضا بدوره فى الاستعداد لها سرا هو وأسرته ويحدثنا القرآن الكريم عن الهجرة فى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولما تمت الهجرة وانتقل المسلمون من مكة التى كان يحكمها كبار المشركين إلى المدينة المنورة التى تكونت فيها أول دولة إسلامية يحكمها الرسول صلى الله عليه وسلم بوحى من الله تعالى ينزل به القرآن الكريم على الرسول ويتلقى فيها المسلمون من المهاجرين والأنصار أوامر الله وأحكامه التشريعية .

وكان أول ما بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتوجيه المهاجرين إلى أن يعملوا فى الزراعة والتجارة وغيرها ليعوضوا بعملهم وكسبهم أموالهم التى تركوها فى مكة وحتى لا يشعروا بأنهم عالة فى معيشتهم على إخوانهم الأنصار ـ وحث الأنصار على مساعدة إخوانهم المهاجرين فشاطروهم أموالهم واستضافوهم ، وبلغ بهم حبهم المهاجرين أن آثروهم على أنفسهم ، ويتحدث القرآن الكريم عن أنصار المدينة فيقول : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

أيها المسلمون :

أهيب بكم أن تهاجروا بقلوبكم عن عقائد الزيغ والضلال ، وأن تهاجروا بعقولكم عن أفكار الهدم ، وأن تهاجروا بوجدانكم

لا " التى قيل إنها زائدة، وليست كذلك
درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز

لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

القسم الثالث

« ما دخلت فيه « لا » على فعل أقسم »

ويدخل تحت هـــذا القسم آيات كثيرة يمكن جعلها بمجموعتين .

(ا) «المجموعة الأولى » هى الآيات التى اقترنت كلمة « لا » فى كل منها بالفاء .

وهى قوله تعالى :

(١) «فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقـــرآن كريم» (٧٥ - ٧٧ الواقعة) .

(٢) «فلا أقسم بما تبصرون، وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم» (٣٨ - ٤٠ الحاقة)

(٣) «فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خـــيرا منهم» (٤٠ - ٤١ المعارج) .

(٤) «فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس ، إنه لقول رسول كريم» (١٥ - ١٩ التكوير)

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

عن عواطف السوء وبسلوككم عن مقادح الشر حتى يمكن الله لكم ويتم أمركم ويصلح حالكم ويدخلكم الجنة عرفها لكم .

وإن الهجرة التى شرف الله تعالى بها السابقين إلى الإسلام أبقاها لكم أيها المؤمنون فى الجهاد الصادق والنية الخالصة ، وسيبقى الجهاد فى سبيل الله ما بقى الإيمان ، وتبقى النية الصادقة ما بقى اليقين ؛ فالمؤمن الصادق كل أمره جهاد وكل عمله بنية طيبة .

أيها المسلمون :

اسألوا الله معى فى غرة المحرم أن يوفقنا جميعا لصالح العمل ، واضرعوا إليه سبحانه وتعالى أن يحقق لأمتنا كريم الأمل وأن يقينا شر الخارجين على إجماعنا المظاهرين لأعدائنا، وكونوا، أيها المسلمون، على حذر منهم حتى تطهروا صفوف المجاهدين من المتخاذلين المخـــذلين وراقبوا الله فى كل ما تأتون وما تدعون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وكل عام وأنتم بخير ؟

حسن مأمون

(٥) «فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق» . (١٦ - ١٩ الانشاق) .

(ب) «أما المجموعة الثانية» فلم تقترن فيها «لا» بالفاء .

وهى قوله تعالى :

(١) «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه» . (١ - ٣ القيامة) .

(٢) «لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الإنسان فى كبد» . (١ - ٤ البلد)

هذا - والأسلوب فى المجموعة الأولى واحد لا يختلف فى شىء ما ؛ :

«فلا أقسم بمواقع النجوم» ، «فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون» ، «فلا أقسم برب المشارق والمغارب» ، «فلا أقسم بالخنس» «فلا أقسم بالشفق» ليس بينها فرق أى فرق من ناحية الأسلوب .

وإذا فما يقال فى إحدى هذه الآيات يجب أن يجرى فى سائرها ؛ ولذلك يمكن الاكتفاء بالقول فى إحداها فيعلم منه وجه القول فى الباقى كذلك الحال فى المجموعة الثانية . «لا أقسم بيوم القيامة» ، «لا أقسم بهذا البلد» ، فإن الآيتين فيها سواء من حيث الأسلوب فيجب أن يكون القول فيهما واحدا أيضا .

على أننا إذا نظرنا إلى آيات المجموعتين معا ، فإنا نجد أن الأسلوب يكاد يكون واحدا فيها جميعها ؛ وأن كل ما هنالك من فرق إنما هو فى اقتران «لا» فى المجموعة الأولى بالفاء وعدم اقترانها بها فى المجموعة الثانية ، وهذا شىء لا تأثير له فى مجرى القول ولذلك نجد أقوال العلماء فيها جميعها تكاد تكون واحدة ، أو هى واحدة بالفعل .

«القول فى آية الواقعة» .

وهى قوله تعالى : «فلا أقسم بمواقع النجوم» .

يقول الزمخشرى «فلا أقسم» معناه فأقسم ؛ و«لا» مزيدة مؤكدة ، مثلها فى قوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» . (الكشاف جـ ٢ ص ٤٣٢

وهكذا يقتصر «الزمخشرى» على هذا الوجه ؛ ويتبعه فى ذلك «النسفى» .

وقال أبو السعود : «فلا أقسم» أى فأقسم «ولا» مزيدة للتأكيد ، كما فى قوله تعالى «لئلا يعلم» . ثم زاد قوله : أو أن «فلا» رد لكلام يخالف المقسم عليه . (تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٥٨) .

وقال أبو حيان : قرأ الجمهور «فلا أقسم» فقيل : (لا) زائدة مؤكدة مثلها فى قوله : (لئلا يعلم أهل الكتاب) ، والمعنى فأقسم . وقيل : المنفى المحذوف ، أى فلا صحة لما يقول الكفار ، ثم ابتدأ (أقسم) قال أبو حيان : وهذا منقول عن (سعيد بن جبير) وبعض

النحاة ؛ ولكنه لا يجوز ، لأن فيه حذف اسم (لا) وخبرها ، وليس جوابا لسائل سأل فيحتمل ذلك ، نحو قوله (لا) لمن قال هل من رجل فى الدار (البحر المحيط ﺟ ٨ ص ٢١٣) .

وقال (النيسابورى) : (فلا أقسم : أى فأقسم ، قال ، : والعرب تزيد (لا) قبل فعل أقسم ، كأنه ينفى ما سوى المقسم عليه ، فيفيد التأكيد) (النيسابورى على هامش تفسير الطبرى ﺟ٢٧ ص ١١٣) .

وقال ابن جرير الطبرى : (اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : (فلا أقسم بمواقع النجوم) فقال بعضهم: عنى بقوله: «فلا أقسم» أقسم ؛ ثم روى ابن جرير عن سعيد بن جبير فى معنى (فلا أقسم) قال : أقسم .

ثم ذكر وجها آخر فقال : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : (فلا) فليس الأمر كما تقولون. ثم استأنف القسم بعد فقيل: أقسم اﻫ (تفسير الطبرى ﺟ ٢٧ ص ١١٧ دار المعارف) .

وقد عرفنا مما قدمناه قريبا عن «أبى حيان» أنه لا يجيز هذا الوجه ؛ فهو ضعيف لما أبداه «أبو حيان» ولما بيناه سابقا فى الكلام على آية النساء : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» .

أما الوجه الأول الذى حكاه «ابن جرير» عن بعض أهل التأويل : «أن معنى فلا أقسم أقسم» فينبغى أن يبحث عن حقيقته ويسأل عن المراد به .

هل معناه أن هؤلاء المفسرين -حين يقولون: إن «فلا أقسم» معناه أقسم- يرون أن ذلك بسبب زيادة «لا» على نحو ما سار عليه «الزمخشرى» وتبعه فيه «النسفى» و«أبو حيان» و «النيسابورى» و «أبو السعود» حيث صرحوا - فى أقوالهم أو فيما نقلوه من أقوال غيرهم - بأن «فلا أقسم» معناه أقسم من حيث إن «لا» فيه زائدة ؟

أو أن معنى ذلك أن عبارة «لا أقسم» و «فلا أقسم» قد عهد استعمالها فى القسم وإن لم تكن «لا» فيها زائدة ؟

لعل هذا الاحتمال الثانى هو الراجح ؛ فإنه هو الظاهر من عبارة : «عنى بقوله : «فلا أقسم» : أقسم» : ومن أن سعيد بن جبير : قد قال فى «لا أقسم» معناه أقسم

وكذلك يدل عليه ظاهر كلام القاضى «أبى بكر بن العربى» فيما حكاه عن «سعيد ابن جبير» حيث قال : إن «ابن جبير» وغيره من محققى المفسرين قالوا فى قوله : «لا أقسم» إنه «قسم» (١) :

فهذا بظاهره يعطى أنه يستعمل هكذا حيث يراد القسم . وأن استعماله كذلك غير

(١) كتاب أحكام القرآن ﺟ ٢ ص ٣٠٦ .

مبنى - كما يرى الآخرون - على أن « لا » فيه زائدة .

وقد يرشد إلى ذلك أيضا كلام « أبى حيان » فى تفسيره آية الحاقة « فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون » إذ قال : وقيل « لا » هنا نفى للقسم ، أى لا يحتاج فى هذا إلى قسم لوضوح الحق فى ذلك ، « وعلى هذا فجوابه جواب القسم » [1] .

فقوله : « وعلى هذا فجوابه جواب القسم » يشعر بأنه ليس المراد حقيقة نفى القسم ، بل المراد الإعلام بوضوح الأمر ، وأنه غير محتاج فى ثبوته إلى قسم ، أو إلى مثل هذا القسم ، وتكون العبارة بذلك متضمنة معنى القسم .

وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن يلتقى هذا الوجه مع ما يقرره (الفخر الرازى) فى ذلك ، وهو ما نورده فيما يلى :

« رأى الفخر الرازى فى آية الواقعة وأخواتها » [2] .

بدأ (الفخر الرازى) القول بهذا السؤال : ما المعنى من قوله : « لا أقسم » مع أنك تقول : إنه قسم » ؟

وفى الجواب عن ذلك حكى أقوالا للعلماء ، عبر عنها بالمنقول ، ثم أتبعها بوجه اختاره ، وعبر عنه بالمعقول .

أما الأقوال المنقولة فهى :

الأول : أن (لا) زائدة مثلها فى قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب » .

الثانى : أن (لا) أصلها لام التوكيد ، أشبعت حركتها فتولدت الألف .

الثالث : أنها نافية ، وهى رد على ما يزعمه الكفار فى شأن القرآن أو البعث الأخروى أو ما إلى ذلك مما أنكروا حقيته . فقوله : « فلا أقسم » أو « لا أقسم » معنى النفى فيه أنه ليس الأمر كما يزعمون ، ثم استؤنف القسم على ذلك ، أو على ما يأتى فى الآية بعد ذلك بقوله : « أقسم » .

سرد الفخر الرازى هذه الأقوال سرداً ولم يعقب عليها بنقد أو تضعيف ، عندما فسر آية الواقعة ، إن كان هو الذى فسر هذه السورة [1] ، وذلك على خلاف ما صنع بإزائها فى تفسير : « لا أقسم بيوم القيامة »

---

(١) البحث لمحيط ج ٨ ص ٣٢٨ .

(٢) يراجع فى ذلك التفكير الكبير ج ٨ ص ٦٨ .

(١) نقول هذا لأنه ليس بمتيقن أن الفخر قد فسر هاتين السورتين ، وذلك أنه قد جاء فى تاريخ ابن خلكان أنه رحمه الله لم يتم تفسير القرآن . ثم ليس لدينا الآن من المراجع ما نستطيع به أن نعين السورة التى انتهى إليها هذا الإمام الجليل عليه سحائب الرحمة والرضوان .

إن كان هو الذى فسر سورة القيامة أيضاً ؛ لكن صنيعه فى تفسير آية الواقعة يعطى - مع ذلك - أنه لا يرى تلك الأقوال جديرة بالقبول ، وأن الوجه المختار المقبول هو الذى عنه بالمعقول .

وحاصله - مع شىء من التصرف - أن «لا» أصلية ، ومعناها النفى ، ولكنها فى النفى مثل « لا » الناهية فى قول إنسان لآخر - وقد أراد أن يخبره بأمر عظيم وقع له - « لا تسألنى عما جرى على » . إنه يريد بهذا أن يعلمه أن ما جرى عليه أمر عظيم ، وأنه ربما لا يجدى فى معرفته والإحاطة بتفاصيل وقائعه سؤال وجواب ؛ فهو لا يريد فى الحقيقة نهيه عن سؤاله ، بل هو - على عكس ذلك - يود منه أن يسأله عما جرى له ، ولذلك هو يعجب منه وينكر عليه لو سكت عن سؤاله ولم يقل له ماذا جرى عليك ؟ وما هو ذلك الأمر العظيم الذى نزل بك ؟ .

فقوله : « لا تسألنى عما جرى على » ، هو فى ظاهره نهى عن سؤاله ، لكنه - كما يقول الفخر - مجاز تركيبى عن الإعلام بعظم ذلك الأمر الذى جرى عليه ، وذلك يتضمن ، فى باطن الأمر طلب السؤال .

كذلك الحال فى قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » وفى كل الآيات المشتملة على كلمة « لا » الداخلة على فعل القسم أقسم . فهذا النفى ليس المراد حقيقته ، وإنما المقصود الإعلام بأن ما وقع عليه ذلك الفعل أمر عظيم جليل الشأن ، أو أنه أمر ثابت متقرر لا شك فيه ، وأنه فى عظمه وجلالة شأنه،أو فى ثبوته وتقرره،لايحتاج إلى توكيد بقسم ، أو بذلك القسم المعين ، من مثل مواقع النجوم ويوم القيامة . وهذا فى باطن الأمر متضمن للقسم بذلك .

هذا كلام جيد ، ومنحى وجيه وقوى ، فهو يقصد إلى لب المعنى وجوهره ، ويعبر عما يمكن أن يكون أقرب شىء إلى حقيقة المراد . والله أعلم .

خلاصة البحث فى آيات القسم الثالث :

تنحصر أقوال العلماء الذين تكلموا فى آيات القسم الثالث فيما يلى :

« القول الأول » أن لا زائدة للتأكيد ، وهو قول كثير من المفسرين والنحويين،فعبارة « فلا أقسم » هى بمعنى « فأقسم » « ولا أقسم » بمعنى « أقسم » ؛ فأصل الكلمة « أقسم » ثم زيدت عليها « لا » لتوكيد معنى مدخولها وهو القسم ! ! هكذا يقولون .

وقد نبهنا فيما مضى إلى أن هذا رأى غريب ولا ينبغى أن يقال به ، ولا سيما فى القرآن الكريم ، إذ كيف تكون « لا » الموضوعة لغة لنفى مدخولها مفيدة توكيد ثبوته ؟ ومن الذى يستطيع أن يقول - فى غير حرج - : إن « لا أقسم » هى - فى الوضع اللغوى - أقسم بل إنها أقوى منها وآكد فى إثبات معنى القسم .

ثم إذا لم تكن زيادتها لإفادة التوكيد كانت الغرابة أشد ، والطامة أعظم ، وكان ذلك شيئا أولى بالرفض من سابقه ، لأن الزيادة حينئذ تكون لغوا باطلا وحشوا خاليا من المعنى ، وذلك شيء لا يجوز القول به فى القرآن الكريم .

وقد أورد الفخر الرازى أو من نهج نهجه وأكمل عمله فى تفسيره : « لا أقسم بيوم القيامة » عدة أوجه ضعف بها القول بالزيادة ، قال رحمه الله :

أولها : أن تجويز هذه الزيادة يفضى إلى الطعن فى القرآن ، لأنه على هذا التقدير يجوز جعل للنفى إثباتا والإثبات نفيا ، وتجويزه يفضى إلى أن لا يبقى الاعتماد على إثباته ولا على نفيه .

وثانيها : أن هذا الحرف إنما يزاد فى وسط الكلام لا فى أوله .

وثالثها : أن المراد من قولنا « لا » صلة أنه لغو باطل يجب طرحه وإسقاطه حتى ينتظم الكلام ؛ ومعلوم أن وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز .

« القول الثانى » أن « لا » أصلية وهى للنفى ، ولكنه نفى شىء يعلم من المقام أو يكون قد دل عليه سابق الكلام : يوجه النفى إلى ذلك الشىء بكلمة « لا » أو « فلا » ثم يستأنف القسم بقوله « أقسم » .

ففى قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » يفترض أن كلمة « فلا » التى صدرت بها هذه الآية رد على ادعاء المشركين فى القرآن أنه كهانة أو شعر أو سحر ؛ فهى تنفى هذا الادعاء ، وكأنها تقول : ليس الأمر كما يزعم أولئك المشركون ؛ ثم استؤنف كلام بدىء بقسم قيل فيه : « أقسم بمواقع النجوم » « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم » .

ولكن ما الذى يقال فى « لا أقسم بيوم القيامة » ؟

« قيل » : إنه يمكن أن يقال : إن معنى (لا) : ليس الأمر كما يزعم الكفار من أنه لا بعث ولا حساب ؛ ثم ابتدئ القسم بيوم القيامة .

وقد ضعف « أبو حيان » هذا الرأى بوجه عام ، وقال: إنه لا يجوز . لأنه يؤدى إلى حذف اسم (لا) وخبرها من غير دليل ، فإن (لا) فى هذه الحالة بمعنى ليس ، عاملة عملها .

وقد قلنا ، فيما سبق : إن كلمة النفى هذه ، حينما تقع فى ابتداء الكلام ، وترد هكذا موقوفا ، عليها ، مقطوعة عما بعدها ، فإنها لا تفهم شيئا ، وضربنا لذلك مثالا واضحا فيما قدمناه من القول فى آية النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

ومن ناحية أخرى نقول : إن هذا الرأى لا يستقيم بصفة خاصة فى قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، وذلك لأمرين :

(الأول) أن إعادة النفى مقرونا بواو العطف فى قوله سبحانه : « ولا أقسم بالنفس اللوامة » تدل بوضوح على أن المعطوف عليه نفى للقسم ، إذ أن المعطوف ظاهر أن معناه نفى القسم .

(الثانى) أن ما قيل فى آية النساء أو آية الواقعة ـ من أن (لا) فيهما يمكن أن تكون ردا لشيء تضمنه الكلام السابق ـ ليس له مساغ فى آية القيامة ؛ فإن (لا) فيها لم تسبق بشيء يمكن أن يدعى توجه النفى إليه ، إذ قد جاءت أول الكلام . ومحاولة تسويغ ذلك بأن القرآن كله كلام واحد ، مرتبط بعضه ببعض ، وأنه من أجل ذلك يمكن أن تكون (لا) التى فى أول سورة « القيامة » نافية لشيء ، ورد فى سورة أخرى قبلها ـ هى محاولة ضعيفة أو فاشلة ؛ فالقرآن سور وآيات ، فى موضوعات مختلفة ، وتنزيل حكيم ، جاءت أجزاؤه فى مناسبات متنوعة ، فلا يمكن أن يكون الأمر فيه بمنزلة بعض آيات جاءت فى موضوع معين وبمناسبة واحدة .

أما القول الثالث : أن (لا) أصلها لام التأكيد ، فأشبعت فتحتها ، فتولدت منها « ألف » ، فهو شيء لا يستحق أن يناقش أو يرد عليه ، وغفر الله لمن ذهب إليه .

(النتيجــــة)

إذا كان الأمر على ما قدمناه ، فلم يبق إلا الوجه الذى اختاره الإمام فخر الدين الرازى ، وهو أن (لا) أصلية ، ومعناها النفى ، على الطريقة التى بيناها له .

وذلك هو ما يشعر به ما حكاه الطبرى وأبو بكر بن العربى عن سعيد بن جبير وبعض المحققين من المفسرين . وكذلك يرشد إليه ما حكاه أبو حيان من القول فى تفسير آية (الحاقة) « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » كما بينا .

هذا ـ وإن من أقوى ما يرجح إرادة القسم فى تلك الآيات جميعها التى هى محل البحث أنه ذكر فيها مع العبارات التى هى فى صورة نفى القسم ما هو واضح كل الوضوح أنه جواب قسم :

فقد جاء فى آيات الواقعة قوله تعالى : « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » .

وفى آيات الحاقة قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم » .

وفى آيات المعارج قوله تعالى: « إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم » .

وفى آيات التكوير قوله تعالى : « إنه لقول رسول كريم » .

وفى آيات الانشقاق قوله تعالى : « لتركبن طبقاً عن طبق » .

وفى آيات سورة البلد قوله تعالى : « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » .

أما آيات سورة القيامة فقد ذكر فيها ما هو دليل الجواب ، وهو قوله سبحانه : « أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه » ، فإنه يدل على الجواب وهو لتبعثن ونحوه .

وبهذا يتم القول فى القسم الثالث . وبالله التوفيق .

القسم الرابع

(ما وقعت فيه (لا) بعد أن المصدرية المسبوقة بلام التعليل) .

(ثم وقع نفى بعدها فى الجملة نفسها) .

وذلك فى قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله » (٢٩ الحديد) .

(أقوال العلماء فى الآية) .

يقول كثير من العلماء : إن (لا) فى هذه الآية زائدة . فقوله سبحانه : « لئلا يعلم » معناه ليعلم .

وقد اقتصر الزمخشرى فى الكشاف على هذا الوجه . وهاك نص عبارته ، قال رحمة الله عليه :

« لئلا يعلم » : ليعلم « أهل الكتاب » : الذين لم يسلموا . و (لا) مزيدة ؛ (ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة ، أصله أنه لا يقدرون ، يعنى أن الشأن لا يقدرون (على شىء من فضل الله) أى لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة ، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ، ولم يكسبهم فضلا قط) اهـ [١] .

وقد سار على هذا الرأى النسفى ، تابع فيه الزمخشرى متابعة تامة فى اللفظ والمعنى .

وعلى هذا يكون الضمير فى قوله سبحانه : (ألا يقدرون) راجعاً إلى أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهم لا يقدرون على شىء من فضل الله ، أى لا ينالون شيئاً مما وعد الله به من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام ، من مضاعفة الرحمة والنور والمغفرة ، إذ قد جمعوا بين الإيمان به عليه الصلاة والسلام وبمن قبله من الرسل .

وكذلك قال « أبو حيان » إن « لا » زائدة ، وفسر أيضا عدم قدرة أهل الكتاب على فضل الله بعدم نيلهم هذا الفضل من حيث إنهم لم يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله من الرسل [٢] .

وابن جرير الطبرى من قبل هؤلاء ، قد سار على أن « لا » زائدة ، وجعل أيضا ضمير « ألا يقدرون » عائدا على أهل الكتاب الذين

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٤٣٨ .

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص ٢٢٩ .

لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم . وهذه عبارته : قال :

« يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب : يفعل بكم ربكم هذا لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذى آتاكم وخصكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله فضلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة مالم يؤتهم » .

. . .

ثم بين ابن جرير أنه على أساس الزيادة ، جاءت قراءة عبد الله « لكى يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون » . وقال : لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كل كلام دخل فى أوله أو آخره جحد غير مصرح، كقوله فى الجحد السابق الذى لم يصرح به: « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » وقوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ، وقوله : « وحرام على قرية أهلكناها » الآية اهـ (١) .

. . .

أما الفخر الرازى فقد حكى فى المسألة قولين: الأول ـ وقال : إنه المشهور وعليه أكثر المفسرين ـ أن «لا» فى الآية زائدة، والتقدير « ليعلم أهل الكتاب » . والضمير فى « ألا يقدرون » يعود على أهل الكتاب من بنى إسرائيل ، وهم الذين كانوا يزعمون أن الله فضلهم على العالمين ، وخصهم بالوحى والرسالة والشريعة والكتب المقدسة ، دون غيرهم من سائر الناس .

فالآية ترد عليهم هذا الزعم ، وتبطل دعوى اختصاصهم بالفضل ، وتقرر مع التى قبلها أن الله تعالى وعد المؤمنين المتقين ، الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قبله من الرسل ، أن يجزيهم ذلك الجزاء العظيم ، ويثيبهم ذلك الثواب الكريم : مضاعفة الرحمة وجميل المغفرة ، والنور الذى يمشون به يوم القيامة كما قال سبحانه : « يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » يصنع الله ذلك كله بهؤلاء المؤمنين ، ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بناس معينين ، ولا يستطيعون حصر الرسالة والوحى والشرائع فى قوم مخصوصين ، وليعلموا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

ومن هذا يتبين أن الفخر الرازى ـ فى شرحه القول الأول بزيادة «لا» فى الآية الكريمة ـ يفسر قوله تعالى : « لا يقدرون على شيء من فضل الله » بعدم القدرة على التصرف فى فضل الله وتخصيصه بقوم معينين ، وذلك على خلاف ما فسره به العلماء الذين قدمنا

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٧ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

أقوالهم فإنهم فسروا عدم القدرة على فضل الله بعدم نيل ذلك الفضل .

والخطب فى ذلك يسير . فكل من المعنيين صحيح ، والذى يتعين منهما هو الذى يقتضيه المقام ، ويدل عليه سياق الكلام .

أما القول الثانى : ـ وهو الراجح الذى نختاره ـ فهو أن « لا » فى الآية أصلية ؛ وقد مال « الفخر » إلى هذا القول ، وقال إنه رأى أبى مسلم الأصفهانى [١] وجمع من العلماء ، وعلى هذا يكون الضمير فى قوله سبحانه : (ألا يقــدرون) عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ويكون معنى عدم القدرة على فضل الله عدم نيل هذا الفضل ، ثم يكون معنى الآية مع التى قبلها ، أن الله وعد المؤمنين المتقين ، بذلك الأجر العظيم لئلا يعتقد أهل الكتاب أنهم ـ أى الرسول والمؤمنين ـ محرومون من فضل الله ، وأنهم لا يقدرون على شىء من ذلك الفضل ، أى لا ينالون شيئا منه .

وإذا كانت حكمة وعــد الله تعالى نبيه والمؤمنين بذلك الإنعام العظيم ، الذى حدثت عنه الآية هى إرادة ألا يعتقد أهل الكتاب أنهم هم المختصون بفضل الله ، وأن الرسول والمؤمنين محرومون من ذلك الفضل لا ينالون منه شيئا ، فإن ذلك يلزمه أن يعتقدوا ويعلموا أن الرسول والمؤمنين غير محرومين كما يزعمون وأنهم مكرمون ومثابون أحسن الثواب ، جزاء على إيمانهم برسل الله ، وبكل ما أنزل الله من كتاب .

هذا هو المعنى الذى أراده الفخر الرازى ، على أساس القول الثانى . أن (لا) فى الآية أصلية وقد تابعه فيه النيسابورى وأبو السعود ؛

---

(١) الحق أن أبا مسلم له بإزاء آيات القرآن آراء سديدة ، ومواقف حكيمة ؛ فهو لا يخرج عن حدود الاعتدال ، ولا يتعجل بالقول بزيادة كلمة من آية ، عند ما يلوح فى الآية معنى قد يرى بالنظرة العابرة أنه لا يستقيم مع أصالة تلك الكلمة ، وموقفه فى هذه المسألة يشبه موقفه فى مسألة النسخ فى القرآن : فقد أسرف كثير من العلماء فى دعوى هذا النسخ ، يقولون به فى أغلب الآيات التى فيها إرشاد أو أمر للنبى صلى الله عليه وسلم ، بالتزام اللين والصبر فى معاملة الناس وبمعالجة أمورهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، والأخذ بالعفو والصفح والإعراض عن الجاهلين . هم يقولون : فى هذه الآيات ، إنها منسوخة بآية السيف ـ يريدون الآيات التى فيها أمر بالقتال ـ مع أنه لا تعارض ولا تضارب = بين آيات القتال وآيات الدعوة إلى تلك الفضائل ؛ فكل منها له موطنه ومقامه الذى لا يعدوه ، وهذا هو الذى نختاره ونرتضيه ويقول به أبو مسلم الأصفهانى .

لكنهما لم يقعا فى الاضطراب الذى جاءت عليه عبارة الفخر ، فإن الاضطراب الذى وقع فى هـــذه العبارة ، لا يكاد يفهم معه المعنى المقصود .

وقد زاد من هـذا الاضطراب أنه قد اختلط فيه ما يتعلق بشرح المعنى الأول الذى اعتبرت فيه (لا) زائدة بما يتعلق بشرح المعنى الثانى الذى اعتبرت فيه أصلية .

بق أن نعرف على أى شىء يعطف قوله تعالى : (وأن الفضل بيد الله) على اعتبار أن (لا) أصلية فقد علمنا أنه على اعتبار أنها زائدة يكون معطوفا على قوله : (ألا يقدرون) أى ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون وأن الفضل بيد الله .

لكن على أساس الأصالة لا يمكن عطفه كذلك ، لأنه يفسد به المعنى إذ يصير حاصله : لئلا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ، ولئلا يعلموا أن الفضل بيد الله وهذا غير صحيح .

ولذلك قدر بعضهم فعلا مناسبا يستقيم به المعنى فقالوا : إن التقدير : وليعلمـــوا أو ليعتقدوا أن الفضل بيد الله . وقد سار على هذا النيسابورى تبعا للفخر أيضا .

لكن الحل الذى نختاره لا يحتاج إلى هذا التقدير ، إذ أن قوله سبحانه : (وأن الفضل بيد الله) يكون عطفا على (أن لا يعلم)وهو مدخول لام التعليل فى قوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) والمعنى وعد الله رسوله والمؤمنين بذلك الجزاء العظيم لئلا يعتقد أهل الكتاب أنهم أى الرسول ومن معه لا ينالون شيئا من فضل الله ، ووعدهم بذلك أيضا لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد سار على هذا العلامة أبو السعود .

ومعلوم أن العبارة إذا كانت تؤدى المعنى المراد من غير تقدير شىء زائد عليها فإن ذلك يكون أولى من تكلف التقدير .

. . .

هذا ـ وقد عرض ابن جرير فى هذا المقام ـ كما قدمنا ـ لما سماه « قراءة عبد الله » ، مستشهدا به على أن « لا » فى « لئلا يعلم » زائدة ؛ فقد قال إن عبدالله ـ يعنى ابن مسعود ـ قرأ الآية هكذا : « لكى يعلم أهل الكتاب» ؛ أى فيكون التعليل فى الآية حينئذ هو بإرادة أن يعلم أهل الكتاب لا بإرادة الا يعلموا ؛ وإذاً تكون « لا » فى قراءة الجمهور زائدة ،

ونحن نقول : إن هذا الاستشهاد ليس على ما ينبغى ؛ فإن ما يقال له قراءة ابن مسعود هنا وفى نظير ما هنا ـ من الروايات الشاذة ، التى لا يصح الأخذ بها ، ولا الاعتماد عليها ؛ فإن الإجماع على أنه لا يقبل من الروايات فى القرآن إلا ما كان متواترا أو شبيها بالمتواتر ، وهو المشهور الذى تلقته الأمة بالقبول .

وإذا كان جمهور علماء الأمة ومجتهديها

من عِبَر الهجرة

البيت البكري وفضيلته في الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

لما كثر اضطهاد المشركين للمسلمين بمكة، وتمت بيعة العقبة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار على الإيواء والنصرة، بدأ المسلمون يهاجرون من مكة إلى المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الرجل ربما هاجر وحده، وربما هاجر مع بعض أسرته من زوجة وأولاد، وكانت بعض الأسر تهاجر كلها، ولا ينتظر بمكة أى فرد من أفرادها تاركين ديارهم وأموالهم وتجاراتهم ومنافعهم، لا يلوون على شيء منها إيثارا لمرضاة الله، وفرارا بدينهم وعقيدتهم ومثلهم العليا، إلى حيث يستطيعون الاطمئنان عليها، والدعوة إليها، وتطبيقها على المجتمع تطبيقا حرا واضحا مسفرا، لا يخشى شيئا،

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

يجيزون الأخذ ـ فى الأحكام العملية التى هى من فروع الشريعة لا من أصولها ـ بالحديث الذى هو من رواية الآحاد إذا كان صحيحا، فإنهم لا يقبلون بحال روايات الآحاد فى قراءات القرآن.

وهنا نود أن ننبه إلى أن ما ينسب إلى آحاد الصحابة أو إلى مصاحفهم من القراءات القرآنية، مثل ما يقال: فى مصحف على كذا، وفى مصحف ابن مسعود كذا، كثير منه أو أكثره هو من قبيل التفسير الذى أرادوا الاحتفاظ به، فأثبتوه فى مصاحفهم ـ ولكن بين السطور ـ ولم يثبتوه فيها على أنه قرآن؛ فإذا قيل: إن فى مصحف ابن مسعود زيادة متتابعات، فى قوله تعالى فى كفارة اليمين: «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام». أو أنه ثبت ـ فى هذا المصحف أو فى غيره ـ تعيين الصلاة الوسطى فى قوله تعالى: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، بأنها صلاة العصر، فلا ينبغى أن يفهم هذا على أن الصحابى صاحب المصحف يريد أن يقول: إن كلمة متتابعات فى الآية الأولى وعبارة صلاة العصر فى الآية الثانية هى من القرآن ومن تمام الآية؛ لا بل إن ذلك تفسير مهم فى نظره للآية القرآنية أثبته فى مصحفه وليس من القرآن فى شىء.

(يتبع) عبد الرحمن تاج

ولا يتخفى من أحد ، والدعوات إنما تعيش فى جو الحرية والوضوح ، ولا تصلح فى جو الضغط والسرية إلا ريثما تتركز فى نفوس أصحابها وتجد لها متنفسا ومخرجا من الضيق إلى السعة ، فيجب عليها حينئذ أن تسفر عن وجهها ، وأن تستعلن لكى تظهر وتعرف ويحدث اللقاء بينها وبين العقول والأفكار ، وتؤتى ثمراتها كالشجرة تكون أول أمرها غراسا فى باطن الأرض ، ثم تظهر فتنمو فوقها ، ثم تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، أى بمقتضى سننه وقوانينه الكونية .

واستأذن أبو بكر الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن تهاجر كما يهاجر المؤمنون ؛ لأن الهجرة يومئذ كانت هى الشعار الذى يعلم به صدق الإيمان ، وقوة اليقين ، وصدق النية فى إيثار الله على كل ماسواه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لهذا الصاحب العظيم كما يأذن لغيره ، بل استمهله قائلا « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا » ففهم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبقيه ليكون صاحبه ، وعد ذلك إشارة أو تلويحا ببشارة ، فسكنت نفسه إلى ذلك منطوية على سرور لا حد له ، وكأنى به وهو يعلم من أمر الرسول وتربص المشركين به ما لا يعلمه كثير من الأصحاب ؛ قد فكر فى هذا الشرف العظيم الذى ساقه الله إليه ، فهو إما أن ينجو هو والرسول إذ يهاجران إلى المدينة معا فتكون له هذه الصحبة عزا وشرفا ليس بعده شرف ، وإما أن يموت فداء للرسول أو مع الرسول ، إذ يلاحقهما المشركون للفتك بهما أو بأحدهما ، فتكون له منزلة الشهادة فى سبيل الله ، وفى صحبة رسول الله ، فهو إنما ينتظر إحدى الحسنيين ، فما له لا يسر ، وما له لا تقر عينه بهذه الإشارة ، التى تنطوى على أعظم بشارة ؟

. وجعل أبو بكر يعد العدة للرحلة المنتظرة ، فاشترى راحلتين - أى ناقتين - واحتفظ بهما فى داره يعلفهما حتى يحين موعد الرحلة ، وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار إما بكرة ، وإما عشية ، لا يتخلف عن ذلك ، وهذه عادة تكون بين الصديق وصديقه إذا كانا متحابين ، وكانت صفاتهما ومزاجهما متقاربة ، فإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، وكان هذا التردد على بيت أبى بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسعده رضى الله عنه ، ويسعد أهله ، ويتيح لهم الفرصة لخدمة النبى والعناية بشأنه ، وكان ذلك بعد خطبته لعائشة وتقرر زواجه منها - كما جاء فى جامع البخارى - حتى إذا كان

اليوم الذى أذن الله لرسوله أن يهاجر إلى المدينة ؛ جاء عليه الصلاة والسلام إلى بيت أبى بكر فى ساعة الهجيرة - أى الظهيرة - وهى ساعة لم يكن يأتى فيها ، فلما رآه أبو بكر قال :

ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس عليه ، ولم يكن فى مجلس أبى بكر حينئذ إلا ابنتاه : عائشة ، وأسماء ، فقال لأبى بكر : أخرج عنى من عندك . فأدرك أبو بكر أن هناك سرا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث به وكان يثق فى ابنتيه أعظم الثقة ، لأنهما كانتا مثالا فى التربية العالية ، والأخلاق الكريمة ، والمران على حفظ السر ، وحسن تقدير الأمور ، فقال له أبو بكر : إنما هما ابنتاى يا رسول الله وفى رواية البخارى أنه قال له : إنما هم أهلك يا رسول الله ، فكان هذا القول من أبى بكر - ويغلب على الظن أن الفتاتين قد سمعتاه - كان هذا القول شهادة لهما من أبيهما بالثقة ، وباعثا لهما على الرضا عن نفسيهما ، والإيمان بما لهما من ذاتية أو من شخصية ، وتلك تربية طيبة من الآباء للأولاد أن يغرسوا فيهم الثقة بأنفسهم بإبدائهم الثقة فيهم ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شك من أمر الفتاتين ، وإحداهما هى التى خطبها ، وأختها أكبر منها ، وهما بنتا ذلك الصاحب الوفى اللتان تريان أباهما كل يوم يضرب أعظم الأمثلة فى الوفاء والصدق لصاحبه ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يهيء لأبى بكر فرصة تقدير الأمر والظروف المحيطة به ؛ فإنه هو الذى سيؤتمن على السر ، ومن تمام احتماله إياه ، واحتفاظه به أن يكون صاحب الرأى الأول فيمن يطلع عليه ، أو يحجب عنه ، ثم إن هذه كانت فرصة لأبى بكر ليكون جوابه غرسا للثقة فى الفتاتين على ما بينا .

ثم إن أبا بكر اتجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : وما ذاك يارسول الله ، فداك أبى وأمى ؟ قال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ! قال : الصحبة - أى لك الصحبة يا أبا بكر - وكانت عائشة تشهد وتسمع فروى أنها قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ! ثم قال أبو بكر : يانبى الله : إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجرا رجلا له معرفة بالطريق ليكون دليلهما ، ومن عجائب تدبير الله تعالى أن هذا الرجل كان مشركا ، فقد أودعاه راحلتيهما يرعاهما حتى يأتى الموعد المقرر للرحلة ، وكان أبو بكر واثقاً من الرجل ، وإن

كان على غير دينه ، لعلمه به ، ومعرفته أنه إنما يبحث عن رزقه ومنفعته من عمله الذى انقطع له وتخصص فيه ، وأمثال هذا الرجل يكونون فى العادة أمناء على أعمالهم، لا يرضون بخيانتها . لأنه لو عرف عنهم أنهم خانوا فيها أو بها أحداً من الناس ، فقدت الثقة بهم ، وقل الاعتماد عليهم ، وهـــذا هو ما نسميه « شرف المهنة » الذى يدعو الطبيب مثلا أن يعالج مخالفه فى الدين أو فى شأن من شئون الدنيا علاجا يخلص فيـــه لمهنته غير ملتفت لشىء إلا للنجاح فيها ، والاحتفاظ بشرفها ، وإنما كان ذلك نوعا من تدبير الله لرسوله وصاحبه ، لأن المشركين سيرون الراحلتين مع مشرك ، فلا يتطرق إليهم أنه قد اختير دليـلا لمحمد وصاحبه ، وبذلك تخفى عليهم الحقيقة، ويضلون عن معرفة الخطة ، ولو رأوا راحلتين مع دليل مسلم لكان ذلك أقرب إلى التساؤل ومحاولة معرفة السر ، وكشف التدبير .

. فلما حان الموعد المقرر للرحلة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فلم يلبثا إلا قليلا ثم خرجا من باب خلفى صغير فى ظهر بيت أبى بكر ، فانطلقا فى رحلتهما الخطيرة .

وهنا نرى أحداث الرحلة تدلنا على التدبير المحكم الذى وضع لإنجاحها ، ولإخفاء أمرها عن العيون ، وعلى الأعمال العظيمة التى قام بها أفراد البيت البكرى فصارت مضرب المثل فى تاريخ الإسلام ، وموضع القدوة للشباب الذى يجب أن يجاهد فى سبيل الله .

. فعائشـــة وأمها كانتا تعدان الطعام لتأخذه أسماء فتذهب به فى حذر وتخف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبيها ، وهما فى الغـار ينتظران ان يهدأ عنهما طلب المشركين .

. وأسماء كانت دون شك تتعرض لخطر عظيم ، وهى تغدو وتروح إلى هـذا الغار ، وتقطع إليه الطريق المخوف المعرض للرقباء والمتتبعين المـتربصين ، وهى التى أرادت أن تعلق سفرة الطعام فى الغار فلم تجـد ما تعلق به ، فشقت نطاقها شقين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخـر ، فسميت منذ ذلك بذات النطاقين ، فكان لها ذلك ذكـرا وفخـرا فى التاريخ ، وكانت به قدوة لبنات جنسها فى كل زمان ومكان .

ولقد جاءها نفر من قريش بعد ما انصرف رسول الله صـلى الله عليه وسلم من الغار ، وعلى رأس هؤلاء النفر أبو جهل بن هشام ألد أعداء الرسول، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم ، فقالوا لها : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ فقالت : لا أدرى والله أين أبى ـ وكانت صادقة فيما قالت ؛ فإنها لم تعـرف

وجهتهما وطريقهما بعد خروجهما من الغار ولا أى مكان خـــلا فيه إذ ذاك ـ ولكن أبا جهل لعنه الله كان رجـلا فاحشا خبيثا ، فلطمها على خدها لطمة طار بهـا قرطها من أذنها ، فاحتملت ذلك صابرة لعلها تطفىء بذلك جذوة غيظهم ، وتحولهم عن الصاحبين العظيمين ، ولو بعض التحويل، ثم انصرفوا.

وهى التى جاءها جـدها أبو قحافة ، ذلك الشيخ العجوز الذى ذهب بصره وقال لها : لقد خرج أبوك وإنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ـ أى أنه أخذ جميع ماله ولم يترك لكم شيئا قالت. كلا يا أبت أنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجارا ووضعتها فى كوة فى الموضع الذى كان أبوها يضع فيه ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيد جدها الذى لا يرى شيئا ، وقالت له : يا أبت ضع يدك على هذا المـال ، فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لـكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لـكم .

فعلت ذلك أسمـاء وهى تعلم أنه لم يترك شيئا ، وأنه احتمل ماله كله معه ، كى ينفقه فى سبيل الله ، وإنما أرادت بذلك ان تطمئن هذا الشيخ العجوز، وكان لم يدخل فى الإسلام بعد.

• ولقد قام أخوها عبد الله بن أبى بكر بعمل عظيم امره به أبوه فأداه أحسن الأداء وذلك أنه كان يجلس نهاره مـع المشركين فى مختلف مجالسهم ، ويتسمع ما يقولون ويجمـع الأخبار فى ذلك اليوم ، ثم يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباه بما يكون قد وعاه وجمعه من الأخبار ، وهما فى الغـــار فكانا على علم بأمر المشركين وأحاديثهم ومشاوراتهم وساعدهما ذلك على ان يمكثا فى الغار ما شاء الله أن يمكثا وهما مطمئنان إلى أن أمرهما لم ينكشف .

• وكان لأبى بكر رضى الله عنه مولى ـ أى تابع ـ يقال له عبد الله بن فهيرة ، فأمره أبو بكر أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، ويأتيهما إذا أمسى فى الغار ، فيحلب لهما من ألبانها ، ويعفى بها على آثار الأقدام ، لكيلا يعلم أمرهما .

• فلما حان موعد الرحيل من الغار ـ وكان ذلك بـعد ثلاث ليال قضياها فيه ـ وسكن عنهما الطلب ، أتاهما دليلهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعير له ، فقدم أبو بـكر أقوى البعيرين وأحسنهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لأبى بكر : إنى لا أركب بعيرا ليس لى ، فقال أبو بكر : هو لك يا رسول الله ، فقال : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يا رســـول الله ، فركبها وهنا تتجلى رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أن تكون هجرته إلى الله بنفسه وماله ، وفى أن يكون باذلا ولا يدع البذل كله لأبى بـكر ، هذا

نفحات القرآن

رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين » (آية ٢٥ سورة هود)
«قيل يانوح اهبط بسلام منا ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك» (« ٤٨ « «)

---

١ — يحدثنا القرآن عن نوح عليه السلام فى أكثر من أربعين موضعا من مقاماته .. حتى بلغ مجموع الآيات فى شأنه تسعين آية ..

ومنها سورة تسمى باسمه ـ سورة نوح ـ وهى من السور المكية وآياتها ثمانية وعشرون آية .

ويتنوع الحديث عن نوح بين إيجاز

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

مع أن أبا بكر رضى الله عنه قد أنفق فى سبيل الله الكثير من ماله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ليس من أحد أمن على فى أهل ومال من أبى بكر ، فليس إباء الرسول لركوب هذه الناقة إلا بالثمن رفعا لهبة أبى بكر ، ولكن رمزا للإسهام فى الخير ، والبذل فى سبيل الخير ، وهو تعليم لمن يكونون فى مكان الريادة أو القيادة أن يكونوا باذلين ، ولو فى بعض الأحوال ، ليكونوا قدوة فى السماحة والجود بالمال فى سبيل المصالح .

• ويتجلى فى هذا أيضا : قوة الإرادة ، وشدة الحفاظ على السر ، ولا سيما من هاتين الفتاتين ومن أخيهما ، وقد عهد الناس أن النساء ضعيفات أمام أسرار الخطط والتدابير ، وأن الأجدر بمن يريد أن يحتفظ بسرها أن يحجبها عن النساء ، ولكن هذا الأمر المعهود لم يطرد شأنه مع تربية الإسلام ، ومع الإيمان بالله ورسوله ، فظل السر فى أمان وحفظ حتى هيأ الله لرسوله وصاحبه الأمان والحفظ ، ولنتصور مدى الخطب العظيم الذى كان يحل بالإسلام لو اطلع أحد على هــذا السر ، واكتشف هذا التدبير من جانب المشركين ! إذن لتبدل التاريخ ، وتحول مجراه إلى مالا يعلم إلا الله .

فتلك فضيلة للبيت البكرى نحمد الله عليها ونترضاه جل علاه لأبى بكر وأهله وأولاده من أجلها ، ومن أجل مواقفه كلها ، رضى الله عنه وعن آله وأبنائه وبناته ، وأرضاهم جميعا . ؟

محمد محمد المدنى

وإيضاح حسبما يقتضى البيان من ضروب القول .

وإن تكن حياة نوح من بواكير التاريخ فقد أذن الله أن تكون ذكراها بارزة فى التوراة ، ومتجددة فى القرآن ، لتظل أمامنا عبرة حية ، ولتعيش مع التاريخ فى وضعها الصحيح كما وعد الله « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . « إن هذا لهو القصص الحق » .

وهكذا أراد الله أن يجعل دنيانا قصصا ممدودا بين أولها وآخرها ، ليكون علما تهتدى به الإنسانية فى أطوارها ، ولتعرف عن مسالك الأولين ماكان خيرا فتأخذ به ، وماكان غير ذلك فتنصرف عنه .

ولذلك لم يكن هذا القصص مقصورا على نوح ، ولا حبيسا على قوم نوح وإنما هو شأن مبدوء من عهد آدم ، ومتصل مطرد إلى أن جاء به القرآن فى قصصه : الحق « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ... لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » .

٢ — وكثيرا ما يراد ذكر نوح فى الآيات على وجه يشعر أنه أسبق الأنبياء والرسل، ومن ذلك قوله تعالى : « إنا أوحينا إليك (يا محمد) كما أوحينا إلى نوح ، والنبيين من بعده ... شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ... » ولم يكن نوح أول الرسل بل رابعهم بعد آدم ، وشيث ، وإدريس ، وهو رابع فى النبوة بعد هؤلاء ، وثالث فى الرسالة بعد آدم ، وإدريس على ترجيح فى ذلك .

ولكن نوحا يذكر — أولا — لأنه أول من تحداه قومه من المرسلين .

فحينما يتعرض القرآن للقصص عن الرسل ، يكون نوح أول من يذكر : مراعاة لأسبقية بلائه ، وما لقيه من أمته قبل سواه .

* * *

٣ — ذكر القرآن أن نوحا لبث رسولا فى قومه ألف سنة : إلا خمسين عاما .

وهل الأعوام هى السنوات التى نعهدها ، أو تختلف عما نعرف ؟ — الأرجح أنها كأعوامنا ،

فإن القرآن يخاطبنا بلغة العرب، والعرب من أولهم يعتبرون العام اثنى عشر شهرا ، والقرآن يعتمد ذلك : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض » .

ثم الشهر فى حساب العرب ثلاثون أو تسع وعشرون يوما، كما بينت السنة النبوية الصحيحة .

فنوح مكث فى رسالته هذه الأعوام الألف إلا خمسين عاما ، كما صرحت الآية .

وليست الأعوام أشهرا كما يفترى اليهود ، ويزعمون أن الناس كانوا قديما لا يعرفون تقديرا إلا بالهلال ، وكل شهر هلالى عندهم يسمونه عاما ، فرسالة نوح فى زعمهم ألف شهر

إلا خمسين شهراً وهذا مجرد نزوع إلى مخالفة القرآن ، وتجاهل التاريخ .

٤ — هذا وقد ذكر العلماء أن نوحا أرسل إلى قومه فى سن الأربعين من عمره ، كما هى سنة الله فى رسله جميعا ، ومنهم عيسى عليه السلام : خلافا لما يشاع أنه بعث فى سن دون ذلك ، وهذا تحقيق الباحثين من أولى العلم بهذا الشأن . ودعنا من المبالغات التى أحاطت بالمسيح عليه السلام ـ سواء أكانت من قومه أو من خصومه .

ويذكر العلماء، أن نوحا عاش بعد الطوفان رسولا كذلك زمنا ـ واختلفوا فى تقديره : بين ستين سنة أو أكثر من ذلك ، ومجموع سنواته فى الرسالة قبل الطوفان وبعده هو ما تقدم ذكره .

وأما مدة الحياة فى الدنيا فيضاف إليها ما سبق الرسالة .

وتحديد عمره على وجه اليقين غير ميسور . وهو شأن ثانوى ، وحسبنا أنه عاش طويلا فوق العادة مثل ما عاش آدم ـ عليه السلام ـ تسعمائة وثلاثين سنة كما ذكروا .

وكانت دعـــوة نوح لأمته « يا قوم : اعبدوا الله، مالكم من إله غيره » ، وهو أول من نادى أمته ـ يا قوم ـ فيما يظهر من النصوص .

والتذكير بالقومية يثير العاطفة . ويستميل القلوب ، فضلا عن التشجيع على الثقة ، فيما عند الله من خير ، وعن التخويف من عذابه فى الدنيا والآخرة . وأنه لا يطلب منهم أجراً على هدايته لهم ، ولا يكلفهم أى تكليف .

ومع هـــذا التلطف وطول الزمن فى مصابرته لهم : فـــلم يتقبلوا إرشاده ، ولم ينصرفوا عن كفرهم ، ولم يقتصدوا فى عبادتهم للأصنام ، ولا ترفقوا به فى الأذى حتى زوجته ـ وولده الأكبر كانا فى غير أنصاره ، ، إلا نفرا قليلا من ذريته ، ومن تبعه على الإيمان « وما آمن معه إلا قليل » .

٥ — وكان كلما ردد عليهم دعوته ، وجدد لهم تذكيره بالله ، وبعاقبة الإيمان والكفر أن سئموا نصحه ، واعتبروه مجادلا فى غير جدوى له ، أولهم : « يا نوح قد جادلتنا ، فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا ـ من الهلاك ـ إن كنت من الصادقين » فى دعواك الرسالة وفيما تذكر من عذاب الله ، وأننا نستحقه لكفرنا الذى تزعمه ، وترمينا به فى إنكارك ما نحن عليه .

وبعد طول زمن . وشدة بأس أوحى الله إلى نوح : « أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ، ثم أوحى إليه أن يصنع سفينة ، وسيرشده الله بوحيه إلى صناعتها ... لأن الناس حينذاك لم يكن لهم علم بصناعة السفن وكان نوح بعد أن عرف قرب هلاكهم ، يكثر الدعاء عليهم تنفيسا عن نفسه ، وإظهاراً لسخط الله .

ثم أوحى الله إليه بحلول العذاب يوم أن يفور الماء فى التنور ـ الفرن الذى يوقدونه لصنع خبزهم .

وأوحى إليه أن يبادر إلى ركوب السفينة عند ظهور الماء فى التنور ، وأن يصطحب معه كل من آمن به ، ويأخذ زوجين ، ذكراً وأنثى ، من جميع الحيوانات والطيور الموجودة حينذاك .

وفى ساعة القضاء فعل نوح ما أمر به ، وركبوا الفلك ، وسارت بهم فى البحر : باسم الله وعلى بركته ، وفتح الله أبواب السماء بمطر منهمر ، وفجر الأرض عيونا ففاضت بسيحها النابع ، والتقى الماء النازل والنابع حتى غمرت شوامخ الجبال ، واجتاح الطوفان كل ما على الأرض من إنسان ، وغير إنسان وذهب فيه ولد نوح الكافر ومن كان مثله معتصما بالجبل ، زاعما أنه يفلت من تدبير الله ونجى الله نوحا ومن معه فى السفينة وكل ما فيها .

٦ ـ ثم أمر الله الأرض أن تجف ، وأمر السماء أن تكف ، وهبط ماء الطوفان فى جوف الأرض ، وجنحت السفينة إلى الشاطىء ، واستقرت إلى جانب الجبل .

وأذن الله لنوح ومن معه أن يعودوا إلى الأرض فى رعاية الله ، وسلامته ، وبركاته . وذلك شأن مبسوط فى الآيات ، وليس فيه غموض ، ولا هو من كلام المفسرين : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ، ويا سماء أقلعى وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل بعداً للقوم الظالمين ... ...

وقيل يا نوح : اهبط بسلام منا ، وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك » .

وقد كان ذلك فى مدة سنة وعشرة أيام ، مكثها فى السفينة ، على ما يذكره الباحثون من أهل التحقيق ، ولم يذكره القرآن ، لأن تحديد الأزمنة لا يتعلق به غرض ، كما أسلفنا .

٧ ـ ثم استأنف نوح ومن معه حياة جديدة فى دنياه ، بعد أن طهرت من الشرك والمشركين وبارك الله فى ذريتهم ، وفى أرازقهم ، وعمرت الأرض بهم كما كانت عامرة قبل الطوفان « وجعلنا ذريته هم الباقين » وسجل الله هذه الذكرى مقرونة بالتحية لنوح « وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين » .

ومن أجل هذا العمر الطويل وهذه الذرية المباركة يطلقون على نوح أنه آدم الأصغر .

وهل كان الطوفان فى الدنيا أو كان فى المنطقة التى يسكنها نوح من شرق البحر الأحمر وفى جانب الجزيرة العربية إلى فلسطين؟

يرجح الباحثون أن الدنيا لم تكن معمورة إلا فى هذه المنطقة بقوم نوح فحسب ، وأن

أسباب عظمة العرب

للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى

إذا كانت مقاييس المواطن الصالح متغيرة بتغير الزمن ، فمقاييس الدولة الصالحة هى كذلك فى تطور مستمر . فالمواطن الصالح فى دولة اليونان كان يجعل كل همه فى الفوز فى الألعاب الأولمبية كالمصارعة والعدو والملاكمة ، وهكذا كانت القوة الجسمية أكبر همه . وربما كان الجدل والفصاحة فى أحد أدوار التاريخ مقياساً للمواطن الصالح فى هذه الأمة ، وربما كانت الشجاعة والتفوق الحربى فى أمة أخرى ، وفى دور آخر من التاريخ مقياساً ثالثاً ، وهذا ما كان عند الرومان ، ومع أن الرومان كانوا سادة العالم ، فإنهم لم يبدوا تفوقا ذهنياً ظاهراً فى الفنون والعلوم ، وكان اليونانيون أساتذة لهم فى كل ما يمت إلى الفكر بصلة ، ولكن ذلك لم يحل دون استعبادهم لهؤلاء اليونانيين . والأمر كذلك فى أمة الترك .

وإذا كانت بعض الأمم قد وضعت نصب عينيها أحد هذه المثل ، فإن أمة المسلمين قد وضعت نصب عينيها أكثر من مثل أعلى ، فالذكاء الموروث عند العرب والفرس ، والصفات الخلقية العليا عند قبائل العرب من شجاعة وعناد وصبر ، والمبادىء الخلقية القويمة التى جاء بها الإسلام والتى ضربت للصليبيين أحسن الأمثال ، والذوق الفنى الذى تجلى عند مسلمى الأندلس ، كل أولئك شهود على عظمة العرب .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الطوفان قد استوعبها جميعاً ، وكانت الأرض خرابا بعده حتى عمرت بالسلالات المنحدرة ممن كانوا مع نوح ، على نحو ما ذكرنا ...

٨ — ثم جرت سنة الله فى خلقه بعد ذلك فنتج من أعقاب هؤلاء ذرية أخرى لم تكن على طاعة الله ، ولا أقل كفرانا من الهالكين فى عهد نوح . وذلك غير مناقض لما سلف بل هو تكملة لنذر الله الذى أوحى به إلى نوح فى قوله تعالى : « ... اهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك - وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » وقد تحقق هذا فيمن بعدهم : من أمة هود ، وصالح ، وقوم فرعون الخ .

وفقنا الله للعبرة الصالحة ، وصلواته وسلامه على النبيين والمؤمنين ؟

عبد اللطيف السبكى

ترجع عظمة العرب إلى أسباب لا يمكن أن نحصيها عداً، ولكننا نستطيع أن نلخص بعض الأسباب الجوهرية التي أدت إلى هذه العظمة :

وأول هذه الأسباب وأهمها هو وجود الدين الإسلامي وتقبل المسلمين له باعتباره مثلا أعلى . قال جوستاف لوبون (١) :

« وقد أتيح لي أن أذكر غير مرة أن عبادة أي مثل عال هي من أقوى العوامل في تطور المجتمعات البشرية ، ويكفي أن يكون المثل الأعلى قوياً ليمنح الأمة مشاعر وآمالا مشتركة ، وإيماناً متينا يندفع به كل واحد من أبنائها في التضحية بنفسه في سبيل نصره ، وكانت عظمة روما مثل الرومان الأعلى . وكان نيل حياة أخرى تجتنى منها أطايب النعم مثل النصارى الأعلى، وتخيل الرجل العصري آلهة جددا يقيم لهم تماثيل مع أنهم وهميون كقدماء الآلهة لا ريب ، وذلك مع كفاية تأثيرهم الطيب لوقاية مجتمعاتنا القديمة من الزوال حينا من الزمن . وليس التاريخ سوى رواية للحوادث التي قام بها الناس انتصارا لمثل عال . ولولا تأثير المثل العليا ما تمدن الإنسان ولظل في دور الهمجية . ويبدأ دور انحطاط الأمة حينما تعود عاطلة من مثل عال محترم يستعد كل واحد من أبنائها لوقف نفسه عليه » .

(١) حضارة العرب ص ٦٠٤ .

« والمثل الأعلى الذي أبدعه محمد صلى الله عليه وسلم ديني محض ، والدولة التي أسسها العرب هي الدولة العظمى الوحيدة التي قامت باسم دين اشتقت منه جميع نظمها السياسية والاجتماعية » .

فالدين الإسلامي القائم على الأسس القويمة للقرآن والسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعمال الخلفاء الراشدين التي ينطوي العالم ولا تطوى ، والمبادىء العليا التي يفيض بها الإسلام في حرية الرأي وإقرار الحقوق والأخذ بيد الضعفاء ، والاستبحار في العلم ، وذم الجهل والجهلاء ؛ كل أولئك من دعائم عظمة العرب .

والأخذ بالمثل الأعلى الذي جاء به الإسلام هو الذي أدى إلى سياسة التسامح الديني مع سكان البلاد التي فتحت على أيدي المسلمين . وإن التاريخ الإسلامي ليفيض بالوقائع التي تدل على تسامح المسلمين مع إخوانهم في البلاد المفتوحة.

وقد ضرب عمر بن الخطاب المثل الأعلى للتسامح الديني بالنسبة للشعوب التي فتحت أراضيها فلم يسمح لأحد من قواده بأن يحيد عن قواعد الإسلام ، فعل ذلك مع خالد بن الوليد ، ومع عمرو بن العاص ، ومع سعد ابن أبي وقاص .

لقد كان شديداً على عماله إلى درجة القسوة رغبة منه في أن يكونوا أئمة مثاليين في البلاد التي فتحوها ، وإن المثل الذي ضربه صلاح الدين الأيوبي مع ريتشارد قلب الأسد

لكفيل وحده بأن يعلم الصليبيين عظمة العرب ، وإن العهود التى كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين ، والعهود التى كتبها عمر بن الخطاب مع القبط (١) والفرس وغيرهم واحترام هذه العهود ، إن هى إلا أثر من آثار التمسك بالمثل العليا .

إن التاريخ الإسلامى يفيض بمثل هذه الشواهد ، ولكنى أحب أن أقدمها لك على ألسنة رجال من مفكرى الغرب أنفسهم ، فهى أوقع فى الدلالة وأبلغ فى البيان .

قال لوبون :

« وكان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ويسيئوا معاملة المغلوبين ، ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره فى العالم ، ولو فعلوا هذا لتألبت عليهم جميع الأمم التى كانت غير خاضعة لهم بعد ، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عند ما دخلوا بلاد سورية مؤخرا ، ولكن العرب اجتنبوا ذلك ، وقد أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة ، أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا ، فعاملوا ، - كما رأينا - أهل سورية ومصر وأسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة ، فى الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقا فى مقابل حفظ الأمن بينهم ، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم .

وماجهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة فى اتساع فتوحهم وفى سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة حتى بعد توارى سلطان العرب عن مسرح العالم ، ونعد من الواضح خاصة أمر مصر التى لم يوفق فاتحوها من الفرس والإغريق والرومان أن يقلبوا الحضارة الفرعونية القديمة فيها وأن يقيموا حضارتهم مقامها .

وقال (ول ديورانت) وهو يصف قدوم عمر بن الخطاب ليتسلم بيت المقدس من البطريق سفرونيوس :

« وجاء (عمر) من المدينة فى بساطة أنخم من الفخامة ، ومعه عدل من الحب وكيس

---

(١) كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص عقب فتح مصر : « من كان فى يدك من اليهود أو النصارى فخيره بين الإسلام ودينه ، فإن أسلم فهو من جملة المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . وإن لم يسلم فعليه الجزية ، عن كل رأس ديناران » المختار من بدائع الزهور ج ١ ص ١٢ .

من التمر ووعاء ماء وصحفة من الخشب ، وخرج خالد وأبو عبيدة وغيرهما من قواد الجيش لاستقباله ، فغضب حين أبصر ثيابهم المهفهفة وعدد خيولهم المزركشة ، وألقى بحفنة من الحصباء فى وجوههم ، ولامهم على أنهم جاءوا يستقبلونه فى ذلك الزى ، وقابل سفرونيوس مقابلة ملؤها اللطف والمجاملة ، ولم يفرض على المغلوبين إلا جزية قليلة ، وأمن المسيحيين على كنائسهم . ويقول المؤرخون المسيحيون : إنه طاف مع البطريق ببيت المقدس ، واختار فى العشرة الأيام التى أقامها فيها موضع المسجد الذى سمى فيما بعد باسمه . ولما سمع أهل المدينة يخشون أن يتخذ بيت المقدس عاصمة للدولة الإسلامية ، عاد إلى عاصمته الصغيرة » . (١)

« ولم يبد عدم التسامح بين المسلمين إلا بعد أن اضمحل سلطان العرب فى القرن الثالث عشر من الميلاد وقصرت سلطتهم على قبضة « شعوب شرسة غير مهذبة » من ترك وبربر وغيرهم كما أشار إلى ذلك بحق مسيو رينان . وإنما نشير إلى ما ترجمه مسيو دوزى من قصة أحد علماء الكلام العرب الذى كان يحضر ببغداد دروسا كثيرة فى الفلسفة يشترك فيها أناس من اليهود والزنادقة والمجوس والمسلمين والنصارى الخ ، فيستمع إلى كل واحد منهم باحترام عظيم ، ولا يطلب منه إلا أن يستند إلى الأدلة الصادرة عن العقل ، لا إلى الأدلة المأخوذة من أى كتاب دينى كان . فتسامح مثل هذا هو مما لم تصل إليه أوروبا بعد ما قامت به فى أكثر من ألف سنة من الحروب الطاحنة ، وماعانته من الأحقاد المتأصلة وما منيت به من المذابح الدامية » (١) .

وبلغ حلم عرب اسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغاً حتى إنهم كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصرانى الذى عقد فى سنة ٧٨٢ ، ومؤتمر قرطبة النصرانى الذى عقد سنة ٨٥٢ م .

وتعد كنائس النصارى الكثيرة التى بنوها أيام الحكم العربى من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التى خضعت لهم . . . . وكانت أسبانيا العربية بلد أوروبا الوحيد الذى تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها فصار عددهم فيه كبيراً جداً (٢) .

وفى فلسطين على عهد الصليبيين فوجئ الفرنجة بأخلاق من العرب لم يكونوا يتوقعونها ؛ فقد غرر بهم أولئك الذين دفعوهم إلى الحرب زاعمين لهم أن العرب أفظاظ سفاكون ، فإذا بهم يجدون أمامهم شجعانا يفيض قلبهم بالرحمة والعدل ، وعندما

(١) مجلد ٤ ج ٢ ص ٧٦

(١) لوبون ص ٥٦٩ و ٥٧٠

(٢) لوبون ص ٢٧٦ و ٢٧٧ .

أوشك أن يقضى على ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا أثناء مرضه بالحمى أرسل إليه خصيمه صلاح الدين جمالا محملة بالجليد ليخفف عنه وطأة المرض [١] .

ولكن هذا لم يمنع نصارى «قارا» الواقعة بين دمشق وحمص - وهم الذين أحسن إليهم المسلمون - من أن يسرقوا المسلمين أثناء الحروب الصليبية ، ويبيعوهم خفية للأفرنج [٢] .

ولم يمنع تسامح المسلمين فى الأندلس رئيس أساقفة بلنسية - وهو يعترف بهذا التسامح - أن يأمر بطرد المسلمين من الأندلس ، لقد اعترف فى مقال له تحت عنوان : «ارتداد العرب فى الأندلس وخيانتهم للدولة» بأن هؤلاء العرب «لم يذكروا بالجميل والحمد فى شىء أكثر من حرية الضمير فى كافة المسائل الدينية ، تلك الحرية التى سمح الأتراك العثمانيون وغيرهم من المسلمين لرعاياهم أن ينعموا بها [٣] » يعترف لهم بهذا الفضل فى مقاله ، وفى نفس المقال يشير على فيليب الثانى بطردهم ، وقد أصبحوا مجرد رعايا من الأندلس التى كانوا سادتها .

ولقد أثبت مورجان [٤] فى كثير من الإعجاب والتأثر نص احتجاج قدمه أحد المسلمين الذين طردوا من اسبانيا حين أقصى العرب لآخر مرة سنة ١٦١٠ «هل حاول أسلافنا المنتصرون ولو مرة واحدة أن يستأصلوا المسيحية من أسبانيا حين كان فى مقدورهم أن يفعلوا ذلك ؟ !

ألم يسمحوا لآبائكم بأن يتمتعوا بحرية استعمال رسومهم الدينية فى نفس الوقت الذى لبسوا فيه طيالسهم ؟ ألم يوص نبينا بأن تترك الحرية الدينية لأهالى البلاد التى يفتحها العرب بحد السيف مهما بلغت آراؤهم الدينية من حمق وخرق ؟ بل ألم يسمح لهم بالتدين بأى دين آخر يؤثرونه على دينهم إذا دفعوا مقدارا معتدلا من الجزية فى كل سنة ؟

وإذا كانت ثمة أمثلة قد يأتى بها بعضهم للدلالة على إرغام الأهلين على اعتناق الإسلام فإن هذه الأمثلة قد بلغت من الندرة بحيث لا تستحق أن تذكرها ، وإنما حاولها أناس لا يخشون الله ونبيه ، بل قاموا بهذا العمل من تلقاء أنفسهم مع مخالفته لتعاليم الدين الإسلامى وسنة نبيه ، تلك التعاليم التى لا يمكن أن يدنسها أو ينتهك حرمتها إلا كل شخص لا يتحلى بصفات المسلم الحقيق .. وأنتم لا تستطيعون أن تظهروا لنا شيئا ما عن أية حادثة خاصة بسفك الدماء أو تقديم للمحاكمة بسبب الطرق المختلفة التى اتبعت فى إقناع الناس وتلقينهم تعاليم تشبه على نحو ما محاكم

[١] J. Draper: The Intellectval Development of Europe V. 2 P. 35

[٢] أبو الفدا ج ٤ ص ٤ .

[٣] Morgan: Mohametism Explained V. ii P. 310 (London 1723 — 5)

[٤] ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥ .

التفتيش الممقوتة ، وإن يدنا مبسوطة دائماً لتلقى كل من وهبه الله نعمة التدين بديننا .

ولكن كتابنا المقدس ، وهو القرآن الكريم ، لا يجيز لنا أن نتحكم فى ضمائر الناس ، وإن الذين استجابوا إلى ديننا قد نعموا بكل ما يمكن أن يتصوره العقل من تشجيع ومعاضدة ، حتى إذا اعترفوا بوحدانية الله ورسالة نبيه ، صاروا كواحد منا من غير تمييز أو استثناء ، فتزوجوا بناتنا وشغلوا المناصب التى يكون أصحابها محلا للثقة،وأحيطوا بمظاهر الشرف ونعموا بالثراء . وكان أقصى ما رضيناه لأنفسنا من هؤلاء أن طلبنا إليهم فى رقة ولطف ان يلبسوا لباسنا ، وان يظهروا بمظهر المخلصين الحقيقيين للدين فى كل ما يظهرون به أمام الناس ، دون أن يعرضوا ضمائرهم للامتحان بشرط أن لا يغضوا من شأن ديننا أو يدنسوه . فإذا فعلوا ذلك أنزلنا بهم ما يستحقونه من العقاب بلا مراء ، إذ كان تحولهم إلى هذا الدين عن طواعية واختيار لا عن إرغام وإكراه .

أما السبب الثانى لعظمة المسلمين فهو الخلق الموروث الذى كان عليه العرب حتى قبل الإسلام ، فالعربى كان يتمتع بصفات عالية ورثها عن آبائه الأقدمين كالذكاء والشجاعة وإيثار الغير ، وحبه للحكمة واحترامه لكلمة الشرف ؛ كل أولئك قد قواه الدين الإسلامى وهذب منه ما كان جامحا . ولكن هذه الصفات بذاتها كانت قابلة وحدها لأن تتمثل المدنيات القديمة التى بهرت الفاتحين العرب فى أول أمرهم بالفتوح كمدنية الهند والفرس والإغريق ، وإن هنالك شعوبا لم تستطع أن تضيف إلى كتاب الحضارة سطراً واحداً ، فضلا عن أنها كانت عبئاً على الحضارة الإسلامية .

قال لوبون [١] :

فإذا كانت الأمة مبدعة أمكن أن تتجلى قوتها الإبداعية فى كل شىء ، حتى فى بناء اسطبل أو صنع حذاء ، وإذا كانت الأمة عاطلة من مثل هذه القوة لم تفعل سوى تنفيذ عناصر الفن، كما هو شأن الترك الذين استطاعوا أن يقلدوا كنيسة أيا صوفيا فى القسطنطينية عشر مرات وأن ينضدوا فيما قلدوه بعض الزخارف العربية أو الفارسية،ولكن من غير أن تكون لهم فيه أية مسحة إبداع فنى خاصة».

ويقول المسيو سيديو : إننا إذا أردنا أن نبحث فى الأسباب التى أيقظت العرب على التقدم العجيب بعد فتحهم لسوريا وفلسطين فيجب أن نضع فى الحسبان استعداد العرب الفطرى لاستعمال ملكاتهم العقلية [٢] ؟

محمد مختار القاضى

---

(١) ص ٥٠٣ .

(٢) Histoire Générale des Arabs Vol. 2. P. 3 - 4.

منهج الرازي في تفسيره

للأستاذ علي العماري

— ٢ —

وبسبيل من ذلك كثرة الاستطراد ، ولعل هذا أبرز ما في الكتاب ، فهو يلتمس آية مناسبة ليقول ويطيل القول في أمور غير جوهرية في فهم الآية .

ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما أخذ في تفسير قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » عقد فصلا طويلا في فضل العلم أنسى القارئ المعنى المراد في الآية .

فقد عرض لدلالة الآية على فضل العلم ، وذكر أنه يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمنقول ، ثم أخذ يذكر دلالة كل على فضل العلم ، وفي أثناء ذلك عرض للفظ (الحكمة) ونقل عن مقاتل أن تفسيرها في القرآن على أربعة أوجه ، وذكرها ، ثم استعرض أكثر الآيات التي جاء فيها لفظ العلم في القرآن ، ثم انتقل إلى الأخبار ، فأورد أحاديث كثيرة تدل على فضل العلم ، ثم انتقل إلى الآثار ، فنقل عن ابن مسعود ، وعن مصعب بن الزبير ، وعن علي بن أبي طالب وعن شقيق البلخي ، وغيرهم نقولا كثيرة .

ثم بعد جولة طويلة رجع يقول : (واعلم أن ههنا وجوها أخر من النصوص تدل على فضيلة العلم نسينا إيرادها قبل ذلك ، فلا بأس أن نذكرها ههنا) ثم ذكر آيات ، ووقف معها ، وذكر أحاديث نبوية وشرحها ، وكذلك لم ينس الآثار ، فنقل عن مقاتل ابن سليمان ما وجده في الإنجيل من قول الله لعيسى : « ياعيسى عظم العلماء ، واعرف فضلهم » وعاد ليذكر كثيرا من الأخبار والآثار ، وزاد فعرض ما سماه : (النكت) و (الحكايات).

ثم كتب فصلا عنوانه : (الشواهد العقلية في فضيلة العلم) وآخر عنوانه : (في أقوال الناس في حد العلم) وثالثا في (البحث عن ألفاظ يظن أنها مرادفة للعلم) .

وأخيرا يبحث في أن الآية لا تقتضي وصف الله تعالى بأنه معلم ، وأنها حجة على أن المعارف مخلوقة لله تعالى ، وعلى أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله تعالى ...

وهكذا يخرج من بحث إلى بحث . وهذا - وإن دل على علم غزير - كان الأولى به أن يذكر في موضعه من أبواب العلوم .

وكما يستطرد لمثل هذا يستطرد إلى مسائل لغوية ، أو نحوية ، أو بلاغية ، وإن كان لا يطيل فيها إطالته في غيرها من الأبحاث الفقهية والكلامية .

كان الرازي - كما يعرف من ترجمته ، وكما تدل عليه كتبه - مولعا بالرد على مخالفيه في الرأي ، وهو سني أشعري ، شافعي .

فلذلك جاء كتابه فى التفسير حافلا بالرد على المعتزلة ، وعلى غيرهم من أرباب الفرق الكلامية ، فهو لا يكاد يمر بآية تخدم مذهبه فى العقيدة إلا عرض لما فيها ، وأورد شبهة خصومه ، وذكر رد (أصحابه) أو رأيه هو .

وكذلك عنى بتبيان المذهب الشافعى ـ بخاصة ـ ومذاهب الفقهاء بعامة فى كل آية من آيات الأحكام ، وقد قال صاحب كشف الظنون : (إن الإمام فخر الدين الرازى ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شىء إلى شىء حتى يقضى الناظر العجب) (١).

ونقل عن أبى حيان أنه قال فى (البحر المحيط) : (جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شىء إلا التفسير) [٢] .

وقال أبو حيان فى (البحر المحيط) أيضاً : (ما ذكره الرازى وغيره فى التفسير يشبه عمل النحوى . بينا هو فى علمه يبحث فى الألف المنقلبة إذا هو يتكلم فى الجنة والنار ، ومن هذا سبيله فى العلم فهو من التخليط والتخبيط فى أقصى الدرجة) (٣) .

قلت : وقد كان أبو حيان ـ رحمه الله وعفا عنه ـ مولعاً بتنقص العلماء .

وبهذه المناسبة نحب أن نبين طريقة هذا الإمام (الرازى) فى إيراد هذه الأقوال ، أقوال الحكماء والفلاسفة .

حقيقة . ظهرت فى هذا الكتاب آثار الثقافة الحكمية والفلسفية للمسلمين ، وسجل الرازى فيه أبحاثاً كثيرة نقلها عن الحكماء والفلاسفة ، ولكن الذى ينبغى أن يكون معروفا أن الإمام لم يكن يأخذ أقوال هؤلاء قضايا مسلمة ؛ بل كان يناقشها أحيانا ، ويبين ما فيها من زيف .

ولنضرب مثلا لذلك .

جاء فى أول تفسيره لسورة (الجن) قوله : (اختلف الناس قديماً وحديثاً فى ثبوت الجن ونفيه ، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره ، وذلك لأن (أبا على بن سينا) قال فى رسالته فى حدود الأشياء : الجن حيوان هوائى متشكل بأشكال مختلفة ، ثم قال : وهذا شرح للاسم ، فقوله : وهذا شرح للاسم يدل على أن الحد شرح للمراد من هذا اللفظ ، وليس لهذه الحقيقة وجود فى الخارج .

وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن ، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ، وأصحاب الروحانيات ، ويسمونها بالأرواح السفلية).

وبعد أن يسوق الخلافات حول الجن ، وأنهم أجسام مختلفة ماهياتها ، أو متساوية فى تمام الماهية ، والخلاف حول : هل البنية شرط فى الحياة أو ليست شرطاً . بعد ذلك

---

[١] كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٠ .

[٢] المصدر السابق ص ٢٣١ عن كتاب [التفسير والمفسرون] للشيخ محمد الذهبى .

[٣] البحر المحيط ج ١ ص ٢٦١ .

ينصر مذهب الأشعرى القائل بأن البنية ليست شرطاً فى الحياة ، ويقول : إن أدلته وأتباعه فى هذا الباب ظاهرة قوية ، وبعد أن يسوق الأدلة ، ويعرض لمذهب المعتزلة ، ويناقشه يقول : وأنا متعجب من هؤلاء المعتزلة أنهم كيف يصدقون ما جاء فى القرآن من إثبات الملك والجن مع استمرارهم على مذهبهم ... وليتهم ذكروا على صحة مذهبهم شبهة مخيلة ، فضلا عن حجة مبينة .

وهو يرد على الفلاسفة أيضاً فى قولهم : إن الله لا يعلم الجزئيات ، فيعد قوله تعالى : « وهو بكل شىء عليم » ، دليلا على فساد قول الفلاسفة ، كما أنه دليل على فساد قول المعتزلة فى أن العبد موجد لأفعال نفسه .

ويقول فى تفسير قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » أما الفلاسفة فقد اتفقوا على أن فى العقل دلائل تدل على وجود الملائكة ، ولنا معهم فى تلك الدلائل أبحاث دقيقة وعميقة .

وهكذا تظهر شخصية هذا المفسر حين يعرض لمذاهب الفلاسفة فيتكشف عن علم واسع وعن عقل حصيف .

وقد حرص الرازى فى تفسيره على ذكر المناسبات بين بعض الآيات وبعض وكذلك بين بعض السور وبعض ، وهو يرى أنه فى ترتيب الآيات من اللطائف ما به كان القرآن معجزاً ، ويسمى ذلك (النظم) ، ويقول : لعل الذين قالوا : إن القرآن معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، ويأخذ على المفسرين الذين سبقوه أنهم لم يتنبهوا لهذه اللطائف ، سواء كانت بين الآيات ، أو بين الكلمات ، ويقول فى ذلك : (إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور ، وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

ذكر كل ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » .

والرازى حين يلتمس المناسبات بين السور يربط ـ أحيانا ـ بين آخر السورة وأول التى تليها كما قال فى أول تفسير سورة (القارعة) : (اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله : إن ربهم بهم يومئذ لخبير . فكأنه قيل : وماذلك اليوم ؟ فقيل : هى القارعة) .

ويقول فى أول تفسير سورة (المطففين) : (اعلم أن اتصال هذه السورة بآخر السورة المتقدمة ظاهر ؛ لأنه تعالى بين فى آخر تلك السورة أن يوم القيامة يوم من صفته أنه « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » ، وذلك يقتضى تهديداً عظيما للعصاة ، فلهذا أتبعه « ويل للمطففين » ، والمراد الزجر عن التطفيف) .

وقد يلتمس تعليلا لجعل سورة متقدمة فى الترتيب على أخرى ، ومن أمثلة ذلك

فى أول تفسيره لسورة (الكهف) من قوله : (أما الكلام فى حقائق قولنا : (الحمد لله) ، فقد سبق، والذى أقوله ههنا: إن التسبيح أينما جاء فإنما جاء مقدما على التحميد، ألا ترى أنه يقال : (سبحان الله والحمد لله) . إذا عرفت هذا فنقول : إنه جل جلاله ذكر التسبيح عند ما أخبر أنه أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وذكر التحميد عند ما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » وفيه فوائد :

وقد سرد ثلاث فوائد بين فيها سر تقديم التسبيح على التحميد .

وهو تنبيه إلى دقائق فى نظم القرآن ربما غفل عنها الكثيرون ، كما يقول ، ومن الأمثلة الرائعة فى ذلك أنه لاحظ أن فى كل سورة ابتداء من سورة (الضحى) إلى سورة (الكوثر) ثلاثة أشياء (ثلاثيات) ، وهو يبدأ ذلك بقوله فى تفسير سورة (الكوثر) : (هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور ، وكالأصل لما بعدها من السور ، أما أنها كالتتمة لما قبلها من السور فلأن الله تعالى جعل سورة (والضحى) فى مدح محمد صلى الله عليه وسلم ، وتفصيل أحواله ، فذكر فى أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته : (أولها) قوله : « ما ودعك ربك وما قلى » و (ثانيها) قوله : « والآخرة خير لك من الأولى » و (ثالثها) قوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحوال من أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا ، وهى قوله : « ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى » .

ويأخذ فى بيان (الثلاثة الأمور) فى كل سورة بعد ذلك إلى أن ينتهى إلى سورة (الكوثر) . شرفه عليه الصلاة والسلام فى سورة (ألهاكم) بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه .

ثم شرف أمته فى سورة (العصر) بأمور ثلاثة ، ثم شرفه فى سورة (الهمزة) بأن ذكر أن من همزه ولمزه فله ثلاثة أنواع من العذاب ، أما فى سورة (الكوثر) فإن الله لما شرفه فى هذه السور المتقدمة من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها : « إنا أعطيناك الكوثر » ثم بين وجه كون الكوثر كالأصل لما بعدها .

وربما أسند التفطن للمناسبة إلى العلماء السابقين ، كما نرى مثالا من ذلك فى تفسير سورة (المعارج) .

والحق أن نظرات الرازى فى هذه (المناسبات) متنوعة ولطيفة ، وبارعة . وقد تحتاج فى تبيانها إلى رسالة خاصة ؟

(للحديث بقية) **على العمارى**

من وحي الهجرة

غار ثور في الشعر الحديث

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

في مكة المكرمة ، على مسافات متفاوتة من الحرم الشريف ، مواضع معينة قد أخذت شهرة خاصة . وبعض هذه الأماكن مرتبط بمناسك الحج كالصفا ، والمروة ، ومنى ، وبعضها من المعالم التاريخية التي صاحب دخولها في التاريخ ظهور الإسلام في ظروف معينة ، غير أنها لا ترتبط بمناسك الحج ، ولا تعتبر زيارتها من السنة ، وإنما يقصدها بعض الناس لاسترواح ذكريات تستهوى النفوس ، وبعض هذه المعالم ما يزال قائما مثل غار حراء ، وغار ثور ، ومآذن بلال . وبعضها قد بقي طوال عصور التاريخ الإسلامي إلى أن قام الحكم السعودي فأزالها ومحا آثارها وذلك كالبيت الذي ولد فيه الرسول الكريم ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء ، وعلي بن أبي طالب ، وقد تدهش إذا علمت أن الموضع الذي ولد فيه الرسول الكريم قد أصبح الآن موقفا للسيارات وقد تراكمت عليه الأتربة . وما نظن أن أحدا كان يقصد من زيارة ذلك الموضع أن يتخذ منه معبودا) .

وغار ثور موضوع هذه الكلمة كهف بأعلى جبل يعرف بجبل ثور ، يبعد عن الحرم الشريف بحوالي ألفي متر إلى الجنوب الشرقي ، ويقطع الصاعد إلى هذا الغار المسافة من أسفل الجبل في حوالي ساعة ونصف ، في طريق متعرج معبد عليه معالم ترشد السالك .

ولقد بدأ دخول هذا الغار في التاريخ منذ اللحظة التي أوى إليه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر في ليلة الهجرة ، حيث مكثا فيه ثلاث ليال خرجا بعدها مهاجرين إلى المدينة المنورة في حفظ الله ورعايته ، كما هو معروف في كتب السيرة النبوية المطهرة . وقد كان اتخاذ عمر بن الخطاب يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي عاملا في بروز غار ثور وشهرته في التاريخ كلما تحدث الناس عن السيرة النبوية بعامة ، أو عن الهجرة بخاصة .

وفي عصرنا الحديث ، عندما اشتدت وطأة المحتلين ، وراحوا يصورون الشرق العربي الإسلامي في صورة الضعيف المستخزي ، وظنوا أن أموره قد دانت لهم ، وأنه

ليس ثمت من ينازعهم . . . عند ذلك هب المفكرون يستعيدون ماضى هذه الأمة المجيدة ، ويصورون أسباب ضعفها ، ويصفون طرق العودة إلى المجد والقوة والسيادة ، وكان فيما اتجهوا إلى بعثه من صور ذلك الماضى المجيد يوم الهجرة ، لما فيه من مواقف الفداء ، والتضحية ، والإيثار ، والوفاء . وقد أصبحت ذكرى ذلك اليوم المجيد عيداً من أعياد الدولة الرسمية اعتباراً من مطلع عام ١٣٢٧ الموافق يناير ١٩٠٩ بقرار من مجلس الوزراء الذى كان يرأسه بطرس غالى حينذاك، مجاراة للشعور العام فى طول البلاد وعرضها ، وأصبح « أول محرم » منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا ميدانا فسيحاً يتبارى فيه الكتاب والشعراء ، ويصورون مواقف البطولة والفداء ، ويشيدون بفدائية على بن أبى طالب حين رضى أن ينام مكان الرسول الكريم موهما المشركين أنه هو محمد ، ثم إيثار أبى بكر حين منع أذى الحية التى كانت فى الغار عن الرسول . كذلك كان الشعراء يصورون حالة الأمة الإسلامية فى ماضيها وحاضرها ، موازنين بين الحالتين ، داعين إلى الأخذ بأسباب القوة ، ونبذ التخاذل ، مستدلين بما فى سيرة الرسول الكريم من حياة الجد ، والعمل ، والكفاح من أجل الحرية والسلام.

ولقد تناول أكثر الشعراء فيما تناولوه عند إنشادهم فى هذه المناسبة ، ظاهرة جديرة بالتسجيل ، ألا وهى ظاهرة نسج العنكبوت حول فم الغار ، ثم تعشيش الحمام عليه ، ثم ما كان من موقف أبى بكر رضى الله عنه فى افتداء الرسول عليه الصلاة والسلام عندما أحس بوجود حية داخل الغار ، ثم ما كان من موقف المشركين من المهاجرين الكريمين ، وحيرتهم ، وخيبة آمالهم فى الاهتداء إليهما ، ثم رجوعهم خاسرين ، وقد تمكن الرسول الكريم وصاحبه من الخروج من الغار سالمين من كل أذى ، ثم سارا فى رعاية الله وحفظه إلى المدينة ، حتى فتح الله على رسوله وأيده بنصره فكان هذا النور الذى أضاء على العالمين.

لقد ذكرت كتب السيرة النبوية ما كان من أمر نسج العنكبوت ، وتعشيش الحمام ، ولدغ الحية لأبى بكر رضى الله عنه ، وهى أمور لا ينكرها العقل ، ويؤمن بها المؤمن المصدق إيمانا كاملا . فلقد كان هناك تحد من المشركين ، وكانت مؤامرة لقتل الرسول فأوحى الله إليه : أن اخرج من بينهم مهاجرا إلى المدينة ، فامتثل الأمر ، فهل يستغرب بعد ذلك أن يهيء الله من الأسباب لرسوله ما يرد عنه كيد المتآمرين ، فإذا قال قائل : لماذا لايكون تعشيش الحمام ونسج العنكبوت قديمين على فم الغار ، وأن الرسول وصاحبه قد احتاطا فى دخول الغار ؟ نقول حينئذ :

إن عناية الله هى التى وجهتهما إلى هذا المكان ، وهدتهما إلى الاختباء فيه لتأكدهما أن هذا المنظر سيضلل المشركين .

وكيفما كان الأمر ، فإن الإنسان إذا اتجه مخلصا إلى الله ، مؤمنا بقدرته على تهيئة الأسباب - بعد أن يعمل هو ما فى طاقته - فإن الله تعالى كفيل بأن يأخذ بيده ، ويبلغه ما يريد ، وينصره ، دون نظر إلى قلة عدد أو نقص عدد : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

ولله در الإمام البوصيرى حين أشار فى بردة المديح إلى حادث هذا الغار وصوره تصويرا رائعا على إيجازه فيه . قال :

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عم

فالصدق فى الغار والصديق ، لم يرما
وهم يقولون : ما بالغار من أدم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

(لم يرما : لم يبرحا مكانهما . أدم : أى شىء . الأطم : الحصون) .

من الطبيعى ألا يكون تصوير الشعراء لقصة الغار بدرجة واحدة ، لتفاوت الثقافة ، والشاعرية ، والمقدرة الفنية على التصوير . فبعض الشعراء أطال وفصل ، ووقف موقف الفنان المصور ، مستغرقا فى الافتتان لإبراز صورة كاملة للقصة . وبعضهم أوجز مع الاهتمام بالصورة الفنية للناظر أيضا ، كما أن بعضا آخر تناول القصة من الوجهة الأخلاقية وما فيها من عبر وإيحاءات روحانية دون كبير اهتمام بإبراز المناظر .

وفى شعرنا الحديث صور كثيرة لهذه القصة بعد أن كثر إنشاد الشعر فى مناسبة الهجرة فى مطلع كل عام : فى المدارس ، وفى الجمعيات الدينية ، وفى المحافل العامة ، ثم ما كان من بعض المجلات من إصدار أعداد خاصة ضخمة كمجلتى الرسالة والثقافة .

وسنختار بعض ما تناوله الشعراء فى ذلك مع الإشارة إلى بعض ما جاء فى قصائد أخر من المدائح النبوية كنهج البردة وإلياذة محرم متعلقا بقصة الغار :

ومن الشعراء الذين أطالوا وأبدعوا فى تصوير تعشيش الحمام ونسج العنكبوت محمود سامى البارودى فى قصيدته الكبرى : كشف الغمة فى مدح سيد الأمة . وهى من سبعة وأربعين وأربعمائة بيت على وزن وروى بردة البوصيرى المشهورة وقد خصص لتصوير الغار ستة عشر بيتا أولها :

وجاءه الوحى إيذانا بهجرته
فيمم الغار بالصديق فى الغسم (١)

(١) الغسم : الظلام .

ثم تسعة أبيات فى وصف الحمام وستة فى وصف العنكبوت :

والبارودى فى تصويره لهذا المشهد كان كأنما يصور مشاهد عسكرية فى ميدان قتال استمع إليه فى تصويره لموقف الحمام بعد أن أشار إلى خروج النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبى بكر فى ظلمة الليل تنفيذاً لأمر الله تعالى حتى وصلا إلى الغار . قال :

فما استقر به حتى تبوأه
من الحمائم زوج بارع الرنم [١]
بنى به عشه ، واحتله سكنا
يأوى إليه غداة الريح والرهم [٢]
إلفان ، ما جمع المقدار بينهما
إلا لسر بصدر الغار مكتتم
كلاهما ديدبان فوق مربأة
يرعى المسالك من بعد ولم ينم [٣]
إن حن هذا غراما ، أو دعا طربا
باسم الهديل ، أجابت تلك بالنغم
يخالها من يراها وهى جاثمة
فى وكرها ، كرة ملساء من أدم [٤]
إن رفرفت سكنت ظلا ، وإن هبطت
روت غليل الصدى من حائر شبم
مرقومة الجيد من مسك وغالية
مخضوبة الساق والكفين بالعنم [١]
كأنما شرعت فى قانئ سرب
من أدمعى ، فغدت محمرة القدم

أرأيت تصويراً فنيا فى أسلوب أدبى أبرع من هذا .

إن هذه الصورة تعكس ثلاث نواح هامة من شخصية البارودى وثقافته :

أولاها : الشخصية العسكرية ، فقد تخيل أن زوج الحمام عبارة عن جنديين وقفا للمراقبة وقد اتخذ من عشه معسكرا يأوى إليه ، ويحتمى فيه عند هبوب الريح ونزول الأمطار وثانيتها : ما عاش فيه البارودى من حياة النعيم والرفاهية ، فهو يذكر مجالس الغناء ، والمسك ، والخضاب ... وثالثتها . إيمان البارودى : فهو يرى أن القدر لم يجمع هذا الزوج من الحمام ليقوم بمهمة التعشيش إلا لسر يعلمه الله ، وهو حماية رسوله من أذى القوم .

ثم استمع إليه يكمل لك بقية الصورة بتصوير العنكبوت :

وسجف العنكبوت الغار مختفيا
بخيمة حاكها من أبدع الخيم
قد شد أطنابها ، فاستحكمت ورست
بالأرض ، لكنها قامت بلا دعم

---

(١) الغناء . (٢) المطر .
(٣) المربأة : مكان مرتفع يقف فيه جند المراقبة لرصد تحركات العدو .
(٤) أدم : جلد .

(٦) العنم : الخضاب وأصله : ثمر شجر يشبه البنان المخضوب بالحناء .

كأنها سابرى حاكه لبق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم[١]
وارت فم الغار عن عين تلم به
فصار يحكى خفاء وجه ملتثم
فياله من ستار دونه قمر
يجلو البصائر من ظلم ، ومن ظلم !
فظل فيه رسول الله معتكفا
كالدر فى البحر ، أو كالشمس فى القسم [٢]

وهنا أيضا نرى البارودى يتحدث عن الخيمة وأطنابها ونوع النسيج الذى صنعت منه وعن دورها فى حماية الرسول الكريم .

ولقد شغل هذا التصوير شاعرنا عما فى الهجرة إلى الغار من عبر ، وعن الحديث عن قريش وبحثها عن النبى الكريم فى كل مكان. ولكنه من غير شك تصوير بديع رائع .

ذلك هو تصوير البارودى ، ولننتقل إلى تصوير المرحوم أحمد شوقى فى مدحته الكبرى : نهج البردة :

ذكر شوقى ستة أبيات فقط فى مناسبة غار ثور ، ولم يذهب فيها مذهب المصور العسكرى كسلفه البارودى، وإنما صور موقف قريش أمام الغار حينما أخذوا يبحثون عن الرسول فى كل مكان، متهكما بهم أشد تهكم : حين صورهم بالسوائم التى ترعى ، ولا تعقل شيئا ، وحين سأل عن الباعث لهم على الذهاب إلى الغار : هل هو نور النبى الساطع ، أو هو صوت القرآن ؟ . . وكلاهما كانوا عنه فى عمى وصمم !! وحين ألقى الله الرعب فى قلوبهم من منظر نسيج العنكبوت وعش الحمام ، ثم رجوعهم على تلك الصورة المزرية كأنما كل شىء على الأرض يلعنهم ويهزأ من خيبتهم وانكسارهم قال شوقى :

سل عصبة الشرك حول الغار سائمة
لولا مطاردة المختار لم تسم (١)
هل أبصروا الأثر الوضاء ، أم سمعوا
همس التسابيح ، والقرآن من أمم ٢)
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب ؟ والحائمات الزغب كالرخم ؟
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجارين ما سلما
وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله ، واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم

هذا هو تصوير شوقى ونراه لم يقف أمام العنكبوت والحمام إلا وقفة قصيرة فى بيت واحد . وهو على إيجازه فى أبياته أغزر معنى فى هذا المقام من البارودى وأدخل فى الموضوع.

(١) نوع من النسيج الفارسى .
(٢) فى منتصف النهار .

(١) سائمه : راعية .
(٢) من أمم : من قرب .

وبعض الشعراء كان يذكر الغار فى أبيات قلائل ، ويذكر منظر العنكبوت والحمام فى إيجاز مشيرا إلى منظرهما دون تفصيل . ومن ذلك ماذكره المرحوم محمود رمزى نظيم فى إحدى موشحاته فى عيد الهجرة عام ١٣٤٨ . قال مشيرا لذلك :

أرأيت القوم يقفون الأثر
ونزيل الغار فى حرز حريز
خيم العنكب فيه فستر
آية من قدرة الله العزيز
وبنى الطائر عشا فى المساء
معجزات ليس فيهن مراء

إنهاصورة سريعة لكن فيها إشارات كثيرة: فقد صور موقف قريش فى اقتفاء أثر الرسول والبحث عنه ، وأبرز منظر العنكبوت والحمام ، وبين أثر قدرة الله تعالى فى ذلك .

وكذلك المرحوم محمد صادق عرنوس ، فقد أشار فى ثلاثة أبيات إلى صورة الغار كأنه أفق قد أشرق من ورائه بدر معا مافى الكون من ظلمات ، واعتبر أن لهذا الغار فضلا على الإنس والجن بما أسداه من ستر الرسول فيه ، ثم أشار إلى فدائية أبى بكر رضى الله عنه ، وما كان منه من تضحية لا توازيها تضحية .

قال :

فيا غار ثور : كان أفقك مشرقا
لبدر محا ما فى البرية من دجن
فحدث عن السر الذى قد كتمته
وعن يدك الطولى على الإنس والجن
وعن موقف فيه أبو بكر ارتقى
ثنية مجد لم تجز — غير مستثن

ولم يذكر شيئاً عن تعشيش الحمام أو نسج العنكبوت ، ناهجاً منهجاً آخر فى تصوير الغار ومخاطبته إياه .

والشاعر عامر بحيرى تحدث عن قصة الغار فى « ملحمة أمير الأنبياء » بإسهاب ، وكان أكبر عنايته موجها إلى القيمة التاريخية ، وتصوير موقف المشركين ، ثم ما كان من أبى بكر . فبعد أن وصف تدبير قريش لقتل النبى الكريم ، وكيف خرج هو وصاحبه أبو بكر مستخفيين من أعين الرقباء ، قال :

إلى جبل علا ، فتسلقاه
وما يرقى به إلا القوى
هنالك أشرفا من غار ثور
على البيداء ، مرماها قصى
يراها اللاجئان بما حوته
وليس يراهما فى الغار حى

فهو هنا يصور صعود الجبل إلى الغار وما يلقاه الصاعد إليه من مشقة ، وكيف أشرف النبى وصاحبه من هذا المرتفع ، ثم أخذ يصور مدى هذا الإشراف :

من الغـار المخبـأ فى الصخور
بأعلى ذلك الجبـل الكبير
أطل اثنان ، قد حملا سوياً
إلى الأجيال بالغـة الأمـور
وأشرف مشرف التـاريخ يلقى
بناظره على كل العصـــور
هنالك برهـة مرت كدهر
وأين اللمح من مر الدهـور

ونراه هنا يكمل بقية المنظر ، فالنبى وصاحبه لاينظران إلى الصحراء ، ويتأملان سعتها وقفرها .. وإنما هى وقفة تحويل لمجرى التاريخ ، إذ كانت هذه اللحظات بمثابة دهور انفسحت فيها صفحات التاريخ وسجل عليها ما سوف يكون من نصر مبين .

ثم نراه يعكس الصورة فيما لو تمكن الكفار من الفتك بالنبى قبل وصوله إلى ذلك الغار ، وماكان ينتظر الكون من ظلام :

فلو لقى النبى بها رداه
بأيدى ذلك النفر الغرير
لضاع على البرية ماأقامت
ترقبه من الهـدى المنير
وأظلمت القرون بما دهاها
من الكفر الموصل والشرور

وبعد أبيـات انتقل إلى تصوير موقف أبى بكر ، وخوفه على حياة الرسول حين سمع القوم يتحدثون خارج الغـار مؤكدين العزم على ألا يدعوه يفلت من أيديهم ، ثم كيف أخـــذ الرسول يثبت صاحبه بما أوحى به إليه ربه :

هنالك أدرك الصديق خوف
وقد سمع المقالة : «لايفوت» :
فهل يحيا النبى وقد أتوه
بمسلول الصوارم أو يموت ؟
وصبره النبى ، فقـال : مهلا
هنا ترجى الشجاعة والثبوت
فإن الله مطلع بصـير
حسيب فى رعايتنا ، مقيت

فهو هنا يصور رجلين فى مأزق حرج يخشى أحدهما على الآخر ، ويبدى الجزع فيثبته صاحبه بما ملأ الله قلبه من ثبات ، وشجاعة ، وإيمان . ولقد صـــور القرآن هذه النقطة بالذات فى قوله تعـــالى : « إذ هما فى الغار . إذ يقول لصاحبه لاتحزن . إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها » .

وأخيرا يصور الحمام والعنكبوت فى بيتين فى صورة رقيقة إذ أسرعت الحمام :

كذلك جاءت الورقاء دفا
وباضت حيث طاب لها المبيت
وأنشأ فوق باب الغـار نسجا
يروح به ويغدو العنكبوت

وإذ كنا رأينـا البارودى قد انصرف

إلى التصوير الفنى فأخرجه رائعا دون اهتمام منه بالوجهة التاريخية ، فإن عامر بحيرى قد انصرف إلى الوجهة التاريخية وصورها فى دقة دون كبير عناية بتصوير المنظر الخاص بالعنكبوت والحمام حتى إنه لم يراع الترتيب فى ذلك لأن حديث أبى بكر كان بعد أن ضلل المشركون بمنظر العش والعنكبوت .

وشاعرنا الأستاذ على الجندى أشار إلى قصة الغار ، ومن ذلك ما جاء فى إحدى قصائده بمناسبة الهجرة إذ صور تلك القصة فى تسعة أبيات قد جمعت كل الأفكار التى حول هذا الموضوع :

فقد صور موقف قريش ، وتهكم بهم ووصفهم بما يستحقون ، ثم أشار إلى نسيج العنكبوت وعش الحمام وكيف كان ذلك سببا فى تضليل المشركين ثم تحدث عن خوف أبى بكر وتثبيت الرسول إياه إلا أنه لم يتحدث عن موقف التاريخ كما فعل عامر بحيرى . فبعد أن وصف المؤامرة وخروج الرسول الكريم هو وصاحبه قال :

وأوى « أحمد » و « صاحبه » البر
إلى الغار ؛ حى عهد الغار
وعبيد الأحجار من حوله سو
م غلاظ القلوب كالأحجار
تتلظى الحقود بين حنايا
هم ، وترمى عيونهم بالشرار

أرأيت كيف صور القوم ؟ إنها صورة تدعو إلى السخرية ! !

كيف لم يبصروه ، وهو لدى البا
ب مضئ كهالة الأقمار

ثم ينتقل إلى صورة العنكبوت والحمام :

ضللتهم بنسجها « عنكبوت »
أرسلته سترا من الأستار
و« بنات الهديل » تسجع فى العش
بأندى من رنة الأوتار

ثم يصور موقف أبى بكر ، ورد الرسول الكريم عليه :

والصديق « الصديق » خوفا على طه
يناجيه بالدموع الغزار
صاحبى : لا تخف ، ولا تأس ، واصبر
جارنا الله ، وهو أكرم جار
عمى القوم عن حمانا ، فلا تحفل
بعمى القلوب والأبصار
ضمن الله أن ينجى عبديه
وجدع الأنوف للكفار

وأخيرا ننتقل إلى تصوير أحمد محرم لهذه القصة فى الإلياذة الإسلامية الكبرى . فلقد صور محرم فى هذه الإلياذة التى بلغت أبيات قصائدها خمسة آلاف ومائتين من الأبيات جميع جوانب السيرة النبوية ، وتناول فيما تناوله حديث غار ثور .

ومن الغريب أن أحمد محرم لم يشر إلى تعشيش الحمام ونسيج العنكبوت ، بل إنه اعتبر جبريل عليه السلام هو الحارس .

ولقد صور محرم الغار تصويرا شعريا رائعا ، وأشار بفضله فى حفظ الرسول ، ثم أفاض بعد ذلك فى قيمة الرسالة ، وأثرها فى حياة الشعوب .

قال مخاطبا غار ثور - بعد أن وصف المؤامرة وموقف قريش بإسهاب :

غار ثور : أعطاك ربك ما لم
يعط من روعة الجلال القصورا
أنت أطلعت للمالك دنيا
ساطعا نورها ، ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا
كان من قبل عنده مذخورا
محضر الحق لاجئا يتوقى
قام فيه الروح الأمين خفيرا

ثم تصور محرم أن شعوب العالم قد وقفت تنتظر نتيجة هذه الرحلة . . . وما سوف يكتب لمستقبل الأجيال ... ثم أجاب على تلك الحيرة بتبشيرهم بنصر الرسول ، وما سيكون على يديه من خير البشرية أجمعين :

وقفت حوله الشعوب حيارى
من وراء العصور تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب : ويحك - م -
إن الحق أعلى يدا ، وأقوى ظهيرا
لا تخافى ، فتلك دولته العظمى
تناديك : أن أعدى السريرا
جاءك المنقذ المحرر لا يترك - م -
قيدا . ولا يغادر نيرا

وهكذا يسير بإسهاب ، فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته الغراء ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن موقف أبى بكر حين وضع قدمه أمام حية الغار يفتدى الرسول الكريم الذى كان قد أغفى وهو واضع رأسه الشريف على ركبتى أبى بكر :

ليت شعرى ! ! أصبت حية واد
تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟
خفت أن توقظ النبى ، فما ير
ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
نفثت سمها ، فما هز « رضوى »
من وقار ، ولا استخف « ثبيرا »
أكرم الله ركبتيك ، لقد أعطا
ك سبحانه ، فأعطى شكورا
أى رأس حملت ، يا حامل الإيما
ن سمحا ، والبر صفوا طهورا ؟

وبعد : فتلك هى صور لمنظر من مناظر الهجرة المباركة ، اخترناها من قصائد عديدة من شعرنا الحديث ، ونقدمها إلى القراء الكرام بمناسبة ذكرى الهجرة المباركة لمطلع عام ١٣٨٧ الذى أطل على العالم الإسلامى ، والمسلمون قد نفضوا كثيرا مما كان عليهم من غبار الضعف الذى خلفه الاستعمار فى الشرق العربى .

إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

الربـــا ... والخمر

وأتناول فى بحثى هذا تدرج تحريم الربا والخمر ، أما الربا :

فقد تناوله القرآن الكريم فى ثلاث سور إحداها مكية والثنتان الأخريان مدنيتان ، فأما المكية فهى سورة الروم ، فقد جاء فيها قوله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (الآية ٣٩) .

فهذه الآية قارنت بين الربا والزكاة مما يلفت الأنظار إلى أنه يقبض إلى الله - جل شأنه - فهو وإن زاد فى أموال الناس المرابين فهو لا يزيد عند الله ، ولا يستوجب رضاه ، وأما الزكاة فإن المخرجين لها هم الذين تتضاعف أموالهم كما تتضاعف - عند الله أجورهم .

هذه لفته ربانية كريمة إلى قبح الربا وحسن الزكاة فى مجتمع كان الربا أساسا من أسس نظامه الاقتصادى والاجتماعى ، حتى إنه كان يدين بأنه أصل المعاملات المالية ، وما البيع والتجارة إلا بديل له وتشبيه به فقد حدثنا الله - تعالى - عنهم وهو أصدق القائلين ، فقال : « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا » من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة ، وإذا علمنا

(بقية المنشور على الصفحة السابقه)

وقد رأينا فى هذه الصورة الفنية منازع الشعراء فى التصوير ، وصدى ثقافة كل منهم فى شعره .

والله نرجو أن يعيد تلك الذكرى على العالم أجمع بالخير ، والطمأنينة ، والسلام . وأن يمن بفضله على الغافلين من أبناء العروبة حتى تزول ما على أعينهم من غشاوات ، وينقشع ما قد ران على قلوبهم من مطامع فيروا سبيل الحق فيتبعوه ، ويعملوا على ما فيه رفعة شأنهم ، ووحدة كلمتهم وتوحيد صفهم ، حتى تكون لهم العزة والغلبة على المتربصين بهم : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم » .؟

دكتور سعد الدين الجيزاوى

أن الوحى كان ـ بمكة ـ يهدف ـ أولا ـ إلى محاربة الشرك وتثبيت عقيدة التوحيد وإقامة البرهان على صدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ونشر عقيدة البعث وما يتصل به من ثواب وعقاب ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ونبذ ما قبح من الصفات والشيم ، إذا علمنا ذلك نجد أن القرآن الكريم عالج مسألة الربا ـ فى مكة ـ كمرض اجتماعى بأسلوب هين ، ونص لا يدل على التحريم ـ صراحة ـ ولكن ينفر منه ذا الطبع السليم الذى يؤثر ما عند الله على ما عند الناس ، هذا هو الطور الأول من تشريع تحريم الربا .

الطور الثانى كان فى المدينة وفى السنة الثالثة من الهجرة ، وبعد غزوة أحد التى ابتلى فيها المسلمون بسبب مخالفات من بعضهم لتعاليم النبى الأكرم صلى الله عليه وسلم ؛ فقد نزل فى سورة آل عمران التى نزل أكثرها فى شأن أحد ومن الآيات التى نزلت فى هذه الحادثة ـ قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (الآية ١٣٠) .

فهذه الآية الكريمة قد نصت ـ صراحة ـ على تحريم الربا بالنهى عنه ؛ والنهى يقتضى التحريم ، وبالتحذير منه بالأمر بتقوى الله باجتناب مناهيه ، ولكن هذه الآية تركت مجالا للباحثين : أوصف المضاعفة فى الربا قيد فى التحريم أم هو وصف لبيان الواقع ، فإن من شأن الربا أن يتضاعف أضعافا مضاعفة مع الزمن ؛ فيكون هذا الوصف لبيان قبحه وأيا ما كان فقد هيأ النفوس التى استمرأته طويلا إلى أن تستعد لحكمة الفصل فى هذا الموضوع ، وهو الطور الثالث ، الطور الحاسم .

الطور الثالث والأخير ، وهو من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك فى سورة البقرة من الآية ٢٧٥ إلى الآية ٢٨١ ، وأصرح هذه الآيات فى تحريم الربا بأى شكل من أشكاله وبأى قدر كان الفصل فيه الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩ يقول الله ـ تعالى ـ : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

فلم يبق بعد نزول آيات الربا التى فى سورة البقرة مجال لمجتهد أن يقول بحل الربا بآية صورة من الصور ، وبعد أن أعلن الله الحرب على المرابين ، وجعل شرط توبتهم أن يردوا الأموال إلى أربابها ، وأنه ليس لهم إلا رءوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون.

وهذا تشريع عام دائم إلى يوم القيامة ، أكده الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع حيث قال فيما قال : « وإن

ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا عمى العباس » ، وهذا يدل على أنه تشريع لا استثناء فيه ولا محاباة حتى لأقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا والعبرة من تدرج هذا التشريع على هذه الصورة الرائعة ، أن الدعاة والمصلحين عليهم أن يهيئوا النفوس تدريجا لدعوتهم ولا سيما فيما ألفوه من عادات، وما بنوا عليه مصالحهم من معاملات حتى يكون تقبلهم للإصلاح أمراً مألوفا .

. . .

وأما الخمر فكانت فى الجاهلية شائعة يتناولها البر والفاجر وذوالمروءة والخامل ، ولم يتورع عنها إلا قلة قليلة من المتحنفين ، ولوأن الإسلام حرمها بادىء ذىبدء تحريما قاطعا لكان فى ذلك حرج شديد ؛ فإن سلطان المسكرات على النفوس سلطان قوى ، لا يسلم منه - بعد تمكنه - إلا أصحاب العزائم القوية وقليل ما هم ؛ فلنر كيف عالج القرآن الكريم هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة ؟

تعرض القرآن الكريم للسكر والخمر فى أربع سور : سورة مكية ، وثلاث مدنيات. وإليك بيانها ، وما أشارت إليه :

الموضع الأول فى سورة النحل : يقول الله - تعالى - ممتنا على عباده بنعمه: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » الآية ٦٧

فهذه الآية - كما ذهب إليه بعض المفسرين - تدل على حل السكر ؛ لأنها وردت فى سياق الامتنان ، ولا منة إلا بما هو حلال ، وقال هؤلاء: إن هذه الآية نسخ منها ما يتعلق بالسكر.

وذهب قوم إلى أن الآية لا نسخ فيها - أصلا - بل فيها إشارة خفية إلى كراهة السكر وقبحه من غير تصريح بالتحريم ؛ لأن مقابلة السكر بالرزق الحسن يشعر بقبحه .

وهناك قوم فسروا السكر بالخل كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ونسبوا إليه أن هذا معناه فى لغة الحبشة ، ونقل أن السكر هو المطعوم المتفكه به كالنقل ، وساقوا فى ذلك شعرا ، وكلا القولين الأخيرين فيه تعسف غير مقبول .

والذى تميل إليه النفس هو القول الثانى ؛ فإن الامتنان بالنعمة لا ينافى أن يكون بين ثناياه ما يلفت الأنظار إلى ما ينبغى أن تقابل به النعمة من حسن استغلالها فيما يعود على الإنسان من خير ، وأن لا يسىء هذا الاستغلال .

وأنت إذا نظرت إلى الآية وجدت أن أصل النعمة التى هى محل الامتنان هو ثمرات النخيل والأعناب ، وهذا لا دخل للإنسان فيه ، وأما اتخاذها سكراً أو رزقا حسنا فهذا فيه نوع تصرف للإنسان ؛ ولذا قال : « تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » .

وهذا كما لو قال شخص لآخر - ممتنا عليه - أعطيتك ثوبا فلبسته رياء وسترا لعورتك . فهل هـذا القول يدل على رضاء المعطى عن الرياء ؟ كلامه فيه لفتة إلى عدم رضاه .

ولعل فى تذييل الآية بقوله - تعالى - « إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » ما يؤيد ماذهبنا إليه ، إذ أن من قضايا العقول أن لا يتخذ من نعم الله - تعالى - ما يؤدى إلى فساد أعظم النعم وأجلها على الإنسان وهو العقل .

الموضع الثانى فى سورة البقرة :

يقول الله - تعالى -: « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » من الآية ٢١٩ .

وهذه الآية فيها تمهيد صريح للتحريم ، وفيها قاعدة تشريعية هامة تعتبر أساسا لكل تشريع ، وهى أن ما غلب ضرره على نفعه كان محظورا .

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية أخبار لا بأس من ذكر بعضها ؛ فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قـــدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فسألوا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم عنهما ، فأنزل الله « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » إلى آخر الآية فقال الناس : ما حرما علينا إنما قال « فيهما إثم كبير ومنافع للناس » ، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الأيام صلى رجل من المهاجرين (فى بعض الروايات أنه على رضى الله عنه) أم أصحـابه فى المغرب فخلط فى قراءته (فى بعض الروايات أنه قرأ سورة « الـكافرون » فقال : قل يا أيها الـكافرون ، أعبد ما تعبدون ، بدون لا النافية) .

فأنزل الله تعالى آية أغلظ منها « ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، فـكان الناس يشربون حتى إذا كان وقت الصلاة كان صاحيا ، ثم أنزلت آية أغلظ منها « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » إلى قوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » فقالوا : انتهينا ربنا .

وروى أبو داود الطيالسى أن عمر رضى الله عنه قال : نزلت فى الخمر ثلاث آيات ، فأول شىء نزل: « يسألونك عن الخمر والميسر » الآية، فقيل: حرمت الخمر ، فقالوا يارسول الله دعنا ننتفع بها ، كما قال الله تعالى قال (أى عمر) فسكت عنهم (أى النبى صلى الله عليه وسلم) ثم نزلت هذه الآية: (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : يا رسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت:(يا أيها الذين آمنوا

النحو الأندلسي في محيط القرآن الكريم

للدكتور عبد العال سالم على مكرم

النحو عند الأندلسيين كما قال أبو سعيد المغربي: «في نهاية من علو الطبقة . وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه . وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو . بحيث - لا تخفى عليه الدقائق - فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء » (١) .

وقد عرف الأندلسيون النحو عن طريق تسرب كتب المشرق إليهم ، فأخذوا منها حاجتهم من النحو واللغة والأدب .

يحدثنا التاريخ أن أول من أدخل كتاب الكسائي في الأندلس هو جودي بن عثمان العبسي الذي كان يؤدب أولاد الخلفاء بالعربية ، وقد رحل إلى المشرق ، وأخذ عن الرياشي ، والفراء ، والكسائي ، وأدخل كتابه إلى الأندلس وتوفى سنة ١٩٨ هـ (١) . ومعنى ذلك أن الأندلسيين عرفوا المذهب الكوفي عن طريق كتاب الكسائي ، والسؤال الذي يقال هنا : متى دخل كتاب سيبويه الأندلس ؟ مع أنه أسبق زمنا من كتاب

(البقية على الصفحة السابقة)

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرمت الخمر »

والآية التي نحن بصددها ليست نصا صريحا في التحريم بل تمهيد صريح ، وإنما لم تكن نصا ، لأن الإثم كما يطلق ويراد به الحرام الموجب للعقوبة يطلق ويراد به الضرر ، وربما كانت مقابلته بالمنافع مما يساعد على هذا الفهم . ولهذا رأينا بعض كبار الصحابة شربوها بعد هذه الآية ورأينا عمر رضى الله عنه لما سمع هذه الآية لم ير فيها بيانا شافيا ، فقال - كما ورد في الأخبار الكثيرة -: «اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » .

وأيا ما كانت فقد تهيأت النفوس واستعدت للحكم الدائم في شأن الخمر .

وإلى مقال آخر - إن شاء الله - نبين فيه المرتبة الثالثة والرابعة في شأن الخمر والله الموفق ؟

بدر عبد الباسط

(١) نفح الطيب جـ ١ صـ ١٠٣ المطبعة الأزهرية .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي جـ ٣ صـ ٣٣٢ .

الكسائى ، والكسائى نفسه تخرج على كتاب سيبويه (١) . ليس ثمة شك فى أن هذا الكتاب أخذ طريقه إلى الأندلس ، وأن أهل الأندلس عنوا به عناية فائقة ولا يضير الدراسات النحوية فى الأندلس جهلها بالزمن الذى وصل فيه الكتاب إلى بلادها ، ولكن الذى يهمها اغترافها من معينه ، واتجاهها إلى مورده مما كان له أثر كبير فى النحو الأندلسى .

ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام الفائق بالكتاب ، فقد اشتهرت جماعة من النحويين بحفظه؛ فمن أقدم من حفظوا كتاب سيبويه « حمدون النحوى المتوفى بعد المائتين ، وفى القرن الثالث كان من أشهر حفاظه الإفشين القرطبي المتوفى سنة ٣٠٩ هـ وقد أخذه فى مصر عن أبى جعفر رواية » (٢) .

ولمنزلة كتاب سيبويه فى نفوسهم قرر الأندلسيون أن من لم يقرأ كتاب سيبويه لا يعرف شيئا « وعابوا على أحمد بن عبد النور النحوى المتوفى سنة ٧٠٢ هـ أنه لا يقرأ الكتاب » (٣) .

وكما عرف الأندلسيون النحو الكوفى ممثلا فى كتاب الكسائى ، والنحو البصرى ممثلا فى كتاب سيبويه ؛ عرفوا النحو البغدادى ممثلا فى أبى على القالى ؛ فقد قدم أبو على القالى إلى الأندلس ، وتخرج عليه كثير من أبنائها « ونحن إذ عرفنا أن أبا على نشأ فى بغداد ، وتعلم على شيوخها ، وأخذ النحو عن ابن درستويه والزجاج أحد تلامذة المبرد ، والأخفش الصغير ، وابن السراج ، وابن الأنبارى ، وأنه أقام فى بغداد خمساً وعشرين سنة يحصل مع الجد حتى أتقن هذه العلوم » (١) .

إذا عرفنا ذلك تبين لنا كيف كان أبو على ضليعا فى هذه الدراسات ، وليس ثمة شك فى أن عبد الرحمن الناصر « قد أحسن الاختيار فى استدعائه أبا على إلى قرطبة ليقوى . . . دولته التى أراد لها أن ينافس بها دولة المشرق » (٢) .

وإذا كان الأندلسيون قد عرفوا النحو البصرى ، والكوفى . والبغدادى ، وأدمنوا على دراسته ، وعكفوا على البحث فيه ؛ فهل كانوا كالبغداديين حينما نبغوا فى هذه الدراسة استحدثوا مذهبا ثالثا ؟ يجيب عن ذلك الشيخ محمد طنطاوى فيقول: « إنهم نقلوا عن المشارقة الكثير من ألسنة ، وكلام

---

(١) الاقتراح للسيوطى ص ١٠١ .

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ٣ ص ٣٣٢ .

(٣) البغية للسيوطى ص ١٤٣ .

---

(١) ظهر الإسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٢ .

العرب ، واستدركوا على المشارقة بعض ما فاتهم من قواعد النحو ، واستحدثوا بذلك مذهبا رابعا عرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين ، وذاع هذا المذهب حتى أخذه عنهم المشارقة عن طريق نزوح كثير من المغاربة إلى المشرق : إما للحج ، أو للإقامة ، ودرسوا فى مساجده ، أو مدارسه ومعهم مؤلفاتهم » (١) .

النحو الأندلسى فى محيط القرآن الكريم :

مدرسة الأندلس كغيرها من مدارس النحو تأثرت بالقرآن الكريم فتناولت آياته باحثة مدققة لتحرير رأى ، أو تقوية مذهب ، أو تأييد وجهة .

ونحن إذا بحثنا عن مسائل النحو التى كان للأندلسيين - بصفة عامة - آراء فيها نجدها قليلة بالنسبة للآراء الخاصة التى اشتهر بها نحاة الأندلس .

ولا نستطيع فى هذا البحث أن نستوعب آراء الأندلسيين جميعا فى محيط القرآن الكريم من زاوية النحو ؛ وإنما سأتناول آراءهم ممثلة فى زاويتين مختلفتين تمام الاختلاف :

زاوية محافظة ، أركانها النحو الموروث ، ودعامتها كتاب سيبويه مع توجيهات خاصة ، وآراء معينة ترتبط بالنحو المشرقى تمام الارتباط ، وبخاصة فى مقاييسه وأصوله ، وهذه الزاوية يمثلها ابن عصفور .

وزاوية أخرى ، ثائرة مجددة ، تنعى على النحاة تمسكهم بالماضى ، وتأثرهم بسيبويه ، ونسجهم على منوال من سبقهم من النحاة فى غير تجديد تهش له النفس ، ويستريح له العقل ، ويطمئن إليه الفكر ، وهذه الزاوية يمثلها ابن مضاء القرطبى .

١ - ابن عصفور :

هو على بن مؤمن بن محمد بن على أبو الحسن ابن عصفور النحوى الحضرمى الأشبيلى ، حامل لواء العربية فى زمانه بالأندلس .

تصدر للاشتغال مدة بعدة بلاد ، وجال بالأندلس ، وأقبل عليه الطلبة ، وكان أصبر الناس على المطالعة ، ولا يمل من ذلك ؛ ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولا تأهل لغير ذلك ، وتوفى سنة ٦٠٣ هـ (١) .

طائفة من آرائه النحوية فى مجال القرآن الكريم :

(أ) وقوع « ما » صفة للتعظيم :

ذهب ابن عصفور إلى أن « ما » تقع صفة للتعظم مستدلا بقوله تعالى : « فغشيهم من اليم ما غشيهم » (٢) .

« الحاقة ما الحاقة » (٣) .

---

(١) نشأة النحو ص ١٠٥ للمرحوم الشيخ محمد طنطاوى .

(١) البغية ص ٣٥٧ .

(٢) طه ٧٨

(٣) الحاقة ١ - ٢

(ب) رأيه فى قوله تعالى : « ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين[١] »

قال السفاقسى : « زعم ابن عصفور فى هذا أن الرفع فى « ولا نكذب » على القطع ، والنصب فى « ونكون » بالعطف على المصدر المتوهم الذى يدل عليه النفى . ومنع التشريك فى « ولا نكذب » كما منعه ابن خروف . قال ابن عصفور : لأنه لو كان كذلك - يعنى التشريك - لكان الرد ، وعدم التكذيب ، والكون مع المؤمنين ، يتمنى ، وإذا كان جميع ذلك يتمنى لم يكن قوله تعالى : « وإنهم لكاذبون » ينصرف إليه ، لأن التمنى لا يسوغ أن يجاب بصدق ولا كذب(٢) ».

(جـ) ويستدل بالقرآن الكريم فى أن المضاف إليه إذا كان محذوفاً ، وكان معرفة بنى اسم الزمان المضاف على الضم .

قال أبو حيان فى : « التذييل والتكميل » ، قال ابن عصفور : ويجوز حذف المضاف إليه بقياس ، إذا كان مفرداً ، أو كان المضاف اسم زمان ، فإن كان المحذوف معرفة بنى اسم الزمان على الضم قال تعالى « ولله الأمر من قبل ومن بعد (٣) » .

(١) الأنعام ٢٧ .

(٢) إعراب القرآن : للسفاقسى جـ ١ مخطوط ، نسخة رقم ٢٢٢ تفسير دار الكتب .

(٣) التذييل والتكميل : أبو حيان الأندلسى جـ ٤ ص ٨٦ مخطوط رقم ٦٢ نحو .

(د) ويحتج بالقرآن الكريم فى تقديم خبر ليس عليها : قال الشيخ خالد شارحا للتوضيح : خبر ليس لا يتقدم عليها عند جمهور البصريين ، وحجتهم أنهم قاسوها على عسى وخبر عسى لا يتقدم عليها اتفاقا ، والجامع بينهما الجمود .

ويجيز ابن عصفور ذلك محتجاً بقوله تعالى: « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم (١) » ، وتقرير الحجة منه أن (يوم يأتيهم) معمول « لمصروفا » ، وقد تقدم على ليس ، واسمها ضمير مستتر فيها يعود على العذاب ، ومصروفا خبرها ، وتقديم المعمول لا يصح إلا حيث يصح تقديم عامله ، فلولا أن الخبر ، وهو « مصروفاً » يجوز تقديمه على ليس لما جاز تقديم معموله عليها (٢) .

(هـ) ويزيد قاعدة جديدة بالقرآن الكريم: قال السيوطى فى باب التعليق والإلغاء : زاد ابن خروف — زيادة على الأفعال المعروفة - نظر . ووافقه ابن عصفور وابن مالك مستدلين بقوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل ، كيف خلقت (٣) » ؟

هذه طائفة من آراء ابن عصفور النحوية

(١) هود ٨ .

(٢) شرح التصريح جـ ١ ص ١٨٨ .

(٣) الهمع للسيوطى جـ ١ ص ١٥٥ .

اخترناها لأن ابن عصفور كان ممثلا للنحو الأندلسى ، المحافظ تمام التمثيل ، ولأنه كما قال عنه السيوطى فى « البغية » حامل لواء العربية بالأندلس (١) .

٢ — ابن مضاء القرطبى :

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد ابن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمى ، قاضى الجماعة ولد بقرطبة سنة ٥١٣ هـ .

قال عنه ابن الزبير : أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء ، وكان له تقدم فى علم العربية ، واعتناء ، وآراء فيها ، ومذاهب مخالفة لأهلها .

ومن مؤلفاته النحوية : «المشرق فى النحو» و « الرد على النحويين » ، و « تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان» ، وروى أن ابن خروف ناقضه فى هذا التأليف بكتاب سماه « تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو » ولما بلغه ذلك قال : نحن لا نبالى بالأكباش النطاحة ، وتعارضنا أبناء الخرفان !

وكانت وفاته بأشبيلية سابع عشرة جمادى الأولى ، وقيل ثانى عشرين جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [٢] .

دعوته الجديدة فى النحو :

عرفنا من الآراء التى عرضناها لابن عصفور فى مجال القرآن الكريم أنها آراء ليس فيها جدة وليس فيها طرافة ، وليس فيها ماينكره الباحث ، لأنها عن النحو الموروث صدرت وعن النحاة القدامى أخذت ، أما دعوة ابن مضاء فدعوة فيها طرافة ، وفيها تجديد .

أما طرافتها فهى أنها دعوة لم يألفها النحاة السابقون أو المعاصرون ، وأما تجديدها فإنها أخذت على عاتقها هدم النحو القديم ، وبناء نحو جديد ، يقوم على أسس جديدة .

ولعل التحرر الفكرى فى هذه الفترة من التاريخ التى ظهر فيها ابن مضاء كان شعاراً لكل باحث ، ولا يكون الباحث باحثاً إلا إذا أتى بجديد لم يعهد ، وبنظريات لم تؤلف .

فنى عهد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أعظم خلفاء دولة الموحدين حدثت هذه التطورات الفكرية ، وقد قال ابن خلكان عنه : « إنه أمر برفض فروع الفقه ، وأن الفقهاء لا يفتون إلا بالكتاب والسنة النبوية ولا يقلدون أحدا من الأئمة المجتهدين المتقدمين بل تكون أحكامهم بما يؤدى إليه اجتهادهم » [١] .

فلم يكن بدعاً إذاً أن يلبس ابن مضاء شعار التجديد ، كما لبسه الفقهاء ، فألف : « كتاب الرد على النحاة » يريد أن يرد به نحو المشرق

---

(١) البغية ١٣٩ .

(٢) البغية ص ١٣٩ .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان حـ ٦ صـ ١١ مطبعة السعادة .

على المشرق ، أو بعبارة أخرى أدق يريد أن يرد به بعض أصول هذا النحو ، وأن يخلصه من كثرة الفروع فيه ، وكثرة التأويل مستنا فى ذلك بسنة أمير يعقوب إذ كان يعجب مثله على ما يظهر بمذهب الظاهرية ، فذهب يحاول تطبيقه على النحو ، وقد بدأ فرفض نظرية العامل التى جعلت النحاة يكثرون من التقدير » [١] .

وإنكار نظرية العامل إنكار للنحو كله ، لأن النحو يقوم فى معظم مسائله على العوامل المختلفة ، وإذا جرد النحو من هذا العامل ضاعت مقاييسه ، واختلت قواعده ، واضطربت مسائله ، ومن هنا كانت أهمية هذه الدعوة التى قام بها ابن مضاء ، ليهزم هذه النظرية ، نظرية العامل التى يقوم عليها النحو منذ عهد الخليل .

ولنا أن نسأل ابن مضاء : إذا هدمنا هذا العامل،فكيف نستطيع أن نميز بين الظواهر النحوية المختلفة من رفع ، ونصب ، وجر ؟ .

ويجيب ابن مضاء عن هذا التساؤل فيقول فى مفتتح الفصل الأول من كتابه « الرد على النحاة » بقوله : « قصدى فى هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى النحوى عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب ، والخفض ، والجزم لا يكون إلا بعامل لفظى ، فقالوا فى ضرب زيد عمراً : إن الرفع الذى فى زيد ، والنصب الذى فى عمرو ، إنما أحدثه ضرب ، وذلك بين الفساد ، وقد صرح بخلاف ذلك ابن جنى وغيره .

وفى الحقيقة ، ومحصول الحديث أن العمل من الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم إنما هو للمتكلم نفسه ، لا لشىء غيره » [١].

ومن شأن ابن مضاء صاحب النظرية الجديدة أن يتسلح لخصومه ، ويترصد لاعتراضات ناقديه فيهدمها . قال :

« وربما ظن شخص أن معانى هذه العوامل هى العاملة ، لا ألفاظها المعدومة ويرد على ذلك بأن العامل أو الفاعل ، إما أن يفعل بإرادة كالإنسان والحيوان وإما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ، والعامل فى النحو ليس فاعلا بالإرادة ولا بالطبع ، وإذن فتصور النحاة له بأنه عامل أو فاعل تصور واهم » (٢).

وفى رأى ابن مضاء أن قواعد النحو ليست مقدسة لا تقبل النقد ، وإجماع النحاة

---

(١) مقدمة الرد على النحاة : ابن مضاء : تحقيق الدكتور شوقى ضيف ص ٩ .

(١) الرد على النحاة ص ١٨ ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف .

(٢) نفس المرجع ص ١٩ ، ص ٢٠

ليس حجة لا تقبل الهدم فيقول : « وإجماع النحاة على ذلك ليس حجة علينا » (١).

أثر القرآن الكريم فى دعوة ابن مضاء :

نظرت فى مقدمة كتابه الثورى ، فرأيت أن الذى دفعه إلى هذه الدعوة ، وآثاره على هذا النحو أن القرآن الكريم حينما أخذ النحويون يطبقون أقيستهم فى مجاله ، وعللهم فى محيطه كثرت فى آياته التأويلات والتخريجات ، والزيادات والمحذوفات ، وهذا لا يصح فى كتاب الله تعالى ؛ يدل على ذلك قوله:

« أما بعد : فإنه حملنى على هذا المكتوب قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب ، فقد أخطأ » وقوله : « من قال فى كتاب الله بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » ، وقوله: « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » (٢).

وكأن ابن مضاء أحس بأنه ثائر على مألوف وأنه معرض لكل نقد وتجريح فقال : « لعل قائلا يقول : أيها الأندلسى المسرور بالإجراء بالخلاء ... أتزرى بنحوى العراق ، وفضل العراق على الآفاق ، كفضل الشمس فى الإشراق على الهلال فى المحاق فإنك أخمل من بقة فى شقة ، وأخفى من تبنة فى لبنة ، ولا تعرف الزائف من الخالص إلا بناقد ، فليس هذا بعشك فادرجى (١) .

خل الطريق لمن يبنى المناربه
وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر (٢)

طائفة من آرائه :

١ - ثورته على المحذوفات فى القرآن الكريم وتقديرها :

قال : « واعلم أن المحذوفات فى صناعتهم على ثلاثة أقسام :

(ا) محذوف لا يتم الكلام إلا به ، حذف لعلم المخاطب به كقولك : لمن رأيته يعطى الناس : زيداً . أى أعط زيداً ، فتحذفه وهو مراد ، وإن أظهرتم الكلام به .

ومنه قوله تعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً » (٣) . وقوله تعالى « يسألونك ماذا ينفقون ، قل العفو » (٤) على قراءة من نصبه ، وكذلك من رفعه ، وقوله عز وجل « ناقة الله وسقياها » (٥) والمحذوفات فى كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها

---

(١) الرد على النحاة ص ٢٣

(٢) نفس المرجع ص ٧٩ ، ص ٨٠

(١) مثل يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

(٢) البيت لجرير ، وبرزة أم عمرو ابن لجأ أحد خصوم جرير الذين هجاهم .

(٣) النحل : ٣٠

(٤) البقرة : ٢١٩

(٥) الشمس : ١٣

كثيرة جداً، وهى إذا ظهرت تم بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ.

(ب) وبعد أن ذكر القسم الثانى، وهو المحذوف الذى يتم الكلام دونه، وإن ظهر كان عيباً».

(جـ) أخذ يتكلم عن القسم الثالث: وهو المضمر الذى إذا ظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره: كقولك: يا عبد الله.

بعد هـــذا الذى عرضه من المحذوفات وتقديرها عند أهل الصناعة وهم النحاة عقب بقوله: «وهذه المضمرات التى لا يجوز إظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة فى اللفظ، موجودة معانيها فى نفس القائل، أو تكون معدومة فى النفس كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة فى اللفظ، فإن كانت لا وجود لها فى النفس، ولا للألفاظ الدالة عليها وجود فى القول، فما الذى ينصب إذن؟ وما الذى يضمر؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال.

فإن قيل: إن معانى هذه الألفاظ المحذوفة موجودة فى نفس القائل، وإن الكلام بها يتم، وإنها جزء من الكلام القائم بالنفس، المدلول عليها بالألفاظ إلا أنها حذفت الألفاظ الدالة عليها إيجازاً، كما حذفت مما يجوز إظهاره إيجازاً لزم أن يكون الكلام ناقصا، وأن لا يتم إلا بها، لأنها جزء منه، وزدنا فى كلام القائلين ما لم يلفظوا به، ولا دلنا عليه دليل إلا إدعاء أن كل منصوب فلابد له من ناصب لفظى وقد فرغ من إبطال هذا الظن بيقين، وإدعاء الزيادة فى كلام المتكلمين من غير دليل عليه خطأ بين، لكنه لا يتعلق بذلك عقاب».

ثم قال: «وأما طرد ذلك فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وادعاء زيادة معان فيه من غير حجة. ولا دليل إلا القول بأن كل ماينصب إنما ينصب بناصب، والناصب لا يكون إلا لفظا، يدل على معنى، إما منطوقا به، وإما محذوفا مرادا، ومعناه قائم بالنفس، فالقول بذلك حرام على من تبين له ذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال فى القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ، ومقتضى هـذا الخبر النهى، وما نهى عنه فهو حرام إلا أن يدل دليل، والرأى ما لم يستند إلى دليل حرام. وقال صلى الله عليه وسلم: (من قال فى القرآن بغيرعلم، فليتبوأ مقعده من النار). وهذا وعيد شديد، وماتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله فهو حرام.

ومن بنى الزيادة فى القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل، قد تبين بطلانه، فقد قال فى القرآن بغير علم، وتوجه الوعيد إليه.

وممـا يدل على أنه حرام ، الإجماع على أنه لا يزاد فى القرآن لفظ غير المجمع على إثباته وزيادة المعنى كزيادة اللفظ ، بل هى أحرى لأن المعانى هى المقصودة ، والألفاظ دلالات عليها ، ومن أجلها » [١] .

٢ — ويختم ابن مضاء دعـوته بإلغاء القياس ، ومعنى ذلك أن المنهج السليم فى نظره هو السماع ولا يلجأ إلى القياس ، لأنه يقتضى الحذف والزيادة فى كلام الله ، فيقول ناقداً لهذا القياس ما نصه : « والعرب أمة حكيمه فكيف تشبه شيئاً بشىء ، وتحكم عليه بحكمة وعلة حكم الأصل غـير موجودة فى الفـرع » .

وبعد : فإن القرآن الكريم كان له أكبر الأثر فى إيجاد الدراسات النحوية التى فاضت بها كتب النحـو ، وكان له أكبر الأثر فى الثورات المتجددة فى مجال النحو العربى ، وأهمها ثورة ابن مضاء ؟

عبد العال سالم على مكرم

(١) الرد على النحاة : ص ٩٣ بتصرف .

(عباد الرحمن)

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقراً ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العـذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما » .

حول طبيعة الشعر الجاهلى
السّهولة فى شعر الرّثاء

للأستاذ كامل السيد شاهين

هذا لون تلمس فيه السهولة والسجاحة أكثر مما تلمس فى أى لون آخر من ألوان الشعر الجاهلى .

وتستطيع أن تفتح ديوان الحماسة وتتتبع باب المراثى لترى ما يطالعك من يسر التعبير ، وندرة الغريب ، وفيضان العاطفة .

والنظر فى المراثى يفضى بنا إلى عدها لونا من ألوان المديح ، أوليس الرثاء يعتمد على ذكر مناقب الميت، وصفاته الطيبات، وفعاله الكريمة التى تحمل على الأسف عليه ، واستعظام الفجيعة فيه ؟

وإذا كان الرثاء لونا من ألوان المديح ، فإننا نستطيع أن نقارن بين هذا الفن وذلك ، فنجد اختلافا بينا ، فالقوة والفخارة طابع شعر المديح على العموم بينما نجد الرقة واليسر طابع المراثى .

هذا القرب البالغ بين المديح والرثاء من حيث المعنى يتجلى فى قول دريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله ، بعد أن قتلته غطفان :

فإن يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائش اليد
كميش الإزار خارج نصف ساقه
بعيد من الآفات ، طلاع أنجد
قليل التشكى للمصيبات ، حافظ
من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد
تراه خميص البطن والزاد حاضر
عتيد ويغدو فى القميص المقدد
وإن مسه الإقواء والجهد زاده
سماحاً وإتلافا لما كان فى اليد
صبا ما صبا ، حتى علا الشيب رأسه
فلما علاه قال للباطل : ابعد

فلو أنك أغضيت عن البيت الأول الذى ينبئنا بأن عبد الله (خلى مكانه) أى هلك ، ونظرنا فيما تلاه من أبيات ، لألفيناها من فاخر المديح ، ولكننا بعد لا نجدها محفوفة بهذه الفخامة والجلالة التى تشيع فى المديح الجاهلى ، بل نجد رصفها على جانب من الهشاشة والرخاصة . .

دع عنك غرابة المعانى ، من كموش الإزار وخروج نصف الساق ، وطلوع الأنجد ، مما تتسع له بيئة دريد ، وتنكره بيئاتنا اليوم ، من حيث إننا لا نلبس الأزر ولا يعنينا أن تكون كميشة أو سابغة ،

وللنشاط عندنا مظهر آخر غير خروج الساق، وبعد الهمة، كذلك له مظهر آخر غير المثابرة على طلوع النجاد.

وليكن همك هذا الأداء الذى لا تتعثر فيه ولا تتوقف، ولا تستنجد معجما ضاق أم استفاض.

* * *

ولابد لنا من المقارنة بين شيء من المدائح، وشيء من المراثى، لنرى أيختلف شعر الشاعر الواحد فى قوة المتن وشدة الأسر؟

فلننظر فى قول النابغة فى مدح آل غسان:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
تقد السلوقى المضاعف نسجه
وتوقد فى الصفاح نار الحباحب
رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب
يصونون أجساما قديما نعيمها
بخالصة الأردان خضر المناكب

فإنه عمد إلى الألفاظ الفخمة، فأفرغ فيها مديحه، واستعان على إشباع هذه الفخامة بهذه الجموع المتصلة (سيوف، فلول، كتائب، رقاق، نعال، حجزات، أجسام، أردان، خضر، مناكب)، كما كان للنعوت السببية (المضاعف نسجه، طيب حجزاتهم، قديما نعيمها) نصيب معتبر فى جلال المديح، فضلا عن البحر الطويل الذى يفسح المجال للنفس القوى المتئد.

ثم لننظر فى قوله يرثى أخاه من أمه:

لا يهنئ الناس ما يرعون من كلأ
وما يسوقون من أهل ومن مال
بعد ابن عاتكة الثاوى على (أمر)
أمسى ببلدة لا عم ولا خال [١]
سهل الخليقة مشاء بأقدحه
إلى ذوات الذرا حمال أثقال
حسب الخليلين نأى الأرض بينهما
هذا عليها وهذا تحتها بال

فهو يقول: أى طعام يهنئ، وأى أهل يؤنسون، وأى مال يلذ، وقد ثوى ابن عاتكة فى (أمر) غريباً وحيداً.. لقد كان سهل العشرة، كريما، ضرابا بالقداح بين ذوات الأسنمة المشرفة، حمالا للفوادح الثقال.

ومن البين ما فى هذا الكلام من دماثة وسماحة، ولفظ مأنوس فيه شجى وفيه رقة.

* * *

وأوضح من هذين المثالين دلالة على أن نفس الشاعر الواحد يهدأ ويرق فى باب المراثى حتى يمثل لك به نوح الحمام، ويعنف ويشتد فى سواه حتى يتمثل لك فيه هدير الفحول

[١] فى البيت إقواء ظاهر، والإقواء معهود فى شعر النابغة بخاصة، وفى شعر الجاهليين بعامة.

البزل ... أن تقارن بين ما جاء فى معلقة لبيد ابن ربيعة العامرى من مديح ، ومن رثائه لأخيه أربد .

فبينما نجد لبيداً يقول فى المعلقة :

إنا - إذا التقت المجامع لم يزل
منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطى العشيرة حقها
ومغذمر لحقوقها هضامها

فيريك نسجاً قوياً متلاحما ، وكلاما مفرغا فى قالب من الإغراب ، تستجفيه الآذان ، ولا تهش له الطباع .

نجد لبيدا يقول فى رثاء أخيه أربد :

فلا جزع إن فرق الدهر بيننا
فكل فتى يوما له الدهر فاجع
وما الناس إلا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوما أن ترد الودائع

فتلمس رقة ووضوحا وسهولة ، وتكاد تنكر أن تكون هناك طبيعة واحدة تصدر عنها هذه المعلقة بما فيها من قساوة وغلاظة وتجهم ، وهذه المرثية بما فيها من إسماح ويسر ووضوح .

* * *

فما سر التفاوت بين روح الشاعر عندما يمدح أو يصف ، وروحه عندما يرثى ؟

أعتقد أن غلبة العاطفة وهياجها وتدفق الشعور واطراده عند الرثاء يمنع الشاعر من أن يحادث شعره بالصقال ، ويحول بينه وبين ما يعده أناقة وقوة ، ويبعده عن التفكير، وتلمس المعانى، والاحتيال على إحكام الصياغة.

فالشاعر المنفعل لا يستطيع أن يتخلص من انفعاله ، ليفتش عن لفظ أقوى ، أو معنى أبرع ، أو صياغة أمتع ، وإنما هو يلتى كلامه دافقا حارا عاريا من كل زينة، إلا زينة العاطفة المشبوبة والصدق الصراح .

ولقد وصف بشار الخنساء بأنها فى فحولة رجلين . ولكننا نجدها فى الرثاء تعاودها طبيعتها النسوية الصادقة ، ونجد لكلامها حرارة ودماثة لا تجدها فى غير المراثى وهذه مقطوعتها التى تتحدث عن مسابقة أبيها لأخيها إذ تقول :

جارى أباه فأقبلا وهما
يتعاوران ملاءة الحضر
حتى إذا نزت القلوب وقد
لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما
قال المجيب هناك : لا أدرى
برزت صحيفة وجه والده
ومضى على غلوائه يجرى

أولى فأولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما ، وقد برزا ، كأنهما
صقران قد حطا إلى وكر

فهذا كلام محكم مستحصف فيه متانة من كل نواحيه .

ولكن انظر إلى قولها فى رثاء أخيها صخر :

أعينى جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجميل
ألا تبكيان الفتى السيدا
إذا القوم مدوا بأيديهم
إلى المجد مد إليهم يدا
فنال الذى فوق أيديهم
من المجد ثم مضى مصعدا

تجد هلهلة ونياحة وتكرارا مبعثه الرغبة فى الترجيع وتمزز الكلام لاستدرار الدموع، واستدامة التذراف .

* * *

والترداد مألوف فى شعر النياحة فى الجاهلية والإسلام ولقد كرر المهلهل : (قربا مربط المشهر منى) فى مواضع تزيد على عشرة ، وكرر الحارث بن عباد (قربا مربط النعامة منى) فى مواضع تربى على خمسة عشر فى قصيدة واحدة ، فى شعر يكاد يبلغ درجة الركاكة لأننا لا نطالب المحزون المفجع بأكثر من الصدق وحرارة الأنفاس . ولقد يكون من السخف والثقالة أن يقف الشاعر فى الرثاء مستعرضا قدرته البيانية أو محسناته البديعية ، كما فعل أبو العلاء فى رثاء الشريف الموسوى :

أودى فليت الحادثات كفاف
مال المسيف وعنبر المستاف

فهو يبين لنا براعته فى اقتناص هذا الجناس (بين المسيف ، والمستاف) وإذا كان لأبى العلاء العذر فى هذا لأن الحزن لم يبلغ منه مبلغا يصرفه عن التلاعب باللفظ ، فإن ابن نباتة المصرى لا يتسع له عذر حين يقول فى رثاء ولده :

الله جارك إن دمعى جارى
يا موحش الأوطان والأوطار
لما سكنت من التراب حديقة
فاضت عليك العين بالأنهار
شتان ما حالى وحالك أنت فى
غرف الجنان ومهجتى فى النار

فهو يجعل الله جار ولده ، حتى يجانس بينه وبين دمعه الجارى ، ثم يجانس فى العجز بين الأوطان والأوطار ، ثم يجعل قبره حديقة ليحق له أن يجرى إليها الأنهار من فيض دموعه ثم يقارن بين حاله وحال ولده فيجعل ولده فى الجنة ، ليجعل مهجته فى النار .

فأى عبث هذا ؟ ! هذا رجل فارغ القلب ، يلعب بالألفاظ ، ويلبس لك لباس (مهرج) الموكب ، وليس بكلام رجل ثاكل متقد

القلب يزفر فى حرارة وصدق ، ويجيء كلامه مخلوطا بأنفاسه المتقدة فيلفحك ويشجيك !

وهذا الترداد الذى عرفناه للجاهليين يتراءى لنا فى شعر الإسلاميين ، فقد سارت ليلى الأخيلية فى هذا الدرب عندما رثت حبيبها توبة بن الحمير ، وإن كان رثاؤها له أكثر دماثة وأقوى منة .

وهناك اختلاف آخر بين رثاء ليلى وبين رثاء كل من المهلهل والحارث، فهى تبدأ بتكرار صدر الشطر الأول فتقول :

لنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت
صدور الأعالى واستشال الأسافل
ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن
لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف
أتاك لكى يحمى ونعم المجامل

ثم إنها تعتمد تكرار الشطر الأول كله ، فتقول :

لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده
ولو لام فيه ناقص الرأى جاهل
لعمرى لأنت المرء أبكى لفقده
إذا كثرت بالملحمين التلاتل

ثم إنها تزيد فتصل بالتكرار إلى صدر الشطر الثانى ، فتقول :

أبى لك ذم الناس يا توب كلما
ذكرت أمور محكمات كوامل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما
ذكرت سماح حين تأوى الأرامل

ثم تعود للتغيير من جديد .

ولعلك تلاحظ أن عاطفة ليلى ليست مشبوبة وأن رثاءها فيه كثير من الرخاوة التى توشك أن تكون سماجة ، وليس هذا هو طبيعة شعرها فإن لها فى الحجاج وعبد الملك سنيات غرر ... ولعل عاطفتها نحو المال كانت أقوى من عاطفتها نحو هذا الحبيب الراحل ... وعند الله وحده خفيات الأمور ! .

• • •

وبعد : فقد دللنا على مواطن للسهولة مطردة فى الشعر الجاهلى ، بيناها فى شعر الفرسان وفى شعر النساء ، وفى شعر المراثى ولعل هناك نواحى أخر ـ كاختلاف الطبيعة والجبلة واختلاف البيئة تؤدى إلى السهولة أيضا .. وليس ذلك مما يخالف فيه فندل عليه . والله ولى التوفيق ؟ (تمت)

كامل السيد شاهين

دعائم الحضارة الإسلامية

المكتبات

للأستاذة سميرة عبد المنعم

يعتبر بيت الحكمة ، أو خزانة الحكمة فى بغداد أول مكتبة إسلامية منظمة . أنشأها خليفة من خلفاء المسلمين[١] . وقد اختلفت الأقوال فيمن أسسها ، فقيل: هارون الرشيد، استنتج ذلك من نص أورده القفطى فى أخبار الحكماء ص ٢٤١ ، فقد روى أن الرشيد ولى (يوحنا ابن ماسويه) ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ، ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه . وقد ورد فى الفهرست لابن النديم ما يؤيد ذلك ، إذ قال: إن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الحكمة لهرون الرشيد[٢] وكان علان الشعوبى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة [٣] .

أنشأ الرشيد إذن بيت الحكمة ليكون

(١) كانت للمراكز الهيلينية فى الشرق مكتبات ومدارس من إنشاء غير المسلمين .

(٢) الفهرست ص ٣٨٢ .

(٣) الفهرست ١٥٤ .

خزانة للكتب لجمع فيها الكتب الإسلامية والكتب الأعجمية المترجمة وغير المترجمة . ووسع المأمون هذه الدار وأرسل الرسل فى استجلاب الكتب من الأقطار الأجنبية، فأرسل إلى امبراطور الروم(الحجاج بن مطر) و(ابن البطريق)و(سلماً)صاحب بيت الحكمة، وربما يوحنا بن ماسوية [١] فأحضروا له الشيء الكثير . كما فعل ذلك حنين بن إسحاق إذ رحل إلى بلاد الروم وتعلم اليونانية ، وعاد إلى البصرة ثم رحل إلى الشام والإسكندرية لجمع الكتب النادرة [٢] .

والظاهر أن الروم بعد أن دخلت النصرانية بيوتهم أغلقوا على كتب اليونان وحرموا تداولها . يدلك على ذلك ما رواه محمد بن إسحاق ، قال : [٣] سمعت أبا إسحاق ابن شهرام يحدث فى مجلس عام أن ببلد الروم هيكلا قديم البناء ، وعليه باب لم ير قط أعظم منه ، بمصراعين من حديد . كان اليونانيون فى القديم ، وعند عبادتهم

(١) الفهرست ص ٣٣٩ ، ص ٣٤٠ .

(٢) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٧١ .

(٣) الفهرست ص ٣٤٠ .

الكواكب والأصنام ، يعظمونه ويدعون ويذبحون فيه . قال : فسألت ملك الروم أن يفتحه لى، فامتنع من ذلك لأنه أغلق منذ تنصرت الروم ، فلم أزل أرفق به وأراسله وأسأله شفاها عند حضورى مجلسه فقال : فتقدم بفتحه ؛ فإذا ذلك البيت من المرمر والصخر العظام ألواناً ، وعليه من الكتابات والنقوش ما لم أر وأسمع بمثله كثرة وحسناً وفى هذا الهيكل من الكتب ما يحمل على عدة أجمال . وكثر ذلك حتى قال : ألف جمل. بعض ذلك قد أخلق . وبعضه على حاله . وبعضه قد أكلته الأرضة .

قال : ورأيت فيه من آلات القرابين من الذهب وغيره أشياء طريفة . قال : وأغلق الباب بعد خروجى ، وامتن على بما فعل معى . قال : وذلك فى أيام سيف الدولة .

. . .

على أن كتب اليونان وصلت إلى بيت الحكمة من جميع البلاد التى فتحها المسلمون كأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ، فلقد كان المسلمون فى ذلك العصر حريصين كل الحرص ، على أن يجلبوا مخلفات الروم المطمورة ، يدلك على ذلك أيضا عبارة ابن النديم فى موطن آخر . قال : « فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع » [١] .

ويبدو أن المأمون لما هادن صاحب جزيرة قبرص . طلب إليه أن يرسل إليه خزانة الكتب اليونانية بالجزيرة ، فأرسلها إليه ، وجعل المأمون على رأسها سهل ابن هارون [٢] .

وكانت المكتبة تضم غير الكتب طائفة من النساخين نذكر منهم علان الشعوبى [٣] ، وطائفة أخرى من المترجمين كحنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم .

كما كان يتردد عليها جماعة من المؤلفين : كمحمد بن موسى الخوارزمى ، ويحيى الموصلى ، والفضل بن نوبخت ، وأولاد موسى بن شاكر وأكثر من كانوا يترددون على هذه المكتبة كانوا من طائفة الشعوبية [٤] الذين يكرهون العرب [٥] .

---

(١) ص ٣٣٩ .

(٢) شرح العيون لابن نباتة .

(٣) الفهرست ص ١٥٤ .

(٤) راجع جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٢٩

(٥) حزب من الموالى قام يناوىء العرب . رأوا أولا أن الموالى ليسوا أقل من العرب . ثم تدرجوا من ذلك إلى القول بأفضلية العجم على العرب .

وكان يجرى على النقل أرزاقا تبلغ خمسمائة دينار فى الشهر [١] . وكان يترأس المترجمين فى عهد المأمون حنين بن إسحاق لمعرفته بكثير من اللغات ، كما ترأس الدار ماسويه ويوحنا ابن ماسون ، وسلم ، وسهل بن هارون الشعوبى الفارسى . وقد بلغ مجموع الكتب فى مكتبة المأمون ...... ٤٠٠٠٠٠ (أربعمائة ألف) كتاب .

وعلى هذا النسق جرى خلفاء الفاطميين فى مصر ، فأنشأ العزيز بالله الفاطمى - أثناء حكمه الذى بدأه سنة ٣٦٥هـ - مكتبة سماها : (خزانة الكتب) ، جمع فيها كتباً عدة ، ونسخاً عدة من الكتاب الواحد . وكان مجموع ما فيها عند استيلاء صلاح الدين عليها .... ١,٦٠٠,٠٠٠ كتاب منها ١٨٠٠٠ فى العلوم القديمة [٢] وهو عدد ينبىء بما كان عليه الفاطميون من حب العلم والمعرفة ، وكذلك كان الأمر فى قرطبة وسائر المدن الإسلامية [٣] .

وكان لوجهاء المسلمين ولع بشراء الكتب وجعلها فى خزائنهم الخاصة طلبا للعلم لهم ولمن يلوذ بهم ، جاء فى نفح الطيب [٤] « قال الحضرمى : أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه فيرجع إلى المنادى بالزيادة عليه ، إلى أن بلغ فوق حده فقلت له : يا هذا ؟ أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى أبلغه إلى ما لا يساوى ، قال : فأرانى شخصا عليه لباس رئاسة ، فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه . إن كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك . فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده . فقال لى : لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ، ولكنى أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب . فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير .

قال الحضرمى : فأحرجنى وحملنى على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك ... يعطى الجوز من لا أسنان له . . وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا ، وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه .

---

(١) الفهرست ص ٣٤٠ .
(٢) المقريزى ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٦ .
(٤) ج ٢ ص ٢١٨ .

وقد بلغ من حب العلماء المسلمين للكتب والمكتبات مبلغا يضرب به المثل . فقد قيل: إن الجاحظ كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر [١] . وقد روى أبو الفدا فى تاريخه : أن الجاحظ مات بسبب كتبه ، فقد كان يضعها كالحائط محيطة به فسقطت عليه فقتلته [٢] .

والفتح بن خاقان كان يحضر لمجالسة المتوكل فإذا أراد القيام بحاجة أخرج كتابا من كمه أو خفه وقرأه على مجلس المتوكل إلى عوده إليه حتى فى الخلاء [٣] . ويقول أبو هفان : ما دخلت على إسماعيل بن إسحق إلا رأيته ينظر فى كتاب أو يقلب كتابا أو ينفضه[٤].

وكان لعلى بن يحي المنجم مكتبة مبذولة للعامة ينسل إليها العلماء من شتات الأرض ، فلما قدم أبو معشر المنجم يريد الحج فرآها أقام بها وأضرب عن الحج [٥] ، وفى سنة ٢٨٢ ﻫ توفى أحد علماء أصفهان ، وترك مكتبة أنفق فى شرائها ثلاثمائة ألف درهم [٦] .

وفى سنة ٣٥٧ﻫ صودر حبشى بن معز الدولة ، فكان من جملة ما أخذ منه خمسة عشر ألف مجلد ، سوى الأجزاء ، وما ليس بمجلد [١] .

واستدعى السلطان نوح بن منصور الساماني الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ ليوليه الوزارة ، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله ، وأن عنده من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر . وكان فهرس كتبه يقع فى عشرة مجلدات [٢] ، وكان القاضى أبو المطرف المتوفى عام ٤٠٢ﻫ قاضى الجماعة بقرطبة لا يعير كتابا من أصوله ألبتة ، وإذا ألحف عليه أحد أعطى الكتاب للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير . ويحكى أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتبه عاما كاملا فى مسجده ، واجتمع من ثمنها أربعون ألف دينار [٣] ؟

(يتبع)

سميرة عبد المنعم
معيدة بكلية البنات الإسلامية
بجامعة الأزهر

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٦٩
(٢) تاريخ أبى الفدا ص ٢٥٥
(٣) الفهرست ص ١٦٩
(٤) الفهرست ص ١٦٩
(٥) الإرشاد لياقوت ج ٥ ص ٤٦٧
(٦) تاريخ أصفهان لابن نعيم ـ مخطوط .

(١) ما سكويه ج ٦ ص ٣١٤ ، وابن الأثير ج ٨ ص ٤٣١
(٢) الإرشاد لياقوت ج ٢ ص ٣١٥
(٣) كتاب الصلة فى تاريخ علماء الأندلس لابن بشكوال ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ طبعة مجريط ١٨٨٢

الجبال في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي

— ٨ —

من أعجب الآيات الكونية في القرآن الكريم آية في سورة النور جاء فيها لفظ الجبال لا على التعريف كما فيما عداها من الآيات التي ذكرت فيها الجبال بلفظها ولكن على التنكير تعجباً وتنبيهاً إلى دلالتها .

تلك الآية الكريمة هي قوله تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحابا ، ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) .

وأكثر المفسرين — فيما ذكر أبو حيان في البحر — قد فهموا من قوله تعالى : « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » أن في السماء جبالا من برد كما في الأرض جبال من حجر . وإلى هذا ذهب أبو حيان أيضاً كما يدل عليه قوله عند تفسيره الآية : « والظاهر أن في السماء جبالا من برد » وأن (المراد بالسماء الجسم الأزرق المخصوص . وهو المتبادر للذهن) .

حتى الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ أجاز هذا التفسير إذ يقول في تفسيره الكبير (روح المعاني) : « وعن مجاهد والكلبي وأكثر المفسرين أن المراد بالسماء المظلة ، وبالجبال حقيقتها . قالوا : إن الله تعالى خلق في السماء جبالا من برد كما خلق في الأرض جبالا من حجر . وليس في العقل ما ينفيه من قاطع ، فيجوز إبقاء الآية على ظاهرها كما قيل » ، مع أنه رحمه الله كان قبل ذلك قد قال في تفسير (من جبال) : « أي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم على التشبيه البليغ » وفسر السماء بالسحاب ، وجاء بنكتة لطيفة في هذه التسمية إذ عللها بالإيماء « إلى أن للسمو — والارتفاع — مدخلا فيما ينزل » أي في تكوين البرد وتنزيله . وهو تعليل صحيح وتفسير أقرب كثيراً إلى الصحة من ذلك التفسير الذي نقله هو وأبو حيان عن مجاهد وأكثر المفسرين ، والذي يحول دون صحته ماثبت في العلم الحديث من أن السماء الزرقاء شيء وسماء الكواكب والنجوم شيء آخر ، فالسماء الزرقاء معنا في جو أرضنا ، إذ لولا غلاف الأرض الهوائي لبدت السماء سوداء كما بدت بالفعل لرجال الفضاء حين علت بهم سفنهم فوق الغلاف بغباره وبخار مائه ، ودخلت بهم الطبقة

الشديدة التخلخل من هوائه . وهم لم يبلغوا فى أقصى ارتفاع لهم إلا بضـــع مئات من الكيلو مترات فى حين أن متوسط ارتفاع القمر ـ وهو أقرب كوكب سماوى إلى الأرض ـ أكبر من ذلك نحواً من ألف مرة ، ومتوسط ارتفاع أقرب سيار إلى الأرض ، وهو الزهرة ، أكبر من ارتفاع القمر أكثر من مائة مرة ، أما ارتفاع أقرب نجم المسمى (بالأقرب القنطورى) فهو أكبر من أن يقاس بملايين الكيلو مترات ولذا قاسوه بسرعة الضوء البالغة ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية فوجدوه على بعد بقطعه الضوء فى نحو أربع سنين ، فشتان ثم شتان بين السماء الزرقاء والسماء ذات الكواكب والنجوم ، وشتان أيضا بين أقصى ارتفاع يبلغه سحاب وأقصى ارتفاع لطبقات الهواء ، فهذا قدر ذاك على الأقل عشر مرات .

أما وقد تبين فى ضوء حقائق العلم الحديث أن السماء المعروفة ، سواء أكانت الزرقاء أم ذات الكواكب ، لا يمكن أن تكون من معانى السماء فى قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فلنحاول أن نتبين المعانى التى يمكن أن تحتملها الآية الكريمة فى حدود ما تمليه اللغة من ناحية ، وحقائق العلم من ناحية أخرى .

إن السماء فى اللغة من معانيها : السحاب والمطر أو المطرة الجيدة كما ذكر القاموس. والحرف (من) يكون لابتداء الغاية أو للتبعيض أو للبيان . والجبال من أظهر صفاتها العظم والرسوخ . لكن السحاب مهما تراكم ليس شىء منه براسخ ولا باق ، والبرد مهما تجمع قبل نزوله أقل بقاء من السحاب وإذن فلفظ (جبال) فى الآية الكريمة لا يحتمل إلا معنى العظم على وجه التشبيه البليغ للسحاب الركام أو البرد المتجمع فى السحاب قبل النزول أو لكليهما . فإذا كانت السماء فى الآية الكريمة معناها المطر أو المطرة الجيدة ، وكلاهما صالح واقع حسب الظروف ، كانت (من) الأولى للتبعيض و (من) الثانية لابتداء الغاية ، ويكون معنى (من جبال) : من سحاب كالجبال فى العظم ، ويكون (فيها من برد) وصفا للسحاب. وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أنه سبحانه ينزل نوعا أو أنواعا من المطر من سحاب فيه السحابة كالجبل فى العظم فيها نوع أو أنواع من البرد . والتنـــوع دل عليه التنكير . والبرد أنواع كما سيأتى .

هذا الوجه من تفسير الآية الكريمة لم يتناوله أحد من المفسرين ظنا منهم فيما يبدو أن المطر قد سبق ذكره فى قوله تعالى (فترى الودق يخرج من خلاله) . لكن هناك فرق

بين المطرين . فالودق من خلال السحاب الركام ماء لا برد معه ، تكون فى ظروف لاتسمح بتكون البرد . فهى من حيث درجة البرودة أخف ، ومن حيث عظم السحاب الركام أقل من أن يشبه سحابها بالجبال ذلك التشبيه البليغ الذى شبه به سحاب المطر الذى يكون معه البرد ، إلى فروق أخرى لابد منها حتى يتكون البرد فى ذلك السحاب . والبرد الذى يكون مع المطر يعرف فى علم الأرصاد الجوية بالبرد المبتل ، أى بالبرد بله ماء المطر ، تمييزاً له من البرد الجاف الذى ينزل لا مطر معه فى الأقطار الباردة .

هذا البرد الجاف هو الذى تدل عليه الآية الكريمة إذا كانت (السماء) فيها بمعنى السحاب المرتفع كما نبه الألوسى ، وإذن تكون (من) الأولى لابتداء الغاية و(من) الثانية للبيان: بيان عظم السحاب، على البدل والتشبيه البليغ ، ويكون (فيها من برد) وصفا لجبال ويكون مفعول (وينزل) محذوفا دل عليه (من برد) ليذهب الفكر فى تصوره كل مذهب ؛ فيكون فى الآية على هذا إيجاز بالحذف . ويكون معناها أن الله سبحانه ينزل من السحاب البالغ العظم حتى كأنه جبال ، والذى فيه من البرد أنواع ، برداً متنوع الشكل والوزن والتركيب .

لكن إذا أخذت (من) فى قوله تعالى : « من جبال » على التبعيض كان الضمير فى (فيها) راجعا إلى السماء بمعنى السحاب المرتفع وكانت (من) فى (من برد) للبيان ؛ وكان مفعول (وينزل) هو (من جبال) ، أى وينزل بعض جبال من برد ، فالمشبه بالجبال فى العظم هو مجموع البرد وما يتخلله فى السحاب قبل نزوله ، وكون النازل من البرد إلى الأرض بعض ذلك المجموع المشبه بالجبال يدل من ناحية على عظم مقدار البرد النازل ، ومن ناحية أخرى على عظم مقدار ما يتبقى منه فى السحاب لأن حياته لم تبلغ إحداها فى النمو الحد الذى تكون معه أثقل من أن تحمله التيارات الهوائية ، أو القوى الكهربائية ، أو كلتاهما ، فى السحاب .

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » أنه سبحانه ينزل من السحاب مقادير عظيمة من برد متنوع فى شكله وثقله وتركيبه ـ ينزلها من مقادير أعظم منها بلغت جملتها فى العظم مبلغ الجبال ، فكيف بالسحاب الذى يحتويها .

هذه كلها معان كل منها آية من آيات القدرة الإلهية ، وظاهرة من ظواهر الفطرة المتعلقة بالبرد فى السحاب ، جمعها الله لعباده فى ثمان كلمات من آية واحدة من كتابه العزيز إذا تأملها المتأمل ، بقدر من الدقة فى حدود معانى كلمتين منها فى اللغة ، ودلاله التنكير فى

كلمتين أخريين ، وما أظننا استنفدنا كل ما يمكن أن يستنبط من الكلمات الثمان من حقائق كشف عنها العلم الحديث ، والكلمات الثمان تقع تقريبا وسط الآية الثالثة والأربعين من سورة النور المذكور نصها فى صدر المقال . وفى طرفى الآية الكريمة تنبيه إلى مزيد من عجيب الحقائق التى كشف عنها العلم فى العصر الحديث ، لكننا قبل أن ننتقل إلى الطرفين نتأملهما نرى توكيدا للمعانى السابقة أن نورد بعض أمثلة توضيحا لها ولن يتسع المقال إلا لأقلها .

والبرد آية فى تركيبه وتنوع حباته وطريقة تكوينه ، فحبته طبقات تتكون حول نواة جمدية أو ثلجية [١] . والطبقات تتوالى بين جليدية وثلجيـــة تختلف فى سمكها حسب الظروف حين تتقاذفها التيارات الهوائية والقوى والجاذبية الأرضية من أسفل إلى أعلى ، ومن أعلى إلى أسفل ، ومن جنب إلى جنب ، حتى إذا نمت وكبرت إلى الثقل الكافى تساقط الحب بردا يكون فى الغالب نقمة تختلف فى المقدار والمدى باختلاف حب البرد فى الحجم والوزن واتساع منطقة السقوط .

وقد أورد العالم الروسى : ن. كوليكوف فى فصل البرد من كتابه الممتع : « محيطنا الجوى » ثلاث عشرة صورة لمقاطع ثلاث عشرة حبة بردية كلها تختلف فى الشكل والسعة والتركيب الطبقى . وقد ذكر أن الحبة فى العاصفة البردية فى الأيام الحارة من العام قد تبلغ حجم بيضة الحمامة أو بيضة الدجاجة أو قبضة اليد . بل كان من بين برد عاصفة أصابت الهند فى مايو عام ١٩٢٩ حبات وزنها كيلوجرام وقطرها ثلاثة عشر سنتيمترا وهى أكبر ما عرف فى علم الأرصاد الجوية . وذكر أن سرعة التيار الهوائى العمودى يجب أن تكون عشرة أمتار فى الثانية - أى ٣٦ كيلو مترا فى الساعة - كى يحمل البرد الذى ثخنه سنتيمتر ، وثلاثة أمثال هذه السرعة كى يحمل ما ثخنه عشرة سنتيمترات ، وأن التيار لا يثبت طبعا على سرعة بل تتعاور سرعته الزيادة والنقصان فإذا زادت صعد التيار بالبرد وإذا نقصت نزل البرد فإذا زادت صعد وهكذا دواليك ، وفى كل مرة يتكاثف على البرد ما يتكاثف حتى يبلغ من الحجم والثقل ما يبلغ .

وذكر أيضا أن سحب البرد دائما ثقال جدا وأن الرصد قد سجل حتى فى المناطق المعتدلة سحابة برد بلغ سمكها عشرة كيلومترات وأن منطقة البرد فى سحابته محدودة فإذا حملت

---

(١) الجمد : هو الماء المتجمد المسمى عند الناس ثلجا ، الثلج: بخار متجمد متجمع ، الجليد: الماء الرقيق المتجمد .

الريح السحابة ونزل البرد فإن منطقة نزوله قل أن تزيد سعتها عن خمسة عشر كيلو مترا وإن عرف منها ما بلغ فى الطول ٤٠ كيلومترا أو يزيد .

وقد ذكر أيضا أن تاريخ الأرصاد قد سجل عاصفة بردية أصابت فرنسا فى ١٨ يوليو سنة ١٧٨٨ مرت عليها بسرعة ٧٠ كيلو مترا فى الساعة فقسمت ممرها إلى ثلاث مناطق متوازية الوسطى منها لم يصبها البرد ولكن أصابها مطر شديد وكان عرضها نحو عشرين كيلو مترا . أما الأخريان اللتان مطرتا بردا فأولاهما كان طولها ٧٣٠ كيلو مترا ومتوسط عرضها خمسة عشر . وأخراهما كان طولها ٨٤٠ كيلومترا وعرضها نحو ثمانى كيلومترات وقد قدر البرد الذى نزل تقديرا تقريبيا بما يشغل أربعة ملايين مترا مكعبا ، وقدرت الخسائر الناجمة عنه بعشرات الملايين من الفرنكات . وهذا الوصف يوضح قوله تعالى (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) فى الآية الكريمة من سورة النور ، كما يوضح ذلك الحجم الهائل للبرد الذى نزل ، وحجم تلك السحابة البردية التى سجلها الرصد قبل وكان ارتفاعها عشرة كيلومترات ـ معنى الجبلية فى قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) . ويزيد المعنى توضيحا وعلى الأخص مغزى الجمع فى قوله تعالى (من جبال) قول العالم الروسى فى وصف السحابة البردية « إنها تتميز بلون قاعدتها الرمادى ، وانقسامها إلى رقاع ، وأن قمتها تبدو كجبل له نتوءات كالتلال صفراء غير منتظمة ، وجبال السحابة تبدو إذا أشرف عليها من أعلى كأنها مغطاة بملاءات من سحب متشعثة ككتل الصوف » ،

وأظن المقال يضيق الآن عن الوفاء بما وعدنا به فلنرجىء ذلك إلى فرصة نرجو أن تجىء قريباً إن شاء الله ...

محمد أحمد الغمراوى

المسارعون فى الخيرات

إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون . المؤمنون ٥٧ - ٦١

هل يوم الفصح هو يوم عاشوراء ؟

للأستاذ على الخطيب

معنى كلمة فصح فى العبرية :

ترددت كلمة فصح [١] فى سفر الخروج مرات مسوقة فى بيان خروج بنى إسرائيل من مصر ، وقد أوضح (إغناطيوس فرزلى) المـــراد منها بقوله : « معناها : عبور أو اجتياز ؛ والمراد بها اجتياز العبرانيين البحر الأحمر على يد موسى كليم الله [٢] » .

وهذا المعنى هو التفسير المقرر للكلمة ، وبه يكتب معناها فى كل قاموس ؛ فيفيد (لاروس Larousse) أنه « عيد سنوى لليهود يقيمونه تذكارا لخروجهم من مصر وعبورهم البحر الأحمر [٣] » .

ونقل لى أستاذنا الدكتور محمد غلاب ترجمة شفوية عن كتاب (أصول الدين الاسرائيلى) للأستاذ توسان ـ جامعة إكس × بمارسيليا نصا من ص ٢٣٤ يفيد : « أنه كان عيدا دينيا قديما عند البدو من الرعاة ، وأن موسى (عليه الصلاة والسلام) خلصه مما علق به من وثنية » ا هـ

ومعروف من تاريخ الإسرائيليين الأوائل أنهم كانوا رعاة ، ولقد أحب موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون خروجه فى هذا اليوم ، وقد يسر الله له ذلك .

وليس للمسيحيين صلة تشريعية به كما هو واقع الأمر عند اليهود . فمبناه عند اليهود حقيقتان : « عبور » و « فداء » فأما العبور فحقيقة تمت لنجاة بنى إسرائيل من الموت على يد فرعون إلى الحياة المطمئنة بالانفصال عن البحر ، وغرق فرعون وجيشه . وأما « الفداء » فأمر دينى مقرر يتم فى حيوان . . « فتذبح الفصح للرب إلهك غنما وبقراً فى المكان الذى يختاره الرب ليحل اسمه فيه» ٢-١٦ تث

وجاء فى السفر نفسه :

« لكى تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك » ٣ - ١٦ تث .

نجد ـ إذاً ـ عند اليهود عبورا حقيقيا من موت إلى حياة ، وأمرا بالفداء فاتخذوا لذلك عيداً .

---

[١] تنطق الفاء باءاً فى العبرية مماثلة للباء اللاتينية P ، ورسمها العبرى هكذا : (ּפ ونحذف تلك النقطة فتنطق مماثلة للحرف اللاتينى V .

[٢] ص ٦٢ التعليم المسيحى الأرثوذكسى . إغناطيوس فرزلى مطبعة أناتولى الاسكندرية .

3) Paque . . n.f. (gr. Pasche) fête annuelle des Juifs en mêmoire de leur sortie d'Egypte; célébrer la paque - cette fête fut établie par Juifs en memoire du passage de la mer Rouge . . .

فأما المسيحيون ففصحهم خلاف ذلك؛ إذ لا حقيقة عندهم فى الأمرين ، فاتخذوا مجازا عن كلا الحقيقتين بنوا عليه عيد فصحهم ؛ إذ اعتبروا - حسب معتقدهم فيما بعد المسيح عليه الصلاة والسلام - أن عيسى بن مريم قد « مر » من موت إلى حياة ، وأنه كان « فداء » للبشر ، فجمعوا بهذا التفسير الفلسفى مروراً وفداء ليتخذوا منهما عيداً ، ويقولون : فصحا .

ذاك أمر الفصح بين اليهود والمسيحيين ، وله أمره بين اليهود والعرب ، ثم بين اليهود والإسلام .

بين اليهود والعرب:

لقد كان لليهودية دور بالجزيرة منذ « ... عرجت قبائل العبرانيين من سبط راحيل على سيناء والنفود فى أثناء خروجها من مصر إلى فلسطين حوالى ١٢٢٥ ق . م وتنقلت فى تلك الربوع زهاء أربعين سنة [١]» وعندما أنزل الرومان سخطهم بتلك الفئات من اليهود تدفقوا بكثرة إلى الواحات بقلب الجزيرة وجنوبها ، واتخذوا لهم بها مخيمات مستغلين حسن الجوار العربى وحمية العرب الذين يغبطهم الاحتماء بهم، ووجدت اليهودية فى القرون الأولى الميلادية عطفا خاصا عليها من بعض ملوك اليمن الذين كانوا يستريبون من النصارى ويضيقون بالنصرانية لاحتضان الرومان والأحباش لرعاياها وهو أمر عده ساسة اليمن نذير خطر على البلاد ، بإخلاص بعض الرعايا ولائهم لغير وطنهم ، ومن ثم ارتفع شأن اليهودية حتى اتخذها ذو نواس ديناً رسمياً لبلاده فانتعشت فترة انتهت بانتحاره .

يتضح من ذلك العرض مدى تغلغل اليهود بين العرب وانتشارهم انتشارا سهل للعرب أن يعرفوا عادات القوم :

فقد كان اليهود من أهل خيبر يصومون عاشوراء ، ويتخذونه عيدا ، فترتدى نساؤهم حليها، ويحملن شارات تظهرهن فى أجمل هيئة وأحسن زينة [١] ثم صامته العرب فى الجاهلية :

قال دلهم بن صالح : قلت لعكرمة : عاشوراء ما أمره ؟ قال : أذنبت قريش فى الجاهلية ذنباً فتعاظم فى صدورهم. فسألوا : ما توبتهم؟ قيل : صوم عاشوراء . يوم العاشر من المحرم [٢] .

والمشير بالصوم هنا هم اليهود ؛ ذلك أنهم هم الذين تولوا حسابه للعرب :

---

(١) ص ٥٢ تاريخ العرب مطول ج ١ فيليب حتى وزميلاه .

(١) أنظر ١٥ ص من « لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى » دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٢ ﻫ .

(٢) ص ٤٥ المرجع السابق .

روى الطبرانى بسند حسن [١] من حديث ابن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه ثابت قال : ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقول الناس ، إنما كان يوما تستر فيه الكعبة ، وتقلس (تلعب) فيه الحبشة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور فى السنة كلها ، فكان الناس يأتون «فلانا» اليهودى يسألونه ، فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه [٢] :

ذاك أمر اليهود بين العرب فى الجاهلية. فهل كان عاشوراء هذا الذى صامته اليهود ثم صامه العرب هو عين الفصح ؟ هذا ماتحدثنا به الصلة بين اليهودية والإسلام .

بين اليهودية والإسلام :

روى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بسند جيد [٣] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء فقال : ما هذا من الصوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون . وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ؛ فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم [١] ، وقال عليه الصلاة والسلام: يكفر السنة الماضية. ورأى الأحناف وابن حجر من الشافعية أن صومه كان فرضا ، وساق ابن حجر فى ذلك أدلة ليس إلى دفعها سبيل [٢] .

والواضح فى جلاء :

أن يوم عاشوراء الذى صامه اليهود هو يوم النجاة من الغرق ، وهو عينه اليوم الذى صامه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يختلف يوم الصوم حينئذ بين اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقد عقب ابن حجر على حديث المسند بما معناه : أن نوحا وموسى عليهما السلام يشتركان فى معجزة الماء ، كان الطوفان يحيق بسفينة نوح ، وكان البحر منفلقا لموسى وقومه ، ونجا كلاهما ونجا معهما من آمن بهما فصاماه شكراً لله [٣] . ولعل فى الجزء الخاص بنوح ما يلقى ضوءاً على قدم هذا اليوم ، ومن ثم انتشار أمره بين البدو الرعاة

(١) انظر ص ١٧٦ فتح البارى لابن حجر ج ٤ المطبعة الخيرية ١٣١٩هـ .
(٢) ص ١٧٦ المرجع السابق .
(٣) انظر الفتح الربانى لترتيب مسند أحمد للأستاذ أحمد عبد الرحمن الساعاتى .

(١) ص ٣٥٩ المجلد الثانى من مسند أحمد المطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ
(٢) ، (٣) انظر فتح البارى باب صوم يوم عاشوراء .

الذين خلطـــوه على توالى السنين بمظاهر الوثنية حتى خلصه موسى عليه السلام منها .

عاشوراء - إذاً - هو يوم العبور ، وهو يوم عيد عند اليهود ؛ وفى الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فصوموه أنتم [١] .

إن العرب لم يحتالوا لعاشوراء فقد انتشر بينهم بفعل اليهود ، وتولوا - لهم - حسابه ، وكان اليهود واسطة التعريف بأمره للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تذكار يوم العبور الذى هو يوم الفصح الذى هو يوم عاشوراء .

مصادر متتابعة لا افتعال للمسلمين فيها .

فضل الإسلام عليه :

لم يدع النسىء عند اليهود حرمة لهذا اليوم فقد ضاع زمنه بينهم ، وضاعت بذلك حرمته .

لقد مر بنا أنه كان يدور فى السنة كلها . وكان ذلك لعنة النسىء والكبس .

صحيح أن عاشوراء تقع فى اليوم العاشر من رأس سنتهم .

وصحيح أن سنتهم قمرية .

وأن سنة العرب قمرية .

ولولا النسىء والكبس لتم خير اتفاق فى الزمن لكلا الأمتين لكن الفريقين معاً كانا يأخذان بنظام : النسىء ، ويزيد العرب (الكبس) : فاليهود يزيدون شهراً قمريا كل ثلاث سنوات فتصير السنة الثالثة ثلاثة عشر شهرا ، وصار العرب يزيدون شهرا كل ثلاث سنوات قبل الشهر السابع فيتأخر السابع إلى ما بعده ، وتصير السنة ثلاثة عشر شهرا ؛ فتأخير السابع نسىء ، وزيادة شهر قبله كبس ، وكانت تقرر هذه الإضافة يوم حجهم [١] ، وكانت الأمية المنتشرة بين العرب سبباً فى اختلاط الحساب عليهم لذلك كان لجوءهم إلى اليهود ، وكان النسىء والكبس كفيلين بدوران عاشوراء بين كافة الشهور .

ويظهر فضل الإسلام فى إرجاع الأمر إلى نصابه ، وإعطاء اليوم حرمته فقد جاء الضبط بوحى من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع :

« إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان [٢] .

واسترد عاشوراء يومه ، وأتى كل عام فى موعده ، وصامه أتقياء المسلمين لا (لمرور) تم لهم أو (فداء) وقع عليهم ، وإنما اقتداء برسولهم الكريم الذى أحب عملا لأخيه الكليم ؟

علي الخطيب

(١) صحيح البخارى باب صوم يوم عاشوراء .

[١] أنظر ص ٥ ٢ من مجلة الثقافة العدد ٨ ٨ السنة الثانية .

[٢] صحيح البخارى باب حجة الوداع .

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

- ٦ -

أشرنا فى مقال سابق إلى العالم الهندى الكبير الإمام شاه ولى الله الدهلوى، المتوفى سنة ١١٧٦ ﻫ ومؤلفاته العربية فى مختلف العلوم الشرعية. ومن أمهات المؤلفات العربية فى القرن الثانى عشر الهجرى كتابه الشهير «حجة الله البالغة» فى فلسفة التشريع الإسلامى وأسرار أحكام الشريعة، وقد أعيد طبعه وتخريجه فى الهند ومصر مراراً. ونظراً لطريقته المبتكرة فى بيان أسرار الدين وبحثه النادر عن حِكم الأحكام، وخواص الأعمال، يستحق هذا المؤلف الجليل دراسة وافية وعناية كافية ليعم نفعه، ويلتفت إليه نظر الدارسين لعلم أسرار الشريعة وأصول الدين، والباحثين فى تأصيل الأصول وتفريع الفروع وتمهيد المقدمات، واستنتاج المقاصد [١].

ويشتمل هذا الكتاب على خطبة المؤلف ومقدمته ثم على قسمين رئيسيين، الأول: فى بيان القواعد الكلية التى تستنبط منها المصالح المرعية فى الأحكام الشرعية، والثانى: فى بيان أسرار ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم تفصيلا. ثم قسم المؤلف كلا منهما إلى عدة أبواب حسب الترتيب الذى ارتآه لربط الحكم الإلهية فى الأحكام الشرعية والآثار المترتبة عليها فى الحياة البشرية.

ويقول المؤلف فى خطبة الكتاب، مبينا الحاجة إلى تأليف هذا الكتاب والظروف التى تم فيها: «أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى رحمة الله الكريم، أحمد المدعو بولى الله ابن عبد الرحيم، عاملهما الله تعالى بفضله العظيم وجعل مآلهما النعيم المقيم: إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها، ومبنى الفنون الدينية وأساسها هو علم الحديث الذى يذكر فيه ما صدر من أفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، من قول أو فعل أو تقرير، فهى مصابيح الدجى ومعالم الهدى، وبمنزلة البدر المنير ومن انقاد لها ووعى فقد رشد واهتدى وأوتى الخير الكثير، ومن أعرض

---

(١) أحدث طبع «لحجة الله البالغة» صدر بالقاهرة مع تحقيق للأستاذ السيد سابق فى جزأين.

وتولى فقد غوى وهوى وما زاد نفسه إلا التخسير ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم نهى وأمر وأنذر وبشر وضرب الأمثال وذكر، وإنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن هذا العلم له طبقات ولأصحابه فيما بينهم درجات وله قشور داخلها لب، وأصداف وسطها در » .

وبعد أن بين جهود العلماء فى خدمة علم الحديث بمختلف أبوابه، وفنون استنباط الأحكام الفرعية والقياس على الحكم المنصوص والاستدلال بالإشارة ومعـــرفة المنسوخ والمحكم والمرجوح، وغيره من أبواب علم الحديث، أردف يقول :

« هذا، وإن أدق الفنون الحديثية بأسرها عندى، وأعمقها محتدا وأرفعها منارا، وأولى العلوم الشرعية عن آخرها، فيما أرى، وأعلاها منزلة وأعظمها مقدارا، هو علم أسرار الدين، الباحث عن حكم الأحكام ولمياتها، وأسرار خواص الأعمال ونكاتها ؛ فهو - والله - أحق العلوم بأن يصرف فيه من أطاقه نفائس الأوقات، ويتخذه عدة لمعاده بعدما فرض عليه من الطاعات، إذ به يصير الإنسان على بصيرة فيما جاء به الشرع، وتكون نسبته بتلك الأخبار كنسبة صاحب العروض بدواوين الأشعار، أو صاحب المنطق ببراهين الحكماء، أو صاحب النحو بكلام العرب العرباء أو صاحب أصول الفقه بتفاريع الفقهاء، وبه يأمن من أن يكون كحاطب ليل أو كغائص سيل أو يخبط خبط عشواء أو يركب متن عمياء، كمثل رجل سمع الطبيب يأمر بأكل التفاح فقاس الحنظلة عليه لمشاكلة الأشباح، وبه يصير مؤمنا على بينة من ربه، بمنزلة رجل أخبره صادق أن السم قاتل فصدقه فيما أخبره، وبين، ثم عرف بالقرائن أن حرارته ويبوسته مفرطتان وأنهما تباينان مزاج الإنسان، فازداد يقينا إلى ما أيقن » .

واستطرد الشيخ المحدث قوله : كيف ولا تتبين أسراره إلا لمن تمكن فى العلوم الشرعية بأسرها واستبد فى الفنون الإلهية عن آخرها ولا يصفو مشربه إلا لمن شرح الله صدره لعلم لدنى وملأ قلبه بسر وهبى، وكان مع ذلك وقاد الطبيعة سيال القريحة، حاذقا فى التقرير والتحرير، بارعا فى التوجيه والتحبير، قد عرف كيف يؤصل الأصول ويبنى عليها الفروع، وكيف يمهد القواعد ويأتى لها بشواهد المعقول والمسموع. وإن من أعظم نعم الله على أن آتانى منه حظا وجعل لى منه نصيبا ... »

وقد أورد الشيخ ولى الله الدهلوى فى الخطبة حكاية طريفة، بل عجيبة عن الظروف التى تم فيها تأليف « حجة الله البالغة » ونورد فيما يلى بيانها بالنص :

« وبينما أنا جالس ذات يوم بعد صلاة

العصر ، متوجها إلى الله إذ ظهـــرت روح النبي صلى الله عليه وسلم ، وغشيتني من فوق بشيء خيل إلى أنه ثوب ألقى على ، ونفث فى روعى فى تلك الحالة أنه إشارة إلى نوع بيان للدين .

ووجدت عند ذلك فى صدرى نورا لم يزل ينفسح كل حين ، ثم ألهمنى ربى بعد زمان مما كتبه على بالقلم العلى أن أنتهض يوما ما لهذا الأمر الجلى ، وأنه أشرقت الأرض بنور ربها وانعكست الأضواء عند مغربها .

وأن الشريعة المصطفوية أشرقت فى هذا الزمان ، على أن تبرز فى قمص سابغة من البرهان ، ثم رأيت الإمامين «الحسن والحسين» فى منام ، رضى الله عنهما ، وأنا يومئذ بمكة كأنهما أعطيانى قلما وقالا : هذا قلم جدنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ولطالما أحدث نفسى أن أدون فيـه رسالة تـكون تبصرة للمهتـدى وتذكرة للمنتهى ، يستوى فيه الحاضر والباد ، ويتعاوره المجلس والناد ثم يعوقنى أنى لا أجد عندى ولدى ، ولا أرى من خلفى وبين يدى من أراجعه فى المشتبهات من العلماء المنصفين الثقات ، ويثبطنى قصور باعى فى العلوم المنقولة مما كان عليه القرون المقبولة ... » .

ثم تطرق المؤلف إلى الحديث عن تسمية كتابه باسم « حجـة الله البالغة » فقال : فتوجهت إلى الله واستخرته ورغبت إليـه واستعنته وخرجت من الحول والقوة بالكلية وصرت كالميت فى يد الغسال فى حركاته القصرية وشرعت فيما ندبنى إليه ، وعطفنى عليـه ، وتضرعت إلى الله أن يصرف قلبى من الملاهى وأن يرينى حقائق الأشياء كما هى ، ويسدد جنانى ويفصح لسانى ، ويعصمنى فيما أقتحمه من المقال ، ويوفقنى لصدق اللهجـة فى كل حال ويعيننى فى إبراز ما يختلج فى صدرى ، ويعالجه فكرى ، إنه قريب مجيب ... ولمـا كان وقعت الأشارة إلى سر التكليف والمجازاة وأسرار الشرائع المنزلة إلى الرحمـة المهداة ، بقوله تعالى : « فلله الحجة البالغة » . وهـذه الرسالة شعبة منها نابغـة ، وبدور من أفقها بازغة ، حسن أن تسمى « حجة الله البالغة » حسبى الله ونعم الوكيل .

وتتضمن مقدمـة الكـتاب بحوثا قيمة فى المصالح المرعية فى الشرائع وأسرار الأحكام الشرعية وحكم الترهيب والترغيب وأسرار تعيين أوقات العبادات وأسباب أحـــكام المعاملات والحـدود والكفارات وغيرها من البحوث الشيقة الدقيقة .

ويبدأ المؤلف مقدمته بقوله : وقد يظن أن الأحكام الشرعية غير متضمنة لشيء من المصالح ، وأنه ليس بين الأعمـال وبين ما جعل الله جزاء لهـا مناسبة ، وأن مثل

التكليف بالشرائع كمثل سيد أراد أن يختبر طاعة عبده فأمره برفع حجر أو لمس شجرة مما لا فائدة فيه غير الاختبار، فلما أطاع أو عصى جوزى بعمله ، وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير ، ومن عجز أن يعرف أن الأعمال معتبرة بالنيات والهيئات النفسية التى صدرت منها ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات » وقال الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » وأن الصلاة شرعت لذكر الله ومناجاته ، كما قال تعالى : « وأقم الصلاة لذكرى » ولتكون معدة لرؤية الله تعالى ومشاهدته فى الآخرة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ستروت ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا ، وأن الزكاة شرعت دفعا لرذيلة البخل وكفاية لحاجة الفقراء ، كما قال الله تعالى فى مانعى الزكاة « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » ، وأن الصوم شرع لقهر النفس ، كما قال الله تعالى : « لعلكم تتقون » وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإن الصوم له وجاء » .

ثم استطرد المؤلف فى بيان شرطه المتقدم بأمثلة واضحة من القرآن والسنة على المصالح المرعية فى الأحكام الشرعية المختلفة ثم أتى بالجواب فقال : « فإنه (أى الذى عجز أن يعرف هذه الأسرار والحكم الكامنة فيها) لم يمسه من العلم إلا كما يمس الإبرة من الماء حين تغمس فى البحر وتخرج ، وهو بأن يبكى على نفسه ، أحق من أن يعتد بقوله » .

وهكذا فند المؤلف الظنون العديدة والأقوال الفاسدة فى بيان أسباب الأحكام أو أسرار التشريع ، وكذلك بين خطورة التوقف فى امتثال أحكام الشرع على معرفة مصالحها لأن عقولا كثيرة قاصرة عن معرفة كثير من المصالح ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم أوثق عندنا من عقولنا لأنه لا ينطق عن الهوى ، ثم قال المؤلف : « وظهر مما ذكرنا أن الحق فى التكليف بالشرائع وأن مثله كمثل سيد مرض عبيده ، فسلط عليهم رجلا من خاصته ليسقيهم دواء ، فإن أطاعوا له أطاعوا السيد ، ورضى عنهم سيدهم وأثابهم خيرا ونجوا من المرض ، وإن عصوه ، عصوا السيد وأحاط بهم

غضبه وجازاهم أسوأ الجزاء وهلكوا من المرض ، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال راويا عن الملائكة : « إن مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة » .

وحيث قال : « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما : فقال ياقوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم » .

وقال أيضاً راويا عن ربه : « إنما هي أعمالكم ترد إليكم » .

وعنى المؤلف ببحث اختلاف العلماء المسلمين في أهمية بيان علل الأحكام ، وعدم فائدة مثل هذا البيان ووضوحها وغموضها ، كما أنه أجاب على القائلين بامتناع تدوين هذا العلم لعدم تدوين السلف إياه وما إلى ذلك من البحوث المتعلقة بعلم أسرار الدين .

وقال المؤلف رداً على من قال بمنع تدوينه بناء على أن السلف لم يدونوه : « لا يضر عدم تدوين السلف إياه بعد ما مهد النبي صلى الله عليه وسلم أصوله ، وفرع فروعه ، واقتفى أثره فقهاء الصحابة كأميري المؤمنين عمر وعلى وكزيد وابن عباس وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، بحثو عنه وأبرزوا وجوها منه ، ثم لم يزل علماء الدين وسلاك سبيل اليقين يظهرون ما يحتاجون إليه مما جمع الله في صدورهم ، كان الرجل منهم إذا ابتلى بمناظرة من يثير فتنة التشكيك يجرد سيف البحث وينهض ويصمم العزم ويمحض ، ويشمر عن ساق الجد ويحسر ، ويهزم جيوش المبتدعين ، ويكسر ... » .

وأضاف يقول : « وكان الأوائل لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب عهده ، وقلة وقوع الاختلاف فيهم ، واطمئنان قلوبهم بترك التفتيش عما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، وعدم التفاتهم إلى تطبيق المنقول بالمعقول ، وتمكنهم من مراجعة الثقات في كثير من العلوم الغامضة ، مستغنين عن تدوين هذا الفن ، كما أنهم كانوا بسبب قرب عهدهم من القرن الأول ، واتصال زمانهم برجال الحديث ، وكونهم منهم بمرأى ومسمع ، وتمكنهم من مراجعة الثقات (في الحديث) - مستغنين عن تدوين سائر الفنون الحديثية ، كشرح غريب الحديث وأسماء الرجال ومشكل الحديث الخ .

وكل فن من هذه لم يفرد بالتدوين ، ولم ترتب أصوله وفروعه إلا بعد قرون كثيرة

لما عنت (أى ظهرت) الحاجة إليه وتوقف نصح المسلمين عليه ، ثم إنه كثر اختلاف الفقهاء بناء على اختلافهم فى علل الأحكام ، وأفضى ذلك إلى أن يتباحثوا عن العلل من جهة إفضائها إلى المصالح المعتبرة فى الشرع ، ونشأ التمسك بالمعقول فى كثير من المباحث الدينية ، وظهرت تشكيكات فى الأصول الاعتقادية والعملية ، فآل الأمر إلى أن صار الانتهاض لإقامة الدلائل العقلية حسب النصوص النقلية ، وتطبيق المنقول بالمعقول والمسموع بالمفهوم نصراً مؤزراً للدين ، وسعيا جميلا فى جمع شمل المسلمين ، ومعدودا من أعظم القربات ، ورأسا لرءوس الطاعات » .

وقال المؤلف فى الرد على من يدعى أنه ليس فى تدوين هذا العلم فائدة : « ... بل فى ذلك فوائد جلية ، منها إيضاح معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه عليه السلام كما أتى بالقرآن العظيم فأعجز بلغاء زمانه ، ولم يستطع أحد منهم أن يأتى بسورة من مثله ، ثم لما انقرض زمان القرن الأول وخفى على الناس وجوه الإعجاز ، قام علماء الأمة فأوضحوها ، ليدركه من لم يبلغ مبلغهم ، كذلك أتى من الله تعالى بشريعة هى أكمل الشرائع متضمنة لمصالح يعجز عن مراعاة مثلها البشر ، وعرف أهل زمانه شرف ماجاء به بنحو من أنحاء المعرفة حتى نطقت به ألسنتهم ، وتبين فى خطبهم ومحاوراتهم ، فلما انقضى عصرهم وجب أن يكون فى الأمة من يوضح وجوه هذا النوع من الإعجاز والآثار الدالة على أن شريعته صلى الله عليه وسلم أكمل الشرائع ، وأن إتيان مثله بمثلها معجزة عظيمة كثيرة مشهورة لاحاجة إلى ذكرها ، ومنها أنه يحصل به الاطمئنان الزائد على الإيمان ، كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: « بلى ولكن ليطمئن قلبى » ، ومنها أن طالب الإحسان إذا اجتهد فى الطاعات وهو يعرف وجه مشروعيتها ، ويقيد نفسه بالمحافظة على أرواحها وأنوارها ، نفعه قليلها ، وكان أبعد من أن يخبط خبط عشواء ... » .

وهكذا جاء كتاب « حجة الله البالغة » للإمام شاه ولى الله الدهلوى فى فلسفة التشريع الإسلامى ، فريداً فى بيانه ، ومبتكراً فى أسلوبه ، ولنا عودة إلى مباحثه الشيقة فى أسرار الشرائع وأحكامها ، بطريقته النادرة التى لم تعهدها المكتبة العربية إلا قليلا ؟

محيى الدين الألوائى

وصيّة جعفر الصّادق لأحد المريدين

للأستاذ محمد الغزالى

كان تنقل أهل البيت فى أقطار الأرض ، إثر ما وقع عليهم قديما من حيف ، سببا فى انتشار العلم ، وانتفاع الجماهير بما يقبسون من سيرتهم العطرة .

وفى العصر الأول ، ذهب الإمام جعفر الصادق إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعتزل بها من الفتن ويبتعد بدينه عن مؤامرات السلطة وإرهاب العباسيين .

وما أن سمع الناس بمجيئه حتى هرعوا إليه ابتغاء التعلم والاقتداء .

وكان فيمن ذهب إليه رجل مسن اسمه « عنوان » من أولئك الرجال الذين يحيون لطلب المعرفة واسترضاء الله جل شأنه .

وكان شيخا قد بلغ الرابعة والتسعين من عمره .

فلنسمع إلى « عنوان » يقص علينا نبأه مع جعفر الصادق .

قال : كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين .

فلما قدم جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك .

فقال لى يوما : إنى رجل مطلوب ومع ذلك لى أوراد آناء الليل وأطراف النهار فلا تشغلنى عن وردى وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف . فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت فى نفسى : لو تفرس فى خيرا ما زجرنى عن الاختلاف إليه والأخذ عنه .

فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت : أسألك يا الله أن تعطف على قلب جعفر وترزقنى من علمه ما اهتدى به إلى صراطك المستقيم ورجعت إلى دارى مغتما ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبى من حب جعفر .

فما خرجت من دارى إلا للصلاة المكتوبة حتى عيل صبرى .

فلما ضاق صدرى تنفلت وترديت وقصدت جعفرا وكان بعد ما صليت العصر .

فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : السلام على الشريف .

فقال : هو قائم فى مصلاه ، فجلست بحذائه . فما لبث إلا يسيرا حتى خرج فقال : ادخل على بركة الله .

فدخلت وسلمت عليه فرد على السلام وقال : اجلس غفر الله لك .

فجلست فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال: أبو من ؟

قلت: أبو عبد الله .

قال : ثبت الله كنيتك ووفقك يا أباعبدالله. ما مسألتك ؟

فقلت فى نفسى : لو لم يكن لى فى زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيرا .

ثم رفع رأسه فقال : ما مسألتك ؟

قلت : سألت الله أن يعطف على قلبك ويرزقنى من علمك وأرجو أن يكون الله تعالى أجابنى فى الشريف ما سألته .

فقال : يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعلم وإنما هو نور يقع فى قلب من يريد الله تعالى أن يهديه .

فإن أردت العلم فاطلب فى نفسك أولا حقيقة العبودية .

واطلب العلم باستعماله .

واستفهم الله يفهمك .

قلت : يا شريف .

قال : قل يا أبا عبد الله .

قلت : يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية ؟

قال : ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا لأن العبيد لا يكون لهم ملك ، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به .

ولا يدبر العبد لنفسه تدبيرا .

ويجعل اشتغاله فيما أمر الله تعالى به ونهاه عنه .

فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره الله أن ينفق فيه .

وإذا فوض العبد تدبير نفسه إلى مدبره هانت عليه مصائب الدنيا .

وإذا اشتغل العبد بما أمره الله ونهاه لايتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس.

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وإبليس والخلق .

ولا يطلب الدنيا تكاثرا وتفاخرا .

ولا يطلب ما عند الناس عزا وعلوا .

ولا يدع أيامه باطلا .

فهذا أول درجة التقى. قال الله تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» .

قلت : يا أبا عبد الله أوصنى .

قال : أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتى لمريدى الطريق إلى الله تعالى ، أسأله أن يوفقك لاستعمالها ... ثلاثة منها فى رياضة النفس ، وثلاثة منها فى الحلم ، وثلاثة منها فى العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها .

قال عنوان : ففرغت قلبي له .

فقال : أما اللواتى فى الرياضة : فإياك أن تأكل مالا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله .

ولا تأكل إلا عند الجوع .

وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »

وأما اللواتى فى الحلم :

فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل له : إن قلت عشرا لم تسمع واحدة .

ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقا فيما تقول فاسأل الله تعالى أن يغفر لى، وإن كنت كاذبا فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لك .

ومن توعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء .

وأما اللواتى فى العلم : فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة .

وإياك أن تعمل برأيك شيئا .

وخذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا .

واهرب من الفتيا هروبك من الأسد

ولا تجعل رقبتك للناس جسراً .

قم عنى يا أبا عبد الله فقد نصحت لك .

ولا تفسد على وردى فإنى امرؤ ضنين بنفسى والسلام على من اتبع الهدى .

* * *

هذه وصية جميلة رأيت إثباتها لما فيها من خير وإخلاص ، ولأنها نموذج حسن من الآداب التقليدية الشائعة فى تراثنا الدينى القديم . .

وقد أحببت أن أتبعها بشرح يكشف عن حقيقة ما جاء بها من تعاليم .

فإن سوء الفهم قد يجعل تناول هذه النصائح ضاراً لا نافعا . .

وعندما نعرضها على المقررات الإسلامية الثابتة فسنسدى بذلك خيراً إلى أصحابها الأوائل ، وإلى قرائها المعاصرين ـ ثم ـ من قبل ذلك وبعده ـ إلى ديننا الحنيف .

إن العلم لا يتم تحصيله إلا بالتعلم ، وقول جعفر الصادق « ليس العلم بالتعلم » لا يراد به ظاهره ، إنما يراد به حسن الانتفاع وصدق العمل .

فهناك كثير من الناس يحفظون معارف جيدة ويستوعبون كتبا قيمة ، بيد أن العلم الذى ظفروا به لم يتجاوز أدمغتهم ، فهو تصورات يمسكها الذهن وحسب .

وعندما يكون العلم صوراً ذهنية مقطوعة عن السلوك ، فهو قسيم للخيال البعيد عن الواقع .

وهذا النوع من العلم قليل الجدوى ، بل إن النبى صلى الله عليه وسلم قد حذر من الوقوف بالعلم إلى حد اختزانه فى الذاكرة وإدارته على اللسان وكفى .

عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « العلم علمان: علم فى القلب فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم » .

والدراسات فى جملتها سواء كانت دينية أو مدنية يجب أن يصحبها قصد نبيل ونية خالصة ...

فأما الدراسة الدينية فأمرها واضح ، إن العلم فيها طريق العمل ، ونواة التربية وأساس التسامى بالنفس الإنسانية

وبقية المعارف البشرية على رحابة آفاقها يجب أن تسخر فى النفع العام ، لكننا رأينا للأسف كثيراً من علماء الاقتصاد والكيمياء والذرة وغيرهم يضعون أنفسهم فى خدمة الساسة المدمرين والحكام الذين لا يتقون الله ، ولا يرحمون عباده .

وكان ينبغى أن يغالوا بما أوتوا وأن يتوسلوا به إلى غاية أزكى .

روى عن عمار بن ياسر قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حى من قيس أعلمهم شرائع الإسلام .

فإذاهم قوم كأنهم الإبل الوحشية ، طامحة أبصارهم ، ليس لهم هم إلا شاة أو بعير فانصرفت إلى رسول الله فقال : يا عمار ما عملت ؟

فقصصت عليه قصة القوم وأخبرته، بما فيهم من السهوة ! ! .

فقال : ياعمار ألا أخبرك بأعجب منهم ؟ قوم علموا ما جهل أولئك ، ثم سهو كسهوهم ! ! أى غفلوا كغفلتهم .

والواقع أن ارتفاع المستوى العلمى وسقوط المستوى النفسى والخلقى شىء مثير!!

وهو بلاء شاع فى مجتمعات كثيرة ...

وعلاجه لايكون بالاستزادة من العلم ، إنما يكون باستغلال الموجود منه على خير الوجوه.

وذاك ما بدأ جعفر الصادق يلفت إليه النظر ويرسم له الطريق .

إن العلم ، خصوصاً الدينى منه ، يجب أن يتجرد صاحبه لله ، وأن يتحول على عجل إلى تقوى ونصيحة ..

تقوى تعصم صاحبها وتنير حياته، ونصيحة تدعم المجتمع وتحق الحق وتبطل الباطل .

عن على بن أبى طالب أنه ذكر فتناً تكون فى آخر الزمان فقال له عمر بن الخطاب: متى ذلك يا على ؟

فقال : « إذا تفقه لغير الدين ، وتعلم العلم لغير العمل ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ».

وعندما يعمل المرء بما يعلم تنشأ لديه بصيرة يميز بها الحق من الباطل والخير من الشر وذلكم هو النور الذى يقذفه الله فى قلوب الصالحين .

إن هذا النور يومض فى الصدور نتيجة فقه حسن ، وعمل حسن .

وسيحرم منه صنفان حتما : العباد الجهلة والفقهاء المقصرون ..

فإن العابد الجاهل خطر على نفسه وأمته بقصور عقله ! !

والفقيه المنحرف خطر على نفسه وأمته بقصور نيته وسوء وجهته ! ! .

والمسلم مكلف بتدبير أمره والتفويض لربه معاً ، يبذل جهده فى أداء واجبه ، ثم يدع ثمرات عمله لحكم الله .

ألم تر إلى مؤمن آل فرعون كيف استمات فى بذل النصح وإظهار الحق وحماية موسى واقتياد قومه إلى النجاة حتى إذا أفرغ ما فى جعبته قال : « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد» .

والكتاب والسنة يتجاوبان مع الفطرة فى مطالبة الإنسان بالحرص على ما ينفعه وتجنب ما يضره ..

إلا أنه لوحظ أن المرء فى طلبه ما ينفعه قد يطمع فى زيادات لا حدود لها ، من مال أو جاه أو ما شابه ذلك .

فإذا حرمه الله ما يشتهى باء بالحزن ، بل نغص عليه الحرمان المحدود ما لديه من نعماء كثيرة ؟ ؟

وقد تصيب الإنسان — مع حذره — مآسى لم تكن فى الحسبان فيستغرب كيف تسللت إليه تلك الآلام مع شدة الحيطة ، أو كيف كبت به الحظوظ مع قيامه بما عليه من فروض ؟

فى مثل هذه الحالات ينبغى التسليم لله ، والتفويض إليه فيما قضى ..

وجعفر الصادق رجل مطارد من حكومة ذلك العصر ، يرقب فى أية لحظة أن يقاد إلى مصرعه كما اقتيد غيره من آل البيت النبوى !

فماذا عساه يفعل إلا أن يستكين لله ؟ وأن ينتفع باللحظة الحاضرة فى عبادة ربه ؟ إنه لا يملك أكثر من ذلك ! !

أما إسقاط التدبير عن البشر فكلام ساقط.

ولا يمكن أن يخطر ببال جعفر الصادق..

ولابن عطاء الله كلمة افتتح بها حكمه المشهودة قال : « إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية . وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية » .

وهذه الكلمة عندى تخفيف من قلق ألوف الناس فى أعمالهم ووظائفهم فإنك لو سبرت أغوار من حولك ، وتعرفت مبلغ رضاهم بما هم فيه ما وجدت إلا شاكيا مكتوم الشكوى أو مؤملا محسور الأمل . .

وأغلبهم يعتقد أنه لو كان فى مكان كذا أو لو تيسر له كذا لكان أفضل له . .

وقد يكون بعضهم صادقا ومصيبا ، غير أن جمهرتهم لا تحسن الانتفاع الكامل بأوضاعها الحالية . .

ولو غلبوا جانب الرضا والتفاؤل لاستثمروا ما هم فيه استثمارا أوسع دائرة وأوفر حصادا.

وعواطف الناس بإزاء ما يواجهها أو ما يفرض عليها لا تتسم غالبا بالحق وهذا معنى قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

إنني أحيانا كنت أنفر من وظيفتي الإدارية وأتمنى العزلة وأحسد من لديهم ثروة تكفيهم مؤنة الاختلاط بالخلق ..

وأحيانا كنت أكره العزلة وأطلب العمل بشدة لأمحو وأثبت ما أرى محوه وإثباته ..

وكنت أحيانا أشعر بأن المعزول فار من المعركة، أو أسير سقط عنه التكليف.

وكنت أحيانا أشعر بأن العمل توطيد مكانة ووسيلة خدمة.

إن النفس الإنسانية بارعة فى مزج رغباتها بالمعنويات الرفيعة !!

وإلباس مآربها ثوب الحق الناصع ..

أيا ماكان الأمر فالوسيلة المثلى تقوم على إفراغ الوسع فى توفير الضمانات التى يراها المرء محققة لخيره صائنة لحاضره ومستقبله، ثم قبول الواقع بعد ذلك دون ضجر مؤذ أو ضيق مغر بالسلبية والعجز.

لا، لنثق فى الله، ولنسلم له ما أراد، ولنشعر بأن له حكمة أعلى، وحكما أنفذ.

وفى حدود الإمكانات التى أذن بها نقبل على علمنا جادين راضين.

وليس معنى هذا، بداهة، أن الدين يأذن بترك الأسباب والتماوت فى ميدان الحياة.

إذا قلت لحام ود لو كان طبيبا أو لكاتب ود لو كان ضابطا: ارض بما قسم الله لك ...

فليس معنى هذا أنك تأمره بالانسحاب من الدنيا.

المعنى الوحيد أنك تقول له: تصرف فى نطاق الواقع الذى لا يمكن تغييره، فإن إعادة الفلك الدوار كى تبلغ ما تتمنى مستحيل.

ونعود إلى كلمة ابن عطاء الله؛ إنه يريد أن يقول: إذا قررت السير إلى الله فإنك تستطيع الانطلاق إليه فور قرارك هذا مهما كان المنصب الذى تتولاه، أو الحرفة التى تشتغل بها، أو الحال التى وصلت إليها

وقد تحدثك نفسك بأن ترك عمل ما أو الاشتغال بعمل ما يكون أعون لك على السير وهذا خطأ.

فالتجرد من الأسباب القائمة ضرب من البطالة.

والتطلع إلى الاشتغال ببعضها لون من الرغبات المريبة.

ذاك معنى قوله: «إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية

حول فكرة تلحين القرآن

للأستاذ عبد الفتاح القاضي

لهجت بعض الألسنة أخيراً بالقول بتلحين القرآن، فماذا يقصد بالتلحين ؟ إذا كان يقصد به : تحسين الصوت بالقرآن تحسيناً يبعث على تدبره وتفهمه وتكون به القراءة أشد تأثيراً فى النفس، وخشوعا فى القلب، واعتباراً فى العقل، فقد ورد فى السنة المطهرة، وفى أقاويل سلفنا الصالح ما يحث على ذلك ويرغب فيه .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: « زينوا القرآن بأصواتكم» أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه، وفى لفظ عند الدارمى : حسنوا القرآن بأصواتكم ؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً، وفى حديث آخر : حسن الصوت زينة القرآن . أخرجه البزار .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » أخرجه البخارى ومسلم والنسائى، ومعناه أن الله تعالى لم يستمع لشيء كاستماعه لقراءة نبى يتغنى بقراءته، ويحسنها بصوته .

والمراد باستماع الله تعالى للقراءة رضاه عنها وإثابة صاحبها عليها وقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا » .

وروى الزهرى عن أبى سلمة أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية » .

عش فى الواقع، فإن لم يكن ما تريد فأرد ما يكون .

فإرادتك أنت قاصرة ومتهمة، أما إرادة الله لك فحكيمة رحيمة،

ولا تتعلق بالمنى، وتبنى عليها القصور .

وقد عقب ابن عطاء الله كلمته هذه، بكلمة أخرى تتمم معناها .

« سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار » .

وجعفر الصادق، وابن عطاء الله، رجال مربون، وهم يستقون من ينابيع الإسلام فكلماتهم لا تعدو حدوده .

وقد يرد فى توجيهاتهم ما يحتاج إلى إيضاح ونحن - إن شاء الله - سنتناول من ذلك ما يفيد ؟

محمد الغزالى

أبا موسى الأشعرى يقول له : « ذكرنا ربنا أبا موسى فيقرأ عنده ، فيقول عمر : « من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله عز وجل » أخرجه ابن ماجه .

فهذه الأحاديث والآثار تدل - فى وضوح وجلاء - على الترغيب فى تحسين الصوت بها حملا على تدبر القرآن وتفهمه الذى هو المقصد الأسمى من التلاوة ، قال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » . وقال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .

أما إذا أريد من « تلحين القرآن » تحسين الصوت به مع رعاية النغمات الموسيقية المعروفة التى منها الحجاز ، العراق ، العجم ، النهاوند ، العشاق ، الصبا ، الرست ، الجاهركاه - إلى غير ذلك فلا مانع عندنا أن يقرأ القارىء ويحسن صوته بالقرآن ويلاحظ ما سبق من النغمات .

بشرط أن يتحرى الدقة فى تجويد الكلمات القرآنية ، وإتقان حروفها ، وتجميل أدائها ، ويتحرى حسن الوقف والابتداء ، ويكون فى دائرة المعارف المحددة ، وفى نطاق الأحكام المقررة التى وضعها علماء التجويد واستنبطوها من قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، هذه القراءة التى نقلتها الأجيال الماضية من لدن النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا العصر جيلا بعد جيل ، وطبقة أثر طبقة ، حتى وصلت إلينا بطريق التواتر الذى يدل دلالة قاطعة على كيفية قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يحافظ على هذه القواعد كل المحافظة .

ولا يخرج عنها قيد شعرة ، ولا ينحرف عنها يمنة أو يسرة ، وبحيث يجعلها فى المحل الأول ، ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى ، حتى إذا تعارض عنده - فى بعض الأحيان - ضبط الكلمة القرآنية من ناحية هذه القواعد مع ضبطها من ناحية الموسيقى ، وتعذر أو تعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معا ، فإنه يؤثر ضبطها تجويدا ، ولو ترتب على ذلك الإخلال بقواعد الموسيقى .

إذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدى إلى الإخلال بهذه القواعد ، والعبث بها ، والانحراف عنها فإن القراءة بها تكون محرمة بإجماع المسلمين يأثم القارىء بقراءتها - ويأثم المستمع بسماعها .

وأما إذا كان « تلحين القرآن » بالمعنى

المتعارف عليه عند علماء الموسيقى ، وهو أن يعمد الملحن إلى تلحين كلمات الأغنية كلمة كلمة بما يراه يتفق ومعانى هذه الكلمات من الألحان المعينة ، والتوقيعات المخصوصة كما يصنع ذلك الملحنون فى كلمات الأغانى فإنا لا نقر ذلك ولا يقره أحد من المؤمنين بالقرآن الكريم ، وبما يجب له من حرمة وقداسة .

وعلى ذلك أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا ، لا نعلم لهم مخالفاً فى ذلك . والنص الذى يدل على ذلك ـ فى صراحة وجلاء ـ قوله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق ، وأهل الكتابين ، وسيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » .

وروى عن الإمام أحمد بن جنبل إمام السنة أن رجلا قال له : ما تقول فى القراءة بالألحان ؟ فقال له : ما اسمك ؟ قال : محمد . فقال له الإمام أحمد : أيسرك أن يقال لك : « ياموحامد » أى بمد الميم والحاء ؟!

وقال الإمام ابن كثير فى التفسير : « فأما القراءة بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية فالقرآن الكريم ينزه عن ذلك ويجل ويعظم عن أن يسلك فى أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك ، ثم ساق ابن كثير الحديث الآنف الذكر » .

إن لتلاوة القرآن الكريم حدودا وضوابط فى النطق ، ولها معايير ومقاييس فى الأداء ، ولها كيفيات مخصوصة فى الترتيل . وهذه الحدود والضوابط، وهذه المعايير والمقاييس وتلك الكيفيات ، كل ذلك قد استنبطه علماء القراءة وأئمة الأداء من كيفية القراءة المنقولة نقلا متواترا عن النبى صلى الله عليه وسلم رواها عنه جميع الصحابة ، ونقلها عن الصحابة سائر التابعين ، ونقلها عن التابعين أتباعهم ، وهكذا جيلا بعد جيل ، وأمة إثر أمة إلى أن وصلت إلينا .

فإذا راعى القارىء فى قراءته هذه الضوابط وتلك الكيفيات كانت قراءته صحيحة سليمة ، وكانت مطابقة لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم .

وإذا انحرف القارىء عن هذه القواعد ، أو قصر فيها كانت قراءته سقيمة ، وكانت مخالفة لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان آثما فى قراءته مستحقا عليها اللوم والعقوبة .

وإن تلحين القرآن بالمعنى المتعارف عند الفنيين ذريعة مفضية لا محالة إلى الخروج على هذه القواعد ، والزيغ عنها ، والتلاعب بكتاب

الله تعالى إما بالزيادة فيه ، وإما بالنقص منه ، ويكون ذلك بتطويل المد فوق المقدار المقرر له ، أو تقصيره عنه ، أو بمد ما ليس بممدود . أو قصر ما ليس بمقصور أو بتشديد المخفف ، وتخفيف المشدد — إلى غير ذلك مما يترتب على التلحين من انحراف عن الجادة وبعد عن الصواب فى القراءة ولا شك أن ذلك حرام بإجماع المسلمين ،وكل ذريعة تفضى إلى محرم فهى محرمة ، لاخلاف فى ذلك بين علماء الأمة سلفها وخلفها .

إن تلحين كلمات الغناء لابد أن يكون خاضعاً لقوانين الموسيقى وقواعد النغمات ، فإذا لم يتأت تلحين الكلمة إلا بزيادة مدة فيها زيدت هذه المدة ، وإذا لم يمكن تلحينها إلا بنقص مد عن طبيعته أتى بالمد ناقصاً .

ولذلك كثيراً ما يضطر الملحن إلى تغيير كلمات فى الأغنية تكون نابية عن اللحن ، عصية عن تقبل ضروبه وإيقاعه ، فيأتى بغيرها من الكلمات التى تلائم اللحن ، وتتقبل ضروبه وإيقاعه .

وإننا كثيراً ما نسمع المغنين والمغنيات يزيدون فى الكلمة فيجعلون من الضمة واوا ومن الفتحة ألفا ، ومن الكسرة ياء ، وكثيراً ما ينقصون منها فيحذفون حرف المد من الكلمة ، وكثيراً ما يضطر المغنى أو المغنية إلى الوقف بالحركة على الكلمة المتحرك آخرها ، وإلى إيجاد سكنات فى ثنايا الكلمة، وكل ذلك وغيره مسموع من سائر المغنيين والمغنيات ، فلو أبحنا تلحين كلمات القرآن الكريم ، وأخضعناها لقوانين النغم لاضطررنا — طائعين أو مكرهين — إلى الزيادة فيها ، والنقص منها .

ولو فتحنا هذا الباب لكان مدعاة — من قريب أو من بعيد — إلى التغيير فى جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية ، ولا شك أن فى ذلك القضاء على أصل الدين . وأساس الشريعة ، وسد الذرائع - مهما كانت بعيدة - أصل من أصول الشريعة الإسلامية الذى بنى عليه كثير من أحكامها .

يضاف إلى ما تقدم أن قواعد الموسيقى عرضة للتغيير والتنقيح فى كل جيل ، وفى كل عصر ، فلو أخضعنا كلمات القرآن لهذه القواعد لأصبح القرآن عرضة للتحريف والتصحيف فى كل عصر ، وحيطتنا للكتاب العزيز وتقديسنا له تحتم علينا أن نجعله بمنأى من هذه الألاعيب والتغييرات ، والهزات .

إن القرآن الكريم هو مجد المسلمين التليد ، وعزهم الوحيد ، يجدون فيه كتاب عصمتهم ولواء وحدتهم ، يختلفون إلا فيه ويتشاحنون إلا عليه ويتخاصمون إلا فى الذب عن بيضته ، والذود عن حماه ، إذ ليس لهم ملجأ سواه وملاذ غيره ، يتفيئون ظلاله ، وينضوون جميعاً تحت لوائه .

نظرة الإسلام إلى المال

للأستاذ عبد الرسول عبد الحافظ

التشريع الحكيم :

إن التشريعات التى توضع لتنظيم حياة البشر لا تبلغ درجة الإحكام إلا إذا كانت قائمة على أسس تنبع من دوافع النـاس وتتصل بأحاسيسهم وتلبى حاجاتهم وتساعدهم على بلوغ أهدافهم التى يسعون من أجلها ويبذلون الجهد للوصول إليها .

وليس من شك فى أن هـــذا لا يتم إلا بالمعرفة الدقيقـة لخصائص النفس البشرية ، والإحاطة الشاملة بغرائزها وميولها ، والإلمام بحقيقة الرسالة السامية التى خلق من أجلها الناس ، ولا يستطيع مخلوق مهما أوتى من سعة العـلم ووفرة الذكاء وسداد الرأى أن يصل إلى هذه المكانة من الإدراك التام لكل هذه العوامل ، فليس ذلك إلا لله وحـده الذى خلق الناس وسواهم وعلم سرهم ونجواهم أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا .

عناية الإسلام بالمـال :

والمال فى كل زمان ومكان هو عصب الحياة وعماد الأمم ، خلقـــه الله لإصلاح الفرد وإصلاح المجتمع ، ولهذا عنى الإسلام بتدبيره وتوجيهه الوجهة الصالحة التى تقى الناس أخطار الجموح فى التملق والوصول إلى المال من أى سـبيل ، والإسراف فى التمتع ونسيان حق الجماعة أى حق الله الذى هو صاحب المـال فما لا ريب فيه أن الشريعة الإسـلامية قد

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

فيجب على المؤمن أن يتحمس أشد التحمس للحفاظ على كيان ألفاظ القرآن . وصيانتها من تطرق التحريف إليها ، والعبث فيها .

والخلاصـة أن جمهور علماء الإسلام من سلف الأمة وخلفها على وجوب كتابة القرآن ورسمه على الطريقـة التى كتب عليها فى زمن الصحـابة ، ولم تزل هـذه الطـريقة مرعية فى كتابة المصحف إلى وقتنا هذا مع مخالفتها لكثير من قواعد الإملاء المحدثة ، فإذا كنا نبالغ فى المحافظة على رسمه وكتابته فلأن نحافظ على جوهر ألفـاظه ، وعلى قراءته القراءة الصحيحة المتلقـاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أولى وأحرى ؟

عبد الفتاح القاضى

وصلت فى مبلغ حرصها على حماية ملكية الفرد وثمرة جهوده إلى مبلغ رفيع لم تكد تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه ، فالإسلام قد أحاط ملكية المسلم بل ملكية الذمى بسياج قوى من الحماية والرعاية ، والإسلام وحده هو الذى قرر قطع يد السارق والسارقة إذا توافرت الشروط وانتفت الشبهات .

الترغيب فى كسب المال :

والدين الإسلامى الحنيف يحث على كسب المال والسعى إليه بكل طريق مشروع بعيد عن ضرر الغير ، والاعتداء على حق الآخرين وهذا ما يهدف إليه الرسول الكريم بقوله : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة »

ومما أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » وكأن الفقر فى نظر النبى يعادل الكفر .

غير أن الدين الإسلامى إذا دعا إلى ابتغاء المال والسعى وراء تحصيله لم يفعل ذلك لأجل أن يحفظ ذلك المال ويخزن ولا لكى يدخر ويكنز ولا ليكون عونا على تحصيل الملذات والإفراط فى الشهوات ، ولا ليجعل مطية للكبر والخيلاء والتمرد والإيذاء ، وإنما دعا إلى كسب المال لينفق فى وجوه الخير وأعمال البر ، ويبذل فى بناء المساجد والمدارس وإنشاء المصحات والملاجىء ، ويصرف على إقامة المصانع العاملة والمشروعات المثمرة النافعة ، وفى النهاية يكون فى يد صاحبه قوة وسلاحا يساعد به المنكوبين ويواسى البائسين ، يربى منه أبناءه ، ويصل أقرباءه ، ويعطى جيرانه ويخدم أوطانه ، وما أصدق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

كذلك كان المسلمون فى العهد الأول ، ضربوا فى الأرض وسلكوا كل فج وجمعوا المال الحلال فبنوا به المساجد وجندوا الجنود وحصنوا الثغور وأعانوا المجاهدين وساعدوا فقراء المسلمين - ولقد طالما حدثنا التاريخ الإسلامى عن مواقف البذل والسخاء فى أوقات الشدة ومواطن الروع تلك التى كان يسارع إليها صحابة رسول الله بنفوس راضية وقلوب حانية باذلين أموالهم فى ذلك سرا وعلانية وممن ضرب بسهم وافر فى هذا المضمار الصحابيان الجليلان : عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وعن صحابة رسول الله أجمعين .

خطر الإسراف فى جمع المال :

ولكن هناك حقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان ، وهى أن المال سلاح ذو حدين فهو إذا كثر وزاد عن حاجة صاحبه زيادة فاحشة فربما كان وبالا كبيرا وشرا مستطيرا يقود مالكه إلى البطر والطغيان ويردى

صاحبه فى مهاوى الملذات والشهوات ويدفع به إلى السعى فى الأرض بالفساد والاعتداء على حقوق العباد وهل هناك أبلغ من قوله تعالى فى هـذا المعنى « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » وقوله جل شأنه « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض » فتلك طبيعة البشر إلا من عصم الله .

فمن ذا الذى كان يتحدى الشرائع السماوية ويعادى الأنبياء ويقف فى وجه الدين ويعرقل سبيل المصلحين ـ لا شك أنه لم يفعل ذلك إلا من أبطره المـال وأعمى بصيرته الثراء ـ هؤلاء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم بقوله « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » .

أف لهذا المـال إذا كثر ولهذا الثراء إذا نفخ أوداجه فهو حينئذ معول هدم يقوض حياة صاحبه ويوحى إلى نفسه بأنه من طينة غير طينة البشر حتى ولو كانوا أنبياء .

فالمـال وحده هو المسئول عن طغيان الطغاة واستبداد المستبدين ومفاسد الإقطاعيين وهذا ما يعرضه علينا القرآن صريحا فى قصة أحدهم وقد دعى إلى الإيمان فى قوله تعالى : « ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » .

إذا لابد من علاج حاسم لهذا الداء الوبيل داء الطغيان والظلم والاستبداد وأكل أموال الناس بالباطل واستنزاف دم الفقراء والضعفاء ـ وهل هناك علاج أفضل من علاج الإسلام للقضاء على هذه المشاكل كلها ، فلقد شرع من المبادىء القويمة الرشيدة ما هو كفيل بكبح جماح المـال والحد من سلطانه فى يد الأغنياء .

* * *

لذلك نراه :

أولا : قد فرض الزكاة وجعلها حقا واجب الأداء وجعل لولاة الأمور الحق فى استيفائها ممن تجب عليهم ولو أدى ذلك إلى القتال كما فعل الصديق أبو بكر مع مانعى الزكاة ـ قاتلهم حتى أذعنوا لإخراجها ، وقال قولته المأثورة : « والله لو منعونى عقالا واحدا كانوا يؤدونها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » .

ثانيا : الدعوة إلى بذل الصدقة والإنفاق فى سبيل الله إسعافا للمحتاج وعونا للضعيف لا تشجيعا على الكسل وانتشار البطـالة فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » أى قوى سليم الأعضاء .

ثالثا : النهى الصريح عن البخل والشح وكنز المـال وهو فى هذا يتوعـد البخلاء

وكانزى المال بمثل قول الله تعالى: « إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » ويقول جل شأنه فى سورة التوبة : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ولأمر ما ينهى الله سبحانه وتعالى عن الربا ويرغب فى الصدقة فى آية واحدة حيث يقول : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون »

وكأن القرآن الكريم يشير إلى أن الشخص الذى يضطر إلى قبول الصدقة قد تدفعه الحاجة إلى التعامل بالربا ـ فالجمع إذا بين شرور الربا ومزايا الصدقة فى مساق واحد مقصود به أن ينبه الغنى إلى البذل الذى يفرج أزمة المحتاج بدلا من تكبيله بأثقال الربا وفاحش الربح «يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

* * *

موقف الدين من الأغنياء الأشحاء

فإذا شحت النفوس واستفحل الداء وأصبح عند الأغنياء يشكل خطرا اجتماعيا أو اقتصاديا فإن الدين فى هذه الحالة لا يقف مكتوف اليدين بل سرعان ما يتدخل بسلطانه الإلهى ليقضى على تلك الفوارق البغيضة بين الطبقات حتى لا يعيش بعض الناس فى مستوى الترف ويعيش الباقى فى مستوى الشظف والحرمان ، فالإسلام فى هذه الحالة يعطى ولى الأمر حق تنظيم المال والإشراف على مصادره وموارده بحيث يوجهه إلى صالح الفرد والجماعة ويحركه فى مختلف ألوان النشاط والتعمير ويضع القواعد التى تصلح الأموال وتحفظها كثروة عامة تجعل الأمة ندا لغيرها من الأمم فتصبح بذلك قوية ذات مركز اقتصادى متين ، وهذا الصنيع من قبل ولى الأمر لا يتعارض مع الملكية الفردية لأن المقصود به وضع التشريعات التى تكفل للناس جميعا الاستفادة من طيبات الرزق وخيرات البر والبحر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » على أن النص على هذه الثلاث ليس مقصودا به الحصر ؛ بل يلحق بها كل ما كان مثلها فى حاجة الناس إليه فإذا أدت الملكية الفردية إلى حبس سلعة يحتاج إليها الناس أو احتكار عروض ضرورية يتضرر المجتمع من رفع ثمنها أو طريقة توزيعها كان للدولة أن

تتدخل لمنع ذلك الضرر، وعلى ولى الأمر أن يتخذ من الوسائل ما يكفل اشتراك الناس جميعا فى الاستفادة من الثروة القومية تحقيقا لمبدأ الشركة التى يشير إليها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الإسلام يعطى للدولة حق نزع الملكية الشخصية إذا أسىء استخدامها للضرر بالمجتمع كله أو أكثره وهذا مبدأ له دليل قوى مما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أنه حمى أرضا بالمدينة لترعى فيها خيل المسلمين كما حمى عمر رضى الله عنه أرضا بالربذة قرب المدينة وجعل كلأها حقا مشاعا للفقراء دون الأغنياء ، ولما سئل رضى الله عنه عن سبب ذلك قال : « إن الغنى إن هلكت ماشيته رجع إلى ماله أما الفقير إن هلكت ماشيته جاءنى متضورا بأولاده طالبا الذهب والفضة وليس لى أن أتركه ، وبذل العشب أيسر من بذل المـال » .

ويروى المؤرخون أن أصحاب هذه الأرض قد احتجوا على هذا التأميم بدعوى أن هذه أرضهم حموها فى الجاهلية ودافعوا عنها فى الإسلام إلا أن الخليفة عمر رد عليهم بقوله: « المـال مال الله والعباد عباد الله والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت شبرا فى شبر » .

على أن الإنفاق فى سبيل الله مصرف عام تحدده الظروف والملابسات ، فتجهيز الجيوش للدفاع عن الدين والوطن وعلاج المرضى من الفقراء وتعليم العاجزين عن دفع نفقات التعليم وسائر ما تتحقق به مصلحة الفرد والجماعة كل ذلك إنفاق فى سبيل الله .

وخلاصة القول : أن الأمة إذا ابتليت بآفة الإقطاع الذى يضع الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية فإذا كانت هذه الثروة من مصادر الإنتاج الذى يقوم عليه المجتمع ، ثم ثبت استغلال أصحاب هذه الثروات لها استغلالا سيئا وأدى هذا إلى حرمان المجتمع من خيرات وطنه، كان لولى الأمر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام .

* * *

ومن المؤسف حقا أننا نرى الآن فى أكثر من بلد إسلامى ضررا عاما جسيما نشأ عن الملكية الشخصية وكان من نتيجته أن تكدست الثروة القومية فى قبضة حفنة من الأغنياء . الأمر الذى نشأت عنه أضرار اقتصادية ومساوئ اجتماعية وأخطار سياسية يعرفها كل دارس للأوضاع الحاضرة فى الدول الرأسمالية التى يهيمن فيها الإقطاعيون على ثروات البلاد ، لذلك نرفع الصوت عاليا مطالبين أولياء الأمور فى كل بلد إسلامى أن يتخذوا من الاجراءات والوسائل

ومضات من التصوف الروحى في أدب المهاجرين

للأستاذ حسن جاد

التأمل في النفس وحقيقتها ، وفي الطبيعة وما وراءها ، وفي الحياة وأسرارها ، وفي الوجود وألغازه ، وفي الموت وما بعده ؛ من سمات الأدب المهجرى ، الذى اتجه إلى استجلاء الغوامض ، واستكشاف الحقائق ، واستكناه الأسرار ؛ وحاول أن يستشف الحجب ، ويحل الألغاز ؛ فحلق بأجنحته في آفاق مجهولة ، وعوالم غير منظورة ؛ يحدوه الشك الباحث عن الحقيقة ، المتطلع إلى مثل إنسانية خالدة لا تحجبها الظنون والأوهام .

ولقد كان لاغتراب المهاجرين وحنينهم إلى أوطانهم بالشام ، واصطدام روحيتهم الشرقية بمادية الغرب أثر كبير فيما تولد في نفوسهم من قلق روحى ، وحيرة نفسية ، حيث دفعهم ذلك إلى التأمل في حقائق الحياة والوجود ، واكتشاف السعادة الحقيقية والحياة المثلى الخالدة ، في الطبيعة والغاب ، كما نراها في (المواكب) لجبران ، أو (الربيع الأخير) للشاعر القروى ، أو في السماء كما نجدها في (بساط الريح) لفوزى المعلوف . وغير ذلك من العوالم الأخرى .

وليس من غرضنا في هذا المقال أن نفيض في هذا الجانب من التأمل الفلسفي في حقيقة النفس والحياة والفناء والخلود ، مما استفاض في شعرهم ، وتردد في ملاحمهم . وإنما نقصد هنا إلى نزعة صوفية روحية طالما طالعتنا من خلال تأملهم الفلسفي الحائر ، ولا تكاد تنفصل عن هذا التأمل ، فهو يلتف عليها ، ويحتضنها ويفضى إليها .

(بقية المنشور على الصفحة السابقه)

ويسنوا من القوانين ما يكفل حماية المجتمع من خطر احتباس الثروة القومية في أيدى الإقطاعيين والاستغلاليين .

أما بعد : فهذا التأميم قد وقع في الإسلام تشريعا وعملا ، وقد كان ذلك لرفع الظلم والضرر عن الناس أو عن طائفة كبيرة منهم وهذا ما تهدف إليه المصلحة العامة التى وضعها الإسلام لتنظيم سياسة المال في المجتمع الإسلامى من خلال نظرته إلى الإنسان ومدى حاجته إلى التنظيم والله الموفق ؟

عبد الرسول عبد الحافظ

إنها صوفية وسط بين الإقبال على الدنيا والزهد فيها ، بين زهد الصوفية المسلمة وفلسفة اللذة الخيامية . تأثروا فيها بمختلف المصادر المسيحية والشرقية والإسلامية كفلسفة الخيام والحلاج وأبى العلاء وابن سينا وغيرهم .

غير أن ومضاتها المشرقة تبدو أكثر توهجاً وإشعاعا فى المجاهدة فى سبيل السمو الروحى ، والنزوع إلى الاتصال بالله ، والشوق إلى الملأ الأعلى ، والانفلات من عالم الحدود إلى عالم الكمال المطلق ، والإحساس الغامر بغربة الروح على هذه الأرض ، والشعور العميق بأن الله ملء النفوس والعقول ، وأن الكل مشدود إليه ، وأنه أهل لأن يحب لذاته ، لاطمعا فى جنته ، ولاخوفا من ناره ؛ وبهذا الحب الإلهى الذى عرفناه عند شهيدته رابعة العدوية وأمثالها من متصوفة المسلمين، يهتف جبران فى مواكبه :

والدين فى الناس حقل ليس يزرعه
إلا الألى لهمو فى زرعه وطر
من آمل بنعيم الخلد مبتشر
ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا
رباً ، ولولا الثواب المرتجى كفروا

وفى التطلع إلى الملأ الأعلى ، والتشوف إلى الخلاص من قيود المادة ، يقول نسيب عريضة :

قم نتخــذ للمنى جناحــاً
يطير من عالم الحــدود
عسى نرى فى السماء دربــاً
نســير فيه ولا نعــود

ويخاطب نفسه مردداً رأى ابن سينا فى نزوعها إلى الانفصال ، وتشوقها إلى العودة لمحلها الأرفع الذى هبطت منه :

أصعدت فى ركب الــنزوع
حتى وصلت إلى الربــوع
فأتـاك أمر بالرجــوع
أعلى هبوطك تأســفين ؟
أم شاقك الذكر القــديم
ذكر الحمى قبل الســديم
فوقفت فى ســجن الأديم
نحــو الحمى تتلفتين ؟

وأبو الفضل الوليد يحن إلى الملأ الأعلى فى تائيته الفارضية :

فروحى مع الأرواح فى دار أنسها
وجسمى مع الأجسام فى دار وحشتى
إلى المــلأ الأعلى أحن لأننى
عن المــلأ الأدنى أنزه رفعتى

وفوزى المعلوف يدير مطولته (بساط الريح) على شعوره بغربة جسمه فى الأرض، وشوقه إلى روحه التى تعيش فى مملكة الأرواح بالسماء :

بين روحى وبين جسمى الأسير
كان بعـــد ذقت مره

أنـا فى الأرض وهى فوق الأثير
أنـا عبـد وهى حـــره

وليست (نار إرم) فى مطـــولة نسيب عريضه (على طريق إرم) إلا مقام الكمال بشهود الله والفناء فيه ، وليس (طريق إرم) إلا طريق المجاهدة الصوفية الذى يسلكه المتصوف فى رحلته إلى هذه النار ، إلى الله :

تفتحت أعـــين الدرارى
واستيقظت أنفس الليـــالى
وأفلت الحـــلم من عقـالى
فصـار يسعى إلى الجمـــال
فقم بنـا يا سمـــير نفسى
نقفو الأمـــانى إلى الكمال

فإذا وصل إلى نار إرم بعد طوال السعى ، قال :

تلك نار القرى والجياع الورى
من إليها سرى ما أراه يعود

وهذه النـار الرمزية نجدها عند إيليا أبى ماضى فى قصيدته (نار القرى) :

كيف الوصول إليك يا نار القرى
أنا فى الحضيض وأنت فى الجوزاء
لى ألف باصرة تحن كما ترى
لكن دونك ألف ألف غطاء
لو من ثرى مزقتها بيد الثرى
لـكنها سجف من الأضواء

والشاعر القروى غريب على الأرض لأن وطنه الحقيقى فى السماء :

ما البرازيل مهجرى
ليس لبنـان لى حمى
إن نفسى غريبة
تشتـكى البعد فيهما
أنا ما دمت فى الثرى
وبعيدا عن السما
نازح أشتـكى النوى
دأبى النوح والأنين

على أن فلسفة جبران ونعيمة بعد طول التأمل تتلخص فى وحدة الوجود وهى نزعة الفناء المطلق فى الله ، مصدر الوجود والكمال والخلود .

يقول جبران : « خيل إلى بالأمس أنى ذرة تتموج مرتجفة فى دائرة الحياة بغير انتظام ، واليوم أعرف أنى أنا الدائرة ، وأن الحياة بأسرها تتحرك فى بذرات منتظمة » وفى معنى :

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

نراه يقول : « إن أغمضت عينيك ، ونظرت فى أعماق أعماقك رأيت العالم بكلياته وجزئياته كل ما فى الوجود كائن فى باطنك » ، وهو الذى يقول :

يا نفس إن قال الجهول
الروح كالجسم تزول

قولى له : إن الزهور
تمضى ، ولكن البذور
تبقى ، وذا كنه الخلود

ويقول نعيمه : « كما أن فى بذرة الأرز تنطوى كل أسرار الأرزة الكبيرة التى ولدتها هكذا انطوت فيكم كل أمجاد القدرة التى بعثتكم من اللاوجود إلى الوجود ... » .

وهو يبتهل فى محراب الله بهذه الضراعة :

كحل اللهم عينى ـ بشعاع من ضياك ـ كى تراك
فى جميع الخلق ، فى دود القبور
فى نسور الجو ، فى موج البحار
فى صهاريج البرارى ، فى الزهور
فى الكلا ، فى التبر ، فى رمل القفار
فى سرير العرس ، فى نعش العظيم
فى يد المحسن ، فى كف البخيل
فى فؤاد الشيخ ، فى روح الصغير
فى ادعا الجاهل ، فى جهل الجهول
وافتح اللهم أذنى ـ كى تعى دوما نداك ـ من علاك
فى ثغاء الشاة ، فى زأر الأسود
فى نعيق البوم ، فى نوح الحمام
فى خرير الماء ، فى قصف الرعود
فى هدير البحر ، فى مر الغمام
واجعل اللهم قلبى ـ واحة . . م
تسقى القريب والغريب
ملؤها الإيمان ، أما غرسها
فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الإخلاص ، أما شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل

وما يزال فى محراب الله يؤدى هذه الصلاة الروحية ، ويرتل أناشيد الشوق إلى الكمال ، ويتغنى بالحب والخير فى ضراعة الناسك ، وابتهال المتعبد ، الذى يصبو إلى استجلاء الله فى ملكوته ، حتى يراه ويسمعه ويستشعره فى كل مظهر من مظاهر الطبيعة والوجود :

أخالقى رحماكا
بما برت يداكا
إن لم أكن صداكا
فصوت من أنا ؟
أبدل لظى نيرانى
بجمرة الإيمان
واجعل من الحنان
للحب مرهما
إذ ذاك بالتهليل
أسير فى سبيلى
وخالقى دليلى
ووجهتى السما

ويستغرق أمين الريحانى فى هذه المناجاة العميقة :

« يا ذا الجلال الأزلى ألحفنى بشىء من جلالك ـ ياذا النور الدائم ، أمددنى بقبس من نورك ـ ياذا القوة غير المتناهية ، ابعث منها قواى ـ إنى أفتح لك عقلى وقلبى ، فلا

تحرمنى فيض مكارمك ، ولا تبعدنى عن ينابيعك - أنت إلهى ولا إله لى سواك ».

أما رياض المعلوف فإنه يشهد عظمة الله فى كل آن ، ويرى نوره فى كل عين ، ويحس الوثيقه التى تربطه به :

فى كل آونة بعينى أشهد
عظمات ملكك كلها وأعدد
يا صاحب الملك الذى لا ينتهى
أبداً ، وسدته الملا والسرمد
بينى وبينك ألفة ومودة
أبداً تزيد ، ودائما تتجدد
يتخاصمون عليك فى صلواتهم
واخجلتاه وأنت أنت الأوحد
نورت أعيننا بأنوار الهدى
فإذا بهن مشاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شمعة
منذورة ، وبكل صدر معبد

وكثيراً ما كانت الطبيعة هى النافذة التى يطلون منها على ما وراءها من عوالم النور ، والمرآة التى يرون فيها جمال الله، والمحراب الذى يصلون له فيه ، والمعراج الذى يرقون به إليه. كما يقول شكر الله الجر :

همو يعبدون الله فى ثوب راهب
وأعبده بالنور والماء والزهر
وأعبده بالغصن يعطى ثماره
وأعبده بالبذر يثمر فى الصخر
وأعبده بالبحر والصبح والدجى
وأعبده بالشمس والنجم والبدر
أرى فى جمال الكائنات جماله
فأملأ نفسى من محاسنه الغر
وأشهد من موت الحياة خلوده
ففى الموت سر يربط المهد بالقبر

أجل . « وإن من شىء إلا يسبح بحمده »

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

هكذا يرى الله فى الطبيعة التى تمجده وتصلى له بلغتها :

فصلاة الطير فى الربـ
ـوة والسفح غناء
وشذا الزهر بخور
قد تعالى فى الهواء
هو فى الليل وفى الفجر
إذا فتحت جفنا
هو فى البرق وفى الرعد
إذا أرهفت أذنا
هو فى الأكوان مذ كا
نت ، وفينا منذ كنا

ويتجه نسيب عريضه إليه سبحانه تائبا مسترحما :

أيا من سناه اختفى
وراء حدود البشر
نسيتك يوم الصفا
فلا تنسنى فى الكدر
مراعيك خضر المنى
هى المشتهى سيدى
وجسمى دهاه العنا
حنانيك ، خذ بيدى

أما رشيد أيوب فإن قلبه يدق بهذه التسابيح فى ديوانه (أغانى الدراويش) ، ويحن إلى اللقاء الخالد :

خلق الرحمن هذى الكائنات
وحباها كل حب أزلى
ما ترى الأنجم ترنو غامزات
وهى لولا حبها لم تفعل
كلما شاهدت تلك النيرات
وجمال الله فيها ينجلى
دق قلبى دقة النائى الغريب
ذكر الأوطان والعهد القديم
دق يا قلبى فإن جاء الأوان
ودعانا الله من بعد الممات
سوف نحيا عنده طول الزمان
فلنا بعد الردى ألف حياة

هكذا نرى ومضات التصوف الروحى ، والإشراق النفسى ، فى أدب المهاجرين الذى يمتاز فى جملته بالهمس الرهيف ، والشفافية الروحية ، ومخاطبة الأرواح قبل الآذان ، ومناجاة المشاعر قبل الأسماع ؟

حسين جاد

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

الأنعام ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤

بين يدى الله

للدكتورة عاتكة الخزرجي
الأستاذة بجامعة بغداد

أحبك لو صح أن الهوى ... ترجمه أحرف أو معان
أحبك للحب لو أعربت ... عن الحب قافية أو بيان
إخال الهوى فوق ما فى اللغى ... أو ان اللغى دون ما فى الجنان
أحبك رباه فوق الهوى ... أيا من به كنت والحب كان . .

* * *

وسبحت باسمك يا خالق ... وأبصرت وجهك آنا فآن
ولحت لعينى فى كل حسن ... فلله عيناى ما تجلوان
جمالك يارب عم الوجود ... فليس لقبح به من مكان
أحس به فى فؤادى هوى ... يعم الورى بين قاص ودان
أحب بك الخلق يا خالق ... وحوشاً وطيراً وإنساً وجان
أحب بك الكون يا فاطرى ... سماء وأرضا وما تحويان
عرفت بك الحب . أنت الهوى ... وفيك القصيد ومنك البيان
تباركت أنت بقلبي المنى ... وبالروح أنت الهدى والأمان
عشقتك يارب عشق الذليل ... لمولى جليل عزيز المكان
وكم عند بابك طال الوقوف ... وطاب لديك الهوى والهوان
وأنت جميل تحب الجمال ... فأنى تجليت كان افتتان
فوجهك قبلتنا فى الصلاة ... وذكرك تسبيحنا كل آن
إلهى كيف شغلت الفؤاد ... وكيف امتلكت على الكيان

وكيف تلاشت رؤى عالمى فما من زمان ولا من مكان
جمالك يارب قد حف بى تباركت يا واحداً دون ثان
أراك أمامى وخلفى وعن شمالى ويمناى رؤيا عيان
تكشف لى عن سناك النقاب فتجلى معان وتخفى معان
وأعنو لوجهك أشتفه فيعشى لـلألائه الناظران
سقيت بحبك يا خالق من الشعر كأساً بها نشوتان
فصرت من الأرض فى جنة غذاها الهوى ورواها الحنان
وفيها من الحسن روح وراح وفى كرمة الحب كأس وحان
تشف لنا ملء أثوابها عن الحور فى الغانيات الحسان
وحواء تلتج بها آدماً تخطى المدى وتحدى الزمان
كطيف رقيق وئيد الخطى تسرب فى خفة الأفعوان
أحواء: ما أنت من آدم ولا آدم بعض هذا الكيان
فما أنت إلا ابتسام الوجود وسر الخلود بصدر الزمان
تباركت صنع قدير صناع برانا فكنت وكنا وكان..

* * *

أحبك لو صح أن الهوى تترجمه أحرف أو معان
أحبك للحب لو أعربت عن الحب قافية أو بيان
إخال الهوى فوق ما فى اللغى أو ان اللغى دون ما فى الجنان
أحبك رباه فوق الهوى أيا من به كنت والحب كان..

الدكتورة عاتكة الخزرجى
كلية التربية ـ جامعة بغداد

حول مشروع قانون الأحوال الشخصية

للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ ــ تطلع الكثيرون ــ بعد توحيد جهات القضاء فى مصر ــ إلى توحيد القواعد القانونية التى تطبق على المصريين فى مسائل الأحوال الشخصية عن طريق تقنين قواعد الشريعة الإسلامية وقواعد الشريعتين المسيحية واليهودية بهذا الصدد . وكان من الحجج التى تساق تأييداً لفكرة توحيد هذه القواعد أن من شأن وجود قاعدة واحدة تطبق على المصريين توحيد النظام الاجتماعى فى مصر والقانون رباط من أهم روابط القومية ، كذلك من شأن هذا التوحيد تحقيق عدل أوفى بين المصريين فى حكم علاقاتهم العائلية إذ يتساوى الجميع أمام قاعدة واحدة.

وقد شكلت الحكومة عدة لجان لوضع تشريع موحد فى الأحوال الشخصية ، وانتهت اللجان إلى وضع تشريع للمسلمين وآخر لغير المسلمين ! ولا يترتب على هذا الاتجاه توحيد النظام القانونى فى العلاقات العائلية فى مصر بقدر ما يسعى هذا الاتجاه إلى جمع طوائف النصارى واليهود فى مصر على قاعدة واحدة فى علاقاتهم العائلية .

٢ ــ وعند تقنين قواعد الشرائع الدينية رأى البعض أن قانون الأحوال الشخصية ينبغى أن يقوم على الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية فحسب دون أن يتأثر بالعقيدة الدينية ، وهذا الرأى يقصر عن فهم رسالة الدين على وجهها الصحيح ، فضلا عن إغفاله للواقع الاجتماعى فى مصر ، ذلك أنه إذا كان من السهل أن نضع قانوناً مدنياً ينظم علاقات المواطنين العائلية فإن الواقع الاجتماعى فى مصر يفرض على هذا القانون تقدير مشاعر الناس الدينية . والناس فى هذه المشاعر على حق ؛ ذلك أن اقتران الذكر بالأنثى يستتبع فى الغالب خلق إنسان ، والله وحده هو الذى يخلق البشر ويجعله نسباً وصهراً ، فوجب الرجوع إلى القواعد الدينية التى شرعها الخالق سبحانه لنتبين سننه الإلهية فيما يكون نسبا وما يكون صهرا وما يكون غير ذلك ، فنعرف الحلال من الحرام فى الزواج ، ومتى تطهر الأرحام ، ثم ننظم علاقاتنا الاجتماعية على أساس هذه السنن الإلهية فيتفق التنظيم القانونى مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها . إن القانون وحده لا يستطيع أن يخلق تلك العواطف الجياشة بين الأب وبنيه مهما فرض على الأب والأبناء من التزامات ، ولا يملك التحكم فى هذه العواطف سوى الله عز وجل ، فوجب الرجوع الى القواعد التى على أساسها نعرف

الأبناء الشرعيين من أبناء السفاح، ولا يتسنى ذلك بغير الرجوع إلى قواعد الأديان.

٣ — غير أننا إذا رجعنا إلى قواعد الأديان المعترف بها فى مصر وجدنا أنه من المستحيل أن نصل إلى قانون واحد تتفق قواعده مع جميع العقائد الدينية المعترف بها فى مصر؛ فالإسلام واليهودية مثلا يبيحان للرجل أن يعدد زوجاته، كما يقران الرجل على طلاقه لزوجته بعبارته، وكانت المسيحية قريبة من ذلك فى أوائل عهدها ثم اختطت الكنائس المسيحية لتابعيها خطا يحرم فيه على المسيحى أن يعدد زوجاته أو أن يطلق زوجته بعبارته، بل ذهبت الكنائس الكاثوليكية إلى تحريم الطلاق والتطليق تحريما باتا مهما كانت أسباب الشقاق، كذلك يحرم الروم الأرثوذكس على أنفسهم الزواج للمرة الرابعة ويعتبرونه زنا، بينما يقر الأقباط الأرثوذكس هذا الزواج ويعتبرونه حلالا، ونجد الطوائف الكاثوليكية تحرم زواج المطلقة وتعتبره زنا، بينما يبيح الأقباط الأرثوذكس زواجها، وفرق شاسع بين الزنا والزواج وهكذا نجد خلافات واسعة المدى، ليس بين الملل فحسب بل وبين طوائف الملة الواحدة.

٤ — كيف يتسنى للمشرع مع اختلاف القواعد الدينية وكفالة حرية العقيدة فى مصر، توحيد القاعدة التشريعية بين المواطنين بما يستتبعه ذلك من ضمان للعدالة بينهم.

قد يبدو الأمر معادلة صعبة، ولكننا نرى الحل فى القرآن الكريم حيث قال الله تعالى فيه: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقا لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه؛ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون».

وخلاصة هذا الحل القرآنى هو ما تواضع عليه جمهور الفقهاء المسلمين من قواعد بشأن

القضاء بين المسلمين وغير المسلمين فى دار الإسلام ، وأهم هذه القواعد هى :

(ا) أن الشريعة الإسلامية واجبة التطبيق فى مصر على جميع المواطنين ـ مسلمين وغير مسلمين ـ باعتبارها الشريعة العامة فى الأحوال الشخصية وشريعة أغلبية المواطنين ، فهى الشريعة المهيمنة على ما عداها من الشرائع فى دار الإسلام .

(ب) أن لأهل الذمة أن يتناكحوا وفقا لشرائعهم الخاصة فلا تفرض عليهم قاعدة معينة فى علاقاتهم العائلية غير ما يعتقدون صحته إلا إذا احتكموا إلينا ، وعندئذ تطبق عليهم الشريعة الإسلامية .

وفى ترك أهل الذمة وما يدينون ضمان لحرية العقيدة ، وفى تطبيق الشريعة الإسلامية عليهم وعلى غيرهم عند الاحتكام إلى القضاء ضمان لتوحيد القاعدة التشريعية وضمان للعدالة بين المواطنين بتطبيق قاعدة تشريعية واحدة هى قاعدة الأغلبية التى يجب أن يتساوى أمامها جميع المواطنين وترك أهل الذمة وما يدينون لا يعنى أن تتنازل الشريعة الإسلامية عن سيادتها فى دار الإسلام ؛ فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه « والأصل فى الشريعة الإسلامية هو العموم فى حق الناس كافة ، إلا أنه تعذر تنفيذها فى دار الحرب لعدم الولاية وأمكن تنفيذها فى دار الإسلام فلزم التنفيذ فيها » .

٥ ـ بقى ـ فى هذه الكلمة ـ أن نأخذ على الفقه المصرى استعماله لاصطلاح الأحوال الشخصية أخذا عن ترجمته فى الفقه الأجنبى Statut personnel دون البحث عن اصطلاح آخر محدد وواضح المعنى ؛ وقد قلنا فى مذكرات لنا لدبلوم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون : إن هذا الاصطلاح نشأ فى إيطاليا فى القرن الثانى عشر الميلادى ، واستحال على الفقهاء فى العالم تعريفه تعريفا جامعا مانعا ، وإذا كان هذا الاصطلاح نشأ فى بيئة غير بيئتنا وفى ظروف خاصة وقديمة فلماذا نتقيد به ، خصوصاً وأنه غير محدد المعنى ؟ ألا ينبغى علينا أن نلتفت عن هذا الاصطلاح ونأخذ مصطلحاتنا من لغتنا العربية واللسان العربى لا عوج فيه ؟ إن علينا واجبا دينيا وقوميا يقتضى أن نحدد مصطلحاتنا من شرائعنا ولغتنا ، وبصفة خاصة من الشريعة الإسلامية واللغة العربية ، وليس لازما فى إقامة صرح القانون المصرى العربى أن تكون مصطلحاته متفقة مع معانى المصطلحات الأجنبية ، وليس من المقبول أن نبحث عن مصطلح عربى نقده على جسم أوربى يدعوه الفقه الأجنبى بالأحوال الشخصية ، بل المعقول أن نأتى بمصطلحات عربية تعبر عن معان واضحة فى أذهاننا ، وليكن هذا المصطلح الجديد : « علاقات العائلة » أو « علاقات الأسرة » والله ولى التوفيق ؟

عبد الناصر توفيق العطار

البطل والميدان فى رسالات الله

للأستاذ اسماعيل حمدى

لكل دعوة بطل . والدعوات شتى ، سواء فى مصادرها أو فى مراميها . وقد عرف القدماء والمحدثون ـ بالتجربة أحياناً . وبالدراسة أحياناً أخر أنماطاً من الدعوات أضاءت جوانب نفوسهم . وأنماطاً أخر انتكست بها آمالهم ، فلم يصيبوا منها سوى العبرة التى تعقب الخيبة ، وضرورة النهوض بعد العثار والسقوط .

ولكل بطل ميدان ، حدوده هى حدود الدعوة سعة أو ضيقا ، وطبيعته هى طبيعة الأسلوب الذى تحدده غاياتها ، ونوع التربية فى البطل نفسه ، وعناصر البيئة التى يتحرك فيها ويسعى .

ورسالات الله طراز وحدها ، فإن مغرسها فى الأرض ، ولكن بذورها المباركة جاءت من السماء ، وكل قطف يجنى من غرسها الطيب ، إنما هو رزق مباح وعطاء متاح لكل إنسان .

والبطل فى كل رسالة من رسالات الله إنسان مختار ، يتلقى التكليف بمهمته الكبرى بعد أن يبلغ المدى فى إعداده وتربيته ، فينهض لها فى شهامة البطل الذى يتجرد أول ما يتجرد من حظ نفسه سمعاً ، وطاعة ، وإسلاماً لله .

والميدان الذى خاضه رسول كإبراهيم غير الميدان الذى خاضه سلفه نوح وكذلك الأمر فى عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإن كانوا جميعاً لا يفوتهم أن يتعاقبوا حركة وإلحاحا على مواقع مشتركة تتلاقى فيها جهودهم ثم تتفرق فيما سواها .

والاتصال بالتراث العظيم لرسل الله هو أولا حاجة من حاجات هذا العصر الذى تباعدت فيه المسافة بين النمو المادى الذى يحققه العلم والنمو الروحى الذى تعجز الآداب والفنون عن تعويضه ولا تصلح وحدها بديلا عن مصدره الغنى الوافر الحياة ، الشديد الخصب .

إلى جانب هذه الحاجة العصرية التى تحسها الجماعات فى أرجاء العالم المتحضر ، ندرك نحن فى هذا الشرق أن الاتصال بهذا التراث هو ثانياً حاجة من حاجاتنا الراهنة ، فإن حياتنا التى بدأت تخلص لنا منذ جلاء العدو عنا قد تراكمت تبعاتها وباتت تتطلب منا قوة نفسية وطاقة روحية لا تتهيأ إلا للذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، ولا تتاح إلا بالاتصال الدائم

بتراث النبوات ، لا لمجرد المعرفة أو مجرد الثقافة ، بل للتمثل والاستمداد والتربية .

فإذا أضفنا إلى ذلك أننا ـ تاريخيا ـ أصحاب هذا التراث والأمناء عليه ، وأننا أصحاب خبرة فى الانتفاع به ، أصبح موقفنا منه أكثر دقة وحساسية ... فهو موقف أخلاقى بحت .

ولكى نتبين عظمة هذا التراث نعيد استكشاف الحدود المترامية لميادين الخدمة الإنسانية فى رسالات الأنبياء ، وما فيها من عزائم الحق ، وبينات الهدى ، ولن يتضح لنا هذا الاستكشاف إلا بأن نبدأ من البداية فنطرح سؤالا فطرياً بحتاً .. هو : لأية حكمة ، ولأى قصد ، خلق الله الإنسان . ووهبه قواه المختلفة ، وخصائصه العديدة ؟

.. لامناص فى تعرف حكمة الله من الرجوع إلى كلامه ذاته ، فى كتابه .. فماذا قال : ؟

« إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » .

« هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها »

« إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوكم أيكم أحسن عملا » .

« إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » .

.. من التطلع إلى هذه النصوص نتبين هذه الحقائق :

الإنسان خليفة الله .

الخلافة لاتكون إلا بالارتفاع إلى مستوى من الحياة لائق بشرف هذه الدرجة . .

هذا الارتفاع ـ ككل محاولات الصعود ـ شاق يتطلب مغالبة صعوبات واقتحام عقبات.

إذن فهو الدخول فى صراع متصل تحتدم فيه عناصر لابد منها ليصبح جداً لاهزل فيه.

ويتمثل هذا الصراع فى ميدانين أساسيين: النفس وما تضطرم به من تناقض بين الضمير وأخلاقياته من جانب ، والغرائز واندفاعاتها من جانب آخر . ثم ميدان الطبيعة بين الإنسان نفسه والقوى التى يعالجها للحصول على رزقه ، وامتلاك مقومات حياته . وتوطيد سيادته .

والانتصار فى كلا الميدانين رهن بحرصه دائما على توخى الحق فى اعتقاده . والخير فى سعيه .

.. والله عز وجل قد أسعفه فى مراحل تاريخه الطويل بالمعلمين الكبار ، والقادة العظام ، وهم الأنبياء والرسل مزودين ببرامج كاملة ، وافية بحاجته ليصمد فى صراعه فيحيا الحياة التى يتقدس فيها الحق كقيمة عليا ، ويبغى فيها الخير كغاية قصوى ، وتتم بها الصورة اللائقة بخلافته عن الله ، فى الأرض .

.. هذا جواب مجمل عن السؤال الفطرى الآنف الذكر .

.. لكن التفاصيل لابد منها لنخرج بالقارىء من الدائرة المحدودة لهذا الإجمال، فلنتوسع إذن فى نفس السؤال لنطرحه بصيغة أخرى :

.. إذا كان الإنسان ، والحياة جملة ، ليسا لعبة من اللعب العابثة ، أو المحزنة — كما يجترىء على أن يقول ذلك العدميون ، والمتشائمون — وإنما الأمر فى خلق هذا الإنسان وبسط مجالات الحياة له هو أمر الحكمة الإلهية الرامية إلى إخراج كائن ممتاز صاعد بهداية السماء وقيادة الرسل إلى ذروة بعد أخرى فى سلم الكرامة والشرف والكمال — فماذا عند الرسل من ذرائع النهوض به . وأسباب الوقاية له من التعثر والانهيار ؟

لنرجع مرة أخرى إلى القرآن الكريم ، ولنبدأ بأقدم نبي معروف ، وهو شيخ الأنبياء نوح عليه الصلاة والسلام .

لنقرأ فى سورة هود هذه الآيات :

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . إنى لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا إلا الله . إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » .

وقبل أن ننتقل إلى الآية التالية يحسن أن ننبه إلى ما تنطوى عليه صفة الإنذار من عاطفة المحبة والإشفاق ؛ فإن الذى ينذر قوماً ، هو رجل يبصر خطراً يلوح . وهو - محبة وإشفاقا - ينذرهم باقتراب الخطر ليتقوه ، ومن ثم لايسبق إلى الظن أن مدلول الإنذار يقترن بأى معنى من معانى الجفوة أو الغلظة أو الإرهاب .

... ولنقرأ بعد هذا :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه : مانراك إلا بشراً مثلنا ، ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » .

... نحن واجدون أنفسنا ، ونحن نقرأ هذه الآية ، أمام الظاهرة السوداء المشهورة ،وهى: الكفر بالله ، فى أى صورة كان إلحاداً وجحوداً ، أو شركا وافتراء ، وإذا كان الإيمان بالله هو الموقف الفكرى السليم ، والضرورى أيضاً ، للإنسان ، لتستقيم العلاقة بينه وبين ربه العظيم ، ثم لتستقيم العلاقة بينه وبين كل أحد ، وكل شىء ، كنتيجة لذلك ؛ - فإن الكفر هو الموقف العقلى المريض بأوهام الخرافة ، وخدع الكهانة ، ورواسب التقليد ، تفسد به تلك العلاقة ثم يتورط الإنسان فى نتائج هذا الفساد ، وهى كثيرة ، حتى لتمس أبعد الأطراف فى حياته .

... يعالج نوح هذه الظاهرة أولا ، إذ النجاح فى تحرير العقل من ذلك المرض الخبيث . . الخضوع للخرافة . . الاستسلام للكهانة ... الجمود والتقليد ... الكسل فى التفكير أمام أخطر القضايا على الإطلاق .

نعم فالنجاح فى استنقاذ العقول من هذا كله هو نجاح فى إطلاق قواها من أسر أكيد ، وشلل مميت .

... ونحن أيضاً ـ فى كلتا الآيتين ـ تجاه ظاهرة أخرى شديدة الفتك بالبناء الاجتماعى للأمة ، إذا كانت الظاهرة الأولى شديدة الفتك بالبناء الفكرى للفرد ، فما هى الظاهرة الأخرى ؟

إنها الطبقية التى لا تقوم على تفاوت الصفات الفطرية البحتة ، بل تقوم على أسناد أخرى باطلة ، كالقوة أو الثروة أو العصبية أو الامتيازات المنتحلة ، يوضح هذا تعبير له مغزى وهو : « الملأ الذين كفروا » ولا ريب أنهم جماعة تربطهم مصالح مشبوهة خاصة ، تتوفر ضماناتها فى الوضع القائم الذى يحاول نوح المساس به ، وقد جاء هذا التعبير بصيغة ظاهرة الدلالة فى سور أخرى من الكتاب العزيز : « الملأ الذين استكبروا » ، وتزداد هذه الدلالة ظهوراً ، وتكشف عن طبيعة النزعة التى تملى على تلك الجماعة موقفها إذا التفتنا إلى تلك الكلمة التى اختارها هؤلاء السادة وصفاً لجمهور المؤمنين بدعوة نوح . وما تنضح به تلك الكلمة من أدب وضيع يفضح النسب الرفيع ! « ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » .

... وتشتد هذه الطبقية حتى تستحيل إلى ما يشبه العبودية ، كما يزيد الأمر عن حده فينقلب إلى ضده ، فهؤلاء المتعالون لا يستمعون لدعوة رجل ليس من طبقتهم ، فضلا عن أن يكون من طبقة تعلوهم ، ولو أنه يحرز امتيازاً من هذا النوع ، إذن لما كان ضير فى أن يستمعوا إليه ، هم إذن سادة ! ولكن على من دونهم ، وهم عبيد لمن فوقهم !! أما النظر الموضوعى للرسالة نفسها ، والتمييز بين أوضاعهم المنذرة بالخطر ، والأوضاع الجديدة التى يدعوهم إليها ـ فهذا شىء لا يتكلفونه أبداً ، ولا تتسع له أوقاتهم ، فالأوقات للشهوات ، حكمة فى قاموس المترفين !

لا عجب أن يصدر الحكم على نوح والمؤمنين برسالته ، وفى سرعة مضحكة : « بل نظنكم كاذبين » !

ولا ريب أن الإضراب الذى يعنيه الحرف اللغوى « بل » ليس عن الحوار فقط ، بل عن التفكير إطلاقاً !

لا نستطيع أن نتابع القراءة لكل الآيات التى تعرض صور هذا الكفاح النبوى والإنسانى ، فنقتطف بعضها مضطرين حتى لا يطول الاستطراد :

« يا قوم لا أسألكم عليه مالا . إن أجرى إلا على الله . وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم . ولكنى أراكم قوماً تجهلون » .

يقدم نوح إلى قومه فاصلا واضحاً بين عمله وعمل الكهان ، بين تجرده عن شبهات الانتفاع ، وبين انغماس الكهان فى البيئات الوثنية فى التجارة بالطقوس واصطياد القرابين والهدايا والنذور والعشور ، بين انبعاثه عن أمر الله والتزامه بأمانات الحق وحرمات الدين ، وبين احترافهم لتلك التجارة المزرية .

لو تأملوا تلك العلامة الفاصلة بين عمل الأنبياء وعمل الكهنة ، لأدركوا أن شيئاً لا يضعه صاحبه فى مستوى المساومة . ويعلو به على لغة البيع والشراء ، هو شىء ذو قيمة فوق قيمة السلعة التى تستهلك ، والبضاعة التى تؤخذ وترد ، لأنه الحق ، وبه قامت السموات والأرض .

ثم ماهذا الاقتراح الخبيث؟ طرد المؤمنين ! يدعون كذباً وخبثاً أنهم فى انتظار قبوله لهذا الاقتراح معتزمون قبول الاستماع إليه ، وهم إنما يرمون إلى فض جماعته المؤمنة المتماسكة ، وبيده هو ، حتى يكون هو الذى يهدم رسالته ، ويجنى على نفسه ، لكن نوحاً لا يقدم على هذا وهو من دعاة التحرير الذين تتجه حملاتهم إلى هدم نظام تفتقد فيه المساواة الواجبة ، وتمزقه الطبقية الجائرة .

ويطول أمد الكفاح فى حياة نبى الله ، وقد استطالت كثيراً ، ولا يدع وسيلة للبلاغ الواضح إلا ابتغاها ، حتى جاءت ساعة الفصل بينه وبين قومه إحقاقاً للحق ، وإبطالا للباطل ، وإعمالا لسنة الله التى لا تتبدل فى عقبى الصراع بين قوى الخير والشر « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

والقارىء للسورة التى تحمل اسم هذا النبى العظيم يقرأ مثلا :

« قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً . فلم يزدهم دعائى إلا فرارا . وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهارا . ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

والاستغفار المطلوب هنا ليس من البساطة كما يبدو ، فهو لا يكون إلا من إنسان انفصل تماماً عن بيئة ضالة ، وبرىء من ماض مجلل بالسواد ، إسلاماً لله ، وقبولا لما يدعو إليه .

وإن الانتظام فى وضع جديد تتم فيه الحرية العقلية ، ثم تتم فيه المساواة والعدل الاجتماعى ، فتتضامن القوى ، وتلتقى المقاصد ، وتتوحد الغايات ، وتنطلق الحركة بقوة الأمة لا بقوة

أدب الكدية

للأستاذ محمد كامل الفقى

— ٢ —

عقد البيهقى فصلا جعل عنوانه : (أصناف المكدين وأفعالهم) قال فيه : (منهم المكى وهو الذى يأتيك وعليه سراويل واسع دبيقى أو نرسى وفيه تكة أرمنية قد شدها إلى عنقه فيأتى المسجد، فيقول: أنا من مدينة مصر ابن فلان التاجر ، وجهنى أبى إلى مرو فى تجارة ومعى متاع بعشرة آلاف درهم ، فقطع على الطريق ، وتركت على هذه الحال ، ولست أحسن صناعة ، ولا معى بضاعة . وأنا ابن نعمة..) .

ومنهم السحرى الذى يبكر إلى المساجد من قبل أن يؤذن المؤذن ، والشجوى الذى كان يؤثر فى يده اليمنى ورجليه حتى يرى الناس أنه كان مقيدا مغلولا ويأخذ بيده تكة فينسجها يوهمك أنه من الخلدية وقد حبس فى المطبق خمسين سنة .

ومنهم الذرارحى الذى يأخذ الذراريح [١]

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الطبقة ، يحقق من الثمرات والرخاء المادى ما لا يحققه وضع قديم مريض ، من هنا كانت الإشارة العملية فى قول نوح : « ويمددكم بأموال وبنين . ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » .

والقوى الشريرة التى اعترضت آمال تلك الدعوة العظيمة ، هى هى القوى التى يحركها الغرض والمرض ، ولا تستقبل وحى الله ، ولا فكرة الناس ، بسلامة صدور ، وبشاشة وجوه ، وتمعن إلى آخر المدى فى صد البرءاء عن سبيل الله ، حتى لينكب بها أعز الناس عليها وأقربهم إليها ، حتى لا مناص من أن يخلو منها وجه الأرض ، فلا يمتد عرقها فى سلالات بريئة ، وتلحق عدواها بأجيال لاحقة ، « إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » .

نكتفى بهذا النموذج من نضال أقدم الأبطال نوح صلوات الله عليه ، لننتقل إلى بطل آخر قد اتسعت مسافة الزمن بينه وبينه ، ومع ذلك فإن أحدهما من الآخر ، فجبهة الكفاح واحدة ، ولا حساب للزمن بينهما « وإن من شيعته لإبراهيم » ؟

اسماعيل مظهر

(١) الذراح كتفاح والذروح كسبوح دويبة حمراء منقطة بسواد وهى من السموم والجمع ذراريح .

فيشدها فى موضع من جسده من أول الليل ويبيت عليه ليلته حتى يتنفط فيخرج بالغداة عريان ، وقد تنفط [١] ذلك الموضع ، وصار فيه القيح الأصفر ، ويصب على ظهره قليلا من الرماد ، فيوهم الناس أنه محترق .

ومنهم الخاقانى الذى يحتال فى وجهه حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك ويسوده بالصبر والمداد، ويوهمك أنه ورم وزكيم للمغالطة.

ومنهم السكوت الذى يوهمك أنه لا يحسن أن يتكلم .

ومنهم الكاك وهو الذى يواضع القاص من أول الليل على أن يعطيه النصف أو الثلث فيتركه حتى إذا فرغ من الأخذ لنفسه اندفع هو فتكلم .

ومنهم المفلفل ، الرفيقان يترافقان ، فإذا دخلا مدينة قصدا أنبل مجد فيها ، فيقوم أحدهم [٢] فى أول الصف ، فإذا سلم الإمام صاح الذى كان فى آخر الصف بالذى فى أول الصف : يا فلان ، قل لهم ، فيقول الآخر: قل لهم أنت . . . فيقول : قل ويحك ولا تستح ، فلا يزالون (كذا) كذلك وقد علقا قلوب الناس ينتظرون ما يكون منهما ، فإذا علما أنهما علقا القلوب ، تكلما بحوائجهما ، وقالا : نحن شريكان ، وكان معنا أحمال بز كنا حملناها من فسطاط مصر نريد العراق ، فقطع علينا ، وقد بقينا على هذه الحال لانحسن أن نسأل ، وليست هذه صناعتنا. فيوهمان الناس أنهما قد ماتا من الحياء ..

ومنهم زكيم الحبشة الذى يأتيك وعليه دراعة صوف مضربة مشقوقة من خلف وقدام وعليه خف ثغرى بلا سراويل يتشبه بالغزاة .

ومنهم زكيم المرحومة المكافيف ، يجتمعون خمسة وستة وأقل وأكثر ، وقائدهم يبصر أدنى شىء ، عينه مثل عين الخفاش ، يقال له الأسطيل ، يدعو وهم يؤمنون .

ومنهم الكاغانى الذى يتجنن أو يتصارع ويزيد حتى لا يشك أحد فى جنونه ، وأنه لا دواء له لشدة ما نزل به .

ومنهم القرسى وهو الذى يعصب ساقيه أو ذراعيه عصبا شديدا ، ويبيت على ذلك ليلة ، فإذا تورم واحتقن فيه الدم مسحه بشىء من صابون ودم الأخوين وقطر عليه من سمن البقر وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه فلا يشك من رآه أنه إكلة [١] نعوذ بالله منها ...

ومنهم المشعب الذى يحتال للصبى حين يولد بأن يزمنه أو يعميه ليسأل به الناس، وربما

---

(١) نفط كفرح ، ونفطت الكف ، وأنفطها العمل . ونفط ينفط غضب أو احترق غضبا كتنفط .

(٢) كذا فى الكتاب ولعل الصواب أحدهما

(١) الإكلة بالكسر ويثلث الحكة ، والآكلة كفرحة داء فى العضو يأتكل منه .

جاءت أمه أو يجيء أبوه فيتولى ذلك ، فإما أن يكسبا به أو يكرياه ، فإن كان عنده ثقة ، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلا .

ومنهم الأسطيل وهو المتعامى الذى إن شاء أراك أنه أعمى ، وإن شاء أراك أنه ممن نزل فى عينه الماء ، وإن شاء أراك أنه لا يبصر .

ومنهم المزيدى وهو الذى يدور ومعه دريهمات يقول : هذه دريهمات قد جمعت لى فى ثمن قطيفة فزيدونى فيها رحمكم الله .

ومنهم المستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة فى ثياب صالحة يريك أنه يستحى من المسألة ويخاف أن يراه معرفة فيعرض لك اعتراضا ، ويكلمك خفتا .

* * *

ذلك ما ذكره البيهقى فى أصناف المكدين وأفعالهم ، وفى ضروب القائمين على هذا الضرب من الحياة ، وما يتعاطونه من حيل وأساليب ، وقد طوينا بعض الحديث عن فئات منهم لم تتورع عن سلوك مبتذل ، وافتنان رخيص .

وما يهم الأدب فى شيء أن يخوض فى الحديث عن المكدين ، كقوم يأكلون من هذه المهنة النازلة ، ويقتاتون بما يخترعونه من تصرف جل أو هان ، إلا أن ذلك فى تاريخ الكدية ، والكدية باب من أوسع أبواب الأدب ، وأفسح رحابه ، والتعويل أعظم التعويل على أثر الكدية فى الأدب نثره وشعره ، وما ابتدعه خيال المكدين أدباء وشعراء فى هذا الباب وهو فن خصب وممتع حقا ، وسيجيء موضع ذلك فى البحث إن شاء الله .

طرف من نوادرهم :

هذا وقد ذكر البيهقى بعضا من طرقهم ، وساق فيضا من نوادرهم ، وهى من غير شك على جودة السبك ، وحسن الصوغ ، تبدد السأم ، وتذهب بالكلال ، ففيما تحدث به : أنه أتى سائل داراً يسأل منها ، فأشرفت عليه امرأة من الغرفة ، فقال لها : يا أمة الله . لله أن تصدقى على بشيء . قالت: أى شيء تريد؟ قال: درهما. قالت: ليس، قال: فدانقا . قالت: ليس. قال: ففلسا ، قالت: ليس. قال: فكسوة قالت: ليس . قال: فكفا من دقيق . قالت: ليس . قال: فزيت . حتى عد كل شيء يكون فى البيت وهى تقول: ليس، فقال لها : يازانية فما يجلسك ؟ مرى تصدقى معى .

ومما يحسن الإشارة إليه ، أن الطرف التى رواها البيهقى للمكدين ليست ترجع فى تاريخها إلى عصر الكدية الذى نمت فيه وترعرعت وهو عصر العباسيين ، حين دعا الغبن الاجتماعى وتفاوت الطبقات إلى قيام فئة من الناس تزاول هذه المهنة وهى أدب الكدية أو أدب الساسانيين :

فالطرفة التى مر بك الحديث عنها غفل من تاريخ معلوم ، وليس لها من القرائن ما ينسبها إلى فترة من الأعصر خاصة .

وبعض النوادر التى رواها البيهقى جاءت منسوبة للأصمعى ، إذ قال الأصمعى : وقفت على سائل بالمربد وهو يقول :

قد رهنت القصاع من شهوة الخبز

يقول الأصمعى : فقلت له: أتممه . فقال: أتممه أنت . فقلت :

فمن لى بمن يفك القصاعا

فقال : أضم له بيتاً فقلت :

ما رهنت القصاع يا قوم حتى
خفت والله أن أموت ضياعا

فقال: أنت والله أحوج إلى المسألة وأحق بها منى .

وفى البيهقى كذلك أن الأصمعى قال : أتى سائل من الأعراب إلى بنى عبدالعزيز بن مروان فقال: أتت علينا سنون لم تبق زرعا حصيداً، ولا مالا تليداً إلا اجتاحته بزوبره(١) وأصله وأنتم أئمة أملى ، وقصد ثقتى . فلم يعطوه شيئا . فقال :

بنو عبد العزيز إذا أرادوا
سماحا لم يلق بهم السماح
لهم عن كل مكرمة حجاب
فقد تركوا المكارم واستراحوا

وفى البيهقى كذلك يروى الأصمعى: أن (أزهر السمان) دخل على المنصور ، فشكا إليه الحاجة وسوء الحال ، فأمر له بألف درهم وقال : يا أزهر ، لاتأتنا فى حاجة أبداً ، قال: أفعل يا أمير المؤمنين، فلما كان بعد قليل عاد فقال له : يا أزهر: ماحاجتك ؟ قال : جئت لأدعو لأمير المؤمنين ، قال : بل أتيتنا لمثل ما أتيت به فى المرة الأولى . فأمر له بألف درهم وقال : يا أزهر: لا تأتنا ثالثة فلاحاجة لنا فى دعائك . قال : نعم ، ثم لم يلبث أن عاد فقال: يا أزهر:ماجاء بك؟ قال : دعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك . فقال : لا ترده فإنه غير مستجاب ، وقد دعوت به الله عز وجل أن يريحنى من خلقتك فلم يفعل.

ثم يقول صاحب المحاسن والمساوىء: إن ممن سأل الخلفاء أيضا ربيعة بن ربيعة ، ذكروا أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال : يا أمير المؤمنين، زوجنى بعض بناتك فقال: شغلناهن بأكفائهن . قال: فولنى شرطة البصرة . قال : قد وليتها من كفانا .

قال: فهب لى قطيفة قال : أما هذا فنعم .

ثم يقول البيهقى : إن من هؤلاء أبا دلامة ، دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين : تأمر لى بكلب صيد . قال:أعطوه . قال كلب بلا صقر ؟ قال: أعطوه صقرا ، قال : كلب وصقر بلا بازبان.قال: أعطوه غلاما بازبانا.

---

(١) أخذ بزوبره أى أجمع .

قال: فلا بد لهم من دار ، قال : أعطوه داراً . قال : فمن أى شىء يعيشون؟ قال قد أقطعتك أربعمائة جريب منها مائة جريب عامر . ومائتان غامر. قال: وما الغامر؟ قال: الخراب قال : فأنا أقطعتك أربعة آلاف جريب بالدهناء[١]. قال : فقد جعلتها كلها عامرة فهل بقى لك شىء؟ قال: نعم، تدعنى أقبل يدك . قال: ليس إلى ذلك سبيل . فقال : ما منعتنى شيئا أهون على عيالى من هذا .

ويمضى البيهقى فيذكر فيضا من هذه الطرائف المنسوبة إلى أهل الكدية ، ومن خلالها تبين أنها تنسب إلى من عاصر بنى عبدالعزيز بن مروان والمنصور ممن لم تكن الكدية فى عهدهم قد بلغت أوجها وراجت سوقها . ولكنها طرائف اعتمدت على أساليب شهية كانت نواة لهذا الفن الذى بلغ فحولته بعد ، وبخاصة حين صار من مقومات المقامات ، أو حين ـ ارت المقامات من مقوماته .

ولا يخالجنا شك فى أن الكدية كانت كسائر الفنون والآداب نواة نمت مع الزمن والملابسات، فإنها وليدة الغبن، وهبة الحاجة، والغبن والحاجة موغلان فى القدم . وسنعرف فيما بعد كيف وجد شعر الصعاليك ! !

محمد كامل الفقى

(١) الجريب المزرعة .

فصاحة غلام

قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد بن طوق العنبرى على مجلس لبنى العنبرى ، وأنا على ناقة وهو على حمار ؛ فقاموا فبدءونى فسلموا على ؛ ثم انكفئوا على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولى قبل العربى ، وبالمفحم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ؛ فانبرى إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأمى ، وبالمهاجر قبل الأعرابى ، وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار .

ما يقال عن الإسلام

محمد الرجل وعقيدته
تأليف "تور أندريه"

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

MOHAMMED, THE MAN ANE HIS FAITH
BY. TOR ANDRAE

ليس هذا الكتاب جديداً ، فقد ألفه صاحبه باللغة الألمانية سنة ١٩٣٢ ، وظهرت ترجمته الإنجليزية سنة ١٩٣٥ ، وأعيد طبعه عدة مرات ، ويمتاز الكتاب بأنه يسلك منهجا يختلف عن المناهج التى يصطنعها الإنجليز أو الفرنسيين أو الأمريكان ، ذلك أن الألمان قد اشتهروا بالعمق فى الثقافة ، وفى استخلاص المظاهر الإنسانية من أغوار النفس وأعماق التاريخ . وقد اشتهرت مناهج أخرى طبقت على سيرة الرسول عليه السلام ، وعلى الدين الذى دعا إليه وهو الإسلام ، مثل المنهج الاقتصادى ، والمنهج العلمى الذى يعتمد على الملاحظة والتجربة ، والمنهج الديالكتيكى ، وغير ذلك .

ولكن الإسلام دينا ، ومحمدا نبيا رسولا ، ظاهرة تاريخية لا تخضع كما تخضع الظواهر العلمية للملاحظة والتجربة . ولا سبيل أمامنا سوى فحص الوثائق التاريخية ، واعتماد الثابت منها ، واستبعاد الزائف والمدخول .

وقد انتهى علماء الإسلاميات إلى رأى أجمعوا عليه ، وهو أن الوثيقة التاريخية اليقينية ، والتى لا ريب فيها ، هى القرآن ، فإنه كتاب دين ، كما أنه مرآة ينعكس على صفحتها الحياة فى عهد الرسول . ويلى القرآن فى الوثاقة الأحاديث ، ثم كتب التاريخ . غير أن التواريخ التى دونت لم تبدأ إلا بعد مرور نحو قرنين من الزمان ، بحيث لا يؤمن أن يكون دخلها تزيد مقصود أو غير مقصود . كما أن ثمة كثيرا من الإسرائيليات والروايات النصرانية دست عمداً أو عن غير عمد فى التفاسير للقرآن .

وقد اصطنع مؤلف هذا الكتاب منهجاً جديداً فريداً إلى جانب المنهج التاريخى الذى ينظر إلى الإسلام عبر الزمان خلال أربعة

عشر قرنا ، منذ ظهر على لسان محمد ابن عبد الله ، حتى اليوم . وجدير بدين يتعبد به نحو خمسمائة مليون من البشر فى الوقت الحاضر ؛ وقد استمر ذلك من الزمن المديد ، أن يكون حقاً ، لأن الباطل لا يستطيع أن يصمد طويلا دون أن يظهر الحق عليه . هذا المنهج الجديد هو المنهج الدينى الذى يدرس الظاهرة الدينية بعامة ، والتجربة الدينية بخاصة . وليست التجربة الدينية وقفاً على جماعة من البشر دون جماعة ، وإنما هى تجربة عامة تسود عند بعض الناس بصرف النظر عن نحلهم ووطنهم ، لافرق فى ذلك بين الهندى البوذى أو الراهب المسيحى أو الولى المسلم . وقد كانت التجربة الدينية سائدة عند أنبياء بنى إسرائيل والقديسين فى المسيحية . فإذا أنكر منكر هذه التجارب الإسرائيلية والمسيحية ، فقد أنكر الديانتين السماويتين ، وإذا سلم بها فليس ثمة ما يدعو لإنكارها عند المسلمين .

على أساس هذا المنهج الدينى ، أو هذين المنهجين التاريخى والدينى ، أقبل المؤلف على دراسة محمد ورسالته ، فلم ينكر شيئاً منها ؛ على العكس أخذ المؤلف يفند تهم المستشرقين المغرضة التى درجوا على توجيهها إلى الإسلام تعصباً أعمى بغير سند من بصر بحقائق التاريخ أو أدلة العقل . وكانت هذه العصبية ميراثاً قديماً منذ العصر الوسيط ، ومنذ إذكاء نار الحروب الصليبية حتى جاء عصر النهضة فيصور (دانتى) محمداً فى جحيمه صورة بشعة لأنه أكبر من أدخل التفرق فى الدين ، والمناداة بدين مزيف . وقد بلغ التعصب فى ذلك العصر بالمسيحيين مبلغاً جعلهم لايغتفرون لمحمد القول بدين يفوق المسيحية ويسمو عليه .

استعرض المؤلف ذلك التاريخ المتعصب وأنكره ، ثم قال : إن عصر التنوير فى القرن الثامن عشر لم يكد يشرق حتى أنصف إلى حد ما محمداً ، وأحسن المفكرون تقدير مافى عظماء الرجال وأصحاب الأديان من حكمة وفضيلة ، وأصـــدر الأستاذ سيل Sale سنة ١٧٣٤ ترجمة للقرآن باللغة الإنجليزية ظلت أفضل الترجمات فترة طويلة من الزمن . وأصدر بعـــده بسنوات قليلة دى بولا نفيلير De Boulainvilliers كتابه « حياة محمد » عمد فيه إلى بيان امتياز الإسلام على المسيحية ، فصور محمداً مشرعا حكيما مستنيراً سعى إلى تأسيس ديانة معقولة تحل محل العقائد المشكوك فيها فى اليهودية والمسيحية ، وكان ذلك أيضا موقف سافارى Savary الذى ترجم القرآن سنة ١٧٥٢ ، واعتبر محمداً من الشخصيات النادرة التى ظهرت على مسرح التاريخ . ولكن سافارى على الرغم من تقديره الأعمال العظيمة التى قام بها محمد ، فقد اعتبره من عباقرة التاريخ وأبى أن يعده نبيا .

الحق أن معظم مفكرى القرن الثامن عشر أنكروا نبوة محمد فى الوقت الذى اعترفوا فيه بعبقريته وعظمته . وهذا ما فعله «كارليل» فى كتابه عن العظماء ، حين دافع عن محمد وأبطل عنه فكرة الادعاء والتزييف التى شاعت عند المسيحيين ، وذهب إلى أنه كان صادقا ، وكان عبقريا أصيلا ، ورسولا أخبرنا عما اطلع عليه من أمور الأزل والغيب . كان محمد نبيا لأنه كان عبقريا وليس شخصا من آحاد الناس ، فاتصل بالحقيقة الباطنة ، وظل على صلة دائمة بها . وعند كارليل أن العبقرى هو الذى تتجلى فيه تلك القوة الإلهية التى هى حقيقة الوجود.

ولكن فى مقابل ذلك نرى فولتير يصور محمدا فى المأساة التى ألفها سنة ١٧٤٢ صورة تخالف مارآه (دى بولانفيلر ،وسيل)،ويقول فى مقدمته : إن محمدا لو كان قد ولد أميرا ، أو عين حاكما بعد انتخاب الجمهور ، ثم وضع القوانين للدولة ودافع عنها من العدوان ، لحق علينا أن نمجده ، أما حين يزعم أنه تحدث إلى جبريل وتلقى منه الوحى والقرآن الذى يصطدم فى كل صفحة منه مع العقل السليم فلن يقوى أحد على الدفاع عنه، اللهم إلا إذا كان ممن يؤمن بالخرافات ، وليس لنا إلا أن نعذر (فولتير) فى مثل هذا القول لأنه لم يدرس القرآن فى أصله العربى وبغير عصبية وهوى وإلا لكان أضبط حكما ، وأصدق نظرا ، لأن ميزة القرآن الكبرى ومعجزة الإسلام التى لا معجزة غيرها ، هى أنه دين عقل ونظر ، يحتكم عند التنازع إلى صريح العقل ، وإذا كان فولتير أكثر اعتدالا فى حكمه فى كتابه الذى أصدره بعد ذلك عن الأخلاق والعادات فاعترف فيه بعظمة محمد وقدرته فإنه أنكر نبوته ، وموقف فولتير وأضرابه منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم إنما يصدر عن التعصب للغرب ضد الشرق ، وهو تيار طبيعى يكون تارة صريحا ، والهجوم واضحا ، وتارة أخرى لبقا ، يلبس رداء العلم ومسوح البحث العلمى النزيه ، ولكن الرأى السابق عندهم عن محمد أنه ليس نبيا بل ادعى النبوة ؛ لا يزال مستقرا فى النفوس ، ينضح على الورق من الأقلام بين حين وآخر .

وليس الأستاذ تور أندريه معصوما عن هذا الهوى ، بعيدا عن هذا الاتجاه ، فهو على الرغم من دفاعه عن الإسلام دينا ، فإنه بين حين وآخر يذهب إلى أن الإسلام قد استعار أفكاره الأساسية من الديانات الكتابية، وأن هذه حقيقة لاتحتاج إلى مناقشة (ص١١) ويقول فى استهلال الفصل الثالث عن رسالة محمد الدينية مافحواه : إن اقتناع محمد الأساسى بتعاليمه ولب رسالته النبوية هو اليقين بأنه وحده وسط جيل من الجهال وضعاف الأحلام

هو الذى يرى ذلك المصير الذى ينتظر كل أولئك الذين يلعبون ويضحكون فى عصره ، إنه يعتبر نفسه الرسول الذى ينذر قومه بالكارثة التى ستحدث فى يوم القيامة .

نقول : إن محمدا لم يزعم لنفسه أنه نبى رسول، ولم يختر لنفسه هذه الصفة، وإنما الله هو الذى اصطفاه ، والله هو الذى أرسله ، وفى بدء الوحى - كما هو معروف من السيرة الطاهرة - لم يصدق محمد أنه قد نزل عليه الوحى من السماء عن طريق جبريل ، حتى هدأت السيدة خديجة روعه، وثبتت قلبه، وصدقت به.

إن الخلاف بيننا ، نحن المسلمين ، وبين المستشرقين ، خلاف جوهرى ، وهو خلاف قديم ظهر عند بعض الفرق الإسلامية منذ القرن الثانى للهجرة ، نعنى : هل القرآن كلام الله أنزل على رسوله محمد وكلف بتبليغه للناس كافة ؟ أم محمد عليه السلام هو الذى استغرق فى « تجربة دينية » اتصل فيها بالغيب ، تلك القوة العليا التى نسميها الله ، الخالق المدبر ، ثم كان محمد هو الذى نطق بهذا الكلام الذى سمى قرآنا ؟ بعبارة أخرى هل القرآن كلام الله ، أم كلام محمد ؟

أما المسلمون فليس عند أحدهم شك فى أن القرآن كلام الله ، أنزل على محمد - هكذا كانت عقيدتهم منذ ظهور الاسلام حتى اليوم - فيما عدا قلة شاذة ، وأما المستشرقون فإنهم لا يسلمون بهذه الدعوى ، وأقصى ما يمكن أن يسلموا به هو القول - كما يذكر المؤلف - بأن محمدا كان صاحب تجربة دينية ، وكان صادقا فى تجربته وأنه هو الذى اتصل بالغيب ، وليس العكس .

وقد ذكرنا ما ذهب إليه المؤلف من أن محمداً استعار أفكاره الدينية من الديانات السابقة ، وبخاصة النصرانية عند النساطرة وعند السريان . ونؤكد ما سبق ذكره بالإشارة إلى مواضع أخرى من الكتاب . فى صفحة ٩٠ يقول بصدد عقيدة استمرار النفس فى البقاء بعد فناء البدن : إن ذلك التعليم كان عاما فى الكنيسة النسطورية ،وظل باقيا عدة قرون ، إلى قوله : « وعندى أن هذا إلى جانب أسباب أخرى يدل على أن محمداً تلقى من نساطرة الفرس التأثيرات التى طبعت رسالته الدينية الشخصية طابعا حاسما . وكان نصارى العرب فى الحيرة على حدود العراق والذين كان أهل مكة على صلة هامة بهم بوجه خاص ، ينتمون إلى الكنيسة النسطورية » .

ومن هنا ندخل إلى قضية الصلة بين محمد والنصرانية ، والتى يسميها المؤلف لغزاً محيراً؛ إن معظم الباحثين فى الغرب يذهبون إلى أن محمداً استمد ديانته من النصارى الذين كانوا يعيشون فى بلاد العرب ، ومن بعض الفرق

المسيحية ، والأناجيل التى كانت سائدة فى ذلك الحين . ولكن محمدا كان أولا اميا لا يقرأ ولا يكتب ، فلم يطلع على أسرار النصرانية أو اليهودية . وفضلا عن ذلك فإن تلك التعاليم والأناجيل لم تكن مدونة باللغة العربية بل بالسريانية ، ولا نزاع أن محمدا كان يجهل تلك اللغة . ثم إن القول بأن مكة كانت تحتضن كثيرا من النصارى وبخاصة الموالى من الحبشة ، والصناع والتجار من سوريا ، وأن محمدا اطلع منهم على أسرار العقيدة المسيحية ، مردود عليه بأن أولئك الأقوام ما كانوا على علم عميق بدياناتهم مما يسمح للرسول عليه السلام بأن يعرف منهم هذه الدقائق الواردة فى الكتاب الكريم .

والمؤلف نفسه يدحض هذا الفرض فى صفحة ٩٣ ، ويقول : إن هؤلاء النصارى لم يكن عندهم الشىء الكثير مما يقصونه على الرسول. الحق أن المؤرخ المنصف ليعجب أشد العجب من عمق المعلومات الدينية التى يجدها فى القرآن، ولا يستطيع إرجاعها إلى ما كان معروفا فى المحيط العربى فى شبه الجزيرة العربية، ولابد أن يقر فى نهاية الأمر أنها من مصدر أعلى وأسمى من البشر . وهذا هو السر الحقيقى فى إعجاز القرآن ، لأنه فضلا عن نظمه الذى تحدى العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، فيه صنوف من أخبار الأمم الماضية وتعاليم الأديان السابقة وهذه الأخبار والتعاليم تعد أيضاً من قبيل التحدى . وليس من المعقول أن يكون النبى الأمى على علم بتلك الأخبار وما فيها من دقائق ، فكان ذلك من جملة الأسباب التى جعلت الناس يصدقون فى ذلك الحين أن القرآن من عند الله وليس من نظم محمد

إن القول بأن القرآن من تأليف محمد أكبر طعنة توجه إلى صميم الدين الإسلامى ، ولسنا ندرى كيف يتفق هذا القول مع ما سبق للمؤلف تقريره من أن محمدا كان صاحب تجربة دينية أصيلة ، وأنه هبط عليه الوحى؛ أما أن محمدا ، مؤلف القرآن ، فقد ذكره بصراحة بصدد وصفه القرآن فى صفحة ١١٦ ما نصه : (ومع أن بعض الآيات تمتاز بجمال أصيل فى أسلوبها ، فلابد من التسليم بأن القرآن فى جملته يصعب أن تعد قراءته خلابة. ومع ذلك فالقرآن فى ذاته لا يدل على نقص فى المواهب الأدبية من جانب المؤلف . .) يقصد مؤلف القرآن ، أى محمد ! !

ويبدو أن الأستاذ تورأندريه يجهل أسرار العربية بحيث لا يتذوق القرآن ، وهو الغاية فى البيان العربى . والذين تعمقوا فى دراسة اللغة العربية من أمثال الأستاذ (أربرى) الذى ترجم القرآن إلى الإنجليزية أخيرا ، اعترفوا بسمو نظمه وبلاغته وصعوبة ترجمته حتى لا يفقد طلاوته وسحره .

وقد انفرد المؤلف بزعم غريب عن تحديد تاريخ مولد النبي عليه السلام ؛ فإن المحدثين من المستشرقين والعرب حققوا هذا التاريخ ، وانتهوا بعد الحساب الدقيق إلى أنه عليه السلام ولد في يوم الإثنين تاسع ربيع الأول الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ ميلادية، وذلك بحسب ما حققه المرحوم محمود باشا الفلكي وذهب البعض الآخر إلى أن مولده كان سنة ٥٧٠ ميلادية ، في عام الفيل. وقد أرخ العرب كعادتهم هذه الحادثة ، المذكورة في سورة (الفيل) وخلاصتها : أن أبرهة أغار على مكة يريد هدم الكعبة حتى لا يحج اليها العرب ، فأرسل الله على جيشه الطير الأبابيل . وهنا يضطرب المؤلف في تحديد هذا التاريخ، ويرجع فيه إلى مصادر مشكوك فيها، وأن ذلك الهجوم وقع حول سنة ٦٢٠ ميلادية ، وأن مولد الرسول كان سنة ٥٦٩ ، وهذا مخالف للإجماع الذى انتهى إليه الباحثون المحققون .

على أن الأمر الذى حير - ولا يزال - المستشرقين في هذا الدين الجديد، هو اسمه الذى استقل به عن المسيحية واليهودية في آن واحد، ذلك الاسم هو : « الإسلام ». إنه عنوان الديانة الجديدة وقد سار هذا الاسم كالسحر بين كافة الناس منذ ظهور هذا الدين حتى اليوم. وهو اسم لا يستمد كيانه من شخص محمد ، ولذلك لا يقال « المحمدية » كما يقال المسيحية نسبة إلى السيد المسيح .

والإسلام هو الدين الصحيح، الخالص ، وهو الديانة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام . والإسلام هو الدين الإلهي الواحد المنطبق على اليهودية والنصرانية والإسلام ، وذلك في قوله تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » . فهو دين الله ، لا دين محمد، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل »، ولكن المؤلف لا يعترف بذلك، ويذهب إلى أن معنى الاسلام هو تسليم المؤمن بمحض اختياره لارادة الله . وللدلالة على هذا المعنى من التسليم الاختيارى للإرادة الإلهية ، صاغ محمد مصطلح الإسلام » (ص ٦٧).

Mohammed coined the term Islam

ونحسب أنه ليس أبلغ من هذا الكلام في الدلالة على تحيز المؤلف ، وإيغاله في الطعن على الدين الإسلامى الحنيف .

أحمد فؤاد الأهوانى

أنباء وآراء

● أعدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية دورة تدريبية لمبعوثى الأزهر إلى البلاد الإسلامية للعام الدراسى ٦٧/١٩٦٨م

وفى صباح الثلاثاء ٢٢ من المحرم ١٣٨٧ الموافق ٢ مايو ١٩٦٧ أقيم حفل افتتاح الدورة بالقاعة الكبرى بإدارة الأزهر وقد افتتح الدورة السيد أمين هويدى وزير الدولة لشئون الأزهر وحضر حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور عبد الله ماضى وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسيد الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر والسيد الدكتور مدير جامعة الأزهر بالنيابة.

بدأ الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم، ثم ارتجل فضيلة الإمام الأكبر كلمة وجه فيها النصح للمبعوثين وأوضح لهم رسالة العلماء، وهى رسالة الإسلام الداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. ثم قال: افتحوا صدوركم لكل سائل وبينوا له حكم الله فى شجاعة، وكونوا عنوانا طيبا للعالم المسلم الذى يؤدى رسالة الله.

ثم قدم فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام للمجمع السيد أمين هويدى وزير الأزهر فألقى كلمة ضافية جاء فيها:

لقائى بكم اليوم التزام معكم بالدور العظيم الذى يقوم الأزهر به فى خدمة الإسلام والعروبة. لهذا كانت سعادتى وكان سرورى، فإن خدمة الإسلام توثق العلائق بين أمتنا وبين عالم كبير أعز ما لديه دين الإسلام الذى يدين به، وخدمة العروبة تؤكد روابط الجوار الذى يضم المنطقة العربية فى وحدة مكتملة العناصر موفورة الأسباب مأمولة النتائج والثمرات.

وعملنا اليوم - من أجل هذه الأهداف - امتداد للرسالة العظيمة التى حمل الأزهر تبعاتها طوال ألف عام أو تزيد، ولكنها اليوم رسالة اتسع نطاقها وتعددت تبعاتها نتيجة للتقدم العلمى الذى غير موازين الحياة وعدل مفاهيمها، وكان أكثر تغييرا وتعديلا للأوضاع الاجتماعية بيئة وسلوكا، وللعلاقات الاجتماعية تطويرا وتبديلا، وذلك ليس بالأمر الجديد على المجتمعات إذا تغيرت

مقوماتها أو تبدلت مكوناتها ، فللمجتمع الزراعى حياته الاجتماعية وسلوكه محكوما بمقومات هذا المجتمع وحوافزه وآماله ، وللمجتمع الصناعى حياته الاجتماعية كذلك ، ولهذه الحياة سلوكها ومقوماتها ومثلها ومبادئها ، محكومة بمقومات المجتمع الصناعى وحوافزه وآماله .

ثم قال : وسوف يتهيأ لكم فى هذه الدورة أن تزوروا مواقع العمل الثورى فى وطنكم ، لتتضح أمامكم الرؤية ، ويتكشف لكم التصور ، وتتحقق لكم أسباب الحكم . فقد يلتقى بكم فى مواطن بعثاتكم من يشككون فى جدية العمل الثورى ، فإن لم يجدوا فسيلجئون إلى التشكيك فى بواعث هذا العمل ، وهم يعلمون علم اليقين حكمه ولكنهم بين مخدوع ومأجور ، أو نافس وحاقد ، ستشهدون مواقع العمل فى مجالات الزراعة والصناعة والتقدم العلمى ، وطاقات العمل المجيد من أجل حياة أفضل نستعيد بها ماضى أمتنا ونجدد بفضلها شباب حضارتنا ، ونحتل بإذن الله مكاننا اللائق بنا فى مصاف الأمم .

وليس جديدا على أبناء الأزهر أن يصححوا للناس أفكارهم فيما غاب عنهم حكمه أو خفى قصده ، أو أسىء عرضه ، فإن لهم ماضيا مجيدا فى صنع الوعى السياسى إلى جانب الوعى الدينى فى المجتمعات الإسلامية وإلى هذه الحقيقة يشير الميثاق :

« ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر فى مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت كما يقول بعض المؤرخين ؛ فإن الحملة الفرنسية حين جاءت إلى مصر وجدت الأزهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه إلى الحياة فى مصر كلها » .

ثم استطرد قائلا :

وإذا كان هذا هو دور الأزهر فى مصر فإن دوره فى العالم الإسلامى كان أجل شأنا وأبعد أثرا ، فقد تحمل المسئولية الأدبية فى حفظ التراث العربى وذخائره الحافلة ، وأصبح حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت كما يشير إلى ذلك الميثاق .

وإن دوركم اليوم امتداد لما قام به أسلافكم من قبل ، وتلك هى رسالتكم وغاية ثقافتكم .

أيها السادة العلماء :

إن فكرة هذه الدورة ليست إضافة جديد من المعرفة والثقافة إليكم ، ولكنها فرصة لقاء تناقش فيها أنجح السبل لأداء رسالتكم الجليلة التى هيأتم أنفسكم لها ، ووقفتم حياتكم عليها .

ولتذكروا دائما وأنتم فى مواطن بعثاتكم تبعات هذه الرسالة ؛ فإن الدين ليس عبادة مجردة ، ولكنه الحياة المحوطة بالعقيدة والمبدأ ، المصونة بالأخلاق والقيم ، فأنتم المرآة التى تعكس حياة أمتنا بعد أن ملكت زمام أمرها ، وتحررت طاقاتها ، واحتلت مكانها بين الأمم الكبرى ، وبكم تعرف جهودها فى خدمة الإسلام ، حفاظا على تراثه ، ونشرا لمبادئه وجمعا لكلمة المسلمين على الحق والعدل والخير .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله ...

● أعدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية برنامجا حافلا بالمحاضرات وزيارة معالم الجمهورية العربية المتحدة للسادة المبعوثين.

● بدأت دورة المحاضرات يوم الأربعاء ٢٣ من المحرم ١٣٨٧ الموافق ٣ مايو ١٩٦٧ م بالمحاضرة التى ألقاها الأستاذ عبد المنعم خلاف عن « انتشار الدعوة الإسلامية » ، وفى ٤ مايو ألقى فضيلة الشيخ محمد على السايس عضو المجمع محاضرة عن « الشريعة الإسلامية والتطور الاجتماعى عبر التاريخ » وفى ٤ مايو استمع المبعوثون إلى محاضرة عن « القطاع العام والتنمية الاقتصادية » للأستاذ غريب الجمال ، وأعقبه دكتور عفيفى عبد الفتاح مدير البحوث والنشر بالمجمع فألقى محاضرة عن « معنى الحرية فى الإسلام » وألقى الأستاذ إبراهيم عبد الحميد الأستاذ المساعد بكلية الشريعة فى ٧ مايو محاضرة عن « معاملة الأقليات فى الدولة الإسلامية » وفى ٨ مايو ألقى الأستاذ إبراهيم اللبان عضو مجمع البحوث الإسلامية محاضرة عن « الأسرة الإسلامية من واقع حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » ، كذلك ألقى السيد كمال الدين رفعت كلمة فى المبعوثين ، وتلاه فى ١٧ مايو الأستاذ فتح الديب أمين الشئون العربية بالاتحاد الاشتراكى ، واختتم المحاضرات الدكتور لبيب شقير فتحدث عن التخطيط العام ومهمته وضرورته .

● اهتمت الأمانة العامة للمجمع بطبع هذه المحاضرات وتزويد المبعوثين بها مع غيرها من مطبوعات المجمع .

● بدأت دورة الزيارات للعالم يوم الإثنين ٢٨ من المحرم ١٣٨٧ الموافق ٨ مايو شاهد المبعوثون فيها العمل بالسد العالى ومصانع (كيما) ومشروع كهربة خزان أسوان ، ثم انتقلوا إلى مديرية التحرير وتفقدوا كثيرا من معالمها وأوجه نشاطها ، وفى حلوان زاروا مصانع الحديد والصلب ثم تفقدوا المصانع الحربية ، واختتموا جولاتهم بزيارة الوادى الجديد ؟

على الخطيب

أبو الحسن الفالى لا أبو على القالى

فى عـــدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ من مجلة الأزهر كتب صاحب الفضيلة الشيخ كامل الفقى مقالا بعنوان : (أدب الكدية) عرض فيه لجماعة من العلماء الأعلام ، اشتدت بهم الفاقة ، حتى ضاقوا ذرعا بالحياة ، وذكر من هؤلاء (أبا على القالى) صاحب كتاب (الأمالى) المشهور فقال : (وأبو على القالى تدفعه الحاجة إلى أن يبيع كتبه ، فقد باع نسخته من كتاب (الجمهرة) للشريف الرضى وقد وجد الشريف مكتوبا فيها بخط (القالى) :

أنست بها عشرين حولا وبعتها
فقد طال وجدى بعدها وحنينى

وذكر أربعة أبيات بعد هذا البيت .

وفضيلة الشيخ كامل عالم مدقق ، فيغلب على ظنى أنه نقل هذه القصـــة عن مرجع موثوق به . غير أنى رأيت القصة على غير هذا الوجه .

جاء فى (معجم الأدباء) لياقوت الحموى ، فى ترجمة أبى الحسن على بن أحمد بن سلك الفالى (بالفـاء) المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ببغداد مايلى : (وحدث أبو زكرياء التبريزى قال : رأيت نسخة لكتاب الجمهرة لابن دريد ، باعها أبو الحسن الفالى بخمسة دنانير من القاضى أبى بكر بن بديل التبريزى ، وحملها إلى تبريز ، فنسخت أنا منها نسخة ، فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط الفالى ، فيها : (أنست بها عشرين حولا) ، وذكرت الأبيات المشار إليهـا ، قال أبو زكرياء : (فأريت القاضى أبا بكر الرقعة والأبيات ، فتوجع ، وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه ، وكان الفالى قد مات) .

فهل هما روايتان ؟ أو أن الكاتب الفاضل اعتمد عند كتابة المقال على الذاكرة ، وهى كثيراً ما تخون ؟

وآخر هـذه الأبيات بيت مضمن . قال ياقوت : (والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمين قاله أعرابى ... ابتاع حمزة بن عبدالله ابن الزبير جملا من أعرابى بخمسين دينارا ، ثم نقده ثمنه ، فجعل الأعرابى ينظر إلى الجمل ويقول :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين

فقال له حمزة : خذجملك ، والدنانير لك . فانصرف بجمله ، وبالدنانير . معجم الأدباء حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

هذا وللأستاذ الفاضل تحيتى وتقديرى ؟

على العمارى

« من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » .

(Whoever says of a believer that which is not in him, Allah shall detain him in the slime of corruption until he leaves that he says).

As for the Muslim's answer to a man who has called him names an example of it is : "May Allah forgive you."

In fact man is thrown into the wickedness of assailing at others, as much as into other sins, along of pride and oblivion of due precepts.

As for pride, so much does Allah hate it that no man will enter Paradise in whose heart there is an atom's weight of it. The Prophet, however, denied that by pride should be meant the comely sense of what befits one's position or the wholesome liking one takes for good appearance, which in truth Allah likes. As for oblivion and heedlessness, we are told by the Prophet that even fiends might have pondered on the kingdoms of heavens and earth but for fact that they are absorbed in hovering about the hearts of men. Hence we should strive, and at the same time pray Allah to help us, that His favour my not seduce us into pride, and that what he deprives us from may not throw us into malice. We should pray Him to lift up our hearts so that we may abide by what pleases Him. For in this way, merits we tell of, but errors we forbear, whether they belong to the deceased or to the living.

one hears this which the Prophet said :

« القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج فما بعده أشد منه » .

(The grave is man's first sojourn along the road of the Hereafter. If safe he emerges from it, easier then is all that follows; but if not then succeeds that is always sterner.)

« يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد ؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله » .

(Three walk the funeral of the deceased : his kin, his property and his work. Then return two and stays with him one : that is, his kin and his propety return while his work stays with him.)

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

(When a son of Adam dies his labours cease but three : current alms, a thing he revealed by which man benefit, or a righteous offspring who prays Allah for him.)

« لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا »

(Do not curse the dead; for now they are in face of whatever work they have sent before themselves.)

And it says in the Glorious Qur'an :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

(Whoever has done an atom's weight of good shall see it, and whoever has done an atom's weight of evil shall seet it also).

According to Al-Ghazaly, open to a Muslim is the invocation of Allah's curse upon unbelievers and evil-doers whether in all or in groups, such as when he specifies sceptics from among unbelievers or usurers from among evil-doers. But he should by no means speak ill of men in name save those whom Allah has cursed in his Glorious Book such as Abu Lahab and Moses' Pharaoh. For "Lord, curse so-and-so" means "Lord, fix him in error and disbelief". Certainly, a Muslim cannot know if this so-and-so will die Muslim or in disbelief. Noteworthy here is the fact that Muhammad, may Allah's blessing and peace be on him, once happened to curse a number of men killed, seemingly in disbelief, at Badr, and yet Allah revealed to him "It is no concern of yours whether He will forgive or punish them."

Besides, it is a monstrous thing to charge with unbelief men who witness that there is no deity but Allah and that Muhammad is His slave and apostle. In this respect the Prophet said :

« لا يرمي رجل رجلا بالفسق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

(Never shall anyone charge upon another abomination or unbelief but unto him shall this be returned if his man is not so.)

From the Tradition of the Prophet:

'Tell of the merits of your dead'

BY SOLIMAN BARAKAT

The Prophet, may Allah's blessing and peace be on him, said :

« اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم »

(Tell of the merits of your dead and forbear their errors.)

Part and parcel of the Muhammadan Mission was the completion of noble manners. So, wagging the tongue with obscene language and assault at others was among the mean and despicable habits which the noble Prophet made war on. Among his Prophtic sayings were :

« ليس المؤمن بالطعان أو اللعان أو البذى »

(A believer is by no means reputed a stabber, a curser or a foul-speaker.)

« لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم »

(Do not seek to harm Muslims, to reproach them or to see their nakedness.)

« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »

(A man is as pious or impious as his bosom friend. Let everyone, therefore, see whom he is making friends with.)

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

(Whoever believes in Allah and in the last Day shall either say that which is good or keep silent).

Then, this Hadith illuminates for us a path to take with respect to the dead. We should tell of their merits, which embraces confidence of Allah's mercy, and spontaneously leads to more of it, on both the deceased and the living We should tell of their merits's for the prevalence of goodly sayings will speak Muslims most natural in their being merciful among themselves. We should retrieve their merits, for thus we regard the tomb with due fear and hope, and at the some time confirm the continuity of Islamic high principles in the living rather than their expiration with the consignation of the dead to the graves.

However, their errors we should forbear. For it is no use to walk after that which is unbeseeming. Nor can we undo the past. Moreover, we are forbidden to assail at the living, the rather, then, that we do not dispraise those in the dust, who are conspicuously dead and gone, but who in fact have commended their souls to Allah. One cannot help fear the beyond, nay, even this here below, which is an unseparable part of the road to the beyond, when

Kalimah does not lose sight of it; it fully recognises the unifying value of affinity of ideology. Affinity of idology is a matter of free choice and it is not a permanant and inuncible impediment to universal brother hood. Acceptance of affinity of ideology as basis of division of man will, therefore, not be inconsistent with, but will lead to the ideal namely, universal nationalism of man, for mankind must have a common ideology before it can think of establishing the kingdom of God on earth.

The Holy Qur'an gives man that coming common ideology. So in a secondary sense the Holy Qur'an defines nationality as brotherhood based on common ideology when it says. "The belivers are but a single Brotherhood" (S. XLIX: V. 10). It is in this specific sense that the Muslims all over the world constitute one nationality but Muslims are never one nation in the racial or ethnological sense of the term. Is it then any surprise that this sublime message of the Kalimah, delivered fourteen centuries ago to the Beduines, ever-engaged in irreconcilable internecine family and tribal feuds, did in no time revolutionise the political outlook of the Arabs, liquidated their quarrels, plucked from their memory age-old spirit of vengeance and relation and moulded them into a nation of super-men in tewenty three years? These wonderful Arabs carried the message of the Kalimah for and wide and preached to the world universal nationalism not in the spirit of conquest but in the spirit of humble preachers dedicated to the noble cause of universal peace and happiness.

(continued from page 7)

So it can be with each one of us at any time in our life. We can say goodbye to our old life of slackness and lip service to our religioun, we can make our own personal Hijra, in the process becoming pure and strong in faith. For that is life, a surge forward, a progress, a journey; not a static living in old and useless customs that were never ordained by Allah.

Muhammad made that journey and so can we.

"O believer, what is amiss with you, that when it is said to you, 'Go forth in the way of God', you sink down heavily to the ground? Are you so content with this present life, rather than the world to come? Yet the enjoyment of this present life, compared with the world to come, is a little thing. If you go not forth, He will chastise you with a painful doom and will choose instead of you a folk other than you. You cannot harm Him at all. Allah is able to do all things.

(S. IX : V. 38 - 39)

thus racial and territorial nationality and nationalism developed.

Each territory became a state. 'My nation right or wrong, or the welfare of the citzenes of state became the highest virtue. Thus in succession family, tribe and race was the unit of division or constituant unit of the human race. When a family was a state there were family gods and family prophets, when tribal states came into existence they had tribal gods and tribal prophets and when territorial and racial nationalism was born there were racial and territorial gods and prophets. As unbridled individulism disturbed the peace of the family unbridled family ego disturbed peace and order of the tribe and tribal patriotism disturbed the harmony of the race, chauvinism or exclusive and aggressive nationalism has been disturbing the peace of the world and makin human existence intolerably miserable during recent years.

One is born in a particular family, tribe and race and is born in a particular territory and speaks a particular language not by choice but by accidantal circumstances over which man has no control. Man cannot disown the traits of the inheritance and environments and these accidental circumstances cannot be altered by human efforts. If, therefore, family, tribal, racial or territorial and linguistic affinity and unity be accepted as basis of division or constituent elements of the human race then humanity can never be one and the universal brotherhood of man man can never be a reality and there cannot be abiding peace and happiness in the world.

The Ḳalimah pulls down by a noble thrust all artificial barriers, family, tribe and race complex and territorial and linguistic patriotism and proclaims from the top of the Mount Hira, "There is no diety but God and Muhammad is His Prophet." There is one God for all the worlds. The God of the kalimah is the "Rub" or the "Creator, Sustainer and Evolver " not of any particular family, tribe or race but He is the Creator, Sustainer and Evolver of all the worlds and the Holy Prophet of the Ḳalimah is described in the Holy Qur'an as a blessing for the Universe. There is one God and One Humanity. The Holy Qur'an defines nation and nationality in a few clear words, "Humanity was made one single nation (S.II : V. 213). This is the ideal of the Ḳalimah but as a step towards realisation of this ideal a common outlook and view of existence for the entire humanity is essential. The religion of the

material needs do not in the least alter or improve social status and dignity of women and create in them the sense of honour which is the basic characteristic of the respectability of the human species. The unity of God the kalimah and its corollary unity of the human race liberated women from their eternal bondage and gave them equal social status with men and dismissed all differences between a man and a woman except the natural psychopysical difference that exists and will always exist between a male and a fermal. Since Islam does not ignore Nature but correctly interprets it, it fully recognises creative and polygamous nature of males in creation but gives women status of a free agent of procreation and has accordingly made marriage an absolutely free and voluntary social contract between the two sexs. In early Muslim society of Medina, women enjoyed so much real freedom and social dignity that a husband would not enter his wife's chamber without her formal permission.

At the dawn of the civilised existence man was divided into millions of small families. Each family was a nation and a state. The patriarch was the absolute head of the family and the welfare of the family was the sole concern of the family state. There would be war, prolonged family feuds and family peace between families and families. In course of years and centuries families expanded into tribes. It was then felt and realised that a tribe was a homogeneous unit and that all the families constituting a tribe had the same blood running in their veins. At this stage of evolution of man a tribe became a nation and a state and the tribal head was he king of the tribal state. Disputes between the various families constituting a tribe were domestic and internal affairs of the tribe and these were settled by the tribe; adjustment of relation between families and maintenance of peace, order and discipline within the tribe was the responsibility of the tribal head.

Relation of one tribe with another was, therefore, an external and foreign affaire of a tribal state. As civilisation advanced and mains outlook enlarged and with the rapid production and multiplication of the human spicies the tribes expanded, it was noticed that all the tribes inhabiting a common land had affinity of blood and language and that influence of their common soil and language created common habits and a common way of living. From common blood, common language and common habits, race consciousness grew. The race was then the nation and their homeland their territory and

Since no social order can be really conducive to natural develepment of man unless it fully recognises natural instincts of man and provides facilities for their orderly satisfactoin, instincts of man must be very carefully and throughly examined and organised with due regard to their respective role in the making of man. The kalimah, the gospel of unity seeks unity and finds it in all diversities. Diverse instincts like sex, hunger self-preservation and power are found in man. These instincts are not uniformly active in all men. In some hunger, in some power and in some sex is dominant and so in this respect also there is diversity.

Hunger no doubt is like the instinct of self-preservation, a very powerful and dominant instinct but by no means a basic instinct, A dispassionate observation of nature clearly reveals that sex, the instinct of creation and preservation of one's own species or the instinct to produce and to multiply is the basic and central instinct round which all other instincts of life revolve. Man does not live to eat but he eats to live and he lives to to produce and to multiply. Hunger is therefore, not a basic instinct but a contributory instinct; its satisfaction contributes to the satisfaction of man's sex instinct. Of course, hunger is the most powerful and dominant of all other contributory instincts. Satisfation of hunger is necessary, to keep an organism fit for producing and multiplying its own kind. It is, therefore, gross mistake to think that the solution of economic problems and the creation of a classless society through an economic class struggle will solve all human problems. Stop exploitation and create a peaceful society. Any social revelution which entertains ambitions to produce a relly peaceful social order must begin with the revolution of sexual life of man. Such a revolution must have as one of its major programme just and equitable distribution of material resources of the earth but such a revolution must begin not with equitable adjustment of relations between the agents of production and multiplication of material wealth but with just and equitable adjustment of relation between the man and the woman, the two agents of production and multiplication of the human race.

In pre-Islamic or dark age women had no social status and no freedom and liberty. But they were given enough to eat to keep them selves fit to give pleasure to men. Equality of women with men in respect of food, clothing, housing and satisfaction of similar other

of the capitalists became the dominant and exploiting class and these capitalists now enjoy the highest social dignity and political power. A world wide economic class struggle is in the already afoot. Now a Hercules, a Bhim or a Rustum is a man of no consequence. Similary the job of a Pythagoras, Newton or an Addison is to lend his talents for producing deadly weapons for the exploilation of the world. In this economic class struggle as in the case of other class struggles that had gone before, the proleteriat have succeeded and have established their dictatorship over one sixth of the globe where a classless society has already been created but only in the sense that possession of economic resources by individuals is not now regarded as 'Might' or means of exploitation. There may be endless class struggles and the creation of classless societies but exploitation will continue and new classes will arise out of the old. The contents of 'Might' will continually change but might will allways be the 'right' until human propensities for exploitation are removed from its source.

If the intellectuals of the world-philosophers scientists politically unite there will be the dictatorship of the Brahmins once again. In this cyclic order power may shift from one class to another but this will not make much difference so long as the tendency to exploit one another remains vigorously alive... Exploitation flours from within and class struggles are only external mainfestations of the inner struggles within the breast of man between egoism and altruism. Like the different limbs and organs of an individual organism classes and groups will remain in the body of the social organism too. The solution of the material problems of the flesh is needed for creation of an environment congenial to peaceful existence. But a classless society cannot be created merely by the solution of the problems of the flesh but by a successful elimination of class - ego and class consciousness. This can be achieved by an active faith in the oneness of God and the brotherhood of man, a carful nurture and culture of the nobler traits of human character and finally by peace and harmony between egoism and altruism. What is needed is not annihilation or amputation of this or that limb of the social organism but their healthy nourishment and co-ordinated function for the common weal.

Materialism, the phifosophy of scientific Atheism maintains that hunger and sex are the two basic instincts of man and gives greater emphasis on the instinct of hunger.

Teachings of the "Kalimah"
[There is no god but Allah]

By : Abul Hashim

(Continued from the previous issue)

The brotherhood of the Kalimah is universal and not confined to particular classes. Nihilistic Materialism talks glibly of equality of man. A philosophy of human existence which is concerned mainly with satisfaction of immediate material needs of the flesh can hardly make equality of man real. A philosophy of life which divides humanity into water-tight classes bitterly hostile to one another and a philosophy of life which pretends to create a classless society by annihilation of all other classes by a chosen class through class struggle is definitely based on jealousy and hatred and not love. Such a philosophy of life destroys the man and nourishes the beast within the man.

There is an old saying, 'might is right'. In old days 'Might' meant physical prowess. Physically strong and powerful individuals and classes were then the dominating class. They exploited the weak. As civilisation advanced, men became conscious of the exploitation of the weak by the strong and immediately there was class struggle between the strong and the weak. In the end the weak who were numerically stronger succeeded. Importance of physical prowess as a means of exploitation was then extinct and there was a classless society in the sense that social status was no longer determined by the powers of the muscles. But soon another class emerged out of this class struggle. This new class was the class of the intellectuals. 'Might' still was the right only with this difference that 'Might' no longer meant physical prowess but meant power of the intellect. Like the Brahmins of ancient India the intellectuals and the class of the intellectuals enjoyed the highest prestige and privilege in human societies. This class of intellectuals ultimately became the exploiting class and again there was a class struggle. The intellectuals lost theire crowns in the struggle and once again there was a classless society. But exploitation did not cease. New classes rose and fell but exploitation went in as ever. 'Might' after every struggle assumed a new meaning. After the decline of the intellectuals in the struggles for power the class

the unbelievers drove him forth the second of two, when the two were in Cave, when he said to his companion, 'Sorrow not; surely God is with us.' Then God sent down on him His 'Sekîna', (calmness) and confirmed him with legions you did not see, and He made the word of the unbelievers the lowest; and God's word is the uppermost; God is All-Mighty, All-Wise. Go forth, light and heavy! Struggle in God's way with your possessions and your selves; that is better for you, did you know."

(S. IX : V. 40 - 41)

There is a charming story about the arrival of Muhammad in Madina which illustrates the great wisdom and tact of this perfect man, especaiily in all his dealings with other. Beset by appeals from all sides to take up his abode with individuals who perforce belonged to one party and thus were disliked by the other, he instantly evolved a plan which would hurt the feelings of none and at the same time absolve him from the responsibility of an invidious choice. He left the choice to his camel. It came to rest in the quater of the Najjar clan of the Khazraj, who were relations of his. This was just one of many instances where Muhammad showed that he was truly inspired and led by Allah, as he was throughout his blessed life.

* * *

From this time onward the Muslim era began. It was Umar, who when he became Caliph, gave expression to the feeling of all Muslims by officially proclaiming this the first year of the Muslim era. The year of the Hijra became the year 1. However, as the calendar was already fixed by the Qur'an, the months were retained and Muharram was kept as the first month because it follows the pilgrimage of the pious.

So much can be learned from this important event. The attitude of Muhammad at this time and his subsequent actions, are a light and a guide for us in times of persecutions and difficulties. How to face insults with dignity and courage. Truly the magnificent story of the migration is an epic of heroic stature. It is not a flight but a triumph. The conquering of evil forces and the opening of a glorious history.

It should be remembered that the word 'Hijra' does not mean 'fligh' or even 'migration', so much as the breaking of old ties. This is exactly what happened. It was a goodbye to the old idolatrous past with all its evil connections and customs - and a greeting to the new future of purity and true faith. A purging of sins in the journey to Allah's light.

(continued on page 13)

danger that threatened them and so he was the last to flee from the town.

Before the agreement with the Madinese and when he did not know which way to turn, when he was met only by abuse and persecution, mockery and insuit, he uttered this prayer: "O God, I complain to Thee of my weakness and insufficiency and low estate in the sight of men. O most merciful One, Thou art the Lord of the weak and Thou art my Lord. To whom will Thou entrust me? To strangers who will look askance at me or to enemies to whom Thou hast given power over me? If Thou art not angry with me I care not; but Thy defence is broader. I take refuge in the light of Thy countenance, at which the very darkness shines and the affairs of this world and the next are justly balanced, lest Thine anger should descend upon me or Thy wrath light upon me. It is for Thee to be satisfled until Thou art pleased. There is no power, no strength but in Thee".

* * *

Abû Bakr, the chosen one to accpmpany the Prophet, was one of his oldest supporters and dearest friends. He was said to be three years younger than Muhammad and one of the leading figures in Mecca; much later his daughter, Aisha. became the wife of the Prophet. Especially characteristic of him was the unshakable faith with which he considered Muhammad as the chosen instrument of divine revelation. On occasions when others doubted or did not understand, he remained unshaken. It is this faithfulness which, according to Ibn Ishak, gained him the surname of Al-Siddiq which has constantly remained attached to him throughout the historical tradition of Islam. His was a gentle character. During the reading of the Qur'an he shed tears and as his daughter related, he wept with joy at the news that he might accompany Muhammad in his emigration.

Finally the time came for Muhammad and Abû Bakr to leave. Ali remained behind to look after the women and children. Taking what goods they had, he and Abû-Bakr with drew by night to a cave on 'Mount Thaur'. This was a wise precaution, since it lay to the south of Mecca, whereas Madina was to the northeast and the Meccans would naturally pursue them in that direction. Here they stayed for some time, being provisioned by Abû Bakr's son, who brought them news of their enemies' movements. When the coast was clear they travelled by a devious route to Madina, where they received an enthusiastic welcome.

"If you do not help him, yet God has helped him already, when

THE 'HIJRA' YEAR

By : RASCHID AL - ANSARI

It should be remembered that the word 'Hijra' does not mean 'flight' or even 'migration', so much as the breaking of old ties. This is exactly what happened. It was a good-bye to the old idolatrous past with all its evil connections and customs - and a greeting to the new future of purity and true faith. A purging of sins in the journey to Allah's light.

At this moment of time, the beginning of the Muslim year, it is good to review the events leading up to the beginning of the Muslim era. According to the Julian calendar this was the year 622 A.D., or the year 933 of the Seleucid era.

What important event happened at this time ? So important that Muslims date their history from it ? It is, of course, the emigration of the Prophet from Mecca to Medina and the establishing of the first Muslim community there.

The Prophet emigrated to Madina for very good reasons. For some years the Prophet of Allah had been preaching His message to the people of Mecca, only to be abused by these idolatrous people, who persecuted him and his converts, forcing many of them to flee to Abyssinia. Finally, in the face of such tyranny, it became imperative for the Muslims to migrate if the Word of Allah was to continue to be heard.

Thus, it was so arranged by Allah, that Muhammad should meet with some people from Madina and come to an agreement with them at Al-Akaba. In this agreement the Madinese pledged themselves to take him into their community and to protect him as one of their own citizens. This pledge of protection was also to hold for his Meccan followers. These negotiations, which could not remain unknown to the Meccans, produced great bitterness, and even more heavier persicution followed, the result of which was to still more confirm them in their resolution to migrate to Madina.

The Muslims slipped away in larger or smaller bodies, so that finally only Muhmmad, Aly and Abû Bakr were left. That the Prophet did not go with the others was certainly due to the fact that the Meccans otherwise would have prevented the whole emigration. They knew him well enough to see the

Dr. Muhammad Iqbal, the great Muslim poet-thinker, Said : "The person of Moulana Jamaludin Al-Afghani was a prodigy. The wayes of providence are strange. The most advanced person among the Muslims of the era, he influenced the most outstanding personalities of Iran, Egypt and Turkey. The dynamic person of Mufti Muhammad Abduh and the august person of Saàd Zaghlol Pasha were among his students". This explains why Muhammad Abduh was an ardent follower of his mission and Al-Afghani's programme was crystallized in a school of followers headed by Sheikh Muhammad Abduh who advocated a far-reaching reform the regeneration of Islam and the restoration of the principle of 'Ijtihad' on the basic of understanding religion as it had been understood by 'Al-Salaf'. Nearly all the men who became prominent in the cultural, social and religious life of Egypt during the first half of this century had felt in one way or another the influence of the teachings of these two pioneers i. e ; Al-Afghani (d. 1897 A. D.) and Muhammad Abduh (d. 1905 A. D.). They all shared their belief that Islam, if correctly interpreted, would provide the adequate solutiou for modrne social, cultural, economic and political problems. Therefore the aim of reformers, since the last quarter of the 19th century, has been the interpretation of the true spirit of Islam and a happy combination between the teachings of the Quran and the scientific spirit of the modern age. The most influential reformers in this respect have the grand ulamas of Al-Azhar.

From France Jamaluddin Al-Afghani went to Russia and he met the czar and prevailed him to abolish the restrictions put to deny the religious right of Muslims of printing and publishing the Quran. He stayed in Russia for 4 years during which he rendered valuable services to the Russian Muslims. From Russia he travelled to Iran. After being expelled from Iran by the, then, Iranian shah he went to Turkey. Sulthan Abdul Hammeed Khan was looking at his mounting influence with awe. After 5 year's of stay in Turkey the restless soul of Jamaluddin left in 1897 for its final resting place. He sacrificed all his comfort and worldly grandeur for the sake of his noble mission in this life.

but their influence was limited to their immediata surroundings but the influence of Jamaluddin transcended the political and other artificial barries. Jamaluddin's modernism was guided by the spirit of Islam; Although he did not object to the idea of borrowing from western culture so long as what borrowed could be adepted to suit the Islamic principles.

Sheik Muhammad 'Abduh drew an elaborate plan for the application of Al Afghani's main theory for reform. He was a master of practical ideas for educating the Muslim community. He was an advocate of girls education. In this connection Muhammad Abduh wrote : Those who really desire good for the country should turn their attention essentially to education. For it is by reforming education that one will most easily realize all other reforms. But those who imagine that in merely transplanting to their country the ideas and customs of European peoples they will, in a short time, achieve the same degree of civilization deceive themselves grossly: If we give ourselves up to this blind imitation of the west, it is then to be feared that we shall only arrive at a superficical and scarcely durable transformation, which will supress our morals and our customs and ruin all our personality.

Therefore the aim of these two pioneers of the modernist Islamic movement was educating the Muslim child, raising the cultural standared of the people and training the research scholars and the propagators of the message of good in the different parts of the world. Both Jamaluddin Al-Afghani and Muhammad Abduh were, undoubtly, the greatest and most influencial reformers of the 19th century. The movement ot Al-Afghani had a strong impact on the development of Al-Azhar University. This movement aimed at making Al-Azbar a great seat of education for all Muslims, where students will be able to specialise, over and above their Islamic education in medicine, engineering, economics, agriculture and arts. In its long history the role of Al-Azhar has been but a circle within in the sphere of the calling to Allah and in spreading the message of Islam. The concept of making Al-Azhar a religio-secular university in the full sence of the term was materialized by the re-organization of 1961.

When he realised that time was not ripe in Afghanistan to carry out his mission he travelled to Egypt, seat of Al-Azhar and centre of Islamic and Arabic studies, where he was received with honour and materialized his movement.

mission through out the Muslim countries. The great success which Al-Afghani achieved in his movement for the resurgence of the Muslim world materialized in Egypt. His dynamic personality attracted a large number of Egyptian Scholars who came to him to discuss various problems pertaining to Egypt and other parts of the Muslim world. He enriched their minds with his wise discourses. Egypt was then suffering from the misrule of the kings and the influence of British imperialism. He exhorted Egyptian youth to take vital interest in religion, philosophy, literature and politics.

The role of Al-Afghani in the modernist movement in Egypt realized in a school of followers headed by his staunch disciple Sheikh Muhammad Abduh. Thus Al-Afghani may be considered the philosopher of the Islamic rivival movement. Dr. Muhammad Iqbal said : "He (Al-Afghani) wrote less but said more and transformed each and every person who came near to him into a Jamaluddin in miniature. None in our time has filled Muslims with the spirit of Islam to the extend he did." Britain, believing Al-Afghani's role in the social, political snd spiritual development of Egypt, made use of her diplomatic intrigues and forced him to leave Egypt after a stay of 8 years period from 1871 A. D.

From Egypt he travelled again to India where he wrote his famous work "Al-Radd, âla al-Dahriyyîn" (The Refutation of the Meterialists). In this book he analysed the essentials of Islam. He pointed out that "sometimes the materilists proclaim their concern to purify our minds from superstition and to enlighten us with true knowledge, sometimes they peresent themselves to us as friends of the poor, protectors of the weak and defenders of the oppressed; whatever the group to which they belong, their action constitutes a formidable strock which will not fail to shake the foundations of society and to destroy the fruits of its labour. Their words would suppress the noble motives of the heart, their ideas would poison our souls." His modernist movement was contigent upon the retention of the rightly interpreted ancestral beliefs.

After a brief stay in India Jamaluddin went to Paris where he started to publish, with the help of his great disciple Muhammad Abduh, the magazine "Urwath al-wusqa." The magazine served a great deal in awekening the Muslim world. There were reformers in various parts of it, who did their best to correct the wrongs and guide Muslims in the right path,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Muharram 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	April 1967

'Jamaluddin Al-Afghani'

On the occasion of his 70th anniversary (d. 1897. A. D.)

By A. M. Mohiaddin Alwaye

It was a period when Muslim world had reached its lowest point of political decline. Their moral degeneration had devasted them of political stability resulting in their subjugation by colonial powers. Jamaluddin had devoted his life to call Muslims to be united in the light of Islamic teachings. He travelled through the Muslim world preaching, liberty, equality and unity. This was the mission to which he sacrificed his life. He did his best to guide Muslim world to the path of political liberty and the cooperation transcending geographical barriers in the spirit of Islam. He worked for a world Muslim cooperation in a universal character.

Jamaluddin Al-Afghani was born in 1838 A.D. (1254 A.H.) in Sádabad, Afghanistan. His father enjoyed a high status in his society and the government as a noble man and a good scholar. He completed his education both in religious and other subjects under the direct supervision of his father. At the age of 18, he was a scholar in Islamic studies, philosophy, astronomy, physics and mathamatics etc. Then he went to India to acquaint himself with western sciences and arts. After a year's stay in India he travelled to Arabia for Hajj (pilgrimage) where he met many Muslim Scholars and reformers from different countries of the world.

Jamaluddin Afghani rose to the post of Chief Minister of his country for a brief period. After a time he left Afghanistan to carry out his

الفهرس

الصفحة — الموضوع

١ من القرى الثلاث إلى القارات الثلاث
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٥ دروس الهجرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

٧ درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز
لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

١٨ البيت العسكرى وفضيلته فى الإسلام
للأستاذ محمد محمد المدنى

٢٣ رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٢٧ أسباب عظمة العرب
الدكتور محمد مختار القاضى

٣٣ منهج الرازى فى تفسيره — ٢ —
الأستاذ على العمارى

٣٧ فارثور فى الشعر الحديث
الدكتور سعد الدين الجيزاوى

٤٦ إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان ؟
للأستاذ بدر عبد الباسط

٥٠ النحو الأندلسى فى محيط القرآن الكريم
للدكتور عبد العال سالم مكرم

٥٩ السهولة فى شعر الرثاء
الأستاذ كامل السيد شاهين

٦٤ دعائم الحضارة الإسلامية — المكتبات
للأستاذة سميرة عبد المنعم

الصفحة — الموضوع

٦٨ الجبال فى القرآن الكريم — ٨ —
للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى

٧٣ هل يوم الفصح هو يوم عاشوراء ؟
للأستاذ على الخطيب

٧٧ المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين — ٦ —
للأستاذ محيى الدين الألوائى

٨٣ وصية جعفر الصادق لأحد المريدين
للأستاذ محمد الغزالى

٨٩ حول فكرة تلحين القرآن الكريم
للأستاذ عبد الفتاح القاضى

٩٣ نظرة الإسلام إلى المال
للأستاذ عبد الرسول عبد الحافظ

٩٨ ومضات من التصوف الروحى فى أدب المهاجرين
للأستاذ حسن جاد

١٠٤ بين يدى الله ... للدكتورة عاتكة الخزرجى

١٠٦ حول مشروع قانون الأحوال الشخصية
للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١٠٩ البطل والميدان فى رسالات الله
للأستاذ إسماعيل حمدى

١١٤ أدب الكدية — ٢ —
الأستاذ محمد كامل الفقى

١١٩ محمد الرجل وعقيدته تأليف تور أندريه
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١٢٥ أنباء وآراء

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Jamaluddin Al-Afghani	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — The Hijra Year	*Raschid Al-Ansari*	5
3 — Teachings of the 'Kalimah'	*Abul Hashim*	8
4 — 'Tell of the merits of your dead'	*Soliman Barakat*	14

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثانى ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ صفر ١٣٨٧ هـ ـ مايو سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد : عُدّة الإسلام وقوة المسلمين

بقلم

أحمد حسن الزيات

متى يؤدى المسلم فريضة الجهاد إذا لم يؤدها اليوم ؟ دينه يتقحم عليه الكفر محاربيه مع الصهيونيــة ، ووطنه تتفجر على جوانبه الدواهى من الاستعمار ، وإخوته فى فلسطين أخرجتهم دول النصرانية من ديارهم وأموالهم ليدخلوا فيها من صنعوا الصليب للمسيح من سلائل يهوذا ، وشعبه فى أقطار العروبة وديار الإسلام لا يزال فى معترك الخطوب ومشتبك المطامع يجأر بالشكوى ، ويصرخ من الظلم ويغضب للكرامة ويثور للحق فلا ينال من الضمير الغربى إلا ما تنال هبة الريح من الصخر الأصم .

والجواب : أن المسلم المؤمن لا يزال على ذكر من أن دينه قرآن وسيف ، وتاريخه فتح وحضارة ، وشرعه دين ودنيا ، وحربه جهاد وشهادة ، وحكومته خلافة وقيادة ؛ فهو مجاهد أبداً ، لا ينفك عنه الجهاد أصغره وأكبره ، فإذا لم يجاهد عدوه جاهد نفسه ، وإذا لم يراقب ثغوره راقب ضميره ، والمسلمون

منذ استيقظ وعيهم على رجفات الحرب العالمية الأولى أدركوا أن علة ما أصابهم من الاستعباد والاستعمار إنما هى اعتمادهم على الحق دون القوة ، وعلى القول دون العمل .

وأصل ذلك الضعف ، والضعف يجافى طبيعة العربى ، وينافى حقيقة المسلم ، فتنادوا من وراء الحدود المصطنعة والستور المضروبة بلسان الأدب وإلهام الروح ووحى العقيدة إلى العمل سراً وعلناً للاستقلال الذى يحرر ، ثم إلى الألفة التى تجمع ، ثم إلى الوحدة التى تقوى ، ثم إلى القوة التى تدافع .

وهذه المراحل الوعرة المهلكة التى تؤدى إلى الحرية والعزة لا يقطعها إلا الجهاد الفدائى الذى فرضته شريعة الله واقتضته طبيعة العرب .

وذلك الجهاد الفدائى هو بذل المال والنفس فى سبيل فكرة سامية ، كإعلاء كلمة الله ، أو تكريم ذات الإنسان ، أو تحقيق حرية الوطن .

وهو فرض عين على كل مسلم قادر إذا وقع المسلمون فى خطر عام لا يقدر على دفعه قوم دون قوم ، كالاستعمار والصهيونية .

والقيام به لا يتقيد بزمن ولا أرض ولا جنس .

مثله فى ذلك مثل الأركان الخمسة للإسلام ، ولكنه يختلف عنها فى أمر دقيق : ذلك أن المسلم قد تضعف فى نفسه الدواعى إلى إقامة هذه الأركان كلها أو بعضها ، فيترك الصلاة والصوم ، ويهمل الزكاة والحج ، وإذا ذكره بها واعظ أو حثه عليها خطيب جعل قوله دبر أذنه .

ولعل السبب فى هذا الضعف أن العمل بهذه الأركان قائم بين المسلم وربه فلا وازع لها إلا من ضميره .

أما عقيدة الجهاد فقائمة على الصلات بينه وبين ربه ووطنه وولده وماله وتراثه وذكرياته وأمانيه ، فهى لا تزال حية فى نفسه على تراخى الزمن وشدة الترك ، كالنار فى البركان الهادىء ، تسكن ولا تنطفىء ، وتكمن ولا تظهر ؛ حتى إذا أثارتها الحمية لدين يهان ، أو لوطن يهاجم ، انفجرت فى نفوس المسلمين انفجار الحمم فما تذر من شىء أتت عليه إلا دمرته .

بذلك نفسر هذه الصيحة الإسلامية العامة التى أخذت دول الاستعمار من جميع الأقطار المسلمة على انقطاع السبب وتباعد الشقة ، تستنكر تآمرها على مصر وتستعد لدفعه عنها بالأموال والأنفس .

وبذلك نفسر هذه الغضبة العربية الشاملة لما يصيب مصر وسورية من بغى الاستعمار الفاجر وعدوان إسرائيل المبيت ، وما تبع هذه الغضبة من تعاون العرب على إمدادهما

بالرجال والمال والعتاد فى ميادين الحرب ، وتأييدهما بالرأى والصوت فى مجالس الحكم.

ولم يكن عطف المسلمين على مصر ولا غضب العرب لفلسطين لعصبية الجنس أو لحق الجوار وإنما هو لتلك الحفيظة الدينية التى أوحاها الله فى الكتاب ، وبينها الرسول فى السنة ، وفصلها الفقهاء فى الفقه .

والجهاد كسائر الأركان يستند إلى نص القرآن الكريم .

وإن من سوره ما موضوعه الحرب والسلم والغنائم والأسرى والعهود وجملة ما يتألف منه قانون الحرب فى الإسلام كسورتى التوبة والأنفال .

ومن المغازى الدقيقة للقرآن الكريم أنه لم يعرض لأسرى المسلمين بنظام ولا معاملة كما عرض لأسرى العدو ، لأنه يأمر بالثبات وينهى عن الهزيمة إلا لخدعة أو نجدة : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله » .

. . .

أما سر القوة فى المجاهدين فعله عند الإسلام وحده .

كان العرب من قبله قوى مبعثرة على رمال الصحراء لا تجمعها وحدة ولا تربطها رابطة .

فلما اصطفاهم الله لأداء رسالته أمدهم بروح من عنده وحدت الشتيت وألفت النافر ، وجمعت الكلمة ، « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

ثم قوى هذه الروح فيهم بعقيدة القضاء والقدر فقال لنبيه صلوات الله عليه « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » .

ثم ضمن للمجاهد الفوز بإحدى الحسنيين : النصر الذى تعقبه العزة لله والحرية للوطن والكرامه للإنسان ، أو الشهادة التى يعقبها البقاء فى الدنيا بالذكر ، والخلود فى الجنة بالروح .

بهذه الروح الإلهية خرج البدريون وهم زهاء الثلاثمائة إلى أئمة الكفر من أبطال قريش وهم زهاء الألف فكبكبوهم قتلى فى وادى بدر ، وعادت الفئة القليلة إلى يثرب بالنصر والأسرى ، وعادت الفئة الكثيرة إلى مكة بالهزيمة والجرحى .

وبهذه الروح المنبثقة من روح الله خرج بدو الجزيرة من أجواف الأودية وأعماق القفر ضئال الجسوم قلال العدد ضعاف العدة إلى الإمبراطوريتين اللتين تقسمتا يومئذ ملكوت الأرض ، فقوضوا الإيوان على

ملك كسرى ، وحطموا العرش على سلطان قيصر .

وبهذه الروح الملتهبة فى دماء المجاهـدين ثبتت بور سعيد بالأمس لمـائة وستين ألفاً من أعقاب الصليبيين ، وتثبت اليوم مصر وأخواتها لعـدوان إسرائيل ومن وراءها من الأمريكيين والبريطانيين .

وبهذه الروح القدسية التى تشع فى قلوب المجاهدين : الصبر والصدق والثبات والإقدام والإيثار والتفدية ، كانت قوة المجاهد ضعف قوة عدوه «فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منـكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين» .

والجهاد بعد أولئك كله سعادة لا يؤتاها إلا من اجتباهم الله لإكرام خلقـه وإعزاز حقه وإصلاح أرضه ، وقد سماهم الله الشهداء وجعل مقامهم فى الجنة مع الصديقين والأنبياء .

هـؤلاء هم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وهم الذين فتحوا الفتوح للإسلام ، ومهدوا المهود للمدنية ، وسقوا الأرض المفتوحـة بدمائهم الزكية ، فأنبتت تلك الحضارة التى طهرت النفوس وعمرت الدنيا وثقفت العالم .

فـا أسعد أولئك الذين ادخرهم الله ليعز بجهادهم وطنا ويحى باستشهادهم أمة !!

أحمد حسن الزيات

سخط الله فى اليهود

لعن الذين كفروا من بنى إسرائيـل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منـكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العـذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولـكن كثيراً منهم فاسقون .

بيان إلى الأمة العربية

من فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

نداء القوة يوجهه المولى سبحانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه المؤمنون بربهم الواثقون بنصره، المتطلعون إلى النصر إقرارا للسلام ودعما لمعانى الحق والخير والعدل وذلك عند ما يجد الجد ويتألب الطغاة المفسدون والسفهاء المعتدون . والمؤمنون أبدا متصلون بالله ، فهم ذوو قوة وبأس شديد تتهاوى أمامهما كل القوى وتخر صريعة كل المعدات والاستعدادات ومن أجل ذلك أقبل على عدوك الذى يريد أن ينال منك وأن يقضى على مبادئك لخطمه واشدد عليه حتى تقضى عليه فلا تقوم له قائمة ، وما أشبه الليلة بالبارحة فهؤلاء هم الفئة الباغية والشرذمة الطاغية من أبناء صهيون الذين اتخذ منهم الاستعمار الغاشم جسرا يعبر عليه لأهدافه ومطية يمضى بها لأغراضه ويجعل منهم مخالب يسطو بها على الأمناء ويشرد بهم الوادعين المطمئنين وليخرج أصحاب الأرض من أرضهم ويدعهم مشردين لا أمن لهم ولا استقرار .

ومن ثم فإنه من الحق أن نذكر فى كل لحظة تمضى فى حياتنا أن هذه الشرذمة إنما تطمع فى الاستيلاء على الشرق العربى من النيل إلى الفرات بل من المحيط إلى الخليج ، وأنهم دائما أبدا يحاولون الغدر بنا وإذلال أمتنا .

ولا أدل على ذلك من اعتدائهم سنة ١٩٥٦ الذى كان تحت جناحى دولتين استعماريتين لولا أن قيض الله لهذا الوطن بطلا باع نفسه فى سبيل الله فقذف بهم فى البحر وعاد من أفلت منهم يجر أذيال الخيبة والهزيمة والاندحار .

ومن أجل ذلك ، والفرصة الآن لكم والربح ، شدوا عليهم أيها العرب بقواكم وشبابكم وحنكة شيوخكم وحسن تدبير قيادتكم عند ما يبدأون الاعتداء ، واذكروا ما كانوا يعيشون به فى أرض فلسطين من فساد عند ما قتلوا النساء والأطفال والشيوخ وشردوا مليونى عربى ، وما اعتدوا به على الأماكن المقدسة حتى ضربوا الصخرة المشرفة

والله معكم فى كل ضربة أو طلقة أو دفعة ، إنه معكم على هؤلاء الذين ما غضب الله على قوم بمثل غضبه على هؤلاء حتى قبح أعمالهم وسفه أحلامهم : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

والأمر أبدا بيد الله يصرفه كيف يشاء ويدفع المخلصين إلى أهداف النصر وما النصر

إلا من عند الله ينصر به من يشاء ، قل عددهم أو كثر ، فإن معكم الله، ومعكم الإيمان يرسخ فى قلوبكم ولا إيمان لهم ، ومعكم الثقة بأنفسكم ولا ثقة لهم بهدف ، ولا إيمان لهم بغاية وأهدافهم مهزوزة وأغراضهم شريرة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، أجل ، بإذن الله الذى وعدكم النصر لأنكم بهذا تنصرون دين الله « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

أيها العرب فى كل مكان :

إنكم عندما تفتحون معاقل هؤلاء الأوغاد فإنما تقاتلونهم لتحيا أمم ولتمكنوا أصحاب الحقوق من حقوقهم ولستم أمثالهم ، لستم طلاب استعمار ولا استغلال شعوب ولا إزهاق أرواح ولا تجويع أمم أو حرمان جماهير ، وأنتم، فوق ذلك كله، مؤمنون مطمئنون إلى حسن العاقبة من مولاكم وخالقكم : « ولاتهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما» فأبدأوا عند أى عدوان مستعينين بالله واقضوا على هذه الفئات والشراذم وطهروا الأرض الطيبة منهم : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » واذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن فى الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله » بل إنه عليه الصلاة والسلام قال : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه » فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وأبشروا أيها المرابطون الواقفون عند الخطوط الأمامية لأمتكم لتقضوا بها على عدوكم ولا تنسوا ما قاله ربكم عنهم مما يهز كيانهم وينقض بنيانهم ويضعف شأنهم : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

إننا نناديكم أمة واحدة ويداً واحدة من وراء هذا الرجل الذى وهب لحياة الأمم والشعوب وجعل من الحرية بحراً يغترف منه كل ظمآن لا حرج عليه ولا تثريب .

أيها الشباب ... أيها العرب :

إن نبى الرحمة هو نبى الجهاد ؛ فهو يقول أنا نبى الرحمة وأنا نبى الملحمة ... ويقول : (والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل).

وإنه ليدعوكم اليوم إلى الملحمة ، إلى الطريق المستقيم فكونوا يداً واحدة على من سواكم واضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، واعلموا أن الله يحذر أى إنسان من التخلف عن المعركة إذا ما حان الحين وجد الجد ، ويفتح أعين الناس على ما أعد لهم من الخير ، « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئاً

يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانو يعملون » .

إننا الآن فى المعركة الفاصلة الحاسمة فى تاريخ الأديان والعروبة :

فإما حياة تبعث الميت فى البلى
وإما ممات لعمرى لم يقس بممات

فليوص الرجل نفسه وأهله وأولاده وجيرانه بالجهاد فى سبيل الله والخروج لدين الله « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

أما أنت أيها الزعيم ومن حذا حذوك وكان معك على العدو وانتصر لدين الله وآمن بعروبته وخاف عليها فإنا من ورائك نمضى حيث أردت إيماناً بمثلك ومعانيك ومبادئك التى بعت نفسك لله عليها انتصاراً للحق والخير ، فامض لما أمرك الله وعلى بينة من أمر الله ، فلو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا شاب ولا شيخ ولا امرأه ولا رجل ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا فإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك وعين الأحرار الأوفياء والمؤمنين الأصفياء فى أنحاء الوطن العربى ، فسر على بركة الله .

« إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » .

ثم يقول الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . أعان الله المخلصين وسدد خطاكم ومكن لكل إنسان أن يشترك فى غزو الأعداء والانتصار عليهم ليشم رائحة الجنة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم » .

وإلى اللقاء فى حومة الوغى وساحة القتال ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم واجعلوا المعركة القادمة هى مفرق الطرق فى خطير التاريخ الإنسانى العام .

« ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شيخ الأزهر

حسن مأمون

مثالب اليهود كما يصورها القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

اليهود قوم مغرورون . معجبون بأنفسهم ، يرون أنهم أحسن الخلق وأولاهم بالرياسة والقيادة ، وأنهم « شعب الله المختار » ، وتراودهم دائما أحلام السيطرة على العالم ، وإدارة دفة هذا الكوكب الأرضى ، ولا تكاد تجد فرداً من أفرادهم إلا وهو يخفى هذا المعنى فى نفسه إذا لم يستطع أن يبديه ، ويريد أن يعلو بغير الحق ، سالكا كل سبيل توصله إلى ما يريد ، فعندهم أن الغاية تبرر الواسطة ، وأن العبرة فى عمل ما ، أو مسلك ما ، إنما هى بالنتائج التى ينتهى إليها هذا العمل ، أو يفضى إليها هذا المسلك .

وقد بين لنا القرآن الكريم كثيراً من أخلاقهم وطبائع اللؤم الأصيلة فيهم ، وكان منها كراهيتهم للعرب ، واحتقارهم لجنسهم ، فكانوا يسمونهم بالأميين ، افتخاراً عليهم بأنهم هم أهل الكتاب المنزل وهو التوراة ، وكانوا يرون أن أموال هؤلاء الأميين حلال لهم ، وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

قال المفسرون : كانوا يدعون أن ذلك فى كتابهم - التوراة - أى أن الله تعالى أباح لهم أن يظلموا العرب كما شاءوا ، وقد كذبهم الله وبين أنهم يفترون عليه الكذب ، فقال : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وقد قص علينا القرآن من أنباء غرورهم بأنفسهم أنهم كانوا يقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، وأنهم قالوا : « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » ، وأنهم طلبوا من نبيهم المحال الذى يدل طلبه على سوء الأدب ، وشدة الغرور ، : « فقالوا أرنا الله جهرة » ، و « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ، وقال رافع ابن خزيمة اليهودى يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون » .

وبلغ من تبجحهم وتجرئهم أن قالوا «إن الله فقير ونحن أغنياء» و «يدالله مغلولة» وذلك لما سمعوا قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له »

كما بلغ من غرورهم وثقتهم بقدرتهم على الخداع أن حاولوا فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، وذلك أن أحبارهم ورؤساءهم ذهبوا إليه ذات مرة وقالوا له : إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا ، وإنا إذا اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحتكم إليك فتحكم لنا فنتبعك ونؤمن بك ، فنزل فيهم قوله تعالى: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون » .

ولما انتصر المسلمون فى غزوة بدر وعلم اليهود بذلك حزنوا حزنا شديدا ، ثم جعلوا إذا لقوا أحدا من المسلمين يقولون له : لا يغرنكم هذا الانتصار على المشركين ، فإنكم لقيتم قوما ليس لهم علم بالحرب ، ولا عهد بالقتال والمعارك المنظمة ، ولو لقيتم اليهود فى معركة من المعارك للقيتم قوما أولى بأس شديد .

هذا قليل من كثير يحتفظ به التاريخ عنهم، وعن مواقفهم فى عهد الإسلام الأول ، وإن مواقفهم فى الغرور بأنفسهم لغير مواقفهم فى الدسائس وإثارة الفتن ، وحروب الأعصاب ، من كل ما ألفوا أن يفعلوه من الأفعال التى لا تكلفهم حربا ولا جهادا ، حتى إذا رأوا الحرب خافوها ، وفروا عنها ناكصين إلى حصونهم وقلاعهم ، لأنهم جبناء ضعفاء ، ليس فى قلوبهم إيمان بحق ، ولا محبة لعدل ، ولذلك يقول القرآن فيهم :

« لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

. . .

ومن ذلك ما كانوا يرتكبونه من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقولون له حينا : « سمعنا وعصينا » يريدون بذلك أن يثيروه ويفتوا فى عضده، ويهونوا أمره على أصحابه ومتبعيه ، ويقولون له حينا آخر : «واسمع غير مسمع» كما يقال فى السب والدعاء بالشر: إسمع يافلان لا أسمعت ، وحينا يقولون « راعنا » وهذا لفظ محتمل لمعنى قول القائل : راعنا سمعك ، أو راعنا التفاتك ، أى استمع إلينا والتفت فإنا نريد أن نحدثك ، وهو صالح أيضا لأن يراد به وصف من الرعونة بمعنى الطيش ،

فهى كلمة ذات وجهين ، اختاروها فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نفاقا واستهزاء و « ليا بألسنتهم » أى إرادة لجانب الالتواء باختيار التعبير باللفظ الملتوى المحتمل ، وقد ورد أنهم كانوا أحيانا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : (السام عليكم) . والسام هو الموت والهلاك ـ ويديرون ألسنتهم على نحو يجعل السامعين يظنون أنهم يقولون (السلام عليكم) فهذا نوع من اللى باللسان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متنبها لقصدهم وليهم ، فيرد عليهم بقوله : (وعليكم) وتلك مقابلة مهذبة منه صلى الله عليه وسلم لسفاهتهم وبذاءتهم .

* * *

وقد ورد فى القرآن الكريم بعض عبارات تلقفها اليهود ، وزعموا أن فيها اعترافا بفضلهم وذلك قوله تعالى مخاطبا لهم « وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين » وقوله تعالى « وأنى فضلتكم على العالمين » .

فإن اليهود كثيرا ما يستدلون بذلك على ما يفخرون به من أنهم (شعب الله المختار) .

والحقيقة أنه لامتمسك لهم فى ذلك ، وإنما المراد أنه تعالى آثرهم بكثير من النعم فى عصرهم ، حتى بعث فيهم كثيرا من الأنبياء ولون لهم أنواع الهداية ، وأنقذهم من كثير من المآزق ، وحلم عليهم فلم يأخذهم بذنوبهم ، مع افتنانهم فى ضروب العصيان والفسوق ، وهم فى كل ذلك لا يضربون إلا أسوأ الأمثال فى النكران والكفران ، فتفضيل الله لهم هو هذا ، وهو أيضا توجيه دعوة موسى ودعوات غيره من الأنبياء التى ترادفت عليهم ، وليس معناه تفضيلهم التكوينى فى خلق أو خلق أو علم أو ذكاء أو فراهة أجسام ، أو نحو ذلك مما يزعمون ، ولا يكاد يعرف شعب من الشعوب التى أرسل الله إليها أنبياءه قبل بنى إسرائيل ، صابرتهم السماء على تكذيبهم وعنادهم وتحريفهم ونفارهم عن الحق ، وجماحهم عن الهدى ، كشعب بنى إسرائيل فهذا هو ما يمتن الله به عليهم .

والدليل على ذلك أن القرآن يصفهم فى كثير من المواضع باللؤم والنقض ويلعنهم ، ويعبر عن طردهم من رحمة الله ورضوانه بأنه « جعل منهم القردة والخنازير » وقال لهم : « كونوا قردة خاسئين » ويصف التواءهم العقلى بمثل قوله : « أفلا تعقلون » « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ويصور قسوة قلوبهم بصورة بليغة إذ يقول : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وإن منها لما يهبط من خشية الله » ، ويقول عنهم : « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة

فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » .

ولو أن باحثا جمع آيات القرآن الكريم عن اليهود ، واستخلص منها ماتدل عليه من مثالبهم ومساوىء أخلاقهم وأفعالهم والتواء طبيعتهم ؛ لجمع — أوكاد — جميع خصال السوء ، وأخلاق الرذيلة ، فكيف يتبجحون مع هذا بأن القرآن يقصد امتيازهم على جميع من سواهم من الأمم ؟ وكيف يتمسكون بما يفهمون من ظاهر آية أو آيتين وقد تخالفت آيات القرآن التى نزلت فيهم على غير ما فهموا ؟ .

والخلاصة: أن القرآن حين قرر أنهم فضلوا على العالمين ، وأنهم أوتوا ما لم يؤت أحد من العالمين ؛ إنما ساق ذلك فى معرض الامتنان عليهم بالنعم وإثبات أنهم يجحدونها ويكفرون بها ، فهو إلزام منطقى بلؤمهم ، حيث أوثروا بالنعم فكفروا وتولوا .

. . .

والتاريخ يعيد نفسه : فهؤلاء هم «الصهاينة» يكرر الخلف الحاضر منهم ما كان عليه سلفهم ، فيقفون لكل مبدأ من مبادىء الإصلاح موقف المناهض المقاوم ، ويثيرون الفتن حيثما حلوا ، ويستحلون فى سبيل غاياتهم الدنيئة كل حرام ، ويفترون على الله الكذب ، ويخالجهم الغرور بأنفسهم فى كل حين ، فيزعمون أنهم أمة مفضلة على غيرها ، ممتازة دون سائر الناس ، ويشتد بهم الغرور أمام العرب خاصة ، فيزعمون أنهم قادرون على تقرير ما يشاءون وليس للعرب إلا الرضا بالأمر الواقع ، وما العرب فى نظرهم إلا قوم تجدى فيهم الغلظة والشدة والتخويف فينكمشون .

وقد شاء الله تعالى أن يكذبهم فى الحاضر عمليا ، كما كذبهم فى الماضى ، وها هى ذى أمة العرب ، تحتشد لهم تحت قيادة البطل المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر ، نصره الله ، وتتكتل للقضاء عليهم ، ولا تعبأ بهم ولا بمن يشد أزرهم من أهل الباطل ، وجنود الظلم والاستعمار ، وإنهم إن شاء الله لمخذولون ؟

محمد محمد المدنى

دورُ الأزهر في معركة المصير

للأستاذ حسن جاد

تعيش الأمة العربية اليوم أروع أيامها فى تاريخ البطولة والتضحية والفداء، حيث تلتقى كلمتها، وتتجمع صفوفها، وتتوحد رايتها، وتلتحم قواها الثورية، وكتائبها المعبأة، لخوض معركة المصير العربى، وتصفية الحساب مع الاستعمار والصهيونية.

وهى بذلك ترتفع فوق كل اعتبار، وتسمو على كل خلاف، إلى مستوى الموقف البطولى الذى رفعها إليه القائد الرائد الصاعد، جمال عبد الناصر، بخطواته الظافرة المنتصرة، فى محو آثار العدوان الثلاثى الغاشم، واستعادة مواقعنا على الحدود، وسلطاننا على الخليج.

لقد تجسمت فى هذا البطل الشجاع آمال الأمة العربية، وانصهرت فى ثورته ثورتها، وتمثلت فى بطولته بطولاتها، فارتفع بنا إلى أعلى قمة من التحدى الأبى القوى، نشرف منها على الدنيا، فنقول كلمتنا، ونملى إرادتنا، ونصحح أخطاء التاريخ.

فليس عجيبا إذن أن نرى شعبنا العربى، وكأنه فى مهرجان عيد، لا فى حال تعبئة وتجنيد؛ مواكب تتدافع للجهاد، وتتسابق إلى الميدان، وتتزاحم على التطوع، وتتنافس فى التبرع بالدم والمال.. حتى رأينا من مشاهد التضحية والفداء والبطولة، ما أعاد إلى أذهاننا، صورة المسلمين الأولين فى عهد الرسول الكريم، وأيام خلفائه الراشدين؛ حين كانوا يسارعون إلى القتال، وهم يطمحون إليه، ويرونه شرفا ما بعده شرف، وعزا ليس وراءه عز. فنحن نسمع اليوم أن أطفالا صغارا، يتسابقون إلى مكاتب التطوع فى حماس وإصرار، وأن شيوخا كبارا، يتوكأون على عصيهم سعيا إلى الفوز بشرف الجهاد، وأن نساء يقدمن ما يملكن من الحلى، ويسارعن إلى الميدان.

والأزهر اليوم، كما عرفه التاريخ وكما عهده الشعب، يجدد عهده ويؤكد رسالته ويعرف دوره الطليعى فى معركة المصير.

لقد كان الأزهر فى كل معركة من المعارك التى خاضها الشعب، القلعة الرابضة على مشارف التاريخ والأحداث.

يرتفع من مآذنه الشامخة أول أذان للبعث، وتنطلق من منابره الثائرة أول صرخة للجهاد، وتندلع من مشاعله المتوهجة أول شرارة

للثورة ، وتندفع من ساحاته الهادرة طلائع النضال والفداء والاستشهاد .

وهاهو ذا اليوم كما عرفه التاريخ ، وكما يعهده الشعب ، يتأجج بالثورة ، ويتحفز للثأر ، ويتأهب للمعركة ، ويتعجل مكانه فى الميدان ، ليؤدى لله وللوطن أمانة الدين والعروبة .

إنه يدرك تماماً أن هـذه المعركة معركة العقيدة والدين ، ضد أعداء الدين من اليهود ، ومعركة العروبة والوطنية ضد أعداء العروبة من المستعمرين ، ومعركة الحرية والإنسانية ضد أعداء الإنسان .

ولهذا رأينا شيخ الأزهر يقف فى المؤتمر الكبير الذى أقامته جامعة الأزهر ، وشهده الآلاف المؤلفة من أبنـاء الشعب ، ليعلن أن الجهاد فرض عين فى هذه المعركة على كل مسلم ومسلمة ، وأن التخلف عنـه خروج عن الدين ، ومروق عن الإسلام ، ثم يقول : « إن لى فى الميدان ثلاثة من أولادى ، ولكن ذمتى لن تبرأ أمام الله ، وضميرى لن يستريح أمام نفسى ، حتى أتطوع للجهاد فى مقدمة الصفوف بالميدان » .

ويجيش الحماس فى نفوس شباب الأزهر وشيوخه ، وفتيانه وفتياته ، فتدوى من حناجرهم القوية الصيحات الراعـــدة ، وهى تردد القسم ، وتؤكد العهد ، بأن يكونوا طـلائـع الجهاد ، وكتائب الاستشهاد ، وصفوف الفداء ، وراء قائد العروبة ومعه ، بكل طاقاتهم : بالدم والمـال ، بالـكلمة والسلاح ، بالفكر والعمل ، بالروح والجسد . إيمانا منهم بقداسة المعركة ، والتزاماً بما فرضه الله من الجاد فى سبيله .

إن على الأزهر ـ دون غيره ـ أكثر من دور فى هـذه المعركة ، لأنه أكثر إدراكا لمـا توجبه وتفرضه من قداسـة الجهاد والاستشهاد ، فإلى جانب دوره فى مجال التعبئة المادية بالمال والسلاح والنفس والدم ، حيث تتقـدم كتائبه صفوف الميدان ، ويتطوع أبناؤه للعمل فى كل مجال . يبرز دوره فى تعبئة المشاعر ، وتوجيه الشعب ، وتقوية الروح ، وبث الطمأنينة فى النفوس ، وإرشاد الناس إلى أن الجهاد فى هذه المعركة جهاد فى سبيل الله ، وأن الاستشهاد فيها مفتاح الجنة . وبهذا التوجيه والإرشاد ، يستطيع الأزهر أن يؤدى رسالته ، ويؤكد وجوده ، ويحفظ مكانه من القيادة والريادة ، حيث عرفه التاريخ وعهده الشعب .

إن الـكلمات الواعية من داعية يثق فيه الناس ، ويقتدون به ، لمن أقـوى الأسلحة التى تلعب دورها فى معارك النضال ، إلى جانب الأسلحة المادية ؛ وإنها لرصاص يضاف إلى رصيد قواتنا المسلحة فى الميدان ، وحجة فى

خلال المعارك ، بكلمة مؤمنة تدحض كلمة مسمومة ، أو تخرس همسة خائنة ، أو تفحم دعوة مشككة ، أو تدفع المتردد ، أو تحمس الجبان .

ونحن فى معركتنا هذه إنما نقاتل من أجل ديننا ، ومن أجل وحدتنا ، ومن أجل أوطاننا ، ومن أجل إخوان لنا فى الدين والعروبة أخرجوا من ديارهم بغير حق ؛ ومن أجل أن نستأصل هذا السرطان الذى دسه الاستعمار فى جسم الأمة العربية ، ليفتت كيانها ، ويضعف قوتها ، ويهدد أمنها ، ويقضى على مقوماتها ودينها ، حتى يضمن بقاء ثرواتها نهباً لأطماعه .

فى عام ١٩٠٧ م عقد فى لندن مؤتمر للدول الاستعمارية ؛ بحثت فيه المصالح الاستعمارية فى العالم وما يمكن أن يتهدد مستقبلها ، وانتهى المؤتمرون إلى أنه لا خطر على مستقبل الاستعمار بين شعوب القارة الإفريقية ، ولا فى شعوب القارة الهندية ، ولو استقلت هذه الشعوب ، فإن بقاء الخلافات المذهبية والطائفية والقبلية يضمن للاستعمار بقاء مصالحه الاقتصادية التى ينفذ إليها من نوافذ هذه الخلافات ، ويمكنه من ممارسة استغلاله لتلك المناطق .

وإنما الخطر كل الخطر يكمن فى منطقة الشرق الأوسط ، حيث يتوفر للشعوب العربية فى تلك المنطقة عوامل من التجمع والوحدة والتقاليد واللغة والدين والحضارة القديمة ، وما يمكنها من تهديد المصالح الاستعمارية والقضاء عليها .

وكان من الحلول السريعة التى رآها المؤتمر العمل على إبقاء تفتيت وحدة هذه الشعوب ، باستيطان شعب غريب يحتل قلب هذه المنطقة ، فيفصل بين عرب المشرق وعرب المغرب .

وهكذا كان من صدى قرارات هذا المؤتمر ، وعد (بلفور) لليهود بالوطن القومى فى فلسطين . لا حبا لإسرائيل ، ولا حرصا على مصالح اليهود ، ولكن حرصا على تفتيت وحدتنا ، وتهديد وجودنا ، لضمان مصالح الاستعمار فى استغلال مواردنا واستنزاف دمائنا .

وهكذا تلتقى أهداف الاستعمار بأهداف الصهيونية العالمية ، لقد أقدم الاستعمار على ذلك وهو فى عنفوان صولته وقوته ، قبل أن يتقلص ظله ، ويتقوس ظهره ، ونحن اليوم غيرنا بالأمس .

إننا نملك اليوم من شوكة السلاح ، وكثرة العدد ، وقوة الإيمان ، وصلابة العزيمة ، وعدالة الحق ، ووحدة الصف ، ومناصرة الأحرار فى العالم ، ما هو عسى أن يدفعنا

إلى المعركة واثقين من نصر الله ؛ ونفوسنا عامرة بالأمل والتفاؤل ، مؤمنة بكفاءتنا المادية والمعنوية فى مجابهة قوى الشر والعدوان وتطهير الأرض السليبة والوطن العربى كله من أرجاس الصهيونية والاستعمار ، إلى الأبد بإذن الله .

على أن تاريخنا المسلم يعلمنا أن النصر بقوة الإيمان والروح والعقيدة ، كثيرا ما كان أقرب من النصر بالعدد العديد ، والسلاح الوفير ، « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » . ولم يكن انتصار المسلمين فى بدر وهم عدد قليل أمام عدد كثير . إلا بالإيمان والصبر ، ولم يكن فشلهم فى أحد لقلة عددهم بل لانشغالهم بالغنائم ، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا .

ومن هنا كان للدور المعنوى الذى ينهض به الأزهر فى معركتنا هذه أثره وخطره ، بحكم أنه مثابة المسلمين ، ومنارة الإسلام ، ومركز الإشعاع الروحى النافذ إلى كل قلب من قلوب المسلمين والعرب .

ولست أشك فى أن الأزهر بجامعته ومعاهده وأساتذته وطلابه ، وشيوخه وشبانه سيقوم بهذا الدور الروحى إلى جانب نهوضه بالدور المادى فى المعركة ، فيؤذن للجهاد ، ويقود للزحف ، ويبلغ رسالة الله ، ويحمل راية النضال ، ويشعل النفوس بالحماس ، ويلهب المشاعر بالثورة ، ويعمر القلوب بالإيمان ، حتى تندفع الكتائب الزاحفة ، وهى تتعطش للاستشهاد ، وتتعجل الجنة ، وتثق بما وعد الله به عباده المؤمنين من النصر المبين . ولينصرن الله من ينصره ؛ وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وما النصر إلا من عند الله وإن ينصركم الله فلا غالب لكم .

* * *

ازحفى يا مواكب الحـــرية
لفلسطين أرضنـا العربيـــه
زلزلى الأرض يا كتائب سينـا
على الاستعمار والرجعيه
واسحقيها .. أفعى إلى الشرق تحبو
وتبث السموم ... صهيونيه
اللقـاء الموعود ساعته حانت
ودقت طبـــوله الثوريه
وزئير العملاق جلجل فى الدنيا ،
وأذكى المشـــاعر القوميه
ونفير الزحف المقـدس دوى
فوعى الغرب فى ذهول دويه
أرهم يا جمال معنى البطولات
ومعنى الإباء والأريحيـــه
علهم يدركون أن رحاب
الشرق مهــد البطولة العبقريه

* * *

أقدمى يا كتائب الزحـــف
وانقضى عليها بالعزمة الناصريه
كالآتى المجتاح ، كالصاعق المحـ
رق ، كالصرصر الغضوب العتيه
لعناق الأشواق تحتضن الفجـ
ـــر ، وتذكيه نخوة وحميه
لانتزاع الصباح من قبضة الليـ
ل ، ومن سطوة الغواشى الدجيه
باسم تاريخنا المجيد ، رعى الد
نيـــا ، وأرسى قواعد المدنيه
وبآبائنا الأولى زلزوا كسـ
رى ، ودكوا معاقل القيصريه
والبطولات إذ تخوض المنايـا
ظامئات الصدى لورد المنيـــه
تفتح الأرض بين شرق وغرب
بهتاف الهـدى ، وبالمشرفيه

* * *

يا أخى أنت فى قيودك ليث
عافت القيـد روحه الأسديه
بين جنبيك ثورة من لهـيب
تتحدى القـــذائف النوويه
صاغك الله حين صاغك حراً
وحباك الكرامة الآدميه
فـوق أرض قـدسية باركتها
بالرسالات نفحـــة علويه
وعلى صـدرها العروبة شبت
فى ظـــلال الإباء والحريه
فامش حرا بها،ولا تخفض الجبهة
يومـا إلا لرب الـــبريه
يدك اليوم فى يدى نسحق الزيف ،
ونفرى الحواجز الوهميـــه
لفلسطين قـد أباحت حماها
بنت صهيون لعنة الأزليه
لليتامى المشردين ، لصيحات
صـــبى مضيع وصبيـــه
للثكالى يندبن أهـلا ودارا
ويولولن بكرة وعشيه
صرخات تفتت الحجر الصلد
وتسترحم الوحوش الضريه
يقرع الأرض والسماء صداها
غـــير سمع الضمائر البشريه

* * *

لفسلطين يا أخى فاحفر القبر
لوأد اللقيطة الدوليـــه
لثراهـا السليب قـد دنسته
عصبة من طـرائد الهمجيـه
فاغسل العار عن حماها بثأر
يأنف الضيم والخنا والدنيـه
لست باليعربى إن لم تعدها
لبنيها وشعبها ... عربيـــه

حسن جاد

واجب الشعوب الإسلامية

للأستاذ على العمارى

ما كان الإسلام فى يوم من الأيام كلمات تردد دون أن يكون لها فى نفس قائلها وفى سلوكه آثار نافعة له، وللمجتمع الإسلامى، ولعامة الناس وخاصتهم.

وما كان الإسلام فى يوم من الأيام ستاراً يختفى وراءه أناس لا هم إلا الانغماس فى نعيم الحياة وملذاتها وشهواتها، ثم يتذرعون بأنهم حماة الإسلام، عنه يدافعون، وبأوامره يأتمرون، ويستعينون فى ذلك بأباطيل يروجون بها دعواهم، ويخدعون ببريقها السذج البلهاء.

وما كان الإسلام فى يوم من الأيام ليبيح لرجل مسلم - من خاصة المسلمين أو من عامتهم - أن يضع يده فى يد ظالم مغتصب.

بل إن الإسلام أوجب على المسلمين أن يدافعوا عن المظلوم، وأن يقاتلوا الظالم، لا للدفاع عن النفس فحسب، بل ولرد مظلمة المظلوم. ولو أداهم ذلك إلى أن يبدءوا بالقتال.

وفى كتاب الله آية صريحة فى ذلك، لا لبس فيها، ولا غموض ولا التواء، قال سبحانه وتعالى: « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير »، أى أذن الله لهم فى قتال أعدائهم بسبب كونهم مظلومين، وقد وعدهم الله بالنصر فى هذا السياق مرة، قال سبحانه قبل هذه الآية مباشرة: « إن الله يدافع عن الذين آمنوا »، وقال فيها بعد الإذن بالقتال: « وإن الله على نصرهم لقدير ».

وقد قال العلماء فى تأويل هذه النصرة: فذلك وعد منه تعالى بنصرهم، كما يقول المرء لغيره: إن أطعتنى فأنا قادر على مجازاتك، لا يعنى بذلك القدرة، بل يريد أنه سيفعل ذلك، أى سينصره.

وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم حلفاً قام فى الجاهلية لنصرة المظلوم، وقال فيه: (لو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت).

وقصة ذلك الحلف: أن رجلا من اليمن قدم (مكة) ببضاعة، فاشتراها منه رجل من (بنى سهم) وامتنع أن يدفع للرجل ثمن بضاعته، لما له من سلطان وقوة بين العرب، ولضعف هذا اليمنى الغريب أن يحصل على حقه، فقام اليمنى بجوار الكعبة، وصاح بأعلى صوته:

يالقصى لمظلوم بضاعتـــه
ببطن مكة نائى الدار والنفر

فقام جماعة من قريش ، وردوا إليه ماله ، ثم اجتمع بنو هاشم ، والمطلب ، وأسد ابن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم ابن مرة (قبيلة سيدنا أبى بكر) فى دار عبد الله بن جدعان ، وتحالفوا على رد المظالم وإنصاف المظلوم من ظالمه ، وكانت سن محمد - صلى الله عليه وسلم - فى ذلك الوقت خمساً وعشرين سنة ، وقد شهد هذا الحلف ، فكان - بعد النبوة - إذا ذكره - وكان الحلف يسمى حلف الفضول - يقول :(لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت ، وما أحب أن لى به حمر النعم ، وأنى نقضته ، وما يزيده الإسلام إلا شدة) .

وهكذا أشاد صلى الله عليه وسلم ، بهـذا الحلف ، الذى تعاقد عليه قوم من أهـــل الجاهلية ، على أن يناصروا المظلوم ، وسلكوا كل وسيلة - حتى الحرب والقتال - ليردوا له مظلمته ، وقد فضل النبى هذا الحلف ، على خير ما يعتز به العربى من أموال الدنيا ، من النعم الحمـــر .

* * *

وما أشبه الليلة بالبارحة .

نحن أمام شعب مظلوم ، أخرج من دياره ، وجرد من أمواله ، وبطشت به القـوى الباغية ، فلا شك أن الإسلام يفرض علينا أن نقاتل لاستعادة حقوق هذا الشعب ... أن نقاتل مدافعين أو بادئين ، كل ذلك أوجبه الإسلام .

ومما يؤيد ذلك كل التأييد أن هذه الآية التى أذن الله فيها للمسلمين بالقتال ، والتى ذكرتها فى أول هذا الحديث ، وضحت الظلم الذى وقع على المسلمين الأوائل الذين أذن لهم بالقتال بأنه (الإخراج من الديار) ، وذلك إذ يقول سبحانه وتعالى بعد الآية السابقة : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

وكأنما كان هذا التشريع للمسلمين فى الصدر الأول ينظر لما سيكون عليه حال جماعة من المسلمين فى عصرنا هذا ، وربما فى عصور تالية : « أخرجوا من ديارهم بغير حق » فأذن الله لهم فى الدفاع عن ديارهم وأموالهم وأنفسهم ، بل وأوجب على كل مسلم أن يناصرهم ويشد أزرهم ، ويقاتل معهم .

وشريعة الإسلام فى فرض الجهاد على المسلمين واضحة ، فكل من آذى المسلمين فى دينهم ، أو فى ديارهم ، أو فى أموالهم وجبت مقاتلته ، وتعين على كل من يستطيع أن يحمل السلاح أن يدافع عن دينه وعن وطنه ، بنفسه ، وماله ، وكل ما يستطيع أن يقـدمه

فى المعركة المقدسة ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) .

وبجانب ذلك فإن الإسلام يحذر من الاستسلام والاستكانة للأعداء، ويحذر أشد التحذير من موالاتهم ، واتخاذهم أصدقاء ، ولو كانوا ذوى قرابة ، فكيف بالغرباء البعداء ، يقول سبحانه : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

إن الأمم التى تريد أن تحقق أهدافها النبيلة وأن تدافع عن حقها فى الحياة ، وأن تعيد الأرض التى اغتصبها الأفاقون منها ، لا تبالى أين تقع ضربتها ، ما دامت ضربة فى سبيل الله ، وليس أمامها حين تمضى إلى هدفها إلا أن تزيل كل عائق يحول بينها وبين هذا الهدف.

ولست أعتقد أن مسلما فى مشارق الأرض ومغاربها يخفى عليه أن هؤلاء اليهود هم أشد الناس عداوة للإسلام ، والله سبحانه وتعالى يقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » .

ولا أظن أن أحدا من المسلمين يجهل أن الإسلام يفرض علينا مجاهدة اليهود الذين اغتصبوا قطعة من أرض وطننا .

وليست مجاهدة الذين يساندون البغاة المعتدين بأقل وجوباً وفرضية من مجاهدة البغاة أنفسهم .

فكل من أعان على اغتصاب حقك فهو مغتصب له ، فالدول الغربية التى خلقت إسرائيل بالسلاح والقوة والمكر والمكيدة من أشد أعداء الإسلام والعرب ، والإسلام يفرض علينا أن نجاهدهم ، ونقاتلهم فى سبيل الذياد عن ديننا وعن أوطاننا .

هل يجهل أحد من المسلمين أو من العرب أنه لو مكن لهؤلاء اليهود لقضوا على الإسلام ، وعلى العربية ؟

هل يخفى على حكام المسلمين ، وعامتهم أن أبناء صهيون يريدون أن يمدوا سلطانهم من النيل إلى الفرات ، وأنهم يزعمون أن مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — كانت ملكا لآبائهم فلابد أن تعود عليهم ؟

فكيف يغفل مسلم عن هذه الحقائق ، ويذهب لينمى الود بينه وبين أولئك الذين يدفعون هؤلاء اليهود إلى أن يحققوا أحلامهم؟

على العمارى

زعماء الخيانة والغدر

للأستاذ أحمد مهنّا

تدور فى هذه الأيام حركة مباركة فى المحيط العربى لتعبئة جميع إمكانياتنا اللازمة لكسب المعركة التى تتراءى نهايتها فى الأفق القريب بالنصر الساحق إن شاء الله .

وخوض المعارك ليس جديدا على الشعب العربى ، فقد خاض فى تاريخه الطويل كثيراً منها ، وخاضها بشجاعة وشرف سجلهما التاريخ بحروف من نور يراه كل من سلم بصره ، ولم تصب بصيرته بأمراض الهوى والحقد والضغينة .

والشرف الذى حافظ عليه العرب فى جميع معاركهم ، والذى يعتبر جزءاً من طبيعتهم فى جميع معاملاتهم . هو العنصر المميز لهم عن العدو الذى يجابهونه فى هذه الحقبة من تاريخهم ؛ هذا العدو الذى تكشف عن أطراف ثلاثة منذ بدأت المعركة إلى اليوم ، فكلنا يعرف أن المعركة ليست وليدة الوقت الذى نعيش فيه ، وإنما بدأت بوعد الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها «بلفور» سنة ١٩١٧ ، وهو وعد الغدر والخيانة وذلك أقل ما يوصف به من أصدروه ، الغدر بشعب مسالم ساعدهم وقت محنتهم فى الحرب العالمية الأولى ، وقدم لجيوشهم كل ما مهد لهم سبيل النصر من إمكانيات فى أرضه وجوه وبحاره وضيق على أبنائه ليطعم أبناءهم مما أنتجته الأرض العربية بجهود السواعد العربية .

ويسجل التاريخ أن هؤلاء الذين أصدروا هذا الوعد كانوا مرتبطين معنا بوعد سابق ينص على أن يساعدوننا فى الحصول على حريتنا واستقلالنا إذا كسبوا الحرب ، وهنا كانت الخيانة اللئيمة ، التى تنم عن دناءة فى الطبع وخبث فى الطوية ؛ فعدم وفائهم بالوعد الذى قطعوه لنا ـ نحن العرب ـ خيانة فى نفسه ، ولكنهم أبوا إلا أن يجسموا دناءة طبعهم وخبث طويتهم بما أعطوا لشذاذ الآفاق من وعد يقتطعون به جزءاً من أرض من أطعمهم ويشردون منه أهله ، وليكون هذا الجزء قاعدة لهم فى قلب الوطن العربى يمارسون منها عدوانهم عليه ، واستنزافهم لدماء أبنائه .

ذلكم هو الطرف الأول من أطراف عدونا المشترك .

أما الطرف الثانى ، وهـــو الذى تمثله العصابات الصهيونية ، فليس أقل لؤما من صديقه وحليفه فى هذه المؤامرة الخسيسة

الدنيئة ، فتاريخ الصهيونيين يدل على أنهم مطبوعون على الغدر ، متأصلون فى الخيانة فى كل ركن من أركان الأرض دنسوا ترابه بالسير فوقه ، وليست هذه إلا حلقة فى سلسلة خياناتهم لمن وفوا لهم ، ولون من ألوان غدرهم بمن أمنوهم على حياتهم ووهبوهم الحرية والأمن فى بلادهم ، وقت أن كان إخوانهم يعاملون فى انجلترا وغيرها من بلاد الغرب معاملة تتسم بكل ألوان الاحتقار والذل .

وتاريخ هذه الحفنة من أفراد الإنسانية الضالة ملىء بما يندى له جبين الفضيلة ، وينأى بصاحبه بعيداً عن إطار الكرامة والشرف ، وماذا ينتظر من قوم كفروا بكل ما أسبغ الله عليهم من نعمة ، وبلغت بهم الوقاحة أن قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » وقالوا : « يد الله مغلولة » وكفروا بكل مقومات الروح ، فقالوا لموسى عليه السلام : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ، وتمكن حب المال من نفوسهم إلى درجة جعلتهم : « يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » ، وحاولوا إخضاع كل شىء فى هذه الحياة لما تهوى أنفسهم ، وارتكبوا فى سبيل ذلك أبشع الجرائم مما يوضحه القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » ، وجريمة قتل الأنبياء لا يعرفها التاريخ لغير هؤلاء الذين انسلخوا من إنسانيتهم ، وكانوا فى جميع عصورهم حربا على السلام وسعاة إلى إيقاد الحروب .

وأما الطرف الثالث من أطراف العدو ، فأمره عجب ، وغباؤه يثير الدهشة ويدعو إلى الاشفاق ؛ إنه الولايات المتحدة الأمريكية التى غرها ما وصلت إليه من قوة فنصبت من نفسها إلها للطغيان فى دنيا الناس ، وأخذت تزحف على كل شبر حررته دماء أبنائه من حلفائها محاولة وأد الحرية فيه ، ساعية إلى امتصاص دمه ليزداد ضعفا وهزالا ، وتزداد هى تخمة وجبروتا ، لا يهديها فى ذلك تاريخ قريب أو بعيد ، ولا يهدهد من اندفاعها فى طريق الشر ضمير ولا خلق . حتى المصلحة الذاتية لا يرى لها نصيب فى توجيه السياسة المخربة التى تدفع عجلاتها اليوم ، فقد أنستها الحماقة التى غلفت تفكير ساستها فى هذه الفترة من تاريخها ـ أن مساندتها لشذاذ الآفاق من أبناء صهيون ـ فى هذه البقعة من العالم ـ لن يعود عليها بشىء من النفع المادى الذى تسعى إليه ، بل سيفقدها الكثير من مصالحها ، بعد أن أفقدها كل ما كان لها من احترام فى نفوس العرب وأصدقائهم فى كل مكان .

* * *

نفحات القرآن

رواسب الكفر تركزت فى بنى إسرائيل

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، إلى فرعون وملئه ، فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد » .

(٩٦ - ٩٧ هود)

١ — فى هذا المقام من سورة هود يحدثنا القرآن عن طائفة من الرسل . ويصف جانباً من سوء ما وقع من أممهم ، ويذكر شيئاً مما حاق بتلك الأمم من غضب الله عليها .

ثم ينتقل بنا حديث القرآن إلى موسى - عليه السلام - فى الآيتين المذكورتين آنفاً وحديث القرآن عن موسى يأتى كثيراً بعد القصص عن رسل آخرين كما معنا .

وهو يدور - مرة - حول نشأة موسى فى أول عهده بالحياة ، وما كان من أمره مع فرعون ، حتى أوحى الله إلى موسى بالرسالة إلى فرعون ، وإلى بنى إسرائيل ، ثم ماجرى بين فرعون وموسى حتى انتهت تلك المرحلة بإغراق فرعون وجنوده : « يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم جانب الطور الأيمن » .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

هؤلاء هم أطراف العدو الذى نواجهه اليوم ، والذى نؤمن بأن النصر حليفنا فى المعركة التى تدور بيننا وبينه ، لأننا طلاب حق ، وهم طلاب باطل ، ولأننا دعاة سلام وهم دعاة فتنة وتخريب وحرب ، ولأن المعركة قد بدأها شذاذ الآفاق بالتآمر الدنىء والغدر الخسيس بغية إثارة الفتنة فى أرض الله وقد وعد الله سبحانه - وهو الذى لا يخلف الوعد - بإطفاء ما يوقدون من نار ، والقضاء على كل ما يثيرون من فتنة ، وصدق الله العظيم حيث يقول فيهم :

« كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين » .

أحمد ابراهيم مهنا

وقد عرضنا لهذا الجانب الأول من قصة موسى حين اقتباسنا - سابقاً - من سورة الأعراف .

٢ — أما الجانب الثانى من القصص عن موسى فهو فى شأنه مع بنى إسرائيل .

ويطيب لنا أن نعرج على هذا الجانب فى إيجاز ... لنعلم - ولو إجمالا - شأن هذه الطائفة قديما ... ونعلم أنها الأمة الهازلة التى انحدرت إليها رواسب الكفر من الأمم السالفة ، وأنها ورثت عن تلك الأمم كل وصمة مخزية ... بل زادت فى مخازيها ، حتى تجاوزت ما يريد منها الشيطان .

٣ — وفى سورة البقرة يبدأ القصص عن خطاب الله لهذه الطائفة ... وإن كان الخطاب ليس أول التاريخ الواقعى ، فإن القرآن يذكر الحديث من أى الجوانب غير ملتزم ترتيب الأحداث .

وفى آية ٤٠ - « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » .

فهذا تذكير لهم بأنهم ذرية يعقوب - وهو إسرائيل بلغتهم العبرية .

وهذا توجيه إلى أصل كريم ، وتراث قديم فى النبوة ... وذلك مجد ربانى ... كان يوسف — عليه السلام — يعتز به ، ويقول فى موقف التبرى من كل نقيصة : أنا الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم : يوسف . . بن يعقوب . . ابن إسحاق . . بن إبراهيم .

وفى التذكير بهذا المجد إيعاز بالحفاظ على مناقبهم . . وصرف لهم عن الإسفاف ، أو الجنوح إلى المهازل .. ويقترن بهذا النداء تذكيرهم بنعمة الله عليهم بهذا النسب ، وبكل نعمة يشعرون بها .. ويقترن به كذلك مطالبتهم أن يكونوا أوفياء بعهد الله فى الإيمان به ، وبما أنزل على رسوله محمد ، وهو تصديق لما أنزل على موسى إن كانوا حقا يدينون بشريعة موسى كما يزعمون .

٤ — ويستطرد القرآن فى نهيهم عن التمادى فى الكفر ، وعن بيعهم الدين بالدنيا ، وعن خلطهم وتلبيسهم الحق بالباطل .

وهذه التوعية فى أول سورة البقرة تستغرق ستين آية متصلة ، وكلها عن بنى إسرائيل .. فوق ما يضاف إلى هذه الآيات فى مقامات كثيرة أخرى .

والقرآن يفسح القول فيما أفاض الله على بنى إسرائيل من نعمائه المتنوعة ، حتى يقرر أنه فضلهم على العالمين .. ويثير عندهم الحياء من الله ، إذ نجاهم من جبروت الفراعنة ، ومما كان يغمرهم من المخازى التى كانت تلاحقهم : فى أنفسهم ، ونسائهم ، وأطفالهم .. الخ الخ .

٥ — ثم ينهج القرآن فى حديثه عن أولئك منهجا آخر ، بعد تذكيرهم بنعم الله . . وهو منهج التشنيع ، والتبكيت بسوء ما صنعوا ، إزاء فضل الله عليهم .

فيذكرعنهم فى سورة المائدة أنهم يسارعون

فى الكفر ، وأنهم سماعون للكذب ، ويأكلون السحت من كل كسب حرام ... وأنهم ينقضون العهود . . ويقتلون الأنبياء ويستبيحون المجاهرة بكل معصية ، ولا توجد فيهم غيرة على الفضيلة ، ولا ينهى بعضهم بعضا عن منكر .. وكانوا يسرفون كثيرا - ولا يزالون - فى المساس بقداسة المسيح عيسى وأمه ، وهذا كله بجانب افترائهم على الله ، وتبديلهم نصوص التوراة - واختراعهم لما يشتهون من الأباطيل .. وتطاولهم على الله بأنه ضنين عليهم ، وأن يده مغلولة ، فلا يستطيع أن يشبع رغباتهم من الأموال ، ومتع الحياة الدنيا .

وهكذا يتحدث القرآن عنهم فى سورة الأعراف ، وسورة طه ، وسورة الشعراء .

وعلى الإجمال فقد أحاط القرآن بكثير من وجوه القصص عن هذه الطائفة . . وهى الطائفة التى نبعت من شجرة النبوة ، وأينعت فروعها . . ثم كانت من بعد ذلك حربا على الأنبياء . . وكانت حياتها عداوة وجحودا بالنبوة ... أكثر مما عرف عن سواهم .

٦ — وهنا موقف العجب للإنسان فى شأن بنى إسرائيل ، وما يحيط بهم من تناقض . . فهم كما علمنا من دوحة النبوة . . وقد كرمهم الله فجعل منهم الأنبياء ، والملوك ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين . . . ثم نرى خسائس الكفر . . ونقائص الخلق . . ومكاره الأعمال التى نتلوها عن الأمم السابقة قد تجمعت فى بنى إسرائيل ، وعلقت بهم ، وتركزت فيهم ، وتسلسلت فى أنسالهم وأجيالهم . . وقد بادت أمم كافرة ممن عاثوا فسادا فى الأرض وبقيت بنو إسرائيل شر خلف لشر سلف ، واحتفظوا بذلك التراث البغيض ، الذى جعل الحديث عنهم أسوأ ما يدور على لسان متحدث ، دون أن يعرف لهم شىء من المحامد يرفع من شأنهم قليلا ... فما السر فى ذلك يا ترى ؟

هل هذه آثار اجتماعية امتزجت بنفوسهم ودمائهم منذ الحياة الذليلة التى عاشوها طويلا تحت جبروت الفراعنة .. حتى صارت بمنزلة الطباع والخصائص ؟

أو هى نكسة للنعم التى رفلوا فيها طويلا . . فكانت فتنتهم بها أن يطاوعوا الشيطان ، وينسوا جانب الله . . ويتخذوا الآداب الإنسانية وراءهم ظهريا ؟

لا بأس أن تكون الوراثة الخبيثة ، ومطاوعة الأهواء ، والشهوات وبطر النعمة : كل ذلك سبب فيما انحدر إليه بنو إسرائيل ، وما انحرفوا إليه من ضلال « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا » .

٧ — وعلى أى الفروض التى يهتدى إليها الباحث فى تعليل هذا الارتكاس .

فقد تعلمنا من ذلك أن حكمة الله كثيرا ما تكون فوق مستوانا القريب . . فهذا إبراهيم شجرة النبوة الوارفة . . ودوحة الرسالات التى استظلت بها الدنيا أحقابا طوالا . . وهذه شعبة إسرائيل . . تكون فى الدنيا على غير منهج النبوة : تدينا ، وخلقا ، وسلوكا عاما !

٨ — فكيف تنتسب إسرائيل إلى إبراهيم ؟

يعلمنا الله - تعالى - أن النبوة ليست وراثة حتى يكون نسل إبراهيم جميعاً رسلا وأنبياء . فليس حتما على الله أن يجعل البركة سارية من الأصول فى سائر الفروع .

وإنما هى هبات يمنحها الله من عنده لمن يختاره معدنا للخير من عباده : « يؤتى الحكمة من يشاء ... ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً .. ومايذكر إلا أولو الألباب » « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

هذا وقد كان إبراهيم - عليه السلام - كثير الدعاء والضراعة لذريته .. ومع ذلك كان فى دعواته يجتزىء ، فيقول - مثلا - : « رب اجعلنى مقيم الصلاة ، ومن ذريتى » فتعبيره بلفظ من : يشعرنا بأنه ما كان يطمع فى هداية الذرية جميعاً . . لأنه يترك لله أن يختار من يختار للهداية .

وحينما استجاب الله له ، وبشره بمنزلته عند ربه ، وقال له : « إنى جاعلك للناس إماما » .

حينئذ تلهف إبراهيم ، وسأل فى هذه اللهفة قائلا : « ومن ذريتى ؟؟ » . يعنى يسأل مثال ذلك لذريته على أسلوب التبعيض بلفظ من .

ولكن الله علم أن فى ذريته فصيلة ستكون غير أهل لذلك ، فقال له تعالى : « لا ينال عهدى الظالمين » يعنى : أن عهدى بالاختيار والتكريم - كما تدعو - لا يشمل الظالمين منهم .

وقد تجلى على طول الزمن أن الظالمين الذين أبعدهم الله عن مجال الدعوات من إبراهيم هم بنو إسرائيل ... فهم الذين حقت عليهم المشأمة ، وأبعدوا عن مجال الرحمات المطلوبة وحسبنا ترجيحا لهذا ... أن الله ذكرهم فى كتابه أسوأ الذكرى ... وكرر عليهم اللعنة كما قررها وكررها على إبليس : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم » . فهذه سخطة الله عليهم ، ذكرها على لسان أنبياء من بنى إسرائيل ، لتكون من قبيل : « وشهد شاهد من أهلها » .

٩ — وهكذا من لعنات مكررة فى عدة آيات ، وقد فسر الله لعنته عليهم نسخ بعضهم قردة وخنازير .

فهذه إسرائيل التى تطمع أن يجعل الله لها فى الدنيا شأنا ، بعد أن سلب منها مقومات كانت لها قديما .

ومهما يكن من أمل يساورها ، فإن الله قد ضرب عليها الذلة والمسكنة ، ولن يخلف الله وعيده ... وهو الحكيم فى صنعه ، وكل شىء عنده بمقدار ؟

عبد اللطيف السبكى

أبعاد معركة لها ما بعدها

للأستاذ محمد النادى البدرى

لم تنته حرب السويس ، ولم يتوقف التواطؤ والتآمر على العدوان ؛ لأن الهدف من حرب السويس لم يتحقق ، ولن يتحقق بإذن الله .

والسنوات الإحدى عشرة التى أعقبت حرب السويس لم تكن مهادنة وسلاما ، ولكنها كانت استعدادا لمعاودة العدوان مرة ومرة .

وكما كانت إسرائيل فى حرب السويس مخلبا للعدوان وواجهة ، فهى فى حرب اليوم مخلب للعدوان وواجهة أيضاً .

وكما كانت بريطانيا طرفا فى حرب السويس وعنصرا فعالا فى العدوان فهى اليوم طرف وعنصر فعال كذلك ، إلا أنها سنة ١٩٥٦ كانت تقود العدوان وتتزعمه ولكنها اليوم أسلمت زمام القيادة إلى أمريكا ، باعتبارها الوارث الأول للسياسة الاستعمارية فى عصر تصفية الاستعمار .

وبريطانيا سنة ١٩٥٦ أعلنت العدوان وكاشفت به ، ولكنها اليوم تحاول عبثاً ألا تظهر على مسرح المعركة علنا لعلها تخدع لرأى العالمى بأقنعة التخفى ؛ وإن كانت هذه الأقنعة لم تخف الحقيقة وهى أن أمريكا وانجلترا فى المعركة إلى جانب إسرائيل بكل الإمكانيات العسكرية والاقتصادية والسياسية .

وواضح من هذا أن بريطانيا طرف فى كلا العدوانين ، ووجودها ـ قاسما مشتركا فى كل عدوان على الوطن العربى ـ أمر لا يستغرب ؛ لأنه تصرف تمليه دوافع نفسية واقتصادية وسياسية تجعل بريطانيا فى مقدمة الدول المعادية لكل تقدم عربى ، المناهضة لكل اتجاه تحررى فى منطقة الشرق الأوسط ، تقاومه بكل قوة إن استطاعت ، وتغرى بالعدوان أمريكا إن عجزت .

فلقد خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الثانية لتجد نفسها دولة من الدرجة الثانية سياسيا واقتصاديا وعسكريا بعد أن تحررت دول كثيرة من نفوذها واستقلت عن تبعيتها ، وتقلص ظل الإمبراطورية البريطانية التى كانت لا تغرب عن ممتلكاتها الشمس ...

وفى سنة ١٩٥٦ أخذتها عزة النفوذ الكاذب ، وسراب السلطان الغارب ، فغامرت بحرب عدوانية ثلاثية على مصر ومعها فرنسا وإسرائيل لعلها تسترجع نفوذها

فى الشرق الأوسط ، ولكنها منيت فى هذه الحرب بالهزيمة ، وضاعت البقية الباقية من هيبتها ، واجتاحت الثورة العربية ما بقى لها من وجود شاحب فى الوطن العربى ، وظل عار الهزيمة والتآمر يلاحقها فى المجال الدولى ، ويلاحق زعماءها وقادتها فى الداخل والخارج. حتى لم يعد لهم فى المجال السياسى وزن ، ولكن أحقادهم السود لا تزال تنفث السموم وتغرى بالانتقام .

وبريطانيا كانت المستثمر الأول لخيرات الشرق الأوسط وثرواته ، والمستفيد من إمكانياته الطبيعية والبشرية ، والمنتفع بموقعه وصلاحيته الاستراتيجية .

كانت ...

واليوم لا نفوذ لها فى الشرق العربى يمكن أن يكون ذا تأثير فى الأحداث ، بل إن وجودها المحدود تحيط به كراهية الشعوب من كل جانب ، وتهدده الثورات فى كل حين ، وبالتالى تهددت مصالحها الاقتصادية، واستثماراتها وامتيازات شركاتها الاحتكارية ، سواء بزيادة نسبة العائد من هذه الاستثمارات للشعوب المستغلة ، أو بتأميم شركاتها فى المنطقة .

وبريطانيا كانت ذات وزن سياسى كبير فى المحافل الدولية بسبب نفوذها المبسوط على دول كثيرة فى أفريقيا وآسيا ، وكذلك كان لها نفوذها الضخم فى توجيه السياسة الخارجية والداخلية لهذه الدول الخاضعة لها . وهى اليوم تابعة فى سياستها الخارجية إلى حد ما ، ضعيفة التأثير المباشر فى المجال الدولى ما لم تتعلق بأهداب السياسة الأمريكية وتخطيط البيت الأبيض .

لهذه العوامل النفسية والاقتصادية والسياسية جميعاً نجد بريطانيا قاسماً مشتركا فى كل تخطيط عدوانى لإعادة دول المنطقة إلى التبعية ومناطق النفوذ ، لأن الشرق العربى هو المنطقة التى فرضت منها بريطانيا نفوذها قديماً ، وهو بعينه المنطقة التى عجلت ثوراتها بتصفية النفوذ البريطانى من مناطق كثيرة فى آسيا وأفريقيا .

وبسبب هذه الدوافع الموتورة فإنه لا يعنى بريطانيا أن يكون هدف العدوان على الدول العربية لحسابها أو لحساب أمريكا أو لحساب الشيطان .

فهل يمكن فى ضوء هذه الحقائق أن تكون بريطانيا فى يوم ما صديقة للعرب أو على أسوأ الفروض محايدة فى قضاياها ... ؟ ... هذه بريطانيا .

أما أمريكا فقد خرجت من عزلتها لتمد دول الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بكل ما تحتاج إليه من مال وسلاح وعتاد لتوقف الزحف النازى الجارف ، وتبعد ميدان الحرب وويلاتها عن أرضها ، وخرجت دول

الحلفاء من الحرب تشكو الخراب والدمار والفقر ، ولتجد نفسها عالة على الدولار الأمريكى ومشروعات المساعدة الأمريكية بمسمياتها الكثيرة ، وبالتالى وجدت نفسها تدور فى فلك السياسة الأمريكية ، فى المجال الدولى ، بل وفى السياسة الداخلية لبعض هذه الدول ... وأصبحت الولايات المتحدة هى صاحبة الكلمة النافذة والرأى المطاع .

هذه الدولة الزمنية وزهو الغنى وغرور القوة رجع بسلوك الولايات المتحدة إلى القرون الوسطى ، كما جعل علاقاتها الدولية ، خاضعة لشريعة الغاب ، وصار من العسير عليها أن تسمع رأيا معارضاً ، أو فكراً مناهضاً وأسكتت صوت العقل والمنطق لترفع صوت السلاح والقوة فى وجه كل معارض أو مناهض ، وبهذا تعرضت دول كثيرة للعدوان الأمريكى والغزو الأمريكى .

وبهذا المنطق المستبد المغرور فرضت نفوذها ووصايتها على قرارات المنظمات الدولية وتوصياتها فى كثير من القضايا الإنسانية وحقوق الشعوب ، تنفذ منها ما ترى ، وتوقف منها ما لا تهوى .

ولقد استخدمت أمريكا الأسلوبين كليهما فى معالجة القضية الفلسطينية ، وفى علاقتها بالدول العربية ، وظلت طوال السنوات الماضية ـ بعد أن أقامت إسرائيل وأشرفت على وجودها ـ ظلت تساندها عسكرياً واقتصادياً وسياسياً مساندة جديدة ، بينما أقامت علاقتها مع الدول العربية على أساس من التصريحات الجوفاء والعواطف الجدباء ، مع معونات استهلاكية لا يقوم عليها بناء ، ومساعدات اقتصادية مشروطة ، وبعض الإمدادات العسكرية المباح استعمالها فى أى شىء إلا الدفاع عن النفس فى صد العدوان الإسرائيلى .. ! !

وليس غرور العظمة وطغيان القوة هو الدافع الوحيد للسياسة العدوانية التى تنتهجها أمريكا بالتآمر على مصير الأمة العربية وتحدى إرادتها ، ولكن هناك من الدوافع والمؤثرات ما يستحيل معها أن تسير أمريكا فى غير هذا المخطط .

فالساسة الأمريكيون مرتبطون أشد الارتباط بالوجود الصهيونى فى أمريكا ، واقعون تحت التأثير الاقتصادى لليهود الذين يملكون أكثر الثروات ، ويتحكمون فى أجهزة الإعلام ، ويوجهون سير المعارك الانتخابية فى الولايات المتحدة ، ولهذا يحرص كل مأخوذ بزهو البيت الأبيض ، كما يحرص كل طامع فى كراسى الحكم على استرضاء هذه الشرذمة ، ولو كان إرضاؤها على أنقاض القيم الإنسانية والشرائع السماوية

وتحت هذا التأثير وذلك النفوذ تحولت

الولايات المتحدة من دولة تناصر الحرية والديمقراطية ــ كما كان يقال! ــ إلى قوة استعمارية غاشمة تعادى الحرية والديمقراطية وتتزعم الثورات المضادة لكل نهضة أو تقدم ، وتخطط المؤامرات وتمولها لإخضاع الشعوب والسيطرة على ثرواتها ومواردها!.

ومنطقة الشرق الأوسط من أغنى المناطق بالثروات الطبيعة ، ومن أشدها تأثيرا فى ميزان القوى إذا ماقامت حرب بين المعسكرين الغربى والشرقى ، وهى من أنسب المواقع للتحكم فى مواطن الثروات والمواد الأولية، وتيسير الانتقال منها وإليها .

فهل تجهل رءوس الأموال الأمريكية ــ ومعظمها لليهود ــ هذه الحقائق ... ؟

وهل يستطيع الساسة الأمريكيون الوقوف فى وجه مطامع رءوس الأموال اليهودية.؟

ولكن أمريكا لا تستطيع أن تسيطر على الشرق الأوسط بقـــوة السلاح فى حرب مباشرة ، لأن سياسة الاستعمار العسكرى قد انتهت كمرحلة من مراحل الاستعمار .. ولكن من الممكن تحقيق هذه السيطرة بحماية الوجود الإسرائيلى فى قلب الوطن العربى ، وبهذا تتمكن الدول الاستعمارية من بسط نفوذها على ثروات المنطقة ، وتحقيق الصهيونية كلا هدفيها العنصرى والاستغلالى .

وما دامت إسرائيل هى الركيزة للدول الاستعمارية ، والقاعدة التى تنطلق منها لحماية مصالحها فى الشرق العربى ، فليس من المعقول أن تترك ركيزتها وقاعدتها من غير دعم عسكرى واقتصادى وسياسى ، تتقاذفها رياح الكراهية والغضب من الشعوب العربية المعتدى على حقها ووطنها ، بل لابد فى اعتبارهم أن تكون قوة إسرائيل العسكرية فى مستوى قوى العرب جميعاً ـ إن لم تفقها ـ تحقيقاً لما يطلقون عليه توازن القوى فى الشرق الأوسط ــ ولو تطلب الأمر حمايتها علناً والوقوف إلى جانبها فى ميادين القتال كما وقع فى حرب السويس ، وكما وقع الآن .

بغير هذا الدعم يصبح وجود إسرائيل عبثا ، وتفقد الدول الاستعمارية ورءوس الأموال الأمريكية اليهودية ، كل وجودها فى المنطقة .

ولقد أوجدوها فى الوطن العربى لتكون فاصلا غريبا بين أجزائه ، وعامل تهديد وعدوان على شعوبه ، لتمتص طاقته وقدراته وإمكانياته ، وتبدد جهود العرب فى بناء كيانهم وصنع مستقبلهم ، لأن التهديد بالخطر ، وتوقع العدوان يوجب تخصيص القسط الأكبر من دخلها للتسلح والاستعداد لمواجهة الأخطار ودفع العدوان وهذا بدوره يعجز الدول العربية عن اتخاذ أى خطوة إيجابية ذاتية لتحرير الوطن السليب

من ناحية ، وتصفية شركات الاحتكار من ناحية أخرى .

والنتيجة لذلك كله أن تبقى منابع البترول وخامات التصنيع حكرا على الاستغلال الاستعمارى ، وتظل بلدان الشرق العربى سوقا رائجة لصناعاتهم ومعينا لاينفد لثرائهم.

ومهما تكن الأضرار التى تصيب اقتصاد الأمة العربية وتعوق تقدمها ، فإن الخطر الأكبر الذى يكمن وراء الوجود الإسرائيلى يستفحل ويستشرى بطول الزمن ؛ ذلك أن سكان إسرائيل يتزايدون ، إذا لم يكن بالهجرة إليها فبالتناسل ، وهذا أمر طبيعى ، والرقعة ضيقة ، والموارد محدودة ، وإذن . لابد أن تواجه هذه المشكلة مستقبلا بالتوسع ، وكيف يتوفر لها هذا التوسع إلا على حساب الدول العربية المجاورة لها ، وذلك باقتطاع أجزاء من أرضها ، واغتصاب بعض ثرواتها.

ولهذا لن تهدأ الشعوب العربية أو تستقر ما دام لهذا الجسم الغريب وجود فى الوطن العربى . . . وإلا فستتكرر مأساة فلسطين وتتعدد مشكلة اللاجئين فى دول أخرى من دول المنطقة على مر الزمان .

وهذا يوضح لنا أن مشكلة فلسطين ومأساة اللاجئين لم تكن من قبل ومن بعد إلا صورة مجسدة لمستقبل الأمة العربية ، إذا لم تقم بدور إيجابى حازم لاستئصال هذا الوجود الخبيث ، والقضاء على هذا الخطر المحدق بها .

وإذا تجاوزنا هذا الجانب القومى من المشكلة فإن العامل الإنسانى فى المأساة يوجب على الضمير العالمى أن يستيقظ على صوت الحقيقة المرة ، وأن يقف بصلابة وقوة إلى جانب الحق والعدل ـ وهو أوضح من الشمس لكل ذى عينين ـ ولا أظن أن أكثر من عشرين عاما بعاجزة عن هز الضمير العالمى هزا عنيفا يبعث الموتى ، ولكنى أشهد ، ويشهد الواقع أن الحقيقة القاسية تقرر أن الضمير العالمى قد شيعت الدول الاستعمارية جنازته ، والنفخ فى الصدر لا يحييه . هذه حقيقة .

والحقيقة الأهم هى أن الشرق العربى ليس هدفا للاستعمار بسبب ثرواته فحسب ، ولكنه إلى جانب هذا هدف أصيل للعنصرية الدينية، وليست الحروب التى تلتمس أسبابها من هنا ومن هناك إلا امتدادا للحروب الصليبية التى زجوا فيها باسم المسيح ظلما والمسيح عليه السلام منها براء .

ونخلص من هذه الحقائق الواضحة إلى حقيقة أكثر وضوحا ، وهى أن قضايا الأمة العربية والشعوب الإسلامية لا يمكن أن نجد لها حلا بمساعدة الشرق أو الغرب ، ولكن حلها وسندها وقوتها فى أنفسنا نحن : فى ديننا

وعقيدتنا ... فى عزمنا وإرادتنا فى إمكانياتنا الضخمة وقـــدراتنا الذاتية . . . فى ثرواتنا ومواردنا الطبيعية .

إنها ثروات من هبة الله نملكها . وأسلحة من صنع الله تحمينا ، وإمكانيات قوة لن نجود بها على عدونا . وكلها أسلحة شريفة قادرة ، ترد كل نفس طامعة ، وتشل كل يد غادرة .

والحروب التى تخوضها أمتنا والمعارك التى نواجهها أسباب تفتح العيون والقلوب على هذه الحقائق جميعا ، فهى الوسيلة والمنطلق إلى التجمع العربى المنشود ، والعمل العربى المشترك فى كل مجال .

ومحنة اليوم منحة الغد — إن شاء الله — فلقد كانت الوحـدة العربية نداء الجماهير وشعارها ، وهى اليوم حقيقة رائعة مذهلة فى أوسع نطاقها وأرقى مستوياتها .

- الحكومات العربية كلها فى المعركة .
- الجيوش العربية بأسلحتها فى الميدان .
- البترول العربى محرم على الأعداء .
- الشعوب العربية كلها فى غضبة هادرة ، وثورة جارفة ، وفدائية بلا حدود .
- والحكومات الإسلامية تؤيد بكل إمكانياتها .
- والشعوب الإسلامية تعلن عن غضبتها

هذه هى أمة العرب يوم الكريهة .

وهذه هى وحدتهم فى المحنة .

وتلك هى قوتهم فى المعركة .

« وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

فاليـوم تكتب الأمة العربية تاريخها المعاصر ، وتصنع مستقبلها الزاهر .

واليوم يسجل التاريخ أن الأمة العربية اجتمعت على كلمة سواء .

لا تحنى الرأس إلا لله .

ولا تعتمد فى وجودها إلا على الله .

ولا تدفع عن حماها إلا بقوتهـــا هى وعون الله .

ويومئذ يدرك العدو آثار عداوتنا له ، ويعرف الصديق ثمرة صداقتنا له .

وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ؟

محمد النادى البدرى

بإيمـاننا ننتصر

للأستاذ محمد عبد العزيز البتشتى

١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ... كان يوما لا أنساه ... يوم سمح للكتيبة الثانية بنادق المشاة بالرحيل إلى فلسطين تشارك فى الحرب المقدسة . وليرهف الزمن سمعه ليلتقط أصداء جولات بعض أبطالنا الذين خاضوا أول تجربة لهم ضد عدو أمده الاستعمار بالسلاح والعتاد ، وأمدنا بالجحود ونكران الجميل .

لقد كان الشبان يسابقون التاريخ فى تدوين آيات البطولة ، فكانوا ضاحكين مرحين كأنهم مدعوون إلى حفل بهيج ، يمرون أمام الجماهير المودعة فى تواضع الشهم ، وأنفة المؤمن القوى يلوحون بأيديهم، وقد استعرت نار الحماسة وتصاعد لهبها يخنق فى الجو أنفاس المستعمر المبهورة .

بقوة الإيمان سقطت مستعمراتهم

ونسرع الخطى إلى مستعمرة دير سنيد ، وقبل أن تسقط مترنحة تحت أقدام الشباب العربى الطموح الخالد نلقى إليها نظرة فاحصة : فهى مستعمرة واسعة ، تبلغ مساحتها أكثر من ألفى فدان ، قائمة على ربوة تكفل لها التحكم فى كل ما حولها من طرق ... أحاطها اليهود بأسلاك شائكة من كل جوانبها، وبعد الأسلاك خندق عمقه متر ، ثم بعده بخطوات خندق آخر عمقه متر ونصف ، بعده بعدة أمتار خندق ثالث عمقه أكثر من مترين ...

ولم يكتف اليهود بهذا التحصين بل أقاموا عليها (دشم) والدشم هو حصن الأسمنت المسلح وهو نوعين نوع فوق سطح الأرض مفتوح لمقاومة الدبابات والسيارات المصفحة والطائرات ، والنوع الآخر غرف من الأسمنت المسلح تحت سطح الأرض بثلاثة أمتار لا يبدو منها غير خط يرتفع ثلاثين مترا بحيث يبدو كأنه نافذة طويلة مزودة بالستائر الفولاذية ، وتطل منها فوهات المدافع الرشاشة وتتصل كل هذه الحصون (الدشم) ببعضها تحت الأرض .

١٩ مايو سنة ١٩٤٨ والساعة السادسة مساء من هذا اليوم... اصطف جنود الكتيبة الثانية وألقيت عليهم العظة الدينية وذكرتهم بما أعده الله للمجاهدين فى سبيله !

عزا فى الدنيا وجنة عرضها السموات والأرض فى الآخرة ... واشتاقت نفوسهم إلى الدنيا وسعادة الآخرة ... وصدرت الأوامر باقتحام المستعمرة ... واندفعت

إحدى السيارات وسائقها غير عابىء بما حوله، كل هدفه أن يشق لمن خلفه طريقا إلى المستعمرة، واندفعت أسرع ما كانت حتى اصطدمت بحطام الوكر الذى دمر، واندفع الجنود من حولها يقتحمون سور المستعمرة، ولم يتحرك سائق السيارة فقد دخل مع الخالدين تفتح له الطريق عشرون رصاصة استقرت فى صدره ورأســـه .

وبدأ زحف الجنود إلى داخل (الدشم) فى الوقت الذى نزلت فيه الستائر الفولاذية عن فتحات الحصون المرتفعة من تحت الأرض وبدأت المدافع الرشاشة تنطلق منها على المهاجمين وقفز (الشاويش شتات) من فجوة أحدثتها قنبلة إلى داخل الحصون ليستقبل عشرات الرصاص ولكن ليفتح لمن وراءه طريقا إلى داخل الحصون ... ويستولى اليوزباشى س الجمال ـ أطال الله عمره ـ على حصن ويستمر فى إطلاق الرصاص منه، فلما فرغت ذخيرته زحف راجعا تحت وابل الرصاص إلى مخزن الذخيرة ليحمل صندوقا إلى فصيلته ويستمر فى هجومه وتتدفق الجنود إلى السراديب المظلمة وشهدت السراديب معركة من أعنف المعارك ارتمت المستعمرة فى نهايتها مترنحة تحت أقدام الشباب المهاجم البطل .

الاستعمار يفرض الهدنة :

ويتقدم الجيش المصرى إلى المجدل وأسدود ثم عراق المنشية والفالوجة ويقترب الجيش من تل أبيب فقد كان بينها وبين أسدود عشرون ميلا .

وهنا قامت الدنيا وقعدت لعظمة جيش مصر وكان لابد للدول التى احتضنت الصهيونية أن تفكر فى وسيلة أخـــرى تعطى اليهود الفرصة لإعادة تنظيمهم، وتزويدهم بالقلاع الطائرة، والبوارج الحربيـة، والأسلحة الفتاكة، وإمدادهم بالقادة والخبراء والجنود، ففرضت الهـدنة فرضا باسم الأمن العالمى والعدالة والسلام ... كلمات يرددها الاستعمار للقضاء على الأمن والعدالة والسلام ! .

وعند ما اكتملت لليهود أسباب القـوة خرقوا الهدنة أمام سمع الاستعمار وبصره، وحين استدار الجيش المصرى ليسترد مواقعه فرضت عليه الهدنة للمرة الثانية ! .

امتحـان المؤمنين :

وهنا يتعرض الجنـدى المصرى لامتحان لم يشهد التاريخ له مثيلا فى القديم أو الحديث فقد حوصرت قوة من كتائب الجيش المصرى فى قرية الفالوجا، وأحاط بها اليهود من كل جانب يمنعون عنها المدد من مؤن وعتاد، ويزداد إيمان جنودنا بالدفاع عن شرفهم كلما ازداد الحصـار عليهم ضيقا، وترتفع روحهم المعنوية تتحدى كل أنواع الضغوط،

ونسمع حديثهم على موجات الأثير يخترق الحجب ويتخطى كل حصار، ويقول قائدهم السيد طه مخاطبا القائد العام (لقد طلب منى اليهود التسليم فرفضته، فهددونى بهجوم عنيف فرحبت به ... نحن يا سيدى القائد العام فى طبرق الثانية أو استالنجراد الثانية، وشرف مصر يحتمى الآن فى سواعدنا وصدورنا وسنصونه يا سيدى القائد العام، كان الله معنا).

وكان الله معهم ... فقد تعرضت القوة لكل أنواع الهجوم من السيارات المصفحة والدبابات وقاذفات اللهب الأمريكية والطائرات، وصمد الجندى المصرى أربعة شهور يلتحف السماء ويفترش ماء الخنادق، ويأكل الحشائش ويتبلغ حبات من القمح فى شتاء زمهريرى قارس، ومطر غزير يغمر الطرقات والخنادق ...

وإنه ليملأ قلوبنا فخراً وتيها تلك الوقفة الصامدة لأبطالنا فى الفالوجة. صموداً يتيه به العربى فى وجه الزمن ويذكره التاريخ مثلا حيا للبطولة الخالدة!.

ولا عجب! فقد كان أركان حرب الكتائب الثلاث المحصورة فى الفالوجا والذين تحدى بهم (ضبع الفالوجا) طغيان الاستعمار وجبروته.

هم أبطالنا: الصاغ جمال عبدالناصر والصاغ عبد الحكيم عامر واليوزباشى زكريا محي الدين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانتصرنا وصمدوا بإيمانهم فى كل المعارك التى خضناها فى الحرب والسلم فكان النصر المبين وكان الانتصار العظيم ...

«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز».

محمد عبد العزيز البدشتى

عضو فنى بمجمع البحوث الإسلامية

«ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما». قرآن كريم

قرارات حكماء صهيون

للأستاذ محمود محمد شبكه

يصدر اليهود دائماً فى أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم عن كتبهم المقدسة التى حرفها أحبارهم وعلماؤهم وصاغوها وفق أغراضهم الشخصية وأطماعهم الرخيصة ، وقد فضح القرآن الكريم فى غير موضع نواياهم الخبيثة ومن ذلك قوله تعالى : « يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به » ...

وهناك غير ذلك من أقوال زعمائهم وتعاليم رؤسائهم التى يعتبرونها أهم بكثير من الكتب المقدسة وكلها فى الواقع تعاليم يقصد بها إلى التدمير والإهلاك والتخريب وبخاصة ما جاء فى التلمود وهم يدعون أنه التعاليم الشفهية التى تلقاها سيدنا موسى .

وهناك لون آخر من التعاليم والوثائق السرية التى رسم اليهود فيها خططهم للاستيلاء على العالم ، والطرق الجهنمية التى يمكنهم بها السيطرة على كافة الأمم والدول... وقد عرفت هذه الوثائق باسم (مقررات حكماء صهيون) أو (بروتوكولات حكماء صهيون) فزعماء اليهود عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمراً وكان أول هذه المؤتمرات بمدينة (بال) بسويسرا سنة ١٨٩٧ تحت رئاسة زعيمهم (هرتزل) وقد اجتمع ثلاثمائة لهذا المؤتمر من فطاحل اليهود يمثلون خمسين جمعية يهودية .

وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات علنية وسرية ، أما العلنية فتتلخص فى العمل على إقامة دولة يهودية فى فلسطين واتخاذ الأسباب الموصلة إلى ذلك مثل الاهتمام بالناحية الزراعية وشراء الأراضى فى فلسطين ... أما قرارات المؤتمر السرية فهى التى عرفت ببروتوكولات حكماء صهيون ، وقد سكب اليهود فيها كل ما فى نفوسهم من حقد وعداء للعالم ، ورسموا فيها الخطط التى تمكنهم من استعباده والسيطرة عليه ؛ غير أن هذه البروتوكولات لم تعد سراً مغلقاً كما أراد اليهود ، فقد استطاعت سيدة فرنسية اختلاسها أثناء اجتماعها بأحد زعماء اليهود فى وكر من أوكار الماسونية فى فرنسا ، وعن طريق هذه السيدة وصلت البروتوكولات إلى أحد العلماء الروس الذى قام بطبعها ونشرها سنة ١٩٠٥ ، ومنذ ذلك الوقت نشرت البروتوكولات فى أكثر لغات العالم ، وقد ذعر اليهود ذعراً شديداً لافتضاح أمرهم واطلاع العالم على ما دبروا من مكائد وفضائح جرت عليهم الويلات والنكبات .

فلقد عمت المذابح ضدهم فى روسيا حتى لقد قتل منهم فى إحداها نحو عشرة آلاف وامتلأ قلب هتلر غيظاً فذبح منهم عشرات الألوف ،

ولذلك حاولوا جاهدين جمع كل ماوصلت إليه أيديهم من نسخ الكتاب وإحراقها كما حاولوا التبرؤ والتنصل مما جاء فى (البروتوكولات)، ولكن الزمام كان قد فلت من أيديهم للاتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية يومئذ وبخاصة أن زعيمهم (هرتزل) قد اعترف بضياعها حيث قال : (هنالك بيانات واضحة عن بعض الوثائق الخطيرة سرقت من قدس الأقداس ويخشى من نشرها قبل الأوان) .

كما اعترف بها بعض اليهود الذين طردوا نتيجة لاحتجاجهم على ما جاء فى هذه الوثائق مثل المحامى (هنرى كلين) الذى نشر فى جريدته (صوت المرأة) فى شيكاغو سنة ١٩٤٥ كلمة قال فيها: (إن البروتوكولات وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم أمر حقيقى ثابت وإن زعماء الصهيونية يكونون مجلس سانهدرين الأعلى الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم وقد طردنى اليهود من صفوفهم لأنى أنكرت عليهم خططهم الشريرة).

وأول ترجمة عربية لهذه البروتوكولات قام بها الأستاذ محمد خليفة التونسى سنة ١٩٥١ وهى الترجمة التى اعتمدنا عليها فى هذا المقال والبروتوكولات فى مجموعها عبارة عن وثيقة يهودية حقيقية تشرح خطة اليهود فى السيطرة على العالم، وتوضح الوسائل الدولية المتعددة لتنفيذ ذلك ، وتعتمد هذه الوسائل على التخريب والهدم والعمل على إضعاف العقول والأجسام ، مع مراعاة الظروف المناسبة لكل بلد من البلدان .

وسوف نستعرض بعض ما جاء فى هذه البروتوكولات لنقف على ماتنضح به نفوس هؤلاء القوم من شر وما تفيض به من حقد وضغن لمن عداهم من الناس ونعرف طريقتهم فى السياسة والحكم ... فاليهود دائما لا يؤمنون بالقيم ولا الخلق وبخاصة فى السياسة إذ أنها فى نظرهم لا تعترف بالأخلاق ولا تقيم لها وزناً ، والحاكم الفاشل المضطرب الذى يجعل عرشه عرضة للضياع والانهيار هو الذى يلتزم بالأخلاق ويسير فى حكمه على مقتضاها ؛ لذلك جاء فى البروتوكول الأول : (أن السياسة لاتتفق مع الأخلاق فى شىء والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع وهو لذلك غير راسخ على عرشه .. لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تعتبر رذائل فى السياسة وأنها تبلغ فى زعزعة العرش أعظم مما يبلغه الخصوم هذه الصفات لابد أن تكون هى خصال البلاد الأممية (غير اليهود) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدى بهم على الدوام ، إن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا ـ ونحن نضع

خططنا ـ ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد).

إن الطريقة المثلى فى نظر الصهاينة هى الخداع والنفاق والرشوة ما دامت هذه الصفات توصلهم إلى أغراضهم ، وإذا كان العنف والإرهاب مجديا ومفيدا فهو ضرورة واجبة لتوطيد الحكم وإرساء قواعد الملك ، وكذلك مصادرة الأملاك وإثارة الرعب بارتكاب أحكام الإعدام حتى يكون ذلك مدعاة للطاعة والخضوع كل ذلك نقرؤه فى هذه السطور التى جاءت بالبروتوكول الأول :

(ويجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة . إن القوة المحصنة هى المنتصرة فى السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة . يجب أن يكون العنف هو الأساس ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا حكم تلك الحكومات التى تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء قوة جديدة . إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ، وكذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا وفى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة .

إن دولتنا متبعة طريق الفتوح السلمية لها الحق فى أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام وهى أقل ظهوراً وأكثر تأثيرا ، وإنها لضرورة لتقرير الفزع الذى يولد الطاعة العمياء . إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسى فى قوة العدالة فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب بل من أجل الواجب والنصر أيضا) .

أما الصحافة فلا تجد قوما يهتمون بها ويعلقون آمالهم عليها ، ويعملون جاهدين على الاستيلاء والتسلط عليها فى كل بلاد العالم مثل اليهود ، إذ هى المنبر العام الذى يروجون فيه لمذاهبهم الهدامة وينفثون فيه سمومهم وأفكارهم ، ويعملون على تحقيق أهداف حكومتهم المستورة ، وقد وصلوا فعلا عن طريق الصحافة إلى أغراضهم ومشتهياتهم ، يوضح ذلك ما جاء فى البروتوكول الثانى ، (إن الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها تحصل على توجيه الناس ؛ فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء ، وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة فسقط فى أيديها ومن خلال الصحافة كدسنا الذهب ولو أن

دور المثل العليا فى المرحلة الحالية

للأستاذ محمد الأحمدى أبو النور

تمتحن أمتنا العربية فى صلابتها وصمودها بهذه المحنة العصبية التى هبت عليها رياحها الهوج، وإعصارها العاتى.

وكما امتحن الله كثيراً من الأمم قبلنا فإن السلوك الذى ينبغى أن يكون لا يتمثل بحال فى الحزن والألم، ولا فى الإشفاق والأسى، ولكنه يتمثل — على كل حال — فى الصبر والأمل، وفى الحكمة والعمل.

وتلك إحدى السنن الكونية التى يشير إليها قوله عز وجل: « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ».

وحين نواجه محنتنا هذه بصبر يعمق معه الإيمان بالله عز وجل، والمآب إليه، والوثوق بنصره، وبأنه سبحانه غالب على أمره.

وحين نواجهها كذلك بحكمة يتغلب فيها التعقل على الاندفاع العاطفى، ويتهيأ فيها المجال للدرس المستفيض الواعى، وتتوفر معها الشجاعة الأدبية للنقد البناء والنقد الذاتى ؛

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ذلك كلفنا أنهارا من الدم ؛ فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا) .

وينظر اليهود إلى الحرية نظرة غريبة شاذة فهى سبب النزاع والخلاف بين جميع القوى وأن من واجبهم حينما يحكمون ويتسلطون أن ينتزعوا كلمة الحرية من قاموس الإنسانية ويطرحوها وراء ظهورهم ويستعملوا بدلها كل معانى القسوة والوحشية والعنف ويؤكد ذلك ما جاء فى البروتوكول الثالث : إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع فى نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله وذلك هو السبب فى أنه يجب علينا حين نستحوذ على السلطة أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذى يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء ولكن يجب أن نركز فى عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق فى النوم حينما تشبع من الدم وفى تلك اللحظة يكون يسيرا علينا أن نسخرها وأن نستعبدها وهذه الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام بل سيقاتل بعضها بعضا ؟

محمود محمد شبكة

فسنتمكن - إذا - من إدراك درس النكسة ونفيد أكبر الإفادة من التجربة التى نخوض الآن غمارها، ونسعى لمحو آثارها. وستتباعد أشباح اليأس بقدر ما تتوافد أسباب الأمل، فى الغد الواعد، والمستقبل العزيز.

* * *

وعلى طريق الصبر والإيمان والأمل نمضى للعمل والإنتاج بكل ما نملك من قدرة، وبكل ما يتفجر داخلنا من طاقة، موقنين بأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، وأنه مهما يطل الطريق، أو تتفاقم الخطوب، فإنا لمنتصرون «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

* * *

وفى كلمات وجيزة أشار السيد الرئيس، إلى هذه القيم الكبرى، وما لها من أهمية قصوى فى اجتياز المرحلة الصعبة، والظروف الدقيقة حيث قال:

(إنى واثق أننا جميعا نستطيع وفى مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب، وإن كنا نحتاج إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية، ومقدرة العمل المتفانية).

وحيث قال:

(أمامنا الآن عدة مهام عاجلة: أن نزيل آثار هذا العدوان علينا، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود وأن ندرك درس النكسة).

ثم حيث قال:

(إن هذه ساعة للعمل، وليست ساعة للحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية).

أجل.! فلسنا أول شعب يخوض تجربة مريرة ثم يعود أقوى مما كان. ألم تر إلى اليابان وما حل بها فى الحرب العالمية الثانية على أثر إلقاء القنابل الذرية فوق «نجازاكى» و«هيروشيما» وهى قنابل ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ؟!

بيد أن الشعب اليابانى عاش بعدئذ بقيمه ومثله، بصبره وصموده، بعزمه وتصميمه وها هى اليابان كما تراها اليوم!

بل أين فرنسا الآن مما كانت عليه وقت الهجوم النازى ؟!

وكيف كنا فى مصر أو فى العراق أو فى الشام بعد أن فعل بنا الغزو التترى والصليبى ما فعل؟

كيف انتصرنا ودحرنا قوى العدوان فى دمياط ورشيد وفى حطين وعين جالوت. ثم كيف عدنا أقوى مما كنا ؟!

أو ليس لنا فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين الأوائل أسوة حسنة وقد كان المولى عز وجل قديرا على نصرهم دون أن يثخنهم بجراح، أو يأمرهم بكفاح، ولكن

السنة الإلهية الماضية هى ما يشير إليه قوله تعالى : « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » .

وقوله تعالى :

« وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

وكما قيل بحق : ليس المهم من يكسب كثيرا ولكن المهم من ينتصر أخيراً .

وما أكثر ما هبت على المسلمين عواصف من المحن العاتية ثم خرجوا منها أصلب عودا ، وأمضى عزما ، وأعمق ثقة ، وأكبر أملا .

وفى أيام الإسلام الأولى كان الأذى يشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه ، وفى أحلك ظلمات المحن والإحن كان قلبه صلى الله عليه وسلم يتفجر بضوء باهر من الأمل ! .

رأى ابنته فاطمة الزهراء وقد تحدرت مآقيها بقطرات حرى من الدمع الأسيف أن رأت تمادى المشركين فى إيذائه وازدرائه ورميه بالأقذار ، وتعفيره بالتراب . وتفطر لها قلبه الكبير ، بيد أن الأمل غالب الأسى فغلبه وإذا به صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بنية : لا تبكى ، فإن الله مانع أباك .

وتكالب عليه سفهاء مكة والطائف يسبونه ويصيحون به ، ويقذفونه بالحجارة تدمى عقبيه الشريفتين . لكنه لم ييأس من روح الله ، فما أن ابتعد عنهم ، وأضحى فى منجاة منهم ؛ حتى تضرع إلى ربه بدعائه الخالص يشكو إليه فيه ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهوانه على الناس ثم يقول : « يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى : إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

وبعد أن عبر صلى الله عليه وسلم بهذا عن قيمتى الصبر والإيمان عبر عن قيمة الأمل فقال :

« ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ومن هذه القيم أخذ يواصل عمله وكفاحه فى سبيل نشر الدعوة « فى مجال أوسع أفقا » فبدلا من أن يقصر كفاحه على مكة أو الطائف بدأ ينشر الدعوة بين قبائل العرب فى موسم

الحج ، وبدأت أولى بشائر النصر حين تفتحت براعم الإيمان فى شباب الأنصار الذين وفدوا من يثرب إلى مكة ، والذين اشتد بهم عود الإسلام فيما بعد ، وتهادت بهم الدعوة من نصر إلى نصر ، وفتحت مكة نفسها فى عشرة آلاف جندى بعد أن كان المسلمون فيها قلة مستضعفين يتخطفهم الناس بالقتل والتعذيب ، وبالإيذاء والتشريد فلا غرو أن امتن الله عليهم بقوله :

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » . ولو أنه صلى الله عليه وسلم استسلم لليأس أو الحزن ؛ لما تسنى للإسلام أن ينتصر ، ولا لدعوته أن تنتشر ولكنه الإيمان والصبر والعمل يصنع المعجزات ! .

ولقد هزم المسلمون بأحد، ولكن الطاقات الروحية التى هدر بها صوت الوحى فى قلوبهم زادت إيمانهم وقوت يقينهم وأملهم وانطلقوا بها من نصر إلى نصر .

وما أروع تصوير القرآن لهذا كله وإبرازه للمثل العليا التى كان لها أبعد المدى فى شحذ العزائم ، وإلهاب العواطف وذلك فى آياته الكريمة بشأن غزوة أحد :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

ولقد كان لهذا أثره البعيـــد فى تقوية معنويات المسلمين فقد ندبهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى قتال المشركين غداة أحد حتى يمحو كل آثارها وكانت غزوة حمراء الأسد. بيد أن العدو آثر الفرار بعد أن رأى جنداً وصفهم معبد الخزاعى لقائد المشركين أبى سفيان بقوله :

«إن محمداً قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه ، وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقاً ، ومنكم للثأر طلباً » .

وأحر بهذه القيم التى صنعت المعجزات مع أولئك بالأمس أن تصنعها معنا اليوم حتى نصل فى غدنا إلى ما نروم لأمتنا من قوة ومنعة ، وعزة ونصرة ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ؟

محمد الأحمدى أبو النور

قراءة القرآن بالألحان

للأستاذ لبيب السعيد

١ ــ فى اللغة : « لحن فى كلامه » : إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه إلى الإلغاز .

و « عرفت ذلك فى لحن كلامه » : ... فى فحواه ، وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به .

و « ليس هذا من لحنى ولا من لحن قومى » أى : من نحوى ومذهبى الذى أميل إليه وأتكلم به ، يعنى : لغته ولسنه .

ومثله : « تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن » .

وهذا لحن معبد ، وألحانه ، وملاحنه : لما مال إليه من الأغانى واختاره .

ولحن فى قراءته تلحينا : طرب فيها [١] .

٢ ــ وقراءة القرآن بالألحان بمعنى قراءته قراءة معبرة ، وأحيانا بمعنى قراءته على بعض أساليب الغناء ـ أمر قديم :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن (بلحون) العرب ، وإياكم (ولحون) أهل الفسق والكبائر . . . الخ [١] .

وكان عمر بن الخطاب يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى « ويتلاحن » [٢] .

ويقول ابن قتيبة [٣] : « أول من قرأ (بالألحان) : عبد الله بن أبى بكرة ، وكانت قراءته حزنا ، أى فيها رقة صوت ، وليست على شىء من ألحان الغناء ولا الحداء .

فورث ذلك عنه ابن ابنه عبيد الله بن عمر ابن عبد الله . . .

---

(١) أنظر الزمخشرى : أساس البلاغة (ل ح ن) .

(١) انظر : مالك بن أنس : الموطأ كتاب ١٥ حديث ١٠ ، والسخاوى : جمال القراء ص٦٨ مخطوطة رقم ٩م بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، وعلى بن سلطان القارى : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ٦١٨ ، والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص١٠١-١٠٢ ، والقرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص١٧ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

(٣) المعارف ص ٥٣٣ .

وأخذ ذلك عنه الإباضى .

وكان هرون الرشيد معجبا بقراءة سعيد العلاف ، وكان يحظيه ويعطيه ، ويعرف بقارئ أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهم يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية :

فمنهم من كان يدس الشىء من ذلك دسا رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك .

فمن ذلك قراءة الهيثم : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر » (١) سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها
نعتا يوافق معنى بعض ما فيها

وكان ابن أعين يدخل الشىء ويخفيه ، حتى كان الترمذى : محمد بن سعد ، فقرأ على الأغانى المولدة المحدثة ، سلخها فى القراءة بأعيانها(٢).

ويقول الهيثم العلاف (٣) :

قرأت عند المنصور ، فقال : مالكم أهل البصرة أقرأ البلاد ؟

قلت : إن أهل الحجاز قرءوا على النصب (١) .

وأهل الشام قرءوا على قراءة الرهبان .

وأهل الكوفة قرءوا على قراءة النبط .

وأهل البصرة قرءوا على الخسروانى (٢) : غناء فارس .

وإخوان الصفا يتكلمون عن أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى ، فيشيرون إلى أن الناس كانوا يستدفعون المناحس والبلاء بالدعاء والبكاء ، وكانوا يستعملون عند الضراعة والقراءة : « ألحاناً من الموسيقى تسمى (المحزن) ، وهى التى ترقق القلوب إذا سمعت ، وتبكى العيون . وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب وإخلاص السرائر وإصلاح الضمائر » (٣) .

ويقول : « إن استعمال أصحاب النواميس للموسيقى فى الهياكل وبيوت العبادات ، وعند القراءة فى الصلوات ، وعند القرابين والدعاء ، والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبى ـ عليه السلام ـ عند قراءة مزاميره ، وكما يفعل النصارى فى كنائسهم ، والمسلمون فى مساجدهم ،

---

(١) سورة الكهف ٨٠ .

(٢) المعارف ص ٥٣٣ .

(٣) نقلا عن محمود عرنوس : قراءة القرآن بالألحان ـ مجلة لواء الإسلام . ع . رمضان ١٣٦٧ .

---

(١) تقول : نصب نصباً : غنى غناء أرق من الحداء ، وفى الحديث : « لو نصبت لنا نصب العرب » (الزمخشرى : أساس البلاغة) (ن.ص.ب) .

(٢) منسوب إلى خسرو : شاه من الأكاسرة

(٣) الرسائل ـ المجلد الأول ص ١٨٦-١٨٧

من طيب النغمة ولحن القراءة ، فإن كل ذلك لرقة القلوب، ولخضوع النفوس،ولخشوعها ، والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه ، والتوبة إليه عن الذنوب ، والرجوع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ باستعمال النواميس كما رسمت » (١) .

والسنة تقر التلاوة بلحن خاص :

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن فيه (٢) .

قال الزمخشري ، « في أساس البلاغة » : ومن المجاز : صوت حزين رخيم .

وكان الصحابي أبو هريرة يقرأ : « إذا الشمس كورت » (٣) ، يحزنها شبه الرثاء (٤) .

٣ ــ والسنة تحبب في التغني بالقرآن بأحسن الأصوات :

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٥) .

ويقول : « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي

---

(١) نفس المرجع .

(٢) رواه الطبري في « الكبير » عن ابن عباس ، وانظر : المناوي : فيض القدير جـ ١ ص ١٩١ .

(٣) يعني سورة التكوير .

(٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٣٧٠

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة ، ورواه أحمد في مسنده ، وأبو داود ، = وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص .

وكان سفيان بن عيينة يقول في تفسير الحديث : « أي من لم يستغن بالقرآن ... » فقال الشافعي : ليس هو هكذا ، لو كان هكذا لقال : يتغانا ، إنما هو يتحزن ويترنم به ، ويقرؤه حدراً وتحزينا (انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ١٣٠ بتحقيق الطناحي والحلو) .

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوي المحدث يرى مثل رأي سفيان بن عيينة ، وكان يحتج ببيت الأعشى :

وكنت امرأ زمنـــا بالعراق
عفيف المنـــاخ طويل التغني

(ديوان الأعشى ص ٢٢) وكان يحتج بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات :

كلانا غنى عن أخيه حيـــاته
ونحن إذا متنا أشد تغانيـا

(الكامل للمبرد بشرح المرصفي جـ٣ ص ١٤)

وكذلك احتج بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود ، وإلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم

وقال أبو عبيد : «ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك إذ كان من لم يرجع القرآن فليس منه عليه السلام .

(انظر : الشريف المرتضى : أمالي =

حسن الصوت بالقرآن يجهر به » (١) .

= المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد ص ٣١ ، ٣٢) .

وقد ناقش المرتضى فى أماليه ما قيل فى تفسير ذلك الحديث وانتهى إلى أن التغنى هنا ليس التحنين والترجيع ، وإنما هو على هذا الوجه : من لم يقم على القرآن ، فلا يتجاوزه إلى غيره ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا (ص ٣١ - ٣٥) .

(١) رواه البخارى فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقرآن ...

وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٤٤ إلى ٤٤٥ .

وفى رواية مسلم : « ما أذن الله ... الخ » (جـ ٢ ص ١٩٢) .

وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرك جـ ١ ص ٥٧٠ .

وسنن أبى داود ، كتاب ٨ باب ٢٠.

وسنن النسائى ، كتاب ١١ باب ٨٣ .

وسنن الدارمى ، كتاب ٢ باب ١٧١ ، وكتاب ٢٣ باب ٣٣ .

ومعنى قوله : «يأذن» : يستمع له . يقال: أذنت للشىء آذن أذناً إذ استمعت له .

قال الشاعر :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به
وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا =

ويقول : « لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» (١) .

ويقول فى أبى موسى الأشعرى - وكان سمع القرآن منه فى يوم سابق فتأثر من القراءة - لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود . ورد أبو موسى : لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا (٢) .

ويقول : زينوا القرآن بأصواتكم (٣) .

= وقال عدى بن زيد العبادى :

أيها القلب تعلل بددن
إن همى فى سماع وأذن

والأذن هو السماع (انظر : الشريف المرتضى على بن الحسين :

أمالى المرتضى ، أو غرر الفوائد ودرر القلائد - القسم الأول ص ٣١ - ٣٥) .

(١) قال الحاكم النيسابورى: حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك جـ ١ ص٥٧١)

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد وانظر حواشى الجامع الصحيح لمسلم جـ٢ ص١٩٢ ١٩٣ (ط . استامبول) .

(٣) رواه أحمد ، وأبو داود وابن ماجه والدارمى ، ورواه النسائى ، وابن حبان ، والحاكم : وزاد : فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا . انظر : على القارى : مرقاة =

وعن عائشة ، قالت : استبطأنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات ليلة ، فقال : ما حبسك ؟

قلت : إن فى المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن؟ فأخذ رداءه وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة فقال: الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك (١) .

ورئى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفتح ، على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح ، فرجع فيها ، وكانت صفة ترجيعه... آ ... آ ... آ ... ثلاث مرات(٢).

ويقول البراء : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ فى العشاء «والتين والزيتون» فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه (١)

وجابر بن عبد الله يقول : كان فى كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترتيل وترسيل (٢) .

وعن قتادة : ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت ، حتى بعث نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسن الوجه ، حسن الصوت . . . إلخ (٣) .

وسار الصحابة والتابعون وتابعوهم نفس السيرة :

(ا) كان عمر يقول : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل (٤) .

ونقل الذهبى عن ابن الهندى فى ترجمة أبى موسى هذا : «ما سمعت طنبوراً ولا صنجا ولا مزماراً أحسن من صوت أبى موسى الأشعرى وكان يصلى بنا فنود أنه قرأ البقرة» (٥) .

(ب) وكان أسيد بن الحضير أحد النقباء

= المفاتيح جـ٢ ص٦١٤، والحاكم : المستدرك جـ ١ ص ٥٧١ والطيالسى : مسند الطيالسى ـ حديث ٧٣٨ .

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء جـ ١ ص١٢٢

(٢) البخارى: الجامع الصحيح ـ باب ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ـ وروايته عن ربه وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص٤٤١، ٤٤٢ وظاهر أن هذا الترجيع كان اختيارا لا اضطرارا ، لهز الناقة له . وكما يقول ابن قيم الجوزية كان النبى يرجع فى قراءته ، فنسب الترجيع إلى فعله ، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا (زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤) .

(١) يقصد سورة التين .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٩٧ (ط . ليدن سنة ١٣٢١) .

(٣) نفس المرجع جـ ١ ص ٩٨ .

(٤) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ٢٢ ـ ٢٤ .

الاثنى عشر ليلة العقبة من أحسن الناس صوتاً بالقرآن (١) .

(ج) وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن : قال له عمر : اعرض على سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر ، وقال : ما كنت أظن أنها نزلت [٢] .

(د) وذكر على بن سلطان القارى فى « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » أن الشيخ عبد القادر الجيلانى روى عن عبد الله ابن مسعود مايستفاد منه أنه كان يحب حسن الصوت بالقرآن (٣) .

(هـ) وكان علقمة أبو شبل النخعى الفقيه الكبير أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ . والنووى : تهذيب الأسماء واللغات - ٤١٤ .

(٣) جـ ٢ ص ٦١٥ . والنص :

« وقد ذكر سيدنا وسندنا مولانا القطب الربانى والغوث الصمدانى الشيخ عبد القادر الجيلانى روح الله روحه ، ورزقنا فتوحه فى كتابه (الغنية الذى للسالكين فيه المنية) أنه روى عن عبدالله بن مسعود أنه مر ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة ، وإذا = الفساق قد اجتمعوا فى دار رجل منهم يشربون الخمر ، ومعهم مغن ، يقال له : زاذان - كان يضرب بالعود ، ويغنى بصوت حسن ، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود قال : ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن !

وجعل رداءه على رأسه ، فمضى .

فسمع ذلك الصوت زاذان فقال : من هذا ؟

قالوا : كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وإيش قال ؟

قالوا : قال : ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقراءة كتاب الله كان أحسن !

فدخلت الهيبة فى قلبه .

فقام ، وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أدرك ، وجعل المنديل على عنق نفسه ، وجعل يبكى بين يدى عبد الله .

فاعتنقه عبد الله ، وجعل يبكى كل واحد منهما ، ثم قال عبد الله كيف لا أحب من أحب الله ؟ .

فتاب من ضربه بالعود ، وظل ملازما عبد الله حتى تعلم القرآن ... الخ .

إذا سمعه ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسر بك (١) .

(و) وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجهر بصوته ، فاستمع له الناس ، فقال سعيد بن المسيب : فتنت الناس . فدخل (٢) .

(ز) والشافعى صاحب المذهب كان من أحسن الناس قراءة ؛ قال أحد معاصريه : كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبى يقرأ القرآن ، فإذا أتيناه ، استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ، ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة (٣) .

(ح) وقيل : إن ورسا أحد الراويين الأشهرين لنافع كان إذا قرأ على نافع أغشى على كثير من الجلساء لحسن صوته وجودة قراءته (١) .

(ط) وكان عبد الرحمن بن الأسود ابن أبى يزيد يتتبع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان (٢) .

(ى) وكانت حلاوة الصوت بالقراءة وقوة التأثير بها دليل « السيرة الحسنة والتقى » وذكروا فى ترجمة أحد القراء الأندلسيين ، وهو عبد الله بن محمد بن سليمان ، المعروف بابن الحاج أنه كان مجوداً للقرآن ، « مع حلاوة صوته وطبعه ، وكان إذا أحيا فى الجامع لا يتمالك كل من سمعه من البكاء ، وما ذلك إلا لسريرة حسنة وتقى كان بينه وبين خالقه (٣)

— ٥ —

وفى الآثار المتداولة عند المسلمين ما يؤيد احتفالهم بالصوت الحسن ، بصرف النظر عن مدى صحة هذه الآثار .

قال مالك بن دينار أحد معلمى الغناء بالمدينة :

---

(١) ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ٥١٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٩٣ .

(٣) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ الجزء الخاص بالمدة من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ هـ ص ٥

والنووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٦٦

---

(١) أنظر : القسطلانى : لطائف الإشارات ، الورقة ٢٢ من المخطوطة ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥

(٣) انظر : ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ج ١ ص ٢٥٦

« بلغنا فى الخبر أن الله - تبارك وتعالى - يقيم داود - عليه السلام - يوم القيامة عند ساق العرش ، فيقول : يا داود: مجدنى اليوم بذلك الصوت الرخيم » .

وجاء فى الخبر : أن داود كان يخرج إلى صحراء بيت المقدس يوما فى الأسبوع ، ويجتمع الخلق ، فيقرأ الزبور بالقراءة الرخيمة ، وكانت له جاريتان موصوفتان بالقوة ، فكانتا تضبطان جسده خيفة أن تنخلع أوصاله ، مما كان ينتحب ، وكانت الوحوش والطيور تجتمع لاستماع قراءته (١)

وعن ابن عائشة ، قال : كان لداود عليه السلام ، صوت يطرب المهموم ويسلى الثكلى وتصغى له الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تشعر (٢) .

ومن الروايات ذات الدلالة ما يزعمه بعضهم من أن الظباء النافرة كانت تأتى لاستماع ألحان صوت مخارق المغنى ، فإذا سكت عادت لنفارها وشردت (٣) .

---

(١) أنظر أحمد تيمور : الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٤

(٢) مجالس ثعلب جـ ١ ص ١٨

(٣) أنظر : أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى جـ ٢١ ص ١٥٢ (ط. ن. ساسى) ونص الرواية :

خرج مخارق مع بعض أصحابه إلى = بعض المتنزهات فنظر إلى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله إياها ، فكأن المسئول ضن بها .

قال : وسنحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القوس :

أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك به خدور هذه الظباء . أتدفع إلى هذه القوس ؟

قال : نعم ؟

فاندفع يغنى :

ماذا تقول الظباء أفرقة أم لقاء ؟
أم عهدها بسليمى ؟ وفى البيان شفاء
مرت بنا سانحات وقد دنا الإمساء
فما أحارت جواباً وطال فيها العناء

قال : فقطعت الظباء راجعة إليه ، حتى بالقرب منه مستشرفة تنظر إليه مصغية إلى صوته ، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجل القوس ، فأخذه وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت.

ومن التراث العربى أن صاحب «الفلاحات» كان يقول : إن النحل أطرب الحيوان كله على الغناء . قال الشاعر :

والطير قد يسوقه للموت
إصغاؤه إلى حنين الصوت ١)

وزعموا أن فى البحر دواب ربما زمرت

---

(١) الأبشيهى : المستظرف فى كل فن مستطرف ص ١٧٧ .

أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها ، فاعتنى بها وضعة الألحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا (١) .

والرحالة ابن جبير يروى فى رحلته أنه رأى القراء « بين يدى الوعاظ يأتون بألحان تكسب الجماد طربا وأريحية كأنها المزامير الداوودية » (٢) .

والقسطلانى يقول : « فإذا جليت آيات القرآن بالأصوات الطيبة ، مع مراعاة قوانين الترتيل على الأسماع ، تلقتها القلوب، وأقبلت عليها النفوس ، وإنما أثمر ذلك تدبر آياته ، والتفكر فى غوامضه ، والتبحر فى مقاصده ، ليحصل له حينئذ الامتثال لأوامره ، والانتهاء عن مناهيه والرغبة فى وعده ، والرهبة من وعيده ، والطمع فى ترغيبه »(٣) .

وقد بكى الطبيب البصرى (ماسرجويه) وهو يهودى من قراءة أبى الخوخ ؛ فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : إنما أبكانى الشجى (٤) .

(١) نفس المرجع .

(٢) ص ١٤٠ .

(٣) لطائف الإشارات ، الورقتان ٥٤ و ٥٥ - المخطوطة رقم ٤٩ قراءات ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) أنظر الجاحظ : الحيوان ج٤ ص١٩٢

وقد اختلف الحكم على القراءة بالألحان المقتبسة من الغناء، وهذا بعض ماروى ضدها:

(ا) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال- وقد أوردنا هذا الحديث قبلا-: « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق، ولحون أهل الكتابين ، وسيجىء بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح . . إلى آخر الحديث » .

(ب) وأنكر التطريب أنس بن مالك خادم النبى ، فقد جاءه قارىء ؛ فقرأ وطرب ، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء ، فقال له : يا هذا ! ما هكذا كانوا يفعلون . وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه (١) .

(ج) وفى سنن الدارمى أنهم كانوا يرون هذه الألحان فى القراءه محدثة (٢) .

(د) وتمنى الصحابى أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه ستة عد منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير (٣) .

(ه) وممن كره القراءة بالألحان من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ،

(١) أنظر : ابن الحاج : المدخل ج ١ ص ٧٤ و ٧٥ .

(٢) سنن الدارمى ج٢ ص ٤٧٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ، القسم الثانى ص ٦١ (ط . ليدن ١٣٢٥ ه) .

والقاسم بن محمد ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعى (١) .

(و) وممن كرهها من تابعى التابعين : سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس (٢) . وروى الربيع الجيزى عن الشافعى أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة (٣) .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القرآن بألحان ، فكرهها ، وقال : لا ، إلا أن يكون طبع الرجل مثل قراءة أبى موسى حدراً (٤) .

وابن بطة العكبرى المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ يرى أن « من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان وتشبيهها بالغناء (٥) .

(ز) وحتى ابن خلدون المؤرخ الاجتماعى يرى : « أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه ، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر فى القرآن » (١) ، ويرى « الأخذ بالتلحين البسيط الذى يهتدى إليه صاحب المضمار ، فيردد أصواته ترديداً على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره » (٢) ، ويرى أن : « القرآن محل خشوع ، يذكر الموت ومابعده ، وليس مقام التلذاذ بإدراك الحسن من الأصوات » (٣) .

(ح) ونذكر هنا رواية تاريخية لافتة : هى أن الحارث بن مسكين ، الذى تولى قضاء قضاة مصر فى سنة ٢٣٧ هـ كان يضرب الذين يقرءون بالألحان (٤) .

ويبدو أن هذه القراءة كانت مسرفة فى المخالفة إلى الحد الذى تضيع عنده معانى القرآن ، فقد ضرب ابن الحاج مثلا للقراءة المحرمة الكثيرة ترديدالأصوات والتوجيعات ، والتى تذهب معها معانى القرآن : « ما يفعله القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون عليها الأجور والجوائز » (٥) .

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤

وابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٧٤ و ٧٥

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٧

وابن خلدون : المقدمة جـ٣ ص ٩٦٧ و ٩٦٨

(٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ٢ ص ١٣٢ (ط . الطناحى والحلو) .

(٤) كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد ابن حنبل جـ ١ ص ٣٧٣

(٥) انظر كتابه : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٨٩

---

(١) المقدمة ـ فصل فى صناعة الغناء جـ ٣ ص ٩٦٨ (ط . على عبد الواحد وافى) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٥) انظر : ابن قيم الجوزية : زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٥ .

أما الذين أجازوا الألحان فى القرآن ، فقد عضدوا رأيهم :

(ا) بما سبق أن ذكرناه من أن عمر ابن الخطاب كان يقول لأبى موسى الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى «ويتلاحن» ، وأن عمر كان يقول : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل (١).

(ب) ورووا أن ابن عباس وابن مسعود أجازا هذه القراءة [٢ .

(جـ) ورووا أن أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون القرآن بالألحان ، كما رووا أن الشافعى رؤى مع بعض أصحابه ، يستمعون القرآن بالألحان ، وقالوا : إن هذا أيضاً هو اختيار ابن جرير الطبرى (٣) .

(د) وروى عن ابن جريج أنه قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء قال : وما بأس ذلك يا ابن أخى(٤) .

(هـ) وقالوا فى الرد على محرمى هذه القراءة: «إن المحرم لابد أن يشتمل على مفسدة راجحة أو خالصة ، وقراءة التطريب والألحان لا تتضمن شيئاً من ذلك ؛ فإنها لا تخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السامع وبين فهمه »(١) .

وقد انتهى صاحب « زاد المعاد » فى أمر التطريب والتغنى بالقرآن بحكم نقره عليه ، هو تحسينهما إذا اقتضتهما الطبيعة ، وسمحت بهما من غير تكلف ولا تمرين وتعليم ، وأن النفوس تقبل هذا وتستحليه ، وأن هذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو الذى يتأثر به السامع والتالى .

أما ما كان من ذلك يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ولا يحصل إلا بالتعليم والتكلف ، فهذه هى التى كرهها السلف ، وأنكروا على من قرأ بها (٢) .

وسماع النساء للرجال إذ يقرأون القرآن بصوت حلو ناعم مشوق لا حرج منه فى الإسلام فعن أنس أن أبا موسى الأشعرى قام ليلة يصلى ، فسمعه أزواج النبى ـ صلى الله عليه سلم ـ وكان حلو الصوت ، فقمن يسمعن ، فلما أصبح ، قيل له: إن النساء كن يسمعن فقال : لو علمت لحبرتكن تحبيراً ، ولشوقتكن تشويقاً (٣) .

وقد سئل المرحوم عباس محمود العقاد رأيه فى أثر القراءة بالألحان فيمن قد يثير الصوت

---

(١) المدخل جـ ١ صـ ٥٠ و ٥١ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ صـ ٩ .

(١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد حـ ١ صـ ١٣٩
(٢) نفس المرجع صـ ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى المجلد ، صـ ٣٤٤ ، ٣٤٥ (ط . بيروت) .

الجميل نزواتهم فقال : بعد أن حسن قراءة الترتيل والتفصيل : « .. ولكن ينبغى أن تذكر أن القارىء غير مسؤول عن عوج الطباع واختلال الأمزجة ، فإذا بلغ من سامعة مثلا أنها لا تصغى إلى صوت جميل إلا اقترن عندها بنزوات النفس ، وبلغ من سامع مثل ذلك كلما استمع إلى قارئة محسنة ، فالوزر فى ذلك على الطبع الأعوج لا على الصوت الجميل . ومنع المعوج أولى من منع القراءة التى لاذنب لها إلا أنها مقرونة بالجمال . والحلال بين ، والحرام بين ، والدين يسر وليس بعسر ، قبل كل شىء وبعد كل شىء »(١).

وقد أحب الناس للمصحف المكتوب أن يكون جميل الخط ، وبذلت البلاد الإسلامية فى هذا - على مدى القرون - جهوداً باهرة ضخمة ، وهذا الجمال هو من بواعث القراءة وميسراتها (٢) .

ولا شك أن الحاجة إلى تجميل القراءة ليست أدنى من الحاجة إلى تجميل الكتابة ، ولا شك أيضاً أن التجميلين يتوافيان على غاية واحدة .

بيد أنه تردد أن بعض الناس وبخاصة الموسيقيين يرغبون فى تلحين القرآن تلحينا تصحبه الموسيقى :

(و) نشرت إحدى المجلات[١] ، بعنوان : « القرآن والفنون » [٢] ، مقالا قالت فى تقديمه : إن فيه من اللمحات الفنية ما أوجب علينا أن تضعه بين يدى مثقفى قرائها . وتضمن المقال :

(أ) أن حق تلحين القرآن مقطوع به ، وأنه « يستمد شرعية وجوده من هذه القرآت السبع » وأننا « فى حاجة فقط إلى فنان عربى عظيم مثل : « باخ » و « هندل »

---

(١) الأخبار فى ٨ يونية ١٩٥٩ .

(٢) قال أبو الفتح كشاجم يصف أجزاء من القرآن أبياتاً جميلة منها :

من يتب خشية العقاب فإنى تبت أنساً بهذه الأجزاء
حين جاءت تروقنى باعتدال من قدود وصبغة واستواء
سبعة أشبهت لى السبعة الأنجم ذات الأنوار والأضواء =
= وهى مشكولة بعدة أشكال ومقروءة على أنحاء
فإذا شئت كان حمزة فيها وإذا شئت كان فيها الكسائى
لحقيق على أن أقرأ القرآن فيهن مصبحى ومسائى

(أنظر : الحصرى القيروانى : زهر الآدب وثمر الألباب جـ ١ صـ ١٠١) .

(١) مجلة الأدب التى كان يصدرها المرحوم الأستاذ أمين الخولى - ع . مايو ١٩٥٦ .

(٢) لم تذكر المجلة اسم الكاتب ، واكتفت بأن رمزت له بحرفى ت . ح .

و « هايدن » فى أعمالهم الدينية الرائعـــة والمعروفة « Oratoria » .

(ب) وأن خير موسيقى لتلحين القرآن هى موسيقى الكنيسة المصرية التى نجدها فى القداس القبطى القديم ، وأن الأذان الإسلامى (الحالى) فيه جزء واضح من هذا القداس القبطى .

(ج) وأنه كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال ، فلا يميز بين صوت مقرىء عجوز « (كذا) » ، وصوت قسيس قبطى عجوز من كنائس الصعيد (كذا أيضاً) .

(د) وأنه يقترح لتلحين القرآن آلات موسيقية أساسية هى — بصفة مبدئيـة — الناى ، والمثلث ، والأرغن ، ولكنه — فى خشيته على ما يظهر — من أن ترمى فكرته بشىء من الإسراف ، أو فى إمعانه — على ما يظهر أيضاً — فى الاستهتار بالقرآن ، استدرك أو مضى فقال : (أنا لا أميل إلى إدخال الطبلة) .

(هـ) وأن القرآن « سيمفونية ضخمة من حركات كثيرة ... وأقرب السمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية السيمفونية التاسعة التى تنتهى إلى نشيد الفرح يردده كل الناس » .

* * *

ومع أنى هنا لست بسبيل مناقشة هـذا المقال ، فإنه لا مندوحه لى عن التعقيب عليه فى إيجاز :

١ — إن الذين عرفوا شيئاً ولو يسيراً جـــداً عن القراءات يدركون بعد ما بين القراءات السبع وبين ما أسماه ذلك الكاتب « شرعية » التلحين الموسيقى للقرآن .

٢ — واختيار الكاتب للموسيقى الكنسية المستعملة فى القداس القبطى مصدراً لتلحين القرآن موسـيقياً ، وادعاؤه بأن الأذان الإسلامى مأخوذ من هذا القداس بشكل واضح ، والادعاء بأن تلاوة القرآن وقراءة القداس سواء . هذا كله ترويج لدعاوى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعزون فى تكلف — وتعصب — كل الشعائر والمظاهر الإسلامية إلى أصول مسيحية ، والذين لا يفتأون يرددون فى كل مناسبة دعواهم الباطلة .

يقول جون تاكلى John takle عن المسلمين — فى حقد عليهم وعلى قرآنهم — . وهذا مجرد مثل لدعاوى أولئك المستشرقين البعيدة جداً عن العدل والرشد ، يقول تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم — يعنى القرآن — وهو أمضى سلاح فى الإسلام — ضد الإسلام نفسه ، ولنقضى عليه تماماً يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً » [1] .

---

(١) نقـله مصطفى خالدى وعمر فروخ فى كتابهما : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٤٠ ، عن :

Islam and Missions, by E.M. Wherry, S.M. Zwemer and C. Y. Mylrea, N.y. 1911.

ويقول أحـــد دعاة النصرانية واسمه W. S. Nelson فى حقد مماثل : إن الإسلام مقلد وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو ، أو مع شيء من التبديل (١) .

وقد حاول جولد تسيهر — استناداً إلى الروايات الضعيفة وإلى أخبار بعض المطعون فى دينهم وخلقهم لدى علماء الجرح والتعديل - حاول أن يثبت أن اليهودية شاركت فى تأسيس الفكر الإسلامى ! (٢) .

وكذلك قال هذا المستشرق — فى مجافاة للحقائق الناصعة — إن تبشير النبى العربى ليس إلا مزيجا « منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها إذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا » (٣) .

على أننا أشرنا قبلا إلى الحديث النبوى الذى ينهى ضمنا عن قراءة القرآن بلحون أهل الكتابين ، وهذا وحده كاف لدحض الادعاء بوجود صلة بين الألحان القبطية وألحان القرآن ، وكاف لإسقاط القول بأن تكون موسيقى القداس القبطى مصدراً لتلحين كتاب الإسلام والعربية .

٣ — ووصف القرآن بأنه سيمفونية لها أشباه فى سيمفونيات الغرب ، واقتراح استعمال الناى والمثلث والأرغن — بصفة مبدئية — فى قراءة القرآن ، ومحاولة تغطية الشطط فى هذا بقناع مكشوف هو القول بعدم الميل إلى إدخال الطبلة ... كل هذا يناقض خصائص القرآن ولا ينفعه ، وإنما يسيء إليه ، وهو بعد يصدم شعور أتباع القرآن ويؤذيهم فى أعظم مقدساتهم .

٤ — ونشرت الأهرام بعنوان (١) : « خمس سور من القرآن تم تلحينها » مانصه : « أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذى بدأ فى تلحين القرآن خطابا يقول فيه : إن الوزارة تبارك المشروع ، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل السور التى تم تلحينها وعرضها على هيئة كبار العلماء ، ثم تقديمها للإذاعة ...

وقد أبدى عبد الوهاب حموده عضو لجنة الاستماع بالإذاعة إعجابه بالسور الملحنة ،

---

(١) نقلا عن المرجع السابق .

(٢) انظر : مذاهب التفسير الإسلامى ، ترجمة عبد الحليم النجار .

(٣) انظر : العقيدة والشريعة ، ترجمة محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ص ١١ - ٢٠ .

(١) فى ٧ من أغسطس ١٩٥٨ .

بعد أن غناها له على (العود) صالح أمين .

وقد أتم صالح تلحين « ٥ سور ، هى : المدثر ، والإنسان ، والنور ، والفرقان ، والأنفال ، ويقوم الآن بكتابة (نوتها) الموسيقية ، وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصور المناسبة التى نزلت فيها السورة » .

ومع أن وزارة التربية والتعليم نفت فى بلاغ رسمى (١) مباركتها للشروع وإسهامها فيه ، وحرصها على « أن يكون للدين مكانة وللقرآن المجيد قداسة » فإن نفيها وقف عندما يخصها هى ، ولم يتجاوزه إلى الأمور الخطيرة الأخرى التى تضمنها الخبر .

٥ — ونشر بعد ذلك : (٢) أن الموسيقار زكريا أحمد سيقوم بمحاولة فنية جديدة « لتلحين القرآن » وأن فكرته هى تصوير المعانى وضبط الأنغام فى الترتيل [٣] .

وعندى أن قراءة القرآن على الآلات الموسيقية تمس قداسته ، وتخلط بصوته القدسى أصوات المعازف ، وتشغل عن تدبر المعانى والتأثر بها ، بالاستمتاع بالموسيقى وأنغامها وإيقاعاتها وتقحم فى القرآن حركات وتنزع منه حركات ، فمثلا قد تمد المقصور ، وقد تقصر الممدود ، بل قد تحدث ما لا

---

(١) انظر : الأهرام ع ١٣ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .

(٢) انظر : الأخبار ع ١٢ من أكتوبر ١٩٥٩ .

(٣) تقتضينى الأمانة أن أذكر أن المرحوم زكريا أحمد زارنى فى بيتى بصحبة الصديق على أحمد باكثير ورجانى الإذن له فى الاشتراك بأى قدر فى تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته . = وتلا ليلتها آيات من سورة المزمل كنموذج للتلاوة التى يؤثرها ، وكان فى تلاوته يلتزم قواعد التجويد ، ولكنها كانت أقرب إلى الإلقاء التمثيلى ، ولما أبديت ملاحظاتى على أسلوبه فى التلاوة تلقاها بالرضى ، وقال فى امتثال : علمونى ، وعلى أن أنفذ ، وقال : كل قصدى أن تكون تلاوتى معبرة عن المعانى وذكر ـ وهو يضحك ـ أنه سمع قارئا يتلو بغير فهم قوله تعالى : « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقى ولا تذر » (المدثر ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) وكانت القراءة بهيجة إلى درجة جعلتها أقرب إلى تصوير شىء جميل منها إلى تصوير النار وأهوالها المخوفة ، فصاح زكريا : يا ناس ! ما دامت سقر بالشكل الجميل دا . . وباللطافة دى . . خدونى فيها .

ولقى زكريا ربه بعد أسابيع قليلة من الزيارة التى ذكر فيها أن الاشتراك فى تسجيل المصحف المرتل هو من أغلى أمنياته ، جزاه الله صالحة على نيتـــه .

قضيّة ترجمة القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى

الدعوة إلى الله أهداها من غير شك ما كان عن طريق القرآن الكريم .

والاتجاه الحاضر فى مصر ألا يترجم القرآن وإنما يترجم تفسير له تضعه لجان مختارة ، كل لجنة تتولى تفسير بعضه ، ويؤلف بين هذه التفاسير لجنة تنسيق قد فرغت الآن من عملها . والتفسير الآن ، وعليه بعض تعليقات عملية ، مطبوع تحت اسم (المنتخب فى تفسير القرآن الكريم) ويطلب المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من علماء العالم الإسلامى إبداء الرأى فيه .

ولقد أثيرت مسألة ترجمة القرآن الكريم فى أواخر عام ١٩٢٩ حين قدم إلى القاهرة المرحوم (محمد مرمديوك بكتول) الأديب الإنجليزى ومحرر مجلة « الثقافة الإسلامية » التى كانت تصدر بالإنجليزية فى حيدرباد بالهند ، وكان رحمه الله قد حصل من نظام حيدرباد على إجازة سنة يشرف فيها على طبع ترجمة للقرآن الكريم كان هو قد قام بها ، وكان قدومه إلى القاهرة ابتغاء مراجعتها مع بعض أولى الاختصاص قبل طبعها ، وهو احتياط أملاه عليه حرصه ، رحمه الله ، أن تخرج الترجمة صحيحة بقدر الإمكان .

وانقسم علماء الدين فى ذلك العهد إلى فئتين : فئة كبيرة تعارض أن يترجم القرآن وهى الفئة الرسمية ، وفئة غير قليلة على رأسها المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى شيخ الأزهر المستقيل كانت لا ترى فى ترجمة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

أصل له ، وهذا يقضى غالبا إلى تغيير المعانى أو – على الأقل – وقوع اللبس فيها ، ومثل هذا حقيق من الناحية الدينية أن يفسق صانعه ويؤثم سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على المعازف ، وهو كما أشرنا آنفا – له موسيقاه الخاصة – وليس كالكتب الدينية التى تستعين الموسيقى من الخارج لتظهر معانيها وتكمل نقصها ؟

لقد دعانى هذا كله إلى اختيار طريقة الترتيل المرسل فى تسجيل المصاحف المرتلة ، والنص على ذلك فى مخططات المشروع .

هذا : والقراءة سنة ، والثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن مترسلا؟

لبيب السعيد

القرآن بأسا ما دام المترجم مأمونا على معانى القرآن ، متمكنا من العربية لغة القرآن ومن اللغة المراد ترجمة القرآن الكريم إليها ، وهى شروط كانت متحققة فى محمد مرمديوك بكتول رحمه الله ؛ فالإنجليزية كانت لغته التى كان هو أحد أدبائها ، والعربية كانت لغة استشراقه التى عرف الإسلام عن طريقها فأسلم ، وحمله حبه لنشر الإسلام أن يترجم القرآن إلى الإنجليزية فى سنين . وكان رحمه الله يقول: إن المستشرق غير المسلم لا يؤتمن على معانى القرآن ، فقد يفهمها على غير وجهها متأثرا برأيه أو هواه ، والمسلم غير الإنجليزى يرتكب فى الترجمة أغلاطا لغوية أو أدبية يدركها الناشئ فى الإنجليزية فيشغله التهكم بها وبصاحبها عن الاهتمام بالمعنى ، ويصرفه عن استتمام قراءة مترجمة ، فخير تراجم القرآن إلى الإنجليزية ما قام به أديب إنجليزى مسلم .

إلا أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن يرى أن فى الإمكان ترجمة القرآن ترجمة صحيحة تامة إلا فى الآيات التى لا تحتمل إلا معنى واحدا كآيات التوحيد، أما الآيات التى يسمح التعبير فيها أن تفهم على أكثر من وجه فإن الترجمة لا يمكن أن تعبر إلا عن وجه واحد ، والتنبيه إلى الأوجه الأخرى فى الهامش يبلبل القارىء غير العربى الذى لا يتصور فى لغته تعبيرا له أكثر من معنى مقصود ، فليس هناك ـ فى هذه الحالة لصالح الدعوة الإسلامية ـ إلا أن يختار المترجم من الأوجه المحتملة وجها هو فى العادة الذى يفهمه من الآية أكثر المفسرين . وقد يختار وجها قالت به القلة أو معنى من معانى الكلمة فى القاموس إذا وجده أليق بالسياق، كما فعل بكتول فى كلمة (قرار) فى الآية الكريمة : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية . وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » (٥٠ سورة المؤمنون) ـ فإن من معانى الكلمة فى القاموس « الغنم » وهى الملائمة لذكر المعين ، وهما معا يستلزمان خضرة المرعى ووفرة اللبن شرابا وطعاما لمريم وابنها عليهما السلام فى المأوى الذى آواهما الله إليه .

وقد أدى وجود الفئة التى كان على رأسها الشيخ الأكبر المراغى رحمه الله أن وجد بكتول مراجعا راجع معه الترجمة مراجعة أولى فى ثلاثة أشهر بعد أن قضى بكتول مثلها فى انتظار المراجع الرسمى الذى حال دونه وجود الفئة الأكثر عددا والأكثر نفوذا الذين كانوا بين محرمين للترجمة خوفا من أن تحل محل القرآن الكريم عند من لا يعرف العربية ويعرف الإنجليزية من المسلمين، وبين كارهين للترجمة خوفا على القرآن من الخطأ فى نقل معانيه . وامتنع من الاشتراك فى المراجعة القادرون عليها من أساتذة كلية

الآداب ضنا بسمعة الكلية أن تتعرض لتهمة المساعدة على أمر يخشى أكثر علماء الدين منه على مكانة القرآن أو على معانيه .

وأكتفى بكتول مضطرا بالمراجعة الأولى إذ لم يكن بقى من أجازته إلا ما يكفى لطبع الترجمة ولم يكن يرى هناك أى احتمال لأن تحل الترجمة محل القرآن الكريم ولو عند بعض المسلمين من الإنجليز إذا عرف أنها روجعت فى مصر ، لكنه مع ذلك رأى أن يذهب بخوف الخائفين من هذه الناحية ، فقرر ألا يسمى ترجمته « القرآن المجيد » كما سمى القديانيون ترجمة محمد على للقرآن، وإنما سماها « معنى القرآن المجيد : ترجمة تفسيرية » . أما احتمال الخطأ فقد احتاط منه ما استطاع ، ولم يكن - رحمه الله - يرى معنى لإحجام جماعة المسلمين عن الترجمة من أجل ذلك الاحتمال مع وجود التراجم التى قام بها غير المسلمين فى المكاتب فى مصر وغير مصر من الأقطار .

هذا تاريخ، لكنه يترك تاريخ الباب مفتوحا لبحث الموضوع ؛ فإن وجود فئة من علماء الدين على رأسهم مثل الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى رحمه الله تبيح ترجمة القرآن بشروط ، ليس بالأمر الهين الذى يمكن إهماله فيوصد الباب إلى الأبد دون احتمال القيام بترجمة القرآن إذا تيسرت لذلك الأسباب ، وكان ذلك خيرا فى الدعوة إلى الله من ترجمة تفسير القرآن .

لكن قبل بحث نقطة أيهما خير وأجدى : ترجمة القرآن أم ترجمة تفسيره ؟ ينبغى التساؤل أولا : ألم يرد عن الشارع الحكيم ما يفيد الإذن بترجمة القرآن عند دعوة غير العرب إلى الإسلام ؟

إن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه فى الآية (١٩) من سورة الأنعام أن يقول : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » . وظاهر قوله تعالى « ومن بلغ » ، أن القرآن نفسه هو المطلوب إبلاغه ، لا ما يفهمه أحد من القرآن ، وأقل ما يقتضيه هذا الظاهر أن ما تمكن ترجمته من آيات القرآن عند دعوة غير العرب إلى الإسلام ينبغى ترجمته لهم بالحرف إن أمكن ذلك من غير إخلال بقواعد اللغة أو بالذوق الأدبى عند القوم الذين تترجم لهم تلك الآيات . وهنا يرد على الباحث سؤال ينبغى أن يكون له جواب : كيف نفذ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر عند ما وجه كتبه الشريفة إلى ملوك غير المسلمين يدعوهم فيها إلى الإسلام ؟ إنه أملاها طبعا بالعربية . فهل ذكر فى بعضها آيات من القرآن بالنص أو بالمعنى فى ألفاظه من عنده ؟ إن الجواب المستمد من واقع ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم سيكون فيه الحكم الفصل فى هذا الموضوع من طرفيه ؛ طرف جواز الترجمة فى الشرع ، وطرف أيهما أجدى

على الدعوة ـ ترجمة الآى القرآنى أم ترجمة تفسير الآى ؟

وأظن الجواب سيتبادر إلى القارئ الذى سبق أن اطلع على كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم ، والكتاب رواه البخارى فى باب « كيف كان بدء الوحى » فى أوائله ، فى الجزء الأول من صحيحه ، ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ؛ سلام على من اتبع الهدى. أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وفى النص الشريف آيتان بالنص وآية بالاقتباس ؛ فالتى بالاقتباس هى قوله صلوات الله وسلامه عليه : « سلام على من اتبع الهدى » فهى مقتبسة من قوله تعالى « والسلام على من اتبع الهدى » فى الآية (٤٧) من سورة طه . واللتان بالنص هما : البسملة فى صدر الكتاب ، والآية (٦٤) من سورة آل عمران فى آخره ، ونص الآية « قل يا أهل الكتاب تعالوا » فى أولها ، فاقتصر صلى الله عليه وسلم على ما أمر أن يقوله فقاله : و « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » إلى آخر الآية الكريمة التى ختم بها كتابه الشريف .

وواضح أن هرقل لم يكن يعرف العربية ، بدليل أنه خاطب أبا سفيان بواسطة ترجمانه عندما سأله عن النبى قبل أن يدعو بكتابه صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى ، فلا بد أن يكون الكتاب قد ترجم له ، وتكون الآيات الثلاث من ضمن ما ترجم ، وإذن فهو صلى الله عليه وسلم قد أراد أن تترجم لهرقل .

وأقل ما يدل عليه هذا المسلك العملى منه صلى الله عليه وسلم هو أولا : جواز ترجمة أمثال هذه الآيات القرآنية إلى غير اللغة العربية فى الشرع ، وكل ما يمكن أن يستنبط من شرط لذلك هو أن يكون المترجم على ما كان عليه ترجمان هرقل من بصر بالعربية من ناحية ، وباللغة المترجم إليها من الناحية الأخرى . وما نظن أحداً يفرض ترجمان هرقل أبصر بالعربية وبالآيات القرآنية من كل من جمع بين لغة القرآن وأدب الإنجليزية مثلا فى هذا الزمان .

ومن العجيب أن الآيات الثلاث ، ما كان مقتبسا وما كان بالنص ، فى كتابه صلى الله

أدب ونقد :
" شعراء عرفتهم "
١ - عبد الحميد الديب

للدكتور عبد الرحمن عثمان

عود على بدء :

عبد الحميد الديب شاعر جرحته الألسنة ، وشاعت عنه قالة السوء ، فأعداؤه يرمونه بكل نقيصة وهو قابع لا يملك الدفاع عن نفسه ، وأصدقاؤه يتندرون عليه غائباً عنهم أو جالساً إليهم ، بينما لا يستطيع لهم دفعاً أو عنهم تحولا ، وكل ما كان يستطيعه فى تلك المحنة أن ينشدهم قوله :

وما تألمت من خطب ضحكت له
كما تألمت من خطبى بعشاقى
أنا على القرب منهم كل متعتهم
وإن نأيت حبونى فيض أشواق
فما لهم قد أشاعوا كل مخجلة
عنى وأعلنوا بؤسى بأبواق
كصاحب الطير لا ينفك يسجنه
بجنين من قفص مضن وأطواق

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

عليه وسلم تمثل آيات القرآن على درجات صعوبة ترجمتها ، فالبسملة صعبة الترجمة ، وآية آل عمران ترجمتها سهلة ، والمقتبس من آية سورة طـه بين بين ، فنى ورود كل منها فى الكتاب الذى قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترجم لهرقل ، إذن شرعى فى ترجمة نظيره فى صعوبة الترجمة أو سهولتها من آيات القرآن .

ثم إن فى اختياره صلى الله عليه وسلم أن يخاطب هرقل عظيم الروم بنص الآيات بدلا من معناها ـ ارشادا لأمته صلوات الله وسلامه عليه أن تفعل مثل ذلك عند الدعوة إلى الإسلام ، والمقارنة بين ترجمة الآيات الثلاث وترجمة تفسيرها فى التفسير المنتخب ، ووقع كل فى نفس القارىء الملم بلغة الترجمة ، وتصور وقعها فى نفس غير العربى المراد دعوته إلى الإسلام عن طريقها ، كل ذلك سيدل بوضوح على أى الأمرين خير وأجدى فى الدعوة إلى الإسلام : التأسى به صلى الله عليه وسلم حين ضمن كتابه الشريف آيات كان لابد أن تترجم لهرقل ، أم دعوة غير العرب إلى الإسلام عن طريق ترجمة تفسير للقرآن الكريم ؟

محمد أحمد الغمراوى

وربما يعتـذر الشاعر عن الخليين الذين يعبثون به بأن نشوتهم بالحياة الوادعة هى التى زينت لهم أن يعربدوا على مثله فيقول فى صدر القصيدة :

ومن حبته الطلا أخلاف نشوتها
عدا على الكأس طوراً أو على الساقى

والناس من خلطـاء الديب ـ أعـداء وأصدقاء ـ حين يجتمع بعضهم إلى بعض لا يشغلهم عن الحديث عنـه شاغل ، فكل واحد من هؤلاء وأولئك إما طاعن يشتفى ، وإما متظرف يتندر .. !! ؛ ومن أمثال تلك المجالس الوالغة فى أعراض الناس يلتقط بعض الكتاب أخبارهم عن الشاعر الممتحن فيسيئون إليه أكثر مما يحسنون ، ولم يحاول عاقل منهم أن يعرض على عقله ما يترامى إليه من عبثه ومجونه ، حتى كأن أبا نواس ووالبة وحماد عجرد وبشاراً على ما عرف عنهم من فحش وانحراف يمشون فى ركب عبد الحميد الديب أو يرشفون رشفات من كأسه الروية !

وحسب الذين يلتقطون أخباره من هنا وهناك أنها روايات مستفيضة وأنباء متواترة حتى لقد استقر فى أذهانهم ما تعتقده العامة والسذج من أن ألسنة الخلق لا تلهج إلا بما تسطره أقلام الحق !! .

وهكذا يتسامع الناس عن الديب فنوناً من العبث وضروباً من المتع هى أبعد ما تكون عن شاعر عرفنا له الحرمان والشقاء فى حياته جميعاً .

وإذا كنت قد أصدرت كتاباً عن حياة الشاعر البائس ، فلا بأس من أكتب منذ اليوم بحوثاً عن فنه الفريد ، أعتمد فيها على الاتجاهات النقدية الحديثة ، لاستخلاص منها خصائص فنه الذى يغرم به صفوة الذواقين ممن يعرفون طبيعة الشعر العربى ويدركون أسرار جماله وفتنته ، بعيداً عن تعقيدات الفلسفة ومضايق المنطق .

وأعتقد أن مجلة الأزهر هى اللسان الذى ينبغى أن يذيع فى العالم العربى محاسن فن عرفناها لشاعر شدا على أغصان الأزهر ، ورجع ألحانه المبكرة فى أبهائه وأروقته وهو فى صدر شبابه وغرارة صباه ، وخليق بالأزهر أن يعرف من دراسة فتاه وحياته التى تقلب فيها : كيف تصنع الحياة بالأحياء الذين يجهلون طبيعتها ، وكيف تتغير فيهم الخلال تحت وطأة أحداثها الثقيلة ، وكيف تفتق المحن براعم الفن فى النفوس أحيانا ؟ وخليق به أن يعرف كذلك : كيف يستنبت الخير من الشر ، وكيف يفضى هزال الإرادة بالمرء الضعيف إلى المزالق الوعرة ؟ ـ ، فكل ذلك من صميم رسالة الأزهر ، ثم هو بعد ذلك قطاف لثمار يانعـة أنضجتها موهبة فتاه الشريد .

ومن ثم فالصلة وثيقة بين الديب والأزهر ـ معهداً ومجلة وحياً ـ ففيه درج وتثقف ، وحول أرباضه القديمة ابتسم وبكى ، وفى أزقته الضيقة كان متقلبة ليلا ونهاراً. ولا يرعى هذه الحقوق إلا مثل هذا المعهد العتيق .

فن الديب :

لست أرتاب فى أن فن الشاعر له طابع الفنون الأصيلة ؛ فالصدق فى تصوير المشاعر والأحاسيس من أهم ما يمتاز به شعره ، ونحن حين نقرأ شعره نجده ماثلا فى قصائده بشقائه وتمرده ، وفشله وأحقاده ؛ فقد اتخذ نماذجه الفنية من ذات نفسه ، واستوحى موضوعاته من صلاته بالمجتمع وعلاقاته بالناس ؛ فتأكد بهذا الاستيحاء صدق فنى نجده واضحاً فى كل بيت نقرؤه له ، وبهذا الصدق الفنى ظفر بإقبال النفوس على شعره ، واجتذب إليه قلوب الذين يدركون حقيقة الفنون الأصيلة وما يكمن فيها من خلابة وجمال .

ولم يقدم لنا الديب أنماطاً شعرية عارية عن الصدق إلا فى القليل النادر مما كانت تدفعه إليه الحاجة أو يمليه عليه ظرف قاهر لا يستطيع له دفعا ، ولم يذهب به الخيال الجموح ليطمس معالم شعوره الذى يملك عليه نفسه ؛ بل التزم جانب الصدق ، وآثر تصوير الواقع الذى يعيش فيه ويحس به ، وما نكاد نراه يذهل عن نفسه حتى فى أحاديثه عن مواقف سعادته وأفراحه ، فهو مثلا يترضى زوجته التى أحبها بقوله :

رأيتك لم يخلق سواك فريدة
تفردت فى حسن وفيض قبول

فأقبلت لصاً للجمال أصيبه
وبعض المنى يرجى بغير عقول

فأصبحت قرباناً لحبى ووفاقى
ضحية عهد بل ضحية جيل

* * *

وشعر عبد الحميد الديب صورة حقيقية لعبد الحميد الديب نفسه ، لأن كل فقرة من فقراته تشير إليه وتدل عليه . كأنما هى قطعة من إحساسه وشعوره ، وفى كل قصيدة نجد ظلالا ترف عليها من ذات الشاعر وطريقة عيشه فى الحياة ، فهو غوى لا يترك مذهباً فى الغواية إلا سلكه ، لا يردعه عن ذلك فقر وضيق عيش ، ولا يزجره وازع عن أن يقول :

هات المدام ولا تعرض لمتربتى
مهما غلا العيش لم تغل القوارير !

ثم هو بعد ذلك تائب منيب إلى ربه ، معترف بغيه وضلاله ، يلتمس الغفران بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

كل شىء أشهد الله عليا
فرت الدنيا جميعا من يديا

ففى كل حالة من حالاته تجده ماثلا فى شعره بحيث تراه من خلال قصائده على الهيئة التى صورتها قصائده ، ومحال أن تجد تباينا بين ذاته وفنه إلا بمقدار ما يكون بين الأشياء وظلالها أو بين الأصل والصورة .

ولعل القلق الذى كانت عليه حياة الشاعر هو الذى أمدنا بألوان فنية مختلفة فى مجال يبدو - على ضيقه - فسيح الأطراف كثير الفجاج بما نعرف من أغراض شعر الديب ، فقد أجاد فى البؤس والشكوى وذم الناس والزمان ، وهذا المذهب المحدود من المذاهب الشعرية الكثيرة قد يسلكه شعراء الشكوى فيقولون فيه ما يقال فى مثله ، فأما صاحبنا فقد عرضه علينا متسع الآفاق متشعب المسالك زخاراً بالصور التى لم تقع العين على أجمل منها منظراً ، ولا أنشط منها حياة وحركة ، وليس لذلك من تفسير إلا ما نراه من نشاطه الدائب فى الانتقال من فكرة إلى أخرى ، ووثوبه الخفيف من خاطرة أنيسة إلى أختها النافرة الشرود .

وهكذا وجد الديب فى هذا الغرض الشعرى الضيق نبعاً متجدد الماء مطمئن المسيل فاغترف من سلسبيله على طريقته ، ولم يملأ منها إلا كؤوساً صنعتها له حياته ليبل بها ظمأ شديداً يجده فى جوانحه ، وبهذا الأسلوب استطاع شاعرنا أن يلائم ملاءمة راقصة بين شعوره بالحياة وصدق تعبيره عنها ، وذلك هو الفن الذى يحمل معه سر الحياة حين تتصل بالنفس وتلتحم بالشعور .

والفنون الأصيلة فى حقيقتها نتاج من القلق الذى ينتظم وجود الفنان مع الصدق فى التعبير عنه ؛ والتآخى بين فورة النفس وبين الاستجابة الشعورية لها هو الفن الذى يحمل عناصر قوته وبقائه ، ولا غناء لأحدهما عن الآخر حين يراد الوصول بالفن إلى غايته العليا ، فعنصر التأثير لا يتم إلا بالأمرين جميعا . لأن الانفعال الشديد بالفكرة ينتهى بالفنان إلى قلق أقوى من طاقته ، فإذا تلمس طريقه إلى الظهور بقوته الذاتية ولم يجد فى سبيله سدوداً مصطنعة تضعها المشاعر الكاذبة اتجه إلى مسالك النفس المستوية ليخرج منها فى بساطة جميلة وصدق جليل .

ولا نعنى بالقلق ذلك النوع الذى ينجم عن نضوب فى مصادر الرزق أو احتباسها مما يكلف صاحبه جهدا مضنيا ليحصل به على ما يقيم أوده ويمسك حياته ، فهذا النوع - وإن ولد شعوراً مريراً من الخشية على مستقبل لا سند له من الحاضر - فإنه على كل حال يتضاءل إلى جانب ما تزخر به النفس الإنسانية من قلق عاصف يتصارع فى جوانبها ويصطخب فى كيان كبار الفنانين على نحو ما نراه فى حياة النابهين من شعرائنا أمثال : دعبل الخزاعى والمتنبى .

فالخزاعى كانت تتوالى عليه الصلات من أغنياء الطالبين فى عصر الرشيد والمأمون والمعتصم ؛ فلو كان الغنى من همه لظفر بحياة فيها ثراء وأمن ، ولكنه كان حركة لا تهدأ فى تجريح العباسيين والانتصار لآل الرسول صلى الله عليه وسلم من طائفة الشيعة ؛ فما عرفنا من تاريخ حياته أنه أقام فى مكان إلا ليتعلق به خوفاً من بطش العباسيين أو الظفر به ، فما هى إلا أيام قلائل حتى يتحول عنه فراراً بعقيدته وإبقاء على نفسه .

فأما أبو الطيب ؛ فقد أقلقه حب المال وجمعه ، وأجهده نزوعه إلى الرياسة والمجد ، فلم تهدأ نفسه إلا لتثور ، وقضى حياته كلها فى سؤال من يستحق ومن لا يستحق ، حتى لقى مصرعه وهو فى قلق مقيم مقعد ، ولكن قلقه هذا بقى حيا فى كل نفس ، وسيبقى حتى يقبض الله النفوس جميعا إليه ؟

عبد الرحمن عثمان

بنى الإسلام : إقداما

بنى الإسلام إقداما ... كفى دعة وإحجاما

هلموا نرفع الهاما ... أنقضى الدهر نواما ؟

لكم من دينكم طرق ... تبث النور أعلاما

سلوا القوم الألى ذهبوا ... بأية قوة غلبوا ؟

أقاموا الحق فانتدبوا ... لأهل الأرض حكاما

« أحمد محرم »

استقلال الشريعة الإسلامية عن القانون الروماني ومنطق اليونان

للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضي

لا يزال المستشرقون يرددون بين الحين والحين حملة فكرية ضد الشريعة الإسلامية ، قوامها : أن الشريعة الإسلامية قد تأثرت تأثرا ملحوظا بالقانون الروماني في العصور الوسطى ؛ ففي المقال الذي كتبه جولد تسيهر في دائرة المعارف الإسلامية عن الفقه ، يقول : « ومن السهل أن نفهم أن ما أفاده المشتغلون بالتشريع في الشام والعراق من القانون الروماني ومن القوانين الخاصة ببعض الولايات كان له أثر كبير في تكامل الفقه الإسلامي » .

وفي مقال نشره فرانز فردريك شميدت في ستراسبورج سنة ١٩١٠ في موضوع المقارنة بين القوانين ، في فصل من فصول القانون الخاص ، حاول أن يثبت قبول الفقهاء المسلمين لكثير من أحكام القانون الروماني .

ويقول دي بوير المستشرق الهولندي [١]: ولكن بعد أن فتح المسلمون بلادا ذات مدنيات قديمة نشأت حاجات لم يكن للإسلام بها عهد ، وحلت محل شئون الحياة العربية البسيطة عادات وأنظمة لم يرشد الشرع إرشادا دقيقاً إلى وجه الحق فيها ، ولم يرد في السنة بالنص ولا بالتأويل ما يبين الطريق إلى معالجتها ، ثم أخذ عدد الوقائع الجزئية يزداد كل يوم ، وهي وقائع لم ترد فيها نصوص ولم يكن للمسلمين بد من الحكم فيها ، إما بما يتفق مع العرف أو بما يهديهم إليه إدراكهم لمعنى الخير ، ولابد أن يكون القانون الروماني قد ظل زمانا طويلا يؤثر تأثيرا كبيرا في هذا الاتجاه ، في الشام والعراق وهما من ولايات الإمبراطورية الرومانية القديمة » ، ويقول الأستاذ شاخت [١] :

« إن الفقه الإسلامي لم يوجد بالحالة التي نعرفه بها طيلة القرن الأول الهجري ، والمتخصصون في القانون الديني الإسلامي بدءوا يهتمون بالمسائل ذات الصبغة الدينية منذ أوائل ذلك القرن ، ولم يتعرض أحد للشكلات القانونية من الوجهة الفنية بالمعنى

---

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ص ٤٢ .

(١) محاضرة ألقاها في الأكاديمية الإيطالية للعلوم في يونية سنه ١٩٥٦ عنوانها Droit bysantin et droit musulman ص ٤ - ٦ .

الذى نفهمه بها الآن إلا منذ أوائل القرن الثانى الهجرى . وأول مركز لهذا النشاط العلمى لم يكن فى المدينة بل كان فى العراق ، والآراء المنسوبة إلى المشتغلين بهذا النشاط العلمى فى القرن الأول الهجرى كانت غير محددة ومشكوكا فى صحة نسبتها إليهم ، وينتج من ذلك أن القرن الأول يمثل من الوجهة القانونية فراغا كبيراً بحيث استطاعت الثقافة الأجنبيــة والثقافة البيزنطية ـ فى موضوعنا هذا ـ أن تتسرب إلى المسلمين ، وأهم من ذلك أن الفقه الإسلامى بدأ يتكون فى فترة كانت أبواب المدنية الإسلامية مفتوحـــة على مصاريعها أمام حاملى الثقافات الأجنبية الذين اعتنقوا الإسلام » .

ويقول كارادى فو (١) عنـد كلامه عن الفقه ، بعد أن أبان الفارق بين القرآن الذى هو فى نظره نص ساذج مبهم فى صورة من صور البداوة الأولى وشبه مسودة جافة بالية قائمة فى صحراء ، وبين الفقه فى الكتب الإسلامية وهو فى نظره تحليل علمى دقيق من آثار التفكير المثقف ، وممحص مصقول متسق مع الرقى المدنى ، يقول : « لما كانت دمشق دار الخلافة كان الفقه عرضة للتـأثر بالقوانين البيزنطية » ، (نسبة إلى بيزنطة وكانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى أن استولى عليها الأتراك وسميت اسطنبول) .

هذه الدعوى لا يمكن أن يقبلها إلا شخص مغرض ، ويقبلها من غير تفنيد . كما أنها لا يمكن قبولها فى الأوساط الحيادية إلا من سـذج جهلاء ، إذ أن هؤلاء المستشرقين لم يستطيعوا أن يقدموا وقائع معينة أخذتها الشريعـة من القانون الرومانى حتى توضع موضع البحث ، أما القول بأن مجرد التجاور والاختلاط لا بد أن يؤدى إلى أخذ تشريع من تشريع فهو يحتاج إلى دليل . ولو صحت هذه الدعوى لأمكن القول بأن القانون الرومانى أخذ عن الشريعة الإسلامية حتما ، كما أن المجاورة لا بد أن تكون قـد أثرت فى نزعة الفقهاء الذين عاشـوا فى بلاد كانت تدين بالولاية للرومان كالشـام ، ولـكن الملاحظـة أن الأوزاعى فقيه الشام لم يتأثر بالقانون الرومانى ، بل كان من فقهاء السنة المتعصبين .

وإن وجود تشابه شريعتين فى بعض الموضوعات لا يعنى حتما أن إحداهما نقلت عن الأخرى ، وخاصة إذا كان التشابه فى بعض

---

(١) Les Penseurs de l'Islam الجزء الثالث من كتابه (خمسة مجلدات نشر فى باريس بين سنتى ١٩٢١ ، ١٩٦١) .

المبادىء العامة لا فى الجزئيات . . الأمر الذى اعترف به شاخت نفسه [١] .

نعم ، وقد يكون لنظرية القانون الطبيعى التى وجدت عند الأغريق مرة وعند الرومان مرة أخرى ، - قد يكون لها - تأثير على آراء أبى الهذيل العلاف المعتزلى المتوفى سنة ٢٣٥ ﻫ فى التحسين والتقبيح بالعقل [٢] ، قد تكون الصلة بين نظرية القانون الطبيعى ونظرية التحسين والتقبيح عند المعتزلة قائمة ، ولكن النظرية الإسلامية دبجت فى محافل الفرق وعلم الكلام دون المذاهب الفقهية ، فهى نظرية عقيدية قبل أن تمس المبادىء التشريعية فضلا عن أن نظرية القانون الرومانى يونانية وليست رومانيـة وما قيل عن أثر القانون الرومانى على الفقه الإسلامى قيل أيضاً عن تأثر هذا الفقه بمنطق اليونان .

قال دى بوير - المستشرق الهولندى - تحت عنوان : القياس : « كان تعلم المنطق (يقصد منطق اليونان) مؤذناً بدخول عنصر جـديد فى الجدل القائم بين الفريقين (أهل السنة وأهل الرأى) هو القياس ، ولا شك أن الفقهاء استعملوا القياس على قلة منذ العهد الأول ، أما وقد اتخـــذ أصلا من أصول الأحكام فلا بد أن يكون قد سبقه تأثير التفكير العلمى » [١] .

وقال جولدتسهر : « إلا أننا نشاهد بعد هذه الظاهرة الصادرة عن التعصب (للسنة) أن واحدا من أشد المتحمسين لنصرة السنة بمعناها الضيق ، هو ابن حزم ، كان من المؤيدين لعلم المنطق تأييدا مصدره الإعجاب » .

وهو يستشهد بما جاء فى كتاب الملل لابن حزم من أن « الكتب التى جمعها أرسططاليس فى حدود الكلام (المنطق) مفيدة دالة على توحيد الله عز وجل وقدرته ، عظيمة المنفعة فى انتقاد جميع العلوم ، وعظم منفعة الكتب التى ذكرنا فى الحدود هى فى مسائل الأحكام الشرعية ، بها يتعرف كيف يتوصل إلى الاستنباط » .

---

(١) شاخت فى المقالة السابقة ص ٧ .

(٢) مؤدى هـذه النظرية أن الله يعرف بالعقل، والحسن والقبح يعرفان بالعقل كذلك . وما دام العلم قـد تم فالتكليف واجب بغير رسول مرسل ولا كتاب منزل (انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٩ — وشرح التوضيح لعبيد الله بن مسعود ج ٢ ص ١٥٧) ولكن أبا الحسن الأشعرى فرق ما بين العلم الذى يحصل فعلا بالعقل . والتكليف الذى يجب ألا يكون إلا بالرسل لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (انظر الملل والنحل ج ١ ص ٨) .

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٤٣ .

وبفقرة وردت فى طبقات الأمم لأبى القاسم صاعد بن أحمد قاضى طليطلة ، قال فيها : « فعنى ابن حزم بعلم المنطق وألف فيه كتابا سماه « التقريب لحدود المنطق » بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية » .

وبقول ابن طملوس فى كتب الغزالى : « فهذه الكتب التى ألفها أبو حامد هى فى صناعة المنطق لكن أبا حامد غير أسماء الكتب وأسماء المعانى المستعملة فيها ونكب عن ألفاظ أهل الصناعة إلى ألفاظ مألوفة عند الفقهاء » .

وقال جولدتسيهر نفسه عن الغزالى : « فتراه فى كتاب القسطاس يحاول جهده أن يستخرج أشكال القياس المختلفة التى هى وحدها موازين الحقيقة ، من القرآن نفسه ، وفى كتاب المعيار يقدم إلينا بحثا منظما كاملا فى المنطق واضعا نصب عينيه دائما استخدامه فى الفقه وتطبيقه على مسائله ، فالأمثلة التى يضربها لأشكال القياس وضروبه مأخوذة كلها من الفقه [١] .

بهذه الأقوال حاول هؤلاء أن يفهمونا أن المنطق اليونانى كان له أثر فى أصل من أصول الفقه وهو القياس ، ونحن نفصل هذا الأمر :

١ — إن اتخاذ القياس أصلا من أصول الفقه كان سابقا على العصر الذى اتصل فيه المسلمون بحضارة اليونان وترجموا كتبهم ؛ فالقياس اتخذ أصلا فقهيا منذ عهد الصحابة ، ومنطق اليونان لم يترجم إلا فى الدولة العباسية .

٢ — إن أول من نهج فى أصول الفقه نهجا علميا ونظمه تنظيما منطقيا ، هو الشافعى ، ولم يكن يعرف منطق اليونان حين وضع رسالته فى الأصول . صحيح أن الرازى ذكر قول الشافعى للرشيد لما جىء به متهما مع العلويين : « أعرف ما قالت الروم مثل : أرسطاليس ، وبقراط ، وجالينوس ، وفورفوريوس ، وأبنوقليس بلغاتها ومانطقه أطباء العرب وقننته فلاسفة الهند ونمقته علماء الفرس مثل : حاما ساب ، وسامهرد ، وبزرجمهر . . . . » (١) .

لكن هذه الرواية مكذوبة على الشافعى . جاء فى كتاب مفتاح السعادة : « إنها كذب مفترى على الشافعى ، والبلاء فيها عند محمد ابن عبد الله البلوى هذا ، فإنه كذاب وضاع . . . . فإن الشافعى لم يعرف لغة

---

[١] العقيدة والشريعة فى الإسلام ترجمة الدكتور على حسن عبد القادر وآخرين ص ١٥١ - ١٥٥ .

(١) مناقب الشافعى للفخر الرازى ص٢٦

هؤلاء اليونان ألبتة حتى يقول : إنى أعرف ما قالوه بلغاتهم (١) » .

والظاهر أن المنطق قد أخذه الشافعى من معالجته لفقه المذاهب المقارن وتحقيقه للفروق الدقيقة فى مسائله وكثرة مناظراته فيه.

٣ — إن القياس الشرعى يختلف فى شكله عن القياس المنطقى . فالفقهاء لا يعرفون فى قياسهم إلا البحث عن الأوصاف المؤثرة فى حكم الأصل ، وهذا يعرف عندهم بتخريج المناط ، فإذا وجدوا جملة من أوصاف اختاروا أنسبها وهذا يعرف عندهم بتنقيح المناط ، ثم يحققونها فى الفرع ليعرفوا وجودها فيه وهذا يعرف عندهم بتحقيق المناط ، فإذا انتهوا من ذلك طبقوا حكم الأصل على الفرع ، وليست هذه طريقة المناطقة الذين اتخذوا المنطق قضايا : المقدمة الأولى والمقدمة الثانية ، والنتيجة ، والعكس والنقيض وعكس النقيض ...

٤ — إن ضرب الأمثال لأنواع الأقيسة المنطقية من مسائل الفقه ، ليس معناه أن المنطق صار ذا أثر فى الفقه ، فمحمد بن موسى الخوارزمى ضرب أمثلة لمسائل الجبر من المواريث ، ولم يقل أحد إن الجبر أثر فى نظام المواريث، لأن علم المنطق كعلم الجبر من العلوم المساعدة التى لا تقوم وحدها مستقلة عن العلوم الأخرى بل لابد من تطبيقها عمليا ، وهى لا تعارض بحال من الأحوال العلوم الفقهية .

هذه بعض دعاوى المستشرقين ، وهى حرب صليبية من نوع جديد ، تشبه الحروب الصليبية القديمة التى امتشق لها مسيحيو أوربا الحسام فلم يفلحوا . لم يفلح المستشرقون فى هذه الحرب الفكرية ليقظة المسلمين عامة والجامع الأزهر خاصة ، ففى مؤتمر القانون المقارن الذى انعقد فى لاهاى فى أغسطس سنة ١٩٣٧ قدم مندوبو الأزهر بحثين : أحدهما : فى المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية فى نظر الإسلام ، والثانى : فى علاقة القانون الرومانى بالشريعة الإسلامية ، ومايزعمه المستشرقون من تأثر الفقه الإسلامى بذلك القانون . وقد أصدر المؤتمر بالنسبة للشريعة الإسلامية القرارات الآتية :

١ — اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون .

٢ — اعتبارها حية صالحة للتطور .

٣ — اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة من غيرها ؟

محمد مختار القاضى

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة ص ٥٦٥ ويقول Wigmare: إن الفقهاء المسلمين كانوا يجهلون حتى اللغة السريانية (تعليق له على مقال للأستاذ عبد الرحمن حسن نشر بمجلة Archiues d'histoire de droit oriental, t 4, 1949 P. 321.

دعائم الحضارة الإسلامية

المكتبات

للأستاذة سميرة عبد المنعم

– ٢ –

فى مقال سبق نشره ، تكلمت عن مظاهر المدنية الإسلامية واعتبرت أول دعائم هذه المدنية وجود مكتبات عامة وخاصة تجمع معاجم العلوم بكافة فروعها ، ولم يتسع هذا المقال إلا للإحاطة ببعض جهود المسلمين ، جماعات وأفراداً فى سبيل إنشاء مكتبات عامة وخاصة ؛ بل لم يستطع أن يحيط إلا ببعض المكتبات الموجودة ببغداد فى العصر العباسى ، ولقد وجدت واجبا على نحو الإسلام من ناحية والمدنية من ناحية أخرى، أن أتمم ما بدأت فأعطى للقارىء فكرة شاملة عن مقدار اهتمام المسلمين بجمع الكتب للإفادة منها فى دروسهم وفى مؤلفاتهم وفى تقويم نظرياتهم ، برغم أن الطباعة كانت غير ميسورة ، وكان النسخ باليد هو الأداة الوحيدة لنشر الكتب ، هذا بالإضافة إلى ندرة الورق فى ذلك الحين. وذلك أمر يجعل النسخ أمراً صعبا على الناسخ ، هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن جمع الكتب العربية والأعجمية كان يلقى نصباً كبيراً لصعوبة المواصلات وارتفاع السعر وتحقيق نسبة الكتاب لصاحبه ، فقد دلت التجارب على أن كتبا تؤلف وتنسب لغير أصحابها ، وهذه حقيقة اعترف بها الجاحظ فى كتاب منسوب له اسمه: « المحاسن والأضداد » ذكر فى مقدمته أنه – أى الجاحظ – ربما ألف الكتاب المتقن ونسبه لنفسه فيطعن فيه طاعنون بالباطل ، وربما ألف الكتاب الذى هو أقل منه إتقانا ونسبه إلى غيره ، فيتهالك على نسخه والاستشهاد به والتقرب به إلى أمير أو نحوه قوم كثيرون . . .

وهذه لاشك أمور تستوجب ممن يبغى اقتناء كتاب أن يتحقق من نسبته إلى صاحبه حقا .

هذه الصعاب لم تحل دون تنافس المسلمين - أمرائهم وعلمائهم وعامتهم - على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات العامة ، تلحق بالمساجد أو المدارس ، والمكتبات الخاصة تلحق ببيوتهم . بل إن المسلمين - والأمويين خاصة - كانوا بعيدى النظر عندما تركوا المدارس الكبرى فى الشرق كما كانت عليه قبل الإسلام ، وحافظوا على ما فيها من كتب .

لقد ترك هؤلاء المدارس الكبرى : المسيحية والصابئية والفارسية كما كانت فى الإسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران ونصيبين وجونديسابور ، لم يتعرضوا لها بسوء(١) وكانت هذه المدارس تضم مكتبات خاصة بأمهات الكتب فى الفلسفة والعلوم مدونة باللغات السريانية واليونانية وغيرهما ؛ بل إن المسلمين أنفسهم قاموا بترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية تمهيدا لدراستها ، ولم يحبسوها فى المخازن ويحرموا تداولها كما فعلت الإمبراطورية الرومانية المسيحية بكتب الفلسفة الإغريقية السابقة على قيام الدولة المسيحية .

لقد مهد المسلمون لنسخ الكتب ونشرها بالاعتناء بصناعة الورق ، وقد أخذوا هذه الصناعة عن مدينة سمرقند لما فتحوها عام ٧١٢ الميلادى ، واستعملوا عجينة الكتان وجعلوها رقائق تغنى عن رقائق الجلد ، وافتتح أول مصنع للورق فى بغداد سنة ٧٩٤ م . وأنا أنقــل للقارىء نصا ورد فى كتاب قصة الحضارة للمؤرخ الأمريكى للحضارات وتاريخها ول ديورانت(٢) قال :

« وكانت فى معظم المساجد مكتبات ، كما كان فى معظم المدن دور عامة للكتب تضم عددا كبيرا منها ، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم ، وكان فى مدينة الموصل عام ٩٥٠ م مكتبة عامة أنشأها بعض المحسنين ، يجد فيها من يؤمونها حاجتهم من الكتب والورق . وبلغت فهارس الكتب التى اشتملت عليها مكتبة « الرى » العامة عشرة مجلدات . وكانت مكتبة البصرة تعطى رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب . وقضى ياقوت الجغرافى فى مكتبتى : مرو وخوارزم ثلاث سنين يجمع المعلومات التى تطلبها كتابه : « معجم البلدان » . ولما أن دمر المغول بغداد كان فيها ست وثلاثون مكتبة عامة ، فضلا عن عدد لا يحصى من المكتبات الخاصة . ذلك بأنه كان من العادات المألوفة عند الأغنياء أن يقتنى الواحد منهم مجموعة كبيرة من الكتب ، ودعا سلطان بخارى طبيبا مشهورا ليقيم فى بلاطه ، فأبى محتجا بأنه يحتاج إلى أربعمائة جمل لينقل عليها كتبه . ولما مات الواقدى ترك وراءه ستمائة صندوق مملوءة بالكتب ، يحتاج كل صندوق منها رجلين لينقلاه . وكان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب قدر ما فى دور الكتب الأوربية مجتمعة . ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب فى بلد آخر من بلاد العالم ـ اللهم إلا فى بلاد

(١) إن اتهام الغربيين للعرب بأنهم أحرقوا مكتبة الإسكندرية ، أمر دل البحث العلمى الدقيق على أنه محض افتراء على العرب الفاتحين لمصر .

(٢) الجزء الثانى من المجلد الرابع ص ١٧٠ وما بعدها طبعة الجامعة العربية لمؤلفه ول ديورانت

الصين فى عهد (منج هوانج) ما بلغه فى بلاد الإسلام فى القرون: الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر، فنى هذه القرون بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية.

ولقد كان لبيت الحكمة الذى أنشىء فى بغداد على عهد المأمون - على الرأى الراجح - أثر كبير فى تشجيع العلم والعلماء وإنشاء المكتبات فى أقطار الدولة الإسلامية، فقد اقتدى الخليفة الأموى فى الأندلس الحكم المستنصر المتوفى سنة ٣٦٦ هـ - ببنى العباس، أو قل: إنه أراد أن ينافس بنى العباس فى المشرق بحضارة أموية فى الأندلس، فأنشأ مكتبة بقرطبة، وكان يبعث فى طلب الكتب - لحساب هذه المكتبة - من يضربون بطون الإبل بحثا عن مواردها وجعل للمكتبة قاعات خاصة من قصر قرطبة، أقام عليها مديرا ومشرفا ووضع لها فهارس نوعية، وذكروا أن فهارس الدواوين وحدها بلغت ٤٤ فهرسا فى كل فهرس عشرون ورقة [١]

فإذا انتقلنا إلى مكتبات مصر فى عهد الفاطميين وجدنا مكتبة تنشأ فى قصر العزيز بالله الفاطمى (حوالى سنة ٣٦٥هـ) ويخصص لها قاعات سميت «خزانة الكتب»، وكانت هذه الخزانة تجمع أكثر من نسخة للمصنف الواحد، فمن كتاب العين للخليل نيف وثلاثون نسخة، وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى، اشتريت كل نسخة بمائة دينار، ومائه نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد، وقد بلغ عدد نسخ تاريخ الطبرى فى عهد لاحق فى هذه المكتبة ما يزيد على ١٢٠٠ نسخة، وكان فيها ٢٤٠٠ نسخة من القرآن، مكتوبة بخط محلى بالذهب، ويذكر المقريزى أن عدد الكتب فى هذه المكتبة قد بلغ ١٦٠٠٠٠٠و ١٦٠٠٠٠٠ كتاب منها ١٨٠٠٠ كتاب فى العلوم القديمة [١]

وبعد ثلاثين سنة أنشأ الحاكم بأمر الله خزانه أخرى للكتب سماها دار الحكمة، جمع إليها الكتب من خزائن القصور، وكانت هذه الدار تخدم العلم والعلماء حتى ظن بعض المؤرخين أنها مدرسة لا مكتبة، ذلك بأنها جمعت علماء فى كافة الفروع منهم القراء والمنجمون والنحويون والأطباء، وأجريت عليهم الأرزاق، وفتحت أبوابها لكل محب للعلم وشجعوهم على النسخ والتلخيص والقراءة بإعطائهم ما يحتاجون إليه من الأقلام والورق والمحابر، ولم يكن عدد الكتب فى هذه الدار يقل عن مائه ألف كتاب.

فإذا انتقلنا إلى الشام فى عهد الدولة الفاطمية وجدناها تشتهر بمكتبة فى طرابلس الشام بقيت هناك حتى استولى عليها الإفرنج سنة ٥٠٢ هـ وانتهبوها [٢]

[١] ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٦

(١) المقريزى ج ١ ص ٤٠٨، ٤٠٩.
(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٨

ويذكر Gibbon (١) (جبون) أن عدد كتبها التي أحرقها الإفرنج ثلاثة ملايين مجلد.

أما في خراسان فقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أن في «مرو الشاهجان» مكتبة بها عشر خزائن، في خزانة واحدة منها اثنا عشر ألف مجلد.

وفيما وراء النهر كان لنوح بن منصور سلطان بخارى مكتبة أخذ عنها ابن سينا علمه، وقال عنها: إنه رأى فيها من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس ولم يكن هو قد رآه من قبل وأنشأ هولاكو التترى لنصير الدين الطوسى في مراغة مكتبة ضمت ٤٠٠,٠٠٠ مجلد مما نهبه التتر من بغداد والشام والجزيرة.

هذه صورة صغرى من مكتبات العرب وأعداد ما فيها من الكتب في عصر عزت فيه الطباعة والورق والتنقل والاتصال بين العلماء، وإنها لتعطى للمسلم ثقة في دينه الذي شجع العلم والعلماء، قدمتها لأستنهض همم المسلمين للبحث والدرس كما نهض آباؤهم من قبل حاملين مشاعل المدنية الحقة في أحلك عصور التاريخ ـ تاريخ العصور الوسطى ـ والله المستعان.

(تمت)

سميرة عبد المنعم

(١) الامبراطورية الرومانية Roman Empire ج ٢ ص ٥٠٥.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه، ذكر الحافظ الهيثمى في «مجمع الزوائد» عن قرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس جلس إليه أصحابه حلقا حلقا.

وعن أبي معاوية الكندى قال: قدمت على عمـــر بالشام فسألني عن الناس فقال: لعل الرجل يدخل المسجد كالبعير النافر، فإن رأى مجلس قومه ورأى من يعرفهم جلس إليهم!.

فقلت: لا، ولكنها مجالس شتى يجلسون فيتعلمون الخير ويذكرونه. قال: لن تزالوا بخير ما دمتم كذلك.

ما يقال عن الإسلام

الأزهــــــــــر

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

AL - AZHAR, BY BAYARD DODGE

منارة للعلم ، ومسجد جامع للعبادة ، وحصن للحرية ، ومنبع للثورة والتطور ، ذلك هو الجامع الأزهر ، أو الأزهر ، صفة أصبحت علما ، إن أطلقت فلا تدل إلا عليه .

والأسماء حظوظ تسعد وتشقى كما تجرى الحظوظ على البشر ، فقد أنشىء الأزهر منذ أكثر من ألف عام ، ولا يزال حتى اليوم موئلا للعلم والعلماء ، ومنارة يهتدى بضوئها أبصار المسلمين من أقصى الشرق والغرب على السواء .

ولقد قيل إن مساجد الدنيا أربعة : المسجد الحرام فى مكة ، والمسجد الأقصى فى بيت المقدس ، والمسجد النبوى فى المدينة ، والمسجد العلوى فى النجف . ولو أضيف إليها خامس فلا جرم أن يكون هو الأزهر ، الذى صمد على مر الدهر ، ورفع لواء العقيدة والفكر ، منذ أنشىء سنة ٣٥٩ هجرية حتى الآن ، أى ما يزيد على ألف عام .

كان من حق الأزهر على رجاله المتخرجين فيه ، وعلى مصر التى أنشأته فكان صرحا شامخا من صروح الثقافة فيها ، أن يقيموا فى ذكراه الألفية مهرجانا كبيراً يعرف الناس بتاريخه ومنزلته ، ويذكرهم بأمجاده وأفضاله وقد فكر أولو الأمر ، وعقدوا العزم على إقامة هذا الاحتفال ، ولكن حالت ظروف دون تحقيق النية وإخراجها إلى حيز التنفيذ وفى هذه الأثناء كان الدكتور (بايارد دودج) موجوداً بالقاهرة أستاذاً زائراً بالجامعة الأمريكية من سنة ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩ . ولم يكد يسمع الخبر ، ويعرف بأمر هذه الذكرى الألفية حتى أدرك ما لها من جلال الشأن ، فأسهم بإعداد كتاب باللغة الإنجليزية يصور الأزهر فى حياته التاريخية والسياسية والثقافية والدينية ، منذ بنائه حتى صدور الكتاب سنة ١٩٦١ ، بل لقد أشار إلى التجديد الحديث الذى لحق بالأزهر ، والذى يعد ثورة حقيقية وهو إنشاء كليات أزهرية لتدريس الطب والتجارة وغير ذلك من العلوم ، ودون هذه الإشارة على غلاف الكتاب الخارجى معتذرا بأن الكتاب كان قد تم طبعه .

يعد الكتاب مساهمة جدية فى هذه الذكرى وهو مدعم بالوثائق ومذيل بالمراجع ، مع سهولة العرض، وسلاسة الأسلوب، حتى لكأنك تقرأ قصة شائقة تستهويك وتغذيك وتدفعك إلى متابعة القراءة من البداية إلى النهاية ، وتزودك بمعلومات كثيرة لاشك أن كثيرين كانوا يجهلونها ، وقد اصطنع المؤلف لنفسه منهجا خاصا ، وهو أن يضع الظواهر الثقافية والدينية والسياسية المتصلة بهذه المؤسسة فى إطار من التاريخ الذى خضعت له مصر طوال هذه القرون العشرة ، وإنه لمنهج سليم متكامل وموضوعى ، أدعى إلى تفسير الظواهر تفسيراً معقولا ومقبولا .

تبدأ قصة الأزهر منذ استتباب الأمر للدولة الفاطمية فى المغرب ، وكانت دولة شيعية إسماعيلية ، بثت دعوتها سرا إلى أن نجحت فأسفرت عن وجهها ، منافسة لأغلبية الدول الإسلامية التى كانت تتبع مذهب أهل السنة . ولما تولى المعز لدين الله الفاطمى جاءته أنباء بأن حالة مصر فى تدهور شديد ، فضلا عن انتشار القحط والمجاعة ، فأرسل قائده جوهر الصقلى فى جيش كبير لفتح مصر ، فاستقبل من أهل البلاد بالترحاب سنة ٣٥٨ هجرية . ثم بادر جوهر بإنشاء المدينة الجديدة التى سميت القاهرة ، وإنشاء المسجد الجامع الذى سمى فيما بعد الجامع الأزهر .

وارتباط الأزهر بالقاهرة وثيق ، واقتران هذين الاسمين كان طالع سعد لكل من المدينة التى اشتهرت بمسجدها ، والمسجد الذى أضاء المدينة .

القاهرة هى المتغلبة أو الفاتحة المنتصرة . هذه أول رواية أوردها المؤلف على لسان الشيعة الإسماعيلية فى سبب تسمية القاهرة كذلك ، إذ قصد منها أن تكون قاعدة غزو العباسيين وتوحيد العالم الإسلامى تحت حكم الفاطميين . ورواية أخرى أكثر شعبية أن جوهراً حين شرع فى البناء دعا المنجمين وأمرهم أن يشدوا حبلا عندما يكون الطالع فى صعود ، فوقع غراب على الحبل ، ودقت الأجراس وبدىء بالبناء . وتذهب رواية ثالثة إلى أن أساسات المدينة وضعت عندما كان الكوكب « القاهر » فى صعود ، فطلب المنجمون تسمية المدينة : القاهرة . ويبدو من تقديم المؤلف للرواية الأولى أنه يرجحها ، ولو أن المشهور الرواية الأخيرة .

أما « الأزهر » فالخلاف على هذه التسمية شديد ، لأن المسجد بعد بنائه سمى « مسجد القاهرة » كما كان يقال مثلا مسجد قرطبة نسبة إلى هذه المدينة . والجامع صفة للمسجد ، يريدون من الجامع الذى يجمع المصلين جميعا ، وبخاصة فى

أثناء الجمع والأعياد حيث لا تصح الصلاة إلا فى هذا المسجد الجامع للاستماع إلى خطبة الإمام، والذى يخبر الناس فيها عن كل ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم وشئون الدولة. أما لماذا ومتى سمى مسجد القاهرة بالجامع الأزهر، ثم بالأزهر فقط ؟ فليس معروفا يقينا، ولو أن ذلك تم غالبا فى غضون قرن من الزمان على الأقل. والأزهر أفعل تفضيل من الازدهار، بمعنى أنه أكثر نوراً وضياء.

وأكبر الظن فيما يقول المؤلف أن خلفاء المعز شيدوا كثيراً من المساجد فى القاهرة، حتى أمسى «مسجد القاهرة» بعيداً عن دلالته الأولى، ولما كان هذا المسجد يتلألأ نوراً فى الليل عندما يضاء فى المواسم والأعياد، فكان أولى الأسماء الدالة عليه هو: الأزهر.

وأيضا فإن الفاطميين كانوا ينتسبون إلى فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه السلام، ولهذا كانوا يستبشرون بالزهراء خيرا، فسموا قصورهم الزاهرة، وحدائقهم الزهراء ومسجدهم الأزهر.

استغرق بناء الأزهر ثلاث سنوات بدأ ٣٥٨ هجرية وتم ٣٦١ هجرية، وأعلن المعز فى العام التالى بنفسه أن الأزهر هو «المسجد الجامع» ولما تولى الخلافة بعد المعز لدين الله ابنه العزيز، كان من عادته أن يلقى بنفسه درساً فى الأزهر فى إحدى الجمع من شهر رمضان.

كانت مصر تدين بمذهب أهل السنة، فرأى الفاطميون عدم تغييره بالقوة والعسف، بل بالدعوة إلى المذهب الشيعى بتعليم مبادئه. من أجل ذلك اتخذوا من الأزهر مكانا لتدريس الفقه الإسماعيلى، واستدعى المعز أبا حنيفة النعمان وعينه قاضى القضاة، وهو صاحب كتاب فى الفقه يستند إلى الأصول الإسماعيلية والرواية عن على وأبنائه، يسمى «دعائم الإسلام»، طبع فى مصر من زمن قريب بعد العثور على نسخة خطية منه.

وتوفى النعمان قبل وفاة المعز بقليل، فتولى بعده ابنه على بن النعمان. وإلى هذا الابن، وإلى ابن كلس وزير العزيز، ابتدأ تدريس فقه الشيعة بالأزهر، كما روى المقريزى فى خططه قائلا: إن القاضى على بن النعمان اجتمع فى سنة ٣٦٥ بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر، بجماعة كان يملى عليهم (الاختصار) فى الفقه، وهو اختصار كتاب أبيه «دعائم الإسلام». وكان عدد الحاضرين كبيرا كما كانت أسماؤهم مسجلة. وابن كلس يهودى أصله من بغداد، انتقل إلى دمشق ثم إلى القاهرة، وأسلم وتبحر فى العلوم الإسلامية، وأصبح وزيرا للعزيز، ألف فى الفقه الرسالة الوزيرية فى فقه الشيعة. وكان يعقد مجالس أيام الثلاثاء والجمعة لطلبة العلم. واختص بعضهم بالتعلم وانقطعوا له، وكانوا يعيشون من رواتب

يجريها العزيز عليهم ، ويسكنون فى بيوت مجاورة للأزهر .

لم يكن التدريس فى المساجد بدعة ، لأن خطبة الجمعة نفسها منذ عهد الرسول عبارة عن درس دينى ، واشتهر مسجد البصرة بحلقات الدرس التى كان يعقدها الحسن البصرى والتى استقل واصل بن عطاء رأس المعتزلة عنها . غير أن الدروس التى أنشئت فى الأزهر تختلف عن تلك الحلقات بالتنظيم فى المناهج ، والاعتماد على الكتب ، وتقييد طلبة يتعلمون على يد أساتذة معينين من قبل الدولة وهى التى تنفق على الشيوخ والتلاميذ على السواء . ولما كان هذا التنظيم الخاص بتعيين طلبة يدرسون الفقه بالأزهر ويعيشون فيه قد تم سنة ٣٧٨ هجرية فيمكن القول إن هذا التاريخ يعد بدء اعتبار الأزهر جامعة للدراسات العليا ، ويوافق مرور ألف عام هجرى على ذلك سنة ١٣٧٨ ، أى ١٩٥٩ ميلادية . ومنذ ذلك التاريخ أصبح الأزهر جامعا وجامعة ، ولا يزال كذلك حتى اليوم .

كان الغرض من هذا التنظيم أمرين : الأول : تعليم فقه الشيعة ، والثانى : تدريب طائفة من الدعاة للمذهب الإسماعيلى . وكان بالأزهر ثلاثة أنواع من الدروس ، القرآن وتفسيره للجمهور ، ثم حلقات من الطلبة يتحلقون على الأرض من حول مدرس يجلس على كرسى عال وهو يملى عليهم ويجيب على أسئلتهم ، وأخيرا محاضرات يلقيها رئيس الدعاة نفسه ، تسمى (مجالس الحكمة) تعقد يومى الثلاثاء والجمعة ، بعضها بالأزهر ، وبعضها الآخر بدار الحكمة التى كانت ملحقة بالقصر .

وكان الدعاة يتعلمون النحو والمنطق والفلسفة والفلك وأصول الفقه ، وهكذا يمكن أن تعد هذه العلوم نواة للمناهج التى أصبحت تدرس بالأزهر ، باعتبار أنه جامعة للدراسات العليا ، وكل ما حدث بعد ذلك هو تفصيل المناهج ، وتحديد الكتب التى يرجع إليها من متون وشروح .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى صلاح الدين الأيوبى وكان سنيا ، فرأى أن يقضى على المذهب الشيعى ، واتخذ لذلك عدة إجراءات على رأسها انتزاع النفوذ الذى كان الأزهر قد بلغه ، باعتبار أنه مسجد جامع تلقى فيه خطبة الجمعة ، واستبعد الأساتذة وقطع عنهم رواتبهم ، وأعدم كتب الشيعة ، وأنشئت فى عهد الملك الكامل مدارس على غرار المدرسة النظامية فى بغداد ، مثل المدرسة الكاملية والصالحية وغيرها ، ولكن لم يلبث أن عاد إلى الأزهر ـ فى أواخر عهد الأيوبيين ـ ما كان له من منزلة علمية ، إلى جانب وجود تلك المدارس ، وأصبح المنهج المقرر تدريسه هو اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب

والقراءات والتفسير والحديث والفقه وأصوله والتوحيد والمنطق والرياضيات والفرائض والمواريث .

ولقد قضت الظروف التاريخية أن يرتفع شأن الأزهر فى عهد المماليك البحرية والبرجية ، وأن يؤدى عدة وظائف هامة تخدم الدين واللغة والأخلاق والسياسة ؛ ذلك أن المماليك كانوا غرباء عن البلاد ، يشترون بالمال ، ويتكلمون لهجات من اللغة التركية ، وينقطعون إلى صناعة الحرب والقتال ، ويستمرون محافظين على خصالهم العسكرية ، وكثيراً ما كانت تقوم بينهم معارك فى شوارع القاهرة ، ينال شررها الأهالى ويصطلون بنارها ، فضلا عن اعتدائهم على المتاجر للسلب والنهب ، وفى هذه الفترة من الفوضى قام الأزهر بتحقيق ستة أمور ، هى : ـ

١ ـ إحياء اللغة العربية والمحافظة عليها مع المحافظة على القرآن الكريم المنزل باللسان العربى المبين .

٢ ـ احترام الشريعة الإسلامية لحماية الشعب من نهب المماليك .

٣ ـ تعليم المبادىء الأخلاقية والعدالة الاجتماعية بحسب ما جاء فى القرآن .

٤ ـ تعليم الشعب محبة الرسول ورحمته بإزاء قسوة المماليك .

٥ ـ اتخاذ الأزهر ملجأ للثوار ضد المماليك وملاذا للخائفين من شغب جنودهم .

٦ ـ حفظ الدين الصحيح فى وجه موجة الخرافات والخزعبلات التى انتشرت بين العامة.

ولما غزت جيوش المغول بغداد وسقطت فى أيديهم ، هب شيوخ الأزهر يعلنون الجهاد لإنقاذ العالم الإسلامى من الضياع ؛ غير أن انتشار المحن ، وتوالى الحروب دفعت الناس إلى الارتماء فى أحضان التصوف ، ولم يشذ الأزهر عن المضى مع هذا التيار ، فأصبح مكانا لحلقات الذكر ، وفتحت أبوابه ليلا لإيواء الغرباء ، واصطنع شيوخ الأزهر نزعة الزهد والتصوف .

وبعد وقوع مصر فى يد الأتراك العثمانيين ، ظل الأزهر حصنا للعربية والإسلام ، لأن السلطان سليم احترم الدين فى شخص الأزهر، الذى استمر على حاله وظهرت به بعض التنظيمات التى علقت به ، منها تعيين رئيس من المشايخ له ، أصبح يسمى «شيخ الأزهر» يعد رئيس العلماء به . والمأثور أن أول شيخ هو محمد عبدالله القرشى(١) ، وتبعه سلسلة متصلة من المشايخ المذكورة أسماؤهم فى بطون التاريخ. ومنها نظام « الرواق » الذى يشغله طلبة العلم من الأقطار المختلفة ؛ فهناك رواق الأتراك ، والشوام ، والمغاربة ، وهكذا . وكان الطالب يسكن بالرواق ومعه حاجياته وكتبه ، ويأخذ من الأوقاف المحبوسة على الأزهر ما يسمى بالجراية .

---

(١) المعروف أنه « الخرشى » مجلة الأزهر

ثم هزت الحملة الفرنسية مصر إلى الأعماق، ووقف الأزهر صامدا يقود الثورة ضد الغزاة الأجانب ، واستمر حصنا للحرية فى أثناء الاحتلال البريطانى والثورة المصرية سنة ١٩١٩ إلى أن ظفرت مصر باستقلالها الصحيح فى عهدالثورة المعاصرة .

واستفاد محمدعلى من طلبة الأزهر ، فأرسل منهم بعوثا إلى أوروبا ، وعادوا يجمعون بين الدين وبين العلم الحديث ، وكان منهم مهندسون وأطباء ، ولكن الاحتلال البريطانى أوقف عجلة التقدم ، دون أن يتمكن من إطفاء شعلة المعرفة ، والتطلع إلى مسايرة عجلة الحضارة الحديثة .

وانبعثت من داخل الأزهر أصوات تنادى بالإصلاح ، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان على رأس حركة الإصلاح الشيخ محمد عبده ، واستمرت هذه الحركات الإصلاحية فى الخطط ، والمناهج، والكتب التى تدرس، وطريقة التعليم ، حتى أصبح الأزهر جامعة بحق ، به كليات مختلفة دينية ولغوية وفقهية، إلى جانب كليات علمية يدرس فيها الطب وغير ذلك من فروع العلم ، وليس ما فعله الأزهر اليوم بدعة ، فقد رأينا من هــذا العرض التاريخى أنه فى أول أمره كان يدرس فيه الرياضيات والفلك والفلسفة ، وهى ما تسمى علوم المعقول ، فى مقابل علوم المنقول التى هى علوم اللغة والفقه والدين .

وبذلك يصح القول إن الأزهر ظاهرة ، نسجت مع الزمن شيئاً فشيئاً عشرة قرون ، قام فيها حارسا أمينا على الدين الاسلامى وعلى اللغة العربية ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

— ٧ —

قدمنا ، فى عدد سابق ، الكتاب القيم « الدين الخالص » للإمام العلامة صديق حسن خان ، والآن نقدم إلى القراء كتابا نادراً لنفس المؤلف الهندى وهو كتاب « يقظة أولى الاعتبار بما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار » ، صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى الهند منذ سنوات طويلة . وتوجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم/١٣٥٥ (تصوف)(١).

وإذا قمنا بمقارنة بين كتاب « التخويف من النار » للإمام ابن رجب ، وبين كتاب « يقظة أولى الاعتبار » للإمام صديق حسن خان ، نجد أن الأخير أحسن من الأول فى كل ناحية ، فيمتاز عليه بالأبواب التى طرقها ، والأدلة التى أوردها ، والأسلوب الذى كتبه به ، والدقة التى اتبعها فى عباراته.

وإذا نظرنا بعين التحقيق نجد أن عدد كتب الترغيب ، وبيان أحوال الجنة ونعيمها وأوصاف أهلها لكثير بالنسبة إلى كتب الترهيب وبيان أحوال النار ، وما فيها من أهوالها وأوصاف أهلها . وأحسن كتاب فى باب الترغيب-على ما وصل إليه علمى هو كتاب «حادى الأرواح» للإمام ابن القيم فى وصف الجنة وما فيها . ونحن فى حاجة إلى كلا النوعين من الكتب ، لأن الإيمان بين الخوف والرجاء ، وجاءت الرسل مبشرين ومنذرين ، يبشرون أهل التقى بالنعيم المقيم ، وينذرون أهل المعاصى بالجحيم ، ووردت الآيات والأحاديث التى تصف الجنة ونعيمها ، والنار وأهوالها .

(١) صدرت طبعة جديدة له فى مصر مع تعليق وتصحيح للأستاذ زكريا على يوسف .

ومن هنا جاء كتاب «يقظة أولى الاعتبار» الذى نحن بصدده ، جامعا لم يسبق له مثيل ، ومستقلا فى ذكر النار وأهوال الجحيم وأصحابها ، وما يقابل العيش والنعيم فى الجنة

ويقول المؤلف ـ مبينا الحاجة الملحة إلى مثل هذا التأليف فى أبواب الترهيب : «وإن دين الإسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات وأن النبى صلى الله عليه وسلم رغب وحذر وبشر وأنذر ، فهو المخبر الصادق لكلا الأمرين إخبارا لا يخفى على ذى عينين ، ولكن الشيطان الرجيم غرهم بالغفران والإحسان وكادتهم النفس الأمارة بالسوء ووعدتهم بالرضوان والجنان ، ودخل عليهم إبليس من باب الرجاء حتى أضلهم عين طريق الهدى ، فقالوا سيغفر لنا ، كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن الدار الآخرة منقسمة إلى قسمين رياض الجنة وحفر النار ، والعبد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفضله سبحانه ، وإما أن يصار به عدلا منه إلى دار البوار .

وكل من قنع بالرجاء ولم يلم بالخوف لم يعلم بعاقبة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإنما المؤمن الناجى من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، وأقلع نفسه فى هذه الدار عما يوبقه ويهلكه عذبا كان أو مالحا .

وفى حديث شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواه وتمنى على الله» .

ثم رتب المؤلف كتابه على مقدمة وأبواب وخاتمة .

فأما المقدمة ففى بيان : أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التى فيها الجنة والنار وقد شن المؤلف هجوما عنيفا على بعض زنادقة اليهود الذين حاولوا إثبات أن كل ما ورد فى التوراة من الوعد والوعيد هو منافع الدنيا ومضارها ، ولم يأت فيها مايتعلق بما بعد الموت ، وذكر رأس هؤلاء اليهود الزنادقة موسى بن ميمون ، القرطبى الأندلسى .

وأن ابن ميمون وأضرابه قاموا بتحريف لما فى التوراة وقدح فى شرائع الله تعالى ، ثم قال المؤلف : والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ، ونطقت به كتب الله عز وجل ، سابقها ولاحقها ، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد ، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ، ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون (اليهودى) الملعون وأفراخه فإنه وقع منه كلام فى إنكار المعاد ...» .

ومن الأبواب الهامة الواردة فى الكتاب باب فى بيان وجود النار الآن ، وباب فى أن النار لا تفنى ولا يفنى ما فيها ، وباب فى ذكر مكان النار وأين هى على مقتضى الآثار ، وكذا مكان الجنة ، وباب فيما جاء من توزيع العذاب على العاصى المؤمن بحسب أعمال الأعضاء ، وباب فى عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ، ونهى عن المنكر وآتاه ، وباب فيما جاء « لكل مسلم فداء من النار من اليهود والمشركين» ، وباب فى ذكر «ما جاء من خروج الموحدين من النار والتفاوت بين أهل النار فى العذاب» ، وباب فيمن «يستحق النار» ، وباب فى بيان الحديث الصحيح «حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات» .

وأما الخاتمة ، ففى بيان ما يرجى من رحمة الله ومغفرته وعفوه يوم القيامة ؛ فهذه نماذج من الأبواب الهامة التى طرقها المؤلف فى بيان النار وأحوالها وأصحابها وأدلته فيها ، وجاء فى باب « بيان وجود النار الآن » ما نصه :

« اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الإسلام ، وأهل التصوف والزهد ، على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كما تقدم فى المقدمة ، فإنهم دعوا الأمم إلى الإيمان بها وأخبروا بها ، إلى أن ظهرت جماعة من أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون مخلوقة وموجودة الآن ، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد ، وإن خلق النار قبل الجزاء عبث ، فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها ، فردوا من النصوص ، الأصول والفروع ، وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يسمن ولا يغنى من جوع ، ولهذا سار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ، موجودتان فى الحال » .

وذكر المؤلف إجماع أهل السنة على هذا الأمر ، وأشار إلى مقالات فطاحل علماء الإسلام فى إثبات هذه العقيدة من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ومنها كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » لإمام الأشاعرة أبى الحسن الأشعرى . وأورد المؤلف كثيرا من الأحاديث الصحيحة فى ذلك . فيقول : « وقد ذكر الله تعالى ، النار فى كتابه ، فى مواضع كثيرة يتعسر حدها ويفوت عدها ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ونعتها ،

فقال عز من قائل : « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

وقال : « واتقـــوا النار التي أعدت للكافرين » .

وقال : « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها » ، وقال : « إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا » ، وقال : « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا » ، وقال : « أغرقوا فأدخلوا نارا » ، وقال : « وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » ، وقال : فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا » ، وقال : « وأعتدنا لهم عذاب السعير » ، وقال : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا » ، إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة ، وأنى لهم ذلك ! .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » .

وفيهما أيضا : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في صلاة الكسوف النار ، فلم ير منظرا أفظع من ذلك ، وفي البخاري عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه ، ورواه الترمذي والنسائي أيضا . وفي الصحيح (باب صفة النار وأنها مخلوقة الآن) وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » . وكلها يفيد وجود النار والجنة الآن ، وهما مخلوقتان اليوم .

وللمؤلف بحث طريف ونافع في ذكر مكان الجنة والنار ، إذ قال في باب ذكر مكان النار الخ : « فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن، كما قال تعالى في محكم القرآن: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » ، وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ، وقال تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » . قال مجاهد : هو الجنة . وتلقاه الناس عنه ، رواه ابن نجيح ، وفي رواية عنه هو الجنة والنار ، حكاه ابن المنذر في تفسيره . وعن عبد الله بن سلام قال : قال أكرم خليقة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : إن الجنة في السماء ، أخرجه أبو نعيم ، وعنده أيضا عن ابن عباس : أن الجنة في السماء السابعة ، ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة » . وعن ابن مسعود

رضى الله عنه : الجنة فى السماء السابعة ؛ فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء ، والنار فى الأرض السابعة ؛ فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء » أخرجه ابن منده . وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة ؟ قال: فوق سبع سموات ، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن جهنم محيطة بالدنيا وإن الجنة وراءها ، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقا إلى الجنة » أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان .

ثم أورد المؤلف آراء بعض الأئمة فى تحديد مكان الجنة والنار ، فقال : « قال السفارينى : وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز أن يراها فى الأرض وهو فى السماء ، (هذا إشارة إلى الحديثين الواردين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة والنار ليلة أسرى به إلى السماء) وهذا الميت يرى وهو فى قبره الجنة والنار وليست الجنة فى الأرض وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما وهو فى صلاة الكسوف وهو فى الأرض .

وقال الحافظ بن رجب : وحديث حذيفة رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أوتيت بالبراق فلم نزايل طرفة عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار ، إن ثبت فالسماء ظرف للرؤيا لا للمرئى ، وفى حديث ضعيف ، أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات ، فلو صح حمل على ما ذكرنا » . ثم أورد المؤلف كلام السيوطى والقرطبى وغيرهما وقال : والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وأن النار فى الأرض السابعة على الصحيح المعتمد ، وبالله التوفيق . واختتم بحثه فى هذا الباب بنقل قول الشيخ أحمد ولى الله الدهلوى صاحب « حجة الله البالغة » إذ قال: ولم يصرح نص بتعيين مكانهما ؛ بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه ، انتهى . وأردف المؤلف : وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

وللمؤلف بحث طويل فى باب: لكل مسلم فداء من النار من الكفار . ونظرا لندرة هذا الباب وطرافته وقلة طرقه من المؤلفين فى كتبهم نقدم إلى الباحثين والدارسين مقتبسات منه بأسلوبه الخاص ، بدأ المؤلف بحثه بإيراد هذين الحديثين .

(١) عن أبى بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود طويلا ، ثم يقال: ارفعوا

وعوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار » أخرجه ابن ماجه .

(٢) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ويقال : هذا فداؤك من النار . ثم ذكر المؤلف قول جمهرة علماء المسلمين فى هذه الأحاديث ، فقال : « قال علماؤنا رحمهم الله : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هى فى ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل إنسان منهم فكاكا من النار من الكفار .

واستدلوا بحديث أبى بردة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ، أخرجه مسلم ، ومعنى يغفرها لهم : أى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع : أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك ، لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد ، كما قال : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته إذ لا يسأل عما يفعل .

وفى الرواية الأخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهوديا أو نصرانيا فمعنى ذلك : أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه ، وبقى مكانه خاليا منه أضاف الله ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أنس : يقال للمؤمن الذى ثبت عند السؤال فى القبر : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال القرطبى قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبا أو غير مذنب منزلين : منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار وذلك هو معنى قوله تعالى : « أولئك هم الوارثون » ، أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : العبد إذا وضع فى قبره ... الحديث إلا أن هذه الوراثة تختلف ؛ فمنهم من يرث بلا حساب ولا مناقشة ، ومنهم من يرث بحساب ومناقشة . وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال النار ، والله أعلم . وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم ، وهو مقتضى قوله تعالى : « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء » .

وفى باب : حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره ، بحث طويل قيم المؤلف رحمه الله . وذكر أقوال عدد من أئمة المسلمين فى شرح حديث الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» ورسم المؤلف جدولا لتوضيح ذلك وهو كما يرى : [١]

الجنـــة

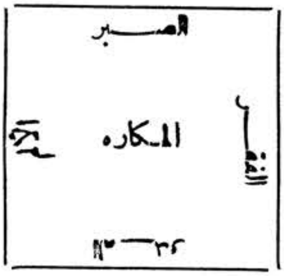

النـــار

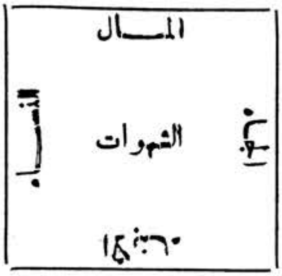

ثم قال : إن خلاف المكاره التى حفت بها الجنة من الشهوات التى حفت بها النار ، وأضاف ، وهذا باب واسع جدا لا يتسع لبسطه هذا المقام .

واختتم المؤلف كتابه بخاتمة شيقة فى بيان ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة . وهكذا جاء «يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار» كتابا قيما فى باب الترهيب ، كما جاء كتاب «حادى الأرواح» فى باب الترغيب ومما لا شك فيه أن الإيمان بين الخوف والرجاء ، ويتفاوت قوة وضعفا فى قلوب الناس فما أحوجهم إلى كتب نافعة فى أبواب الترغيب والترهيب ، ليحيوا على بينة من أمرهم ؟

(يتبع)

محيى الدين الألوائى

---

(١) لو وضع المؤلف لفظة الجنة مكان المكاره ولفظة النار مكان الشهوات فى الجدولين لكان أقرب إلى الوضوح وأنسب .

أنباء وآراء

وجهت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الاستفتاء العلمي التالي ليبدي السادة علماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية آراءهم فيه .

ويسر الأمانة العامة للمجمع بإدارة الأزهر أن تتلقى ردود السادة العلماء . « مجلة الأزهر »

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإن التأمين الذي تقوم به الشركات التجارية نشأ بين الأمم الأوربية من زمن بعيد ، وظهرت بعض أنواع منه في بعض الأقطار الإسلامية في أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم تكاثرت أنواعه وانتشرت شركاته في الأقطار الإسلامية .

والتأمين الذي تقوم به الشركات هو الذي يطلق عليه رجال القانون ورجال الاقتصاد اسم التأمين الخاص في مقابلة التأمين التعاوني والاجتماعي ، وأنواع التأمين الخاص كثيرة جداً .

ونظراً لكثرة أنواعه واختلاف المخاطر التي يواجهها كالموت والشيخوخة والعجز والحوادث الجسمية والمادية والحريق والاختلاس والسرقة وغيرها وقع اختلاف في تعريفه .

فرجال القانون يقولون : إنه عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المستأمن أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال ، أو إيراداً مرتباً أو أي عوض مالي آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك في نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المستأمن المؤمن .

ورغبة من رجال الاقتصاد في بيان أن المخاطرة فيه ليست ذات شأن ارتضوا القول بأنه : عملية يحصل بها المستأمن على تعهد

لصالحه أو لصالح غيره ، بأن يدفع له المؤمن عوضا ماليا في حالة تحقق خطر معين ، وذلك في نظير مقابل مالى هو القسط .

وتنبنى هذه العملية على تحمل المؤمن تبعة مجموعة من المخاطر بإجراء المقاصة بينها وفقاً لقوانين الإحصاء .

والجميع يقسمون هذا التأمين الخاص إلى الأقسام الآتية :

أولا : التأمين على الأشخـــاص

والتأمين على الأشخاص عقد يتعلق بشخص المستأمن ، هدفه منه تأمين نفسه ، أى تأمين المستفيد من نتائج الأخطار التى تهدد حياته أو سلامة جسمه ، أو صحته ، أو قدرته على العمل .

وهو تأمين لا يقوم على تعويض الضرر ؛ بل يستولى المستأمن أو المستفيد على مقدار التأمين المتفق عليه بأكمله إذا تحقق الخطر الذى كان التأمين من أجله من غير نظـر إلى قيمة الضرر الذى أصابه ولا إلى حصـول ضرر أو عـدم حصوله ، وهو تأمين من الإصابات ، وتأمين على الحياة .

(١) التأمين من الإصابات :

هو تأمين مما يصيب الإنسان لسبب خارجى مفاجىء فيودى بحياته أو يصيبه فى جسمه ، كأن يموت فى حادث مفاجىء أو يصاب بما يسبب عجـزه عن العمل ، ويستحق المستفيد أو المستأمن مبلغ التأمين متى تحقق هذا الخطر

(ب) التأمين على الحياة :

عقد يلتزم به المؤمن - مقابل أقساط - بأن يدفع للمستأمن أو لشخص ثالث مقدارا من المـال إذا مات المستأمن أو إذا بقى حيا بعد مضى مدة معينة ، والتأمين قد يكون مقدارا من المـال يدفع لمستحقه دفعة واحدة ، وقد يـكون إيرادا مرتبا مـدى حياة المستحق ، طبقا لمـا يقع عليه الاتفاق .

وإذا كان التأمين على الحياة مؤقتا بمدة معينة ولم يمت المستأمن خلال هـذه المـدة برئت ذمـــة المؤمن وضاعت على المستأمن الأقساط التى أداها إليه .

وإذا كان التأمين عـلى الحياة غير مؤقت بمدة وكان لمصلحة ثالث ومات هـذا المستفيد قبل المستأمن برئت ذمة المؤمن وضاع على المستأمن ما دفعه من الأقساط ؛ غير أنه لا يطالب بشىء من الأقســـاط الباقية إن وجدت .

وإذا كان التأمين واردا على أن يدفع مقداره فى وقت معين وبقى حيا إلى هذا الوقت استحق المستفيد مقدار هـذا التأمين ، وإذا مات قبل هـذا الوقت انتهى عقد التأمين

وبرئت ذمة المؤمن وضاعت الأقساط .

وللتأمين على الحياة صور أخرى يمكن الوقوف عليها من المؤلفات القانونية والمؤلفات الاقتصادية .

ثانيا : التأمين على الأشياء

التأمين على الأشياء هدفه تأمين المستأمن من ضرر يصيب ماله بطريق مباشر وقد يكون محل التأمين عينا معينة بذاتها ، وقد يكون المعين نوع محل التأمين لا ذاته ، كالتأمين على أى بضاعة أو أية أمتعة توجد فى مكان بعينه ، وكالتأمين من السرقة أو الضياع على ما يحصل للصيارفة من النقود .

وعقد التأمين على الأشياء لا يظهر فيه سوى شخصين ، هما المؤمن والمستأمن ، وهو فى هذا كالتأمين على الأشخاص ، وفى هذا العقد يعين عادة حد أقصى من النقود يقع عليه التأمين .

وهذا العقد ليس مصدرا لإثراء المستأمن ويقتصر أثره على تعويضه فى حدود الضرر الذى لحقه ، وهو لا يستحق إلا أقل القيمتين : مبلغ التأمين ، وقيمة الضرر . حتى لو فرض أنه تعدد منه التأمين على هذه الأشياء لدى جهات تأمين مختلفة . وهذا التأمين قد يكون تأمينا من السرقة ، أو التبديد ، أو الخيانة ، وقد يكون تأمينا لكفالة الوفاء بدين المستأمن على غيره ، أو لوقايته من إعسار مدينه ، وقد يكون تأمينا من تلف المزروعات أو هلاك الماشية ، وقد يكون تأمينا من الحريق وهو أهم أنواع التأمين على الأشياء ، وله أحكامه الكثيرة المفصلة فى المؤلفات والموجزة فى عقود التأمين ، وهى فى العادة تسرى فى سائر أنواع التأمين على الأشياء .

ثالثا : التأمين من المسئولية

هو عقد يلتزم به المؤمن للمستأمن بتحمل الضرر الذى يلحقه من جراء رجوع الغير عليه بالمسئولية المالية ، فهو عقد يظهر ثلاثة أشخاص : هم المؤمن والمستأمن وصاحب المسئولية ، ولهذا التأمين صفة الضرر كالتأمين على الأشياء ، والتأمين من المسئولية قد يكون تأمينا من خطر معين ، وهو تأمين على قيمة مقدرة ، أو قابلة التقدير ، ويكون ذلك فى التأمين من المسئولية عن شىء معين فى يد غير مالكه الذى يكون مسئولا أمام مالكه عن قيمته ، كمسئولية المستأجر عن حريق العين المستأجرة ، ومسئولية أمين النقل عن البضائع التى ينقلها .

وقد يكون تأمينا من خطر غير معين ، كمسئولية حوادث العمل ، وحوادث النقل وحوادث السيارات .

وإذا كان التأمين قد حدد بمبلغ معين لا يكون المؤمن ضامنا للمسئولية إلا فى

حدود هذا المبلغ ، وإذا كان غير محدد بمبلغ معين يكون المؤمن ضامنا للمسئولية أيا كان مقدارها .

هذه هي أهم أنواع التأمين الخاص الذي تقوم به الشركات التجارية ، وهذه هي طبيعتها التي تكفي لإبداء وجهة النظر الإسلامية فيها ومن أراد التوسع والوقوف على التفصيلات أمكنه الرجوع إلى ما ألف في موضوع التأمين باللغة العربية وغيرها .

* * *

ومنذ أن ظهر التأمين في الأقطار الإسلامية تناوله بعض المؤلفين ورجال الفقه الإسلامي ، وكلما ازداد انتشار شركاته واتسعت الدعاية له كثر الخوض فيه فتناوله العلماء وغيرهم فرادى وفي بعض الهيئات ، واختلفت آراؤهم فيه اختلافا بينا .

فمنهم من لم يجزه أصلا ، محاولا تطبيق أحكام العقود المعروفة في الفقه الإسلامي ، ومنهم من أجاز التأمين بجميع أنواعه ، ومنهم من أجاز بعض أنواعه دون البعض الآخر .

وقد أثيرت في بحوث الباحثين على اختلافهم المسائل الفقهية الآتية :

- جواز إحداث عقود غير المعروفة في صدر الإسلام أو عدم جوازه .
- تطبيق أحكام الضمان والكفالة على التأمين أو عدم تطبيقها .
- أحكام الجهالة والغرر والقمار والمراهنة.
- هل في التأمين أكل لأموال الناس بالباطل أو لا ؟
- هل في بعض أنواعها ربا أو شبهة الربا أو هو خلو من ذلك ؟
- هل يمكن أن يطبق على التأمين أحكام عقد الصرف أو لا ؟
- هل فيه إعانة للشركات على الاستغلال المحرم أولا ؟ وإذا كانت فيه هذه الإعانة هل تبطله شرعا أو لا ؟ وهل فيه غبن مبطل أو لا ؟
- هل في إباحته للمسلمين إبطال لمقوماتهم وخصائصهم الدينية بدون حاجة إليه أو ليس فيها شيء من ذلك ؟
- هل يصح الاستناد في إباحته إلى العرف والضرورة الاجتماعية أو لا يصح ؟ إلى غير ذلك من المسائل الفقهية التي دعا إليها التوسع في البحث .

وقد عرض بحث في موضوع التأمين بجميع أنواعه في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر ، فقرر المؤتمر الاستمرار في دراسة أنواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة الإسلامية والخبراء الاقتصاديين والقانونيين والاجتماعيين .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، إذ تبلغكم هذه الخلاصة لمسائل التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، ترجو موافاتها برأيكم — فى أقرب فرصة ممكنة — فى المشكلات التى يثيرها هذا النوع من التأمين ، وفى الحكم الشرعى الخاص بها .

وذلك تنفيذاً منها لقرار مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الذى يقضى بالوقوف على آراء علماء المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية بالقدر المستطاع قبل إصدار الحكم فى هذا النوع من التأمين .

والله الموفق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمود حب الله

أنباء

فى محيط المعركة (١) :

معركتنا المقدسة ما زالت مستمرة بين شعبنا المؤمن الثابت على الحق الواثق بنصر الله ، وبين قوى البغى والاستعمار .

معركتنا المقدسة ما زالت مستمرة بين أمتنا العربية يساندها العالم الإسلامى ، وبين قوى العدوان الثلاثى بزعامة أمريكا .

والمعركة ليست محدودة بالدول العربية المعتدى عليها ، ولكنها معركة كل حر فى كل مكان

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عدة بيانات إلى العالم العربى والإسلامى فى كل أحداث المعركة وتطوراتها . ويجد القارىء البيان الأول فى صدر هذا العدد .

● وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الخامس من يونيو بيانا إلى المسلمين فى كافة أنحاء العالم جاء فيه :

« المعركة الآن إنما هى معركة بين الإيمان وبين الإلحاد ، والإلحاد بطبيعته يأبى كل المبادىء التى تحيا بها الإنسانية وتعيش لها ؛ بل إنه لينفر من كل المثل العليا التى لا تؤمن بالقوة طريقا ، وبلغة الغاب سبيلا .

---

(١) لظروف خارجة عن إرادتنا تأخر صدور العدد ولذلك احتوى أنباء خاصة بالمعركة

مجلة الأزهر

ومن أجل ذلك كان حقا على كل مسلم عربي ؛ بل على كل مؤمن بالإنسان أن يستعمل كل سلاح يبتر به هذه الفتنة الضالة التي يثيرها الغرب ، ومن أقوى هذه الأسلحة : البترول الذي يعتبر الآن عصب المعركة وصلبها ، وإنه لسلاح بالغ التأثير في هذا الدور الخطير الذي يلعبه العدو » .

« أيها الناس : ... إننا نشهد الله أننا ندافع عن حقوقنا ، وأننا سنموت دونها لنقضي على عدو أظلم تاريخه بكل أنواع الخيانة والغدر ، ولنقضي على استعمار ظالم مسعور يغيظه أن يجد العملاق العربي يخرج ليرد بأسه وليقهر ظلمه وليحطم جبروته « فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا » .

● عقد المجلس الأعلى للأزهر مؤتمرا عاجلا برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وصدر عنه القرارات التالية :

١ — إعلان الجهاد المقدس دفاعا عن مبادئنا ومثلنا وعن الأرض المقدسة التي احتلتها الطغمة المفسدة والشرذمة الضالة ، وأن هذا الجهاد فرض على العرب والمسلمين .

٢ — الدعوة إلى التبرع بالدم إبقاء على إخواننا في الجهاد الذائدين عنا ، الواقفين في خط النار .

٣ — فتح جميع المعاهد الأزهرية في أنحاء الجمهورية للتدريب العسكري إتاحة للفرصة في البيئة التي يوجد بها المعهد ، وذلك بالتعاون مع التربية العسكرية بالأزهر .

● أبرق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى جلالة ملك ليبيا البرقية التالية :

« أخي صاحب الجلالة الملك إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية .

باسم الإسلام الذي فرض الجهاد على كل مسلم ومسلمة دفاعا عن دينه وأرضه ، وباسم العروبة ذات التاريخ المجيد ، وباسم الدم الزكي الذي يراق دفاعا عن الحرية ، وباسم محمد صلى الله عليه وسلم وآله الأطهار الأمجاد ، الذين أبوا الذل والاستكانة ، واستشهدوا في سبيل الله والعقيدة .. أدعوكم - وقد جمعتنا اليوم أخوة الإسلام والدم الذي نريقه رخيصا في سبيل الله - أن تقفوا من قاعدة « هويلس » الأمريكية في ليبيا موقفا إسلاميا كريما يمنع استعمالها ؛ حتى لا يسجل التاريخ أن أخوتكم في الإسلام والعروبة كانت وسائل الفتك والدمار توجه إلى صدورهم من بلد عريق في العروبة والإسلام - ليبيا العربية المسلمة - والله ينصرنا

شيخ الأزهر

حسن مأمون

● أصدرت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية كتيبا عن المعركة بعنوان: «صوت الأزهر في المعركة».

● تبرع السادة أعضاء مجلس مجمع البحوث الإسلامية للمجهود الحربي بمبلغ ١٢٥٠ جنيها وكذلك تبرع موظفو المجمع بمرتب يوم من وشهر يونيو وبجميع المكافآت التشجيعية والأجور الإضافية إسهاما منهم في معركة المصير العربي.

● عقد أعضاء مجلس مجمع البحوث الإسلامية مؤتمرا عاجلا قرروا فيه إرسال البرقيات التالية.

برقية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة وهذا نصها:

السيد / سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة

بعد التحية:

فإن مجمع البحوث الإسلامية الذي يمثل جميع المسلمين والعرب في جميع بلاد العالم - في اجتماعه اليوم - قرر بالإجماع رفض اقتراح تدويل الأرض المقدسة (بيت المقدس).

وفي رأي المجمع، الذي ينطق باسم مئات الملايين من المسلمين والعرب أن انسحاب القوات الإسرائيلية يجب أن يتم فورا عن جميع الأراضي العربية المحتلة، وأن يعود إلى بيت المقدس وضعه السابق للعدوان، رعاية للعاطفة الدينية المقدسة عند جميع الأديان السماوية التي ظلت تتمتع بحرية كاملة في العبادة، وتسهيل الزيارة مدة أربعة عشر قرنا تحت رعاية الحكم الإسلامي العربي.

وإني بالنيابة عن المجمع أناشدكم باسم جميع المقدسات الإنسانية، أن تبذل كل ما تستطيع لحماية هذا الجزء المقدس من الكرة الأرضية من تغيير وضعه التاريخي حتى لا يصبح مستقرا للنزاع الذي نجحنا في منعه نحن المسلمين مع إخواننا المسيحيين بما أتحناه فيه من المساواة التامة في العبادة بين جميع الأديان والمذاهب بما فيها الدين اليهودي نفسه.

شيخ الأزهر ورئيس المجمع

حسن مأمون

وبرقية أخرى إلى المنظمة الإسلامية الآفرو آسيوية - جاكارتا - أندونيسيا هذا نصها:

المنظمة الإسلامية الأفرو آسيوية جاكرتا أندونسيا.

السيد / الأستاذ أحمد شيخو رئيس مؤتمر المنظمة الإسلامية المنعقد بجاكرتا أندونسيا.

باسم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أحييكم وأبارك مؤتمركم وأنقل إليكم قرار المجمع برفض فكرة تدويل القدس رفضا

قاطعا وبالإصرار على بقائها عربية إسلامية أهيب بممثلى العالم الإسلامى فى مؤتمركم المبارك أن يسمعوا العالم قرارهم الإجماعى بالمحافظة على المقدسات الإسلامية العربية وإحباط المؤامرة الاستعمارية والصهيونية وإزالة آثار عدوانهما الغاشم على الأمة العربية والأمجاد الإسلامية.

شيخ الأزهر ورئيس المجمع

حسن مأمون

● وجه مجمع البحوث الإسلامية البيان التالى إلى العالم الإسلامى :

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الذى يعبر عن مشاعر العالم الإسلامى قاطبة فى مشرق الأرض ومغربها ليستنكر فى قوة وإصرار المؤامرة الدنيئة التى يحيكها الاستعمار الآثم والصهيونية الباغية ضد الشعب العربى ، والمقدسات الإسلامية ، ويهيب بالمسلمين فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية أن يهبوا لحماية الأرض العربية ، وبيت المقدس ، من عبث الصهيونية ودنس النوازع الاستعمارية وأن يدفعوا بكل ما أوتوا من قوة وإيمان الأطماع الشريرة التى تستهدف تدويل مدينة القدس ، تحقيقاً لخطط الاستعمار ونكاية فى العروبة والإسلام.

وما كان للمسلمين الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم على امتداد تاريخهم المجيد فى سبيل عقيدتهم وكيانهم ، أن يفرطوا قيد شعرة فى هذه المدينة التى تحتل مكان القداسة فى قلوبهم ، فهى تضم أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومسرى رسول الإسلام ، ومنطلق معراجه إلى السموات العلا.

ولقد كانت هذه المدينة - ولا تزال - ملتقى مشاعر المسلمين والعرب طيلة أربعة عشر قرنا ، استطاع فيها المسلمون أن يحافظوا على قدسيتها ، وأن يحولوا بينها وبين أن تكون موضعا للنزاع الدينى ، بما أتاحوه فيها من المساواة التامة فى العبادة بين جميع الأديان والمذاهب.

وإن مجمع البحوث الإسلامية ليستنفر المسلمين لحماية حقوقهم والذود عن كيانهم الروحى والأدبى وسيصم التاريخ بالخزى والعار كل من يقعد عن الجهاد فى سبيل الله لاسترداد أرضنا السليبة وحماية مقدساتنا المعتدى عليها.

فالله الله أيها المسلمون : هبوا للدفاع عن مقدساتكم ، « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ».

أجمعوا أمركم أيها المسلمون واحزموا رأيكم ، وقفوا صفاً واحداً للذود عن حياضكم « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

قاتلوا الفئة الباغية وودوا كيدهم إلى نحورهم انتصاراً لحقكم وحفاظا على حرماتكم « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ... » .

وادفعوا عن أنفسكم ظلما حاق بكم « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

وامتثلوا لقوله تعالى « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » .

ألا أن مجمع البحوث الإسلامية يحذركم من التخاذل والقعود عن الجهاد « إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » .

إنكم لتواجهون اليوم عدوانا أشد ضراوة وأكثر عتوا وأبعد خطرا وخبثا مما واجهه أسلافكم وإن الله الذى نصرهم على عدوهم كفاء ما قدموا من تضحيات وبذل وفداء ، الكفيل بأن ينصركم ، وأن يحقق وعده فى قوله تعالى « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

شيخ الأزهر ورئيس المجمع

حسن مأمون

● سافر فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إلى أندونيسيا لحضور مؤتمر المنظمة الإسلامية الآفرو آسيوية المنعقد بجاكرتا مندوبا عن الجمهورية العربية المتحدة وممثلا للأزهر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى مكتبه سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خانوف مفتى آسيا الوسطى بالاتحاد السوفيتى وعضو مؤتمر تضامن الشعوب الآفرو آسيوية المنعقد حاليا بالقاهرة .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

both Muslims and Christians, including the 'Holy sepulchre Church, the 'Dome of the Rock' wherein there is the 'Aqsa Mosque' which is regarded the first of the two niches (Qiblah) and the third shrine.

Third : We categorically reject the idea of changing the status of Jerusalem before the unjust aggression. We also refuse the internationalisation of Jerusalem; because apart from being the home of Muslim and Christian shrines, it is a part of the Arab state. Thus any change or internationalisation would be an extention of the sinful aggression on the Arab nation, a measure that we condemn and abhor.

Fourth : Detailed statements are due to be simultaneously issued by each of us; elucidating the Arab Cause, and expounding our attitude towards it, in the light of the heavenly messages. In our present position we call upon our Arab nation not to be negligent, and not to hesitate to wage the 'Jihad' (Holy War), for their rights. We also call upon them to confront firmly every aggressor or usurper, whatever would be the forces of injustice and aggression, for evident and distinct right is stronger than any bloc, mightier than any agglomeration.

We pray God the Almighty to keep us one row like a solid coherent construction, behind our faithful leader, and sincere pioneer, with all who are true to the Arab Cause.

May God the Almighty be with us.

Issued in Cairo : Rabî, Awwal 27, 1387 A. H.
July, 5, 1967 A. D.

Grand Sheik of Al-Azhar
sd.
(Hassan Maamoun)

Pope of Alexandria and All Africa
sd.
(Kyrollos VI)

JOINT STATEMENT

ISSUED BY

The Grand Sheikh of Al - Azhar, His Eminence Hassan Mamoun

AND

The Pope of Alexandria and all Africa, His Holiness Kyrollos VI

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful

To the world's free conscience, we address a resounding cry that the Arabs will not accept injustice. The free Arabs who refuse humiliation, believe in God the Almighty, and their holy shrines; which they regard as a symbol of their faith, and a means to guide them to good, right and Justice.

The free Arabs, Muslims and Christians have erased from the minds of the weak on earth, all remnants of fear of imperialism; which long spread corruption on earth.

The new dawn whose light emanated and will never wane, has witnessed the uniting of the Arabs in a strong coherent nation from the Ocean to the Gulf. Such unity will be maintained by the Arabs; who do their utmost and spare no effort sacrificing their blood and lives, since God the Almighty has bought them at the highest price.

Thus amidst an atmosphere of fraternity and cordiality emanating from hearts filled up with faith in God the Almighty, hearts full of genuine affability, and devotion to our nation and motherland, we deem it necessary at this critical juncture, when peace is endangered - to address ourselves to the conscience and feelings of the world announcing our resolutions :

First : International Zionism is a racial faction which is unconnected with religions. It is opposed to Islam and Christianity, and does not hesitate to attack them together with their shrines. Such enmity is neither new nor recently originated, but it is the offspring of a long history.

Second : We, Muslims and Christians condemn this unjust aggression on the Arab countries by a carrupt faction, and an erring clique, especially the aggression on Jerusalem which houses the shrines of

had remained in the capital and sent out armies from it, Ali placed himself at the head of his troops and set out from Madinah in 36/656, never again to see it. He made Kufa his capital and after Mu'awiya's victory Damascus took its place. What pious Muslims thought of this change is reflected in a characteristic tradition according to which several prominent Ansar tried to induce Ali to abandon his plan of leaving Madina : "What thou dost lose in the form of prayers in the mosque of the Prophet and the course between his tomb and his pulpit is of more value than what thou expectest to find in the Iraq; reflect how Umar used to send his generals to war; there are still just as capable men amongst us as then !" But the Caliph replied: "The wealth of the state and the armies are in the Iraq and attacks threaten from the Syrians, and I must be near them".

Madinah with its venerable associations and the tomb of the Prophet could not, of course, become unimportant; on the contrary, its sanctity increased in the eyes of all Muslims, but the life of the town became more and more remote from the real world in which actual history was being unfolded. Hither retired all who wished to keep aloof from the turmoil of political happenings, like Ali's son Hasan, after he had abandoned all his claims. Husain also went there from Kufa, but left it again to make his disperate attempt to gain his rights, and it is significant that none of the Madinese Ansar went with him. When he was slain, his wives and son were brought to Madina, where they lived in peace and took no further part in the fighting. Ali's son, Muhammad, also resided in Madina. It was not, however, only relatives and ardent followers or the Prophet, who preferred to live he·e in his city, but several of the Umaiyads also felt attracted thither by the quiet life and would not go to Damascus.

For many of the people of Madinah their object was not worldly enjoyments but devotion to the memories in the town of its sacred past, by collecting and sutdying the legal and ritual enactments dating from the Prophet, in so far as they were based on the Sunna of Madina and the Ijma there. The most distinguished representative of this group was Malik bin Anas, the author of the Muwatta, who as the founder of the Maliki school gathered many pupils around him. One of them, Ibn Zabala, composed the first history of the town of Madinah but it has not survived.

In the centuries that followed, Madinah is only rarely mentioned by the historians. When the Fatimids became rulers of Egypt and were

(Continued on page 5)

However, a breach soon occurred between the Muslims and the Jews, provoked by their scornful criticism and their attempt to revive old hostilities.

Relations between Mecca and Madina were still tense and there soon followed the famous battles of Badr, Uhud and the War of the Ditch. The latter campaign got its name from the ditch which Muhammad had dug around the unprotected parts of the town, forming a serious obstacle to the enemy. With the treaty of Hudaibiya in the year 6A.H. the war with the Quraish was practically finished, for in it his genius for diplomacy succeeded in bringing them to recognise Madinah as a power equal in importance to Mecca. The official conclusion of the struggle was the bloodless occupation of Mecca in 8 A. H.

When Muhammad entered Mecca, his faitful followers in Madina became anxious, as they feared he would now abandon their town and return to his native place. He calmed them however and declared that he would live and die with them. But when he began to treat the Meccans with great clemency and after the battle at Hunain was striving to win them over by rich gifts, the Ansar felt themselves slighted and once again feared that he would abandon them. Then he delivered a speech in which he reminded them how he had united them when they were living in hostility to one another and declared his gratitude for all that they had done for him, and when he concluded by asking them to be satisfied if others went home with captured herds but they with the messenger of Allah, they burst into tears and withdrew satisfied.

Faithful to his promise, the Prophet remained in Madinah till his death. When the Ansar assembled and chose Ubada as their chief, while others propsed that the gevernment should be shared between the Ansar and the Muhajirin, Umar's rapid and vigorous intervention, however, succeeded in thwartin these plans so threatening to Islamic state and carrying through the election of Abu Bakr as Caliph. He and his two successors resided in Madinah which thus became the capital of the rapidly growing state. Abu Bakr and Umar, like the Prophet, were buried under the house of Aisha.

Ali's reign brought a complete change for Madina. When the great civil war broke out between him and his rivals and the decisive battles were fought in the provinces, the Caliph recognised that the vast state could not possibly be governed from the remote corner of the world in which Madinah lay. While the earlier caliphs

Holy Places of Islam - 4

AL-MADINAH

BY RASCHID AL-ANSARI

Madînah is situated in the Hijaz on a plain sloping very gently towards the north, the boundaries of which are marked in the north and northwest by the hills of Uhud and Air about four miles from the town. West and east the plain is bounded by the Harras or Labas, barren areas covered with black basalt. In the south the plain stretches away farther than the eye can reach. There is a richness of water unusual in Arabia and there are a considerable number of wells and springs. The way in which M.dînah is favoured by nature forms a striking contrast, almost symbolic, to Mecca which lies in a rocky valley where even corn will not grow, whereas Madinah is surrounded by thick groves of palms and orchards.

Thes ignificance of Madinah first became apparent at the time of the Prophet (may peace be with him); then a momentous change took place when the people of Madina, who required a leader with a strong hand, and Muhammad, who had only to a slight extent succeeded in winning over the Meccans to Islam, came into contact with one another. There are certain events in history which change the course of the entire future of man. . . this was one of them.

The story of this historic meeting is well known. How finally a treaty was concleded between Muhammad and several representatives of the Madinese, by which the latter pledged themselves to take him into their community and to defend him as if he were one of themselves, and how he and his faithful followers thereupon migrated to Madina. It is a beautiful story and one worthy to set the beginning of the Islamic era.

Hardly anything ever showed so clearly Muhammad's divine gift of leading men, as the fact that he succeeded in a very short time in bringing some kind of order into Madinah. hopelessly split by feuds, and making a unity out of the heterogeneous elements of the twon, known in Arabic as Yathrib. These comprised the earlier Arab inhabitants, the later immigrants, the Muhajirin from Mecca and the Jews.

upon another, that shall not be thrown down" (Mark : chapter 13 New testament). The Israelites kingdom in Palastine was, according to to the old Testament, the worst kingdom that existed in history. "Thus Saith the lord God : This is Jerusalem : I have set it in the midst of nations and countries that are roundabout her. And she hath changed my judgement into wickedness more than the nations and my statutes more than the countries that are round about her : for they have refused my judgement and my statutes, they have not walked in them" (Ezekiel-Old testament). The Kingdom of Dovid and Solomon lasted forty years under each one of them.

We can see from the historical facts that after the Kingdom of David and Solomon which ended in Captivity, neither Israel nor Judea enjoyed real independence. If we presumably admit that the ancient Kingdoms, from the time of David conqured Canân in 1000 B.C., up to disappearance Judea in 586 B.C., were independent, the rule of these kingdoms would have lasted only 414 years whereas the roman rule would have covered 677 years and the Islamic rule, more than 1300 years. Their orguement to prove their right in Palastine from historical point of view is basically annulled, because we can see, for example, that Arabs have ruled spain for nearly 800 years double the time that the children of Israel presumably ruled Palastine. Would the Arabs have the right, under existing circumstances, to cliam back Spain or the Spanish people accept to have the Arabs back in Spain? It is recalled that the children of Israel left not one single cultural trait in Palestine while the Arabs left in spain a great cultural heritage which is highly praised by historians. So what is left God's chosen people after He has taken back the favour He had bestowed upon this people and lost the promised land forever as they cursed by God and His Prophets ?

The childern of Israel are imbued with an agressive spirit inspired by their religion which spurs them to wards a war of annihilation fills them with a superiority feeling over humanity as a whole and induces them to over come all other nations. These fallacies are based on three points. 1. They are God's chosen people. 2. God promised that they would return to the Holy land where milk and honey flow. 3. They once established a kingdom in Judha and it is their lawful right to restore it.

From the historical point of view these three basis on which the children of Israel built their arguement to prove their rights in Palestine are undermind. The Old Testament itself and the Qur'an prove that there is no nation which has been cursed, denounced and rebuked by its God, like the nation of the children of Israel. Supposing that God has bestowed upon Israelites His favour once, their on God has taken back the favour because of their evil doings, continuous treachery and terrorism. Thus we find in the book of 'Ezekiel' (Old Testament) "And he said unto me, son of man, I send thee to the children of Israel, to a rebellious nation that hath rebelled against me: They and their fathers have transgressed against me, even unto this very day". We find the in the book of 'Amos' (Old Testament) "Here ye this world which I take up against you, even a lamentation, O house of Israel. The virgin of Israel fallen. She shall no more rise. She is foresakne upon her land there is none to rise her up". One of the Quranic verse says:

« وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ،
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير
الحق ، ذلك بما عصوا وكانو يعتدون ». (٦١ــالبقرة)

(And humiliation and wretchedness were stamped upon them and they were returned with wrath from Allah. That was because they disbelieved in Allah's revelation and slew the prophets, wrongfully. That was for their disobedienc and transgression). S. II : V. 61.

According the New Testament, in the sixth century B.C. the Israelites were cursed by the privilege and lost the promised land and the Israelites kingdom in Palestine was wiped out forever with the coming of Christ who predicted the disappearance of the temple of Jerusalem. Thus we read in New Testament: "And as he went out of the temple, one of his disciples said unto him, Master. See what manner of stones and what buildings are here. And Jesus answering said unto him, Seest thou these great buildings? There shall not be left one stone

Faithful, in the year two and seventy-Allah accept him". The Kubbat Al-Sakhra is one of the most beautiful sights in the world and one that is Known to all Muslims. Millions of Pilgrims come to see and pray. Mukaddasi pronounced the wonderous beauty of this monument as follows: "At dawn when the light of the sun first strikes on the cupola and the drum catches the rays, then is this edifice a marvellous sight to behold and one such that in all Islam I have never seen its equal",

Traditions state that all prophets of Allah up to the time of Muhammad (peace be on him) have come to pray here at the rock which is daily surrounded by a body guard of Seventy thousand Angels. It was from here the prophet ascended to heaven on his h rse "Al-Buraq". His foot-print (Qadam Muhammad) may be seen still. There is a Around hole in the middle of the rock where the Prophet's body, it is said, pierced its way upward and near by is shown the Saddle of 'Al-Buraq' in the shape of several marble fragments. There is also seen on the west side of the rock, the impression of the hand-print of Gabriel where he held down the rock when it was about to rise with the Prophet.

For the expenses of building this magnificent Dome the Caliph Abdul Malik is reputed to have set apart the revenue from Egypt for Seven Years; causing a treasure-house to be built for this mony to be kept. After Umayyad period came the Abbasids then the Tulunids and Fathimids. During the Fathimid period Al-Kuds (Jerusalem) captured by Crusaders, in the year 1099. In 1187 the famous Muslim Warrior and scholar Saladin recaptured the city amongest great rejoicing through the Muslim world. He carried out the restoration of 'Aqsa Mosque' and removed all the additions done, by the Crusaders, from the Dome of the Rock. There may be seen the inscriptions set up by Saladin inside the cupola, that records the fact of his restoration.

The passing years only retained the original place of Al Kuds in the Faith of Islam and increased the respect and reverance in which it is held by all Muslims. After first world war and the disintegrations of the Ottoman Empire, Jerusalem became the capital of Palestine. This state changed with the usurpation of Zionist - Israelites to Palestine by the help of British Imperialists in 1948 and it became a city torn in two but the Muslims took possession of all the Sacred places.

What are the sinister plans of the zionists which stifle the world as a whole ?

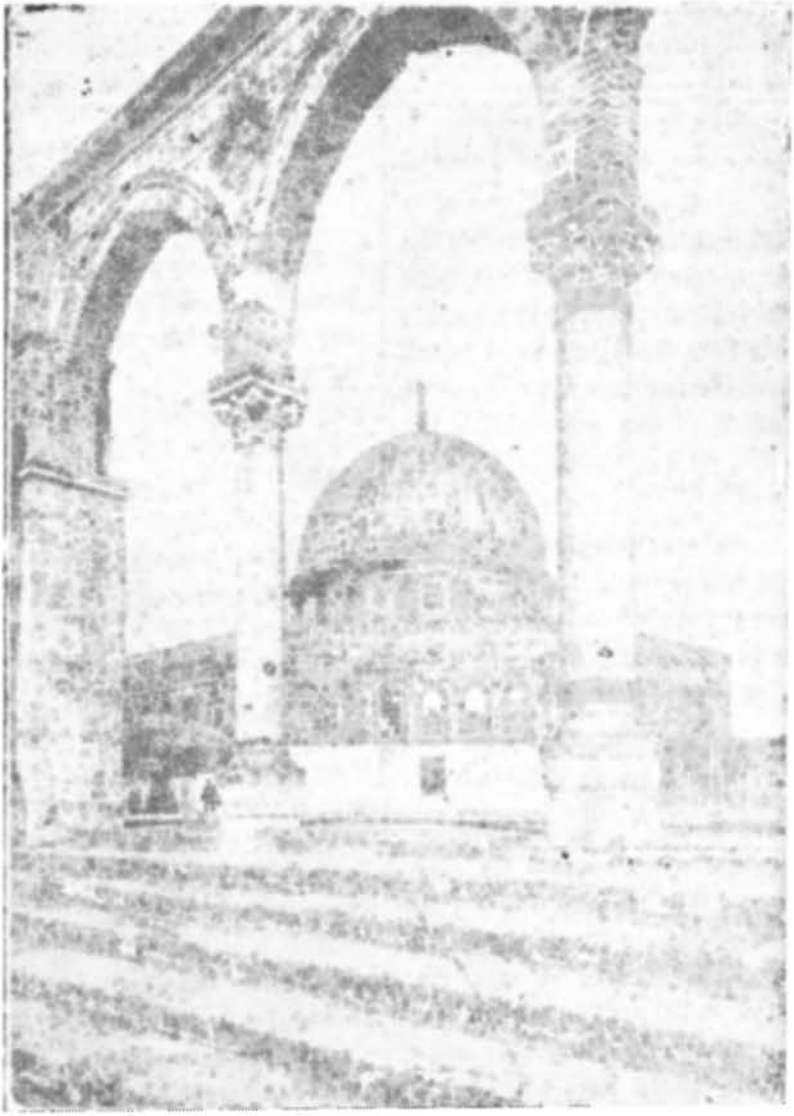

'THE DOME OF THE ROCK,' JERUSALEM.

This is built by the fifth Umayyad Caliph, Abdul Malik, above the Sacred Rock in the years 69—72 A.H. It is on this Rock that Prophet Muhammad placed his foot in the night of Ascent. His foot-print (Qadam Muhammad) may be seen still.

prophet was carried from Macca to the Mosque of Jerusalem. The Quran says :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا
إنه هو السميع البصير » (١ ـ الاسراء)

(Glorified be He Who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (Mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our signs. LO ! He, only He, is the Hearer, the Seer) S. XVII, V. I.

3 — Here is the place of Sacred Rock (Al-Sakhra). It is on this Rock that Prophet Muhammad (May peace be with him) placed his foot when he ascended to heaven.

4 — Prophet Muhammad classed Mecca, Medina and Al-Kuds as of equal value to Muslims.

The old Arabic name for Jerusalem is 'Bait Al-Makdis', but the modern Arabic name for the city is 'Al-Kuds'. Here it was that Solomon built his famous mosque. It is on this site of Solomon's mosque where the Sacred Rock (Al-Sakhra) and the 'Kubbat Al-Sakhra'-Dome of the Rock - are located. Jerusalem first came under the Muslim rule at the time of Umar, in 17 A.H. The enterance of Umar into Jerusalem was a remarkable event of a remarkable man, When he was offered the Church of the Resurrection in which to say his prayers, he refused because this might have lead the Muslims to turn the church into a mosque. Instead he performed his prayers on the entrance steps of the Church.

When Umar asked to be taken to David's mosque, he was first shown the church of the Holy Sepulchre and the Church of Sion. On his insistance that this was not the true place he was finally taken to the site of the mosque. This he recognised by the description given to him by Prophet Muhammad who had been there during his famous night journey. Upon finding the correct place he had it cleared of of all the debris with which it was covered, he then built a simple but large mosque. He also found the Rock scandalously covered with muck and filth and he ordered to be removed by the Nabateans and after have rains had thrice cleansed the Rock, prayers were then given there.

The prestige of Al-Kuds increased during the reign of Umayyad. Mua'uiya even had himself proclaimed Caliph there in 40 A.H. The fifth Umayyad Caliph, Abdul Malik, built the Dome above the sacred Rock in the years 69 72 A.H. A famous Kufic inscription in yellow and blue mosaics above the cornice round the base of the Dome states : "Hath built this dome the servant of Allah, Abdul Malik, Commander of the

PALESTINE
AND
The Muslim World

By A.M. Mohiaddin Alwaye

Palestine, to which the Zionist-Israelites usurped by the help of Imperialistic powers, is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. What really a pity is the fact that those Zionists were able, by cunning and treachery, to reach the hearts of many occidental Christians who back up the Israelites' movement and give them constant aids. There are few points to be unveild before the world in order to bring to light the sinister intentions of Israelites which threaten Arab and the Muslim countries and their Holy lands and disturb the world peace.

What is the danger threatening Arab and Muslim countries ?

The Israelites have a past full of evil and transgression as they have usurped Palestine, dispersed its peaceful inhabitants, desecrated its sanctity, wiped out its mosques and cemeteries, oblitrated its land marks in order to establish a racially fanatic and despotic state. They have a present armed with fire and iron threatening ruthlessly Arab and Muslim countries by their sinister plans to lay their hands on countries stretching from the Nile to the Euphrates or even from the Atlantic Ocean to the Gulf. This has been clearly proved by their agression against the U.A.R. in 1956 and against all neighbouring Arab countries in 1967, with the help of Imperialistic countries and their proclamation that they would not give up the land they have occupied.

On the other hand what about the danger threatening the Holy places of the Muslim world ?

Jerusalem (Al-Kuds) is the second most Holy city of Islam. It is considered next in importance to the Ka'ba' in Macca. The following reasons may help to explain why this is so ?

1— Jerusalem had been the first 'Qiblah' (the place toward which the Muslims turn their face in prayer) of Prophet Muhammad (peace be on him).

2— In the night of 'Ascent' the

hundred, and If there be of you a (steadfast) thousand, they shall overcome two thousand by permission of Allah-Allah is with the steadfast).

Moreover, 'Jihad' is a source of everlasting bliss that can be conferred only upon those shown favour by Allah to serve His creatures, to exalt His word, and to do good on earth. Martyrs have these Muslims been called by Allah. Their habitation is Paradise. They will be with the Saints and Prophets.

They are those from whom Allah has bought their lives and wealth. As a reward, the Garden will be theirs. it is they who achieved the conquests of Islam, set up the cradles of civilisation, and watered the invaded land with their saintly blood. They are the makers of civilisation that purged human souls of evil and promoted culture and knowledge in the world.

How happy are those kept by Allah in store, to render unvulnerable a homeland by their 'Jihad' and to revive a nation, through their martyerdom ! !

(Continued from page 14)

threatening the holy cities in the Hijaz, a wall was built round Madinah by the Buyid Adud al-Dawla. The present wall being built by the Ottoman Sultan Sulaiman the Magnificent. Under the rule of the Turks Madinah continued to lead a quiet life, little heeded by the outside world, a circumstance much facilitated by the fact the holy city could not be entered by non-Muslims.

Madinah possesess no sanctuary venerated from remote times like the Ka'ba; on the other hand it possesess compensation for this of inestimable value in the mosque which encloses Muhammad's grave and is the goal of countless pilgrims. The visiting of this mosque is not obligatory like the pilgrimage to Mecca and also may be undertaken at any time. The part that Madinah and its people played in the history of Islam will never be forgotten, this is ensured by the fact that here lies buried the most wonderful man who ever lived. Never was a man like him and never there will be. Muhammad, the chosen and last prophet of Allah.

scattered here and there, in the desert, without any unity or a binding tie.

When they were chosen by God to preaah his message - Islam - He endowed them with a spirit of His own that united the disparate and brought all to a state of fraternity and harmony.

« لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولـكن الله ألف بينهم » .

(If thou hast spent all that is in the earth thou couldst not have attuned their hearts, but Allah hath attuned them).

Then God fortified this spirit in them with the belief in Predestination. Thus He said to his Prophet, Peace be upon him :

« قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » .

(Say : Naught befalleth us save that which Allah hath decreed for us).

Furthermore, God has secured the servant who strives in His way the acquisition of one of two good things - either victory entailing glory to Allah, freedom to his country, and human dignity, or martyrdom that perpetuates his good deeds on earth and immortalizes him in the life hereafter - in Paradise.

With this spirit, the Muslims, numbering about 300, set out to 'Badr' against about 1000 of the most hard-boiled disbelievers of Qurashite stalwarts and killed them in the valley of 'Badr'. Thus, the little company victoriously came back to Yethrib, with captives and booty, whereas the mighty host returned to Mecca, defeated and with heavy casualties.

Again, with this spirit emanating from the Spirit of Allah, the Bedwins of the Peninsula set out from desolate valleys and forlorn desert-land, small in number, and lacking in arms, to the two vast empires that then reigned supreme, and brought down to ruins the thrones of both Chosroes and Caesar.

With this overwhelming fervour possessed by these valiant heroes, s riving in the way of Allah, Port Said stood firm in battle against 160,000 of the Crusaders' descendants. Similary, Egypt and her sister-countries now steadfastly face the Israeli aggression launched against them in collusion with the Americans and British.

This Divine Spirit that radiates in the hearts of these devo'ed warriors : firmness, valiance and self-sacrifice, renders their might double the power of their enemies.

« فإن يـكن منـكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يـكن منكم ألف يغلبـوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

(So if there be of you a steadfast hundred, they shall overcome two

and this inactive volcano will suddenly break out. A formidable fire is kindled in the breast of every Muslim bringing about an eruption that destroys and sweeps away everything in its way.

Thus we may interpret the motive of this common Islamic outcry that unanimously arose in the whole Islamic world to condemn imperialist conspiracies against Egypt and to express an ardent desire to repel the aggress or, no matter how heavy the sacrifices in souls and money may be.

Again we may similarly understand this Arab common anger that was given rise to by the treacherous and brazen-faced imperialist attack upon Egypt and Syria and the collaboration of Arabs to supply these two sister-countries with men, and arms in battle fields and with political and moral support in the world Forums.

This sympathy on the part of the Muslims towards Egypt, and this wrath expressed by the Arabs for that calamity that befell Palestine cannot be ascribed to a fit of racism or to any considerations of neighbourhood nay, it is due to this religious ardour that has been enjoined by God in his Holy Book, and that has been taught by the Messenger in his Sunna, and that has been delineated by the Muslim jurisprudents.

Jihad, being analogous to the other doctrines of Islam, is based upon Qurânic text. Some chapters in the Qurân, such as "Repentance" and "Spoils of War", deal with all items that constitute the Laws of War in Islam.

One of the most subtle morals of the Qurân is that it does not mention any rules governing the way Muslim captives should be treated. This is confined to enemy captives, as the Qurân commands steadfastness and warns Muslims against turning their back in battle except in situations necessitating resort to man-euvring or joining another company.

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله » .

(O Ye who believe ! When you meet in battle those who disbelieve, turn not your backs to them.

Whoso on that day turneth his back to them, unless manoeuvring for battle or intent to join a company, he truly hath incurred wrath from Allah).

As regards the secret of the great power that characterised those who very truth, strove in the way of Allah, this, in is due to Islam and to Islam alone.

Before Islam, the Arabs were mere shreds of insignificant forces,

resists his own tempting desires; if he does not guard pleaces of unrest he watches over his conscience. Since the Muslims' consciousness was awakened by the quakes of World War I, Muslims realized that their enslavement resultant from their subjugation to imperialism has been due to their reliance only on their lawful rights without power; and mere on words without deeds.

This represents a point of weakness, though weakness is alien to the Arab's nature, and conflicts with the quintessence of the Muslim. Hence, they, openly and secretly sought, from beyond artificial boundaries and super-imposed barriers, to achieve independence that liberates, then fraternity that unites, then unity that consolidates, then might that serves as a shield for defence.

These difficult and exhausting stages that lead to liberty and power cannot be attained without altruistic 'Jihad' that has been enacted by the Law of God and that goes in harmony with the nature of the Arabs.

This altruistic 'Jihad' decrees the donation of wealth, and self-sacrifice for the sake of a noble cause as to exalt the Word of God, to honour human dignity, or to realize freedom of the mother-land.

'Jihad' is a duty obligatory on every able Muslim if the Muslims face a common danger that cannot be repelled by a single nation, as is the case with imperialism and Zionism. The performance of such a duty, being similar to the Five Pillars of Islam, is not restricted to a particular time, land or race. Yet, it differs in one respect : a Muslim may, either wholly or partially, neglect performing these religious practices; he may be remiss about his daily prayers; he may not observe fasting; he may be lax in paying 'Zakah' he may not care to do the pilgrimage to Mecca; he may even turn a deaf ear to anyone who preaches him to perform such duties.

This weakness may be ascribed to the fact that the performance of these duties is based on the relation between the Muslim and his Lord.

Contrariwise, Jihad, as a precept is based on the relations between himself and his Lord, his country, his children, his riches, his heritage, and his aspirations. Hence, Jihad remains, despite the idle passage of time and the grossness of negligence, alive. It is like an inactive volcano-calm but not extinct; with its fire dormant and invisible. However, this is not everlasting. Just an insult directed against a religion, or some aggression launched against a country

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

SAFAR 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MAY 1967

JIHAD : The Equipment of Islam
AND
the strength of Muslims

By : Ahmad Hassan Al-Zayat

When will the Muslim lift up the banner of 'Jihad', if he does not perform this sacred duty to-day ? His sanctuaries are being intruded upon by disbelief together with Zionism ; His homeland is a target for an avalanche of imperialist disasters ; His brethren in Palestine have been ejected from their land and deprived of their riches by some imperialistic Christian States that therein admitted Juda's descendants who made the Cross for Messiah ; His people in the Arab countries and in the Islamic world, still grappling with many ordeals and complex ambitions, is crying out to heaven and vehemently protesting against oppression, and revolting, to one man, for their usurped rights-with no more response on the part of Western conscience than that received by a whiff of a gentle breeze from an adamant rock.

In reply ; we affirm that the believing Muslim still keeps in mind that his religion signifies both Qur'an and power, that his history is both conquest and civilisation, that his Shariah (Law) governs both his spiritual and secular life, that his war is both 'Jihad' and martyrdom, that his state is both a 'Caliphate' and Leadership. He is ever striving (jihad) in the way of Allah, a combatant constantly practising 'Jihad' in all its perspectives. If he is not resisting his enemy, then he

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١٢٩	الجهاد عدة الإسلام وقوة المسلمين للأستاذ أحمد حسن الزيات
١٣٣	بيان إلى الأمة العربية من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر
١٣٦	مثالب اليهود كما يصورها القرآن الكريم للأستاذ محمد محمد المدنى
١٤٠	دور الأزهر فى معركة المصير للأستاذ حسن جاد
١٤٥	واجب الشعوب الإسلامية للأستاذ على العمارى
١٤٨	زعماء الخيانة والغدر للأستاذ أحمد مهنا
١٥٠	رواسب الكفر تركزت فى بنى إسرائيل للأستاذ عبد اللطيف السبكى
١٥٤	أبعاد معركة ... لها ما بعدها للأستاذ محمد النادى البدرى
١٦٠	بإعاننا ننتصر للأستاذ محمد عبد العزيز البتشتى
١٦٣	قرارات حكماء صهيون للأستاذ محمود محمد شبكة

الصفحة	الموضوع
١٦٦	دور للمثل العليا فى المرحلة الحالية للأستاذ محمد الأحمدى أبو النور
١٧٠	قراءة القرآن بالألحان للأستاذ لبيب السعيد
١٨٥	قضية ترجمة القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
١٨٩	شعراء عرفتهم : عبد الحميد الديب - ١ - للأستاذ الدكتور عبد الرحمن عثمان
١٩٤	استقلال الشريعة الإسلامية عن القانون الرومانى ومنطق اليونان الدكتور محمد مختار القاضى
١٩٩	المكتبات - ٢ - للأستاذة سميرة عبد المنعم
٢٠٣	الأزهر للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٢٠٩	الكتب : المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين -٧- للأستاذ محيى الدين الألوائى
٢١٦	أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Jihad : The equipment of Islam and the strength of muslims . . .	A. H. Al - Zayat]	1
2 — Palestine and the Muslim World	A. M. Mohiaddin Alwaye	5
3 — Al - Madinah	Raschid Al-Ansari	11
4 — Joint Statement	Grand Sheikh of Al-Azhar and Pope Kyrollos VI	15

(يظهر العدد القادم فى جمادى الأولى ـ أغسطس)

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ جمادى الأولى ١٣٨٧ هـ ـ أغسطس سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر من وحى المعركة

بقلم
أحمد حسن الزيات

صليبية تاسعة مع الفارق

شتان بين الغزوات الصليبية الثمان التى شنتها أوربا النصرانيـــة على الشرق المسلم فى مدى قرنين من العصر الوسيط ، وهذه الصليبية التاسعة التى تشنها أمريكا وأوربا على فلسطين فى هذه الأيام من عصرنا الحديث ! تلك غزوات كان مبعثها الفروسية المسيحية والعصبية الدينية صدرت عن الإيمان وابتغت مرضاة المسيح، وهذه غزوة بعثتها اللصوصية الدولية والطاعية الدنيوية فصدرت عن الكفر وابتغت مرضاة يهوذا ! ويهوذا هو اليهودى الذى باع المسيح إلى عدوه بدوانق معدودة قبل أن يصيح الديك ! وهو الذى روى بالدم المسفوح شجرة الصليب فأثمرت العذاب للناس والخراب للأرض ، ولا يزال يهوذا المسيح ينافس فى الشر إبليس آدم : يبغى الغوائل لأتباع عيسى كما ينصب الحبائل لأتباع محمد ، فلكل مصلح من يديه صليب ، ولكل نهضة من وساوسه نصيب ، ولكل أمة من دسائسه فتنة !

ومن أعجب الأمور أن تتعاون اليوم دول النصرانية على أن تجعل صانع الصليب سادنا لقبر المسيح وكاهناً لكنيسة القيامة !

إن نكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطتا على كل حاسة وغلبتا على كل عاطفة ، فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن، لكن الكلام هواء، والبكاء ضعف، والمنى أباطيل ، والمهادنة غش ، والمفاوضة عجز ، فلم يبق إلا أن نسكت لنعمل ، وندبر لننفذ ، ونتقوى لنسود ، ونتسلح لننجح ، ونقتل لنحيا ، ونظلم لنحترم .

إن من علامات الساعة أن يتشجع الإسرائيلي فيحمل سلاحا ويشهد حرباً ويحرز نصراً ويحتل أرضاً !

وإن من علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك إلى الثكنة، ومن الدكان إلى الميدان ليحارب العرب على فلسطين ، ويثأر للفرنج من صلاح الدين !

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الأمريكان وخديعة الإنجليز ، فإن الثعلب يكفيه أن يشم ريح الأسد من بعيد ليجحر ، وإن الفأر يكفيه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط !

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب ، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد !

الفدائية

إن مصر وأخواتها تملك العناصر الجوهرية للنصر وهى حسن الاستعداد وقوة الاعتماد وشدة الكراهية للعدو ، ولكنها تملك أيضا عنصرا رابعا لا يتيسر امتلاكه لأى شعب إلا إذا ارتفعت الوطنية فى نفوس أفراده إلى مقام العقيدة الدينية الصوفية فيتحد وجود الفرد بوجود الشعب ، ووجود الشعب بوجود الوطن ، وذلك العنصر هو الفدائية الشاملة التى تنتظم الفرد والأسرة والأمة والحكومة والدولة ، فيكون كل واحد من هؤلاء فداء ضروريا للآخر .

والفدائية فى سبيل الوطن أو الدين أدل على خلوص القلب وصراحة الإيمان من الاستشهاد فى سبيلهما بالجهاد ، لأن الفدائى يبذل ولا يطمع فى العوض ، ويضحى ولا يفكر فى الثواب . كل سعادته أن يشعر وهو يسبل عينيه على آخر شعاعة من نور الدنيا أن نفسه مغتبطة لأداء واجبه ، مطمئنة إلى لقاء ربه .

أما المجاهد فهو يبيع ماله ونفسه ليشترى

من الله الجنة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » فالتضحية فى ذهنه بيع وشراء وعمل وأجر ؛ على أن الفدائى الذى يقتل فى سبيل شعبه ، تكتب له شهادة المجاهد فى سبيل ربه .

روح الله

روح الله هو ذلك السر الذى لا يزال كامناً فى الجهاد والاستشهاد والإيثار لم ينفك أبداً عن مسلم ، ولم يخذله أبداً فى حرب ، كان يتمثل له فى صور الملائكة تقاتل معه ، ويتحقق عنده فى الوعد الصادق من الله بالنصر أو الجنة ، ثم يقويه فى نفسه على توالى الأعقاب والأحقاب الانقياد لله وللرسول . وقد جمع الله تدبير الحروب فى آيتين من كتابه فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا » ، وفى قوله : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا » ؛ ثم الإيمان بالقضاء والقدر ، وقد قال الله لنبيه : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . فالمؤمن بمقدور الله يرمى بنفسه فى وجه الموت لا يبالى أن يقتل أو يقتل ، لأنه فى إحدى الحالتين سيظفر بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة . وكان فى أكثر هجماته يصيب ، وفى أقلها يصاب ولذلك قالوا عن عقيدة وتجربة : اطلب الموت توهب لك الحياة ، والحذر لا ينجى من القدر .

الله أكبر

الله أكبر جملة تضمنت سر الاعتقاد وسر الجهاد وسر الفداء وسر النصر ، ولاشتمالها على هذه الأسرار كانت ركناً جوهرياً فى الصلاة ؛ يدخل بها المصلى إلى الله ، ثم يرددها فى ركوعه وسجوده ، وفى قيامه وقعوده ، ثم كانت هتافاً حماسياً فى الحرب ، يصيح بها المجاهد عند الهجوم فيكبر فى نفسه النصر ، ويصغر فى عينه الخطر . وكان غالباً ما يكون هذا الهتاف : الله أكبر ، فتح ونصر . فإذا جاء نصر الله والفتح ، انقلب هذا الهتاف القوى نشيداً قومياً ينشده المجاهدون فى كل مسجد ، ويردده المصلون فى كل عيد ، وهو : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

وقوة هذه الكلمة آتية من اعتقاد المسلم بأن الله أكبر من كل كبير ، وأقدر من كل قدير ، وأعلى من كل على ، فهو فى حمى هذا الاعتقاد يهاجم الجيش الكثيف ولا يخشى ، ويقتحم الخطر الداهم ولا يبالى ، وكيف يخشى ضررا أو يبالى خطرا ، والله الذى تفرد بالسلطان الأعظم ، واختص بالقدرة العليا يحميه مَن وراءه ويكفيه من أمامه .

أضعف الإيمان

قال الرسول الكريم صلوات الله عليه : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان .

ودول العالم اليوم وأممه - وفيهم المؤمنون بصاحب هذا الحديث - يقنعون أمام المنكر الأمريكى الإنجليزى الصهيونى بأضعف الإيمان؛ فيطوون صدورهم على السخط ، وقد يحركون ألسنتهم بالإنكار ، ومن هؤلاء من يستطيعون دفع العدوان بالقوة ، ولكنهم يتلكأون ويترددون لغرض أو مرض !

وكفاحك المنكر بالقلب أو باللسان - وأنت قادر على كفاحه باليد - نقيصة من نقائص النفس البهيمية لا تخرج عن الجبن أو الخبث .

على أن ضمائر الشعوب أحيا من ضمائر الدول ، ومن المتوقع أن هذا الإنكار الشعبى باللسان سينتهى إلى إنكار دولى باليد ، وحينئذ يطمئن محبو السلام والمدنية على أن الدنيا لا تزال بخير ؟

أحمد حسن الزيات

وعد الله بنصر محقق

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

« وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

« نصر من الله وفتح قريب » .

"لا" التي قيل إنها زائدة، وليست كذلك

درء مظاهر من الجرأة في تفسير الكتاب العزيز

لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

« القسم الخامس »

« ماذكرت فيه أداة النفى مرتين ، وجاءت ثانيتهما مع ثانى الأمرين فى مقام نفى التسوية بينهما » .

وذلك فى ثلاثة مواطن :

(الأول) قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » . (٣٤ فصلت) .

(الثانى) قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، ومايستوى الأحياء ولا الأموات » (١٩ - ٢٢ فاطر) .

(الثالث) قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » (٥٨ غافر) .

الموطن الأول : آية فصلت .

أقوال العلماء فى الآية :

قال كثير من العلماء : إن (لا) الثانية فى هذه الآية زائدة لتأكيد النفى الذى أفادته (لا) الأولى ؛ فإن المعنى على نفى الاستواء بين الحسنة والسيئة ، وليس على نفى استواء الحسنة فى نفسها ، ونفى استواء السيئة فى نفسها كذلك ؛ فإن الفعل من الاستواء لا يكتفى بفاعل واحد كما فى اختصم واصطلح واشترك ، فمعنى الآية : ولا تستوى الحسنة والسيئة كما فى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير » ، وقوله سبحانه : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؛ فإن المعنى واضح أنه على نفى مساواة الأعمى للبصير ، ونفى المساواة بين أولى العلم وغير أولى العلم .

وقد اقتصر النيسابورى وأبو السعود على هذا القول : أن (لا) الثانية زائدة فى الآية لتأكيد النفى .

والفخر الرازى شرح معنى الحسنة ومعنى السيئة ، ومثل لكل منهما ، ولكنه لم يذكر شيئاً ، يبين به الحكمة فى تكرير النفى فى الآية ، كأن زيادة (لا) الثانية فيها أمر مفروغ منه فى رأيه .

وقد حكاه أحد رأيين ، كل من ابن جرير وأبى حيان والزمخشرى .

أما الرأى الآخر - الذى قرره كل منهم فى الآية فسنورده فيما يلى :

رأى الطبرى :

قال ابن جرير - فى بيان السر فى تكرير

النفى ـ فى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » ما نصه : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » فكرر (لا) ، والمعنى: لاتستوى الحسنة والسيئة ، لأن كل ما كان غير مساو شيئاً ، فالشىء الذى هو له غير مساو ، غير مساويه ؛ كما أن كل ما كان مساويا لشىء ، فالآخر الذى هو له مساو ، مساوله ؛ فيقال : فلان مساو فلانا ، وفلان له مساو ؛ فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ، ولا فلان مساويا له ؛ فلذلك كررت (لا) مع السيئة ؛ ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا » .

ثم حكى الرأى الآخر ـ وهو رأى الزيادة ـ عن بعض نحاة البصرة فقال : (وقد كان بعض نحوى البصرة يقول : يجوز أن يقال: الثانية زائدة (كما يقول قائل : لا يستوى عبد الله ولا زيد) ، يريد لا يستوى عبد الله وزيد (١) فزيدت (لا) توكيداً ، كما قال : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون » أى لأن يعلم ؛ وكما قال : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » اهـ (١) .

ومعنى الوجه الأول الذى بسطه ابن جرير هنا ، واختاره رأياً له ، وصدر به الكلام : أن (لا) الثانية فى آية فصلت : « ولاتستوى الحسنة ولا السيئة » ليست زائدة للتوكيد ، كما يرى بعض نحاة البصرة ، ولكنها كررت ـ أى ذكرت ـ مع السيئة لإفادة نفى مساواة السيئة للحسنة ، كما أن (لا) الأولى أفادت نفى مساواة الحسنة للسيئة ؛ فكأن الآية تريد أن تقول : لا تساوى الحسنة السيئة ، ولا تساوى السيئة الحسنة ؛ فحذف من كل من الجملتين ما صرح به فى الأخرى .

هذا هو ما يريده الإمام الطبرى ، وهو عجيب جدا ؛ وغريب أن يثبت مثله تفسيرا للقرآن الكريم !

على أن الآية القرآنية التى معنا لم تقل : ولا تساوى الحسنة ولا السيئة ، حتى يكون هناك وجه ـــ ولو غير وجيه ـــ لذلك التخريج العجيب ؛ وإنما الآية تقول : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » بصيغة الافتعال ، التى هى صريحة فى اشتراك الفاعلين، فى معنى الفعل على سواء ، والتى يتهافت معها من غير شك ـــ ما يراه ابن جرير ، معنى للآية الكريمة ؛ إذ يصير الكلام ـ على رأيه ـ

(١) العبارة فى الأصل ظاهر أنه وقع فيها سقط ، فإن نصها ـ بعد قوله : وقد كان بعض نحوى البصرة يقول: يجوز أن يقال : الثانية زائدة ـ هو : (يريد لا يستوى عبدالله وزيد ؛ فزيدت لا توكيداً) ، وهى بهذا الوضع غير واضحة المعنى ، فلزم تحريرها على ما سطر .

(١) تفسير الطبرى جـ ٢٤ صـ ٧٥ الطبعة الأولى : بولاق .

هكذا : ولا تستوى الحسنة والسيئة ، ولا تستوى السيئة والحسنة ، وهذا شيء لا يمكن قبوله بحال .

وإذا كان الشر بعضه أهون من بعض ، فالقول بزيادة لا الثانية فى هذه الآية ، أهون من القول بأصالتها أو بتكريرها ، على الوجه الذى اختاره ابن جرير .

رأى أبى حيان :

بعد أن أورد أبو حيان الوجه الأول فى (لا) أنها زائدة ، قال : « فإن أخذت الحسنة والسيئة جنسا » (١) لم تكن زيادتها كزيادتها فى الوجه الذى قبل هذا ؛ إذ يصير المعنى ولا تستوى الحسنات ، إذ هى متفاوته فى أنفسها ، ولا السيئات لتفاوتها أيضا اهـ ٢) .

وهذا معناه : أنه على هذا الوجه الثانى لا تكون (لا) الثانية زائدة للتوكيد ؛ بل هى فى موقعها مثل (لا) الأولى ، تؤدى ما تؤديه هذه ؛ وذلك أن الحسنة جنس له أفراد متفاوتة ، وكذلك السيئة جنس متفاوت الأفراد ، فقوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة » أريد به نفى التساوى بين أفراد الحسنة نفسها ؛ ثم قال سبحانه : « ولا السيئة » ، أى أنها لا تتساوى أفرادها أيضاً ، فهى متفاوتة كذلك . وهذا وجه وجيه جدير بالترجيح . غير أنه ينبغى أن يرجع فى ذلك أيضا إلى « الكشاف » ، فقد بسط الزمخشرى هذا الرأى وبينه بيانا شافيا .

وهذا الرأى هو الذى سنعتمده ونسير عليه فى هذه الآية وفى الآيات الأخرى من سورة « غافر » وسورة « فاطر » ؛ وذلك على الرغم من أن صاحب الرأى « الزمخشرى » لم يلتزمه فى آيات هاتين السورتين ، بل إنه لم يعرض له فيهما بكلمة .

رأى الإمام الزمخشرى :

قال رحمه الله - فى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » : ما نصه : يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما ، فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان ، فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك ؛ ومثال ذلك : رجل أساء إليك إساءة ، فالحسنة أن تعفو عنه ؛ والتى هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ؛ مثل أن يذمك فتمدحه ، ويقتل ولدك فتفتدى ولده

(١) هذه العبارة وقع فيها تحريف ، وكان أصلها هكذا : « فإن إحدى الحسنة والسيئة جنس » لم تكن زيادتها إلخ وهو شيء لا معنى له . وقد وردت العبارة مصححة فى التفسير المختصر المسمى بالنهر لأبى حيان أيضا وهو المطبوع بهامش التفسير الكبير : البحر المحيط جـ ٧ ص ٤٩٥ .

(٢) تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص ٤٩٨ .

من يد عـــدوه ، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عـدوك المشاق مثـل الولى الحميم مصافاة لك ا هـ[١] .

هذا هو الفهم الجيد ، والفقه الأصيل ، الذى يجب أن يحتذى قدر الطاقـة فى تفسير القرآن الـكريم للوقوف على بالغ الحكمة فى أساليبه وتعرف أسرار البلاغة فى آياته .

« الوجه المختار فى آية فصلت »

إن المعهود فى اللغـة العربية ـ وهو الذى تقضى به أصولها ـ أنه فى مقام نفى التسوية بين أمرين ـ تسلط أداة النفى على فعل الاستواء ، ثم يذكر الأمران بطريق عطف أحدهما على الآخر ، أو بصيغة التثنية .

(فمن الأول) قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير » ، « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة » ، « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . والاستفهام فى هـذه الآية إنـكارى بمعنى النفى .

(ومن الثانى) قوله عز وجل : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » : وقوله سبحانه : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا » .

وذلك أن الاستواء من الأفعال التى لا تكتفى بفاعل واحـد ، كالاختصام والاصطلاح والاقتتال ، كما قال ابن يعيش (١) .

ولذلك يجب ـ عند الجرى على مقتضى الظاهر ـ أن يقتصر على أداة نفى واحدة ، وهو ما جاءت عليه الآيات التى قدمناها هنا .

إذا علم هذا فنى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، لو كان المراد مجرد نفى الاستواء بين الحسنة والسيئة » ، لكان الأصل ـ وهو مقتضى الظاهر أن يقال : «ولا تستوى الحسنة والسيئة » فالعدول عن هذا الأصل لابد أن يكون لحكمة ، ولا يكفى فى ذلك أن يقال : إن (لا) زيدت لتأكيد النفى .

هذا إلى أن هذه الزيادة تنافى بطبيعتها المعنى المراد ، ما دام هذا المعنى هو مجرد نفى التسوية بين الحسنة والسيئة ؛ فإنها تعطى صورة لا يستقيم بها التركيب ليؤدى ذلك المعنى .

نحن لا نستطيع أن ننكر أن الآية تريد نفى استواء الحسنة والسيئة ، أى نفى مساواة السيئة للحسنة فى الأحكام والآثار ؛ فإذا كان هذا هو كل ما أريد إفادته بالآية ، فلماذا لم تقل حينئذ : « ولا تستوى الحسنة والسيئة » كما جاءت آيات كثيرة بهذا الأسلوب ؟

إن مجىء الآية فى ذلك الأسلوب الخاص الذى كررت فيه (لا) ، لابد أن يكون له

---

[١] تفسير الـكشاف جـ ٢ صـ ٣٣١ .

(١) شرح المفصل جـ ٨ صـ ١٣٧ .

حكمة خاصة لا تفى بتجليتها تلك الكلمة الهينة البسيطة ، التى لا تحمل كبير معنى ، نعم لا يكفى فى ذلك أن يقال : إن كلمة (لا) زيدت لتوكيد النفى ؛ فإن هذه مقالة كثر استخدامها والالتجاء إليها ، عند ما تنسد أمام قائلها وجوه القول السديد .

إننا لا نطمئن مطلقا إلى أن يكون مجرد نفى الاستواء بين الحسنة والسيئة ، هو كل المراد من الآية ؛ ولا نظن إلا أن يكون المراد أكبر من ذلك ؛ وحكمة القرآن فى بلاغته وبراعته وسمو أساليبه ، هى التى تحملنا على القول بأن المراد من الآية لابد أن يكون أكبر من ذلك وأعظم . ومن أجل ذلك لا نقول : إن (لا) الثانية زائدة لتأكيد النفى كما يقولون ؛ بل إنها كررت لإفادة نفى استواء السيئة بعد ما نفى بالأولى استواء الحسنة .

فالمقصود بالآية نفى استواء أفراد الحسنة نفسها ، ثم نفى استواء أفراد السيئة كذلك ؛ فإن لكل من الحسنة والسيئة أفرادا متفاوتة فى القوة والأثر .

وإذا كان الأمر كذلك ، وثبت أن أفراد الحسنة ذاتها غير متساوية ، بل هى متفاوتة فى الآثار والأحكام ، وأن أفراد السيئة كذلك ثبت بطريق الأولى عدم التساوى بين الحسنة والسيئة .

وهذا هو المعنى الذى أرشد إليه الإمام الزمخشرى فى تفسير الآية .

« الموطن الثانى آيات فاطر »

قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحيـــاء ولا الأموات » . (١٩ - ٢٢ من سورة فاطر) .

اشتملت هذه الآيات على ثمانية أشياء ، متقابلة مثنى : الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والأحيـــاء والأموات . وقد ذكرت أداة النفى فى أول كل متقابلين ؛ وليس فى هذا كلام ، ليس القول بزيادة أداة النفى فى هذه الآيات ، مقصودا به هذه الأداة . التى فى أول كل متقابلين ؛ فليست « لا » فى قوله تعالى : « ولا الظلمات » وقوله : « ولا الظل » هى المقصودة بالقول عند من يقول بالزيادة، لأنها فى موضعها ، مفيدة معناها الأصلى ، الذى هو النفى ؛ فهى ليست زائدة فى المعنى ولأنها تفيد الفصل بين كل متقابلين . حتى لا يفهم أن نفى التساوى الوارد فى هذه الآيات ، مقصود به نفى التساوى بين الأشياء الثمانية جملة وليس هو بين كل اثنين منها . إنما الكلام فى « لا » الثانية الداخلة على المقابل الثانى . فى قوله تعالى : « ولا النور ، ولا الحرور ، ولا الأموات » .

« لا » هذه هي التي قال العلماء إنها زائدة لتأكيد النفي ، فقد كرر النفي بها في الآيات الثلاث ، بعد الآية الأولى في قوله تعالى : « ولا الظلمات و « لا » النور ، ولا الظل و « لا » الحرور ، وما يستوى الأحياء و « لا » الأموات » .

وقد اتفقت كلمة أولئك العلماء أن « لا » هذه زائدة إلا ما حكاه أبو حيان عن ابن عطية كما سيأتي قريبا .

حتى الزمخشري صاحب الرأي الوجيه ، الذي قدمناه له في آية « فصلت » : ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ـ لم يسر على ذلك الرأي في الآيات التي هنا في « فاطر » ؛ بل قال : إن « لا » هنا لتأكيد معنى النفي ، كما قال غيره من العلماء . وهذا نص عبارته :

« فإن قلت » : « لا » المقرونة بواو العطف ما هي ؟

« قلت » إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي .

« فإن قلت » هل من فرق بين هذه الواوات ؟

« قلت » : بعضها ضمت شفعا إلى شفع ، وبعضها وترا إلى وتر . ا هـ (الكشاف جـ ٢ ص ٢٤٢) .

هذا ـ وأبو حيان ـ بعد أن أبدى رأيه أن « لا » زائدة لتأكيد معنى النفي ـ حكى عن « ابن عطية » رأيا غريبا من قبيل ما قدمناه عن الطبري في آية « فصلت » ، وقد بينا هناك وجه ضعفه وما يمكن أن يرد به عليه .

قال أبو حيان ؛ وقال ابن عطية : دخول « لا » إنما هو على هيئة التكرار ، كأنه قال : « ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ، ودل مذكور الكلام على متروكه » ا هـ (البحر المحيط جـ ٧ ص ٣٠٨) .

ومعنى هذا أن « لا » الداخلة على الثاني من المتقابلين ليست زائدة لتأكيد النفي ، وإنما هي لنفي مساواة هذا الثاني للأول ، بعد ما نفيت مساواة الأول للثاني ، ويكون تقدير الآيات على هذا : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، ولا الظل والحرور ، ولا الحرور والظل ، وما يستوى الأحياء والأموات ، ولا الأموات والأحياء . وقد قلنا فيما تقدم : إن هذا شيء لا ينبغي أن يفسر بمثله القرآن الكريم .

وقد رد أبو حيان نفسه هذا الرأي بقوله : « وما ذكر غير محتاج إلى تقديره ؛ لأنه إذا نفى استواء الظلمات والنور ، فأي فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانيا ، وادعاء محذوفين » ؟ ا هـ أي ومثل ذلك يقال في بقية المتقابلات .

* * *

الوجه المختار فى آيات فاطر :

إن الآية الأولى من تلك الآيات الأربع ، وهى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير » لم يكرر فيها النفى ، بل جاءت على مقتضى الظاهر ، فقد اقتصر فيها على نفى واحد هو الذى سلط على فعل الاستواء ، من غير أن يعاد ذلك النفى مع المقابل الثانى ؛ لأن المقصود هو نفى مساواة الأعمى للبصير .

لم يقل فى الآية : وما يستوى الأعمى ولا البصير ، لأن هذا يفيد عدم استواء الأعمى فى نفسه ، وعدم استواء البصير فى نفسه كذلك ؛ وهو غير المعنى المراد ، وحينئذ لا يكون التركيب الذى يصرح فيه بالنفى فى المقابل الثانى صحيحاً ، ولا يقع مثله بالضرورة فى القرآن الكريم ، ما دام المقصود هو مجرد نفى التساوى بين الأمرين المتقابلين لأن فعل الاستواء لا يكتفى بفاعل واحد ، كما نص على ذلك العلماء .

« قد يقال » : كيف يحكم بأن ذلك لا يقع مثله فى القرآن ، مع أنه قد وقع فى قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل » ، (١٠ من سورة الحديد) . فإن الفعل « يستوى » فى هذه الآية لم يذكر له إلا فاعل واحد ؟

« والجواب » أن المراد فى الآية ، نفى الاستواء بين من أنفق وقاتل قبل الفتح ، ومن أنفق وقاتل بعده ، لكنه طوى هذا المقابل الثانى ، لدلالة ما ورد فى الآية عقيب ذلك عليه ، وذلك قوله تعالى : « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » .

هذا هو الحال فى الآية الأولى من تلك الآيات الأربع .

أما بقية هذه الآيات ، فإنا لا نرى أن (لا) فيها زائدة ؛ وإنما هى فيها على نحو ما قال « الزمخشرى » فى آية « فصلت » : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

وذلك أنه إذا كان فيها تقابل بين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، وكان مراداً أن ينفى الاستواء بين كل متقابلين ؛ فإن هناك معنى آخر يقتضيه التصريح بالنفى فى ثانى المتقابين ، وهو معنى لا يعارض ذلك المراد ، بل يستتبعه بالطريق الأولى .

وذلك أن الظلمات الحقيقية الحسية ، متعددة ، متفاوتة بالقوة والضعف ، والشدة والخفة .

وكذلك الظلمات المعنوية التى جعلت تلك تمثيلا لها ، وهى الضلالات ـ هى أنواع متفاوتة من غير شك .

وكل من النور الحسى المعهود ، والمعنوى الذى هو الهداية والرشاد ، له أفراد متفاوتة أيضاً بالقوة والضعف .

ومثل ذلك يقال فى الظل والحرور ، فهما مختلفان حسيا شدة وخفة ، أى أن لكل منهما أفرادا متفاوتة فى ذلك ، وقد قال العلماء: إن المقصود بهما فى الآية ، الإشارة إلى المصير الأخروى، وما يلقاه الإنسان فيه من الجزاء؛ فهما تمثيل للثواب والعقاب ، وكل من الثواب والعقاب درجات كثيرة متفاوتة .

وكذلك الحال فى الأحياء والأموات ، وما جعل الأحياء والأموات تمثيلا لهم ، وهم المؤمنون والكفار ، كل منهم ذو مراتب ودرجات .

وإذا كان ذلك كذلك ، أمكن أن يحمل نفى الاستواء فى كل واحد من هذه المذكورات فى الآيات ، على أنه نفى استوائه فى نفسه ، أى نفى تساوى أفراده ذاتها ؛ ويكون ذلك أولى وأرجح مما قيل من زيادة « لا » ؛ لأنه يحفظ لها أصالتها ، ويوفر عليها معناها ، وذلك خير من الإلغاء والإهمال .

ثم يلزم من عدم تساوى أفراد النوع الواحد ، أو الجنس الواحد ، عدم التساوى بين النوعين ، أو الجنسين ، بالطريق الأولى

الموطن الثالث آية غافر :

هى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » . (٥٨ غافر) .

قد اتفقت كلمة العلماء ، على أن هذه الآية وقع فيها التقابل مرتين : (الأولى) بين الأعمى والبصير ؛ (والثانية) بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المسىء ، وأن المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات الفريق المحسن ؛ فكأنه قيل : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا المحسن والمسىء » .

وقد جاءت هذه الآية على أسلوب يختلف عما جاءت عليه آية فصلت : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » ، وآيات فاطر : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

فآية فصلت دخل فيها النفى على المقابل الثانى ، بعد دخوله على فعل الاستواء . وقد عرفنا ما قاله العلماء فيها ، وما رأيناه الوجه المختار من ذلك .

وفى آيات فاطر ، دخل النفى فيما بعد الآية الأولى على المقابلات الثوانى ، بعد دخوله على المقابلات الأوائل ، وفى الآية الأولى منها ، قد اكتفى بالنفى الداخل على فعل الاستواء .

أما آية غافر التى معنا ، فإن التقابل الأول فيها جاء بنفى واحد ، هو الداخل على فعل الاستواء ، كما فى الآية الأولى من فاطر ؛ وهذا هو الأصل ، وهو مقتضى الظاهر ؛ لكن التقابل الثانى قد جاء بأسلوب مخالف لذلك كله ؛ فقد

اختفى فيـــه النفى الأول ، وظهر النفى فى المقابل الثانى ، على خلاف مقتضى الظاهر فى الأمرين جميعاً ؛ فإن الأصل أن تدخل أداة النفى على فعل الاستواء ، ثم يذكر المتقابلان من غير أن يعاد النفى مع المقابل الثانى .

هذا ـ وموقف العلماء من هذه الآية يسترعى النظر ، ويدعو إلى شىء من العجب ، فالآية ـ كما أشرنا ـ جاءت فى أسلوب يتطلب التأمل والبحث ، ودقة الفهم ، ليوقف على السر فى مجيئها هكذا ، على خلاف مقتضى الظاهر ، وعلى خلاف ما جاءت عليه الآيات الأخرى.

لكن أئمة علماء التفســـير ـ كالطبرى والزمخشرى والفخر الرازى ـ قد لزموا الصمت فى هذا المقام ، الذى هو فى حاجة إلى جيد الكلام ؛ ـ وتبعهم فى ذلك بعض العلماء ـ كالنيسابورى ـ فلم يبينوا السر فى زيادة (لا) فى قوله تعالى : « ولا المسىء » إن كانوا يرونها زائدة ، ولا سبب إعادتها مع المسىء ، وما يترتب على ذلك من المعنى ، إن كانوا يرونها أصلية ؛ كما أنهم لم يذكروا شيئاً عن السر فى اختفائها ، فى قوله سبحانه : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، مع أنه هو موطن النفى الذى يدخل على فعل الاستواء .

أما غير هؤلاء الأئمة ومن تبعهم ، فقد اختلفت عباراتهم فى (لا) هذه التى صرح بها فى جانب المسىء : فمنهم من قال : إنها زائدة ، واقتصر على ذلك ، ولم يعلل هذه الزيادة . ومن هؤلاء (النسفى والجلال) ، ومنهم من عرض لبيان السر فى هذه الزيادة، التى عبر عنها بالتكرير : (كأبى حيان) الذى يقول : (ولما بعد قسم الذين آمنوا بطول صـــلة الموصول ، كرر (لا) توكيداً) (البحر المحيط جـ ٧ ص ٤٧٢) .

فهذا ظاهر فى أنه يقول : إن (لا) زائدة لتأكيد النفى ، الذى يمكن أن يضعف أمره عند السامع بسبب طول الفصل بالصلة ، وهى قوله : « آمنوا وعملوا الصالحات » أى فهى زيادة لحكمة ؛ وليست من الزيادات البحتة الخالية من الفائدة .

« وأبو السعود والآلوسى ، عبر كلاهما أولا ، بما يفيد ان (لا) زائدة لتوكيد النفى ، ثم أتى بإضافة تميل إلى قول آخر ، غير القول بالزيادة .

قال أبو السعود : وزيادة (لا) فى المسىء لتأكيد النفى ، لطول الكلام بالصلة ؛ ولأن المقصود نفى مساواته للمحسن ؛ فيما له من الفضل والكرامة . (تفسير أبو السعود جـ ٧ صـ ٦٣١ على هامش تفسير الفخر) .

وقال الآلوسى : وأعيدت (لا) فى المسىء، تذكيرا للنفى السابق ؛ لما بينهما من الفصل بطول الصلة، ولأن المقصود بالنفى أن الكافر

المسيء ، لا يساوى المؤمن المحسن » . (روح المعانى ج ٢٤ ص ٧١ المطبعة المنيرية) .

ومن هذا يتبين أن كلا من أبى السعود والآلوسى ، قد أثبت رأيين فى (لا) ، المصرح بها مع المسيء :

(الأول) أنها زائدة لتأكيد النفى ، أو للتذكير بالنفى ؛ فإنه لا فرق فى الحقيقة بين مقالتيهما فى ذلك ، لا فرق بين أن يقال : إنها زائدة لتأكيد النفى ، لطول الكلام بالصلة كما عبر أبو السعود - وأن يقال : إنها أعيدت للتذكير بالنفى السابق لما بينهما من الفصل بطول الصلة - كما صنع الآلوسى ، فالجملتان تعبير عن القول بالزيادة ، التى تقابل الأصالة .

(الرأى الثانى) أنها أصلية ، وهو الذى دلت عليه الإضافة ، التى يقول فيها الآلوسى: « ولأن المقصود بالنفى ، أن الكافر المسيء ، لا يساوى المؤمن المحسن » ؛ ويقول فيها أبو السعود : « ولأن المقصود نفى مساواته - أى المسيء - للمحسن ، فيما له من الفضل والكرامة » .

وهذا الرأى الثانى فى (لا) أنها أصلية لإفادة النفى لا لتأكيد النفى ولا للتذكير به ، هو رأى البيضاوى ؛ قد اقتصر عليه . فهو يقول : « وزيادة (لا) فى المسيء لأن المقصود نفى مساواته للمحسن ، فيما له من الفضل والكرامة [1] .

إن صنيع البيضاوى هذا لا يستقيم إلا على القول بأصالة «لا» .

فأما قوله فى صدر العبارة : « وزيادة « لا » فى المسيء إلى آخره » ، فليس المراد به الزيادة الحقيقية ، التى يقصد بها مجرد التأكيد ، كما عند القائلين بالزيادة ، بل المراد هو إعادة « لا » والتصريح بها وذكرها مع المسيء . كما بين ذلك الشهاب الخفاجى فى ج ٧ ص ٣٧٩ والشيخ زاده فى ج ٣ ص ٢٤١

هذه العبارة التى اقتصر عليها البيضاوى ، فى التعليل لذكر « لا » مع المسيء ، والتى جعل منها كل من « أبى السعود والآلوسى » إحدى علتين لذلك - إنما تتمشى - كما قدمنا - على القول بالأصالة . ومعنى هذا أن قوله تعالى : « ولا المسيء » أريد به نفى مساواة المسيء للمحسن ، كما صرحوا بذلك جميعا ، ويكون هذا بعد نفى مساواة المحسن للمسيء ، فى قوله سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » إذ أنه على تقدير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وغيرهم ، فكأن الآية - على هذا - تقول: «وما يستوى الأعمى والبصير. ولا المحسن والمسيء، ولا المسيء والمحسن» .

وإذا يكون هذا من قبيل ما لاحظناه فيما سبق ، على رأى ابن جرير الذى بسطه فى آية

---

(١) تفسير البيضاوى بحاشية زاده ج ٣ ص ٢٤١ .

« فصلت » ، وقلنا : إنه شيء عجيب ، يصير إلى نوع من التهافت فيما يفسر به القرآن الكريم .

* * *

وهناك شيء آخر يدعو إلى العجب ويستثير الدهشة ، ذلك أن الإمام الزمخشرى ـ الذى أوردنا له ذلك المقال الرائع والرأى البديع فى الكلام على آية « فصلت » ـ لم يشر هنا بشيء يدل على أنه يرى ذلك الرأى أيضا ، فى آية « غافر » ، مع أنه من السهل أن تفهم هذه الآية على مقتضاه ، كما سنبين ذلك قريبا إن شاء الله .

فهو قد اقتصر فى الآية التى معنا ، على قوله : « ضرب الأعمى والبصير ، مثلا للمحسن والمسيء » . ثم لم يبين سر حذف « لا » فى الأول من المتقابلين : والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والتصريح بها فى المقابل الثانى : « ولا المسيء » مع أن هذا مجال عظيم للتحقيق والبحث العميق .

أما رأينا فى الموضوع فهو الذى نورده فيما يلى :

« الرأى المختار فى آية غافر »

قوله تعالى: « وما يستوى الأعمى والبصير، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء »

قد نفيت فى هذه الآية ، المساواة بين الأعمى والبصير ، أى بين الجاهل والعالم ، أو بين المقلد والمستبصر ؛ وجاء ذلك على مقتضى الظاهر ، فلم تكرر فيه أداة النفى ، ثم أريد نفى المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المسيء . أى بين المحسن فى العقيدة والعمل ، وبين المسيء فيهما ؛ لكن لم يصرح بأداة النفى مع أول المتقابلين ، كما هو المعهود والأصل فى ذلك ، اعتمادا على ظهور المراد منه ؛ فإن المعنى على تقدير النفى ؛ كأنه قيل : « ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وذلك أن الحرف المقدر الذى لم يظهر فى الكلام هو فى الحكم كالظاهر المصرح به ؛ ثم كرر النفى أى أتى به مع المقابل الثانى من الأمرين اللذين أريد نفى التسوية بينهما ، فقيل : (ولا المسيء) .

إنه لا مانع مطلقا أن يقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » مع المسيء متقابلان وأنه مراد فى الآية نفى التسوية بينهما ، ولكن الذى يمكن أن يمنع هو التزام أن يكون ذلك من طريق الحكم بزيادة (لا) فى قوله تعالى : « ولا المسيء » .

وذلك أنه يمكن تحصيل ذلك المعنى المراد وهو نفى التسوية بينهما ـ مع التزام أن « لا » أصلية على نحو ما قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

التوكل على الله بين النظرية والتطبيق

للأستاذ محمد محمد المدنى

إن التوكل على الله ثمرة من ثمرات الإيمان الصادق ، والثقة التامة بالإله الواحد الذى لا شريك له فى ملكه ، ولا تدبير فوق تدبيره وهو أرحم الراحمين بعباده .

ومن وصل إلى مرتبة التوكل الصحيح على الله ، فقد وصل إلى منزلة الأمن والرضى وسكون النفس ، وعاش هادىء الأعصاب ، مطمئن القلب لا يتزلزل لشىء فى الحياة .

ولكن : ما هو التوكل الصحيح ؟

إذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال ، فلنرجع أولا إلى القرآن الكريم ، فإننا نجد أن الله تعالى قد جمع بين الإيمان والتوكل حيث يقول :

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ويكون ذلك محصلا معنى آخر ، يضاف إلى ذلك المراد ، بل يكون ممهداً ، ومساعداً على تحققه بالطريق الأولى .

وبيان ذلك أن يقال : إن قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » قد نفى فيه استواء المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنفسهم ؛ فإنهم أفراد كثيرون متفاوتون ؛ فى قوة الإيمان والعمل الصالح . ثم إن المقابل الثانى الذى هو المسىء فى العقيدة والعمل ، له أفراد كثيرون أيضاً متفاوتون فى درجات هذه الإساءة . فأريد نفى المساواة فيما بينهم ، بقوله سبحانه : « ولا المسىء » .

ولا شك أن مجموع هذا وذاك يلزمه انتفاء المساواة بين المحسنين فى العقيدة والعمل ، والمسيئين فيهما ؛ فإنه إذا ثبت أن النوع الواحد ، قد انتفت المساواة فيه نفسه ، أى انتفى التساوى بين أفراده ، فإنه يلزم انتفاء المساواة بين النوعين ، أو بين أفراد النوعين ، بالطريق الأولى .

وهذه نتيجة لا يمكن الوصول إليها مع زيادة (لا) .

على أنه يكفى أن يقال : إنه لا موجب مطلقاً للقول بالزيادة ، والأصل عدمها . بل إن وجود كلمة النفى فى التركيب ـ مع تقدير أنها زائدة ليتوصل بذلك إلى معنى خاص ـ من شأنه أن يعطى هذا التركيب صورة توهم غير المراد ، وهذا شىء لا ينبغى أن يصار إليه ولا سيما فى تفسير القرآن الكريم ؟

عبد الرحمن تاج

« قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا » .

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » .

فنعلم من ذلك أن التوكل والإيمان قرينان لا يفترقان ، لأن المؤمن يعلم حق العلم أن الله تعالى هو المالك لكل شيء ، المسيطر بأمره على كل شيء يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه فإذا امتلأ قلبه بذلك وثق بربه ، وجعل اتجاهه كله إليه .

وهذه الثقة هي التي قص علينا القرآن الكريم نبأها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، إذ علموا بما جمعه لهم أهل الباطل من عدة وعدد، ليقضوا عليهم، فلم يتزلزلوا ويستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » .

وهذه الثقة هي التي حدثنا بها القرآن الكريم أيضاً عن أم موسى ، إذ يقول :

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

فإن فعلها ما أمرها الله به ، هو عن الثقة بوعده تعالى ، ولولا ثقتها بربها لما ألقت بولدها ، وفلذة كبدها ، في تيار الماء ، تتلاعب به أمواجه ، دون أن تعرف مصيره .

وهذه الثقة أيضا هي التي تجلت فيما دار بين إبراهيم الخليل وجبريل ، عليهما السلام ، حين قال جبريل لإبراهيم وهو في طريقه إلى النار التي أعدها له أعداء الله : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فلي ، قال جبريل : فسله حاجتك ، قال إبراهيم : علمه بحالي يغنيه سؤالي .

ثم نجد القرآن الكريم يجمع بين التوكل والعبادة ، وبين التوكل والتقوى ، وذلك حيث يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب ، لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » .

وحيث يقول له أيضا :

« ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون » .

وحيث يقول له :

« يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما ، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا ، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » .

وحيث يقول للناس جميعاً قولا حقاً ، هو بمثابة قانون لا يختل ، وسنة لا تتبدل :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

ثم تجد القرآن الكريم يجمع بين التوكل والهداية فى مثل قول الرسل لأقوامهم :

« وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » .

وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« فتوكل على الله إنك على الحق المبين » .

فأمر سبحانه بالتوكل عليه ، وعقب على هذا الأمر بما هو موجب للتوكل ، مصحح له ، مستدع لثبوته ، وهو قوله : « إنك على الحق المبين » فإن كون العبد على الحق يقتضى التوكل على الله ، والاكتفاء به ، والإيواء إلى ركنه الشديد ، لأن الله هو الحق ، وهو ولى الحق وناصره ومؤيده ، وكاف من يقوم به ، فما الذى يدعو صاحبه إلى ألا يتوكل على الله ؟ وكيف يخاف وهو على الحق ؟ « أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه » .

وذلك كما قال الرسل لأقوامهم : « ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » ، فعجبوا ممن يزين لهم ترك التوكل على الله وقد هداهم ، وأخبروا أن ذلك لا يكون أبداً .

وهذا دليل على أن الهداية والتوكل متلازمان : فصاحب الحق ، لعلمه بالحق ، وعمله به ، وثقته بأن الله ولى الحق وناصره ؛ لا يجد بداً من توكله على الله ، وسكونه إليه ، وطمأنينته به ، ورضاه بتصرفه . أما صاحب الباطل علماً أو عملا ، فإنه لا يمكن أن يكون مطمئناً إلى ربه ؛ فإنه لا ضمان له عليه ، ولا عهد له عنده ، فإن الله لا يتولى الباطل ، ولا ينسب إليه المبطلون ، فهو الحق ، وقوله الحق ، ودينه الحق ، ووعده حق ، ولقاؤه حق ، فمن لم يكن له تعلق بالحق لم يكن له تعلق بالله ، ولا يمكن أن يكون متوكلا عليه.

* * *

إذا ثبت هذا علمنا أن التوكل ليس موقفاً سلبياً يقتضى الإهمال وترك الأعمال ، ولو كان كذلك ما قرنه الله تعالى بالعمل الموصل إلى رضى الله ، من عبادته وسلوك سبيل هدايته ،

والتجرد بتقواه عن ملابسة الذنوب والآثام، وملابسة الباطل فى أى لون من ألوانه .

إن موقف « السلبية » و « الانعزالية » والانكماش عن التجاوب مع الحياة فى نطاق ما أمر الله به ، ونهى عنه ، ورعاية ما أباحه وما حرمه ، إنما هو موقف (التواكل) والتراخى والفرار من مسئوليات الحياة .

إن الله تعالى خلق النوع الإنسانى ، واستخلفه فى الأرض ، ليعمرها ويثيرها ، وسخر له كل شىء ليسلط عليه عقله وعلمه وجوارحه ، وينتفع به فى نفسه ؛ وينفع به غيره .

وقد أتى على المسلمين حين من الدهر ظنوا فيه أن الله تعالى لم يأمرهم باعتناق مبدأ (التوكل) إلا نظريا ؛ دون أن يأخذوا بالأسباب والسنن التى هيأها الله تعالى ؛ مع أن الذى أمرهم بالسعى والعمل هو الذى أمرهم بالتوكل ؛ فهو يقول لهم : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : ويقول لهم مع ذلك : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » فإعداد القوة سبب من أسباب النصر العملية ، أمر الله به ، وهو يقتضى الحرث والزرع وإنشاء المصانع والمعامل وتهيئة جميع وسائل القوة والمنعة ، وإلى جانب ذلك إعداد القوة الروحية بالتوكل على الله ، والثقة بنصره ، والرجاء فى توفيقه ؛ وإن وراء الأسباب المادية لأسباب أخرى خفية هى فى علم الله وقدرته ؛ فنحن بحاجة إلى رجائه فى أن يهيئها لنا بتوفيقه ورحمته وخفى لطفه .

. . .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه :

« اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ؛ وفوضت أمرى إليك » .

ويقول مع ذلك لأصحابه وللمؤمنين :

« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

وقد كان عليه الصلاة والسلام ـ وهو سيد المتوكلين ـ يعمل مع أصحابه ، ويعد العدة لغزواته ، ويحمل الزاد والمزاد فى أسفاره ، ويتداوى ، ويصف الدواء .

فمن ظن أن التوكل ينافى اتخاذ الأسباب ؛ فقد ظن عجزاً ، ومن ظن أن التوكل هو (غيبوبة) سهلة عن الأعمال والمسئوليات فإنه قد غاب عنه معنى التوكل ؟

محمد محمد المدنى

الأخلاق في الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

لسنا نريد هنا أن نقدم إلى القراء عرضا للأخلاق النظرية والعملية على غرار العروض التي يزهو بها المؤلفون الغربيون، إذ يخيل إليهم أنهم أحاطوا بالأخلاق العامة بينما أنهم لا يستحقون هذا الزهو. لا سيما حين نلاحظ - نحن الشرقيين - كلما عكفنا على مؤلفاتهم ندرسها بحرية ونزاهة - تلك الانحرافات المتعددة التي يندمون على اقترافها أشد الندم عند ما يرون نتائجها المؤسفة (ولات ساعة مندم).

وليس هذا فحسب، بل إن تلك العروض الواسعة الانتشار كثيرا ما تحدث في أنحاء السياسة الدولية انحلالات مخجلة، وميوعات مشئومة التأثير. وإنما نحن نريد إبراز أنه من الممكن، بل من الميسور أن نقصي أخلاقهم البيولوجية والاجتماعية التي كانت نتائجها حتى الآن موضع الريبة إن لم تكن موضع التبرم والجحود، وأن نحل محلها أخلاق القرآن التي يسيء أكثرهم معرفتها والتي أسست قواعدها على مبادىء نظيفة رفيعة تتجه إلى النفس كلها، أي إلى العقل والروح والقلب، لأن هذه الأخلاق هي وحدها التي تستطيع أن تشتمل على جميع الأغذية التي تحتاج إليها الإنسانية جمعاء. وهذه الميزة هي التي تضمن لها التفضيل على كل ما عداها.

ومنشأ هذا التفضيل أن الأخلاق هي حقيقة واقعية تفرض نفسها على الإنسان فرضا وهي الأساس في حياة كل مجتمع، بمعنى أنها تسيطر على جميع مشاكل السلوك والأعمال البشرية، أو من شأنها أن تكون كذلك. ولا جرم أن أبسط الملاحظات تظهر لنا أنه عندما يريد الإنسان أن يفعل شيئا، يسمع صوتا داخليا يتفاوت وضوحه كثرة وقلة بتفاوت صفائه ونقائه، ولكنه حاضر دائما يأمر ببعض الأفعال، وينهى عن البعض الآخر. إنه لصوت خالد يجب على المرء أن يطيعه إذا أراد أن يحتفظ بالسلام الداخلي، أو السكينة الباطنية. إنه هو الضمير الأخلاقي.

وفي الحق أنه إذا كان هناك شيء متفق عليه بإجماع كل العقلاء من غير استثناء، فهو قبول وجود هذا الضمير الخلقي أو تلك الخلقية التلقائية التي يلحظها الإنسان في نفسه منذ أن أدرك ذاته كما سنفصل ذلك في موضعه من مقال آخر.

وإذاً فالأخلاق ليست من ابتداعات

الفلاسفة ، ولا من اختراعات المشرعين ، ولا من تعاليم المربين وليس وجودها مقصورا على كتب الأخلاقيين ، ولكنها حقائق واقعية تحيا فى مظهر مزدوج : نفسى واجتماعى لا يختلف عاقل فى وجوده .

والأديان العظمى التى نزل بها الوحى ، ثم انمحى كثير من مبادئها ، وبقيت منها معالمها الفطرية ، قد اتخذت من الأخلاق تعاليمها الرئيسية التى بقيت حتى الآن تشف عن سماويتها وفطريتها الأولى كديانة مصر الأثرية والهند والصين القديمتين .

وإذا أغضينا عن الأديان مؤقتا وألقينا نظرة عاجلة على الفكر الغربى ـ وهو الذى جعل يقصى الأخلاق إقصاء مطردا عن جميع العناصر الدينية التى كانت تسندها ـ ألفينا أنه يجهد نفسه فى أن يشيد علما أخلاقيا مستقلا يتباهى به ، وهو لا يشتمل على شىء ذى قيمة حقيقية إذا استثنينا فكرة « الواجب » التى استخلصها « كانت » والتى كانت مبعث مجده وتخليده عند الغربيين ومن سار على نسقهم من الشرقيين الذين لا يعلمون عن التراث الفطرى الشرقى شيئا يذكر ؛ لأننا لو نظرنا فى القرآن نظرة دقيقة لألفينا أنه قد جعل فكرة الواجب والالتزام الخلقى أساسا لكل أخلاق جديرة بهذا الاسم أو قمينة بالاحترام والإجلال .

أما الأخلاق النظرية التى تعاقبت على مر العصور ، فهى مؤسسة على أكثر المبادىء تباينا ، وأشد الفكر تعارضا ، فأحد هذه المذاهب مثلا أسس على العقل ، والآخر أسس على السعادة ، والثالث على المنفعة ، والرابع على « الجاذبية » ، والخامس على الحياة أو « البيولوجية » ، والسادس على الغريزة الاجتماعية ، وهلم جرا .

غير أنه ينبغى أن يلاحظ أن هذه المذاهب الأخلاقية التى انشق بعضها على بعض من الوجهة النظرية ، تلتقى جميعها ـ بدافع عامل يشبه الإعجاز ـ عند نقطة واحدة ، وهى الاتفاق التام فى السلوك العملى ، ومأتى هذا هو أنه لا يوجد واحد من بينها يستطيع الخروج على أوامر الضمير الخلقى الذى أملى ـ بأمر خالقه على بنى الإنسان منذ وجودهم ـ عددا من القواعد الأساسية اتفق الجميع على إنزالها منزلة القداسة والإجلال ، وهى لا تتغير عبر الأزمان والأمكنة ، وهى التى يطلق عليها اسم « الحقائق الخلقية » أو أسس « المثل العليا » التى لا تقبل التزلزل ، والتى نلتقى بها دائما فى القرآن ، ومن هنا أتت أهمية الضمير الخلقى الذى ثبته العليم الحكيم فى داخل كل نفس بشرية ليرشدها إلى الخير والشر ، ويأمرها بالأول وينهاها عن الثانى ، ويريحها إذا نفذت أوامره ونواهيه ، ويشقيها إذا

هى تمردت عليه وخرجت عن طاعته ، وقد أوجد الله جل جلاله هذا الضمير فى النفوس رحمة بها ليرافقها فى غيبة الرسالات ، أو عند تبدل الأوامر السماوية أو تشوهها بعوامل الجهل أو المادة وسيادة النفعية .

وينبغى أن نعلن هنا أن الأخلاقيين كانوا منذ القدم ، ولا يزالون حتى الآن ، يؤمنون بوجود هذا الصوت الخفى ، ويتساءلون عن أصله ، ولكى نجمل فى عبارة مقتضبة تلك التأملات ، نختار تعبير ذلك العالم الاجتماعى الشهير : « ليفى . برول » الذى يعلن فى صفحة ٢١١ من كتابه « الأخلاق وعلم السلوك » فيقول : « إن ضميرنا الأخلاقى ، إذا نظرنا إليه نظرة موضوعية ـ ألفيناه بالنسبة إلينا سراً خفياً » .

ونحن لايسعنا هنا إلا أن نسجل أن المؤمن الذى استنار بنور القرآن ، لا يمكن أن يصطدم بشىء من هذه التعقيدات ، ومن المجب العاجب أننا نرى التحدث على الدوام فى الكتب الغربية عن الأخلاق الإغريقية والمسيحية والكانتية والأخلاق المعاصرة : « البيولوجية » أو « الاجتماعية » ولكننا لا نرى هذه الكتب الستة تتحدث عن الأخلاق القرآنية كأنها لم تكن إحدى وقائع الزمن الهائلة التى غيرت وجه التاريخ والتى هى قبل كل ذلك تنظم حياة أكثر من خمسمائة مليون من الأنفس فى بقاع العالم المختلفة . ولاريب أن ذلك الإهمال من جانب العلماء الغربيين ثغرة فى بحوثهم يجب أن يقوم المسلمون بسدها ، لأنهم هم أول المسئولين عن ذلك . ولا يستطيع أحد أن يحل محلهم فى هذا الشأن، أو أن يؤدى عنهم هذا الواجب الأساسى ، لا سيما أن مواد هذه الأخلاق الإسلامية موفورة لديهم على صورة لم تتيسر لأحد غيرهم من العالمين ، وهى تؤلف شموخا عملاقيا يأسر عقول المتأملين ، ويسحر قلوبهم ، قبل أن يبهر أعينهم بكونيته وتخطيه كل محدودية لأنه ليس نظريا فحسب ، بل هو عملى تصديقى قبل كل اعتبار .

واجب الباحث المسلم الحقيقى إذن هو أن ينتزع القانون الأخـــلاقى الخالد بمبادئه وقواعده من القرآن والأحاديث، وأن يفصله من الأغصان الإسلامية الأخر كالإلهيات والتشريعيات والتنسكيات التى عنى المسلمون بدراستها منذ العصور الذهبية حتى الآن وسار الباحثون الغربيون فيها على أنساقهم مما لم يتيسر للفروع الأخلاقية التى لا تزال شبه مجهولة فى الشرق ، لأن أعلام مفكرى الإسلام قد عنوا بالأخلاق الإغريقية (١)

---

(١) يلاحظ استثناء الإمام الغزالى وأمثاله من أولئك المفكرين .

وإن صبغوها بلون إسلامى ، فتسبب ذلك فى إهمالها فى الغرب طبعا .

ونحن على يقين من أنه لا يوجد لدى المسلمين أى مسوغ لهذا الإهمال ، لأن التعاليم الإســـلامية تضع قواعد شاملة مفصلة ، ومناهج دقيقة واضحة لم يتطاول أعظم الأخلاقيين إلى عليائها ، وأين جهود الأرض من شمول السماء ؟ فعندما يتأمل المؤمن فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يلفى أمامه الطريق المنير المستقيم مرسوما فى وضوح وجلاء فيهتدى إلى أفضل الوسائل التى يعمل بمقتضاها على أتم وفاق مع أوامر ربه وضميره ، وعلى أحسن الصور التى يقضى عليها حياته مطمئنا مستريحا من عناء الانحراف الذى يعذب الخاطئين والآثمين ، ويحس بلذة التعقل وكرم الخلق حين يجد نفسه قد ترفع عن ذلك السقوط المروع الذى هو من أخطر العيوب الطبيعية التى اكتنفت حياة البشرية فكانت سببا فى متاعبها وآلامها إلا من عصم ربك . وفى مقدمة هذه العيوب الأنانية البغيضة التى تدفع المرء إلى الغرور والاعتقاد بأنه هو من العالم موضع المركز ، بل موضع الصدارة أو المتفرد بالعناية .

ومما ينبغى تسجيله هنا قبل أن نغادر هذه النقطة هو أن الباحث الدقيق النزيه ، لا يكاد ينظر فى القرآن أو الأحاديث الصحيحة نظرة متعمقة حتى يجد فى آيات الأول ، وجوامع كلم الثانية أكمل القواعد التى تحصى واجبات الإنسان المتنوعة نحو ربه ونفسه وأسرته وأمته والإنسانية جمعاء .

ومعنى هذا أن الإسلام قد ثبت إطارات متينة « للحقائق الأخلاقية » التى ينتهل منها الإنسان عن طريق ضميره جميع ما يحتاج إليه فى حياته العملية ، وما يؤسس عليه سعادته التامة وهناءته الروحية والمادية ، غير أن هذه الإطارات ليست ضيقة ، بل هى رحبة متسعة حتى تضمن الحرية الشخصية ، وتحقق الجهود الفردية التى لو انمحت لصارت حياة الأمم متماثلة جامدة لا روح فيها ولا حياة . وبعبارة أوضح : لطبقت فيها القوانين تطبيقات آلية ميكانية تتعارض مع المسئولية التى هى أساس كل تقدير دنيوى أو أخروى . وفوق ذلك فإن هذا الجمود معناه التخلى عن كل شخصية ، وهو بالضبط ما لا يريده الإسلام الذى يقصد ـ على الضد من ذلك تماما ـ تكوين شخصيات قوية متعطشة إلى جهود عقلية وأخلاقية .

حقاً : إن القواعد الأخلاقية الإسلامية تقيم ـ قبل كل شىء ـ حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر عامة ، ولكن هذه القواعد تبقى مرنة لكى تترك للأجيال المتعاقبة اختيار الصور التى توفق بها بين المثل القرآنية

الحازمة التى لا تقبل التزلزل ، والحالات التى تقدمها الحياة عن طريق التجارب المتوالية والأحداث الزمنية المتعاقبة ، لكى تسمح للأمم بتحقيق تطوراتها فى أساليب التقدم على أتم ما تكون الحرية الفكرية ، والتعبير عنها بالعبارات التى تلائمها دون إهمال أى جانب من جوانب المبادىء الإسلامية .

وعندما يضع الكتاب الكريم أو السنة الغراء هذه القوانين الواقعية ، وتلك القواعد العملية ليرشدا بها المؤمنين ، بل ليدعوا بنى الإنسان كافة إلى معرفة الحق والخير ، لا يكفان لحظة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهما يدعوانهم على الدوام إلى التفكير والتأمل ليحرزوا الحكمة التى هى جماع الحق والخير ، أو العلم والعمل : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ومايذكر إلا أولو الألباب » (آية ٢٦٩ من سورة البقرة) . « اعلموا أن الله يحى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » (آية ١٧ من سورة الحديد) .

وقد أراد البارى جل شأنه أن تكون عقائد المسلمين مؤسسة على التأمل العقلى ، وهو ذلك النور الذى ثبته فى نفوسهم ليضىء دواخلها ولتسطع أنواره على كل ما يعرض عليها من جوانب الوجود ، لتميز حقائقه من زوائفه حتى لا تؤخذ على غرة فيكون لها العذر فى أن تجحد مالا تفهم ولهذا لم يكن الجهل عذراً أمام الإسلام ، لأن التقصير فى المعرفة حينئذ يكون من جانب الأناسى ، لا من جهة العليم الحكيم الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، والذى لا يأخذ الناس إلا بما كسبوا .

ومن حكمة الأمر بالتأمل أنه سبحانه يريد أن يعود البشر - إلى جانب ما تقدم - على أن تكون لهم شخصيات مستقلة فاهمة واعية جديرة بمخاطبة الله وإعطائه العهود والمواثيق .

ومن هذا يبين أن الإسلام الذى يدعوه إلى التفكير فى جميع أنحاء الكون ليسترشد بكشف أسراره ، ويهتدى بتجلية خفاياه ، هو يحض على التأمل فى الأخلاق بوصف أنها من أهم نواحى ذلك الوجود ، وليس هذا فحسب ، بل إن الأوامر الإلهية تكلف العقل بالتنقيب فى الكتاب الكريم والأحاديث النبوية الشريفة عن الوقائع الأخلاقية العظمى التى يحدثنا التاريخ أنها قد مثلت للدراسة والتحليل والحكم فى كتب المفكرين منذ العصور الأثرية ، وذلك مثل الضمير الخلقى ، والالتزام . والواجب ، والمسئولية ، والنية والمجهود ، والجزاء ، فإذا قمنا بهذا التنقيب ألفينا أن الوحى الإلهى قد أحاط بها ولم يهمل منها شيئاً ، وأنه وضع لها عناصر عقلية تضمن إيضاحها وفهمها حتى لدى غير المسلمين

بحيث يعقلونها ويدركون غاياتها، ويشعرون بثمارها دون استعانة ظاهرية بالدين. وليس فى هذا أدنى غرابة، لأن منزل الوحى هو الذى أودع فى تلك المبادىء الأخلاقية عناصر قابليتها للمفهومية كما أودع فى العقل قوة قابليته للفاهمية بحث نستطيع أن نجد فى القرآن والأحاديث أسمى ما وصل إليه المفكرون من غير المسلمين، وأعظم منه بقدر ما بين المحدود واللامحدود من فوارق.

ولقد أتاحت لنا معرفتنا بمنتجات الفلاسفة والمفكرين منذ أن عرف العقل نفسه حتى الآن أن نوازن موازنة ظاهرة خفيفة بينها وبين القرآن فألفينا أن كل نتاج الفكر فى كل مشكلة عقلية أو أخلاقية - بعد معارك طويلة ومجادلات مسهبة - ينتهى إلى ترجيح مذهب على آخر، بينما نرى أن القرآن يحيط بها إحاطة تامة كاملة يقصر البشر عن إدراك مداها، ويعترف الحكماء بأنهم دون منتهاها.

غير أن القرآن يكتفى فى كل تلك المشكلات بما ينفع الإنسانية وينقذها من وهدتها، ويسمو بها إلى ذروة المثالية، ولكنه لا يعنى بالتعريفات ولا بالحدود الجامعة المانعة لأنه يعلم أن الإنسان يمكن أن يكون فاضلا دون حاجة إلى الحدود المنطقية للفضيلة.

الآن - وبعد هذه الإلماعة العامة - نود أن نشير هنا إلى طائفة من المبادىء الأخلاقية الإسلامية التى نزلت لدى الجميع منزلة الحقائق المطلقة التى لا ينازع فى حقيتها أحد من العقلاء سواء أوردت فى القرآن والأحاديث على صورة الأمر أم على صورة النهى. ومن تلك المبادىء ما يلى:

١ - الأمر بالعدل وجعله على قة الفضائل «إن الله يأمر بالعدل والإحسان». ١٦-٩٠

٢ - احترام الحياة الإنسانية وعدم المساس بها إلا بالحق الثابت الذى لا شبهة فيه بأى وجه «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً». ١٧-٣٣

٣ - أتباع الصدق وتجنب الكذب «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين». ١١٩/٩

٤ - النهى عن النفاق «إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا» ١٤٠/٤

٥ - اتباع الأمانة وتجنب الخيانة «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» ٥٨/٤

٦ - تجنب الزنى «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا». ٣٢/١٧

٧ - الرفق بالوالدين والإحسان إليهما: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا». ١٧/٢٣، ٣٤

الدكتور محمد غلاب

نفحات القرآن

علم الغيب وتحضير الأرواح

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك » .
(ب) ما كنت تعلمها ، أنت ولا قومك ، من قبل هذا » .

(ا) ١ — قبل هذه الآية من سورة هود ـ عليه السلام ـ كان القصص عن نوح ـ عليه السلام ـ وكان فى هذا القصص كثير من عجب الأحداث التى جرت بين نوح وقومه ... ثم جاءت الآية التى معنا تؤكد الواقع ، وتخبر النبى والناس : بأن ذلك تاريخ سابق فى صدر الزمن ، لم يكن يعلمه النبى ، ولا قومه إلا من طريق الوحى الذى يقص عليه أنباء من سبقوا من الرسل ، وما سبق من أحداث .

فإنه لم يشهد ذلك بالمعاصرة ، ولا عرفه قومه ، لانقطاع العلم عنهم بسبب طول الزمن وكان لا بد أن يتحدث القرآن عن الغيب بوجه ، أو بوجوه عدة ، لأن علاقتنا بالغيب شان من الشئون التى تقوم عليها العقيدة الدينية ، وهو جانب من الثقافة الإسلامية التى تكفل بها كتاب الله ، وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه .

٢ — والغيب كما يذكره القاموس ـ إجمالا ـ ما غاب عنك : يعنى ما غاب عن النظر .. أو غاب عن الوعى والنظر جميعا .

وقد خلق الله الإنسان بدائيا لا يعرف شيئا ثم يوافيه بالعلم رويدا ، رويدا ، تبعا لتطور عقله ، ومداركه ، وعمره : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع ، والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون » .

وهذا بالنسبة للعلوم الكسبية التى يحصلها الإنسان بنشاطه ، ومداركه ، وتجاربه . أما علم الأنبياء والرسل فإنه بالوحى من عند الله وليس كسبا ، ولا محاولة منهم « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » ـ « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » . وهذا كما تقرر الآية التى بدأنا بها : « نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

٣ — والعلماء يذكرون أن الغيب نوعان : غيب مطلق لا يعلمه غير الله تعالى ، وهذا يفهم من نحو قوله تعالى « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » . « قل إنما الغيب لله » . « عالم الغيب والشهادة » .

ومثل ذلك علمه تعالى بموعد القيامة ، وبالجنين فى بطن أمه ، وبما قدر لهذا الجنين فى دنياه من رزق ، وحظ ، ونحو ذلك . .
وكعلمه تعالى بما اشتبه علينا من ألفاظ فى القرآن ، فلا نستطيع تحديد معناها ، كأوائل السور : فى ســورة البقرة ، وآل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف الخ .. فتلك ألفاظ لم نستطع تحديد معناها ، ولم يكلفنا الله ببحثها ، ولم يتعلق بها حكم تكليفى لنا . . وقد انفرد الله بعلمها ، وعلينا الإيمان بها من عند الله كما نؤمن ببقية القرآن ، والوحى بوجه عام وذلك هو الشأن فيما عند الله من غيب مطلق عن الدنيا ، أو الآخرة .. والعقل الواعى يطمئن إلى أن الله يحيط بكل شىء مما يستحيل علينا الإلمام به . . وإن قداسة العلم تأبى أن يقحم الإنسان نفسه فيما يتجاوز طاقة البشرية . . وكفى أنه إنسان يعيش فى الأرض ، وليس إلها يحيط بكل شىء .

* * *

٤ — ونوع آخر من الغيب فيما يجرى على الدنيا أو يكون أثيراً عند الله ، ولكنه تعالى يخبرنا به عن طريق رسله ، وقد يهدينا إلى بعضه من طريق العقول ، ولكنها لا تستغنى أبدا عن تبليغ الرسل لوحى الله إليهم ، وذلك لأن العقل وحده قد يتخلف عن الصواب ، أو يشتط فيقحم نفسه فى متاهات الضلال ، ويغتر بهمزات الشيطان فيتعثر عن الحق ، وهو يظن أنه على شىء من العلم فى دينه .

والدين لا يكون إلا شريعة من عند الله الذى رسمه ، وفرضه ، وطالبنا بطاعته ، وعلمنا أنه سيحاسبنا عليه .

وذلك النوع من الغيب ـ غير المطلق ـ سابق . . ولا حق فى الحياة ، وما بعد الحياة وهو يكون غيبا عنا ، ثم يخبرنا الله به ، فلا يستمر غيبا «ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء» .

ونحن نجد أنفسنا على شىء من المعرفة بخلق السموات والأرض ، وخلق النجوم ، والكواكب ، وما يتعلق بنظامها ومنافعها ، وكل ذلك كان غيبا عنا ، ولا ندرى منه إلا ظاهرا يسيرا بحواسنا ، فأخبرنا الله بالكثير منه ، ولم يعد غيبا مجهولا لنا .

٥ — وكذلك عرفنا الكثير من أحوال الدنيا فيما جرى عليها من أقدار الله ، ومما وقع للرسل من الأمم ، فلم يعد غيبا . . بل صار معروفا ، بدهيا من طريق الوحى إلى الرسل وقد بلغونا .

« نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . . نقص عليك من أنباء ما قد سبق ـ إن هذا لهو القصص الحق . . لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ..... وما كنت لديهم إذ يلقون

أقلامهم : أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون » .

فتلك معرفة بغيب سابق . . عرفناه من طريق الوحى عما مضى .

٦ — ومن هذا الغيب — غير المطلق — أمور تكون غيباً عند الله ، إلى أمد معين ، فإذا حان موعدها المقدور لها أخبر الله بها ملائكته ، ليتهيأ كل منهم لتنفيذ ما يتعلق به كنزول الأمطار . وهبوب الرياح وحدوث الموت . والولادة . وقيام الحروب . وإسناد الملك إلى من يشاء الله . ونزع الملك ممن يشاء .

وهكذا من كل قضاء أزلى يريد الله تنفيذه فى موعده ، والملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » .

وحينما يخبر الله الملائكة بهذا لم يصر غيبا كما كان .. فإذا نفذوه صار معلوما لنا ، وواقعاً مشهوداً .

وهكذا : أخبرنا الله ببعض شئون الآخرة من طريق الوحى .. لنكون على بصيرة بما خفى علينا ، حتى لا نؤخذ على غرة .. أو تكون لنا عند الله معذرة نتعلل بها . والله لم يرد أن يترك للناس حجة عليه ، ولا معذرة عنده .

وتلك المعلومات بطبيعتها ليست مدركة باجتهادنا ، ولا هى من تجاربنا فى المعامل ، ولا المصانع ، ولا سبيل لنا إليها ، لأنها غيب عنا ، وعن دنيانا التى نقلب بها أفكارنا ، ونعمرها بجهودنا .

ولا نعتبرها خاضعة للمحاولات العلمية : كنظريات الرياضة .. أو تجارب الكيمياء .. أو الطبيعة مثلا .

فإن هذه فروض عقلية ، تخضع للتطبيق ، ثم تنتهى إلى نتيجة مادية نأخذ بها ، إن كانت صحيحة ، أو نعدل عنها إن كانت غير ذلك .

٧ — أما شئون الغيب التى يخبرنا الله بها أو ببعضها عن أحوال الدنيا فى مستقبلها ، أو عن أحوال الآخرة فلا يجوز لإنسان يحترم عقله ، ويحفظ للعالم قداسته أن يتعرض لعلم الغيب عند الله .

ومهما نبلغ من العلم فإنه قليل كما حدثنا الله العالم بكل شىء « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وليس معنى هذا أن نقتصد فى البحث العلمى الجديد ، أو نيأس من تطوراته ؛ بل يجب فى تقرير القرآن أن نستزيد ، وأن نطرح الباطل منه ، ونحرص على النافع لتأخذ الدنيا حظها من الحضارة ، وتظهر فيها رعاية الله لخلقه ، وتتجلى فيها نعمه التى لا يحيط بها غيره .

وحينما تبلغ الدنيا شأوها يكون قضاء الله نافذاً فيها بغروب شمس الحياة عامـــة .. ويبدل الله الأرض غير الأرض ، والسموات غير السماوات « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها .. أتاها أمرنا ليلا ، أو نهارا ، فجعلناها حصيدا .. كأن لم تغن بالأمس .. كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »

منهج الرازي في تفسيره

للأستاذ علي العماري

— ٣ —

أسباب النزول :

من الأمور التي عنى بها الرازى فى تفسيره ذكر أسباب النزول ، وقد كان هـذا أمراً طبيعيا فى تفسير جامع كهذا التفسير ، وقد يذكر هذه الأسباب غير مسندة ، ولكن كثيراً ما يسندها إلى صحابى أو تابعى ، أو ينقلها من كتاب تفسير سابق ، فينص على الكتاب الذى أخذ عنه ، وكثيرا ما يفعل ذلك ، وبخاصة مع الزمخشرى .

وقل أن نجد سورة لم يذكر فيها سببا أو أكثر من أسباب النزول ، لاسيما فى الأمور التى تتعلق بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهم ، أو بكفار قريش ، وهو يحرص على بيان سبب النزول كل الحرص إذا كان فهم الآية ، أو الآيات يتوقف على بيان هذا السبب .

وإذا كان للآية أكثر من سبب عند نزولها ذكر هذه الأسباب كلها ، ومن ذلك ـ مثلا ـ ذكر أسباب النزول لأول سورة (الطلاق) .

قال : وقوله « يأيها النبى إذا طلقتم النساء » عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ، فأتت إلى أهلها فنزلت ، وقيل : راجعها ، فإنها صوامة قوامة . وعلى هذا ، إنما نزلت الآية بسبب خروجها إلى أهلها لما طلقها النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فى هذه الآية « ولا يخرجن » ـ أى من بيوتهن ـ وقال الكلبى : إنه عليه السلام غضب على حفصة ، لما أسر إليها حديثا فأظهرته لعائشة ، فطلقها تطليقة ، فنزلت . وقال السدى : نزلت فى عبد الله بن عمر لما طلق امرأته حائضا ، والقصة فى ذلك مشهورة ، وقال مقاتل : إن رجالا فعلوا مثل ما فعل ابن عمر ، ، وهم : عمرو بن سعيد بن العاص ، وعتبة بن غزوان ، فنزلت فيهم .

والرازى قلما يتعرض لتوثيق الأخبار أو توهينها فى أسباب النزول إلا إذا كان أمراً وقع فيه خلاف أو إنكار فإنه حينئذ يؤيد ما يرى أنه الحق .

. . .

الاستشهاد بالشعر :

الشواهد الشعرية ـ وإن كانت قليلة بالنسبة لطول مباحث الكتاب ـ لم يقلل المؤلف العناية بها بل كان يعرضها حين يريد الاستدلال على استعمال من استعمالات القرآن : من حيث

اللغة ، أو من حيث المعنى ، ولا سيما عند ما ينقل عن لغوى أو نحوى .

فمن أمثلة استشهاده هو ما عرضه فى تفسير قوله تعالى : « سلام هى حتى مطلع الفجر » قال : (وثالثها : أنه سلام من الشرور والآثام أى سلامة ، وهذا كما يقال : إنما فلان حج وغزو أى هو أبدا مشغول بهما ، ومثله : (فإنما هى إقبال وإدبار) .

وهذا شطر بيت من شعر الخنساء تصف فيه ناقة فقدت ولدها ، فصنعوا لها (بوا) لترأمه ، فتدر اللبن ، ولكنها لا تزال تذكر ولدها ، والبيت :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت
فإنما هى إقبال وإدبار

والبيت من شواهد النحويين المشهورة ، وهو من شواهد سيبويه فى الكتاب (١) .

قال سيبويه بعد ذكره : « فجعلها الإقبال والإدبار مجازا على سعة الكلام ، كقولك نهارك صائم ، وليلك قائم » .

ولذلك أصبح البيت كذلك من شواهد البلاغيين ، وقد أطال فيه الشيخ عبد القاهر ، فربما كان الرازى ذكره لمجرد احتجاجه لصحة الاستعمال النحوى ، وربما كان - أيضا - أراد الإشارة إلى الاستعمال البلاغى ، وبخاصة أنه كانت له صلة قوية بكتابى عبد القاهر الجرجانى .

(١) ج ١ ص ١٦٩ .

ومن استشهاداته اللغوية : استشهاده على أن (السكن) بمعنى المسكن فى قوله تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا » فى سورة النحل . قال - بعد أن فسر الكلمة - وأنشد الفراء :

جاء الشتاء ولم أتخذ سكنا
ياويح كفى من حفر القراميص (١)

ومن ذلك استشهاده على معنى كلمة (السحر) فى قوله تعالى : « يعلمون الناس السحر » من سورة البقرة .

يقول : (المسألة الأولى : فى البحث عنه بحسب اللغة ، فنقول : ذكر أهل اللغة أنه فى الأصل عبارة عما لطف ، وخفى سببه ، والسحر بالنصب (٢) هو الغذاء لخفائه ، ولطف مجاريه . قال لبيد : (ونسحر بالطعام وبالشراب) .

قيل : فيه وجهان :

(أحدهما) أننا نعلل ، ونخدع كالمسحور المجزوع .

(والآخر) نغذى . وأى الوجهين كان ، فمعناه الخفاء . وقال :

فإن تسألينا : فيم نحن ؟ فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحر

(١) القراميص : مفردها قرماص - بكسر القاف - وهو حفرة واسعة الجوف ، ضيقة الرأس ، يستدفئ فيها الصرد ، وموضع خبز الملة .

(٢) لعله يريد (بالنصب) فتح الحاء .

وهذا البيت يحتمل من المعنى ما احتمله الأول ، ويحتمل أيضا أنه يريد بالمسحر أنه ذو سحر ، والسحر هو الرئة ، وما تعلق بالحلقوم . وهذا ـ أيضا ـ يرجع إلى معنى الخفاء ، ومنه قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين سحرى ونحرى . وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » يعنى من المخلوقين ، الذى يطعم ويشرب ، يدل عليه قولهم : « ما أنت إلا بشر مثلنا » ، ويحتمل أنه ذو سحر مثلنا . وقال الله تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام أنه قال للسحرة ـ : « ما جئتم به السحر إن الله سيبطله » ـ وقال : « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم » . فهذا معنى السحر فى أصل اللغة) .

وصنيع الرازى هذا يدلنا على أنه حين يعرض للمعنى اللغوى للكلمة يوفيه حقه ـ أحيانا ـ فهو يستشهد له من الشعر ، ومن القرآن ، ومن الحديث .

ومن حسناته فى هذا الموضع أنه شرح ما استشهد به من الشعر ، وقل من المفسرين من يفعل ذلك .

ومن استشهاداته لصحة الاستعمال النحوى ، ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : (والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) . فهو يجيب عن سؤال : كيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب ؟ فيقول :

(والوجه الثانى فى الجواب أن يقال : إنهم جعلوا يوسف كالقبلة ، وسجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه ، وهذا التأويل حسن ؛ فإنه يقال : صليت للكعبة ، كما يقال : صليت إلى الكعبة .

قال حسان شعرا :

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف
عن هاشم ، ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم
وأعرف الناس بالقرآن والسنن

وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال : فلان صلى القبلة ، وكذلك يجوز أن يقال : سجد للقبلة . وقوله : « وخروا له سجدا » أى جعلوه كالقبلة ، ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه) .

ومن ذلك استشهاده على حذف حرف الجر فى قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » أى بما تؤمر به من الشرائع ، فحذف ، كقوله : أمرتك الخير فافعل ما أمرت به .

وربما جاء بالبيت من الشعر ، أو بالبيتين ليستأنس بهما فى معنى من المعانى ، فقد تمثل عند تفسيره لقوله تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها » من سورة يونس . حيث قال : ولأن العلم نور ، وسلطان العلوم والمعارف هو معرفة الله تعالى ، فكل قلب

حصل فيه معرفة الله تعالى لم يحصل فيه ظلمة أصلا ، وكان الشبلى - رحمة الله تعالى عليه - يتمثل بهذا ويقول :

كل بيت أنت ساكنه
غـير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحجج

* * *

أما استشهاداته البلاغية فقليلة ، كما أن المباحث البلاغية قليلة فى تفسيره أيضا .

فمن الأول استشهاده عند تفسيره قوله تعالى : « وثيابك فطهر » من سورة المدثر ، فقد ذكر احتمالات فى معنى هذه الآية ، وقال منها : (الاحتمال الثالث أن يبقى لفظ التطهير على حقيقته ، ويحمل لفظ الثياب على مجازه ، وذلك أن يحمل لفظ الثياب على الجسد ، وذلك لأن العرب ما كانوا يتنظفون وقت الاستنجاء ، فأمر عليه الصلاة والسلام بذلك التنظيف ، وقد يجعل لفظ الثياب كناية عن النفس . قال عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه (أى نفسه)

ولهذا قال :

ليس الكريم على القنا بمحرم .

ومن الثانى بيانه للمجاز فى قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » من سورة التكوير . قال : (ثم فى كيفية المجاز قولان :

(أحدهما) أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفسا له على المجاز ، وقيل : تنفس الصبح .

(والثانى) أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى جلس بحيث لا يتحرك ، واجتمع الحزن فى قلبه ، فإذا تنفس وجد راحة ، فهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن ، فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة) .

قلت : والرازى يشير بذلك إلى أن المجاز فى هذه الآية يمكن أن يكون من قبيل الاستعارة التصريحية إذا جعل المجاز فى كلمة (تنفس) ، أو من قبيل الاستعارة المكنية إذا جعل فى كلمة (الصباح) .

وهذا ما عبر عنه المتأخرون من علماء البلاغة بقولهم : كل استعارة تبعية فقرينتها مكنية .

ومن أبحاثه البلاغية فى تفسيره موازنته بين قوله تعالى : (ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) وبين قول أبى العلاء المعرى :

حمراء ساطعة الذوائب فى الضحى
ترمى بكل شرارة كطراف

فقد ذكر اثنى عشر وجها لفضل التشبيه فى الآية على التشبيه فى بيت المعرى ، ثم قال: (واعلم أن هذه الوجوه توالت على الخاطر فى اللحظة الواحدة ، ولو تضرعنا إلى الله تعالى فى طلب الأزيد لأعطانا أى قدر شئنا بفضله ورحمته)

هذا ، والرازى معدود فى علماء البلاغة ، وكتابه (نهاية الإيجاز) هو الواسطة بين كتب عبد القاهر وكتاب (المفتاح) للسكاكى، أو بين البلاغة الأدبية والبلاغة التقريرية ، فمن عجب أن تقل النظرات البلاغية فى تفسيره .

* * *

شخصية الرازى فى تفسيره :

على الرغم من النقول الكثيرة التى ملأ بها الرازى تفسيره ، والتى تنوعت فى كل علم وفن ، أقول : على الرغم من ذلك نحس بشخصية هذا الإمام جلية واضحة فى هـذا التفسير، والإمام الرازى عالم جرىء ـ ما فى ذلك شك ـ ولذلك نجد أثر هـذه الجرأة شائعا فى ثنايا تفسيره ، لايكاد يخطئه القارىء المتوسط الثقافة .

وكثير من الدارسين يعتبر (مفاتيح الغيب) مثالا للتفسير بالرأى ، وهذا اعتبار صحيح إلى مدى بعيد ؛ فإنه إذا كان فى النقول الكثيرة التى يضمنها كاتب كتابه بعض مايؤخذ عليه ، فلن يكون ذلك حقا إلا إذا ضاعت شخصيته فى ثنايا هذه النقول ، أما إذا برزت هذه الشخصية فى كل مناسبة ينبغى أن تبرز فيها ، فإن النقل لايضيره ، كثر أو قل.

وربما كان الغرض من النقل الاستدلال بكلام الآخرين على صحة ما يذهب إليه المؤلف ، أو رغبة فى نسبة الرأى إلى صاحبه ليخلص هو من عهدته .

وقد اختلف العلماء قديما فى الإجابة على هذا السؤال: هل يجوز تفسير القرآن بالرأى؟

إن كثيراً من الصحابة أحجموا عن أن يفسروا شيئاً من القرآن بآرائهم ، وكذلك رويت إجابات مانعة عن بعض العلماء السابقين الذى نهجوا منهج هؤلاء الصحابة فى الوقوف عند المأثور .

ومن هؤلاء العلماء الذين حظروا أن يفسر القرآن بالرأى الإمام الشاطبى .

فقد أنكر فى كتابه (الموافقات) التفسير العلمى للقرآن ، ورأى أن القرآن كتاب هداية ، وأن هذه المعانى العلمية لم تكن معروفة للصحابة ، ويسأل متعجباً : كيف تؤخذ ضوابط الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن ، على نحو ما قيل ، وهى جوامع لايضبطها اليوم أحد ، إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير ، وماضبطه القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيراً عظيما فيما طرأ ؟

ولكن الرازى ـ كما سبق أن نقلنا ـ كان يرى أنه يمكن استخراج آلاف المسائل من كلمة واحدة من القرآن ، وهذا الاستخراج ليس سبيله النقل على أى حال ، وإنما سبيله أن يستنبط المفسر ، وأن يمعن النظر فى الآية حتى يستقصى ما يمكن أن تدل عليه .

والرازى يميل دائماً إلى أن يذكر رأيه فى تفسير الآية ، تارة يكون هو المبتدىء بالرأى، وتارة يرجح بعض الآراء التى ينقلها، ثم هو فى الحالين يحتج على ما يراه ، وغالباً ما تكون هذه الحجج - إن لم يسندها - من بنات فكره . ولقد يدلنا على ذلك أنه حين ينقل الحجة أو التعليل يصدر النقل بقوله : واحتج أصحابنا ، أو ذكر فلان ، أو ما أشبه ذلك .

على أن الرازى حين ينقل يتخير ، ولا يكون كحاطب الليل ، وهذه فضيلة تذكر لكل مؤلف بالثناء والتقدير ، وشتان بين ناقل ينقل كل مايجده فى كتب السابقين دون نخل أو تخير ، ودون تنظيم أو تبويب ، وناقل يجلب كل ماطالعه فى الكتب ، ثم يركم نقوله ركما ، لا أثر فيها لعقليته ، ولا يدل عمله إلا على ذهنية مضطربة مشوشة .

وربما كان من الإنصاف أن أقول : إن مطالعاتى فى تفسير الرازى قد رسمت لمنهج الرازى فيه صورة تكاد تبرز فى كل موضع من كتابه ، وإن النفس لتجد لهذه الصورة ذوقا خاصاً ، قلما تخطئه ، وهذا شأن أصحاب الشخصيات فيما يكتبون ويؤلفون .

هذا ، فى حين أنى أطالع بعض التفاسير، وأطيل مطالعتها ، فلا ترتسم فى النفس صورة معينة لها ، وما ذلك إلا لأن المفسر أذاب شخصيته فى شخصيات الآخرين ، وهذا أمر نجده فى الكتاب والشعراء والمؤلفين والمدرسين ، فلكل واحد من هؤلاء لون خاص يتجلى فى آثاره إن كان أصيلا فيما يقول ، أو يؤلف .

وربما كان الرازى من أظهر المؤلفين مزاجا فى تفسيره ، ذلك أنه كان حاد المزاج ، وهذا النوع من الناس يقوى ظهور شخصياتهم فيما يكتبون لا سيما إذا كانوا معتدين بأنفسهم ، صادقين فيما يقولون ، وما يعالجون من شئون العلوم والفنون .

على أننا لا نلمس فى هذا التفسير آراء الرازى العلمية فحسب ؛ بل نجد فيه آثار أخلاقه وصفاته التى نعرفها عنه ، وما إخال إلا أن الرازى جمع نفسه ، ووضعها كلها بين سطور هذا التفسير .

وهذا المفسر الذى وصفناه بالجرأة، له آراء تدل على مدى التعلق بالمأثور ، وربما وجدنا له اعتقادات ربما لا يتخيل كثير من الناس أنها كانت مستقرة فى نفس المفسر الفيلسوف .

من ذلك أنه كان مؤمنا قوى الإيمان بقصة (شق وسطيح) الكاهنين العربيين ، اللذين كان أحدهما نصف إنسان ، والثانى لا يستطيع أن يقوم من الأرض ، وأنه كان يصدق أن بعض الكاهنات كانت تخبر عن المغيبات فتقع الأحداث على ما أخبرت .

يقول فى الأول : (ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقاً وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل زمان ظهوره ، وكانا فى العرب مشهورين بهذا النوع من العلم ، حتى رجع إليهما كسرى فى تعرف أخبار رسولنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيب) .

ويقول فى الأمر الثانى : (إن الكاهنة البغدادية التى نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان ، وسألها عن الأحوال الآتية فى المستقبل، فذكرت أشياء، ثم إنها وقعت على وفق كلامها) .

(قال مصنف الكتاب ـ ختم الله له بالحسنى ـ وأنا قد رأيت أناسا محققين فى علوم الكلام والحكمة ، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخباراً على سبيل التفصيل ، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها) .

والرازى إنما يسوق هذين المثلين ليؤيد رأيه فى أنه (ليس مراد الله من هذه الآية [1] أن لا يطلع أحـــدا على شيء من المغيبات إلا الرسل) .

وما ذكرت هذين المثلين لأحقق صحتهما أو عدم صحتهما ، وإنما سقتهما لأدل على أن هذا المفسر الكبير قد كان يعتقد ما يظن كثير من المعجبين بآرائه أنه لا يعتقده .

وللرازى من أمثال ذلك كثير ، وفى تاريخه ما يدل على أنه كان رجلا يراقب ربه أشد المراقبة ، وأنه لم يكن يقول الرأى إلا وهو معتقد أنه الحق ، وواثق من أنه يخدم به دينه وشريعته .

رحمه الله ؟

على العمارى

---

(١) هى قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـــداً إلا من ارتضى من رسول » ، من الآية السابعة والعشرين من سورة الجن .

دراسات حول القرآن :

السّجعُ والقرآن وَالباقلاّنى

للدكتور عبد الرءوف مخلوف

– ٢ –

قلنا فيما تقدم: إن فى القرآن سجعا ،مخالفين بذلك الباقلانى فى مذهبه ، وإذا كنا فى مقالنا السابق قد أقمنا الدليل على صحة ما نذهب إليه من الناحية النظرية ، فإنا هنا ندع تقرير القضية ووضع الحدود لها إلى استعراض بعض واقع اللغة فى نظمها ، ونختار لذلك سورة من سور القرآن الكريم تكون أنموذجا لغيرها من السور ، أو لغيرها من أجزاء السور المسجعة ، ولتكن السورة التى نختارهى سورة (الفجر) ، فإنها سورة لم تلتزم وزنا بعينه ، ولا التزمت فى سجعها صوتا بذاته ولا تساوت آياتها من حيث المساحة اللغوية، وإنما ترددت من ذلك كله فى أفنان من الصور الفنية المبدعة والألحان التى لا يتأتى مثلها فى غير القرآن الكريم . قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم :

(ا) والفجر / وليال عشر / والشفع والوتر / والليل إذا يسر / هل فى ذلك قسم لذى حجر ...

(ب) ألم تر كيف فعل ربك بعاد / إرم ذات العماد / التى لم يخلق مثلها فى البلاد / وثمود الذين جابوا الصخر بالواد / وفرعون ذى الأوتاد / الذين طغوا فى البلاد/ فأكثروا فيها الفساد ...

(ح) فصب عليهم ربك سوط عذاب .

(د) إن ربك لبالمرصاد ...

(ه) فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن / وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن.

(و) كلا / بل لا تكرمون اليتيم ...

(ز) ولا تحاضون على طعام المسكين .

(ح) وتأكلون التراث أكلا لما /وتحبون المال حبا جما ...

(ط) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ...

(ى) وجاء ربك والملك صفا صفا ...

(ك) وجىء يومئذ بجهنم ...

(ل) يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ...

(م) يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ...

(ن) فيومئذ لا يعذب عذابه أحد / ولا يوثق وثاقه أحد ...

(ش) يا أيتها النفس المطمئنة ...

(ع) ارجعى إلى ربك راضية مرضية .

(ف) فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى .

فنحن حين نقرأ السورة آية آية ، وفاصلة فاصلة ، نرى فى كل جزء من الأجزاء السبعة عشر التى انقسمت إليها على النحو المتقدم - بغض النظر عن عدة آياتها ، وتبلغ الثلاثين - نغما خاصا ينفرد به ، ونلمس لحنا مميزا لكل جزء فى هذا اللحن يربط بين جزيئات الجزء فى الأداء والإلقاء ، ثم ما يلبث ذلك اللحن أن يتغير فى الجزء التالى ، مغايرا بذلك سابقه ولاحقه فى المساحة والوزن وفى صوت المقطع وهكذا إلى آخر السورة . فما أن يقرع السمع حرف (الراء) فى المطلع و (الفجر) ويتكرر إلى قوله : (لذى حجر) حتى ينتقل اللحن إلى صوت آخر عماده (الدال) فى قوله تعالى: « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » ويستمر هذا المقطع يتردد سبع مرات حتى يتوقف عند قوله تعالى: « فأكثروا فيها الفساد» منه منتقلا إلى صوت (الباء) فى قوله « فصب عليهم ربك سوط عذاب » مع مانلحظ من تقارب صوتى (الدال والباء) الأمر الذى يبيح العودة إلى الدال ثانية لأن المعنى يقتضى ذلك ، وإن كان اللحن لا يريده ، لأن المعنى هو الأساس ، واللفظ له تبع فإذا هو يقول بعد (سوط عذاب) إن ربك لبالمرصاد .

وهكذا يراعى القرآن الصورة اللغوية الكامنة ، وإن لم يهمل صورتها الظاهرة لأنهما وجهان لشىء واحد .

ثم يترك القرآن مقطعى الباء والدال إلى مقطع آخر هو مقطع النون فى قوله تعالى : « أكرمن وأهانن » حاذفا من أجلهما المفعول . وهكذا يمضى يغاير بين الفواصل ومقاطعها وبين الجمل فى الطول والقصر ، وفى الجرس والصوت غير مبال بشىء من ذلك كله ، وإنما يبالى تصوير الفكرة ، وتمثيل المعنى ، ثم الفكرة والمعنى هما اللذان يستدعيان الشكل الخارجى ويستجلبانه ، ويحددان مساحة الآية فتأتى كلمة واحدة أحيانا كما فى قوله : « والفجر » - إذا نحن تغاضينا عن (الواو) - وكلمتين كما فى قوله : « وليال عشر » « والشفع والوتر » وثلاثا فى مثل « والليل إذا يسر » وستا إذا استدعى المعنى ذلك كما فى قوله تعالى : « هل فى ذلك قسم لذى حجر » وتأتى الآيتان متماثلتان مساحة ومقطعا كما فى قوله : « وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما » .

ولا مانع من أن يأتى المقطع يتيما لا أخ له كما فى « سوط عذاب » على ما تقدم مع ملاحظة ما أشرنا إليه من قربه إلى الدال ، الأمر الذى أباح وقوعه بين مجموعة فواصل كلها تقوم على الدال ، وهكذا لا تشعر الأذن بنشاز المفارقة أو بعد الجرس .

وعلى هذا النحو تمضى السورة، فتكون بتخالف أجزائها (سيمفونية) تتراكب فيها الألحان وتتقارب ممسكا بعضها برقاب بعض، متدافعا ثانيها وراء أولها ، ورابعها وراء ثالثها ، كل سابق يطلب لاحقه ، وكل لاحق لا قيامة له بغير سابقه ، لو سقطت كلمة ، أو بدلت واحدة بأخرى ، أو عـدل بها عن موضعها قبلا أو بعداً ، لاختل النظم ، وكان النشاز الذى ينبو به الذوق وتنكره الأذن وينفر منه الحس ، أو فى الأقل يقع به تغير فى المعنى .

هذا التنويع فى الإيقاع ، والتغيير فى المقاطع غاب عن الباقلانى سره فراح يقول فى السجع : « إن له طريقا مضبوطا متى أخل به لم يكن سجعا » !

إن كل آية فى داخل سورة الفجر المتقدمة ، وفى غيرها من السور المسجعة إن هى إلا ضربة وتر من مجموعة هـذه الضربات التى تتكون منها السورة لحنا فى شكل منتظم على نحو يستجلبه المعنى ويستدعيه ، وتتوقعه الأذن ، وتستشعر فيه الانسجام والتوافق ، وليست الآيات ـ إحداها إلى جانب الأخرى بما فيها من تفاوت فى المساحـة ، وتشابه فى المقطع يتكرر لمدى محدود قد يكون مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك ، ثم بما فيها من انتقال بين صوت وصـوت بتماثل أو بتقارب أو بتغاير ـ ليست الآيات على هذا النحو ـ إلا ألحانا أخذت تنظيمها الزمنى والحسى من ذلك التغاير والتخالف .

وإذا كانت الموسيقى تعتمد على التأكيد المتواتر لضربة من الضربات على آلة من آلات العزف ، ثم على الانفلات من ذلك إلى نغم آخر ، فإن مجىء مجموعة من الآيات على هيئة بعينها ومقاطع صوتية متحدة متوافقة ثم انتقالها إلى هيئة أخرى ، وإلى مقاطع صوتية مغايرة لما سبق ، مع تكرار ذلك ، فى السورة الواحـدة ، ليس إلا ضربا من الإبداع الفنى الذى عماده المغايرة والمشاكلة بين صور اللحن والنغم ، ثم هو مما لا يهتدى إليه إلا الأقلون ، ومن ثم تحـيرت العرب لما جاءها القرآن ، ولم تجـده على وتيرة واحدة ، فلا هو من قبيل الشعر فى رتابته ولا هو من قبيل سجع الكهان فى إغرابه ، ولا هو من قبيل خطبها فى جلجلتها ، وإنما هو شىء آخر فيـه من كل الذى عرفت ، ولـكن على نحو جديد لا عهد لها به من حيث صواب المعنى ، وشرفه ، وإحكام الصنعة ودقتها ، مع بداعة اللفظ وجمال الإيقاع وتناسب الفواصل وتناسق الجرس الموسيقى .

وإذا كان الشعر يختلف بتفاعيله لتوافق أوزانه الحالة الانفعالية عند الشاعر فيأتى بنظمه فى صور لا حصر لهـا ، هى ما نسميه

البحور بعروضها وأضربها المتعددة بتعدد ما يداخلها من زحاف وعلل ، ومع ذلك يقبله الباقلانى ، فما له لا يقبل الأسجاع إذا تغايرت مساحتها ومقاطعها وأوزانها ، وماله يأبى إلا أن تكون على وتيرة واحدة متى أخل بها المتكلم وقع الخلل فى كلامه ؟ !

وإذا كانت اللغة عموما إنما هى تعبير عن النفس الإنسانية فى مختلف حالاتها ونزعاتها ، فلم لا نتوسع فى صور الأداء حتى نلبى بالعبارة تلك الحالات وهذه النزعات ؟

وإذا كان السجع صورة لغوية من تلك الصور التى تحكى النفس ، وتحكى عنها فى مختلف حالاتها فلم لا نتوسع فيه توسعنا فى غيره ؟ ، ولم يحاول الباقلانى حصره فى ضرب بعينه ولم يضيق من حدوده ويلزمه التماثل فى الصوت والمساحة والفقر حتى إذا جاء فى القرآن متحللا من كل قيد قال عنه : إنه ليس سجعا !

إن قضايا النقد تنبع من واقع الفنون ، والمبدع يأتى قبل الناقد ، والسجع حين يأتى متفاوتا بالطول والقصر ، مختلفا فى الأصوات والمقاطع ؛ إنما يمثل حالات متعددة فإذا كان صادرا عن فطرة سليمة ، وعن قدرة لغوية متمكنة ؛ فإن لنا أن نقبله وأن نضعه بين أعلى نماذج الكلام . يقول القرآن الكريم فى موطن الإرعاد والتخويف ، والتهديد : (ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا ، إنه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ...) وهكذا يمضى القرآن على هذا النمط من التسجيع فى فقر قصيرة هادرة متدافعة متلاحقة ، حتى إذا استدعى المقام أن يكون الكلام مرسلا تتئد فيه العبارة من تحدرها لتشرح قضية ـ مثلا ـ أو تقرر حقيقة ، فإنه لا يلبث أن يتخلى عن أسلوب السجع إلى أسلوب الترسل الذى يتسع للتعقل ، فإذا هو يقول بعدما تصببت الآيات المتقدمة على رأس الوليد وعيدا وتهديدا وإنذارا : (وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وماجعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هى إلا ذكرى للبشر) .

إن فى الآية روح الاستقرار الذى يناسب موقف الإدلاء بحقيقة، والتفسير لظاهرة، والتعليل لقضية، فإذا فرغ من ذلك عاد إلى الذى كان فيه من سوق الحديث على نحو تستشعر فيه الغضب، فإذا هو يهدر مرة أخرى ويقول: «كلا والقمر، والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر، إنها لإحدى الكبر، نذيراً للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر».

وهكذا يأتى السجع يتبع فيه اللفظ المعنى، وقد كان سجع القرآن على حد تعبير (بروكلمان) وملاحظته العميقة: «جديراً لا فى طابعه الإيقاعى السهل المنساب؛ بل فيما يحويه من كفاح الروح، فهنا مصدر جدته الجديدة، التى كانت من قوة الفكرة وعنف الكفاح، وصفاء الروح التى وراءها بحيث تنسى المصغى إليها هذه الصورة الخارجية، وتجعل اتصاله مقصوراً على المعنى الذى يتفجر منها، كما يخفى صفاء الماء ووضوحه الآنية التى يحتبس فيها».

... وهكذا يكون السجع فى القرآن، جاء وهو تصوير للأفكار والمواقف على اختلافها، فاختلف بالطول والقصر، وبالمساحة والمقطع، ولم يلتزم التساوى فى شىء مما يتعلق بالألفاظ والأصوات؛ لأنه ليس من الاهتمام بالصورة الخارجية للغة فى كثير أو قليل، ما لم يكن ذلك على صلة وثيقة، وقرابة قريبة من المعنى والفكرة التى يريد لها ويقصد إليها.

وعلى هذا يكون ما طالب به الباقلانى من توازى الأسجاع فى الطول والمساحة والمقطع أمراً لا يمت إلى فنية الكلام، وبالتالى يكون قوله: «ومتى خرج السجع من المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه من تدانى المقاطع وامتدادها حتى يتضاعف طولها خرج عن أن يكون سجعا» - يكون قوله هذا - غير مستساغ ولا مقبول.

هذا؛ إلى أن قياسه السجع على الشعر فى حتمية التوازى والتساوى بين الفقر والجمل قياس باطل؛ لأن الشعر باب غير السجع، باب له رسومه وتقاليده المنضبطة والملتزمة، والسجع ليس كذلك، وحتى الشعر ذاته - على تمام انضباطه، ووضع المقاييس والأوزان له، نجد باب الحرية فيه مفتوحا للتخلى عن ذلك التمام والانضباط؛ فالشاعر حر فى اختيار ما يشاء من البحور المختلفة بالوزن اختلافا يسع جميع الأشكال التى تلائم الحالات الانفعالية التى يلابسها الشاعر أو تلابسه، فهذا بحر الطويل بوزنه الرزين المتئد، وذلك بحر الهزج الراقص بتفاعيله المتحركة، أو بحر السريع المتدافع بتتابع أجزائه، ومع اختلاف البحور وتعددها نجد سماحتها بالمغايرة حين تختلف الأضرب فيها وحين

تدخلها العلل والزحاف ، فهلا كان السجع أولى بهذه التوسعات ، وهلا خفف الباقلانى من تشدده فى أمر التساوى والتوازى بين الفقر ، حتى ليسمى أحـــد فقرتى السجعتين المتجاورتين مصراعا ، إمعانا منه فى المطالبة بحتمية التوازى فى الأسجاع كما هو الشأن فى الشعر وذلك حين يقول : « وكذلك إذا اضطرب أحد مصراعى السجع وتفاوت كان خبطا » .

آية موسى وهارون :

جاءت قصة موسى عليه السلام فى مواضع من القرآن وقد تقدمت فيها كلمة « موسى » على كلمة « هرون » كذلك جاءت كلمة « هرون » مقدمة على كلمة « موسى » وقال الذين نظروا فى تعليل ذلك أنه إنما روعى فى الحالين مكان السجع ، وتحقيق التوافق بين رءوس الآى فى المقطع ، فإنه لما قال تعالى : « فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى» (١) ... ومضت الآيات مبنية على الألف ناسب أن يقول : « فألقى السحرة سجداً ، قالوا آمنا برب هرون وموسى » (٢) . إجراء للمقاطع كلها على حرف واحد .

فلما كانت سورة الشعراء واختلف المقطع فى الآيات وقال تعالى : « ... فألقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون . فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين» أتبع ذلك بقوله : « رب موسى وهارون» ، ولا توجيه لذلك إلا أنه إجراء المقطع على حرف واحد يتحقق به الانسجام والتماثل فى الفاصلة .

ولم يعجب الباقلانى ذلك التوجيه لتقدم كلمة موسى مرة وكلمة هرون أخرى ، فإذا هو يقول لنا : « وأما ماذكرتموه من أن تقديم موسى على هرون عليهما السلام فى موضع ، وتأخيره عنه فى موضع إنما هو لمكان السجع ، وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا ـ يريد نفسه ـ غير ماذكروه ، وهى أن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الأمر الصعب الذى تظهر به الفصاحة وتتبين به البلاغة ...» إلى أن يقول : «فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها ، إظهار الإعجاز على الطريقين جميعاً دون السجع الذى توهموه » .

وتعقيبى على هذا أنه ذهاب عن الحق إذ أى إعجاز فى أن يقال مرة : « موسى وهرون»

---

(١) سورة طه آية ٦٢ .

(٢) سورة طه آية ٧٠ .

ومرة أخرى : «هرون وموسى» ما لم يكن وراء ذلك تحقيق لغاية أو اعتبار لمعنى ، أو تجميل لصورة ؟ أما المعنى فإنه لايتغير بتقديم أحد المتعاطفين أو تأخيره إذا كان العطف بحرف «الواو» التى يتساوى معها المتقدم والمتأخر ، ولا يبقى والأمر كذلك إلا أن يكون التخالف فى التعبيرين لتحقيق السجع الذى هو تحقيق لموقع المقطع فى السمع ، ومجيئه متحداً متوافقا مع ما قبله وما بعده، غير ناشز ولا كز ولا خارج عن سياق المقاطع جملة ، وانظر كيف يكون وقع الكلام على سمعك فى سورة طه لو أنه قال : فألقى السحرة سجدا ، قالوا : آمنا برب موسى وهرون ، وقبلها : «ولا يفلح الساحر حيث أتى» . وبعدها «أينا أشد عذابا وأبقى» إذن لنبا بالكلمة السمع ومقطعها على النون بين الألفات ، ولكنه يستسيغ «أتى، وموسى وأبقى» لرابطة التماثل والتشابه ، والأمر كذلك فى آيات الشعراء فمقطع الآيات من أول السورة إلى الآية — موضوعنا — على النون فناسب أن يقول : «رب موسى وهرون» ولو أنه عكس فقال: هرون وموسى ، كما قال فى سورة طه، لكان النشاز الذى تنكره الأذن، وينبو به الحس — واللغة وإن كانت أصلا للدلالة إلا أنها أيضاً تتعمد الجمال وتسعى إليـــه من طريق موافقتها للحس السليم ، واستجابتها للفطرة والذوق، وجميعها تستعذب التوافق والانسجام وتنفر من التخالف والتباين ، وأسباب الجمال فى جملتها نضفى على الدلالة ذاتها لونا من ألوان القوة والبيان .

هـــذا والقصد إلى تحقيق الجمال الصوتى لا يقتصر فى القرآن الكريم على آية موسى وهرون أو هرون وموسى ، وإنما يتردد فى كثير من المواضع لذلك الغرض، وهذا هو الزركشى يقول فى قوله تعالى : «ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ، وأجل مسمى» - يقول - : إن قوله تعالى : «وأجل مسمى» معطوف على قوله «كلمة» ، ولهذا رفع ... وإنما قدم وأخر لتشتبك رءوس الآى وتتشاكل - قال ابن عطية : «ومما رزقناهم ينفقون» أخر الفعل عن المفعول فيها وقدمه فيما قبلها من قوله «يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة» ، لتوافق رءوس الآى . ثم يحكى الزركشى أن أبا البقاء قال فى ذلك : إنه أجود من قول الزمخشرى : قدم المفعول للاختصاص

يقول الزركشى : ومنه ، أى من القصد إلى تحقيق السجع الذى هو لون من ألوان الموسيقى اللغوية إفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى : «فى جنات ونهر» قال الفراء: الأصل الأنهار وإنما وحد لأنه رأس آية»(١)

---

(١) البرهان ص ٦٣ .

والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ من أوائل من نبهوا إلى رعاية القرآن للموسيقى فى رءوس الآى رعاية كأنما يعمد إليها عمدا ليحقق النسق الصوتى .

ومثل الفراء الزمخشرى فإنه يحكى قوله تعالى : « وجئتك من سبأ بنبأ » ، ثم يقول فيها - وإن لم تكن من باب الأسجاع - : قوله من سبأ بنبأ ، من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ ، بشرط أن يجىء مطبوعا أو بصنعة عالم بجواهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ها هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان « بنبأ » كلمة « بخبر » لكان المعنى صحيحا ، وهو كما جاء أصح لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال » .

فهكذا السجع حين يأتى بصنعة عالم بجواهر الكلام ؛ فإنه يحفظ معه صحة المعنى وسداده، وعلى هذا نرى أن الذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات والمزاوجة بين الكلمات والمجانسة بين الفواصل - إنما ينكرون جمال البلاغة .

له بقيه ...

عبد الرءوف مخلوف

الحقيقة العظمى التى قررها يوم الفرقان فى بدر ، هى أن الباطل « فتنة » ، وأن الحق لا يكفى أن يقوم به أهله فى أنفسهم ؛ بل يجب أن يضربوا أيضا على يد الباطل « حتى لا تكون فتنة » . وأى فتنة أفدح من أن تكون للباطل سيادة تظهره حيث كان يجب أن ينفرد الحق بالظهور ! ؟

٨٨٢ ج ١٥ ، ١٦ / ١٣٧٤

مكانة الفقه الإسلامي

للأستاذ زكريا البري

— ٣ —

آراء الصحابة :

بينا فى مقالنا السابق أن القرآن الكريم هو مصدر المصادر الإسلامية للأحكام الشرعية وأن السنة بيان للقرآن الكريم ، ومصدر تال له يستمد منه حجيته ومنزلته ، وإذا كانت تلك المنزلة ثابتة للسنة النبوية الصحيحة ، فما منزلة أقوال الصحابة ومذاهبهم الاجتهادية الفردية ، التى رويت عن بعضهم فى الأحكام الفقهية ؟

لقد ذهب بعض العلماء إلى حجية قول الصحابى المستند إلى رأيه واجتهاده مستدلين بالأدلة الآتية :

أولا : يقول الله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (١) » .

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

والسابقون هم الصحابة ، وقد أخبر الله سبحانه فى هذه الآية برضاه عنهم وعمن اتبعوهم بإحسان ؛ والأخذ بأقوالهم اتباع لهم ومحل للرضا الإلهى .

ثانيا : أن السنة النبوية قد دلت على رفعة منزلتهم ، وصحة الاقتداء بهم ، ومن ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أنا أمان لأصحابى ، وأصحابى أمان لأمتى) وقوله : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) . وقوله : (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم) .

ثالثا : أن الصحابى ـ كما يقول ابن القيم (١) (له مدارك ينفرد بها عنا ، ومدارك نشاركه فيها ، فأما ما يختص به فيجوز أن يكون قد سمعه من النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ شفاها أو من صحابى آخر من رسول الله ، فإن ما انفردوا به من العلم عنا أكثر من أن

(١) أعلام الموقعين ج ٤ ص ١٠٢-١٢٦ وقد استدل على حجية قول الصحابى بستة وأربعين دليلا .

يحاط به ، فلم يرو كل منهم كل ما سمع ، وأين ما سمعه الصديق والفاروق وغيرهما من كبار الصحابة رضى الله عنهم ؟ فلم يرو عن صديق الأمة مائة حديث ، وهو لم يغب عن النبي صلى الله عليه وسلم فى شيء من مشاهده ، بل صحبه من حيث بعث ... إلى أن توفى ، وكان أعلم الأمة به ، وبقوله وبفعله ، وكذلك أجلة الصحابة ، روايتهم قليلة جدا ، بالنسبة إلى ما سمعوه من نبيهم وشاهدوه ، ولو رووا كل ما سمعوه وشاهدوه لزادوا على رواية أبى هريرة أضعافا مضاعفة ، فإنما صحبه أربع سنين ، وقد روى عنه الكثير ، فقول القائل : لو كان عند الصحابى فى هذه الواقعة شيء لذكره ، قول من لم يعرف سيرة القوم وأحوالهم ، فإنهم كانوا يهابون الرواية ويعظمونها ويقللون منها خوف الزيادة والنقص ، ويحدثون بالشيء الذى سمعوه من النبي مرارا . ولا يصرحون بالسماع ، ولا يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك الفتوى التى يفتى بها أحدهم لا تخرج عن ستة احتمالات :

أحدها : أن يكون قد سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانيها : أن يكون قد سمعها ممن سمعها منه .

ثالثها : أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فهما خفى علينا .

رابعها : أن يكون قد اتفق عليها ملؤهم ، ولم ينقل إلينا إلا قول المفتى بها وحده .

خامسها : أن يكون لكمال علمه باللغة ... وشهود تنزيل الوحى ومشاهدة تأويله بالفعل يكون فهم ما لم نفهمه .

سادسها : أن يكون فهم ما لم يروه عن الرسول وأخطأ فى فهمه .

وعلى هذا التقدير لا يكون حجة ، ومعلوم قطعا أن وقوع احتمال من خمسة أغلب من وقوع احتمال واحد معين ... وذلك يفيد ظنا غالبا قويا على أن الصواب فى قوله دون ما خالفه ... وليس المطلوب إلا الظن الغالب والعمل به متعين .

(وأما المدارك التى شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة ، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبا ، وأعمق علما ... وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له ، لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان ، وفصاحة اللسان ، وسعة العلم ، وسهولة الأخذ ، وحسن الإدراك ... فالعربية سليقتهم ، والمعانى الصحيحة مركوزة فى فطرتهم وعقولهم ، ولا حاجة بهم إلى النظر فى الإسناد وأحوال الرواة ، وعلل الحديث والجرح والتعديل) وعلى هذا كانت آراؤهم حجة بالنسبة لغيرهم الذين لم تتوافر لهم مزاياهم ومشاهداتهم ، والذين

انتقلت إليهم النصوص والآثار سماعا ، وما راء كمن سمعا .

ويقول ابن مسعود : (من كان مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا يؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا وأعمقها علما ، وأقل تكلفا ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم - ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (١) .

وذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أن قول الصحابى ليس بحجة ، مستدلين بما يأتى :

أولا : أن الصحابى ليس معصوما من الخطأ ، فهو مجتهد كغيره من المجتهدين ، يجوز عليه الخطأ وامتياز الصحابى بالفضل والعلم والتقوى لا يوجب اتباعه على مجتهد آخر .

ثانيا : أن الصحابة كانوا يرون ذلك ، حتى أنهم كانوا يتهيبون الفتوى ، ويخافون الخطأ فيها وهذا أبو بكر - حينما سئل عن الكلالة الواردة فى قوله تعالى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة.. » يقول: أقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، الكلالة ماعدا الوالد والولد » .

وهذا عمر يقول لأبى موسى حينما عبر عن رأى رآه عمر بقوله : هذا ما أرى الله عمر : امحه واكتب هذا مارأى عمر ، فإن يك خطأ فمن عمر .

وهذا عبد الله بن مسعود يفتى رجلا فى الكوفة يحل أم زوجته التى طلقها قبل الدخول بها ، ثم يسأل غيره من الصحابة بالمدينة ، ويعرف خطأه ، فيعود إلى الكوفة ويطلب من الرجل أن يفارق زوجته .

ثالثا : أن الصحابة كان يخطىء بعضهم بعضا ، فحين عزم عمر على جلد الزانية الحامل . قال له معاذ : « ان جعل الله لك على ظهرها سبيلا ، فما جعل لك على ما فى بطنها سبيلا » فقال عمر : لولا معاذ لهلك عمر .

وحين نهى عمر عن المغالاة فى مهور النساء ، ردت عليه امرأة وقالت : « أيعطينا الله تعالى بقوله : وآتيتم إحداهن قنطارا ... ويمنعنا عمر ، فقال : أصابت امرأة ، وأخطأ عمر .

وكثيرا ما حصل الخلاف بين أبى بكر وعمر ، وبين عبدالله بن عباس وزيد بن ثابت، يقول ابن عباس : « ألا لا يتقى الله زيد ابن ثابت ، يجعل ابن الابن ابنا ، ولا يجعل

---

(١) أخرجه رزين (تيسير الوصول حـ ١ ص ٢٦ ط الحلبى .

أب الأب أبا ، حينما اختلفا فى توريث الجد والإخوة .

رابعا - أن بعض التابعين خالفوا قول الصحابى ، ولم ينكر عليهم ذلك ، بل أن بعضهم رجع عن رأيه إلى رأى التابعى .

ومن ذلك أن على بن أبى طالب تحاكم إلى شريح - وهو تابعى - فى درع له وجدها عند يهودى ، فقال اليهودى : درعى وفى يدى ، فطلب شريح من على إثبات دعواه ، فأحضر مولاه « قنبر » وابنه الحسن ، ليشهدا له ، فقال شريح : أما شهادة مولاك فقد أجزتها ، وأما شهادة ابنك فلا ، وكان على يرى جواز شهادة الابن لأبيه .

ومن ذلك أن عبدالله بن عباس ، أفتى فيمن نذر أن يذبح ابنه بذبح مائة من الإبل ، فعلم بذلك مسروق - وهو من التابعين - فخالف ابن عباس ، وأفتى بذبح شاة واحدة قائلا : ليس ولده خيرا من إسماعيل ، فقد فداه الله بذبح عظيم ، فرجع عبد الله بن عباس عن قوله إلى قول مسروق (١) .

أما الاستدلال على حجية قول الصحابى بقوله تعالى : « والسابقون الأولون ... » فغير مسلم ، لأن اتباع الصحابة يكون بالاجتهاد فى الأحكام كما اجتهدوا ، لا بتقليدهم وأخذ أقوالهم حجة ملزمة . وأما الأحاديث فلا دلالة فيها إلا على فضلهم وارتفاع منزلتهم ، ولا دلالة فيها على حجية أقوالهم . وقد رجح الغزالى (١) والشوكانى ذلك .

يقول الشوكانى : « إن الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ... والأمة كلها مأمورة باتباع الكتاب والسنة ، لا فرق بين الصحابة ومن بعدهم ، فمن قال : إن الحجة تقوم فى دين الله عز وجل بغير الكتاب والسنة ، أو ما يرجع إليهما ، فقد قال فى دين الله بما لا يثبت ، وأثبت فى هذه الشريعة شرعا لم يأمر الله به ، وهذا أمر عظيم ، وتقول بالغ ؛ فإن الحكم لفرد أو أفراد بأن قوله أو أقوالهم حجة على المسلمين ، يجب عليهم العمل بها ، وتصير شرعا ثابتا متقررا ، لا يصح لمسلم الركون إليه ، ولا العمل به ، فإن هذا المقام لم يكن إلا لرسل الله لا لغيرهم ، وإن بلغ فى العلم والدين وعظم المنزلة أى مبلغ . ولا شك أن مقام الصحبة مقام عظيم ، ولكن فى الفضيلة وارتفاع الدرجة وعظم الشأن ... ولا تلازم بين هذا

---

(١) سلم الوصول للأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعى ج ٤ ص ٤٢١

(١) المستصفى ج ١ ص ٢٦٠ وما بعدها .

وجعل الواحد منهم مشرعا كالرسول، وإلزام الناس باتباعه، ولا يصح التمسك فى هذا المقام بما روى أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فإنه لم يثبت قط ... على أنه لو ثبت من وجه صحيح، لكان معناه أن حرصهم على اتباع الشريعة الثابتة بالكتاب والسنة يجعلهم قدوة كاملة للناس، ومما يجب أن يقتدى بهم فيه ألا يقول الإنسان قولا إلا وقد عرف دليله من كتاب أو سنة، وعلى هذا المعنى يحمل ما صح عنه من قوله: «اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر» وما صح من قوله: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين الهادين»[1].

وهذا الذى يقرره الشوكانى ننضم إليه فيه.

ونقول: إن آراء الصحابة الاجتهادية ينبغى ألا تكون حجة ملزمة كالقرآن والسنة، وإنما يستأنس بها ويسترشد فى استنباط الأحكام من النصوص، والشأن فيها كشأن آراء كبار الشراح والفقهاء الذين عاصروا القانون الوضعى فى مراحل وضعه وإصداره، وهى صالحة للاسترشاد والترجيح عند تعارض وجهات النظر، وخفاء الحكم، ولكنها ليست فى قوة النص القانونى الملزم، ويمكن مخالفتها لمن يرى من أهل الاجتهاد وجها لذلك، وهو ما لا يكون - إذا حدث - إلا نادرا وقليلا على كل حال.

(يتبع)

زكريا البرى

---

(١) إرشاد الفحول ص ٢١٤ ببعض التصرف والحذف.

قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.
(يونس)

اختلافات المجتهدين

للأستاذ محمد الدسوقي

١ — مما لا يرتاب فيه مسلم مؤمن أن رائد المجتهدين جميعا الحق والوصول إليه، وأنهم قد اجتهدوا لأنفسهم ولغيرهم بإخلاص لا نظير له، وبجلد على البحث وصبر على متاعبه صار مضرب الأمثال فى حب العلم ورهبنة العلماء، فإذا وجدنا بينهم بعد ذلك اختلافا فى الآراء والأفكار والاتجاهات، فليس مبعثه نزوة طارئة، أو خصومة ذاتية أو رغبة فى الخلاف، وحبا للشقاق، ولكن هناك أسبابا أخر أدت إلى هذا الخلاف ولا تحمل هذه الأسباب أى معنى من المعانى التى تسىء إلى هؤلاء الفقهاء الأعلام؛ بل على العكس من ذلك تؤكد حرصهم البالغ على معرفة الحق ونصرته والدفاع عنه، وتدل كذلك على ما كان يتمتع به هؤلاء الفقهاء من عمق الفهم وأصالة البحث، وهذا لا ينفى أن هذا الخلاف قد ألبسه المقلدون والمتعصبون رداء كريها من التحامل والتحزب والكيد فى بعض العصور.

٢ — وقبل الحديث عن أهم الأسباب التى أوجبت الاختلاف فى الآراء بين الفقهاء والعلماء، تجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف لا مجال له إلا فى الأحكام الظنية دون القطعية، وذلك لأن الشريعة الغراء قد جاءت بنوعين من الأحكام هما:

الأحكام القطعية: وهى التى ثبتت بالدليل القاطع الذى لا يحتمل تأويلا ولا شكا، مثل الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، والقرآن الكريم آخر الكتب المنزلة، وأنه جاء إلى الناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكذلك الإيمان بوجوب الصلاة، والزكاة على من ملك نصابها، والحج على من استطاع إليه سبيلا، والصيام للقادر عليه، وأن الزنا والخمر والربا حرام، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة - هذه الأحكام وأمثالها قطعية ثبتت بالدليل الذى لا يحتمل خلافا أو تأويلا، وهى لهذا حقائق ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا يتصور اجتهاد فيها ومن ثم لا يتسنى أن يقع خلاف حولها.

الأحكام الظنية: وهى تلك الأحكام التى لم ترد على النحو الذى وردت به الأحكام القطعية من ثبوتها بالدليل المتواتر الذى

لا يحتمل تأويلا ، وذلك مثل تحديد مقدار الرضاع الذى يثبت به التحريم ، فالآية الكريمة المتعلقة بموضوع الرضاع هى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة... » ، وليس فى الآية تحديد لمقدار الرضاع الذى يحرم قيام علاقة زوجية ، وقد اختلف الفقهاء فى ذلك اختلافا كبيرا ، ولكل رأى أدلته وتعليله (راجع أحكام القرآن للجصاص) . فمثل هذا الحكم ظنى الدلالة من الناحية التفصيلية ، لأن الآية من حيث ورودها ونقلها بالتواتر قطعية ، ولكن من حيث تحديدها لمقدار الرضاع المحرم ظنية ، إذ لم تنص على شىء من ذلك ، ومن هنا كان مثل هذا مجالا للاجتهاد والاختلاف ، على أن طبيعة الاختلاف فى الأحكام الظنية تقوم أساسا على رغبة أكيدة فى تحرى الحق ، فقد كان أئمة الفقهاء يبذلون قصارى جهودهم فى استخراج الأحكام الفقهية ، وأسمى ما تطمح إليه نفس كل منهم أن يوافق قوله الحق ، وأن ينال حظ المجتهد المصيب .

٣ — وقد يرى بعض الباحثين أن القرآن الكريم يحذر من التفرق وينفر من الاختلاف فى مثل قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » فلا يجوز أن تكون اختلافات الفقهاء أمرا مقبولا ، لأنها يمكن أن تكون داخلة فى مدلول هذه الآية التى تحض على الوحدة وتنفر من الاختلاف ، غير أننا إذا أدركنا أن هذه الآية وأمثالها إنما تنهى عن التفرق فى أصل الدين والتوحيد ، وما يطلب فيه القطع دون الظن تبين لنا أن دلالتها لا تنسحب على اختلافات المجتهدين من الفقهاء ، لأن اجتهادهم - كما سبق - يدور فى فلك الأحكام الظنية دون القطعية .

وليس معنى هذا تحبيذ الخلاف أو الدعوة إليه ، ولكنى أردت أن أشير إلى أنه فى مجال الدراسات الفقهية لا يعد قدحا ، وأن الفقهاء لم يخرجوا فى اجتهادهم على أصول دينهم .

٤ — ولهذا الاختلاف بين الفقهاء أسباب كثيرة يمكن إرجاعها إلى ثلاثة هى :

أولا : التفاوت فى القدرات النفسية والعقلية ، فالملاحظ أن الناس يختلفون اختلافا بينا فى قدراتهم النفسية والعقلية ، ويندر أن يتفق شخصان فى الذكاء والإدراك ولو من بعض الوجوه ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من أن تتفاوت نظراتهم وأحكامهم ، وتختلف آراؤهم

وأفكارهم وبخاصة فى المسائل التى تحتمل الخلاف .

وإذا كان الإنسان يتأثر بالبيئة التى يعيش فيها وتتلون ثقافته وعقليته بألوان الثقافة والتفكير التى تشيع فى مجتمعه ، أو مسقط رأسه ، فإن هذا يفسر لنا بعض أوجه الخلاف أو أسبابه بين الفقهاء حيث اختلفت مواطن الفقهاء اختلافا واضحا من الناحية الفكرية والاجتماعية والجغرافية ، فانعكس هذا الاختلاف على أفكارهم واتجاهاتهم الفقهية. وحكى لنا التاريخ أن العراق كان موئلا لمدرسة فقهية عرفت باسم مدرسة الرأى ، وأن الحجاز كان موئلا لمدرسة أخرى عرفت باسم مدرسة الحديث، وأن الإمام الشافعى كان له مذهب فى العراق فلما رحل إلى مصر غير فى آرائه وكان له فيها مذهب آخر عرف بالمذهب الجديد .

ثانيا : اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وأساليبها، وأحيانا يستعمل اللفظ فيها بمعان مختلفة ، وقد تكون متضادة أو مشتركة ، والمعروف أن مصادر الشريعة ونصوصها فى أرقى درجات الفصاحة اللغوية ، فكان الفقهاء يختلفون فى تفسير بعض المفردات أو الأساليب ، ويذهب كل فقيه أو طائفة من الفقهاء وجهة خاصة فى الفهم والتفسير ، وتكون نتيجة هذا الاختلاف فى الأحكام الفقهية والآراء الاجتهادية ، ومن ذلك مثلا لفظة (القرء) فى قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، فقد ذهب الحجازيون من الفقهاء إلى أن معنى القرء فى هذه الآية: الطهر ، على حين ذهب العراقيون إلى أنه: الحيض ، وحجة الحجازيين ما روى عن عمر وعثمان وعائشة وزيد بن ثابت رضى الله عنهم أنهم قالوا : الأقراء الأطهار .

وقال الأعشى :

أفى كل عام أنت جاشم غزوة
تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأما حجة العراقيين فهى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمستحاضة : اقعدى عن الصلاة أيام أقرائك ، وقال الراجز :

يارب ذى ضغن على قارض
يرى له قرء كقرء الحائض

وقد أدى هذا إلى تباين الحكم فى مدة العدة للمطلقة .

ثالثا : لا يختلف اثنان من الفقهاء أو أو المسلمين بأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة هى المصدر الأول للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، غير أن الإسلام فى أيامه الأولى منى بطائفة من المفسدين والحاقدين أسلموا ولم يؤمنوا ، وحاولوا أن

يدخلوا على الحديث النبوى ما ليس منه ، يقصدون بذلك صرف المسلمين عن حقيقة دينهم ، ونشر الأباطيل وأسباب الخلاف بينهم، وقد دفع هذا كثيرا من الفقهاء وبخاصة من نشئوا فى بلاد نائية عن المدينة ومكة إلى التشدد فى قبول ما يروى عن الرسول الكريم من الأحاديث ، وكانت لهم شروط يجب تحققها فى متن الحديث أو فى إسناده ليصح لديهم الأخذ به وبناء الأحكام عليه ، ويضاف إلى هذا أن الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن وجيز قد تفرقوا فى البلاد وانتشروا فى الأمصار ، وأن بعضهم قد سمع من الرسول أحاديث لم يسمعها البعض الآخر ، وأن هناك تفاوتا ملحوظا بينهم فى هذا ، وأن هؤلاء الصحابة كانوا ، فى كل مكان حلوا فيه، المنار الذى يهتدى به والأستاذ الذى يؤخذ عنه ويتحلق الدارسون حوله ، وكان من أثر كل ذلك أن أخذ فقهاء بأحاديث لم يأخذ بها آخرون ، أما لأنها لم تصح لديهم أو لأنها لم تصل إليهم ،ونجم عن هذا الاختلاف فى الأحكام وتباين فى الآراء .

٥ — وجملة القول أن اختلافات المجتهدين لا تعنى اختلاف الحق فى ذاته ، ولكن اختلاف الطرق الموصلة إليه ، وأن هذه الاختلافات كانت بعيدة عن الأهواء والنزوات - اللهم إلا فى عصور الضعف والتخلف وعلى أيدى جهلة المقلدين والتلاميذ المتعصبين - وأنها قد تركت لنا ثروة من الآراء والنظريات يمكن أن نستمد منها اليوم ما يستأنس به فى علاج كثير من مشكلاتنا الراهنة فى ضوء شريعتنا الغراء ؟

محمد الرسوفى
المحرر بمجمع اللغة العربية

لا تبادروا إلى الإنكار

إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التى احتوت عليها الشريعة ، ومعرفتكم بمعانيها وطرقها فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذى أنكرتموه فيها فحينئذ لكم الإنكار والخيار لكم وأنى لكم ذلك ! ؟

الشعرانى عن شيخ الإسلام زكريا الأنصارى

العلمُ والحَضارة فى الإسلام (*)

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

الدين والعلم كلمتان من أشيع الكلمات قديماً وحديثاً . ولكل كلمة مدلولها ومفهومها، فالدين : هو القوانين الاعتقادية والعملية التى جاءت عن طريق الوحى الإلهى .

جاء فى دائرة معارف القرن العشرين حرف (د) أن الدين هو الطاعة والانقياد ، واسم لجميع ما يعبد به الله .

والعلم : هو مجموع المعارف الإنسانية المؤيدة بالدلائل الحسية ، هو لا يعترف بمسألة إلا إذا قبلها العقل وأيدها الحس ، وقبلت الخضوع لأسلوبه من الاختبار والتمحيص والغربلة والتحقيق والتدقيق .

ويطلق العلم أيضاً على ما يضاد « الجهل » على الإطلاق . وقد يقصد بالعلم تلك المعرفة الرياضية والطبيعية التى قامت على تجارب دقيقة والتى وصل عن طريقها الإنسان إلى كشف قوة البخار والكهرباء والذرة إلى ما شاء الله .

وإذا صح أن هذه التعاريف تعطى الحد التام لمعنى كلمتى : الدين والعلم فهل تجمع حقيقتا هما فى شىء ، أو لا تجتمعان ؟

فى نظر الماديين والطبيعيين أنهما نقيضان لا يجتمعان وضدان لا يلتقيان ، والحقيقة التى لا يسوغ انكارها أن العلم والدين يلتقيان فى إسعاد البشرية ورفاهية الإنسانية .

غاية العلم : الكشف عن الحقيقة وخدمة الإنسان فى الحياة .

وغاية الدين : إسعاد الإنسانية فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

فالدين أداة المعرفة الحقيقية ، والعلم أداة المعرفة الحقيقية - إذن : العلم والدين يواجهان الحقيقة، إلا أن الطريق مختلفة ، فالدين يعطى المعرفة من طريق الوحى مدركة ببصيرة خاصة على حين ينشد العلم المعرفة بالبحث والملاحظة ومقاييس التعميم والاختبار ، والعلم لا يحكم بصدق قضية حتى يقوم عليها البرهان .

وإن الطرائق العلمية والدينية لتعرف أن الحقيقة ليست متعارضة ولا ينفى بعضها بعضا فالدين والعلم يعالجان حقيقة واحدة غير أنهما يمثلان نواحى مختلفة ، فهما لا يتفقان بالضرورة فى رؤية الحقيقة لأنهما يواجهانها من طرق مختلفة .

والعلم وحده هو الذى يخضع للتجارب فى المعامل ويرى فيها جواهر الحياة وعناصر القوة . قال « اينشتاين » العلم يخبرنا

بما هو كائن ؛ ولكن الوحى وحده هو الذى يخبرنا بما ينبغى أن يكون » .

وهذه التفرقة التى ذكرها إينشتاين مهمة وحقيقة واقعة لا جدال فيها ، فالعلم يصف ويحلل ، والدين يأمر ، وقد يستطيع العلم أن يفيدنا : من الإنسان ؟ وكيف أصبح على ما هو عليه ؟ ولكن الدين هو الذى يخبرنا لم يعيش الإنسان؟«أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون» . «تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » .

ويخبرنا الدين أيضاً إلى أى غاية يجب أن توجه حياة الإنسان . نخلص من هذا كله : إلى أن التطور الفكرى والبحث العلمى لايتعارضان مع الإسلام فى شىء ألبتة . ومع قليل من التحفظ ليس لدينا مايمنع من قبول تلك الآراء التى ذهب إليها الفيلسوف «وليم جيمس» فى قوله : إن موضوع العلم وطرق البحث وأساليب المعرفة فيه تختلف عنها فى الدين ومع هذا لا يناقض أحدهما الآخر .

ولكن مما ينبغى معرفته أن الفيلسوف وليام جيمس يتحدث عن دين تنحصر وظيفته فى النهوض بروح الإنسان فحسب والدين الإسلامى غير هذا لأنه ينظم الحياة من جميع وجوهها ، فهو نظام عالمى عام ، يوجه الإنسان فى الحياة ويساعده على أن يحصل لنفسه وللجماعة الإنسانية أسمى درجة من الكمال الإنسانى فى الروح والخلق والمادة والعقل؛ لأنه قانون الفرد والجماعة والعلاقات وكل تكييف لعمل الإنسان حسب تعاليم الإسلام يعتبر عبادة مشروعة .

والإسلام الحنيف لا ينسجم مع نتائج البحث العلمى والعقلى فحسب بل قدس هذا النوع من البحث فجعل متابعته واجباً دينياً يؤجر عليه المسلم ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وكلمة العلم فى القاموس الإسلامى أطلقت ولم تخصص بمادة معينة من مواد العلم فوجب أن تبقى مطلقة دون تقييد ما دام كل ذلك فى سبيل النفع المنقذ للإنسانية المعالج لأدوائها المفيد لتقدمها .

فالإسلام يدعو إلى العلم والعلم يؤيد دعوة الإسلام « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . فساق الإسلام هذه المظاهر الكونية ليرشد إلى

العلم الصحيح وإلى الإيمان بالله خالق الكون. وكلما دق علم الإنسان بالطبيعة ومظاهرها كلما قوى إيمانه بالله.

ومفاتيح العلم فى الإسلام واضحة صريحة لا عوج فيها ولا أمتا، فالقرآن الكريم صراحة وضمنا، يدعو إلى العلم والسير والنظر ولفظ القرآن نفسه مشتق من القراءة، وهى أدنى مفاتيح العلم لبنى الإنسان، وإن أول كلمة نزلت على رسول الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام هى «اقرأ»، وكلمة «اقرأ» فيها ما فيها من الأمر والتوجيه العالمى الملزم لكل مسلم ومسلمة فى كل زمان ومكان.

وإن أول قسم فى القرآن الكريم أقسم به الرحمن فى ثانى آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون: «ن والقلم وما يسطرون».

فأول سورة نزلت من القرآن سورة «العلق»، ومن العلق يخلق الإنسان وكانت السورة التالية فى النزول لسورة العلق هى سورة «القلم»، وبالقلم يكتب ويتعلم الإنسان فإنسانية الإنسان لا تكون إلا بالخلق والعلم قال رب العزة جل جلاله:

«الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان».

فالدين الإسلامى هو الواقع الأقوى لكل علم صدق وهو الدافع إلى التبحر والعمق والأصالة فى كل علم وفن وهذا هو السر فى أن حضارة الإسلام - كانت أروع الحضارات العالمية مجداً وأجداها نفعا، تلك الحضارة الشامخة التى أقامها الإسلام باسقة الفروع وارفة الظلال انتشلت الإنسانية من وهدة الضياع وزوايا النسيان، وبوأتها مكانا عاليا.

وليس من شك فى أننا أبناء العالم الإسلامى أهل أصالة وأثالة فى العلم، قدنا الإنسانية نحو المجد والقوة بفضل علماء العروبة والإسلام الذين حملوا المشعل الحضارى وأضاءوا الدنيا بالمعرفة والنور.

ولقد تلمست أوربا أنهار حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر أنواع الفنون الحضارية.

وبنى رجال أوربا بما تعلموه فى معاهد المسلمين بالأندلس وبما نقلوه من علوم أسس النهضة الحديثة التى ظهر نجمها فى القرن الثامن عشر وازدهر فى التاسع عشر وتألق فى القرن العشرين.

والإسلام بدعوته إلى العلم خرج رجال الحضارة وجهابذة العلم وأساتذة الدنيا وعمالقة العلماء أمثال: ابن الهيثم والكندى والفارابى وابن سيناء والبيرونى والبتانى والبوزجانى والفرغانى والطوسى والبغدادى والدينورى

والرازى والقزوينى والأنطاكى والزهراوى والغافقى والخـوارزمى والصوفى وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة .

قالت الكاتبة الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكه» : «إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى ، فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها ، وإن الإنسان ليقف حائرا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة، وإن أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإن الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات للعرب كبير جداً».

وفى رأى كاريتسكى : «أن الخدمات التى أداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وإن الأبحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوربا فى ظلمات القرون الوسطى » .

بينما يرى الفرنسى « ألكسى لوازون » أن محمد عليه الصلاة والسلام خلف « للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا ، أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وقال هيرشفيلد « وليس للقرآن مثيل فى قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه وإليه يرجع الفضل فى ازدهار العلوم بكافة نواحيها فى العالم الإسلامى » .

وقال الفيلسوف الهندى «رادا كريشنان»: إن الفلسفة الإسلامية حفظت الفكر الإنسانى وكانت وعاء أميناً طوال عدة قرون ران فيها الظلام على الغرب والشرق سواء » .

وإذا كان فى تاريخ الحضارة الإسلامية أعلام من المفكرين وجهابذة العلم بذلوا الجهود الجبارة فى سبيل الجمع بين الدين والعلم والتنسيق بين المادة والروح والربط بين الحياة والعقيدة والمودة بين الحضارة والعبادة من أمثال ما ذكرنا من العلماء الأفذاذ فإن أمر أمة العرب والإسلام لن يصلح إلا بما صلح به أولها وهو التفكير الخير والتفتح الواعى على أفاق المعرفة والعلم والعمل . العمل المثمر المنتج .

ولقد سجل التاريخ أروع آيات الحضارة الإسلامية بإعزاز كما شهد بها المنصفون من فلاسفة العالم وكوكبة الباحثين الذين يبتغون من بحوثهم مرضاة العلم فى ذاته .

واليوم يفتح التاريخ كتابه ليسجل حضارة العرب الرائعة ومما لا شك فيه أن الأخذ بالأسباب يوصل إلى نتائج حضارية ذات عمق وأصالة .

أحمد عبد الرحيم السايح

أهل الحديث من الفقهاء

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

يقترن اسم الإمام مالك بن أنس الأصبحى المدنى بأحاديث الفقه ، أو فقه الأحاديث ... أو بعبارة أخرى « بمدرسة الحديث » حسبما درج عليه الاصطلاح العلمى لدى مؤرخى التشريع الإسلامى فى مراحله المختلفة .

وإذا كان أبو حنيفة مرآة انعكست عليها جهود من تقدمه فى استعمال الرأى فى الفقه ، وارتسمت على صفحتها النقية ملامح مدرسة الرأى فى صدق وعمق .. فإن مالكا كان يمثل الاتجاه المقابل لذلك حيث اتخذ من الحديث شعارا على مذهبه فى الاستنباط الفقهى عرف فيما بعد بمدرسة الحديث .

فالإمام مالك بحق هو رائد هذه المدرسة، كلما ذكر الفقه والأثر . والأحكام والحديث.

وقد عاش الإمام مالك فى المدينة .. طيلة حياته التى نيفت على الثمانين .. ولم يفارقها إلا حاجا إلى مكة .. وكذلك عاش فقهه فى إطار السنة لا يكاد يفارقها إلى الرأى.. وإن فارقها أحيانا إليه .. فعلى قلة .. لا تمثل بالإضافة إلى استدلاله بالحديث الكثير إلا النذر اليسير .

تماما .. كما عاش الإمام مالك نفسه فى إطار المدينة المنورة .. وهى يومئذ مركز الإشعاع العلمى .. فلم يخرج منها إلا إلى مكة .. ثم عاد إليها ، ولم يبغ عنها حولا .. حتى توفى بها عام ١٧٩ هـ .

والحق أن مالك بن أنس لم يجد بدأ من زعامة مدرسة الحديث فى الفقه بعد أن أملت عليه الأقدار هذه الزعامة .. بما وهبته من إحاطة شاملة بالحديث فى دار الحديث .. وإلمام شامل بالرواية فى معدن الرواية الأول. وقد ظهر أثر ذلك جليا فى تأليفه المشترك للفقه والحديث .. فقد كان محدثا حين كان فقيها .. بقدر ما كان فقيها حين كان محدثا .. ذلك أنه ألف كتابه « الموطأ » فى الحديث مبوبا على أبواب الفقه، فجمع فيه من الأحاديث ما اتفق موضوعها الفقهى ، وائتلف نظمها الموضوعى .. فمثلا أحاديث فى الصلاة ، وأخرى فى الزكاة ، وثالثة فى الحج..وهكذا.. ولو تعدد الرواة فى كل باب .. إذ كان أساسها وحدة الموضوع .. وكانت أحاديثه غالباً مشوبة بالآراء الفقهية المناسبة للموضوع المعروض أخذاً من أقوال الصحابة، وفتاوى التابعين ، وهذه الطريقة تسمى فى عرف العلماء

المحدثين بطريقة «المصنفات» .. والواقع أن المرء ليحار فى الحكم الحاسم على كتاب الموطأ ، حين يأخذ فى اعتباره زاوية الحديث من جهة وزاوية الأحكام الفقهية من جهة أخرى .. أيخلع عليه اسم «كتاب حديث» نظرا لما حفل به من آثار وروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، نقلها عن رجال كثيرين معظمهم من أهـــل المدينة وعلمائها عدا ستة .. وذلك بعد أن أعاد النظر فيها عاما بعد عام ، وخلصها من الشوائب على مر السنين حتى إنه بدأها وهى أربعة آلاف حديث ، ثم مات عنها وهى ألف ونيف فى مدى أربعين عاما من التحليل والتمحيص.

أم أن يخلع على هذا الكتاب اسم «كتاب فقه» بعد أن رتبه ترتيبا فقهيا جامعا فجعله كتباً : كتاباً للصلاة ، وكتابا للزكاة ، وهلم جرا ، ثم جعل لكل كتاب فصولا ، ولكل فصل مسائل تتشابه أحكامها ، ويتوحـــد موضوعها كصلاة الجماعة ، وصلاة المسافر ، ثم يعقب ذلك باستنباطه الخاص على طريقته الفقهية التى ارتضاها لنفسه ، مخالفا بها من عداه من رجال مدرسة الرأى ، وأحيانا يفرع مسائل مع أحكامها ، وأحيانا أخرى يجيب على أسئلة فقهية سئل عنها ، وفى بعض الأحوال كان لا يبدأ بذكر الحديث ، بل يذكر أولا المسألة من الفقه مشفوعة بحكمها ودليله من اجتهاده الشخصى . أو يذكر فيها حكم علماء المدينة ويقول : (الأمر الذى لا اختلاف فيه عندنا كذا) ولهذا جمع كتاب الموطأ بين الحسنيين وأطلق عليه المؤرخون الاسمين . فاعتبروه كتاب حديث وفقه معا .

وكان مالك رضى الله عنه فى زعامته لأهل الحديث من الفقهاء سلبـــل مدرسة متميزة المعالم ، بارزة الخطوط .

فالمدينة كانت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم موئلا للرواية والحديث، وموطنا للتشريع .. شهدت مواقف الرسول فى عبادته ومعاملاته ومغازيه وحدوده . وكلها تحمل طابع التشريع المدنى بسماته المخالفة لنظيره المكى . . ثم كان بها الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان ، اتخذوها دار إقامة ، وإمامة ، وعنها صدرت تعاليم العبادة والقيادة ، والدين والدنيا والسياسة والاقتصاد، والحرب والسلم وغير ذلك ، فكان أهلها بطبيعة الحال أعرف من غيرهم بالسنة المأثورة ، والرواية المشهورة . ومن هنا تبدأ قصة مدرسة الحديث فى أول فصولها ؛ فمع هـــذه الروايات المتزاحمة ، والأحاديث المتكاثرة لم يكن ثمت ما يدعو إلى إدارة قداح الرأى ، وإعمال عجلة الفكر، جريا وراء حكم مستغلق ، أو فتوى غامضة بعد أن وجدوا فى ينبوع السنة الفياض ، وجدولها المتدفق ، ريا لكل صاد ، وشفاء

لـكل عليل، وجوابا عن كل سؤال، وحكما فى كل حادثة، وساعد على ذلك بيئة البداوة التى صبغت حياة المدينة وأهلهـا، كنتيجة طبيعية لحتمية البعد عن تيارات الحضارات المتجددة، التى كانت فى ذلك الحين يعج عجاجها وتصطخب أمواجها عنـد الرافدين بأرض العراق.. فقلت تبعا لذلك الوقائع الجديدة، والأحداث والحوادث المستحدثة، مع وفرة المأثورات، وكثرة الروايات وقلة الثقافات الأجنبية التى دخل أهلها فى دين الله أفواجا، وضآلة الخلافات وقلتها آنئذ حيث كان الأمر فى المدينة مجتمعا، والصحابة بهـا متوافرون. ومنهم من كان يؤثر الدوران فى فلك الأحاديث، ولا يجرؤ على النفاذ من نطاقها، أو التحلل من جاذبيتها، وذلك مثل عبدالله بن عمر الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لمدرسة الحديث، وواضع أمجادها الأولى، ومخطط منهجها الأسبق؛ فقد كان رضى الله عنه يرى الخير كل الخـير فى تتبع فقه وآثار الرسول حتى إنه كان يبرك ناقته حيث كانت تبرك ناقة الرسول. ولا يطمئن إلى مخالفة ذلك، ونسج على منوال أم المؤمنين عائشة رضى الله عنهـا التى كانت من أعلم الناس بحيـاة الرسول، وأحفظهم لسنته، وكذلك كان زيد بن ثابت جامع القرآن وكاتب الوحى، وحافظ السنة وفتاوى الخلفاء وأقضيتهم.

وهؤلاء الأساتذة الأوائل لمدرسة الحـديث قد أودعوا رسالتهم الفقهية وأسلوبهم التقليدى المأثور تلامذة أعلاما من رواد الفقه والأثر، وعشاق السنة والخبر، الذين اتخذوا من المدينة دارا ومن مدرستها الفقهية منبرا، أمثال الفقهاء السبعة من التابعين: عبيدالله بن مسعود وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبى بكر، وسـعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهم، واقتفى أثرهم: الزهرى ونافع، وأبو الزناد، وربيعة الرأى، ويحيى ابن سعيد. وكلهم كان يدين غالبا بفكرة الاتباع والتقليد فى الفقه، والربط بين عجلته وعجلة الحديث بحيث لا يبعد عنـه، ولا ينفصل منه.

ثم.. تبلورت كل هذه الاتجاهات المتحدة المبدأ والغاية فى شخصية الإمام مالك، وتفاعلت فى ملـكته الفقهية حتى صاغت منه إمام دار الهجرة الفقيه ورائد مدرسة الحديث اللامع، على الرغم من أنه تتلمذ على ربيعة الرأى الذى كان يؤثر استعمال الرأى كثيرا عند عـدم النص، اقتداء بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولـكن هذا لم يؤثر فى الانطباعات الثابتة التى حددت نطاق العمل الفقهى لهذه المدرسة، حيث كانت تؤثر الوقوف عند النص ولا تجاوزه إلى الرأى تأسيا بعبد الله بن عمر، وساعد

على ذلك بساطة الحياة فى المدينة ، وسذاجتها ، وقلة العمران والحضارة الزاحفة إليها ، وكان المظهر الفقهى لكل ذلك هو صياغة مذهب الإمام مالك المشهور .

والسمات الواضحة فى منحى الإمام مالك الفقهى والذى أضفى عليه صفة رائد مدرسة الحديث، أنه اتخذ من عمل أهل المدينة منارا يهتدى به فى مسالك الأدلة الفقهية ، لا يزاحمه مزاحم ولا ينازعه منازع بعد كتاب الله تعالى . . فكان يرى أن أهل المدينة إذا اتفقوا على مسألة ، واتفق علماؤها على العمل بها كان هذا العمل حجة مقدمة على الحديث الصحيح وعلى القياس ، فإن عمل أكثر أهل المدينة بشىء لا كلهم . كان عمل الأكثر حجة يترك بها خبر الواحد من الأحاديث الصحاح، تشبيها لعمل الأكثر برواية الأكثر. إذ العمل كالرواية . ويحكم بنسخ خبر الواحد لو خالف ما تقدم من عمل أهل المدينة إذا كان عملا نقليا ككيفية الأذان والإقامة مثلا ، بخلاف العمل الاجتهادى كاجتهاد أهل المدينة فى بطلان خيار المجلس مثلا . فهو محل خلاف فى مذهب مالك . . وقد خالفه فى حجية عمل أهل المدينة كثير من الفقهاء أمثال : أبى حنيفة والشافعى والليثى ابن سعد . . ومن جهة أخرى . . لم يشترط مالك فى الحديث المستدل به ما اشترطه أبو حنيفة من شهرة وعموم بين الثقات . . بل يكفى عنده الصحيح أو الحسن ولو كان خبر آحاد متى صح أو حسن سنده ، وبهذا كثرت فى مذهبه مادة الأحاديث المستند إليها فى الاستدلال والتوجيه . . وكان رضى الله عنه شديد التحرى والاحتياط فى اختيار الأحاديث ، وقد أضاف إلى تلك الثروة الطائلة من الأحاديث وعمل أهل المدينة ـ قول الصحابى إذا صحت نسبته إليه وكان من مشاهيرهم كالخلفاء وأضرابهم . . متى خلا حكم المسألة من حديث صحيح ، وقد أدى التوسع فى الاستدلال بالأحاديث والآثار فى فقه مالك .. إلى تضييق النطاق الذى يستخدم فيه الرأى كدليل حيث لم تعد إليه حاجة ماسة بعد أن كثرت الروايات وقلت الوقائع .

وقد يبدو من ملامح هذا التركيز على المأثور فى مذهب مالك أنه يتنكر للرأى أو يحاربه .. بيد أن الواقع أن مالكا يعترف بالرأى كدليل .. ولكن لا يلجأ إليه إلا فى أضيق الحدود . ومن ذلك استدلاله بالمصالح المرسلة التى ينفرد بها مذهبه كالضرب عند التهمة للاعتراف بالسرقة مثلا .. واستدلاله بالاستحسان أحيانا كتضمين الصناع . . وهما ضربان من الرأى .. وكل ما يمكن قوله : أن مالكا لما استكثر من الرواية فى أدلته ، وقلل من فرص استعمال الرأى فى الفقه صار الحديث شعار مذهبه ومدرسته ،

كما كان الرأى شعـــار مذهب أبى حنيفة ومدرسته .

وإذا كان الإمام مالك عنوان مدرسة الحديث الفقهية ؛ فإن فهرس الأعلام من هذه المدرسة يتضمن أشياعا وأتباعا ، وفقهاء أعلاما .. سايروه فى منحاه ، وساروا قريبا من نهجه وهداه ، ومنهم الإمام الشافعى ، الذى كانت السنة عنده دليلا كالقرآن ، كل منهما واجب الاتباع ، ولم يشترط فى السنة ما اشترطه أبو حنيفة من شهرة للحديث وذيوع بين الثقات فيما تعم به البلوى ، وكذلك لم يشترط فى الحديث ما اشترطه مالك فيـه من عدم مخالفته لعمل أهل المدينة ، واكتفى بصحته واتصاله ماعدا مراسيل سعيد بن المسيب فهو يعمل بها ولا يعمل بغيرها من المراسيل متى ثبت الاتفاق على صحة الأولى ، وهو بهذا يخالف فى المراسيل مالكا وأبا حنيفة ، وقد أخذ بأحاديث غـير الحجازيين ودافع بشدة عن خبر الآحاد من الأحاديث الصحيحة وسمى من أجل ذلك : (ناصر السنة) .

ومن أصول مذهبه ما جاء فى كتاب الأم « الأصل قرآن . . أو سنة . . فإن لم يكن فقياس عليهما . . وإذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح إسناده فهو المنتهى ، والحـديث على ظاهره ، وإذا احتمل معانى عدة فأشبهها بالظاهر أولى من غـيره ، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا مقدم على سواه » .

ومن أعلام مدرسة الحديث الفقهية الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . . ولعله تأثر فى ذلك بأستاذه الشافعى الذى تلقى عنه الثقافة الفقهية أثناء مقامه ببغداد . . حتى عده بعض الشافعية شافعيا فى أول أمره . . وكانت ميزته الكبرى حفظه النادر للحديث ، ودفاعه عنه ، ومسنده الشهير يضم بين جنبيه نيفا وأربعين ألف حديث ، وكان بحق رجل السنة الذى يحفظها عن ظهر قلب ، حتى إن بعض العلماء نظمه فى سلك المحـدثين لا الفقهاء ، ومن هؤلاء : الطبرى والمقدسى وابن عبد البر وابن قتيبة .

وكان يأخذ بالكتاب والحديث المرفوع ويقدمه ـ إذا صح ـ على القياس والرأى والعمل وقول الصحابى . . ومن بعده يأخذ بأقوال الصحابة التى لا مخالف لها . . فإذا وجد مخالف لها من الصحابة تخير أقربها إلى الكتاب والسنة ولا يخرج عنها إلى غيرها . . فإن عز عليه هذا التخير حكى الخـلاف بدون رأى منـه . . وكان يأخذ بالأحاديث المرسلة (التى سقط من سندها الصحابى) . . بل كان يستدل بالأحاديث الضعيفة إذا لم تدفع بغيرها والضعيف عنده هو الشامل للحسن .. وكان يقدمه على الرأى والقياس .. أما هذان فكانا

نهاية المطاف فى استنباطه على كره منه يلجأ إليهما مضطرا .

وبعد . . فإن نقطة البدء فى مدرسة الحديث الفقهية تبدأ من عبد الله بن عمر ومن على شاكلته . . كما أن مرحلة التكوين الأولى فى مدرسة الرأى تبدأ من أبيه عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما ، ومن طبائع الأشياء أن تظهر المدرسة الأولى على مسرح المدينة . . باعتبارها المنهل العذب المتدفق بالأحاديث والنصوص النبوية . . التى تربو عن مطالب الحياة المتجددة . . حيث البداوة الفطرية تسود بيئة المدينة بصفة عامة ، وتقل فيها مظاهر الحضارة والعمران ، وتتضاءل فرص استعمال الرأى لاستنباط أحكام لمسائل طارئة ، ثم يجىء دور الفقهاء السبعة بالمدينة ، ويرأسهم سعيد بن المسيب ، ليمثل دور الانتقال والإعداد لبلورة هذه المدرسة فى شخصية الإمام مالك ، الذى أقام مذهبه أكثر ما أقام على دعائم السنة ، متخذا من موطئه صورة متكاملة على مستوى الحديث والفقه فى وقت واحد ، ثم تتوافر لتلك الصورة ملامحها ومقوماتها كمدرسة . . حين اعتنق الشافعى وأصحابه ، وأحمد وتلامذته ومريدوه مبادئ تلك المدرسة . . واتخذوا من الأحاديث الشريفة محور الارتكاز فى نشاطهم الفقهى العام ، بينما كان الرأى والقياس ومشتقاتهما يمثلان فن برنامج مدرسة الحديث خاتمة المطاف ؟

محمد محمد الشرقاوى

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما » .

« صدق الله العظيم »

الإمام ابن حزم

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

٣٨٤ — ٤٥٦ هـ

— ٢ —

منحاه فى الاجتهاد والفقه :

كان ابن حزم من أئمة الظاهرية ، ويرجع هذا المذهب إلى مؤسسه الإمام داود بن على ابن خلف البغدادى مقاما ، الأصبهانى أصلا ، لذلك نرى لزاما أن نعرف به تعريفاً موجزاً .

ولد داود بن على سنة مائتين ، وقيل سنة اثنتين ومائتين ، ولقد تخرج على تلاميذ الشافعى ، والتقى بكثير من أصحابه ، وكان معجبا بالشافعى أشد الإعجاب ، وله فى فضائله كتاب ، وقد سمع الكثيرين من محدثى عصره فى بغداد وغيرها ، وارتحل إلى نيسابور لسماع الحديث من علمائها ، وكان ورعا تقياً زاهدا فى الدنيا ، راضيا بالقليل منها ، وكان ممن لايقبلون جوائز الخلفاء والأمراء ، فهو مثل الإمام أحمد فى هذا ، وقد جمع إلى العلم بالحديث فصاحة اللسان ، والقدرة على الجدل ، وقوة الحجة ، وحضور البديهة ، وشجاعة الرأى ، لايخشى فى الجهر بما يعتقد لومة لائم ، ذكر الخطيب البغدادى عبد أبى عمرو المستعلى قال : سمعت داود بن على يرد على إسحاق - يعنى ابن راهويه - وما رأيت أحداً قبله ولا بعده يرد عليه هيبة له ، وكان واسع العقل كيساً فطناً ، ولذلك وصفه واصف فقال : كان عقله أكثر من علمه ، وقد حرص على لقاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ولكنه أبى لقاءه لما بلغه عنه القول بخلق القرآن .

وكان فى أول أمره شافعيا يأخذ بمنهج الإمام الشافعى فى الاستدلال ، ثم تركه وأخذ بظواهر القرآن والسنة والإجماع ، وأبطل القياس ولم يأخذ به ، ولما قيل له : كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعى ؟ قال : « أخذت أدلة الشافعى فى إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس » ولهذا عزف عن مذهبه ، وكما خالف داود جمهور الفقهاء فى أصول الأدلة خالفهم كذلك فيما أجمعوا عليه مثل ، تجويزه للجنب والحائض مس المصحف ، وقراءة القرآن ، وقد أجمعوا على أنه أول من قال بالمذهب الظاهرى(١) .

ومع علمه الواسع بالسنة قد تحاشى الكثيرون الرواية عنه ، والظاهر أن السبب

(١) ابن حزم للأستاذ الجليل محمد أبى زهرة ص ٢٦٢ وما بعدها .

فى هذا انزلاقه إلى القول بخلق القرآن ، ومخالفته لجمهور الفقهاء فى الأصول الاستدلالية ، والفروع الفقهية .

وقد نشأ المذهب الظاهرى على يده بالمشرق، وانتشر على يد تلاميذه من بعده حتى قيل: إنه كان يعد رابع المذاهب فى القرن الرابع الهجرى والثلاثة الذين كان رابعهم : المذهب الحنفى ، والمالكى ، والشافعى، ولكن لم يلبث أن حل محله المذهب الحنبلى على يد القاضى أبى يعلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فقد نصر المذهب وجعل له مكانة زحزحت المذهب الظاهرى عن مكانته وحل محله .

انتقال المذهب الظاهرى إلى الأندلس وازدهاره فيها :

ثم انتقل المذهب الظاهرى إلى الأندلس بسبب رحلات العلماء المستمرة بين الشرق والغرب الإسلاميين ، وأخذ بعضهم عن بعض، وتلاقح الأفكار والمذاهب ، ثم خبا ضوءه فى الشرق ، وبدأ نوره يسطع فى الغرب ، فقد وجد أرضا صالحة فى الأندلس ، ولم يلبث أن بلغ الازدهار على يد ابن حزم الذى يعتبر بحق المؤسس الثانى لهذا المذهب ، حتى كاد الناس يتناسون المؤسس الأول داود بن على ، وأصبح المذهب مقترنا باسم ابن حزم .

« نشأة ابن حزم الفقهية » :

قد قدمت فى المقام الاول أن ابن حزم اشتغل بطلب الحديث والفقه حتى برع فيهما والذى يظهر أن دراسته الحديثية كانت أسبق من دراسته الفقهية لأن العادة التى كانت سائدة فى العالم الإسلامى آنئذ الابتداء بحفظ القرآن ثم بحفظ السنة ، وقد يسيران جنبا إلى جنب ، لأنهما أصل العلم ومرجع الأدلة ، ثم يكون بعد ذلك طلب الفقه والاجتهاد فى الاستنباط ، لأن الدراسة الفقهية تحتاج إلى إعمال فكر وروية ، وبذل الجهد فى استخراج الأدلة والموازنة بينها . ومثل هذا يحتاج إلى سن يكون الفقيه فيها قد بلغ الرشد العقلى ، والنضج الفكرى ، وإن تفاوت الأئمة فى هذا على حسب تفاوتهم فى الاستعداد والتكوين ، والتحصيل ، والتفرغ فمن ثم لا نرى استبعادا لما ذكره العلماء المترجمون له من سبب إقباله على تعلم الفقه ، وهو جهله ببعض الأحكام الفقهية وهو فى سن الشباب ، وسنه ست وعشرون .

وقد ذكر الكاتبون فى تاريخ حياته أنه ابتدأ بدراسة المذهب المالكى لأن الفقهاء الذين ذكر أنه درس عليهم كانوا مالكيين ، فابن دحون كان فقيها مالكيا عليه مدار الفتيا فى قرطبة ، وابن الفرضى كان قاضى بلنسية . وقد أخذ عنه الفقه والحديث ، فمن الطبعى أن يكون تلقى عنهم فقه مالك كشأن أكثر أهل الأندلس عامة ، وذوى الجاه

والمناصب منهم خاصة ، لأن الغالب أنهم لا يشذون عن المعروف عند عامة الشعب بحكم البيئة والأحوال التى يعيشون فيها .

ثم انتقل إلى المذهب الشافعى ، ولم يعرف فى شيوخه من هو شافعى ؛ وإن كانت الأندلس لا تخلو من فقهاء الشافعية ، والظاهر أنه استقى فقه الشافعى وطريقته فى الاجتهاد والاستدلال من كتبه المشهورة (كالأم) ، (والرسالة) ، وكتب الفقهاء الشافعية من أمثال أمية الحجازى الذى قال فيه فى أحد كتبه : إنه كان شافعى المذهب .

ثم انتهى به المطاف إلى مذهب الظاهرية ، وهو الذى استقر عليه ، ودافع عنه دفاعا مجيدا ، وقد تلقى ذلك عن بعض شيوخه وأساتذته من أمثال أبى الخيار مسعود بن سليمان المتوفى سنة ٤٢٦ هـ وقد كان ظاهريا ، وله اختيار حسن فى الفقه ، قال فيه الضبى : « مسعود فقيه عالم ظاهرى ، يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ، ذكره أبو محمد بن حزم ، وكان أحد شيوخه [١] » .

كما استفاد أيضا من الكتب المؤلفة فى هذا المذهب مثل ما كتبه منذر بن سعيد قاضى قرطبة ، وخطيب الأندلس ، وفصيحها ، وبليغها ، فقد كان ظاهرى المذهب ، وألف كتبا دافع فيها عن مذهب داود دفاعا قويا ، قال المقرى فى نفح الطيب : « وكان منذر ابن سعيد متفننا فى ضروب العلم وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمان داود بن على الأصبهانى المعروف بالظاهرى ، فكان منذر يؤثر مذهبه ، ويجمع كتبه ، ويحتج لمقالته ويأخذ به فى نفسه وذويه ، فإذا جلس للحكومة يقضى بمذهب مالك وأصحابه ، وهو الذى عليه العمل بالأندلس ، وحمل السلطان أهل مملكته عليه »[١] .

وهذا النص يدلنا على أن القاضى منذر ابن سعيد كان عالما بالفقهين : المالكى والظاهرى ، وإن كان يؤثر الثانى فى خاصة نفسه وأهله ، إرضاء لميوله الفقهية ، ويحكم بالثانى إطاعة لولى أمر المسلمين ، ولعله - أيضا - درس أول مادرس الفقه المالكى وهو المذهب السائد ، ثم انتقل منه إلى المذهب الجديد ، وهو المذهب الظاهرى ، الذى لقى هوى وقبولا من بعض علماء الأندلس ، والعلم بأكثر من مذهب يتيح للقاضى دراسة فقهية مقارنة ، تساعده على الوصول إلى الحق والصواب فيما يحكم به بين الناس ، كما تضىء له السبيل إذا استشكلت الأمور ، وتجعله

(١) ابن حزم ص ٨٥ .

(١) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

يتصرف تصرف القاضى العالم الحاذق لا القاضى ضيق الأفق .

والذين كتبوا عن ابن حزم لم يذكروا أنه أخذ بمذهب أبى حنيفة أو أحمد ؛ ولكن مما لا نشك فيه أنه درس المذهبين أصولا وفروعا فى كتب المنتمين إلى المذهبين ، ومن اطلع على مناقشاته للأئمة الأربعة فيما خالفهم فيه لا يشك فى هذا ؛ فهو كلام رجل عارف بأصول هذين المذهبين وفروعهما ، وفى كتابه (المحلى) ما يشهدلذلك شهادة واضحة ، فابن حزم إذا درس الفقه دراسة مقارنة على أوسع مدى ، والظاهر أنه اكتسب القوة الجدلية ، والقدرة على الاحتجاج للآراء أو عليها ، مما قرأه فى كتب الإمام الشافعى ، وما قرأه أيضا فى كتب أصحاب أبى حنيفة ، وما أثاره فقهاء هذين المذهبين من مجادلات طويلة وتحاج بينهما ، وكثيرا ما يرد على أصحاب المذاهب بما اصطلحوا عليه من قواعد وأصول حتى القياس وإن كان لا يقول به ، ولا يعول عليه .

أصول مذهب ابن حزم :

وأصول مذهب ابن حزم هى أصول المذهب الظاهرى الذى أسسه داود بن على وهى الاعتماد فى الاستدلال للأحكام على :

(١) القرآن الكريم .

(٢) السنة النبوية .

(٣) الإجماع .

أما القياس ، والقول بالرأى والاجتهاد فهما باطلان عنده ، فهو لم يعتمد على نصوص القرآن والسنة معللة بحيث تعرف علتها ويقاس عليها غيرها ، كما هو الشأن فى منهاج الأئمة الأربعة ، فهم يدرسون النصوص ويتعرفون الأحكام منها ، ولا يكتفون بذلك بل يتعرفون على علة الحكم ، ثم يعممون الحكم الذى ورد به النص فى كل موضع تحققت فيه العلة ، وهو ما يعرف بالقياس الفقهى ، وهو إعطاء حكم أصل لفرع لعلة مشتركة بينهما ، والقياس أو الأخذ بالرأى والاجتهاد المستوفى لشروطه التى نص عليها العلماء جعله الفقهاء الأربعة الأصل الرابع من أصول الاستدلال على الأحكام .

على أن من الأئمة من وقف فى الاجتهاد والأخذ بالرأى عند القياس ، كما فعل الإمام الشافعى ، أما الإمام أبوحنيفة فلا يقف عند القياس ؛ بل يفتح الباب للاستحسان والعرف إلى جانب القياس ، ومن مأثور كلامه فى هذا : « الحديث الضعيف أولى عندى من رأى الرجال » ومراده بالضعيف الحسن لغيره .

والإمام مالك يفتح مع القول بالقياس بابا للمصالح المرسلة وسد الذرائع ، والإمام أحمد يأخذ بالقياس كالأئمة الثلاثة إلا أن الأخذ به يضيق عنده ؛ لأن علمه الواسع بالسنة ومذاهب الصحابة والتابعين وفتاواهم هيأ له

أن يجد لكل حالة تعرض حكما من غير أن يلجأ إلى القياس أو الرأى ، وقد حمل ابن حزم على القائلين بالقياس والاجتهاد حملات شعواء ، ولم تقتصر مخالفته للأئمة على الأصول بل خالفهم فى كثير من الفروع . بل خالفهم فى أمر مجمع عليه ؛ فهو يجوز - كشيخ مذهبه داود - للجنب وللحائض مس المصحف وقراءة القرآن ، ولم نعلم لابن حزم وشيخه سلفا فى هذا ! !

الدليل والاستصحاب :

والظاهرية ، وإن لم يقولوا بالقياس، يزيدون على الأصول الثلاثة : الدليل والاستصحاب

وقد بين ابن حزم فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » (١) أن الدليل ليس هو القياس وخطأ من يقول ذلك ، وأن القول بالدليل ليس فيه خروج عن النص والإجماع لأن الدليل هو أمر مأخوذ من الإجماع أو النص ، فهو مولد منهما مفهوم من دلالتهما ، وليس حملا عليهما باستخراج علته ، واضطراد الحكم فى كل ما توجد فيه هذه العلة . وقد قسم الدليل إلى سبعة أقسام ، وضرب الأمثلة لها ، ونكتفى فى هذا المقام بقسم ومثاله منها قال : القسم الأول : أن يكون النص مشتملا على مقدمتين ، وتركت النتيجة ولم ينص عليها فيكون استخراج النتيجة من المقدمتين هو الدليل ، ويضرب لذلك مثلا وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » فهاتان مقدمتان ينتج عنهما حقا : أن كل مسكر حرام ، فهو لا يعتبر تحريم كل مسكر غير المنصوص عليه من أنواع الخمور أخذا بالقياس ؛ بل يعتبره من تطبيق ذلك النص، وهذه النتيجة ، وإن لم يصرح بها النبى ؛ فهى مفهومة من النص لأن النتائج دائما مطويات فى المقدمات ... إلى آخر ما ذكر من الأمثلة (١) .

وقد ألزم المخالفون لابن حزم والظاهرية بأنهم إذا كانوا نفوا القياس حجة شرعية فإنهم اضطروا إلى إثبات ما نفوا وتقرير ما أبعدوا وسموه الدليل ، بدل أن يسموه القياس ، كما ذكر ذلك الخطيب فى الكلام عن داود الظاهرى ، وفى الحق أن النظر فيما ساقه من الأمثلة يؤيد ما قاله ابن حزم من أنه إعمال للنص ، ولما فهم منه ، وليس من القياس الفقهى المعروف ، اللهم إلا إذا أرادوا أن إعمال الفكر فى النص يسمى قياسا ورأيا وهذا ليس مناط الاختلاف ، وأيضا قد قالوا بالاستصحاب ، وقد عرفه ابن حزم : بأنه بقاء حكم الأصل الثابت بالنصوص حتى يقوم الدليل منها على التغيير، وقد انتهى به البحث إلى أن الأصل فى الأشياء

(١) جزء ٥ ص ١٠٦ ، ١٠٧

(١) ابن حزم ص ٣٦٤ - ٣٦٦

أثر الدين في تطوير المجتمع

للأستاذ محمد الأحمدى أبو النور

إن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت
ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان
وكرامته ... الميثاق

أحدث الإسلام - منذ بزغ فجره فى القرن السابع الميلادى أبعد الآثار وأعمق التغييرات الجذرية فى تفكير الفرد وتطوير المجتمع. سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

ولقد كان هداية سماوية كاملة تجمع جوهر الأديان وأصولها، وتضيف من التشريعات والفروع مايساوق تقدم البشرية ونضوجها، ويصلح للهداية والتأثير فى كل جيل، وفى كل مكان.

وبكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبرسول يبين للناس - بمنطقه وسلوكه - ما نزل إليهم مضى الإسلام يشق طريقه، ويهدى للتى هى أقوم فى العقيدة والتشريع والأخلاق والسلوك وسائر العلاقات الإنسانية الرائدة.

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الإباحة، ويستدل على ذلك بالنص، وهو قوله تعالى لآدم إذ أنزله إلى الأرض: «ولكم فيها مستقر ومتاع إلى حين»، فأباح الله الأشياء لقوله إنها متاع لنا ثم حظر ما شاء، وكل ذلك بشرع، وبهذا يكون المذهب الظاهرى قد فتح باب البقاء بحكم الاستصحاب على مصراعيه، ويتسع المذهب بذلك، ولا يكون مضيقا من كل الوجوه كما يبدو بادىء الرأى؛ لأنه يفتح باب الإباحة فى أمور كثيرة، قد يكون الفقهاء القياسيون مضيقين فيها، بينما هو يوسع بحكم قوله تعالى «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال، وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب».

هذا؛ ولا يزال فى الحديث عن ابن حزم كلام وكلام، فإلى المقال الآتى إن شاء الله تعالى؟

محمد محمد أبو شهبة

وعلى أساس من العقيدة الرشيدة ارتفع بناؤه وخفق لواؤه وتغير مجرى التاريخ ... وفى هذا الجانب لم يشأ الإسلام أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ولا أن يقيم — بديا — أدلة التوحيد على نسق جدلى ، ومقدمات منطقية مجردة ، ولكنه بدأ يلفت الأنظار إلى ما فى الكون من نظام نسيق وتدبير محكم ، وعوالم مرئية وغير مرئية وتساءل معهم ، وهو يضع قضية الألوهية موضع البحث والنقاش الحر — عمن خلق الخلق ، ويسر الرزق ، وأبدع الصنع ... ؟

وعمن يجيب الدعاء ويكشف السوء . . . ؟ وهل هناك إله مع الله ... ؟ وذلك فى هذا التصوير الأخاذ الرائع :

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون .

أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون .

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون .

أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون .

أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ؟ ! »

وفى منهج علمى دقيق دعاهم إلى التجرد من التعصب للآراء ، والتقليد للآباء . . وهداهم الى التأمل والنظر ، وملاحظة شتى الظواهر المبثوثة أمامهم فى الكون الفسيح وإدراك ما بينها من روابط وعلائق ، وما وراءها من حكم وأسرار ، وما تدل عليه من وجود إله قادر عليم . . مدبر حكيم . . بيده وحده الخلق والأمر ، والنفع ، والضر ، والبشر جميعا سواء فى الضعف أمام قدرته ، وفى الضآلة تجاه عظمته ، وفى العلم النسبى بإزاء علمه الذى لا يحد . !

وإذا ، فمشاعر الولاء فى الإنسان ينبغى أن تتحرر من الخضوع لوثن ، أو بشر ، ومن التقديس لشمس ، أو قمر ، إلى سائر هذه المخلوقات التى لا تملك لنفسها ـ فضلا عن أن تملك لغيرها ـ نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ، ولا حياة ولا نشورا ... وإلا فأين هى من قضية الخلق والإيجاد والعناية بهذا الكون منذ الأزل وإلى الأبد ... ؟ !

« إن الله يمسك السموات والأرض أن

تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفوراً » .

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

وقد طرح القرآن هذا التساؤل :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » ؟ !

ثم قال :

« هـذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » ؟ !

وبهذا وذاك أرسيت عقيدة التوحيد ، فما لبث أن تحرر العرب من لوثة الشرك والوثنية وتحرر من جاورهم من الأمم من عبادة الجن ، أو الملائكة ، أو النار ، أو الكواكب ، وتحرروا جميعاً من إسار الوهم ، والخرافة ، والشعوذة ، والكهانة ، وتفتحت من دوحة التوحيد براعم قيم اجتماعية جديدة من الحرية والمساواة ، والأخوة ، تأكدت بشعائر الإسلام التى ارتفع عليها بناؤه السياسى والاجتماعى والاقتصادى :

فالصلاة ، وهى المنـاجاة اليومية بين العبد وربه ـ فضلا عن أنهـا تزيد صلة المرء بربه وتعمر وجـدانه شعوراً بعظمته وجلاله ، وتطهره من خطاياه وأدرانه ، فإنها تؤكد قيمة الحرية ، إذ يفتتحها المرء بهذا الشعار : « الله أكبر » ثم يستغرق فى عبادته ومناجاته بعيداً بروحه عن الدنيا فإياه وحده يعبد ، وله وحده يركع ويسجد ؛ وإذاً فلا سلطان على مشاعره لغيره ، ولا تقديس فى قلبه لسواه !

وتؤكد قيمة المساواة ، فهو والبشر جميعاً سواء فى الوقوف أمام الله ، وفى الاستعانة به على شئون الحياة ...

وتؤكد قيمة الأخوة بين هؤلاء المتساوين فى الركوع والسجود بين يديه ، وفى الدعاء والتضرع إليه ...

والصيام ، فضلا عن تربيته لملكة التقوى وتقويته لجانب الروح ، فإنه يؤكد قيمة الحرية حين يمارس به المرء التحرر من سلطان العادة ، وحين يترجم به عن حرية الفكر والإرادة ـ بالامتناع مختاراً عن مشتهاه ، لا يرقب إلا ربه فى سره ونجواه ...

ويؤكد قيمة الأخوة والمساواة بين هؤلاء الذين يصومون معاً فى ميعاد لا يتجاوزونه ويفطرون معاً فى ميعاد لا يسبقونه ...

وقل مثل هذا فى الزكاة والحج ...

ومن منطلق الإيمان والتوحيد ، شكلت هذه القيم أنماط السلوك فى المجتمع الإسلامى إلى مدى بعيد ...

فقد حرم الإسلام استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وأعلن الثورة على الرق ـ فألغى صوره الكثيرة ، وسـد منافذه العديدة ، ولم يبق منه إلا منفذاً واحداً بشروط تجعله ضيقاً أشد الضيق ، وذلك

ريثما يقضى عليه نهائياً . وعلى العكس من ذلك فقد فتح باب العتق على مصاريعه ، أوجبه حينا ، وندب إليه أحيانا ، وبذلك عالج هذه المشكلة تدريجيا إلى أن بلغت وسائل الإنتاج فى المجتمع مستوى يسمح باستقلال الأرقاء عن السادة اقتصادياً ، بيد أنه منذ اليوم الأول للإسلام بدأ تطوير العلاقات الاجتماعية بين السادة والأرقاء حين اعتبر الرقيق إنسانا ذا كرامة لا شيئاً ممتهنا بل حين قرر مبدأ الأخـــوة والمساواة بين السادة والأرقاء ، وأوجب ما تقتضيه هذه الأخوة وتلك المساواة من معاملة حسنى ، وسلوك كريم ، فقال :

« إخوانكم (مماليككم) خولكم (خدمكم لأنهم يتخولون الأمور أى يصلحونها) ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس » .

كذلك وضع الإسلام أغلال الجاهلية عن المرأة ، ورفع من شأنها ومكانتها وأعطاها حقوقها المسلوبة بعد أن كانت توءد حية ، وتورث كالعقار ، وتمنع من الزواج بغية الاستمتاع بما لها ، أو تكره على الزواج بمن لا ترضاه .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصم زواج خنساء بنت خذام الأنصارية إذ أن أباها زوجها بمن تكره .

وكان قد خطبها اثنان : أحدهما أبو لبابة ابن المنذر أحد أبطال المسلمين النابهين ، والثانى رجل من بنى عمرو بن عوف عشيرتها فآثرت أبا لبابة ، وآثر أبوها ابن عمها ، ثم أمضى زواجها غير آبه برضاها .

فأما هى فغدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبى قد تعدى على فزوجنى ولم يشعرنى ؟

فقال لها : لا نكاح له ، أنكحى من شئت فتزوجت أبا لبابة .

وبصورة عامة حرم الإســـلام الظلم والاستغلال وحرم الوسائل المفضية إليه .. ففى الحديث القدسى :

(يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا) .

وفى الحديث النبوى :

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يكذبه ولا يخذله ، ولا يحقره) .

وفى المجتمع الإسلامى الأول أرسيت قواعد العدالة الاجتماعية ، ومارست الجماهير الحرية فى الرأى ، وأسلوب النقد ، والنقد الذاتى :

ولم يعرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يسوس المجتمع بالقهر ، أو عن طريق (الدكتاتورية) بل على العكس من ذلك كان يستشير صحابته ، ويتبادل وإياهم الرأى فى الحرب والسلم على السواء ، ويعطى المثل

لمن معه ولمن بعده فى الأسلوب الديمقراطى والقيادة الجماعية ...

وكذلك فعل صحابته من بعده . وكانوا كما ذكر المولى عز وجل «وأمرهم شورى بينهم».

وقد خطب عمر - مرة - فى شأن التغالى فى المهور فانتقدته إحدى المصليات معه فى المسجد فما لبث أن نقد نفسه ذاتيا وهو يقول : أصابت امرأة وأخطأ عمر ... ؟

وخطأ عمرو بن العاص حين ضرب ابنه أحد المصريين ، واستقدمه ، واقتص لابن المصرى من ابن عمرو ، وهو يقول :

متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ... ؟

من جهة أخرى فقد أبان الإسلام أن مقتضى الأخوة أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ، فلا يخطب على خطبة أخيه ، ولا يبيع على بيعه ، ولا يبيت شبعان وجاره جائع ، ولا يعيش سلبيا دون أن يبالى بمشاكل الجماهير أو دون أن يشغل نفسه بقضاياهم فيبحثها ، ومشاكلهم يعيش على حلها فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم بل عليه أن يشعر بمسئوليته تجاه المجتمع فى تقويم الانحراف وفى أداء دوره الايجابى فى العمل والإنتاج ، وعليه أن يعود بالفضل من ماله على من لا فضل عنده كما بين صلى الله عليه وسلم : (من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد عنده ، ومن كان عنده فضل ثوب فليعد به على من لا ثوب عنده ، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر عنده).

وكما ذكر عمر (والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء وأعطيها لفقراء المهاجرين) .

إلى غير هذا وذاك مما كان له فى حياة المسلمين أبعد الأثر ...

وقد قام هذا البناء السياسى والأخلاقى على ذلك الأساس الإيمانى الذى ألمعنا إليه - ثم قام البناء الاقتصادى على هذا الأساس الأخلاقى الذى يؤكد معنى الحرية ، والعدالة والمساواة فى إطار الإيمان بالله ، والذى ينبغى أن نتوخاه نحن الآن فى مرحلة التطوير والبناء وفى مرحلة التحول العظيم ...

وقد ذكر الميثاق « أن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان ، وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

وأن رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وكرامته « - وأن جوهر الأديان يؤكد حق الإنسان فى الحياه ، وفى الحرية .

والله الموفق ؟

محمد الأحمدى أبو النور

أبعاد معركة لها ما بعدها

للأستاذ محمد النادى البدرى

— ٢ —

معركة الأمة العربية اليوم مع الدول الاستعمارية تحت العلم الصهيونى جولة فى حرب طويلة الأمد ، ضد عدو تسانده دول كبرى ذات أطماع استعمارية غير محدودة ، وإمكانيات عسكرية وسياسية واقتصادية ضخمة .

ففى الجولة الأولى ألتى بثقل كبير فى المعركة ، فأسهم بتقدمه العلمى وإمداداته العسكرية الهائلة ، وساعد بقدرته الاقتصادية فى تعويض الخسائر التى لحقت إسرائيل من جراء الحرب .

وفى الجولة السياسية حشد كل وسائل الضغط ، واستخدم كل عوامل الترغيب والترهيب لإعجاز مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة عن اتخاذ أى قرار ينتصر للحق والعدل ، ويخدم قضية السلام والأمن ، وشهدت الدورة الطارئة للجمعية العامة صراعا عنيفا لم تشهد مثله فى تاريخها الطويل ، وكان فشل الأمم المتحدة فى رسالتها .

ومن قبل أن توقع الأمم المتحدة وثيقة فشلها ، تنبأ كل المراقبين السياسيين بهذه النتيجة ، وعرضنا فى مقال سابق عدة حقائق ، فى ضوء العوامل النفسية والسياسية والاقتصادية لسياسة الولايات المتحدة وبريطانيا تشير ـ إذا لم تكن تؤكد ـ إلى هذه النتيجة ، وهذه الحقائق هى :

أولا : أن الاستعمار ـ بزعامة الولايات المتحدة ـ لا يرى ضمانا لمصالح الغرب فى منطقة الشرق الأوسط أفضل من أن يظل العرب ضعفاء متخلفين .

ثانيا : أن دعم إسرائيل عسكريا واقتصاديا أمر ضرورى فى نظر الاستعمار الأنجلو أمريكى لتكون قاعدته العدوانية فى المنطقة ، وتلك أنجح وسيلة لامتصاص الطاقات العربية وتبديد إمكانياتها فى الإعداد الحربى لصد العدوان المتربص بها ، والعجز عن تحقيق أهدافها فى التقدم والرقى .

ثالثا : أن المشكلة الفلسطينية ـ بكل مآسيها ـ صورة مجسمة للمصير الذى ينتظر دولا عربية أخرى فى التخطيط الصهيونى على المدى البعيد .

رابعا : أن عوامل النصر وأسبابه فى المعارك المقبلة رهن ـ فى المقام الأول ـ بالعمل العربى والإسلامى الجاد .

هذه الحقائق تهدينا إلى أمرين :

الأمر الأول : أن احتلال فلسطين ليس هو كل شيء يمكن أن تقف عنده الأطماع الصهيونية الاستعمارية ، ولكن احتلال فلسطين هو منطلق الأطماع ، والوطن العربى كله هو غايتها ، ومن هنا كانت قضية فلسطين هى قضية العرب جميعا ، وكان تحريرها هو مركز التجمع العربى .

الأمر الثانى : أن إسرائيل من حيث هى تجمع عنصرى اغتصب جزءا من أرض العرب ليست هى كل المشكلة ولكنها جانب من جوانبها ، وأن المشكلة الحقيقية إنما تكمن وراء الذين يستخدمونها فى العدوان ، ويرتبون مصالحهم على وجودها .

ومن هنا كانت قضية فلسطين قضية المصير العربى كله ، وكان الاستعمار هو العدو الأول ، وكان تحرير الوطن العربى منه تحريرا حقيقيا لفلسطين .

ولعل نتيجة الجولة الأولى سواء فى ميدان القتال أو المجال السياسى جعلت الكثيرين يستعرضون أسلحة العدو فى كل ميادين المعركة وضخامة إمكانيات العمل فى ضرب حركات التحرير ، برغم المواجهة الضخمة التى ووجه بها من الدول الاشتراكية والعربية ، والمنظمات الإفريقية والأسيوية ، وتعاطف الشعوب مع العرب فى محنتهم .

ونحن نلح فى استعراض أسلحة العدو فى المعركة لنتعرف مداها فنهيىء أنفسنا واستعدادنا لمواجهتها دون أن تكون هذه المعرفة عاملا من عوامل التثبيط أو التخذيل؛

لأن التقدم العلمى فى خدمة الأغراض الحربية تقف فى مواجهته دوافع الحرص على الحياة ؛ بل إن الحرص على ألا تقع الحروب أقوى فى النفوس من التسابق فى مجالات التسلح والابتكار ، وبسبب وجود قوة أخرى لها مثل هذا التفوق ، ولظهور قوى أخر خطت خطوات إيجابية فى هذا المضمار ، وإن كان ذلك كله لا يمنع ، ولم يمنع وقوع حروب محدودة فى مناطق كثيرة من العالم .

فالاستعمار الأمريكى يستطيع أن يستخدم أسلحة كثيرة .

يستطيع أن يرصد بلايين الدولارات ليشترى الذمم والضمائر ، ويحيك المؤامرات والدسائس ، ويستبدل الحكومات العميلة بالحكومات الوطنية الحرة .

ويستطيع أن ينشىء القواعد العسكرية ويفرض سياسته بقوة السلاح إذا عجز سلاح الإغراء وأسلوب المؤامرات .

ويستطيع أن يجند مصانعه للإنتاج الحربى ، ويسخر تقدمه العلمى للتخريب والتدمير وإزهاق الأرواح .

ويستطيع أن يواجه خصومه مواجهة

صريحة، وأن يخادعهم ويزور عليهم فى حرب لا شرف فيها ولا ضمير يحكمها .

ويستطيع فى مجال السياسة والرأى أن يزور الحقائق ، ويزيف الحق ويمسخ العدل، ويشوه السلام ، ويتخذ من علم الأمم المتحدة ستارا ، ومن مجلس الأمن حماية .

هذه إمكانيات الاستعمار الأنجلو أمريكى والدول الدائرة فى فلكه ، وهى إمكانيات ضخمة ولاشك ، وقد سخرها فى سخاء لخدمة العدوان الإسرائيلى ، وتمكن بها من أن يكسب الجولة الأولى فى ميدانى : الحرب والسياسة .

فهل تستسلم له الدول التى لم تبلغ غناه أو تقارب إمكانياته ، وتضع مصيرها بين يديه خوفا من قوته ... ؟

هل تخضع لكل رأى يراه وتصرف يمليه، يأسا من استطاعة التصدى له ، وتقديراً للعجز عن الانتصار عليه ... ؟

هل تلقى السلاح بلا محاولة طلبا للسلامة وحرصا على العافية ... ؟

يحدثنا التاريخ أن منطق العجز يخالف سنن الحياة ونواميس الوجود ... ولو صح ذلك المنطق لظلت بريطانيا ـ كما كانت ـ تعيث فسادا على أرض أوطان كثيرة فى آسيا وإفريقيا ، ولظلت الهند حتى اليوم درة فى التاج البريطانى كما كانوا يقولون !..

ولو صح ذلك المنطق أيضاً لبقيت أمريكا حتى الساعة مستعمرات تتقاسمها دول الاحتلال ، ولبقيت كذلك مزارع ومراعى وحظائر للخنازير ... !!

ولو صح ذلك لكانت ألمانيا النازية فى التاريخ القريب صاحبة التصرف فى أقدار دول كثيرة فى الشرق والغرب .

وما يرويه التاريخ فى الحديث يرويه فى القديم عن الامبراطوريات التى دالت وزالت.

ولم نذهب بعيدا ؟ وبين أيدينا أصدق الحديث وأحكمه ، كتاب الله الذى يقرر أن التدافع بين الناس سنة من سنن الله لحفظ النظام وبقاء الصلاح والعمران ، ولولاه لتحكم الأقوياء الطغاة فى كل شىء حتى الأديان ـ كل الأديان ـ يعبثون بها ويكرهون الناس عليها « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

ولهذا نقرر عن إيمان : أن دول الاستعمار ـ بالغة ما بلغت من القوة والسطوة ، والغنى والجاه ، وبسطة الملك وكثرة الأتباع ـ لن تدوم لها هذه المكانة ؛ لأنها ستواجه يوما ما تكتلا حرا تضعف عن مواجهته ، وتعجز عن التصدى له .

ولولا هذه السنن الكونية، وهذه الحقيقة التى قررها القرآن الكريم لأوصدت أبواب

الأمل ، وقضى على الحياة بالجمود ، وكتب للإمبراطوريات القديمة الخلود ، وقدر للأمم الضعيفة أن تتجرع مرارة الضعف إلى الأبد ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، وبقيت الدنيا حيث أرادها الله دولا ، تتقاسم الأمم خيرها وشرها كما يتقاسم الأفراد ، وتتبادل نعماها وبؤساها كما يتبادل الناس « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

وإذن : فلا يأس ولا عجز ، فالعرب ليسوا وحدهم فى المعركة ، ونتيجة العمل السياسى فى المجال الدولى لا تعكس الصورة الصادقة للرأى العالمى ، والأمة العربية لم تستخدم كل أسلحتها ، والمسلمون فى أرجاء العالم لم يشاركوا بعد مشاركة فعلية ، ولهذا فإن جماهير أمتنا العربية تتحرق شوقا إلى المعركة فى مبايعة صادقة على النصر أو الشهادة .

ومعركة الجماهير لا تقل فاعلية وتأثيراً عن معارك الميدان وحمل السلاح ... إنها تحمل سلاحا لا يملك العـــدو رده ولا يقدر على مواجهته .

وسلاح الجماهير فى المعركة سلاح ميسور ، دربهم الإسلام عليه ، وعودهم على ممارسته ، إنه سلاح المقاطعة ؛ فالمسلم الذى فرض عليه الإسلام أن يصوم كل عام شهراً إنما أعده بهذه الفريضة لمثل هذه المواقف ، وهيأ نفسه وإرادته لمثل هذه الحرب .

فهل المسلم الذى يصوم سحابة يومه وجزءا من ليله عن كل ضرورات الحياة وكمالياتها يعجز عن استبدال سلعة بسلعة وبضاعة ببضاعة ... ؟

وهل المسلم الذى يخالف هواه ويحارب عاداته ، ويصادر شهواته يعجز عن التخفف من كماليات الحياة خدمة لمعركة المصير ؟ .

وكم مليوناً من المسلمين يؤمنون بهذه الفريضة ويدينون بها ؟

وكم بليوناً من الجنيهات التى يستورد بها المسلمون بضائع وسلعا من أعداء دينهم ؟ .

وكيف يكون تأثير المقاطعة لو أخذ بها المسلمون والعرب فى كل مكان ، استجابة لأمر الله ، وطاعة لدين الله ؟ .

فقاطع كل شىء يجنون من ورائه خيرا ، كما قاطع العمال العرب ـ بارك الله جهادهم ـ طائرات العدو فى المطارات ، وبواخره فى الموانى ، وأعماله فى حقول البترول .

وللأمهات فى المعركة سلاح ، بل أسلحة ، وأمضى هذه الأسلحة أن ترضع الصغار كراهية المستعمر وكراهية إسرائيل ، وأن تغرس فى نفوس الناشئة عداوتهم .

ولن تستطيع أمريكا وحلفاؤها بكل إمكانياتها أن تنتزع من قلوب العرب والمسلمين مرارة الحقد عليهم والكراهية لهم .

وبعض جماهير اليوم حكام الغد ... ! !

ولن تستطيع أمريكا أن تنال من إيمان

العرب والمسلمين بأن موالاة الأعداء أو التعاون معهم خروج على الدين، وأن التقصير فى حربهم، والقعود عن قتالهم حرب لله : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة »، « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم ».

ولقدصودرت بعض أمانى أمريكاوبريطانيا فى هذه المعركة بنماذج من الإيمان بهذا التوجيه الإلهى، فلم يمنع ارتباط بعض الحكام بها من أن يستحضروا جلال ميثاق الله الذى أخذه على كل من أسلم لدينه، وآمن بكتابه، فينفضوا أيديهم منها، ويشدوا على أيدى إخوانهم.

ومهما يكن من اتجاه بعض الحكومات الإسلامية والعربية، فالذى لا شك فيه أنهم لن يكونوا أبداً عوناً لأعداء دين الله، وحرباً على إخوانهم فى الدين، ولو أرادوها - لا قدر الله لهم ولا لنا هـذا الموقف - فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

ولا يكون إتيان الله بقوم يحبهم ويحبونه؛ إلا أن تدول دول وتقوم دول، وتنهد عروش وتنصب عروش، ويزول ملك ويقوم ملك.

ولا أحسب هذه الحقيقة تغيب عن بال أحد، ولا أحسب الطريق إلى هذه النهاية يجهلها عاقل.

فحكام المسلمين يعلمون أن القواعد العسكرية توفر للعدو إمكانيات العدوان، وأن خطرها على العرب والمسلمين أوضح من الشمس فى رابعة النهار، وأنها وسيلة التهديد والقهر وتمكين الاستعمار، وأن وجودها على أى شكل من الأشكال لا يخدم مصلحة العرب، ولا يوفر لهم الأمان.

فلمصلحة من تكون ... ؟

وحكام المسلمين يعلمون علم اليقين أن وقف البترول عن دول العدوان يوقف مصانعها، ويزلزل اقتصادها، ويضعف شوكتها، كما يعلمون أن استبدال مشتر بمشتر آخر ميسور وموفور، وأن اتخاذ مثل هذا الموقف يخدم قضية إخوانهم - إن لم تكن قضيتهم كذلك - ولا نغالى فنقول: لاتضحية .. فالذى لاشك فيه أن فى هذا العمل تضحية، أدناها أن يتوقف الفتح بعض الوقت، ولكن مقياس التضحية ليس بالدرهم ولا الدينار، وإنما بالغاية والهدف، وعموم النفع لا خصوصه.

ولقد اتخذ بعض العرب مثل هذا الموقف حتى قال بعضهم - ولا أزكى على الله أحدا : لنعش على التمر كما كنا نعيش، ولنستأنف الغوص فى البحار.

وأنا لا أقول: يجب أن نضحى حتى الجوع والفقر، وإنما أقول: يجب أن نضحى قدر الطاقة، وأن نبذل جهد الاستطاعة.

وإذا كان هذا العمل ممكنا فلم نقعد عنه ونقصر فيه ... ؟

إن تصفية القواعد العسكرية وحرب البترول سلاحان عربيان لم يستخدمهما العرب .. لماذا ؟

إن كان موالاة للعدو فلنحتكم إلى كتاب الله وهذا حكم الله فيها : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ». ثم يقول : « تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » ، ثم يقرر حقيقة دخائلهم فيقول : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » :

وإن كان مستشاروكم منهم فهذا حكم الله كذلك « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » ثم يقول : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط » .

وإن كان ذلك إيثاراً للدنيا وحرصا على الملك وتأميناً للجاه ... فهذا وعيد الله « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » ؟

محمد النادى البدرى

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

— ٨ —

كتاب : «التصريح بما تواتر فى نزول المسيح» للشيخ محمد أنور شاه الكشميرى المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م .

يحتوى هذا الكتاب على ما ورد من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة ، التى تدل على حياة عيسى عليه الصلاة والسلام ونزوله مرة أخرى إلى الأرض .

وتبين هذه الأحاديث النبوية مدى جرائم اليهود المتعددة ، التى ارتكبوها ضد الأنبياء والمرسلين ، ومؤامرتهم الدنيئة طلبا لصلب المسيح عليه السلام ، الذى جاء برسالة المحبة والسلام إلى الجنس البشرى كله ، وتدل هذه الأحاديث أيضا على أن الله تعالى قد أحبط مؤامرتهم المبيتة فى حق عيسى بن مريم ؛ فأنقذه من أيديهم الآثمة ورفعه إليه .

وجدير بالإشارة - فى معرض الكلام عن هذا الكتاب النادر - أن أولئك الذين يتظاهرون بأنهم من أتباع عيسى عليه السلام يعملون الآن كسواعد للذين صنعوا الصليب للمسيح ، فى مظالمهم ضد الشعب العربى الذى يؤمن بعيسى كما يؤمن بمحمد عليهما السلام ، ويؤيدون اليهود الصهاينة فى تدنيس المقدسات الإسلامية والمسيحية واغتصابها بالغدر والعدوان .

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٤٤ هـ فى (ديوبند) بالهند ثم أعيد طبعه بدمشق مع تحقيق للأستاذ عبد الفتاح أبى غدة . وكان سبب اهتمام الشيخ بجمع هذه الأحاديث النبوية وآثار الصحابة الصحيحة فى رسالة مستقلة هو الرد :

أولا : على اليهود الذين يتباهون بأنهم نجحوا فى قتل عيسى المسيح عليه السلام وصلبه إذ قالوا : « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ... النساء - ١٥٧ » .

وثانيا : على النصارى الذين يؤمنون بأن عيسى قد صلب بأيدى اليهود وانتهى أمره - بينما يؤمن المسلمون بقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .. بل رفعه الله إليه » .

وثالثا : على الذين يدعون التناقض بين انقطاع النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وجمع المؤلف أكثر من أربعين حديثا - من الصحيح والحسن - وكذلك عددا من الأحاديث الموقوفة وآثار الصحابة . وجاءت هذه المجموعة ، من الأحاديث والآثار ، بمثابة تفسير أو بيان لقوله تعالى فى حق عيسى عليه السلام : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (النساء ١٥٩) .

ونورد فيما يلى بعض الأحاديث الواردة فى الكتاب :

(١) عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » - رواه البخارى ومسلم ص ٧٨ ج ١

(٢) عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، فيقول أميرهم : تعال فصل . فيقول : لا . إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة رواه مسلم ص ٧٨ ج ١

ومن الأحاديث التى أوردها المؤلف فى شأن الدجال وصفاته وملابسات نزوله وقتله بيد المسيح عليه السلام :

٣ - عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال: ما شأنكم ؟ فقلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة ، فخفضت فيه ورفعت ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال : غير الدجال

أخوفني عليكم ؛ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم - إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدرك منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف - إنه خارج خلة بين الشام والعراق ؛ فعاث يمينا ، وعاث شمالا ، يا عباد الله: فاثبتوا ، قلنا : يارسول الله، ومالبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما، - يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال: لا أقدر ، وله قدره - قلنا : يا رسول الله وما أسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم ؛ فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهر وذتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى إلى حيث ينتهى طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب (لد) فيقتله، ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : إنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ... الخ رواه مسلم ص ٤٠٢ ج ٢ وأبو داود ص ١٣٥ ج ٢ .

ومن الأحاديث التى جاءت فى الكتاب فى ذكر نزول عيسى عليه السلام ومجيء الدجال والتفاف اليهود حوله ، حديث أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم:

(٤) عن أبى أمامة الباهلى فى حديث طويل من ذكر الدجال: فقالت أم شريك بنت أبى

يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : العرب يومئذ قليل ، وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي قهقرى ليقدم عيسى يصلي فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : افتح الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج ؛ فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود (إلى قوله) « ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا على بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده فى الحية وتفر الوليدة من الأسد فلا يضرها ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من المسلم ، كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله » . الحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه ورواه ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما ونقله كذلك فى شرح المواهب للزرقانى ص ٥٣ .

ومن الأحاديث التى أوردها المؤلف فى آخر كتابه حديث جدير بذكره فى هذا المقام وحقيق بالاتعاظ به فى هذه الظروف التى تمر بها الأمة العربية والإسلامية التى تؤمن بنزول عيسى فى آخر الزمان ، وترتفع راية الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله فى كل زمان ومكان فيقول :

(٥) وقال الحافظ علاء الدين المعلطائى فى سيرته ـ من السنة التاسعة : وباع المسلمون أسلحتهم وقالوا : انقطع الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام : لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى ابن مريم (سيرة المعلطائى ص ٨٧) وأصل هذا الحديث فى مسند أحمد .

(٦) وعنه أيضا (أبى الأشعث الصنعانى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم ، معه جبل من ثريد ونهر من ماء . (إلى قوله) وليسوقن إليه عيسى ابن مريم حتى يقتله فيخسئوا فينقلبوا خاسئين أخرجه أبى نعيم (الكنز ص ٢٦٣ ج ٧) .

(٧) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فقد كفر ، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر ، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره من الله عز وجل فقد كفر ؛ فإن جبريل عليه الصلاة والسلام أخبرنى بأن الله تعالى يقول :

من لم يؤمن بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى فليتخذ ربا غيرى .

(٨) وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه ذكر عنده الدجال فقال : تفترق ثلاث فرق ، فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها منابت الشيح ، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام ؛ فيبعثون إليه طليعة فيهم فارس على فرس أشقر أو أبلق ، فيقتلون لا يرجع إليهم شىء ؛ ثم إن المسيح ينزل فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج فيموجون فى الأرض فيفسدون فيها ـ الحديث (الدر المنثور ص ٢٥٧ ج ٦) .

وقد أورد المؤلف عددا من آثار الصحابة والتابعين فى تفسير قوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » ومنها :

(٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب » الآية قال : قبل موت عيسى ـ أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق .

(١٠) وأخرج ابن جرير عن الحسن وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال : قبل موت عيسى والله إنه الآن حى عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون . (الدر المنثور) .

(١١) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة : وقولهم إنا قتلنا المسيح الآية . قال : أولئك أعداء الله اليهود افتخروا بقتل عيسى وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه وذكر لنا أنه قال لأصحابه : أيكم يقذف عليه شبهى فإنه مقتول ، قال رجل من أصحابه : أنا يانبى الله . فقتل ذلك الرجل ومنع الله نبيه ورفعه إليه (الدر المنثور ص ٢٣٨ ج ٢) .

(١٢) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : شبه لهم قال : صلبوا رجلا غير عيسى شبهوا بعيسى يحسبونه إياه ورفع الله إليه عيسى حيا . (الدر المنثور) .

ويمكن أن يلخص رأى المؤلف الفاضل فى الرد على الذين يدعون التناقض بين انقطاع النبوة بعد البعثة المحمدية وبين نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، فى النقاط الآتية :

١ ـ إن الأحاديث الواردة فى ختم النبوة تنفى وقوع نبوة جديدة بعد البعثة المحمدية فهى لا تتناول مطلقا مسألة نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، لأن النبوة ثابتة له قبل البعثة المحمدية .

٢ ـ ورد فى رواية أحمد والحاكم : لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ، فقد علق عليه الملا على القارى وقال : لو عاش عمر بن الخطاب وصار نبيا لكان

ما يقال عن الإسلام

الإسلام الحديث"

للأستاذ جاك رسلر
عرض وتعليق للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

تنقسم مباحث المستشرقين عن الإسلام قسمين : الأول تاريخى يشمل ظهور الإسلام وانتشاره ، وذيوع حضـــارته فى العصر الوسيط ، والثانى: فى النهضة الحديثة التى بدأت منذ قرنين تقريباً ، أو على وجه التحديد منذ القرن التاسع عشر وفى أثناء القرن العشرين .

وقد ظهر كثير من الدراسات تبحث فى الإسلام . فى العصر الحديث ، لايبغى أصحابها وجه الحق الخالص أوالبحث المجرد ، بمقدار ما يبغون خدمة بلادهم الغربية ، التى كانت مستعمرة لكثير من الأمم الإسلامية ، تلك الأمم التى لم تحقق استقلالها إلا منذ عهد قريب ، وعلى رأس هذه الدول الاستعمارية انجلترا وفرنسا وهولاندا والبرتغال وأسبانيا وألمانيا-لاغرابة، إذن، أن تصدر مؤلفات تحلل الشعوب الإسلامية من جهة التقاليد والعادات والعرف والدين والاقتصاد والاجتماع ؛ إذ بمقتضى هذا التحليل يتسنى للمستعمر سياسة

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم كعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام ، وأما معنى خاتم النبيين فإنه لا يأتى نبى بعده ينسخ ملته ولم يكن من أمته .

٣ ــ إنما يقصد من الأحاديث الواردة فى ختم النبوة أنه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل فى تلقى النبوة والرسالة التشريعية ولا تتعارض هـذه الأحاديث مع بقـاء بعض الأنبياء السابقين على قيد الحياة بعده ، كما ورد فى شأن إلياس والخضر عليهما السلام ونزول عيسى ابن مريم الذى رفعه الله إليه من قبل .

وتدل هذه الأحاديث والآثار التى قدمناها ، ـ كنماذج ـ على صورة عامة لما ينطوى عليه هذا الكتاب النادر . ولا شك فى أنه ـ مع صغر حجمه ـ يفتح آفاق البحث أمام الدارسين لهذه المسائل العلمية النافعة . (يتبع)

محى الدين الألوائى

هذه الأمم وضمان خضوعها واستسلامها ، سياسة تستند إلى العلم بعناصرها ومكوناتها .

ومن هذه الكتب : «الإسلام الحديث »[١]

L'Islam Moderne, par, Jacques Risler

الذى أصدره سنة ١٩٦٣ الأستاذ الفرنسى « جاك رسلر » ، وهو أستاذ بالمعهد الإسلامى فى باريس ، وقد سبق أن أصدر الجزء الأول من هذه الدراسة بعنوان « الحضارة العربية » ، وهو كتاب جيد ترجم إلى اللغة العربيـــة وصدر منذ عام ؛ أما كتاب « الإسلام الحديث » فإنه يعد الحلقة الثانية فى سلسلة البحث عن الإسلام ؛ إذ ينقطع فيه صاحبه إلى دراسة يقظة الإسلام ، والمشاكل المتعددة التى كان عليه أن يواجهها بإزاء العالم الحديث ، وموقفه من العالم الاقتصادى والسياسى والدينى والثقافى ، وهى أسئلة تلوح فى ذهن كل مفكر ، ولابد أن يلتمس لها الجواب .

ومن الطبيعى ـ ومؤلف الكتاب فرنسى ـ أن يمجد الفرنسيين ، فينسب لهم كل فضل على الإسلام ، وأن ينظر إلى هذه المشاكل بمنظار فرنسا ، ولم يكن من المستغرب أن يعزو يقظة العالم الإسلامى الحديث إلى حملة نابليون على مصر الذى : « كان حضوره إلى مصر الشرارة التى بعثت الإسلام من مرقده » (ص ١١) ؛ ولا غرابة كذلك أن يقسم العالم الإسلامى فى الوقت الحاضر ؛ فيفرد قسما خاصاً بالدول الإسلامية التى تنتمى إلى فرنسا فى شمال إفريقية والتى لها صلة خاصة بها فى قلب هذه القارة السوداء .

وقد أثيرت مشاكل كثيرة خطيرة فى الكتاب على صغر حجمه ـــ الذى يبلغ ١٨٥ صفحة من القطع المتوسط ـــ بعضها سياسى ، وبعضها الآخر اقتصادى ، وبعضها الثالث ثقافى واجتماعى .

أولى هذه المشكلات التى برزت بوجه خاص فى القرن العشرين ، هى الوحدة الإسلامية والوحدة العربية ، وتحقيق الصلة بين هذين العالمين وهذين النظامين ؛ فقد كان الإسلام منذ نشأ عالما واحدا لغته هى العربية . . لغة القرآن التى انتشرت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، من حدود الهند وأفغانستان إلى شمال إفريقية والأندلس . حقاً كان لبعض هذه الدول لهجات وألسنة تختلف عن العربية ، ولكن أهلها كانوا يتعلمون العربية ويتكلمون بها حتى يحفظوا ما يتيسر من القرآن الذى يقرءونه عندما يقيمون الصلاة .

---

(١) لا يختلف الإسلام قديماً وحديثاً إذا فهم بأصوله العامة المستمدة من الكتاب والسنة ، وكلمة « حـــديث » التى تتردد فى عبارات بعض الكتاب لا ينبغى أن تحمل إلا على المظاهر الاجتماعية أو العملية التى يكشف عنها اجتهاد العلماء .

« مجلة الأزهر »

ويمكن القول بصفة عامة أن اللغة العربية كانت فى ذلك العالم الإسلامى لغة « دولية » أشـبه بالفرنسية فى القرن التاسع عشر ، والإنجليزية فى القرن العشرين .

فلما انتقلت الخلافة إلى تركيا فى القرن السادس عشر فى عصر السلطان سليم ، وخضعت الدول العربية لسلطان الأتراك العثمانيين ، وفرضت على هذه الدول اللغة التركية إلى جانب العربية ، ونقلت الثقافة إلى إسطنبول مع نقل العلماء والمخطوطات ، تقلص نفوذ اللغة العربية والحضارة العربية، إلى أن اشتعلت جذوة النهضة العربية مع استقلال محمد على بمصر ، وظهور جمال الدين ومحمد عبده ، وانتشار حركات الإصلاح فى العالم العربى ، وهى حركات ممتزجة بنهضة دينية ومعتمدة عليها ، مثل الحركة الوهابية فى قلب الجزيرة العربية ، والسنوسية فى شمال إفريقية ، ومنذ بروز هذه النزعة العربية فى استهلال القرن العشرين ـ ولا تزال فى صعود حتى الآن ـ فى مقابل النزعة الإسلامية .

ولم تتصاعد موجة العروبة فجأة ، وإنما هى ثمرة حربين عالميتين ؛ فقد دخلت تركيا التى كانت مركز الخلافة ـ الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء ، ولعبت انجلترا دوراً سياسيا خبيثا فى التلويح للعرب بخيانة الترك ، فى مقابل منحهم الاستقلال بعد انتهاء الحرب ولم تكد تركيا تخسر الحرب حتى نكثت انجلترا بوعودها .

ثم سقطت الخلافة ، وانقلبت تركيا دولة لا دينية ، وأخذت فى السير على طريق التقدم الغربى ، وظهرت على المسرح فى الشرق الأوسط دول عربية كالعراق والشام وشرق الأردن وفلسطين، ظلت خاضعة للانتدابين: الإنجليزى والفرنسى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى . وجميع هذه الدول عربية ، بمعنى أنها تجمع بين العروبة والإسلام ، ولكن عروبتها تأتى فى المحل الأول .

ولم تصبر الدول العربيات على الاستعمار المتخفى فى ثوب الانتداب ، ودأبت على الكفاح حتى ظفرت بالاستقلال ؛ ولكن الاستقلال درجات ، وتطمع الدول العربية أن تتمتع بدرجة عالية من الاستقلال الذى يجعلها حرة فى التصرف فى شئونها والتحكم فى مصائرها ، ولا تزال المعركة ماضية فى سبيلها .

المشكلة الثانية ـ وهى فى غاية الخطورة ـ أن انجلترا صاحبة المصالح القوية فى الشرق الأوسط ــ أو هكذا كانت إلى أن حلت أمريكا محلها ــ حين تبين لها أن نفوذها مصيره التقلص بالضرورة ، رأت أن تمضى وأن تخلف وراءها شوكة فى ظهر العرب ،

بل حربة مسمومة مصوبة إلى الصميم من قلوبهم ، وهى إسرائيل . وقد اتفقت مصلحة الاستعمار مع مصلحة إسرائيل ، وبخاصة الاستعمار الأمريكى الجديد الذى اتضح أنه أفتك من القديم .

ويرجع تاريخ دولة إسرائيل إلى أواخر القرن التاسع عشر ، حين اجتمع الصهاينة وقرروا إنشاء دولتهم فى فلسطين ، وانتهزوا فرصة الحرب العالمية الأولى فانتزعوا من انجلترا وعد بلفور ، وأخذ الإنجليز ينفذون هذا الوعد بإباحة هجرة اليهود إلى فلسطين تمهيدا للتوسع والاستقرار .

ثم انتهزوا نشوب الحرب العالمية الثانية والقضاء على ألمانيا النازية ، ووقعت الحرب بينهم وبين العرب مجتمعين ، وانهزم العرب ، وأنشئت سنة ١٩٤٨ دولتهم التى سارعت أمريكا بالاعتراف بها ، وتبعتها فى ذلك دول أخرى .

وما زالت إسرائيل تبغى التوسع ، وتحقيق أطماعها ، وبخاصة اتخاذ القدس عاصمة لها .

وحدث سنة ١٩٥٦ العدوان الثلاثى المعروف من إسرائيل وفرنسا وانجلترا على مصر ، وانتهى ذلك العدوان بانسحاب إسرائيل من سينا .

إلى هذا الموضع انتهى حديث المؤلف عن إسرائيل ، باعتبار أن الكتاب صدر سنة ١٩٦٣ ، أى قبل العدوان الأخير بأربع سنين . والمؤلف يعرض الوقائع بغير تحيز إلى جانب العرب أو إسرائيل . ولكنه يذكر أن وجود هذه الدولة فى قلب العروبة أدى إلى تكتل الدول العربية فى جامعة الدول العربية .

واتخذ العرب بإزاء إسرائيل موقفين أحدهما عدم الاعتراف بها ومقاطعتها اقتصاديا ، والآخر الوقوف موقف الحياد بين الغرب والشرق ، بين الدول الغربية والشيوعية ، ما دام حماة إسرائيل هم أمريكا وانجلترا وفرنسا .

ولا تزال المعركة مستمرة ، وأكبر الظن أنها ستستمر فترة طويلة من الزمان .

المشكلة الثالثة : استقلال دول شمال إفريقية مراكش والجزائر وتونس . وقد جعلها المؤلف مشكلة قائمة بذاتها ، وأفرد لبحثها عنوانا خاصاً ، لأنها كانت خاضعة للنفوذ الفرنسى وبخاصة الجزائر التى كانت فرنسا تعتبرها جزءاً منها وإقليما من أقاليمها ، وعملت دائبة على تغيير لغتها ودينها . ونحن نعلم أن الدين واللغة هما الأساسان القويان فى الاحتفاظ بالقومية . ولولا أن الجزائر ظلت تكافح سبع سنوات للحصول على استقلالها ، وفقدت مليونا من المجاهدين ماتوا شهداء فى حرب التحرير ، لقضى على تلك الدولة الإسلامية ، ومحيت منها

اللغة العربية ، كما حدث للأندلس منذ خمسة قرون .

ومن الغريب أن المؤلف يقرر أن : شمال إفريقية لا ينتمى إلى العالم العربى بمعنى الكلمة ولكن أهله يتكلمون اللغة العربية ... » (ص ٦٨) . وهذه هى وجهة نظر الفرنسيين التى دأبوا على ترديدها لينزعوا عن هذه المنطقة عروبتها الممتزجة بالإسلام امتزاجا لاينفصم عراه . حقا لم يكن شمال إفريقية قبل ظهور الإسلام عربيا ، ولكن منذ الفتح نزلت كثير من القبائل العربية إلى تلك البلاد واستوطنتها ، واستقرت بها ، وامتزجت بسكانها الأصليين وهم البربر ، ومضى على ذلك أربعة عشر قرنا من الزمان ، جرت فيه اللغة العربية على ألسنة السكان ، وسرى الإسلام فى دمائهم .

وقد تحدث المؤلف طويلا عن العلاقات المتبادلة منذ القدم بين فرنسا وشمال إفريقية ، وبخاصة منذ الحروب الصليبية ومنذ القرن السابع عشر ، وبين أن تونس والجزائر ومراكش رضعت لبان الحضارة الفرنسية ، وأخذت بأسلوب التفكير الغربى ، ثم قال : إن مستقبل هذه البلاد - لاشك - سيتمخض عن إمكانيات ضخمة بعد تحررها من الاستعمار الأوربى .

ومن المعروف أن الاستعمار - أمريكيا كان أم إنجليزيا أم فرنسيا - لا يقبل أن يحمل عصاه ويرحل بسهولة ، وأنه إذا كان قد انهزم واضطر إلى الرحيل عن البلاد الإسلامية والعربية ؛ إلا أنه لا يزال يحاول العودة مستخدما شتى الأساليب ، وعلى رأسها إذكاء نار الفتن بين الفئات التى تتألف منها كل دولة .

أما فيما يختص بشمال إفريقية فإن السياسية التى لا يزال الفرنسيون يتبعونها ويطمعون أن تؤتى ثمارها هى بث نار الفرقة بين البربر والعرب . وفى ذلك يذهب المؤلف إلى أن الشعبين مختلفان جوهريا ، فالعرب بالطبع قوم رحل ، والبربر أمة مستقرة . وكان البربر فى القرن السابع الميلادى عند الفتح الإسلامى مسيحيين ، ثم اعتنقوا بعد الفتح الإسلام ، واصطنعوا لغة هذا الدين وهى العربية . واللغة البربرية يتكلمها الأفريقيون حتى بلاد النيجر ، وهى لغة لا تزال تستخدم حتى اليوم ، ولكنها ليست مكتوبة ولا مدونة . ثم يمضى المؤلف قائلا (ص١٣٣) : « يتكلم البربر اليوم ثلاث لغات هى العربية والبربرية والفرنسية ، وهم يكتبون عن طواعية العربية الفصحى ، وهى لغة القرآن . وليس لنا أن نسىء الحكم على المستقبل ، فنقول إن البربر سيحيون فى القريب لغتهم ، ويؤلفون لها أبجدية ويسجلون لها أجرومية » . وهذا كلام من قبيل الأمانى والأحلام ، لأن سلطان العربية

أقوى من أى لغـــة أخرى ، ولن يتخلى البربر عنها ما داموا مسلمين متمسكين بدينهم مؤمنين بقرآنهم ، وإن لهم فى كلام الله غنى عن كلام البشر ولغة البربر .

المشكلة الرابعة : اقتصادية . ذلك أن الاستعمار فى حقيقته استغلال لاقتصاديات البلاد التى يسيطر عليها المستعمر ، ولا ينبغى أن ننخدع بما يدعيه المستعمرون من قول بنشر الثقافة أو الحضارة أو التبشير بالدين ، فقد كان جوهر الحروب الصليبية طمع الغرب فى العصر الوسيط فى ثروة الشرق ، ومن أجل ذلك جاءت جيوش انجلترا وألمانيا وفرنسا تغزو بيت المقدس ، وظهرت موجة الاستعمار البرتغالى والهولندى ثم الإنجليزى والفرنسى فى أعقاب عصر النهضة للوصول إلى ثروة الهند ، التى كانت مصر وسيطا فى نقلها إلى أوربا زمان عصر المماليك ، واستمر الغرب ينهب ثروة الشرق طيلة أربعة قرون ، فى أثناء القرون من السادس عشر إلى العشرين، حتى استيقظ العالم الإسلامى وهب يسترد حريته فى استغلال كنوز بلاده ، وبذلك يتمكن من السير فى طريق التقدم والرقى .

وهذا هو السبب فى أن المستشرقين الذين يكتبون اليوم عن العالم الاسلامى لا يخفون حسرتهم على استقلال تلك الدول ، وخروج الثروات الضخمة التى كان المستعمرون ينهبونها من أيديهم .

لذلك خصص المؤلف عدة صفحات للحديث عن ثروة شمال إفريقية ، من مزارع للكروم تستخرج منها الأنبذة التى تصدر إلى أوروبا ، إلى تربية الماشية التى يستغل صوفها وجلودها ، إلى مناجم الحديد التى تزخر بوفرة إنتاجها وما يصدر منها إلى دول أوروبا .

فقد أنتجت الجزائر على سبيل المثال سنة ١٩٥٢ مليونين من أطنان الحديد ، وأنتجت مراكش ٣٥٠٫٠٠٠ طن ، وتونس ٥٨٠٫٠٠٠ طن ، صدرت كلها إلى انجلترا وألمانيا وإيطاليا .

ومضى المؤلف يذكر بالإحصاءات وبآلاف الأطنان ما يستخرج من منجنيز ونحاس وكوبالت وغير ذلك من معادن هامة فى الصناعات الحديثة فى كل من تونس والجزائر ومراكش ، وهى دول إذا استقلت بتصنيع معادنها لكانت من أغنى دول العالم . ويبدو أن فرنسا أدركت قدرة الجزائر على الكفاح ومدى تمسك أهله بالحرية ، فنزلت على الأمر الواقع ، ورسمت حياتها على التعاون بينها ، فأعلنت سنة ١٩٦٣ أنها لا تستغنى عن اليد العاملة فى الجزائر ، كما أن الجزائر لا تستغنى عن الخبرة الفرنسية .

وما دمنا بصدد الحديث عن الاقتصاد ، فإن العالم العربى يملك فى الوقت الحاضر كنزاً من الذهب الأبيض ، وهو البترول الذى يتدفق فى جميع أنحاء الوطن العـــربى من

الكويت والعراق والسعودية إلى مصر وليبيا والجزائر ، وهذا فضلا عن بترول الدول الإسلامية الأخرى كإيران وأندونيسيا ، ولما كان للبترول أهمية كبرى فى الوقت الحاضر من جهة، أنه محرك الآلات والسيارات ووقود للطائرات ، ومصدر للصناعات البتروكيميائية ، فقد أفرد له المؤلف فصلا خاصا بعنوان : « البترول والإسلام » تحدث فيه عن الشركات الكبرى الأمريكية والإنجليزية ومدى استغلالها لآبار البترول ، والأرباح الفاحشة التى تجنيها من استثمار هذه الآبار ، وقد اكتفى المؤلف بتسجيل ماتنتجه كل دولة ومدى تدخل الدول الأوربية والأمريكية للمحافظة على مصالحها وضمان خضوع هذه الدول لها ، غير أنه لم يذكر يقظة الدول العربية وسعيها الدائب لتأميم المصالح البترولية حتى تبقى الثروة فى أيدى أصحابها ، يستفيد منها العرب فى ترقية بلادهم .

وكان لابد للكتاب من خاتمة ترسم حدود المستقبل فى ضوء الواقع الذى صوره المؤلف فى العالم الإسلامى خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين حتى الوقت الحاضر ، وهذا الواقع يدل على يقظة العالمين العربى والإسلامى وتصميم أهلهما على مكافحة الاستعمار والمحافظة على الحرية والاستقلال ، والسير فى طريق التقدم والرقى ، ويدل هذا الواقع كذلك على أن التاريخ يمضى إلى الأمام ولا يمكن أن يرجع القهقرى إلى الوراء ، وإذا كان ثمة بعض نكسات على طريق التقدم والحرية ، فإنها عثرات لاتخلو أمة من الأمم من الوقوع فيها ، ومن أجل ذلك فطن المؤلف إلى أن الطريق مفتوح أمام الدول العربية والإسلامية وأن أبواب التقدم لن توصد ، ولذلك طالب بما يسميه « بالتعاون » بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، باعتبار أنها شعوب واحدة ترتبط فيما بينها بروابط الجنس والدم ، ولقد كان التاريخ خير شاهد على ذلك حين دخل العرب فاتحين شمال إفريقية كله ، بل تخطوا القارة الإفريقية إلى الأندلس فى جنوب أوربا ، إنها موجات من الهجرة والغزو ، تأتى تارة من الشمال إلى الجنوب كما حدث زمان اليونان والرومان ، وتارة أخرى من الجنوب إلى الشمال كالحال أيام الفتح العربى ، ولم يقف الدين عائقا دون الامتزاج والاختلاط والتعايش ، لأن كلا المسيحية والإسلام يعترفان بإله واحد قهار ، ويغترفان من بحر الألوهية الزخار .

هذا التعاون بين شعوب جنوب أوربا ، وبخاصة فرنسا ، وبين الشعوب العربية الإسلامية ، تسليم بمنطق الواقع وضرورة التاريخ ، وفيه - فيما يذهب إليه المؤلف - كثير من الخير لكلا الجانبين ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

أنباء وآراء

نحن ... وأمريكا

لا يشغل العالم اليوم شيء قدر ما تشغله أحداث الشرق العربى ، وقضية فلسطين ، بكل أبعادها السياسية والدينية والإنسانية .

ولقد كان للأحرار والشرفاء فى العالم دورهم فى جعل ميثاق المنظمة الدولية حكما فى هذا الصراع بين الحق وخصومه ، وشهدت دول العالم موقف الولايات المتحدة الأمريكية من معاداة الحق ومناصرة الظلم ، وتغيير موازين السلوك ومعايير العلاقات الإنسانية والدولية!

وقد وضح للعالم كله أن إسرائيل لم تكن لتجرؤ على مواجهة العرب وحربهم ، لولا مساندة أمريكا !

ولقد وضح للعالم كله - أن يد جونسون هى التى حركت زناد الطلقة الأولى الغادرة من قاعدة الاستعمار وركيزته : إسرائيل !

ولكن الشعب العربى ، بإيمانه وحضاراته، مصمم على مواصلة الكفاح ، معركة بعد معركة ، حتى النصر ...

(إن لله عبادا إذا أرادوا أراد) .

● وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاباً إلى ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، أشار فيه إلى أنه بدأ التفكير فى توجيه كلمته إليه يوم بدأ العدوان الإسرائيلى فى الخامس من يونيو ، وزاد من تصميمه على كتابتها إليه، ما أكدته الحوادث ووكالات الأنباء العالمية ، من أن الرئيس الأمريكى اشترك مع مستشاريه فى التخطيط لهذا العدوان ، وأن من التجنى على الحق تبرئة أمريكا ورئيسها من تبعة هذا العدوان.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن الحل الوحيد لمشكلة الشرق الأوسط، هو أن يعود اللاجئون الفلسطينيون إلى وطنهم ، وأن تعود إليهم جميع ممتلكاتهم وأموالهم ، وأن يكف المعتدون من بنى إسرائيل عن عدوانهم.

كما أشار فضيلة الإمام الأكبر - فى كلمته - إلى حرب الإبادة التى تقوم بها أمريكا فى فيتنام، وإلى التفرقة العنصرية التى تحرم الملايين الملونين - من شعب أمريكا - من مساواتهم بمواطنيهم البيض فى الحقوق والواجبات .

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر وقداسة البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وسائر أفريقيا ، بيانا إلى أصحاب الضمائر الحرة فى العالم ، جاء فيه :

١ — « إن الصهيونية العالمية عصبية جنس ، لا تمت إلى الأديان بصلة ، وهى تعادى الإسلام والمسيحية ، وتأبى إلا الاعتداء عليهما ، وعلى مقدساتهما ، وليست هذه العداوة جديدة ولا مستحدثة ، وإنما هى وليدة تاريخ طويل » .

٢ — « إننا — مسلمين ومسيحيين — نستنكر هذا الاعتداء الغاشم الذى وقع على البلاد العربية ، من طغمة مفسدة وشرذمة ضالة ، وعلى القدس بخاصة ، وفيها مقدسات المسلمين والمسيحيين » .

٣ — « نرفض رفضاً باتا فكرة تغير الوضع القائم فى القدس قبل العدوان الغاشم ، كما نرفض تدويل القدس ، لأن هذه المدينة ، فوق أنها بلد المقدسات الإسلامية والمسيحية ، فإنها جزء من جسم الدولة العربية ، والتغيير أو التدويل ، امتداد لهذا الاعتداء الأثيم على الأمة العربية .

● انعقدت الدورة الثانية للمجلس المركزى للمنظمة الإسلامية الإفريقية الآسيوية بجاكرتا فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ الموافقة ٣٠ يونيو إلى ٢ يوليو سنة ١٩٦٧ م .

ومثل الجمهورية العربية المتحدة فى هذه الدورة فضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وأصدر المؤتمر عدة قرارات ، الجزء الأكبر منها خاص بقضية العرب .

القرار الأول : وهو خاص بالعدوان الإسرائيلى جاء فيه :

١ — يدين المجلس المركزى للمنظمة الإسلامية الإفريقية الآسيوية العدوان الصهيونى الاستعمارى الغادر على الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية ، ويستنكر الجرائم المشينة التى ارتكبها الصهيونيون أثناء العدوان .

٢ — يطالب المجلس هيئة الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات الصارمة لسحب قوات إسرائيل من كافة أراضى العرب المحتلة ، ويهيب بها - كممثلة للضمير العالمى الحر - أن تقرر إدانة إسرائيل وإلزامها التعويض عن الأضرار التى نشأت نتيجة للعدوان .

٣ — يناشد المجلس الدول العربية والإسلامية - بصفة خاصة - ودول أفريقيا وآسيا - بصفة عامة - تقديم العون والمساعدات اللازمة للبلاد التى تعرضت للأضرار من جراء العدوان الإسرائيلى .

القرار الثانى : خاص بقضية فلسطين :

١ — يؤكد المجلس قرار مؤتمر باندونج الإسلامى الأفريقى الآسيوى الأول ، باعتبار قضية فلسطين قضية المسلمين جميعاً ، وليست قضية العرب وحدهم ، ويرى أن الحل الوحيد لهذه القضية هو الاعتراف بحق أهل فلسطين فى العودة إلى بلادهم ، ومنحهم حق تقرير المصير .

٢ – يناشد المجلس هيئة الأمم المتحدة أن تقبل على تنفيذ قرارات سنة ١٩٤٩ المعترفة بحقوق عرب فلسطين .

٣ – يهيب المجلس بدول إفريقيا وآسيا أن تعمل على تأييد حقوق الشعب العربى فى فلسطين وحقه فى تقرير المصير ، وحق تحرير فلسطين وحقه فى تقرير المصير ، وحق تحرير فلسطين من الاستعمار والعنصرية .

٤ – يؤكد المجلس إيمانه بأن مدينة القدس حرم إسلامى مقدس ، ويرى أن محاولة تدويلها انتهاك لحرمة الإسلام ، وعدوان على مقدسات العرب والمسلمين ، ولذلك يرفض تدويل القدس رفضا باتاً .

وجاء فى قرارات المؤتمر أيضا إنشاء أكاديمية للدعوة الإسلامية لنشر الإسلام فى أرجاء العالم .

وقرر المؤتمر – كذلك – تشكيل لجنة من الخبراء لدراسة مسألة بيت المال والأوقاف والزكـــاة .

● من تبرعات مبعوثى الأزهر فى الخارج للمجهود الحربى :

تبرع السادة أعضاء بعثة الأزهر فى الجزائر بمبلغ ٣٦٢٧٥ دينارا جزائريا .

كما تبرع السادة أعضاء بعثة الأزهر فى ليبيا بمبلغ ٢٢٠٨/٧٠٠ جنيها مصريا .

وتبرع طلبة الجامعة الإسلامية فى ليبيا بمبلغ ١٥٠٧/٣٠٠ جنيها مصريا .

وتبرع السادة أعضاء بعثة الأزهر فى لبنان بمبلغ ١٦٧٠ جنيها مصريا .

● أعلنت الإدارة العامـــة للمعاهد الأزهرية القرارات التالية :

١ – يبدأ امتحان الدور الثانى للشهادات الإعدادية العامة الأزهرية ، والثانوية العامة الأزهرية للفتيات ، والثانوية الأزهرية المعادلة ، وشهادات معهد القراءات فى العلوم الدينية والعربية يوم السبت الموافق ٢ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ ، وفى المواد الثقافية فى المواعيد التى تحددها وزارة التربية والتعليم .

٢ – يكون امتحان الدور الثانى لشهادات معهد البعوث الإسلامية اعتبارا من يوم السبت الموافق ٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٧ .

٣ – (ا) يبدأ امتحان مسابقات القبول بالمعاهد الإعدادية والقسم الإعدادى بمعهد الفتيات يوم الاثنين الموافق ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

(ب) تبدأ امتحانات مسابقات القبول للصف الأول من المعاهد الثانوية للحاصلين على الإعدادية العامة من مدارس وزارة التربيــة والتعليم يوم السبت الموافق ٢ من من سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

٤ ـــ أما بخصوص الطلاب الذين تخلفوا بسبب التجنيد عن أداء جميع مواد الامتحان أو بعضها ، سواء منها العلوم الدينية والعربية أو المواد الثقافية التى تشرف عليها المناطق التعليمية فى الشهادة الإعدادية أو وزارة التربية والتعليم فى الشهادة الثانوية ، فقد وافقت الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية على تمكينهم من أداء امتحان الدور الثانى فى الشهادات والنقل ، بشرط أن يتقدم كل منهم بما يثبت أنه كان مجندا أثناء امتحان الدور الأول .

كما وافقت الإدارة على تمكين طلاب معهد غزة الدينى ، الذين لم يدخلوا امتحان الدور الأول ويوجدون ـــ الآن ـــ بالجمهورية العربية المتحدة ، من دخول امتحان الدور الثانى للشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية .

● تحددت بداية العام الدراسى ١٩٦٧-١٩٦٨ على النحو التالى :

(١) فى المدارس الإبتدائية الأزهرية يوم السبت ٩ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

(ب) فى المعاهد الإعدادية والثانوية والمعهد الأزهرى للفتيات ومعهد القراءات يوم السبت ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ .

(ج) فى معهـــد البعوث الإسلامية يوم السبت ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٦٧ ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

تفسير وتعليق

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

« وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين » .

النكسة الأخيرة واستيلاء اليهود على القدس ، لفت النظر إلى الآيات الكريمة (٤-٧) فى سورة الإسراء التى ذكر مطلع أولاها فى الآية ، وتعدد فى تأويلها القول طلبا لتفسير الحوادث الأخيرة والتماسا للتنبؤ بمصير دولة اليهود فى فلسطين عن طريق القرآن العزيز .

فمن ذلك ما ذهب إليه كاتب فاضل نشر رأيه فى المساء ، ونقلته عنه الأخبار ، من أن دخول اليهود بيت المقدس نطق به القرآن فى قوله تعالى (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) فى الآية (٧) مع أن الضمير فى (وليدخلوا) (وليتبروا) راجع إلى الذين ينتقم الله بهم من اليهود لا إلى اليهود .

لكن الذى يستحق المناقشة بتفصيل لولا ضيق المقام هو ما ذهب إليه فضيلة العالم الصديق الشيخ عبد الرحيم فودة فى تفسير الآيات الكريمة من أن الذين انتقم الله بهم من اليهود أول مرة هم عمر بن الخطاب والمسلمون فى عهده ، وأن المسلمين الآن هم المقصودون بضمير الغائب فى قوله تعالى خطابا لبنى إسرائيل (ثم رددنا لكم الكرة

عليهم) لظهور اليهود على المسلمين فى فلسطين اليوم ، وأن واو الجماعة فى قوله تعالى (ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) مقصود بها المسلمون أيضاً فهم الذين سيسلطهم الله على اليهود انتقاما منهم بإفسادهم العظيم فى أرض فلسطين .

فقد جعل فضيلته الآيات كلها متعلقة بالمسلمين وبنى إسرائيل : تحقق أول الوعيدين على أيدى الصحابة فى عهد عمر ، ويتحقق ثانيهما على أيدى المسلمين فى مقبل الأيام .

أما إن المسلمين سيظهرهم الله على اليهود فى هذه الدويلة المسماة إسرائيل ويدمرها على أيديهم فسيكون بإذن الله بنبوءة الحديث الشريف الصحيح فى البخارى ومسلم الذى معناه (ستقاتلون يهود وتنصرون عليهم حتى ليقول الحجر وراءه اليهودى : يا مسلم ورائى يهودى فتعال فاقتله) والحجر كناية عن حصون اليهود فى قراهم فى فلسطين ، وأول الحديث نبوءة تحققت بقيام دويلة إسرائيل إذ لم يكن لليهود حين قيل الحديث دولة ولا قوة مقاتلة فكما تحقق أول الحديث يتحقق سائره بمشيئة الله ، لكن آيات سورة الإسراء هى عن إسرائيل الماضى لا إسرائيل الحاضر :

أولا : لأن الكتاب فى قوله تعالى « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » فى الآية (٤) هو الكتاب المذكور فى الآية (٢) « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا » كما يدل عليه السياق وتجاور الآيتين ، فالمقصود بالكتاب فى الآيتين التوراة لا القرآن .

ثانيا : أن فساد بنى إسرائيل فى الأرض فى المرة الأولى هو عصيانهم أمر الله لهم : « ألا تتخذوا من دونى وكيلا » وعبادتهم (بعلا) على شكل ثور وضعوه فى الهيكل وزعموا أنه رمز لعبادة (ياهو) كما ذكر القس توماس شين فى مقاله عن إسرائيل فى كتاب تاريخ المؤرخ العالمى جزء (٢) .

ثالثا : أن اليهود لم يكن لهم فى القدس دولة ولا سيطرة حين دخله عمر رضى الله عنه إذ كانت قوة اليهود قد ذهب الله بها على أيدى الصحابة فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

رابعاً : أن الأستاذ فى مقاله المنشور فى فى كتيب «صوت الأزهر فى المعركة » لم يذكر ماذا كان إفساد اليهود فى الأرض أول مرة حتى انتقم الله منهم على يد عمر وأصحابه رضى الله عنهم مع أن هذا ركن لا بد من استيفائه فى الاستشهاد .

خامساً : أن الله لم يمن فى القرآن كله ولا مرة على اليهود بإظهارهم على المسلمين . وإرجاع ضمير الغائب فى قوله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » إلى المسلمين ينقض هذه الحقيقة مع كثرة ما فى القرآن العزيز من وعيد شديد لليهود ، ووعد مؤكد للمسلمين بالظهور .

سادسا : أن الاستئناس بالتشابه فيما وصف الله العباد بالبأس الشديد فى قوله تعالى « عباداً لنا أولى بأس شديد » ، ووصفه الصحابة بأنهم أشداء على الكفار فى الآية الكريمة « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار » الآية (٢٩) من سورة الفتح - استئناس يدفعه وصف غير المسلمين بالبأس الشديد فى قوله تعالى من سورة الفتح أيضا « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » الآية (١٦) .

سابعا : أن قوله تعالى فى الآية ٨ . إسر . « عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا » ، فيه شبه وعد لليهود أن يرحمهم الله بعد ظهور المسلمين عليهم هذه المرة ، لو صح أن المسلمين هم العباد المقصودون فى المرتين أو حتى فى ثانيتهما ، لكن الحديث الشريف المروى بالمعنى آنفا يدل على استئصال اليهود من فلسطين ، ولا ينبغى أن نفهم بعض الآيات على وجه لا يتفق مع الحديث الصحيح .

وأظن هذا كافيا فى إقرار ما عليه أئمة التفسير من أن الوعيد فى آيات الإسراء قد حاق باليهود فعلا سواء أكان على يد بختنصر أول مرة أم على يد غيره لما عبدوا (بعلا) فى إسرائيل الأولى ، أما ثانى مرة فعلى أيدى الرومان يقينا بما حاربوا الله وكفروا برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ؟

استدراك

سقط سهوا توقيع صاحب الفضيلة الأستاذ عبد اللطيف السبكى من نهاية مقاله ص ٢٥٢ لذا لزم التنويه .

brothers foa they offered peace. They were happy that they had done their duty well.

Economic Culture

True to their faith in the ownership of God of the weath of the earth, the Muslims did not create an absolute interest in what they possessed. They used and appropriated material resources in their possession with their moderation and held them for the satisfaction of their needs. Whenever a needy brother approached or was found in need they at once placed their resources for his use and if such offer was not accepted they felt insulted aggrieved. To them charity was not a luxury of the rich for it was their faith that every needly brother had a real share in their assets which belonged to God. They assembled five times a day in the mosque congregational prayers and before they stood before God for prayer they very carefully took stock of the circumstances of their neighbours and made necessary arrangements to satisfy the wants of their needy brothers and sisters for they knew that their performance of duty to God would be playing false and be a mockery and as such, would be unacceptable to God so long as they did not perform their duties to their fellowmen. When resources were needed for public purposes they volantarily contributed their quota to the society for they knew that the society had superior right of possession. The venerable Abu Bakr laid before the Holy Prophet his entire assets when money and materials were needed for the battle of Tabuk on the Syrian front. Every Muslim home strictly observed the principles of the Economic Universalism of the Kalima. The head of the family satisfied his own needs not before the needs of his guests, servants, children, wife and other dependents of the family had been satisfied. The Holy Prophet and his faithful companions were seen starving for days together with pleasure, for satisfying the hunger of others and so long as they had any thing in their possession their indigent brothers and sisters were not deprived of the share they had in their resources as common children of the common father. It was not very rare that the young children of Hazrat Ali were made to starve for the satisfaction of others' needs. They possessed wealth but they themselves were never possessed by wealth. They hated idleness and indolence for they knew that their right to possess and to enjoy the material resources of the earth for their nourishment in common with similar rigths of others was derived from their right to work and live.

(to be continued)

before the one God whom and whom alone they worshipped and from whom and whom alone they sought help.

Political Culture

Their behaviour in the field of politics was determined by the political precepts, concepts and ideals of the Kalima. They did not accept the sovereignty of man. To them the Caliph was like themselves a servant of God with only this difference that he was entrusted with special duties peculiar to his office. The rule of law was strictly observed and in the name of public interest and dignity or security of the state the Caliph and other high officials of the Caliphate got no immunity against the operation of law. On one occasion Caliph Umar was summoned before one of his judges like a common offender for trial on the petition of a common man who felt himself aggrieved by an act of the Caliph. During the Caliphate of Hazrat Usman the Grovernor of Kufa was brought to Medina and given forty stripes which the punishment allotted for drinking, for the Grovernor was found guilty of leading a congregational prayer in a state of intoxication. On another occasion during Umar's Caliphate the Governor of Syria had to tend Sheep in Medina like a common shepherd for building a palace in contravention of the letters of instruction of the Caliph forbidding Governors to raise their standard of living higher than the living conditions of the common citizens of the Caliphate. They enjoyed absolute freedom of discussion of political issues and criticism of administration of the Caliphate without any apprehension of incurring the displeasure of the Caliph and other leaders of the Caliphate. The rulers of the Caliphate never cared to worry as to who was their friend and who was their foe but on the contrary their own everyday behaviour was always under the floodlight of public vigilance and even a trivial irregularity did not go unnoticed the uncorrected. The rules of war and peace were strictly observed. They never made aggressive battles and when they were obliged to meet violence, they took particular care to see that the intenity and duration of violence did not exceed limits. In war and peace they never allowed the spirit of vengeance and reprisal to vitiate the cause which inspired them to take arms. When the city of Mecca fell before the Holy Prophet a proclamation for general amnesty to all was immeadiately issued they forgot in a moment all the accumulated grievances against their enemies in Mecca and embraced them as

retired to rest in sleep they would often sit till late in the night and develop in the solitude of the night their super-senses with prayer and meditation.

Social Culture :

Nowhere else in the history of man past or present can be found such brilliant example of equality or brotherhood of man as is found in the culture of the Muslim Arabs. To them equality and brotherhood of man was not a mere theory or a distant ideal but was the very foudation of their immeadiate social life. They were not merely comrades but brothers. They contributed to the social welfare each according to his genius and had a high sense of dignity of labour. No honest labour, however humble, was considered mean and low. Brothers were not divided from brothers on the basis of their vocation of life. The Holy Prophet Muhammad (peace be on him) would be often seen mending his own sh es, sweeping the floor of his bouse and making his pirhan and he was once seen drawing water from a deep well for a Jew for earning a small wage for repayment of a debt. The Caliph Abu Bakr would often be seen in the streets of Medina with a heavy burden of linen of on his back going to the market to sell his commodities without any sense of loss of prestige. In their society there was complete absence of Jealousy and harted which breed invidious distinction between man and man and class and class. Their relation with one another was not one of exploitation but of love and affection and they always helped one another like brothers. They hated sins but not the sinners. If they ever hit any body they did so not in a spirit of vengeance but without malice only by way of performance of a duty. Their sense of equality and brotherhood of man was so real that they had no sense of difference between the caliph and a slave. Caliph Umar, the victor of Jerusalem, made his historical triumphant entry into the fallen city leading his camel whil his tired slave was seen comfortably seated one the back of his camel. Once at the dead of night caliph Umar and Hazrat Abbas, an uncle of the Holy Prophet and the ancestor of the sultans of Baghdad, were seen mounting the hills with heavy leads of food-stuffs on their shoulders to feed a hungry sister and her children; at that hour of the night they would not disturb the tired servants of the caliphate to do this job. They had no separate Mosque for the rich and the poor or for the black and white; they all as equals and brothers stood shoulder to shoulder in prayer and fell prostrate

their husbands, their fathers, their husbands' fathers, their sons, their husbands' sons, their brothers or their brothers' sons, or their sisters' sons or their women or the slaves whom their right hands possess, or male servants free of physical needs, or small children who have no sense of the shame of sex; and that they should not strike their feet in order to draw attention to their hidden ornaments. And O ye believers Turn ye! all together towards God that ye may attain Bliss' (S. XXIV : V. 30 - 31). They were honest and truthful both in thinking and action and never committed fraud and hypocrisy. They fulfilled to the letter and spirit their covenants and commitments. In their hands life, property and honour of all were absolutely safe. They knew that performance of duties to God was a mockery so long as duties to man were not duly performed.

Intellectual Culture :

The Holy Prophet's famous dictum, "The ink of a learned man's pen is more precious than the blood of a martyr" was fully implemented in the everyday life of the Arabs. They gave utmost importance and encouragement to learning. They had free education centres and they freely exchanged knowledge and learning with one another and they were always ready to learn and to teach. Prisoners of war who knew how to read and write were set free on condition that they would teach a number Muslims the art of reading and writing. They showed highest respect to their teachers so much so that the Holy Prophet Muhammad (peace be on him) is reported to have shown respect to a sweeper by rising from his seat for he had learned from him signs of a dog's adolescence. They had no prejudice or superstition against knowledge and wisdom of other people and had no conceit for their own. They recognised freedom of conscience and discussion as one of the fundamental rights of man and had perfect tolerance for disagreeable views of others. They could never thing of administering 'hemlock juice' to thinkers and philosophers who did not agree with their philosophy of life. They travelled far and wide to acquaint themselves with art, science, law and custom of other people and taught them with the devotion of a missionary their newly acquired knowledege - the knowledge of the Holy Quran. Believers in revelation as they were, they cultured intellect and intuition in equal measure. They had active faith in the reality of a living God and performed their duty to God with the purity of faith. They bowed to God five times a day and fasted during the month of Ramadan; this was mandatory for all. But after the toils of the day when the world

of the believers. The kalima recognises no internal or subjuctive morality but it cultures and develops a highleveled external or objective sense of right and wrong. In the details of everyday, behaviour of the early Muslim Arabs, a highly developed natural morality of the kalima is clearly visible. They never tolerated any wrong or any anti-social activity. 'The strongest is the weakest so long as he does not discharge his obligations and the weakest is the strongest so long as his just rights are not vindicated' was the motto of their everyday, business of life and their dealings with one another. If in some weak movement they committed any offence, they at once confessed and in their own intiative took the judgment of law to purify them selves. Not only an actual immoral act but the thought and action which creates tendency to do wrong and as such are remote approach to sins and crimes were uncongenial to their taste. So in the name of art and culture they do not encourage drinking, gambling, vulgar and sensual dance, music and painting which have a corroding influence upon the character of man and are approaches to grave anti-social activities.

The now-prevalent custom of confinement of the women folk within the four walks of their houses is the creation of the Imperial Arabs of Damascus and Baghdad under the influence of the culture of the aristocracies of Byzantine and Persia and as also of the Imperial Pathans and Mughuls under the influence of Persian and Rajput culture. In the Muslim Arab Society women moved freely and participated in the daily business of life of their men folk as equal partners of their life but they strictly preserved their modesty and never made public display of beauty and elegance. The rules of conduct regulating social interc urse between sexes were equally applicable to men and women. The relevant verses of the Holy Qur'an on this point are, O ye who believe ! Enter not housss other than your own, until ye have asked permission and saluted those in them ; that is the best for you, in order that ye may heed. If ye find no one in the house, enter not until permission is given to you : if ye are asked to go back, go back : that makes for greater purity for yourselves : and God knows well all that ye do (S. XXIV : V. 27, 28), and again, 'Say to believing men' that they should lower their gaze and guard their modesty that will make for greater purity for them : and God is well acquainted with all that they do. And say to the believing women that they should not display their beauty except to

as the master of material wealth of the creation and has been given the status of the creator of his own material environment. When man is overpowered by the influence of material conditions of living, he slowly becomes the product of his material environment but when he overpowers the influence of material wealth and comfort them he really becomes the master and creates his own environment according to his needs. The Kalima, there fore, puts its whole attention to the culture of t e human materials of man and simply utilises material wealth and comfort only so far as they are needed. But it definitely discourages luxuary and affluence which have a dominating influence upon the habits and character of man. In the typical Muslim society of Medina the grandeur of the man always appeared in bold relief in the context of his material environment but in the so-called advanced and civilised societies of man, the man fades into insignificance in the glow of the grandeur of his material environment. Secondly, the Kalima stands for a uniform and harmonious development of the whole and abhors extravagant growth of a part in a generally pale and anaemic body. Hence the people of the Kalima maintained a uniform standared of living in their society. This explains their simple and plain living. The Kalima is not indifferent to material wealth but knows precisely both its virtues and vices and takes full advantage of its virtues but carefully avoids its vices. It was in this latter sense that the Holy Prophet said, " My poverty is my pride ". To exhibit the magnifience of the Caliphate the Muslim Arabs required no palace, no army of liveried attendants or costly Persion carpets and fresco paintings on the walls of their houses. Visitors, diplomats and ambassadors from the lands of the peoples of thrones and palaces, when they visited Medina and sat with the Arabs in their low and thatched huts, felt themselves very small before the magnificence of the personality of their hosts and all pride and vanity of thrones and palaces vanished into the thin air. Dignity and prestige were maintained by the nobility of character of the Caliph and his people and not by the material prosperity of the ruling class which does not represent the actual living conditions of the common man. This is Islam and this is the spiritual culture of the Kalima.

Moral Culture

Since both law and morality of the Kalima are founded on the Knowledge of the law that determines the behaviour of Nature, law and morality of the kalima coincide and command spontameous obedience

Teachings of the 'Kalima' - III

(THERE IS NO GOD BUT ALLAH)[1]

By Abul Hashim

Culture is the development of the faculties of man both external and internal, and is its manifestation in his behaviour and in his immediate material environment. Culture of a society is, therefore, found in the everyday business of life and actual living conditions of its people. So the cultural revolution of the kalima is seen in the pristine Muslim Arab society of Medina. Great historians and writers on the Oriental culture have made a common error in associating the cultures of the Imperial Arabs of Damascus, Baghdad, Alexandria and Cordova, of the Imperial Turks and of the great Mughuls of Delhi and Agra with the culture of Islam. These cultures bear only a faint impress of the long forsaken culture of Islam but they misrepresent rather than represent the culture of the Holy prophet Muhammad (peace be on him) and his companions. Hence these cultures must not be taken as Muslim culture without resevation.

Spiritual Culture :

Plain and simple way of living of the early Muslims even when they were actual rulers of Persia, Egypt and the whole of the Arabian Peninsula, led some to think that Islam is a philosophy and culture of poverty. These critics have faild to get into the spirit of Islam. The philosophy and culture of the religion of the Kalima is not a philosophy and cultnre of poverty but is a philosophy and culture of poverty of material wealth. The Kalima does not deprecate or minimise the value of material wealth in the making of man but on the contrary lays the greatest stress on the solution of man's material problems and satisfaction of his material needs, the Holy prophet is reported to have said, "Poverty leads to revolt against God". But it does not give more importance to material wealth than it actually deserves and does not make man a creature of his material environment. Man has been created not as the slave but

---

(1) For the second part of this series, pleas see the Al-Azhar Magazine for April 1967.

1947 Britain, despairing of finding a solution, handed the question over to United Nations who announced a plan of partition, when this became known civil war started in Palestine and in 1948 Ben-Gurion proclaimed the establishment of a Jewish state in Palestine to be called Israel. Sixteen minutes after Ben-Gurion's declaration in Tel Aviv, President Truman of America announced de facto recognition of Israel.

On the next day, 15th May 1948, began the Palestine war. The Arab League, formed in 1945 by Syria, Irap, Lebanon, Egypt, Saudi Arabia, Transjordan and Yemen, declared it would not recognise Israel and Egyptian forces entered Palestine followed by Iraqi, Lebanese and Transjordan forces. Israel was helbed by Jewish volunteers from America who brought with them generous donations of arms and money. Five days later the Security Council sent Count Folke Bernadotte of Sweden as a mediator and giving him a free hand to end the war, while there he was murdered by a Jewish terrorist as he sought a peaceful solution to the problem. Ralph Bunche replaced him and finally managed to the arrange an armistice between the different countries and the temporary boundaries of Israel were now defined.

The truce remained a very uneasy one with many incidents and in 1956Israel invaded Egyptian territory, a few days later Israeli forces were joined by the British and French. Again the United Nations intervened, prevailing upon the invading powers to withdraw. Condition remained as they were until June 1967 when the aggressive nationalism of Israel was again disclosed by the attack on the Arab countries, once more the United Nations intervened but this time Israel refuses to give up the territory it has occupied. The future now is uncertain, the Suez Canal and Middle East oil are important to world economy, but both will remain closed while Israel remains where it is and Israel is being backed by American dollars and world imperialism. The future is dangerous not only for the Middle East countries concerned but for the peace and security of the world. The history of Israel has been a short one but never a peaceful one and if the words of the Quran are understood correctly, it never will be.

10,000 Jewish immigrants entered Palestine and in the year 1925, 35,000 Jews entered, by 1939 the Jewish population was 445,000, which was thirty percent of the total population. Land was bought for these immigrants by the Jewish National Fund and rented to them at nominal fees, altogether the Jewish National Fund purchased over $ 75,000,000 of land. Tel Aviv, which used to have only 2,000 people, increased its population in 1939 to over 150,000 inhabitants and became the centre of Jewish Palestine. To meet the cost of the industries, hospitals, schools, they were building the Zionists relied on contributions from abroad, mainly from American Jewry. It is estimated that $ 400,000,000 was spent between 1919 and 1939, most of this contributed by world Jewry and without this support the Zionist movement in Palestine would have collapsed.

In 19 9 the Zionist movement met in Zurich and there agreed to be known in future as the Jewish Agency, Dr. Weismann being its first president. This was an attempt to conciliate all Jews, especially the orthodox who considered Zionism destroyed the religious basis of Judaism.

After 1930 the history of Palestine was marked by increased unrest and incidents. Arms were smuggled in and issued to the Haganah, an illegal force trained and armed by the Jewish Agency. Murder was common and terror reigned. Finally Palestine was in open revolt as Jew fought Arab for the land both claimed. At the Zionist congress of 1939 in Geneva, Ben-Gurion, chairman of the Jewish Agency, urged the Jews to defy Britain and estabeish a Jewish state in Palestine, in this he was supported by Rabbi Silver of America. This was the state of affairs when World War II started and remained nearly so until the war drew to a close.

In 1942 the American Zionists met in New York and called for the establishment of a Jewish commonwealth, including all of Palestine. This became known as the Biltmore program and was agreed on by the Jewish Agency in Jerusalem. Meanwhile thousands of illegal immigrants began to pour into Palestine from Europe and swell the ranks of Haganah, which was becoming well-armed by the surplus arms left over by the war. Increased terrorist acts occured, government buildings fired and the King David Hotel in Jerusalem blown up killing ninety-one people. Ben-Gurion, who was now president of the Jewish Agency denied all knowledge of these incidents. In

Lord Milner, and Lord Robert Cecil, also President Wilson, and were able to push the Balfour Declaration so that it would be included in any settlement for the Middle East. Their object was acheived and a paraphrase of the Balfour Declara tion was included in the peace treaty and accepted by the League of Nations. In 1920 the San Rem Agrement gave Palestine, including lands on each side of the Jordan river and extending to the Gulf of Akaba, as a mandate to Britain. Into the authorization for the mandate was written the Balfour Declaration and it is from this that the state of Israel is based.

At this time the Jewish population of Palestine was only fiiteen per cent of the total population and there were many of the Jewish faith who opposed the Zionists aims, they felt that it would impede the assimilation into other countries and cause dual nationality. However the Zionists went ahead with their plans for establishing 'a national home for the Jewish people' and laying the foundation for a political state in Palestine. As S. N. Fisher states, 'it was constant political pressure and the winning of important men to their cause, for whatever reason, that brought success to the Zionists'. The Zionists were confident that time would bring them the creation of a Jewish national state.

The British mandate over Palestine lasted for twenty-seven years and proved and almost impossible task as shown by the various reports concerning this; the Churchill White Paper in 1922, promising the Arab community nothing would be done to jeopardise their rigths; the Pasfield White Paper in 1930, which emphasized the equal responsibility of the Palestine government to the Jewish and non-Jewish population; the Peel Report in 1937, recommending division of Palestine; the Woodhead Report in 1938, suggesting three possibilities *a)* the Peel Partition Plan, *b)* a permanent British mandate, *c)* small Arab and Jewish states with most of Palestine under British mandate; the White Paper in 1939, declaring reduction in Jewish immigration and land purchase and establishment of a self-governing Palestine after ten years. With the outbreak of the Second World War in 1939 the fate of Israel was left in the balance until the ultimate outcome on the battlefields of Europe.

The period between the two world wars was used by the Zionists to increase the Jewish population by immigration so as to obtain a Jewish majority in Palestine. By 1921,

have formed a part of the new Arab kingdom.

Britain's offical reply to the Arab's on June 16th 1918 stated that: 'His Majesty's Government recognize the complete and soveriegn independence of the Arabs inhabiting these territories... government of those territories should be based upon the principle of the consent of the governed". At this time 90 per cent of the population in Palestine were Arab, thus Britain acknowledged he right of the Arabs independence in Palestine. On July 4th 1918 President Wilson at Mount Vernon upheld this and declared that there must be free acceptance of the people concerned for any settlement. Finally on the 7th November 1918. Britain and France published a joint communique in which they stated: ".... the complete and final liberation of the peoples who have for so long been oppressed by the Turks, and the setting up of national governments and administrations that shall derive their authority from the free exercise of the initiative and choice of their indigenous." Nothing here was mentioned of a British mandate or of a Jewish state.

In the same year Sharif Husain's son, Faisal, after being given personal assurances by Dr. Chaim Weismann, the Zionist leader, that: 'Zionists had no intention of working for the establishment of a Jewisq Governement in Palestine'; jointly signed an agreement with him stating: "all such measures shall be adopted as will afford the fullest guarantees for carrying into effect the British Government's Declaratian, to wit, the Balfour Declaration". However, Faisal stipulated the following: 'But if the slightest modification or departure were to be made (in relation to the demands in Feisal's Memorandum) I shall not then be bound by a word of the present Agreement which shall be deemed void and of no account or validity, and I shall not be answerable in any way whatsoever". Dr. Chaim Weizmann pledged his word that he would make his demands subsidiary to fulfilment of the Allied promises to the Arabs.

* * *

With the end of the war in November 1918 the hour or reckoning came to all those who had made so many promises. In 1919 all the Powers essembeled in Paris for a settlement. LLoyd George was intent on acquiring Palestine as a base to protect Suez and the Zionists supported this by declaring for a British mandate over a Jewish Palestine within the British Commonwealth of Nations. Thus the Zionists won the support to their cause of LLoyd George, Balfour,

leadership of Justice Brandeis. Both these centres gathered support from influential people to their cause. That in England was supported by the Rothschilds and LLoyd George, while in America Rabbi Wise, Nathan Strauss and Felix Frankfurter supported the Zionists cantre there. At this time the Zionists were concentrating on obtaining from the Allies a definite promise to create a Jewish state in Palestine on the inevitable collapse of the Turkish Empire.

At this time Lord Kitchener was Secretary for War, previous to this he had been the British agent in Egypt and while in this post contacted Sharif Hussain of Mecca and Madina to found out whether he would support Britain or Turkey, when war broke out Kitchener instructed Ronald Storrs, British Oriental secretary in Egypt, to speak with Sharif Hussain's son, Abdulla, regarding an alliance against the Turks. Thus started the famous correspondence between Sir Henry McMahon, British High Commissioner in Egypt and Sharif Husain.

This correspondence lasted from 14th July 1915 until 30th January 1916, when finally Sir Henry McMahon gave his government's promise of an independent Arab kingdom. This was understood by the Arabs to include most of the Arab lands under Ottoman rule. Shortly after the conclusion of the McMahon-Husain agreement a secret agrement was signed between Britain, France and Russia in April 1916, this was called the Sykes-Picot Agreement and divided the Ottoman Empire among the three powers. In this agreement Palestine, from west of the Jordan River and from Gaza to Tyre, was given an international administration. After the revolution in Russia the Bolsheviks published this paper and in Fabruary 1918 Lord Balfour sent a statement to Sharif Husain denying this agreement.

However, previous to this on the 2nd November 1917 Lord Balfour wrote to Lord Rothschild what became known as the Balfour Declaration: "His Majesty's Governement views with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country". This letter had the approval of the British Cabinet and of the American President Wilson, although it promised the Jews a 'national home' in Palestine, a Palestine that was to

ZIONISM AND ISRAEL

(A brief history)

BY RASCHID AL-ANSARI

"And we gave Moses the book, and made it a guidance to the Children of Israel... And we decreed for the Children of Israel in the Book : 'You shall do corruption in the earth twice, and you shall ascend exceeding high'. . . we send against you servants of Ours, men of great might, to enter the Temple, as they entered it the first time, and to destroy utterly that which they ascended to". (Qur'an)

According to this revelation of the Holy Qur'an the Jews will twice cause corruption and ruin on the earth and finally be utterely destroyed. They will also once live in the Holy Land : "And We said to the Children of Israel after Moses, 'Dwell in the land..." (Qur'an). The ancient history of the Jews is known but the more recent history of this race is inevitably bound up with the history of Israel.

The beginning of the Israeli history had its origin in the Zionist movement, a socio-political and nationalistic movement developed among European Jews in the late nineteenth century. At this time there was much anti-Semitism in Europe and pogroms in Russia, these were Some of the factors which encouraged Zionism and caused Theodor Herzl to establish the World Zionist Organization in Basle, Switzerland, in 1897. At this time the Zionists asked the Turks to allow them to form a settlement in Palestine, this was refused them by the Sultan and they in turn refused an offer by the British of a settlement in Uganda.

Until the outbreak of the First World War in 1914 the Zionists centered the activity of their organization in Germany, but with the division of Europe into two hostile camps another centre was formed in London under the leadership of Dr. Chaim Weizmann. This centre found much opposition from two antiziouist bodies in England, the Anglo-Jewish Association and the Board of Deputies of British Jews. A similar centre to the English one was founded in America under the

churches and their crosses and for all that concerns their religion. Their churches shall not be changed into dwelling places, nor destroyed, neither shall they nor their appurtenances be in any way diminished nor the crosses of the inhabitants nor aught of their possessions, nor shall any constraint be put upon them in the matter of their faith, nor shall any one of them be harmed".

The Holy Quran and the sayings of the Prophet laid down the rules govern the treatment of the prisoners of war. "When you beat the enemy in battle, take prisoners. When war is over, you either set them free as an act of benevolence or have them ransomed" (Quran). According to the instructions of Islam, the prisoners of war can only be taken after meeting an enemy in regular battle, and even in that case they may either be set free, as a favour, after taking ransom. The holy Prophet carried this practice during his life time. And he laid down the golden rule of treating the prisoners of war like brothers so long as they were kept prisoners: "They are your brotheren. Allah Has put them under your hands; so whosoever has his brother under his hand, let him give him to eat whereof he himself eats and let him give to wear what he himself wears, and do not impose on them a work they are not able to do, and if you give them such a work, then help them in the execution of it."

The Conduct of Muslims in wars, at the times of the Prophet and his successors was characterised by these principles. Many Muslim leaders of the later centuries also observed these orders in their behaviour towards war prisoners. An outstanting example was set by Saladin Al-Ayyubi who recaptured Jerusalem from the Crusaders in 1187 A. D. A large number of captives fell in his hand after the decisive battle of Hittin. Feeling that he would not be able to feed them, the Muslim leader decided to release them to avoid their dying of hunger. Then he sent those captives and families under guard of his own men to the nearest outposts still in the Crusaders' hands.

Saladin did this in the same city which had witnessed the indiscriminate slaughter of its iuhabitants who took refuge in its Aqsa Mosque when the town capitulated to the first Crusaders less than a century before. The captives once they were set free, rallied together and fought him again but the Muslim leader never regretted his act because virtue should govern Mnslim's actions even though war is raging. An opposite example was set by Richard, leader of the enemies, who after giving 3000 Muslims a safe conduct if they surrenderred, killed them in violation of this pledge. The fact is that any deviation of a Muslim from the principle of strict observance of virtue during wars would be considered a violation of Islamic precepts in the Conduct of war.

the conduct of Muslims in a war are embodied in the instructions of the Prophet Muhammad and his successors to their army commanders. Most of these instructions are dealt with the objective of fighting, the treatment of the civilians in the battle field and the prisoners of war etc. According to the express instructions of the prophet and his companions it is obvious that the objective of fighting should always be the upholding of high ideals, not the material gain. It was strictly forbidden to kill women, children, old people, monks and priests and weak.

The first caliph Abu Bakr, also made it plane to his commander, Yazid bin Sufyan, that he should not allow his men to kill animals, cut trees or rob when in enemy lands. Indeed some Muslim Jurisprudents prohibited killing enemy horses during the military engagements. The following instructions were given by the Prophet to the troops dispatched against the Bizantine forces who threatened to invade the Muslims: "In avenging the injuries inflicted upon us, molest not the harmless inmates of domestic seclusion; spare the weakness of female sex; injure not the infant at the breast, or those who are ill in bed. Abstain from demolishing the dwellings of the unresisting inhabitants; destroy not the means of their subsistence, nor their fruit trees and touch not palm".

Similar instructions were given by his successors to their respective commanders of the troops. All tending to the treatment of the hostile enemies with justice and mercy. The first Caliph Abu Bakr gave the following instructions to the commander of an army in the Syrian battle: "When you meet your enemies quit yourselves like men, and do not turn your backs; and if you gain the victory, kill not the children nor old people nor women. Destroy no palm-trees, nor burn any fields of corn or wheat. Cut down no fruit trees, nor do any mischief to cattle, only such as you kill for the necessity of subsistence. When you make any covenant or treaty, stand to it and be as good as your word. As you go on, you will find some religious persons who live retired in monasteries and who propose to themselves to serve God that way. Let them alone, and neither kill them nor destroy their monasteries".

These teachings were actually put into practice by Caliph Umar, as it is obvious from the Security given by him to the people of Jerusalem when it capitulated to the Muslims: "In the name of God, the Merciful, the compassionate: This is the security which Umar, the servant of God, the Commander of the Faithful, grants to the people of Aylia (The old name of Jerusalem). He grants to all, whether Sick or sound security for their lives, their possessions, their

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Jumâdal - ûla 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	August 1967

THE CONDUCT OF MUSLIMS IN A WAR

By A.M. Mohiaddin Alwaye

It is a characteristic of Islam to face the realities of life rather than ignore them altogether. This is clear in its attitude to war and fighting. While it stresses peace as an ideal towards which Muslims should strive as mentioned in many Quranic verses and in the very name of 'Islam' which indicates 'Peace', it recognizes that humans, being what they are, are apt to fight from time to time. It therefore, besides calling to peace, puts certain rules which govern both the causes and the conduct of war.

A Muslim should not be the first to call for a duel, for this was deemed to be injustice and aggression, but he can respond to defiance when called by an antagonist to such a duel. It is an historical fact that Muslims were first allowed to fight back after they had been persecuted and then turned out from their home-town by the Maccans. Thus robbed of their inherited abodes and then threatened with extermination, they were permitted to meet force by force. This was referred to in the following verse : "Those who have been wronged are permitted to fight (for their rights) and verily God is capable of giving them victory" (22 : 39). Fighting is not the thing to be liked and sought, although men have some times to fight. Peace therefore, should be clung to as far as that is possible. This idea is embodied in the following verses : "Fighting is enjoined upon you, although it is something disliked by you" (2 : 216).

"But if they lean toward peace, you also lean to it" (peace) 8 : 62.

The general rules which govern

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢٢٥	خواطر من وحى المعركة للأستاذ أحمد حسن الزيات
٢٢٩	درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز ـ ٥ ـ لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج
٢٤٠	التوكل على الله بين النظرية والتطبيق للأستاذ محمد محمد المدنى
٢٤٤	الأخلاق فى الإسلام للأستاذ الدكتور محمد غلاب
٢٥٠	علم الغيب وتحضير الأرواح للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٢٥٣	منهج الرازى فى تفسيره ـ ٣ ـ للأستاذ على العمارى
٢٦٠	السجع والقرآن والباقلانى ـ ٢ ـ للدكتور عبد الرءوف مخلوف
٢٦٨	مكانة الفقه الإسلامى ـ ٣ ـ للأستاذ زكريا البرى
٢٧٣	اختلافات المجتهدين للأستاذ محمد الدسوقى
٢٧٧	العلم والحضارة فى الإسلام للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
٢٨١	أهل الحديث من الفقهاء للأستاذ محمد محمد الشرقاوى
٢٨٧	الإمام ابن حزم ـ ٢ ـ للأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٢٩٢	أثر الدين فى تطوير المجتمع الأستاذ محمد الأحمدى أبو النور
٢٩٧	أبعاد معركة ... لما ما بعدها ـ ٢ ـ للأستاذ محمد النادى البدرى
٣٠٢	الكتب : المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ـ ٨ ـ للأستاذ محيى الدين الألوائى
٣٠٨	الإسلام الحديث الأستاذ جاك رسلر عرض وتعليق للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٣١٥	أنباء وآراء : للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Conduct of Muslims in a war	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — Zionism and Esrael	*Raschid Al-Ansari*	4
3 — Teachings of the 'Kalimah' . . .	*Abul Hashim*	10

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ جمادى الآخرة ١٣٨٧ هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

شاعر الإسلام محمد إقبال
بمناسبة ذكراه السنوية

بقلم
أحمد حسن الزيات

في مثل هذا الشهر (*) من عام ١٩٣٨ ابتسم إقبال للموت تلك الابتسامة التي جعلها علامة الموت في آخر بيت قاله ، ثم توارى بالمغيب كما تتوارى الشمس بالحجاب ، بعد أن قبس العالم الإسلامي حرارة ستجدد له الحياة ، ونوراً سيضيء له الطريق .

وما كان إقبال إلا بضعة من طبيعة الهند المؤمنة ، نفخ فيها الإسلام من روحه فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة . ثم تبلورت فيها برهمية الهند الموروثة ، ومحمدية العرب المكسوبة ، فكان منهما فلسفة شعرية فريدة ، لا هي عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبي العلاء ، ولا هي وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نتشه ، وإنما هي الإسلامية الموحدة المؤلفة السمحة ، كما أوحاها الله بروحيتها النابعة من

(*) تأخرت هذه الكلمة عن موعد الذكرى لأحوال دعت إلى ذلك .

القلب الشاعر بآلام الأرض ، وماديتها الصادرة من العقل المتصل بإلهام السماء .

فهم إقبال الإسلام على حقيقته التي أنزلها الله ، وعلى رسالته التي بلغها الرسول ، وعلى سياسته التي نفذها الصحابة . فهمه على أنه عمارة الدارين بالعمل الصالح ، وسعادة الحياتين بالإيمان الحق ، وقوة المشرقين بالوحدة الشاملة ، فدعا إلى استقلال الذات في الفرد عن طريق الإيمان والعبادة في ديوانه (أسرار خودى) ، وإلى يقظة الوعي الإسلامي في المجتمع عن طريق الثورة والجهاد في كتابه (باك درا) أو صلصلة الناقوس ، وإلى توثيق الأخوة الإسلامية في الشرق عن طريق التوحيد والتعاون في ديوانه (بيام مشرق) أو رسالة الشرق .

ثم كان هذا الرجل المختار الذي نبت جسده في رياض (كشمير) ، وانبثق روحه من ضياء (مكة) ، وتألف شعره من ألحان (شيراز) ، لسانا لدين الله في دنيا العجم : يفسر القرآن بالحكمة ، ويصور الإيمان بالشعر ، وينشىء الفرد على الاستقلال والعزة ، ويؤسس المجتمع على التقوى والمحبة ، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح ، وينفر من حضارة غربية عمادها الإنسان والمادة ، ويشيد بماضي الإسلام الذي حرر الرءوس وطهر النفوس وأصلح الأرض ، ويندب حاضر المسلمين الذي مزق التراث المحمدي كل ممزق ، ويشنع على طغاة الاستعمار الذين سخرهم الشيطان لإفساد الكون ، فسخروا العلم لاستغلال الطبيعة ، وسخروا الطبيعة لاستعباد الناس . وهم الذين عناهم إقبال بقوله في بيت شعر من شعره معناه : «خلقت يارب من النار إبليسا واحداً ، وخلقت من الطين مليون إبليس» . ثم يقطع الشعر حسرات على دين أحاله الجهل والضعف في نفوس أهله إلى شعائر من غير شعور ، ومناسك من غير نسك ، وينعى على المصلين ألا تنهاهم الصلوات عن الفحشاء والمنكر ، وعلى المزكين ألا تطهرهم الزكوات من الأثرة والشح ، ويقول لأولئك الألوف الذين يذهبون كل عام إلى الحجاز وهم لا يدركون سر الحج ولا معنى الجماعة في بيت من شعره الثائر الساخر : «أما يسأل أحد أولئك العائدين من حج البيت المحرم : ألم يجدوا هناك ما يهدونه إلينا غير قارورة من ماء زمزم ؟! » .

فإذا كان حسان شاعر الرسول ، فإن إقبالا كان شاعر الرسالة . وإذا كان لحسان من ينازعه شرف الدفاع عن محمد ، فلم يكن لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية ، وإذا كان في شعراء الصوفية من عطر مجالس الذكر بفضائل الإسلام وشمائل النبوة كجلال الدين الرومي ، فليس فيهم من بلغ مبلغ إقبال في فقه

الشريعة وعلم الحقيقة ، وفى التأمل الفلسفى فى كتاب الله ، والنظر العلمى فى كلام الرسول ، والجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب فى قوة تمييز وسلامة فهم وصحة حكم .

عرفت إقبالا عن طريق فكرته وعلمه ، لا عن طريق لغته وفنه . والحكم على العالم الفيلسوف بما ينقل من علمه وفكره جائز ، ولكن الحكم على الشاعر الفنان بما ينقل من شعره وفنه مستحيل .

وما علمناه من آراء إقبال فى الإسلام والمسلمين مجردا من وحى اللغة وسحر الأسلوب وحلية الفن وإشعاع الروح يحله محل الزعيم المصلح ، فكيف إذا قرأناها علما فى فن ، وشعورا فى شعر ، وواقعا فى خيال ، وحقيقة فى مجاز ، وفكرة فى صورة ؟ !

على أننا تذوقنا شيئا من فن إقبال فى فن صديقه المرحوم عزام بالقدر الذى تعطيه الصورة الشمسية من الصورة الطبيعية ، فقد تلاقى الرجلان والفنانان فى ديوانى (رسالة الشرق) و (ضرب الكليم) فكان من تلاقيهما المبارك الموفق رفد للأدب العربى خصب عليه روضه ونضر به عوده .

والمرجو أن تنقل نفحات إقبال كلها إلى لغة القرآن فإنها لآياته المحكمة بمثابة التفسير الملهم .

ولقد انتقل شاعر الخلود إلى دار الخلد وفى نفسه أن يقرأه العرب كما يقرؤه العجم ؛ فمن الوفاء لذكراه أن نحقق له هذه الأمنية ، ومن البر بالعروبة أن ترفدها هذه العبقرية ، ومن فضل الله على إقبال أن حقق له أكثر أمانيه ؛ فها هى ذى أمة القرآن - كما تمنى - يشرق صبحها من جديد فتستيقظ وتعى ، وتتآلف وتتعاطف ، ثم تتقارب وتتحد ، ثم تهب فى كل مكان فتثور على المستعمر ، وتتمرد على الطغيان ، وتنبو على القيد ، وتملك قيادها رجال السيف ، وتولى أمورها أهل العمل ، وتريد أن تكون فى السياسة الدولية كتلة ثالثة يستقر بها النظام ، ويطمئن لها السلام ، ويصلح عليها الأمر .

* * *

رحم الله محمد إقبال رحمة الصالحين ، المصلحين ، وأثابه ثواب العاملين المخلصين ، وأتاح له من يواصل دعوته لتدوم ، ومن ينشر فكرته لتعم ؟

أحمد حسن الزيات

"لا" التى قيل إنها زائدة، وليست كذلك

درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز

لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

الخاتمــــة

مما يمكن إلحاقه بما تقدم — وهو من المواطن التى أسرف بعض العلماء بحكمهم أن « لا » الواقعة فيها زائدة — خمس آيات :

« الآية الأولى »

قوله تعالى : « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » (٩٥ سورة الأنبياء)

يقول بعض العلماء من المفسرين والنحويين: إن « لا » هنا زائدة ، والمعنى : « أنهم يرجعون » ؛ إذ أن المراد بالرجوع فى الآية - على ما يرون - هو الرجوع بعد الموت إلى الحياة الدنيا ، وذلك أن الكفار الذين أهلكهم الله ، يفزعون حين يرون بوادر العذاب الذى أعد لهم فى الآخرة أشد الفزع ، ويتمنون أن يعادوا إلى الدنيا ليصلحوا من حالهم ، ويحققوا على الوجه الصحيح إيمانهم ، ويعملوا صالحا غير الذى كانوا يعملون ؛ كما حكى عنهم القرآن فى قوله تعالى : « حتى إذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » ، « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا » .

فالآية التى معنا تقرر - على ما يرى أولئك العلماء - أنه حرام ومحال على أهل قرية أهلكهم الله ، أن يعودوا إلى الدنيا كما يريدون ؛ فجاءت فيها عبارة « لا يرجعون » مكان « يرجعون » .

لكن ما هى الضرورة التى ألجأتهم أن يحملوا الرجوع فى الآية على الرجوع إلى الدنيا ، ليقولوا إن « لا » فيها زائدة ؟ وهل مجرد ورود الرجوع فى بعض الآيات القرآنية بمعنى الرجوع إلى الدنيا يوجب أن يكون المراد به ذلك المعنى فى كل ما ورد منه فى آيات الكتاب العزيز ؟

إنه لو كان الرجوع لا يطلق فى اللغة ولا فى الشرع إلا على الرجوع إلى الدنيا لكان لهم عذر فى الحكم بأن « لا » فى الآية زائدة ؛ لكن الأمر ليس كذلك ؛ فقد ورد فى آيات

كثيرة من القرآن الكريم , إطلاقه على رجوع الناس إلى الله يوم القيامة بالبعث بعد الموت ، ومصيرهم إلى الدار الآخرة ، التى يلقون فيها جزاءهم على ما قدموا فى الحياة الأولى من أعمال .

وهذه الآيات قد بلغت من الكثرة بحيث يضيق المقام عن إيرادها جميعها ، فلنقتصر منها على ما فيه الكفاية لإثبات مانقول: قال تعالى : « إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا »
(٤ سورة يونس)

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » . (١١٥ سورة المؤمنون) .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا » .
(٦٤ سورة النور) .

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » . (١١سورةالسجدة) .

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون» . (١٥سورةالجاثية) .

ثم إن فى سورة الأنبياء ذاتها ، قبل تلك الآية التى هى محل البحث ، آيتين أخريين لا يفصلهما عنها فاصل ، قد بين فيهما المقصود بالرجوع الوارد فى تلك الآية ، وأنه هو الرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء ، وليس هو الرجوع إلى الدنيا ، ذلك هو قوله تعالى :

« وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون»
(٩٣ سورة الأنبياء) .

« فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون » .(٩٤ سورة الأنبياء) .

« وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » . (٩٥ سورة الأنبياء) .

هذه الآيات الثلاث ، تقرر ماتقرره الآيات القرآنية الكثيرة ، التى تثبت البعث ورجوع الناس بعد الموت إلى حياة أخرى يقومون فيها بين يدى الله سبحانه وتعالى ، فيحاسبهم على أعمالهم ، ويجازيهم عليها بالثواب والعقاب .

فمعنى الآية حينئذ ، أن الناس الذين أهلكهم الله بسبب فجورهم وشرورهم فى الدنيا محال أن يكون ذلك نهاية أمرهم ، فلا يكون لهم فى الآخرة حساب ولا عقاب ؛ بل لا بد أن يحشروا ويرجعوا إلى الحياة الأخرى ، ليوفى عليهم الحساب ، ويجازوا على ما قدموا أشد الجزاء ، فكلمة « لا » فى الآية أصلية والمعنى على أصالتها مستقيم كل الاستقامة .

الآية الثانية :

« وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

وذلك تمام آية ١٠٩ من سورة الأنعام ، وهي التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

نزلت هذه الآية لبيان الحقيقة في أمر المشركين الذين اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يظهر لهم بعض الآيات الكونية ، التي تدل على صدقه ، من مثل ما كان يظهر على يد موسى وعيسى ، ووعدوه أن يؤمنوا به إن حقق لهم ما اقترحوه ، « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » ؛ وكان المسلمون يودون أن يتحقق لهم ما اقترحوه ؛ وقد روى في ذلك أنهم رجوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يسأل ربه أن يظهر على يديه شيئا من تلك المعجزات ، طمعا منهم في إيمان أولئك المشركين ورغبة في ضمهم إلى حظيرة الإسلام .

فجاء قوله تعالى : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » لتقرير حقيقة الأمر ، والإنباء بحال أولئك المشركين ، وأنهم مكابرون متعنتون ، لا يفون بما وعدوا ، ولا يبرون فيما أقسموا ، ولا يؤمنون ولو أجيبوا إلى ما اقترحوا .

يؤيد ذلك قوله تعالى عقب هذا : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » .

فقوله سبحانه : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » خطاب للمؤمنين الذين كانوا يتمنون ويرجون أن تحقق الآية الكونية التي اقترحها المشركون ، قصد به - مع ما سبقت الإشارة إليه - إقناع المسلمين بأن أصحاب ذلك الاقتراح معاندون متعنتون ، وأنهم لا يؤمنون .

والاستفهام فيها إنكاري ، والمعنى عليه : ما يدريكم حقيقة حال هؤلاء الكفار ، وما الذي يعلمكم ما يكون منهم ، وما سبق به علم الله في شأنهم ، من أنهم لا يؤمنون ، ولو تحقق لهم ما يقترحون .

إنكم لا تعلمون ذلك ولا طريق لكم إلى معرفته ؛ ولكن عليكم أن تعرفوه وتوطنوا أنفسكم عليه .

هذا - وإن العلماء لم يكونوا بإزاء هذه الآية ، كما كانوا بإزاء الآيات الأخرى ، التي أوردناها فيما سبق ؛ أي أنهم لم يكونوا

متحمسين للقول بزيادة « لا » فيها ، كما كانوا فى تلك الآيات ؛ بل إن من حكى منهم فيها قولين ، نراه يعرضهما بطريقة تفهم أنه يرجح القول بالأصالة ، كما فعل الزمخشرى وأبو السعود والنسفى ومن قبلهم ابن جرير الطبرى .

والمعنى على الأصالة جد مستقيم ؛ فإن هذه الآية التى معنا — ومعها الآيات التى قبلها والتى بعدها - تقرر أن أولئك الكفار الذين يقترحون المعجزات ليسوا فى ذلك جادين مخلصين ، بل هم مكابرون متعنتون ؛ والله يعلم ذلك منهم ، وأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم الآية التى اقترحوها ، وعلقوا إيمانهم عليها ؛ لكنكم أيها المؤمنون لا تعلمون من أمر هؤلاء الكفار ما أحاط به علم الله ؛ فما الذى يشعركم بحالهم ؟ وما الذى يدريكم أنهم حتى مع تحقق الآية التى اقترحوها لا يؤمنون ؟

إنه لا سبيل لكم إلى معرفة ذلك ، ولذلك تمنيتم ورجوتم أن يحقق لهم شيء من تلك المعجزات .

وهذا المعنى الذى استقام مع أصالة «لا» ، هو الذى تستقيم عليه قراءة ابن كثير وأبى عمرو : « إنها إذا جاءت لا يؤمنون » بكسر همزة « إنها » على الاستئناف .

وذلك أنه على هذه القراءة يتم الكلام بقوله سبحانه : « وما يشعركم » ، ومعناه : أنتم ترجون أن تحقق لهم المعجزة المقترحة طمعا فى أن يؤمنوا ، ولكن ما يدريكم ما سيكون منهم إذا جاءتهم تلك المعجزة ؟ ثم استؤنف الكلام بقوله تعالى : « إنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

فهذه الجملة المستأنفة جاءت لتقرير حال أولئك الكفرة ، وكشف خبايا ضمائرهم ، ولإراحة نفوس المؤمنين عن التطلع إلى ما وعدوهم به من الإيمان ؛ لأنه شيء علم الله أنه لا يكون .

وإذا كان الأمر كذلك فما الداعى إلى جعل (لا) زائدة ، ويكون ذلك نفياً يزاد فى مقام الإثبات ؟ إن ذلك يؤدى - كما قلنا - إلى اضطراب المعنى ، واختلاط الأمر بين السلب والإيجاب .

ثم لا يمكن أن تكون الزيادة التى بهذه المثابة مفيدة فائدة ما ، ولا التأكيد الذى قد تزاد له بعض الكلمات ؛ فإنه من غير المعقول أن يؤكد ثبوت المعنى بما وضع فى اللغة لسلبه ونفى ثبوته .

* * *

هذا - وإنه يمكن أن يقال فى مثل هذا المقام ، وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون ، على معنى أنكم تتمنون وتطلبون أن تحقق

لهم بعض الآيات المقترحة، ليؤمنوا ويوفوا بما وعدوا، وما عقدوا عليه الايمان، ولكن من أين لكم أنهم إذا جاءتهم الآية يؤمنون بها ؟

يمكن أن يقال ذلك لتأدية هذا المعنى، ويكون إعلاما بأن أولئك المشركين معاندون مكابرون، شأنهم اقتراح الآيات ولكنهم لا يؤمنون.

غير أن هذا المعنى لا يمكن الوصول إليه فى الآية الكريمة، إلا على أساس زيادة (لا) فيها ؛ وهذه هى العقدة التى يصعب حلها، والتى لا يحسن الالتجاء إليها فى تفهم آيات الكتاب العزيز.

على أن الكلام مع ثبوت (لا) وأصالتها، له مقصد آخر يخالف مايقصد منه عند عدمها أو إسقاطها إن كانت قائمة :

ذلك أنه على هذا الوجه الثانى، يكون فى الكلام تخطئة ولوم لأولئك المخاطبين من المؤمنين، الذين رجوا أن تحقق تلك الآية التى اقترحها المشركون، وعلقوا عليها إيمانهم، ويكون حاصل المعنى : أنتم مخطئون فى ظنكم، واهمون فى تقديركم ؛ فمن أين لكم أنهم يؤمنون إذا حققت لهم المقترحات ؟

أما على أن (لا) أصلية، ـ وهو الوجه المختار فى فهم الآية ـ، فإنه يكون كلاماً معبراً عن عذر أولئك المؤمنين، فى ظنهم ورجائهم أن تحقق تلك الآية الكونية، التى اقترحها الكفار.

فالله سبحانه يقول لهم : إنكم ظننتم أن هؤلاء يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة ؛ ولذلك تعلق رجاؤكم بطلب تحقيقها لهم ؛ فأنتم معذورون فى هذا الظن وهذا الرجاء، لأنكم لا تدرون أنهم لا يؤمنون إذا تحققت لهم الآية المقترحة، ولا سبيل لكم إلى معرفة ذلك، إذ أن علمه عند الله وحده.

وإذا كان الأمر كذلك ـ ولا يستقيم المعنى مع ثبوت (لا) إلا إذا كان كذلك ـ فكيف يسارع إلى القول بأن (لا) هذه زائدة، وأن « لا يؤمنون » معناه يؤمنون ؟

هذا شىء كان ينبغى ألا يكون ؛ والله ولى التوفيق.

الآية الثالثة :

قوله تعالى : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »، فى قراءة نصب المضارع فى « ولا يأمركم ».

وهذه هى الآية الواردة بعد قوله سبحانه : « ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » (٧٩، ٨٠ من سورة آل عمران).

يقول بعض العلماء : إن « لا » فى قوله سبحانه : « ولا يأمركم » زائدة ، والمراد : ويأمركم ؛ وذلك أن المعنى : ما صح لإنسان ولا استقام منه — وقد آتاه الله الكتاب والحكمة ، وأكرمه بالنبوة — أن يقول للناس اعبدونى ، ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا يعبدون . فالمنفى عن ذلك البشر الذى كرمه الله بالنبوة ، ومنحه العصمة ، هو أن يدعو لعبادة نفسه ، ويأمر بعبادة الملائكة والأنبياء ، وليس المنفى ألا يأمر بذلك ، على ما تقتضيه «لا» النافية . فتكون «لا» حينئذ فى الآية زائدة .

وعلى هذا يكون قوله سبحانه : «ولا يأمركم» — بعد إسقاط « لا » الزائدة — عطفا على « يقول » ، أى ما صح له أن يقول ويأمر بما ذكر ، فإن ذلك ممتنع ومستحيل أن يكون ممن فضله الله وأكرمه بالنبوة .

هذا هو حاصل كلام أولئك العلماء فى معنى الآية .

ولكن هل هذا المعنى الذى أدركوه منها ، موقوف على أن تكون « لا » فيها زائدة ؟ ألا يمكن الوصول إليه مع أصالتها ، ودلالتها على النفى ، الذى هو أصل معناها ؟ أليس من الممكن أن يقال : إن قوله تعالى : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا ، إلى آخره معناه : ما صح لذلك الإنسان المختار ، ولا استقام منه ، أن يدعو لعبادة نفسه ، ولا أن يأمر بعبادة الملائكة والأنبياء ، أى ولا صح له ولا استقام منه أن يأمر بذلك ، فيكون قوله سبحانه : « ولا يأمركم » معناه : ولا صح له أن يأمركم ، ويكون عطفا على الجملة الأولى ، التى فى صدر الآية ، وهى قوله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس » إلى آخره أى ما كان له أن يقول كيت وكيت ولا كان له أن يأمر بكيت وكيت ؟ إن هذا ممكن ومقبول ، والمعنى عليه صحيح ومستقيم ، بل هو الصحيح المستقيم الذى يوفى بأداء ما نرى أنه المقصود من الآية .

إن جعل « لا » فى الآية زائدة ، يضيف إلى محذور الزيادة عيبا آخر ، هو قصور العبارة عن الوفاء بذلك المعنى المراد ؛ ذلك أنه — على أساس هذه الزيادة — يكون المنفى عن الإنسان الذى كرمه الله بالنبوة أن يدعو إلى عبادة نفسه ، ويأمر بعبادة غيره ، أى أنه يكون المنفى عنه هو الجمع بين الأمرين ، وعلى أقل تقدير يكون الكلام محتملا ذلك .

فأما مع « لا » الأصلية النافية ، فإن الكلام يكون نصا فى الدلالة على نفى كل من الأمرين استقلالا ، وبالأولى يكون نفيا لهما مجتمعين ؛ فمن اختاره الله نبياً ، وفضله بالكتاب والحكمة ، مستحيل أن يدعو إلى عبادة نفسه ، ومستحيل أن يأمر بعبادة غيره ؛ لا يكون منه هذا ، ولا يكون منه ذاك .

هذا هو المعنى الذى ينبغى أن يفهم من الآية ، وهو الذى تؤدى إليه المحافظة على نصوص الآيات القرآنية ، فى أسلوبها ، وفى جملها ومفرداتها ، من غير تهاون فى ذلك ، ولا تراخ فى التحوط والحذر من إطلاق القول فيها ، بمثل تلك الزيادة التى تنافى حكمة القرآن .

« الآية الرابعة »

قوله تعالى : « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » .
(١٥١ سورة الأنعام) .

قال بعض العلماء فى هذه الآية : إن قوله سبحانه : « ما حرم ربكم عليكم » موصول وصلته ، وقع مفعولا للفعل : « أتل » ، ثم أبدل منه « ألا تشركوا به شيئاً » ؛ أما كلمة « أن » فى قوله : « أن لا تشركوا » فهى مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر ، وإذاً لا يصح أن يكون هذا المصدر - وهو عدم الإشراك بالله - بدلا مما حرم الله على العباد ، لأن الذى حرمه الله عليهم ، هو الإشراك نفسه ، وليس هو عدم الإشراك ؛ كما قال سبحانه فى آية ٣٣ من سورة الأعراف : « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » .

قالوا : ومن أجل هذا تكون « لا » فى آية الأنعام التى معنا زائدة ، فيستقيم ذلك الإبدال من غير محذور .

ونحن نقول : إنه لا يصح الحكم بزيادة شىء فى القرآن ، على هذا النحو الذى يكون به المزيد لغوا خاليا من الفائدة . هذا إلى أن المزيد هنا لا يكفى أن يقال إنه خال من الفائدة ، فإنه شىء يخل بالمعنى المراد ، إذ أنه وضع للنفى موضع الإثبات ، وإحلال لأحد النقيضين محل النقيض الآخر ، وذلك لا يسوغ فى القرآن ، ولا فى غير القرآن .

إنه ما كان ينبغى أن يلجأ إلى جعل « أن »

فى قوله تعالى : « أن لا تشركوا به شيئاً » مصدرية ، حتى يتورط بعد ذلك بالتزام أن تكون « لا » بعدها زائدة ، وذلك أن كلمة « أن » فى اللغة ليست مقصورة على معنى المصدرية ، فإن لها معانى أخر ، يمكن أن يختار منها ما يستقيم به الكلام ، ولا يجر إلى الحكم بتلك الزيادة الضارة غير النافعة .

على أن جعل « أن » مصدرية ، لا يقتصر أمره على الجر إلى محذور تلك الزيادة غير الصالحة ، بل إنه يترتب عليه محذور آخر ، قد يكون أشد منه ، وقد يتضاعف فيصير إلى محذورات : ذلك أنه متى كانت « أن » مصدرية كان مدخولها معنى خبريا ، فلا يصلح أن يعطف عليه المعنى الطلبى ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » ، فإن معناه طلب الإحسان إلى الوالدين من غير شك ، وعطف الطلب على الخبر على هذا النحو لا شك أنه يوجب شيئاً من الاضطراب .

ثم إذا كانت (لا) الواقعة فى بقية الوصايا ، من قوله سبحانه : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » ، « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » ، « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » إذا كانت (لا) الواقعة فى هذه الوصايا زائدة أيضا ، كما هى فى قوله تعالى : « أن لا تشركوا به شيئا » ، كان المحذور أعظم وأشد ، إذ يصير به الأسلوب إلى صورة بشعة ، ينفر منها الذوق القرآنى الكريم .

إنه بعد إسقاط (لا) الزائدة ، فى تلك الوصايا الأربع ، يصير الفعل المضارع بعدها منصوبا بتقدير (أن) المصدرية بالضرورة ، وهنا تظهر البشاعة والشناعة ، ولا سيما بعد ورود تلك الوصايا ، عقيب الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، إذ يصير منطوق هذه الوصايا الخمس هكذا : وبالوالدين إحسانا ، وأن تقتلوا أولادكم من إملاق ، وتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأن تقربوا مال اليتيم .

شناعة وبشاعة ، لا يدفعهما ولا يخلص منهما ، أن يقال إن هذه الأمور الأربعة ليست معطوفة على الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وإنما هى معطوفة على ما ذكر أولا ، وهو قوله تعالى : « ألا تشركوا به شيئا » أى أنه بذلك يزول المحذور ، ويقضى على ما قد يكون فى ظاهر الأسلوب من بشاعة فهل الأمر كذلك فى الحقيقة ؟

كلا : إن هذا الذى يقال ، ليس إلا محاولة لتغطية تلك البشاعة الظاهرة المكشوفة ، التى تلازم الأسلوب من جراء إسقاط (لا) الزئدة من الكلام . هى محاولة يستعان فيها بذلك التحليل النحوى البحت ، الذى لا أثر له إلا تصحيح عطف تلك الجمل ، بعضها على بعض ؛ فأما ذلك المحذور ، وأما تلك البشاعة والشناعة ، فلا يقوى ذلك التحليل على محوها أو إخفاء أمرها . وهذا شىء لا شبهة فيه ، وإنه ليشهد به الواقع .

وذلك أنا لو عمدنا إلى قراءة النص كله ، من أوله إلى آخره ، قراءة واحدة يجمع فيها بين المعطوفات وما عطفت عليه ، مع ملاحظة جهة العطف المشار إليها ، فهل نستطيع أن ندرك أن ذلك النص ـ بعد إسقاط (لا) الزائدة منه ـ قد خلا من ذلك المحذور ، أو زالت عنه تلك الشناعة ، على ما تتوهمه تلك المحاولة ؟

فلنقرأ ولنجرب : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وأن تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم وأن تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن وتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأن تقربوا مال اليتيم إلى آخره .

فهل لذلك التحليل النحوى من أثر يزول به المحذور ، أو تختفى به تلك الشناعة الصارخة ، والبشاعة الفاحشة ؟

ثم هذا كله على احتمال أن (لا) زائدة فى المعطوفات كما هى زائدة فى المعطوف عليه ، كما قدمنا .

أما إذا قيل إن « لا » فى هذه المعطوفات أصلية وليست زائدة ، وأنها ناهية وليست نافية ، فالرد على ذلك أنه يلزمه المحذور الأول الذى هو عطف الصيغة الطلبية على الصيغة الخبرية ، وهى : « ألا تشركوا به شيئا » ، من حيث إن « أن » فيها ما تزال مصدرية ، كما أن « لا » بعدها كذلك ما تزال زائدة ، غير مستعملة فى معنى النهى ، وذلك بالضرورة موجب للاضطراب ، فإن تلك المعطوفات الكثيرة الطلبية ـ التى بعضها أوامر وبعضها نواه ـ يراد عطفها جميعها على ذلك الخبر .

« وبعد » لماذا لا تكون « لا » ناهية فى ذلك المعطوف عليه ، كما هى ناهية فى تلك المعطوفات ؟ ولماذا يلتزم السير فى الطريق الأعوج الشائك الذى لا يخلو من المعاطب ؟

الحق أن جعل « أن » فى قوله تعالى : « ألا تشركوا به شيئا » مصدرية هو الذى

جر إلى تلك المحذورات وأوجب تلك الشناعات فلا ينبغى أن يصار إليه .

إذاً ليست «أن» فى الآية مصدرية ، وإنما هى «أن» المفسرة ، وليست «لا» بعدها زائدة ، وإنما هى «لا» الناهية ، فقوله سبحانه «ألا تشركوا به شيئا» ، هو فى معنى : أى لا تشركوا به شيئا ، ثم عطف عليه باقى الأوامر والنواهى ، التى اشتملت عليها الوصايا العشر فى الآيات الثلاث : (١٥١ - ١٥٣ الأنعام) .

هذه الأوامر والنواهى ، قد شملتها جميعها عبارة : «ما حرم ربكم عليكم» ، وقد أرادت الحكمة القرآنية تغليب المنهيات فيها على المأمورات ، فعبر عنها جميعها بهذه العبارة .

والسر فى تغليب المنهيات فيها على المأمورات دون العكس أمور :

«الأول» مراعاة التناسب فى القول بين ما هنا ، وما تقدمه من بيان ما حرمه الله على الناس جميعا من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله . ثم ما حرمه سبحانه على اليهود بصفة خاصة ابتلاء لهم ، وجزاء على بغيهم .

«الثانى» أن المأمورات متضمنة منهيات ، هى أضدادها ، وذلك على ما هو مقرر من أن الأمر بالشىء نهى عن ضده أو مقتض للنهى عن الضد .

«الثالث» الأشارة إلى أن مجانبة الشر ينبغى أن تكون أهم وأسبق من ملابسة الخير ، كما قيل : التخلية قبل التحلية .

«لكنه قد يقال» : إن كلا من تلك الأوامر والنواهى العشرة ، لا يصلح بذاته أن يكون بدلا أو تفسيرا لكلمة : «ما حرم ربكم عليكم» ، فإنها ليست هى التى حرمها الله ، فما سر هذا النسق الذى جاءت عليه الآيات ؟ ولماذا لم تذكر الأشياء العشرة المأمور بها والمنهى عنها ذاتها ، على الصورة التى وردت بها سورة الأعراف ، فى قوله تعالى «قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون» ؟

«والجواب» أنها لم تذكر فى الآيات التى معنا فى سورة الأنعام سردا ، فتكون مجرد تفصيل وبيان لما حرمه الله ، بل أريدت على أنها وصايا من الله ، أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يوجه بها الخطاب أوامر

ونواهى إلى العباد ، ليكون ذلك أقوى فى التأثير ، وأفعل فى النفوس ، وأدعى إلى الحرص على الامتثال . والله أعلم .

« الآية الخامسة »

قوله تعالى : « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (١٠ المنافقون) .

إنه من عجيب التفسير ، الذى لم يكن يخطر بالبال ، أن يذهب إليه أو يجيزه أحد ، ما قاله الجلال المحلى فى تفسير هذه الآية . فإنه - رحمة الله عليه - قد أجاز أن تكون (لا) فى قوله : « لولا أخرتنى » زائدة ، وتكون لو حينئذ للتمنى ، فيصير معنى « لو لا أخرتنى » : لو أخرتنى .

فما هى الضرورة التى تدعو إلى صرف القول عن وجهه ، والعدول به هكذا عن ظاهر معناه ؟ إن معنى الجملة واضح ومستقيم مع كلمة (لولا) المستعملة فى معناها المعهود فى اللغة ، فما الداعى إلى تمزيق الكلمة وجعلها قطعتين ، ليقال إن إحدى هاتين القطعتين زائدة ؟

إن (لولا) لها عدة معان فصلتها اللغة ، وبينت وجوه استعمالاتها . وقد جاءت بهذه المعانى فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم . ثم لم ترد فى الكتاب العزيز ، ولا فى شىء من مأثور اللغة ، على النحو الذى أجازه الجلال فى تفسير الآية الكريمة .

والمعانى التى حددتها اللغة لهذه الكلمة يمكن الاشارة إليها فيما يلى :

١ - أن تكون حرف امتناع لوجود . أى تدل على امتناع الجواب لوجود الشرط ، كما فى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (٢٥١ البقرة) .

فقد أفادت فى هذه الآية انتفاء فساد الأرض بسبب أن سنة الله أنه يدفع شر الناس بعضهم عن بعض . وكما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » ؛ والمراد : لولا مخافة أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك أمر إيجاب . فكلمة (لولا) فى هذا الحديث تفيد أنه عليه الصلاة والسلام لم يأمرهم بالسواك ولم يوجب عليهم عند كل صلاة ، مخافة أن يشق عليهم .

٢ - وتكون للتحضيض ؛ وهو طلب الشىء بحث وشدة ، كما فى قوله تعالى : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت » (٦٣ المائدة) .

وقوله تعالى : « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » ، وقوله سبحانه : « لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ، وقوله عز وجل : « فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين » ، (٦٢ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٨٧ الواقعة) .

٣ — وتكون للعرض ، وهو طلب الشيء بلين ورفق ، كما فى الآية التى معنا والتى هى محل البحث ، وكما فى قوله تعالى : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » ، (٢١ الفرقان) .

٤ — وتكون للوم والتنديم ، أى الإيقاع فى الندم بسبب ترك شيء ما كان ينبغى تركه ، وذلك كما فى قوله تعالى : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » (٤٣ الأنعام) وقوله عز وجل : « ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » (١٦ النور) .

هذه معانى « لولا » بحسب وضع اللغة واستعمالاتها ، وهى فى هذه المعانى جميعها كلمة واحدة ، وليست كلمتين على النحو الذى أجازه الجلال فى تفسير الآية التى هى موضوع البحث .

نعم هى — على ما قال بعض العلماء — مركبة من كلمتين ، فأصلها : (لو) ، و (لا) : ولكن سواء أقلنا هى مركبة كما قال هؤلاء العلماء ، أم قلنا إنها بسيطة كما قال غيرهم ، هى كلمة واحدة على كل حال ، متى كان المراد بها إفادة معنى من المعانى التى بيناها .

وما دامت الكلمة لها معان محددة مفصلة ، وكان من الممكن حملها فى مواطن ورودها على بعض هذه المعانى فلا يصح أن يقال إنها زائدة فى شيء من هذه المواطن .

هذا — وقد تأتى (لولا) — ولكن بقلة — على أنها مجموع كلمتين : (لو) الامتناعية ، و (لا) النافية ، وحينئذ لا تفيد شيئا من من تلك المعانى التى قدمناها ؛ فلا تفيد تحضيضاً ولا عرضاً ولا غيرها ، وذلك كما فى قول القائل :

أنت المبارك والميمون سيرته
لولا تقوم درء القوم لا ختلفوا

فلولا فى هذا البيت كلمتان . وقول الشاعر : لولا تقوم درء القوم لا ختلفوا هو بمعنى : لو لم تقوم درء القوم واعوجاجهم لا ختلفوا .

غير أن هذا البيت فوق أنه مجهول القائل —

قد جاءت فيه (لا) نافية ، بمنزلة (لم) ، وليست زائدة ، فلا يكون شاهداً للجلال الذى يجعل (لا) فى (لو لا أخرتنى) زائدة .

وخلاصة القول أن (لولا) على الوجه الذى أجازه الجلال لم ترد فى اللغة فى كلام عربى مستقيم .

إنه إذا كان بعض المفسرين أو النحويين ، قد اشتبه عليهم الأمر ، أو خفى عليهم المعنى المراد ، فى شىء من المواطن التى قدمناها ، فقالوا فيها بزيارة (لا) ، فأى اشتباه أو خفاء ، فى عبارة « لولا أخرتنى » ، التى جاءت فيها كلمة (لولا) مستعملة من غير شك ولا شبهة ، فى معنى العرض ، الذى هو قرين التحضيض ؟

هذا هو معناها الوضعى اللغوى ، وهى فيه أخت (هلا) من غير اختلاف ، فلماذا إذا تقطع فيها (لا) عن (لو) ويقال إن الكلام فى الآية على معنى التمنى ؟ وهل الآية لا يستقيم نسقها أو معناها إلا على إرادة التمنى ؟ أليس العرض معنى يجاب بما يجاب به التمنى، فيقع الفعل المضارع فى جوابه منصوباً بأن المضمرة بعدفاء السببية ، على ما هو مقرر فى علم النحو ؟

على أنه إذا كان يلمح فى الآية أثر من معنى التمنى فهو ليس مستفادا من (لو) بعد فصل (لا) عنها كما يقول « الجلال » ، وإنما العرض الذى هو معنى (لولا) ، فى باطنه التمنى من غير شك . والله أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحمن تاج

التوحيد والوحدة

للأستاذ محمد محمد المدنى

إن هذا الدين الإسلامى هو دين التوحيد والوحدة .

على هذين الأساسين يقوم بناؤه ، وفى نطاقهما تتأصل أصوله ، وتتفرع فروعه ، وتنبع تعاليمه وآدابه .

وكل من التوحيد والوحدة ، يساند الآخر ويؤيده ، ويؤدى إليه :

فإن الناس إذا اتفقت كلمتهم على توحيد الله ، واعتقاد أنه هو الإله الذى يضر وينفع ، ويعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، فقد توحد اتجاههم فى الحياة ، وتوحدت أهدافهم ، وتوحدت الينابيع التى تمدهم فى أخلاقهم وسلوكهم وأساليب تعاملهم . واتحاد الاتجاه والهدف هو أول شرط فى وحدة الأمة وتماسكها وظهورها فى المجتمع الدولى كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

ومن جهة أخرى : لو اتحد أفراد الأمة ، واتحدت طوائف المفكرين والعاملين فيها ؛ فإن هذا الاتحاد يجعلها متفرغة للقيام برسالتها فى الحياة ، فلا تتبعثر جهودها ، بل تجتمع وتتوفر على تحقيق هذه الرسالة الكبرى التى تقوم على استمداد الهدى والنور والعمل الصالح من مصدر واحد ، وهو الإله الواحد.

ولذلك كانت دعوة الإسلام إلى التوحيد دعوة إلى الوحدة ، وكان كفاحه فى سبيل الوحدة كفاحا فى سبيل التوحيد ، وكان اهتمامه وجهاده وسعيه وتحمسه لأحدهما ؛ على نفس المستوى بالنسبة للآخر :

كان كفاحه فى سبيل التوحيد واضحا ، إذ كان العرب يعبدون أوثانا متعددة منها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فدعاهم إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، هو الله جل جلاله ، وبذلك حلت الوحدة فى العقيدة محل التفرق والتعدد ، أى أن جميع القبائل التى كانت موزعة القلوب والأهواء بين مختلف الأوثان والأصنام ، أصبحت ذات اتجاه قلبى واحد ، اجتمعت عليه .

وكان كفاحه فى سبيل المساواة بين الناس ، وأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ؛ دعوة مزدوجة إلى اعتقاد أن الناس جميعاً متكافئون على مستوى واحد ، وفى صف واحد ، وأنهم مربوبون لرب واحد .

والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة المزدوجة حيث يقول : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فقوله تعالى : « إنا خلقناكم » ، هو تقرير لوحدة الربوبية ، وقوله : « من ذكر وأنثى » هو تقرير لوحدة النشأة والأصل ، وكل منهما يقتضى التوحد ، كما يقتضى الإيمان بالوحدانية .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقرر هذا المعنى فى آخر خطبة له ، وهى خطبة الوداع ، فيقول : « أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد » ، فوحدانية الله حقيقة يلتقى عليها الناس ، من حيث المنشأ والأصل والتساوى ، وكلتا الحقيقتين تخدم الأخرى ، لأننى إذا اعتقدت أن الله واحد ، فقد اطمأن قلبى إلى أن الناس جميعاً متساوون معى ، لأنه ليس هناك ما يعلو ويسمو فوق الناس إلا الإله ، وإذا اعتقدت أننى مساو لغيرى من الناس ، وأن غيرى مساو لى ، لم يبق عندى مبرر لأن أخشى أحداً من المساوين لى ، فأتوفر على خشية الله وحده .

* * *

ولم تكن الوثنية وحدها هى مصدر البلاء على العرب فى عهد الجاهلية ، بل كان هناك مصدر آخر ينصب منه البلاء عليهم ، ويعصف بكل خير وصلاح فيهم ، ذلك هو التفرق والشتات الذى كان سبباً لتمزق قبائلهم ، والعداوة والبغضاء التى كانت تجر إلى الحروب المتتالية المضنية المنهكة بينهم .

ولو أن عالماً من علماء الاجتماع المتخصصين فى دراسة أحوال الأمم والشعوب ، درس أحوال العرب فى جاهليتهم ، لحكم بأن هؤلاء لا يمكن أن يتوحدوا ، ولا يمكن أن تجمعهم جامعة ، ولا أن يربطهم هدف ، ولكن الإسلام استطاع فى بضع سنوات أن يجعل هؤلاء المتعادين الذين أهلكتهم الحروب ، وتغلغلت فيهم الضغائن والعداوات ، إخوة متعاونين لهم هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا ـ أى أن يكون العلو لمبادىء : الفضيلة والحق والاستقامة والعدل وكل ما هو خير ، فإن ذلك كله هو « كلمة الله » فكانت الوحدة سبيلا إلى التوحيد ، كما كان التوحيد سبيلا إلى الوحدة .

وقد سجل القرآن الكريم فضل الله وحده على هذه الأمة التى كانت متفرقة بالأهواء ، فجمعتها على الإيمان ، حيث يقول :

« هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

فمظهر « التوحيد » يتجلى فى قوله : « لو أنفقت ... ما ألفت » .

* * *

وقد ذكر المفسرون فى سبب نزول قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » إلى قوله « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ذكروا أن سبب نزول هذه الآيات من سورة آل عمران ، أن رجلا يهوديا كبير السن اسمه (شاس بن قيس) كان عظيم الكفر ، شديد الطعن على المسلمين فمر ذات يوم على جماعة من قبيلتى الأوس والخزرج اللتين ألف بينهما الإسلام ، بعد حروب طاحنة وعداوات دامت نحو مائة وعشرين عاما فى الجاهلية ، فرآهم هذا اليهودى مجتمعين يتحدثون كما يتحدث الأخوة بعضهم إلى بعض ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام بعد ما كان بينهم فى الجاهلية ، وقال : قد اجتمع هؤلاء بهذا البلد - أى بالمدينة - لا والله ما لنا إذا اجتمعوا بها من قرار ، فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له : اجلس معهم ، وذكرهم بيوم (بعاث) وأنشدهم بعض ما تبادلوه فيه من الشعر - وكان « بعاث » يوما تحارب فيه الأوس والخزرج ، وكانت الغلبة فيه للأوس على الخزرج .

فجلس الشاب اليهودى معهم ، وتكلم وذكرهم وأنشدهم الأشعار القديمة ، فحرك منهم كوامن الضغينة والعداوة التى كانت قبل الإسلام ، فتفاخروا ، ثم تنازعوا واتسع بينهم نطاق النزاع حتى نادى كل منهم: السلاح السلاح ! وخرجوا إلى مكان بظاهر المدينة ليتقاتلوا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين : أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم !؟ أترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا !؟ الله الله » .

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح ، وبكوا ، وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، فأنزل الله تعالى قوله :

« يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم

مصير بيت المقدس

للأستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسينى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء » .

— ١ —

ولد اغتصاب إسرائيل بيت المقدس مشكلة على جانب كبير من الخطورة لمئات الملايين من المؤمنين : مسلمين ومسيحيين .

لقد توهمت إسرائيل أن المشكلة يسيرة ، وأن قراراً تصدره (الكنيست) بتوحيد شطرى المدينة المقدسة - المغتصبين - يضع العالم أمام الأمر الواقع ، وينهى القضية إلى الأبد . ثم إن من لا يرض يتكفل الزمن بإرضائه ، طال أم قصر .. !

ومن عجب أن مندوب الولايات المتحدة الأميريكية احتج - على طلب وفود فى هيئة الأمم خروج إسرائيل من البلاد التى اغتصبتها - بأن عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء بضعة أيام . أما رجوع عقارب الساعة ألفى سنة ، والعودة إلى شريعة التدمير والقتل والسلب ، فأمر يسير لا يتطلب سوى قرار تصدره (الكنيست) !

إن تغييراً بسيطاً فى الحدود أمر مناف للطبيعة والحياة ، أما تغيير حضارة روحانية

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

فهذه الآيات والرواية التى ذكرت فى سبب نزولها تفيد أن إفساد الوحدة ، والرجوع إلى الفرقة والتناحر ، طاعة لأهل الفتنة والمكر ، أمور من شأنها أن تؤدى بالمسلمين إلى الكفر ، وأنه يجب عليهم أن يتنبهوا إلى الاعتصام بحبل الله ، والتوحد حوله ليقابلوا مكر الماكرين ، وفتنة المفسدين ، بما يردهم خائبين .

وإن التاريخ ليعيد نفسه ، فليحذر العرب والمسلمون كيد « شاس » وأصحاب شاس ، وليوحدوا صفوفهم معتصمين بالله ربهم ، « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ؟

محمد محمد المدنى

ومادية تغلغلت فى جذور الأرض وفى قلوب الناس مئات السنين فأمر يسهل على الناس قبوله !

من الهين عندهم أن تهدم جامعاً لتقيم على أنقاضه معبداً . ومن الهين أن تدخل كلابا إلى كنيسة تحرم دخول الكلاب ، ومن الهين أن تطلق النار على مصلى ليفر أهله ويغلق إلى الأبد . ومن الهين أن تسمى نبياً من أنبياء الله « هرطوقا » أو ابن زنى . ولكن ليس من الهين أن يتنازل السالب عما سلب ، ولا أن يرتد المعتدى عن الأرض التى اعتدى عليها بعد أسبوع أو أسبوعين من ارتكاب العدوان .

القضاء على حضارة روحية مضى عليها ألفا سنة ، وعلى مقدسات دينية عزيزة على قلوب مئات الملايين ، أمر يمكن أن يتم بقرار يتألف من أسطر . أما انصياع المعتدى لقرار تسع وتسعين دولة فأمر لا يمكن أن يتم حتى ولو صدر عن دول العالم قاطبة ... هذا هو منطق من يعيش فى القرن العشرين بعد الميلاد ويفكر بعقلية القرن العشرين قبل الميلاد . والمسألة بسيطة ، إنها فرق أربعين قرناً أو اربعة آلاف سنة ، لا أقل ولا أكثر !!

— ٢ —

وما الذى يبيح لإسرائيل أن تدعى لنفسها الأولوية فى حكم القدس والإشراف على الأماكن المقدسة ؟ وكيف تسوغ أن تضع مقدسات مئات الملايين من مسلمين و مسيحيين بين يدى ثلاثة ملايين أو خمسة عشر مليوناً ؟

أولا : إن إسرائيل تنكر رسالة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام إنكاراً تاماً ، وتنعته نعوتا نعف عن ذكرها . وتنكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام إنكاراً تاما ، وبالتالى لا تقر بقدسية الأماكن التى تتصل بعيسى ومحمد عليهما السلام ، والتى أقامها المسيحيون والمسلمون خلال ألفى سنة أو ثلاثة عشر قرنا . فكيف يرعى الذئب خرافا ويدعى أنه أهل لرعيها والمحافظة عليها ؟ !

لو أن بعض الطوائف المسيحية التى تؤمن بالعهد القديم هى التى طلبت الولاية على الأماكن المقدسة لكان ذلك مقبولا بعض الشىء ؛ لأنها سترعى المقدسات اليهودية والمسيحية على السواء .

ولو أن المسلمين هم الذين طلبوا الولاية على الأماكن المقدسة جميعها لحسن ذلك فى نظر الجميع ، لأن المسلمين يؤمنون بجميع الأنبياء ابتداء من إبراهيم إلى السيد المسيح عليهم السلام .

والواقع أن المسلمين ، منذ الفتح الإسلامى إلى يومنا هذا ، صانوا جميع الأماكن المقدسة صيانة أهلها لها . فمقام إبراهيم وإسحق وسارة وغيرهم فى الخليل مقامات مقدسة بل هى جزء من المقدسات الإسلامية لا يجوز تدنيسها . وقل مثل ذلك فى سائر المقدسات اليهودية

كقبر داود وسليمان وآثار موسى وغيرهم، فإن المسلمين صانوها صيانة تامة وعدوها جزءاً من مقدساتهم لا يجوز تدنيسها. وكان ذلك موقفهم من الآثار المسيحية أيضا لحرمة السيد المسيح وأمه السيدة البتول والحواريين فقد ظلت جميعا فى حوزتهم كمقدساتهم.

ثانيا: وماذا فى القدس لليهود من آثار دينية؟

إن الذى يدرس تاريخ الآثار الدينية فى القدس يعلم يقيناً أن الأماكن اليهودية المقدسة قليلة جداً لسببين: أولهما أن الرومان دمروا القدس ـ أورشليم ـ وما فيها من آثار يهودية مرتين، مرة سنة ٧٠ للميلاد على يد تيطوس، ومرة سنة ١٣٥ للميلاد على يد أدريانوس. وبذلك عفت آثارهم كلها. وثانيهما: أن الفترة التى ازدهرت فيها الديانة الموسوية قصيرة جداً. فحكم داود وسليمان لم يتجاوز القرن الواحد، فى حين طال الحكم الإسلامى ثلاثة عشر قرنا. أما المسيحيون فالقدس عندهم جماع آثارهم المقدسة وقد أولوها عناية فريدة منذ ظهور المسيحية إلى وقتنا هذا. ولذا فأهم ما لليهود من آثار هو حائط المبكى الذى يظن أنه جزء صغير جداً من سور القدس القديم، يوم كان هيكل سليمان فى داخلها. والآثار المسيحية ذات أهمية بالغة لأنها آثار السيد المسيح والحواريين والشهداء، ولا نظير لهـا فى أية بقعة فى العالم، أهمها إطلاقا: كنيسة القيامة التى تضم قبر السيد المسيح، ثم طريق الآلام وما أقيمت على جوانبه من كنائس. والآثار الإسلامية كثيرة وجليلة، حتى إننا لا نغالى إذا قلنا: إن المدينة القديمة متحف زاخـر بالمساجد والمدارس والأربطة والزوايا والمقابر، على رأسها جميعاً تقف الدرتان النادرتان فى العالم الإسلامى وهما: مسجد الصخرة المشرفة، والمسجد الأقصى. وقد فتن المسلمون بروعة هذه الآثار حتى ألفوا الكثير من الكتب فى فضائل بيت المقدس، ومن أشهرها وأوسعها كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) للقاضى مجير الدين الحنبلى المتـوفى سنة ٩٢٧ هـ. ومما ورد فى بيت المقدس من أحاديث عن أنس بن مالك قال: إن الجنة تحن شوقا إلى بيت المقدس وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس، وهى صرة الأرض «رواه الزركشى فى إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٨٦». وفى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم: إن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره (ص ٢٨٧). وفى الصحيحين: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هـذا، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى. وقال الزركشى: إن الصخرة فى المسجد الأقصى كالحجر الأسود فى المسجد الحرام (ص ٢٩١).

ثالثا: من المعلوم أن فى الديانات السماوية

طوائف وفرقا كثيرة . ولكل منها موقف خاص من الآثار الدينية وقد نشب الخلاف بين كثير منهم . وشهد المؤرخون أن المسلمين كانوا رحماء بأصحاب الأديان السماوية ، عادلين فى معاملتهم ، منصفين فى الحكم بينهم. وذكر المؤرخان العربيان المسيحيان : خليل طوطح وبولس شحادة فى كتابهما (تاريخ القدس) « أن المسيحيين تمتعوا زمن العرب بالحرية الدينية ورأوا من شممهم وإبائهم وكرم نفوسهم ما لم يروا مثله من الرومان والبيزنطيين المسيحيين أنفسهم » .

وبسبب موقف المسلمين هذا أسند إلى أسرتين مسلمتين فى القدس حراسة كنيسة القيامة ـ وهى ، كما قلنا ، أعظم المقدسات المسيحية فى العالم ـ برضى المسيحيين أنفسهم ، وبيدهما مفتاح الكنيسة العظيمة . وحين فتح الجنرال اللنبى القدس سنة ١٩١٧ زار هذه الكنيسة وتسلم مفاتيحها ، ثم سلمها بنفسه إلى الأسرتين المسلمتين لتستمرا فى الحراسة ، وكان بوسع اللنبى أن ينهى حراسة المسلمين لأعظم كنيسة مسيحية ، ولكنه لم يفعل يقينا منه أن المسلمين اتصفوا بالعدل والسماحة ، وأن مقام السيد المسيح عندهم ذو امتياز خاص .

ومن المؤلم ، بعد هذا ، أن يذكر أحد المسئولين الإسرائيليين ، على الرغم من علمه بالتاريخ ، أن الأماكن اليهودية المقدسة قد دنست فى أثناء إشراف الأردن عليها !

ونحن نذكر للتاريخ أن جميع المقدسات اليهودية فى القدس ظلت على حالها لم تصب بسوء ، عدا معبد حارة اليهود الذى جرى فى داخله قتال سنة ١٩٤٨ . وقد حافظ المسلمون على أكبر مقبرة لليهود واقعة فى سفح جبل الزيتون ، وزرعوها بالأشجار ، رغم كونها من الأوقاف الإسلامية . وانظر كيف يعطى المسلمون أرضاً موقوفة ليجعلها اليهود مقبرة لهم قرب جبل له قدسيته وحرمته ! !

وينبغى أن نذكر للتاريخ أيضاً أن العلاقة بين العرب واليهود فى القدس كانت علاقة رحمة ومودة طوال الحكم الإسلامى بدليل أن أسراً يهودية كثيرة كانت تسكن الأحياء العربية داخل المدينة متجاورة بيت بيت ، وأذكر أن والدى ـ رحمه الله ـ كان يرسلنى لتفقد نجار يهودى كان يسكن أحد بيوتنا فى القدس القديمة ، وكان الرجل يلقانى بكل ترحاب ويسأل عن والدى ويدعو له بالخير ولم تفسد هذه العلاقة الإنسانية إلا بعد أن ذر قرن الصهيونية ووفد على فلسطين إسرائيليون غرباء من شرقى أوربا نزع الله من قلوبهم الرحمة وشطوا فى أطماعهم السياسية .

لقد اضطهد الغرب اليهود اضطهادا متواصلا منذ التشرد إلى زمن النازية ، وكان العالم الإسلامى ملجأ رحبا لكثيرين منهم . ولما عجز اليهود عن الانتقام لأنفسهم ممن آذوهم واضطهدوهم كروا على العرب الآمنين الذين آووهم من جوع وآمنوهم من خوف ، يطبقون أسوأ ما تعلموا من ضروب الإرهاب والاضطهاد .

— ٣ —

هذه هى الحقائق التى ستقرر مصير القدس ومقدساتها الدينية النادرة ، لا قرار تصدره (الكنيست) ولا تصريحات يتفوه بها مغتصبون حاقدون .

ومن الخير أن يذكر الإسرائيليون أن التاريخ لم ينته ، وأنهم محاطون بالعرب بحشود ضخمة لا قبل لهم على إفنائها ، ممتدة من الخليج إلى المحيط ، وأن الغرب بعيد عنهم ، يرعاهم يوما ويتنكر لهم أياما ، كما يحدثهم تاريخهم الطويل ، وأن العرب كانوا دوما وطوال التاريخ أرحم بهم وأشفق عليهم من حلفائهم اليوم ، وأن ما يقوم على الطيش والحقد والتعصب لا يدوم ، وأن البقاء للحق والعدل والخير ، ولمنطق الزمن السليم وأحكامه الثابتة ؟

إسحاق موسى الحسينى

لا يحيق المكر السيء إلا باهله

« وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » . (الرعد - ٤٢)

نفحات القرآن

رواسب الكفر تركزت فى بنى إسرائيل

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

— ٢ —

« ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف [١] فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم .... » .

(آية - ١١٠ - سورة هود)

١ — أنزل الله التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - من أجل بنى إسرائيل ، وكان فى التوراة : هـدى . . ونور . . وموعظة . . وتفصيل لتشريع يلائمهم ، ورحمة لمن يؤمن بها .

ولكن بنى إسرائيل لم يحسنوا الإقبال على التوراة .. ولم يتريثوا حتى يتعقلوها . . بل سارع الكثير منهم إلى الشذوذ « فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة » آية ١٤ سورة الصف .

وكان الجزاء العدل - لو كان الأمر بالمقياس العقلى - أن يعجل الله بإهلاك الكافرين منهم . . كما جرت سننه فى المكذبين للأنبياء قديما .

ولكن الله يرحم أكثر مما يغضب . . ويعامل بالإحسان فوق ما يعامل بالعدل فكان من حكمته فى الأمم الأخيرة أن يمهلها حتى تستوفى آجالها : أفرادا وجماعات .

ثم يكون حسابهم جميعاً فى اليوم الآخر « إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » .

وذلك هو اليوم الذى يقول فيه الكافر : « هذا يوم عسر » بكسر السين .

وهذا التأخير هو قول الله « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » .

٢ - ومع إيمان من آمن من بنى إسرائيل: فهل ظلت التوراة الربانية مأخوذا بها عند المؤمنين بها فيما بعد زمن موسى .. أو نكصوا على أعقابهم خاسرين ؟ .

يحدثنا القرآن كثيراً بأن أهل التوراة تصرفوا فى نصوصها من بعد موسى : فحذفوا وأضافوا . . وبدلوا . . وقالوا : هـذا من عند الله .. والله يتوعدهم على ذلك ، على ألسنة

(١) فاختلف بضم التاء .

الأنبياء من بعد موسى .. وكان إنكار الأنبياء عليهم سببا من أسباب قتلهم كثيرا .

حتى توعدهم الله على ذلك كله فى القرآن الكريم « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم . . ثم يقولون هذا من عند الله . . ليشتروا به ثمنا قليلا .. فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ٧٩ - البقرة .

والقرآن لا يتوعد إلا على جرم يتعرض له الإنسان باختياره ، كما يصنع كل أثيم .

٣ - ثم لم يقف أمرهم بشأن التوراة عند هذا التبديل . والتحريف ! !

بل لم يكونوا على فطنة فى فهم ما بقى لديهم من أصول التوراة .

والقرآن يقول فى ذلك « مثل الذين حملوا التوراة - بضم الحاء وكسر الميم مشددة - ثم لم يحملوها ... كمثل الحمار ... يحمل أسفارا » فهم مكلفون بتحمل التوراة ، والعمل بها على الوجه الصحيح ، ولكنهم حملوها شكلا ، لا فهما ، ولا عملا ، بل عبثوا بها وناقضوها ولم يفهموا شيئا من حقائقها ، فكان شأنهم كشأن الحمار يحمل على ظهره الأسفار الكبيرة من الكتب ، وهو لا يدرك منها قليلا ولا كثيرا ... وهذه وصمة خسيسة ، بل الحمار صاحب عذر فيها ، لأنه لا قـــدرة له على التخلص من هذه الوصمة ، ولا كسب له فيها ولكن بنى إسرائيل أصحاب مدارك إنسانية وأصحاب علم بشئون أخرى ، وهم فيما يتعلق بمعرفة التوراة يتعامون عن صوابها ... ويتجاهلون حقائقها ، ويقفون منها موقف الحمار بالنسبة لما على ظهره من الكتب ، وكذلك كل من يجافى العمل بعلمه ، ويتورط فى جبروته ، فهذا مثله الذى تتمثل فيه شخصيته « بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين » الجمعة .

والقرآن حينما يذكر تلك المآخذ عن بنى إسرائيل : لا يطغى عليهم بالمبالغة ، وإنما يذكر هذا طبقا لما يلابسهم ، كما يذكر بعض المحامد لمن كانوا معتدلين منهم ، فهو يقول - مثلا - « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » وذلك فيمن جنحوا أو يجنحون إلى الإنصاف ، لا فيمن عاشوا ، أو يعيشون فى صلف ، وإعراض ، حتى تنطوى بهم الأزمان قديما ، أو حديثا ... وهم فى كل أزمنتهم يحملهم الشيطان على رأسه ، وينفث فى خيالهم أباطيله . فمرة يقولون : إن الله خلقهم من الأجزاء العليا من جسم آدم ، وخلق سواهم من المواضع السفلى .

ومرة يقولون : إن الله أعطانا السيادة على العرب ، وأباح لنا دماءهم ، وأموالهم ، فليس علينا فى الأميين - العرب - سبيل ، لأننا أهل معرفة ، وهم أهل جهالة - وذلك فيما مضى .

ومرة يقولون : نحن أبناء الله ، وأحباؤه لأنه فضلنا على العالمين ، فلن يعذبنا بذنوبنا

وإذا عذبنا فلن تمسنا النار إلاأياما معدودة يعنى بقدر الأيام التى عبدنا فيها العجل ، وهى الأربعون يوما التى تخلف عنهم فيها موسى عليه السلام ، وتابع كفارهم فيها موسى السامرى .

وهكذا من إيحاءات الشيطان التى يحببها إليهم كما حبب إلى قلوب أسلافهم عبادة العجل ، وزعموه إلاها لهم ، ولموسى الرسول عليه الصلاة والسلام .

دأب اليهود على هذا الباطل من بعد الفترة الأولى التى عاصرهم فيها موسى رسول الله ، مع ما أرهقوه من كفريات نكراء ، مرت بهم فى نقاشه ، وجدلهم معه ، ولا نحب أن نخوض فيها الآن .

٤ ـــ ولما جاءهم عيسى بالبينات من ربه لم يتغير جمودهم على الكفر، بل أمعنوا أكثر وأكثر ولم يؤمن به إلا أفراد منهم ... وتمادى الأكثرون فى مناهضته حتى انتهت فترته فيهم بالنجاة منهم ، وانتصاره عليهم بمعجزة الله فى رفعه إلى السماء .

وكذلك كان شأنهم مع محمـــد ـ عليه الصلاة والسلام .

وقد أراد الله فى عهد محمد، أن يختبر اليهود بأمر يسير عليهم ، ليكشف هزال عقليتهم فأوحى إليه « قل : إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ... » والمعنى إذا كانت لكم خصوصيات عندالله ، ولكم الجنة ولا يمسكم العذاب فاطلبوا الموت لتسبقوا إلى هذا النعيم الذى ينتظركم وحدكم » .

ثم يكشف الله خبايا أنفسهم ، فيقول : « ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين » .

ويكشف خباياهم . ثانيا بقوله: « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة . . ومن الذين أشركوا » .

يعنى اليهود أشد الناس حرصا على البقاء فى الدنيـــا ... وعلى أى لون من ألوان الحياة فيها، مهما تكن طيبة . أو ذليلة بائسة .

فهم لا يحبون أن يموتوا خوفا مما وراء الموت .

ولو كانوا مطمئنين إلى مزاعمهم فى محبة الله لهم لما خافوا الموت ، وركنوا إلى الدنيا أكثر من غيرهم .

ويكشف الله خباياهم ـ ثالثا ـ فيقول : « يود أحدهم : لو يعمر ألف سنة » بفتح الميم ـ مشددة ـ يعنى : يتعلق اليهودى بطول الأجل أقصى غايات الدنيا ... التى تبلغ ما تبلغ من السنين . . وذكر الألف سنة : مثل لطول الأجل ، حسب عادتنا فى تقدير الأزمان ... لا لتحديد الأجل الذى يحبونه ويتمنـــونه .

ثم يعلن الله تهديدهم ويعلن سخطه عليهم أخيرا بقوله تعالى « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ـ بفتح الميم مشددة ـ والله بصير بما يعملون » ٩٤ ـــ البقرة .

فهذا تشبث اليهود بالدنيا ، أكثر من تشبث الناس جميعاً ... حتى من المشركين الذين لم يكن لهم كتاب سابق وكانوا لايعرفون سوى دنياهم ، ويقولون : إن هى إلا حياتنا الدنيا ... فما بال اليهود ؟؟ يدعون القرب من الله ... ثم يكرهون الموت ولقاء الله ؟؟

والله يقرر أن طول آجالهم ـ كما يتمنون : لايعفيهم من العذاب ، ولا يزحزحهم عنه شيئاً.

وكذلك يكرر القرآن هذا التهديد مرة ثانية فى سورة الجمعة ليتنبه اليهود ، إن كان فيهم وعى ، وليدرك الناس تبجح اليهود فى باطلهم بعد أن توافرت الموعظة أمامهم وعلى مسامعهم : « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ... ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم ـ (بسبب ما قدمت أيديهم)ـ والله عليم بالظالمين ... قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ... ثم تردون ـ بضم الدال ـ مشددة ـ إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » آية ـ ٦، ٧، ٨ الجمعة.

ومن خلال هذه التوجيهات يتضح لنا إسفاف اليهود فى الانحراف : عقلا .. وعملا ويتضح لنا استسلامهم لتيارات متناقضة ... فهم يزعمون لأنفسهم ما يزعمون من الصلة بالله ثم يكرهون أشد الكره لقاء الله .

٥ ـ ويتضح لنا أن اليهود ، وإن كانوا فى دنياهم أنشط الناس جهاداً فيها ... وأقدرهم على تحصيل حطامها ... وأوفرهم حيلة فى استخدامها : فإنما هى دنيا ، ولها أجل ينطوى مهما طال كما انطوى بالأسلاف ، والقرون الأول .

ومهما يكن حظ اليهود فيها فهم إلى حرمان بعد ... كما حرم ، ويحرم من أعراضها ، كل راحل عنها من اليهود ، وغير اليهود ... وسيكون اليهودى أثقل حملا ، وأشد وطأة . بقدر ما كان له من شاغل دنياه ، وفتنته بزخرفها .

ولعل نشاط اليهودى فى دنياه ، وجهاده فيها يكون تسخيراً له من أجل غيره ، واستغلالا لجهوده فى مجالات العمل ، ليكون إنتاجه عمارة فى دنياه ، ودنيا سواه ... ثم يخرج منها صفر الكف من حطامها الذى جمعه . . وخالى الوفاض : من صالح العمل . . فوق ما يحمله من أوزار كفره ، وسيئاته فيكون خسرانه مضاعفا .. ولو كان لا له ، ولا عليه ... لهان أمره ولكنه مدين ، وليس لدينه الباهظ من سداد : إلا بالعذاب وهذا هو التلميح الواضح فى ختام آية البقرة بقوله تعالى : « والله بصير بما يعملون » ، وفى ختام الجمعة بقوله تعالى : « والله عليم بالظالمين » ؟

عبد اللطيف السبكى

عن الصهيونية في التاريخ

للأستاذ الدكتور عفيفي عبد الفتاح
مدير البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية

كثيراً مايدور بخلدى أن تاريخ بنى إسرائيل يشكل نموذجا واضحا لتاريخ الغرائز الشريرة فى الطبيعة البشرية ، حتى لكأن مآسى الإنسانية التى نعيها عن ماضينا القريب والبعيد، والتى نتذكرها فى ألم ومرارة ، ليست إلا أثراً مباشرا أو غير مباشر لأسواء هــذا الجنس ونتيجة لسيئات أعماله .

إن نظرة عابرة لأبعاد حياة بنى إسرائيل فى مجرى التاريخ ، لترينا الأحداث فى طيه أشبه بسلسلة مشتعلة يستعر أوارها على امتداد السلسلة فى حلقات متواصلة ، بشورات هذه الغرائز ، وماطبعت عليه من شحناء وبغضاء ، ونزوع دائب للفتن والمنازعات والدسائس والحروب .

ولقد أعمد إلى هذا التاريخ فى مستهله ، وفى أصدق مظانه — أعمد إليه — فى كتب السماء ، فلا يسعنى إلا أن أذعن لخواطر نفسى وأبرأ بها من الشطط والغلو والتجنى على هذا الجنس .

فالعهد القديم يقدم لى صورة قاتمة متشائمة لبنى الإنسان ، أو بالأحرى لبنى إسرائيل الذين يعنيهم بحديثه ، فيما عرف عنهم من نوازع الحقـــد وأعمال العنف ومظاهر الكراهية ، وفيما دربوا عليه من بغيهم على العباد وعبثهم بالفساد ، وعدوانهم على دعاة الإصلاح والهداية من الرسل والأنبياء ، حتى لكأن الإنسان خلق من حمأة الشر ولا مسحة للخير فيه !

ويحمل العهد الجديد بدوره حديثا عن خطيئة الإنسان ودنس البشرية واندلاع الدنس فى جذورها ، فيخيل إلى أن شر إبليس قد تجسد فى بنى إسرائيل وأعقابهم ، وأن الحاضر يشهد للغائب ، وأن خطيئة هؤلاء قد تجاوزت خطيئة الأول وبذتها .

ويأتى القرآن فيذكر عن اليهود وسوآتهم، ويفضح خبيثاتهم ، ويلعنهم على لسان ولاتهم وأنبيائهم ، ويجعل منهم أصل البلاء ومصدر الوباء .

وكذلك نرى الغبار المتكاثف فى أفق المجتمع الإنسانى قد تجمع من بعيد الزمن ، وسار بجرائيم الشر متخطيا أبعاد الحقب والقرون .

فآلام البشرية اليوم هى امتداد لآلام الأمس ، هى حصائد الغريزة اليهودية وضحاياها ، مستحيلة بفعل الأحداث من لون إلى لون ومن صورة إلى صورة .

وللغرائز اليهودية فى مسيرتها التاريخية تخطيط بعيد ، يلتزمون به فى إصرار عنيد ، فهم الشعب المختار والصفوة من الخليقة لهم كل شىء وليس عليهم من شىء ، الملك لهم ، إنه يدول ولا يزول ، فليعملوا لذلك ، وليأخذوا لأجله الوسائل فى دأب ومرونة ، وما تلك الوسائل ؟ :

الوقيعة بين الشعوب والتفرقة بين الجماعات وبث بذور الشقاق هنا وهنالك ، ليقيموا على أنقاض الدولات دواتهم ويبنوا عن هذا التخطيط وجودهم وسيادتهم وسلطان الشعب المختار ، إن الوسائل والبدايات يجب أن تدرك على ضرب من (البراجماتيسم) الذى تعرفه أمريكا اليوم .

المنهج واضح لا يصعب إدراكه ، ولا يشق دراكه ، هو منطقهم فى ماضيهم وفى حاضرهم وأثره الضحايا والمآسى الإنسانية فى مختلف عصور التاريخ ، وإن العقلية اليهودية لتبدو على ضوئه لغزا أشبه بالأساطير فى ماضيها ، ورمزا للخلافات والتحديات فى حاضرها على أسلوب يجمع بين العجائب والمتناقضات .

لقد كانوا أعداء المسيحية فى أشد مظاهر العداء ثم استحالوا معها إلى أصدقاء فى أقوى مظاهر الصداقة ، وكانوا أصدقاء للإسلام حتى عاشوا فى كنفه طوال العصر الوسيط فى أمن ودعة ، ثم عادوا أعداء الإسلام الناكثين لغزله والعاملين على تفتيته ، وأخيرا رأيناهم أساتذة الشيوعية وفلاسفتها فى الشرق ثم فلاسفة الرأسمالية وأنصارها فى الغرب ! !

وبذلك استطاعوا أن يكونوا عماد المذهبين والقاسم المشترك بين المعسكرين فى قبضتهم عدة الخلاف والوئام والحرب والسلام .

ولقد أسهموا حديثا فى مد النشاط الاستعمارى وداروا فى فلكه على أن يعودوا - بحكم مخططهم - القوام على ثمراته وخيراته وعلى أن يعيش لهم ويدور هو فى فلكهم .

ولقد دلفوا إلى الشعوب يستدرون عطفهم بأنين الثكالى ودموع التماسيح ، حتى إذا واتتهم الفرصة أخذوهم بنواصيهم وأنزلوهم من صياصيهم وعركوهم فى الرغام .

ذلك مخططهم البارع القائم بوحى من غرائزهم الطاغية المسعورة وذلك ما يشهد به التاريخ .

وبعـــد :

فإنى أساير فى هـذا الحديث خواطرى ،

وأنطق عن وحى شعورى ، أما ترجمة ذلك بشواهد من الأحداث ووقائع من التاريخ وأسانيد من منطق الأشياء فإنى أدع ذلك كله للسيد الأستاذ (صابر عبد الرحمن طعيمة) مؤلف (الصهيونية فى التاريخ) وأشكر له أن أتاح لى فرصة التعبير عن خواطر نفسى والإفصاح عن أحداث شعورى .

لقد بذل بحق جهداً مشكورا ، وأبلى بلاء ملحوظا فى دراسة مستوعبة وتحليل علمى واع لطباع اليهود وأطماعهم على امتدادالزمن البعيد إلى العصر الحاضر .

وقد امتاز بكل خصائص المؤلف المنصف للحقيقة فى استعراضه للظروف وسرده للوقائع مع إيمان قوى بخطورة بحثه وأصالة رسالته .

وقد استمد ما شاء أن يستمد من مكتبة ثرية بنوابغ البحاث السابقين والمعاصرين الممتازين بصدق النظر ووفرة التجــــربة والشغف بالتنقيب .

وإنى واثق من أن الشباب المثقف المتطلع لمعرفـــة أوضاعنا السياسية والاجتماعية ، والمستشرف لشئون مستقبل الوطن العربى ، سوف يجدمتعة ولذة فى صفحات هذا الكتاب وسوف يحمد لمؤلفه عناءه وبلاءه ويذكر له فضله على المكتبة المعاصرة وروادها .

وإذا كانت لى رغبة بعد ، فقد كنت أود أن يتمهل الأستاذ « صابر » أثناء الطبع ليتلافى ما تناثر فى عرض الصفحات من أخطاء عربية هى فيما أعتقد أثر من تسرع الناشر أو من سهوه .

كما كنت أود أن يقف مليا مع بعض الشخصيات البارزة فى تاريخ بنى إسرائيل ، ممن يجدهم القصص الدينى واستخف بهم بعض الكتاب مثل يوشع بن نون (ص٢١-٤١) .

وأخيراً كان يحسن بالكاتب ألا ينظر إلى داود وسليمان عليهما السلام (ص ٢٦) كملكين فحسب ، فما كان أكرمه وأنصف لما يكتب من تاريخ لو بسط رسالتهما (بعض الشىء) وعلاجهما لأمراض قومهما ومدى بلاغهما فى ذلك .

آمل أن يستدرك سيادته ذلك ، وفقه الله .

دكتور عفيفى عبد الفتاح

قرارات حكماء صهيون

للأستاذ محمود محمد شبكه

— ٢ —

الماسونية تخدم الصهيونية ما فى ذلك شك بل هى صهيونية من بدايتها إلى نهايتها ، وقد استطاع اليهود تضليل جميع الحكومات الأوربية والأمريكية عن طريق الماسونية، وجعلوا أهدافها : الحرية ، والإخاء ، والمساواة ، وهى فى الواقع شعارات زائفة ، تخدم الصهيونية العالمية ، وتمهد لها السيطرة على العالم ، كما ظهرت الماسونية فى بعض بلاد العالم على هيئة جمعيات خيرية إنسانية أو جمعيات ثقافيه ، ولكنها فى حقيقتها لم تتغير ولم تتبدل .

ونظرا لأهمية الماسونية فى المجال الصهيونى لابد لطالب الالتحاق أن يستوثق منه ، ويطمأن إليه ثم يردد القسم التالى : (أقسم بمهندس الكون الأعظم أننى لا أفشى أسرار الماسونية ولاعلاماتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها وأن أصونها مكتومة فى صدرى إلى الأبد ، أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات وألا أكتب شيئا منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير وأرضى — إن حنثت بقسمى — بأن تحرق شفتاى بحديد محمى وأن تقطع يداى ويحز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليراها طالب آخر ليتعظ بها ، ثم تحرق جثتى ويذر رمادها فى الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتى)[١] .

وبعد أن يصقل الطالب ويشرب التعاليم اليهودية ويصبح موضع ثقة من الرؤساء والقادة يفصل عن مجتمعه وتحطم الروابط المقدسة التى تربطه بوطنه وأسرته وأحب الناس إليه وحينئذ يقسم القسم التالى : (أقسم على أن أقطع كل الروابط التى تربطنى بمطلق كل إنسان ، كالأب والأم والإخوة والأخوات ، والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء ، وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة ، وعاهدته على الشكر والخدمة)[٢].

فالماسونية تعمل دائما على خدمة اليهود وتعميق مبادئهم الفاسدة المنكرة فى النفوس، وتستولى على رءوس كثير من الرؤساء والزعماء وتحولهم إلى أجهزة وآلات فى يد

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية للأستاذ عبد الله التل ص ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

الصهيونية يسيرون وفق أغراضها وأهوائها كما انساق فى تيارها كثير من الشخصيات العربية ، وقد أحسنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة صنعا ، إذ أصدرت قرارها بإلغاء المحافل الماسونية فى أنحاء الجمهورية ومصادرة أموالها وممتلكاتها لصالح معونة الشتاء وكان ذلك فى إبريل عام ١٩٦٤ .

ولأهمية الماسونية وأفضالها على بنى صهيون ، جاء فى البروتوكول الرابع : (إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم ليعمل - فى غفلة - كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التى نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة فى خطة عملنا وفى مركز قيادتنا - ما تزال على الدوام - غير معروفة للعالم كثيرا) .

وجاء فى البروتوكول الخامس عشر : (وإلى أن يأتى الوقت الذى نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار فى جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامة ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التى سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية ، وسوف تركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وستتألف هذه القيادة من علمائنا ، وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون كى تحجب المكان الذى نقيم فيه قيادتنا حقيقة ، وسيكون لهذه القيادة - وحدها - الحق فى تعيين من يتكلم عنها ، وسنضع الحبائل والمصايد فى هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية ، وإن معظم الخطط السرية معروفة لنا ، وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل) .

ويعتزم اليهود - فى حكومتهم المزعومة - الجنوح إلى الغموض واللبس وإشاعة الفتن والاضطرابات ونشر الفوضى ، ويهدفون من وراء ذلك إلى أن يخلو لهم الجو وينفسح أمامهم المجال حتى يستأثروا بالسلطة ويستقلوا بالحكم ، وإليك ما جاء فى البروتوكول الخامس : (ولضمان الرأى العام يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون (غير اليهود) فى متاهتهم ، وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية .. هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب ، وهذا هو السر الأول .

والسر الثانى : وهو ضرورى لحكومتنا الناجحة - أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية فى البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر

بوضوح فى ظلامها المطبق وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً ، هذه السياسة ستساعدنا أيضاً فى بذر الخلافات بين الهيئات وفى تفكيك كل القوى المتجمعة وفى تثبيط كل تفوق فردى ربما يعوق أغراضنا بأى أسلوب من الأساليب) .

ويعلن اليهود أنهم سوف يحاربون الصناعات التى يديرها غيرهم وذلك برفع أجور العمال حتى يرهق أصحاب الأعمال بينما يعملون على رفع الأسعار حتى لا ينتفع العمال بهذه الزيادة ، وفى الوقت نفسه يشجعون العمال على الانغماس فى الملذات والشهوات حتى تضعف قوتهم ويقل إنتاجهم ؛ فقد جاء فى البروتوكول السادس : (ولكى نخرب صناعة الأمميين ونساعد المضاربات ، سنشجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل وسنزيد الأجور التى لن تساعد العمال ، كما أننا فى الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك ، كما سننسف بمهارة أيضاً أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال وبتشجيعهم على إدمان المسكرات) .

أما الاقتصاد فهو العلم الذى يحذقه اليهود ويجيدونه ، فهم قوم مشهورون بحب المال وأينما حلوا فى بلد تراهم يحاولون التسلط عليه اقتصاديا فيستغلون البيوت المالية ويسيطرون على مصادر الإنتاج ومنابع الثروة ، ويتعاملون بالربا ، ويحتكرون التجارة ولهذا فهم يعتزمون إحاطة حكومتهم المزعومة بجيش كبير من رجال المال والاقتصاد ، حتى تظل اقتصاديات البلاد فى قبضتهم وتحت سيطرتهم يسجل ذلك البروتوكول الثامن : (إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ، وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود ، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين - وأمرهم لا يزال أعظم قدراً - إذ الواقع أن كل شىء سوف يقرره المال ، وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود غير مأمون بعد ، فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم ، كى تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم ، وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن ، والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذى تنفث صدورهم به) .

ويجاهر اليهود بأنهم حينما يتمكنون من السلطة ويستحوذون على الحكم سوف يستعملون سياسة الإرهاب والتخويف والعنف وقتل الحريات ، ولن يسمحوا لغير

اليهود بالمشاركة فى الحكم بل سيكون وضعهم مع اليهود مثلما يكون الحيوان الضعيف مع الذئب المفترس كما جاء فى البروتوكول الحادى عشر : (سنريد من النـــاس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شىء أردناه وأننـــا لن نسمح لهم فى أى حال من الأحوال أن يشركونا فى سلطتنا وعندئذ سيغمضون عيونهم على أى شىء بدافع الخوف وسينتظرون فى صبر تطورات أبعد ، إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ماتفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟ ، إنها لتغمض عيونها عن كل شىء ، وإلى هـــذا المصير سيدفعون ؛ فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعـداء العالم ، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع ، ولست فى حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة) .

والرأى السائد أن تفرق اليهود وتشتتهم فى بلاد العالم إنما هو إهانة لهم وتمزيق لوحدتهم وكسر لشوكتهم وإذلال لنفوسهم ، ولـكن اليهود أنفسهم يرون خلاف ذلك إذ يعتقدون أن هذا التفرق والتشتت رحمة بهم وإحسان إليهم ؛ فهم يعرفون كيف يثبتون أقدامهم ويستحوذون على السلطة والاقتصاد ويتحكمون فى مصائر البلاد ويوجهون السياسة العالمية لمصالحهم الشخصية ، كما هو حادث الآن فى أمريكا وبريطانيا وكثير من دول العالم التى تؤيد اليهود وتساعد إسرائيل ؛ فقد ورد فى البروتوكول الحادى عشر : (من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت ، وهذا التشتيت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم ـ قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية) ؟

محمود محمد شبكة
مدرس بدار المعلمين بطنطا

فى اليهود

« وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين . ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » .

دروسٌ من المعركة

للأستاذ محمّد كامل الفقي

شأن المؤمنين دائما، أن يدرسوا الأحداث ما جل منها وما هان ، ليستجلوا عبرها ، ويعتبروا بآثارها ، وحياة المؤمنين كلها تذكر واعتبار، وما يتذكر إلا أولو الألباب والذكرى تنفع المؤمنين .

بين العرب وبين أعدائهم من الأمريكيين والإنجليز واليهود معركة ، لم تتم إلا جولتها الأولى ، وفى منطق الحق أن هؤلاء هم المنتصرون ، أفلم يزحفوا إلى بعض المواطن من بلاد العرب ؟ فذلك ما يغرى السذج أو السفهاء أن تضيق صدورهم ، أو يتعثر عزمهم أو يروا بينهم وبين النصر أهوالا .

ولو سألت المعتدين الثلاثة ، أهم ألقوا عصا التسيار ؟ وتم لهم بهذا الإثم الاستقرار؟ لقالوا: لا ؛ إنما هم فى رعب وفزع ، وضيق وقلق ، وغاية أمل اليهود وقصار طموحهم ، أن يعترف العرب بوجودهم ، وأن يفاوضوهم ليجدوا الأمن فى فلسطين ، وتغدو تجارتهم وتروج سفنهم فى مياه العقبة .

وما يضمن لليهود أن تظل أمريكا وانجلترا من خلفهم ، لو امتدت الحرب بين العرب وبينهم، أن تمدهم الدولتان الآثمتان بالفكر والسلاح وكل عتاد ؛ فإن العرب قد ألقوا بين أعينهم عزمهم ، لا على أن يرتد اليهود إلى ما وراء خطوط الهدنة فحسب ؛ بل على أن يطهروا الوطن العربى من هذه الطغمة الباغية ، وأن يذهب عن الوطن المقدس رجس الشرذمة الضالة .

ومهما استشرى خطر الأمريكيين والإنجليز ومهما طغت إمكانياتهم ، فإنهم لن يصبروا على مقاتلة مائة مليون عربى ، استحالوا إلى رجل واحد جرىء ، ولن يطيق هؤلاء المغرورون معركة البترول التى تكلفهم من الخسائر ما لا يكلفه قتال طويل .

ولن تطيق أمريكا الحمقاء أن تنزف دماؤها فى الوطن العربى ، فى الوقت الذى تنزف دماؤها فى فيتنام الجسور .

ومغزى ذلك القول أن الصبر على المعركة يأخذ منهم ويعطينا ، ويضعفهم ويقوينا ، ويزهق باطلهم ويمد حقنا بالحياة .

وقد كان لنا فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته أسوة حسنة ؛ فإن الحرب بين

حق الله وباطل أعدائه ، كانت بين نصر وهزيمة ، ولكن العاقبة كانت للمؤمنين . هنالك بفضل العقيدة والصبر والثبات صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

إن المعارك تستمد قوتها وضراوتها ونتائجها من الصبر ، وبالصبر يعقد لواء العزة وما ينبغى الحكم على معركة ببدايتها ، وإن فى أمريكا نفسها لمثلا ، تلك الدولة التى تهدد العالم اليوم بكيانها ، وبطشها ، وتمد الآثمين بسلاحها وبعددها ، كم لاقت من قوة اليابان وقهرها ؟ وما نسى التاريخ أن اليابان دمرت أسطولها وعصفت بعتادها فى أقل من ساعتين!

غير أن المعارك التى يفتح العرب صدورهم لها ، ويهيئون قلوبهم وعددهم لها ، لابد أن تقوم على مزيد من الوعى والحذر ، وأن تعتمد على مقومات القوة كلها ، وأن تتدرع بوسائل الغلب جميعها ، وأن تستعين لمحو العدو الحقود بأمضى الأسلحة ، وأعتى العدد من مادة ومن روح .

من الحديث المعاد أن ندعو لتجنيد كل عنصر من مقومات الحياة والقوة للقاء من لا يعرفون معنى واحداً من معانى الشرف والإنسانية .

وليس العربى الواعى اليقظ الحكيم بحاجة إلى أن نذكره بأن الفئة الباغية تذرعت بالغدر والخيانة، وباللؤم والخديعة، وضربت الآمنين ، ودكت المستشفيات ، وألقت على الأهلين قنابل (النابالم) ، واعتمدت على علم أمريكا الذى ادخرته للفناء والدمار، فبغت به وأفسدت ، وظنت ذلك استعلاء ونصرا .

وما يجوز لنا نحن العرب أن نغفل سلاحا واحداً من هذه الأسلحة ، وأن نضع فى اعتبارنا أن الحرب ابتلاء وخدعة .

فقد اعتدى علينا اليهود ومن دفعوهم ، وليس بينهم رابطة إلا الحقد على العرب ، والثأر من شعوب طردتهم من أوطانهم ، وحطمت قواعدهم ، وزلزلت كيانهم . وفضحت مؤامراتهم ، وهددت اقتصادهم ، وخنقت فى كل مكان أعوانهم وأنصارهم .

أما العرب فقد بدءوا المعركة أو دفع العدوان ، وبين فريق منهم خلف أو خصام وماهى إلا ساعات حتى آذنت الجفوة بزوال، وحن العربى إلى العربى ، وآخى كل صاحبه، وسرى الحب والفداء بينهم مسرى الغيرة فى القلوب ، وبدا العرب قادة وشعوبا كالجسد الواحد ، وفتح العالم أعينه على هذا الرباط المقدس .

وما نشك فى أن الحاقدين علينا ، مدركون أن سلاح الحب بيننا ، أحد وأمضى من سلاح الحقد والموجدة بينهم ، وما نشك

فى أن البغاة ، إن استطاعوا أن يدمروا كل حصن ، فإنهم لن يجدوا إلى حصن الحب والتآلف بيننا سبيلا .

ليس فى دين الذين يقاتلوننا وعد أو أمل لهم أن يجد المقتول منهم فى المعركة جزاء على ما أهدر من دمه ؛ فإن جزاءهم جهنم وساءت مصيرا ، وليس فى الإنجيل أو التوراة إباحة لهؤلاء الدخلاء على كل دين، أن يعتدوا على العرب ظلما وعدوانا .

أما المسلمون فإنهم يجدون فى دينهم عهودا من الله ومواثيق بأنهم شهداء فى الجنة إن ماتوا فى المعركة ، أحياء عند ربهم ، وأن من قتل منهم دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، والذين يقاتلون اليهود فيقتلون ، إنما يقتلون دون هذه الغايات الكريمات جميعا .

يجب أن نضع هذه الصفحة القريبة أمام أعيننا ـ صفحة هذه الأيام التى صحبتها هذه النكسة ـ وأن نناقش سطورها وكلماتها ـ وننفذ إلى أعماقها ، ونطيل الوقوف عند كل خلجة من خلجاتها ، لنحرص على ما كان صالحا منها ، ونتنكب عما كان معوجا فيها ، وسنجد ذلك أقرب أسباب النصر إن شاء الله .

إن ذلك ليحمل الأغيار منا ، الراغبين فى الفوز المبين على أعدائنا ، أن يتكاشفوا فيما بينهم وأن يتواصوا بالصراحة والصدق فيقولوا هذا حق وذلك باطل .

ولئن جاز ـ قبل ـ لمن كان ضعيف الإيمان أن يداجى أو يجامل ، مغضيا عن الصالح العام ، مبتغيا بسلوكه الآثم مغنما خاصا فما يجوز فى أيام الجد والملحمة وتقرير المصير ، أن يبقى فى صدر واحد مكان لهذه المآثم التى تفتك بالأمم إن وجدت لها أعوانا ، ولن تجد بإذن الله .

سندخل المعـــركة ، وفى تقديرنا لليهود ما عرفوا به من جبن وذل وضعف ومسكنة ، وسنذكر دائما قول الله تعالى : « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله » ، « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » .

وسندخل المعركة ، وفى تقديرنا للإنجليز أنهم طردوا من مصر ، وآذنتهم عدن والجنوب المحتل برحيل ، فوقفتهم إنما هى دمعة على مجد زال ، ولن يستطيعوا الصبر على النزال ، فقد دب فى الأسد العجوز الضعف والخور والهزال .

وسنلقى الأمريكيين الذين يستخفون وينكرون وجودهم فى المعركة ، لا نفزع من قوتهم ، ولا نفرق من عدتهم ، واثقين من أنهم يزهون بما لديهم من قوة لن يبقى الله عليها ، وأن أمريكا إذا كانت « عاد » القرن

العشرين ، فإن الله مهلكها لا محالة ، ومن قبل أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى «فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون» .

سندخل المعركة وفى نفوسنا عزم وإصرار على أن نخلع من لباس الماضى كل تميع أو انحلال ، ستصبح منا العزائم على أن نقرب من الله ونعاهده على أن يجد منا ما يجده من المؤمن فى قوله ، وفى عمله ، سنغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا ، سنصدق - جميعا - ولا نكذب ، سنأتمن ولا نخون ، سنعمل ولا نكسل ، سنجود بالنفس وبالمال فى معركة الشرف والمصير ، وسنحرص على الموت لتوهب لنا الحياة ، وسنقلع - جميعا - عن الغش فى القول والبيع والمعاملة ، وسنتورع عن النفاق والمداهنة ، وسنصل حاضرنا بماضينا المسلم المشرق ، وسنمضى إلى العزة قدما ، لا نعبأ بوعيد ، ولا نلقى إلى الشائعات بالا ، وسنمضى فى طريق الرسول وأصحابه ، وسنرعى الأمجاد والمكاسب ، وسنحمى أعراضنا - جميعا - من الريب ، وسنصون نساءنا من التبذل .

وسنجعل القرآن وحديث محمد نغمنا الحلو ، ونشيدنا العذب وهتافنا العلوى .

وسنصل شبابنا بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم وبطولته ، وسنصل ما بيننا وبين دستور الله ، وسنأخذ بالتّربية وبالتوجيه وبالحزم فلذات أكبادنا من أن يشغلهم التميع ، فيرجلوا الشعر ، ويطيلوا الأظافر ، ويتقلدوا السلاسل .

وسنحول الأغانى المبتذلة ، والألحان المنكرة إلى نغم إسلامى جاد .

وسنؤهل أنفسنا بالإيمان وبالعمل إلى نصر الله ، فإن الله لا ينصر إلا من ينصره ، ولا يدافع إلا عن الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون .

إن هذه دروع المعركة ، بها نهزم الأعداء ، وبها تعقد ألوية النصر إن شاء الله ؟

محمد كامل الفقى

الظواهر الجوّية فى آية النّور

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى

الآية الكريمة هى :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » .

والكلمات الكريمة التى تشير إلى ظواهر جوية تتضح أكثر ، ويصير عد الظواهر بذلك أيسر ، إذا أعيدت كتابة الآية الكريمة عموديا هكذا :

« ألم تر أن الله

(١) يزجى سحابا

(٢) ثم يؤلف بينه

(٣) ثم يجعله ركاما

(٤) فترى الودق يخرج

(٥) من خلاله

(٦) وينزل من السماء

(٧) من جبال فيها } أو { من جبال

(٨) من برد } { فيها من برد

(٩) فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء

(١٠) يكاد سنا برقه

(١١) يذهب بالأبصار » .

فهذه إحدى عشرة ظاهرة كونية جوية ، يتفرع عن السابعة والثامنة منها اثنتان حسب رد الضمير فى (فيها) إلى السماء أو إلى (جبال) ، فتصير ثلاث عشرة ظاهرة تأملنا منها ستاً فى مقال سابق[1] ويبقى سبع للتأمل إذا اتسع لها هذا المقال .

وواضح أن هذه الظواهر قد ذكرت فى الآية الكريمة لتكون مظاهر لقدرة الله تعالى وحكمته كما يدل عليه صدر الآية الكريمة (ألم تر أن الله يزجى) ، فالاستفهام للاستلفات من ناحية ، وللتقرير من ناحية أخرى والخطاب فى الأصل للنبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لكل تال للآية الكريمة ؛ ليرى ويعلم أن الله وحده هو الذى يزجى ، وهو الذى يؤلف ، وهو الذى يجعل ركاما ، وهو الذى ينزل من السماء ، وهو الذى يصيب بالبرد ويصرفه ؛ فكلها أفعال لله لا يقدر عليها غيره ؛ فالآية الكريمة تصحح للإنسان عقيدته فى منشأ هذه الظواهر الكونية فلا هى تنشأ من نفسها ، ولا هى مثلا من

(١) عدد المحرم .

آثار النجوم والأنواء كما كان يعتقد أهل الجاهلية ، ولا من فعل آلهة غير الله كما كان يعتقد اليونان والرومان .

الفعل (يزجى) معناه يسوق ويدفع عند صاحب القاموس، وزاده أبو حيان فى تفسيره تخصيصاً إذ يقول : (ومعنى يزجى يسوق قليلا قليلا ، ويستعمل فى سوق الثقيل) فأظهر بذلك صفة من الصفات التى يشير إليها تنكير السحاب فى قوله تعالى « يزجى سحابا » .

أما الفخر الرازى فقد أدخل فى المعنى ما ليس منه إذ يقول : (اعلم أن قوله يزجى سحابا يحتمل أنه سبحانه ينشئه شيئا بعد شىء) . وليس الإنشاء من معنى الإزجاء فى شىء ، فالإزجاء والسوق يكون لما هو موجود فعلا . ولله فى إزجاء السحاب آية ، وفى إنشائه آية ، وفى إثارته آية ، وفى حمله آية . وإلى كل لفت الله عباده فى آية من كتابه العزيز فآيته فى الإنشاء لفت إليها قوله سبحانه : « وينشىء السحاب الثقال » فى الآية (١٢) من سورة الرعد . وآيته فى الإثارة لفت إليها قوله سبحانه « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء » فى الآية (٤٨) من سورة الروم . وآيته فى الحمل لفت إليها قوله سبحانه « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات » فى الآية (٥٧) من سورة الأعراف . ومعنى (أقلت) حملت ورفعت كما فى القاموس . فالرياح هى الحاملة الرافعة وهى المثيرة للسحاب كما يثار الصيد من مكامنه ، ثم هى التى يسوق الله بها السحاب ويزجيه ، لكن الله سبحانه لم يسند إليها السوق والإزجاء كما أسند إليها الإثارة والحمل والرفع ، إشارة منه سبحانه إلى أنه فطر الرياح على أن تثير وتحمل وترفع لا على أن تسوق وتزجى ، لأن السوق والإزجاء لابد فيه من توجيه . وإرادة الإنسان وراء سوق ما يملك من حيوان ومركب وما يزجى من بضاعة ، أما السحاب فقد استعمل السوق والأرجاء فيه ليدل ـ أولا ـ على أن حركته موجهة ، ثم أسند الفعل فى (سقناه) و (يزجى) إلى ضمير الجلالة بدلا من إسناده إلى المجهول ليتقرر بوضوح أن إرادة الله هى من وراء توجيه السحاب فى حركاته ، لا إرادة غيره من نحو كاهن فى الأرض أو نفس فلكية فى السماء ، من نفوس زعمها فلاسفة اليونان لأفلاكهم التسع التى توهموا فيها الحياة ، وتبعهم فى أوهامهم ـ من غير سلطان ولا برهان ـ أمثال إخوان الصفا من المسلمين .

والمضارعة فى (يزجى) و (ينشىء) و (يرسل) وما إليها فى الآيات الكريمة تدل على أنها أفعال تتجدد باستمرار ، فلا يزال فى جو الأرض رياح ترسل ، وسحاب ينشأ ويثار ويحمل ويرفع ويساق

ويزجى إن لم يكن فى مكان ففى آخر . والقرآن الكريم مخاطب به سكان كل مكان فى الآيات التى من شأنها أن تهدى إلى الله .

وتنكير السحاب فى قوله تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحاباً » يجعل له معنى غير المعنى الذى كان يفهم لو كانت الآية : ألم تر أن الله يزجى السحاب ، فهو سحاب خص بصفات ، منها الثقل الذى تضمنه ودل عليه الفعل (يزجى) فيما ذكر أبو حيان ، وآية الله فى إبقاء السحاب مزجى فى الجو برغم ثقله آية عظيمة ، سبق أن لفت الله عباده إليها فى آيتى الأعراف والرعد اللتين نزل الوحى بهما قبل أن ينزل بآية النور هذه التى هى آخر ما نزل به الوحى من الآيات القرآنية متعلقة بآيات الله الكونية فى السحاب . ومثل تلك الآية الكونية فى عظمها لم تكن لتترك من غير تذكير بها فى آخر آية قرآنية نزلت تتعلق بالسحاب ، وتلفت فيه إلى آيات لله أخر ، فكانت تلك الإشارة اللطيفة إليها فى الفعل (يزجى) اكتفاء عجيباً وتنبيهاً إلى ما سبق من تنويه صريح بها فى سورة مكية هى الأعراف وسورة مدنية هى الرعد سبقتا سورة النور فى كل من ترتيب المصحف وترتيب النزول .

ثم تأتى تلك الكلمات الثلاث العجيبة (ثم يؤلف بينه) لتشير إلى معنى فى السحاب المزجى لم يكن للإنسانية به علم حتى جاء عصر العلم الحديث فكشف ما كشف من الكهربائية الجوية ، والإشارة الدقيقة هى فى قوله تعالى : « يؤلف بينه » ، والتأليف أكثر من مجرد التجميع وضم بعض السحاب إلى بعض الذى قال به المفسرون ، لأنه يستلزم نوعا من التجاذب بين السحاب يشبه التواد والتحاب الذى يكون بين الإلف وأليفه ، والذى يدل عليه فى الكتاب العزيز قوله تعالى خطابا لرسوله فى سورة الأنفال : « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » (١) ؛ فمن الصفات المميزة التى أومأ إليها تنكير السحاب فى الآية الكريمة من سورة النور ، أنه قابل لأن يكون بينه من التجاذب ما يقابل ما يكون بين الناس من التآلف .

ولعل من الشطط أن يقال : إنه كان ينبغى لقدامى المفسرين أن يصلوا إلى هذا القدر من معنى (يؤلف) فى الآية الكريمة ، ويكلوا ما وراء ذلك من سر التأليف إلى الله سبحانه ، لكن ليس شططاً أن يقال : إنه كان ينبغى لمثل الزمخشرى من قدامى المفسرين ألا يخفى عليه دلالة (بينه) فى الآية الكريمة على تعدد السحاب المزجى ، فبالرغم من أن الزمخشرى كان يعلم ـ طبعاً ـ أن (سحابا) على التنكير اسم جنس جمعى ، وهو ما يسمح بالتعدد ، على ما يفيده التنكير من العظم

(١) من الآيتين ٦٢ ، ٦٣ .

والثقل ، فقد ظن رحمه الله أن السحاب فى الآية الكريمة سحاب واحد فاضطر فى تفسير (ثم يؤلف بينه) أن يقول : « ومعنى تأليف الواحد أن يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض . وجاء (بينه) وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه» أى أن (بينه) فى الآية الكريمة سببت للزمخشرى إشكالا لأنها عنده فى اللغة تدل على تعدد السحاب ، وفهم من التنكير أنه سحاب واحد ؛ فاضطر فى حل الإشكال إلى ذلك التأويل ، وكان الأولى والأجدر بمثله أن يبقى دلالة (بينه) على أصلها حتى وإن دل التنكير على أن السحاب واحد، فإنه إن كان واحداً فى موطن ، فمواطن السحاب فى أجواء الأرض لا تكاد تحصى كثرة ، والخطاب فى (ألم تر) فى أول الآية الكريمة هو - بعد النبي صلى الله عليه وسلم - لكل إنسان على وجه الأرض يشاهد سحاباً يسير فى الجو . بل السحاب فى الموطن الواحد يغلب أن يتعدد طبقات منفصلة وإن حجب أدناها أعلاها .

فالتأليف بين السحاب فى الآية الكريمة هو أول إشارة إلى الكهربائية الجوية التى لم يعرفها الإنسان إلا فى القرن الثامن عشر ، وأول ما يشير إليه هو التجاذب بين الكتل السحابية المشحونة كهربائيا بين موجبة وسالبة ، لكن هذا التجاذب لا يبدأ إلا بعد أن يكون الإزجاء بالرياح قد قرب بين الكتل تقريبا كافيا ، وهذا يحتاج لزمن متفاوت فى الطول حسب مقدار التباعد بين السحاب فى الأصل ، وقد أشير إلى هذا كله بالحرف (ثم) الدال على الترتيب مع التراخى .

والإزجاء قد يشمل أيضا السحب المتنافرة لاتحاد شحنتها ، فيجمع بينها ويجعل منها سحابا واحدا كبير العظم ، موجب الشحنة أو سالبها ، إذا كانت قوة الريح الجامعة أكبر من قوة التنافر ، وهذا كله يحدث على جميع المستويات من أفقية ومائلة وعمودية ، لا على المستوى الأفقى وحده كما يسبق عادة إلى الأذهان .

وتراكم السحاب بعضه فوق بعض هو نتيجة التجاذب الكهربائى على غير المستوى الأفقى ، ودفع الرياح الصاعدة العظيمة السرعة ، على التساند أو على الانفراد حسب الظروف المعقدة التى لا يعرف مدى اختلافها إلا الله ؛ ولهذا استأثر سبحانه بنسبة هذه المرحلة أيضا إلى نفسه جل شأنه ، إذ يقول : « ثم يجعله ركاما » ، وللحرف (ثم) هنا من الدلالة ما كان له فى المرحلة قبل .

وهذا التركيم سواء أكان بالتجاذب الكهربائى أم بالرياح الصاعدة أم بكليهما يقتضى حتما التحام القطيرات المائية فى السحاب الركام ، خصوصا إذا حدث التفريغ الكهربائى بين طبقات السحاب ، وهو ما لا بد حادث إذا اشتد التقارب بين الطبقات بالتجاذب بينها وبفعل الرياح الصاعدة معا ، وعندئذ يتحول السحاب

المتلاحم إلى ماء ودق دافق ينزل من بين بقية السحاب متخللا طبقاته حتى يراه الإنسان منهمرا من السحاب .

ونزول الودق نتيجة لتراكم السحاب والتحامه على تلك الصورة لا يحتاج إلا إلى وقت السقوط إلى الأرض ولذا كان التعبير بالفاء لا بثم عند عطف مرحلة خروج الودق على مرحلة صيرورة السحاب ركاما ، ويبدو أن القدماء كانوا يعتبرون السحاب جسما جامدا ذا فتـــوق كالمصفاة ففسروا (من خلاله) فى الآية الكريمة (من فتوقه ومخارجه) كما قال أبو مسلم الأصفهانى وتبعه الباقون ؛ لكن التعبير القرآنى فى دقته ينطبق على حال السحاب فى الواقع ، من غير أن يحول بين أهل كل عصر وبين تصور خروج المطر من السحاب ، على قدر ما أوتوا من العلم الكونى قل أو كثر ، ما دام ذلك لا يحول دون اهتدائهم إلى الله بآيته فى خروج الودق من السحاب .

والسحاب الركام يختلف فى ارتفاعاته ، وكلما زاد ارتفاعه زادت برودة طبقاته العليا وتكون فيها الثلج والبرد - الثلج : هو البخار المتجمد ، فى أعلى السحاب ، والبرد : فيما دونه حسب ما سبق تلخيصه مقربا فى المقال السابق . ومن هنا كان العطف بالواو فى قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) .

ومن عجب الدقة القرآنية المعجزة فى التعبير إضافة البرق إلى البرد فى قوله تعالى (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) . فليس كل برق شديدا ضوؤه ؛ فالبرق - كما هو معروف - يقابل فى التفريغ الكهربائى السحابى هذه الشرارة الكهربائية التى نراها فى الأرض عند اتحاد شحنتين ، فهو - مهما ضعف - أكبر من أى شرارة كهربائية يصنعها الإنسان لمعظم الشحنات الكهربائية فى السحاب ؛ لكن الشحنات فى السحاب تختلف فى عظمها ، وعلى حسب هذا الاختلاف تختلف البروق فى لمعانها وسناها ، كما تختلف - أيضا - الرعود فى شدة قعقعتها ؛ لأن الرعد هو صوت التفريغ الجوى المقابل للصوت الذى يصحب الشرارة الكهربائية فى الأرض ، وإن كان لاختلاف بعد السحاب عن الأرض - عند التفريغ أيضا - تأثيره فى الشدة عند سماع الرعد ، لكن البرد لا يكون أبدا إلا من سحاب بالغ الشحنات فى العظم حتى لقد يبلغ برقه فوق كيلو مترين فى الطول مع اللمعان الذى يكاد من شدته يخطف البصر ، ومن هنا إضافة البرق الذى هذا حاله إلى الضمير العائد إلى البرد المشبه مقداره أو المشبه سحابه فى العظم بالجبال .

وتبارك الله الذى أنزل كتابه معجزا للخلق فى دقة التعبير عن حقائق الفطرة التى لم يكن يعلمها إلا هو سبحانه عند ما أنزل القرآن ؟

محمد أحمد الغمراوى

بين الشريعة الإسلامية و القانون الرومانى "نظام الرق"

للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى

— ١ —

أسباب الرق :

لست مع القائلين بأن مسألة الرقيق فى عصرنا الحاضر مسألة تاريخية ، لأن الرق قد ألغى تنفيذا لمعاهدات دولية جرت فى القرنين التاسع عشر والعشرين . لست من هذا الرأى ، لأن نظام الرق والعمل به لا يزال موجودا فعلا ، فى بعض البلاد الشرقية ، وخاصة فى المملكة العربية السعودية ، وهى دولة تطبق الشريعة الإسلامية فى المعاملات المدنية والجنائية ، وربما اعتمدت فى إباحة الرقيق إلى أصول إسلامية صحيحة أو غير صحيحة.

هـــذا جانب ، والجانب الآخر يخص جماعة المستشرقين الذين يعيرون المسلمين بإقرارهم نظام الرق على غرار القانون الرومانى ، بل ويذهبون إلى أن هذا النظام الإسلامى قد أخذته الشريعة الإسلامية عن الرومان ؛ فهو فى نفس الوقت أثر من آثار هذا القانون على الشريعة الإسلامية ، وضعف فى بنائها ، سواء أخذ عن الرومان أم لم يؤخذ ، إذ أن هذا النظام غير إنسانى، ويخالف القانون الطبيعى الذى يجعل الناس سواسية أمام القانون . من أجل ذلك وجب بحث نظام الرقيق فى القوانين القديمة رومانية وغير رومانية ، ثم بحث هذا النظام على ضوء التشريع الإسلامى .

المجتمع القديم يقر نظام الرقيق :

كان العرب فى الجاهلية يسطو بعضهم على بعض ، يختطفون الرجال والنساء ويجعلونهم رقيقا، وكانت لهم أسواق يبيعون فيها الرقيق ؛ فقد كان زيد بن حارثة مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من قضاعة وأمه من طيء ، وأصابهم سباء فى الجاهلية لأن أمه خرجت تزور قومها « بنى معن » ، فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر فأخذوا زيداً فقدموا به سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وهذه وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ...(١)

---

(١) انظر فجر الإســـلام لأحمد أمين ص ٨٨ ط ٥ .

وفى الحديث « خرج عبدان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قبل الصلح فكتب إليه مواليهم يقولون يا محمد : والله ما خرج هؤلاء إليك رغبة فى دينك ، وإنما هربوا من الرق ، فقال ناس : ردهم إليهم ! فغضب صلى الله عليه وسلم من ذلك وأبى أن يردهم . »(١) وهؤلاء ـ لاشك ـ صاروا أحرارا فى ظل الإسلام . وكان بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومانى ممن استرقهم العرب فى الجاهلية ثم صاروا من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن الرق فى الجاهلية كان أوسع نطاقا منه فى الإسلام ، فقد كان الخطف سبباً من أسباب الرق ، والخطف لا يمكن أن يكون سببا مشروعا . وكان الدين ـ بفتح الدال ـ سببا من أسباب الرق كذلك ، ففى الأثر أن جماعة ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا إليه مطل مدينهم فى دفع ما عليه من الدين مستأذنين فى الاستيلاء على شخص مدينهم فقال الرسول لهم : خذوا ما وجدتم من ماله ، وليس لكم إلا هذا .

وكان اليهود يسترقون ، وقد أمرت الديانة اليهودية بحسن معاملة الرقيق وحددت زمن الاسترقاق بسبع سنوات .

وكان الإغريق يسترقون على النظام الشائع فى المجتمع القديم ، وكان أرسطو لا يرى عدم شرعية الرق فى الحروب ولكنه كان يأنف من استرقاق المدين إذا عجز عن الوفاء بالدين . وقد ورد نص عن أرسطو هذا ينكر فيه أو يأسف لوصول حال المدينين إلى الرق . قال : « وأصبحت كل الأراضى ملكا لعدد قليل من الناس وتعرض الزراع هم وأزواجهم وأبناؤهم لأن يباعوا بيع الرقيق إذا عجزوا عن أداء إيجار الأرض ، وذلك لا فى داخل البلاد فحسب ، بل وفى خارجها (١) .

وكان الرومان يسترقون ويجعلون الرق نظاما عاما مشروعا . وقد ورد فى (نظم جستنيان) : « أن الحرية هى المكنة الطبيعية التى بها يستطيع الإنسان عمل ما يريد ما لم يمنعه مانع من قوة جبرية أو من قانون . أما الرق ، فهو نظام من مولدات قانون الشعوب ، به يستكره الإنسان ــ خلافا للقانون الطبيعى ــ على أن يكون محلا لملكية إنسان آخر ، ولفظ الأرقاء Servi آت من أن عادة أمراء الجيوش جرت بعدم قتل الأسرى ، بل ببيعهم ، إبقاء على حياتهم ، وهؤلاء الأرقاء يطلق عليهم لفظ «ملك اليمين» Mancipia لأنهم يؤخذون باليد من الأعداء .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذى .

(١) ول ديورانت فى قصة الحضارة ج ١ مجلد ٢ ص ٢٠٦ .

ويكون الشخص رقيقا بمولده أو يعرض له الرق من بعد ، فأولاد إمائنا هم أرقاء بمولدهم .

والوقوع فى الرق إما أن يحدث بحسب قانون الشعوب ، أى بالأسر ، وإما أن يحدث بحكم القانون المدنى ، كحالة الشخص الذى تجاوزت سنه العشرين إذا تواطأ مع غيره على أن يبيعه هذا الغير باعتباره رقيقا وأن يقتسم الثمن هو والبائع، وحال الأرقاء واحدة لا تفاوت فيها بين رقيق وآخر »(١) .

وعلى أساس ما ورد فى نظم جستنيان يمكن القول بوجود مصدرين للرق أولهما الاسر فى الحروب ، والثانى الولادة من جارية (أمة) ، والعبرة فيه بحالة الأم كما ورد فى « نظم » جايوس (٢) .

(١) نظم جستنيان ترجمة المرحوم عبد العزيز فهمى (باشا) سنة ١٩٤٦ (ص ١١) وقد ترجمت تحت اسم المدونة وهى فى حقيقتها نظم جستنيان institutes . وقانون الشعوب المنوه عنه فى النص هو عبارة عن المبادىء المشتركة بين جميع الأمم ، ويختلف عن القانون الطبيعى فى أن هذا الأخير يعبر عن المبادىء المشتركة بين جميع الأحياء ، وإسناد « النظم » أساس الرق لقانون الشعوب دليل على أنه كان نظاما عالميا .

(٢) ١ ، ٨٢ .

على أن هاتين الحالتين ليستا هما كل حالات الاسترقاق فى القانون الرومانى . فقد كان عدم الوفاء بالدين سببا من أسباب الاسترقاق: كان القانون الرومانى فى عهده الأول يعطى للدائن (١) - بعد مضى ثلاثين يوما من تاريخ حصوله على حكم قضائى بدينه ، أو بالاعتراف بدينه الحق فى القبض على مدينة Manus injectio أمام البريتور (حاكم المدينة) ، وللدائن بعد مضى ستين يوما من تاريخ القبض على المدين وعدم حصوله على الوفاء بدينه أن يسترق مدينه ، فله قتله أو بيعه خارج روما ، وينص قانون الألواح الاثنى عشر - وهو أقدم نص للقانون الرومانى المكتوب - على أن للدائنين — فى حالة تعددهم — اقتسام أشلاء المدين. وبصدور قانون پوتيليا پابيريا فى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد منع الاسترقاق واستبدل به حق الدائن فى حبس مدينه فى سجنه الخاص ، ثم استبدل بنظام الحبس نظام يخير المدين بين أن يحبس وبين أن يتنازل عن جميع أمواله ، ثم ألغيت السجون الخاصة واستبدل بها سجون عامة فى القرن الرابع الميلادى ، يودع فيها المدينون بدلا من السجون الخاصة التى يعدها الدائنون لمدينيهم.

(١) نظم جايوس ٤ ، ٢١ . وانظر أيضا « الوجيز فى القانون الرومانى » للدكتور صوفى أبو طالب طبعة سنة ١٩٦٥ ص ٥٥ .

هذه صورة موجزة لحالات الاسترقاق فى القوانين القديمة .

الرق فى الإسلام :

إن مشروعية الرق فى الإسلام اتخذت مادة لنزاع كبير بين فقهاء المسلمين ، فمن الفقهاء من يرى أن الاسترقاق غير مشروع ، ومنهم من يقصره على الحرب دفاعا عن العقيدة ، ومنهم من يتوسع فيجيز الرق لا دفاعا عن العقيدة بمعناها الضيق ، بل ولنشر العقيدة أيضا ، إذ أن فى نشر العقيدة نوعا من الدفاع عنها وعن أهلها ، ومنهم من كان يرى شرعية الرق فى الأيام الأولى للدولة الإسلامية ، أما بعد ذلك فلا .

هذه آراء لسنا فى حاجة إلى تفنيدها الآن ، إذ الأمر الذى لا شك فيه أن نظام الرق وجد فى الإسلام وأصبح جزءا لا يتجزأ منه ، فقد كانت سيرين ، وهى أمة قبطية ، فى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جواريه ، فأهداها الرسول إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن ابن حسان ، وهذا دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر مبدأ الرق .

وقد اتبع نظام الاسترقاق للأسر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكان من أسر فى الغزوات يجوز استرقاقه ، كالذى كان فى غزوة بنى المصطلق ، فقد جاء فى سيرة ابن هشام : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم - من بنى المصطلق - وهم عرب من خزاعة - سبياً كثيراً فشا قسمه فى المسلمين » ، وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم استرق ذرارى قريظة ونساء هوازن وذراريهم .

إلى هنا يكاد يوجد إجماع على جواز الرق فى الأيام الأولى للإسلام ، أى دفاعا عن العقيدة الإسلامية ، أما بعد ذلك فقد ذهب الناس فى تفسير الدفاع عن العقيدة مذاهب شتى : رأى بعضهم أن الرق قد منع بعد نزول قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » (سورة البقرة) ورأى بعضهم أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » . رأوا أن هذا القول يبيح قتال أهل الكفر أبدا ، وما دام القتال جائزا أبدا ، فالاسترقاق جائز ، حيث كان جزاء معترفا به فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والظاهر من استقراء التاريخ الإسلامى أن نظام الرق بقى بعد عهد الرسول وصاحب الفتوحات الإسلامية ، فقد استرق عمر ابن عبد العزيز - أورع خلفاء بنى أمية - جماعة من الأسرى ، ولم يقتل واحداً منهم (١) .

والقاعدة العامة التى جرت بالنسبة للفتوحات

---

(١) تفسير الطبرى ٢٦ : ٢٧ .

الإسلامية أن المسلمين كانوا يدعون البلاد غير الإسلامية إلى الإسلام ، فإن لم يستجب أهلها دعوا إلى أن يسلموا بلادهم للمسلمين يحكمونها ويبقوا على دينهم إن شاءوا ويدفعوا الجزية ، فإن قبلوا ذلك ، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وأصبح لزاما على المسلمين أن يحموا هؤلاء باعتبارهم معاهدين أو أهل ذمة ، لأنهم عاهدوا المسلمين على ذلك وأخذوا عليهم العهد والذمة ، فإن لم يفعلوا قوتلوا . وفى أثناء القتال يحل للمسلمين أن يقتلوا المحاربين أو من أعان على الحرب برأى ، فإذا وقعوا أسرى فى أيدى المسلمين جاز قتلهم أو افتداؤهم أو استرقاقهم ، وإن طلب العدو صلحاً مع المسلمين أجيب إليه وطبقت شروطه لقوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، وقبول الصلح متروك لإمام المسلمين .

ولا يجوز أثناء القتال قتل غير الرجال القادرين على الحرب ، فأما المرأة والطفل والشيخ الفانى والأعمى والمقعد فلا يجوز قتلهم ، إلا إذا كان أحد هؤلاء معيناً على الحرب بالتحريض أو تدبير خططها . فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقتل دريد بن الصمة ـ وهو شيخ ضرير كبير ـ لأنه كان يدبر لقومه ويؤلبهم على المسلمين .

فإذا وضعت الحرب أوزارها وتغلب المسلمون على البلد الكاره للإسلام ، فإن أهله من غير المحاربين يوضعون تحت تصرف الإمام ، والإمام مخير فيهم ، فله أن يتركهم أحراراً ، كما فعل عمر فى أهل العراق ، على أن يدفعوا الجزية ، وله أن يسترقهم فيصبحوا عبيدا وإماء ويوزعوا توزيع الغنائم .

وقد جرت العادة على تسمية الأرقاء السود عبيدا ، والأرقاء البيض مماليك ، وكلهم أرقاء .

من هذه العجالة نستطيع أن نلمح فرقا واضحاً بين أسباب الرق فى القديم ، فهى فى النظم غير الإسلامية لا تخرج عن ثلاثة : الحرب المنظمة ، والخطف ـ أى حرب العصابات ـ ، وعدم الوفاء بالدين .

أما الاسترقاق للخطف وحرب العصابات فقد حرمه الإسلام ، لأنه حرم أصلا هذه الحرب ، وأما الاسترقاق لعدم الوفاء بالدين فقد حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ذكر ذلك .

بقى سبب واحد يبدو فى الظاهر أنه مشترك بين النظم غير الإسلامية والنظام الإسلامى وهو استرقاق الأسرى فى الحروب المنظمة .

وقد سبق أن بينت أن الفقهاء المسلمين غير متفقين على جواز استرقاق الأسرى على الأقل بعد أن قوى الإسلام ، وأن حروب العقيدة ـ مالم تكن دفاعا عن العقيدة بمعناها الضيق ـ فهى غير مشروعة ، وبالتالى

يكون الأسر وما يستتبعه من استرقاق غير مشروع كذلك . ونحن إذا ضربنا صفحا عن هذا الرأى وأخذنا برأى الموسعين فى معنى الدفاع عن العقيدة ، وهو الأمر الذى استقر فى التاريخ الإسلامى ، أمكن القول بأن الاسترقاق جائز فى كل الحروب التى أراد بها المسلمون نشر العقيدة الإسلامية ، وعلى الرأى الأول أو الثانى؛ فإن الاسترقاق لا يجوز إلا على الأسير الذى وقع فى أيدى المسلمين فى حرب العقائد ، أو سكان البلاد المفتوحة الذين رفضوا الدخول فى الإسلام بعد أن دعوا إليه ، أو تسليم بلادهم ليحكمها المسلمون على أن يؤمنهم المسلمون على أموالهم وأرواحهم وعقائدهم نظير دفع الجزية .

وإذن يختلف الإسلام عن النظم القديمة السابقة له أو المعاصرة فى أنه لا يجيز الأسر ولا الاسترقاق فى أية حرب يقصد من وراء إعلانها كسب مادى ، أو توسع إقليمى ، أو تأديب لبعض حكامها ؛ بينما تقر الشعوب القديمة استرقاق الأسير فى أية حرب مشروعة عقيدية أو غير عقيدية ، بل إن التشريع الرومانى فى عهده الأول كان يعتبر الشعوب الأخرى غير الرومانية أعداء للرومان ، يجوز أسرهم وقتلهم واسترقاقهم متى استطاع الرومان ذلك .

فأنت ترى إذن أن الإسلام قد ضيق أسباب الرق إلى أقصى درجات الضيق وقصرها على الحرب العقيدية ، ولم يشأ أن يجعل هذه الحرب جائزة مطلقا ، إذ كفل إعلان الحرب على غير المسلمين بضمانات وثيقة ، فهو يدعو غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام ، فإن لم يستجب هؤلاء دعاهم لتسليم بلادهم يحكمها المسلمون على أن يتركوا لأهل البلاد الحرية فى أن يكونوا مسلمين ، أو أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية ، وفى كلتا الحالين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فإن لم يفعلوا أعلنت عليهم الحرب . وليس الاسترقاق لأسرى هذا البلد أو أهله من غير المحاربين أمراً محتوما ، بل للإمام أن يتركهم أحراراً ويأخذ منهم الجزية ، كما فعل عمر بن الخطاب مع أهل العراق .

ونحن إذا نظرنا إلى العصر الحاضر نظرة واقعية وجدنا أن حرب العقائد قد انتهى أمرها على الأقل منذ الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى ، وأن الحروب الحاضرة إنما هى حروب قائمة على استغلال الموارد الاقتصادية والدفاع عنها ، ولو أن أسيرا وقع فى أيدى دولة غازية ما جاز استرقاقه وفقا للنظام الإسلامى أولا ، ووفقا للقوانين المانعة للرق والمعاهدات الدولية ثانيا .

وتجارة الرقيق التى تسود فى العصر الحاضر تجارة غير مشروعة ، وهى قائمة على الأسباب

رسائل محمد ﷺ ونصوص معاهداته

للدكتور محمد رجب البيومى

تروى كتب السيرة والحديث والتاريخ أكثر من أربعين وثيقة نبوية : ما بين رسالة إلى ملك أو أمير أو قائد ، وما بين صلح أو أمان أو اتفاق على مسائل ينحسم بها النزاع ، وورود هذه الرسائل والمعاهدات مما أيدته مواقف حياته صلى الله عليه وسلم وتطلبته ظروف دعوته ! ولكن آفة الشك التى تمكنت من بعض النفوس ، دفعت قليلا من الكتاب إلى الارتياب فى بعضها ! والشك مبدأ مقرر فى أصول البحث العلمى إن ظهرت دواعيه ، وبه يهتدى إلى اليقين لا محالة ، ولكن تعمد الشك لوجه الشك دون مبرر قوى يحدث بلبلة خطيرة تكاد تعصف ببعض حقائق التاريخ ، ولعلنا نستطيع أن نجتث فى هذه العجالة بعض الأشواك التى نجمت حول رسائل محمد ونصوص معاهداته إذا استعرضنا بإيجاز مقنع ملابسات العصر النبوى ومناحيه ! لنرى فى ضوء ذلك إذا

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الهمجية القديمة ، أى قائمة على الخطف ، ولا شك أن الخطف غير مشروع ، وشراء مثل هذا الرقيق المخطوف غير مشروع كذلك بناء على أن ما بنى على الباطل باطل مثله .

ولست أعتقد بحال من الأحوال أن العصر الحاضر يعرف الاسترقاق المشروع ، لأن حروب العقيدة قد توقفت منذ زمن غير بعيد ، وحلت محلها حروب تبغى التوسع الاقتصادى ، وقد ارتبطت معظم الدول فيما بينها بمعاهدات ود وصداقة ، وتبادلت فيما بينها السفراء ودخلت فى منظمات دولية تهيمن على الدول الأعضاء فى الجماعة الدولية . فشريعة الغاب لا وجود لها أو لا ينبغى أن يكون لها وجود قانونى .

ولا أعتقد كذلك أن الرقيق الذى يباع الآن فى بعض الدول الإسلامية موروث من عهد الحروب الإسلامية القديمة التى أعلنت دفاعا عن العقيدة الإسلامية منذ بضعة قرون . ولكن مصدر الرق الموجود الآن يقوم على الخطف والإغواء واستغلال الفاقة والحرمان وهو أمر تنكره القوانين الحديثة ومن قبل ذلك أنكره الإسلام ؟

دكتور محمد مختار القاضى

كان ما بقى لدينا من الرسائل النبوية والمعاهدات التاريخية مما توجبه طبيعة العصر، أو أنه مما تزعزعه هبات الشكوك بين الحين والحين !!

لقد كانت الرسائل الكتابية معروفة عند العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم لوجود دواعيها من التجارة والرحلة والزراعة وعقود التحالف. فإن جميع العرب لم يكونوا - كما وقر فى كثير من الأذهان - نزحا متقاطعين لا يتواصلون ولا يتعاهدون ولم يكونوا جميعاً بدواً رحلا لا يميلون إلى الاستقرار الهادىء، ولم تسكن جميع بلادهم صحراء جرداء لا نبات فيها ولا ماء ! فإذا تركنا أمارتى الحيرة وغسان لاشتهار حضارتهما ؛ فإننا نعلن أن بعض قرى الحجاز غلبت عليها الزراعة وانتقلت إليها آلاتها الحديثة مما جاورها من الأقطار !

وإن كثيراً من القبائل قد توطن فى أماكن خاصة لا يتعداها ، ولا يسمح لغيره من القبائل باحتلالها ، إلا إذا كان ذلك عنوة عن طريق الحرب كما تعتدى الآن دولة على دولة دون حق مشروع ، وأن القبيلة فى موطنها الخاص تعرف أماكن الخصب والجدب فى مدار العام، فتنتقل فى حدودها المعلومة إلى ما يفيء عليها الخير مبتغية مساقط الغيث ومنابت العشب مربعاً ومصيفاً فى موطن واضح المعالم والرسوم ! ولها مع غيرها من القبائل المجاورات معاهدات مكتوبة واجبة التنفيذ ، وقد تلح السنون بالجدب فتضطر القبيلة إلى الرحيل مكرهة غير راضية ، ثم لا تلبث أن تعود أدراجها إلى مكانها الأول .

ومن هنا كان ما نعلمه من أن عدم الاستقرار المكانى فى البادية ليس أمراً عاما تخضع له الكثرة الكاثرة ، وإنما هو يصيب القلة ممن لم تساعدهم حظوظهم على الاستقرار ، لذلك نجد مؤرخى القبائل يحددون أماكنها المتعارفة فطيء مثلا تسكن ما بين جبلى أجا وسلمى ، وبنو أسد باليمامة ، والأزد بعمان ، وعاملة وكلب وجذام ببادية الشام ، وقضاعة فى شمال الحجاز، وجهينة وعذرة بوادى إضم بالحجاز، وتميم ببادية البصرة ، وهذيل خلف جبال مكة، وكنانة فى جنوب الحجاز، وقيس عيلان بالجزء الغربى من نجد ، ومنها فروع غطفان وعبس وذبيان ، وكندة فى حضرموت .

وهكذا نجد لأكثر القبائل أمكنة محددة تساعدها على الاستقرار وتتيح لها أن تنتج وأن تبيع وأن تشترى وأن تتعاقد شفويا وكتابيا ، ولها بعد ذلك مرابعها وخيامها وآبارها وحيواناتها لا ينازعها منازع ، إلا إذا أراد الحرب فتهب الجماعة فادية حماها أن يستباح ! أما التجارة فقد كانت الجزيرة العربية إحدى طرقها الدائمة ، وقد فتحت على العرب أبواب الرزق فكان كثير من القبائل يحمون

القوافل من اعتداء الآخرين نظير جعل يأخذونه، وكان الحجازيون بالذات يشترون السلع من اليمن والحبشة ثم يبيعونها في أسواق مصر والشام وفارس، وقد اتخذوا مكة قاعدة لتجارتهم، وعلى تجارة مكة كان يعتمد الروم في كثير من شئونهم، إذ أنها تقع في منتصف الطريق، ولأنها تضم الكعبة التي يدين بها العرب ويقدسونها، وكان المكيون آمنين في رحلاتهم لأنهم أهل حرم الله «أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون» (١).

لهذا كله نشأت الكتابة قبل الإسلام في الحجاز لأنها من ألزم الأمور للتجارة إذ كان التاجر يجمع من أفراد القبيلة الواحدة ما يمكن أن تسير به قافلة كبيرة! ولا بد أن يعرف نصيب كل فرد وأن يلم بحظه من الربح أو الخسارة! فإذا تركنا التجارة إلى الأمور السياسية؛ فإننا نجد المعاهدات والمحالفات تسجل في المهارق، وإذا حام بعض الشك لدى المتزمتين عن معاهدات مثل حلف الفضول، وحلف ذي المجاز، فإن أشدهم إنكارا لن يحوم شكه حول صحيفة المقاطعة بين قريش وبني هاشم حين كتبت وعلقت بالكعبة! ومن أوضح الدلائل على شيوع الكتابة بمكة أن أسرى بدر قد فدوا أنفسهم بأن يعلم كل أسير عشرة من أبناء الأنصار كيف يكتبون وأن الله عز وجل حين قال:

(يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب..) إنما أمر بذلك لأن الكتابة من الذيوع واليسر بحيث تكون مجالا ميسرا للتعاقد فدعا إليها الإسلام!! وإذا كان مؤرخو السيرة النبوية قد أحصوا كتاب الرسول فبلغوا بهم خمسة وأربعين كاتبا ـ في كثير من الروايات ـ منهم من اختص بكتابة الوحي مثل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب؛ فإن غابا فأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ومنهم من كان يكتب الحوائج كخالد بن سعيد بن العاص ومعاوية ابن أبي سفيان، ومنهم من كان يكتب للملوك كعبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت، مع إشراكه في كتابة الوحي، ومن كان يكتب المغانم كمعيقيب بن أبي فاطمة. ومن كان يكتب أموال الصدقات مثل الزبير بن العوام وجهم بن الصلت [١]! وقد وجد هؤلاء جميعا ووجدت بعد ذلك نصوص رسائلهم المكتوبة فما وجه الشك فيها؟ لقد شاءت الأقدار أن يسلم على مدى العصور ثلاثة أصول خطية مما أرسله محمد، منها كتابه إلى المقوقس، وقد

(١) فجر الإسلام ص ١٧.

(١) الوزراء والكتاب ص ١٢.

وجده المستشرق الفرنسى (بارتلمى) فى كنيسة قرب إخميم، وكتابه إلى المنذر بن ساوى، وقد نشره المستشرق (فلايشر) وكتابه إلى النجاشى وقد نشره المستشرق (دنلوب)(١)! وبمقارنة الأصول على ما روته كتب السيرة والحديث، لم نر فارقا جللا يلتفت إليه، فنصوص الوثائق النبوية - إذن - جهيرة ذائعة تعصف بما نخفت حولها من الشكوك ولنا أن نتعرض إلى الحديث عن طابعها الأدبى مطمئنين !!

إذا نظرنا إلى ما بقى بين أيدينا من رسائله صلى الله عليه وسلم ومعاهداته، نجد أنه يتفق كل الاتفاق مع ما شاع من تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فجل هذه النصوص بمثابة مواد قانونية أرسلت للفصل فى أمر يجب الاتفاق عليه ، فليس مجالها مجال أدب ترفده العاطفة ويوشيه الخيال، ولكنها شروط محددة تلتزم الدقة البالغة فى التعبير، ولا تسمح للفظ أن يتجاوز موضعه الحقيقى إلى صورة خيالية تكون فيما بعد مثارا للخلاف. والذين يوازنون بين خطب الرسول وأحاديثه وبين رسائله يرون الثانية من حيث البهاء الجمالى فى موضع أقل من سابقتها فيأخذون ذلك عليها ، يخطئون تقدير الأمر ومقتضيات الأحوال لأن محمدا فى خطبه وأحاديثه يعمد إلى الإقناع بالفكرة الصائبة والصورة الأدبية المطبوعة، فالمجال مجال أدب يرضى الوجدان والعقل معا .

ومن هنا ظهرت بدائع البيان الفنى فى الخطب والأحاديث ، أما الرسائل والمعاهدات فجلها شروط سياسية رسمية تلتزم نصوصها وتكون حجة لدى النزاع ، فكل توشية خيالية فيها تنافى التحديد الواجب ، وتحيد عن مقتضى الحال إلى غير مقتضى الحال ، وبهذا الوضع الدقيق المجرد تقوم برسالتها المنشودة على نحو لا يقوم به سواها فى شىء .

ونحن نرى الآن أساطين البلغاء من رجال القانون أو السياسة يجتمعون اليوم الطويل حول دائرة مستديرة ليكتبوا نصاً واحداً فى معاهدة أو مادة فى قانون ، وهم فيما يكتبون حينئذ يحترزون عن كل لفظ يشم منه غير المقصود ، ويتوهمون كل دلالة قريبة أو بعيدة لا يقصدونها ، ويمكن أن تستنبط من بعض الألفاظ فيسارعون إلى استبدال غيرها بها ، ليأتى الكلام دقيقاً لا تساهل معه ، صريحاً لاشىء وراءه ، فإذا كتبوا المادة القانونية أو النص السياسى فى معاهدة فلن يقال عنه إنه حقائق مجردة لا تترقرق فى أعطافها صور البيان ! ولن

(١) مجموعة الوثائق السياسية فى عهد النبوة للدكتور الحيدر أبادى مع نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى للدكتور حسين نصار ص ٣٥ .

يخرجهم أسلوبهم الدقيق عن دائرة الأدب الرسمى وإن برزوا بعد ذلك بما يكتبون خارج النطاق القانونى والسياسى من أدب فنى !! ومامثل معاهدات رسول الله ورسائله إلى الملوك وشيوخ القبائل إلامثل هذه المواد التى يسطرها القانونيون والنصوص التى يمليها الدبلوماسيون ! فهل يجوز فى منطق العقل أن تكون نصوص أدب فنى حتى تقاس بالخطب والأحاديث ؟ !

إن الحرص الشديد ، لدى أبلغ البلغاء على مراعاة مقتضى الحال ، جعل رسائله نوعا من الإبلاغ الرسمى يسد الحاجــــة فى دقة وإحكام ، وهو بعد لا يغفل عقلية المرسل إليه ولا اتجاهه الدينى ، ولاواقعه السياسى ! وذلك ما لا بد منه لدى الكاتب الحصيف ، الذى يتعمد إصابة الهدف فى يقظة وإتقان .

لقد أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بعض كتبه إلى النجاشى النصرانى وإلى كسرى المجوسى وإلى ابنى الجلندى الوثنيين ! نخاطب كلا بما يجب أن يخاطب به ، عرف أن النجاشى كتابى يؤمن بالمسيح ومريم العذراء ، ولديه ثقافة دينية عن آدم وبدء الخليقة مما يقره الإسلام فكتب إليه فى لباقة حصيفة (١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ، سلم أنت ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصيفة فحملت بعيسى ، حملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، وقد بعثت معك ابن عمى جعفر ونفرا معه من المسلمين ، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر ، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى » .

وكان النجاشى فى صميم ذاته مؤمناً ورعا قرأ الإنجيل الصحيح وترقب ظهور نبى بشر به المسيح ، فلما جاء كتاب الرسول شفى منه غليلا ، ففكر وقدر ، ثم أشرق نور الإسلام فى قلبه فكتب إلى محمد يقول[1] بسم الله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحم بن أبجر ، سلام عليك يا نبى الله ورحمته وبركاته من الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام ، أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام ؛ فورب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا إنه لكما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرينا ابن

(١) أسد الغابة جـ ١ ص ٦٢ .

(١) أسد الغابة جـ ١ ص ٦٢ .

عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم بن أبجر فإنى لاأملك إلا نفسى ، وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يا رسول الله » .

وقد مات النجاشى مسلما وصلى عليه رسول الله صلاة الغائب !

أما رسالته إلى كسرى ، فقد كان رسول الله يعلم تكبره وصلفه ، ويعلم أن أقوى البراهين إقناعا لا يقابل منه بغير الغضب والاستعلاء ! ولكنه ملزم تبليغه «إن عليك إلا البلاغ» ، فلابد أن تصل إليه رسالته فليجاهر إليه بدعوته ، وليسمعه شيئاً من القرآن ، وليحمله وزر المجوس إن أبى ، كل ذلك فى اسطر قليلة تقول .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، اسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس[١] .

وقد تعالى الطاغية وتجبر فغضب ومزق الكتاب ! وصاح فى غيظ : يكتب إلى هذا وهو عبدى؟ ! !

وأما ابنا الجلندى ملكا عمان ، فتدعرف الرسول وثنيتهما المظلمة وأن إنقاذهما بالسلم إن أمكن أو الحرب إن استدعى الأمر واجب لا محالة فأرسل إليهما يقول :

« من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام ، اسلما تسلما ، فإنى رسول الله إلى الناس كافة ؛ لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ؛ وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما [١] » .

فأجابا إلى الإسلام طائعين ! !

تلك ثلاث من رسائله ، وما بنا أن نسطر جميع ما لدينا من رسائله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل والمقوقس وأهل البحرين وصاحب اليمامة وغيرها ، مما جمعه الأستاذ أحمد زكى صفوت مشفوعا بمصادره فى الجزء الأول من جمهرة رسائل العرب مابين صفحات ٢٥ ، ٩١ ، فإن الإشارة إلى مصادرة تغنى عن ذكره ، ولكننا نجعل هذه الرسائل الثلاث

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣٧٤ .

أنموذجا للكتابة الديوانية النبوية كما يحلو لمؤرخي الأدب أن يقولوا فى حديث الرسائل ! وتتجلى فيها الدقة وإصابة الهدف مع الإيجاز والوضوح واتحاد المطالع ، وقد يرى بعض الناقدين أنها من الإيجاز بحيث لا تشرح قواعد الإسلام لقوم يجهلونه ، ونحن نرد على ذلك بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختار حامل الرسالة من صفوة أصحابه ليستطيع أن يفصح عن دينه بما عرف من نبيه ، وفى قصة إسلام النجاشى مايشير إلى نقاش طويل بين النجاشى وجعفر ابن أبى طالب من ناحية وبين جعفر ووفد الوثنية من قريش من ناحية ثانية ، حين بعثوا إلى الحبشة من يتعقب المسلمين هناك فردوا بغيظهم لم ينالوا شيئا ، فلو أن الرسالة النبوية حملت بالبريد — على الرواحل حينذاك — دون مفسر شارح ، لأمكن أن تؤاخذ الرسالة بالاختصار ولكن حاملها صحابى مختار يعتنق الإسلام عن حمية وإيمان ، وحسبه أن كان موضع ثقة الرسول فى هذا المهم الخطير ! !

ولست أتحرج فى شىء حين استشف من هذه الرسائل حصافة الدبلوماسية المتزنة التى تجعل لكل حرف معناه ! وأعنى بالدبلوماسية السلوك السياسى الصحيح الذى يؤتمن على الكلمة ائتمانا لا يتطرق إليه التزيد ، وليس ما أعنيه ماشاع عن بعض أساليب الدبلوماسية من الاحتيال والدهاء والتربص فذلك شىء تجحده الدبلوماسية النزيهة فى لبها الصميم ، ومن المعروف أن رسل محمد قد عادوا سالمين دون أن يقتل منهم أحد ، وأن هرقل والنجاشى والمقوقس قد ردوا ردا جميلا ، حتى توهم بعض المؤرخين أن هرقل قد أسلم وحسن إسلامه ، أما الذى شذ وتكبر فكسرى ، إذ كان يعانى هزيمة أليمة بعد حرب طاحنة مع هرقل رجع منها بالخذلان ، فمزق الخطاب وكلف عامله على اليمن بمعاقبة محمد ! ! إن أكثر المستشرقين فى دهشة من جرأة نبى الإسلام على مكاتبة رؤساء العالم دون تهيب ، ويعدون ذلك مجازفة خطيرة كان من الممكن أن تتمخض عن أحداث جسام ! ولو علموا أن محمدا لا ينطق عن الهوى ، بل يسير بوحى من السماء ، لعرفوا مقدار ثقته فى ربه وفى نفسه ، وإذا كانت رسائل محمد قد آتت أكلها حين أحسنت الأداء عن صاحبها فإنها بإيجازها الدقيق تعد – لا محالة – ذات سداد مكين ولنا أن ننتقل منها إلى نماذج من المعاهدات النبوية فنتحدث عن طابعها الأدبى كما نراه ؟

محمد رجب البيومى

وعد الآخرة ومصير بنى إسرائيل

للأستاذ عبد الرحيم فوده

طالع القراء فى باب (أنباء وأراء) بهذه المجلة فى العدد الماضى ما لاحظه الدكتور العالم الفاضل الأستاذ محمد أحمد الغمراوى على ما كتبته (١) من تفسير قوله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » .

فقد رأيت من خلال هذه الآيات ـ لا من خلال الروايات المضطربة التى ذكرت فى كتب التفسير ولا من خلال كلام القس (توماس شين) الذى استشهد الدكتور بمقاله عن إسرائيل ــ أن المرة الأولى هى التى ينتهى فيها أمرهم وأمر فسادهم ؛ بأن يسلط الله عليهم عبادا يشرفون بعبادته والانتساب إليه ــ كما يفهم من قوله « عبادا لنا » ــ ويعرفون بقوة البأس ، فلا يجرؤ بنو إسرائيل على مقاومتهم أو مناهضتهم أو معارضتهم أو الوقوف فى سبيلهم ؛ بل يخلون لهم الطرق ليتجولوا ويتنقلوا خلال ديارهم كما يفهم من قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » ، ثم خلصت من مجموع الصفات التى وصف الله بها هؤلاء للعباد ، ومن واقع التاريخ الذى لا يختلف فيه اثنان أن المراد بالعباد الذين بعثهم الله على بنى إسرائيل فى المرة الأولى هم العرب المسلمون ، لأنهم الذين يعبدون الله ويشرفون بالانتساب إليه . كما يفهم من قوله تعالى « عبادا لنا » ، ولأنهم كانوا كما وصفهم الله بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » وقوله : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » فهم ينطبق عليهم قوله : « أولى بأس شديد » ثم لأنهم ــ من واقع تاريخهم مع بنى إسرائيل ــ جاسوا خلال الديار ، فأجلوهم عن جزيرة العرب إلى الشام ، ثم أجلوهم كذلك عن القدس ، كما يفهم من الوثيقة التى كتبها عمر رضى الله عنه لأهل بيت المقدس ، فقد جاء فيها بعد تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم : « ألا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود » وقلت فيما كتبت إن قوله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر

---

(١) فى كتيب (صوت الأزهر فى المعركة) .

نفيرا ، يؤكد أن المراد بهم العرب المسلمون لأن اليهود لم تكن لهم كرة على الفرس ، ولم يعرف لهم موقف مع الفرس يفهم منه ذلك ، وإنما كانت الكرة على العرب والمسلمين بمعونة الاستعمار وجهود الصهيونية ، وهذا ما يشهد به واقعهم فى فلسطين ، فقد كثرت أموالهم وكثر بنوهم ، واستطاعوا بحيلهم وأموالهم أن يخدعوا العالم ، ويشتروا الذمم ، حتى صاروا مع من ينصرونهم وينفرون معهم ويظاهرونهم على حرب العرب والمسلمين أكثر نفيرا .

وقد لاحظ الدكتور على هذا الجانب من البحث أننى طبقت هذه الآيات على إسرائيل فى العصر الحاضر ، مع أنها فى رأيه - تنطبق على إسرائيل فى الماضى ، ولم يسق دليلا يوثق به فى الاستشهاد على صحة ما ذهب إليه ، وسنعرض ما قاله مصحوبا بما نلاحظه عليه فيما يلى :

أولا - قال : إن الكتاب فى قوله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب » هو الكتاب المذكور فى الآية (٢): «وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا » ، كما يدل عليه السياق وتجاور الآيتين ، فالمقصود بالكتاب فى الآيتين التوراة ...

وهذه الملاحظة لا محل لها لأننى لم أتعرض فى البحث لبيان المراد من الكتاب .

ثانيا - قال : إن فساد بنى إسرائيل فى الأرض فى المرة الأولى هو عصيانهم أمر الله لهم « ألا تتخذوا من دونى وكيلا» وعبادتهم (بعلا) على شكل ثور وضعوه فى الهيكل وزعموا أنه رمز لعبادة (ياهو) كما ذكر القس توماس شين فى مقاله عن إسرائيل .

وهذا خطأ واضح كنت أرجو ألا يقع فيه الدكتور لجلال علمه ودينه وخلقه ، لأن بنى إسرائيل وقعوا فى الوثنية قبل هذه المرة عدة مرات . كما يفهم من قول الله فيهم بعد خروجهم من البحر : « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » ، وقوله فيهم : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » وقوله فيهم : « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » ، وقوله فيهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، أما عبادة الصنم (بعل) فقد ذكرها الله حيث يقول عن إلياس : « وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين » .

ونخلص من ذلك بأن عبادة (بعل) ليست هى المرة الأولى فى الفساد ، إذا فسر الفساد فى الأرض بعبادة غير الله ، مع أن الفساد فى الأرض إنما يراد به الفتن والدسائس وإثارة الحروب وما يتصل بذلك مما يطلق عليه اسم الفساد فى الأرض .

كما يفهم من قوله تعالى فيهم: «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين» وقوله فيهم: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض» فإن ذلك يفهم منه أن الفساد فى الأرض شىء آخر غير فساد عقيدتهم وعلاقتهم بالله.

وقد ذكرت فى البحث أن الفساد فى بنى إسرائيل داء أصيل لم ينجح الأنبياء فى علاجهم منه. وأن الفساد المراد من قوله تعالى: «لتفسدن فى الأرض مرتين» ليس هو الفساد العام الذى عرف عنهم وعرفوا به فى كل طور من أطوار حياتهم، وإنما هو فساد كبير لا يقاس به غيره، ولهذا خصه الله بالذكر وأكد أنه سيحدث منهم مرتين يستفحل فيهما أمره وشره حتى لا يقاس به غيره. المرة الأولى بينتها بمعونة القرائن والاسترشاد بالنص القرانى والواقع، والمرة الثانية هى مافعله ويفعله بنو إسرائيل الآن؛ فقد استشرى شرهم وتفاقم خطرهم، وأصبحوا مع دول الاستعمار حربا على كل القيم والفضائل الإنسانية، ومن ثم نلمح مصيرهم فيما يفهم من قوله تعالى: «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا» فإن هذا يعنى أن الذين سلطهم الله عليهم فى المرة الأولى هم الذين سيمكنهم منهم فى المرة الثانية — لأن مرجع الضمير واحد وهو يعود على الذين بعثهم الله عليهم أول مرة، فجاسوا خلال الديار ثم كانت لبنى إسرائيل الكرة عليهم، وهم العرب المسلمون؛ فقد دخلوا المسجد أول مرة فى عهد عمر رضى الله. ثم غلبوا ووقع المسجد فى أيدى بنى إسرائيل الآن. وسيدخلونه كما دخلوه أول مرة كما يقول الله، ويدمرون ما يقع تحت أيديهم وما يتمكنون منه فى هذه الأرض كما يفهم من قوله تعالى: «وليتبروا ما علوا تتبيرا».

ثالثاً - قال: إن اليهود لم يكن لهم فى القدس دولة ولا سيطرة حين دخله عمر رضى الله عنه إذ كانت قوة اليهود قد ذهب الله بها على أيدى الصحابة فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وهذه الملاحظة تفقد قيمتها إذا ذكرنا أن اليهود كانوا قوة خطيرة فى أول العهد بالإسلام، فقد كانوا يتأهبون لإقامة ملك ودولة، وكانوا يستفتحون على الذين كفروا كما يقول الله، بل لقد كانوا يستخفون بالعرب، ويرون فى أنفسهم قوة أخطر وأكبر منهم، وليس أدل على ذلك من قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن عاد بالنصر من غزوة بدر: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم. والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس.

ثم إنى لم أقل فى بحثى إنهم كانت لهم دولة، وإنما ذكرت أنه تم فى عهد عمر فتح بيت

المقدس وإجلاء اليهود عنها ، كما بينت ذلك فى الوثيقة التى كتب فيها عقد الصلح ، ونص فيها على ألا يسكن فى القدس أحد من اليهود فقد كان ذلك الإجراء استجابة لرغبة السكان، مما يدل على أنه كان لليهود نفوذ فى القدس لم يستطع أهلها أن يتخلصوا منه إلا بفتح المسلمين لهذا البلد .

رابعاً ـ قال سيادته : إننى لم أذكر ماذا كان إفساد اليهود فى الأرض أول مرة حتى انتقم الله منهم على يد عمر وأصحابه رضى الله عنهم مع أن هذا ركن لابد من استيفائه فى الاستشهاد ...

وردى على ذلك أن : الحديث عن إفساد اليهود فى الأرض وفتنذاك لا يتسع له كتاب وحسبنا أن نشير إلى الفتن التى كانوا يثيرونها بين الأوس والخزرج فى المدينة ، ونقضهم للمحالفة التى عقدها النبى بينهم وبين جميع سكان المدينة ، وتحريضهم المشركين على حرب المسلمين، ومؤامرتهم لقتل النبى ، وكان إفسادهم فى بلاد الشام وفتنذاك كإفسادهم فى بلاد العرب، حتى لقد أباد هرقل منهم عدداً كثيراً فى الوقت الذى كان يهود بنى قريظة يلقون جزاء غدرهم بالمسلمين قريباً من المدينة.

خامساً ـ قال سيادته : إن الله لم يمن فى القرآن كله ولا مرة على اليهود بإظهارهم على المسلمين، وإرجاع ضمير الغائب فى قوله تعالى: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» إلى المسلمين ينقض هذه الحقيقة مع كثرة ما فى القرآن العزيز من وعيد شديد لليهود ، ووعد مؤكد للمسلمين بالظهور ..

وردى على هذه الملاحظة : أن الله لم يذكر ذلك فى معرض المن على إسرائيل ، وإنما ذكر ذلك فى معرض الإخبار بما سيقع عليهم ولهم ، وقد قال تعالى فيهم « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » وقال فى المسلمين « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

سادساً : قال : إن الاستئناس بالتشابه فيما وصف الله العباد بالبأس الشديد فى قوله : « عباداً لنا أولى بأس شديد » ووصفه الصحابة بأنهم أشداء على الكفار فى الآية الكريمة : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار .. » استئناس يدفعه وصف غير المسلمين بالبأس الشديد فى قوله تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » .

وردى على هذه الملاحظة : أننى لم اكتف بهذا الوصف لتعيين الموصوف ، وإنما ذكرت عدة أشياء تدل مع هذا الوصف على تعيين الموصوف ، وهى ما يفهم من قوله تعالى : « عباداً لنا » وقوله : « فجاسوا خلال الديار » وقوله : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » ثم قوله : « وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة » . فإن كلمة المسجد تكاد تكون حقيقة عرفية ـ لا لغوية ـ فى مكان الصلاة والعبادة للمسلمين ، بدليل التغاير

الذى يفهم من قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » ولم يعرف المسجد الأقصى قبل الإسلام باسم المسجد ، وإنما كان يعرف باسم الهيكل أو المحراب كما يفهم من قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم » .

سابعاً - قال سيادته : إن قوله تعالى : « عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا » فيه شبه وعد لليهود أن يرحمهم الله بعد ظهور المسلمين عليهم هذه المرة ، لو صح أن المسلمين هم العباد المقصودون فى المرتين ، أو حتى فى ثانيتهما ، لكن الحديث الشريف المروى بالمعنى آنفاً يدل على استئصال اليهود من فلسطين ولا ينبغى أن نفهم بعض الآيات على وجه لا يتفق مع الحديث الصحيح .

وردى على ذلك : أن الرحمة المرجوة لهم فى قوله تعالى : «عسى ربكم أن يرحمكم » بعد انتصار المسلمين عليهم ، قد تفهم على معنى خضوعهم للإسلام والمسلمين ، فإنه رحمة من الله للعالمين ، ولأهل الكتاب فى ظله ما للمسلمين كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم :(لهم مالنا وعليهم ما علينا) وقول الله تبارك وتعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

أما الحديث الذى ذكره سيادته فلم يرد فيه اسم فلسطين ، ولم يذكر فيه ما يدل على الاستئصال ، وإنما هو كما أورده سيادته : (تقاتلون يهود وتنصرون عليهم حتى ليقولن الحجر - وراءه اليهودى - : يا مسلم : ورائى يهودى فتعال فاقتله) فإن غاية ما يفهم منه نصر المسلمين على اليهود لا استئصالهم ، وأنهم سيختبئون وراء الأحجار والصخور أو الحصون ، فلا تخفيهم الأحجار والحصون عن أعين المسلمين وأسلحتهم .

* * *

هذه هى الملاحظات السبع التى أوردها الدكتور على ما كتبته فى (وعد الآخرة ومصير بنى إسرائيل) ، قصدت بالرد عليها أن أضيف إلى ما كتبته فى هذا الموضوع ما يوضح وجهة نظرى ، ولم يجل بخاطرى أن أتطاول إلى مقامه العظيم فى نفسى ونفوس القراء ، فإنه عالم له مقامه السامى فى مجال العلم ، وأديب له مكانتـــه العالية فى مجال الأدب ، ومسلم له جهاده الطويل فى الدفاع عن الإسلام ، ثم هو ذخيرة من الفضائل الخلقية تضعه فى القمة الرفيعة من مراكز القيادة والتربية والتوجيه ، بارك الله فى حياته، وأطال عمره ، وزاد نفع المسلمين به ؟

عبد الرحيم فودة

أبعاد معركة لها ما بعدها

للأستاذ محمد النادي البدري

— ٣ —

أحسب أن محتوى ذلك العنوان لم يعد خافياً على أحد من عامة الناس فضلا عن خاصتهم ، فأجهزة الصحافة والإذاعة وكل وسائل الإعلام لا تزال تبدئ وتعيد فى توضيح الحقائق وإلقاء الأضواء على المعميات ، وتعرض من حين إلى حين وجهات النظر المختلفة حول الوجود الإسرائيلى وأهدافه ، وعلاقته بالاستعمار العالمى وغاياته ، ومقصد العدوان المشترك ومرماه ، ودور السياسة الأنجلو أمريكية فى الأحداث التى تجتاح المنطقة العربية .

كذلك ... لا تزال الجماهير العربية والإسلامية تسمع من وقت إلى آخر آراء الكتاب والمعلقين السياسيين ، سواء من يميل منهم على العرب كل الميل تعصباً وحقداً ، يتجنى على حقهم كل التجنى انتقاماً ومقتاً ، أو من ينتصر منهم للحق والعدل إيماناً بالحق والعدل ، على قلة المنصفين فى زحام التحيز المسعور والكذب المأجور ، والإمكانيات الدعائية للصهيونية والاستعمار .

وإذا كان محتوى ذلك العنوان على هذه الصورة من الوضوح ، فإن أوضح من ذلك أن الأمة العربية تعيش معركة المصير ، وأننا خسرنا الجولة الأولى فى هذه المعركة عسكرياً وسياسياً ، مهما تكن أسباب الهزيمة وظروفها ... وأن القضاء على آثار هذه الهزيمة واجب محتوم لامفر منه إلا بالموت ولا منازعة فيه إلا أن يكون الرضا بالدنية ، وأن مسئولية القضاء على آثار ذلك العدوان تقع تبعاتها على الأمة العربية كلها ... وأن الحكام العرب مسئولون أمام الله والتاريخ عن مصير هذه الأمة .

تلك قضايا سلمت بها الكثرة الغالبة ، ومن واجبها أن تسلم ، مادام الخطر محدقا ، وقوة غربية تحتل من أرض العرب جزءاً ، ومادام الحقد العنصرى الصهيونى يستحل دماء الأبرياء من الشيوخ والولدان ... وما دام الاستعمار الأنجلو أمريكى يستبيح ما حرمته شرائع الله وأنظمة البشر .

وإذا كانت الأكثرية الغالبة سلمت بهذه القضايا فإن قلة قليلة من الناس لا تكتفى بعرض القضايا دون التدليل عليها والتأكد من

سلامتها ، ومن حق هذه القلة أن تطالب وأن تقتنع - اقتراضاً لحسن النية وسلامة القصد - ما لم يكن مطلبها شططاً ، وما لم يكن هدفها جدلا يبعد بالقضية العربية عن مسيرها النضالى .

وقد عرضنا من قبل - فى مقالين - للتدليل على هذه القضايا ، وانتهينا إلى عدة حقائق نجملها بعد ... وهى : -

● أن المعركة التى فرضت على الأمة العربية ، والمعارك التى لا تزال فى ضمير الأيام ، ما كانت ، ولن تكون إلا من صنع الدول الاستعمارية صاحبة المطامع فى المنطقة العربية .

● وأن الاستعمار بزعامة أمريكا هو الخصم الألد والعدو الأصيل الذى تجب مقاومته والتصدى له .

● وأن قوة المعسكر الاستعمارى - بزعامة أمريكا - لن تكون عامل إرهاب قدر ما تكون حافزاً على العمل ، وسبباً فى تحرر المنطقة وازدهار الحياة على أرضها .

● وأن ثروات الأمة العربية واستثمار خيراتها عامل فعال فى توفير عدة الحرب التى يملكها العدو ، وأن قبض هذه الثروات عنه يضعف شوكته ويستل أنيابه ، ويقلم أظفاره .

● وأن النصر فى هذه المعارك مرهون بوحدة العمل العربى وحشد كل الطاقات لمعركة النصر إن شاء الله .

● وأن الحكومات العربية ليس بجائز أن تتخلى عن واجبها فى خوض معركة المصير ، برغم ضباب الخلافات .

هذه حقائق عرضنا لها ، وذكرنا بها ، لا لأنها غائبة عن التفكير والتقدير ، بل لأنها لم تصبح بعد واقعاً وعملا ، ويجب اليوم أن تكون واقعاً وعملا . . .

هى حقائق فى التصريحات الرسمية . ورسائل الدواوين ، والبيانات المشتركة ، ولكنها أبعد ما تكون عن الواقع العملى فى تخطيط السياسة والاقتصاد والثقافة .. وكل مجالات الحيـاة .

وعرض الحقـائق وتسجيل الأحداث ورصد الظواهر يعين على لفت الأنظار وبعث الأفـكار . . . وهذا يدعونا إلى أن نضع نصب العين بعض الظواهر التى كشفت عنها المعركة السياسية فى الأمم المتحدة من زاوية نشـاط مصر السياسى فى المنظمة الأفريقية ، والأفروآسيوية ودول الحياد

الإيجابى ، فإن الدور الذى قامت به فى إنشاء هذه المنظمات ، والتضحيات التى قدمتها للدول النامية ، والدول الحديثة العهد بالاستقلال... هذا الجهد كان مفروضا أن يعطى العمل السياسى داخل الأمم المتحدة النتائج التى صدم بها الرأى العام ، وهزت كيان الأمم المتحدة ، وهى المنظمة التى كان لها فضل لا ينكر فى تحقيق أمانى الشعوب التى استقلت ، واتخذت بين مقاعد الدول مكانا ، وصار لها فى المشكلات الدولية رأى . . . ولكنها تنكرت للميثاق الذى أنصفها ، وكفرت بنعمة العمل الإنسانى وهى إحدى ثمراته .. !!

من هذه الظواهر :

كينيا : وهى إحدى دول عدم الانحياز التى شاركت فى تقديم المشروع المنصف لقضية العرب .. لماذا امتنعت عن التصويت عليه ... ؟ ! !

أثيوبيا : وهى دولة بارزة فى منظمة الوحدة الأفريقية . . . لم أعطت صوتها ضد مشروع دول عدم الانحياز .. ؟ وبماذا نعلل موقف مندوبها فى مجلس الأمن . . . ؟

الكونغو كنشاسا : ما الدافع وراء مخالفة مندوبها تعليمات حكومته ، فلم يقترع لصالح المشروع الباكستانى بإلغاء كافة الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لضم القدس إليها ... ؟

ألبانيا : إحدى دول المعسكر الاشتراكى لماذا لم تشترك فى التصويت على مشروع دول عدم الانحياز وشذت عن دول المعسكر .. ؟

هذه الظواهر تدعونا إلى تسجيل ظاهرة أخرى ذات دلالة ومغزى .. هى أن الدول الإسلامية — بلا استثناء — وقفت إلى جانبنا ، وناصرت قضيتنا ، لم تشذ واحدة منها ، برغم وجود خلاف فى وجهات النظر ، وبرغم ارتباط مصالح بعضها بالدول التى ساندت العدوان .

قد يكون تفسير الظواهر الأولى من اختصاص السياسيين والدبلوماسيين ، ولكن تفسير الظاهرة الأخيرة - إن كانت فى حاجة إلى تفسير - هى ضمير كل مسلم وعقيدته ، لأنها ليست ظاهرة بقدر ما هى حقيقة ... ؛ ذلك أن للعقيدة الإسلامية قوة توثق الرابطة ، وتحكم الصلة بين المؤمنين بها ، وتنمى فيهم معانى أضمن فى الالتزام بالمواثيق من القانون ، وأثبت من المعاهدات ، لا تملك الحكومات التحلل منها ، ولا الخروج عليها لأنها تكفل عقاب الخارجين بما هو أقسى من عقوبات التشريع وروادع القانون .

ومن هنا كانت حتمية التذكير والتكرير فى تفسير المواقف والظواهر ، وبخاصة فى هذه الفترة التى تعيد فيها الأمة العربية تقييم

علاقاتها الدولية ، وتحديد من معها ومن عليها وتعرف الأصدقاء من أدعياء الصداقات .

وبعد ... فيبقى بعد وضوح أبعاد المعركة طبيعة العمل الذى ترتقبه الشعوب ، وكيفية العمل التى تكفل له النجاح ...

فما بعد المعركة لن يكون درسا يسجل ولا عظات تستذكر .. فذلك تاريخ .

ولن يكون اجتراراً لمرارة الهزيمة، ومضغا لصابها وعلقمها ... فتلك سلبية .

ولن يكون بكاء أطلال ونعى ضحايا وترحما على شهداء ، وتوعدا بثأر ... فذلك ليس وقت الشعر ، ولا يعقل أن يكون انتحالا للأعـــذار وسخطا على الأقدار ... فذلك عجز ويأس .

إن ما بعد المعركة يتحتم أن يكون عملا عربى النسب ، إسلامى الدافع والهدف . عملا بعيد المدى عميق الأثر يرقى على ظروف الأزمـة ، ويتخطى دواعى الضرورة . لا تفرضه رهبة من خطر ، ولا تدفع إليـه أثارة من حرص ، وإنما يدفع إليه إيمان بأن : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله» وأن : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» تحقيقاً لهدف عربى إسلامى هو صيانة الكيان من أن يهدد ، والمصير من أن يبـــدد ، والكرامة من أن تهدر ، والمقدسات من أن تنتهك ...

وأن تكون الوسيلة إلى ذلك أولا تصفية الجو العربى والإسلامى من سحب الخلافات وضباب المنازعات ؛ فيتناسى الملوك والرؤساء زهو الرياسات ونشوة السلطان ؛ وأبهة العروش وبريق التيجان ، ولا يذكرون إلا أمرا واحدا هو الأمانة التى حملوا عن الأمة تبعاتها ، وبعـد ذلك لديهم من الوسائل والإمكانيات والطاقات ما يضمن لهم مجـدا لا يزول .

ولعل فى اجتماعات وزراء الخارجية فى الخرطوم ـ وقد كانت ضيـاء فجر صادق واجتماعات وزراء المال والاقتصاد والبترول فى بغداد ، وهى الأخرى وضعت ـ على الطريق ـ الأقدام إلى اجتماع قمة وجهت السودان الدعوة إليه ـ لعل فى هذا جميعاً بداية طيبة تجمع العرب على كلمة سواء ، وتبشر بعمل جديد إلى عالم إسلامى متحد الكلمة ، موصول الأسباب .

إنه أمل ... وعلى الله تحقيق الآمال ؟

(تمت)

محمد الهادى البدرى

مايقال عن الإسلام

الإسلام والمسلمون فى العصر الحاضر

للأستاذ پيير روندو

عرضه وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

L'Islam et les Musulmans d'Aujourd'hui
par. Pierre Rondot

(كتاب فى جزأين : الأول ١٩٥٨ ، والثانى ١٩٦٠ — الطبعة الثانية ١٩٦٥)

دراسة جادة عميقة عريضة دقيقة عن الإسلام فى العصر الحاضر ، أو الإسلام والمسلمون اليوم . وإذا كان الكتاب يؤخذ من عنوانه ، فإن تحديد العنوان يؤذن بما يدور فى داخل الكتاب . ذلك أن بعض المستشرقين يصفون الإسلام فى العصر الحاضر بأنه « الإسلام الحديث » moderne ، كما فعل الأستاذ « جاك رسلر » الذى تحدثنا عن كتابه فى المقال السابق . والإسلام ديناً لا يقال : إنه قديم أو حديث ؛ لأن عقيدته وعباداته لم يتغير شىء منها ، ولا يمكن أن يتغير منذ أنزل الإسلام على محمد حتى اليوم . دين توحيد يؤمن بإله واحد ، وقرآن لا مبدل لكلماته ، أنزل على نبيه محمد ليبلغ الرسالة ويؤدى الأمانة . ولا يزال القرآن قائماً بين المسلمين يقرءونه ويتلون آياته ، كما أنزل .

ولما كان القرآن أساس الإسلام ، وكان مرجعاً للمسلمين اليوم كما كانوا يرجعون إليه فى الصدر الأول ، فلا جرم أن يقال: إسلام حديث أو قديم . وإنما الذى يمكن أن يقال هو الصورة التى يسلكها « المسلمون » فى العصر الحاضر ، كيف يفهمون الإسلام ؟ وكيف يتدخل فى حياتهم ، ويشكل سلوكهم ، ويؤثر فى أعمالهم؟ ولذلك كان العنوان الذى اصطنعه الأستاذ « پيير روندو » لكتابه أدق وأدل.

اتبع المؤلف فى تصنيف كتابه خطة تختلف عن تلك التى اتبعها (جاك رسلر) الذى كتبنا عن كتابه فى العدد السابق ، والذى أدخل الاقتصاديات فى اعتباره ، وجعلها المحور الذى يدور عليه الكتاب . أما (پيير روندو) فيمكن القول : إن الأساس الذى يعتمد عليه الكتاب بجزأيه هو « الجماعة » الإسلامية ، ويسميها

بالفرنسية Communaute . وهو اصطلاح يصعب نقله بالعربية ، ولك أن تقول الجماعة ، أو المجتمع ، أو الملة ، أو «الأمة» . وقد أورد المؤلف هذا المصطلح الأخير مقابلا للمصطلح الفرنسى . والأمة مصطلح قرآنى ، كما قال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . ولسنا بصدد بحث « الأمة » والمقصود منها فى القرآن الآن ، ولكن يكفى أن نأخذ فى الاعتبار أن الإسلام منذ ظهوره ، وانتشاره ، وتكوين الدول الإسلامية ، لم يكن « المسلمون » هم الجماعة الوحيدة فى داخل الدولة ، بل كانت هناك جماعات أخرى ، من «ملل» أخرى ، وبخاصة النصارى . وقد تكون « الأمة » هى الجماعة الإسلامية فى داخل دولة واحدة ، ولكن الأغلب أن المقصود من الأمة الإسلامية جماعة المسلمين كلهم فى عصر من العصور فى شتى أنحاء الأرض . وقد يسمى المؤلف هذه «الجماعة» باسم «العالم الإسلامى» أو « الجماعة الإسلامية العالمية » حتى لا ينصرف الذهن إلى جماعة معينة ، أو جماعة فى داخل دولة . لذلك جاء الباب الأول كله بحثا فى المظاهر الحاضرة للجماعة الإسلامية (أو الأمة الإسلامية) استعرض فيه المظاهر الجغرافية والتاريخية استعراضاً سريعاً . فالمسلمون فى العالم فى الوقت الحاضر يشكلون «حزاما» عريضا يمتد من غرب إفريقيا إلى أندونيسيا فى أقصى الشرق ، ومن واجب الباحث أن يدرس طبيعة سكان هذه المناطق وعددهم على وجه التقريب . لقد ذكر المؤلف أرقاماً تقريبية ، ولكنها فى نظرنا أقل من الحقيقة . والواقع أن عدد المسلمين بالضبط فى العالم كله اليوم أمر مختلف عليه ، ويميل الغربيون إلى تقليل عددهم .

ثم استعرض المؤلف استعراضا سريعا المد والجزر التاريخى للإسلام ، حتى أصبح مستقراً اليوم فى البـــلاد التى يوجد فيها ، كما استعرض كذلك مظاهر الوحدة والتفرقة فى العالم الإسلامى .

قلنا : إن المؤلف اعتمد على الناحية الاجتماعية وجعلها محور بحثه ، وهذا لا يعنى أنه أغفل الجانب الدينى ، على العكس ، فإنه قسم البحث إلى ثلاثة مستويات : الأول الدينى ، والثانى الاجتماعى ، والثالث السياسى . ولكن بحثه للدين متأثر بالمظاهر الاجتماعية ، كما سنبين فيما بعد .

يقول ـ المؤلف وهو على صواب ـ : « إذا وجب أن نصف الإسلام بكلمة واحدة تعبر عن العواطف العميقة التى تثيرها فى نفوس المسلمين ، فلا نزاع أن نختار هذا المصطلح « التوحيد » أو الوحدة الإلهية ، أو بالضبط

ما يطلق عليه المسلمون التوحيد . هذا التوحيد الذى ينعكس فيوحد العالم ، عبارة عن مفهوم يسترشد كتابا سماويا واحداً هو القرآن المنزل على النبي محمد . هذه السطور القليلة تتضمن جوهر ما يحتويه الإسلام الذى لا تزال فعاليته حتى اليوم تأخذ بالألباب » .

ومن الواضح أن الفكرة التى تسود الكتاب أن الإسلام دين ودنيا ، نظام روحى وزمنى فى آن واحـــد ، على عكس المفهوم السائد فى الدول الغربية من الفصل بين الكنيسة والدولة .

وقد جاء ذلك فى الإسلام من كتابه السماوى وهو القرآن الذى يفصل السلوك الذى يجب أن يسير عليه المسلمون فى حياتهم الدنيوية ، السلوك السياسى والأخلاق بل والاقتصادى والثقافى، والذى يوصلهم إلى السعادة الأخروية. فالدين الإسلامى متغلغل فى حياة كل مسلم من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وبذلك يطبع جميع المسلمين بطابع واحد ، فيوحد بين « الجماعة » الإسلامية .

وحدانية مطلقة ، مفصلة فى قرآن ثابت نزل على النبي محمد، هذه هى المصادر الثلاثة للإسلام ، والتى خصص المؤلف لكل منها فصلا ، هى جملة الباب الثانى . الحق لا خلاف بين المسلمين على الوحدانية ؛ فإن عنوان كل مسلم النطق بالشهادتين ، شهادة : ألا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . ولكى يوضح المؤلف فكرة الوحدانية فى نظر القراء الغربيين ، عقد فصلا خاصاً للموازنة بين المفهومين الإسلامى والمسيحى عن الله ، ذكر فيه العقيدة المسيحية عن التثليث والتجسد معترفاً بأن المسلم لا يستطيع أن يتصور الله تعالى بالأقانيم الثلاثة .

وكما وازن المؤلف بين الفكرتين الإسلامية والمسيحية عن الله ، وازن كذلك بين النظرتين الإســـلامية والمسيحية عن محمد . وليست النظرة الإسلامية عن النبي واحدة، وإنما هى نظرات مختلفة : محمد كما هو مصور فى القرآن ، ومحمد كما هو مصور فى السير النبوية ، وكما يصوره الكتاب المحدثون المعاصرون ، ومن الطبيعى والمؤلف مستشرق مسيحى ألا يعترف بنبوة محمد ، وإلا أصبح مسلماً ، ولكنه كمؤرخ منصف يذكر شتى المصادر ؛ فقد كان المسيحيون فى القديم ،فى العصور الوسطى ، يزعمون أن محمـــداً عليه السلام من أدعياء النبوة وأنه كان مصاباً بنوبات صرعية . «ولكن الاتجاه فى الغرب اليوم يميل إلى اعتباره رجلا صادقا ، صحيحاً وليس مريضاً . ومع ذلك فغير المسلم لا يستطيع أن يفسر إلهام النبى إلا باستبعاد كل تدخل من الوحى الإلهى » ص ٨١ . وبإزاء وجهة النظر الغربية ، نجد

وجهة النظر الإسلامية التي تعتقد في نبوة محمد، وفي أن القرآن قد أوحى إليه من عند الله ، وفضلا عن ذلك فإن وجهة النظر الشعبية قد تسامت بشخصيته وجعلت منه « قديسا » يجب اتباع سنته . ويذهب المؤلف إلى أن هذا التفسير الاجتماعي الحديث ذو أهمية خاصة لكل من يحاول فهم حياة المسلمين في الوقت الحاضر .

ومن أطرف ما كتب المؤلف وهو يختتم الفصل الرابع عن « محمد خاتم النبيين » ، والذي يقع من صفحة ٧١ إلى ٨٤ ، بحث عن « المولد النبوي » في ثلاث صفحات . والبحث في موضعه ما دام المؤلف يكتب في ضوء الناحية الاجتماعية ، وبيان أثر الإسلام في حياة المسلمين .

فالمولد كظاهرة اجتماعية قد استحدث بعد عدة قرون من ظهور الإسلام ، وفي القرن الثامن للهجرة صدرت فتاوى بتحليله كما صدرت أخرى بأنه « بدعة » . ولكن منذ ذلك الحين درج المولد على أن يكون جزءاً لا يتجزأ من الحياة الإسلامية ، وقد تطور المولد في معظم أنحاء الدول الإسلامية في الخمسين سنة الأخيرة ، وقد ذكر المؤلف أطرافا مما يجري في لبنان وتونس وبعض الدول الأخرى .

وإذا كان المسلمون يلتفون حول شخصية الرسول يقتدون به ويتبعون سنته ويتخذون منه مثلهم الأعلى ، فإن القرآن هو كتابهم الواحد الوحيد ، الذي يهتدون به ، ويوحد بينهم ، ويجعل منهم (أمة) أو جماعة واحدة .

ويقع الفصل الخامس في ثلاث عشرة صفحة (من ٨٦ إلى ٩٩) لا غير ، ولكنه فصل مركز ، يسير على المنهج الاجتماعي الذي التزمه المؤلف ، تحدث فيه عن أمور ثلاثة :

الأولى : القرآن شكلا وموضوعاً .

والثاني : القرآن ، نزوله وترجمته وتفسيره .

والثالث : القرآن في حياة المسلمين .

وكل موضوع من هذه الموضوعات يحتاج إلى كتاب برأسه لتوفيته حقه ، ومع ذلك فالإشارة تغني عن طول العبارة .

يعتقد المؤلف أن القرآن إجمالا لا يمكن تقديره حق قدره إذا قرىء مترجما إلى لغة أجنبية ، ويبدو أنه يعتقد كذلك أنه لا يترجم ، ولو أنه لم ينص على ذلك ، ولكنه في صفحة ٩٧ نقل عن مؤلف باكستاني [1] له كتاب عن محمد ، ويرى أن الآيات من سورة الرحمن وهي « رب المشرقين ورب المغربين ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ،

---

(١) الأستاذ عبد الحق فيديارتي ، في مقال بمجلة (إسلاميك ريفيو) أكتوبر ١٩٥٦ ، « القرآن ، بمناسبة مفهوم قنال السويس » .

مرج البحرين يلتقيان .. » تنبىء عن قنال السويس وحفره. نقول: لم تعجبه الترجمة الباكستانية، وأورد ترجمة بلاشير الفرنسية فى الهامش، قائلا: «وهكذا نرى إلى أى حد يمكن أن تختلف الترجمات للقرآن، وبخاصة عندما يريد أحد المفسرين استخلاص قضية معينة».

ونحن نرى أن ترجمة بلاشير أو أى ترجمة أخرى لا يمكن أن تسمو إلى مرتبة القرآن فى لغته العربية التى أنزل بها، والرأى عندنا أن القرآن لا يترجم، ولا ينبغى أن يقوم بذلك المسلمون، وبخاصة الهيئات الرسمية، خشية الاستقلال بالترجمات، وتحريف القرآن، وهو ما يقصده المستشرقون. فعلى الرغم من حيـــاد المؤلف وموضوعيته الواضحة خلال الكتاب، إلا أنه جانب الصواب عند الكلام عن جمع القرآن. فبعد أن ذكر قصة جمعه من الرقاع والكتف والصدور وتكليف زيد بن ثابت كتابة مصحف، وما أمر به عثمان من كتابة أربعة مصاحف وزعت على الأمصار، قال: «إن هذا النص - يريد مصحف عثمان - لم يتم جمعه بغير نقد ينصب على إيثار هذا القارىء أو تفضيل هذه القراءة. من أجل ذلك ظهرت فى الفرق التى نبغت فى الإسلام، فرق الشيعة والخوارج، إضافات أو حذف...» (ص٩٠)

ولسنا ندرى أن هناك مصاحف شيعية تختلف عن مصحف عثمان، وبها إضافات أو آيات محذوفة، إنهـــا تهم يرميها المستشرقون ويحاولون إشاعتها بلبلة. أما القراءات السبع أو العشر، فهذه مسألة أخرى؛ وهى مما لم يتعرض لهـا المؤلف.

وسنعرض لمسألتين أشار إليهما المؤلف، هما الترجمة، والتفسير. وفيما يلى ما جاء خاصا بالترجمة:

أقدم ترجمة لاتينية هى تلك التى قام بها بيير دى كلينى Pierre de Cluny فى القرن الثانى عشر، ولكنها ترجمة رديئة، هدفها جدلى، والغرض منها الرد على الإسلام وبث نار الحماسة فى الصليبيين، وأول ترجمة فرنسية هى «قرآن محمد» نهض بها أندريه دى رويه André de Ryer سنة ١٦٤٧، ولكن أشهر ترجمة بقلم كازيرمسكى Kasimiriski، نشرت سنة ١٨٤٠، وأعيد طبعها عدة مرات. أما القرآن الذى طبع سنة ١٥٣٠ بمدينة البندقية فإنه سرعان ما أعدم بأمر سلطات الكنيسة. وكان ينبغى الانتظار حتى عام ١٧٨٧ حين أقدم مسلم من روسيا يسمى مولى عثمان على طبع القرآن بمدينة بطرسبرج، وتوزيعه على إخوانه فى الدين. ونسج الإيرانيون على منواله سنة ١٨٢٨؛ والأتراك سنة ١٨٧٧. ثم توالى القرآن المطبوع.

ولما كانت العقيدة الإسلامية ـ عقيدة أهل السنة والأشاعرة ـ أن القرآن كلام الله قديم غير مخلوق ، فقد تحرج المسلمون من ترجمته. وأول ترجمة «إسلامية» أى قام بها مسلم، هى التى نشرت فى «لاهور» سنة ١٩٢٠ وقام بها «مرزا أبو الفضل ومحمد على» . وفى سنة ١٩٢٥ قرر المجلس الوطنى بتركيا إصدار ترجمة تركية للقرآن ، وكان هذا العمل مثار نقد شديد بالقاهرة فى ذلك الحين ، وكتب رشيد رضا يقول فى المنار ما فحواه : إن تركيا الحديثة تريد باللغة العربية شرا ، كما تريد هدم الدين عن طريق تغيير كتاب الله . وأكد الشيخ محمد شاكر فى مقال له بجريدة المقطم سنة ١٩٢٥ أن ترجمة القرآن تلغى آخر علامة على الوحدة الإسلامية الباقية بعد إلغاء الخلافة.

وفى فبراير ١٩٥٥ ، احتجت جامعة القاهرة (لعل المقصود جامعة الأزهر) على تلاوة القرآن من راديو طهران باللغة الإنجليزية .

ونحن نقول : لقد كان يمكن أن نفهم إذاعة القرآن من راديو طهران باللغة الإيرانية ، حتى يتيسر لأفراد الشعب معرفة معانيه ، أما أن يذاع باللغة الإنجليزية ، فهذا هو الأمر الغريب المتناقض . ولا نزال نقول لا تترجموا القرآن ، لأن كلام الله لا يترجم ومن شاء أن يعرف الإسلام ويعرف القرآن ، فليتعلم اللغة العربية ، كما حدث منذ ألف عام .

والتفاسير الجديدة للقرآن بعضها اجتماعى وبعضها الآخر علمى . ولم يتتبع المؤلف ما صدر بالقاهرة من تفاسير خلال الخمسين عاماً الأخيرة ، مثل تفسير محمد عبده والمنار وتفسير طنطاوى جوهرى ، وتفسير المراغى وغير ذلك . ولكنه وقف عند التفسير العلمى الذى قدمه عبد الحق الفيديارتى ، والذى قدمنا طرفا منه ، والذى يصفه المؤلف بأنه صبيانى .

وللحديث عن هذا الكتاب بقية فى أعداد تالية ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

كتاب الشهاوى فى مصطلح الحديث

عرضه وتعليق : الأستاذ عبد الغنى سليمان
وكيل إدارة البعوث الإسلامية

أتيح لى أن أقرأ كتاباً فى مصطلح الحديث للأستاذ : إبراهيم دسوقى الشهاوى فتمثلت بقول الشاعر :

• وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر •

والحق أن صاحبه أخرجه فى وقت اشرأبت فيه أعناق الكثير متطلعة إلى ما يكشف لها سراب من ضل وأضل ممن ينادى بطرح سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونبذها . قائلا : فى كتاب الله بيان لكل شىء ، أو نائلا من أئمة الحديث ورواته ورميهم بالتفريط فى الحفظ والجمع ... الخ ما يقال مما لا سند لهم فيـــه إلا ما تلقوه من أفواه جند الشيطان .

كما ظهرت بعض المؤلفات يحمل فيها أصحابها على السنة ، ويشككون النـاس فى قيمتها وفى رواتهـــا سالكة طرق المستشرقين ومن تبعهم من أرباب العقائد الزائفة الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد استشرف طلاب الحق إلى ما يكشف القناع عنه بعد ماشوه جماله أصحاب الأهواء .

حتى جاء كتاب الشهاوى فى علم مصطلح الحديث بالحجة الدامغة فى هذا المضمار .

واستسمح القارىء الكريم فى كلمة قصيرة تتناول علاقة القرآن بالسنة أراها ميسرة لما أريد أن أقوله عن هذا الكتاب ، وماتمثلته فيـه :

إن القرآن الكريم إذا كان ينبوع الشريعة الإسلامية وفيضها الذى لا ينقطع مدده حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ فإن سنة رسولنـا صلى الله عليه وسلم مفتاح ذلك الكتاب الحكيم والنبراس الذى يهتدى به إلى كشف حقائقه والوقوف على دقائقه ؛ لأنها تبين مجمله كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وتوضح مشكله كما وضحت « الخيط الأبيض من الخيط الأسود » ببياض النهار وسواد

الليل فى آية الصوم وفيها تخصيص العام وتقييد المطلق كتخصيص الرسول الظلم بالشرك فى قوله تعالى : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » فقد فهم بعض الصحابة أن المراد : العموم حتى قال: أينا لم يظلم ؟! إلى غير ذلك مما لا يمكننا فهمه والاهتداء إليه بعقولنا لولا تبيان الرسول .

فضلا عن أنه قد ثبتت بها أحكام غير منصوصة فى القرآن ، ولولا هدى الرسول ما انكشفت لنا كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يبلغ الناس ما أنزل إليهم من ربه ، ويبين لهم ما نزل إليهم ، وكان فى تبيانه لا ينطق عن الهوى : « إن هو إلا وحى يوحى » ومن ثم أوجب الله طاعته وحذرنا معصيته قال تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وقد عرفت الصحابة رضوان الله عليهم وسلفهم الصالح قدر السنة ومكانتها فرعوها حق رعايتها ودونوا بعضها فى كتبهم ، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتحلوا إلى الناس يعلمونهم ما عرفوه وما حفظوه ، فكان لهذا أثره فى شيوع رواية الحديث وتعدد طرقه ، ولم يبق لأعداء الدين من فرصة إلا الكذب وبث السموم ، حتى اختلق الكثير منهم الأحاديث بروايات موهومة . وعندئذ فطن المسلمون للأمر فسدوا عليهم المسالك وشردوا بهم من خلفهم .

وما أوشك القرن الأول أن ينتهى حتى أمر الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث خوف دروس العلم وذهاب العلماء وهيأ الله جماعة من العلماء ندبوا أنفسهم لتخليص الحق من الباطل وأظهروا حيطة شديدة فى أخذ الحديث وتدوينه ورسموا قوانين للرواية ورتبوا درجات الحديث والمحدثين وأسسوا قواعد للجرح والتعديل فنشأت علوم الحديث المختلفة التى تكفلت بتوصيل السنة إلينا مشفوعة ببيان حالها ، ومنها علم مصطلح الحديث ويسمى بعلم أصول الرواية وهو علم فريد فى نوعه ، وله قوة فوق قوة المنهج العلمى الحديث ، ويبحث عن حقيقة الرواية من نقل الحديث وإسناده إلى من عزى إليه ، كما يبحث عن شروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات . الخ ما يتعلق بهذا العلم الذى كان له الفضل فى تعرف المقبول من المردود من الحديث ، وكان أول من صنف فيه : القاضى أبو محمد الرامهرمزى سنة ٣٦٠ ﻫ وتبعه كثير من العلماء ما بين منثور ومنظوم ومطول ومختصر ولكل وجهة فى تأليفه .

وجاء كتاب الشهاوى مستقى منها ، وسطاً بينها ، جمع فيه صاحبه قواعد هذا العلم

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

— ٩ —

شرح تراجم أبواب البخارى للإمام المحدث ولى الله الدهـــلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ .

قد اتفق علماء الحـديث على أن الإمام البخارى له فهم خاص ومذهب مستقل ورأى سديد فى الأحاديث النبوية وأودع ذلك فى ثنايا تراجم أبواب «صحيحه». وتلك العناوين التى يجعلها الإمام أمام كل حديث أو الأحاديث تعطى للدارس فكرة عن موضوع ذلك الحديث أو موضوع تلك الأحاديث . ولما كانت تراجم البخارى ذات فائدة عظمى بهذه المثابة ، وقد عز إدراك ما فيها من العلم الدقيق على كثير من المشتغلين بكتب الأحاديث من أهل هذا العصر ، جاء العالم الكبير والمحدث الشهير الشيخ شاه ولى الله الدهلوى . الذى أتحف طلاب العلم والنور بتصانيف عديدة ، كلها نافعة ومفيدة للنـاس ، ومنها «حجة الله البالغة» ، والذى ذاع صيته بين علماء الإسلام فى أنحاء العـالم ، برسالة عظيمة تشرح تراجم أبواب البخارى وتوضح غامضها وتفصل مجملها وتجعل فوائدها فى متناول الجميع ، وأنها لا يستغنى عنها كل مشتغل

(بقية المنشور على الصحفحة السابقة)

بأسلوب دون الإطناب وفوق الإيجاز ، وافياً بمقصده، متخيراً أرجح الآراء وأظهرها فى سلاسة عبارة واستقصاء بحث يجد فيه طلاب الحق مأربهم فتنشرح صدورهم وتطمئن قلوبهم إلى ما وصل إليهم من سنة نبيهم الكريم وينكشف لهم ما كان لها فى جميع العصور من منزلة رفيعة وعناية تامة ، كما يظهر لهم بطلان ما يراه المخدوعون من مبتدعة المسلمين وما يقوله ويكتبه المتفيهقون والناعقون من أصحاب الأقلام المسمومة فى هذا الزمان ، وفق الله علماء المسلمين والأستاذ المؤلف . للذود عن دينه والدفاع عن سنة رسوله وأثاب من سلك طريق الحق أجزل الثواب ؟

عبد الغنى سلطان

بصحيح البخارى ، متنا أو شرحا [1] .

تشتمل هذه الرسالة القيمة على مقدمة المؤلف وعلى أبواب البخارى — شرحا وتعليقا وتعقيبا واستنباطا — من باب « كيف كان بدء الوحى » إلى باب « قول الله: والله خلقكم وما تعملون » وقد جاءت المقدمة جامعة لكل ما يريد الدارس أن يعرفه عن الفنون التى صنف فيها علماء الحديث ، وكذلك أقسام تراجم أبواب البخارى وطريقته فى الاستنباط من الأحاديث النبوية مسائل كثيرة بصورة لم يسبقه فيها غيره ، وتعين هذه المقدمة أيضا على معرفة ما يأتى بشواهد الحديث من الآيات ومن شواهد الآية من الأحاديث ، حتى صارت بمثابة دليل كاشف لمن أراد أن يقرأ البخارى ويفهمه فهم وعى وإدراك .

وبدأ المحدث المحقق ولى الله الدهلوى رحمه الله مقدمة رسالته بقوله : « أول ما صنف أهل الحديث فى علم الحديث جعلوه مدونا فى أربعة فنون : فن السنة ، أعنى الذى يقال له « الفقه » مثل الموطأ للإمام مالك ، والجامع للإمام سفيان ، وفن التفسير ، مثل كتاب ابن جريج ، وفن السير ، مثل كتاب محمد بن إسحاق ، وفن الزهد والرقاق ، مثل كتاب ابن المبارك ، فأراد البخارى رحمه الله أن يجمع الفنون الأربعة فى كتاب واحد ، ويجرده لما حكم له العلماء بالصحة قبل البخارى وفى زمانه ، ويجرده للحديث المرفوع المسند ، وما فيه من الآثار وغيرها ، إنما جاء به تبعا لا بأصالة ، ولهذا سمى كتابه بـ « الجامع الصحيح المسند » . وأراد أيضا أن يفرغ جهده فى الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جدا ، وهذا أمر انفرد به البخارى ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث فى الأبواب ويودع فى تراجم الأبواب سر الاستنباط » .

وأوجز المؤلف فى العبارة السابقة الخصائص الرئيسية التى يمتاز بها صحيح البخارى عن الصحاح الأخرى ، وقد أراد رحمه الله بها أن يفتح ذهن كل محب للبخارى حريص على الانتفاع بما فيه من العلم النافع والفهم السليم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم درج المؤلف على الأقسام التى تنقسم إليها جملة تراجم أبواب البخارى ، فقال : « منها أنه يترجم بحديث مرفوع ليس على شروطه ويذكر فى الباب حديثا شاهدا له على شرطه ، ومنها أنه يترجم بمسألة استنباطها من الحديث

---

(١) طبعت هذه الرسالة أولا فى الهند ثم فى مصر قبل سنين عديدة ، وقام بنشرها أخيرا بالقاهرة السيد زكريا على يوسف مع تعليق وتحقيق .

بنحو من الاستنباط من نصه أو إشارته أو عمومه أو إيمائه ، ومنها أنه يترجم بمذهب ذهب إليه قبل ، وبذكر فى الباب ما يدل عليه بنحو من الدلالة شاهدا ، ويكون له فى الجملة من غير قطع بترجيح ذلك المذهب ، فيقول : « باب من قال كذا » ، ومنها أنه يترجم بمسألة اختلف فيها الأحاديث ، فيأتى بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب إلى الفقيه من بعده أمرها ، مثاله : باب خروج النساء إلى البراز ، جمع فيه حديثين مختلفين ، وفيها أنه قد تتعارض الأدلة ويكون عند البخارى وجه التطبيق بينهما بحمل كل واحد على محمل ، فيترجم بذلك المحمل إشارة إلى وجه التطبيق ، مثاله : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وما يحذر من الإصرار على التقاتل والعصيان ، ذكر فيه حديث : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

وأضاف المؤلف قوله : ومنها أنه قد يجمع فى باب أحاديث كثيرة ، كل واحد منها يدل على الترجمة ، ثم يظهر له فى حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ، ويعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب ، وليس غرضه أن الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الآخر برأسه ، ولكن قوله « باب » هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة ، لفظ « تنبيه » أو لفظ « فائدة » ، أو لفظ « قف » ، مثاله قوله فى « كتاب بدء الخلق » : باب قول الله تعالى : « وبث فيها من كل دابة » ثم قال بعد أسطر : باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، وأخرج هذا الحديث بسنده ، ثم ذكر حديث : والفخر والخيلاء فى أهل الخيل ، ثم ما ليس فيه ذكر الغنم ، فكأنه أعلم على هذا الحديث بأنه مع دخوله فى الباب فيه فائدة أخرى مع منقبة للغنم .

وأورد المؤلف نماذج عديدة لذكر البخارى الحديث وفقا للمسألة المطلوبة ، ويهدى طالب الحديث إلى ما يقصده ، إشارة أو عموما ، ومنها شرحه لأول باب من أبواب صحيح البخارى ، إذ قال : باب كيف كان بدء الوحى ، قوله « بدء الوحى » من البداية وتخصيصه أن إيراد « كيف » فى الترجمة من قبيل إيراد التنبيه فى أثناء الباب إفادة زيادة فائدة على أصل المقصود من الباب إذ المقصود إثبات أصل الوحى ، ويمكن أن يقال : إن المراد بالوحى : الوحى الذى هو نفس الحديث أو الكلام ، وبدؤه مبدؤه الذى صدر منه وهو الله تعالى .

فمعنى كيف كان بدء الوحى أى كيف كان مبدأ ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، فأثبت بأحاديث الباب أنه كان بالوحى وتوسط الملك ، فكأنه أثبت أنا أخذنا الحديث عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عن جبرائيل عليه السلام ، وهو عن الله تعالى ، فبهذين الوجهين ينحل ما يورد هنا من أنه ليس فى كثير أحاديث الباب إثبات كيفية بدء الوحى ، بل ذكر أصله وإنما هو فى حديث واحد فتذكر . قوله : صلصلة الجرس الخ . اعلم أن من تعطلت حاسة من حواسه يظهر له فى تلك الحاسة ما لا يتميز فيه مثل من تعطلت حاسته البصرية يرى ألوانا مختلفة متكثرة ، ومن تعطلت حاسته السمعية يسمع أصواتا ممتزجة مختلفة غير متميزة ، فقوله : « مثل صلصلة الجرس » ، عبارة عن تعطل حاسة السمع عن مسموعات عالم الشهادة لكى يتفرغ لحفظ ما أوحى إليه ويعيه كما هو حقه فتدبر .

وأوضح الكتاب أيضا فرقا بينا بين البخارى والمحدثين الآخرين فى كتابة الباب لحديثين مرويين بإسناد واحد ، ولحديث جاء بإسنادين فقال : « أنه قد يكتب لفظة (باب) مكان قول المحدثين « وبهذا الإسناد » وذلك حيث جاء حديثان بإسناد واحد ، كما يكتب (ح) حيث جاء حديث بإسنادين ، مثاله : « باب ذكر الملائكة » أطال فيه الكلام حتى أخرج حديث الملائكة « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » ، برواية شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

ثم كتب « باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة فى السماء : آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه » ثم أخرج حديث: « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة » ثم ما ليس فيه ذكر آمين ، قال الإسماعيلى فى موضع الباب « وبهذا الإسناد » كأنه يشير إلى أن لفظة باب علامة لقوله وبهذا الإسناد وقد يذكر البخارى حديثاً لا يدل هو بنفسه على الترجمة أصلا لكن له طرق ، وبعض طرقه يدل عليها إشارة أو عموما ، وقد أشار بذكر الحديث إلى أن له أصلا صحيحا يتأكد به ذلك الطريق ، وكثيراً ما يترجم لأمر ظاهر قليل الجدوى ، ولكنه إذا تحقق المتأمل أجدى كقوله - « باب قول الرجل: ماصلينا » فإنه أشار به إلى الرد على من كره ذلك .

وهكذا قدم الإمام المحدث ولى الله الدهلوى إلى علم الحديث وأهله تحفة نادرة جليلة القدر ، سيما فى هذا العصر الذى نضب فيه - أو يكاد - منبع المشتغلين بالحديث وعلمه ، ثم هى رسالة صغيرة الحجم كبيرة النفع ينبغى أن تكون فى حوزة كل مشتغل بصحيح البخارى - أصح الكتب ، بعد كتاب الله ، فى الوجود ؟

(يتبع)

محيى الدين الألوائى

أنباء وآراء

للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

حول دعوة السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى التمسك بالدين والقيم الروحية .

أجاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن أسئلة وجهها إليه أحد السادة الزملاء فقال:

إنه توجيه ندعو الله أن يوفقنا للعودة به إلى الطريق المستقيم ، إلى ديننا القويم فتعود إلينا قوة المسلمين الأوائل ونستطيع أن نكون إعصاراً يجتاح الطغاة ويدك معاقلهم ويرد سهامهم إلى نحورهم إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

إن الضمير الديني هو أساس الخير والصلاح ولا طريق له إلا بأن نكون جميعاً ـ كدولة ـ على مستوى المسئولية الدينية التي يتناهى فيها كل أفرادها عن المنكر، ويبعد كل إنسان عن الهاوية التي قد يتردى فيها، وأن نأتمر بأوامر الله وننتهى عن نواهيه ولا نسلك إلا طريق الخير ولا نمضى فى غيره ، وأن نعمل كدولة على حفظ حيوية الشباب ؛ فلا خمر ولا مجون ولا تبذل ولا انحلال ، ولا تتبع لما يدفعه الغرب الماجن إلينا من آراء وأفكار ؛ فقد جربنا كل ما ألقاه أمامنا ليحرق به آدابنا وأخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا ، وأن يعمل كل فرد منا على صلاح نفسه وأهله واحترام جيرانه ؛ لنكون الأمة المتماسكة المتحابة التى ترعى الله فى عملها واتجاهها وتصرفاتها .

وليس الدين الذى نطلب العودة إليه هو ما انطبع فى نفوس بعض السطحيين جهلا بالدين ، وما تكون فى نفوسهم من صورة جافة بحيث لاتسمح بعلم ولا بتفكير ولا بلين ولا برحمة ولا بتمتع ولا تبسط مما دفع أمثال هؤلاء أن يرموا الدين بأنه لا يصلح للدنيا ولا يسير بجانبها كما لا يصلح أن يتخذ أساساً لها وأنه بذلك يجب تنحيته عن المجتمع، وأن تخلص الجماعة فى دنياها بحرياتها !

ألا فلتكف الأقلام المغرضة ولتسكت الألسنة التى تشيع الفساد بين الناس، ولتوجه نفسها إلى كلمة حق تهذب بها مجتمعا تغار عليه وأمة تعتز بها لأنها الأمة الوسط « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وأجهزة الإعلام عليها تبعة وعليها واجب. عليها أن تجنب الأسماع والأبصار ما يؤذى

وما يعود الشباب العادات الضارة ويفتح عيونهم على المآسى والشرور. وليس كل شر يجب أن يعرفه الناس وتذكروا « إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » .

وسئل فضيلة الإمام: هل ترون سيادتكم أن يكون الدين مادة أســـاسية تدرس فى مراحل التعليم حتى التعليم العالى ؟ .

فقال: هذا واجب، بل إنه فرض عين تركناه مدة كبيرة، فلنضع من التشريعات ما يجعل الشاب يدرس من القيم والمعانى والمثـــل والبطولات ما يضىء أمامه الطريق ويهديه السبيل وبذا يتحمل مسئوليته دائما بجدارة وثقة ومعرفة، وأما أن نتركهم هملا فكيف يسوسون؟ وكيف يقودون أسرهم وعائلاتهم ومجتمعهم؟! إن علينا أن نوجههم لنشيد البناء بناء قوياً لبنة لبنة فيصبح شاهقا لا يطاوله بناء على الأرض. إن الدين الذى نتجه إليه ونهل منه هو الدين عند الله نجد فيه طريق الدنيا، وطريق الآخرة بلا افتراق. إنه طريق واحد يشمل الدنيا والآخرة وليس هناك طريق للدين هو العبادة وطريق للدنيا هو العمل. إنه طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة ولا العبادة عن العمل إنه دنيا ودين. واغرسوا ذلك فى قلوب الشباب وعلموهم البطولات حتى فى الكليات العسكرية فهم أولى بهذه الجوانب والكل فى هذا سواء « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » .

● عقد المجلس الأعلى للأزهر مساء الثلاثاء ١٦ جمادى الأولى الموافق ٢٢ من أغسطس ١٩٦٧ اجتماعا برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حضره السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهـــورية ووزير الأوقاف والشئون الاجتماعية والأزهر .

وقرر المجلس جعل سنوات الدراسة فى المعاهد الأزهرية الإعدادية ثلاث سنوات بدل أربع. وفى المعاهد الثانوية أربع سنوات بدل خمس .

وفى نهاية الجلسة قال نائب الرئيس : إن القانون ١٠٣ الخاص بتطوير الأزهر ورعاية مصالحه هو أمانة فى أعناقنا جميعا، وإننا حريصون كل الحرص على النظر بعين الرعاية إلى الأزهر ؛ لأنه الدعامة الكبرى التى يتجه إليها المسلمون ويعتمدون عليها فى العالم أجمع.

● سيعرض على مجلس جامعة الأزهر فى اجتماعه القادم موضوعا : معهد الإعداد والتوجيه، وشعبة الطب الخاصة بالبنات بجامعة الأزهر ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

completely abolishes man's owenership of the earth or any part thereof and gives to an individual, a society or a community only the right to the possession and use of social wealth for satisfaction of actual needs of its individuals consistently with the right of other individuals and societies to the satisfaction of their just needs. So socialism of the Kalima means social possession and enjoyment of wealth as opposed to and distinct from individual or social ownership of wealth. None of the ills that distrub the peace and harmony of the world shall ever cease until man, both in his individual and collective capacity, makes balanced use of the resources of the earth. God in His bounty and munificence has spread the fair earth producing fruits and corn for the use and enjoyment of His creatures and this beneficence is never denied to any so long as he does not exceed limits. Emphasising the need of maintaining balance with justice in the affairs of man the Holy Quran proclaims, "And the earth—He hath spread it for creatures : therein is fruit and date-palms, having spathes (enclosing dates); and corn, with stalk and sweet smell. Then which of the bounties of your Rub will ye deny" Whatever out of individual dossession remains surplus after satisfaction of his actual needs has to be placed at the disposal of the society if the society requires it to meet deficit of other individuals and so must a society or a community transfer its surplus without bargain to other deficit and needy societies and ultimately man must as a part of his duty ungrudgingly leave his surplus for the use and appropriation of other creatures.

Now again, need is not an absolute term ; it is relative and variable. In a capitalist and nationalist society need of an individual is determined in relation to the standard of living of his own class and varies with the progress of his society. For instance, the needs of a Maharaja, a Nawab or a Duke are determined by the standard of living of his class and show astounding and iniquitous difference with the need of a factory labour which is determined by the standard of his growing rather than living of his class. In like manner, the need of a society or a nation is measured in relation to the need of other nations of the same standard and it varies with the progress of the world. [1]

(1) The Creed of Islam.

anticipates the needs of His creatures and in His beneficence makes free gifts of things and materials which His creatures need for their existence but cannot themselves creat and produce by their own efforts things, which in terms of economics, are called gifts of Nature such as air, water and land; 'Rahim' is one Who in His mercy rewards those who make proper use of His free gifts. To put it in other words, in Nature's economic planning each creature gets free materials and opportunity to work and gets the fruit of his labour, viz., satisfaction of its needs. To put it again in the language of the Holy Bible, Nature gives each and all, right and opportunity to 'earn their bread in the sweat of their brow'.

In the state of Nature, creatures have no right of ownership over means of production but they enjoy freely the right to possdssion and use of them accordin to their individual and collective needs. As in every other sphere of existence man has, in production, consumption, and distribution of wealth invited by his wanton revolt against Nature, the Will of God, all the ills and miseries of life. What is still more tragic is that man in the pride and vanity of his intellect and freedom of action which God in His beneficence has given him is not conscious of his own sins of revolt and calls Him the arch-enemy of man. This all-out campaign against God which, in effect, is total war against man's own self and Nature will, if not resisted, make complete his misery and ruin and will bring total annihilation of the human race. Economic content of the Kalima is that man as the vicegerent of God on earth must emulate the economy of God as visible in Nature in the affaires of man himself. He must not pretend to own but may possess and use individually and collectively the material contents of the earth for the satisfaction of the actual needs of each and all.

Private ownership of individuals over means of production is a means of exploitation of surplus-value of individuals. Similarly, ownership of a nation of its national wealth and means of production is a means of exploitation of other nations and collective ownership of the entire humanity of the resources of the earth would be a menace to all other creatures of the earth. Socialism according to its modern concepts means social ownership of wealth as opposed to individual ownership. But according to the Kalima socialism does not mean transferance of right of ownership of wealth from the individual to the society or community. Economic universalism of Islam

Teachings of the 'Kalima' - IV

(THERE IS NO GOD BUT ALLAH)

By Abul Hashim

The social and political revolution of the Kalima brought in its wake a new orientation in the sphere of man's economic existence. One God and one humanity, equal social status and equal political rights and privileges visualise a social order which gives equal right to the enjoyment of material resources of the earth to all. God of the Kalima, the Nourisher of the Universe, is the absolute Owner of material wealth of the earth. The Kalima liquidated pretensions of man to ownership of wealth-private or public, individualistic or collective. "For to God belongeth the dominion of the Heavens and the earth, and the all that is between" is the clear verdict of the Holy Quran in this matter. Man is entitled to possession and use of wealth and that too in his capacity as the Caliph or vicegerent of God on earth for his own nourishment, consistently with the nourishment not merely of the rest of humanity but of the rest of the creation. The Holy Quran lays down, "It is He Who hath made you Caliphs of the earth (inheritors of earth as Caliphs) He hath raised you in ranks, some above others: that He may try you in the gifts He hath given you: for thy Lord is quick in punishment: yet He is indeed oft-forgiving, most Merciful".

To earn one's bread in the sweat of one's brow is the birth right of man as it is of all other species of the creation. A casual observation of Nature and her work fully corroborates this. All living organisms which are in the state of Nature work and get stisfaction ef their material needs; they get according to their needs but not more than that. An elephant needs more and he gets more while an ant needs less and gets less. God manifests Himself in Nature through His attributes. God introduces Himself to man in the opening verse of the Holy Quran as 'Rub' of all the worlds, i.e., Creater, Nourisher and Evolver of the Universe. 'Rub' is the greatest attributive name of God and all other attributes of God mentioned in the Holy Quran in their ultimate analysis merge in it. In the second verse of the Holy Quran He reveals Himself as 'Rahman' and 'Rahim'. 'Rahman' is one Who

reach of Your hatred side by side with those who have said that Your hand is fettered, may their own hands be fettered and may they be cursed for what they say; nor with those who say that You have begotten a son, glory be to you. With all our errors we are the nation of Muhammad, Your dearest prophet, and withness that You are One, the Eternal God; You begot not, nor were you begotten; and none is equal to You. And with the very words of Your Prophet when Qureysh made for him with all their chivalry and pomp, we call to You :

O Allah, Your help which You have promised us.

O Allah, if this company is destroyed there will be none left in the land to worship You.

(Continued from page 8)

the taint of genocide as shown by its numerous acts of aggression which has made it an outlaw, it defies the United Nations and world opinion thus creating a terribly dangerous situation. It has expanded its boundaries until they now reach the Suez Canal, a vital link between East and West, disrupting world economy and creating world tension. To quote Senator Gale McGee of the United States, the country most responsible for this state of affairs : "…. the explosive situation in the Near East that goes far beyond the matter of a quarrel between the Israelis and the Arabs in that part of the world. It could even trigger the much larger explosion we all fear. For that reason, it is no longer simply a refugee question in an isolated portion of the globe, but it is one which affects all the peoples of the world and concerns all governments. The question must now be approached as one of world-shaking proportions rather than one of dealing with unfortunate human beings in a narrow part of the world". This statement was made in 1960, how much more appropriate it is today !

يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة.

"Of all those who go to Paradise, it occurs no one but a martyr to get back to the earth where nothing on it concerns him. Why, seeing the honour bestowed on him, he cannot help longing for return to the life of this world that he may be killed a score of times."

الجهاد ماض إلى يوم القيامة .

"Strife will persist until the Last Day."

لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون .

"It will remain that a party of my nation are staunch to right, not in the least hurt by those who withdraw their help or those who disagree with them until the judgement of Allah comes to pass and they are illustrious."

لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة .

"Never shall this religion stand in want of a Muslim company who fight in defence of it until the Hour of Doom overtakes all."

اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض .

"O Allah, if this little company is destroyed there will be none left in the land to worship you."

إن الله سيفتح عليكم (المسلمين) مصر . فإذا فتحت فاتخذوا فيها جندا كثيفا فإنهم خير أجناد الله فى الأرض . ذلك أنهم ونساؤهم فى رباط دائم إلى يوم القيامة .

"Allah is going to open Egypt for you (Muslims) You should then raise in it a thick army. They shall be Allah's best warriors in the earth; for till the Last Day they shall be standing up, men and women, (for the protection of faith)."

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

"Whoever loves to meet Allah, so it pleases Allah to meet him ; and whoever hates to meet Allah, Allah also hates to meet him."

Lord, those whom you have cursed in Your glorious Book and warned of everlasting chastisement have matched against Muhammad's nation, with a high hand, all the malice in their sick hearts and the evil of their brute force. Even their chief did not refrain from falling to deception rather than preserving the honour of his word. However, we all without exception have taken up the glove, even little children, heart-burnt, but determined and full of confidence in You. Your help, then, which You promised Muslims. Even if Your Prophet's word concerning us has been fulfilled that other nations will gather on us in the manner of trencher companions after we have deserted Your right to the allurement of vanity, neither You nor Your Prophet has said of us that we may stand on the same

are dead. They are alive and well-provided for by Allah; pleased with His gifts and rejoicing that those whom they had left behind and who had not yet joined them have nothing to fear or regret; rejoicing in Allah's grace and bounty. Allah will not deny the faithful their reward."

The Prophet, also, by virtue of what he did and said, gave a wonderful example of strife for the cause of Allah and the persuasion of Muslims into it and into death for its sake. He said :

لا يجتمع على رجل غبار فى سبيل الله ودخان جهنم

"By no means shall be brought together dust in the way of Allah and the smoke of Hell-fire."

من سأل الله الشهادة صادقا بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه .

"Whoever sincerely prays of Allah to let him die a martyr, Allah shall raise him to the degree of martyrs, even if he dies in his bed".

من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة لتكون كلمة الله هى العليا وجبت له الجنة .

"By all means he will enter Paradise who has measured his strength on the path of Allah even for an hour or two, so that he may exalt the Word of Allah.

رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل .

"A day's standing on the guard for the cause of Allah is of higher degree than a thousand-day's occupation in any other rewardable deed."

كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر

"Everyone will have his works sealed up with his death, except the guard on the way of Allah. This shall have his works incessantly augmanted until the Doomsday. Moreover, he will be shielded from affliction in the grave."

عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

"An eye that wept through fear of Allah, and another that passed night on the alert for the sake of Allah, neither shall the Fire touch."

من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا .

"Whoever provides a fighter with necessary provisions, this is fighting on his part. So is it with whomsoever that succeeds a fighter in the support of his dependents."

لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها

"Be it in the morning or in the evening, a journey for the sake of Allah is nobler than the life of this world with all that it embraces."

لا يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة .

"It is nothing more than the touch you feel of the pinch that the martyer feels the touch of death."

ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وما له على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن

it is bad for you. Allah knows but you do not".

"Allah has purchased from the faithful their lives and worldly goods and in return has promised them the Garden. They will fight for His cause, slay and be slain. Such is the true pledge He has made then in the Torah, the Gospel and the Quran. And who is more true to his promise than Allah ? Rejoice then in the bargain you have made. That is the supreme triumph."

"Permission to take up arms is hereby given to those who have been wronged. Allah has power to grant them victory : those who have been unjustly driven out from their homes only because they said : "Our Lord is Allah."

"Fight for the sake of Allah those who fight against you, but do not attack them first."

"And how should you not fight for the cause of Allah and for the helpless old men and women and children . . . "

"But Allah forbids you to make friends with those who have fought against you on account of your religion and driven you from your homes or abet'ed others so to do."

"Prophet, make war on the unbelievers and the hypocrites and deal rigorously with them. Hell shall be their home : an evil fate."

"Believers, make war on the infidels who dwell around you. Deel firmly with them. Know that Allah is with the righteous."

"If they do not keep their distance from you, if they neither offer you peace nor cease their hostilities against you, lay hold of them and kill them whenever you find them."

"But if after coming to terms with you they break their oaths and revile your faith, make war on the leaders of unbelief - for no oaths are binding with them - so that they may desist."

"Say are you waiting for anything to befall us except victory or martyrdom, both of which are good?"

"Make war on them, Allah will chastise them through you and humble them. He will grant you victory over them and heal the spirit of the faithful."

"If you do not fight He will punish you sternly and replace you by other men. You will in no way harm Him; for Allah has power over all things."

"Believers, when you encounter the armies of the infidels do not turn your backs to them in flight."

"We shall cast terror in the hearts of the unbelievers."

"Do not think that those who were slain for the cause of Allah

From the Traditions of the Prophet

OBSERVANCE OF JIHAI

By : Soliman Barakat

« جاهدوا الكفار بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .

"Strive against the infidels with your wealth, lives and your tongues".

Strife for the cause of Allah is so essential an Islamic precept that it is looked on as a sixth principle of this upright religion. Not that the Faith of Truth with which Allah sent Muhammad is a religion of blood, but so long as circumstances call for it, fighting for the cause of Allah is obligatory for Muhammad's nation. In this way Islam guarantees to Muslims might and dignity.

Merely three lettered as it is, and as in fact are most of its sisters of Arabic, the term جهاد, that is strife, implies self-exertion to overcome difficulty, self snatching from instinctive reluctance to endanger one's own sense of security, and the hope for shift from an awkward position to a convenient one. However, theae are two types of strife from the point of view of Islam. One is contention with passions and worldly temptations, and self-taming to obeying Allah and disobeyiny Satan. By the other type of strife is meant fighting with aggressive infidels, heretics who will not hear or understand, those who draw the sword against Muslims, expel or abet to expel Muslims from their homes, break their peaceful oaths with Muslims, revile Islām, or even stand as a source of near danger for Muslims. No wonder then that both the Quran and the Tradition abound respectively with Divine verses and Prophetic sayings that urge the faithful to strive for the cause of Allah, and with mention both of the forgivenes and vast reward He is preparing for those who fight so that His Word may be exalted and His religion reign supreme on all hands, and of the due requite He is storing up for those who withdraw their help, lag behind for no grave impediment, turn their backs in flight from the enemy, or seek to sow discord and distrust among their brethern in critical times.

Among that it says in the Wise Book is that which means :

"Fighting is obligatory for you much as you dislike it. But you may hate a thing although it is good for you and love a thing although

campaign of terror and sabotage. This campaign was directed at against all who stood in their way.

To name but a few of their major acts of terrorism. In November 1944, the assassination of Secretary of State Lord Moyne in Cairo. In July 1946, the blowing up of the King David Hotel killing nearly a hundred people. In July 1947, the hanging of two British soldiers. These many acts of terrorsim at last forced even Winston Churchill to say : " If our dreams for Zionism are to end in the smoke of assassins pistols and our labours for its future are to produce a new set of gangsters worthy of Nazi Germany, many like myself will have to reconsider the position we have maintained so consistently and so long in the past". But nothing would stop the Zionists. In December 1947, the village of Qazaza was attacked and many other villages, culminating in an attack on the village of Deir Yasin in April 1948, when 250 men, women and children were massacred.

Even the United Nations was not safe from them. In September 1948 Count folke Bernadotte, U.N. Mediator was assassinated in Israeli occupied Jerusalem after the outbreak of the Palestine war caused by the Ben-Gurion's proclamation of an Israeli state in Palestine. Cars with loud-speakers attached roamed the streets of Jerusalem from which the Zionists warned the Arabs inhabitants : "The Jericho road to safety is still open. Fly before you are killed". When asked what would happen to the large number of Arabs in the State of Israel, a senior Officer replied : "That will be fixed. A few calculated massacres will soon get rid of them". To escape these massacres many Arabs fled in panic, assisted by bayonet poinets and blows, to become refugees totalling over a million. Nathan Chofshi, a Palestinian, said : "We forced the Arabs to leave cities and villages. Some of them were driven out by force of arms, others were made to leave by deceit, lying and false promises. It is enough to cite the cities of Jaffa, Lydda, Ramel, Beersheba, Acre from among numberless others" The Israeli armies ruthlessly drove the Arab people from their homes, Christian and Muslim alike, as they advanced to occupy their Promised Land and so committed the worse sin of humanity, that of genocide.

The Jews learned well from their Tragic sufferings imposed by the Nazis and now Zionists in turn impose that same suffering upon the Palestine Arabs in the name of Zionism, a word that has come to stand for all that is worse in an other wise fine and beautiful faith.

Zionism created Israel through genocide and Isreael has inherited

(Continued on page 13)

and condemned by the civilized world".

"In order to liberate mankind from such an odious scourge, international co-operation is required."

"To take such action under the Charter of the United Nations as they consider appropriate for the prevention and suppression of acts of genocide or any of the other acts enumerated."

This sounds very wonderful and would be so if all those nations who signed the Convention would honour their word and the articles of the Convention. If they would only do this then the problem of Palestine would be settled tomorrow and Israel condemned in the eyes of the world. History is based on facts and the history of Israel is one of genocide. To put it in a very simple way, if there is a house occupied by people and you feel you have a right to live in this house, then you will try to get rid of these people and take complete possession for yourself. How can you do this? If you have a legale right then you will of course take possession through means of the Law. However, if you have no legal right then there is only one way you can take possession and that is by force. This is what occured in Palestine, the Arab occupants were ejected and the Zionists took possession, changing the name of the country to Israel.

The State of Israel is responsible for the act of genocide to the Arab population of Palestine. In the past they have persistently ignored the U.N. General Assembly and its resolutions, and they still continue to do so. Worse still, the United Nations has failed miserably over the last Israeli aggression when they refuse to condemn Israel for starting the war. The Palestine Arab Nation has been in exile for nearly twenty years due to the creation of 'Israel' by Western Powers and Zionist leaders, but the nation steadfastly preserves its will to regain its homeland of over a thousand years.

* * *

How did the Zionists carry out this genocide of the Palestine Arabs? Their means were many and varied. Mass immigration was the starting point. At the beginning of the century the Jewish population of Palestine was roughly fifteen per cent of the total population, by illegal immigration the Jewish population increased rapidly and these immigrants bought land with funds supplied by American Zionists. This was the start. Later the Zionists formed an illegal force called the Haganah, this force was well trained and equiped, and slowly began a

that only came into existance nineteen years ago. How is this possible? There is only one way this could possibly happen and that is by genocide, which means the original inhabitants are eliminated in one way or another and the country occupied by the invader.

If we think about this it is not a pretty picture that appears in one's mind, it is a picture that neccessarily is filled with mangled bodies, coloured with bloody gore and animated by the agonized cries of people driven insane by 'civilized' men — and women ! There is no need for people to go and see a stupid horror film in a cinema or watch the brutality of television for their amusement, for the scenario is going on before their very eyes of an epic before which all else pales to a child's fairystory. If only the world will open its eyes and blink away the mist that is imposed by politics and governments then they will see their collective responsibility. If not then the world must pay its penalty for the neglect, indifference and failure to cope with the Palestine problem. The penalty is, of course, the Third World War.

* * *

What do people think of genocide ? The man who coined the word, Dr. Raphael Lemkin, speaks of genocide as the crime of crimes which has repeated itself with the regularity of a biological law. Mr W.J. Dignam of Australia said : "Neither animals nor uneducated savages would deliberately plan with the fiendish and cold-blooded cruelty which accompanies modern examples of genocide." Speaking at a U.N. Assembly, Begum Ikramullah of Pakistan said : "Genocide has been committed through the ages, while it has always shocked the conscience of mankind, nothing has been done to punish the crime. The discoveries of science have put such weapons in the hands of men that genocide today can be swift terrible indeed."

In support of the then world opinion, the U.N. Assembly in Paris on the 9th. December 1948, passed a Convention which came into force on the 12th. January 1951. The purpose of the said Convention being to prevent and punish genocide 'whether committed in time of war or in time of peace. By July 1956, instruments of ratification or accession to the Convention had been deposited by fifty-two governments, (some with reservations regerding certain articles of the Convention).

Here are some pertinent lines from the Text of the Convention : "That genocide is a crime under international law, contrary to the spirit and aims of the United Nations

ISRAEL & GENOCIDE

BY : RASCHID AL-ANSARI

"It may be that your Lord will have mercy upon you ; but if you return, We shall return". (Qur'an).

According to the United Nations genocide is defined as : "The committing of certain acts with intent to destroy — wholly or in part — a national, ethnic, racial, or religious group as such." But, and this is a very important point, it is possible to destroy a group of human beings without direct physical massacre. So they include in their definition of genocide the acts of causing serious bodily or mental harm ; deliberate infliction of conditions of life calculated to bring about physical destruction ; imposing measures to prevent birth and, finally, of forcibly transferring children of one group to another group. This is a fair definition of the word, a definition by which Israel is condemned.

Of all the numerous faces of man this is the most disgusting and horrible. Under this mask of humanities masochism lies such sins as murder, torture, rape deportation, intimidation, segregation, mis-education, false justice and imprisonment, and so the list continues. It is the curse of society today that these words have become commonplace and when used cause little comment, perhaps a casual mental thought of 'not again !' and then soon forgotten — except by the unfortunate victims, that is if they are still alive and capable of feeling anything. What has happened to this world that such a state of cruelty can be in existance ? Is it something new that has lately developed in man or is it inherent and been practised since time began ? Sadly the facts speak for themselves and it is with head hung in shame that man stands before his Maker to implore His forgiveness and mercy. The only hope for man is to awaken from his sleep of soporifice indulgence and false security, for what can happen in one country can happen in another. Think what is happening in the world right this minute and what has happened in the recent years. Without doubt the most blatant form of genocide being committed right now is by Israel in what used to be known as Palestine. This whole country is now occupied by a nation

of all heavenly and lofty ideals. All Muslim and Christian religious circles denounced the Israeli conspiracy against Jerusalem, in addition to popular and government circles which vigorously blamed Israel for its arrogant and arbitrary measures against Arab Jerusalem. The U. N. General Assembly also passed a resolution by 99 votes which announces that the measures for annexing Arab Jerusalem are not legal and that Israel should annul all measures concerning Jerusalem.

The Islamic Researches Academy of Al-Azhar announced a statement to the Islamic world. The statment pressed the Academy's condemnation of the mean conspiracy plotted by imperialism and Zionism against the Arab peoples and the Islamic sanctities. It appealed to the Muslims to hurry in defence of the Arab lands and Jerusalem against Zionism and the base trends of imperialism and to repel the evil ambitions aimed at internationalising Jerusalem. The statement mentioned that Muslims, who throughout their long and glorious history in the course of their faith and existence, had made a sacrifice of their lives, sons and fortunes, would not give a single hair-breadth from their city which occupies a position of holiness in their hearts, for it includes the first of the two Qiblas and the third one of the holy grounds, and the prophet of Islam's path of his heavenly visit, and the starting point of his travel to the high heavens.

This city was and still is the meeting place of the religious feelings of all Muslems and Arabs during 14 centuries, in which the Muslims were able to safeguard its holiness. By propagating complete equality in worship among all religions and sects, the Muslims were also able to prevent any religious conflict in Jerusalem.

The Islamic Researches Academy appeals to all Muslims to defend their rights as well as their moral and spiritual entity. History will mention with shame all those who refuse to fight in God's cause and for the restoration of our usurped land and the protection of our threatened sanctities.

The statement appealed to Muslems to hurry in defence of their sanctities. Gather yourselves Muslims and unify your opinions for defending your lands and homes ! !

the holy places, to make the Arabs open these places before religious men from the sons of Aaron to hold their religious rites.

— The control of the sacred "haram" has been the Jews' constant dreem which was summed up in a phrase reiterated by the Jews : "If I forget you Jerusalem, I shall lose my life".

— In a book written by the well-Known Zionist leader, Norman Bentwich and published in London in 1919, under the title of "Palestine : Past, Present and Future" and its supplement titled "Saving the Land of Judah", there was mention of the sacred Pegasus which the Jews call the "Wailing Wall" in which he said: "Neither this nor that will rebuiled the Wailing Wall. Work is the true prayer. The Jews will come to Jerusalem, reside in it and make their way to restore the holy shrine". The holy shrine is interpreted to be on "Mount Moria" i. e. the sacred "haram".

The Sacred Haram includes Al-Aqsa Mosque, the Mosque of the Dome of the Rock and many precious Islamic monuments. The Haram and all its contents are called Al-Aqsa Mosque. It is the largest and the most magnificent mosque in the world. It occupies a very wide area on Mount Moria on which it is constructed. The walls of the mosque are 490 metres long on the west, 424 metres on the east, 321 metres on the north and 283 metres on the south side. It is surrounded by a great wall, 30 to 40 metres high and around the wall from the west and the north are spacious arched corridors interspersed at intervals by the fifteen doors of the "haram".

The holy blace on which the Haram was built holds a lofty religious position in the hearts of people since ancient times. Al-Aqsa Mosque is a holy place to the Muslims, next to the Ka'bah at Mecca, for it is the first Qiblah, and the place to which the Prophet made his holy night — journey. In 637 A.D. Umar bin Al-Khattab built his famous mosque in Jerusalem. Under the Caliphate of Abdul Malik bin Marwan, the Mosque of the Dome of the Rock was built. Jerusalem and Palestine have been Arab throughout the centuries and the Arabes have made great sacrifices to preserve the sanctity of this holy land.

The Israeli aggression on Arab land and its Islamic and Christian holy places has aroused the indignation and anger of religious institutions all over the would. Israel's annexation of Jerusalem is a open challenge to both the Christian and Islamic woulds and an evident violation

7 — The Israelis turned the Ibrahim Mosque into a Jewish temple;

8 — Israeli authorities have raised the Star of David over the Church of the Nativity in Bethlehem;

9 — Israeli soldiers violated the sanctity of the Mosques and the churchs in Jerusalem;

10 — Israeli armoured trucks and cars are used to change the features of Arab Jerusalem and turn it into an Israeli view !

Israel has never concealed its intentions whelther in its statements or writings :

— At the beginning of the century, Weizman said that "Jerusalem is the spiritial essence of the idea of the return to Palestine." While Moshe Sharett, 19 years ago said that "Israel is meaningles without Jerusalem". Ben Gurion at that time also declared that "There is no meaning for Israel without Jerusalem and no meaning for Jerusalem without the temple".

— At present Levi Eshkol and Moshe Dayan are harping on the same them saying : "Israel's full possession of Jerusalem is the old Jewish dreem which has come true after thousand years and hence Israel will not relinquish a single part of it".

— The Jewish Encyclopedia wrote : "The Jews are working to return to Jerusalem, subdue the enemies, restore prayers to the Holy Sepulchre (i. e. Al-Aqsa Mosque) and establish their throne there".

— At the San Remo Conference the Jews claimed their possession of the Wai ing wall which is the western wall of Al-Aqsa Mosque and the place of the sacred Pegasus which is known as the sacred " harâm " that includes the Mosque of the Dome of the Rock and Al-Aqsa Mosque.

— In the year 1920, the Jews demanded from the British mandate government in Palestine to give the holy "haram" to them claiming that it belomgs to them.

— The well-Known Zionist leader, Glorenz said in 1929 : "Al-Aqsa Mosque built on the Holy Sepulchre is a Jewish possession".

— Lord Melchett, the former Zionist British Minister said : "The day on which the Holy Sepulchre will be built is very near and I shall devote the rest of my life to building Solomon's temble in place of Al-Aqsa Mosque".

— In a message by the rabbi of Rumania, Abraham Rosenbach, in 1930, he said : "King David bought Mount Moria from Arnon yabosi and dedicated it to the Eternal God". He asked the mandate authorities, as a step towards Jewish control of

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Jumâdal-Akhira 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	September 1967

THE ZIONIST CONSPIRACY AGAINST AL-AQSA MOSQUE

By A.M. Mohiaddin Alwaye

The Zionist conspiracy for the control of the whole city of Jerusalem has been uncovered through successive measures taken by the Israeli authorities. Israel which has carried out its conspiracy against the holy city of Jerusalem in flagrant challenge of world public opinion is now preparing to implement the second stage of its plot which aims at demolishing Al-Aqsa Mosque and building a Jewish temple in its place. This matter is clear from the measures taken by Israel in occupied Jerusalem.

The most dangerous stages in the Israeli plan are :

1 — Israel has allotted a sum of two million pounds for the building of a Jewish temple on the same spot on which there is at present Al-Aqsa Mosque ;

2 — Israel has raised the Israeli flag on the holy places of Muslims and Christians ;

3 — Israel expressed its intention in photos and cards distributed all over the world ;

4 — The Israeli authorities actually demolished the walls separating Arab Jerusalem and occupied Jurusalem ;

5 — They worked for annexing Arab Jerusalem to Israel in the face of world opinion ;

6 — Israel's intention of pulling down the Mosque of the Dome in Jerusalem and erecting instead the temple of Solomon ;

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣٢١	شاعر الإسلام محمد إقبال للأستاذ أحمد حسن الزيات
٣٢٤	درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز ــ الخاتمة ــ لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج
٣٣٧	التوحيد والوحدة الأستاذ محمد محمد المدنى
٣٤٠	مصير بيت المقدس للدكتور إسحاق موسى الحسينى
٣٤٥	رواسب الكفر تركزت فى بنى إسرائيل ــ٢ــ للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٣٤٩	عن «الصهيونية فى التاريخ» للدكتور عفيفى عبد الفتاح
٣٥٢	قرارات حكماء صهيون ــ ٢ ــ الأستاذ محمود محمد شبكة
٣٥٦	دروس من المعركة للأستاذ محمد كامل الفقى
٣٦٠	الظواهر الجوية فى آية النور الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
٣٦٥	بين الشريعة الإسلامية والقانون الرومانى «نظام الرق» الأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى
٣٧١	رسائل محمد صلى الله عليه وسلم ونصوص معاهداته للدكتور محمد رجب البيومى
٣٧٨	وعد الآخرة ومصير بنى إسرائيل للأستاذ عبد الرحيم فودة
٣٨٣	أبعاد معركة ... لما ما بعدها ــ ٣ ــ للأستاذ محمد النادى البدرى
٣٨٧	«الإسلام والمسلمون فى العصر الحاضر» الأستاذ بيير روندو عرض وتعليق للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٣٩٣	الكتب : كتاب الشهاوى فى مصطلح الحديث عرض وتعليق للأستاذ عبد الغنى سلمان المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ــ ٩ ــ للأستاذ محى الدين الألوائى
٣٩٩	أنباء وآراء : الأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors
1 — The Zionist Conspiracy Against Al-Aqsa Mosque	*A. M. Mohiaddin Alwai*
2 — Israel and Genocide	*Raschid Al-Ansari*
3 — Observance of Jihad	*Soliman Barakat*
4 — Teachings of the 'Kalimah' - IV	*Abul Hashim*

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ رجب ١٣٨٧ هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجهاد بالمال فوق الجهاد بالنفس

بقلم
أحمد حسن الزيات

يقول الله عز اسمه وجل علاه : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون» «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » .

فهو ـ سبحانه ـ في هذه الآيات الثلاث وفي سائر الآيات التسع التي ذكر فيها الجهاد بالأموال والأنفس يقدم الأموال على الأنفس لحكمة يؤيدها التاريخ ويؤكدها الواقع ، ذلك لأن المال عصب الحرب ، بغير روحه لا تتحرك ، وبغير وقوده لا تشتعل ، هو زاد الجندى وعتاده ، يضع القوت في فمه ، والسلاح في يده والنصر في وجهه . وهو وسيلة الإعداد التي أمر الله بها المسلمين في قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

والبديل اليوم من رباط الخيل هو الطائرات

والدبابات والصواريخ والمدافع والقذائف ، لأن رباط الخيل بحكم التطور العسكرى والتقدم العلمى لم يعد يرهب العدو ولا يكفل النصر ، وهذه الأسلحة الجبارة يكلف شراؤها مئات الملايين من العملة السهلة والصعبة ، والاتكال فى تدبير هذا المال الضخم على الدولة يربك ميزانيتها فتنوء بمطالب الإنتاج والخدمة ؛ فلم يبق إلا أن يجاهد الشعب بالمال ليوفر السلاح للجيش المجاهد بالنفس كما يفعل العدو فإن اليهود فى العالم هم الشعب وعليه المال . وإسرائيل فى فلسطين هى الجيش وعليه القتال ، والنازلة التى نزلت بالعرب من ائتمار الاستعمار والصهيونية فى أوائل هذا الصيف فسلبتهم بعض الأرض ، وأفقدتهم أكثر السلاح كان من وسائلها الفعالة السلاح الأمريكى الحديث والمال اليهودى المتدفق ، فلولا المال ما كان لليهود دولة ، ولولا الدولار ما كان لإسرائيل جولة ولا صولة .

* * *

إن الذى يبذل نفسه فى الجهاد يقدم إلى الجنة شهيداً بمفرده ، ولكن الذى يبذل ماله فى المعركة يقدم إلى الأمة جيشا بمجموعه ، وإن جيش العسرة لو لم يمده المؤمنون الصادقون بالمال لما سار جيش الرسول إلى تبوك ... إن قانون الحياة على طوله وفصوله يرجع فى أصله إلى مادتين اثنتين : مادة الهجوم على القوت ، ومادة الدفاع عن الذات .

وما كلمات النباهة والمجد والخلود إلا طموم مغريات فى يد الطبيعة ، تتذرع بها إلى ضمان الحياة بالوفرة ، كما تتذرع بالجمال والشهوة واللذة إلى بقاء النوع بالولادة . فالحى الخليق بالبقاء تتوفر فيه - ولاريب - قوة السعى لنفسه وقوة الوقوف لغيره ، فإذا فقد هاتين القوتين أو إحداهما كان طفيليا على مائدة الحياة وفضوليا فى ملكوت الطبيعة . وليست العزة التى تأخذ القاصر حين يرشد ، أو التابع حين يستقل ، إلا يقظة الأنانية فى طبعه وثورة الحيوية فى دمه . وهذا الذى نشهده اليوم فى مصر وأخواتها من التسابق إلى إعداد القوة ، والتنافس فى إنشاء الدفاع ، إنما هو استكمال لإحدى وسيلتى العيش ، واستشعار لأرقى طبيعتى الوجود . ومن هنا كان منهاج الثورة قائما على الإنتاج والدفاع : إنتاج اليد والآلة والعلم والفكر ، ودفاع الفقر والجهل والمرض والعدو . وما عدونا الحقود اللدود إلا اليهود ، من يوم كيدهم المسلمين فى يثرب ، إلى يوم طردهم العرب من فلسطين . ومن أصدق من الله فى قوله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

وظلت الثورة تعد العدة وترصد الأهبة خمس عشرة سنة لاستئصالهم من قلب العروبة حتى بلغت من ذلك مبلغ الأمان والقدرة ، ولكن الاستعمار الذى غرس شجرتهم الملعونة

فى أرض الهدى والسلام ، ومهبط الوحى والإلهام ، ومجتلى عين موسى ، ومسرح قلب عيسى ، ومسرى روح محمد ، وقدس الأديان الثلاثة ، وقبلة الإسلام الأولى ، ومهد الأنبياء ، ومقبرة الرسل ، لم يرد لإسرائيل أن تموت ؛ لأن موتها فى فلسطين يعنى موته فى الشرق ، فتحدى غضب الله عليهم ، ونبوءة المسيح فيهم ، بأن وضع فى أيديهم السلاح والمال والعلم والخديعة ، فقتلوا ما قتلوا ، واحتلوا ما احتلوا ، وشردوا ما شردوا ، ونهبوا ما نهبوا ، ودنسوا مساجد الله ، وقوضوا مساكن الناس، وانطلقوا يخربون المدن ، ويحرقون الحقول ، ويقطعون السبل ، ويحصرون المؤمنين الآمنين فى الضفة الغربية من الأردن ، لا يجدون منصرفا إلى الزرع ولا سبيلا إلى القوت .

* * *

لقد قال المسيح عليه السلام ـ وهو فى طريق العذاب ـ لذلك اليهودى الذى منعه ظل جداره وهو مجهود ، وحرمه قرى داره وهو جائع : «ستظل تائها فى الأرض حتى أعود» فهل عاد المسيح فى ثوب بلفور أو جونسون أم كذبت نبوءة (السيد) ؟ إن لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى إسرائيل ، فهو لا تثبت له قدم فى أرض ، ولا تطمئن له نفس فى وطن .

وكان من أثر ضلاله البعيد فى الآفاق أن اكتسب خلائق النور ، فهل يلص ليعيش ، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع ، حتى انقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع فأصبح خلقاً آخر لا يألف ولا يؤلف ؛ فمحاولة إسكانه مع غير أهله وفى غير أرضه تكذيب لكلمة الله وتزوير لقانون الطبيعة .

* * *

أيها المسلمون : إن النكسة التى ابتلانا بها الله ليعلم ما عندنا من إيمان وصدق وصبر قد نقصت العدة وقلبت الخطة وفللت الموارد وجرأت العدو . ولا سبيل إلى بناء ما تقوض وتعويض ما تبدد وتأديب من تجرأ إلا بالمال وهو أصلح الجهادين وأشملهما ، لأنه فى مقدور كل أحد ، وليس كذلك القتال .

أيها العرب ! إذا ذهبت عصبية الجنس فهل تذهب نخوة الرجولة . وإذا ضعفت حمية الدين فهل تضعف مروءة الإنسان ؟ إن خيراً من أن تطوعوا أن تتبرعوا ، وإن من حق القريب على القريب والجار على الجار يد تواسى فى الشدة ، وقلب يخفق فى المصيبة ، ولسان يحتج فى المظلمة ؛ فهل يزكو بعروبتكم ـ والجود غريزة فى كيانها ، وبإسلاميتكم والمواساة ركن من أركانها ـ أن تقفوا من المجاهدين واللاجئين والمطرودين موقف الخلى المتفرج ، يسمع الأنين ولا يعوج ، ويبصر الدمع ولا يكترث ؟!

أيها العرب! لقد برح الخفاء وأصبح فى حكم اليقين أن أمريكا تريد الاستيلاء على الشرق الأوسط باسم إسرائيل. وما إسرائيل فى الاستعمار الجديد إلا مسمار جحا، يبتدىء مسماراً فى الحائط وينتهى مفتاحا فى الباب!! وإذا مكن لها هذا الاستعمار أن تحتل فى أيام جزءاً من مصر ومن الأردن ومن سورية فماذا يحجزها بعد اليوم أن تحتل سائر ملكوت العرب؟ إن مؤتمر الرؤساء والملوك فى الخرطوم قد أحيا الأمل وجدد الثقة ووثق العقدة ودل بقراراته الحازمة أن إخوة النسب والعقيدة والوطن قد أدركوا ما يراد بهم من شر وما يدبر لهم من كيد، فأجمعوا أمرهم على الجهاد بالأموال والأنفس ليطهروا الوطن من احتلال الدخيل، ويحرروا فلسطين من أغلال إسرائيل.

أيها العرب فى جميع الأرض من طنجة إلى البصرة: إن معركتنا مع الصهيونية معركة بقاء أو فناء فاختاروا لأنفسكم، ولا تحسبن أن بنى إسرائيل لا يزالون صعاليك (خيبر) وسكان (الحارة) وباعة اليانصيب وزنابير المنحل، وعصافير البيدر وحثالة المجتمع، إنما أصبحوا اليوم بفضل المال أعيان (نيويورك) وأعضاء (الكونجرس) وقوام (البيت الأبيض) وأرباب الأعمال والأموال والإعلام فى سائر الأرض: يسألون فيجيب (ولسون)، ويأمرون فيطيع (جونسون) ويلوحون بالرغيف الذهبى للأمم المتحدة فيتبعهم منها كل كلب، ويطلبون من المنظمات اليهودية أن تمدهم بالمال فتمدهم بعد العدوان بخمسمائة مليون دولار. فتجهزوا لهم بجهازهم وهو المال، واستعينوا عليهم بعدتهم وهى الإيمان. والمال قوة اليهود المادية، والإيمان بالتوراة والتلمود هو قوتهم المعنوية، إنهم يؤمنون بقول الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين: (فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات). فإذا كان (يهوه) قد أعطاهم هذا العطاء ووعدهم هذا الوعد، فإن (الله) وهو أصدق القائلين يقول لنا فى كتابه: «لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون - كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين - وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب - ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». وقول الله هو الحق ووعده هو الصدق، فلا هو مخرفة كاهن ولا افتراء حاخام!

(البقية على صفحة ٤١٦)

رأى جديد في معنى آية كريمة

للأستاذ محمد محمد المدنى

في بعض الأحيان نجد المفسرين مطبقين بالإجماع أو مايشبه الإجماع على معنى يفسرون به آية من آيات الكتاب الكريم، وهو مع ذلك ليس بالمعنى الأمثل، أو ليس بالمعنى الصحيح.

وهذا أمر عجيب حقا، فإن العادة جرت بأن إطباق أهل الرأى والفكر على معنى من المعانى يؤذن بصحة هذا المعنى، ويعطى القارئ ضمانا أو ما يشبه الضمان على أنه هو المراد دون سواه.

وقد صادفنى من هذا القبيل إجماع من قرأت من المفسرين على معنى ذكروه فى قوله تعالى فى سورة يوسف:

« ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال: لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلكما مما علمنى ربى ».

فكل من قرأت له من المفسرين يرجع الضمير فى قوله « إلا نبأتكما بتأويله » إلى الطعام — والمعنى: لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بأمر هذا الطعام قبل أن يأتيكما، وهذه معجزة — فى نظر المفسرين — ليوسف عليه السلام، حيث يعلم الغيب بتعليم الله إياه، كما ذكر الله عن عيسى ابن مريم عليه السلام إذ يقول « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ».

هكذا يقول المفسرون، وهذه نصوص بعضهم:

• قال الإمام القرطبي فى تفسيره « الجامع لأحكام القرآن »:

(قال لهما يوسف: « لا يأتيكما طعام ترزقانه » يعنى: لا يجيئكما غدا طعام من منزلكما « إلا نبأتكما بتأويله » لتعلما أنى أعلم تأويل رؤياكما، فقالا: افعل، فقال لهما: يجيئكما كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف) ص ١٩١ ج ٩ من تفسير القرطبي.

• وقال ابن كثير:

(قال مجاهد: يقول « لا يأتيكما طعام ترزقانه » فى يومكما « إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما »، وكذلك قال السدى » ص ٤٤١ ج ٤ من تفسير ابن كثير.

• وقال البغوى فى تفسيره — وهو على هامش ابن كثير وفى الصفحة نفسها: « قال

لا يأتيكما طعام ترزقانه ، قيل : أراد به فى النوم ، يقول : لا يأتيكما طعام ترزقانه فى نومكما « إلا نبأتكما بتأويله » فى اليقظة ، وقيل أراد به فى اليقظة ، يقول : لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه أى تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله ، أى بقدره ولونه والوقت الذى يصل إليكما فيه « قبل أن يأتيكما » قبل أن يصل إليكما ، وأى طعام أكلتم ، وكم أكلتم ومتى أكلتم ، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

• ومن المفسرين المعاصرين الذين فسروا المعنى بهذا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى، حيث يقول على هامش مصحفه الميسر :

« نبأتكما بتأويله ، أخبرتكما بأحواله التى سيكون عليها وما هى ، انظر مثل هذا مع عيسى فى آية ٤٩ ص ٧١ » .

• وكذلك يقول فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف فى تفسيره على هامش المصحف الذى طبعه الشربتلى :

« لا يأتيكما طعام ... » وعدهما بإخبارهما بكل طعام يأتيهما قبل إتيانه ، بطريق الكشف بنور النبوة ، لأجل أن يعلما صدقه فيمتثلا دعاءه لهما إلى التوحيد ، وهذه معجزة له كمعجزة عيسى قال : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

* * *

هكذا يضرب المفسرون قديماً وحديثاً على جلالة قدرهم ، وغزارة علمهم ، فى هذا الوادى .

والأمر واضح ، فإن الضـــمير فى قول يوسف عليه السلام « بتأويله » إنما هو لما رأيا من الرؤيا ، وذلك أنهما قالا له: لقد رأينا كذا وكذا فنبئنا بتأويله – أى بتأويل هذا الذى رأيناه ، فقال لهما ما معناه : سوف لا يأتيكما طعام ترزقانه حتى أكون قد نبأتكما بتأويله أى تأويل ما رأيتما ، فإن لى علماً بذلك – أى بتأويل الرؤى – وهو مما علمنى ربى ، فتقدير الكلام على هذا التفسير : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويل ما رأيتما قبل أن يأتيكما ذلك الطعام ، وهو بهذا يريد أن يثبت لهما علمه بالتأويل ، وسرعته فى الإفادة والإفتاء ، ليؤثر عليهما بذلك تأثيراً حسناً ، فيعتقدا فيه الصدق والعلم وسرعة الإفادة التى تدل على رسوخ القدم ، فإذا اعتقدا فيه ذلك سهل عليه بعد هذا الاعتقاد أن يدعوهما إلى دينه ، وكان ذلك أدعى إلى استجابتهما ، ولذلك قال لهما بعد هذا التمهيد : « ذلكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » ... إلى آخر الكلام .

* * *

هذا هو المعنى الصحيح الذى لا يقبل سواه .

ولو كان الضمير فى كلمة « بتأويله » راجعاً إلى الطعام – كما قال المفسرون – لكان معنى الكلام : إلا نبأتكما بتأويل هذا الطعام قبل أن يأتيكما فما معنى تأويل الطعام ؟ وهل يقال : أولت الطعام ، بمعنى أخبرت به ،

وعرفت الناس بنوعه ، والله تعالى يقول فى شأن عيسى : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » فيستعمل لفظ « الإنباء » وهو اللفظ الطبيعى المناسب للمعنى فى هذا المقام ، أما « التأويل » فهو المناسب للرؤيا ، ولم يعهد فى اللغة أن يعبر به عن الإخبار والإنباء .

ثم إن كلمة التأويل جاءت فى سورة يوسف عدة مرات بالمعنى الذى نقوله ، لا بالمعنى الذى يقوله المفسرون فالله تعالى يقول :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث » .

« وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » .

« نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » .

« أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون » .

« وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا » .

« رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث » .

فهل ترى كلمة واحدة خرجت عن هذا النطاق المعنوى من الكلمات التى جاءت فى سورة يوسف ، وهى قوله : « إلا نبأتكما بتأويله » مع أن السياق الذى وردت فيه تلك الكلمات كلها هو سياق الكلام عن الرؤى والأحلام ؟ .

ولقد جاءت كلمة « التأويل » فى غير سورة يوسف ، بمعنى ما يؤول إليه الشىء ، مثل قوله تعالى :

« فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » .

« سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » .

« ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » .

« ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وليس فى شىء من ذلك معنى الإخبار بالشىء ، كما لا يغيب عن فطنة القارىء .

وبهذا يتبين أن المفسرين أطبقوا على معنى معين فى هذه الآية مع أنه ليس معنى صحيحا ، أو ـ على الأقل ـ ليس هو المعنى الأمثل الذى يخلو من التكلف ، ويليق بجلال القرآن .

ولم أجد المعنى الذى ذكرته فى أى كتاب على كثرة ما قرأت ، فهو رأى أحتفظ به لنفسى ، ومن وجده فى كتاب ما فليدلنى عليه مشكورا ، وبالله التوفيق ؟

محمد محمد المدنى

المحرر : من توارد الخواطر أن الألوسى فى تفسيره (روح المعانى) ذكر هذا الرأى وقال ما نصه : « وأيا ما كان فالضمير فى تأويله يعود على الطعام ، وجوز عوده على ما قصاه عليه من الرؤيتين على معنى : لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما إلا أخبرتكما بتأويل ما قصصتما على قبل أن يأتيكما ذلك الطعام الموقت . والمراد : الإخبار بالاستعجال بالتنبئة . اهـ . (ص ٦٥ جـ ٤ روح المعانى المطبعة الأميرية) .

الآثار الإسلاميّة فى بيت المقدس قبل الفتح العُمَرى

للأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسينى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

عن عطاء الخراسانى قال : « بيت المقدس بنته الأنبياء ، وعمرته الأنبياء ، ووالله ما فيه شبر إلا وقد سجد فيه نبى » وهذه العبارة على إيجازها تختصر تاريخاً طوله نحو أربعة آلاف سنة .

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث : الموسوية ، والمسيحية ، والإسلام ، كمدينة بيت المقدس . وبالتالى لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عمرت بالكنس (١) ، والكنائس ، والمساجد ، والديارات ، والزوايا ، والتكايا ، والمدارس والمقابر ، وما إلى ذلك من أماكن مقدسة .

وأراد المؤمنون أن يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن ، وأطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش ، حتى أضحت المساجد والكنائس آيات فنية غاية فى الروعة .

ولسنا نعرف الصورة التى كان عليها هيكل ـ مسجد سليمان عليه السلام ـ ولكن إذا قسنا الماضى بالحاضر تبين لنا أن الموسويين كانوا أقل عناية بالتعبير الفنى عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين . فالكنس الموجودة فى بيت المقدس ، وفى غيرها من بلاد العالم ، معابد بسيطة جداً ، أشبه بمساجد المسلمين فى دورها البدائى ، وليس فى ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال فى المساجد والكنائس فلا مآذن ولا أبراج ولا أجراس ولا زخارف معينة ، وربما يسترعى النظر فيها ضخامة الحجارة والأعمدة ، كما يشاهد فى سور الهيكل القديم — إن صح أنه هو — المعروف بالمبكى .

وجميع الكنس فى بيت المقدس واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخى الذى جدد زمن السلطان سليمان القانونى فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى ، وأقدمها يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر .

---

(١) بوزن فعل بضمتين : جمع كنيس وهو معبد اليهود .

وعلى ذلك يصح القول أن معظم الآثار الموسوية فى بيت المقدس قد درس ، وأضحى -بحق- كباقى الوشم فى ظاهر اليد . على أن الإسلام حافظ على ما بقى منها بعد أن عدها من آثار أنبياء الله المرسلين ، وبالتالى من آثار الإسلام نفسه الذى ترجع أصوله إلى أبى الأنبياء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، وهذا موقف خليق بالتأمل ، فالقرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ، ومحمد عليه السلام جاء خاتم الأنبياء ، منذ بداية النبوة إلى زمن عيسى بن مريم ، عليهما السلام ، وهذا سر ما يتصف به الإسلام من سماحة وسجاحة . فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ، ويؤمن بكتبهما الصحيحة ، ويحترم كل أثر من آثار الأنبياء بقدر ما يحترم آثاره هو .

ومن أقدم الآثار الموسوية التى رعاها المسلمون وعدوها جزءاً من تراثهم الدينى مسجد داود وسليمان — وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - ومما يسترعى النظر فى صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق ، وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان بن داود ، وقد كتب فوق محرابها : « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » .

وأبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجداً فى مكان يسمى « مقام النبى داود » على ربوة جبل صهيون ، سدنته أسرة مسلمة كبيرة هى آل الداودى نسبة إلى داود (والآن تعرف بالدجانى) ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فى هذا المقام قبر النبى داود كشمس الدين المقدسى ، ومجير الدين الحنبلى وعبد الغنى النابلسى . وفى داخل الحرم — الذى يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة — جامع يسمى جامع قبة موسى ، وجامع يسمى جامع كرسى سليمان ، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة ، هذا عدا الآثار التى تقع خارج بيت المقدس ، ومن أشهرها مقام نبى الله إبراهيم فى المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير .

ولم يتبين المسلمون أثراً من آثار السيد المسيح ، مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم ، ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامى فى حوزة المسيحيين أنفسهم ، ونصت العهدة العمرية التى كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك بيت المقدس « أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » . ويظهر أن الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيما ، فقد كانت كنيسة القيامة أول معبد زاره عمر بعد الفتح ، وأراد

البطريرك أن يكرم عمر فعرض عليه أن يصلى داخل الكنيسة حين أزفت ساعة الصلاة ، ولكنه أبى حتى تبقى الكنيسة خالصة لأصحابها .

ونصت العهدة على مسألة أخرى خليقة بالنظر ، وهى « أن لا يسكن بإيلياء - بيت المقدس - معهم أحد من اليهود » . ولم هذا النص ؟ الواقع أن المسيحية أبطلت « العرقية » - النسبة إلى جنس معين - التى كان يؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها .

فقد قال السيد المسيح : « لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم » - متى ٣ / ٩ - . وأكد ذلك بولس الرسول بقوله : « ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد . بل بإسحق يدعى لك نسل ، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا » . والمقصود بالموعد مجىء السيد المسيح - رسالته إلى أهل رومية ٩/٦ - . وقال : « إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم ، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن » - رسالته إلى أهل غلاطية ٣/٩ - . وأكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » ، ومن هنا كانت القطيعة التى نص عليها عهد عمر بطلب من البطريرك ، فى أغلب الظن .

ونخلص إلى حقيقتين : الأولى أن الديانات لا تقوم على العرق ، فالحنيفية أو الموسوية ليست دين جنس معين من البشر ، والمسيحية ليست دين أمة معينة ، والإسلام ليس للعرب وحدهم ، وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب ، فى حين كان أعظم ما قصدته تجميع الناس على خير المثل العليا وأنبلها ، والحقيقة الثانية أن الإسلام هو الوريث الشرعى لتراث الأنبياء ، لأنه آمن برسائلهم وآخى بينهم ، وبالتالى ورث المسلمون فى بيت المقدس المقدسات الموسوية وحافظوا عليها جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الروحى ، والعودة إلى التراث الموسوى وإظهاره أشبه بهدم الطابق السفلى من البناء أو قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليهما ، فليتأمل فى ذلك اليوم المتأملون ! ولاسيما أولئك الذين يبغون هدم المسجد الأقصى بحثاً عن أنقاض هيكل سليمان ! ؟

إسحق موسى الحسينى

الالتزام الخلقى أو الواجب

للأستاذ الدكتور محمد غلاب

إن العاطفة التى تشعر الإنسان بأنه ملزم بإطاعة ضميره ، والاستيقان الباطنى بوجوب هذه الطاعة ، والشعور بأن ذلك الصوت أقوى من صوت الأنانية والنفعية ، كل هذه المشاعر تؤلف ما يدعى بالالتزام الخلقى الذى يفرض عليه وجوب الإذعان للقانون الذى يمليه عليه ضميره ويهتف به أن يعمل الخير وأن يتجنب الشر فى جميع الظروف والأحوال ، ومعنى هذا أن الالتزام الأخلاقى كله داخلى ، وأنه لا يختلط بالإكراه الاجتماعى الناشىء عن القوانين الوضعية . وهو يتضمن حرية الاختيار ، وذلك لأن المرء يستطيع عملياً أن يكون أنانياً ، وأن يكذب ويخدع ويسرق ولكنه يشعر بالالتزام الباطنى بألا يفعل ذلك أى أن ضميره هو الذى يحظره عليه ، وليس هو العقاب البشرى .

وعلى هذا النحو يكون الالتزام الخلقى الحر هو الأساس الأول لكل « خلقية » وإلا فهل يمكن التحدث عن المسئولية إذا لم يكن الاحترام للقانون واجباً علينا وجوباً قاطعاً . وإذا لم يكن لدينا تمام الحرية فى اختيار هذا الاحترام . ومن ثم فإن كل الأخلاق الدينية المنبثقة من الوحى تنص على أن واجب المؤمن هو الانحناء أمام الالتزام الخلقى ، وما ذلك إلا لأن مبادىء هذا الالتزام صادرة عن الله .

أما الأخلاقيون من غير المؤمنين فإنهم يعتقدون أنهم سيجدون فى نور العقل وحده المسوغات الكافية لإضاءة الضمير . وهكذا آمن « كانت » بأنه استكشف طبيعة « الخلقية » وقوانينها . وفى الحق أنه كان خير من عرفوا كيف يستغلون فكرة « الواجب » ويصوغونها فى عبارة بقيت شهيرة ، وهى قوله : لا توجد « خلقية » إلا حين يعمل المرء بدافع « الواجب » أى بوساطة الاحترام النقى للقانون الأخلاقى الذى وجد فى داخلنا قبل كل تجربة . وذلك هو « الواجب » الذى ينبغى تحقيقه دون اختلاط بأية منفعة أو عاطفة . غير أن النقاد الأدقاء الذين تناولوا منتجات « كانت » قد أجمعوا على أنه لم يزد على أن أسس أخلاقه على فكرة الألوهية ، وأن « واجبه المطلق » لا يمكن أن يأتى إلا من الله ، وأن احترامه للقانون الأخلاقى الذى هو المسوغ الشرعى

الوحيد ليس سوى صورة أمينة لاحترام المشرع السماوى كما نراه فى الأخلاق الدينية سواء بسواء . وكما سنرى ذلك فيما بعد .

قلنا آنفاً : إن الضمير الخلقى الذى يأمر بالخير وينهى عن الشر مسلم به من الجميع . ولكن الذين لا يؤمنون بالوحى قد أرادوا الاكتفاء بفكرة الضمير الشخصى . غير أنهم لم يلبثوا أن اصطدموا بكل العقبات التى تنشأ من الأخلاق التطبيقية ، لأنه من المستحيل إقرار قانون عملى يمكن أن ينطبق على جميع أفراد النوع البشرى وفى كل الأزمنة والأمكنة بصور متساوية .

ومأتى هذه العقبات هو أن ذلك النور الفطرى مغلف بالميول الشخصية وقد أصابته الموروثات والعادات بنوع من الغموض فاتخذ سبلا مختلفة ، واتجه اتجاهات متباينة بتباين الحقب والأصقاع والظروف والأحوال والأمزجة ، بحيث يكون الضمير معرضاً لعواصف الحياة وزوابعها التى تجعله ينحرف عن صراطه السوى إلى حد أن يتخلى عن مهمته الأساسية فلا يبقى لديه من فطرته الأولى سوى « الحقائق الأخلاقية » العامة التى بقى بنو الإنسان مجمعين على وجودها .

أما اليقينيات الأخلاقية النظرية فإنها تتخاذل بدافع تلك العوامل الطارئة التى أشرنا إليها آنفاً ، والتى هى قادرة على زحزحة الإنسان عن موقفه الفطرى إذا وكل إلى نفسه ولم يأخذ الوحى بيده فيتردد ويضطرب ويلتجىء إلى العرف والعادات ، وهى بالقياس إلى الضمير إفلاس محقق . وهنا ينم عن أنه غير كاف لإبانة الحق من الباطل ، والخير من الشر . ومن آيات ذلك ما نشاهده من تخبط الشعوب التى زالت منها تعاليم الوحى فى هذا الشأن أو انحرفت أو تشوهت عن طريق الجهل أو الأهواء ، فجعلت تنزل الرفعة فى منزلة الضعة ، ولا تفرق بين الفضيلة والرذيلة . ويرى ذلك منها علماء الاجتماع السطحيون فيحسبون أن هذا الخلط طبيعى فى تلك الشعوب ، وأن ذلك التفريق بين الخير والشر هو الطارىء الذى خلقته المجتمعات لصيانة أنظمتها ، ويرتبون على هذا الرأى الفج الخاطىء أنه لا يوجد فى الفطرة الإنسانية خير ولا شر ، وأن جميع القيم الأخلاقية أوهام لا حقائق ، وأن كل القواعد التى وضعها الأخلاقيون ليست سوى أخيلة من جانبهم أو مصطلحات وضعتها مجتمعاتهم حسب ظروفها ودرجاتها فى الارتقاء .

ولا ريب أن أقل ما يقال فى هذا الرأى الخاطىء الضال المضل أنه عكس الآية وجعل النظريات تسير على رؤوسها لا على أقدامها فبدلا من أن يقرر ـ كما هى الحقيقة الناصعة ـ أن القيم الأخلاقية والمبادىء الفطرية ،

والقواعد التشريعية كانت هى الأصول الحقيقية التى ألهم البارى -جلت حكمته- جميع النفوس إياها قبل عالم الأشباح ثم أنزل الإيحاءات المتتابعة ليأخذ بأيدى البشر كلما انحرفوا وضلوا عن سواء السبيل ، وقد شاء لهم الاختلاف والتفرق والتباين ليمتاز الحق عن الباطل ، ويتبين الخير من الشر. وفى أثناء هذا التفرق اقتضت طبائع الأشياء أن يهتدى البعض ، وينحرف البعض الآخر فى أتم ما تكون حرية الاختيار فينطبق عليهم قول الحكيم العليم «فريق فى الجنة وفريق فى السعير» «وما يعقلها إلا العالمون» .

وأيا ما كان ، فإننا نعود إلى موقف الضمير حين يطغى عليه العرف ، وتطبق عليه العادات والموروثات من كل جانب فنتساءل: أين النور الكاشف الذى يرشد الإنسان ويهديه إلى الحق ويضمن له صحة الحكم ، واستقامة السير؟ ونجيب على ذلك بأنه الوحى أو الحكم الأحد الذى ترضى حكومته ، وإذن فكلما رانت ظلمات العرف والعادات والأهواء على الضمير الفطرى ، وأقامت بينه وبين الحق والخير حواجز صفيقة سترت عنه نورهما فأعلن حيرته وعجزه عن معرفة سبيل الهدى ، وجب أن يهرع المؤمن إلى كنف الوحى الذى لا يعلم الحق فى هذه المواقف إلا هو ، والذى لا يمكن أن يضل من التجأ إليه مخلصاً ، ولا أن يخذله أو أن يحرمه حمايته وإنقاذه ، بل هو يكشف له عما ينفعه وما يضره ، ويرشده إلى اتباع الأول واجتناب الثانى ولو كان قد غرق فى الجهل حين حالت الغواشى العارضة بينه وبين النور الفطرى فأصبح لا يميز بين النفع والضر فاقتنع بنقيض الحقيقة ، وأحب ما يضره ، ونفر مما ينفعه «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (آية ٢١٦ من سورة البقرة) .

القانون الإلهى العملى إذن هو وحده القادر أتم القدرة على إدامة تأثير القانون الأخلاقى الفطرى وإكمال ما ينقص منه خلال الدهور وعبر الأصقاع . وليس معنى هذا أنه يوجد نبعان مختلفان للالتزام الخلقى ، كلا وإنما هما نور على نور ، مبدؤهما كليهما هو منشأ كل نور ، إذ أن النور الذى يأتى إلينا من الوحى لا يمكن أن يحدث أثره فينا إلا عن طريق الضمير الفردى الذى هو مقر الإيمان بالوحى ومبعث العمل على تنفيذ أوامره بعد الاسترشاد الباطنى بنور العقل والتأمل فيما أتى به ذلك الوحى من آيات بينات: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» (آية ٢٩ من سورة ص) .

ومجمل هذا كله أن الله قد وضع فى داخل النفس البشرية نوراً جزئياً لكشف الحق ما دامت

الطرق أمامها معبدة مستقيمة ، وهو الضمير ولكنه غير كاف لتقديم القانون العملي الشامل بقواعده العامة وأوامره ونواهيه الواضحة ، فشاءت الحكمة الإلهية أن تنزل الوحي على من تختاره من البشر بعد أن أعدت الجميع إعدادا كاملا لتلقي هذا الوحي من الرسول المختار ، لتتم الهداية ويكمل الإرشاد . ولو أن الله جل جلاله ترك الناس بلا وحي بعد أن انحرفوا عن الطريق القويم ، وأصبحوا لا يصغون إلى هتاف الضمير الفطري لضلوا بعد الهدى السابق على عالم الأشباح وكانوا أدوات لإضلال غيرهم ، ولكن الله رءوف رحيم « وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم » (آية ١١٥ من سورة التوبة) « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي إنه سميع قريب » . (آية ٥٠ من سورة سبأ) .

المبادىء الأساسية للالتزام الخلقي :

إن القانون الأخلاقي العملي الذي أتى به الوحي هو القانون المثالي بأدق معاني هذه هذه الكلمة وأعمقها ، لأنه ـ في جميع نظراته إلى الإنسان والحياة ـ يمثل الحق والخير الأسمى في ذاته ، أو من حيث هو خير ومتفق مع العدل الباطني والظاهر قبل كل اعتبار . ومن ثم ومن هذه الحيثية على الأخص ، كان ـ بأمر المشرع وإرادته ـ إلزاميا « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » (آية ٩٠ من سورة النحل) . « والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير » (آية ٢٠ من سورة غافر) . « الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » (آية ١ من سورة إبراهيم) . « بعث لأتمم مكارم الأخلاق » (رواه مالك في موطئه) .

الواجب ومنزلته في الأخلاق الإسلامية :

يأمر الله المؤمنين بالخضوع المخلص والطاعة الصادقة للقانون الأخلاقي الذي يعبر عنه المشرع بأنه هو الطابع المميز للمؤمن التقي ، بل هو يجعل من الشرائط الأساسية التي تتحقق في المسلم قبل كل شيء أن تتجه أفكاره وميوله نحو الإذعان للقانون الأخلاقي بدافع احترامه للأوامر الإلهية دون تطلع منه إلى منفعة خاصة أو فائدة شخصية ، أي أن يقطع بين هذه الطاعة ، وجميع النتائج التي يمكن أن تترتب عليها . وقد وضع الأخلاقيون المسلمون هذا الباعث على رأس سلسلة البواعث الدافعة إلى الخير والفضيلة ، والتي تحدد السلوك الإنساني ، والتي تتفاوت مراتبها ودرجاتها بتفاوت غاياتها وأهدافها فإذا فعل المرء الخير ، لأن الله يحب

ذلك منه ، وترك الشر لأن الله يكرهه لحسب كانت منزلته أسمى منازل المؤمنين « وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » الآيات من ١٧ إلى ٢٠ من سورة الليل) . « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » (رواه ابن قتيبة) .

غير أنه لا بد أن تتوج الطاعة التى لا يقصد منها إلا ابتغاء مرضاة الله ، عقيدة راسخة بأنه سبحانه وتعالى حقيق بكل طاعة وتقوى وحب وعرفان بالجميل : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » (آية ٥٦ من سورة المدثر) .

وبعد هذه المرتبة التى لا تؤدى فيها الأعمال إلا ابتغاء مرضاة الخالق المنعم ، تأتى درجة الأعمال التى يأمر بها الوحى لهدف قيمى قد تدق نتائجه على الإدراك البشرى المحدود فيبين له الشارع صوابها مشيراً إلى شىء من تلك النتائج الواقعية التى من شأنها إصلاح الفرد والمجتمع دون أن تنزل إلى دركة النفعية المبتذلة ، كأن يكون المرء فى نزاع بينه وبين زوجه، أو بينه وبين أحد آخر ، وأن يكون فى الاتفاق مع الطرف الآخر غبن له أو تضحية منه فيأمره المشرع السماوى بتحمل هذا الغبن وتحمل التضحية فى سبيل السلام والوئام « والصلح خير » (آية ١٢٨ من سورة النساء) .

طوابع الالتزام الخلقي وشروطه :

إن الالتزام الخلقي فى الإسلام له كل طوابع القواعد العامة وشرائطها ، أى أن تكون شاملة ثابتة مستقرة لا تخضع للعوامل المختلفة ، ولا للظروف المتباينة ، ولا للأزمان المتعاقبة ، ولا لعادات الأصقاع المتعارضة ، ولا لمشارب الأجناس المتفاوتة ؛ لأن كل هذه الاضطرابات والتغييرات من من خصائص الأرض لا من مميزات السماء ، ولأن شمول الإسلام وعموميته ، بل كونيته وثباته هى الطوابع الأساسية التى ضمنت له صلاحيته للكون كله ما بقيت على هذه الأرض حياة ومبادىء والتزامات : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (آية ١٥٨ من سورة الأعراف) . « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » (آية ١ من سورة الفرقان) .

أما شروط الالتزام الخلقي الأساسية فمن أبرزها شرط إمكان التنفيذ بلا تعذر ، ولا تعسر ، ولا تحرج ، أى أنه لا يتجه إلى المرء إلا فى حدود وسائله الممكنة ، بل الميسورة له دون أدنى ضرر « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (آية ٢٨٦ من سورة البقرة) .

ومعنى هذا أن كل ما لا تستطيع قوة الفرد أن تتغلب عليه ، أو لا يقوى إطار إمكانياته على الاتساع له ، هو مبعد بأمر هذا القانون الخلقى السماوى ، لأنه يحظر على الإنسان ما يستنفد قواه أو يرهقها « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (آية ١٨٥ من سورة البقرة) « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » (آية ٢٨ من سورة النساء) . « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » . (رواه أحمد فى مسنده عن أنس) .

غير أن الشارع قد علم أن هناك أفراداً قد يزعمون أنه ليس فى وسعهم أن يفعلوا كذا أو كذا ، وهم قادرون على فعله فأنذرهم بأنه سبحانه وتعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (آية ١٩ من سورة غافر) ، « ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » (آية ٥٩ من سورة الأنعام) .

ولقد علم البارى جل جلاله أن الأهواء هى التى تضل الأفراد وتجعلهم يتظاهرون بأنهم عاجزون عن القيام بالالتزام الخلقى ، ولذا أمرهم ألا يتبعوا هذه الأهواء التى لها فى سلوكهم أسوأ الآثار ، ونهاهم فى عدة مواضع من القرآن عن اتباعها أو الانحراف معها إلى سبل الشر والعصيان : « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (آية ٢٦ من سورة ص) « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » . (آية ٥٠ من سورة القصص) ؟

دكتور محمد غلاب

(البقية على صفحة ٤٠٤)

على أن العدنانيين الذين ملكوا أكثر الدنيا القديمة ولا يزالون يملكون ما بين النيل والفرات هم من نسل أبرام (إبراهيم) من صلب إسماعيل ، فلم لا يكون الوعد لهم وقد تحقق ، ولم لا يقبل النصر عليهم وإن تباطأ ؟

إن إسرائيل - ياقوم - طغت على القناة وجرت على الأردن ، وقد بسطت أمريكا على جرائمها البشعة ضباب العمى وحجاب السمع فلا تبصر ، ولا تسمع ، واستجرت أوربا الحاقدة لدعايتها الخادعة فلا تعى ولا تدرك . فليس أمامنا إلا أن نحقق وعد الله بأموالنا ودمائنا وإيماننا دون اعتماد على شرق أو التجاء إلى غرب .

إن الإسلام قوته فيه ودفاعه منه . ولا يزال كتابه فى أيدينا يعمر القلوب بالقوة ، ويغمر النفوس بالحياة . والقوة قوة الإيمان ، والحياة حياة الروح . أما قوة الأساطيل على الماء وفى الهواء فقد يأتيها أمر الله ليلا أو نهارا فتصبح دخانا فى السماء وحطاما على الأرض !

أحمد حسن الزيات

نفحات القرآن

علم الغيب وتحضير الأرواح

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

— ٢ —

تحضير الأرواح عود على بدء :

١ — لا بأس أن يتسع المجال لكل باحث علمى ، وأن يتضاعف نشاط الموهوبين ليفسحوا لنا بعدان المعرفة ... ويضيئوا لنا بالعلم آفاق الحياة .

غير أننا نلحظ أحيانا أن فئة من غواة البحث يستغلون حاجة الإنسانية إلى المزيد من الثقافات ؛ ويزعمون أن كل تخمين يسمى علما ... وهذه ظاهرة الغرور بالنفس ... وهى خدعة فاتنة لأدعياء العلم ... كغواية الجهل للجهلاء ، أو أشد وبالا .

ومثل ذلك ما يسمونه قديما بتحضير الأرواح من عالم الآخرة . وتتمثل الروح فى شخص محمد ينومونه تنويما صناعيا - مغناطيسيا ... ثم يوجهون إليها أسئلة عن فلان المتوفى . أوفلان الغائب عن أهله الخ .. والروح تجيب عن تلك الأسئلة .. كما يصورون هذا فى قصص طويل . وعجيب .

والذى يعرفه أهل العلم أن الأرواح بعد مفارقتها الأجسام لا يكون لها اتصال عملى بالدنيا ، ولا بأهل الدنيا .. فلا نعلم عنها شيئا خاصا ، ولا تحمل إلينا أنباء ، ولا إحاطة لها بما نستفهم عنه .. ولا جواب لها عن سؤال .

وكل ما نصدق به من هذا القبيل هو ما نعرفه عن طريق الدين ، وليس عن طريق التخمين .

وذلك أمور ثلاثة :

أحدها : ما حصل للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج . إذ أتاح الله لرسوله محمد أن تتمثل له شخصيات الأنبياء فى حياة صحيحة ، وأن يصلى بهم إماما ، ليثبت الله لنا ما بين الأنبياء من صلة .. ويثبت فضل محمد عليهم فى صورة واقعية . . وهذه معجزة من جانب الله . . والمعجزات يجب أن تكون أمرا غريبا ، فوق مقدور البشر . . . ولا يمكن بحال أن نحاكيها مهما بلغنا من دعوى العلم . . ولو استطعنا حكايتها لبطل أن تكون معجزة .

٢ ــ الأمر الثانى : مسئلة الرؤيا فى المنام . فإن روح الإنسان تلتقى مع روح الميت فى حالة النوم والنوم يعتبر موتاً أصغر : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » .

وحينما يكون الاتصال بين الروح ، والروح التى تجردت من مظاهر الحياة بسبب النوم، لايقال: إن هذا تحضير للروح ، بل هو أمر من جانب الله ـ تعالى ـ ولا تصرف لأحد فيه .. فإذا كان الاتصال مفهوم القصد ولو إجمالا كان هذا فى اعتبار الشريعة ـ رؤيا ـ والرؤيا ذات مغزى يستطيع ذوو الفراسة من أهل العلم تأويل صورتها وما حصل فيها من المناجاة بين الروحين ... والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول عن هذه المنامات الصادقة ـ الرؤيا من الله ـ .

وقد يكون الاتصال بين الروحين مضطربا ، أو يكون المنام مزعجاً ، أو تافهاً ، لا هدف فيه وهذا يكون من الشيطان ، ولا يسمى رؤيا ... بل يسمى حلماً بضم الحاء ، ولا يكون ذلك اتصالا بين روحين بل هو أضغاث أحلام ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فى هذا ـ والحلم من الشيطان ـ .

٣ ــ الأمر الثالث : أن الأرواح التى يمكن استحضارها بالمحاولات العلمية ـ هى : الجن ... والجن يسمون أرواحا ، بالنظر لأننا لا نراهم فى صورهم الحقيقية .

ولا شك من ناحية العلم ... ولا من ناحية الواقع أن الجن خلق يعيشون معنا فى كل زمان ، وفى كل مكان ، ويلابسوننا فى حالة اليقظة ، وحالة النوم ، ولهم محاولات مع الناس ، وتصرفات واقعية ، وفى القرآن ، وفى السنة مجال واسع للحديث عن الجن، ولا نطيل فيه ... ونستعيذ بالله منهم دائماً : فإن فيهم أشراراً ، وكفاراً ، ويؤذون الناس بما لا يحتمل ... وقانا الله جميعاً من خبثائهم .

وهناك كتب قديمة : وفى الناس من يزاولون البحث فى هذه الكتب .. ويعرفون منها ما يقرأ ، أو يستعمل بخوراً لاستحضار الجن ، واستخدامهم فى أعمال شريرة ، أو الاستعانة بهم فى التخلص من الأعمال الضارة وقد ثبت شرعا ، وواقعياً أن لكل امرىء منا قريناً منهم ، يلازم الإنسان ، ويحيط علماً بكل ما يتعلق به .

فمن المسلم به دون مكابرة أن استحضار الجن يتيح الاستفهام منهم عن أمور سبق حصولها ... وعن أحداث جارية ، ولكن علمنا لم يتصل بها .

«ولعل ذلك هو ما يزعمه المحترفون لهذه الصناعة ـ تحضير الروح ـ ولا نقول إن الجن يصدقون فى كل ما يسمع منهم .. وإنما نقول : ذلك شأن واقع ، وفيه حق ، وفيه باطل ، ومن الكثير الذى ذكره القرآن عن

الجن.. «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟. تنزل - بتشديد الزاى مفتوحة - على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع ، وأكثرهم كاذبون » وذلك فيما يتعلق بأمور الناس فللشياطين فيه مجال ، ومحاولات .

أما ما يتعلق بالوحى إلى الرسل ... وما يتصل بالدين فليس لهم وسيلة إلى تناوله ، ولا التعرض له .

والقرآن يقول فى ذلك : « وما تنزلت به - الوحى - الشياطين ... وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون » .

٤ — والخلاصة أن تحضير الأرواح من عالم الآخرة أمر لا ينهض إلى الصواب الذى نعقله ، ونؤمن به .

ولو كان هذا حقاً لما وجدناه مفقوداً فى القرآن ... وفى السنة ... وفيما أثر عن سلف المسلمين .

وقد تحدث أمامنا بعض من اشتغلوا باستحضار الأرواح زمناً طويلا ... ثم أنكروا على أنفسهم هذا المسلك .. وقرروا أنه عمل هازل ... واستغفروا الله لأنفسهم من تلك المأثمة .

والذى نراه من شأن التحضير للأرواح أنها فكرة نبتت فى رءوس الملاحدة من أهل الزندقة وقصدهم من ذلك إشعار الناس بأن العلم بالغيب ليس قاصراً على الوحى إلى الأنبياء .

وأن الوصول إليه ولو من بعض نواحيه مستطاع بتحضير الأرواح التى أصبحت فى عالم الآخرة ولا تقول إلا حقاً .

وذلك خطوة أولى من التشكيك فى علم الغيب ... وربما أعقبتها خطوات كثيرة حتى يعودوا بالناس إلى الجهالة ، والكفر بما تركز الإيمان به عند المؤمنين .

ولاشك أن الدنيا لا تخلو من الغواة الذين يتعشقون الباطل ، وينشطون فى سبيله ، وفى أى لون يكون .

ولا تخلو من المخدوعين الذين يتهافتون على الأخذ بكل جديد ، وهم غير أهل لدرء هذه الضلالة أو نحوها عن أنفسهم ... ولا أهل للموازنة بين الحق والباطل ... وهؤلاء هم ضحايا الغواة المفسدين فى الدين كما تجد أمثالهم من ضحايا السياسات ، والنظم الاجتماعية الغاشمة الهدامة .

٥ — وما دام فى الدنيا دين صحيح ... وفيها حق ناهض . وفيها قرآن يتردد صداه فى الآفاق : فسوف يظل صوت الهداية صداحا فى آذان الأحياء ... ولا يمكن للباطل أن يثبت على قدميه أمام صولة الحق الذى وعد الله بنصرته فى قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر ... وإنا له لحافظون ... » ؟

عبد اللطيف السبكى

مكانة الفقه الإسلامي

للأستاذ زكريا البري

— ٤ —

إجماع الفقهاء :

ومن الأدلة الفقهية عند جمهور العلماء — الإجماع (١) ، وهو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين فى عصر من العصور بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على حكم من الأحكام الشرعية العملية .

فيتحقق الإجماع عندهم إذا وجدت الأمور التالية :

أولا - أن يتفق المجتهدون ، فلا عبرة باتفاق غيرهم من العوام أو ممن لم يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد الفقهى(٢) ، ولو كانوا أعلم العلماء فى فنونهم الأخرى ، لعدم قدرتهم على النظر والاستدلال فى أمور التشريع ، « ولأن المتكلم الذى لا معرفة له بكيفية استنباط الأحكام من النصوص لا اعتبار بأمره ونهيه » (١) .

فلو خلا عصر من المجتهدين لم يتحقق الإجماع الشرعى ، وإذا وجد جماعة من المجتهدين انعقد الإجماع باتفاقهم ، وأقل عدد يتحقق به الإجماع ثلاثة - كما هو الراجح - لأنه أدنى عدد للجماعة .

وقد اشترط بعض العلماء أن يبلغ المجمعون عدد التواتر(٢) ، حتى يؤمن معه وقوعهم فى الخطأ .

---

(١) يقول الآمدى : (الإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فى عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع) الاحكام ج١ ص٢٨١

(٢) يقول الأسنوى : فلا عبرة بقول العوام ولا بقول علماء فن فى غير فنهم ، لأن قولهم فيه يكون بلا دليل لكونهم غير عالمين بأدلته .

(١) الفخر الرازى ج ٣ ص ٣٦٣ .

(٢) وقد اختلف العلماء فى أقل عدد يتحقق به التواتر فى السنة ، فذهب بعضهم إلى أنه خمسة ، وبعضهم إلى أنه اثنا عشر ، وبعضهم إلى أنه عشرون ، وآخرون إلى أنه أربعون ، وغيرهم إلى أنه سبعون ، ومنهم من قال: إنه ثلثمائة وثلاثة عشر ، والمختار أن أقل عدد =

ثانياً : أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين ـ على اختلاف بلادهم وأجناسهم ـ لايشذ عنهم أحد ، فلو خالف بعضهم لم يتحقق الإجماع ولو كان المخالف واحدا .

فلا عبرة عندهم باتفاق الأكثر مهما زاد عددهم وقل عدد مخالفيهم ، ولا عبرة باتفاق مجتهدى الحرمين (مكة والمدينة) فقط ، أو باتفاق مجتهدى المدينة وحدها ، أو باتفاق مجتهدى المصرين : (الكوفة والبصرة) فقط ، أو باتفاق مجتهدى إحداهما فقط ، أو باتفاق مجتهدى آل البيت النبوى وحدهم ، أو باتفاق الخلفاء الراشدين الأربعة، أو باتفاق الشيخين: (أبى بكر وعمر) فقط ، لأن مخالفة غيرهم لهم تجعل رأيهم غير مقطوع بصحته وصوابه (١) .

ويدخل فى المجتهدين الذين لاينعقد الإجماع إلا باتفاقهم ـ المجتهدون من أهل الفرق الإسلامية ، التى لم تنكر أمرا معلوما من الدين علماً ضرورياً ، وإن خالفت جمهور المسلمين فى غير ذلك .

أما من أنكر المقررات الإسلامية القطعية فإنه لا يعتد برأيهم، وافقوا أو خالفوا .

ثالثا : أن يكون الاتفاق بإبداء كل واحد من المجتهدين رأيه صراحة فى وقت واحد ، سواء أبدى كل واحد منهم رأيه على انفراد ودون اجتماع بالآخرين ، أم أبدى المجتهدون آراءهم مجتمعين فى مكان واحد ، بأن انعقد مؤتمرهم وتناقشوا فى المسألة المعروضة للنظر وانتهوا إلى رأى واحد أعلن كل منهم موافقته عليه ورضاه به .

رابعا : أن يكون الاتفاق على رأى واحد حقيقة ، بأن اتحدت آراؤهم اتحادا تاما ، أو يكون اتفاقهم على رأى واحد حكما ، بأن انقسموا إلى فريقين مثلا لكل فريق رأيه ، فإنهم يكونون مجمعين على عدم وجود قول ثالث ، وهو مايسمى بالإجماع المركب(١) .

= غير معروف ، فنحن لا نعرف العدد الذى حقق معرفتنا بوجود دمشق وبغداد وغيرهما ، ولو كلفنا أنفسنا ذلك عند توارد المخبرين بأمر من الأمور لم نجد إليه سبيلا عادة . انظر الأحكام للآمدى جـ ٢ ص ٤٠

(١) خالف بعض العلماء فى هذه الأمور وذهبوا إلى غير رأى الجمهور (انظر نهاية السول للأسنوى جـ ٣ ص ٨٨٠) .

(١) وذهب فريق من العلماء إلى أن الإجماع لا ينعقد فى هذه الحالة لعدم اتفاق المجتهدين على رأى واحد وانقسامهم فريقين ، فيجوز لمن يأتى بعدهم أن يذهب إلى رأى ثالث جديد دون تقيد بما روى عنهم ، واختار بعض العلماء التفصيل ؛ فقالوا: إذا كان القول الثالث يرفع مااتفقوا عليه كالقول بتوريث الأخوة دون الجد كان مخالفا للإجماع ، فإن الفريقين =

ولا يشترط فى انعقاد الإجماع انقراض المجمعين ، بل يتحقق الإجماع فى حياتهم ، وذهب بعض العلماء إلى أن الإجماع لا ينعقد إلا بانقراضهم جميعا ، لجواز رجوع بعضهم عن رأيه فى حياته .

إجماع الأكثرية :

ذهب جمهور العلماء - كما قلنا - إلى أن الإجماع لا ينعقد إذا اتفق أكثر المجتهدين على رأى ، وخالفتهم الأقلية ، وذلك لأن الأدلة المثبتة لحجية الإجماع واردة فى عصمة الأمة كلها لا أكثرها . وقد جرى على ذلك عمل الصحابة ، فقد خالف ابن عباس أكثريتهم فى العول والمتعة وربا الفضل ، ولو كان رأى الأكثر حجة ، لبادروا إلى الإنكار عليه وتخطئته ، ولم ينقل ذلك عنهم وإنما نقل عنهم مناظرته فقط .

وذهب ابن جرير الطبرى وأبو بكر الرازى وأبو الحسين الخياط وأحمد بن حنبل فى إحدى الروايتين عنه ، إلى انعقاد الإجماع برأى الأكثرية إذا قل مخالفوهم ، وذهب بعضهم إلى انعقاد الإجماع برأى الأكثرية إذا كان مخالفوهم لا يبلغون حد التواتر ، وذهب بعضهم إلى أن قول الأكثر حجة ولكنه لا يسمى إجماعا ، ورأى آخرون أن اتباع رأى الأكثرية أولى فقط .

وقد استدل القائلون بحجية رأى الأكثرية بما يلى :

أولا : بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «عليكم بالسواد الأعظم»[1] «عليكم بالجماعة» . «يد الله مع الجماعة» ، «إياكم والشذوذ» ، «الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد» وهى أحاديث يقوى بعضها بعضا ، وتدل على الاحتجاج برأى الجماعة الكثيرة .

ثانياً : أن الأمة قد اعتمدت فى خلافة أبى بكر على انعقاد الإجماع عليها باتفاق أكثر الصحابة مع مخالفة بعضهم كعلى وسعد ابن عبادة .

= قد اتفقوا على توريث الجد ، فالقول بحرمانه مخالف لما اتفقوا عليه .

أما إذا كان القول الثالث لا يرفع حكما متفقا عليه من الفريقين ، فإنه لا يكون ممتنعا كما فى المسألة العمرية (انظر الوسيط فى أحكام المواريث للكاتب ص ١٠٩ ، ١١٤) .

(١) روى أبو نعيم عن الطوسى قوله : سمعت إسحاق بن راهويه ذكر فى حديث رفعه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - قوله : إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة ، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم ، فقال رجل : يا أبا يعقوب، من السواد الأعظم ؟ فقال : محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعهم ... (الاعتصام جـ ٣ ص ١٤٤) .

ثالثاً : أن خبر الواحد بأمر لا يفيد العلم بعكس خبر الجماعة المتواترة ، فإنه يفيده ، فيكون الأمر فى الاجتهاد الفقهى كذلك ، وينعقد الإجماع برأى الأكثرية .

رابعاً : أن كثرة الرواة ترجح صدق الرواية ، وكذلك كثرة المجتهدين فى جانب واحد ترجح صحة رأيهم .

خامسا : أن الاعتداد بمخالفة الأقلية يمنع انعقاد الإجماع أصلا ، لأنه لا يكاد يسلم إجماع من مخالفة واحد أو اثنين له سراً أو علانية ، وفى ذلك تعطيل لدليل شرعى .

سادسا : أن الصحابة قد أنكروا على ابن عباس مخالفته لرأى الأكثرية فى العول والمتعة وربا الفضل ، والمناقشات بينهم وبينه لم تكن مناظرة ، وإنما كانت إنكاراً عليه لمخالفة رأى الأكثرية .

سابعا : أما النصوص الدالة على عصمة الأمة فمحمولة لذلك على اتفاق الأكثرية ، وذلك جائز وكثير فى الأسلوب العربى(١) .

الإجماع السكوتى :

الإجماع الذى يبدى فيه كل واحد رأيه صراحة يسمى إجماعا صريحا ، وهو الإجماع المعتد به عند جمهور العلماء .

أما إذا ذهب مجتهد من المجتهدين إلى رأى فى مسألة فقهية وأعلنه وعرف عنه ، وسكت باقى المجتهدين ، ولم ينكر عليه أحد منهم ، فإن الإجماع لا يتحقق بذلك ولا يحتج به ، مستدلين على ذلك بما يأتى :

أولا : أنه لا ينسب لساكت قول ، والقول بتحقق الإجماع بسكوت باقى المجتهدين يحملهم تبعة رأى لم يقولوه ولم يظهروه ، ويفسر سكوتهم بالرضا والموافقة ، وهو مالم يقم عليه دليل ، ولو كانوا موافقين لصرحوا بذلك .

ثانيا : أن السكوت تحيط به احتمالات نفسية باطنة ، لا يمكن الجزم معها بأن باقى المجتهدين قد سكتوا موافقة رضا ، وذلك أن السكوت قد يكون مهابة للقائل ، أو لعدم الانتهاء إلى رأى فى موضوع الفتوى ، أو رغبة عن مصادمة القائل برأى مخالف ، لاعتقاد أن كل مجتهد مصيب ، أو لسبب آخر لا نعلمه ، فلا يمكن حمل السكوت على الرضا مع كل هذه الاحتمالات .

وذهب فريق من العلماء ، منهم الإمام أحمد وأكثر الحنفية وبعض أصحاب الشافعى ، إلى أنه لا يلزم من اتفاق المجتهدين أن يكون صريحا ؛ بل إن الإجماع ينعقد بإعلان أحدهم رأيه وسكوت الباقين ، ويسمون هذا إجماعا سكوتيا ، يحتج به ويستدل على حكم الله .

---

(١) انظر الأحكام للآمدى جـ ١ صفحة ٣٣٦ — ٣٤٤ .

وقد استندوا فى رأيهم إلى ما يأتى :

أولا : أن العادة قد جرت بتصدر الأكابر للفتوى ، وسكوت غيرهم عند موافقة رأيهم لرأى كبارهم ، فالسكوت محمول على الرضا والموافقة بمقتضى العرف والعادة .

ثانيا : أن عمل المجتهدين هو بيان الحكم الشرعى ، وسكوتهم عن بيانه فى موضع البيان ووقته ، حيث أعلن أحدهم رأيه ، يعد بيانا وموافقة على هذا الرأى ، لأن السكوت فى موضع البيان بيان .

ثالثا : أن السكوت لا يحمل على الرضا إلا إذا كان مجردا من الدلالة على الإنكار والمخالفة ، وإلا إذا مضت مدة كافية للتروى وتكوين الرأى ، والقول بأن السكوت قد يكون مهابة للقائل أو خوفا منه أو نحو ذلك ، لا يليق فى جانب المجتهدين الذين بلغوا أعلى المراتب الفقهية والدينية ، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس يرتكب حراما وفسقا(١) ،

وفضلا عن ذلك فإن هذه الاحتمالات وغيرها احتمالات لا يقوم عليها دليل ، فلا يعتد بها ولا يعول عليها ، ولا تقدح فى وجود الإجماع ، وأن الاحتمال الناشىء عن دليل هو وحده الذى يسقط الاستدلال ولم يوجد

وقد توسط بعض العلماء فذهب إلى أن هذا الإجماع السكوتى لا يسمى إجماعا لعدم تحقق الاتفاق فيه ، حيث لم يعلن كل واحد من المجتهدين رأيه ، ولكنه يعتبر حجة ودليلا شرعيا ، لرجحان كون السكوت موافقة لا مخالفة .

وإلى العدد القادم لنواصل القول فى قضية الإجماع ؟

زكريا البرى

---

(١) وما روى عن ابن عباس من قوله ـ وقد أظهر مخالفة عمر فى القول بعد موته ـ : « كان رجلا مهيبا فهبته » لم يصح ، وكيف يصح وقد كان أمير المؤمنين عمر يقدم ابن = عباس على أكابر الصحابة ويستحسن قوله ، كما كان عمر ألين للحق ، وهو القائل : لا خير فيكم إن لم تقولوا ولا خير فى إن لم أسمع ، وهو القائل أيضا فى شأن المرأة التى خطأته فى تحديد المهور : أصابت امرأة وأخطأ عمر ومثل ابن عباس فى دينه وعلمه لا يهاب أحدا فى الحق والدين .

التّمسُّك بقِيَم الدّين

للأستاذ علي العمّاري

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى الخطبة التى ألقاها بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢م : « إن الشعب يطالب بالنقاء الثورى ، والإرادة الثورية وأنا أطالب مع الشعب بذلك . لابد من النقاء الثورى ، ولابد من الطهارة الثورية ، لابد من التمسك بقيم الدين ، والاعتصام بها » .

وهذه الخطبة من أجمع الخطب وأشملها للمبادئ السامية التى يجب أن يتمسك بها شعب يريد لنفسه النصر ، ولكنها — مع شمولها وجمعها لهذه المبادئ الكثيرة السامية — تتركز فى كلمة واحدة ، هى تلك التى أثبتها فى أول هذه الكلمة .

فكل فضيلة نريد أن يتحلى بها الشعب ، وكل خطوة نبيلة كريمة نريد منه أن يخطوها ليحقق أهدافه الكريمة النبيلة ، وليقضى على أعدائه ... كل ذلك مصدره التمسك بقيم الدين ، والاعتصام بها .

وكلمة (لابد) التى كررها الرئيس فى كلمته هذه لها أهميتها ودلالتها ، فليس يكفى أن يتمسح الشعب بشعائر الدين ، ويتهاون فى التمسك بها ، ولا يمكن أن نرجع أية نكسة فى حياة المجتمع الداخلية أو الخارجية إلا إلى فقدان كلمة (لابد) هذه .

(والشعب يطالب) هكذا يريد الشعب ، وله الحق فى هذه المطالبة ، ولذلك فإن الرئيس أعلن أنه مع الشعب فى هذه المطالبة .

ولكن من هو الذى يطلب إليه أن يتمسك بقيم الدين . وأن يحافظ على النقاء الثورى ، والطهارة الثورية ؟ إنه الشعب نفسه ، الشعب هو المطالب بهذا ، فكأن الشعب يطلب إلى أفراده سواء كانوا حكاما أو محكومين ، سواء كانوا فى موضع القيادة ، أو فى مكان الجماهير العاملة ، يطلب إلى هؤلاء الأفراد أن ينقوا أنفسهم ثورياً ، وأن يرجعوا إلى قيم الدين ومثله العليا .

فالفلاح فى حقله مطالب بأن يراقب ربه فى كل عمل يعمله ، فلا يهمل ولا يكسل ، ولا يعطى أقل مما يأخذ ، ولا يخدع ولا يغش ، وليستحضر فى نفسه دائما أنه مسئول أمام ربه عن بذل كل جهده فى سبيل إسعاد أمته ، وزيادة دخلها ، وتدعيم اقتصادها ، وليراقب

ربه فى معاملة جيرانه ، فيعطيهم حقوقهم ، ولا يسمح لنفسه أن يجور على أحد منهم ، إن غرته قوة أو جاه ، وليفرح للخير يصيبهم وليألم للشر ينزل بهم ، وبذلك يتحقق فى قلبه الإيمان ، الذى جاء به خبر الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

فإذا كانت النفوس كلها على هذه الأخلاق الرفيعة التى دعا إليها الدين سادت المحبة بين الناس ، وتوثقت عرى المودة والتعاون بينهم ، وأغلت أرضهم ، وكثر الخير فيهم ، وكانت نفوسهم مهيأة إلى محاربة أعدائهم ، متماسكة كلها على قلب رجل واحد ، بعيدة عن الأحقاد ، وعن الحسد ، وعن الاشتغال بتلمس عيوب الآخرين ، وتربص الدوائر بهم ، والعمل على إيقاع الشر والأذى بأموالهم أو بأنفسهم .

ويوم تصفو نفوس أهل الريف هذا الصفاء الذى يدعو إليه الدين تظفر الأمة بأكبر قوة متحابة متعاونة من أبنائها ، ويقترب يوم النصر على الأعداء .

أما إذا ظل هؤلاء الأشقاء بعيدين عن روح الدين يحقد بعضهم على بعض ، وتسود بينهم العداوة ، والتعاون على الإثم والعدوان ، وتضعف فى نفوسهم مراقبة الله تعالى فى كل عمل يعملونه ، فإن الأمة تصاب بالهزال والضعف ، لأن قوة من قواها ، فككتها الأوهام والأضاليل ، وأضعف من بنيانها بعدها عن الدين .

* * *

والموظف فى وظيفته ، عليه أن يراقب ربه ، ويخلص فى العمل ، ويبعد نفسه عن كل شبهة من شأنها أن تضعف الثقة به ، أو تشكك الناس فى الهيئة التى ينتمى إليها .

ليس صحيحاً أن كل موظف يتصل عمله بالجمهور خائن أو مرتش أو مستعد لأن يختلس متى قدر على ذلك ، ليس هذا صحيحا ، ولن يكون صحيحا أبداً إلا إذا افترضنا أن قيم الدين لم يعد لها وجود فى نفوس هذه الطائفة من الشعب ، ومع ذلك فإن كثيرين من أصحاب الحقوق ، يرددون هذه الكلمات .

والدين ينهى أن يسىء الإنسان الظن فى الناس ، ولكنه فى الوقت نفسه ينهى أن يضع الإنسان نفسه فى موضع الظن ، وفى ذلك معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : «من وضع نفسه فى مواضع الشبهات فلا يلومن من أساء به الظن» .

لا يمكن أن نصدق أن كل الناس أخيار ، وكذلك لا يمكن أن نصدق أن كلهم أشرار ،

فالخير والشر موجودان فى الناس ، فى كل طائفة ، وفى كل هيئة .

ولكن الذى نخشاه أن يسود حب الشر فى طائفة بعينها ، وأن تطول المسافة بينها وبين قيم الدين .

والذى يستمع إلى حديث الناس فى أنديتهم ، وفى مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة يكاد يعصر الأسى واليأس قلبه ، فقلما تسمع كلمة مدح فى موظف لعمله اتصال بالجمهور ، فى حين تسمع كثير آمنأ خبار الإهمال والرشوة ، والمحسوبية ، والتهاون فى أموال الدولة .

وقد قلت — وأؤكد — أن هذه مبالغات تضر أكثر مما تنفع ، ولكن مما يؤسف له أن لها حقائق ، وأصولا ترجع إليها .

وسبب ذلك عند كل من الفريقين : الفريق الذى يذم ، والفريق الذى يتعرض للذم ، سببه هو الجهل بقيم الدين ، وعدم التمسك بها عند من يعرفونها .

وماء النهر قد يكون عذبا صافيا ، ولكن إلقاء حفنة من التراب فى مجراه قد تعكره . فما بالنا نجد أناسا غفلوا عن ضمائرهم ، وعن أوامر دينهم ، يسيئون إلى أنفسهم ، وإلى غيرهم ممن لم يجن جناية تضعه فى (قفص) الاتهام أمام الجماهير ؟ !

إن الثورة المباركة شددت النكير ، وشددت العقوبات على كل انحراف يضر بمصلحة الوطن ، أو يزرع الأحقاد فى نفوس الآخرين ، أو يزيل الثقة فى أجهزة الدولة المختلفة .

والثورة فى ذلك إنما تستوحى أوامر الدين ونواهيه ، التى تهدف إلى إيجاد مجتمع فاضل ، يسود فيه العدل ، ويعلو فيه الحق ، ولا يكون لغير العدل والحق مكان فيه ، ولا يوجد هذا المجتمع إلا إذا تمسك كل فرد فيه بقيم الدين ، واعتصم بها ، وإلا إذا أحس أن الثورة تهدف إلى تنقية النفوس ، وتطهيرها من كل الشوائب ، ومن كل رواسب الماضى .

وليس تضرنا الأخطاء التى تجىء عرضاً ، فإن الخطأ أمر لا مناص منه ، وإنما يضرنا الإصرار على هذه الأخطاء ، واتخاذها مبادىء عند بعض الناس ، وهذا هو الذى يمكن لأحاديث السوء ، وللمبالغة فيها فى كثير من الأحيان .

والفرد قد يخطىء ، وقد يصر على الخطأ ، وربما كان هذا الخطأ فاحشا لا يقبل من مثله ، ولكن ما ذنب بقية الأفراد الذين تلوك سيرتهم الألسنة ، وتمتد إليهم قالة السوء ؟

لاشك أن وزر ذلك على الفرد نفسه الذى لم يراقب ضميره ، ولم يستمع إلى صوت الدين ، وعلى الآخر الذى يحلو له أن يشيع قالة السوء بين الناس .

ولا علاج لكل ذلك إلا بالرجوع إلى تعاليم الدين ، وإلى التمسك بها ، فإن غلبت على بعض الأفراد شقوتهم ، فألقوا تعاليم دينهم وراءهم ظهريا ، وخضعوا لأهوائهم ، ولنفوسهم المريضة ، فعلى القانون أن يضرب على أيديهم بغير رحمة ولا شفقة ، فإنه إذا كان التمسك بقيم الدين حتما فى كل وقت ، فإنه فى هذه المحنة التى تمر بها الأمة العربية ألزم وأوجب .

* * *

وقد ضربت المثل بالفلاح والموظف ، ولكن لا يقل عنهما شأنا فى كل ما قلت . التاجر ، والصانع ، والعامل ؛ وكل فرد من أفراد الأمة .

واقتصرت فى الإشارة إلى القيم الدينية التى تتصل بالمجتمع ؛ ولكن التمسك بكل القيم الأخرى ضرورى ؛ فما لم يأخذ الفرد قيم الدين كلها مجتمعة فإنه لن يبلغ فى تمسكه بواحدة منها إلى ما يتطلبه منه الدين .

فالمسلم الذى يهمل فى فريضة الصلاة أو الصوم ـ مثلا ـ لا يتصور منه أن يؤدى حقوق وطنه على الوجه الأكمل ؛ وقد أهمل فى حقوق ربه ؛ والذى يرتكب معصية من المعاصى أيا كان نوعها يسهل عليه أن يرتكب أخرى قد تكون أشد ضرراً عليه ؛ وعلى المجتمع .

ومن العجيب أن بعض ضعاف النفوس يبررون أخطاءهم بأن الآخرين يخطئون ، ونسى هؤلاء أن من مبادىء الدين الأساسية أن كل فرد مسئول وحده عن عمله ، وأنه حين يأتى ربه يوم القيامة يأتيه فرداً .

كما نسوا أن ذلك مجرد تبرير ، وأن الواجب أن يضرب من لم يخطىء على يد من أخطأ ، لا أن يزيد ـ بخطئه هو ـ فى تمسك المخطىء بخطئه .

ومن الناس من يخضع لتهديد بعض زملائه ممن يكرهون أن يظل واحد منهم (نظيفاً) ، ويبرر انحداره إلى الجريمة بالخوف ، وهو ـ فى الحقيقة ـ مستعد لأن يسقط مع الساقطين ، ولو كان قوى الإرادة ، سليم الدين لوقف ثابتاً ، ولأرغم الآخرين على احترام إرادته ، وأوقع فى نفوسهم الرعب ، وجعلهم يترددون كل التردد فى أن يستمروا فى جرائمهم .

* * *

هذه الأدواء ـ وكثير غيرها لا يجهلها العارفون ـ سوس ينخر فى بناء المجتمع ، وما لم يتداركها الشعب بالرجوع إلى الدين ، والاعتصام بتعاليمه ، وما لم يولها أولو الأمر اهتماما أكبر ، فإننا نخشى على هذا البناء .

وفى هذه المرحلة . مرحلة النضال المرير

من أجل استعادة حقوقنا ، ومن أجل تحقيق انتصارنا على مكائد الاستعمار ، والقضاء عليه فى شرقنا العربى لابد لنا من تطهير النفوس ، وقياس كل عمل نعمله بمقياس الدين .

ولعل من أول ذلك أن ننبذ كل خلاف بيننا ، وأن نكون جميعاً كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وأن نمتثل كل الامتثال لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

ولا شك أن قادة المسلمين وساستهم وعلماءهم يعرفون هذه الحقيقة من حقائق الدين ، وإنا لنرى بوادر طيبة تبشر بالتمسك بهذه الشريعة الإسلامية ، وإنا لنسأل الله مخلصين أن يزيد من تضامن الشعوب الإسلامية والعربية ، وأن يجمعها دائماً على كلمة واحدة وحينئذ سيكتب لها النصر على أعدائها ، ولينصرن الله من ينصره ؟

على العمارى

« الصراط المستقيم »

قال الله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ، قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

صدق الله العظيم

هل وُضع النّحو على أساسٍ صحيح ؟

للأستاذ كامل السيد شاهين

١ ـــ اتفق النحاة على أن أصول النحو التى يفىء إليها ، ويعتمد فى الاحتجاج عليها ترجع إلى ثلاثة منابع ، هى القرآن الكريم ، ويستوى فى ذلك ما تواتر منه وما شذ ، فكل القراءات صالحة لأن تتخذ أساساً للاستدلال .

والأحاديث النبوية ، وهذه ليست موضع اتفاق ، فقد رأى بعض العلماء عدم الاحتجاج بها ، ورأى آخرون صحة الاحتجاج بها ، وأساس هذا الخلاف ، أن من الأحاديث ما روى بمعناه ، ويتلقاه الرواة لاحق عن سابق ، فيتصرف فيه اللاحق بما يخرج به عن حجته ، فإن الراوى إنما يتحرى المعنى ، ثم لا يبالى ما وراء ذلك من تحقيق الضبط ، وقد تأخر بعض التدوين إلى ما بعد عصور الاحتجاج ، على أن من الرواة من ليسوا من العرب الخلص الموثوق بعربيتهم . فلا أمان عند الاحتجاج بالأحاديث أن يدخلها هذا اللون الذى لا أمان معه ، ولا ثقة بصحته ، وجريه على النهج العربى السليم .

وأطلق أكثر علماء العربية رفض الاحتجاج بالأحاديث الشريفة فى شأن الضبط ، خصوصا بعد ما رأوا من جريان بعض الأحاديث على غير الطريق المألوفة عند العرب .

وهكذا امتنع المتقدمون من علماء البصرة من الاحتجاج بالحديث النبوى على أمر مما يتصل بالنحو .

على أن من العلماء من أكبر هذا التحرج ، وقدم إلى أسباب هذا التحرج فنقضها ، وبنى نقضه هذا على ما قرره شراح المسانيد من منع الرواية بالمعنى لمن لم يكن خبيرا بالألفاظ ومقاصدها ، عالما بما يحيل المعانى ،

---

* تنشر مجلة الأزهر هذا الموضوع وقد استأثرت رحمة الله بكاتبه الفاضل

الأستاذ كامل شاهين

وقد كان ـ رحمه الله ـ من خيرة علماء الأزهر : علما ودينا وخلقا ، نسأل الله أن يمطر عليه شآبيب رحمته ، وأن يلحقه بمن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أما من كان أمره كذلك فلا حرج عليه، كما ذكره الإمام النووى فى أول شرحه على صحيح مسلم.

على أن تدوين الأحاديث قد جاء مبكرا، فقد دونت فى الصدر الأول قبل فساد اللغة، فلو كان هناك تبديل لكان تبديلا عمن يحتج به وهو الرسول عليه السلام إلى من يحتج به وهو الراوى من رجال الصدر الأول فلا فرق بين الجمع فى صحة الاستدلال.

ومن هنا نجد ابن مالك يحتفى بالأحاديث ويطمئن إلى الاستدلال بها، وكأنها عنده مقدمة على الشعر العربى.

وقد قدم المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين إلى المجمع اللغوى بحثا مطولا نفيسا عن الاستدلال بالحديث انتهى فيه إلى جواز أشبه بالمنع، ويعد كلامه فصل الخطاب فى هذا الموضوع، فقد ذهب إلى أنه يقتصر فى الاحتجاج عل الأحاديث المدونة فى الصدر الأول، ويقتصر من ذلك على ثمانية أنواع.

١ ـ الأحاديث المتواترة والمشهورة.

٢ ـ الأحاديث التى تستعمل ألفاظها فى العبادات.

٣ ـ الأحاديث التى تعد من جوامع الكلم.

٤ ـ كتب النبى صلى الله عليه وسلم.

٥ ـ الأحاديث المروية لبيان أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخاطب كل قوم بلغتهم.

٦ ـ الأحاديث التى دونها من نشأ بين العرب الفصحاء.

٧ ـ الأحاديث التى عرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى، مثل القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة. وابن سيرين.

٨ ـ الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.

هذه الإجازة أشبه بالمنع لأنه قد اقتصر فى الاحتجاج على نزر من الأحاديث، قد لا نجد فيها ما يمكن أن يستفاد به فى تأصيل أصل أو دعم قاعدة.

وعلى هذا فإننا ننتهى إلى رفض الاحتجاج بالأحاديث النبوية على الجملة.

٢ ـــ أما الشعر، فإنه قد أجمع العلماء على صحة الاحتجاج بكلام الجاهليين، والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام واختلفوا فى شعر الإسلاميين كجرير والفرزدق، فقليل من العلماء يأبى الاحتجاج بشعرهم، وينسبهم أحياناً إلى الخطأ ولكن كثرة العلماء على قبول الاحتجاج بشعر الإسلاميين جملة بل بشعر مخضرمى الدولة الأموية والدولة العباسية حتى بشار بن برد.

وأما النثر العربى فقد تبدد ، لأن العناية بتناقله ليست متوفرة، وتحرى ضبطه لا يمكن التعويل عليه .

إذن فقد بقى لنا أصلان يرجع إليهما فى الاحتجاج هما القرآن الكريم ، والشعر القديم .

٣ — وقد تعب العلماء فى تحرى الضبط ، واستقاء الأخبار ، وتحرير الرواية ، ولكنهم بالغوا فى الجمع ، وفى إثبات القواعد لكل ما ورد حتى تشعبت هذه القواعد ، وعسرت على الاستيعاب ، وأصبح النحو العربى مشكلة من مشاكل العصر .

والذى نراه أن مصدر هذا العسر ، هو جعل الشعر أصلا من أصول الاستدلال ...

وقد تبدو هذه الكلمة كبيرة ، ولكنا نطرحها للنظر المردد ، والروية المتدبرة .

وأول ما نبدأ به أن الشعر ليس هو الطريق الطبيعى للكلام ، فالأصل فى الكلام الإرسال ، أما أن يكون مقيداً بوزن يحول بينه وبين الانطلاق ، مقيداً بقافية قد تجود وتسخو ، وقد تعز وتأبى ، فذلك أمر يخرجه من حدود المباح إلى حدود المحظور ، وتدخله أحياناً فى الضرورة والشذوذ .

ليس الكلام المنظوم ، إذن ، هو الطريق للقوانين النحوية لأنه لا تؤمن فيه السلامة والاستقامة بحكم ما به من قيود وقد لمح هذا ابن فارس فى كتابه الصاحبى ، فقال :

« والشعراء أمراء الكلام يقصرون الممدود ويمدون المقصور ، ويقدمون ويؤخرون، ويومئون ويشيرون ويختلسون ويعيرون ويستعيرون ، فأما لحن إعراب ، أو إزالة كلمة عن نهج صواب ، فليس لهم ذلك » .

ثم قال : « وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية فمردود » .

وهذا كلام وجيه ، إذا نحن نظرنا إلى صدره ، فهو يبيح للشاعر أشياء تحظر على غيره ، ولكنه بعد ذلك يمنعه الخطأ فى الإعراب ... وهذا قانون يشرعه الصاحبى للشعراء المتأخرين ، وهؤلاء لا نظر إلى شعرهم عند الاحتجاج .

ولكن هل للجاهلى والإسلامى حق الانحراف عن الشائع الذى درجت عليه اللغة ؟ وإذا انحرف فهل يعد انحرافه خطأ ينبذ أو صوابا يقاس عليه وقانونا يعتد به ، أو شذوذاً يحترم ، ولكنه لا يقاس عليه ؟

أما عبد العزيز الجرجانى فقد ذهب إلى جواز الخطأ على العربى ولو جاهليا ، حيث يقول : « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح إما فى لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتنسيقه ، أو

معنيه وإعرابه ، ولولا أن الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة ، ومردودة منفية ، ولكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل مذهب ، وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام » .

ثم أشار إلى ما « تكلفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالى الحركات ومرة بالاتباع والمجاورة وما شاكل ذلك من المعاذير المتمحلة وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجة » .

والذى أوردهم هذه الموارد ، ووقع بهم فى هذه التيهاء أنهم راموا أن يكون الشعر أساساً لوضع قواعد طبيعية عامة ، ولو أنهم جعلوا لهم قانونين : قانوناً للنثر يعتمد على النثر ، وقانوناً للشعر يعتمد على الشعر ، لكان ذلك أدنى إلى الصواب وأحق بالاعتبار فأما أن يجعلوا توسعات الشعراء قانوناً عاماً فى اللغة فهذا مما يجعل اللغة بلا قاعدة ، لأن الشعر لا يعترف بالحدود والقواعد .

ونعود فننظر فى قول الجرجانى السابق : « وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجة » فقد ورد من ذلك كثير على أن الروايات نفسها لا تدعو إلى الاطمئنان الكامل ، فإن رواية اللغة لم يؤخذ فيها بالبحث عن تاريخ الرواة والتحقق من وقتهم والثقة بهم ، وتقصى تاريخهم ليعلم مبلغهم فى الصدق والتحرى ... ومن هنا كانت الخلافات الراجعة إلى اختلاف الروايات التى روى بها الشاهد .

وطعن ابن سلام على الرواة ، ونقل الجاحظ ما نسب إليهم من اللحن والتصنيف والكذب أمر مشتهر يمكن الرجوع إليه فى الطبقات ، وفى مزهر السيوطى .

ونحن نؤمن بأن العلماء قد حرصوا على التحرى وانتهاج سبيل الدقة والتمحيص فى الرواية والرواة .

ولكن هل استطاعوا أن يميزوا الشعر الموضوع عن الشعر المصنوع ؟

هل أصلوا أصولا ومعايير تحول بينهم وبين التورط فى قبول ما دس من الشعر على القدماء ؟

هل بلغ الذوق الأدبى بالنحاة حداً يمكنهم من الاطمئنان إلى سلامة الرواية ؟

لا نستطيع أن نجزم بشىء من هذا ، وربما كان الواقع يقربنا من الشك .

فقد وضع المولدون أشعاراً ودسوها على الأئمة ، فاحتجوا بها ، وبنوا عليها نتائجهم ، ثم كانت لهم قواعد دونت على أساسها ... وعارضهم فيها آخرون لم يروا رأيهم ، وبذلك اتسع الجدل ، وتشعبت المذاهب .

إذن فالشعر لا يطمأن إليه لأنه ليس الطريق الطبيعى للقول إذ يؤذن فيه بما لا يؤذن فى غيره لما على الشعراء من قيود يستبيحون من أجلها تجاوز الحدود .

وإذن فالشعر لا يطمأن إليه من ناحية الرواية لأنه لا يمكن أن تبلغ فى الضبط حداً يحافظ فيه على ضم المضموم وفتح المفتوح ، بل إن كثيراً من المدلسين قد وضعوا على القدماء ما ليس من شعر القدماء ، وكثير من النحاة أنفسهم قد راموا تقرير آرائهم فاخترعوا شواهد كانت محل النقد والشك ، ولكنها مع كل حال صارت مذهباً يترخص به من شاء .

أولم يكن فى القرآن الكريم غنية عن الشعر جاهليه وإسلاميه ، ألم يكن فيه استراحة من هذا الرهق الذى استنفد الجهود ، وأعي الباحثين ثم لم يظفروا بعده إلا بتطويل القواعد ، وتكثير الشروط ، وتخريج الأغلاط ببراعة الحيلة ولطف المدخل ؟ !

بلى ، وإن من الحق أن نجعل ما جاء فى القرآن الكريم أساساً لقواعد النحو العربى ، وأن نقبل هذا الأساس فى كل نثر ، مقالات أورسائل ، أوخطب ،أو قصص ،أو روايات ، فأما الشعر فيلتزم هذه القواعد ما وسعه الالتزام ، فإن ضاقت به فله حق الاتساع .

أما أن تبنى القواعد العامة على أمر ذى قيود ومضايق فلا ينبغى أن يقبل .

وأعتقد أن لغة من اللغات لا يمكن أن تبنى قواعدها على ما جاء فى كلام الشعراء ، فالشعر أبداً لا يقاس عليه . والله ولى التوفيق ؟

كامل السيد شاهين

دراسات حول القرآن :

السّجعُ والقرآن وَالبَاقلّانى

للدكتور عبد الرءوف مخلوف

– ٣ –

... إن اللغة لها وجهان ، وجه يتمثل فى الأصوات ، وماتستشعره الأذن من وقع الكلم ونغمها ، ووجه يتمثل فى الدلالة والمضامين التى تحملها ، وتساق من أجلها الألفاظ .

فعندما تنطق بكلمة ما ولتكن على سبيل المثال كلمة « السلام » فإنا نكون أمام ظاهرتين :

الأولى : ظاهرة الأصوات والنغم الذى تحسه الأذن ويدركه السمع ، وأنها فى ذلك تشبه أصوات كلمات : الكلام والملام والمنام . الخ .

والثانية : ظاهرة الدلالة على معنى هو ضد معنى الحرب ، وهى بذلك تختلف عن كلمات الكلام والملام والمنام .

والقرآن الكريم كما يراعى ويستهدف الظاهرة الثانية ، ظاهرة المضمون والمحتوى ، لا يقصر فى رعاية الظاهرة الأولى ، ظاهرة الصوت والنغم ، ما لم ترمى إلى إخلال باختها ، وهو يأخذ أسلوبه بتلك ما أمكن ، ولعل هذا يعلل لمجىء كثير من آياته وقد تحقق فى مقاطعها التوازى والتناغم والنسق المطرد ، والوحدة المتجانسة فى الأصوات ، وذلك حين لا يخل شىء من هذا بالدلالة .

وأما حين تكون رعاية هذا الجانب مما عسى أن يتحيف المعنى ، أو ينتقصه فإن القرآن لا يقصده ولا يتكلفه ، وإنما يجىء طليقاً من كل قيد ، متحرراً من كل نغم ، مترسلا فى العبارة تاركا لنفسه العنان ، مغايراً بين رءوس الآى ، غير آخذ نفسه بمشاكله أو مجانسة أو مقاربة بين فاصلة وفاصلة ، وهذى بعض مواضع تتابع فيها الآيات ولا فاصلة تشبه الأخرى ، ولا جارة تشاكل جارتها فى مقطع أو صوت أونغم . يقول الله تعالى : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها ، وظلالهم بالغدو والآصال . قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل افتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار . أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حليه أو متاع زبد مثله ،

كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع النـاس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ، للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ، أولئـك لهم سوء الحساب ، ومأواهم جهنم وبئس المهاد . أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجـه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرأون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار » .

فأنت ترى فى جملة هذه الآيات كيف انتهت المقاطع بحروف متخالفة لحرف اللام ثم الراء ، ثم اللام ثانية فالدال فالباء . إلى أخرى ماترى من تغاير رءوس الآيات إيثارا للمعنى والمضمون على الصورة الصوتية .

وهكذا يتأكد أن القرآن ينـأى بأسلوبه عن السجع حـين تـكون هنـاك مظنة تحيف الدلالة أو انتقاص المعانى ، أو حين لا يساعد الموقف والسياق الفنى على تحقيق هذا النمط من قوالب اللغة ، وفى الوقت ذاته يتأكد أيضا أنه يلجأ إلى الأسجاع ويعمد إليها عمدا ، ويقصدها قصدا حتى ليترك مألوف الاستعمالات اللغوية وكثيرها إلى نادرها ، ومن ذلك أن يفرد ما حقه الجمع ، أو يجمع ما أولى به الإفراد ، أو يؤخر ما من شأنه أن يتقدم ، أو يؤثر تقديم ما الأصل فيه أن يتأخر أو يؤخر ما لم يكن ثمة مانع من أن يتقدم ، ليتحقق بذلك الصنيع التناغم الصوتى المتماثل فى رءوس الآى ، ويكون من وراء ذلك كله إضافة عنصر من عناصر الفن اللغوى إلى ما تضمنه النص من دلالة . ذلك ـ فيما نرى ـ تعليـل لبعض ما جاء فى القرآن الكريم من عدول عن الأشهر إلى المشهور ، وعن الكثير فى الاستعمال إلى القليل وإلى النادر .

ولعل قائلا أن يقول : وهل الآيات التى تخلو من السجع تفقد عنصر جمال؟ وجوابنا أن لا ، فعناصر الجمال فى اللغـة متعددة متباينة ، لا ينحصر فى السجع ؛ وحين لا يرد ذلك العنصر فى قطعة لغوية ، فإنه يمكن أن تكون أيضاً جميلة وفنية مفاضلة من حيث الصيغة لتضمنها عناصر أخرى تضفى عليها من أسباب الجمال مثل الذى يضفيه السجع وزيادة . والأزهار والورود كلها جميلة ، وليست كلها حمراء أو بيضاء ، بل لعل جمالها ينتج فى جملتها من تباين ألوانها وأشكالها وروائحها وشذاها .

وبعد فيقول شوقى ـ أمير الشعراء فى العصر الحديث ـ « وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدوه عيبا ، وخلطوا الجميل المتفرد ـ كالذى جاء منه فى القرآن ـ بالقبيح المرذول منه ، يوضع عنواناً لكتاب . أو دلالة على باب » أو يأتى به كاهن بغية التأثير على الناس بالباطل . أو يصدر عن منجم ليصرف بموسيقاه صاحب حق عن حقه .

ولا شك فى أن كلمة شوقى كلمة خبير بفنون الكلم . يعـــرف مواضع اللفظة وما يحققه السجع حين يأتى فى موطنه «وكل موضع للشعر الرصين محل للسجع وكل قرار لموسيقاه قرار كذلك للأسجاع »(١) .

اقرأ إن شئت قوله تعالى : « والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا . يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشـــعة . يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة . أءذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذاً كرة خاسرة ... فقد قرئت : « أءذا كنا عظاما ناخرة » قالوا وليس ذلك إلا لمكان الموسيقى . وتحقيق التوازى مع « الحافرة » قبلها . و« خاسرة » بعدها قال الفراء : « حدثنى مندل عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ « ناخرة » ، وقرأ أهل المدينة « نخرة » ، وناخرة أجود الوجهين فى القراءة لأن الآيات بالألف . الا ترى : ناخرة والحافرة والساهرة أشبه بمجىء التنزيل . والناخرة والنخرة سواء فى المعنى بمنزلة الطامع والطمع . والباخل والبخل »(١) .

وعلى هذا يكون الأمر فى هرون وموسى وموسى وهرون ، إنما هـو أمر السجع ورعاية التوافق فى رءوس الآى . ولا اعتداد بما ذهب إليه الباقلانى الذى ينفى من القرآن السجع ويبلغ مذهبه فى هذا غاية التهافت حين يقول : والذين يقدرون أنه سجع فهو وهم لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا [٢] .

ألا إن اللغـة فى جملتها ـ وبعد أن تؤدى المعانى المقصودة منها ـ ليست إلا نوعا من التوقيع الصوتى الذى يختلف فى الدرجة من حيث الالتزام وعـدم الالتزام حتى يصير نوعا من أنواع الأداء نسميه شعرا حين يتم فيه الالتزام إلى أبعد حدوده ، ونسميه نثرا حين ينفلت من التزام التوقيـع ـ وهذا النثر ذاته يتفاوت أيضا فيما بينه فتارة بتحقق الإلزام فيه إلى الحد الذى نسميه معه مسجوعا ، أو متطابقا ...

وتارة تنسلخ اللغة من كل التزامات التوقيع والتنغيم فنسميها نثرا مرسلا ، وهى فى جميع

(١) أسواق الذهب ص ١٠٩

(١) أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى ص ٦١ .

(٢) اعجاز القرآن ص ٨٨ .

ذلك خاضعة للحالة الانفعالية التي يستدعيها الموقف ، فهناك حالات من الإسراع ، ومن التقطيع الوزنى ، ومن تخفيف السرعة ، ومن أوقاف التوقف ، يقع كل هذا بعدد يقل ويكثر تبعا للغات ، وتبعا للتكلمين ، وبعبارة أخرى ينطوى الكلام فى حد ذاته على مبدأ من الوزن مع فترات من القوة وأخرى من الضعف . وكما نستطيع تقسيم الجملة الموسيقية إلى تفاعيل ، كذلك يمكننا أن نجد فى كل جملة أيا كانت ، عددا من التقسيمات لعلها أقل إطرادا وطولها أشد اختلافا منها فى الموسيقى ، ولكنها كذلك قائمة على التكرار المنتظم لشطرات القوة ، فاللغة لها قمم وأغوار ولهذه القمم والأغوار - فى الغالب - قيم سيكلوجية حتى ليجد الإنسان نفسه مسوقا فى بعض الأحيان إلى القول بأن الحركات العضلية التى تنتج الشدة تسيرها أسباب سيكلوجية ، فكأن النبر ينفث الحياة فى هيكل الأصوات العظمى ، أو على حد تعبير مجازى لقدامى النحاة : « النبر روح الكلمة ، فهو الذى يعطى للكلمة طابعها وشخصيتها سواء أكانت نبر علو أو نبر شدة » (١) .

وعلى هذا يكون السجع فى اللغة العربية حين يستدعيه المعنى أو حين تستدعيه الحالة النفسية أو حين يستدعيه الموقف تعبيرا باللغة فى أنسب صورة تحكى المعبر والمعبر عنه ، ومن هنا تكون القطعة اللغوية فنية فى إنشائها وفى خلقها لأن الألفاظ فيها جاءت وقد شحنت بنوع من الأصوات يحكى - إلى حد ما - المعانى والانفعالات التى أوجبت بها وبإنشائها . وعلى هذا فحين نقرر أن فى القرآن أسجاعا فإنما نعنى هذه الأسجاع التى هى استجابة للمعانى ، وتحقيق للأغراض التى سبقت من أجلها فى أبلغ صورة وأبلغ أداء وأبلغ تعبير .

بقيت كلمة أخيرة لابد منها ونحن نتحدث عن السجع فى القرآن ، تلك أن القرآن نزل فى أمة أمية تسمع أكثر مما تكتب ، فلم يكن غريبا أن يهتم نص كتابها بالصورة الصوتية المسموعة فيأتى وفيه من الأسجاع ذلك القدر الكثير الذى يتلى عليهم ويرتل ترتيلا يسمعون فيه ذلك النمط من الموسيقى التى لا عهد لهم بها على أنهم أمة الشعر والموسيقى . ولقد بهرهم ذلك القرآن بموسيقاه حتى توهموه شعرا فلما عرضوه على أشعارهم بما فيها من خيال وضلال ومبالغات نفوا أن يكون شعرا ثم عرضوه على جميع أفانينهم فى القول فما وجدوا به شبها منها ، وهكذا حتى استقر عندهم على أنه نمط فريد فى البيان أنزله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؟

د . عبد الرؤف مخلوف

---

(١) لفندريس ص ٨٦ .

رسائل محمد صلى الله عليه وسلم ونصوص معاهداته

للدكتور محمد رجب البيومي

— ٢ —

لنذكر الآن ماقلناه آنفاً عن الدقة القانونية، فإن معاهدات الرسول لا تخرج عن شروط دقيقة تتبع بين فريقين يتباعدان أو يتقاربان! ولعل معاهدة صلح الحديبية تصلح مثالا قوياً لأسلوب محمد صلى الله عليه وسلم القانونى ، لأنها بتواترها الذائع تمحو كل شك يهم باعتراضها ، وقد كان يمثل قريش فيها سهيل ابن عمرو وهو فوق رزانته الهادئة ، وتشدده الحازم ، خطيب فصيح كان موضع تقدير سامعيه ، وقدهم عمر بن الخطاب بكسر ثنيته حين وقع أسيراً فى بدر لاشتهاره بخطبه المناوئة للدعوة الإسلامية ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: دعه ياعمر فلعله يقوم مقاما تحمده، هذا الخطيب القرشى الفصيح كان يمثل قريش فى معاهدة الصلح ، وقد أبدى اعتراضات تمثل وجهة نظره من ناحية الصياغة ، حتى رفض كلمة (محمد رسول الله) وقال : لو كنت أعلم أنك رسول الله ما نازعتك ، لحسم الرسول الأمر ومحا كلمة (رسول الله) بعد أن رفض محوها على بن أبى طالب ، وكان ما أملاه محمد بعد الجدل والاعتراض ، ومناقشة المسلمين الغاضبين كعمر بن الخطاب تارة وفريق سهيل من المشركين تارة ثانية ! كان ما أملاه بعد الصراع المتأزم ينحصر فى قوله :

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه » (١) .

هذه معاهدة ذات مواد صريحة ، وذات ألفاظ محددة ملتزمة وليس بها من الخيال التصويرى غير قوله صلى الله عليه وسلم : « إن بيننا عيبة مكفوفة » والعيبة فى الأصل زبيل من أدم يجعل فيه الثياب ، ومكفوفة مشرجة مشدودة على ما فيها ، والعرب تشبه الصدور التى تضم القلوب بالعياب التى تشرج على حر الثياب وفاخر المتاع فجعل عليه السلام العياب المشرجة على ما فيها مثلا للقلوب

(١) جمهرة رسائل العرب جـ ١ ص ٣٢ .

تطوى على ما تعوهد عليه إذ مثل بها الذمة المحفوظة التي لا تنكث ، هذا رأى فى الصورة البلاغية ، وهناك رأى آخر يقول : إن المراد أن الشر يكون مكفوفا بينهم كما تكفف العياب إذا أشرجت على ما فيها من المتاع (١) وكذلك الذحول التي كانت بينهم إذا اصطلحوا على ألا ينشروها بل عليهم أن يتناسوها كأنهم جعلوها فى وعاء وأشرجوا عليها !! هذه صورة بلاغية واحدة اختلف البلاغيون فى مؤداها إلى رأيين ، وكلاهما صحيح فى بابه ومتفق مع الظروف والملابسات المصاحبة للمعاهدة ، وقد تعمدت تفصيل ذلك ليكون شاهدا قائما على ما قررته من أن أساليب البيان مما يفترق معه الرأى إذا حشدت فى المعاهدات والوثائق، وأن مجافاتها ما أمكن سبيل الاتفاق واللقاء من طريق قريب ! والصورة البلاغية على لسان بليغ عظيم كمحمد لا تؤدى إلى خلاف ما كما نرى ، ولكنها على يد غيره موضع المزلة ! لذلك كان اجتنابها أحزم.

ونختار نصا آخر من معاهداته وهو ما عاهد عليه السلام به أهل نجران حيث أرادوا مصالحته على الجزية ، وهى معاهدة مثقلة بالشروط ، متعددة الأزمنة دقيقة الحساب، تضم فى السطور الموجزة ما تتسع له صفحات كثيرة ، وإيرادها بنصها التاريخى يكشف عن السداد البصير فى التحديد الملزم ، والتفصيل الشارح ، والتنويع الكاشف بحيث تجب كل اختلاف يمكن أن يتاح ! وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبى رسول الله لأهل نجران ، إذ كان عليهم حكمه فى كل ثمرة وفى كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم ، على ألفى حلة من حلل الأواقى ، فى كل رجب ألف حلة ، وفى كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية من الفضة ، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقى فبالحساب ، وما قضوا من دروع أو خيل أو عروض أخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مثوى رسلى شهراً فدونه ، ولا تحبس رسلى فوق شهر وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا ، وإذا كان كيد باليمن ومعرة ، وما هلك مما أعاروا رسلى من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض ، فهم ضمن حتى يردوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبى رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، وليس عليهم دنية ، ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن

(١) جمهرة رسائل العرب جـ ١ ص ٣١ .

سأل منهم حقا فبينهم النصف ، غير ظالمين ولا مظلومين ، ومن أكل منهم ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة ، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر ، ولهم على ما فى هـذا الكتاب جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله أبدا ، حتى يأتى الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منفلتين بظلم (١) » .

هذا هو نص المعاهدة ، وهو نص بليغ إذ يطابق مقتضى الحال !

لقد تعرض الدكتور حسين نصار إلى رسائل محمد ومعاهداته فقال [٢] :

« هـذه هى حال الكتابة فى عهـد النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل يمكننا أن نطلق عليها اسم الكتابة الفنية؟ أعتقد أن من الواضح الذى لا شك فيه بعد كلامنا الطويل أننا لا يمكننا ذلك ، فإنها ليست إلا كتباً مرتجلة محلاة بلغة سهلة هى لغـة الحديث لا يوشيها شيء من عمل أو جمال، غير فصاحة لغة الحديث عند العرب ، بل تهبط لغتها كثيراً عن لغـة الخطابة التى كان لهـا تقاليدها المرعية ، وقواعدها الأدبية منذ العصر الجاهلى ، ولم تكن تسمو إليها إلا فى بعض الرسائل » .

وموضع النقد فى كلام الدكتور أنه أغفل مقتضى الحال المتعارف عليه فى كتابة الرسائل السياسية والمعاهدات القانونية قديما وحديثا حتى يومنا هذا ، فإذا كانت كتب الرسول سريعة محلاة بلغة سهلة لا يوشيها شيء من عمل أو جمال غير فصاحة الحديث عند العرب ؛ فذلك مما يجب أن يحسب لها لا عليها فى مثل موقفها الدقيق ، ولا يمكن أن تخرج به عن الكتابة الفنية لأن الفن فى صميمه التزام بما تقتضيه الظروف والملابسات! هذا ما نعرفه.

ولكن الدكتور فى مقدمة كتابه[١] يقول : إنه يعنى بالكتابة الفنية مالا تصدر عن سليقة تقصد إلى الإفهام « إنما يريد الكتابة التى تروى صاحبها فى تجريد المعنى وتأنى فى اختيار اللفظ قبل إبرازها لتخرج محبرة مجودة لأنه لا يقصد منها الإفهام وحده وإنما يقصد أيضاً إثارة اللذة عند القارىء والإحساس بالجمال، ولذلك نعت كتابات العرب الجاهليين ، وكتابات الرسول والصحابة بأنها غير فنيـة على الرغم من فصاحتها وجمالها فأنا. لا أقصد بالفن والجمال وحده ؛ إنما أقصد الجمال الذى استحدثه صانع فنان يعرف ما يعمل ويريده ويبحث عنه » .

والذى يقرأ الرسائل النبوية لا يشـك أن صاحبها قد تروى فى تجويد المعنى وتأنى فى اختيار اللفظ ، وليس ملزما بأن يثير اللذة عنـــد القارىء السطحى ، ولكن القارىء الناضج المدرك لملابسات الوثائق والمعاهدات

---

(١) جمهرة رسائل العرب حـ ١ ص ٧٧ .

(٢) نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى ص ٤٧ .

(١) المصدر السابق ص ٣ .

يعلم أن الإتيان بها يناسب المقام مصدر متعة وجمال ، ونحن مع ذلك كله لا نعتبر المعاهدات من النثر الأدبى ، ولكن من الذى ينكر أن النثر العلمى بإقناعه وعمقه مصدر لذة وجمال لدن المفكر الأصيل حتى يقول الدكتور إنها لا تثير عند القارىء إحساسا بالجمال؟ ولماذا يطلق الدكتور الحكم على جميع ما لدينا من آثار العرب الجاهليين والرسول والصحابة! أليس ذلك مصدر شطط بعيد! لقد رجع إلى جمهرة رسائل العرب أكثر من عشرين مرة. أفلم ترقه رسالة النعمان إلى كسرى فى شأن عدى بن زيد ص ١٣؟ ألم يرقه كتاب النعمان ابن قبيصه إلى أكثم بن صيفى ص ٢١؟ ألم يرقه كتاب أبى بكر إلى أهل الردة ص ١١٤؟ ألم ترقه أبى عبيدة إلى عمر فى أكثر من موضع؟ ألم ترقه مراسلات على بن أبى طالب إلى معارضيه ومؤيديه معاً وما أبرعها فصاحة ونصاعة وبهاء؟! أكذلك يعم الحكم جميع رسائل الجاهلية ومحمد صلى الله عليه وسلم وأئمة الصحابة دون احتراس؟!!

لقد كان الرسول مشتغلا بأحداث الدعوة عن أن يكون صانعا فنانا كما يشترط الدكتور! وهنا موضع العجب: من الذى لا يهش لأدب السليقة المطبوعة! ويدعو إلى الصنعة المتكلفة! إن عشرات الرسائل التى يكتبها صانعو الفن لا تسمو إلى رسالة واحدة ارسلها فصيح مطبوع هو محمد بن عبد الله معزيا بها معاذ ابن جبل فى وفاة نجله فأى تعزية؟ وأى تأثير؟ وأى لذة مقنعة راضية صابرة يجدها القارىء فى قول محمد:

«من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل.

سلام عليك؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد؛ فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة، نمتع بها إلى أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعوارفه المستودعة، متعك به فى غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك يامعاذ خصلتين: أن يحبط جزعك صبرك فتندم على مافاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطعت ربك وتنجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا، فأحسن الجزاء، وتنجز الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد»(١).

لا يستطيع ناقد منصف أن يجحد مواضع الإبداع فى قوة الإقناع وصدق العاطفة وجميل العزاء، واطراد التعبير! وكل ذلك مصدر جمال وإمتاع، ولن ينتظر من رسائل

(١) جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٦٥

قائد أعظم كتبي الإسلام أن يكتبها فى غير مايمت إلى ذلك النمط العاقل البديع ؟ أفينتظر من رسول الله أن يكتب رسالة فى الهجاء كابن زيدون أو فى التهكم كالجاحظ أو فى المدح كالبديع أو فى الغزل كابن العميد ؟ ليصبح بذلك صانعا فنانا تحوز كتابته ثناء الناقدين! هيهات هيهات لقد كتب الرسول البليغ ما يعقل أن يصدر عن نفسه الزكية العاقلة وطابق بين الحال ومقتضاه وبين القول وصاحبه فجاء ما كتبه آية فى بابه على غير مباهاة بالقول أو تزيد بالحديث !!

على أن نماذج محمد فى الرسائل والمعاهدات كانت فاتحة لما جد بعدها من مئات الرسائل التى كتبها خلفاء محمد ، وقادة الحروب وأمراء البلاد فى الإسلام، إذ أن حركة الفتح الإسلامى التى شملت ثلاث قارات عظيمة قد تطلبت طوفانا من الرسائل الديوانية والوصايا السياسية والمعاهدات الحربية ، ابتدأ ذلك من عهدى أبى بكر وعمر وكلاهما حريص على محاكاة الرسول فى نهجه الكتابى حتى أصبحت كتاباته نماذج محتذاه فى بدئها وختامها ووضوحها وترك اللغو والفضول، وإن الذى يرجع إلى عشرات من هذه الوثائق فى عهد الخلافة الراشدة يجد النمط المحمدى بارز المعالم واضح الإتجاه ، وقد أخطأ الدكتور حسين نصار تعليله حين قال [١] عن رسائل النبى :

أما ما اتبعه ـ محمد ـ من نظم فى أوائل الرسائل وخواتيمها فإن هى إلا أمور اقتضتها الدعوة التى يبشر بها ، فلما جاء خلفاؤه ـ ساروا على منواله ولم يخلوا بنظمه ، وهنا نستطيع أن نقول أن هذه النظم أصبحت تقاليد مرعية ، ولكن يجب أن ننظر إلى هذا الرأى نظرة سهلة غير متشددة ، إذ أن الخلفاء كانوا يتبعونها إتباعا دينيا لا أدبيا ، فهم يعتبرونها سنة من الرسول ، ولذلك نرى رسائل على التى يرسلها إلى معاوية يدعوه فيها إلى الطاعة والإنطواء تحت لوائه تشبه كتب الرسول إلى الملوك ورؤساء العرب شبها كبيرا، وإذن فهذه تقاليد دينية لا أدبية يمكن أن نعتبرها فنية ولم تتطور لغة الرسائل كثيرا فى هذه الفترة إذ لا تزال تهدف إلى مجرد الإفهام.

والذى حدا بالدكتور أن ينص على أن محاكاة أسلوب الرسول كانت محاكاة دينية لا أدبية ، ما رآه من بدء الرسالة بالبسملة وحمد الله والصلاة على نبيه وختامها بالسلام، فاعتبر ذلك من خصائص الدين لا الأدب ناسيا أن الأدب فى كل عصر ترجمة عن شعور صادق ، وقد كان إحساس أصحاب الرسائل وبخاصة فى عهد الخلافة الراشدة ، إحساسا دينيا عميقا ، فجاءت رسائلهم مضمخة بعبير الدين ، وهم يصدقون بذلك التعبير عن

(١) نشأة الكتابة الفنية ص ٥٩ .

خوالجهم الخالصة ومشاعرهم الصريحة ، فأسلوبهم الدينى إذ ذاك من صميم الأدب الصادق ولبابه ، وليس مجرد تقليد دينى ، وقد يمكننا أن نعتد بعض كتب سلاطين آل عثمان فى العهود الأخيرة ذات تقليد دينى لبعد كاتبيها عن روح الإسلام الأصيل ، أما أن تعتبر كتب الخلفاء الراشدين ومن نهج نهجهم مجرد تقليد دينى لا ينبىء عن شعور صادق فهذا موضع النقد! لذلك كانت رسائل محمد أنموذجا أدبيا ودينيا معا لصحابته .

وقد ظهر احتذاؤها فى القرن الأول ، حتى جاء عبد الحميد الكاتب فطغت عليه ثقافته الفارسية وجعلته يبتدع نمطا جديدا من الرسائل الديوانية يميل إلى الإسهاب المطيل والترادف المطنب ، متخذاً وسائل التعظيم والإكبار للخلفاء والرؤساء بعد أن عرف ما كان عليه كتاب البلاط الفارسى من إكبار بالغ للأكاسرة وتمجيد مسرف للأمراء ؛ فتأثر بذلك كله وأحال الرسائل السياسية من لون إلى لون ، ومنذ عهده رأينا كتابة الرسائل تميل إلى لون جديد من التعبير انتهجه الكاتبون من بعده ، تشقيق قول ، وتوليد معنى ، وترادف لفظ ، وتفخيم رئاسة مع مبالغة مفرطة فى الوعيد والترهيب ومباهاة بالحول والطول ! ولعلنا بذلك نستريح إلى ما قررناه من أستاذية النهج المحمدى لجميع من صدرت عنه الرسائل حتى جاء عبد الحميد فاستبدل نهجا بنهج .

إنصافا للدكتور حسين نصار نقرر أنه انتهى من بحثه عن نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى إلى نتيجة نراها صحيحة قوية إذ أعلن عن خاتمة كتابه أن الكتابة الفنية العربية كانت وليدة الثورة التى قام بها محمد عليه السلام فغيرت من تاريخ العرب كل تغيير ، « وأن كتابة الرسائل بجميع أنواعها نشأت فى عصر مبكر بدافع من الظروف والعوامل التى تحرك الجماعة العربية فى عصرها ذلك ، فهى ثمرة الثورة التى قام بها الإسلام وأخضع العرب لها وأمدهم بأسسها التى يقيمون عليها حياتهم الجديدة ، وإذن فكتابة الرسائل الفنية كانت ظاهرة حتمية لم يتجنبها العرب وما كانوا مستطيعين أن يتجنبوها بعد أن دفعهم القرآن تلك الدفعة التى ذهبت بنظمهم السياسية الجاهلية أدراج الرياح » (١) .

هذا مجمل القول فى رسائل محمد ومعاهداته فنا وتأثيرا ، وقد أرجأنا الحديث عما تضمنته بعض الرسائل النبوية من الغريب العويص مما لم يوجد فى لغة قريش ، مراعاة لألفاظ القبائل الأخرى إذ يخاطبهم بما يفهمون ، أرجأنا ذلك إلى فصل يتحدث عن خصائص الأسلوب النبوى ، وما هو ببعيد ؟

محمد رجب البيومى

---

(١) نشأة الكتابة الفنية ص ٢٤٠ .

قرارات حكماء صهيون

للأستاذ محمود محمد شبكه

— ٣ —

اليهود يكرهون الإسلام من قديم ، ويعملون جاهدين للقضاء عليه ، ويحاولون تمزيق وحدة المسلمين مع أنهم قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا إذا قاتلوا المشركين قالوا : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ، الذى نجد صفته ونعته فى التوراة ، ويقولون للمشركين : قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم... فلما بعث الرسول الكريم بالدين الحق كفروا به بغياً وحسداً وطلبا للرياسة والزعامة ولذلك يقول الله سبحانه فى كتابه الكريم : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ، وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » .

ولقد بلغ بهم حقدهم وكراهيتهم للدين الإسلامى حداً جعلهم يناصرون المشركين ويؤيدونهم فى عبادتهم للأصنام زاعمين لهم أن عبادتها أفضل من الدين الإسلامى الذى يدعو إلى توحيد الله وعبادته ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله : « ألم تر إلى إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .

كما ظهر العداء سافرا بين المسلمين واليهود حينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، حيث انتشر الإسلام وعم نوره الآفاق، بالرغم من أن الرسول الكريم عقد معهم معاهدة صداقة وتحالف ، فيها تقرير لحرية العقيدة وحرية الرأى ، ولكن اليهود لا يحترمون العهود ولا يعترفون بالمواثيق وحاولوا القضاء على المسلمين ولا زالت هذه طبيعتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقبل محمد عصى اليهود المسيح وتنكروا لتعاليمه وحاولوا قتله ، ومما قاله لهم المسيح

عليه السلام : (ويل لـكم أيها الفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديق وتقولون: لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟

لذلك يرسل الله إليكم أنبياء وحكماء وكتبه فنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق — ابن آدم الذى قتله أخوه — إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح (إنجيل متى) .

وحاربوا المسيحية حربا شعواء لاهوادة فيها إما عن طريق الحرب والإبادة وإما عن طريق نشر الكتب التى تهاجم المسيح والسيدة مريم وتهون من شأنهما .

هذه هى نظرة اليهود إلى المسيحية والإسلام ولذلك جاء فى البروتوكول الرابع عشر (حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن يتيح قيام أى دين غير ديننا أى الدين المعترف بوحدانية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم — ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين فلن يدخل هذا فى موضوعنا ولكنه سيضرب مثلا للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليم موسى الذى وكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا ... وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكنه لن يحكم أحد أبدا على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة إذ لن يستطاع لأى أحد أن يعرفها معرفة نافذة إلا شعبنا الخاص الذى يخاطر بكشف أسرارها .

وفى البروتوكول السابع عشر : (وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين فى أعين الناس وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنا وأن نقود رجال الدين ليتضاءل يوما فيوما) .

يؤمن اليهود إيمانا عميقا بأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم فى سبيل الحصول على ما يريدون لا يعبئون بطريقة الوصول حتى ولو كانت على جثث الموتى وأشلاء الضحايا من أولئك الذين يخالفونهم فى الدين ، كما يذهب الغرور باليهود كل مذهب منهم من يعتقدون أنهم وهبوا العقل النير المفكر الذى يمكنهم من السيطرة والحكم ، وأن الله منحهم هذا العقل لخصيصة فيهم تؤهلهم لقيادة العالم وسيادته ، أما بقية خلق الله من غير اليهود فعقولهم تافهة ساذجة عاجزة عن التفكير المثمر الجاد بعيدة عن التجديد والابتكار فنى البروتوكول الخامس عشر :

(ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقاً يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل وألا نعتبر بعدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية إننا لم نعتبر قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأمميين ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته ، فقد بدأناه الآن مقاما فى العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل وعقل الأممى لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر على تحليل أى شىء وملاحظته، فضلا عن التكهن بما قد يؤدى إليه إمتداد حال من الأحوال إذا وضع فى ضوء معين ، وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأمميين الذى يمكن أن يرينا بسهولة أنه اختيار من عند الله وأننا ذو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأمميين أنهم يعاينون الحقائق فحسب ولكنهم لا ينبئون بها وهم عاجزون عن ابتكار أى شىء وربما تستثنى من ذلك الأشياء المادية ، ومن هذا كله يتضح أن الطبيعة قد قدرتنا تقديراً لقيادة العالم كله) .

كما يتحدث البروتوكول الرابع والعشرون وهو الأخير عن الحاكم وطريقة اختياره ومنهجه وسلوكه (ولن يأتمن شيوخنا على زمام الحكم إلا الرجال القادرين على أن يحكموا حكما حازما عنيفا) .

إن خطط الملك العاجلة وأهم منها خططه المستقبلة ان تكون معروفة حتى لأقرب مستشاريه .

ويلزم أن يكون للملك عقل قادر على تنفيذ خططنا ولذلك ان يعتلى العرش قبل أن يتأكد حكماؤنا من قوته العقلية .

وعلى ملك إسرائيل ألا يقع فريسة لأهوائه الشخصية ولاسيما الشهوانية منها ، وعليه ألا يسمح للغرائز البهيمية أن تتمكن منه ، إن الشهوانية أشد من أى هوى آخر تدمر كل قوة للفكر والقدرة على التنبؤ فى الطبيعة الإنسانية) .

وبعد . . . فهذا عرض سريع لقرارات حكماء صهيون والتى اشتهرت ببروتوكولات حكماء صهيون وعددها أربع وعشرون وقد ذيلت بالعبارة التالية (وقعه ممثلوا صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين) ومعنى ذلك أن الموقعين هم أكبر رجال الماسونية اليهودية فى العالم ؛ فهذه الدرجة تعتبر أرقى درجات الماسونية .

وقد قصدت بهذا العرض السريع أن نقرأ البروتوكولات مجتمعة لنتدارس خطط عدونا وندرك مقدار ما يبيته لنا من شر وما يضمره لنا من حقد يتجدد على مر السنين بالرغم مما قدمه لهم أجدادنا وآباؤنا من عطف ومودة وإحسان ، ولقد نسى اليهود كل ما قدمته لهم أوربا من عنصرية واضطهاد ،

اليهود من كتاب الله المقدس
أعداء الحياة الإنسانية

للأستاذ كمال أحمد عون

« وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم »
صدق الله العظيم

هذه الآية الكريمة من كتاب الله الكريم ليست فقط وعداً إلهيا قاطعاً بما ينتظر اليهود بين الحين والحين من عذاب أليم ، وخطر جسيم ، وهوان وتشريد إلى يوم القيامة ، وإنما هى كذلك ترجمة صادقة عن فطرة مسيخة شوهاء عليها هؤلاء الناس مذ بدلوا آيات الله ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وكفروا بالله ، وقتلوا أنبياءه ، وعاثوا فى الأرض مفسدين .

ذلك أن الله العادل الحكيم فى رحمته ومغفرته وعفوه لا يسجل هذا الوعيد الشديد بذلك العذاب المهين المتجدد أبدا حتى تقوم

(بقية الصفحة السابقة ٤٤٧)

نسوا حمامات الدم وغرف الغاز والمعارك الدامية التى ذبح فيها منهم العشرات والألوف كما تذبح الخراف ولم يستقر فى أذهانهم إلا القضاء على العرب والمسلمين ولم يحسن إليهم أحد فى التاريخ بمثل ما أحسن العرب والمسلمون .

ولئن كان اليهود قد أحرزوا نصراً رخيصاً دنيئا فإنه نصر خاطف كاذب سرعان ما يرتد خيبة وحسرة وهزيمة فأبناء الأمة العربية الذين توحدت كلمتهم وتجمعت صفوفهم آلوا على أنفسهم أن يطهروا أرضهم من رجس اليهود ودنس إسرائيل ، فقد كتب الله سبحانه وتعالى على اليهود الذلة والمسكنة والخزى والعار إلى يوم القيامة نظراً لطباعهم الشاذة وأخلاقهم الوحشية وقلوبهم القياسية فيقول سبحانه : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » .

كما كتب الله سبحانه لعباده المؤمنين النصر والغلبة على أعدائهم : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . صدق الله العظيم ؟

محمود محمد شبكة
مدرس بدار المعلمين بطنطا

الساعة ما لم يكن فى طباع أولئك الفريق من الناس من السوء والفساد ، والحقد الأسود والبغضاء والقسوة على عباد الله ما يحرمهم العيش فى سلام ووئام ، وهدوء نفسى وتعاون مع الآخرين .

ولقد كنت أعجب غاية العجب من أعمال اليهود فى فلسطين عام ثمان وأربعين قبل إعلان دويلتهم بقليل ، وأدهش لإسرافهم فى القسوة والبطش مع ما هم عليه من القلة والذلة والحاجة الدائمة إلى سند من غيرهم ، على أنهم كانوا حينذاك حديثى عهد بإضطهاد هتلر والنازيين لهم ، وبما لاقوا على أيديهم من ضروب النكال والتقتيل والتشريد ، حتى أتيح لى أن أعرف سر ما خفى على ، وإن لم يكن فى ذاته سراً ولا خفياً ، وكيف يكون سراً ما يقرؤه الملايين ، وما يطبع ويذاع بلغات العالم فى الشرق والغرب القرون تلو القرون .

وإذا كنت قرأت كثيراً مما كتب عن اليهود ، وحفظت ما ورد عنهم فى القرآن الكريم ، واستوعبت جانبا هاما مما جاء بشأنهم فى السنة الصحيحة والسيرة النبوية ، وطالعت أطرافا من تاريخهم فالحق أنى لم أتبين تفسير ذلك السلوك جليا بما يكشف عن منابع السوء فى قلوب اليهود المعاصرين على نحو ما تبينته فى كتابهم المقدس .

فقد كان غاية الظن فى تفسير سلوك المعاصرين منهم أنهم ورثوا أسلافا ضلوا سواء السبيل ، وغضب الله عليهم ، وأذاقهم سوء ما صنعوا فكان للأبناء من نزوع العرق ودسائس الجبلة وأخلاق الآباء حظ مقسوم ، ولم يكن فى الحسبان أن كتابهم المقدس الذى يدينون به يرسم لهم أسوأ ما يرسم المعلم لتلميذ ، بل ينهج لهم فى بعض تصرفاتهم الشخصية وفى سياستهم الدولية ما تقر به عين الشيطان ، دع التلمود الذى هو التعاليم التى تناقلوها شفويا منسوبة إلى موسى عليه السلام ثم دونوها وفيها شروح أحبارهم ووصاياهم ، فقد ينكرون بعض ما فيه ، ودع مايسمى «بروتوكولات حكماء صهيون» تلك التى نشرت مراراً فى مطالع هذا القرن ، وفى كل مرة تختفى عقب ظهورها ، فقد ينكرون كل ما فيها . وسيكون أساس حديثنا عنهم من كتابهم المقدس ، حيث لا مجال حينئذ لإنكار أو مكابرة ، ولا مظنة فى إدعاء أو تزيد ، فلندع النصوص تنطق ، ولنفسح لكتابهم يسجل عليهم ، ولآياتهم تشهد بحقيقة أمرهم ، فهى فى هذا - ولا ريب - أقطع بيانا ، وأسطع برهانا ، ولك بعد قراءة ما أنقله بنصه - وإنه لقليل من كثير - أن تعتقد - كما اعتقدت - اليأس من صلاح اليهود ، بل من مجرد إستعدادهم ليعيشوا مع الشعوب على نحو ماينبغى لحياة الشعوب ما داموا يهودا ، أو على شىء من تراثهم القديم .

اليهود وبنو إسرائيل :

يخلط بعض الباحثين بين اليهود وبنى إسرائيل وذلك الخلط هو بعض الذرائع المقصودة للصهيونيين إلى أغراضهم السياسية . فهم يريدون تحقيق نسب اليهود الحاليين إلى إبراهيم عليه السلام ، إستطالة بشرف النسب وتذرعا للتمسك بما جاء فى التوراة من الوعد بإعطاء الأرض المقدسة إلى بنيه ، ذلك الوعد الذى سنعرض بعد قليل لحقيقته وجدواه .

يقول صاحب المنجـــد من قسم الأدب والعلوم : (اليهود : إسم أطلق منذ القدم على الشعب سليل إبراهيم الخليل من إسحق، يعرفون بالعبرانيين، أو بنى إسرائيل إنتشروا فى العالم من قديم الزمان) وهذا القول فيه من مجافاة الحقيقية ما فيـه ، فبنو إسرائيل هم ذرية يعقوب (الملقب بإسرائيل) ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام .

أما اليهود فهم الذين ينتسبون إلى شريعة موسى عليه السلام كما هى بأيديهم الآن على ما بها من التحريف والتبديل والتشويه ، وهم كما يقول محققو المؤرخين (١) : « أعم من بنى إسرائيل ، لأن كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً ولم يكونوا من بنى إسرائيل » .

بل هـذا ما يقرره كتابهم المقدس ، فقد جاء فى سفر « أستير » بعد ذكر نجاة اليهود من الإبادة فى بلاد فارس بحيلة أوقعوا فيها بخصمهم هامان ، بأمر « أحشورش » ملك الفرس قـوله : « وكان لليهود بهجة وفرح وسرور وكرامة ، وصار كثير من أمم تلك الأرض يهوداً ، لأن خوف اليهود حل عليهم » (١) .

وليس عجيباً من خلق اليهود ما جاء فى نهاية السفر من شكر اليهود لله أن أنجاهم من عدوهم على طريقتهم فى الشكر ، فلم يكفهم أن قتلوا عدوهم وبنيه العشرة بل أعملوا السيف أياما فى رقاب مخالفيهم ، وأبادوا منهم عشرات الألوف ، ولقـد نزلت الكوارث باليهود قديماً إلى حـد الإبادة والاستئصال ، حتى لم يكد ينجو منهم إلا سبى أو شريد على ما سنشير إلى ذلك من وقائع التاريخ .

ويهود اليوم كما يشهد الواقع خليـط من أمم العالم شرقه وغربه ، لا يخلص لهم نسب ولا يصفو لهم دم فقد اختلطوا بأمم الأرض كارهين وطائعين ، وطوحت بهم الأحداث ـ كما طوحت بأسلافهم ـ من أمة إلى أمة ، ومن صقع إلى صقع ، ونزلت وما تزال تنزل بهم كشأنهم فى القديم .

---

(١) تاريخ أبى الفداء ص ٧٨ ، وغيره

(١) ص ٨٢٣ سفر أستير من العهد القديم وأستير التى سمى السفر باسمها يهودية تزوجها ملك فارس بعد مغاضبته للزوجة السابقة ، وجعلها ملكة بعدها ، فخدمت بنى ملتها بتدبير من بعض رءوسهم حتى تخلصوا من أعدائهم .

أما إبراهيم الخليل عليه السلام فهو عربى(١) هاجرت قبيلته من قلب الجزيرة العربية إلى العراق ، ثم هاجر بعد بعثته إلى أرض كنعان بالشام ، ورحل إلى مصر ثم عاد ثانية إلى حيث كان بأرض كنعان فى جنوب فلسطين كما رحل بابنه إسماعيل صغيرا وأمه إلى الحجاز حيث أسكنهما هناك (٢) ، وكان يمر بولده حينا بعد حين ، حتى أمر بإقامة للقواعد من البيت الحرام قبلة الإسلام بمكة المكرمة ، يعاونه ولده إسماعيل الذى جاءت منه أمة العرب خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان إبراهيم عربيا خالصا من سلالة العرب العاربة التى يرتفع نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام فهو كذلك أبو العرب المستعربة الذين هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم وهو بهذا جد العرب كما هو جد بنى إسرائيل .

(١) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٤٤ طبعة منير ، وفصل النشأة من أبو الأنبياء للأستاذ العقاد ، وغيرهما .

(٢) زعمت التوراة أن إبراهيم صرف هاجر ووليدها إسماعيل وأنها مضت وتاهت فى برية بئر سبع حتى طمأنها ملاك الله ... فأقام إسماعيل فى البرية ... واتخذت له أمه زوجة من أرض مصر ، وأغفلت رحلة الحجاز وإقامة إسماعيل به واشتراكه مع أبيه فى إقامة البيت الحرام حتى لا يكون لإسماعيل وذريته من بعده هذا الشرف العظيم .

وإبرهيم لا يسمى إسرائيليا فإسرائيل كما مر حفيد إبرهيم ، كما لا يسمى يهوديا فيهوذا الذى يتعلقون بالنسب إليه أحد أبناء إسرائيل ، وبالأولى لا يكون مسيحيا فلم يكن قد اقترب زمان المسيح « ماكان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

إبرهيم وعهود التوراة :

أقام إبرهيم عليه السلام فى أرض كنعان داعيا إلى الله ، وبورك له فى ماله المنقول ، ولم يكن قد نعم بالذرية حين وعده الله بأن وارثه من صلبه وأنه سينميه جدا جدا ـ على حد تعبير التوراة ـ ويجعله أمما ، وملوكا تخرج منه ، كما وعده أن يعطيه أرض غربته التى هى أرض كنعان له ولنسله ملكا مؤبدا (١) .

ثم منحه إسماعيل ، وقال له فى شأنه : « هأنذا أباركه وأنميه وأكثره جدا جدا ، ويلد اثنى عشر رئيسا ، وأجعله أمة عظيمة ، غير أن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى مثل هذا الوقت من قابل » .

وعاش إبرهيم ما شاء الله أن يعيش ، ولم يعرف له ملك بأرض كنعان سوى مغارة تسمى المكفيلة دفن بها زوجه سارة فى حقل اشتراه خصيصا لذلك ، وكان صاحبه قد عرضه هبة إكراما لإبرهيم حينما وجه خطابه

(١) ف ١٣ ص ٢٢ من سفر التكوين .

إلى بنى حث بعد وفاة سارة قائلا : « أنا غريب عندكم أعطونى ملك قبر عندكم فأدفن ميتى من أمامى » (١) ، وكانوا قد رحبوا بأن يدفن ميته فى أى قبورهم شاء ، ولكنه عليه السلام شكرهم ودفع ثمن ما اشتراه ، وأخيرا مات إبرهيم بشيبة صالحة ، شيخا قد شبع من الحياة ، ودفن مع زوجه سارة فى المغارة المذكورة (٢) .

ثم تجدد الوعد لاسحق ونسله ، فقد نهى اسحق عن الهجرة إلى مصر وقد هم بها على أثر مجاعة عامة فى البلاد ، وأمر بالنزول إلى أرض تسمى (جرار) بفلسطين وقال الله له : « لك ولنسلك سأعطى هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمته لأبيك إبرهيم » (ص ٤٢) .

وعاش اسحق ما شاء الله أن يعيش ، ولحق بربه ، ودفن مع أمه وأبيه فى نفس مغارة المكفيلة .

* * *

ثم اتجه الوعد ثالثة إلى يعقوب المسمى بإسرائيل وبنيه من دون أخيه « عيسو » الذى كان بكر أبيه إسحق وحبه ، والذى أراد أبوه إسحق أن يباركه ، فاحتال يعقوب وخادع أباه حتى منحه - وهو لا يعلم - البركة التى قصد بها أخاه وهكذا بالغش والخداع تستفاد البركة فى رأى العهد المتداول (ص ٤٥ — ٤٦) .

وأقام يعقوب فى أرض كنعان ، ثم رحل إلى مصر ومعه بنوه بدعوة من مليكها ويوسف بن يعقوب على خزائنها ، وكان ذلك خلاصا من مجاعة عامة حلت بالبلاد ، ومات بمصر ، ونقل جثمانه حسب وصيته إلى حيث دفن إبراهيم وإسحق عليهما السلام .

نظرة فى ذلك العهد :

فإذا كان العهد أرضاً يرثها من عهد إليه وبقاعا يملكها ، فقد تخلف العهد عن إبراهيم ، وتخلف من بعده عن إسحق ثم عن يعقوب برغم النص على كل منهم أولا ثم بنيه من بعده ، وظل العهد متخلفاً بعد يعقوب أكثر من أربعة قرون حتى أخرج موسى بنى إسرائيل من العذاب المهين لهم فى أرض مصر ، واتجه بهم ومعهم من صاحبهم من المؤمنين إلى أرض فلسطين ، حيث لم يدخلوها بل ظلوا فى التيه عشرات السنين ، فلما دخلوها بعد موسى وهرون ، أقاموا بها زمنا لم تخلص لهم ، ولم يدم ملكهم بها ، ثم عادوا إلى التيه نحواً من عشرين قرنا (١) .

وسؤال البداهة أن يقال : فأين محصل الوعود الإلهية القاطعة ؟ وهل عسى يكون ميراث الأرض غير وعود أرضية مدخولة ،

---

(١) ف ٢٣ ص ٣٦ .

(٢) ف ٢٥ ص ٤١ .

(١) يأتى بيان ذلك إن شاء الله فى الكلام على إقامتهم بفلسطين .

يوجهها اليهود حيثما شاءوا وشاموا أملا أو مغنما ؟

يقول العقاد - طيب الله ثراه - عن تحولات الوعود لدى اليهود، فى كتابه الصهيونية العالمية (١)

« وتحولت الوعود الإلهية فى كتبهم تحولا جديداً مع مصالح السياسة ... فقد كان الوعد لإبراهيم فحولوه إلى إسحق ليخرجوا منه أبناء إسماعيل ، ثم حولوه إلى يعقوب ليحصروه فى سلالة إسرائيل ، ثم حولوه إلى ذرية داود لينحصر فى مملكة الجنوب دون مملكة الشمال. وهكذا كان وعد صهيون وعداً سياسياً تابعاً لمآرب الدولة ، ومآرب الهيكل الذى يقام فى جوارها ، فلا شأن له بالعقيدة الدينية التى تنتظم جميع سلالة إبراهيم » .

والذى نراه : أن عهد الله لإبراهيم ليس عهد ميراث أرض له ولنسله مشروطا أو غير مشروط ، فإبراهيم أبو الأنبياء والعهد لمثله أخلق أن يكون بالنبوة والإمامة للناس ، وقد ابتلاه الله فى نفسه وولده ومحصه فأتم ووفى ، فأتم الله له عهده ، « ومن أوفى بعهده من الله » ؟ وجعله للناس إماما ، فلما سأل العهد لذريته منع الله عهـــده عن الظالمين ، وكتبه للصالحين .

« وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين ... وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

« ووهبنا له إسحق ويعقوب ، وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » .

وبهذا تحقق عهد الله لإبراهيم وبنيه ، تحقق لإسماعيل، وإسحاق وتحقق ليعقوب وليوسف الصديق ، وكل بلغ رسالة ربه ... ومن بعدهم موسى وهارون ثم عيسى عليهم صلوات الله، وتم العهد بمحمد خاتم النبيين ، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «أنا دعوة أبى إبراهيم »

وعلى هذا النهج البين تحقق الوعد كاملا ، وجاءت النبوة فى الهداة المرشدين من ولد إبراهيم أجمعين ؟

كمال أحمد عون

---

(١) سلسلة اخترنا لك العدد ٢٧ ص ١١ .

للذكرى والعبرة

آية الاسراء

للأستاذ عبد الرحيم فوده

أجمل الله قصة الإسراء — على طولها — فى آية واحدة من القرآن الكريم ، ووردت فيها جملة أحاديث تختلف طرقا وطولا وروايات وقصصا ، ولكنها جميعها تلتقى حول قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . ولو تأملنا كلمات هذه الآية لوجدنا فيها ما يملأ قلوب المؤمنين إيماناً بهـــذه القصة . واطمئنانا إلى كل ما قيل فيها ، ومناعة نفسية ضد كل ما أثير ويثار حولها ...

فتصدير الآية بكلمة « سبحان » يشعر بأن هذا الحادث العجيب أو القصة العجيبة ليس فيها بالنسبة إلى الله ما يثير فى النفوس العجب أو الارتياب ، لأن معنى « سبحان الله » تنزيه تبارك وتعالى عن كل ما لا يليق به من صفات المخلوقين ، ومعناه كذلك أنه فوق أن يوصف بعيب أو نقص أو قصور أو عجز . وما إلى ذلك من كل ما لا يليق بكمال قدرته . وجلال جماله ، فهو فى عدله منزه عن الجور . وفى قدرته منزه عن العجز . وفى حكمته منزه عن الخطأ . وفى علمه منزه عن القصور . وهكذا فى كل ما تدل عليه أسماؤه الحسنى ، ولا شك أن قرن تنزيهه - جل شأنه - بحادث الإسراء ، أو التمهيد لذكر هذا الحادث بتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، يلقى فى قلوب المؤمنين شعورا بالاطمئنان إلى صدق الخبر وصحة القصة ، فلا يساورها الشك فى أنه جل شأنه أسرى بعبده - بجسده وروحه - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى جزء من الليل أو فى أقل من طرفة عين ، لأنه كما يقول جل شأنه : « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » ولأن مشيئته وقدرته كما يقول شوقى رحمه الله :

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

ثم إن فى إسناد الإسراء إلى الله دلالة أخرى تؤكد فى نفوس المؤمنين به صدق الخبر وصحة القصة ، لأن كل عمل ينسب إليه - جل شأنه - هين عليه مهما يكن قدره فى شعورنا وتقديرنا ، فهو - سبحانه - الذى أسرى بعبده ، وليس لعبده يد فى هذا العمل

الجليل ، ولا قدرة له عليه ، إنما كان ذلك من الله الذى « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » فلا يعظم عليه أمر رحلة أو نقلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى ليلة أو بعض ليلة أو لحظة قصيرة كلمح البصر أو أقرب من ذلك ، ولقد كان الإسراء كما أراد الله أن يكون ، وكان من المسجد الحرام الذى يقول فيه « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ، وكان الغرض منه أو الحكمة فيه - فإنه سبحانه منزه عن الغرض - ان يريه الله بعض آياته ليزداد إيماناً به واطمئناناً إليه ، وثقة بأن الإسلام - وقد اختنق نوره بين شعاب مكة وهضابها - ستزحف أشعته فى كل اتجاه وتشرق على المسجد الأقصى وما حوله من ربوع الشام ، ولعل من أسرار ذلك أن يجد النبى صلى الله عليه وسلم تسرية وتسلية عما كان يعانيه ويقاسيه من أذى قريش ومن الأحداث التى ألمت به ، إذ مات عمه الذى كان يقف دونه ويحميه من أذى قومه ، وماتت زوجه البرة الوفية التى كانت تسرى عنه البلاء ، وتخفف عنه ما يحمل من أعباء ، وتلطف جوه بما كانت تشيع فيه من مشاعر الحب والوفاء ، وكانت قريش قد وصل بها الغيظ منه والضيق به إلى درجة اليأس منهم. وخيبة الأمل فيهم ، ولما التمس لدينه جواً آخر يجد فيه متنفسا توجه إلى الطائف فإذا أهلها أشد قسوة عليه من أهل مكة ، وإذا هو يواجه بالحجارة تلقى عليه حتى يسيل الدم من قدميه ، فيقف أمام ربه يناجيه بهـــذه الكلمات : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى. إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك أو تحـــل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .

فى هذا الجو كان الإسراء بمثابة بشرى كبرى للنبى صلى الله عليه وسلم بأن دينه سيظهر ويظفر ويمتد نوره إلى المسجد الأقصى وما حوله ، وقد عاد صلى الله عليه وسلم من هذه الرحلة فى تلك الليلة فأخبر أم هانىء فى الصباح بما كان . فأشفقت عليه وقالت : يا رسول الله . لاتحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك فقال فى لهجة الواثق المطمئن إلى وعد الله : والله لأحدثنهم به . ثم غدا إلى المسجد وجلس فيه يفكر فأقبل عليه أبو جهل وقال: هل من خبر . فقال صلى الله عليه وسلم: نعم قال أبو جهل وما هو ..؟ فقال عليه السلام: أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ... ؟ قال

صلى الله عليه وسلم : إلى بيت المقدس ، قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ..؟ قال: نعم قال أبو جهل - كأنه يراها فرصة للتشهير به : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني .؟ فقال عليه السلام : نعم .

فأخذ أبو جهل ينادى بطون قريش حتى أقبلوا وقص عليهم النبي القصة . فأخذ بعضهم يصفق ، وبعضهم يضع يده على رأسه متعجباً مستغربا ، وأسرع بعضهم إلى أبى بكر رضى الله ، فقالوا : هل لك فى صاحبك .؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس . فقال رضى الله عنه : أو قال ذلك ..؟ قالوا نعم . قال : لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا . متعجبين : فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح .. ! ! قال : نعم . أصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء يأتيه فى غدوة أو روحة ... وكان رضى الله عنه منطقياً فى إيمانه بالله وقدرته ، ونخلص من ذلك بأن الإسراء لم يكن بالروح وإلا ماأثار هذه الضجة ، وإنما كان بالروح والجسد كما يدل عليه ظاهر قول الله «بعبده» وكما يفهم من تصوير الآية بكلمة سبحان الذى أسرى بعبده .

ولا شك أن اقتران المسجد الأقصى - وهو قبلة المسلمين الأولى - بالمسجد الحرام وهو قبلتهم الثانية فى هذه الرحلة الميمونة المباركة له دلالته ومغزاه ومكانته فى قلوب المؤمنين ، وقد فسر ابن كثير المسجد الأقصى ببيت المقدس وقال إنه معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا للنبي صلى الله عليه وسلم هناك فأمهم فى محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

أما الآيات التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة ، فلا يتسع المقال لعرض تفصيلها فيما وردت به الأحاديث ، وقد أبهمها الله فى قوله . لنريه من آياتنا وقوله : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، ولكن حديث النبى صلى الله عليه وسلم وحى ، لأنه كما يقول الله : وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وهو الصادق الأمين الذى يقول الله فيه : « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

وقد كان المعراج وهو صعود النبى صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وما فوقهن فى هذه الليلة المباركة التى فرضت فيها الصلاة ، وقد أجمل شوقى هذه القصة فى هذه الأبيات :

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم
حتى بلغت سماء لا يطار لها
على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبي عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم

و « بعد » فإن ذكرى الإسراء والمعراج خليقة بأن تهز شعور المسلمين فى كل بلد يعيش فيه نحو المسجد الأقصى ، وأن تستفز هممهم وعزائمهم للعمل على تحريره وتحرير الأرض التى باركها الله من قبضة العصابات الصهيونية التى يغريها الاستعمار بالعدوان على العرب والمسلمين ، وقد وعدهم الله بالنصر حيث يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

ولا يزال وعد الله قائما ، ولا يزال طريق النصر هو الإيمان والعمل الصالح والجهاد فى سبيل الله ، والإيمان كما يقول الله « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

عبد الرحيم فوده

إعجاز القرآن

تناصرت الأدلة وانعقد الإجماع على أن القرآن معجز ، وإنما الخلاف فى سبب إعجازه . فمن قائل : إنه شرف الغرض ، وتنوع القصد ، والإخبار بالغيب . ومن قائل : إنه الفصاحة الرائعة والمذهب الواضح ، والأسلوب الموثق . ونحن إلى هذا الرأى أميل ؛ فإن القوم الذين تحدوا به لم يكونوا فلاسفة ولا فقهاء حتى يكون عجزهم عن الإتيان بمثله معجزة إنما كانوا بلغاء مصادع . وخطباء مصاقع وشعراء فحولا . وفى القرآن من دقة التشبيه والتمثيل ، وبلاغة الإجمال والتفصيل ، وروعة الأسلوب وقوة الحجاج ما يعجز طوق البشر ويرمى المعارضين بالسكات والحصر .

الزيات
ص ٨٨ تاريخ الأدب العربى

مقبرة الغزاة

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

أجل ... مصر مقــبرة للغـــــــــــزاه
ولكنها لبنيهـا . . الحيــــــــــــاه
وفجر من الخــــــــــلد وافى سنـــاه
فحيـا الوجــــــــود بنـــور الإله
ورد تحيتــــــــــــه من رآه
بترنيمة غردت فى الشـــــــــفاه
فكانت نشيــــــــــدآ . . وكانت صلاه

* * *

أجــــــــــل . . مصر قلب قوى كبير
تدفق نبضـا عميـــــــق الشعــــــــور
غـذته الحيــــــــــــــاة بنار ونور
فحينـا يرق . . وحينـا يثـــــــــور
فإن رق فهو عبــــــــــير الزهور
وإن ثار فهو سعــــــير يفـــــــور
فيغرق أعـــــــداءه فى لظــــــــاه

* * *

ونحن الذين عــــــــبرنا الزمان
كما يعـــبر النـــــــــور كل مكان
فيزرع فيــه الهـــــــــدى والأمان
بروح المحبة . . روح الحنــــــــان
وثرنا على ظلمـــــــات الهوان
لنحمى إشراقهـــــــا منـــــــذ كان
ونحيـا لـكل الحيارى . . هـــــــداه

فما بالـــكم أيها المعتـــــــدون
تريدون للنـــــــور ألا يكون ؟
عميـــــــتم . . ولكننا مبصرون
وحـــرتم . . ولكننا مهتـــــدون
وبين وهـــــاد الدجى تســـقطون
ولكننا أبدا صـــــــاعدون
إلى ذروة النـــــــور . . نور الإله

* * *

برغم المـــؤامرة الســـــــافره
برغم انتكاستنا العـــــــابره
سنرفع أعـــــــلامنا الظافره
ونســـــحق كل القوى الغادره
ونحيا على أرضنـــــا الطاهره
هنالك فى القـــدس والنـــــاصره
وفى كل شـــــبر أباد الطغاه

* * *

سنحيا على الدهـــــــر قوما كراما
نشيع المحبـــــــة عاما فعاما
فيخضر قلب الحياة ســـــــلاما
ونغسل بالنـــــــور هذا الظلاما
ونرصد للبغى مـــــــوتا زؤاما
ونحمى الكرامة من أن تضـــــاما
وتلك رســـــــالتنا فى الحياه

ابرهيم محمد نجا

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والمسلمون في العصر الحاضر

للأستاذ پيير روندو

عرض وتعليق الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

L'Islam et les Musulmans d'Aujourd'hui, par - Pierre Rondot

— ٢ —

الإسلام والمسلمون فى العصر الحاضر للأستاذ (بيير روندو) كتاب بالفرنسية فى جزأين ، تكلمنا فى المقال السابق عن منهجه فى تأليف الكتاب وعن الباب الأول الخاص بالمظاهر الحاضرة للجماعة الإسلامية ، والمقصود بالجماعة ، وعن وحدانية الله ، ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، والقرآن تنزيل رب العالمين . وبذلك تم الباب الثانى .

الباب الثالث يتألف من خمسة فصول تحدث فيها المؤلف عن العبادات بعد أن تكلم فى الباب السابق عن العقيدة . ويبدو أنه اعتمد فى العبادات على الحديث المشهور من بناء الإسلام على خمس : (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج) . غير أنه لم يقف كما جرت العادة عند هذا الحد ، لأنه لا ينظر إلى الإسلام من الزاوية النظرية أو حتى العملية ، بل من خلال (الجماعة) ، أى جماعة المسلمين ومدى انطباعهم بالعقيدة ، وسلوكهم بشكل معين ، إن فى الحياة الداخلية للدولة أو فى العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى . ولذلك جاء الفصل الرابع من هذا الباب يبحث فى التنظيم الداخلى للجماعة من جهة الحكم ، ويبحث الفصل الخامس عن مفهوم (الجهاد) وصلة ذلك بالعلاقات الخارجية .

حقا إن الشيعة يعتبرون دعائم الإسلام التى يبنى عليها ستا لا خمس ، ويجعلون الدعامة السادسة (الجهاد) ويقصدون منه الحرب لنشر الإسلام ، ولكن المؤلف لا يأخذ بهذه الوجهة من النظر فى ترتيب هذا الباب ، لأن الفصل الرابع الخاص بنظام الحكم غير وارد فى قواعد الإسلام السابقة . هذا فضلا عن أن المؤلف يصطنع وجهة نظر أهل السنة الذين لا يجعلون الإمامة نصا وجزءا من العقيدة . والأرجح أن المؤلف متأثر فى القول بالحكم داخليا لحفظ المصالح العامة وضبط

الأمن ، وفى القول بالحرب أو السلم خارجيا ، بالتفكير الأوربى فى النظم الدولية .

ومن الجدير أن نقف مرة أخرى عند المنهج الذى يتبعه المؤلف ، فهو وإن كان معروفاً من قديم إلا أنه لم يظفر بالعناية الكافية . ذلك أن دراسة الدين إما أن تتجه ناحية العقائد والآراء بصرف النظر عن أثرها فى السلوك . وإما أن تبدأ بملاحظة مظاهر السلوك . واستخلاص العقيدة من خلال هذا السلوك وإذا اعتبرنا الدين متغيرا فإنه لا يكون كذلك إلا من ناحية المظاهر التى تبدو فى تصرفات أصحاب هذا الدين من جهة العادات والتقاليد ، ولكن الذى يتغير مع العصر هو عادات المسلمين، وهذه المظاهر لا تمس جوهر الدين .

بهذه الروح، وبهذا المنهج، نجد بحث الصوم وصفاً لمظاهره الاجتماعية فى شتى الدول الإسلامية المعاصرة . ومن المعروف أن الشرع قد أباح الإفطار فى حالات معينة كالمرض مثلا بشرط أن يطعم المفطر فى رمضان ستين مسكينا . ولكن الذى لا يباح هو الإفطار بدون عذر وإعلان الإفطار . وقد روى المؤلف أن أحد رؤساء النقابات العمالية فى تونس صعد المنبر يخطب فى رمضان فى عيد أول مايو للعمال سنة ١٩٥٥ ، وكان أمامه كوب ماء يشرب منه . فلم تلبث الصحف أن سلقته بألسنة حداد وهى تنعى روح التحرر التى توشك أن تقضى على الأمة . ذلك أن التمسك بالدين وأوامره هو الذى حفظ وحدة تونس الوطنية حتى ذلك الحين. وروى المؤلف كذلك نقلا عن حضرموت أن أحد الصحفيين حكم عليه بالسجن خمسة أعوام لأنه أعلن إفطاره فى رمضان . وهذا كله إن دل على شىء فإنما يدل على أن جوهر الإسلام سليم ، ولا يزال ثابتا لم يتغير أمام تيارات الإلحاد الجارية فى العصر الحاضر باسم التحرر تارة ، وباسم التقدم تارة أخرى .

كذلك الحج لم تتغير شعائره وإنما تغيرت بعض مظاهره ، فقد كان المسلمون قديماً يجدون مشقة كبيرة فى الحج إلى بيت الله لصعوبة المواصلات والسير زمنا طويلا فى الصحراء على ظهور الإبل ، وهى الوسيلة الوحيدة التى كانت موجودة لعبور الصحراء ثم أصبح الحج فى العصر الحاضر متعة ورفاهة وذهبت عنه المشقة التى كان يكابدها الحجاج المسلمون فى الأزمنة القديمة ، وما بالك بمن يصل إلى جدة على ظهر باخرة فاخرة ، أو على متن نفاثة طائرة . ويقدر عدد الحجاج الذين يصلون إلى جدة من خارج المملكة العربية السعودية طائرين بثلث العدد الكلى للحجاج فإذا أضيف إلى ذلك الرعاية الصحية الحديثة دفعا للأوبئة ، وإعادة بناء الكعبة والمسجد الحرام على أيدى مهندسين وعمال مصريين ليكون على استعداد لاستقبال هذا العدد الهائل المتزايد من المسلمين فى وقت واحد ، رأينا كيف تطورت بعض «مظاهر» الحج فى العصر

الحاضر ، ولم يحدثنا المؤلف عن الإحرام والطواف والسعى بين الصفا والمروة والنزول بعرفات والإقامة بمنى لأن ذلك كله من الأركان الثابتة التى لم يتناولها تغير أو تجديد .

وقد نقل المؤلف ما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر بعد قيامه بأداء فريضة الحج ، من أنه وقف أمام الكعبة وشعر بأن أفكاره تحيط بجميع الدول الإسلامية ، فحدث نفسه قائلا : ينبغى أن يتغير مفهومنا عن الحج ، فلا تكون زيارة الكعبة تذكرة دخول للجنة ولا محاولة لغفران الذنوب ، وإنما ينبغى أن يكون الحج « قوة سياسية » هائلة ، ومؤتمراً سياسياً سنوياً يضم قادة الفكر فى الدول الإسلامية ، وأهل الرأى ، والعلماء والكتاب ، وأرباب الصناعة ، والشباب ، لبحث مخطط مشترك ترتضيه كل الدول الإسلامية .

الحق أن هذه المظاهر لا تعد جديدة وبخاصة فى الحج ، لأن مجرد اجتماع المسلمين من شرق وغرب فى مكان واحد جدير أن يصهرهم فى بوتقة واحدة ، ويقرب بين نفوسهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويجعلهم يشعرون بشعور واحد ، فتكون « الجماعة » الإسلامية أمة واحدة ، وقوة سياسية عظيمة .

* * *

الباب الرابع فى نمو الإسلام ويشتمل على ستة فصول تبحث فى الفرق الفقهية والدينية والسياسية . إلا أنه على الرغم من وجود فرق متباعدة أشد التباعد فى داخل الأمة الإسلامية : من تنازع بين الفقهاء ، وصراع بين المتكلمين ، وحروب دامية لبلوغ الحكم ، ونزعات صوفية تفرعت إلى طرق ، فقد ظل الإسلام على جوهره الصافى من وحدة وتوحيد ، بل كان ذلك التفرق والتنازع سبباً فى نموه حتى يتشكل اجتماعيا بحسب حاجات كل عصر ، ونفسانيا ليلائم كل مزاج وذوق .

والمذاهب الفقهية الكبرى أربعة ، هى بالترتيب الذى ذكره المؤلف : المالكى والحنفى والشافعى والحنبلى . وهذه الأربعة تنتمى إلى السنة لا إلى الشيعة ، وليست « فرقا » تمس أصول الدين ، ولكنها مذاهب فى الفروع الفقهية تلائم الحياة العملية فى البيئات المختلفة . وينتشر المذهب المالكى الذى يتمسك بالإتباع والذى نبع فى أصله من المدينة ، فى شمال إفريقية من شرقها إلى غربها ، وفى السودان . أما المذهب الحنفى القائم على استحسان العقل ، ولذلك كان متحرراً ، فهو أكثر انتشاراً فى تركيا والباكستان وآسيا الوسطى . وبوجه عام يتبعه قلة فى كل بلد كان خاضعاً للنفوذ العثمانى ، مثل تونس ومصر . وينتشر المذهب الشافعى القائم على الإجماع (كذا يقول المؤلف وهذا غير دقيق ولا صحيح) فى مصر ولبنان وأندونيسيا . أما المذهب الحنبلى

الذى يمثل الجناح الأيمن المتشدد للسنة فإنه يسود فى المملكة العربية السعودية حيث امتزج بالوهابية (ص ١٧٠) . ويعترف المؤلف أن هذه التقسيمات من قبيل التعميمات ، وأنها ليست مقفلة جامدة وفى هذا المقام كان يحسن إضافة أن القرن العشرين شهد موجة من الاجتهاد ، كما شهد ما يسمى بالفقه على المذاهب الأربعة ، وهو ضرب من التوفيق بينها .

ولسنا بحاجة إلى الوقوف عند الفرق التاريخية كالخوارج والشيعة والمعتزلة والأشاعرة ولكن الذى يستحق منا وقفة لما له من دلالة فى الوقت الراهن هو إلغاء الخلافة فى تركيا . وهى قصة جديرة بالذكر والتسجيل . فقد انهزمت تركيا فى الحرب العظمى واحتل الحلفاء اسطنبول ، ونهض مصطفى كمال أتاتورك يحرر تركيا ويطرد جنود الاحتلال . فألغيت السلطنة وأعلنت أنقرة عاصمة البلاد . وظل محمد وحيد الدين خليفة ، ولكن المجلس الوطنى اتهمه بالخيانة العظمى ، فاضطر إلى الفرار ، وعين بدلا منه الأمير عبدالمجيد ، إلى أن قرر المجلس الوطنى فى ٣ مارس ١٩٢٤ إلغاء الخلافة بعد أن ألغى السلطنة منذ سنتين .

ولم يكد الملك حسين فى الحجاز ، والذى كان قبل ذلك شريف مكة ، يسمع بالأمر حتى أعلن نفسه خليفة للمسلمين فى ٥ مارس ، غير أنه انهزم على يد الملك ابن سعود أمير نجد الذى استولى على مكة ، فهرب حسين ، وسقط تبعاً لذلك لقب الخلافة فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٤ . ولا يزال المنصب شاغرا والمسلمون بغير خليفة منذ ذلك الحين حتى اليوم .

* * *

الباب الخامس كله يعالج حركة الإصلاح أما عنوان هذا الباب فهو : (الجماعة الإسلامية كما تطمع أن تكون) .

ولقد كان من الطبيعى بعد النظرة التاريخية فى الإسلام التقليدى فى الأبواب السابقة أن تعالج النزعات التجديدية فى هذا الباب والذى يليه وقد صور المؤلف : (أن الدول الإسلامية فى العصر الحاضر بعد إحتكاكها بالغرب المتقدم اضطرت أن تسلك أحد سبيلين ، إما رد فعل على الحضارة الغربية، وإما قبول واستسلام لهذه الحضارة ، فمن جهة رد الفعل ظهرت حركات (الإصلاح) التى تنطوى على إعادة التفكير فى الإسلام والتى تنتهى إلى نتائج شديدة التباين، بعضها محدود فج وبعضها الآخر متحرر . أما القبول والاستسلام للحضارة الغربية فإنه يقود إلى (اللادينية) ، وهى نزعة ولدت فى الجو الإسلامى مشاكل غاية فى الصعـــوبة .

إن الحلول الإسلامية التى نشهدها فى العصر الحاضر متعددة ومختلفة إلى حد التناقض ، ولذلك كانت صورة الغد غير واضحة المعالم ، ومع ذلك من الممكن تخطيط بعض الاتجاهات العامة ... (ص ٢٢١) .

إن الرغبة فى الإصلاح فيضان مستمر دائم فى صميم الإسلام ، وتعبير عن تطلع شريف إلى الكمال يتعارض مع الواقع الذى يشد المسلمين إلى أغوار الماضى . ومن هذا البحث فى الماضى يمكن إستخلاص نتائج شديدة الاختلاف ، لأنها تبدأ من بعث جمود العصر الوسيط إلى نهضة متفتحة الأبواب . وتعتمد مبادئ الإصلاح ـ على إختلافها وتنوعها ـ على الرجوع إلى الإسلام فى مصدره الأول قبل أن تتراكم فوقه التأويلات والتفاسير على مر العصور . ومعنى ذلك الابتعاد عن التقليد ، والأخذ (بالاجتهاد) أو فتح باب الاجتهاد .

تحدث المؤلف عن زعماء الإصلاح فى الهند والشرق الأوسط .

ظهر فى الهند سيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨) مفسر القرآن ، ومؤسس الكلية الإسلامية بعليكرة . وهو يذهب إلى أن تعاليم الإسلام لا تتعارض مع حقائق العلم وضرورات الطبيعة ومطالب المجتمع العصرى . سار على ضوء هذه المبادىء يفسر القرآن ويشرح الحديث ، ووجه اهتمامه بوجه خاص إلى التعليم وكان أثره فى هذه الناحية ملموساً .

إقتفى أثره سيد أمير على ، وهو شيعى . وعنده أن القرآن تأليف محمد .

Le Coran est simple ment l'aevure de Mohammed.

ينبغى أن يقرأ بعيون جديدة دون اعتبار للتفاسير القديمة . ونحن نرى أن العبارة على هذا النحو غير موفقة ، فلا يمكن لمسلم أن يذهب إلى أن القرآن ليس كلام الله بل نظم محمد . وما زعمه المعتزلة فى زمانهم من خلق القرآن ليس معناه أنه من عمل محمد . ومع ذلك فقد أدت فتنة القول بخلق القرآن إلى محنة كبيرة استمرت أكثر من نصف قرن .

السير محمد إقبال (١٨٧٦ - ١٩٣٨) شاعر الباكستان أشهر من أن يذكر ، وقد ترجم كتابه (تجديد التفكير الدينى فى الإسلام) إلى اللغة العربية . وهو فيلسوف عميق الفكر فسر الآية التى تقول : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » بأن الإنسان يلعب دوراً حقيقياً فى هذا العالم . وهذه نظرية ليست جديدة فى الإسلام إذ سبق أن نادى بها المعتزلة .

ويبدأ المصلحون فى الشرق الأوسط بجمال الدين الأفغانى صاحب (الرد على الدهريين) والذى رأى الإصلاح فى الحرية السياسية للدول الإسلامية من ربقة الاستعمار الأوربى . وهذه النزعة الوطنية نجدها أوضح عند الكواكبى (١٨٤٩ - ١٩٠٢) الذى جعل العروبة محور الإصلاح . ولكن أكبر تلامذة الأفغانى كان ـ ولا نزاع ـ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) الذى رأى الرجوع إلى

الإسلام فى جوهره الصافى، وإنقاذ روح الدين وباطنه وبساطته ونفض ما علق عليه من غبار الزمن، ويتلخص مذهبه فى الإصلاح كما صوره المستشرق (جب) فى نقاط أربع هى :

١ — تطهير الإسلام مما طرأ عليه من تأثيرات مفسدة .

٢ — إصلاح التعليم الإسلامى العالى باستخدام المناهج الغربية .

٣ — إعادة صياغة التعاليم الإسلامية فى ضوء الفكر المعاصر .

٤ — الدفاع عن الإسلام بالرد على المؤثرات الأوربية والمسيحية .

* * *

ظهرت الحركات اللادينية فى تركيا وفى الجمهوريات السوفييتية فى وسط آسيا، ولها فى تركيا أسباب ودوافع ونتائج تختلف عنها فى روسيا، وترتبط اللادينية فى تركيا بمصطفى كمال، وتسمى سياسته التى طبقتها بالكمالية، وتعتمد على عدة أصول :

منها التمسك بالقومية التركية جنسا ولغة واقتصاداً وثقافة، ولذلك انحصرت تركيا فى آسيا الصغرى واتخذت أنقرة عاصمة لها، وتبادلت مع اليونانيين الرعايا، ووجهت اللغة وجهة تركية خالصة تباعد بينها وبين العربية، وأصبحت تكتب بحروف لاتينية .

ومن هذه الأصول اصطناع النظام الجمهورى . والأصل الثالث « اللادينية » وهو ما يعنينا فى هذا المقام لصلته بالإسلام، والمقصود باللادينية انفصال الدين عن الدولة تماماً فلا تصبح مسئولة عن رعاية الدين بين أبنائها، وترتب على ذلك إلغاء الخلافة، واتخاذ القانون المدنى بدلا عن الفقه الإسلامى فى الأحوال الشخصية، وإلغاء التكايا، وتحريم لبس الزى الخاص برجال الدين، والأخذ بالتقويم الميلادى بدلا من الهجرى، وجعل يوم الأحد الراحة الأسبوعية، واطراح الحروف العربية فى الكتابة، وإلغاء التعليم الدينى من المدارس، ولبس القبعة، غير أن الكمالية المتطرفة هدأت بعد حين، واتضح أن الشعب لا يزال متمسكا — كما كان — بالتعاليم الإسلامية عقيدة وعبادات .

وحين اشتعلت الثورة الروسية حطمت المسيحية والإسلام على السواء، واعتبرت الدين (أفيون الشعب) ، وعقبة فى سبيل التقدم العلمى، ولم تنفض الدولة يديها عن الدين ومؤسساته من إشراف على تعليمه فى المدارس، وعناية بالكنائس والمساجد فقط، بحيث تترك الناس أحرارا فى عقائدهم، ولكن الثورة الروسية أغلقت أبواب المعابد وحرمت على الشعب الاشتغال بالدين .

(البقية على صفحة ٤٧٠)

الكتب

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

— ١٠ —

فتح البيان فى مقاصد القرآن (١)

(أول تفسير خال من الإسرائيليات)

للعلامة صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م

يعتبر هـذا التفسير أول تفسير من نوعه يخلو من الإسرائيليات والجدليات المذهبية والمناقشات الكلامية ، وقد صرف مؤلفه الإمام المحدث المشهور : صديق حسن خان ، من محققى علماء الهند فى القرن التاسع عشر ، همه كله إلى الآيات ، يجلو معانيها فى عبارات سهلة سلسة ، مع الحرص على إيراد ما ثبت من التفسير النبوى ، وما ثبت عن عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من سلف الأمـــة وأئمتها المعتبرين . ومقدمة المؤلف تحتوى على بحوث قيمة فى الفرق بين التفسير والتأويل ، والغرض من تفسير القرآن ، وفوائده وشروط المفسرين ، وأقسام التفسير ، وأنواع التفسير بالرأى ، وكذلك بين أسباب اشتغاله بهـذا التفسير - مع أن كتب التفاسير كثيرة - ومنهجه فى تفسيره ، ورأيه فى بعض كتب التفسير ، وفى تفاسير الصوفية لبعض الآيات القرآنية .

ويقول المؤلف - مبيناً الغرض الأساسى من التفسير وفائدته - : إن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفا ومنارا (وأعلاها على الإطلاق وأولاها تفضيلا بالاستحقاق . وأساس قواعد الشرائع والعلوم ، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم ، ورأس الملة الإسلامية وأسها وأصل المذاهب الفقهية ومنبعها الأول ، وأعز ما يرغب فيه ويعرج

(١) يشتمل هذا التفسير على عشرة أجزاء بالحجم الكبير ، طبع سنة ١٩٦٥ بالقاهرة .

عليه، وأهم ما تناخ مطايا الطلب لديه هو علم التفسير لكلام العزيز القدير. لكونه أوثق العلوم بنيانا، وأصدقها قيلا، وأحسنها تبيانا (وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا، وأصحها حجة ودليلا، وأوضحها محجة وسبيلا)، وقد حاموا جميعا حول طلابه وراموا طريقا إلى جنابه، والتمسوا مصباحا على قبابه مفتاحا إلى فتح بابه.

وهاهو ذا تعريف المؤلف لعلم التفسير... يقول: هو علم باحث عن نظم نصوص القرآن، وآيات سور الفرقان، بحسب الطاقة البشرية وبوفق ما تقتضيه القواعد العربية، قال الفنارى: الأولى أن يقال: علم التفسير معرفة أحوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية، ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الإنسانية. وهذا يتناول أقسام البيان بأسرها، ولا يرد عليه ما يرد على سائر الحدود ومبادئ العلوم اللغوية وأصول التوحيد، وأصول الفقه وغير ذلك من العلوم الجمة.

وأضاف: والغرض منه معرفة معانى النظم ومعرفة الأحكام الشرعية العملية، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، وموضوعه كلام الله سبحانه الذى هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معانى القرآن واستنباط حكمه ليفوز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية. وشرف العلم وجلاله باعتبار شرف موضوعه وغايته، فهو أشرف العلوم وأعظمها.

وقد أوضح المؤلف أسباب اشتغاله بهذا التفسير فقال: من المفسرين من اقتصر فى تفسيره على مجرد الرواية كجلال الدين السيوطى فى الدر المنثور وغيره، ومنهم من اكتفى بمجرد الدراية وجرد نظره إلى مقتضى اللغة العربية بصحيح العناية وهم الأكثرون، ومنهم من جمع بين الأمرين وسلك المسلكين وقليل ما هم. ومن أحسن التفاسير جمعا بين الرواية والدراية فيما علمت تفسير الإمام الحافظ القاضى محمد بن على بن محمد الشوكانى اليمنى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ وهو تفسير كبير فى مجلدات أربع.

وطالما يدور فى خلدى أن أحرز فى التفسير كتابا يحتوى على أمرين - الرواية والدراية - ويجمع طريقين على الوجه المعتبر، غير مشوب بشىء من التفسير بالرأى، الذى هو من أعظم الخطر وكنت انتهز له الفرصة وأقدم رجلا وأؤخر أخرى لصعوبة المرام. وعزة المقام لحال بينى وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتزاحم الأشغال وابتليت بتدبير مصالح العباد فى «إمارة بهوبال»(١).

(١) والمعروف أن المؤلف كان أمير (بهوبال) فى أواخر أيامه ولم تثنه مشاغل الدولة وشئونها عن الاستمرار فى خدمة العلم والدين ليل نهار.

وانصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال وأنا أصرف جهدى والمراد ينصرف والأيام تحول وتحجز والليالى تعد ولا تنجز، حتى سألنى جماعة من أهل العلم ممن يتحرى اتباع الكتاب والسنة ويتجنب الابتداع فى كل باب.

وألحوا على وأظهروا الفقر إلى ولم يسعنى إلا إسعاف ما أملوه وإنجاح ما سألوه فأجبتهم معتمداً على فضل الله وتيسيره ممتثلا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدرى ويرفعه: «إن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فى الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»، ومقتديا بالسلف الماضين فى تدوين علوم الدين إبقاء على الخلق وإيفاء للحق.

ثم تطرق المؤلف إلى منهجه فى هذا التفسير وذكر بعض مزاياه فقال: وقد اشتمل هذا التفسير على الثابت الصحيح من التفسير المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وإن كان المصير إليه متعينا وتقديمه متحتما، هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن. والثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم بالإحسان، إن كان من اللفظ الذى قد نقله الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوى فهو مقدم على غيره، وإن كان من الألفاظ التى لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا فى تفسيره الذى قاله على مقتضى لغة العرب العرباء، فبالأولى تفاسير من بعدهم من تابعيهم وسائر الأئمة. واستطرد المؤلف يقول: وأيضا كثيرا ما يقتصر الصحابى ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآنى باعتبار المعنى اللغوى، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعانى التى تفيدها اللغة العربية ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التى يتبين بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعانى والبيان، فإن التفسير هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأى المنهى عنه. وقد قال سفيان ليس: فى تفسير القرآن اختلاف إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا، وقال أبو الدرداء: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها. وأخرج ابن سعد أن عليا قال لابن عباس: اذهب إليهم (يعنى الخوارج) ولا تخاصمهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة.

وأيضا لا يتيسر فى كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف، بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن، ولا اعتبار بما لا يصلح كالتفسير المنقول بإسناد ضعيف ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وإن صح إسناده إليه، وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين والتحلى بالوصفين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين وهذا هو المقصد الذى أردته والمسلك الذى قصدته. وأذكر

الحديث معزوا إلى راويه من غير بيان حال الإسناد لأنى آخذه من الأصول التى نقلت عنها كذلك ، كما يقع فى تفسير ابن جرير والقرطبى وابن كثير والسيوطى ، ويبعد كل البعد أن يعلموا فى الحديث ضعفا ولا يبينوه ولا ينبغى أن يقال فيما أطلقوه أنهم قد علموا ثبوته ، فإن من الجائز أن ينقلوه من دون كشف عن حال الإسناد ، بل هذا هو الذى يغلب به الظن لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم - كثيراً - التصريح بالصحة والحسن ، فمن وجد الأصول التى يروون عنها ويعزون ما فى تفاسيرهم إليها فلينظر فى أسانيدها موفقا إن شاء الله تعالى .

وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة مما يتعلق بالتفسير مع اختصار لما تكرر لفظاً واتحد معنى ، ثم قال المؤلف : « وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها زبر أهل الرواية ووجدتها فى غيرها من تفاسير علماء الدراية ، وعوائد لاحت لى من تصحيح أو تحسين أو تضعيف أو تعقيب أو جمع أو ترجيح مع تحرير للمقاصد وتقرير للمعاقد ، ووطنت النفس على سلوك طريقة هى بالقبول عند الفحول حقيقة ، مقتصراً فيه على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وقصص لا تصح ، وأعاريب محلها كتب العربية ، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها أو لورودها ، وإذا قرع سمعك ما لم تسمع به من المحصلين فلا تسرع ، وقف وقفة المتأملين لعلك تطلع بوميض برق إلهى على برهان له جلى أو بيان من سلف صالح واضح وضى .

ونظراً لكونه أغنى التفاسير من حيث أنه يجمع بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية - وإن لم يكن يغنى عن جميع التفاسير . فمن النافع المفيد لكل من يقوم بدراسة مختلف أنواع علوم القرآن المجيد ، أن يطلع على بحث المؤلف فى أنواع التفاسير والمفسرين ، وعلى نماذج من تفسيره لبعض الآيات والسور . وهذا هو رأيه باختصار فى أنواع التفاسير والمفسرين :

« ثم إن تفسير القرآن ثلاثة أقسام :

الأول : ما لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه ، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته ، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه .

والثانى : ما أطلع الله سبحانه نبيه عليه من أسرار الكتاب واختصه به ، فلا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم ، أو

لمن أذن له ، قيل : وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل من الأول وهو الراجح .

والثالث : علوم علمها الله نبيه وأمره بتعليمها ، وهـــذا ينقسم إلى قسمين ، منه ما لا يجوز الـكلام فيه إلا بطريق السمع ، كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ واللغات والقراءات وقصص الأمم وأخبار ماهو كائن ، ومنه ما يؤخـذ بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ ، وهو قسمان ، قسم اختلفوا فى جوازه ، وهو تأويل الآيات المتشابهات ، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصليه والفرعية والإعرابيـة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحـكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك ، وما عـدا هذه الأمور هو التفسير بالرأى الذى نهى عنه » ؟

(يتبـــع)

محيى الدين الألوائى

(بقية المنشور على صفحة ٤٦٥)

غير أن الدولة ـ إما لأسباب سياسية ، وإما لتطور النظام الشيوعى نفسه ـ أخذت قبضتها تلين شيئاً فشيئاً ، وأصبحت تسمح بممارسة الشعائر الدينية ، ورأينا كثيرا من الحجاج الروس يخرجون إلى مكة من وراء الستار الحديدى ، وفتحت أبواب المساجد مرة أخرى للمسـلمين ، وأصبحت عامرة بالمصلين .

* * *

أطراف الإسلام جغرافياً فى نظر المؤلف هى انتشاره فى أقصى الشرق فى أندونيسيا والفلبين والملايو ، يرجع ذلك إلى مجهود التجار العرب منذ سبعة قرون تقريباً ، ثم انتشاره فى قلب القارة الإفريقيه وفى غربها ، وهو ما يطلق عليه بالفرنسية « الإسلام الأسود » Islam noir . وهو اصطلاح غير موفق لغة أو دينا . فهذا التعبير يجافى الذوق العربى . أما من الناحية الإسلامية فقد جاء الإسلام يلغى الفوارق بين الناس ويسوى بينهم لا فرق بين عربى أو عجمى ، بين سيد أو عبد ، بين أبيض اللون أو أسود . إن الـكل بشر ، يقفون بين يدى الله فى الدنيا أو فى الآخرة على قدم المساواة ، وأقربهم إلى الله أتقاهم .

وهذه هى ثورة الإسلام الحقة وروحـه الصحيحة ، التى نزل بهـا الإسلام ليعيــد للإنسان حريته ، ويحفظ له كرامته .

وفى هذا يكمن سحر الإسلام وقوته ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

القاموس الإسلامى

وضع : الأستاذ أحمد عطية الله
عرض وتعليق للأستاذ محمد الدسوقى

١ ــ منذ نحو أربع سنوات صدر المجلد الأول من هذا القاموس ، وقد عرفه واضعه بأنه موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الإسلامى ، ومعالم الحضارة الإسلامية ، وتاريخ الدول الإسلامية ، وتراجم الأعلام مع التعريف بأشهر المؤلفات فى المكتبة العربية والإسلامية مرتبة ترتيبا أبجديا وموضحة بالخرائط والرسوم والصور .

وعلى صفحات هذه المجلة[١] تناولت المجلد الأول بالدراسة النقدية وكان مما أخذته عليه إهمال المصادر التى رجع إليها فى تحرير مواده ، وبينت أن مثل هذا القاموس يختلف عن القاموس اللغوى من ناحية أن هذا يرجع إليه لمعرفة معنى اللفظ ودلالته اللغوية ، على حين يرجع إلى ذلك لمعرفة فكرة سريعة عن موضوع ما ، ثم تكون المصادر فى هذه الحالة لمن شاء أن يستوثق أو يستزيد ، كذلك أخذت عليه ، عدم التزام خطة منهجية فى الحديث عن الموضوعات التى يتحدث عنها ، ويبدو ذلك فى إهمال موضوعات لا تقل أهميتها العلمية أو التاريخية عن تلك التى تحدث عنها ، هذا فضلا عما وقع فى المجلد الأول من أخطاء علمية أشرت إلى طرف منها .

٢ ــ وكان الأستاذ عطية الله قد ذكر فى المجلد الأول ، أن هذا القاموس يقع فى ثلاثة مجلدات ، غير أنه فى مقدمة المجلد الثانى الذى صدر أخيراً ، ذكر أنه أعاد النظر فى الخطة التى رسمها والمنهاج الذى التزمه من حيث الزيادة أو التبسيط فلم يدع ـ على حد قوله ـ اصطلاحا أو علما له بعض الأهمية إلا وأورده تحت العنوان الأبجدى الذى يندرج تحته ، وفى سبيل تحقيق ذلك سوف يصدر القاموس فى أربعة مجلدات .

ومع أن المجلد الثانى قد اشتمل على مواد كثيرة [١] ، وحاول فيه واضعه الفاضل الاستقصاء ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإن هناك مواد أغفلت ولها أهميتها العلمية والتاريخية ، فمثلا عند ما تحدث فى مادة « حياة »

(١) انظر الجزء الخامس ـ السنة الخامسة والثلاثون صـ ٦٢٦ .

(١) يقع هذا المجلد فى ٦٢٨ صفحة ، ويبدأ بحرف الحاء وينتهى بحرف الراء .

عن الكتب التى تحمل عنوان « حياة محمد » ذكر كتاب المرحوم الدكتور هيكل ، ولم يشر إلى غيره من الكتب التى تحمل هذا العنوان مع كثرتها وشهرتها وأهميتها التى لا تقل عن أهمية كتاب الدكتور هيكل،وفى مادة « ذخر » لم يتحدث عن كتاب « الذخيرة فى الفقه الإسلامى » للإمام القرافى مع أنه موسوعة ضخمة فى الفقه المقارن ، فقد جمع فيه مؤلفه بين فقه المالكية ، وفقه الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار لا فرق بين أهل رأى وأهل حديث .

وإذا كان إغفال بعض المواد يمكن التجاوز عنه فى المؤلفات الموسوعية ؛ فإن الذى لا خلاف عليه أن فقدان الدقة العلمية فى تحرير مواد هذه المؤلفات يجعلها غير جديرة بالثقة بها والاعتماد عليها ولا تضيف إلى المعرفة جديداً مفيداً .

٣ ــ والحقيقة أن هذا المجلد من القاموس الإسلامى عمل علمى يشهد بجهد ضخم ، واهتمام بالغ بالحديث عن تراث وأعلام الدول الإسلامية التى لا تتكلم العربية والتى تمثل اليوم الغالبية العظمى من العالم الإسلامى، وهو اهتمام يشكر عليه الأستاذ عطية الله ؛ لأن تاريخ هذه الدول لم يلق حتى اليوم العناية الجديرة به فى المكتبة العربية ، ويكاد يكون مجهولا لدى مسلمى الشرق الأوسط . ولكن هذا لا ينبغى أن هذا المجلد قد شابته بعض الهنات التى تؤثر فى قيمته ، وتتمثل هذه الهنات بوجه عام فى بعض الأخطاء العلمية ، وصياغة المواد أحياناً فى عبارة قلقه مضطربة ، لا تقدم للقارىء فكرة سليمة أو واضحة ، فضلا عن الأخطاء المطبعية التى لا يمكن الاغضاء عنها ، لأنها تتعلق بنصوص مقدسة وبعض الأحداث التاريخية الهامة . .

ففى مادة الحديث تعرض القاموس لذكر أمهات كتب الحديث ، فلم يذكر من بينها كتاب الموطأ للإمام مالك ، وذكر كتاب زاد المعاد لابن القيم ، وكتاب ابن القيم ليس من أمهات كتب الحديث ، وهو مع اشتماله على كثير من الأحاديث النبوية إلا أنه يعد من كتب الفقه والسيرة .

وفى مادة « حجاب » جاء أنها وردت فى القرآن الكريم فى ستة مواضع ، على حين أنها وردت فى سبعة ، والواقع أن كل ما فى هذا المجلد من ذكر لعدد ورود بعض الألفاظ فى القرآن الكريم يحتاج إلى إعادة نظر .

وأما قلق العبارة وقصورها فإنه يبدو فى بعض المواد ؛ بسبب التركيز الشديد الذى يفسد الصياغة ، أو ذكر الآراء الخلافية التى لا تجرى فى ذكرها الإشارة السريعة والعبارة المقتضبة . وإهمال الرأى الراجح أو المعول عليه .

وأوضح مثل على التركيز المخل ما جاء عن حديث الإفك ، فليس فيه إشارة إلى سبب

تخلف السيدة عائشة رضى الله عنها عن الجيش والظروف التى أدت إلى أن يكون صفوان ابن المعطل قائداً لبعيرها ، والآثار التشريعية والاجتماعية لتلك الفرية المنكرة ، كما أن البيتين الذين ذكرا لحسان بن ثابت رضى الله عنه لا يعرف القارىء هل قالهما حسان دفاعا عن السيدة عائشة ، أو دفاعا عن نفسه ؟ فقد كان من الذين أشاعوا الإفك فى المدينة .

وفى مادتى «حديث» و«خبر» ذكر الأستاذ عطية الله آراء بعض الفقهاء حول مدلول كل من الحديث والخبر، دون أن يعقب على ما ذكره بالإشارة إلى رأى الجمهور فى ذلك ، وهو رأى يقوم على المساواة بين الحديث والخبر ، وعليه مدار البحث فى علم أصول الحديث (١) .

إن مثل القاموس الإسلامى لا يحتمل ذكر الآراء الخلافية التى تحتاج إلى نوع من البسط والإطناب ، وإنما يكتفى فيه بذكر الرأى الراجح والتعقيب عليه مثلا بأن هناك آراء مختلفة تطلب من الكتب المتخصصة .

ومما يتصل بضعف الصياغة وقلق العبارة ما جاء من الكتب وتاريخ طبعها ، فيلاحظ النص على تاريخ الطبع وعدد الطبعات فى بعض الكتب ، دون بعضها الآخر ، ويبدو هذا فى كثير من الكتب التى نالت حظا كبيراً من التحقيق والدراسة ، مثل كتاب الحيوان للجاحظ والرسالة للإمام الشافعى .

٤ — والأخطاء المطبعية فى هذا المجلد ليست كثيرة ، إلا أن معظمها ـ للأسف ـ وقع فى آيات قرآنية ، وكان يجب مراعاة الدقة فى تصحيح هذه النصوص المقدسة ، وكتابتها بالرسم العثمانى مع تشكيلها حتى لا يخطأ فى قراءتها ، فمثلا فى مادة «خبيث» ورد «لا يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث» وهذا خطأ والصحيح «ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث» .

وفى مادة «خسوف» جاء : فخسفنا بداره الأرض ، وهو خطأ والصحيح : فخسفنا به وبداره الأرض .

وعند الحديث عن (الخضر) ذكرت آية من سورة الكهف هكذا : فوجدوا عبدا من عبادنا.. الآية، وصحتها (فوجدا) بألف الاثنين وفى مادة «ذهب» جاء «يحلون فيها من أساور من ذهب وثيابا خضرا من سندس» والصحيح «يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس» .

وعند الحديث عن نبى الله «ذو الكفل» جاء «.. وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصابرين» . والصحيح «وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين» .

(١) انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ط ٢ جامعة دمشق ص ١٠ .

وليس هنا مجال حصر مثل هذه الأخطاء، ولعل فى هذا القدر ما يدفع واضع هذا القاموس إلى مراجعة جميع الآيات الواردة فى هذا المجلد وتصحيحها مع إثبات هذا التصحيح فى المجلد الثالث بإذن الله . وهذا لا يعنى إهمال غير الآيات القرآنية ، فهناك أخطاء تحتاج إلى تصحيح وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ وفاة الأعلام ، فمثلا ذكر أن الإمام أحمد بن حنبل توفى سنة ٢٣١ هـ وهذا خطأ والصحيح أنه توفى سنة ٢٤١ هـ .

٥ — وأخيراً لماذا يصر الأستاذ عطية الله على عدم ذكر المصادر والمراجع فى ذيل كل مادة ؟ إن ذكر هذه المصادر أمر ضرورى ؛ لأنها تعين القارىء على الدراسة والبحث ، وتفتح أمامه طريق المعرفة الوافية والتحقيق العلمى ، فهذا القاموس — كما سبق أن أشرت — يتحدث عن مواده فى إجمال وتركيز ، ولا يمد القارىء بما يطمح إليه من عمق أو تبحر ، وخير لهذا القاموس أن يصدر فى خمسة مجلدات ، ويكون حاويا لأمهات المصادر التى اعتمد عليها فى تحرير كل مادة من أن يصدر فى أربعة دون أن تذكر فيه مصادره الأصيلة ، ومراجعه الهامة .

٦ — وبعد : فإنى آمل أن يسد هذا القاموس - بجدارة - فراغاً فى المكتبة العربية، ومن أجل ذلك حرصت على دراسته ونقده ، راجياً أن تقدم هذه الدراسة السريعة شيئاً نافعاً يساعد على أن يكون هذا القاموس عملا وافياً ، خالياً من كل ما يشوبه أو يقلل من قيمته ؟

محمد الدسوقى

محرر أول بمجمع اللغة العربية

أنباء وآراء

حول تحديد أوائل الشهور القمرية :

جاءنا من الأستاذ محمد عزة دروزة ـ دمشق ما يلى :

اطلعت مؤخرا فى عدد جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٦٦ م من مجلة الأزهر الغراء ، على القرار الذى أقره مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية فى صدد تحديد أوائل الشهور القمرية .

وتعقيبا على هذا القرار أقول : إنه يكون أوفى لو تضمن فيما تضمنه (أن يكون ثبوت أوائل هذه الشهور فى إقليم إسلامى ما أمام الهيئة الإسلامية المختصة كافيا للأخذ به فى الأقاليم الأخرى ، بحيث إذا أذاعت الهيئة الإسلامية التى يثبت أمامها أوائل الشهور ـ قبل غيرها ، فى إقليم ما ـ الخبر بالإذاعة أو أخبرت به هيئات الأقاليم الإسلامية الأخرى ، أخذت به هذه الأقاليم ، فصامت أو أفطرت به ، ووقف الحجاج فى عرفة به أيضا دون حاجة إلى إثبات آخر من قبل هيئاتها المختصة) .

وذلك لأن الفقرة (ج) من المادة الأولى من القرار ـ ص ٤٨٨ ـ قد تجعل البلبلة التى يشكو منها المسلمون ـ فى كل سنة تقريبا ـ مستمرة ، لأنها قد تفيد إيجاب الثبوت فى كل دولة عند من خصصته هذه الدولة بذلك ... وبكلمة ثانية قد تفيد أنه لابد لكل دولة أن يثبت عند هيئتها ذلك ، ولأن جملة (مع مراعاة اتصال بعضها ببعض) فى المادة الثالثة من القرار لا تسد الثغرة سدا محكما ، لأن المادة الثانية من القرار التى تسيغ ـ ضمنا ـ ما خطر لى ، ليس فيها الصراحة الكافية المانعة للتجاوز ، ولا تمنع بالتالى استمرار اختلاف الأقاليم فى إثبات أوائل الشهور .

قد يكون هذا التعقيب جاء بعد أونه كثيرا ، ولكن نشره سينبه الأفكار إلى نقطة هامة ، ولعله يفتح الباب لقرار ملحق معدل فى اجتماع آخر لمجلس مجمع البحوث الإسلامية الموقر ، يزيل البلبلة المريرة التى تتكرر فى العالم الإسلامى فى كل سنة مرة أو مرتين ، والتى حاول المجلس ـ فى قراره ـ معالجتها ، ولكن المعالجة ظلت ناقصة فيما تراءى لى ، والله الهادى إلى سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

وعد الآخرة ومصير بنى إسرائيل :

عن مصير بنى إسرائيل كتب فضيلة الشيخ عبدالرحيم فوده مقالا تناول فيه تفسير الآيات

٤ - ٧ من سورة الإسراء نشر بكتاب : (صوت الأزهر فى المعركة) الذى أصدرته الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية - إبان المعركة - بالأزهر ، وقد علق على هذا المقال الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى هذا الباب عدد جمادى الأولى ، وفى عدد جمادى الآخرة نشرت المجلة لفضيلة الشيخ فودة رداً على التعليق .

واليوم جاءنا من الأستاذ الدكتور الغمراوى تعليق على الرد عرضناه على فضيلة الشيخ فودة فكان له تعليق على التعليق .

وإيمانا منا بالمناقشة العلمية الهادفة ننشر التعليقين .

* * *

تعليق على رد

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

ذهب أخى الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فوده . فى مقاليه بصوت الأزهر فى المعركة وبمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة إلى أن الآيات الكريمة تتعلق بإفساد اليهود فى عهد النبى وفى عهدنا الحاضر . وهذا رأى طريف بلغ من طرافته أن خرج عن راى المفسرين جميعاً ورأى مثل ابن الأثير من المؤرخين ، فقــد رأوا أنها تتعلق بتاريخ اليهود قبل الإسلام لا بعده وهذا الجزء المجمع عليه منهم يبعد جداً أن يكونوا أخطأوا فيه .

والذى دعا فضيلته إلى الخروج عن هذا الإجماع لمحات لاحت له من ثنايا الآيات الكريمة أيدها عنده ظهور اليهود على المسلمين حديثاً فى فلسطين . فمن قوله تعالى : « فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا » لاح لفضيلته أن العباد لابد أن يكونوا مؤمنين صالحين إذ نسبهم الله لنفسه . ووصف الله إياهم بالبأس الشديد ذكر فضيلته بوصف الله سبحانه الرسول وصحبه فى قوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

وكان مقتضى هذا وذاك أن العباد الذين بعثهم الله على اليهود هم الرسول والذين معه ما دام إفسادهم فى أولى المرتين كان منهم فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه . لكن فضيلته وجد أن الرسول نكل ببنى قريظة وأجلى بنى قينقاع والنضير وانتزع الأرض من يهود خيبر وهذا لا يتفق مع ما فهمه فضيلته من (فجاسوا خلال الديار) إذ فهم أنه جوس لا تقتيل ولا تشريد فيه ، وإذن فليس النبى وصحبه هم العباد المقصودين ولكن عمر وصحبه لأنه رضى الله عنه دخل بيت المقدس صلحاً واشترط على النصارى فى عهده معهم ألا يساكنهم اليهود فكان هذا الشرط - عند فضيلته - هو العقاب الذى أنزله الله باليهود جزاء عظيم إفسادهم فى عهد النبى

لا ما أنزله الله بهم على يد نبيه من تنكيل وإجلاء .

هذه نتيجة حتمية لقول الأستاذ : إن الإفساد منهم كان على عهد النبي وأن العقاب كان على يد عمر . ولا أدرى كيف رضيها فضيلته فهما صحيحاً الآية، أم كيف كان اشتراط عدم سكناهم ببيت المقدس جوسا خلال ديارهم والجوس عنده لا يقتضي التشريد . فإن كانت سكناهم يومئذ مقصورة على بيت المقدس فإجلاؤهم عن مساكنهم تلك تشريد وإن كانت لهم مساكن في القرى الأخرى . فاقتصار الشرط على بيت المقدس ليس جوسا خلال ديارهم .

ثم ذلك الشرط الهين اللين الموكول تنفيذه إلى النصارى في بيت المقدس لا إلى المسلمين أين هو من أثر البأس الشديد الذى وصف الله به عباده الذين تهدد بهم اليهود إذا كانوا هم المسلمين في عهد عمر ، والمسلمون لم يقاتلوا اليهود في الفتح ولكن قاتلوا الروم ، والله سبحانه قد دل على عظم ذلك الأثر وجلاله بقوله : (وكان وعدا مفعولا) بعد قوله (فجاسوا خلال الديار) ؟ أليس الأولى والأقرب أن الجوس كان تعقبا لليهود أسرا وتجميعا للنفي عن ديارهم كما حدث في تاريخهم أكثر من مرة ؟

وفهم فضيلته قوله تعالى : (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) على أنها أخبار عن المستقبل مع أن الواضح من صيغتها أنها إخبار عن الماضي وعلى أنها نبوءة تحققت بعد ثلاثة عشر قرنا ونصف من نزول الوحي بالآية الكريمة ، لأن الكرة عنده هي ظهور اليهود على الدول العربية المسلمة في فلسطين سنة ١٩٤٨م والأموال هي المتدفقة على إسرائيل منذ أنشئت والنفير الكاثر هو تضاعف عدد سكانها من اليهود بعد أن كانوا قلة ، وازدياد أنصارها في الخارج من أولى الأطماع في خيرات الشرق عن طريقها .

هذا تصوير صحيح لما فهم الأستاذ أولدلالة الآية عنده . وقد اقتصرت في تعليقي المنشور في عدد جمادى الأولى من المجلة على الاعتراض بأن هذا ـ لو صح ـ منّ على اليهود بانتصارهم على جماعة المسلمين ، وهذا يخالف روح القرآن كله فلا يمكن أن يكون صحيحا . فأجاب فضيلته في مقاله الأخير ، أنه ليس منا من الله ولكن مجرد إخبار عن الواقع الحاضر . والمن طبعا لا يكون إلا بالواقع من النعم وهي ثلاث نعم عظمى عددتها الآية الكريمة . فكأن الأستاذ أقر الاعتراض إذ صح المن في الآية ولا أظنني وحدى في أن الآية من صريح . على أنني أزيد الآن على هذا الاعتراض أن الكرة التي ذهب إليها الأستاذ اقترنت بطرد وتشريد الآمنين وبمذابح إحداها دير ياسين . فالإفساد الثاني الذى يراه الأستاذ الآن قد بدأ منذ أول الكرة . فأين هي الإشارة إليه في الآية ؟ ثم

الآية والآيتان بعدها تنطق بأن الإفساد ثانى مرة يتلو الكرة ولا يصحبها، وقد صحبها واقترن بها منذ الأول أى منذ سنة ١٩٤٨ فلا يمكن أن يكون الأستاذ فسر الآيات الكريمة على الوجه الصحيح .

أما الحجة الإضافية التى بناها فضيلته على أن المسجد خاص بالمسلمين فيدفعها قوله تعالى فى قصة أصحاب الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) . والذى جعله خاصا فى آية الحج اقتضاء المقام تعديد المعابد على اختلاف ملل أهلها ، والعرف الآن أن المسجد خاص بالمسلمين لكنه عرف نشأ فى العهد المدنى وبعده ، وآية سورة الإسراء مكية فالمسجد فيها على عمومه ويراد به هيكل سليمان الذى هدمه الرومان لما سلطهم الله على اليهود جزاء كفرهم برسالة المسيح عليه السلام والسعى فى صلبه ، وقد ذكرت هذا فى آخر كلمتى السابقة لكن أخى الأستاذ لم يعره أى التفات ولو أعاده لوجد أن ثبوته التاريخى يحول دون كل ما ذهب إليه من أن الحالة الحاضرة هى المرة الثانية من الإفساد .

كذلك لم يهتم بتفسيرى (الكتاب) فى الآية الكريمة الأولى بالتوراة مع علمى بأن فضيلته لم يتعرض فى مقاله لتفسير الكلمة . ولو اهتم لتبين له أنها ملاحظة فى صميم الموضوع لأن ما ذهب هو إليه يستلزم أن يكون (الكتاب) فى الآية معناه القرآن لأن التوراة والإنجيل كليهما لم يتعرضا للإسلام إلا بالتبشير برسوله عليه الصلاة والسلام .

أما عبادة اليهود (بعلا) الذى رآه فضيلته متعلقا بالعقيدة لا بالحروب والدسائس التى تمثل الإفساد عنده فنحن نراها أكبر الإفساد جرياً على منطق القرآن كله ، وما عداها من ضروب الفساد فمتفرع عن الكفر بالله والوثنية أبشعه وأفظعه ، ولم يقع اليهود فى الوثنية فى عهد موسى عليه السلام إلا مرة لا مرات كما ذكر الأستاذ ، وقد عوقبوا عليها أكبر عقاب بأن جعلت توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً فلما قتل منهم ألوف كما فى سفر الخروج تاب الله على الباقى إذ رضوا أن يقتلوا ، وقد صدق القرآن ذلك فى الآية(٥٤) من سورة البقرة ، وما أظن الموضوع الآن يحتاج إلى مزيد من الإيضاح .

وإذن فليتقبل أخى الأستاذ منى خالص التحية والشكر على ما تفضل به من ثناء وددت لو استحققته كله ، ولولا أن الأمر متعلق بمعنى آيات من كتاب الله لتركته عند الحد الذى وصل إليه قبل كتابة هذا التعليق إذ لا أحب أن يكون بينى وبين صديق مثله خلاف .

* * *

تعليق على التعليق

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١ — أحب أن أذكر القراء مرة أخرى بأن مكانة الدكتور فى نفسى وفى نفوسهم

تشعرني بالتهيب فى مناقشته والجدال معه ولكن جلال كتاب الله فوق المتأملين فيه جميعا ، ولهذا كان المفسرون جميعا يشعرون بأنه فوق أن يقطعوا فيه برأى ويختمون كل ما يعرضونه من آراء فى فهم آياته بقولهم : والله أعلم بمراده .

٢ — وقد عجبت للدكتور العظيم كيف يأخذ رأى بعض المفسرين ورأى بعض المؤرخين مثل ابن الأثير حكما على القرآن وقيدا يضيق به مفهوم آياته ، وهو الذى يفسر القرآن بحقائق العلم الحديث التى لم تخطر ببال المفسرين السابقين . ويرينا من ذلك ما يزيدنا إيمانا بأن القرآن كما يقول المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز « كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له . بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال » .

٣ — ومع هذا لقد قرأت كتب التفسير — وليرجع الدكتور إلى تفسير ابن كثير — فرأيت الروايات مختلفة ومضطربة ، فعن ابن عباس أن المراد بالعباد هم جالوت وجنوده ، وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده ، وعنه وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل وجنوده ، وذكر ابن كثير مع هذا أنه وردت فى هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم ير تطويل الكتاب بذكرها ، كما قال . . وقد ذكرت بالأدلة والشواهد والاسترشاد بالنص القرآنى أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل فى المرة الأولى هم العرب المسلمون ، وأنهم — العرب المسلمين — هم الذين سيسلطهم عليهم فى المرة الثانية ليسوءوا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . فكيف ساغ للدكتور أن يأخذ على أننى أغفلت رأى المفسرين جميعاً . . ؟ وماذا يكون على إذا أغفلت رأيهم جميعا . . ورأيت فى القرآن ما لم يروا مما يزيده إشراقا وائتلاقا فى أعين المتأملين فيه والناظرين إليه ، وهو كما قيل :

يزيدك وجهه حسنا
إذا ما زدته نظرا

وكما يقول الله فيه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

٤ — أنا لم أقل إن عمر رضى الله عنه اشترط على النصارى فى بيت المقدس ألا يساكنهم اليهود ، وإنما قلت أنه نص فى الوثيقة التى كتب فيها عقد الصلح ألا يسكن معهم أحد من اليهود وكان ذلك الإجراء استجابة لرغبة السكان . مما يدل على أنه كان لليهود نفوذ فى القدس لم يستطع أهلها أن يتخلصوا منه إلا بفتح المسلمين لهذا البلد .

أما تفسير قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » بمعنى التجول والتنقل كما حدث فى عهد عمر ، لا التخريب والتدمير كما حدث من

بختنصر . . فيؤكده ما يقابله فى المرة الثانية حيث يقول الله : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً » ، فإن معنى التتبير الهلاك والدمار ومعنى ذلك يختلف عن معنى قوله : « فجاسوا خلال الديار » .

والدكتور يعلم أن ما حدث لبنى قريظة كان تحكيما للتوراة قضى به سعد بن معاذ حليف اليهود الذين ارتضوه ، حكما ولم يكن عقاب حرب وإنما كان عقاب خيانة وغدر . أما بقية المواقف معهم فكان حصاراً ثم إجلاء : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار » ولا شك أن قوله : « فجاسوا خلال الديار » يسع كل ذلك إلى فتح بيت المقدس ، والدكتور يعلم أن الآية من القرآن قد تستوعب القصة الكاملة فى إجمال يغنى عن التفصيل .

٥ — أما أن قوله : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » إخبار عن المستقبل فيؤكده قوله : « لتفسدن فى الأرض مرتين » ، فإن هذا إخبار عن المستقبل دون شك . وما بعده تبع له لأنه تفصيل بعد إجمال .

٦ — وأما أن المسجد اصطلاح إسلامى فلا ينقضه قولهم : « لنتخذن عليهم مسجداً » فإن الذين قالوا ذلك لم يكونوا عرباً مسلمين ، وقد ترجم القرآن معنى المعبد بكلمة المسجد وهذا يؤكد ما ذكرناه ولا ينقضه فى قليل أو كثير .

« وبعد » فإنى اكتفى بهذا وأحيل القراء إلى ما كتبته وكتبه الدكتور ، وثقتى فيه أنه عالم يزداد بالتواضع رفعة قدر ولا يضيق له صدر .

أنباء :

● قامت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بتوزيع استفتاء عام على علماء الدين والمختصين فى جميع الأقطار الإسلامية عن حكم الإسلام فى مسائل التأمين التى تقوم بها الشركات المختصة وقد نشرنا هذا الاستفتاء فى عدد صفر - مايو سنة ١٩٦٧ .

● ورد إلى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الجانب الأكبر من البحوث التى أعدها السادة أعضاء المجمع لعرضها على المؤتمر الرابع لعلماء المسلمين المزمع عقده فى هذا الخريف ، ويجرى الآن بالسكرتارية الفنية للمؤتمر إعداد هذه البحوث ترجمة وطباعة .

● تم طبع كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية ، وهو يضم البحوث التى ألقيت فى المؤتمر الثالث الذى عقد فى سبتمبر سنة ١٩٦٦ .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

me repentance and wash me from sin, answer my prayer, confirm my arguement, let me speak for justice, guide my heart, and draw malevolence off my breast).

The validity and availability of prayer is not then a thing to dispute on. Prayer is a truth, Allah's acceptance of it is a truth and the teachings both of the Quran and of the Sunna as regards it form an unshakable truth also. What is to be taken in consideration is that since prayer is in itself a form of worship and communion of man with his Maker, inevitably there are elements and conditions of prayer worthy of esteem and observance. In the first place there is a part on behalf of the man praying to Allah. He should be verily a servant of Allah, and not of passion, fancy and material. Again, commending himself and confiding himself and confiding his cause to Allah as he should be, he has to perceive the difference between reposing trust in Allah and passivity and sluggishness. And he should be with Allah in spirit, for in fact, he takes refuge in Him.

A man praying to Allah should preferably choos the times and conditions distinquished by Allah's grace, such as the Day of Arafat from among the days of the year, Ramadan from among the months, Friday of every week, and at the break of day, as well as that the march of troops for the cause of Allah, at the fall of rain, between the call to and the offering of pryers, and during and after the prescribed prostrations. Still, he should face toward the Qiblah and, without raising his eyes to the heaven, he should raise his hands, with the palms opposite to him, as high as to betray the white of his arm-pits. His prayer should be neither in too loud a voice nor on silence. He should initiate it with mention of Allah and invoking his blessing on the prophet. Affected rhyming and alliteration and the like should be avoided. Submissive to Allah and hopeful of His bounty as he may be, he should pray to Allah with determination and certainty of His answer. He may be even importunate and repeat thrice his entreaty. In close of his prayer he says "Ameen", invokes Allah's blessing again on the Prophet, and then wipes his face with the palms of his hands.(1)

(to be continued)

---

(١) مصادر الأحاديث الشريفة في المقال :

١ـ تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول .

٢ـ من هدى السنة للأستاذ على أبو زيد .

«لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة فسلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»

(Allah shall not reject invocation between the call to and the offering of prayers. Do invoke Him then for maintenance both in this world and in the world to come.)

«الدعاء أسمع فى جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة»

(Prayer is most sure to be answered late in the dead of the night and after the prescribed prayers (Salah).

«الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى على فلا تجعلونى كغمر الراكب . صلوا على أول الدعاء وأوسطه وآخره».

(Prayer will be suspended between Heaven and earth until you invoke Allah to bless me. Do not then make as if this were a spare supplement; but invoke Allah to bless me first thing, amid your prayer and in the last of it.)

Scores of elopuent and moving prayers have reached us among the Tradition of the Prophet, and from these we content ourselves for the present with a few, in the hope of a later return to this weighty subject:

«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل الحياة زيادة لى من كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر»

(Lord, set right my faith for it is the protection of my ways, my life in this world for it is the field of my works, and my account in the Hereafter for there shall be my home. Lord, let life be for me ever-increasing good of every sort, and death my rescuer from all evil).

«اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»

(Lord, of you I ask guidance, heavenly-mindedness, chastity, and contentedness).

«رب أعنى ولا تعن على وانصرنى ولا تنصر على وامكر لى ولا تمكر على واهدنى ويسر لى الهدى وانصرنى على من بغى على رب اجعلنى شكاراً لك ذكاراً لك رهاباً لك مطواعاً لك مخبتاً إليك أواهاً منيباً. رب تقبل توبتى واغسل حوبتى وأجب دعوتى وثبت حجتى وسدد لسانى واهد قلبى واسلل سخيمة صدرى»

(O Allah, help me against adversaries and do not help them against me. Grant me victory but do not grant it to anyone over me. Plot for my sake and do not plot against me. Guide me and facilitate guidance for me. And deliver me from who-ever is unjust to me.

Lord, abide with me that I may be ever-thankful to you, ever-mindful of you, and a compassionate and tender-hearted man. O Allah accept

forgive him as much of his sins as he has prayed, so long as he does not call to evil or to the severance of a blood-tie, or wish to hasten Allah's grace.

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبه غافل لاه »

(Be firmly sure when you pray to Allah of His answer. Only know that He will not hear the prayer of a heart which is heedless and set on pleasure).

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل الآخير فيقول من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له . »

(When it is the last third of every night, Allah comes down to the heaven of this world saying, "Who will pray to Me and I will answer him ? Who will ask of Me and I will grant him ? Who will implore My pardon and I will forgive him) ?

« ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » .

(No prayer is so quick to be answered as that of a man for the sake of another, both of whom miss one another).

« ثلاث دعوات مستجابات لاشك فى إجابتهن : دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده » .

(Three prayers are sure to be answered ; it is not they that may be left in the lurch : a wronged man, a man on a journey and a parent calling down curse upon an off-spring of his).

أنكم لا تدعون أصم ولا غائبا . أنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم » .

(He is neither deaf nor absent to Whom you pray, Nay, He hears all and sees all ; and He is even with you).

« ما من مسلم يبيت على طهر ذاكراً الله تعالى فيتعار من الليل فيسأل الله تعالى خيراً فى الدنيا أو الآخرة إلا أعطاه إياه » .

(There shall be no Muslim who, having gone to bed clean and mindful of Allah, then his sleep being broken during the night, asks of Allah good in this world or in the Hereafter, but Allah shall bestow it on him).

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » .

(Man is at his nearest of his Lord when he is prostrate. Avail yourselves of this and do pray long to Allah).

« ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضها بعضا » .

(Neither at the call to prayers nor at the tug of war shall Allah ignore a suppliant).

Allah to forgive him and / or to accept from him what he had fulfilled.

As to Muhammad, may Allah bless him; he prayed to Allah day and night, when standing, sitting, and lying down, and in fact on every occasion. No wonder that Muslims followed him that way. He said to them :« الدعاء هو العبادة »(Prayer is proper worship).

« سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل .
وأفضل العبادة انتظار الفرج »

(Ask Allah of His bounty; for Allah loves to be implored. And your looking for His relief will be held above all your piety.)

« إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا
رفع يديه إليه أن يردهما صفرا »

(Your Lord will not fail a servant praying to Him. He is too coy and gracious so to do).

« من لم يسأل الله يغضب عليه »

(Who does not ask of Allah, He is wroth against him.)

« من دعا على من ظلمه فقد انتصر »

(He triumphs who invokes Allah's disposal on the man who has wronged him.)

« من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة
وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل
العافية وإن الدعاء لينفع مما نزل ومما لم ينزل.
ولا يرد القضاء إلا الدعاء ، فعليكم بالدعاء .

(The gates of mercy opened for him whose prayer reaches Heaven. Noway is Allah so much pleased that anything is prayed of Him as He is when asked for maintenance. Whether it is sent down or not, prayer will avail man. Do pray to your Lord; for nothing except prayer can repel fate).

« يقول الله أخرجوا من النار من ذكرني
يوما أو خافني في مقام » .

(Allah will say, "Deliver him from Hell that remebered Me once on a day or feared Me once in a situation).

« ما على الأرض من مسلم يدعو الله بدعوة
إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء
مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » .

(Nowhere on the earth does a Muslim pray to Allah for His grace but He will bestow on him of it; or He shall ward off from him an equivalent harm, so long as he does not call to sin or to the severance of a tie of blood).

« ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له .
فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له
في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه
بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم
أو يستعجل » .

No man prays to Allah but He answers him. He may grant him his wish in this fleeting life or save it for his credit in the Hereafter, or

From the Tradition of the Prophet :

SIGNIFICANCES OF THE PRAYER

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet, may Allah's blessing and peace be on him, said :

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .

(Nothing is so honourable in Allah's sight as prayer).

Prayer is certainly a behaviour that stabilizes beep in the heart of man faith in the existence of Allah, hopefulness of His most gracious names, and convincement of His requital for both good and evil. It is true that many a person leaves off consciously the forms of worship he is enjoined to attend to, which inevitably angers Allah so that He will punish him. However, it cannot be overlooked that there is difference between such a man and an atheist or an idolater. It is noteworthy that it says in the Qur'an:

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » .

(Allah will not forgive idolatry. He will pardon all save that, to whom He will). According both to the Prophetic Tradition and the authorities of Islam it is unlawful to charge with unblief a man who witnesses that there is no God but Allah. Hence is well-Justified the position of prayer in the Qur'an, the Sunna and the lives of Muslims along centuries. In fact, in prayer is implicit acknowledgement of Allah's power over all things, which is the corner-stone of man's resignation to, and acceptance of Allah's lordship, which in its turn is exactly what the term Islam conveys.

As for the position of prayer in the Qur'an, both the Exordium and the two closing Surahs of this Book known as Al-Muawwadhatein المعوذتين i. e. the two cries for refuge and protection, are all in all prayer; and in the 111 Surahs between them flow faith, worship and, again, prayer ! As a matter of fact, there is in the Qur'an : prayer, enjoinment of it and persuasion into it, enlightenment of its ways, and information of both what a Muslim should implore Allah for, and what he sholud seek Allah's refuge from. No prophet is mentioned in the Qur'an but prayed to Allah invoking His grace on men and even imploring

given the base of Islamic law and given a pattern for individual and community living, it is a guide to theocracy for it gives rules and commands ordained by Allah so that man mäy live in peace and harmony with his neighbour by submission to the will of Allah. Another very important fact is that the language of the Qur'an, Qur'anic Arabic, is a common language for all Muslims forming an unbreakable bond between men of all nationalities. Islam has much in common with Judaism and Christianity, this is proved by the fact that the Holy Qur'an was sent as a completion of earlier teachings contained in the Torah and Gospels modifieing and abrogating these where necessary. The Qur'an tells us to believe in all the prophets for they all came with the same message : "And We sent never a Messenger before thee except that We revealed to him, saying, 'There is no god but I; so serve Me'." (sura XXI). In all the Qur'an mentions twenty-eight prophets, the last being Muhammad, the Seal of the Prophets, who all täught salvation through recognition of the One God, Allah. Some of the important prophets were Adam, Noah, Abraham, Moses, and Jesus (peace be with them).

The Qur'an is sómething eternal and uncreated, something apart from time which is a part of the Divine Being and held be Him in heaven as a sacred trust for man, the earthly reproduction being identical in language and detail to the heavenly original. Therefore the Qur'an is a sacred and divine book, which should be treated as such and given the care and dignity it deserves. The Qur'an is a guidance for all men in times of perplexity or doubt, in times of danger or fear... in all times the word of Allah is there for us to read and, if we are a true believer with an understanding heart, to instruct us all through our life. All things come from Allah and to Him all things return, therefore our life is a returning to whence we came, and if we would travel by the unchanging way of all souls then we will use the Qur'an as a guide and light on our journey through life. Allah intended this so and we would be foolish to disregard these heavenly words of wisdom, timeless in their truth and peerless in their purity, which He has given to us out of His immeasureable love for all beings. In the darkless night of life it is a light. In the boundless ocean of being it is the tide bringing us home. It is the Ark of Allah.

thology of these shows the deep religious feeling that is shown to the Word of Allah in the Holy Qur'an. The words 'In the name of Allah, the Compassionate, the Merciful', with which most suras in the Qur'an begin, are often used at the beginning of any undertaking and when one is about to perform a religious duty, or to avert misfortune. Another verse frequently recited at the end of ritual prayer, and inscribed on tombstones and religious buildings is : 'Allah : there is no God but He, the living, the ever-existent One, Neither slumber nor sleep taketh Him. His is what the heaven and earth contain. Who can intercede with Him save by His permission? He knows what is before and behind men. They can grasp only that part of His knowledge which He wills. His throns is as wide as heaven and earth and the preservation of them wearies Him not, and He is the Exalted, the Immense'.

In moments of danger people exclaim : 'Allah is the best protector and He is the most merciful of the merciful'. In moments of anxiety and doubt the faithful exclaim : 'Do not hearts become tranquil in remembering Allah' ?. A frequent expression of adoration is : 'Say : Praise belongs to Allah who has not taken a son, and has no associate in His kingdom, and needs no patron to defend Him from humiliation. Proclaim His greatness ! '. For imploring divine guidance at the begin ning of an undertaking men say; 'And remember thy Lord when thou forgettest, and say : It may be that my Lord will guide me to a nearer way of truth than this'. There are verses signifying faith and hope : "O Allah, Sovereign of the Kingdom, Thou givest the kingdom to whom Thou wilt and takest the kingdom from whom Thou wilt. Thou exaltest and abasest whom Thou wilt. In Thy hand is good. Thou art able to do all things. Thou causest the night to pass into the day and the day to pass into the night. Thou bringest forth the living from the dead and the dead from the lividg. And Thou givest sustenance to whom Thou wilt without reckoning.

* * *

To sum up then; The Qur'an is the word of Allah, transmitted to Muhammad by the angel Gabriel. It consists of 114 suras (chapters), containing 6,236 ayats (verses), and the word «Qur'an» meaning Reading or recitation, was the title given to this collection. The earliest versions were assembled soon after the death of Muhammad (peace be with him) and Uthman established the copy held in Medina as the sole orthodox copy of the Qur'an. The Qur'an has

ller; so Allah ordains; All-Knowing, All-wise" (surah IX). Fasting is a strict rule for all muslims who are capable of doing so, for by this man's morals and spirituality are strengthened : " O believers, prescribed for you is the Fast, even as it was prescribed for those that were before you - haply you will be Godfearing ! " (surah II). The pilgrimage is one of marvels of Islam and there is nothing to equal it in any other faith, by this one act all barriers are broken down between all pilgrims : "Fulfil the Pilgrimage and the Visitation unto Allah" (surà II). The above five commands are pòpularly known as the five 'Pillars of Faith'.

* * *

The Qur'an was sent down from Heaven in the Arabic language and is generally accepted as being untranslateable. It has a rhythm of peculiar beauty and a cadence that charms, when it is read aloud it has an almost hypnotic effect by the strange music of its language. It may be affirmed that within the literature of the Aràbs, wide and fecund as it is both in p etry and in elevated prose, there is onthing to compare with it. Indeed it is the greatest literary masterpiece of mankind.

For those whose knowledge of Arabic is insufficient and have to rely on a translation, however accurate linguistically, are certain to be dismayed by whatever version they may read (as was the author himself). However if one remembers that the Qur'an was sent down to confirm what was sent before it, meaning the Torah of the Jews and the Gospel of the Christians, excepting the falsification introduced into them, this will help one to understand how all truth present simultaneously within the Prophet's enraptured soul. A. J. Arberry says in his introdoction to the Qur'an : "The reader of the Muslim scriptures must strive to attain an all-embracing apprehension. The sudden fluctuations of theme and mood will then no longer present such difficulties as have bewildered critics ambitious to measure the ocean of prophetic eloquence with the thimble of pedestrian analysis. Each surah will now be seen to be a unity within itself, and the whole Qur'an will be recognized as a single revelation, self-consistent to the highest degree. Though half a mortal lifetime was needed for the message to be received and communicated, the message itself, being of the eternal, is one message in eternity, however heterogeneous its temporal expression may appear to be".

Many Muslims quote verses from the Qur'an in all the manifold circumstances of life. A little an

of Judgement, Creator of All. His power is infinite and so is His knowledge. Though transcendent and above and beyond man's groping mind, he is yet nearer than his jugular vein : "No affliction befalls, except it be by the leave of Allah. Wosoever believes in Allah, He will guide his heart. And Allah has knowledge of everything". (surah x.v). Allah does not like injustice and oppression, He asks for kindness to be shown to orphans and widows, charity to the poor and honesty in dealings. He tells us not to be afraid of death for this is but the gateway to Paradise which we will attain if we endure this life with fortitude and always submittingly trust in Allah. We are also told to live our life in awareness of Him, in prayer and humbleness : "The servants of the All-Merciful are those who walk in humbleness : and who, when the ignorant address them, say, 'Peace' ; who pass the night prostrate (praying) to their Lord .... Those shall be recompensed with the highest heaven, for that they endured patiently, and they shall recevie therein a greeting and — 'Peace !' Therein they shall dwell forever".

(Surah XXV)

There are certain duties incumbent on all Muslims which we are told of in the Qur'an. The most important of these ritual and moral duties are submission and recognition of the One God, Allah; prayer; almsgiving; fasting and pilgrimage. In prayers the most often quoted surah in the Qur'an is the 'Fatiha', the first sura of the Holy Book : "Praise belongs to Allah, the Lord of all Being, the All-merciful, the All-compassionate, the Master of the Day of Doom. Thee only we serve; to Thee alone we pray for succour. Guide us in the straight path, the path of those whom Thou hast blessed, not of those against whom Thou art wrathful, nor of those who are astray". (surah I) Apart from the testimony to Muhammad (peace be with him) being the prophet of Allah, there is nothing in the official worship of Islam opjectionable to any faith and in which anyone could not join. The words of praise and adoration are simple and beautiful, bringing a great sense of calm and peace to the worshipper.

With regard to almsgiving the Qur'an speaks many times about this, for this duty makes a brotherhood into which the rich may not enter unless they willingly surrender part of their wealth to succour the needy : "The freewill offerings are for the poor and needy : those who work to collect them, those whose hearts are to be conciliated, the ransoming of slaves, debtors, and for Allah's purposes, and the trave-

AL-QUR'AN – A Living Miracle of the Prophet

BY : RASCHID AL-ANSARI

» كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير « . (هود)

(A Book whose verses are set clear, and then distinguished, from One All-wise, All-aware). (surah xi).

Muhammad (may peace be with him) disclaimed the power to perform miracles whenever anyone challenged him to perform one, he simply pointed to the Qur'an and said that the divine revelations enshrined therein were themselves a true miracle. Indeed many have tried to equal the Qur'an but none have succeeded. Often Muslims who listen to the Qur'an being recited are moved to tears, there is some thing so moving and magnetic to the hearts of believers as the divine words become magic sound that it seems as if the very music of the spheres has been caught and captured. Nothing else sounds like this, it is something unique and it confirms itself in being a miracle. Something beyond the natural physical laws which, by the grace of Allah, has come into this world to soothe and uplift the soul of man by its purity and truth.

The principal truth it teaches being the absolute oneness of Allah: "There is no God but Allah". This fact is repeated many times, not only in the Qur'an but by Muslims themselves many times during their day. After this perhaps the most important assertion in the Qur'an is that Allah has revealed His will to various prophets who in turn, reveald His will to men and that these commands were written down. The Qur'an, last of all the revelations and yet the first, is in com plete agreement with the earlier scriptures and is their completion. It explains, and where necessary modifies or abrogates, part of their teaching : " O believers, believe in Allah and His Messenger and the Book He has sent down on His Messenger and the Book which He has sent down before. Whoso disbelieves in Allah and His angels and His Books, and His Messengers, and the Last Day, has surely gone astray from the truth". (Surah IV)

The Qur'an tells us many things about Allah. He is compassionate, merciful, forgiving, loving. He is Lord of the Worlds, King of the Day

They then shut themselves up in their fortress in defiance of the authority of the Prophet. After fifteen days the surrendered. At first it was intended to inflict some severe punishment on them, bu the clemency of they Prophet's nature overcame the dictates of the law of judgement and they were simply condemned to exile. In the fourth year of Hijrah took place the expulsion of the Banî-Nadhir from Mâdîna. Far and wide the idolaters were sending their emissaries to stir up the tribes against the Propbet. The Jews were the most active in these efforts. As these Jews were well acquainted with the locality and could materially assist the enemies by showing them the week points of the city, they constituted the most serious element of danger until the expulsion of the Jews from Arabia in the Caliphate of Umar-bin Khattab.

Those Israelites whom God has cursed :

«لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا
يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط
الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه
ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون» . (المائدة : ٧٨ - ٨١)

"*Those of the children of Israel who went astray were cursed by the tongue of David, and of Jesus, son of Mary. That was because they rebelled and used to transgress. They restrained not one another from the wickedness they did. Verily evil was that they used to do ! Thou seest many of them making friends with those who disbelieve. Surely ill for them is that which they themselves send on before them : that Allah will be wroth with them and in the doom they will abide. If they believed in Allah and the Prophet and that which is revealed unto him, they would not choose them for their friends. But many of them are of evil conduct*".

Muslim State in the war of the clans or war of the Trenchs. While the Muslims were awaiting the assault, news came that Banî Quraizah, the Jewish tribe of Yathrib which had till then been loyal, had gone over to the enemy. On the day of the return from the trench the Prophet ordered war on the treacherous Banî Quraizah, who, conscious of their guilt, had already taken to their towers of refuge. After a siege of nearly a month they had to surrender unconditionally. They only begged that they might be judged by a member of the Arab tribe of which they were adherents. The Prophet granted their request. But the judge, upon whose favour they had counted, condemned their men to death and their women and children to slavery. This judge was the chief of 'Aus' Saad bin-Muâz. No doubt the sentence on Banî-Quraizah, by the hands of their own special judge, was sever. But we must bear in mind the crimes of which they were guilty, their treachery, their open hostility and their defection from an alliance to which they were bound by every sacred tie. Moreover, the worshippers of the pure Jehovah held out to the heathen Arabs to continue in the practice of idolatery.

'Khaiber' was the stronghold of the Jewish tribes in North Arabia. It had become a hornets' nest of the Prophet's enemies. It was at Khaiber that a Jewess prepared for the Prophet poisoned meat, of which he only tasted a morsel without swallowing it, then warned his companions that it was poisoned. One Muslim, who had already swallowed a mouthful, died immediately. The Prophet, accompanied by a few discibles, went one day to the Banî Nadhir to collect from them their contribution to the State. They seemingly agreed to the demand and requested him to wait awhile. When he was sitting with his back to the wall of a house he observed sinister movements amongst the inhabitants, which led him to divine their intention of murdering him. The Jews of Banî-Qainuqâa had openly infringed the terms of their Pact. It was necessary to put a stob to this disorder and the Prophet proceeded to the quarter of the BanîQainuqâa and required them to enter definitely into the Muslim State by embracing Islam or to vacate Madîna. The reply of the Jews was conched in the most offensive terms. "O, Muhammad, do not be elated with the victory over they people (the Quraish). You have had an affair with men ignorant of the art of war. If you are desirous of having any deeling with us, we shall show you that we are men".(1)

(1) Ibn-Hishâm.

motives of temporary purpose and that the moment they showed themselves in the vicinity of Madîna the worshippers of Jehovah would break away from him and join the idolaters. Madîna now became full of dangers, by sedition and treachery within it or a sudden attack from without.

The Prophet was not simply a preacher of Islam, but he was also the guardian of the lives and liberties of his people, and the security of their state. As a Prophet he could afford to ignore the revilings and the gibes of his enemies; but as the head of the State he could not overlook treachery, Madîna was kept in a state of military defence and under a sort of militory discipline. He was bound by his duty to his people to suppress a party that might have led, and almost did lead to the sack of the city by invisting armies. The safty of the State required the proscription of the traitors, who were either sowing the seeds of sedition within Madîna or carrying information to the common enemy. The defeat of the idolaters at Badr was felt as keenly by the Jews as by the Meccans. Immediately after this battle a distinguished member of their race, called Kaab bin-Ashraf, belonging to the tribe of 'Nadhîr', publicly deploring the ill-success of the idolaters, proceeded towards Mecca. He spared no exertion to rivive the courage of the people there.

By the satires of the Jews against the Prophet and his disciples, by their elegies on the Meccans who had fallen at Badr, they succeeded in exciting the Quraish to that frenzy of vengeance which found vent on the plains of 'Uhud'. Having returned to Madîna Kaab bin-Ashraf continued to attack Muhammad and the Muslims in ironical and obscene verses, not sparing even the women of the Believers. His acts were openly directed against the State of which he was a member. He belonged to a tribe which had entered into the Compact with the Muslims and pledged itself for the internal as well as the external safety of the State. Abû Râfe Sollâm bin-Abu'l Hukail, another Jew of the Nadhîr, was equally wild and bitter against the Prophet and the Muslims. He made use of every endeavour to excite the neighbouring Arab tribes, such as the 'Sulaim' and 'Ghatafân', against them.

It was impossible for the Muslim State to tolerate this open treachery on the part of those to whom every consideration had been shown, with the object of securing their neutrality, if not their support. In the fifth year of the Hijrah the Quraish made a great effort to destroy the

yances; they shall have an equal right with our own people to our assistance and good offices. The Jews of the various branches of Awf, Najjar, Hârith, Jashm, Saalaba, Aus and all others domiciled in Yathrib, shall form with the Muslims one composite nation; they shall practice their religion as freely as the Muslims; the clients and allies of the Jews shall enjoy the same security and freedom; the Jews shall join the Muslims in defending Yathrib against all enemies; the interior of Yatrib shall be a sacred place for all who accept this charter; the clients and allies of the Muslims and the Jews shall be as respected as the patrons'; . . . All future disputes, between those who accept this charter shall be reffered, under God, to the Prophet". The Jewish tribes of the Banî-Nadhîr, Banî-Kuraizha and Banî-Qainuqâa, settled in the vicinity of Madîna, were not at first included in this charter; but after a short time they, too, gratefully accepted its terms.

All these generosity and Kindness, on the part of the Prophet, would not satisfy the Jews; nothing could conciliate the bitter feelings with which they were animated. Enraged that they could not use him as their instrument for the Conversion of Arabia to Judaism, and that his belief was so much simple than their Talmudic legends, they soon broke off, and ranged themselves on the side of the enemies of the new Faith. They had openly and knewingly infringed he terms of their c mpact. But it was only for a time of a month had gone by before the old spirit of rebellion, which had led them to crucify their prophets, found vent in open seditions and secret treachery. When asked which they preferred, idolatry or Islam, they declared they preferred idolatry, with all its attendant evils, to the creed of Muhammad, they reviled him and they twisted their tongues and mispronounced the Qur'anic words and the daily prayers, rendering them meaningless, absurd or blasphemous.

The Jews poets and poetesses, of whom there existed many at the time, outraged all common decency and the recognised code of Arab honour and chivalry by satirizing in obscene verse the Muslim women. They sent out emissaries to the enemies of the state, the protection of which they had formally accepted. The Quraish, who had sworn Muhammad's death, were well acquainted with the exact strength of the Muslims, through the faithless Israelites and the head of Hypocrites, Abdullah ibn-Ubay, and his party. The Quraish also knew that the Jews had accepted Muhammad's alliance only from

not use the prophet for their own ends they tried to shake his faith in his mission and to seduce his followers. One of the first acts of Muhammad after his arrival in Madînah was to weld together the conflicting elements of which the city and its suburbs were composed, into an orderly confederation. The two major tribes of 'Aus' and 'Khazraj' rallied round the standard of Islam and forgot their mortal feuds in the brotherhood of the Faith. These two tribes, who yielded at first some sort of obedience to the Jews, formed now the nuclues of the Muslim State.

In order to unite the 'Ansâr' and 'Muhajirin' in closer bonds, the Prophet established a brotherhood between them which linked them together in sorrow and in happiness. In this way the Prophet gave a death-blow to that anarchic custom of the Arabs which had hitherto obliged the aggrieved and the injured to rely upon his own or his kinsmen's power in order to exact vengeance or satisfy the requirements of justice. The brotherhood of Faith, so wisely established by the Prophet, prevented the growth of jealousy and gave rise to a generous emulation, both among the Ansar and the Muhajirin as to who would bring the greatest sacrifice in the service of God and His Prophet.

The Prophets' first concern, as a ruler, was to establish public worship and lay down the constitution of the state. With this object he had granted a Charter to the people, by which the rights and the obligations of the Muslims and Jews were clearly defined. This document reveals the man in his real glory — a master-mind, not only of his own age but of all ages. This first Charter of freedom of conscience and the basis of universal humanity says (1) : "In the name of Allah, the most merciful and compassionate, given by Muhammad, the Prophet, to the Believers, whether of the Quraish or of Yathrib (Madîna), and all individuals of whatever origin who have made common cause with them, all these shall constitute one nation". After fixing some rules regarding the private duties of Muslims as between themselves, the document proceeds : "The state of peace and war shall be common to all Muslims ; no one among them shall have the right of concluding peace with, or declaring war against, the enemies of his co-religionists".

The Prophet declared, in his Charter : "The Jews who attach themselves to our State shall be protected from all insults and anno-

(1) Ibn-Hishâm.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

RAJAB 1387 | ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE | OCTOBER 1967

Spot Light on the History of Islam

Hostility of the Jews against the Prophet

By : A.M. Mohiaddin Alwaye

The Jews and Hypocrites formed a most dangerous element within the Islamic State from the moment of the Prophet's arrival at Madînah. But to explain the examples of the hostility of the Jews against the Prophet, we must trace back the course of events in Madînah. They tried first to sow disaffection among his people. They defamed him and his followers and they mispronounced the words of the Qurân so as to give them an offensive meaning. The Jewish poets exercised their influence to sow sedition among the Muslims and to wide the breach between them and the opposing factions.

The Jews of Madînah had close business connections with the Quraish and their ramifications extended into various parts hostile to the new Faith. But at the first time they were inclined to look with some favour on the preachings of the Prophet. The Jews imagined that the Prophet was one who would give them dominion, not one who made the Jews who followed him brothers of every Arab who might happen to believe as they did. Till then the Qiblah had been Jerusalem. They considered this choice as a leaning toward Judaism and that he could be their promised Messiah to help them in conquering the Arabs and found for them a new kingdom of Judah. With this aim in view, they had join with the Madinites in a half-hearted welcome to the Prophet.

When they found that they could

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٤٠١	الجهاد بالمال فوق الجهاد بالنفس — للأستاذ أحمد حسن الزيات
٤٠٥	رأى جديد فى معنى آية كريمة — للأستاذ محمد محمد المدنى
٤٠٨	الآثار الإسلامية فى بيت المقدس قبل الفتح العمرى — للدكتور إسحاق موسى الحسينى
٤١١	الالتزام الخلقى أو الواجب — للأستاذ الدكتور محمد غلاب
٤١٧	علم الغيب وتحضير الأرواح ـ ٢ ـ — للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٤٢٠	مكانة الفقه الإسلامى ـ ٤ ـ — للأستاذ زكريا البرى
٤٢٥	التمسك بقيم الدين — للأستاذ على العمارى
٤٣٠	هل وضع النحو على أساس صحيح ؟ — للأستاذ المرحوم كامل السيد شاهين
٤٣٥	السجع والقرآن والباقلانى ـ ٣ ـ — للدكتور عبد الرءوف مخلوف
٤٣٩	رسائل محمد صلى الله عليه وسلم ونصوص معاهداته ـ ٢ ـ للدكتور محمد رجب البيومى

الصفحة	الموضوع
٤٤٥	قرارات حكماء صهيون ـ ٣ ـ — للأستاذ محمود محمد شبكة
٤٤٨	اليهود من كتابهم المقدس — للأستاذ كمال أحمد عون
٤٥٤	آية الإسراء — للأستاذ عبد الرحيم فودة
٤٥٨	مقبرة الغزاة (قصيدة) — للأستاذ إبراهيم محمد نجا
٤٦٠	« الإسلام والمسلمون فى العصر الحاضر » — للأستاذ بيير روندو ـ ٢ ـ — عرض وتعليق للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٤٦٦	الكتب : ـ المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ـ ١٠ ـ للأستاذ محيى الدين الألوائى ـ القاموس الإسلامى ـ ٢ ـ للأستاذ محمد الدسوقى
٤٧٥	أنباء وآراء : — للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Hostility of the Jews Against the Prophet	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — Al-Qurân — The Living Miracle of the Prophet	*Raschid Al-Ansari*	7
3 — Significances of the Prayer . . .	*Soliman Barakat*	12

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السادس ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ شعبان ١٣٨٧ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء الإسلام بالنصرانية في القدس

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان للإسلام السمح فى لقائه النصارى ببيت المقدس موقفان كريمان لا يزالان فى فم الزمان أنشودة ، فخر وفى تاريخ الإنسان آية كرم : أحدهما يوم أن أخذه عمرو بن العاص من الروم البيزنطيين ، والآخر يوم أن استرجعه صلاح الدين من الفرنج الصليبيين .

كان من أمر موقفه الأول أن المسلمين الفاتحين حاصروا القدس أربعة أشهر حصار استبقاء ورفق لأنها أقدس البلاد عندهم بعد مكة والمدينة ، وأن المسيحيين المحاصرين دافعوا عنها دفاع استبسال وعنف لأنها موضع الآثار المقدسة والكنيسة العظمى . فلما كربهم الحصار ومسهم الضر ، خضع أرطبون الروم لأرطبون العرب وظهر على سور المدينة البطريرك (سفرنيوس) يطلب الاستسلام والسلام ولا شرط له إلا أن يكون المتولى لعقد الصلح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه توكيداً للأمان وتوثيقاً للعهد . فسار الخليفة حتى نزل بالجابية من أعمال الشام ، فوجد فى استقباله يزيد وأباعبيدة وخالداً وعليهم الديباج والحرير فاستطير من الغضب وأخذ يقذفهم بالحجارة وهو يقول : « سرعان ما لفتم عن رأيكم ! إياى تستقبلون بهذا الزى ، إنما شبعتم منذ سنتين ! سرعان ما ندت بكم البطنة ! والله لو فعلتموها على رأس المائتين لا استبدلت بكم غيركم . . . » .

فقالوا يا أمير المؤمنين : إنها يمالقة[1] ، وإن علينا السلاح . فقال : نعم إذن ؟ ؟ . وجاءته رسل إيلياء يطلبون السلام فسالمهم وكتب لهم هذا العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، ولسقيمها وبريئها وسائر ملتها . إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه . ومن أقام منهم فهو آمن . وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله ويخلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . . . وإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ... وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة » .

وبعد أن أعطاهم هذا العهد شخص إلى بيت المقدس وسار حتى دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة . فقال للبطريرك : أريد الصلاة ، فقال له : صل موضعك ، فامتنع وصلى منفرداً على الدرجة التى على باب الكنيسة . فلما قضى الصلاة قال للبطريرك : لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر . وكتب لهم ألا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها ، ثم قال : أرنى موضعاً أبنى عليه مسجداً . فقال : على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب . فوجد عليها ردماً كثيراً فأخذ يزيله بيده ويرفعه فى ثوبه . واقتدى به المسلمون فأزالوه لحينه فأمر ببناء المسجد .

* * *

وكان من أمر موقفه الآخر أن المسلمين والنصارى عاشوا فى ظلال العهد العمرى عيش الإخاء والرخاء ، حتى نقضه الناسك بطرس ، ومن استجر له من المستعمرين الصليبيين ، فاستولى الفرنسيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢ ﻫ بقيادة (جود فروا دى بويون) بعد ما ذبحوا من المسلمين سبعين ألفا ذبح الخراف حتى بلغت دماؤهم المسفوكة فى محراب داود ومسجد عمر ركبتى الفارس الصليبى كما قال المؤرخ الفرنسى (فنك برنتانو) ! !

---

(١) اليمالقة جمع يملق وهو القباء المحشو .

وظلوا ينشرون الفزع والجوع والذل فى فلسطين والشام إحدى وتسعين سنة، تبددت فى عواصفها أضواء الإسلام وتطامنت فى زلازلها كبرياء العروبة، حتى تداركهما الله بالجيش المصرى فسحق الصليبيين فى (حطين) وانخلعت لهذا النصر المبين قلوب الأمراء المستقلين بالمدن الساحلية من فلسطين وسورية، فاستسلموا لصلاح الدين ونزلوا على حكمه، وتطهرت فلسطين من رجس الدخيل فلم يبق فى أيدى الفرنج منها إلا القدس.

وقد لجأ إليها المنهزمون من المدن المفتوحة، فسار إليها السلطان البطل من عسقلان، وكان حريصا حرص عمرو بن العاص على أن يجنبها ويلات الحرب لقداستها المشتركة بين الأديان الثلاثة، فاستوفد إليه بعض زعمائها وطلب منهم تسليم المدينة فأبوا إلا القتال، فأقسم ألا يأخذها إلا بالسيف، وأمر الجيش فسلط على أسوارها المنيعة قذائف الدمار، فلما استيقن (بليان) أن السور لا يمنع وأن القتال لا يدفع؛ طلب الأمان، فأجابه إليه بعد أن أفتاه الفقهاء بأن ما وقع من القتال وراء السور كاف لإبرار قسمه، وأن فى وسعه أن يعتبر من فى المدينة من الصليبيين أسرى حرب، فجعل الفداء عشرة دنانير عن كل رجل، وخمسة عن كل امرأة، ودينارا عن كل طفل، وأجلهم أربعين يوما يؤدون فيها الفداء، فمن وجد منهم فى المدينة بعد انقضاء الأجل أصبح مملوكا للسلطان.

ودخل جيشنا المدينة دخول الفاتحين مكة: ذكر الله على لسانه، وتقواه ملء قلبه، فلا عين تمتد إلى متاع، ولا يد تنبسط بمكروه، وقام الجباة على الأبواب، فخرج (بليان) ومعه سبعة آلاف فقير أدى عنهم الفدية، وأقبل فى عقبه البطريرك الأكبر ومعه كنوز الكنائس من جواهر وذخائر وأموال، فلم يعرض صلاح الدين بشىء مما معه على الرغم من اعتراض أصحابه، وأبى أن يأخذ إلا الدنانير العشرة المقررة.. ثم انقضى الأجل ولا تزال فى القدس آلاف من الفقراء لا يملكون الفداء فأصبحوا أرقاء.

قال المؤرخ الصليبى (أرنولد) - وكان فيمن شهدوا ذلك اليوم -: «فتقدم العادل إلى أخيه صلاح الدين وقال له: سيدى، إنى أهنئك والحمد لله على فتح هذه البلاد، فهب لى ألفاً من أرقاء هذه المدينة». فلما أجابه إلى ما طلب أعتقهم من فوره، وتقدم (بليان) والبطريرك إلى السلطان بما تقدم به العادل فوهب كلامنهما ألفا فأعتقاهم، والتفت صلاح الدين إلى من حوله وقال: لقد أدى أخى صدقته، وكذلك فعل بليان والبطريرك، وبقى أن أؤدى أيضا صدقتى، ثم أمر بأن

ينادى فى المدينة أن العاجز عن أداء الفدية حر لوجه الله وله أن يخرج ، فاستغرق خروجهم بياض النهار لكثرتهم كما قال (أرنولد) .

فأين مافعل صلاح الدين مما فعل (جودفروا) ؟ أليس الفرق بين الفعالين هو الفرق بين الكفر والإيمان ، أو بين الوحش والإنسان ؟

* * *

عادت مفاتيح القدس إلى الأيدى المؤمنة الأمينة ففتحتها على عهد عمر وعدل صلاح ، حتى دها الأرض زلزال الحرب العالمية الأولى فانسرقت قوى (الرجل المريض)(١) وانفرجت أصابع الخليفة الأخير عن هذه المفاتيح فسقطت فى يد بريطانيا ، وسميت هذه السقطة انتدابا على فلسطين فى (عصبة الأمم) ووقعت إيلياء مرة أخرى بين براثن الاستعمار الصليبى فباعها الإنجليز حفدة (قلب الأسد) إلى إسرائيل التى صنعت صليب المسيح وجعلوها سادنة لقبره وكاهنة لكنيسته ، وعادت القدس مهد الأنبياء ومقبرة الرسل إلى استعمار (طيطوس) القاهر واستثمار يهوذا الجشع ، فأخرج الصهيونيون العرب من ديارهم وأموالهم وتركوهم فى العراء مع الخوف والجوع ، يكابدون برحاء الهموم على وطن يستبيحه العدو ، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل ، ومستقبل يتكنفه الظلام ، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجلد لولا إيمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم .

إن فلسطين من البلاد العربية مكان القلب ، ومن الأمم الإسلامية موضع الإحساس ، وقد علم المجرمون يوم اجتمع ملوك العرب ورؤساؤهم فى الخرطوم أن محنتها كانت سبيل المسلمين إلى التعاطف ، وأن صرختها كانت نداء العرب إلى الوحدة ، وأن إغاثتها ستتيح للإسلام تحرير القدس مرة ثالثة ؟

أحمد حسن الزيات

(١) تركيا .

استدراك :

صحة عنوان هذا المقال :

(لقاء الاسلام والنصرانية فى القدس)

السماحة هى سرّ السعادة

للأستاذ محمد محمد المدنى

استخلف الله آدم وبنيه فى الأرض ، ليحقق ما أراده جل جلاله من عمارتها وإثارتها ، واستنباط ما فيها ، واستكشاف كنوزها ، وتفجير مائها ، واستنبات بذورها وأشجارها ، ودراسة الآفاق التى تحيط بها ، والانتفاع بالسنن الكونية فيها وفى غيرها ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، و « لكل أجل كتاب » .

ومن شأن هذا كله أن يرى البشر فى كل يوم جديدا ، وأن يعلموا فى كل حين علما ، وأن تتجلى لهم - بما يرون وبما يعلمون - تلك الحقيقة الكبرى الأزلية الأبدية ، وهى وجود الإله الحق الصانع القادر العليم الحكيم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وقد طبع الإنسان على صفات وسجايا خلقية تتفق وما أريد له ، وما أريد منه ، وكان من أبرز ذلك أنه مخلوق لا يستغنى بنفسه ، ولا يمكنه أن يتخلى عن ملابسة ما هو ميسر له ، ولا أن يميت فى نفسه نوازع الرغبة فيما زين له ، من حب المال والبنين والشهوات والجاه والمناصب ونحو ذلك فإن هذه الغرائز هى التى تبعثه إلى أن يشق الأرض شقا ، ويجوب أقطارها ووديانها وجبالها وبحارها ، ثم يتطلع إلى ما فوقها من فضاء ، وما بعد فضائها من كواكب وأفلاك .

لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عن ملابسة ذلك فى صورة من الصور ، أو طرف من الأطراف ، ولو كان من أهل الزهادة ومن غلب عليهم التصوف ، غير أن الناس فى ذلك صنفان :

صنف يسلك سبيله إلى هـــذه الوجوه من ضروريات الحياة أو كمالياتها على نحو من البهيمية والإغراق فى المادية ، والحرص على استيفاء كل عنصر من العناصر التى تتطلبها الشهوة أو الرغبة دون اكتراث بأى معنى من المعانى السامية ، فتراه يسعى إلى تحقيق ما يريد بكل وسيلة ، ويسلك إليه أى سبيل ، ويحطم فى سبيله كل ما يعترضه ، ولا يعنيه إلا أن يصل إلى مبتغاه ، فإذا فاته شىء - ولو كان يسيرا - من آماله وما رسم لنفسه ؛ غضب لذلك غضبا شديدا ، وظل يعالج من الوجد والحزن والشعور بالشقاء والحرمان ما هو كفيل بتنغيص حياته وزلزلة صرح سعادته .

وصنف يأخذ سبيله إلى هذه الوجوه هونا فى غير تكالب ولا إغراق ولا نسيان لأشرف جانبى الإنسان : روحه التى كان بها شبيها بعالم الملائكة ، فتراه ينظر إلى الآمال والرغاب نظرة قاصدة ، فلا يجعلها هى الحياة كل الحياة ، ولا يحسب فوتها الموت أو شراً من الموت ، ولذلك يملكها ولا تملكه ، ويسخرها ولا تسخره ، ويرضاها ما رضيته ، فإذا اجتواه شىء منها لم يكن به ضنينا ، ولا على استبقائه حريصاً ، ذلك أنه لم يتشبث به على أنه بضعة من حياته ، أو عنصر من مقوماته ، ولكنه أخذه أخذ العوارى التى لا يلبث أصحابها أن يستردوها ، وهل من الرأى والعقل أن يحزن المرء أو يجد مرارة اللوعة إذا استرد منه ما استعار إلى أجل محدود ؟.

هذان الصنفان على طرفى نقيض ، وبينهما أوساط ودرجات ، وأساسهما « السماحة » وضدها وإن اختلفت الأسماء فى مواطن الأخلاق والأفعال : فإن كان ذلك فى المال سمى سخاوة أو شحا ، وإن كان فى الشهوات سمى عفة أو شرها ، وإن كان فى مواطن الاحتمال والمفاضلة ، سمى صبراً أو هلعاً ، وإن كان فى مجال الطاعة أو العصيان سمى تقى أو فجوراً .. وهكذا .

فما الجود بالمال إلا تصوير صادق لحالة نفسية فى صاحبه نعلم منه أن المال لم يمتزج بروحه امتزاج شيئين اختلطا وتركبا حتى يصعب انفصال أحدهما عن الآخر ، ولكنهما اتصلا ، ويسهل أن ينفصلا ، فانفصالهما بيسر هو السماحة .

وصاحب الشهوة الذى ينصرف عنها التماسا لكمال نفسه ، أو احتراما لبيئته ومجتمعه ، أو نزولا على أمر ربه ، إنما صدر فى ذلك كله عن ملكة السماحة ، لأنه سمح بما يملك أن يمسك به ولا ينزل عنه .

وما الصبر إلا علامة على أن ما فاتك من الخير ، أو أصابك من الشر ؛ لم يخرج عن نطاق ما تستطيعه ، وتسمح به .

وقل مثل هذا فى أضداد هذه الأمور : فالشح لا يصدر إلا عن نفس كزة استعبدها المال ، فهى لا تملكه حتى تسمح به ، والاستجابة إلى الشهوات والنزوات عبودية لها ، والهلع والجزع أمارة على أن ما فاتك أو أصابك كان له فى حسابك قيمة أغلى من نفسك ومن صفو عيشك ، فأنت تسمح بنفسك ولا تسمح به ، وتذهب فى شأنه مذهب ذلك الشاعر الذى يقول :

ودعته وبودى لو يودعنى
صفو الحياة وأنى لا أودعه !

* * *

وفى القرآن الكريم ما يدلنا على أن الأصل فى الإنسان ، هو النزوع إلى ما ركب فيه من

حب المال والشهوات ، وأن الله جعل لمن يقاوم ذلك من نفسه ثواباً عظيما ، فهو جل جلاله يريد منا أن نتعود « السماحة » فننزل راضين عما تدعونا إليه النفوس لنكسب رضاه ونفوز بثوابه .

ومن ذلك قوله تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد » .

والذين « اتقوا » هم أولئك الذين سمحوا بتضحية ما زين لهم من المتاع فى سبيل رضى ربهم ، فلم يجعلوا شيئا من ذلك مؤثراً على الله ، وأحب إليهم من الله .

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ؛ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » .

فالله تعالى يقرر حقيقة إنسانية طبيعية ، هى أن المال والبنين فيما طبع عليه الإنسان وركز فى خلقه ، زينة الحياة الدنيا ، ولا ينكر على الإنسان ذلك ، ولكن يرشده إلى أن ينظر إليها نظرة مقترنة بالسماحة ، وأن يتطلع إلى جانبها تطلعاً لا ينسيه جانب الباقيات الصالحات التى هى خير عند الله ، أى فى دار جزائه ، بل هى خير عنده حتى فى الدار الدنيا ، لأنها هى عنوان : « السماحة » التى تهدى إلى البر ، وتجزى بالحب .

* * *

وفى الحديث الشريف :

« رحم الله امرأ سمحاً إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا قضى ، سمحا إذا اقتضى » .

وحسبنا فى التعريف بقدر السماحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يصف الشريعة الخالدة التى جاء بها من عند ربه ؛ وصفها بوصف جامع مشتق من السماحة فقال : « بعثت بالحنيفية السمحة » ؟

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

هذه هى العبرة فهل من معتبر؟

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك : منها قائم وحصيد » .
آية - ١٠٠ - سورة هود

١ - يحاول القرآن الكريم أن يثير فينا الوعى إلى التماس الخير ، والبعد عن ملابسة الشر . .

ولم يكشف القرآن فى توجيهاته بالاعتماد على عقولنا ، أو على النظر فيما نشهده من ألوان الحياة فى هذا الوجود . . . بل يشد القرآن أنظارنا إلى الوراء لنرى ما جرت به الأقدار على أمم سبقتنا إلى هذا الوجود الفانى.. سبقتنا بالرحيل من هذا الوجود .. أقدار تركت لنا ذكريات نستفيد منها فى مسالكنا الحاضرة والمستقبلة . . دون أن نتحمل خسائر التجربة كما تحملوها يوم كانت حياتهم بدائية ، وعقولهم فى عماية ، فلا تكاد تلتقى أمام أعينهم قبساً من هداية . مع ما كان لهم من تشريعات سماوية تحثهم حثاً على الأخذ بالتوجيهات الرشيدة . . ولكنهم تشبثوا بجهالتهم الموروثة ، وعكفوا على كبريائهم الغاشم المألوف .. فكانت حياتهم ضلالا . . وكانت عواقبهم خسارة عليهم ، وضاعت منهم الفرص المواتية . . ولم يعد لهم حول ، ولا قوة على تدارك ما فاتهم . . فلم يكن لهم بعد ذلك غير الندم . والندم ليس رفاهية يطمحون إليها . . ولا متاعا - ولو ضئيلا - يتعلقون به ، بل هو عذاب فوق العذاب : « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً » . . تلك الحياة التى خسرها أصحابها .. وهذه العواقب التى يصطدمون بها : هى بعينها العبر التى يرددها القرآن على مسامعنا ، ونراها شاخصة فيما تجرى به الأحداث .

يؤكد القرآن أنباءه عن الأمم السابقة ، وما أحدق بهم من تدمير ، وخراب ، وأن ذلك كله نتيجة لما صنعوا ، وأثر مباشر لما جنحوا إليه من إسراف . . دون مبالاة بما هتفت به شرائعهم ، ولا اكتراث بوعيد الله لهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك » .

ثم يزيدنا القرآن تبصيراً بعواقب هؤلاء، فيذكر أن تلك القرى التى تخربت بعد هلاك أهليها ليست أسطورة، بل لا يزال بعضها أطلالا نائمة، تندب أهلها وتبكى أيامها.. وتوحى إلى من يراها بعد ذلك أنها شاهدة على من كانوا بها بالانحراف، فكان حظهم من دنياهم الهلاك، والبوار وهى بلسان حالها تحذر من يبصرها بعينه من الغفلة كما غفلوا، لئلا يكون حظه من دنياه كحظ من سلفوا فإن ذلك هو الميزان فى عدالة السماء.

٢ ــ ويضيف القرآن إلى حديثه عن تلك الأطلال القائمة المتداعية أن بعض القرى قد تلاشى، ولم يعد له كيان... فهو كالزرع الحصيد، الذى نجتثه من فوق الأرض بعد جفافه، فلم يعد ناضراً على سطحها كما كان، بل لم يعد له أثر يرمز إليه «فجعلناها حصيداً، كأن لم تغن بالأمس».

فإن تكن للأحياء منا عبرة شاخصة فى الأطلال المتناثرة، فلديهم من وحى الدارس منها ذكريات أخرى تناجيهم من وراء الزمن بالتحذير من غدرات الأيام فى غير إشفاق، ولا استثناء.

٣ ــ إن هتاف القرآن بهذه الذكريات مرة، بعد مرة، ليشف عن رحمة واسعة من الله بعباده، فإنه يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وهو يسوق إليهم ما فيه زجر لهم من أنباء السالفين.. ويحذرهم أن يتعرضوا للتجارب من جديد، فإن من شقاء الإنسان أن يغفل حتى تنزل به النازلة فى نفسه.. ومن سعادة الإنسان أن يغتنم العبرة مما سبق على غيره، ليظفر برشده، من غير عناء، ولا مساءة تخصه.

لذلك تكون تبعة الإنسان فى مسلكه واقعة عليه هو.. فإنه لم يهتد من تلقاء نفسه ثم لم يهتد بما سيق إليه من القصص عمن سبقوه.. فماذا ينتظر بعد هذه التوعية إلا أن يجرى عليه القضاء الشديد بمثل ما جرى على أسلافه، أو بأقسى مما جرى على أسلافه؟!

وحينما يدرك الإنسان أن غفلته هى التى انحدرت به إلى غير ما يحب، وأن بلاءه كان من ظلمه لنفسه يكون ندمه أشد وقعاً على نفسه، ويكون كربا فوق كربه الذى يساوره بسبب خطيئته أولا...

٤ ــ إن موعظة القرآن تثير عندنا حذرا من هذه الوخزات الأليمة فيما بعد.

فإن الله يقول عقب هذه التوعية: «وما ظلمناهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».

فانظر إلى سمو التعبير فى تنزه الله عن ظلمه لعباده ــ وما ظلمناهم ــ حقا: لم يظلمنا ربنا.. ولكن بلاءنا كان من أنفسنا.. والأسى يلاحق الظالم لنفسه، أضعاف ما يحيط بمن فاجأته المحنة، من غير سبب

من جانبه ، فقد يكون المرء ضحية لغيره — وقد يؤخذ الجار بجرم الجار . . وعندئذ يكون البلاء العام محسوباً على مرتكبي أسبابه .. ثم يتولى الله — تعالى — ترضية الصابرين على ما أصابهم من جرم الغير عليهم، وذلك فى الدنيا إن شاء ، وفى الآخرة لامحالة « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » .

٥ — وبعد هذا الحديث الذى نسوقه استمدادا من الآية ... وتذكيراً لأنفسنا ، ولمن يحاول معنا الاهتداء بهدى القرآن نقول : إن أحداثنا الجارية فى المحيط الإسلامى .. أو بيننا وبين المعتدين علينا من أعدائنا لتشعرنا حقاً بأننا على غير هدى الدين الذى ننتمى إليه ، ونستظل برايته .. ونرى بين قومنا إحساسا بأننا فى جفوة روحية باعدت بيننا وبين جانب الله ، والعمل بكتابه .. حتى سلط الله علينا من أعدائه من يتواطأ على ظلمنا ، والنيل من حقوقنا ، والمساس بأوطاننا ، ومقدساتنا .. وفى هذا الشعور السائد بيننا بشرى بأننا تدبهنا من غفلتنا ، وبدأنا نفكر فى استئناف علاقتنا بالله على النحو الذى يكفل نجاحنا ، ونصرته لنا فى مسالك حياتنا .

والله تعالى يقبل منا أن نعود إليه ، بعد انحرافنا عنه ، ويطلب منا أن ندعوه ، ونضرع إليه حينما يصيبنا البأس .

ويعيب الله على عباده أن يتعرضوا لخذلانه ثم لا يتوبوا إليه بأطيب دعائه « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » يعنى هلا تضرع الناس إلى ربهم بالدعاء حينما ينزل بهم المكروه ، ولكن العيب الفاضح أنهم يعرضون عن ربهم ساعة الرخاء فلا يتقونه، ويعرضون عنه ساعة الشدائد فلا يدعونه حق دعائه ، بمعنى عبادته ، ورجائه مخلصين له فى العبادة والدعاء .

وذلك هو ظلمهم لأنفسهم كما يقرر القرآن عنهم .

٦ — يسود بيننا شعور بالأسى لما أصابنا من عدوان البغاة علينا .. ولكنها سحابة الصيف أو هى كبوة الجواد ، كما يقال .. وكثيراً ما يكون الشر والطغيان من قوم سبباً حافزاً لغيرهم على التماس الخير من طرقه المرجوة .

وإن هذه المحنة التى لفحتنا بها طوائف البغى ليست نصرة لأعداء الله علينا كما هو استظهار البعض منا .. وإنما هى عبرة ذات وجهين أحدهما :- إنها تغرير بهؤلاء الطغاة ، وتمكين لهم من الظلم ، ليكون وراء هذا الطغيان ما يريد الله للظالمين من سوء العاقبة، فلا يكون الله ظالماً لهم ، فيما يحيق بهم ، كما جرت سنته قديما فى الأمم الباغية ، وهذه عدالة الله

فى خلقه ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

والوجه الثانى لهذه العبرة ـ أن الله يمحص أهل دينه من شوائب الانحراف التى تفشت بينهم ، ويوقظهم من الغفلة ، قبل أن تتفشى بينهم أكثر من ذلك : فى تدينهم ، وفى أخلاقهم وإن البلاء ليكون سبباً فى البعد عن أسباب البلاء : « أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه » .

فتكون هذه المحنة بالنسبة لنا توجها إلى الخير ، وحافزاً على توثيق الصلة بالله كما ينبغى .

وتكون هاتفة لنا بالدعوة إلى التكتل فى وجه العدو ، والترفع عن المخازى السياسية ، والدنايا التى لا تليق بمنهج الإسـلام ، ولا يرضاها مواطن عربى لوطنه ، ولا لقوميته .

وبدلا من اليأس الذى يضطرب فى بعض الصدور ، يكون الأمل فى عون الله لنا ويكون شعارنا مستمداً من هدى ديننا . . فلا تجزع لكارثة تصيبنا ، ولا نغتر يوما بنصرة نظفر بها : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم . ولا تفرحوا بما آتاكم ـ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ، والصابرين ، ونبلو أخباركم » .

عبد اللطيف السبكى

ربنا . . .

« ... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين » .   (٢٨٦ البقرة)

الآثار الإسلامية في بيت المقدس بعد الفتح العمري

للأستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسيني

---

١ ــ فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ ٦٣٨ م ، وخف إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلمها من أهلها ، قاطعاً على نفسه عهد الله أن يصون أموالهم وكنائسهم ، ويرعى حقوقهم ، ويحقق لهم الأمن والسلامة .

ومنذ الفتح العمرى إلى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها ، ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها .

ولا نعرف فى تاريخ الإسلام ؛ بل فى تاريخ الأديان السماوية جميعها ، مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة . وقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم ، فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر ، وأوقفوا عليها معظم الأراضى المجاورة ، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديماً ، وأسسوا جديداً ، حتى أضحت تحفة منقطعة النظير .

ولم ذلك ؟

أولا : لأنها موطن إبراهيم خليل الله ، ومقر الأنبياء ، ومهبط للوحى ، ومبعث عيسى ، كلمة الله التى ألقاها إلى مريم .

وثانيا : لأنها ثانى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام . بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة .

وثالثا : لأنها مسرى رسول الله بنص القرآن الكريم .

ورابعاً: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول. من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد ، لارتفاعها ومناعتها . وقد حدث سنة ٥٧٨ هـ ، بعد أن نفذ الإفرنج من فلسطين إلى الأردن أن « قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك ـ من مدن الأردن ـ المسير إلى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف . وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم ، ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل ـ ضريبة ـ فأنشأ البرنس أرباط ، صاحب الكرك ، سفنا حملها على البحر إلى بحر القلزم ـ البحر الأحمر ـ وركب فيها الرجال ، وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة » ـ الأنس الجليل ج ١/ ٢٨٠ ولكن الناصر صلاح الدين أرسل من هزمهم وأحبط مسعاهم .

وخامساً : لأنها عاصمة فلسطين ، ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا وصلة الأصل بين الأقطار العربية ، والمنارة - بحق - التى يشع منها نور الهداية والخير .

روى أبو عبد الله المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) أنه فضل القدس على مدن الدنيا فى مجلس عقد فى العراق ، فاستهول الناس قوله ، ولكنه علل حكمه بقوله : « . . وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر ، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى ، ويوم القيامة يزفان إليها ، فتحوى الفضل كله . . فاستحسنوا ذلك منه وأقروه » (ص ١٦٥) .

٢ — لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى ، على اختلاف دوله ، إلا أقام المسلمون فيها بناء جديداً ، أو أصلحوا بناء قديماً .

فنى عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر ابن الخطاب مسجداً ، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى .

وفى العهد الأموى بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، ونقش اسمه على القبة مع تاريخ البناء سنة ٧٢ هـ . ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحى المسجد ، بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هـذه البسيطة ، لا بل أجمل الآثار التى خلدها التاريخ » ، وبنى عبد الملك المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد ، وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء والأمراء ، آخرهم الملك المغربى المجاهد محمد الخامس الذى فرش مسجد الصخرة بالسجاد الفاخر ، وفيه تلقى خطبة الجمعة فتجيش القلوب وتفيض العيون بالدموع .

وبنى عدد من المسلمين قبباً فى صحن الصخرة وبجوارها كقبة المعراج ، وقبة محراب النبى ، وقبة يوسف ، وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر ، ومحراب داود .

وبنوا فى الحرم وحوله مآذن وأروقة وأبواباً وسبلا وصهاريج للاستسقاء ، وكل واحد منها أثر تاريخى عليه نقش أو شاهد ، وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء .

وبنوا فى مختلف العهـود ، مساجد بلغت ٣٤ مسجداً ، معظمها فى داخل المدينة القديمة .

وبنوا عدداً كبيراً من الزوايا ، يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية ، كالزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أزبكستان ، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند ، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الأفغان ، وفى كل زاوية مسجد وغرف للنوم ، ولها أوقاف .

وأنشأوا عدداً من المقابر الأثرية التي تضم رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام ، وفى (الأنس الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها ، نذكر من الصحابة والتابعين : عبادة بن الصامت ، وشـداد بن أوس ، وفيروز الديلمى ، وسلامة بن قيصر ، وذا الأصابع ، وأبا محمد البخارى .

وأنشأوا مدارس لطلب العلم ، بلغ عددها ٥٦ مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها الوافدين من المشرق والمغرب ، وأوقفوا عليها المصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة ، وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوى على مكتبة كبيرة كما كان الحال فى جامع قرطبة والأزهر والقيروان ، وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس ، وفى المتحف الإسلامى ـ اليوم ـ صندوق كبير يضم مصحفاً مخطوطا كتبه بيده أحد ملوك المغرب خصيصاً للمسجد الأقصى .

٣ ـــ إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التى ذكرناها ـ عدا المقابر ـ قائمة فى المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثرى الذى جلاه آخر مرة السلطان سليمان القانونى فى القرن العاشر الهجرى ، وإذا علمنا أن المدينة القديمة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونماً ـ أى ٨٦٨ ألف متر مربع ـ يشغل منها الحرم القدسى وحده ٢٦ دونماً ، تبين لنا صحة القول أن المدينة أضحت مع الزمن متحفاً أثرياً غنياً بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التى لا تقدر بثمن ، ولا يمكن أن يوجد لها بديل .

كان سكان القدس القديمة ، حسب إحصاء سنة ١٩٤٧ ، نحو ٣٣و٦٠٠ عربى مقابل ٢و٤٠٠ يهودى ، أى نحو ١/١٤ ، لا يملكون إلا نسبة ضئيلة جداً منها ، أقل كثيراً من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والحوانيت وقفاً إسلامياً ، ولتحريم القانون فى العهد العثمانى البيع لليهود ، وتركز معظم اليهود فى حى واحد ، اسمه حى اليهود الذى يوجد فيه كنيسهم الأكبر ، وإذن فكل ما لليهود من أثر ذى قيمة هو حائط المبكى ، وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل ، ولكن المسلمين ينازعونهم فى الحائط ، لأنهم يعدونه جزءاً من الحرم الشريف الذى يضم مسجدى الصخرة والأقصى ، كما يعدونه مربط البراق الذى أسرى به الرسول ، وهو فوق هذا وذاك وقف إسلامى لا ينازع فيه ، ولكن الصهيونيين غالوا فى تقويم المبكى لإثارة المشاعر الدينية لأسباب سياسية محضة

والدليل على ذلك أن اللجنة الدولية التى تكونت سنة ١٩٢٩ للنظر فى الخلاف حول ملكية المبكى والعبادة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية ، وحكمت - بعد دراسة وافية للوثائق - بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال تغيير فيه ، والتسامح الإسلامى هو الذى حدا المسلمين إلى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الإسلامية المقدسة .

والخلاصة أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التى لم يفتأ المسلمون فى جميع عصورهم يرعونها بالإجلال والتعظيم ويتعهدونها بالتعمير والتجديد ، مدينة أعظم شأنا فى نظرهم من (أورشليم) التاريخية فى نظر اليهود ، بل يمكن أن تقف فى صف واحد مع مكة والمدينة ، وفى حديث للرسول عليه السلام أنها رابع مدن الجنة ، ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة جميع العلماء مسلمين ومسيحيين ، ولذا فإن التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين ، وحرمان من ممارسة شعائرهم الدينية التى كفلتها جميع الشرائع والقوانين وخطر على سائر مقدساتهم فى مكة والمدينة ، وافتئات على الأوقاف الإسلامية والملكية الفردية ، لا يمكن أن يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس . (تمت)

إسحق موسى الحسينى

المسجد الأقصى

مسجد بارك الله حوله

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . (١ الإسراء)

نحنُ أولى بسُليمان من الصّهاينة

للأستاذ الدكتور عبّاس حلمي اسماعيل

احتل الصهاينة القدس القديمة فى ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ (يونيو ١٩٦٧ م) فى الشهر العربى الذى ولد فيه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا ينقبون عن هيكل سليمان فى المسجد الأقصى . ويجب أن يعلم الصهاينة أننا أولى منهم بسليمان عليه السلام، وبمقدساتنا وعلى رأسها : قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، لأننا مؤمنون بالله ، ونؤمن فيما نؤمن برسله ، ولا نفرق بين أحد منهم ، ولأننا نحب السلام ، ونسعى فى سبيل تدعيمه ، كما كان يفعل سليمان ، واسمه مشتق من « شالوم » ومعناه السلام ، فهو برىء من الصهاينة العنصريين المعتدين .

ويدعى الصهيونيون أن اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم من أصل فلسطينى ، فهم - إذ يطالبون بفلسطين - إنما يطالبون ببلادهم التى نشأوا فيها ، وأخرجوا منها ، وهذا زعم باطل ، فإن العرب هم أول من استوطن فلسطين ، فقد عرفت هذه البقعة منذ سنة ٢٥٠٠ ق . م باسم أرض كنعان ، نسبة إلى قبيلة كنعان العربية التى نزحت من شبه الجزيرة العربية . وحوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م جاء إبراهيم عليه السلام ببعض القبائل من العراق ، وأقاموا بأرض كنعان بعد عبورهم نهر الأردن ، ولذلك سموا بالعبرانيين ، وقد هاجر اليهود بعد ذلك إلى مصر ، وأقاموا بها حقبة من الزمن ، حتى خرجوا منها إلى أرض كنعان مرة أخرى معتدين - ونشبت بينهم وبين الكنعانيين حروب طاحنة استمرت زهاء ثلاثة قرون ، وقامت بعد ذلك دولة يهودية على أشلاء الشهداء من العرب الكنعانيين على عهود : شاؤل وداود وسليمان .

كان عهد سليمان (٩٧٤ - ٩٣٧ ق . م) عهد سلام بحق ، ساد فيه القانون واستتب النظام ، وفى حكمه الطويل أفادت القدس من هذا السلام الذى لم تألفه من قبل ، فزادت ثروتها ، وأصبحت من أنشط الأسواق التجارية فى الشرق الأدنى ، برغم أنها لم تقع على الطرق التجارية الكبرى ، وحرص سليمان

على صداقة « حيرام » ملك صور ، وشجع التجار الفينيقيين سكان لبنان على أن ترتاد قوافلهم داخل فلسطين ، فازدهرت تجارتها ، وكان قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا من الزجاج والأسلحة والحلى بغلات فلسطين الزراعية من القمح والكروم والزيتون ، وأنشأ أسطولا تجاريا فى البحر الأحمر ، وأغرى «حيرام» على أن يستخدم هذا الطريق فى تجارته مع بلاد العرب وإفريقية ، واستخرج سليمان الذهب والأحجار الكريمة من شبه الجزيرة العربية ، فصار من أغنى ملوك زمانه، وجاءته من بلاد اليمن ملكة سبأ تخطب وده وتطلب معونته ، كما أنه وطد صلاته بمصر وفينيقية ببعض زيجاته ، على أن سليمان قد استخدم معظم موارده فى تقوية دعائم حكومته وتجميل عاصمته ، فأقام بها كثيراً من الحصون ووضع حاميات فى المواضع ذات الأهمية العسكرية فى مملكته ، ليرهب بها الغازين والثائرين على السواء ، وقسم بلاده إلى اثنى عشر قسما إدارياً ، ومن الوسائل التى استخدمها لتمويل حكومته إعداد البعثات لاستخراج المعادن الثمينة ، واستيراد العاج ، وفرض الضرائب على جميع القوافل المارة بفلسطين ، وضريبة الرءوس على جميع رعاياه واحتكر تجارة الغزل والخيل والمركبات .

ثم جمع سليمان الأغنياء ، وأعلن لهم عزمه على تشييد هيكل ، جمع له الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والأحجار الكريمة ، وطلب منهم أن يتبرعوا بأموالهم للهيكل . فشيده سليمان فوق ربوة ، وأحضر له معظم مواد البناء من فينيقية ، وقام بمعظم الأعمال الفنية صناع من صيدا وصور ، استعانوا فى تزيينه بفنون مصر وآشور وبابل.

ولم يكن بناء الهيكل كبيرا ، فقد كان طوله حوالى مائة وأربع وعشرين قدما ، وعرضه حوالى خمسة وخمسين ، وارتفاعه اثنتين وخمسين . وشيدت جدرانه من حجارة كبيرة مربعة ، وصنع سقفه وأعمدته وأبوابه من خشب الأرز والزيتون المنقوش . وزين سليمان القدس بقصر جديد احتوى على أبهاء يستقبل فيها كبار زائريه ، وكان القصر أضخم من الهيكل ، فالجناح فيه أربعة أضعاف مساحة الهيكل كله ، هذا فضلا عن أنه احتوى مستودعا للسلاح .

ولما مات سليمان سنة ٩٣٧ ق . م انقسمت فلسطين إلى مملكتين متعاديتين : مملكة « إفرايم » الشمالية وعاصمتها السامرة (نابلس) ومملكة «يهوذا» الجنوبية وعاصمتها القدس . وأخذ الضعف من ذلك الحين يدب بين اليهود ، لما سرى فى قلوبهم من احقاد ، وما قام بينهم من نزاع ، كانت تشتعل بينهم بسببه نيران الحرب العوان ، الذى أسهب العهد القديم فى قص حوادثه وحروبه . ولم يمض على موت سليمان إلا زمن قليل ،

حتى استولى « شيشنق » ملك مصر على القدس ، وسلبت له كل ما جمعه سليمان ، وأراد فرعون بذلك أن يؤمن بلاده من جهة فلسطين ، حتى لا تتعرض بلاده لغزو يشبه غزو الهكسوس ، وكان لا يزال يذكر ويعى قول قاهرهم الملك أحمس : « نفسى تتوق إلى قتال أعداء بلادنا ، وإلى سفح دمى فى سبيل الوطن . وإنى أستعجل الإشارة التى أطير بعدها للكفاح جنبا إلى جنب مع المحاربين . إن الذى يخنع للذل والهوان غير جدير بالحياة ، وعار علينا ـ إذا نحن طلبنا الحرية ـ ألا نمضى فى طلبها حتى آخر نفس فى حياتنا ، وإلى آخر قطرة من دمائنا ... فإما نصر عزيز ينقذ الوطن . . وإما موت شريف بحد السيف وسن الرمح . كل انقسام بيننا يعرضنا للهوان . ولن ننال ما نرجوه إلا بالاتحاد . لن نرضى الحياة فى وطننا عبيدا أذلاء ، ولن نقبل أن يتحكم فينا عدو يفسد علينا نفوسنا وأفكارنا ، ويغتصب أرضنا ، ويحطم قوى شعبنا ، ويقتل فينا العزة وحب الحرية ». ثم استولى الآشوريون على السامرة وعادت جيوشهم إلى عاصمتهم « نينوى » ، المقابلة للموصل ، محملة بالغنائم ومعها ألوف مؤلفة من أسرى اليهود .

وما لبث أن انتصر « نخاو » ملك مصر على يهود « يهوذا » عند مجدو ، ذلك النصر الذى مهد لـ « نبوخذ نصر » ملك بابل الاستيلاء على يهوذا وجعلها ولاية بابلية . وعندما أرادت التحرر من الحكم البابلى ، استولى « نبوخذ نصر » على القدس وحرقها عن آخرها ، وهدم هيكل سليمان ، وأسر جميع سكان المدينة ، وساقهم أمامه إلى بابل ، واشتهر هذا الحادث فى التاريخ باسم الأسر البابلى .

ثم دخل الفرس بقيادة « قورش » بابل ، وأباح لليهود أن يعودوا إلى القدس ، غير أن شباب اليهود لم يتحمسوا لهذا التحرير ، لأن الكثير منهم قد تأقلموا فى التربة البابلية جنوبى العراق ، وامتدت أصولهم فيها ، فترددوا طويلا فى ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ، ليعودوا إلى القدس ، بغية البناء من جديد . ولم يجد العائدون ترحيبا كبيرا ، ذلك أن قبائل أخرى من العرب قد جاءت تشد أزر إخوتهم الكنعانيين ، واستقرت فى تلك البلاد ، وتملكت الأرض بحق احتلالها والعمل فيها . وأخذت هذه القبائل تنظر بعين المقت إلى أولئك الذين خالوهم مغيرين على بلادهم وحقولهم ، ولولا فارس لما استطاع اليهود العائدون أن يستقروا فى فلسطين ، وأذن لهم « دارا الأول » ملك الفرس فى إعادة بناء الهيكل .

وعلى عهد الرومان قام صراع عنيف بين اليهود والمسيحيين ، وانتهى بتدمير القدس ، وتفرق اليهود فى أنحاء العالم ـ فى مصر وشمال إفريقيا وألمانيا وفرنسا وانجلترا ، تاركين

بفلسطين أهلها الذين استوطنوها قبل الغزو اليهودى ، حتى جاء الفتح الإسلامى ، فدخلت فلسطين فى الدولة العربية الإسلامية سنة ١٦هـ - ٦٣٧م عندما جاء عمر بن الخطاب وتسلم المدينة بنفسه من أهلها ، ونفذ رغبتهم وهى: ألا يساكنهم أحد من اليهود فى داخل القدس .

وقد ظلت فلسطين فى عصور التاريخ الإسلامى محتفظة بعروبتها وجزءا لا يتجزأ من بلاد الشام ، وتحررت من دنس الصليبيين سنة ٦٩٠هـ - ١٢٩١م بعد جهاد طويل حمل لواءه من المشارقة الزنكيون والأيوبيون والمماليك ، ومن المغاربة المرابطون والموحدون ، وعلى عهد الحكم العثمانى كانت المميزات القومية للشعب العربى فى فلسطين واضحة ، ورفض السلطان عبد الحميد أن يمنح اليهود أرضا فيها ، ولم تظهر وحدة منفصلة عن بلاد الشام إلا عندما حل بها الانتداب البريطانى.

أما الصهيونية - وجبل (صهيون) الفلسطينى يأبى أن تنتسب إليه - فهى حركة ترمى إلى إحياء القومية اليهودية وإنشاء وطن قومى بفلسطين يجمع شتات اليهود ، وتآمرت انجلترا مع الصهيونيين على تهويد هذه البقعة العربية ، ثم أخذت أمريكا تعضد الحركة الصهيونية بسبب تغلغل النفوذ اليهودى فى الحكومة والشركات ودور الصناعة ووسائل الإعـــلام ، ونجحت الصهيونية فى السيطرة على فلسطين ، لأن العالم العربى كان مغلوبا على أمره ، يعانى من أدوائه التى خلقها الاستعمار ما يعانيه : تحكمه الرجعية ، ويخنقه الإقطاع والاحتكار .

إن محنة فلسطين أصابت العرب فى كيانهم ، وفى آمالهم وفى وحدتهم وفى كرامتهم ، ولكنها عارض طارىء فى تاريخ الأمة العربية لابد أن يزول .

والواقع أننا أولى من الصهاينة بسليمان ، لأننا دعاة سلام مثله ، على حين أنهم دعاة حرب وضعهم الاستعمار فى هذه البقعة المقدسة لتمزيق الوطن العربى ، ولتكون نقطة ارتكاز ووثوب على البلاد العربية المجاورة ، ووكرا يتسللون منه إلى إفريقية العذراء . ونحن أولى بسليمان من أولئك العصابات والمناسر ؛ لأننا نذكره بكل خير ، وفى كل مناسبة طيبة ، وعندما نتحدث عن الحق والحرية .

والدليل على هذا أن كاتبنا اللماح مصطفى لطفى المنفلوطى عندما تحدث عن الحرية تمنى أن يكون مثل سليمان ، يفهم لغة الحيوان ليعرف حاجته ، ويفرج كربته ، فقال المنفلوطى : « استيقظت فجر يوم على صوت هرة تموء بجانب فراشى ، فأهمنى همها . وكان باب الغرفة مرتجا ، فرأيت أنها تطيل النظر إليه ، فأدركت غرضها ، وعرفت أنها تريد أن أفتح لها الباب ... الحرية شمس يجب أن تشرق فى كل نفس ، فمن عاش محروما منها عاش فى ظلمة حالكة . الحرية هى الحياة . . إن الإنسان الذى يمد يده لطلب الحرية ، ليس بسائل ولا مستجد ، وإنما هو يطلب

حقا من حقوقه التى سلبته إياها المطامع البشرية ، فإن ظفر بها ، فلا منة لمخلوق عليه ، ولا يد لأحد عنده » .

ونحن لا ننسى المسجد الأقصى ، فهو ثالث المساجد المقدسة ، وزيارته سنة مستحبة فى كل وقت ، وفيه كان اعتكاف مريم العذراء تتعبد لله ، وتمثل لها الملك بشرا سويا ، فبشرها بميلاد المسيح عيسى عليه السلام ، وحوله حاول اليهود أن يصلبوه ، فنجاه الله من كيدهم ، وإليه كان إسراء النبى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة ، وفيه صلى إماما بالأنبياء فى ليلة الإسراء ، ومنه كان عروجه إلى السماء ليتلقى كلمات الله ، وإليه كانت قبلة المسلمين فى كل صلاة ، قبل أن يجعل الله الكعبة قبلتهم فى كل صلاة . فتطهير فلسطين من اليهود ، دفاعا عن المسجد الأقصى ، الذى طهره الله وبارك حوله ، جهاد فى سبيل الله ، ترخص فيه الأرواح ، وتباع النفوس بيع السماح ، وصدق الشاعر المعاصر العوضى الوكيل حينما قال :

قد وثق الله بالإسلام عروتنا
وبالعروبة قد أرسى تآخينا
مهلا فلسطين ، كم معنى يراوحنا
عنك الغداة ، وكم معنى ينادينا
لئن تشعبت الأعراب أودية
فنى رباك التقت ذكرى أمانينا

إن القوة عند كثير من الدول غاية ، وإنما هى عندنا وسيلة لغاية أسمى ، هى تأمين الحرية لشعبنا ، والسلام لمواطنينا ، والخير للإنسانية

ألا وإن أول أسباب قوتنا هو الإيمان : الإيمان بالله وبأنفسنا وبوطننا وقومنا ، والإيمان بالإنسانية ، بهذا الإيمان انتصرنا فى الماضى ، وبه لابد أن يتحقق لنا النصر كاملا فى المستقبل القريب .

لقد عرف العرب جميعا أن فلسطين هى مفتاح الوطن العربى ، ومن أجل ذلك آمنوا بوجوب الدفاع عنها ، وتخليصها بالأنفس والنفائس ، فى يوم مشهود كيوم (حطين) أو كيوم (عين جالوت) ، ولا يزال يرن فى آذاننا قول السيد الرئيس : « أول الشجاعة أن نعرف أخطاءنا ونعترف بها لنغسل بذلك الاعتراف ما ران على قلوبنا من غشاوات الشك أو من دواعى التردد والهزيمة ، ثم أن نعرف حقيقة أنفسنا وحقيقة عدونا ، وما نملكه أو ما يملكه كلانا من أسباب النصر فى كل معركة قادمة أو معركة مرتقبة ، ليتحدد مكاننا فى ميدان الكفاح ، فلا تنالنا البغتات من حيث لم نكن نحتسب ... ثم أن نستكمل كل أسباب المعرفة ، لنعيش فى الحياة بوعى كامل ، نتذكر به الماضى . . وندرك به الحاضر كله من غير مخادعة ، ونستشعر به أمل المستقبل كله بغير إسراف ولا مبالغة ... بعلم ما لم نعلم عن أرضنا وبحرنا وجونا وصحارينا » ؟

عباس حلمى اسماعيل

الضّمير

للأستاذ الدكتور محمّد غلاب

الضمير هو حال للنفس تحكم بوساطتها على الخير والشر من الأعمال والنيات ، وهو القاضي المسموع الحكم الذى يستطيع أن يتعدى نفوسنا إلى نفوس غيرنا ، فكما أنه يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر قبل العمل ، ويستريح للفضيلة ، ويؤنب على الرذيلة بعد الوقوع ، كذلك يستطيع أن يحترم الغير لفضيلته، ويحتقرها لرذيلته دون أن يشعر ذلك الغير بهذا الحكم الذى أصدره له أو عليه فى الخفاء .

نستطيع إذن أن نقسم مهمة الضمير الخلقى إلى قسمين : قسم إيجابى ، وهو قبل وقوع الفعل من الإنسان ، والقسم الآخر عاطفى ، ولا يظهر أثره إلا بعد الوقوع ،

فأما القسم الأول فيشتمل على دورين ، أحدهما تمييز الخير من الشر ، وإيضاح الفرق بينهما ، وثانيهما استمرار المناداة بنهج سبيل الأول ، والبعد عن الثانى ، والحذر من الوقوع فيه .

وأما القسم العاطفى الذى هو بعد وقوع العمل فهو إلى السلب أقرب منه إلى الإيجاب ، لأنه لا يحتوى إلا على انفعالات عاطفية مثل : الاستراحة والغبطة بعد عمل الخير ، والتأنيب والتوبيخ بعد عمل الشر ، وهذه الأحاسيس ، وإن كانت سلبية ؛ إلا أن لها فى كثير من الأحيان آثاراً إيجابية بارزة ، فهى التى تحمل المذنب على الاعتراف بجريمته ولو لم تحم حوله شكوك الاتهام ، ولكنه لا يستطيع أن يقاوم هذا العذاب الداخلى الذى هو أسرع إلى أكل ذبالة الفؤاد من نار السموم ، وهذا التأنيب هو الذى يدفع الآثمين إلى الندم والتوبة .

أرومة الضمير الخلقى :

من الموقن به أن التمييز بين الخير والشر أو الحسن والقبح ـ قبل أن يكون موضوعا للوحى القرآنى أو للقانون الإسلامى ـ كان إلهاماً باطنيا منقوشا فى صفحة النفس البشرية . وبعبارة أكثر وضوحا : أن الشعور بالفرق بين الخير والشر ، والعدل والظلم ، كان من أثر النفخة الإلهية الأولى فى الكيان الإنسانى منذ اللحظة الأولى التى صار فيها بشراً سويا . ومعنى هذا فى بساطة ويسر : أن هذه القوة المميزة هى لدى أطفال المسلمين على السواء . غاية ما فى الأمر أن الوحى الإسلامى قد أوضحها وحددها وشرعها وقيمها

ونهاها ، فنحن ، إذا نظرنا فى القرآن نظرة متأملة ، ألفينا فيه الآيات القاطعة بسابقية أرومة هذه القوة الأخلاقية المميزة إلى كيان الإنسان قبل أن يتلقى الوحى ، بل قبل أن يميز معناه . « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها . (١)

ومعنى هذه الآيات أن الله قد منح النفس البشرية فهم معنى الخير والشر ، أو ملكة تمييز كل منهما عن الآخر ساعة تسويتها بدليل تعبيره جل شأنه بالفاء التى تفيد الترتيب والتعقيب الفورى بلا إمهال .

وكذلك إذا تأملنا فى الآيات الكريمة التى تحدد القوى التى منح الله الإنسان إياها عندما خلقه ألفيناها تنص على أنه منحه - فى الوقت ذاته - المقدرة على تمييز الخير من الشر كما يقدر على النطق والإبصار ، أى قبل الإيحاءات والتشريعات والإباحة والحظر « ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين وهديناه النجدين (٢) » ، « بل الإنسان على نفسه بصيرة » (٣) .

ومدلول كل هذه الآيات فى صراحة هو أن الله قدوضع فى الجبلة البشرية عندتكوينها

(١) سورة الشمس ٧ إلى ١٠
(٢) « البلد ٨ - ٩ - ١٠
(٣) « القيامة ١٤

قوة داركة تتعقل الخير والشر أو الحسن والقبح، ومنح هذه القوة القدرة على الأمر والنهى الداخليين قبل الفعل ، والرضى والسخط بعده والاستمرار على اللوم والتقريع بعد اقتراف الإثم والخطيئة . وهو لهذا جعل نعوتها صفة إدامة اللوم حيث قال : « ولا أقسم بالنفس اللوامة » (١) .

وهذه القوة الداركة الكاشفة الآمرة الناهية الراضية اللوامة من الداخل هى الضمير الأخلاقى .

الأدوار التى يمثلها الضمير :

إن أول دور يمثله الضمير معنا هو دور المستكشف المميز بين الطريقين : المستقيم والملتوى ، كما قدمنا ، فإذا أبرز نتيجة استكشافه انتقل إلى الدور الثانى ، وهو دور الناصح الأمين ، فإذا أتم مهمته ، ووقع العمل من الإنسان بالفعل ، انتقل إلى مرتبة القاضى العادل ، ثم إلى مرتبة السلطة التنفيذية التى تتولى توزيع درجات الثواب والعقاب ، فتنعم بقسط وافر من الغبطة والسعادة على القائمين بالواجب والمتمسكين بالفضيلة يحيل الدنيا فى نظرهم إلى جنة وارفة الظلال ، دانية الثمار ، لا يرون فيها إلا نوراً وجمالا وغبطة وسعادة ، ويملأ قلوبهم بالأمل والتفاؤل والميل إلى الاستفادة من الخير ، وهكذا

(١) القيامة ٢

كل فضيلة تتولد مما قبلها حتى تصبح أعمال الشخص سلسلة فضائل لا تفصل حلقاتها رذيلة واحدة .

لكن الإنسان إذا اقترف رذيلة فإن فكرة قاسية حادة تشتعل فى داخل نفسه كأنها شعلة من نار لا تزال تأكل فؤاده حتى تقضى عليه قضاءها الأخير ، أو هى كما يقول أحـــد الأخلاقيين : إنها تجلس فى الليل إلى جانب وسادته لتجعل نعاسه سلسلة اضطرابات ومفزعات ، فإذا استيقظ تولت تعذيبه بقسوة وبلا انقطاع ، وتتبعت خطواته حتى فى ساعات العمل الشاغل ، وفى لحظات التسلية والسرور ، وإن مثلها كمثل العثة تمزق أجزاء الفؤاد بلا شفقة ولا رحمة ، وما ذلك إلا لأن سلطة الضمير التى يفرضها على بنى الإنسان واحدة وثابتة لا تتجزأ ولا تتغير ، ولا تخضع للظروف ولا تنحنى أمام ضرورات الحياة ، فاللغة التى ينطق بها الضمير حين يأمر بالخير وينهى عن الشر هى واحدة فى كل زمان ومكان ، ولدى جميع الأشخاص لا فرق فى ذلك بين السيد والمسود ، والغنى والفقير ، والشاب والشيخ ، والعالم والجاهل ، وهى لغة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا إبهام ، وهى لغة أمر قوية قاسية لا تعرف الرجاء ، ولا تألف الهوادة ولا اللين .

ومنشأ هذه الوحـــدة فى السلطة واللغة والقوة هو أن الضمير ينطق بصوت الله ، ويتكلم بلغته ، ويعبر عن أوامره ونواهيه ، ولو أنه يتكلم بصوت أحد المحدثين الفانين لاستطاع الإنسان أن يسكته كلما أثقل عليه الأوامر ، وضيق على شهواته الخناق ، نعم إننا نستطيع أن نعميه ، ولكننا لا نستطيع أن نسكت صــوته ، ولا أن نقطع هتافاته المتواصلة ، إنه صوت باطنى يلهمنا ما يجب أن نعمل ، وينذرنا بما ينبغى أن نتقى ونتجنب أنه ليس شيئاً آخر غير جزء من العدالة الإلهية ، إنه لنور خالد ينبسط فوق أعمـــالنا فيكشفها لنا بوضوح وجلاء ، إنه ليس إلا شعاعا من النور الأعلى .

إن الضمير لا يفســد ولا يضل ، وإنما يتغلب عليه ضجيج الشهوات فيحول بين الإنسان وسماع صوته ، فإذا خفت هذا الضجيج الشهوانى ، وهدأت ثورة الرغبات المـادية ظهر هذا الصوت العلوى واضحاً ، وإن لم يـكن قد صمت لحظة واحدة ، وإنما كان السلطان لغيره فى أثناء هذه الصلصلة ، ولكن قد يقول لنا قائل : إذا كان الضمير من عالم الخلود ، فكيف استطاعت الشهوة أن تغلبه على أمره ؟ .

ونحن نجيب : بأن مبدع الكون قد حدد اختصاص الضمير وقصر سلطته على الحكم والأمر والنهى والإنذار وإظهار الغبطة للطائعين ، وصب جامات السخط والتقريع على العاصين ولم يمنحه سلطة القضاء على كل شهوة

ومحو كل رذيلة ولو أنه جلت حكمته فعل ذلك لقضى على نظام الكون الذى لا يمكن أن يكون على صورة أخرى غير التى هو عليها الآن .

وقصارى القول: أن الضمير والسريرة شىء واحد لا يتعدد ولا يتغير ولا يكذب ولا يوسوس ولا يتردد ولا يشك ، لأنه من عالم الأبدية ، وأما ما نشعر به أحيانا من تردد وارتباك فمصدره هو نشوب حرب باطنية بين هذا الضمير الصادق الناصح المتثبت من رأيه وإحدى القوتين الحيوانيتين : الشهوية والغضبية الموجودتين فى النفس البشرية ، وإن ما نشاهده من ضلال فى أعمالنا وسقوط فى هوى الشر والرزيلة ، ما هو إلا تغلب إحـــدى هاتين القوتين على ذلك الصوت العلوى ، وليس معنى هذا كما زعم فريق من السطحيين أن الإنسان أثناء النضال الداخلى بين ضميره وشهواته يكون مرتدياً ثوب السريرة الصادقة . وإذا كانت الغلبة للقوة الشهوانية ، ارتدى ثوب السريرة الضالة ، فإذا تعـلم أو تهذبت أخلاقه عاد فألقى بهذه الأخيرة جانبا وتدثر بغيرهـا ، ولو كان الأمر كذلك لكانت السرائر شيئـاً تافهـاً لا يكلف المرء تغييرها إلا عناء استبدال القفاز كما يقولون ، ولكن الواقع أن التردد والشك والهدى والضلال ليست إلا حالات للنفس البشرية تعرض لها من تنازع القوى الثلاث التى تسيطر عليها وهى الناطقة والغضبية والشهوية وأيتها كانت لها الغلبة ، فهى صاحبة الحكم والسلطان.

ومما لا شك فيه أن تغلب القوة الغضبية أو القوة الشهوية يقتاد الإنسان نحو الرغبات المـادية التى تهوى به إلى مستوى الكائنات الدنيا وتصم أذنى إرادته عن سماع صوت الضمير العلوى الذى لا يكف ولا ينقطع ، بينما أن تغلب القوة الناطقة النورانية ، التى هى مناط الصلة بينه وبين ربه ، يرشده إلى الرفعة والسمو ، ويبغض إليه الضعة والدنس والخيانة والغدر والإضرار بالغير ، ويحبب إلى نفسه المثل الأعلى ، ويدفعه فى قـوة إلى اللحوق به ، ولكن لا ينبغى أن نفهم من هذا أن تلك القوى الثلاث فى درجة واحدة من حيث التركيز فى النفس البشرية كلا ، إذ أن البارى ، جل وعلا ، قد كرم الإنسان تكريما لو سجد لله طول حياته شكراً عليه لمـا وفى له بجزء ضئيل منه ، وهو أنه منحه نعمة الضمير الذى ينير له الطريق على طول الخط ، ويناديه فى كل لحظات حياته العملية ناصحا إياه باعتناق الفضائل ، والنفور من الرذائل ، وتلك نعمة كبرى لم يظفر بها غيره من الكائنات الحية ، لأنه يريد دائماً أن يعيده إلى كنفه المكين وأن يغمره بفضله العميم وقد عرضه فى الحياة لمحنة الشهوات ليكون له فضل التغلب عليها ، ومجهود التخلص منها والعودة إلى العدول عنها بعد الكبوة فيها . وتلك هى المرتبة التى فضل الله بهـا ، النوع البشرى على عامة الملائكة

الذين يرجع كل الفضل فى نقائهم إلى فطرتهم لا إلى إرادتهم وجهودهم ، ولا ريب أن هذه منحة عظمى تستوجب الشكر الذى لا حد له .

وأول ما تتمثل فيه هذه النعمة هو سماع صوت الضمير الدائم الذى يدعوه إلى الرفعة والسمو والشغف بالمثل الأعلى . ومما يسترعى الانتباه أن اختصاص الإنسان ـ دون جميع الكائنات الأرضيـة ـ بالاشتمال على السر الأعلى فى داخل كيانه يلفت نظر أحـــد المفكرين والمحدثين فيقول :

إن إنفراد الإنسان بهذا الشرف يدل على أن فى داخل نفسه عنصرا ساميا حـكم عليـه مبدع الكون بالسجن زمناً ما فى دائرة الجسم الضيقة ولـكنه أباح له حرية التغلب على هذا الكائن الحيوانى فجعله يميل دائماً إلى الرفعـة التى لو انتهى إلى آخر حلقة من حلقاتهـا ، لالتحق بأصله وهو العالم الأعلى . فميل الإنسان إذن ، إلى المثل الأعلى فطرى فى نفسه الناطقة لا يزال يصبو إليه حتى يلتحق به فى حياته أو ينقضى عمره وهو فى طريق السير إليه . غير أن هذا المثل الأعلى يختلف باختلاف الظروف والأحوال . فمثلك الأعلى بينك وبين نفسك هو أن تـكون خيراً . وبينك وبين الناس أن تـكون غيريا مضحيا باحثـاً عن سعادة البيئة التى تعيش فيها ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وبينك وبين ربك أن تعرف حقـه وتقدر عليك فضله ، وتذعن لأوامره ونواهيه لا رغبة فى جنة ولا رهبة من نار ، ولـكن لأن خالقك يجب أن تـكون كذلك .

أما بعد : فإذا كانت قيمة الضمير وسلطانه ومكانته من النفس البشرية قد اتضحت هذا الاتضاح ، وإذا كان قد ثبت أن المبتعدين عن الجرائم والآثام تحت سلطان الرهبة من القانون أقل كثيرا من المذعنين لأوامر الضمير ، لأن الأولين فى أمن من العقاب على الشرور الباطنية والرذائل الخفية وهى أضعاف الرذائل الظاهرية من جهة ، وإذا كان الذين يرهبون القانون الوضعى وحده كالعبيد ، بل كالحيوانات لا يخيفهم إلا السوط والعصا ، وإذا كان الآخرون هم الذين يمثلون الإنسانية الكاملة التى تعمل الفضيلة وتتجنب الرذيلة لذاتيهما ، أى حبا فى الأولى وبغضا فى الثانية من جهة أخرى ، وإذا كنا نهدف الآن إلى السمو بأمتنا إلى المثل الأعلى من جهة ثالثة ، فقد وجب علينا أن نعمل جهد طاقتنا فى إيقاظ الضمائر وتنقيتها من كل شر وسوء لنأمن من غوائل الغدر والخيانة ولنطمئن على تأدية الواجب فى أكمل معانيه .

الضمير والقانون الخلقى السماوى :

فى المحيط الأخلاقى ليست القواعد النظرية العامة ، ولا التحليلات المتعلقة بالحالات الخاصة ، مهما كثرت ، كافية لإرشـاد الإرادات الإنسانية وقيادة أعمالها ، وإنما

هو ذلك الدور الهام الذى تمثله فى حياتها تلك القوة التى تسمى بالضمير والتى هى أداة الوصل بين المطلق والنسبى ، والتى تهتف دائما بتلك الإرادات البشرية أن تنفذ القانون الأبدى غير غافلة عن النقص المتأصل فى طبيعتها بسبب وجود المادة فى تكوينها . وإلى هذا المعنى رمى القرآن حين قال : « فاتقوا الله ما استطعتم ... » (آية ١٦ من سورة التغابن) .

وليس معنى هذا أنه مسموح لكل فرد بأن يحدد سلوكه تبعاً لاستعداده الخاص ، إذ لو كان الأمر كذلك ، لسادت الفوضى وعم الاختلال ، وإنما معناه أن القرآن — فى هذا الأمر بالطاعة المستطاعة — يتجه إلى المؤمنين الذين تلقوا قبل ذلك تعاليم إيجابية ، وأعدوا إعداداً واقعياً لتطبيق هذه التعاليم فى سلوكهم العملى . غير أن منزل الوحى فى قواعده العامة للأمر والنهى يعلم أن هناك حالات خاصة تستلزم الاستثناء لتعذر أو تعسر تنفيذ الأمر والنهى فيها ، فيكل جل شأنه التقدير فى هذه الحالات إلى الضمير الإنسانى رحمة منه بالضعفاء والمضطربين . وهنا يتحقق واجب المؤمن الحقيقى فى ألا يفعل إلا ما يبدو له أنه هو الأمر الإلهى بشرط ألا يدع أى مجهود فى الاستنارة والاسترشاد فى ذلك الأمر « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به .... » (آية ٥ من سورة الأحزاب) . « استفت قلبك . واستفت نفسك . البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » (رواه أحمد فى مسنده) .

القانون الأخلاقى الإسلامى إذن هو مصوغ فى قواعد عامة لكى يبذل الضمير الفردى جهود التنقيب عن الواجب ، وبالتالى لكى يقوم بدور إيجابى فى تطهير حياته وإعلائها حتى لا يكون آلة لا فضل لها ولا تقييم لأفعالها ، وهذه الطريقة التى اتبعها الإسلام هى أسمى الطرق وأوفقها إلى المنطق القويم ، لأن أشد القواعد تحدداً تصادقها دائماً حالات غيبة التحديد حين يراد تطبيقها على على أفراد متباينين وفى معمعان الحياة اليومية المعقدة ، ولكن حكمة التعقيد هنا هى التقليل بقدر الإمكان من الأخطاء البشرية ودفع الضمير الفردى إلى تعقب حالاته الخاصة ، ومتابعة التنقيب عن واجبه ، وقد منح الله جل شأنه كلا منا الحرية فى أفعاله حسب طبيعته التى تتفاوت كمالا ونقصاً بشرط أن يلاحظ فى كل خطوة من خطواته تلك القواعد الثابتة .

أما القيم الأخلاقية فى هذه الأفعال كلها ، فإن الاسلام قد حددها وجعل لها درجات معينة حسب النيات والجهود كما سنراه فيما بعد .

وقصارى القول فى هذا الصدد أننا فى الإسلام ، نتلقى عن الوحى ذلك القانون

الأخلاق المثالى الـكامل الواضح الذى ألق الله جل وعلا من قبل بعناصرها الأساسية فى الضمير الإنسانى وقت أن خلق النفس وسواها «فألهمها فجورها وتقواها» أى عرفها معنى كل منهما وأنذرها بأنه « قد أفلح من من زكاها وقد خاب من دساها » .

ومن ثم فإن المؤمن يعقل ـ عن طريق الحاسة الباطنية ـ أن ما يأمر به الوحى هو عين ما كان ينادى به الضمير قبل أن يتعقل الوحى ويشعر بأن مصدرهما واحد ، وبأنه ملزم بوجوب تحقيق هذا المثل الخلق الأعلى الذى اختلف بعض الفرق الإسلامية فى ينبوعه الأساسى ، فذهبت إحداها إلى أنه الشرع وزعمت الأخرى أنه العقل وهو ـ على الحقيقة التى لا مراء فيها ـ خلاف لفظى أو جدال بيزنطى لا أساس له ، بل ليس له أى مسوغ منطقى لأن المنشأ واحد لو تأملوا فى القرآن .

وعلى هذا الأساس تـكون (الخلقية) الإسلامية قد أنزلت الإنسان منزلته الحقيقية التى تلتئم معه أتم التئام ، فهى ليست تشييدا بشريا كما يزعم السطحيون القشوريون من علماء الاجتماع ، لأنها لو كانت كذلك ، لما التقينا فيها بهذا الكمال والانسجام اللذين يتعديان كل إمكانيات الإنسانية وطاقاتها . وهى ليست كذلك خضوعا تاما ، وإنما هى (خلقية) كائن حر يرتضى باختياره قانونا رفيعا يشعر بأن مبادئه العظمى تحيا فى داخل نفسه ، فهو إذا يسير فى حياته العملية على مقتضى أوامره ، يكون كأنه يتشرب هـذا القانون ويمتصه ويطبقه على حالاته الخاصة تطبيقا لا تتطاول إلى عشر معشاره منزلة القوانين الوضعية .

ومما تمتاز به القوانين السماوية على الوضعية أنها قادرة على التوفيق التام بين الروحية ، وواقعية الطبيعة البشرية ، ويمتاز القانون الإسلامى على بقية قوانين الأديان الأخر بأنه يضمن هذا التوفيق على أتم ما يـكون الشمول والـكمال ؟

الدكتور محمد غلاب

من إعجاز القرآن التاريخي :

أن لم تذكر "إسرائيل" في القرآن

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي

إعجاز المعنى فى القرآن الكريم متعدد الجوانب كإعجاز الأسلوب تماما . إلا أن إعجاز الأسلوب محدود مجال البحث نسبيا ، وإن لم يوف بعد حقه رغم انصراف الأجيال السابقة إليه ، وعكوفهم عليه . أما إعجاز المعنى فلا حد له ، وبخاصة فى جانبيه التشريعى والعلمى .

كذلك جانب الإعجاز التاريخى لا يكاد يكون له حد فى الحقيقة ، إذ هو يتعلق بماضى الكون وماضى الإنسان ومستقبلهما ، لكن ما يتعلق بماضى الكون داخل فى الإعجاز العلمى ، وما يتعلق بماضى الإنسان من ناحية خلقه وخلقته فداخل فى فى الإعجاز العلمى أيضا ، وما يتعلق بسلوك الإنسان فهو داخل فى الإعجاز التشريعى. أما ما يتعلق بما وقع للإنسان فى تاريخه على الأرض فهو جانب الإعجاز القرآنى التاريخى الذى لم يكد يمس النظار منه إلا الأخبار الغيبية المتعلقة بالإسلام وظهور أهله من نحو قوله تعالى : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم) وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) .

أما القصص القرآنى عن ماضى الأمم والشعوب ، وما بينه وبين قصص التوراة والإنجيل من إتفاق واختلاف ، وما يقتضيه هذا من بحوث وتنقيب لإظهار هيمنة القرآن على قصص الكتب المنزلة قبله طبق قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) فى الآية (٤٨) من سورة المائدة ـ أما هذا الباب من إعجاز القرآن التاريخى فإنه لا يزال كنزا لم يستفتحه المسلمون بعد ، بل فى محدثى المسلمين من ضل السبيل فجعل القصص الكتابى هو الأصل ، وحاول تأويل الآى القرآنى عند الاختلاف ، غافلا عن تلك الهيمنة التى قررها الله للقرآن العزيز .

وإذا كان فيما تحقق من أخبار القرآن الغيبية نحو (غلبت الروم فى أدنى الأرض

وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) إعجاز تاريخى لا يمكن إنكاره ، فمن عجيب الأمر ودقيق الدلالة ولطيف الحكمة أن يكون فيما سكت أو عدل عنه القرآن إعجاز ، كما كان فيما أنبأ أو تنبأ به إعجاز .

وأول مثل لهذا الإعجاز بالسكوت ، تستدعى الظروف الحاضرة أن يبحث ، هو أن كلمة إسرائيل لم ترد مفردة فى القرآن الكريم إلا مرتين ، وفى هاتين المرتين كانت اسما ليعقوب عليه السلام ، ذلك فى سورة آل عمران آية ٩٣ ، وفى سورة مريم آية ٥٨ ، فالحق سبحانه وتعالى سمى نسل يعقوب بنى إسرائيل ، ولم ينادهم إلا بهذا الإسم فى الآيات القرآنية الكثيرة التى وجه إليهم فيها الخطاب .

فلا إسرائيل الشعب ولا إسرائيل الدولة ذكرت فى القرآن الحكيم ولو مرة من المرات الكثيرة التى خوطب فيها بنوا إسرائيل ، وهذا بالرغم من أن الكلمة بمعنى الشعب أو بمعنى الدولة استعملت قديما وهى مستعملة حديثا ، والله سبحانه وتعالى محيط بعلم القديم والحديث ، فيما كان أو يكون . ثم لم يكن فى اللغة العربيه ما يحول دون استعمال الكلمة اسما لذرية إسرائيل ولو كثرت ، فإطلاق اسم الجد على الذرية المتكاثرة مألوف بين العرب ، فقبائل العرب كانت تسمى بأسماء من ولدها مثل بكر وتغلب تميم ، وقريش ، وكانت أيضا تسمى ببنى بكر وبنى تغلب وبنى تميم ، أما قريش فلم أعثر فيما قرأت على تسمية لها ببنى قريش . فإذا صح أنها لم تسم ولم تدع إلا بقريش ، كان فى هذا تغليب للتسمية باسم الجد مجرد ، عن ذكر النبوة عند العرب ، وكان ذلك أدعى للتعجب والتساؤل : لماذا لم يسم الله ذرية إسرائيل عليه السلام باسمه ولو مرة فى القرآن الحكيم ، كما ذكر مثلا قريشا وعادا وثمود ؟

وللإجابة على هذا التساؤل كان لابد من الرجوع إلى ثقات المؤرخين الذين أرخوا لليهود من بعد عهد موسى عليه السلام ، وكان الأفضل للغرض من البحث أن يكون الاعتماد على المؤرخين الثقات من الغربيين لا الشرقيين ولا المسلمين . والمرجع الذى رجعنا إليه هو (تاريخ العالم لثقات المؤرخين)

(The Historians' History)
(Of The Wotld)

أو (تاريخ المؤرخ العالمى) . والترجمة الاولى للإسم أوضح ، والترجمة الثانية أخصر ولعلها أدق على أن نتذكر أن أداة التعريف فى (المؤرخ) للجنس .

ورجعنا إلى الفصول المكتوبة فى تاريخ

بنى إسرائيل بعد أن أظهرهم الله على كنعان الوثنية فى عهد يوشع وتقسيمه الأرض بين قبائلهم المنتمين إلى الأسباط الإثنى عشر ، فإذا أمرهم فى الحكم وتقلباته وفتراته أمر عجيب :

عاشوا نحو مائة وستين سنة (١١٨٠ - ١٠٢٠ قبل الميلاد) قبائل متجاورة ، يحكم كل سبط أرضه تحت أمر شيخ يقضى بينهم فى السلم ويقودهم فى الحرب ، وهو عهد القضاة ، لم يجتمع لهم أمر تحت حاكم أو قاض واحد لجميع الأسباط ، ولكن كان كل شيخ أو قاض يحمى جهته من غارات الوثنيين ، وقد يجتمعون أحيانا إذا جمعهم جامع من مهام السلم أو الحرب . فلما تفككت الروابط بين الأسباط مع تطاول الزمن ، ونسى الدين القديم فيهم أو كاد ، هزموا هزيمة منكرة فى موقعة فقدوا فيها تابوت العهد ، حتى إذا مضى على تلك الهزيمة نحو عشرين عاما قام فيهم النبى صمويل - أو اشمويل كما يسميه ابن الأثير - وجمع الأسباط ، وأعادهم إلى الشرع والنظام ، وجدد العهد بينهم وبين الإله الواحد الحق ، وأقام عليهم طالوت ملكا يضمن وحدتهم فى السلم والحرب .

هذه نظرة المؤرخ إلى ماقص الله علينا من قصتهم فى هذا . فكان طالوت أول ملك حكم جميع بنى إسرائيل ، وكان صمويل آخر القضاة .

ودخل بنو إسرائيل فى عهدهم الثانى ، عهد الملكية والوحدة ، بتمليك طالوت ، ولكن كم تظن كان طول ذلك العهد ؟ تسعين سنة فقط لم تخل من الفتن ! فقد نفى طالوت داود لما خافه على ملكه لحب الناس له ، والتجأ داود إلى جبل ، فانحاز إليه رجال من سبطه ومن الناقمين على طالوت ، فكان يغير بهم على الوثنيين ، حتى إذا قتل طالوت وثلاث أبناء له فى موقعة بينه وبين الفلسطينيين ، رجع داود إلى بلدة حبروم (١) وبويع ملكا على يهوذا .

وتولى الملك بعد طالوت ابن له كانت بينه وبين داود حروب ، حتى إذا اغتيل ذلك الملك ، وجمع الأسباط على دعوة داود إلى عرش جميع إسرائيل ، فاجتمع الملك له فى عام ١٠٠٢ قبل الميلاد بعد ثمانية عشر عاما من بدء ملك طالوت .

وعاش داود عليه السلام ملكا (نبياً) اثنين وثلاثين عاما اتخذ فيها أورشليم عاصمة لملكه ، وكانت أيامه أيام جهاد ، ولم تخل أيضاً من فتن ، فلما توفاه الله تولى الملك بعده

---

(١) Hebron فى الافرنجية ، وعربيتها وأمثالها من الأسماء عن ابن الأثير ، وما ذكرت إفرنجيته معه فتعريب منا .

ابنه سليمان أربعين عاماً (٩٧٠ - ٩٣٠ ق.م) كانت هى عهد مجد بنى إسرائيل ، ولم تخل أيضاً من فتنة ، فقد خرج عليه يوربعم من سبط إفرايم ، فلما خابت مؤامرته هرب ملتجئاً إلى فرعون مصر وقتئذ ، وبنى سليمان الهيكل فى سبع سنوات وأتمه عام ٩٥٩ قبل الميلاد .

ثم انفرط الملك بعد سليمان وانقسمت المملكة إلى مملكتين : يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم يحكمها رحبعم ابن سليمان ملكا على سبطى يهوذا وبنيامين .

ثم إسرائيل فى الشمال يحكمها يوربعم بعد أن استدعاه من مصر الأسباط العشر الباقون وملكوه عليهم ، وهو الذى أحدث فى الدين ما أحدث ، فاستحدث فى مملكته مركزاً دينياً غير أورشليم أدخل فيه الوثنية إذ حمل النـــاس على عبادة (ياهو) إله إسرائيل ولكن فى صورة ثور ، فثار عليه نبى وقته ، ولعل هذا كان منه فى آخر عهده الذى امتد ثلاثة عشر عاماً من ٩٣٠ إلى ٩١٧ ق . م ، وفى عام ٩٢٥ ق . م من عهده هاجم ششنق الأول ملك مصر : مملكة يهوذا المنافســة لإسرائيل ، ودخل أورشليم ونهبها ، وكانت بين المملكتين حروب استعان ملك يهوذا فى إحداها بحليفه ابن حداد صاحب دمشق فهاجم إسرائيل .

وتوالت الأحداث ، وليس من قصد هذا المقال تلخيصها ، ولكن ذكر مايظن إنه يعين على التماس الحكمة فى أن لم يذكر الله سبحانه إسرائيل فى كتابه العزيز ، لا بمعنى أمة ولا بمعنى دولة ، فمن ذلك أن عبادة بعل استمرت فى المملكة الشمالية مملكة إسرائيل ، بين انخفاض - إذا قام نبى يحذر وينذر - وارتفاع إذا مضى النبى ، حتى عهد الملك يحوارم - Yehoram - (٨٥١-٨٤٣ ق م) حين قام النبى إلياس وأعلن على عبادة بعل حربا شعواء ، وعزل الملك باسم الله وولى مكانه أحد ضباط الجيش ويدعى (Jehu) أو (ياجو) فعجل بالثورة وقتل الملك ، وقتل أحزيا ملك يهوذا ، وكان عنده فى زيارة ، واقتلع عبادة بعل بالسيف والنار .

ولم تسلم يهوذا أيضا من عبادة بعل ، وأن بعد إسرائيل بنحو سبعين سنة . فقد كان سافاط الذى تولى الملك فى يهوذا عام ٨٧٤ ق . م . قد أصهر إلى أحاب ملك إسرائيل بأن أخذ ابنة زوجته لإبنه . فلما مات سافاط وخلفه ابنه عام ٨٤٩ ق . م . حاولت زوجته أن تدخل فى يهوذا « وثنية إسرائيل وتهتكها »[1] .

---

(١) هذه ترجمة دقيقة لكلمات المؤرخ كاتب الفصل المرجوع إليه فى تاريخ العالم .

فأنذرها الله بأن أظهر الفلسطينيين على يهوذا حتى دخلوا أورشليم وانتهبوها .

لكنها لم تتعظ بل لما قتل أخزيا ابنها على يد ياحو كما سبق اغتصبت هي العرش وقتلت جميع بيت الملك من آل داود إلا واحدا إسمه يواش أخفاه كبير الكهان . وأرست هي دعائم عبادة بعل في أورشليم . لكن الكاهن الأكبر دبر عليها ثورة قتلت فيها عام ٨٣٦ قبل الميلاد ، وولى الملك يواش . وحوربت عبادة بعل لكنها استمرت في الخفاء ، فقام النبي زكريا يحذر وينذر - وهو طبعا غير زكريا والد يحيى عليهما السلام. وغزا حازيل - Haezael - صاحب دمشق مملكة يهوذا . وانعكس الوضع الديني في المملكتين . اقتلع ياحو الوثنية من إسرائيل ، وبقيت من الوثنية بقية في يهوذا .

فانعكس الوضع المدني بين المملكين : تولى أمصيا ملك يهوذا في ٧٩٧ ق . م . وأعلن الحرب على إسرائيل فانهزم وأسر ودخل يا هواش - Jehoash - ملك إسرائيل أورشليم عاصمة يهوذا . كذلك رفع الله عن إسرائيل على يديه نير الفينيقيين أهل الشام ، واسترد منهم مدنا كانوا استولوا عليها . وكان ذلك قبل موت النبي إلياس .

وتم استرداد كل ما كانت فقدته إسرائيل من الأرض وذلك على يد ابنه يوربعم الثاني الذي خلف أباه على الملك عام ٧٨٢ ق . م . ودخلت المملكة في عهد من الأمن والثراء لم تره من زمن بعيد . وغرها ذلك وغر ملكها الذي مد الله في عمره إلى ٧٤١ ق . م . فعادت إلى الفساد وارتدت إلى الوثنية حتى قام فيها من الأنبياء من أعلن غضب الله عليها وتنبأ بزوالها . فانظر الآن كيف زالت دولة إسرائيل من الوجود .

تولى على إسرائيل من يدعى زكريا وذلك عام ٧٤١ قبل الميلاد فقتله متآمر يدعى شالوم واستولى على العرش سنة ٧٤٠ ق.م. فقتله جندي يدعى مناحم وملك مكانه وذلك عام ٧٣٨ ق . م . فخلفه ابنه بعد ذلك بسنة أي عام ٧٣٧ ق . م . فتآمر عليه ضابط يدعى بيكاه وذبحه وذلك سنة ٧٣٦ ق . م . ثم تحالف مع صاحب دمشق ليغزو يهوذا ، فاستعان ملكها أحاز على مقاومته بملك الأشوريين ، رغم تحذير أشعياء نبي وقته .

فأغرى ملك الأشوريين من يدعى هوشيا فذبح بكاه وتولى الملك تابعا لأشور وذلك عام ٧٣٤ ق . م .

ثم امتنع هوشيا عن دفع الجـــزية إلى شلمنصر الرابع - لا بختنصر - وذلك في عام ٧٢٥ ق . م .

فغزا اسشلمنصر مملكة إسرائيل وحاصر في نفس العام عاصمتها سامريا . لكن لم يستول عليها إلا خلفه سرجون الثاني في عام ٧٢٢ ق . م . ورحل السكان إلى ما وراء الفرات ، وأحل محلهم مستعمرين من أشور وبابل .

وامتصت أشور المملكة الشمالية .وزالت إسرائيل القديمة من الوجود كما ستزول إن شاء الله إسرائيل الحديثة .

وعاشت يهوذا بعدها ، وتعاورتها الأحداث ، وارتدت إلى الوثنية فعادت إلى عبادة بعل في عهد الملك منشا عام ٦٩٥ ، وزادت فقلدت أشور في عبادة الشمس والنجوم ، واضطهد فيها اليهود المؤمنون في عهد الملك آمون (٦٤١ - ٦٣٩ ق.م) فأنزل الله بها ما أنزل من العقاب حتى كان زوالها هي أيضاً بسقوط عاصمتها أورشليم وإجلاء معظم سكانها أسراء إلى بابل على يد بختنصر عام ٥٨٦ قبل الميلاد .

فالذين انتقم الله منهم ببختنصر هم سبطا يهوذا وبنيامين في المملكة الجنوبية . والذين انتقم الله منهم بسرجون بعد شلمنصر هم الأسباط العشر الآخرون في مملكة إسرائيل الشمالية . وعجل سبحانه الزوال لإسرائيل فعجلتها إلى الارتداد عن التوحيد . ومد في إمهال يهوذا قرنا وثلث قرن ، لأنها لم تسرع إلى الوثنية إسراع إسرائيل ولم تمض فيها مضاءها . ولو أنها لم ترتد عن التوحيد مرة أخرى وقد رأت بعينها زوال إسرائيل لما كان لبختنصر ولا لغيره عليها من سبيل(وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب) .

وقد بقي من تاريخ بني إسرائيل شطره الثاني وحقيقته (١١٨٠ -- ٥٨٦ ق.م) تزيد عن حقبة الشطر الأول نحو نصف قرن ، إذ تنتهي بتدمير أورشليم وهيكل سليمان عام ٧٠م على أيدي الرومان .

لكن فيما ذكرنا عن الشطر الأول ما يكفي لتبين الحكمة في أن الله لم يذكر إسرائيل لا شعبا ولا أمة ولا دولة في القرآن الحكيم. فلو أنها ذكرت لما انصرفت تاريخياً إلى جميع بني إسرائيل - وهم المقصودون بالخطاب في القرآن الكريم - إلا في حقبة التسعين عاما التي اجتمع فيها الأسباط على ملك واحد ، من بدء عهد طالوت إلى نهاية عهد سليمان على أوسع تقدير . أليس في تجنب هذا القصور الشديد في البيان ، الذي يذهب بإعجاز جميع الآيات المخاطب بها بنو إسرائيل في القرآن ، إعجاز عجيب غريب وهو الإعجاز بمجرد السكوت؟

ثم إذا ذكرت إسرائيل بدلا من بني

إسرائيل فى تلك الآيات الكريمة كلها أو بعضها ، ألا تنصرف على أوسع تقدير زمنى فى تاريخهم ، إلى يهود إسرائيل المملكة الشمالية ، فيخرج من الخطاب إلى الأبد يهود المملكة الجنوبية ، والخطاب مراد به الجميع؟ وهذا ينطوى على نفس إخطار الوجه السابق ويفتح مثله بابا لناظر أن يقول : إن القرآن ـ وحاشاه ـ من عند جاهل بالتاريخ الثابت، فلا يمكن أن يكون من عند الله !! فهل ليس فى تجنيب الناس الأخطار كلها ، لا بشىء إلا بمجرد السكوت المطلق عن ذكر إسرائيل الشعب أو الأمة أو الدولة ـ أليس فى هذا إعجاز آخر ، ودليل فى لطف حكمته ونفوذ دلالته على أن هذا القرآن من عند الله خالق البشرية ومجرى تاريخها ؟

وإذن ففى عدم ذكر إسرائيل الشعب أو الأمة أو المملكة أو الدولة حكم من الله فى كتابه العزيز بالزوال الأبدى على هذه الدويلة التى شاءت حكمة الله أن يبتلى بها العرب والمسلمين لينظر ماذا يعملون ؟

محمد أحمد الغمراوى

حاشية :

فيما ذكرنا وفى تلك الفصول عن بنى إسرائيل من تاريخ المؤرخ مادة للدعاية بالحق لا تنضب ، مثل أن مدينة القدس لم تكن قط عاصمة لإسرائيل الدولة فى جميع تاريخها، ولا لإسرائيل الشعب إلا فى نحو سبعين سنة من تاريخه القديم .

الفضيلة والوطنية

إن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان ، فمن لم يحرص عليها فأحرى به ألا يحرص على وطن السقوف والجدران !!

المنفلوطى

* * *

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

شوقى

دعوات الإصلاح للنحو العربي قبل ابن مضاء

للدكتور أحمد مختار عمر

منذ أن نشر الأستاذ الدكتور شوقى ضيف كتاب ابن مضاء القرطبي (توفى سنة ٥٩٢ ﻫ) « الرد على النحاة » عام ١٩٤٧ ، وكشف عن اتجاهه فى نقد مناهج النحو ، وجمهور الدارسين يظنون ابن مضاء أول من حمل لواء هذه الدعوة ، ويعتبرونه قائد ثورة ورائد إصلاح . ويمثل هذا الرأى الأستاذ « محمد عيد » فى بحثه عن ابن مضاء الذى نال به درجة الماجستير عام ١٩٦٣ حيث يقول : إن الطريق الذى اختاره ابن مضاء فى النحو « من بين النحاة . طريق الرواد المتمردين . المتحمسين لاكتشاف جديد مجهول » ، ويقول : إن « الطريق الذى سار فيه شاق . إنه جديد ، ولكنه خير من التقليدى المطروق . وهو فيه متفرد » ، فهل هذا صحيح ؟ وهل كان ابن مضاء حقاً رائداً أو متفرداً ؟ دعنا نستفتى كتب النحو واللغة لنرى : هل ظهرت دعوة مماثلة أو مشابهة قبل ابن مضاء فى أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى ؟ وهل هناك احتمال باطلاع ابن مضاء على هذه الدعوات السابقة وتأثره بها ؟

أما الإجابة على السؤال الأول فبالإيجاب ، وقد عثرنا على مثالين يرجعان إلى القرن الثالث الهجرى يدلان على ضيق المتعلمين وطلاب النحو بمناهج النحاة ، وإدراكهم لمواطن النقص فيها .

أما المثال الأول فقد ذكره الجاحظ فى كتابه « الحيوان » ، حيث قال : « قلت لأبى الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيه ... وإنما قد كسبت فى هذا التدبير ؛ إذ كنت إلى التكسب ذهبت » .

وأما الثانى : فقد ذكره السيرافى فى كتابه « أخبار النحويين البصريين » حيث قال عن « رماذ » صاحب أبى عبيدة : « إنه قرأ من النحو إلى بابى الفاء والواو ، فلما استمع إلى قول الخليل وأصحابه : إن الفعل بعدهما ينصب بأن مضمره وجوباً نبا فهمه عن ذلك ، وكتب إلى أبى عثمان بكر المازنى يشكو إليه ما لقيه من عنت فى أبيات شعرية ختمها بقوله :

فقد كدت يا بكر من طول ما
أفكر فى بابه أن أجن

قد يقال : ليس هذا دعوة أو ما يشبه الدعوة ، وإنما هو ضيق ومسلل ، أو هو فكرة عابرة ليس لها قوة النظرية أو القاعدة ، فلنسلم بهذا ، ولكن ألا تحمل هذه الأفكار وأمثالها بذور التمرد ؟ أليس فيها تنبيه للأذهان وتفتيح للعقول ؟ ومع هذا فلنتجاهل كل ذلك ، ولنغمض أعيننا عنه ، ولننتقل إلى القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس فسنجد دعوات صريحة ، ونظريات متكاملة فى نقد النحو ومناهج النحاة ، وسنجد آخر هذه الدعوات سابقاً لدعوة ابن مضاء بنحو قرن من الزمان .

أما حاملو لواء هذه الدعوات - ولن نسميهم مع ذلك رواداً أو متفردين - فسلنا نملك الدليل على ذلك ، ومن المحتمل أن يكونوا مسبوقين لا سابقين - فثلاثة رجال تعاصر اثنان منهم وعاشا فى مصر ، وتأخر الثالث عنهما وإن تتلمذ عن كتبهما ، هؤلاء هم :

١ - أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد المصرى المتوفى عام ٣٣٢ هـ .

٢ - أبو جعفر النحاس النحوى المصرى المتوفى عام ٣٣٨ هـ .

٣ - أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف المتوفى عام ٤٤٩ هـ .

أما ابن ولاد فكان أسبق الثلاثة وأكثرهم ثورية والتزاما لمنهجه ، وقد نادى بالمبادىء الآتية :

١ - لا يصح الطعن على العربى ، أو رميه باللحن أو الخطأ ، أو تقديم القياس النظرى على المادة اللغوية المسموعة ، وفى هذا يقول ردا على المبرد : «إن كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب ، فهذا رجل يجعل كلامه فى النحو أصلا ، وكلام العرب فرعا ، فاستجاز أن يخطئها إن تكلمت بفرع يخالف أصله » . ويقول : « الذى للغوى أن يفعله أن يمثل ويحتل لما جاء عن العرب ، فأما أن يرده فليس ذلك له » .

٢ - أنه يجب الوقوف عند المادة اللغوية المسموعة ، ولا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النظرى ، فهناك من الأساليب والكلمات ما يصح فى القياس ولكنه لم يسمع ، فيجب أن نقف عند ما قالته العرب ولا نغيره ، وهو من أجل هذا يؤيد سيبويه فى رفضه إجازة « السقى لك » و « الرعى لك » بدلا من « سقيالك » « ورعيالك » لأنه لم يسمع ، ويرفض قول المبرد إنه لا فرق فى القياس بينهما وبين « الحمد لله » أو « العجب لزيد » . ويقول : لا ينظر إلى القياس فقط دون ما تتكلم به العرب ، فإن العرب يمتنعون من التكلم بالشىء وإن كان القياس يمنعه . ويقول فى مكان آخر : سبيل النحويين اتباع كلام العرب إذ كانوا يقصدون إلى التكلم بلغتهم ، فأما أن يعملوا قياسا - وإن حسن - يؤدى إلى غير

لغتها فليس لهم ذلك ، وهو غير ما بنوا عليه صناعتهم .

٣ — كذلك هاجم ابن ولاد التأويل والتقدير فى النحو وادعاء الحذف والإضمار وهو لهذا يخالف المبرد فى إعراب قوله تعالى « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » . فقد كان المبرد يقول : إن فاعل « بدا » مصدر مقدر ، وتأويل الآية : ثم بدا لهم بدو . ولكن حذف « بدو » من الكلام لأن (بدا) يدل عليه ، أما ابن ولاد فيقول : « ليس الأمر كذلك ، لأن ليسجننه جملة فى موضع الفاعل . . وأما قوله : إنه يضمر فيه البدو ، فإنا إنما نضمر إذا كان الكلام محتاجا إلى الإضمار ناقصاً عن التمام ، فأما إذا كان الكلام تاما مفيدا . . فلا حاجة بنا إلى الإضمار » .

وأما أبو جعفر النحاس فأهم ما يتميز به منهجه النحوى :

١ — طرح الأبواب غير العملية أو النادرة الاستعمال مثل باب الاشتغال وباب التنازع وأبواب التمارين والعمليات التدريبية ، وقد فعل ذلك فى كتابه « التفاحة » .

٢ — طرح العلل والمناقشات العقلية والفلسفية التى لا يحتاج إليها متعلم النحو ، وقد فعل ذلك فى كتابه « التفاحة » .

٣ — اتباع المنهج الوصفى فى تعقيد القواعد ونتيجة لذلك :

(ا) عد فى باب حروف الخفض كثيرا من الكلمات التى يعتبرها النحو التقليدى ظروفا مثل : أسفل وخلف وقدام ووراء وفوق وتحت ووسط وبين ، والسر فى ذلك أنه نظر إلى وظيفة الكلمة فى الجملة فوجدها لا تختلف فى (على) عنها فى (فوق) مثلا . فلماذا لا يجمعها كلها فى فصل واحد ؟ وأى فرق - فى الحقيقة - بين قولنا : الكوب على المائدة ، والكوب فوق المائدة حتى نعد الأول من قبيل حرف الجر والمجرور ، والثانى من قبيل الظرف والمضاف إليه ؟ .

(ب) تجنب التأويل والتقدير ، ولذا اعتبر أن « محمدا » فى « محمد قام » أو « قام محمد » فاعل . دون نظر إلى موقع الإسم فى الجملة . ونص عبارته فى كتاب التفاحة : « الفاعل رفع أبدا تقدم أو تأخر » . كما صرح فى إعراب قوله تعالى « لتنذر به » ، أن النصب باللام نفسها لا بأن مضمرة .

وأما أبو العلاء المعرى فتتمثل دعوته إلى الإصلاح فى ثورته العارمة على مبدأ التأويل والتقدير ، ولم يكن هناك ما يغيظ المعرى أكثر مما كان يقرؤه ويسمعه من تأولات النحاة ، وتكلفاتهم ، وتخريجهم بعض الأبيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على آرائهم الخاصة . وكثير من نقده ينصب على هذا الجانب من نحو النحاة . وقد سدد

المعرى معظم سهامه إلى نحاة البصرة الذين أكثروا من التأويل والتقدير ، وتعسفوا غاية التعسف فى تخريج كثير من الشواهد لتستقيم مع أصول مذهبهم - وقد امتلأت مؤلفات المعرى بأمثلة لذلك ولكننا سنكتفى بعرض نماذج منها . ولنبدأ بشيخ النحاة سيبويه لنرى ما أصابه من سهام أبى العلاء :

١ — يمنع « سيبويه » — وكثير من النحويين - أن يلى « كان » معمول الخبر . وهم يؤولون ما ورد كذلك ، ويقدرون ما يستغنى الكلام عنه كما قالوه فى قول الشاعر :

قنافذ دراجون حول خبائهم
بما كان إياهم عطية عودا

فيقدرون ضمير الشأن فى « كان » محله الرفع على أنه اسمها ، ويعربون « عطية » مبتدأ وجملة « عود » خبره ، و « إياهم » منصوبة « بعود » وجملة المبتدأ وخبره خبر « كان » . أو يعربون « ما » موصوله ، واسم « كان » ضميراً مستتراً يرجع إلى « ما » ، « وعطية » مبتدأ ، و « عود » ، و « إياهم » مفعولا مقدما ، والعائد محذوف .. إلى آخر ما قالوه فى توجيه البيت .

ولكن المعرى بذوقه العربى يرفض هذه الأعاريب قائلا : « والأشبه بمذاهب العرب أن يكون « عطية » مرفوعا « بكان » و « إياهم » منصوبا « بعود » » .

٢ — ويذهب سيبويه فى قول عدى ابن زيد :

أرواح مودع أم بكور
أنت فانظر لأى حال تصير

إلى أن « أنت » يجوز أن ترفع على فعل مضمر يفسره ما بعده . فيقول المعرى موجها الخطاب لعدى : « وأنا أستبعد هذا المذهب ، ولا أظنك أردته » . ولم يذكر المعرى ماذا يختاره فى إعـــراب « أنت » ، وإن كنا نستنتج من طريقته فى التناول أنه يختار رفعها محلا على الابتداء وخبرها : « فانظر » .

وندع « سيبويه » لنرى ذلك المشهد اللطيف الذى أبدعه خيال أبى العلاء فنرى فيه أبا على الفارسى وقد أحاط به الشعراء فى الجنة وهم يلومونه أشد اللوم على تأويله أشعارهم على غير ما قالوه . قال أبو العلاء على لسان ابن القارح فى رسالة الغفران : « وكنت قد رأيت فى المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو فى الدار العاجلة يعرف بأبى على الفارسى ، وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون تأولت علينا وظلمتنا . . منهم يزيد بن الحكم الكلابى وهو يقول : ويحك ، أنشدت عنى هذا البيت برفع الماء ، يعنى قوله :

فليت كفافا كان شرك كله
وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

ولم أقل إلا « الماء » - بالنصب - وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى :

تبدل خليلا بى كشكلك شكله
فإنى خليلا صالحا بك مقتوى

وإنما قلت « مقتوى » بضم الميم ... وإذا رجل آخر يقول : ادعيت على أن الهاء راجعة إلى الدرس فى قولى :

هذا سراقة للقرآن يدرسه
والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب

أفجنون أنا حتى أعتقد ذلك ؟ ! . وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله .

ومن هذا الباب أيضا حملة المعرى على أبى سعيد السيرافى ، فقد كان يروى الأبيات المنسوبة إلى آدم هكذا :

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى ربع أهليها فبانوا
وزال بشاشة الوجه المليح

بنصب « بشاشة » على التمييز ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ورفع « الوجه » على الفاعلية تجنبا للإقواء . فقال أبو العلاء : « قلت أنا : هذا الوجه الذى قاله أبو سعيد شر من إقواء عشر مرات فى القصيدة الواحدة » .

فإذا انتقلنا إلى ابن مضاء نجد أن من أهم ما نادى به :

١ — نقده النحاة لجعلهم « القواعد والأقيسة هى الجادة وإخضاع النصوص اللغوية لتلك الجادة . أما ابن مضاء فعلى العكس من ذلك ؛ لأن النطق العربى لديه هو الجادة ، وما عدا ذلك فرع عنه ويجب أن يخدمه » .

٢ — رفضه التأويل والتقدير .

٣ — الدعوة إلى إلغاء العلل الثوانى والثوالث .

٤ — الدعوة إلى إلغاء الأبواب غير العملية

وقد رأينا أن كلا من هذه الأسس قد تبناه واحد أو أكثر من النحاة الثلاثة السابقين .

والسؤال الآن : هل اطلع ابن مضاء على هذه الآراء وتأثر بها ؟

رغم أننا لا يمكننا أن نجيب بالإيجاب القاطع على هذا السؤال فإننا نرى إمكانية ذلك ، بل ونرجحه للأسباب الآتية :

١ — أن ابن مضاء اطلع على مؤلفات ابن ولاد وناقش بعض آرائه فى كتابه « الرد على النحاة » .

٢ — أنه ثبت لنا أن معظم مؤلفات النحاس وابن ولاد قد دخلت الأندلس فى وقت مبكر جداً قد يكون فى حياتهما .

٣ — أنه من المعروف أن مصر كانت بمثابة القنطرة التى عبرت عليها الثقافة الإسلامية إلى بلاد المغرب والأندلس .

٤ — أن كثيرا من الآراء والنظريات التى ظهرت فى بلاد الأندلس فى ذلك الوقت كانت صدى لآراء مماثلة ظهرت فى المشرق .

دكتور أحمد مختار عمر
كلية دار العلوم

الإمام ابن حزم

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

٣٨٤ — ٤٥٦ هـ

— ٣ —

« آراؤه فى العقائد »:

كان الإمام ابن حزم سلفى الاعتقاد ؛ فهو يؤمن بالنصوص المتشابهة من القرآن والسنة من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، وكان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق قولا جازماً قاطعاً وبذلك سار على منهج شيخ السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل ، وقد خالف بقوله هذا شيخه « داود بن على » مؤسس المذهب الظاهرى ؛ فقد كان داود يقول : القرآن محدث مخلوق وقد أنكر على داود معاصره الإمام أحمد بن حنبل ، ولم يقبل لقاءه من أجل هذا ، ومخالفته ابن حزم لشيخه تدل دلالة أكيدة على أنه كان مستقل الرأى والتفكير لا يقول إلا بما انقدح فى ذهنه مما تدل عليه الأدلة والنصوص ، ولا يقلد أحداً مهما بلغت رتبته ، وحين نراه يخالف مؤسس المذهب فى هذا نجده يوافقه فى مسائل أخر شذ بها شيخه عن إجماع العلماء مثل قوله: إنه يجوز للجنب والحائض مس المصحف ، وقراءة القرآن .

« آراؤه فى السياسة » :

كان ابن حزم يرى أن الإمامة واجبة ، وأنه لابد من إقامة إمام وخليفة ينفذ الأحكام ويقيم الحدود ، ويحمل الناس على سلوك طريق السعادتين : الدنيوية والأخروية ، كما كان يرى أن الإمام من قريش لا محالة لأن حديث « الأئمة من قريش » متواتر عند ابن حزم والمتواتر يفيد القطع واليقين ، كما كان يرى أن الصحابة متفاضلون بحسب تفاضلهم فى الفضل والسبق إلى الاسلام ، وإن كان شذ حيث فضل نساء النبى صلوات الله وسلامه عليه على جميع الصحابة ؛ لأنهن فى درجته صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، قال الإمام السبكى : وهو قول ساقط مردود(١)

« بعض آرائه الأصولية والفقهية »:

يرى ابن حزم أن خبر الواحد العدل الضابط عن مثله يفيد العلم والعمل وإليك ما قاله فى هذا : وقال أبو سليمان[٢] ،

---

(١) فتح البارى ج ٧ ص ٨٣ ، ١٠٤ .

(٢) هو أبو سليمان داود على شيخ الظاهرية

والحسين بن على الكرابيسى ، والحارث ـ يعنى ابن أسد ـ المحاسبى : إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيد العلم والعمل معاً ، وبه نقول ، وقد ذكر هذا القول عن مالك ، وقال الحنفيون والشافعيون وجمهور المالكيين وجميع المعتزلة والخوارج إن خبر الواحد لا يوجب العلم »[١] ، ولهذا أخذ ابن حزم بأحاديث الآحاد فى العقائد ، وإن لم تكن متواترة .

ومن آراء ابن حزم الفقهية جعل العبد كالحر فى نكاح أربعة ، وفى التسرى ، وفى الحقوق أما العقوبات لجعله فيها على النصف لثبوت النص ، وقد خالف فى الأول جمهور الفقهاء ، ومن مخالفته لجماهير الفقهاء قوله بحل التزوج بابنة الزوجة وهى الربيبة إذا لم تكن فى حجره ، ولم يدخل بأمها ، ويشترط للحرمة أن تكون البنت فى الحجر ، وأن يدخل بأمها ، وقد سبقه إلى هذا شيخ الظاهرية داود بن على وأصحابه ، وهذا فى الحقيقة جمود منهم على النص ، والتمسك بالحرفية من غير نظر إلى حكمة التشريع ، ومغازيه السامية ، وجمور الفقهاء على حرمة الربيبة مطلقا سواء أكانت فى حجر الإنسان أم لا ، وما ذكر فى الآية من القيود الغالبية التى لامفهوم لها (١) ، إلى غير ذلك من الآراء الكثيرة التى خالف فيها جماهير الفقهاء ، وبحسبنا هذا القدر فى هذا المقام .

موقف العلماء من ابن حزم :

على حين نرى كثيراً من العلماء أثنوا على ابن حزم كالحميدى ، وابن بشكوال ، وأبى القاسم بن صاعد والغزالى ، والذهبى فى تذكرته وابن المغربى وغيرهم نرى البعض الآخر أزرى به ، وحط من قدره كالقاضى أبى بكر ابن العربى فى كتابه « القواصم والعواصم » فقد أنحى على الظاهرية وعلى حامل لواء مذهبهم ابن حزم باللائمة ، وتناول بعض كتبه ورسائله بالنقد والرد (٢) ، وكذلك كانت بين ابن حزم وبين أبى الوليد سليمان ابن خلف الباجى مناظرات ومجالس وأمور يطول شرحها (٣) .

وفى الحق أن ابن حزم كان عالما بارعا متفننا فى علوم كثيرة ولم تقتصر معارفه على العلوم الشرعية واللغوية بل تعدى ذلك إلى تاريخ الملل والنحل والمنطق والفلسفة ونحوها ولكنه كان معتداً بنفسه فيما يرى أنه حق ، ويرى أن رأيه هو الصواب والحق ، وما عداه

---

[١] الاحكام ج ١ ص ١١٩ وما بعدها وهذا الفصل من النفاسة بمكان .

(١) تفسير ابن كثير والبغوى ج ٢ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٣ ص ٣٢٤ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣ .

فهو خطأ وباطل ، فمن ثم كان لسانه حادا صارما على كل من خالفه من الأئمة كبيرهم وصغيرهم حتى لقد قال فيه أبو العباس بن العريف : « كان لسان ابن حزم ، وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين » بل لقد بلغ من أمره أنه تجاهل إماما كبيرا من أئمة الحديث والفقه ، وهو أبو عيسى الترمذى . فقال : ومن أبو عيسى الترمذى هذا ؟ وهذا التجاهل لمثل هذا الإمام لا يعود عليه بالنقص بقدر ما يعود على ابن حزم بالمذمة والملام .

وقد علل بعض الكاتبين فى حياته حدته وعنفه فى الجدل والنقد ، وسلاطة لسانه بأمرين : ١ ـ ما أحسه من إرادة السوء به ، وإنزال الأذى بكتبه ، وأى أذى من أن يرى العالم ثمرات فكره ، ونتاج حياته يحرق ـ ٢ ـ ما أصابه من علة سببت له مرض الربو مما سبب له ضيق الخلق ، وحدة المزاج وقلة الصبر (١) ، وأنا ، وإن كنت أوافق على السبب الثانى ، فلا أسلم السبب الأول ، لأن حرق كتبه كان فى أخريات حياته وسلاطة اللسان ، وحدة الطبع لازمتاه من صغره ، وقد يكون السبب الأول عندى ما أحس به من مرارة وألم حينما سخر منه بعض العلماء لجهله ببعض الأحكام الفقهية مما كان سببا ـ كما ذكرنا ـ فى إقباله على الحديث والفقه حتى أصبح إماما يشار إليه بالبنان ، فاقتص لنفسه من كل مخالفيه .

ما جناه من حدته وجرأته :

وقد نفر منه مسلكه فى النقد والجدل القلوب فاستهدف لحملة قوية من أتباع الفقهاء من علماء وقته ، فتمالأوا على بغضه وردوا أقواله ، وأجمعوا على تضليله ، وكالوا له بدل الصاع صاعين وشنعوا عليه ، ولم يكتفوا بتحذير العوام من آرائه وأفكاره والأخذ عنه ، بل حذروا السلاطين والخلفاء من فتنته . وسعوا به عندهم ، فأقصاه الملوك والأمراء وشردوه عن بلده ، ولم تسلم كتبه من الطعن والتقليل من شأنها ، حتى لقد أحرق بعضها بأشبيلية ، ومزقت علانية ، وبعضها لم يجاوز بلده ( ) وقد أثر فى نفسه حرق كتبه وتمزيقها ، وآلمه أنها لم تحظ بما كان يعتقد أنها أهل له من العناية بها وحسن القبول ، ومما قاله فى هذا الصدد يعزى نفسه :

دعونى من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
وإلا فعودوا للكاتب بدأة
فكم دون ما تبغون لله من ستر

وقال أيضاً :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى

---

(١) ابن حزم ص ٧٥ .

(١) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٢٦ .

يسير معى حيث استقلت ركائبى
ويتزل إذ أنزل ويدفن فى قبرى

وأمر آخر كان سببا فى التشغيب عليه وتنفير الناس منه ومن كتبه , ذلك أنه كان متشيعا لأمراء بنى أمية ماضيهم وحاضرهم ، واعتقاده بصحة إمامتهم حتى رمى بالنصب — بغض سيدنا على وآل بيته — (١) فهذه السلاطة والحدة فى الجدل والنقاش ، والنيل من العلماء الكبار ولاسيما أصحاب المذاهب المتبوعة ، والانحراف عن على وآل بيته وممالاة الأمويين كانت من أهم الأسباب فيما نزل به وبكتبه من محق وحرق ، وتشريد وتغريب .

ومن عجب أن كتب ابن حزم التى أحرقت ومزقت ولم تحظ بالقبول عند كثير من أهل عصره المنحرفين عنه حظيت بالقبول والرضا عند الكثيرين من العلماء الذى جاءوا بعد عصره إلى وقتنا هذا ، وهكذا شاء الله سبحانه لعلم ابن حزم أن يرزق القبول ، ولكتبه أن ينتفع بها غاية الانتفاع ، حتى أصبحت فى عصرنا من المراجع المهمة التى يرجع إليها القضاة والمفتون ، والفقهاء والمجتهدون ، والمدرسون والمصلحون ، والوعاظ والمرشدون ، والفلاسفة والحكماء وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على إخلاص الرجل فى تآليفه وعلمه ، وقصده وجه الله سبحانه

ويعجبنى فى تقدير هذا الإمام هذه المقالة المنصفة من الإمام أبى عبد الله الذهبى وهو من أهل الاستقراء التام فى نقد الرجال قال فى تذكرته : ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة ، تقع له المسائل المحررة ، والمسائل الواهية كما يقع لغيره ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه وجرت عليه أمور لطول لسانه . واستخفافه بالكبار ، ووقوعه فى أئمة الاجتهاد بأقبح عبارة وأفظ محاورة وأمنع رد ، وجرى بينه وبين أبى الوليد الباجى مناظرة ومنافرة(١) وقال فى موضع آخر تعليقاً على كلام أحد العلماء المنصفين له : هذا القائل منصف ؛ فأين كلامه من كلام أبى بكر بن العربى وهضمه لمعارف ابن حزم ؟! هذا وقد تمخضت حياة ابن حزم ـ على الرغم مما ناله من محن وتشريد واضطهاد ـ عن كتب قيمة ومؤلفات كثيرة ، كثير منها يعتبر من المعالم التى يعتز بها الفكر الإنسانى ، وتعتز بها الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وسنفرد لهذه المؤلفات المقال الآتى إن شاء الله تعالى ؟

محمد بن محمد أبو شهبة

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢٧ .

(١) المرجع السابق ص ٣٢٨ .

أدبٌ ونقد :
" شعراء عرفتهم "
١ - عبد الحميد الدّيب

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٢ -

فى كل ما كتبنا عن الشاعر عبد الحميد الديب يستطيع القراء أن يلمحوا من خلاله نوع الحياة القلقة المضطربة التى كان يحياها هذا البائس الممتحن ، وإذا كانت حياته خضعت فى بعض جوانبها إلى ما أراد لها الشاعر نفسه من ذلة وهوان ، فإنها أثمرت على كل حال أدباً رائعاً وفناً أصيلا ، وذلك ما يعنى القراء ، وما يقطف الناقد من ثماره ، وما تستريح النفس إلى أريجه العطر الفواح .

إنه عيش ذليل عاش فيه الكثيرون وخلدوا إليه زمنا طويلا ، ولكننا لم نظفر بواحد منهم يشبه شاعرنا البائس فى اتخاذ حياته مادة يصوغ منها فنه ويرتفع بها إلى أن تصبح لوناً فريداً من ألوان الفن الأصيل ؛ فالديب يكاد ينفرد وحده بالاستجابة إلى هواتف حياته وترجمتها إلى القراء ترجمة أمينة صادقة على ما فيها من فواجع ومحن .

والقلق الذى استولى على شاعرنا ـ بدافع الضيق والخشونة فى عيشه ـ هو القوة الدافعة التى أسلمته إلى القلق الفنى ، فأخلص فنه لتصوير حياته ، ووهب عبقريته لإبراز جوانبها القصية التى تدق ملامحها على أولئك الذين لم يعيشوا فيها ساعة من نهار ، ومهما كان هذا الدافع رخيصاً لأنه نجم عن حياة مكدودة لا يجد فيها ولا أمل فى يجد ، فإن هذا الدافع أنجب لنا فى روائع الديب فناً عالياً فيه نبض العبقرية وجمال الأداء .

وكنا فى المقال السالف قد عرضنا للدوافع الفنية الكبيرة عند الشاعر الشيعى دعبل الخزاعى وعند أبى الطيب المتنبى ، وكيف أنها أثمرت فناً شعريا نجده فى تراث الشاعرين العظيمين ، وكنا نشير بهذا إلى أن القلق الفنى الذى يتحدث عنه النقاد المحدثون ما هو إلا نتاج شرعى للبواعث النفسية والاجتماعية مما يحرك وجدان الفنان ويستبد بمشاعره .

* * *

والفرق بين عبد الحميد الديب وبين الشاعرين الكبيرين هو الفرق بين من يحشد همه كله ليصيب لقمة العيش ، وبين من يدعو إلى

مذهب يؤمن به كما فعل الخزاعى ، أو من يطلب رياسة وصدارة كما نرى عند أبى الطيب ؛ ولهذا فلن نستطيع أن ننكر على الديب مثل قوله فى قصيدة له :

وأسمعت أبراج السماء شكايتى
وللأرض ، لم أظفر بأى سميع

إذا رمت عيشى عاملا فكأننى
رجوت « يهوذا » رحمة بيسوع

فأقدمت للعيش الكفاف مجنداً
مواهب لم تخلق لغير رفيع

ولا نستطيع كذلك أن نستهجن تعالى دعبل واحتقاره لخصومه وأعداء دعوته حين ينشدنا :

إنى لأفتح عينى حين أفتحها
على كثير . ولكن لا أرى أحدا

وليس فى مقدورنا أن ننكر على المتنبى تغنيه بالمجد وفهمه لأسبابه وبصره بسبله حين يقول من قصيدة له :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

فذلك هو الفرق بين حياة وحياة ، وبين همة وهمة ، فكل ميسر لما خلق له .

* * *

وقد رغبت إلى قلة ممن يحترفون النقد أو يتذوقون الأدب فى أن أنصرف عن شعر الديب وأكتب عن شعراء آخرين قد تماسكت حياتهم فأصابوا شيئاً غير قليل من المعرفة والثقافة ، وكأنما غاب عن هذه القلة أن الكتاب قد تعاقبوا على أدب أمثال الحطيئة وأبى نواس وأضرابهما ، فلم يتجه إليهم لوم ولا أصاب كتبهم عن هؤلاء كساد أو بوار ، فالذين يحترفون النقد الحديث ويكتبون عنه متلفتين إلى القواعد التى استحدثها اليونان الأقدمون ، وإلى الاتجاهات الفلسفية التى أرسى قواعدها نقاد أوربا أوائل القرن التاسع عشر : هؤلاء النقاد ـ عفا الله عنهم ـ يزعمون أن الشعر منطق وفلسفة ، وهم لهذا يخرجون أمثال عبد الحميد الديب من دائرة الفن لأنه لا يعرف الوحدة العضوية التى ينبغى أن يقوم عليها الشعر !! ، ولأنه لم يقرأ ثقافة أجنبية تمده بالأفكار العجيبة ليصبح من الشعراء المؤرخين الرامزين !! ؛ وعندى أن أمر هذه القلة أهون من أن نعرض له هنا ، لأنه يعتمد على الجهل بطبيعة الفن الكلامى ، كأنما هو لديهم قضايا منطقية

ومتاهات فلسفية . وقد عرضنا لهذا فى كتاب سنصدره قريباً جداً عن مؤسسة دار المعارف .

فأما الذين يتذوقون الأدب ويمنحون أنفسهم حق القوامة على الفضائل والأخلاق دون أن يضعوا حدوداً لكل ما هو فاضل ولما هو خلقى ، فإنى أنصحهم أن يرجعوا إلى شعر الديب بعيداً عن نسق حياته التى ترامت إليهم أنباؤها شوهاء مكذوبة ، وعندئذ سيجدون أنهم ظلموا الديب ظلماً عظيما ، وإن كانوا مع ذلك يحرصون الحرص كله على قراءة شعر أبى نواس ومطيع ابن إياس والحسين بن الضحاك ؛ وقضية حياة الشاعر وصلتها بشعره قد ناقشناها فى كتابنا الذى أشرنا إليه آنفاً .

* * *

وعلى الرغم من الأهوال التى أطافت بعبد الحميد الديب فقد ظل ثابت الإيمان كثير اللجوء إلى الله ، فإذا ذهب بلبه خطب شدته العقيدة إلى رحابها ، وربط اليقين على قلبه ، كأنما هو ذاكر دائما فى معترك محنته قول الله سبحانه : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » .

وقصيدته « موت الشيطان أو التوبة » تكشف عن حقيقة إيمانه ، ومدى صلته بالعقيدة التى درج عليها فى قريته ، وفى رحاب الأزهر أثناء دراسته فيه ؛ وهذه القصيدة تميط لنا اللثام عن أوصاب نفس أجهدها الحرمان فى متاهات الغى ، وآدها طلاب الدنيا والتماس المتاع على غير قاعدة ، فلما أظمأتها الكأس الروية ، واعتصرها الحرمان الفاجع لاذت إلى النبع الهادىء الذى يرتوى منه المؤمنون !

وحسبنا حين نقدم لقراء « مجلة الأزهر » الشاعر الممتحن عبد الحميد الديب أن نروى لهم قصيدته تلك فإن فيها متاعا أى متاع :

« التــوبة »

كل شىء أشهد الله عليا
فرت الدنيا جميعاً من يديا
لا تقل لى : كيف تحيا سادراً ؟
أنا ميت بين قومى ، لست حيا
سر هذا البؤس أنى شاعر
قد أفاد الدهر منى عبقرياً

* * *

عندما كنت بحانى لاهيا
كنت أصغى للمصلى يتهيا
رنة التكبير فى أذنى محت
رنة الكأس وأردت بالحميا
والمصلون لدى تسبيحهم
صيروا الندمان فى عينى نسيا

مظهر التقديس والتقوى بهم
قد سقانى الكأس إيمانا سريا

يا صبوحى ، يا غبوقى ضـلة
لـكما منى بكوراً أو عشيا

* * *

وهبطت الروض والليل سجا
قـد أجن الطير والورد النديا

كل ما فى الروض حتى تربه
سبح الرحمن تسبيحاً خفياً

وهنـا أدركت أنى لم أعش
وأنا المسلم .. إلا جاهليـاً

قد تخذت الشعر توحيدى ولم
أتطهر لجنى الشعر عليا

بينما أسرف فى وصف الطلا
والهوى ، لم أدخر لله شيا

أنا ، أو أبليس للدنيا عمى
هو خاف ، وأنا أبدو جليا

* * *

قلت : ربى ، وأنا جاث له
فحبانى لطفه قلباً رضياً

ونأت عنى همومى بعدما
أصبح القلب من الدنيا خليا

وسل الليل فما أغفو به
غير أرماق ... وما تجدى عليا

هذه آية عشقى كلما
جن ليلى ظلت سهران مليا

لا يواتينى الكرى حتى أرى
طيف حبى . . . فأحيي وأحيا

فإذا حدثتنى ألفيتنى
غائب المهجة لله نجيا

* * *

أين شيطانى ؟ ، وأين ريحه ؟
كان يهفو فى الدجى روحا عتيا

أكله أو شربه من هجرتى
فى ظلام الشك أفاقا شقيا

فقضى يوم الهدى ، إذ لم يجد
أى شرع يقتهى منه إليا

جنة المحراب تشوى جسمه
وأنا لم أغش حانا أو نديا

مات شيطانى !! وها كم جنده
هينموا بالدمع أشباحا بكيا

عبد الرحمن عثمان

بين الشريعة الإسلامية و القانون الرومانى
"نظام الرق"

للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى

— ٢ —

تمر بالحياة البشرية صور غامضة وأوضاع قلقة تحتاج إلى مزيد من البحث ودقة فى مناهجه ، حتى يستطيع الباحث أن يجلى هذه الصور وأن يرسى هذه الأوضاع ، لا أمام القارىء المتخصص فحسب ؛ بل أمام الرجل العادى الذى يريد أن ينمى مداركه ليتكلم فى كل مجلس يلم به . خذ مثلا موضوع التأمين على الحياة من حيث شرعيته ، وإفطار الكادحين فى شهر رمضان من حيث كفارته ، وزواج المتعة من حيث بقاؤه وإلغاؤه وهكذا .. هذه الصور لاتزال غامضة وربما زاد فى غموضها اختلاف الحياة فى أيامنا هذه عن حياة الأمس اختلافا بينا .

ومن هذه الصور أيضاً الرق ومشروعيته وأسبابه ومعاملة الرق ومدى ماله من شخصية قانونية ،ولقد حاولت فى مقال سبق أن أبين أسباب الرق، أما اليوم فأريد أن أبين ما للرقيق من حقوق ومدى اتفاق هذه الحقوق مع القانون الطبيعى ، فى تلك الشرائع التى كانت تدعى أن الرق أثر من آثار القانون الطبيعى . ومن أجل ذلك أقدم للقارىء صوراً ثلاثاً من آراء ثلاثة من كبار الفلاسفة ورجال القانون فى أوربا القديمة والحديثة .

أما الرجل الأول فهو الفيلسوف اليونانى أفلاطون صاحب « الجمهورية » فهو يرى أنه من العسير أن تقوم الجمهورية على التساوى بين الناس لأن هذا يخالف طبيعة الخلقة ، فمن الناس من خلق من طينة فيها معدن الذهب ، ومنهم من خلق من طينة مزجت بالفضة ، أما العبيد فطينتهم من النحاس والحديد . ومادام صاحب الجمهورية قد فطر شعب جمهوريته هذه الفطرة ، فإن القانون الطبيعى بلاشك هو الذى قضى بهذه المذلة للعبيد !

وأما الرجل الثانى فهو تلميذ الأول ، هو أرسطو أو أرسططاليس . لقد رأى هذا الفيلسوف أن الرق أمر مفروض بمبادىء القانون الطبيعى ، فالعالم لا يمكن أن يعيش بغير سيد ومسود ، ولابد من وجود سادة وعبيد . ولعل هذا الفيلسوف ذائع الصيت قد جانبه التوفيق حين غابت عنه الحقيقة العتيدة ، وهى أن وجود نظام سيد ومسود

ليس معناه حتما فرض وجود نظام الرق . فالقرآن يذكر لنا مثلا أن الله رفع بعضنا فوق بعض درجات ، ورسوله الكريم يصرح فى نفس الوقت أن الناس سواسية كأسنان المشط ، ولم يقل أحد بأن هنالك تعارضا بين ما جاء به القرآن الكريم وما أوضحته السنة الشريفة .

أما الرجل الآخر فهو الأستاذ الهولندى جروشيوس Hugo de Groote لقد كان الرجل من دعاة التعاون بين الشعوب وعاملا فعالا فى إرساء مبادىء القانون الدولى حتى إنه لقب بأبى القانون الدولى، ولا يزال يحمل هذا اللقب منذ القرن السابع عشر ، فقد كتب مؤلفا عظيما فى الحرب والسلام De jure belli ac pacis وكتب فى علاقات الدول وكيف ينبغى أن تقوم على أسس القانون الطبيعى . ومع ذلك فإن هذا الفيلسوف الداعية إلى إرساء قواعد القانون الدولى على مبادىء القانون الطبيعى لم يتورع عن القول بمشروعية استرقاق دولة لدولة أخرى ، وهو أمر فى نظر الرجل العاقل لا يمكن أن يستقيم مع مبادىء القانون الطبيعى، وإن كان ابتناؤه أقرب إلى مبادىء الأخلاق التى كانت سائدة فى هذا العصر ،وهى كانت تسمح بمثل هذا الاسترقاق سواء بين الدول أو بين الأفراد .

ولعل هذه الصور الثلاث تفسر لنا أسباب الرق من ناحية ، ومن ناحية أخرى تفسر لنا سوء معاملة الرقيق فى دول أوروبا القديمة ، وفى المستعمرات الأوروبية ، والولايات الأمريكية فى العصر السابق على حرب الانفصال التى تزعمها إبراهام لنكولن وقتل من أجل تحرير الرقيق سنة ١٨٦٥ م .

ولنبدأ بحالة الرقيق عند الرومان :

بدأ الاسترقاق عند الرومان متأثرا بفكرة سياسية هى أن روما سيدة العالم ، ومن عدا سكان روما الذين يطلق عليهم «الرومان» معتبرون من الأجانب ، ويحق للرومانى أن يسترق أى أجنبى كان ما دامت دولة هذا الأجنبى لا ترتبط مع روما بمعاهدة صداقة . مثل هذا الأجنبى يعتبر شيئاً لا مالك له، أو كما عبروا عنه Res nullius والشىء الذى لامالك له يجوز الاستيلاء عليه ، والاستيلاء على إنسان بهذا المعنى يعنى استرقاقه . ولم يكن للرق فى روما فى عهدها الأول غير هذه الصورة ، بل لم يكن يتصور أن رومانيا يقع فى الرق داخل مدينة روما ، لأن الرق مرتبط بالجنسية ، والجنسية الرومانية تأبى على صاحبها أن يكون رقيقا .

ولكن الأفكار الرومانية لم تلبث أن تبدلت لتتشرب بالأفكار الفلسفية للإغريق وقد ذكرنا فى مقدمة هذا المقال شيئا منها .

وإنك لتعرف أن روما توسعت فى فتوحاتها حتى أصبحت اليونان أو إغريقيا جزءا منها. وبينما كان المجتمع الرومانى الأول مجتمعا زراعيا، أصبح باتساع فتوحات روما مجتمعا تجاريا ؛ فتخلى الرومان عن نظرتهم العدائية للشعوب وأقاموا أساسا جديدا للرق هو الضرورة الاجتماعية، على الوجه الذى صوره أرسطو ، إذ العالم لا يستطيع أن يعيش بغير سيد ومسود وسادة وعبيد . وإذ انفصلت فكرة الحرية والرق عن فكرة الجنسية الرومانية أمكن أن يتصور وقوع الرومانى فى الرق داخل مدينة روما منذ العهد الإمبراطورى ، الأمر الذى يؤكد أن هذه الفكرة استوردت من الشعوب التى استعمروها وعلى رأسها اليونان .

ومع ذلك فقد بقى لفكرة الجنسية الرومانية رواسب علقت بالفكرة الجديدة ، فقد قرروا أن الرومانى الذى يقع فى الرق يفقد الجنسية الرومانية . فبعد أن كان وجود الجنسية الرومانية مانعا من الرق أصبح الرق مانعا من الجنسية الرومانية .

أما حالة الرقيق الاجتماعية والفوارق التى كانت تفصل بين السادة والعبيد فلم تكن فى حاجة إلى تجلية فى عهد روما الأول، حين كانت حياة الرومان قائمة على الزراعة دون غيرها . ففى الأسرة الواحدة كان الجميع يعمل ، أحرارا وأرقاء ، وكان الجميع يطعم ويشرب من إناء واحد ، فقد كانوا فى شظف من العيش يأبى أن يكون هنالك تفاوت فى ألوان الطعام والشراب ، فهى كلها لون واحد لا يزيد على ما يقوم الأود ولا ينبغى أن يقل عن هذا المستوى ، فأى هبوط فيه معناه الموت المؤكد . ومن أجل ذلك لم يكن موضوع التفرقة بين السادة والعبيد ذا أهمية فى هذا العصر من التاريخ الرومانى .

وإنما تحولت حال الرقيق إلى درجة دون حالة السادة حينما ارتفع المستوى الاجتماعى للسادة فأصبحوا رأسماليين وانغمسوا فى الترف والملذات وأصبحوا كذلك يتنقلون فى البلاد ويطوفون فى الأقطار أخذا بأسباب التجارة. هنا ترك السادة عبيدهم يفلحون الأرض دون أن يهيئوا لهم سببا من أسباب التقدم من الناحية المادية أو الفكرية ، وهؤلاء كان يطلق عليهم عبيد الأرض أو رقيق الريف . أما أولئك الذين نزلوا المدن مع سادتهم فكانوا يقومون بأعمال الخدم وكانوا يسمون رقيق الحضر وربما كانت حالهم المادية خيرا من زملائهم فى الريف .

أما حالة الرقيق من الناحية القانونية فقد كان يعتبر متاعاً Res تجب عليه الحقوق لسيده ولا تجب له حقوق ، لا على سيده ولا غير سيده ، وذلك لسببين : أولهما أنه ليس

رومانياً من الناحية القانونية ، وإن ولد فى روما فالجنسية الرومانية لا يتمتع بها الرقيق ، ومن أجل ذلك لم تكن تجب لهذا الرقيق حقوق المواطن ، أى حق الانتخاب والعضوية فى المجالس النيابية أو أن يكون موظفاً فى الدولة الرومانية ، وأما السبب الثانى فلأنه يعتبر عنصرا من عناصر الذمة المالية لسيده ، فهو شىء يباع ويشترى ويرهن ويوهب ، ويقتل إن شاء سيده ، ويرد إن كان آبقا ، وليس له أن يشكو سوء المعاملة والتعذيب ، فالذى يملك قتل الرقيق يملك ما هو دون ذلك من وسائل التعذيب .

وإذا ارتكب الرقيق فعلا ضاراً بالغير إنما يقاضى السيد دون العبد ، لأنه فى نظر القانون الرومانى يعتبر شيئاً من الأشياء ، ومقاضاة الأشياء أمر مستحيل .

ولكن الحال لم تلبث أن تبدلت لأن قياس العبد وحالته الاجتماعية على الأشياء ، ومعاملته على هذا الوضع ، إن صحت من حيث المنطق ، لا تصح من حيث الواقع ؛ فالرقيق شخص حى ، يأكل كما يأكل سائر المواطنين ويشرب كما يشربون ، وينام كما ينامون ، وهكذا . أما الأشياء فلا تأكل ولا تشرب ولا تنام ، فقياس هذا على تلك أمر غير مستساغ .

من أجل ذلك بدأ الرومان يفكرون فى الاعتراف ببعض الحقوق للرقيق ، وخاصة الحقوق الدينية ، فأصبح من حقه أن يقوم بالعبادة ، وأن يوفى بالنذور وأن يبر بقسمه للآلهة ، وأن تعبد روحه بعد موته كما تعبد أرواح الأحرار بعد موتهم .

وبتقدم العهد اتسعت بعض حقوق الرقيق فأصبح فى العهد الجمهورى يحق للعبد أن ينوب عن سيده ، ولو كانت تصرفات العبد تنتهى إلى شغل ذمة سيده بدين مادام السيد قد وافق على إنابة العبد .

ثم لم تلبث حالة الرقيق القانونية أن تحسنت ، فأصبح للرقيق الحق فى أن يعقد عقودا يلتزم بآثارها دائنا ومدينا ، إلا أن هذه الآثار تكون موقوفة النفاذ ، وإنما تنفذ على العبد ، أو لصالحه بعد العتق ، كما أصبح للعبد المدبر الذى أوصى سيده بعتقه ، أن يقاضى ورثة مولاه بعد موت هذا المولى ، بتنفيذ الوصية ، ثم اكتسب الرقيق حقوقاً اجتماعية وقانونية رفعت عنه ذل العبودية بدرجة ملحوظة حين أبيح للعبد أن يقاضى سيده أو غير سيده بأن ترفع عنه وسائل التعذيب إذا ما عذب من سيده أو من غيره ، وبذلك يكون القانون الرومانى قد رد إلى العبيد بعض حقوق الإنسان ؟

مختار القاضى

هل وضع النحو على أساس صحيح ؟

للأستاذ كامل السيد شاهين

— ٢ —

لعل القدماء لاحظوا عند اتخاذهم الشعر أصلا يبنون عليه قواعدهم فى الإعراب، أنه أيسر فى الحفظ، وأقرب إلى الضبط، وأن الرواة قاموا عليه يأخذه بعضهم عن بعض، ويتلقاه واحد عن واحد بالحفاوة والرعاية كما قالوا : إن زهيرا كان راوية أوس، وإن الحطيئة راوية زهير، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية .

وكما كان للجاهليين رواة، كان للإسلاميين رواة فربع يروى لجرير، ومحمد بن سهل يروى للكميت، والسائب يروى لكثير .

وهذه الحفاوة بالشعر تؤمن الخطأ، وتدعو للضبط، وتؤنس النحوى إذ يريد أن يؤصل أصلا، أو يحرر قاعدة وقد أعان على صيانة الشعر أنه محدود بحدود الوزن، وبالوزن تتداعى ألفاظه، وتترابط معانيه، ويتحدد قالبه، وأنه محدود بالقافية التى تلتزم فيها لوازم من اتحاد روى، وموافقة مجرى، ومواطأة توجيه، كل هذه القيود يبعد معها التغيير ولا تتأتى رواية المعنى ..

على أن المشافهين للعرب من النحاة الثقات قد أحكموا أمر الرواية، فأجازوا ورفضوا، ووثقوا وزيفوا، ونفوا عن المروى ما لا يطمأن إليه لخلص لهم صريحه، واطمأنوا إلى ما يبنون عليه من قواعد وأصول .

هذا هو الذى دعاهم - فى أكبر الظن - إلى أن يعتمدوا الشعر أصلا يستنبطون قواعدهم منه .

* * *

وقد لاحظ العلماء أن خروج الشعر عن حدود الإعراب المرسومة كثير، وجدوه فى الجاهلية، ووجدوه فى الإسلام، ثم اختلفوا : هل العرب فى مصدر الاحتجاج خاضعون لما تووضع عليه من قوانين الإعراب؟ أو هم حجة على من خلف من بعدهم؛ لهم أن يقولوا، وعلينا أن نستشهد أو نتأول ؟

والحق أن العربى مجبول بفطرته على الخضوع لما سنه آباؤه، وتواضع عليه قومه .

غير أن أميته التى تحول بينه وبين إثبات ما قال، ثم محادثته بعد ذلك بالصقال، وإلقاءه القول بديهة وارتجالا، وعروض الكلام له فى موطن الروع وتوزع النفس، وغلبة السهر، أو إلجاء الضرورة، كل ذلك

قد يسوقه إلى إيراد كلمة أو ضبط لا يتفق مع ما يجرى عليه عموم قومه .

فالعربى إذن – فى شعره دون نثره – قد يخرج عما درج عليه آباؤه ، ولا يمكن أن يقال : إنه فى خروجه هذا يتبع لغة ندت عن اللغة الغالبة ، فإن مما يأباه العقل أن يجرى الشاعر فى شعره كله على لغة قومه إلا فى كلمة أو كلمتين يتبع فيهما آخرين . .

* * *

وإذا تتبعنا هذا الخروج وجدنا أنه شائع مستفيض ، حتى إننا لا نكاد نجد قاعدة تسلم من معارضة ، فإما أن نصير إلى أن العربى السليقى قد أخطأ فى لغة آبائه ، وهذا قول لا نطيب به نفسا ، إذ كيف نكون متبعين له، مقتفين على آثاره ، ثم نذهب إلى أنه جنح عما هو حجة فيه .

وإما أن نصير إلى أنه مصيب فيما قال فلا تسلم لنا قاعدة ولا يستقيم لنا أصل .

وإما أن نتأول ما انحرف فيه ونرده إلى النهج العام ، وهذا يدخلنا فى عناء لاحد له، وتمحل لا يأنس به عقل ، وكيف السبيل والخروج شائع مستفيض ؟ !

نجده فى الجزم دون جازم فى قول امرىء القيس :

فاليوم (أشرب) غير مستحقب
إثما من الله ولا واغل

وفى قول طرفة :

خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى
قد رفع الفخ فماذا (تحذرى)

وفى قول غيرهما :

أبيت أسرى (وتبيتى تدلكى)
وجهك بالعنبر والمسك الذكى

ونجده فى رفع الحال ، ومن حقها النصب فى قول النابغة .

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم (ناقع)

ونجده فى بناء الأمر على الفتح دون أن تلحقه نون توكيد ، فى قول امرىء القيس :

أيا راكبا (بلغ) إخواننا
من كان من كندة أو وائل

ونجده فى رفع المضارع المسبوق بالجازم فى قول بعضهم :

يا عجبا والدهر جم عجبه
من عنزى سبنى (لم أضربه)

ونجده فى إتباع المرفوع مجرورا ، كما فى قول دريد :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنهنهت
وحتى علانى حالك اللون (أسود)

ونجده فى إتباع المنصوب مرفوعا ، كما فى قول الفرزدق :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا
صروف المنى والهوجل المتعسف

وعض زمان بابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا او (مجلف)

وغير ذلك كثير مما يطول استعراضه ، وأنت تقع عليه فى كل باب من أبواب النحو ولدى كل قاعدة من قواعده .

* * *

ثم الأمر لم يقف فى الشعر عند حد الإعراب، بل جاوزه إلى مالا يرتاب أحد فى عدم قبوله .

فنحن نرى الشاعر يهجم على الفعل المضارع فيدخل عليه « أل » المعرفة كما ترى فى قول الطهوى :

أتانى كلام الثعلبى بن ويسق
ففى أى هـــذا ويله تتنزع
يقول الخنا وأبغض العجم ناطقا
إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

وللنحاة فى تسويغ ذلك أو رفضه كلام عريض .

ونرى الشاعر قد يمد الضمة أو الفتحة ، حتى تلد واوا أو ألفا ، كما فى قول الشاعر :

الله يعـــلم أنـا تلفتـا
يوم الفراق إلى أحبابنا صور
وأننى حوثما يثنى الهوى بصرى
من حوثما سلكوا أدنو (فأنظور)

أراد (فأنظر) فأشبع الضم ، فنشأت الواو وكما فى قول الراجز :

أقول إذ خرت على (الكلكال)
يا ناقتـا ما جلت فى مجـــال

يريد (على الكلكل) ، فأشبع الفتحة فنشأت الألف .

وربما مد الكسرة فولدت عنها الياء كقول الآخر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى (الدراهيم) تنقاد (الصياريف)

ونرى الشاعر يستبيح لنفسه تغييراً واسعاً أو ضيقاً فى العلم ، كما فى قول دريد فى رثاء أخيه عبد الله :

فإن تعقب الأيام والدهر تعلموا
بنى قارب أنا غضاب (بمعبد)

وليس اسمه معبد ...

وقول النابغة فى وصف جيش :

فيـه الرماح وفيـه كل سابقة
جدلاء محكمة من نسج (سـلام)

يريد من نسج (داود) ، لأنه هو الذى علمه الله صنعة لبوس تحصن من البـأس ، فعدل عنه إلى ابنه سليمان ، ثم لم يكفيه حتى جعل سليمان (سلاما) من أجل القافية .

ويذكرنا هذا بما روى أن رجلا استأذن على سليمان بن وهب ليغزيه عن أمه ، فأذن له ، فقال :

لأم سليمان علينـا مصيبة
مغلقة مثـل السيوف البـواتر

(وكنت سراج البيت يا أم سالم)
فأضحى سراج البيت وسط المقابر

فاشتد الكرب بسليمان ، حتى قال لمن حوله: ما لقيت من هذا الرجل! رثى أمى بهذا القول، وغير اسمى من سليمان إلى سالم !

وأمعن من ذلك فى التوسع ألا يبالى الشاعر الإعراب ، فيعطى الفاعل حكم المفعول ، ويعطى المفعول حكم الفاعل كما فعل الأخطل إذ قال :

أما كليب بن يربوع فليس لهم
عند التفاخر إيراد ولا صدر
مثل القنافذ هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

يريد بلغت سوءاتهم هجر ، برفع السوءات ونصب هجر ، ولكنه قدم إلى ما هو فاعل فنصبه وإلى ما هو مفعول فرفعه .

ونظيره قول الفرزدق :

غداة أحلت لابن أحزم طعنة
حصين ، عبيطات السدائف ، والخمر

يريد : غداة أحلت الطعنة لحصين بن أصرم السدائف العبيطات ، والخمر ، فرفع الخمر وهو معطوف على المفعول به .

وللكسائى ويونس محاورة حول هذا البيت ، وللمبرد تعقيب على هذه المحاورة تطلب فى مظانها .

* * *

ولعل القارىء الكريم يتساءل بعد هذا : ماذا عساك تقول إذا لم تقبل أن يكون ما ورد عن العرب من خروج على الأعم الأشيع من قبيل الخطأ ، ثم لم تقبل أن يكون صوابا خالصا ؟

والجواب أن للشعر مسلكه الخاص الذى يؤذن للشاعر فيه ، ولا ينبغى أن نبنى عليه قاعدة ، ولا أن نتخذه أصلا .

فلست مع صاحب الوساطة فى أن هذا الخروج من قبيل الأغاليط ، ولست مع النحاة الذين يميلون إلى قبول ما ورد من ذلك ثم اتخاذه أصلا يباح القياس عليه كما يفعل الكوفيون ، أو تأوله لرده إلى الشائع الكثير كما يفعل نحاة البصرة .

وإنما نجعل الشعر سبيلا خاصا لا ينظر إليه فى بناء الأصول والقواعد .

فإذا جاء شىء من ذلك الخروج فى النثر المأثور عن العرب فهو خطأ ، ونحن فى ذلك نكون موافقين لما ورد عن سيبويه .

فقد قال فيما حكوه « إنك وزيد ذاهبان » هو غلط ! ، وعلته عنده ، أن العربى يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط ، فيعدل عن قياس كلامه ، كما قالوا « ما أغفله عنك شيئا »(١) .

* * *

(١) الإنصاف ص ١٢٢ .

وإنما حكمنا بالخطأ على ما جاء فى النثر لأنه الطريق الصحيح لأخذ القواعد ، فيحكم على ما خالف منه المبدأ العام بأنه عار عن الصواب .

وقد يقول القارئ الكريم : فإننا نجد من ذلك فى القرآن الكريم ، وهو نثر ، فماذا أنت قائل فى مثل قوله تعالى : (ولكل قوم هاد) ، وقوله تعالى. (وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين) فإن القواعد المتبعة تقضى بإثبات الياء فى الوقوف ، وقوله تعالى : (سلاسلا وأغلالا وسعيرا) ، فصرف السلاسل والمعروف المنع ، ومثله (ولا يغوثا ويعوقا)، صرفهما والأصل المنع، وقوله سبحانه . (وتظنون بالله الظنونا) ، والأصل ألا تثبت الألف ، وقوله تعالى : (فأضلونا السبيلا) والأصل ألا تثبت الألف أيضا ... وغير ذلك كثير .

والجواب : أن فى القرآن الكريم لوازم اقتضاها أمر الفواصل ، أو الموازنة ، فما كان من النثر كذلك جرى على السجع أو التوازن ، فسبيله فى التوسع والإباحة سبيل القرآن الكريم ، وما ليس من النثر جاريا على مثل هذا الالتزام ، فأمره إلى القواعد العامة يرجع .

والخلاصة : أن القرآن الكريم هو الأصل الذى يرتضى فى تقرير قواعد النحو، أما الشعر فليس ينبغى أن يقاس عليه لأن له منهجا خاصا به ... والله ولى التوفيق ؟

كامل السيد شاهين

الدين أولا

من لاخير فيه لدينه لاخير فيه لوطنه ، لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً ؛ فهو بنقضه عهد الله أغدر وأفجر.

المنفلوطى

مايقال عن الإسلام

المسلمون فى نظر أنفسهم

عرض وتعليق للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

Modern Islam, by Von Grunebaum

وهذا كتاب آخر بعنوان « الإسلام الحديث» للاستاذ المستشرق (فون جرينباوم) وليس الكتاب كتاباً بمعنى الكلمة ، عمد صاحبه إلى تأليفه وتصور أبوابه وفصوله ، وإنما هو مجموعة من المقالات التى سبق له نشرها فى مجلات علمية مختلفة ، جمعها ونسقها ووضع لها هذا العنوان وهو « الإسلام الحديث» ، يريد بذلك المشكلات التى يواجهها العالم الإسلامى فى العصر الحاضر .

ولكن الكاتب يتبع منهجاً خاصاً فى البحث ، وهو منهج سائد فى أمريكا بوجه خاص ، ويعتمد على النظرة الموضوعية إلى المشكلات الدينية والاجتماعية ، وعلى تصوير هــذه المشكلات من وجهة نظر أصحابها . ولأجل ذلك كان عنوان هذا المقال : نظرة المسلمين إلى أنفسهم ، أو : المسلمون فى نظر أنفسهم ، وكان من الممكن أن نقول : المسلمون فى المرآة ، بحسب التعبير الأدبى ، وليس العنوان فى الواقع من ابتكارى ، ولكنه اصطلاح جرى على قلم الكاتب المستشرق ، وكان عنوان الفصل السادس من كتابه .

وليس فون جرينباوم مجهولا من القراء المصريين والعرب والمسلمين ، فهو مؤلف كتاب « الإســلام فى العصر الوسيط » ، وأحسب أنه ترجم إلى العربية . وهو يعرف العربية معرفة جيدة ، وزار مصر فى أوائل الخمسينات من هذا القرن ، والتقيت به فى القاهرة أكثر من مرة . أصله من ألمانيا ، وهاجر إلى أمريكا ، واستقر أولا فى شيكاغو ، وهو الآن بجامعة كاليفورنيا ، بلوس إنجلز . وكان رئيس مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى أمريكا خلال عام ١٩٦٧ ، وقاطعته مصر والدول الشرقية كلها وعلى رأسها روسيا بعد العدوان الأخير على مصر وفلسطين والأردن ، والذى تحالفت فيه أمريكا مع إسرائيل .

يقع الكتاب فى زهاء أربعمائة صفحة ، ويشتمل على أحد عشر فصلا تتصل كلها بالعالم العربى والإسلامى ، وبخاصة العالم العربى ،

وبوجه أخص بمصر قلب العروبة والإسلام ، والمشكلات ثلاثة أقسام بعضها تاريخية ، وبعضها الآخر ثقافية وحضارية ، وبعضها الثالث سياسية .

وأول فصول الكتاب يتحدث عن قوة الإسلام الباطنة وقدرته على الانتشار والتلاؤم . ويرجع ذلك إلى بعد العقيدة الإسلامية عن التعقيد ، كالحال فى عقيدة التثليث عند المسيحيين ، وإلى عدم وجود نظام كهنوتى يحد من نشاط المسلمين وحرية تفكيرهم ونشاطهم ، كما هى الحال فى المسيحية أيضا التى تعد الكنيسة ونظامها الكهنوتى جزءاً لا يتجزأ من الدين ، ويتردد فى الكتاب مفهوم « الجماعة » الإسلامية ، أو « الأمة » ، وهو ما تحدثنا عنه فى مقال سبق ، وعرضنا له عند المستشرق الفرنسى « روندو » . فالجماعة الإسلامية تخضع للمبادىء والأوامر والنواهى التى جاءت فى القرآن والسنة والإجماع ، ونظمها الفقهاء بعد ذلك واستقرت عند أهل السنة فى المذاهب الأربعة الكبرى . ويمتاز الفقه الإسلامى قديما ، وكذلك حديثا ، بمرونته واستجابته لحاجات كل عصر .

وعندما ظهر الإسلام ، والتقى بحضارات وثقافات مختلفة ، وضع قيما جديدة فرضها على تلك الحضارات ، وهذه القيم فى نظر المؤلف ترتد إلى ثلاث :

(١) غاية الحياة الفوز بالسعادة فى الآخرة ، وليست الحياة الدنيا إلا سبيلا إلى تلك الحياة الآخرة .

(٢) أن الحكم فى الدار الآخرة يكون على أساس الحياة الدنيا .

(٣) حياة الجماعة مؤثرة على حياة الفرد .

وفى ظل هذه القيم أبرز الإسلام ثلاثة أسئلة فى غاية الأهمية وهى :

(١) كيف يعيش المرء معيشة صحيحة ؟

(٢) كيف يفكر المرء تفكيراً صحيحا ؟

(٣) كيف ينظم حياته الاجتماعية تنظيما صحيحاً ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وضع الإسلام حلولا جديدة ، تتلخص فى تربية المسلم تربية صحيحة حتى يكون فرداً صالحاً فى الجماعة الإسلامية . وهى تربية لا تقف عند حد تقوية البدن ، بل تتجاوز ذلك إلى تثقيف الروح ، ومعرفة الدين والشريعة المنزلة فى القرآن ، بحيث يكون المسلم عارفاً بالإسلام وفى الوقت نفسه مدافعا عنه وداعيا إليه .

وأيضا فإن التدين كقيمة يعد أعلى من أى قيمة أخرى ، كالتجارة أو الحرب أو غير ذلك . والصواب فى ذلك ، وهذا ما كان عليه السلف الصالح ، أنه لا فصل بين رجل الدين ورجل الدنيا ، لأن جميع المسلمين مطالبون بأن يكون لكل واحد منهم حرفة يكسب

منها معاشه ، حتى لا يكون المسلم عالة على غيره ، وفى الوقت نفسه يكون متدينا ، متفقها فى الدين ، ما دام يحفظ القرآن ، ويقيم الصلاة .

* * *

لقد تغير العالم الإسلامى عما كان عليه فى القرن التاسع عشر تغيراً شديداً ، ولا يزال يجرى التغير يتدفق يوماً بعد يوم فى الوقت الحاضر . ونشأ ذلك من التقاء الحضارتين: الغربية المادية المتقدمة والشرقية الروحية الجامدة التقاء عنيفا منذ أكثر من قرن . وعندئذ أخذ قادة الفكر فى الدول الإسلامية ينظرون ويفكرون فى علة تقدم الغرب ، وسبب تأخر الشرق . وأدلى المفكرون بآراء شتى بعضها يذهب إلى أقصى الطرف من التطرف، فيذهب أصحابها إلى وجوب نبذ الثقافة الشرقية جملة وتفصيلا بما فيها الدين والأخذ بالحضارة الغربية واصطناعها كما هى . وبعضها الآخر يتمسك بالطرف الآخر من التطرف ، وهو غلق الباب فى وجه الحضارة الغربية ، والانعطاف على الثقافة القديمة ، بحيث يعيش المسلمون كما كانوا يعيشون منذ ألف عام . ونادى فريق ثالث بموقف متوسط خلاصته أن يأخذ المسلمون بالحضارة الغربية من جهة العلوم والصناعات ، ما دام الإسلام لا يعارض العلم ، وفى الوقت نفسه يحتفظون بتراثهم الروحى والدينى ، باعتبار أن هذا التراث هو الذى يشكل جوهر الأمة أو الجماعة الإسلامية . ومن شاء أن يصور هذه التيارات الحديثة فى الإسلام من داخل الجماعة الإسلامية نفسها ، لاشك سيجد عدداً كبيراً من المفكرين ، أكثرهم ظهر فى مصر فى هذا القرن العشرين ، وكان لهم تأثير عظيم فى العالم العربى كله ، وقد ضرب المؤلف مثلا بالدكتور طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد رشيد رضا ، وغيرهم ممن يمثلون نزعات خاصة . وضرب مثلا كذلك بكاتب اشتهر بكتاباته التحليلية والتجديدية ، وهو مالك ابن بنى . وهذا هو المقصود من قولنا: حالة المسلمين فى نظر أنفسهم .

يقول المؤلف فى ختام الفصل السادس الخاص بالأخذ بالنظم الغربية فى عين العالم الإسلامى ما فحواه : إن مأساة المسلم الذى اصطنع الثقافة الغربية تتألف من شطرين : الأول أنه كلما ازداد نجاح التغلغل الغربى ، ازدادت المقـــاومة السياسية للغرب ، وأكثر من ذلك مقاومة التغيير الغربى الكامل . إن التراجع السياسى من ناحية الغرب ، يجعل الحضارة الغربية تبدو أقل إرضاء . والعودة إلى التراث القديم وبخاصة فى طرائق التفكير والحكم لم تعد صالحة فى الوقت الحاضر . والدفاع عن الماضى ، الذى لا يزال يعيش فى هيئة عادات ثقافية ، أدى إلى ضرب من

الجمود ، أحس به المسلمون أنفسهم كما شعر به الغربيون ، وهو جمود لا يساير الاتجاهات المعاصرة فى الثقافة .

لم يرض المؤلف أن يستخلص من الموقف السابق نتائجه المستقبلة ، لأنه يقف عند حد الوصف فقط ، وعند نقل أفكار المسلمين الذين صوروا المشكلة منذ عقدين من الزمن . ولكن الأمر الآن بالنسبة للعالم العربى الإسلامى قد استقر على وضع لا بلبلة فيه ، لأن الدول العربية بعد استكمال استقلالها عن الغرب واستعماره ، أصبحت مستقلة فى فى عروبتها وإسلامها ، وأخذت تطور العروبة والحياة الإسلامية بما يتلاءم مع العصر الحاضر ، وفى الوقت نفسه اصطنعت الحضارة الغربية التى تستند إلى العلم الحديث . وآية ذلك أن الأزهر نفسه وهو حصن العلوم الإسلامية الشرعية ، أصبح من فروع جامعته الطب والهندسة وغير ذلك من العلوم .

* * *

ومن مشكلات الإسلام فى العصر الحديث ظهور « القوميات » . ففى الماضى كان المسلمون « أمة » واحدة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، لا حدود تحدهم ، ولا قيود تقيدهم ، والبلاد الإسلامية كلها موطنهم ، يساعد على ذلك أن الدين واحد ، واللغة واحدة ، فقد كانت اللغة العربية فى ذلك الزمان أشبه باللغة الإنجليزية فى الوقت الحاضر ، يتفاهم بها جميع الناس ، وإنما ظهرت القوميات حين برزت الدول العربية بوجه خاص ، واستقلت عن تركيا ، وأصبح لكل دولة عربية حدود جغرافية ومصالح اقتصادية ، وعندئذ تفرق المسلمون ، جماعة يتحدثون اللغة التركية ، وجماعة أخرى الفارسية ، وثالثة العربية ، ورابعة الأوردية ، وهكذا . ولا نزاع أن اللغة من أعظم العوامل فى التوحيد .

وقد رجع المؤلف فى مفهوم القومية إلى رأى الأستاذ « لويس ورث » . وفيه يقول : إن القومية عبارة عن قوم يتطلعون إلى فرض سلطتهم على قطعة من الأرض ، والاحتفاظ بأثرهم الثقافى وتوسيع سلطانهم السياسى فى وجه المعارضين لهم ، بحكم اعتقادهم فى ميراث تاريخى وثقافى مشترك ، وتعتمد القومية على الحركات والاتجاهات والأفكار الاجتماعية التى يتميز بها سلوك القوميات المشتبكة فى الصراع الذى يحقق لها تحقيق مركزها فى العالم والاحتفاظ به .

ليس فى التعريف السابق جديد ، وإنما الجديد ما طبقه المؤلف على القوميات الإسلامية فى العصر الحاضر ، والتى يلخصها فى ست نقط هى :

(١) أن وحدة العالم الإسلامى توقفت منذ زمن طويل عن أن تكون وحدة سياسية ،

فهى وحدة تعتمد على حقيقة الرابطة الدينية والاعتقاد فى وجود علاقة ثقافية بين جماعة المؤمنين فى الدول الإسلامية .

(٢) وقد قامت هذه الوحدة فى جوهرها على قيادات ناجحة من طبقات من المحاربين أو من العلماء لهم عقائد معينة وسلوك معين يفرض فرضا على التقاليد المحلية .

(٣) وإذا عدلنا تعريف « ورث » السابق عن القومية أو وسعناه ليشمل الجماعة التى تؤمن بأصلها المشترك أو عقيدتها المشتركة ، فإن الجماعة الإسلامية ، أو « الأمة المحمدية » يمكن أن تندرج تحت هذا التعريف كما تندرج اليهودية ، وعلى عكس المسيحية .

(٤) ولقد هددت الحركات القومية ـ فى أكثر من وقت فى الماضى ـ الوحدة السياسية للإسلام دون أن تمس الوحدة الدينية والثقافية القائمة فى أذهان المسلمين .

(٥) وفى أوقات أخرى حاولت بعض الحركات القومية أن تفصل مناطق كبيرة من دار الإسلام عن سيطرة الثقافة العربية التى كانت تمثل التراث النبوى الدينى ، أو أن يقحموا أفكارهم ورجالهم فى إطار هذه الثقافة العربية وحملتها ، دون مساس باتصال هذه الثقافة ووحدتها .

(٦) هذا ويجب أن نذكر أن إجماع أهل الرأى فى الأجيال الثلاثة أو الأربعة الأخيرة قد اتفق على اعتبار ظهور القومية فى داخل الإســـلام عقوبة نزلت بالمسلمين وسبقت الاستعمار الغربى الذى تغلغل فى دار الإسلام .

* * *

وإذا كان لنا أن نعلق على التحليل السابق دون أن ندخل فى تفاصيل نمو القوميات ، فإنا نقول : إن النظرية التى يذهب إليها المؤلف هى عزل الدين والثقافة عن السياسة . وهذا المبدأ يخالف جوهر الإسلام نفسه ، وباعتراف كثير من المستشرقين أنفسهم ، لأن الإسلام دين للحياة وعقيدة للسلوك من جميع النواحى الاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، أما أولئك الذين ذهبوا إلى وجوب الفصل بين الدين والسياسة ، أو بعبارة أخرى بين الدين والدولة ، فإنما يتشبهون بما حدث لبعض الدول الغربية الأوربية ، وعلى رأسها فرنسا التى قررت منذ الثورة الفرنسية فصل الدين أى إبعاد نفوذ الكنيسة عن الدولة . وحدث مثل ذلك بعد الثورة السوفيتية . وهذه وتلك دول « لا دينية » . وقد حاولت تركيا فى حكم كمال أتاتورك تقليد هذه الدول اللادينية ، فألغت الخلافة ، وعزلت الدين عن الدولة ، ولكن تركيا تأخذ الآن فى طريق العودة إلى الدين تحت ضغط الروح الشعبية ، أى

تحت ضغط الأتراك المسلمين الذين لايزالون متمسكين بالإسلام نصا وروحا .

أما الدول العربية ، وهى دول إسلامية تجمع إلى جانب الدين اللغة العربية، وهى لغة القرآن ، فلم يحدث لهـا ذلك المرض العارض الذى طرأ على الإسلام ونعنى به إبعاد الدين عن السياسة والدولة .

إن الدين من أقوى العوامل فى تماسك الدولة الواحدة ، وهو أيضاً من أقـوى العوامل فى الربط بين الدول ذات الدين الواحد . آية ذلك العدوان الصهيونى على الدول العربية ، التى كانت منقسمة على نفسها، مشغولة بمصالحها ، فإذا بهـا تتحد كلمتها فى مواجهة العدوان الخارجى . وقد انضمت إلى الدول العربية فى هذه المحنة كثير من الدول الإسلامية غير العربية، مثل الباكستان مما يدل على أن الرابطة الدينية فى العالم الإسلامى لا تزال قوية ، ما دام المسلمون متمسكين بعقيدتهم ، مؤمنين بكتابهم ، متبعين أوامر الله ومتجنبين نواهيه .

أحمد فؤاد الأهوانى

بالهول ... لا بالقول !!

وما بفنون الشتم نهزم خصمنا
ولكننا بالبأس والعزم نهزم

وبالهول – لا بالقول – يبصر أكمه
ويشعر جلمود وينطق أبكم

إذا القول لم يحسم قضية أمة
فإن الصواريخ الرهيبة تحسم

على عبد العظيم

من مجلة (الوعى الإسلامى) جمادى الأولى سنة ١٣٨٧

لصوص فى عهد الرسول

لفضيلة الدكتور طه الزينى

بشر وبشير ومبشر من بنى أبيرق كانوا لصوصاً فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم، وكان بشر من المنافقين الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بلسانه، فكان يقول الشعر يهجو به المسلمين وأصحاب الرسول على الخصوص، ثم ينسب ما قاله من الشعر لبعض العرب، ثم يرويه هو على لسان غيره فيقول: قال فلان كذا وقال فلان كذا، ولكن المسلمين كانوا على ذكاء وفطنة فلم يفتهم أن هذا المنافق هو الذى يهجوهم، وهو الذى يقول الشعر وينسبه إلى غيره، فكانوا يقولون فيما بينهم: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث يريدون بشر ابن أبيرق، وكان بشر ينفى التهمة ويضلل الناس حتى لا يهتدوا إليه وكان من دفاعه عن نفسه وتضليله قوله:

أو كلما قال الرجال قصيدة
أضموا (١) فقالوا ابن الأبيرق قالها

وصبر المسلمون على أذاه إلى أن فضحه الله هو وأخويه بالوحى الذى أنزل على رسوله عندما سرقوا متاع رفاعة بن زيد وسلاحه، واتهموا بعض المسلمين بما سرقوه.

قدمت قافلة من الشام تحمل الدقيق فاشترى رفاعة حملا منه ووضعه فى حجرة بها بعض سلاحه: سيفان ودرعان وما يلزمهما من أدوات الإصلاح، فنقب اللصوص الثلاثة الحجرة وسرقوا ما فيها من الطعام والسلاح، وأذاعوا فى الناس أن الذى سرق هو لبيد ابن سهل، وهو رجل من المسلمين صالح يتصف بالشجاعة والأمانة.

فلما سمع لبيد ذلك حمل سيفه وذهب إلى بنى أبيرق وقال لهم: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، فقالوا له: اذهب عنا أيها الرجل فوالله ما أنت بصاحبها.

وكان رفاعة بن زيد الذى سرق طعامه وسلاحه عم قتادة بن النعمان رضى الله عنه، فأتاه رفاعة ورجاه أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغه بالسرقة حتى ينظر فى أمر أصحابها، فعلم اللصوص بذلك فأرسلوا رجلا منهم فى جماعة من أهل حيهم يدافع عنهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصفون اللصوص بأنهم أهل إسلام وصلاح، وهم الرسول أن يقتنع ببراءتهم، ولكن الله المطلع على السر والعلن لا يحب

(١) أضموا: غضبوا.

الظالمين ، ولا يصلح عمل المفسدين أنزل الوحى على النبى فى ذلك مبينا أن هؤلاء اللصوص هم السارقون ، وأنهم يحاولون تضليل الرسول والمؤمنين وعاتب نبيه على همه باعتقاد براءتهم قال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل من الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا » .

ثم وبخ الله تعالى الذين حاولوا الدفاع عنهم ، وذهبوا إلى الرسول وأخبروه بأنهم أهل صلاح وتقوى ، وبين لهم أن هذا الدفاع فى الحياة الدنيا غير ممكن يوم القيامة لأن الله العليم القدير هو الذى يحاسب وهو الذى يجازى قال تعالى (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ؟) ثم بين للسارقين الذين وقعوا فى الخطيئة أنه كان الأولى والأجدر بهم أن تعترفوا بخطئهم ويردوا المال إلى أصحابه ثم يستغفروا ربهم وسيجدونه عفوا غفورا لذنوبهم رحيما بهم ، قال تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقد دلت الأحاديث على أن الاستغفار والتوبة لا يستجابان إلا إذا ردت حقوق العباد لأربابها كرد المسروق والمغصوب والمختلس ، واستسماح من أوذى أو لحقه ضرر غير مالى بسبب المعصية .

ثم بين الله تعالى للناس أن الذى يذنب ذنبا أو يقع فى معصية فإنما يؤذى نفسه لأن عقابها عليها لا على غيرها من الناس ، والعاقل هو الذى يدفع الضرر عن نفسه ولا يجلبه لها ، والله عليم بكل ما يفعله عباده سرا وجهرا حكيم فيما يفعل فلا يوقع العقوبة بغير المذنب قال تعالى : (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) .

ثم بين سبحانه وتعالى أن الذى يكسب إثما ويجبن عن تحمل آثاره ويرمى به غيره كذبا وظلما يكون قد اقترف معصية أخرى أعظم من المعصية الأولى ووقع فى خطيئة أكبر من الخطيئة الأولى والسرقة التى حدثت هنا تسببت فى ضرر ثلاث نفوس : الأولى السارق لأنه آذى نفسه بالمعصية ، والثانية المسروق لأنه فقد طعامه وسلاحه ، والثالثة الذى اتهم بها ظلما ، والله تعالى عليم بكل شىء يشتد غضبه على العاصى الذى لا يكتفى بضرر نفسه بل يتعدى ضرره إلى البرىء الذى لم يقترف إثما ولم يرتكب معصية ، قال تعالى

(ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) .

ثم بين الله تعالى فضله على نبيه الكريم بإظهار الحق بوحيه وقرآنه الذى أنزله عليه، ولولا ذلك لجار الرسول فى حكمه ، ووضع التهمة فى غير أصحابها ، فعصمه الله من ذلك وأخبره بالحقيقة ، وحذره من الذين يريدون ضلاله وزيفه عن الحق ، وبين أنهم لا يضلون النبى ولا يضرونه، وإنما يضلون أنفسهم ويضرونها لأن الله تعالى سيفضحهم بإظهار الحق، وعندئذ تسود وجوههم ويتعرضون للذلة والمهانة فى الدنيا فضلا عن العذاب فى الآخرة ، قال تعالى: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم، وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) .

فلما نزلت هذه الآيات أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح فأعطاه إلى قتادة ابن النعمان ليسلمه إلى عمه ، قال قتادة : فلما أتيت عمى بالسلاح وكنت أرى إسلامه مدخولا قال : يابن أخى، هو فى سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً .

ولم يحتمل المنافق بشر بن أبيرق هذه الصدمة فعاد إلى الشرك ولحق بالمشركين ونزل على سلافة بن سعد . فأنزل الله تعالى فى شأنه : «ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » ، وهجا حسان بن ثابت رضى الله عنه سلافة وشهر به لأنه يؤوى المرتدين ، ويحمى الكافرين ، وكان مما قال فى ذلك :

فقد أنزلته بنت سعد وأصبحت
ينازعها جلداشها وتنازعه
ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم
وفينا نبى عنده الوحى واضعه

فلما سمعت بنت سلافة شعر حسان حملت رحله ومتاعه على رأسها فألقته بالأبطح ، وطردته عن بيتها وقالت لبشر : أهديت إلى شعر حسان ، ما كنت تأتينى بخير فترك جوار سلافة هائما على وجهه يتخبط فى الصحراء .

وهكذا تكون عاقبة المنافقين والمشركين فى الدنيا ، ولهم الويل يوم القيامة من عذاب أليم . ويؤخذ من هذه القصة : أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر لا يعلم الغيب إلا بإعلام الله له وأنه لا يتصرف فى أموره إلا بإذن الله ، وأن التوبة من المعاصى أفضل من التمادى فيها لأن الله غفار للذنوب رحيم بالعباد ، ولكنه شديد العقاب لمن لا يتوب إليه ولا يرجع عن غيه ، قال تعالى : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » ؟

د . طه الزينى

الكتب

دراسة فى قضية تعدد الزوجات

كتاب الدكتور عبد الناصر توفيق العطار
عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

(يقع هذا الكتاب فى ثلاثمائة وثمانى صفحات من القطع الكبير ، وطبعته ونشرته دار الفكر العربى) وهو دراسة مستفيضة وعادلة فى قضية تعدد الزوجات ، من النواحى الاجتماعية والدينية والقانونية .

والمؤلف مدرس للقانون المدنى بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

وفى هذه الدراسة تناول المؤلف هذه القضية تناولا منهجيا فى تحليل علمى دقيق ، اتسم بالحيدة المطلقة البعيدة عن مختلف المؤثرات التى قد تأخذ بالباحث - لاشعوريا - إلى غير جادة الحق ؛ فكان أمينا فى عرض التاريخ ، كما كان أمينا فى عرض وجهات النظر على اختلاف المنازع ، رشيداً فى مناقشتها ، متطلعا إلى الحق - والحق فى ذاته - حتى جلاه لطالبيه بينا واضحا .

والمنهج الذى رسمه المؤلف لنفسه فى هذه الدراسة هو منهج العلماء الذين يحترمون حق العلم عليهم ؛ إذ تناول القضية جذريا وسلك الطريق لاحبا .

ففى التمهيد للدراسة عرض لمدى ما لصلة قضية تعدد الزوجات بقضايا تحرير المرأة ، وقدم آراء مؤيدى التعدد وآراء معارضيه ، ووزن الرأيين بميزان دقيق ، وبين الفوارق بين الرجل والمرأة ، وركز على تعدد الزوجات للرجل ، وعدم تعدد الأزواج للمرأة فقال :

« وإذا نزلنا إلى الواقع وجدنا أن سنة الله فى الكون جعلت نظام الزوجة الواحدة والزوج الواحد يصلح لكل من الرجل والمرأة .. إلا أنها فرقت بعد ذلك بين المرأة والرجل ، فجعلت المرأة لا يصلح لها نظام تعدد الأزواج .. ذلك أمر واضح من وجود رحم للمرأة معد للإنجاب ، يتأثر بما يقذف فيه من ماء الرجل بحسب المجرى العادى للأمور ؛ بينما لم يكن للرجل مثل ذلك الرحم منذ بدء الخليقة ولن يكون ! وبالتالى تعارضت طبيعة المرأة مع نظام تعدد الأزواج ، خشية أن يأتى الجنين من دماء متفرقة ، فيتعذر تحديد المسئول عنه اجتماعيا وقانونيا ، على أساس من الواقع ومن الحق ؛ بينما صلحت

طبيعة الرجل لأن يأتى زوجات متعددات ليس لهن إلا هذا الزوج الواحد، فيأتى الجنين من نطفة واحدة فيسأل عن رعايته اجتماعيا وقانونيا ودينيا» .

وفى القسم الأول من الدراسة قدم أسباب تعدد الزوجات ومبرراتها ، ثم عرض آراء مانعى التعدد ومبيحيه ، وعلاقة هذه الآراء بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية فى تحقيق علمى أصيل وعميق ، وناقش آراء القائلين بمنع التعدد مناقشة قائمة على المنطق المحايد والبرهان التجريدى ، وأبطل ما يتذرعون به من ارتفاع نسبة التعدد فى مجتمعنا ؛ إذ قدم خلاصة بحث ميدانى على الطبيعة أجراه معهد الدراسات والبحوث الإحصائية التابع لجامعة القاهرة . وكان هذا البحث فى يوليو سنة ١٩٦٥ ببلدة (سنديون) إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبية، اتضح منه أن نسبة التعدد فى هذه القرية ٣٫١ ٪ وليست كما يصوره المؤيدون لفكرة التقييد تصويراً مزعجا ، ابتغاء هدف معين .

بل قد أسفر البحث عن نتائج هامة بالنسبة لعلاقة تعدد الزوجات بزيادة السكان فى هذه القرية ، تخلص إلى أن تعدد الزوجات قد يؤدى إلى نقص فى الكفاءة العددية للإنسال ، وعلل الأستاذ المؤلف لذلك تعليلا علميا .

وفى القسم الثانى عرض هذه القضية فى الأديان السماوية المعروفة حسب ترتيبها فى الوجود (اليهودية - المسيحية - الإسلام) وانتهى إلى أن الأديان السماوية فى أصولها ، لم يرد فيها ما يحرم التعدد ، ورد ما حاول به البعض أن يلصقه بالإسلام ، وأن نصوصه تطاوع المنع أو التقييد على الأسلوب الذى يريدون، وختم هذا القسم بقوله : «هذه هى شريعة الإسلام التى تخاطب جميع الناس وسائر الأجيال ، فيها من السعة والمرونة ما يرضى المعتدل وما يهذب المفرط . فيها من النظم ما يعالج الانحراف وما يعين على الإصلاح» .

والقسم الثالث - والأخير - من الكتاب قدمه فى فصلين :

الفصل الأول يستعرض فيه المؤلف تعدد الزوجات فى القوانين الوضعية فى البلاد العربية والإفريقية والأوربية . ويتناول - أولا - تعدد الزوجات فى العالم العربى . وقد قسم قوانين هذه البلاد بالنسبة للقضية إلى ثلاث فئات .

(ا) الفئة الأولى تأخذ بنظام تعدد الزوجات فى نطاق الاحكام الدينية ، بالنسبة للمسلمين ، وهذا الاتجاه ماثل فى الكويت والسعودية واليمن والسودان وليبيا والجزائر والأردن والعراق ولبنان ومصر أيضا .

(ب) الفئة الثانية تقيد تعدد الزوجات

بالنسبة المسلمين بقيود لم يجر العمل بها من قبل ، وهذا الاتجاه نجده فى المغرب وسوريا. وبعض هذه القيود يخالف أحكام الشريعة الإسلامية .

(ج) الفئة الثالثة تحرم تعدد الزوجات على المسلمين وتجعل ممارسته جريمة معاقبا عليها . وهذا الاتجاه نجده فى تونس .

والأستاذ المؤلف غير مقتنع بهذا الاتجاه ، ويرى أن « تحريم تعدد الزوجات على المسلمين حكم جديد على المجتمع الإسلامى فى تونس ، الذى كان يطبق الشريعة الإسلامية إلى عهد قريب » .

كما يرى أن هذا « حكم يخالف صريح نص القرآن الكريم وما جرت به السنة وانعقد عليه إجماع المسلمين وما تعارفوا عليه من إقرار إباحة تعدد الزوجات » .

ويعلل هذا الاتجاه فى تونس بأنه مظهر من مظاهر الانتصار فى معركة الغزو الفكرى والنفسى بهذا الاستفهام : « فإلى أى مدى تزحزح الحرب النفسية والفكرية والاجتماعية البلاد الإسلامية عن مواقع الإسلام ونظمه وحصونه التربوية والاجتماعية والدينية » ؟!

وفى بعض البلاد الأوربية يتناول نظام التعدد تناولا خاطفا فى بضعة سطور عدا (فرنسا) التى شغل نظامها ما يزيد على صفحة من الكتاب .

وفى البلاد الأوربية التى تناول الأستاذ نظمها فى هذه القضية ، تمنع قوانينها أن يتزوج الرجل بأكثر من زوجة « ويلاحظ أن التشريعات الفرنسية تخفف من أثر تحريم تعدد الزوجات لعدة أمور ، منها أن هذه التشريعات لا تعاقب على كثير من العلاقات الجنسية التى تتم بالتراضى بين الرجل والمرأة ، ودون زواج ... كذلك يجوز الاعتراف بالنسب الشرعى لأبناء يولدون من علاقة غير شرعية » !

ومعظم الشعوب الإفريقية تأخذ بنظام التعدد ، وقد أشار الأستاذ المؤلف إلى ما تبذله الجماعات التى تبشر بالمسيحية فى أفريقيا من جهود كبيرة فى محاربة تعدد الزوجات ، على ما تلقاه هذه الجهود من صعوبات . على أن الأمر لم يقتصر على جهود المبشرين المسيحيين ، بل بذلت السلطات الاستعمارية ـ فى أفريقيا ـ جهداً كبيراً فى محاربة تعدد الزوجات بشتى الوسائل ، من إصدار المراسيم والقوانين ، إلى فرض الضرائب .

وقال الأستاذ المؤلف : « إن أول من تكلم فى تعدد الزوجات فى مصر كان (اللورد كرومر) الإنجليزى » . وكان المجال ينادى المؤلف ـ فى إصرار ـ أن يستبطن العوامل التى حدت باللورد إلى إثارة قضية منع التعدد وهى بعيدة كل البعد عن عمله كرجل سياسى.

وحاول الأستاذ المؤلف أن يعلل رغبة السلطات الاستعمارية فى سعيها الحثيث ، إلى القضاء على مظهر تعدد الزوجات ، وقد لمس الحقيقة حين قال : إن عمل هذه السلطات هو « الرغبة فى فرض طريقة الحياة والقيم الأوربية على الأفريقين » . وإن كنت أرى أن هذه الرغبة ليس مبعثها اعتقاد الأوربيين بأن تقاليدهم وقيمهم هى وحدها التى تتفق والمدنية وأن ما عداها همجية ووحشية .

ولعل وجه الحق يكاد يبدو فيما قاله عن (بلجيكا والبرتغال) - وهما الدولتان اللتان اتخذتا إجراءات مشددة لتحريم تعدد الزوجات فى مستعمراتهما الإفريقية - إنهما « دولتان يغلب عليهما التعصب الدينى » .

الفصل الثانى . ويعرض فيه تعددالزوجات فى القانون المصرى ، والاتجاهات المؤثرة ، والقيود المقترحة ، وقد عاد بالقيود المقترحة إلى الفترة التى بدأت فيها الضجة حول هذه الظاهرة الوافدة فى خبث ماكر ، استند أنصارها إلى رأى للشيخ محمد عبده ، وحاول محاولات فى الدفاع عن الشيخ .

ثم عرض وجهات نظر الذين يدعون إلى تقييد التعدد منذ ظهور الفكرة حتى أيامنا هذه التى نعيشها ، وناقش ما يتذرع به هؤلاء مناقشة معتدلة قامت على الروية والمنطق السليم ، حتى أبطل حججهم ، وانتهى إلى « أن الإسلام لم يترك تعدد الزوجات بغير تنظيم تفصيلى ، وقد تضمن أحكاما لا نراها إلا وافية بتنظيم تعدد الزوجات ؛ لأن الإسلام لا يقر أن يكون هناك مذهب أو عالم أو حاكم أو إنسان ينتمى إليه يبدل فى حلاله وحرامه أو يغير فى أحكامه ، متعللا بمصلحة ما ، وليست كل مصلحة يتوهمها فرد أو تحس بها جماعة ، تجيز تغيير حكم من أحكام الإسلام ، أو تقييد مباح فيه ؛ لأن حلال الإسلام حلال إلى يوم الدين » .

وقدم المؤلف قياسا فيه عبرة للذين يرون أن المصلحة تقضى بتقييد التعدد فقال: «ولقد كان عهد ظن الناس فيه أن مصلحتهم -أفرادا وجماعات- فى التعامل بالربا لإنعاش اقتصادياتهم واليوم يلفظ الناس هذا النظام فى كثير من المناطق ، بعد أن وضح لهم ما فيه من سوء استغلال ، ولقد ظل الإسلام وظل علماؤه يحاربون الربا مهما توهم الناس المصلحة فيه حتى استبان طريق الحق ، وبدأ فريق من الاقتصاديين يؤمنون .. »

ثم أوضح المؤلف الأخطار التى تترتب على إشراف القضاء وتدخله فى هذه القضية - قضية التعدد - وبين أن ذلك يخالف طبيعة العمل القضائى أيضاً . حيث القاضى بشر لا يستطيع استكناه دخائل النفوس .

وفى معرض تعزيز وجهة نظره فى هذه

القضية . قدم ما انتهى إليه (مجمع البحوث الإسلامية) فيها ، حيث أصدر المجمع قرارا فى ذلك صريحاً وواضحاً ، ينص على أنه « بشأن تعدد الزوجات ، يقرر المؤتمر أن تعدد الزوجات مباح بصريح نصوص القرآن بالقيود الواردة فيه ، وأن ممارسة هذا الحق متروكة إلى تقدير الزوج ، ولا يحتاج فى ذلك إلى إذن القاضى » . ثم عقب المؤلف على هذا القرار بقوله : « وقد رأيت أن قرار المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية قد جاء متفقا مع أحكام الإسلام السابق بحثها ، متناسقا مع أدلتها ، ومن هذا الجانب يكتسب قرار مجمع البحوث الإسلامية احترامه بين المسلمين. فهل آن لنا أن نجعل للحق بيننا مقاما ، وللعلم مكانة واحتراما ؟ ! » .

ويرى المؤلف الفاضل - وما يراه حق لا مرية فيه - ضرورة إصلاح الأجهزة القائمة على رعاية الأسرة ، وقال : « لقد أنزل الله لنا أفضل دين وأحسن شريعة ، وهدانا إلى صراطه المستقيم ، ولا يبقى بعد ذلك سوى أن نهتم بالتطبيق الصحيح ؛ إذ لا أهمية لحكم شرعى أو قانونى إلا إذا أحسن تطبيقه ، وأجيد العمل به ، فالعبرة - إذن - بالتطبيق حتى يؤتى مثل هذا الحكم ثمرته ، ويحقق الغاية المرجوة منه » .

وفى نهاية مطافه يهتف بالشاردين : أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، حيث وضح أن الذين يصورون تعدد الزوجات بغير ما فيه ضالون أو مضلون ، والذين يحسبون أن تعدد الزوجات أمر يهم المرأة وحدها واهمون أو مخطئون ، والذين يظنون فى تنفير الناس من تعدد الزوجات ما قد يشكك الناس فى دينهم .. أمثال هؤلاء غافلون أو مغفلون ! !

والحق أن الأستاذ المؤلف كان كما قال عن منهجه فى البحث وأسلوبه : « لقد شرعت فى هذه الدراسة محايدا أحاول أن أتعرف على آراء أنصار تعدد الزوجات وآراء خصومه على سواء تاركا للدليل والحجة والبرهان مهمة الترجيح بين الآراء المختلفة ... لقد كنت بعيداً عن إثارة العواطف ، محاولا البحث عن الدليل ، متذرعا بالصبر ، واقفاً بتأمل عند كل برهان ، أحاول أن أقرع الحجة بالحجة ، لأسمع صوت الحق من بينهما » .

والحق - مرة أخرى - أن الأستاذ المؤلف أقام بحثه على قواعد منهجية أصيلة ، تواكبه الأمانة العلمية فى مسيره المستأنى الطويل ؟

يوسف عبد الهادى الشال

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

- ١١ -

تفسير : فتح البيان فى مقاصد القرآن

للشيخ محمد صديق حسن خان

(المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م)

(عشرة أجزاء ــ الطبعة الثانية ــ السنة ١٩٦١ م القاهرة)

(٢)

أورد المؤلف رحمه الله أقسام التفسير بالإجمال ، ثم تطرق إلى أنواع التفسير بالرأى والتفسير المعتبر عنده ، قال :

« وفيه ـ التفسير بالرأى ـ خمسة أنواع ، الأول : التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير ، والثانى : تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، والثالث : التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلا ، والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأى طريق أمكن وإن كان ضعيفا ، والرابع : التفسير بأن مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل ، والخامس : التفسير بالاستحسان والهوى والتقليد » . ثم قال : « إن التفسير الذى ينبغى الاعتداد به والرجوع إليه ، هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية ، حقيقة ومجازا ، إن لم تثبت فى ذلك حقيقة شرعية ، فإن ثبتت فهى مقدمة على غيرها ، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو أقدم من كل شىء ، بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشىء آخر ، ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب الله تعالى ولم يسمع فى ذلك شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقها وجلها .

وأما تفاسير غيرهم من التابعين ومن بعدهم ، فإن كان من طريق الرواية نظرنا فى صحتها ، سواء كان المروى عنه الشارع أو أهل اللغة ، وإن كان بمحض الرأى فليس ذلك بشىء

ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة ، بل الحجة ما قدمنا ، ولا نظن بعالم من علماء الإسلام أن يفسر القرآن برأيه ، فإن ذلك مع كونه من الإقدام على مالا يحل بما لا يحل قد ورد النهى عنه فى حديث « من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ، ومن فسر القرآن برأيه فأخطأ فقد كفر » أو كما قال : إلا أنا لم نتعبد بمجرد هذا الإحسان للظن على أن نقبل تفسير كل عالم كيفما كان ، بل إذا لم نجده مستندا إلى الشارع ولا إلى أهل اللغة لم يحل لنا العمل به مع التمسك بحمل صاحبه على السلامة ، ونظير ذلك اختلاف العلماء فى المسائل العلمية ، فلو كان إحسان الظن مسوغا للعمل بما ورد عن كل واحد منهم ، لوجب علينا قبول الأقوال المتناقضة فى تفسير آية واحدة أو فى مسألة علمية ، واللازم باطل فالملزوم مثل » .

وللمؤلف رحمه الله بحث شيق فى الفرق بين التفسير والتأويل ، فيقول : والقرآن الكلام العربى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المنقول تواترا ، ودليله الكتاب والسنة ولفظ العرب العرباء ، واستمداده من علمى أصول الدين والفقه ، وهو قسمان : تفسير — وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول ، وتأويل — وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية ، فهو مما يتعلق بالدراية . والسر فى جواز التأويل بشروطه دون التفسير ، إن التفسير كشهادة على الله ، وقطع بأنه عنى بهذا اللفظ ولا يجوز إلا بتوقيف ، ولذا جزم الحاكم بأن تفسير الصحابى مطلقا فى حكم المرفوع ، والتأويل ترجيح لأحد المحتملات بلا قطع فاغتفر ، أفاد ذلك جماعة من أهل العلم ذكرهم سليمان الجمل فى حاشية الجلالين .

وأضاف المؤلف بحثه فى التفسير والتأويل قائلا : وأصل التفسير من التفسرة ، وهو الدليل الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض . كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها . واشتقاق التأويل من الأول وهو الرجوع ، يقال أولته فآل ، أى صرفته فانصرف ، والفرق بينهما أن التفسير موقوف على النقل المسموع ، والتأويل موقوف على الفهم الصحيح .

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا فى شىء من العلوم ، ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه ، كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لاغير ، مع أن فيه تبيان كل شىء ، فالنحوى تراه ليس له إلا الإعراب ، وتكثير الأوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة ، وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط ، وأبى حيان فى البحر والنهر ، والأخبارى ليس له شغل إلا القصص

واستيفاؤها ، والأخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة ، ومنهم الثعلبي ، والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعا ، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التى لا تعلق لها بالآية أصلا ، والجواب عن الأدلة للمخالفين كالقرطبي وصاحب المظهرى ، وصاحب العلوم العقلية خصوصا فخر الدين الرازى قد ملأ تفسيره بأقوال الفلاسفة والحكماء ، وخرج من شىء إلى شىء حتى يقضى الناظر العجب ، قال أبو حيان فى البحر : جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء « فيه كل شىء إلا التفسير » .

وقد تعطى الأمثلة القليلة الآتية صورة عامة عن طريقة صاحب فتح البيان فى تفسيره للآيات القرآنية بطريقى الرواية والدراية ، وكذلك كلامه على بعض المسائل العويصة التى اشتغل بها المفسرون ، مثل الحروف التى فى أوائل السور وإيجاد المناسبة بين الآيات والسور وغيرهما . وقال المؤلف فى تفسير « الم » - بعد أن أورد أقوال كثير من المفسرين وأهل التأويل فى الحروف التى فى أوائل السور - أقول : هذا التدقيق لا يأتى بفائدة يعتد بها ، وبيانه أنه إذا كان المراد منه إلزام الحجة والتبكيت كما قيل . فهذا متيسر بأن يقال لهم : هذا القرآن هو من الحروف التى يتكلمون بها ليس من حروف مغايرة لها فيكون هذا تبكيتا وإلزاما يفهمه كل سامع منهم من دون إلغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف فى فواتح تسع وعشرين سورة ، فإن هذا مع ما فيه من التطويل الذى لا يستوفيه سامعه إلا بسماع جميع هذه الفواتح هو أيضا مما لا يفهمه أحد من السامعين ولا يتعقل شيئاً منه ، فضلا أن يكون تبكيتا له وإلزاما للحجة إياه ، ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التى تركبت لغة العرب منها ، وذلك النصف مشتملا على أنصاف تلك الأنواع من الحروف المتصفة بتلك الأوصاف هو أمر لا تتعلق به فائدة لجاهلى ولا إسلامى ولا مقر ولا منكر ولا يصلح أن يكون مقصداً من مقاصد الرب سبحانه الذى أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به .

واستطرد المؤلف قوله : وإذا عرفت هذا فاعلم أن من تكلم فى بيان معانى هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ما أراد الله عز وجل ، فقد غلط أقبح الغلط ، وركب فى فهمه ودعواه أعظم الشطط ، فإنه إن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعا إلى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت ، فإن العرب لم يتكلموا بشىء من ذلك ، وإذا سمعه السامع منهم كان معدوداً عنده من الرطانة ، ولا ينافى ذلك أنهم قد يقتصرون على حرف أو حروف من الكلمة التى يريدون النطق بها ،

فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن تقدمه مايدل عليه ويفيد معناه بحيث لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره ، ومن هذا القبيل ما يقع منهم من الترخيم ، وأين هذه الفواتح الواقعة فى أوائل السور من هذا .

وإذا تقرر لك أنه لا يمكن استفادة ما ادعوه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ إلا أحد أمرين :

الأول : التفسير بمحض الرأى الذى ورد النهى عنه والوعيد عليه ، وأهل العلم أحق الناس بتجنبه ...

والثانى : التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع ، وهذا هو المهيع (١) الواضح والسبيل القويم ، فمن وجد شيئاً من هذا فغير ملوم أن يتكلم بما وصل إليه علمه ومن لم يبلغه شىء من ذلك فليقل لا أدرى أو الله أعلم بمراده ، فقد ثبت النهى عن طلب فهم المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه ، مع كونه ألفاظاً عربية وتراكيب مفهومة ، وقد جعل الله تتبع ذلك صنيع الذين فى قلوبهم زيغ ، فكيف بما نحن بصدده فإنه ينبغى أن يقال فيه أنه متشابه المتشابه على فرض أن للفهم إليه سبيلا ولكلام العرب فيه مدخلا ، فكيف وهو خارج عن ذلك على كل تقدير » .

ثم أورد المؤلف ما جاء من بعض الروايات عن الصحابة وغيرهم عن هذه الحروف ، كما أكد بأنه لم يثبت شىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الفواتح يصلح للتمسك به ، واختتم رأيه ولخصه كالآتى : « والذى أراه لنفسى ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة ألا يتكلم بشىء من ذلك ، مع الاعتراف بأن فى إنزالها حكمة لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدى إليها أفهامنا ... » .

وأما طريقة تفسيره للآيات واستخراج نتائجها وتوضيح معانى مفرداتها فكلها نافعة جداً ومشتملة على الفوائد التى لم تشتمل عليها كتب معظم علماء التفسير ونذكر على سبيل المثال تفسيره رحمه الله لقوله تعالى : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » ، فقال : « ومعنى ضرب الذله والمسكنة إلزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستمراً لا يفارقهم ولا ينفصل عنهم مع دلالته على أن ذلك مشتمل عليهم اشتمال القباب على من فيها أو لازم لهم لزوم الدرهم المضروب لسكته . وهذا الخبر الذى اخبر الله تعالى به وهو معلوم فى جميع الأزمنة ، فإن اليهود أقمأهم الله ، أذل الفرق وأشدهم مسكنة وأكثرهم تصاغرا ... ومن تمسك منهم بنصيب من المال وإن بلغ فى الكثرة أى مبلغ فهو متظاهر بالفقر مرتد بأثواب المسكنة ليدفع عن نفسه أطماع الطامعين فى ماله إما بحق

---

(١) الطريق الواسع البين .

كتوفير ما عليه من الجزية أو بباطل كما يفعله كثير من الظلمة من التجارى على الله، بظلم من لا يستطع الدفع عن نفسه ، فلا ترى أحداً من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود ، كأنهم فقراء وإن كانوا أغنياء مياسير ... » .

ثم أوضح ـ رحمه الله ـ أن جميع الجرائم التى ارتكبها اليهود فى حق الأنبياء ، بل وكفرهم بآيات الله ، مرده حب الدنيا وجمع المال واتباع الهوى ، فى ضوء قوله تعالى : « وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق » ، إذ قال : ويمكن أن يقال أنه ليس بحق فى اعتقادهم الباطل ، لأن الأنبياء لم يعارضوهم فى مال ولا جاه ، بل أرشدوهم إلى مصالح الدين والدنيا ، كما كان من شعيب وزكريا ويحى ، فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون ، وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى .

وعن ابن مسعود قال : « كانت بنو إسرائيل فى اليوم تقتل ثلاثمائة نبى ثم يقيمون سوق بقلهم فى آخر النهار » .

وجاء فى خاتمة الكتاب للمؤلف : « وإلى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فنى الرواية والدراية ، الرافع من ألوية التحقيق والتنقيح أعظم راية ، وكان الفراغ منه ضحوة يوم الجمعة ليلة التاسع والعشرون من شهر ذى الحجة سنة تسع وثمانين بعد مائتين وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، اللهم كما مننت على بإكمال هذا التفسير وأعنتنى على تحصيله وتفضلت على بالفراغ منه على ما أردت فامنن على بقبوله واجعله لى ذخيرة خير عندك وأجزل لى المثوبة بما صرفت الوقت فى تحريره كما قلت فى كتابك : « إنى لا أضيع عمل عامل منكم » ، وكما قلت فى هذا الباب :

كل يجىء بكسبه وكتابه
يوم القيامة آخر الأزمان
فى حضرة الرحمن جل جلاله
عم الورى بالعفو والغفران
ويجىء هذا العبد وهو مقصر
بكتابه التفسير « فتح بيان »

ثم اللهم انفع به من أخلفه من بعدى من ولدى ومن شئت من عبادك المؤمنين ، ليدوم لى الانتفاع به بعد موتى ، فإن هذا هو المقصد الجليل ، والمطلب الجميل ، من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصاً لوجهك الكريم » .

وهكذا أتى « فتح البيان فى مقاصد القرآن » تفسير رواية ودراية على منهج جديد اختاره المؤلف ومزايا عديدة جمعها من تفاسير متعددة مع زوائد الفرائد وبدائع الفوائد ؟

(يتبع)

محيى الدين الألوائى

أنباء وآراء

● ورد إلى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ردود السفارات الإسلامية على نداء الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى وجه إلى العالم الإسلامى باسم مجمع البحوث الإسلامية يدعوهم فيه إلى مجابهة العدوان الإسرائيلى وتحرير الأماكن المقدسة ورفض تدويلها . وعبرت هذه الردود عن المشاعر الأصلية للمسلمين وتكاتفهم مع العرب فى معركة المصير .

● توحيد المناهج الدينية فى العالم الإسلامى :

تدرس مراقبة البحوث النشر بمجمع البحوث الإسلامية مناهج التعليم الدينى لمختلف المراحل التعليمية فى العالم الإسلامى تمهيداً لتوحيد هذه البرامج . وذلك تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية بتوجيه البرامج الدراسية والثقافية الوجهة الإسلامية الصحيحة .

وقد تلقت الأمانه العامة المناهج الدينية من سبع عشرة دولة ، ولا تزال بقية المناهج تفد إليها .

● موسوعه مفهرسة للأحاديث النبوية :

أصدر مجلس مجمع البحوث الإسلامية قراراً بتشكيل لجنة لوضع موسوعه مفهرسة للأحاديث النبوية وتتكون هذه اللجنة من بعض علماء الأزهر المشتغلين بالحديث . وسوف تبدأ عملها قريبا بإذن الله .

● مرجع جديد فى موضوعات القرآن الكريم :

تتولى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تحقيق وطبع كتاب (أوضح تفصيل لآيات التنزيل) للمرحوم الأستاذ على صالح ، والكتاب مؤلف ضخم يقع فى أربعة أجزاء من القطع الكبير ، ويشتمل على عشرين بابا تتناول تسعمائة وخمسين فصلا عن موضوعات القرآن الكريم وأغراضها ومقاصدها .

والكتاب يضيف إلى المكتبة القرآنية ثروة نافعة مباركة ، يفيد منها الخطيب والأديب ، والعالم والكاتب ، والواعظ والداعية والمسلم وغير المسلم .

● ترجمة كتاب «الإسلام عقيدة وشريعة» :

تقوم مراقبة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بترجمة كتاب « الإسلام عقيدة وشريعة » إلى اللغة الإنجليزية لتيسير الانتفاع به للناطقين بهذه اللغة من المسلمين وغير المسلمين .

والكتاب للمغفور له الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، ويمتاز بشرح وتحليل شعبتى الإسلام فى أسلوب علمى متأدب ، كما يمتاز بفلسفة جانبى الإسلام النظرى والتنظيمى فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

● كتاب المؤتمر الثالث :

أصدرت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الكتاب الثالث لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، باللغتين العربية والإنجليزية ، ويضم الكتاب اثنى عشر بحثا أعدها أعضاء المجمع ونوقشت فى اجتماعات المؤتمر وتشمل : القرآن فى التربية الإسلامية - العفو فى القرآن الكريم - مكانة السنة فى بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما يثار حولها من شبهات ، كما شملت البحوث : الحديث وقيمته العلمية والدينية - الاقتصاد الإسلامى والاقتصاد المعاصر - المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام - تحديد أوائل الشهور القمرية - تنظيم الانتفاع بالذبائح فى موسم الحج ...

● بدأت ترد إلى الأمانة العامة للمجمع ردود السادة العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية على الاستفتاء الموجه إليهم فى شأن بعض مسائل التأمين .

● تدرس الأمانة العامة للمجمع فى الوقت الحاضر : الأخذ بمبدأ بيع الكتب والبحوث الصادرة عن المجمع ، وكذلك الوسائل العملية الكفيلة بتحقيق ذلك رغبة فى تعميم النفع بها .

● ترجم الأستاذ الدكتور بيارد دودج - لحساب جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة - كتاب « الفهرست » لابن النديم . ففى نهاية هذا الشهر تتسلم المطبعة الجزء الأول . وينتهى المترجم من مراجعة الجزء الأخير منه مراجعة نهائية قريباً .

الأستاذ بيارد دودج Bayard Dodge (برنستون - نيوجرس) أمضى فترة فى القاهرة ، ومن أصدقاء العرب المهتمين بالشئون الإسلامية . وقد أخرج كتاب « الأزهر » وهو كتاب قيم فى بابه قامت (مجلة الأزهر) بالكتابة عنه ، والتنويه به ، وعرضه فى عدد صفر ١٣٨٧ - يونيو ١٩٦٧ ، فى باب (ما يقال

عن الإسلام) الذى يعده ويقدمه الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . وقد تلقى سيادته خطابا من المؤلف يشكره على هذا العرض والنقد نقتطف منه هذه الكلمات :

« إننى أهنئك على القيام بعرض واختصار تاريخ فترة طويلة بطريقة جذابة . إننى أظن أن الجامع القديم تطور ، وأن شباب الجيل الجديد فى القاهرة ربما لا يهتم بتاريخه الرومانتيكى وأهميته البالغة ، مع أن كتابى عن تاريخه قد كتب فى الواقع للأمريكيين الذى لا يعرفون عن الإسلام إلا القليل ، ويسرنى أن أصرح بأن ١٥٠٠ نسخة منه قد بيعت فعلا . وهذا يدل على أن الناس هنا تواقون لمعرفة ما يمكن أن يعرفوه عن الإسلام والمسلمين » .

آراء :

رابطة عالمية لمتخرجى الأزهر الشريف

جاءنا من فضيلة مفتى جبل لبنان الشيخ محمد على الجوزو الاقتراح التالى ، وقد بدأه فضيلته بقوله :

الأزهر الشريف كما هو معروف يضم ستين ألفا أو يزيد من أبناء العالم الإسلامى فى الوقت الحاضر ، يتلقون الثقافة الإسلامية بمختلف فروعها ، وينالون من مأدبته السخية الفنية ما يقوى عقولهم وأجسادهم ، فهم ينهلون من ينابيع العلم المثرة ، ويجدون العون المادى الذى يمكنهم من الاستمرار فى دراستهم دون عناء .. وهذا جهد مشكور نذكره لمصر بالتقدير .. لأن ما تتكبده ميزانيتها فى سبيل هذا العمل العظيم شىء كثير تعجز عنه الدول الإسلامية الأخرى .

وقد تخرجت فى هذا المعهد أجيال وأجيال متتابعة .. وانتشر هؤلاء فى كل مكان من أنحاء العالم الإسلامى .. ومنهم من يتولى الآن مناصب كبيرة وحساسة .

ونتساءل عما يمكن أن يستفيده الأزهر الشريف وتستفيده الدعوة الإسلامية من إقامة علاقة منظمة بين المشيخة فى القاهرة وبين المتخرجين فى البلاد الإسلامية ؟

هذا الفراغ الكبير فى القيادة الروحية للعالم الإسلامى من يملؤه ، ومن هو جدير

بمثله غير علماء الأزهر الشريف ودعاته ومتخرجيه ؟

ثم هذه المؤتمرات وهذه الأحلاف التي تتحرك باسم الإسلام بين الفينة والفينة ، والتي تقوم بأدوار خطيرة ، من هو الأولى أن يقوم مقامها بإيجاد منظمة طبيعية ودائمة تتمثل فيها الكفايات العلمية وتعمل على تنسيق الجهود الإسلامي في كافة أقطار العالم وربط ذلك بقيادة موحدة ، أليس الأجدر بهذا كله هم علماء الأزهر ؟

وماذا سيخسر الأزهر لو فكر مليا في إيجاد رابطة عالمية لمتخرجي كلياته في شتى أنحاء العالم ؟

أجل « رابطة عالمية لمتخرجي الأزهر الشريف » .

وهذا عمل مجيد يتفق مع متطلبات الدعوة الإسلامية . وحاجة العالم الإسلامي إلى منظمة قوية علمية تشد بعضه إلى بعض .

إن المتخرج يشعر بأنه مرتبط بقيادة عالمية فيحس بوجوده وقوته وشخصيته ويعمل على إعطاء هذه القيادة كل ما يستطيع من طاقات فعالة ، وكذلك القيادة هنا تشعر أن لديها جيشاً كبيراً من المتخرجين تحركهم بقوة ونظام وفاعلية وتؤثر بهم على مجريات الأمور في العالم .

ليس هينا ولا بسيطا ذلك الدور الذي تستطيع أن تؤديه منظمة عالمية من هذا النوع .. وما أحوجنا إلى مثل هذا العمل العظيم في مثل هذا الوقت العصيب الذي تمر به امتنا ، ولنتصور وجود مثل هذه الرابطة في مثل هذه المعركة المصيرية التي نخوضها اليوم .. أي جو من التعبئة العامة في كل البلاد الإسلامية تستطيع إيجاده ؟ وأي قيم معنوية ومادية يمكن أن تجود بها مثل هذه المنظمة ؟

إن هذا الشيء لا نستطيع أن ندرك مداه في الوقت الحاضر . . ولكن لابد أن نبدأ لكي نعرف النتائج الباهرة التي تنتظر هذا العمل الكبير ..

إننا نستطيع أن نبدأ من الآن .. نستطيع أن نجهز خطة سريعة لبدء تكوين الرابطة العالمية لمتخرجي الأزهر الشريف ، عل هذه الحركة المباركة تعود بالخير على الدعوة الإسلامية عامة وعلى الأزهر الشريف خاصة ، وعلى معركة الامة العربية التي تحتاج إلى طاقات العالم الإسلامي كله ..

وفقنا الله وسدد خطانا وحفظ الأزهر الشريف علما ومنارة وقيادة روحية رائدة ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

the Portrayer; الغفار the Ever-forgiving; القهار the Queller; الوهاب the Munificent; الرزاق the Ever-dispensing; الفتاح the Ever-opening and clearing; العليم the All-knowing; القابض the With-holder; الباسط the Expansive; الخافض the Abaser; الرافع the Elevator; المعز the Exalter; المذل the Mortifier; السميع the All-hearing; البصير the Ever-observant; الحكم the Arbiter; العدل the Equitable; اللطيف the Subtile; الخبير the cognizant; الحليم the Clement; العظيم the Great; الغفور the Ever-relenting; الشكور the Obliging; العلى the Sublime; الكبير the Grand; الحفيظ the Guardian; المقيت the Controller; الحسيب the Reckoner; الجليل the Majestic; الكريم the Gracious; الرقيب the Overseer; المجيب the Answerer; الواسع the All-embracing; الحكيم the Wise; الودود the Loving; المجيد the Glorious; الباعث the Sender of Apostles and raiser of men on the day of Resurrection; الشهيد the Witness; الحق the True; الوكيل the Trustee; القوى All-powerful; المتين the Invincible; الولى the Protecting friend; الحميد the Owner of praise; المحصى the Numerator; المبدىء the Initiator; المعيد the Renewer; المحيي the Animator; المميت Death-ordainer; الحى the Ever-living; القيوم Self-subsistent by whom all creation subsists; الواجد the Opulent; الماجد the Magnanimous; الواحد the One; الصمد the Enternal besought Master; القادر the All-able and destiny ordaining; المقتدر the One in full flourish; المقدم the forwarder; المؤخر the Delayer; الأول the First; الآخر the Last; الظاهر the Outward; الباطن the Unseen; الوالى the administrator; المتعال the Self-exalting; البر the Benign; التواب the Ever-restoring to His repentance; المنتقم the Revenger; العفو the Sin obliterating; الرؤوف theCompassionate; مالك الملك the Sovereign of all sovereignty; ذو الجلال والاكرام the Lord in all Majesty and Glory; المقسط the Executor of justice; الجامع the Gatherer; الغنى the Rich and Self-sufficient: المغنى the Enriching; المانع the forbidding; الضار the Afflicting; النافع the Source of good; النور the Light; الهادى the Guid; البديع the Innovator; الباقى the Ever-abiding; الوارث the Heir; الرشيد the Sagacious; الصبور and the Ever-enduring.

However, Allah's names are surely more than ninety-nine; and evidence of this may be derived from these words in which the Prophet once prayed to Allah:

... أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك
أو استأثرت به فى الغيب عندك ...

"... I ask You by every name of Yours, be it that You have named Yourself with it, sent it down in Your Book, taught it to anyone of Your creation or even appropriated it in Your knowledge of the unseen..."

(to be contenued)

of salvation from distress, and provide for him whence he does not reckon."

الأمان الباق الاستغفار .

"Seeking pardon of Allah is the only security that remains to man."

من أعطى الاستغفار لم يحرم من المغفرة .

"On no account shall Allah withhold from a man the forgiveness He has inspired him to seek." (Tradition)

A Muslim should recite Allah's most gracious names with deliberation, submissiveness and reverence, and turning his senses away from worldly thoughts. He may repeat as much as suits him one or a group of these most gracious names until he goes through with them all then begins anew. However, both in the outset and at the end he should recite the Exordium of the Book in the honour of the Prophet, whose person he should also call up to his fancy throughout his recital.

أنا جليس من ذكرنى (حديث قدسى)

"I do consort with those who are mindful of Me" (Divine Saying)

من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (حديث قدسى)

"Better than what I give requesters I will bestow on those who are too busy reading the Qur'an and pondering on My names to ask Me."
(Divine Saying)

تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة
(حديث شريف)

"Acquaint yourself with Allah in weal and He will side by you in woe." (Tradition)

May Allah join us to those 'whose hearts are filled with awe at the mention of their Lord and whose faith grows stronger as they listen to His revelations', those 'who repent and have faith and whose hearts find comfort in the remembrance of Allah', and those who persevere with the recital of His most gracious names. For all this secures utmost benefit and keeps away from lamentation and regret on the day when some faces are bright with joy and others blackened. Blessed are they who keep to this one door, for to them all doors of good shall be opened; and blessed also are those who subdue themselves to Allah, for before them other men shall hang the heads.

Allah's most gracious names :

Allah He is, besides whom there is no god; الرحمن the Beneficent; الرحيم the Merciful; الملك the King; القدوس the Holy; السلام the Integer and peace maker; المؤمن the Confident and faith keeping; المهيمن the All-governing; العزيز the Almighty; الجبار the Coercive; المتكبر the Self-important; الخالق the Creator; البارىء the Shape giver; المصور

His most gracious names and seek to assimilate the morals intrinsic in them. For in the way he enjoys mental health, on one hand, and, on the other, holds fast to his gracious guardian and helper. And it goes without saying that man will not soar in the holy atmosphere of Allah's most gracious names without his comprehension of the influence on things of these Divine attributes. In fact we are bidden to take after such good examples as bounteousness, clemency, love and so on. Only the name "Allah", along with which none at all is called, is to odore, while the other names give also examples to follow.

واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين .

"Remember Allah deep in your soul with humility and reverence and without ostentation: remember Him morning and evening and do not be negligent."

Recital of Allah's most gracious names at night, particularly in the dead of night, is preferable to that by day, though Allah certainly will accept both. For day is the field of livinghood while night is the world of revelations. However, in the first place of importance comes cleanliness, both physically and morally. One has to shake off from oneself all traces of sin, malice, envy and rancour, through repentance, seeking Allah's forgiveness, sincerity, surrendering oneself to Allah and leading a pious life.

إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .

"Forgiveness is incumbent on Allah toward those who commit evil in ignorance and then quickly turn to Him in repentance."

ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما .

"He that does evil or wrongs his own soul and then seeks pardon of Allah will find Allah forgiving and merciful",

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون

"Allah would not punish them whilst they sought forgiveness of Him",

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

"Turn to Allah, believers, one and all, in repentance that you may prosper" (Qur'an).

من أكثر من الاستغفار جعل الله من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب

"Whoever long seeks forgiveness of Allah, Allah will always roll down his tronbles, give him a means

From the Tradition of the Prophet :

PRAYER (الدعاء) – II

By : Soliman Barakat

The Prophet, blessing and peace be on him, said :

إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة

"Ninety-nine names of Allah, whoever calls them up shall enter the Garden."

Allah ordained us to observe our duty to Him and fear Him as we rightly should, and, when death comes, to die true Muslims. He urged us to remember Him, to praise His names, to call on Him and to repose our trust in Him, both in weal and woe. He said in His Wise Book :

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

"It is only that they might worship Me that I created both the jinn and mankind."

ادعونى أستجب لكم

'Call on Me and I will hear you"

فاذكرونى أذكركم

Remember Me and I will remember you"

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

"Most gracious are Allah's mames. Call on Him by them."

سبح اسم ربك الأعلى

"Praise the name of your Lord, the Most High."

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا

"But he who rejects remembrance of Me shall live in woe".

Allah's most gracious names, however, convey His attributes but do not reveal His entity, which is so far beyond the power of any creature to approach, let alone fathom. How wise was the Prophet when he said :

تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا

"Meditate upon Allah's creation; but do not meditate upon Himself, or you shall perish."

Every name conveys an attribute not conveyed by another name. Hence, not only man, but in fact all that is in the universe are exigent - and even captives - of these most gracious names. So, on goes life, heading for that which it is predestinated to, not in the least hampered by whatever unexpected interference. Man, then had better bow before the Lordship of Allah, call Him by

It was reported that Germanoss - the Roman Catholic Archbishop - had been insulted because he protested the violation and looting of the sacred place by the Israeli authorities.

What is surprising in the case of Israel, is that all Jewish and zionist organizations, which force the Jews in Diaspora to immigrate to the Promised Land, were established outside Israel, and when the state came into being they transferred their headquarters to Tel Aviv, while their branches and offices remained abroad. Still, the world Jewish congress has its headquarters in New York; it holds its meetings abroad.

Zionists used these organization to dominate others and to achieve their selfish ambitions. The Jews admitted that they have 300 veteran and sinister statesmen who are called the Wisemen of Zion; these old and wise men elect one of them every year to be the heir of David's and Solomon's Kingdom; his name is kept a secret, and when he dies they elect a successor and so on.

Mr. Walter Rathenau - a Jew millionaire - revealed in an interview published by Weinpress - a German newspaper - that there are 300 persons known only to one another - who have the destiny of Europe in their grip, and who elect their successors out of their closest friends. These group of men have the means and the methods which enable them to undermine any government which refuses to obey their orders.

That is why zionists encourage Masronic societies, because they believe that they can use them as a means to tighten their grip on the world. This facilitates the realization of their long - waited dreams of establishing a state that extends from the Euphrates to the Nile.

These Masonic societies spread all over Europe so that they can be used in the hysterical propaganda campaign against the Arabs.

Mr. John Kimchi - the Jewish Observer former famous aditor - in - chief said that anti - Goyism - which is a cancer in Jewish life - gained momentum, and with zionism it dominates Jewish life in Europe.

However, Christians and Muslims are well aware of the Jews hatred to life and religion. Sacred books cite many stories about their betrayals and crimes against humanity. God, Himself warmed Moses - against his people - the Jews.

In recent times, zionism tried once again its former tricky policies. But these tricks have no chance of success because last lessons are stillfresh in human minds.

The Arabs will not forget what the Israelis are doing in the West bank of the river Jordan - starvations and genocide are not easy to forget.

to consolidate its existence and to usurp the rights and the land of the Arabs.

The new Jewish immigrants belong to different social environments, yet they are very related to each other, while those resident Jews in Palestine are easterners, religious and conservatives. They lived in peace and harmony in this area for generations, but when the Jews of the West came into Palestine everything changed, and the latter lived in their own isolated quarters.

The zionist organizations vainly tried to create a homogeneous new society and to make the Hebrew language dominant.

This problem became more complicated as large members of Afro-Asian Jews came to Palestine, for this led to friction and isolation between the Western and Eastern Jews as a result of the differences in their customs, traditions and coulour.

The Jews of the East are second-class citizens in Israel ; they live in slumps compared to the luxurious avenues of Western Jews who control all aspects of life in the country.

As soon as the Jews of the East come to Israel, they are sent to "Ma'abarout" — collective and dirty camps before they settle near the borders in the Promised Land", whereas Western Jews go to cities and town to assume central posts.

In addition, the racial problem came to the surface during the recent troubles between the whites and negroes in the U.S.A. where the latter demonstrated against the persecution and terrorism practised by the American Administration against non-whites.

Besides, there is the problem of conflicting religious trends between the religious easterners and non-religious westerners. This problem causes great difficulties to Israel.

This explains why Israel suppresses religious people; it went to the extent that it compelled Sheikhs Abdul Hamid El-Sazegh and Saad eddin Oleiny to participate in religious gatherings for the sake of furthering zionist purposes.

Eye-witnesses said that an Israeli broadcaster invited Sheikh Olemy to accompany him in order to visit Al Aqsa Mosque to observe Friday prayer and but the Sheikh refused to do so, then the Israeli official went out and came back with two armed soldiers who forced Oleimy to go to the Mosque.

senator Kenneth Keating the vowed enemy of the Arabs, senators Joacob Javitz and Wayne Morse, Dr. Nahum Goldman — President of the World Zionist Organization, and Dr. Jochim Prinz — Chairman of the World Jewish Congress. There are manu Jewish and zionist firms, societies and organization which control busineses and money life in U. S. A. and New York in particular whose Mayor John Lindsay and N. Rockfeller the State Governor cancelled a luncheon was to be given to certain Arab leaders because of their antiIsrael remarks.

In order to check the domination of the Jews and zionists on all aspects of life in U. S. A. many Christian organizations were established, and their leaders — such as Dr. Martin Luther King — uncovered the lies and plots of zionists, and tried to put an end to their influence which prevented the American Administration from adopting a just attitude towards the Palestine Problem.

The most active jewish organization is the United Jewish Appeal which holds annual meetings throughout the U. S. A. to collect funds for the aid of Israel. Every years this organization collects about one hundred million dollars. It imposes certain sums of money on American Jewery to be paid for Israel, this sum amounts to 50 million dollars a year. It also sells Israeli bonds in U. S. A.

Perhaps the Jewish Agency is the most dangerous and influential zionist organization in the U. S. A. Its annual income amounts to one hundred million dollars.

These organization forced the American government to offer loans and grants to Israel amounted to 1,110 million dollars in a decade. The American aid constitutes a vital part in the Israeli budget.

Although the Jewish population in U. S. A. constitute only 3 percent of the whole population, yet their influence is dominant whether on companies, firms and corporations, or on the Administration itself. They control all mass media, TV and film industry.

Money is the most effective means Jews and zionist use to win the support of others. During the Arab-Israeli war in June, Jews in America rushed in material and technological aid for Israeli, which used these funds to turn itself into a military arsenal; besides it received 10 billion dollars in military aid during the period from 1948 to 1965.

Nowadays, Israel is trying to gather all world Jews in Palestine

A BATTLE AGAINST THE ENEMIES OF LIFE AND RELIGION

By : Dr. Gamal Eldin Elramady

The battle we are waging in these days is a fateful one which decides ihe future of the Arab nation. Although it is avery fierce battle, yet we are de'ermined to wage regardless of all sacrifices. We are also ready to give more and more so that to achieve our aims; namely dignity, honour and the restoration of the usurped dear land to its people.

However, zionist imperialism-which is behind the state of Israel - aims not only at the persecution of the peaceful inhabitants in order to achieve its poisonous objectives recorded in their books, but also at the driving out of the natives so as to usurp their lands.

The so-called state of Israel is a military state which has aggressive and expansionist ambitions. Its elder statesman David ben Gurion - the first Israeli Premier - declared that this state was established on a small part of what they claim to be the Land of Israel. Israel officially declared that the establishment of the state did mean that we gave up the historical frontiers of Israel.

Therefore, the zionist's aims are and cannot be ignored; they are against humanity, They are also against the very life of the Arab nation which struggled - and is struggling - against all aggressive forces in this part of the world. This nation suffered greatly throughout its long and bright history. It stood against all forces and won its battles.

In addition to that, zionism tries to wipe out all religions and, to belittle the sacred ideals of Islam and Christianity.

Jews, furthermore, believe that God is their own God, and He allows them to do evils and sins; Muslims, on the otehr hand believe that God is for all Peoples, and He created them so as to get together; Christians also believe that God is for all peoples.

Because of this, zionists try to become masters in this life, and that their religion should be the only recognized one since they are the God's chosen people who are above all other peoples. So, they have to fight to fullfil these aims

There are many famous zionist leaders in U. S. such as the former

punished twice on account of its misdeeds, the reference no doubt being to a similar fate which was to befall the Muslims.

(On the night of Miraj, God made the prayer obligatory. It was fifty prayers a day and night then lessened to five only.

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » (البقرة ١٥٣)

(O you who believe, seek assistance through patience and prayer. Surely Allah is with the patient).

S. 1 verse 153

« إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » (المعارج ١٩-٢٣)

(Surely man is created impatient fretful when evil afflicts him, and niggardly when good befalls him, except those who pray, who are constant at their prayers).

S. 70, verses 19-23

After the Prophet's return from Tayef, many of his followers were discouraged, however, he was not wanting to himself, but the Miraj made him boldly continue to preach to the public assemblies at the pilgrimage, and gain several new proselytes among whom were six of the city of Yathrib of Jewish tribe of Khazraj. These were the first steps for leaving Mecca for Yathrib where the Yathribites offered him their protection and took an oath of fidelity to him. They swore not to associate anything with God and not to steal nor commit adultery or fornication, nor kill their children (as the pagan Arabs used to do when they apprehended that they would not be able to maintain them) nor forge calumnies. They swore also to obey the Prophet in everything that is reasonable, and they will be faithful to him in weal and sorrow.

So he and his followers taught them fundamental doctrines of Islam and ceremonies of this religion. Thus, Islam was spreading among them so fast, that there was scarce a house wherein there were not some who had embraced it.

Muslims must notice that the spiritual experience of the men of God are given in order that God's Signs may be made clear to men : man is misled into evil, and must be guided to a sense of personal responsibility.

Our prayer to God is shown also in our human relations : Goodness to parents and kinsmen and strangers in want, as well as kindness to children, purity in sex relations, justice and respect for human life, protection of orphans, probity in dealings and avoidance of arrogance.

God's glory is above all comparison, and the reception of His revelation marks off the man of faith from those who do not believe. But the Believers should speak fair and avoid dissensions for God doth encompass all men.

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » . (آل عمران ١٧٩)

(God will not leave the Believers in the state in which ye are now, until He separates what is evil from what is good. Nor will He disclose to you the secrets of the Unseen but he chooses of His Apostles (for the purpose) Whom He pleases. So believe in God and His Apostles and if ye believe and do right ye have a reward without measure).
S. 3, verse 178

As the significance of the Ascension was the spiritual eminence of the Holy Prophet and indicated his triumph in the world, his being carried to the Mosque at Jerusalem signified that he would also inherit the blessings of the Israelite prophets.

These verses :—

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل » (الإسراء ٢)

(We gave Moses the Book and made it a guide to the children of Israel.) S. 17, verse 2

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين» . (الإسراء ٤)

(And We gave clear warning to the children of Israel in the Book that twice would they do mischief on the earth). S. 17, verse 4

« وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » . (الإسراء ٨)

(And If you return to mischief We will return to punishment and We have made hell a prison for the disbelievers). S. 17, verse 8

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » . (الإسراء ٩)

(Verily, this Quran guides to that which is most upright).
S. 17, verse 9

Mentioning these verses concerning the children of Israel and their mischiefs and the guidance of the Qur'an just after the speech about Miraj is considered the greatest impression to the Muslims to hold together in union and harmony and are promised security from harm from their enemies and enjoined to seek friendship among their own people.

Beni Israel, who, after being made a great nation and having risen to power and eminence in the world, were severely punished on account of their transgressions.

The Miraj is the Ascension of the Holy Prophet, which must be interpreted as referring to the eminence which he was to achieve and to the greatness to which Islam was to rise. The Muslims are warned of the fate of the Israelite nation which after rising to eminence was

that they can do nothing but glorify Him, when one of His creatures is raised up to hear and see the mysteries. It is they who glorify Him.

God's knowledge comprehends all things, without any curtain of Time or any separation of Space. He can therefore hear and see all things, and the Mi'raj was a reflection of this knowledge without Time or Space.

The Mi'raj is usually dated to the 27th night of the Arabic month Rajab in the year before the Hijra, being the 12th year of the Prophet's mission. It was the six hundred twenty first year of the Christian calendar (621 A. D.). This fixes the date of the opening verse of the Sura, though portions of the Sura may have been a little earlier.

The Holy Prophet was transported from the Sacred Mosque of Mecca to the Farthest Mosque of Jerusalem in a night, shown some of the Signs of God.

The majority of commentators take this Night Journey literally, but allow that there were other occasions on which a spiritual Journey or Vision occurred. Even on the supposition of a miraculous bodily Journey, it is considered that the body was almost transformed into a spiritual fineness.

The Holy Prophet was first transported to the Seat of the earlier revelations in Jerusalem, and then taken through the seven heavens, even to the Sublime Throne and initiated into the spiritual mysteries of the human soul struggling in Space and Time.

The reference to this great mystic story of the Miraj is a fitting prelude to the journey of the human soul in its spiritual growth in life. The first steps in such growth must be through moral contact - the reciprocal rights of parents and children, kindness to our fellowmen, courage and firmness in the hour of danger, a sense of personal responsibility and a sense of God's presence through prayer and praise.

All, that Muslims must believe, respecting this journey of Miraj is that the Holy Prophet saw himself, in a vision, transported from Mecca to Jerusalem, and that in such vision he really beheld some of the greatest signs of his Lord. However some trustworthy traditionists maintained that this journey, known in history as Miraj (Ascension) was a real bodily one and not only a vision.

«وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس»
(الإسراء ٦٠)

(And We made not the vision which We showed thee but a trial for men. S. 17, verse 60

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم » . (الطور)

(And wait patiently for the judgment of thy Lord for surely thou are before Our eyes; and celebrate the praise of thy Lord, when thou uprisest and in the night give Him glory too and at the setting of the stars). S. 52 verses 48 49

« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا » . (الإسراء ٧٤)

(And if We had not made thee firm, thou mightest have indeed inclined to them a little).
S. 17. verse 74

Grieved and sad for the loss of his wife and uncle, and troubled by the insults and harms of the Koreishites the Holy Prophet raised his hands up, asking God, the Creator of the worlds for help.

So the Holy Prophet was transported from the Sacred Mosque of Mecca to the Remote Mosque of Jerusalem in a night and shown some of the Signs of God.

بسم الله الرحمن الرحيم
« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .
(الإسراء ١)

(In the Name of Allah, the Benefecent, the Merciful).

(Glory to Him Who carried his Servant by night from the Sacred Mosque to the Remote Mosque whose precints We blessed in order that We might show him some of Our signs ! Surely He is the Hearing, the Seeing) S. 17, verse 1

The Sacred Mosque refers to the Ka'ba at Mecca. It had not yet been cleared of its idols and rededicated to the One True God. It was symbolical of the New Message which was being given to mankind.

But the Farthest or Remote Mosque refers to the Masjid-ul-Aqsa, in Jerusalem on the hill of Moriah, near which stands the Dome of Rock. This and the Mosque known as the Farthest Mosque were completed by the Amir Abdul Malik in the 68th year of the Hijra (A. H. 68). It was called the farthest because it was the place of worship, farthest west which known to the Arabs in the time of the Holy Prophet, it was a sacred place to both Jews and Christians but the Christians then had the upper hand as it was included in the Byzantine (Roman) Empire which maintained a Patriarch at Jerusalem.

These verses of the Quran express the point of view of God's creatures, who glorify Him, and whose hearing and seeing are ordinarily so limited

THE RELIGIOUS SIGNIFICANCE OF MI'RAJ

By : M. ABDEL MONEIM YOUNIS,
Director of the Cultural Centre for Diplomats,
Ministry of Culture, U. A. R.

On the 27th of Rajab we celebrate the memory of an important event that occured to the Prophet, Muhammad (peace be upon him). This is the carrying by night of the Prophet from the Sacred Mosque at Mecca to the Farthest Mosque at Jerusalem.

The Prophet and his kinspeople passed at the beginning a period in their defensive position and Islam made no progress outside. During the sacred months when violence was considered sacrilege, the Prophet used to come out of his temporary prison to preach Islam to the pilgrims.

The eleventh year of his mission was called the year of sorrow, because during it the Prophet lost much by the death of both his wife, Khadija and his uncle, Abu Talib. His wife Khadija was his most encouraging companion. She was ever his angel of hope and consolation. His uncle Abu Talib was the kind guardian of his youth, who had hitherto protected him against his enemies and opponents.

The Prophet weighed down by the loss of his beloved wife and his amiable protector. His opponents had by this time grown so powerful in Mecca that he could not stay much longer without imminent danger. He was obliged to quit his native city and seek shelter elsewhere.

With a saddened heart, yet full of trust, the Prophet decided to exercise his ministry in some other field, for he had no hope of turning the Koreishites from idolatry. He chose a town about sixty miles east of Mecca called Tayef, whither he went accompanied by his faithful servant Zaid. The tribe of Thakif, who were the inhabitants of Tayef, received Mohamed very coldly. However, he stayed there for one month. Though the more considerate and better sort of men treated him with little respect, the slaves and common people refused to listen to his teachings. They were outrageously indignant at his invitation to abandon the gods they worshipped with such freedom of morals and lightness of heart. At last they rose against him and bringing him to the walls of the city, obliged him to depart and return to Mecca.

The Zionists carried out this genocide of the Palestine Arabs in many and varied ways. Mass immigration was the starting point. It was followed by a campaign of terror, sabotage and massacre.

Mention should be made here of the massacre on 9th April, 1948 by Israeli extremist elements of hundreds of women and children in the Jerusalem Arab subrub of Dayr Yasin. This, coupled with the military defeats and lack of political leadership on the part of the Arabs caused their general demoralisation. By the middle of May, 1948, an estimated 200,000 Arabs had already fled their homes seeking sanctuary in neighbouring countries. When the mandatory finally laid down its govermental authority, there were no Arab political institutions to fill the void. The Jews on their part had began to establish their authority even over the zones of which are not allotted to the Jewish state under the partition plan.

According to the partition plan in the U N General Assembly resolution No.181 (II) A, the Jewish state was to get aproximately 5,500 sq. miles of the territory of Palestine, which as a whole was 10,423 sq. mills. The present area of Israel, according to the latest figures available, is said to 7,993sq. mills, that is to say 45% in excess of that authorised by the U N resolution. The latest and the most defiant in this series is the clear aggression committed by Israel against neighbouring Arab countries on the 5th June, 1967. Leaders of Israel have made public statements on the face of world opinion, to the effect that the territories of Arab countries, which they occupy now, will not be vacated by them under any circumstances what soever.

Having occupied the Arab territories, the Israeli aggressor keeps the gains of its aggression, in difiance of the universally recognised and honoured principle of law — the United Nations was based on this principle — that the gains of aggression must not be permitted to remain with the aggressor.

The above mentioned facts and figures and extracts make it clear that Palestine belongs to the Arabs and it is a blot on the face of the humanity that to impose a nation on the homeland of another nation by cunning and terrorism.

in which they are settled ? Or do they want a double home where they can remain at will ? This cry for the national home affords a colourable justification for the German expulsion of the Jews"(1).

The same views on palestine were reiterated by Gandhi on 14th July 1946 : "No wonder that my sympathy goes out to Jews in their unenviably sad plight. But, one would have thought, adversity would teach them lessons of peace. Why should they depend on American money or British arms for forcing them selves on an unwelcome land ? Why should they resort to terrorism to make good their forcible landing in Palestine?(2)

An another world statesman, Jawaharlal Nehru, commented in 1933 on the Palestine problem and said : "We must remember that Palestine is essentially an Arab country, and must remain so, and the Arabs must not be crushed and suppressed in their own home lands(3)".

Arnold Toynbee in his 'Study of History' points out : "Of all the sombre ironies of history none throws a more sinister light on human nature than the fact that the new-style nationalist Jews, on the morrow of the most appalling of the many persecutions that their race had endured, should at once proceed to demonstrate, at the expense of Palestinian Arabs whose only offence against the Jews was that Palestine was their ancestral home, that the lesson learnt by Zionists from the sufferings which the Nazis had inflicted on Jews was not to forebear from committing the crime of which they themselves had been the victims, but to persecute, in their turn, a people weaker than they were. The Israeli Jews did not follow in the Nazis' footsteps to the extent of exterminating the Palestinian Arabs in concentration camps and gas chambers ; but they did dispossess the majority of them, to the number of more than half a million, of the lands which they and their fathers had occupied and cultivated for generations, and of the property that they were unable to carry with them in their flight, and thereby they reduced them to destitution as displaced persons'. "

The creation of Israel is responsible for the act of genocide to the Arab population of Palestine. The Palestine Arab nation has been in exile for nearly twenty yeass.

(1) Mahatma by : Tendulkar, vol : 4. P. 311.

(2) „ „ „ „ : 7. 158.

(3) Glimpses of world History.

World war. In one sense they were all immigrants : the return had started in the early 1880's and had been practically continuous since then ; but in another sense they were not from outside as they were of their right to return."

According to the statement of the Jewish Agency itself prior to the early 1880's there had hardly been any Jews in Pales ine. The Arab High committee gave to the UN General Assembly the following figures :

"The number of Jews in Palestine had increased as follows : for 1900 no official figures ; in 1928 : 56000 Jews; in 1930 : 165000 Jews ; in 1939 : 445000 Jews. Between 1920 and 1930, 105000 Jewish ; immigrants had entered Palestine, between 1931 and 1939, 218000. These were figures of registered immigrants. Since 1939, not including illegal immigrants, over 100000 Jewish immigrants had entered the country".

If may be interesting to quote again from a standard work on the Middle East (Europa publications P. 170) : "In 1918, Palestine had a population of about 700000 of whom 10 % were Jews rather less were christian Arabs and over four-fifths were Muslim Arabs. It is also pointed out that, where as in 1918, the Arabs out-numbered the Jews by ten to one, by 1938 they only out-numbered them by two to one. The tremendous increase in Jewish population in Palestine was undoubtedly the result of the persecution of Jews in Europp."

It may be recalled that the great leaders of the world were expressed their views about the problems in Palestine. It is worthwhile to quote Mahatma Gandhi : "The cry for a national home for the Jews does not make much appeal to me. The sanction for it is sought in the Bible and tenacity with which the Jews have hankered after return to Palstine. Why should they not, like other people of the earth, make that country their home where they are born and where they earn their livelihood? "Palestine belongs to the Arabs in the same sense that England belaegs to the English or France to the French. It is wrong and inhuman to impose the Jews on the Arabs.

Surely, it would be crime against humanity to reduce the proud Arabs so that Palestine can be restored to Jews, partly or wholly, as their national home. The nobler course would be to insist on a just treatment of the Jews, wherever they are born and bread. The Jews born in France are French in precisely the same sense that the christians born in France are French. If the Jews have no home but Palestine, will they relish the idea of being forced to leave the other parts of the world

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Sha'bân 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	November 1967

The World Bears Witness :

Palestine Belongs to the Arabs

By : A.M. Mohiaddin Alwaye

The creation of Israel in Palestine was a crime against humanity. It is wrong and inhuman to impose a nation on the homeland of others. What is going on in Palestine today cannot be justified by any moral code of conduct. The Zionists Israelits occupy a spot of the earth which is dear to the hearts of all Arabs and Muslims. They imposed themselves on Palestine with the aid of Britain, America and other imperialist powers and now they threaten the Arab and Muslim world ruthlessly with the aid of naked terrorism. It is a blot on the history of the world that to ignore the sinister intentions of the Zionists who occupied the mother-land of Arabs. They disperesed millions of Arabs from their home-land; assaulted the peaceful people in the neighboring countries.

It is worthwhile to quote some facts and the opinions expressed by some great neutral leaders of the world about the problem of Palestine. The following extracts from the statement of the Jewish Agency itself at the first special session of the UN General Assembly refers to the origin of Jewish immigration and the number of Jews actually present in Palestine. The Agency said : "With regard to the question of the Indian respresentative, the figures of the Jewish population in Palestine were 50000 in 1900, 165000 in 1930 and 475000 in 1939. At present, it was about 630000 and was greater than the Arab population at the end of the First

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٤٨١	لقاء الإسلام والنصرانية فى القدس للأستاذ أحمد حسن الزيات
٤٨٥	السماحة هى سر السعادة للأستاذ محمد محمد المدنى
٤٨٨	هذه هى العبرة فهل من معتبر ؟ للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٤٩٢	الآثار الإسلامية فى بيت المقدس بعد الفتح العمرى للأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسينى
٤٩٦	نحن أولى بسليمان من الصهاينة للأستاذ الدكتور عباس حلمى اسماعيل
٥٠١	الضمــير للأستاذ الدكتور محمد غلاب
٥٠٨	من إعجاز القرآن التاريخى : أن لم تذكر إسرائيل فى القرآن للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
٥١٥	دعوات الإصلاح للنحو العربى قبل ابن مضاء للدكتور أحمد مختار عمر
٥٢٠	الإمام ابن حزم ـ ٣ ـ للأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٥٢٤	عبد الحميد الديب ـ ٢ ـ للدكتور عبد الرحمن عثمان
٥٢٨	نظام الرق ـ ٢ ـ للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى
٥٣٢	هل وضع النحو على أساس صحيح ؟ ـ ٢ ـ للأستاذ المرحوم كامل السيد شاهين
٥٣٧	المسلمون فى نظر أنفسهم عرض وتعليق : الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٥٤٣	لصوص فى عهد الرسول للدكتور طه الزينى
٥٤٦	الكتب : ـ دراسة فى قضية تعدد الزوجات عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال ـ المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ـ ١١ ـ للأستاذ محى الدين الألوائى
٥٥٦	أنباء وآراء : للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The world Bears Witness : Palestine Belongs to Arabs . .	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — The Significance of " Miraj "	*Abdel Moneim Younis*	5
3 — A Battle Against the Enemies of life and Religion	*Gamal El-Din El-Ramadi*	10
4 — The Prayer — 11	*Soliman Barakat*	14

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشاً في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء السابع ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ رمضان ١٣٨٧ هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٦٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحبا بربيع القلوب

بقلم : أحمد حسن الزيات

بعد أحد عشر شهراً قضاها المسلمون فى جهاد العيش وصراع المادة فقاسوا فى صيفها سعار الشهوات، وكابدوا فى خريفها خمود المشاعر، وعانوا فى شتائها موت الضمائر، يأتيهم ربيع الأرواح فى رمضان فيحيي موات قلوبهم بالبر، ويوقظ رواقد نفوسهم بالذكر، ويرجع بأرواحهم إلى منبعها الأزلى فتبرأ من أوزار الحياة، وتطهر من أوضار المادة، وتتزود من مذخور الخير بما يقويها على احتمال المحن والفتن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام كله ...

لذلك كان رمضان فى الشرع الإلهى طهوراً من رجس العام، وهدنة فى حرب القوت، وروحا فى مادية الكون، وقد اختصه الله بهذه الميزة على سائر الشهور ليومين من أيامه كان لهما فى تاريخ العالم أرفع الشأن، وفى مصير الإنسان أبلغ الأثر : يومه السابع عشر من السنة الحادية والأربعين من مولد الرسول، وهو يوم القرآن، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان.

فأما يوم القرآن ففى ليلته المباركة تجلى الله لجبل النور كما تجلى لجبل الطور، فأنزل الروح الأمين بالإشراقة الأولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم، فاستعلنت منذ

تلك الليلة معانى الحق ، واستبانت سبل السلام ، واستقامت موازين العدل ، وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، إلى نور ساطع صاروا يهتدون به .

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة فى بدر . . . وكان المسلمون على فقرهم وضرهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش .. وكان موقف الإسلام من الشرك يومئذ موقف محنة . كان بين العدوتين الدنيا والقصوى فى بدر مفرق الطريق ، فإما أن يقود محمد زمام البشرية فى سبيل الله فتنجو ، وإما أن يردا أبو جهل إلى مجال التيه والضلال فتهلك . لذلك كان النصر فى موقعة بدر حكما قاطعاً من أحكام الله غير مجرى التاريخ ، وعدل وجهة الدنيا ، ومكن للعرب فى دورهم أن يبلغوا رسالة الله ، ويؤدوا أمانة الحضارة ، ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

* * *

رمضان هو التمرين الرياضى للنفس . يشترك فيه المسلمون فى جميع أقطار الأرض : يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، وينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى ، ويصدوا أهواءهم عن السوء . وتلك هى العناصر الجوهرية لعقيدة الصوم . وهذه القيود والحدود التى تضمنها معنى الصوم هى المجاهدة التى تعود الإنسان ضبط النفس وقوة الإرادة .

وضعف الإرادة إنما يقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم ، كما يقوى الجسد برياضة البدن على الجهد العنيف ، وكما يقوى العقل برياضة الذهن على التفكير العميق . والرياضة الروحية هى حكمة الصيام فى الأديان كلها : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، وتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة . وقد اجتمعتا فى قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » ، فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة ، على أن للجوع أثراً شديداً فى تصفية النفوس وتلطيف الطباع ؛ لأن كدر النفس إنما يكون فى الأكثر من كدر الجسد . وقد قالوا إن البطنة تفسد الفطنة . لذلك اتخذ كثير من أئمة الدين ورجال التصوف الجوع سبيلا إلى تهذيب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح . قال الإمام

على رضى الله عنه يصف العارف بالله : « قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ورق غليظه » ، يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه طبعه الكثيف . وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزاهدين سياسة وللعارفين تكرمة » .

فرمضان إذن رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ، وتوثيق لما وهى بين القلب والدين ، وتقريب لما بعد بين الرفه والمسكين ، ونفحة من نفحات السماء تنعم دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة .

ورمضان ثلاثون عيداً من أعياد القلب والروح ، تفيض أيامها بالسرور ، وتشرق لياليها بالنور ، وتفتر مجالسها بالأنس ، ويغمر فيها الصائمين فيض من الشعور الديني اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشـــوة الجسد في حال استغراق في الله ، يتأملون أكثر مما يعملون ، ويستمعون أكثر مما يتكلمون .

ورمضان بعد أولئك كله رباط اجتماعي وثيق يؤكد أسباب المودة بين أعضاء الأسرة بالتواصل والتعاطف ، وبين أفراد الأمة بالتزاور والتآلف ، وبين أهل الملة بذلك الشعور السامي الذي يغمرهم في جميع بقاع الأرض بأنهم يسيرون إلى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة متشابهة النظام متماثلة المعيشة .

* * *

هذه تحية صادقة لشهر رمضان المبارك كتبها مؤمن وقرأها مؤمنون ، ولا يدري إلا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التي تتجلى في الصوم ، ولهذه الغيرية التي تتمثل في الصائم !

وقى الله رمضان شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمدن المشوه ، وجدد الله به على المسلمين الأعوام المقبلة وهم ناعمون في ظلال الأمن ، متمتعون بنعمة الوحدة ، ظاهرون على بغي العدو ؟

أحمد حسن الزيات

تحية رمضان

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الله الذى يخلق ما يشاء ويختار ، والله الذى اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، واصطفى من المكان حرما آمنا يحج المسلمون إليه ، رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، قد اصطفى من الزمان رمضان ، فجعله معيارا لفريضة من أجل الفرائض، فريضة تصل العبد بربه ، ويرتفع به إلى الملأ الأعلى ، إلى مصاف الملائكة الأطهار ، تلك هى فريضة الصيام — أحد أركان الإســـلام .

لقد شاءت إرادة الله أن تتصل الأرض بأسباب السماء ، وأن يشرق على الكون نور الإسلام ؛ فبزغ فجر الهداية الربانية وشع نور الرسالة المحمدية فى شهر رمضان المبارك ووضعت السماء للأرض دستورا خالدا على الزمان ، ذلكم هو القرآن الكريم : « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » من عمل به سعد ومن تمسك بتعاليمه هدى إلى صراط مستقيم : قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وفى رمضان ليلة من لياليه ، تتيه فخرا على الزمان أيامه ولياليه ، ليلة جليلة القدر عظيمة الشرف ، تعدل العبادة فيها عبادة ألف شهر بل تزيد ، تلك هى الليلة التى بدأ فيها نزول خير كتاب أنزل من السماء على خير رسول بعث لخير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وإذا كانت بعثة رسول الإسلام ونبى الهدى والسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه فى رمضان ، وكان رمضان بذلك هو الشهر الذى بدئ فيه بتشريع مبادئ الإسلام التى أنقذت البشرية مما تعانيه من فساد وظلم وطغيان ، فقد كان رمضان بشيرا بنصر مؤزر لجند الله دعاة الحق والخير ورسل الهدى والرشاد على جحافل الشرك ورءوس الكفر وعصابات الضلال .

ففى السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت غزوة بدر الكبرى ، التى التحم فيها جند الحق بعصابات الباطل فكان النصر المؤزر لرسول الله وأتباعه المسلمين على قلة عددهم وعددهم

وكثرة عدد المشركين، وقوة عدوهم. وصدق الله العظيم إذ يقول: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين».

وفى العشرين من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة أتم الله على المسلمين نعمته؛ فنصر عبده، وأعز جنده، وفتح على المسلمين أم القرى مكة، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، قال تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا».

هذا هو رمضان وهذه بعض من نعم الله على الناس فى رمضان، وإذا كان الله سبحانه قد احتفى برمضان فخصه بنزول القرآن الكريم وفريضة الصيام حيث يقول سبحانه: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه» فإن على الأمة الإسلامية أن تحسن استقبال رمضان بما يليق بفضله على سائر الشهور والأيام.

وإذا كنا نستقبل رمضان هذا العام وقد نزل بساحة أمتنا ما نزل وحل بأرضنا ما حل، وحدث لعروبتنا ما حدث، فعلينا أن نفتش فى خبايا نفوسنا لنتلمس أسباب نكستنا، وإذا عرفنا الداء فقد وضح الطريق إلى الدواء، ودواء أمتنا الإسلامية فى كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين؛ فعلينا أن نمكن لكتاب الله حفظا وتعليما وفهما وتطبيقا، وأن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأبرار وصحابته الأطهار «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً».

وعلينا أن نأخذ فى أسباب نصر الله لعباده حتى يتحقق لنا وعد الله سبحانه، قال تعالى: «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

ولنستمع جميعا إلى قول الله سبحانه وتعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون».

أيها المسلمون:

ونحن نستقبل موسم الجد.. موسم الخير.. موسم الجهاد فى سبيل الله شهر رمضان المعظم أحييكم من قلب العروبة والإسلام — من القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ومدينة الأزهر — وأبعث بتهنئة الأزهر إلى المسلمين جميعاً فى شتى بقاع العالم سائلا الله العلى القدير أن يوفق القادة والأمة إلى ما فيه عز الإسلام ونصر المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟

محمد مأمون

رمضان شهر النّصر

للأستاذ عبد الحميد المسلوت

إذا كان رمضان عند المسلم شهر الفوز والانتصار على النفس والغلبة على نزواتها الآثمة وشهواتها العارمة وأهوائها الضالة ؛ فهو كذلك شهر القهر لعدو الدين ، وخصم العقيدة مهما تسعر ظلمه والتهب شره وغشمه .

وقد كان رمضان السنة الثانية للهجرة مقرونا بأول نصر حاسم رفع راية الحق وأقام صرح العقيده وزلزل قوة الخصم وعبر الطريق أمام الدعوة الجديدة فانطلقت على سجيتها تغزو القلوب والعقول وتشيع فى آفاق الدنيا نور العدل والحق والإيمان .

وليس عجيبا أن يذكر المسلمون فى رمضان موقعة بدر وأن يلتفتوا إلى ما تحمل هذه الموقعة فى أطوائها من نور وما يتضوع فى أرجائها من عبير . ويخشعوا أمام ماتنطوى عليه من نصر مؤزر لفئة قليلة وحفنة ضئيلة وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته وضراعته حين توجه إلى ربه قائلا : اللهم إنهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك .

وما من بلد إسلامى إلا وهو يردد هذه الذكرى العاطرة . ويمجد تلك البطولة النادرة ، ولكن قل من يصغى إلى منطق العبرة ويتدبر بقلبه وإحساسه ما تحمل من بالغ الدروس وروائع العظات .

وليس المهم فى هذه الذكرى أن نسرد فقط تاريخا أو نقص أحاديث ونتلو وقائع تفرح بها النفس ويطرب لها الحس فترة تقصر أو تطول . ثم يلفها النسيان ، ويعفى عليها الزمان ولا أن نتمدح بأمجاد ونفاخر بتراث صنعه سلف أبطال وأجداد صناديد باعوا أنفسهم لله . وأرخصوا أرواحهم ودماءهم فى سبيل الله دون أن ندنوا منهم ونتشبه بهم فى شجاعة القلب ومضاء العزم والتهاب الغيرة وشدة الحرص على أن نرفع للإسلام أعلامه وتخفق بنوده وراياته . دون أن نتحلى بمثل ما تحلوا به من خلق ونعتصم بما اعتصموا به من عقيدة أعزت جانبهم وحصنت حياتهم .

وفى كتاب الإسلام الخالد صفحات لامعة من الذكريات المجيدة والتراث الفاخر والعبر السامية التى تلهب العزائم وتوقظ الحماس وتشعل الإحساس حين نعيش فيها بتدبر وإمعان وعقل واع وقلب مدرك يقظ . فيه أمجاد عظماء وبطولة صناديد وقفوا أمام

أحداث الدنيا ساخرين مستخفين . وعند شدائد الزمن باسمين مستبسلين لم تروعهم شدة ولم تغرهم غمرة مهما اشتد خطبها وعظم كربها ! !

ومن المؤسف المخجل أننا نغضى عن هذا التاريخ المشرق ونتنكر لهذا المجد الذى يعشى العالمين ضياؤه ، ثم نقبل على صور خادعة متهافتة وألوان كاذبة باهتة من بطولات الغرب وتاريخه ، لا تروع إلا ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، إنه لا يدفعنا إلى ما نشتهى من القوة والمجد . ولا يرد إلينا عظمتنا السالفة أو مجدنا الغابر إلا أن نستعرض دائما تاريخنا وننفعل به ونعيش فى أحداثه العلوية ورحابه الملائكية لنكتسب من سطوره حرارة القلب وفورة الدم وقوة الإيمان . والرغبة الصادقة فى الجهاد والاستشهاد فإن أمامنا جهاداً ضخما يتطلب أن نستضىء بما يحوى من العبر . ونضالا شاقا يحتاج إلى أن نعيش فى أجوائه العلوية ورحابه الملائكية ونقتبس النور الهادى الذى ينبثق من خلال وقائعه .

ولقد لقنتنا أحداث التاريخ ، ووقائع الحياة أن المعارك تظل دائما مشبوبة اللظى ملتهبة السعير بين الحق والباطل ، فالحق فى جماله ورفقه وسماحه وفى نوره وهــداه وألطافه يحاول أن يغزو القلوب ويهذب النفوس ويسعد الإنسانية وينضر المجتمع .. والباطل فى حشوده وجنوده ، وفى غلظته وخشونته وضلالاته وظلماته يعمل دائباً على أن تسود دولته وتتسلط إرادته ، وتعلو كلمته ، وترتفع رايته . إنه ليريد أن يفرض على المجتمع ضمائر ملوثة ونفوسا عفنة ، وأخلاقا كالحة مظلمة ، ومبادئ وشرائع هى بمبادئ الغاب وشرائع الذئاب أشبه وأشكل .

ودائماً تتدخل عدالة السماء ، وقدرة العزيز الجبار القادر فى هذه المعارك ، فإذا انتفخت أوداج الظالم وشمخ بأنفه وإذا أسكرته نشوة الفوز وخيل إليه الغرور أنه قد انتصر وتمكن ، وإذا بدا للناس أن الباطل أوشك أن يغلب هبطت عناية الرحمن الرحيم ؛ فإذا الحق ثابت والباطل زاهق . « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .. « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

تلك أقباس وهاجة نلتمسها من أنوار (بدر) فاتحة الخــير وأم الانتصارات ، وما بدر ؟ . هى معركة حاسمة بين قوى الشر والبغى التى تستطيل بصلفها وغـرورها وتستكثر بباطلها وزورها . وبين عدد قليل من المسلمين مستضعفين فى الأرض يخافون

أن يتخطفهم الناس ليس لهم منعة يحتمون بها ولا سلاح يهاجمون به عدواً أو يقاومون مغيرا . بين ألف فارس معهم عدتهم وسلاحهم خرجوا من ديارهم للحرب وسفك الدم وشفاء الغليل الحاقد ، وبين ثلاثمائة ضعاف إلا من قوة الإيمان . فقراء إلا من عزة النفس والثقة البالغة فى قهار السموات والأرض .

وتدور المعركة ويستحر القتال فإذا بالقلة المؤمنة تصرع الكثرة الفاجرة . وإذا بالأبطال الذين استبد بهم الغرور وتمكن منهم الطيش وران على قلوبهم الجهل والعمى أشلاء ممزقة وجثث مبعثرة ، ولحوم وعظام تعافها الكلاب الضاريات . وإذا بالقائد البطل الذى صنعته السماء ورباه الوحى يقف فى أسى وألم يقول للذين أراد لهم السعادة والكرامة والعزة فآثروا الموت الذليل . « يا أبا جهل ، يا عتبة ، يا شيبة : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً » ؟ يا لعدالة السماء ... يا لها من لحظات حاسمة تختلط فيها المشاعر وتتصادم الوجهات والانفعالات فى النفس حين يواجه الابن أباه والأخ أخاه والحميم حميمه من أجل العقيدة ...

ما الذى جلب النصر لهذه القلة وهيأ الغلبة للضعاف الفقراء ؟ ما الذى جعل حفنة قليلة خرجت من مكة على حذر واستخفاء لا تجد قوتا فضلا عن سلاح ، ولا حمى فضلا عن عدة تهاجم بها ... تتصدى لقوة هائلة مزودة مستعدة وتثبت أمامها وتهزمها ؟ إنه الإيمان الذى نقلهم من المادية التى تقيس بالمئات أو الألوف إلى الروحانية وإشراقها والملائكية وقدسها ، وإلى السمو الذى يودى بقوى البغى ونذر الشر وعناصر التحلل والفساد .

إن الذى يتتبع جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أنه تبرز دائما من حروبه حكمة القائد وعدله ورحمته وطاعة الجندى وإيثاره وشجاعته .

أما حكمة القيادة فتتجلى فى استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ؛ فقد جمعهم واستشارهم واطمأن لما أبدوا من رأى وما انتهوا إليه من فكرة ، وتتجلى فى إنصاته إلى الحباب بن المنذر حين سأله : يا رسول الله أهذا المنزل الذى نزلته بوحى من السماء ، فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال الحباب : فإن هذا ليس بمنزل . فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ننزل ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنشرب ولا يشربون ، ثم نقاتلهم . فاستحسن النبى صلى الله عليه وسلم الفكرة واستجاب لها .

وتتجلى حكمة القيادة كذلك فيما يقوله

على بن أبى طالب : كان صلى الله عليه وسلم إذا احمر البأس وأحجم الناس قدم نفسه وأهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة ، فقتل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر ، وقتل حمزة يوم أحد ، وقتل جعفر يوم مؤته .

وأما طاعة الجند وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتمثل فى قول سعد بن معاذ : والذى نفسى بيده لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك .

وفى قول سعد أيضا فى يوم المعركة : يا رسول الله نبنى لك عريشا تنزل فيه ، ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من القوم ؛ فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصرونك ويجاهدون معك .

وهذا عمير بن الحمام يسمع الرسول صلى الله الله عليه وسلم يقول إبان المعركة : والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، فإذا به يلقى تمرات كان يأكلها ويصيح : بخ بخ ! والله ما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء الأعداء . ثم لا ينفك يقاتل حتى يقتل ! ! !

وهذا سعد بن أبى وقاص يقول : رأيت أخى عميرا قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى عن الأنظار . فقلت : مالك يا أخى ؟ فقال : أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة . ثم عرض على الرسول صلى الله عليه وسلم فاستصغره فرده فما زال يبكى حتى أجازه وسمح له بالخروج .

يقول سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه وقتل يومئذ وهو ابن ست عشرة سنة ! !

ويقول معاذ بن عمرو بن الجموح : سمعت القوم يقولون عن أبى جهل : إنه لن يصل إليه أحد ، فجعلته من شأنى . ثم قصدت إليه وحملت عليه حملة وضربته ضربة أطاحت بنصف ساقه . فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها . قال : وضربنى إبنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى . وأجهضنى القتال عليه . فلقد قاتلت وإنى لأسحبها خلفى . فلما آذتنى وضعت عليها قدمى . ثم تمطيت بها عليه حتى طرحتها ! ثم عاد معاذ إلى أبى جهل فوجد به رمقا فوضع رجله

على عنقه . وقال له هل أخزاك الله ياعدو الله وضربه ضربة أطاحت رأسه .

وهذا زيد بن الدثنة يختطفه قوم ويبيعونه لصنوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتل فى بدر . فلما قدم للقتل سأله أبو سفيان أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا الآن عندنا فى مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنا جالس فى أهلى ، فعجب أبو سفيان . وقال : ما رأيت أحدا من الناس يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدا .

لا بد أن نقف هنا وقفة خشوع وتأمل . وأن نتساءل لماذا قدر على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخوض جهادا عنيفا مع أولئك الذين ضرب الله على قلوبهم بالظلمة وطبع نفوسهم على العصيان والضلالة . ولماذا ينتقل من حرب دائبة لا تهدأ لظاها ثلاثة عشر عاما فى مكة إلى حرب بالجيوش وحرب بالدسائس الخسيسة والمكائد الدنسة فترة أخرى فى يثرب ؟

أليس يحمل إلى الناس قانون الله وعدالة السماء والسعادة الحقة فى الدنيا والدين ؟ بل وكان رب العالمين قادرا على نصرته من غير أن تراق دماء أو تزهق نفوس أصحابه أو يلحق بأتباعه أشد العذاب وأقسى ضروب النكال والإيذاء والاضطهاد ... ولكن الله تعالى يلقن عباده أقوم الدروس فى قيام الدعوات واستقرار النظم والرسالات . والغلبة على مشاكل الحياة ويعلمنا أن النجاح لا يتأتى إلا بعد كد وضنى وإنفاق الجهد وبذل الطاقة ثم من بعد ذلك يكون النصر والفـــوز .

* * *

أما بعد : فهل انتهت بدر فى تاريخ هذه الأمة ؟ كلا . فلابد من بدر أخرى فى القرن الرابع عشر يتحقق للإسلام بها رايته وتعز مكانته ويبسط عدله وأمنه على هذا العالم الجاحد الذى قتلته الأطماع ومزقه الخداع . وأودى بحضارته ورقيه عدوان القوى على الضعيف . وتربص الكبير للصغير . لقد مزقوا العالم مناطق نفوذ ، ومزقوه شيعا وطوائف وأجناسا وألوانا وجعلوا السيادة للمال والعبادة للقوة والسلطان للسالب الناهب ، والحق دائما مع المستبد الغالب ، وسيظل العالم فى حومة هذا الصراع الدامى . والنضال الحامى والعدوان الغاشم الآثم ذئابا تتصارع . ووحوشا تتعادى وتتنازع ، حتى تكون معركة بدر الثانية فيرتفع للحق لواؤه . ويغمر الدنيا بهاؤه وسناؤه ويفيء الناس إلى حمى السلام والإسلام وشاطىء الأمان والاستقرار .

الصوم وأثره فى المجتمع

للأستاذ حسن جاد

الصوم توازن بين الروح والجسد، فليس الإنسان سوى جسم وروح، ولكى يحقق السعادة ينبغى ألا يطغى أحدهما على الآخر، فهو المخلوق الوسط بين عالم الأرواح المجردة، وعالم الحيوان، وهو خليفة الله فى الأرض.

فإذا طغت مطالب جسده كان كالحيوان الأعجم وإذا طغت جوانب روحه فقد حرم من نعمة الخلافة فى الأرض وتعميرها وتسخير ما فى السموات والأرض له. فلابد إذن من التعادل والتعاون بينهما.

ولما كانت الدنيا بزخارفها وغرورها تستغل الطبيعة الإنسانية فى افتتانها بالمادة، وميلها لإشباع رغائب الجسد والأنانية، فتقودها إلى ما يرضى هواها، وتصرفها عن مطالب الروح؛ بل لقد تعميها بالأنانية الجشعة حتى تطمع فيما لا تستحق، مما يسبب التصادم والحروب . . . كان من حكمة الله ورحمته أن جعل الصوم قوة للروح، تستعيد به توازنها مع الجسم، بكسر حدته، وقمع شهواته، وسيطرتها على ملذاته، حتى ترده إلى الاعتدال.

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ما أحق المسلمين أن يملأوا قلوبهم ثقة بدورهم واعتدادا برسالتهم، وإيمانا بما يجب أن يتهيأ لهم من مكانة، ويحتلوه من وضع لينطلقوا كما أمرهم دينهم، وكما انطلق إسلامهم يحملون رسالة الحق والعدالة والحرية، ومشعل النور والهداية والعرفان ... فإذا دب إليهم عارض من الضعف أو الاسترخاء؛ عادوا إلى تلك الروضة الوارفة من تاريخهم المجيد الحافل يستروحون منها نسيم القوة وعبير المجد. ويلهبون إحساسهم ويوقظون حماسهم بما فيها من عبر كريمة وأحداث قويمة ليعودوا أقوى عزما وأوفر حزما وأثبت جنانا وأتم يقينا.

ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ؟

عبد الحميد محمود المسلوت
الأستاذ فى كلية اللغة العربية

فى الصوم إذن قوة للجسم وقوة للروح ، وصحة للنفس وصحة للبدن وتعادل القوتين يضمن للإنسان النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ؛ فقوة الجسم تعين الروح وتساعد على الكسب وقوة الروح تدفع الجسم للتضحية والخير .

وما من شك فى أن الصوم يعود على الجسم بالصحة والقوة ، حتى إن أحد الأطباء جعله وسيلة لإعادة الشباب إلى مرضاه من الشيوخ ؛ والصوم يخلص الجسم من سموم المواد الغذائية الزائدة عن حاجته ، حتى إن الطبيب العربى (ابن سينا) كان يعالج كثيرا من حالات المرضى بالصوم ، وأكد الطب الحديث أنه من الأمور الفعالة فى القضاء على كثير من الميكروبات كميكروب الزهرى وذلك ما يسمى بنظرية التجويع فى علاج الزهرى .

على أن الصيام له أثره القوى فى صفاء الذهن وتقوية الذاكرة ويقظة التفكير والوجدان.

أما حكمته النفسية والروحية فتتجلى فى أنه العبادة الوحيدة التى تمثل الإخلاص بلا رياء ، لأنها سر بين العبد وربه ، كما فى الحديث القدسى : « الصوم لى وأنا أجزى به يترك طعامه وشرابه من أجلى » . وهنا تقوى مراقبة العبد لله ، والمراقبة تدعوه إلى الإخلاص فى العبادة ، والإخلاص فى العمل ، والإخلاص للناس ، فإذا ترك الإنسان شهواته وملذاته ورغائبه امتثالا لأمر الله ، لا رياء للناس ولا سمعة ، مدة شهر كامل ، تكونت عنده ، كما يقول الإمام محمد عبده : « ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه سبحانه . أن يراه حيث نهاه ، وفى هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله والاستغراق فى تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ، ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها فى الدنيا ، ولسعادتها فى الآخرة » .

ففى شهر رمضان مجال روحى خصب ، تصفو فيه النفس ، وتأخذ الروح بزمام الجسد ، وتتخلص من ظلمات البدن ، وحجاب المادة ، وتشرق بأنوار علوية تضىء حياة الصائم ، وتقود سلوكه إلى الخير والفلاح ، وتمده بطاقة كبيرة من العزم المصمم ، والإرادة القوية ، والصبر الجميل .

والشريعة الإسلامية إنما تستهدف إصلاح المجتمع ، وتقويم السلوك ، حتى يكون موائما للحق والخير والفضيلة ، وهى حين تستهدف ذلك لا تتجاهل الفطرة البشرية ، ولا تحاول كبت الغرائز الفطرية ، وإنما تعمل على توجيهها سليما ، يسيطر على سلوك الإنسان فى دينه ودنياه ، وأية شرعة من شرائعها أقوى من الصوم فى تربية النفوس ، وتهذيب الغرائز ، وتقوية الإرادة ، وتعويد الصبر ،

وتنمية روح الخير والفضيلة فى الإنسان ؟

إذا كان مرد الفساد والاضطراب فى حياة أكثر الناس ، إلى ضعفهم أمام شهواتهم وأهوائهم ، فما أشد حاجة المسلم إلى إرادة قوية حازمة تعصمه من زخارف الحياة التى تفتنه ، وتقيه من شرورها التى تراوده . والصوم وحده هو الكفيل بخلق هذه الإرادة القوية وتنميتها ؛ لأن الصائم يجاهد نفسه ، ويكبح جماحها ، ويفطمها عن اللهو واللذة ، ويروضها على الحرمان والصبر ، وهو إنما يفعل ذلك خوفا من الله لا رياء للناس . وبهذه المراقبة التى تتحكم فى سلوكه وأعماله يظفر المجتمع بالمواطن الصالح الذى يخلص عمله ، ويحسن إنتاجه ، ويؤدى واجبه أكمل أداء ، فلا يتهاون ، ولا يسرق ، ولا يغش ، ولا يرتشى ، إنما يعصمه من ذلك مقام الإحسان الذى ارتقى إليه بالصيام الحق ، ذلك المقام الذى جاء فى حديث الرسول عليه السلام : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وما أشد حاجة مجتمعنا الراهن فيما يواجهه من تحديات ، وما يجتازه من صعاب ، إلى كل عامل مخلص يراقب الله والوطن فيما يعمل ليزيد الإنتاج ويسد الحاجة .

والصوم هو الصبر ، وهو حبس النفس على ما تكره وعما تحب وتشتهى ، فما يزال الصوم يروض نفس المسلم على الصبر ، حتى يصبح من سجاياه ، وحتى يصير قوى الإرادة ، قادراً على التضحية والاحتمال ، فى كل ما ينهض به من عمل فى بناء وطنه .

ولا شك فى أن الصوم بما يغرسه فى النفوس من قوة الإرادة ، وضبط النفس ، وكبح الشهوة ، كفيل بأن يرد المسرف إلى الاعتدال ، ويحمل المبذر على التقشف ، ويصد المستغل الجشع عن غلوائه ، لأنه يقهر النفس ، ويعودها الطاعة العسكرية فى سبيل الواجب .

وما أحوج الأمم التى تتعرض فى بناء كيانها ، ودعم استقلالها ، لهزات اقتصادية ، بنقص فى الموارد ، أو غلاء فى الأسعار ، إلى أن يتعود أبناؤها التضحية بكثير مما يشتهون ، والصبر على الحرمان ، والكف عن الإسراف ، والحد من الجشع والاحتكار والاستغلال ؛ حتى تجتاز أزمتها بسلام ، وأى شىء أبلغ من الصوم فى تربية هـــذه الأخلاق بين الأفراد ، وتهذيب السلوك فى المجتمع ؟

وإذا زعم الزاعمون أن الصوم عبادة سلبية ، توهن الجسم ، وتثبط الهمم ، وتفل العزائم ، وتقعد بالمرء عن العمل والجهاد ، وتدعوه إلى النوم والكسل والفتور ، فقد وهموا وهماً كبيرا ، بعد الذى رأينا من أثره على

صحة الجسم ، وقوة الروح ، وما عرفنا من مزاياه فى تعويد الصبر والتضحية والعزم والإرادة .

وفى تاريخنا الإسلامى العظيم كثيراً ما كان شهر رمضان شهر الغزو والجهاد فى سبيل الله، حيث خاض فيه المسلمون معارك كثيرة ، وهم متسلحون بما أمدهم به الصوم من روحانية قوية ، دفعت بهم فى وجوه أعدائهم ، فى صبر واحتمال ، وعزم وإيمان ، وتضحية وإيثار . لقد كانت غزوة بدر فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، وكان عدد المسلمين أقل من ثلث الكافرين ، ولكن الله أيدهم بنصره ، لإخلاصهم له . وقوة إيمانهم به .

وكذلك كان الفتح الأكبر لمكة المكرمة فى العشرين من هـــذا الشهر ، والمسلمون صائمون ، وهم يزحفون إلى الموطن الذى أخرجوا منه ، والبلد الذى أجلوا عنه .

وما أحوج مجتمعنا العربى اليوم إلى أن يدرك هذه الحقيقة من الصلة بين الصوم والجهاد ؛ وهو يكافح من أجل أرضه وحريته وكرامته . إذا اجتمعت فى الصائم هذه القوى النفسية الثلاث : قوة الإرادة ، وقوة المراقبة ، وقوة الصبر والاحتمال ، فكيف يمكن أن نتصوره عاجزا عن العمل والكفاح والنضال أثناء الصوم ؟ إنها قوى دافعة للعمل ، حافزة عليه ، بل مضاعفة له .

على أن فى الصوم معنى اجتماعيا كبيراً يتجلى فى تحقيق التعاطف الإنسانى ، والتكافل الاجتماعى ، وتضاعف الإحساس بالأخوة البشرية ؛ فما من شك فى أن الحرمان والجوع والظمأ حين يعانيها الغنى الصائم ، تشعره بحاجة إخوانه الفقراء ، وتدفعه إلى معونتهم ، وتحفزه إلى البذل فى الخير ، والتعاون على البر . . قيل ليوسف عليه السلام : كيف تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : أخشى أن أشبع فأنسى جوع الفقير .

ويقول شوقى : « الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة ، وهذا الصوم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ؛ يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف من أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، وألم الجوع إذا لذع » .

وإذا كانت الإشتراكية الروحية فى المجتمع تتجلى فى شهر رمضان باتحاد أفراده فى السلوك والعبادة والتوقيت فإن العلاقات الاجتماعية تتغير كذلك إلى ما فيه خـــير الجماعة ، حيث تتجدد فى هذا الشهر علائق المودة بعد انقطاع ، وتتوقف ألسنة السوء بعد ولوغ فى الأعراض ، وتتعطل أدوات الشر والفساد ؛

وتسود المجتمع روح طيبه سمحة ، هى نفحة من نفحات الله ، ولمسة من لمسات شهر الصيام ؛ ولا يخلو المجتمع الإنسانى من نفحة الروح الإلهى إلا أصبح مجتمعا حيوانيا . تستعبده الشهوة . وتستبد به الأثرة والأنانية .

يقول الأستاذ الزيات : « أليس هذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحى بين المسلمين فى جميع أقطار الأرض ؟ يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد، ويكادون يتفقون على طعام واحـــد ، ثم ينصرفون عن اللذات الحسية والنفسية ، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو . ويغلوا أيديهم عن الأذى ويصدوا أهواءهم عن السوء ... ثم يسمتون سمت الصالحين ، فيمسكون السبحة ، ويتقون الشبهة ، ويتقلدون تقاليد رمضان ، فيهجر السكير الكأس ، ويترك المقامر الورق ويؤجل الشرير الشر ، وينسى المجـــرم الجريمة ... » .

وهكذا فى شهر رمضان يرتبط الوجدان بالعمل ، والفرد بالمجموع ، والدين بالحياة ، فكما أنه تربية للفرد : يوجه سلوكه ، ويهذب غرائزه ، ويلطف طباعه ، ويدفعه إلى العمل فى صبر وإخلاص ، كذلك تتعدى آثاره الفرد إلى المجموع ، بالتعاطف والتضحية ، والإيثار والبذل ، والتكافل والتعاون ، حتى إن قبوله ليتوقف على زكاة الفطر فى آخره ، وهو كذلك يرتبط بالحياة ، وينعكس عليها ، فهو لا يكون صوما حقا ، حتى ينعكس أثره على حياة الصائم : « فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » كما جاء فى الحديث الشريف .

ولا عجب فالإسلام — خاتم الأديان — قد جمع كل خير الإنسانية وجعل الصوم ركنا من أركانه ، بماله من الأثر البعيد فى حفظ الصحة ، وسلامة الروح ، وتقويم السلوك ، وبناء المجتمع السليم .

وإن الصيام الحق الخالص من شوائب الغرائز ، وآثام الخواطر ، وعثرات اللسان، ونزوات الجوارح ، لحقيق أن يترك أثره فى الصائم على الدوام ، فيكون بعد رمضان كما هو فيه، مصطحباً آثاره ، من ضبط النفس ، وقمع الشهوة ، وقوة الإرادة . وإخلاص العمل ، وتحمل المشقة . حتى يحقق لمجتمعه ما ينشده من مجد وحرية ، وما يصبو إليه من عزة وكرامة ، وما يتطلع له من تحقيق العدل والكفاية والرخاء ؟

حسن جاد

الصّيام والجهاد

للأستاذ محمّد الدّسوقى

١ — الجهاد فى الإسلام فريضة مقدسة ؛ لحماية الحق ونشر العدل وقمع الظلم ، وليس — كما يزعم بعض المستشرقين — وسيلة لحمل الناس على الإيمان بالإسلام قهراً ، لأنه لا إكراه فى الدين ، كما أنه ليس وسيلة للإفساد فى الأرض ، أو التحكم فى الرقاب ، ونهب أرزاق الشعوب واستعبادها ؛ وآية ذلك أن المسلمين ما فتحوا بلداً ، أو غزوا أرضاً إلا توارت منه صور العبودية على تباين ألوانها ، وشق طريقه فى الحياة قوياً عزيزاً .

٢ — على أن الجهاد فى الإسلام غير قاصر على حمل السلاح وخوض معارك القتال ، ولكنه يشمل كل ما يدفع الشر ويمحق الباطل ؛ لتظل دائماً كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فمقاومة شهوات النفس والانتصار عليها جهاد ، بل مقدمة لكل جهاد فى الإسلام ، وكلمة الحق أمام سلطان جائر جهاد لا يعدله جهاد آخر ، وبذل الأموال فى سبيل الله جهاد فوق الجهاد بالنفس (١) ، وهكذا فكل عمل يحقق للمسلم العزة والكرامة ، وصوت الحق الذبوع والحماية ، ولدعاة الباطل والسوء الضعف والهزيمة ، فهو لون من ألوان الجهاد فى الإسلام .

٣ — وإذا كان جهاد النفس مقدمة لكل جهاد ، أو هو الجهاد الأكبر كما جاء فى بعض الآثار ، فإن ما افترضه الله على عباده من فرائض يهدف فى مجموعه إلى غاية واحدة هى تهذيب النفس ، والسمو بها إلى آفاق عليا من التطهر والصفاء ، فتصبح أهلاً للجهاد على اختلاف ضروبه وأشكاله ، أهلاً لحمل الأمانة التى نيطت بها دون أن تنال منها أحداث الحياة .

٤ — وفريضة الصيام فى الإسلام لها دورها الكبير فى مجال الإعداد للجهاد بالمال والنفس ، لأن الصيام فى جوهره استعلاء على ضرورات الجسد من طعام وشراب ونحوهما ، وهذا الاستعلاء تدريب عملى ونفسى لإعداد المسلم للحياة العزيزة الكريمة التى خلق لها وأمر بالحفاظ عليها والدفاع دونها ؛ وذلك لأن الصائم حين يمسك عن كل ما يفسد صيامه يستشعر رقابة الله وحده عليه ، ويفطم نفسه عن عادتها المألوفة فترة من الزمان تكون لها بمثابة التدريب العملى على تغليب

---

(١) انظر مقالة أستاذنا الزيات فى عدد رجب من هذه المجلة .

الجانب الروحى فى الإنسان ، فلا تتحكم فيه النزوات والشهوات ، ولا يخدعه حطام هذه الحياة الدنيا ، فيحيا إنساناً عزيزاً أبياً لا يرضى بالدنية فى دينه ويقدم ماله ونفسه فداء لعقيدته وحريته وكرامته .

ولكى يثمر الصيام ثمرته المرجوة فى إعداد النفوس للجهاد والبذل والفداء ، لم يكن مجرد امتناع عن المفطرات من الفجر إلى غروب الشمس ، ولكنه مع هذا امتناع عن كل ما لا يليق بمسلم أن يقدم عليه من فحش القول وغيره ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه من أجله » .

وقال عمر رضى الله عنه : ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ، ولكنه من الكذب والباطل واللغو .

وقال عيسى بن ميمون : إن أهون الصيام ترك الطعام والشراب .

وبهذا يحقق الصيام رسالته الخالدة فى مجال تهذيب النفوس وتطهيرها من شوائب الإثم والمنكر ، وتعويدها سلوك طرائق الخير والبر والمعروف ، ومجابهة شدائد الحياة بإيمان لا يضعف ، وصبر لا ينفد وعزيمة لا تعرف اليأس أو المستحيل ، فنصل بكل ذلك إلى مرتبة التقوى الكاملة التى هى غاية الغايات فى جميع العبادات : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

٥ — وإذا كان الجهاد فى صوره المختلفة يحتاج إلى أناس ذوى عقيدة راسخة ، وإرادة قوية ، وشخصية سوية ، فإن الصيام يثبت العقيدة ، ويقوى الإرادة ، كما أنه يحمى الشخصية الإنسانية من الضعف أو الغرور ، ويسلك بها سواء السبيل ، فإحساس الصائم بمراقبة الله تعالى له ، وإيمانه بأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وهو الذى يعلم حقيقة الصيام يخلق لديه ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه (١) .

وهذا خير ما تقوى به العقيدة ويثبت الإيمان .

وامتناع الصائم عن رغبات الجسد ولذاته ترفع على الرغائب المشتهاة ، ومن شأن ذلك أن تمرن الإرادة على عدم الخضوع للشهوات فتقوى ، ولا تنهزم أمام نزوة عارضة أو عرض فان .

والامتناع عن رغبات الجسد وحاجاته الضرورية من ناحية ثانية يثير الانتباه إلى تلك الحاجات والرغبة فيها والاهتمام بها ، وهذا يذكر الصائم بأنه بشر يحتاج إلى الطعام

(١) انظر تفسير المنار حـ ٢ ص ١٥٩ .

والشراب كما يحتاج الحيوان الأعجم ، وأنه لا يختلف عن ذلك الحيوان إلا بما تفضل الله به عليه من النطق والإدراك والتفكير وإرسال الرسل وإنزال الكتب للهداية والإرشاد .

والتذكير ببشرية الإنسان وحاجته يحول بينه وبين الغرور والاستبداد والادعاء والاستعلاء ، فلا يتجاوز حدود بشريته في كل تصرف من تصرفاته .

وهذا سبيل الشخصية السوية ولا سبيل سواه ، ولعن الله فرعون ؛ فإنه حين نسى بشريته وحاجته اضطربت شخصيته وغابت عنه حقيقته فصاح في قومه « أنا ربكم الأعلى » .

٦ — وبعد ؛ فإن الاسلام دين العزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ولذلك كان دين القوة ، لأنها السبيل الوحيد لتحقيق العزة والكرامة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » .

والقوة التي يدعو إليها الإسلام لا تعرف الإعتداء الآثم لأنها عادلة رحيمة تحرس الحق وتقضى على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وهي روحية ومادية، روحية تتمثل في العقيدة الراسخة التي ترى في الجهاد كله خيرا يتطلع إلى الفوز به المؤمنون الصادقون ، ومادية تتمثل في اتخاذ كل ما يكفل للمسلمين النصر والظفر في مجالات الحياة المختلفة ، وفريضة الصيام في الإسلام تحقق للمؤمنين القوة الروحية والمادية ؛ فهي تطهر النفس من الأثرة والشح والانحراف ، ويوم أن فقه السابقون الاولون معنى الصيام ورسالته الخالدة كانوا قوة تهاب ، فعاشوا أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، ومن المصادفات التي تستحق الاهتمام أن معظم المعارك الحربية التي خاضها المسلمون السابقون وحققوا فيها انتصارات مذهلة أنقذت البشرية من التخلف والهمجية كانت في شهر رمضان ، شهر الكفاح والجهاد الأكبر ؟

محمد الدسوقي

محرر أول بمجمع اللغة العربية

نفحات القرآن

نداءات وصيحات ... فما لنا لا نستجيب ؟!

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

١ ــ « إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » .
٢ ــ « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » .
١٠٣ سورة هود

١ ــ « إن فى ذلك لآية ... » ، ما هو مرجع الإشارة الذى يوجهنا القرآن إلى مافيه من الآية « لمن خاف عذاب الآخرة » ؟ ؟

والجواب هو القصص المذكور فى سورة هود ... وفيه من الآيات والعبر ما فيه ... فهى السورة التى قال فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم : شيبتنى هود ـ حينما سأله بعض أصحابه عن سبب ظهور الشيب فى وجهه الكريم ، أكثر مما يعهد فى مثل سنه يومذاك .

وأقرب ما نتحدث عنه من هذا القصص أهوال جرت على الأمم ... وحكاها لنا القرآن بلفظه ... وصور شاهدها لنا فى كيفيات متعددة ... فأصبح علمنا بها من طريق الحكاية الصادقة ... ومن صور شاخصة نتمثلها بعقولنا ، ونفطن إلى مغزاها بقلوبنا .

وهى أحداث مذكورة فيما بين آية ٢٥ : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين » ، وآية ١٠٣ وهى التى فى صدر موضوعنا : « إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » .

فهذا مجال يتسع لثمان وسبعين آية ... وكأنها نداءات هاتفة بنا إلى التطلع نحو ما جرى على أمة نوح ، وعاد ، وثمود ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، صلوات الله عليهم جميعاً ...

وهو قصص يذكر ما نزل بهذه الشعوب من أهوال ، وما حاق ببلادهم من تدبير ... حتى أندكت حصونهم ، وتلاشت معالم سلطانهم : « فجعلناها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس » .

فتلك أحداث : لها منطق نسمعه من

ألفاظ القرآن ... ولها أشباح نتخيلها فى تصوير القرآن ...

نتخيلها فى صورها الواقعية : من إغراق بالطوفان وتدمير بالريح العاتية ، وبالصواعق المحرقة ، والصيحات المدوية فى آفاق الأرض .

وفى هذا التنبيه المزدوج : بلفظه ، وتصويره إشعار بأننا على نحو من هذا البلاء ، إذا سلكنا مسالك هؤلاء الأسلاف فى طغيانهم وظلمهم لأنفسهم : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » يعنى هذه سنة الله ، فى بلائه لعباده ، إذا شاء أن يأخذهم بظلمهم . وربك لا يعجزه شىء ... وعنده من علم الغيب ما لا ندريه : كيفا ، ولا كما ، ولا يمكن بغير طاعة أن نتق سخطه ، كما فعل ، أو أشد مما فعل بالأولين الخاسرين .

* * *

٢ — هذا القصص المذكور فى ثمان وسبعين آية من سورة هود أشبه بما ذكر الله فى سورة الأعراف : من آية ٥٩ : « لقد أرسلنا نوحا إلى قومه » ، إلى آية ١٧٧ : « ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ... » . فهذا مجال فسيح كذلك ، يتسع لمائة وثمان عشرة آية ... وفيه ذكر لنوح ، ولمن سبق بعده من الرسل عليهم السلام .

وفيه كذلك بسط للحديث عما تعرضت له الأمم بسبب كفرها من سخط الله وعذابه فى الدنيا فضلا عما هى لاقية من عذاب الله فى الآخرة .

ومن باب التخفيف عن القارىء لا أسترسل فى التفصيل مكتفياً بما أسلفت فى مناسبات كثيرة ، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى : « فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، وأن نذكر قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل . الخ » .

٣ — وإلى هنا نتريث لنرجع إلى أنفسنا فيما نحن بسبيله ... هل لنا نصيب من صادق الإيمان لنأخذ بالهدى من قصص الأولين ؟؟

نعم : شىء من الأناة ، أو جانب من الرشد ، أو يقظة من الوعى يكفى لحسن الاختيار فإن العبرة لا تتاح للأحمق ، والوعى لا يوجد عند الغافلين ... والله يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » .

أما إذا كانت العقلية فى تخلف ، والميول منصرفة عن الجدية ، فإن التوجيه ذاهب ، وإن العبرة ضائعة ... والنداء لا يسمعه إلا من كان حيا .

٤ — والله سبحانه يتداركنا بهذه التوعية فيقول فى الآية : « إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » ، يعنى : إن الاستفادة إنما

تحصل لمن توافر له الإيمان ليصدق ، وتوافرت له الخشية ليعمل ، ويأمل فيما عند الله .

إن الإيمان مثار الوعى ، ومناط الاستجابة لدعوة الدين ... وإن الخشية من الله مفزع الإنسان من لوثة الضلال إلى حوزة الأمل فى رضوان الله ، يوم يلتى المرء ربه ، وهو يوم مشهود ، يوم يحضره كل من خلق الله : من ملائكة ، وإنس ، وجن ، بل ويحضره كل من عاش فى هذا الوجود من أرواح « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » .

وكم أهاب القرآن ، ولا يزال يهيب ، ونحن على ما كان غيرنا بالأمس : مابين سادر فى غفلته .. فلا يلتفت إلى من سبق .. ولا يتأهب لما يأتى .. فهو عن العبرة بمعزل ، وفى بعد سحيق .

وما بين متدين . قابض على دينه فى غير تحفظ لدينه : بل هو كما يصفه القرآن « يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن إصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » .

٥ — فأين المؤمن الذى دخل فى عهد الله ، « وصدق ما عاهد الله عليه ، نبحث عنه فيما بيننا ، فلا نكاد نصادفه ، حتى فى أنفسنا ، والله الذى يعلم ما نخفى وما نعلن !

إن حياتنا جرفتنا عن محيط الإسلام ، فأنت ترانا أمة مسلمة بالأفواه لا بالقلوب ، وترى بيننا كثرة كاثرة ، لا يخطر ببالها شعور بالدين ، ولا ترى للإسلام فى مساكنهم روحا ، ولا أثرا عمليا ، ولا تفكيرا فيما هم عليه من تطرف ، وقبح تصرف !!

وترى دعوة الدين غريبة على أسماعهم ، بغيضة إلى قلوبهم .. حتى إذا ما كان لهم شىء من أمر الناس كانوا السبب فى بلاء الناس ، لأنهم لم يجدوا من قومهم إيمانا يقف فى سبيلهم ، أو ينبههم من غفلتهم !

فتكون المصيبة عامة ، والفتنة قد لا تقف عند الظالم وحده ، والله يقول « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » .

الناس فى هذه الأيام يحسون بوطأة الحياة القاسية ، ويتألمون لأن أهل الكفر يقفون من المسلمين والعرب جميعاً موقف الجبروت ، والطغيان الحاقد .

وإن لم يكن هذا عن تضامن المحبة بينهم ؛ فهو موالاة الظالم للظالم ، والظلم لا يعيش كثيراً ، لأنه على غير سنة الله فيما رضيه لنفسه ، وشرعه بين عباده « إن الباطل كان زهوقا » .

ولكن هل يكفينا شعورنا بالألم ؟ ! أو يكفينا أن بعضنا يتهامس بالحسرة على ضعف التدين ، ويعتمد على الأمل فيما سيفعل الله بأهل الكفر والعدوان ؟ !

إن الله لم ينصر علينا أعداءنا لأنه يحبهم .. بل هو يغريهم بكفرهم .. ويجعل نصرهم علاجا لنا ، وزجراً عن مخازينا ، والأمر بعد الذى نزل بنا فى حاجة إلى النظر فيما فرط منا ، والمسارعة إلى تركيز الخلق ، وكبح الغواة ، وإشعار كل أمة من الأمم العربية أن لها دينا ، وكتابا ، وأوضاعا ، وتقاليد، غير ما تأخذ به عن سواها ، وغير ما يتفشى بينها يوما بعد يوم .. ولعلنا بهذا ندرك ما فاتنا ، ونذكر ما نسينا .

٦ — إن بارقة الأمل فى تجديد ما تهدم من كيان شخصيتنا الإسلامية لتلمح فيما نسمعه من نبرات أسيفة يتهامس بها الناس فى ساعات من أوقاتهم .

فلعل هذه الهمسات إشعاع لما يجيش فى الصدور ، ثم ينبثق فى شعور عام بما يجب أن يكون .

وعلى سبيل التفاؤل , قرأنا ما نشرته الصحف عن جمهورية الجزائر حيث وجهت شعبها إلى الاحتفاظ بتقاليد الإسلام فى الاحتشام ، وعدم الانحدار فى تهتك الملابس وابتذال المرأة فى متابعة الأهواء الماجنة .

وقرأنا كذلك ما أعلنه الملك فيصل من توجيه المرأة العربية عنده إلى التحفظ فى مظهرها ، واعتصامها بآداب دينها . وحظره على الشباب أن يندلع فى تيار الميوعة ، ويتحلل من تقاليد الإسلام ، وينسى مكارم العروبة فى أخلاقها وتقاليدها .

وهذه التوجيهات ـــ لا شك ـــ لها أثرها الفعال ، والحاجة ماسة إلى متابعتها ، متابعة جـــدية فى محيط المجتمع ، حتى لا يصيبها ما أصاب توجيهات الله فى تشريعه .. وقديما قالوا «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»

ونحن فى جمهوريتنا العربية ننشد توعية لشعبنا ، ونطمع فى الالتقاء مع جمهورنا فى ظلال الدعوة الجديدة إلى ما رسم الله لنا من مسالك الهدى فى الدين ، والدنيا ، لنظفر بمثل ما ظفر به أوائلنا الذين بنوا لنا مجدا نفاخر به ، ولكننا لم نقم على حراسته .

إن مصر طليعة الشعوب الإسلامية ، وهى مركز قيادة علمية ، وسياسية .. وإزاء هذه المكانة يتحتم عليها أن تكون أكثر حفاظا على مقامها بين أمم الشرق .

وفينا طليعة من رجال الحكم الثورى ، تنشد للأمة كل صلاح ، وتبادر إلى انتهاز كل فرصة . فلا علينا أن نضاعف الجهد فى الرجوع بالمجموع إلى ما يليق بنا ، وإلى تطهير المجتمع من التحللات التى باعدت بيننا ، وبين تراثنا ، وأصبحنا نبحث عنه من جديد .

عبد اللطيف السبكى

ظهور التقليد على مسرح الفقه

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

الحد الفاصل بين الاجتهاد الفقهى كما عرفناه. وبين التقليد المذهبى كما درجنا عليه . . هو وفاة الإمام الفقيه خاتمة المجتهدين أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المولود سنة ٢٢٤ هـ والمتوفى عام ٣١٠ هـ فى أصح الروايات . . فالعصر الذى عاش فيه ذلك الإمام وما تقدمه من عصور . . كان يزخر بالاجتهاد فى الأحكام ويعج بالاستنباط الفقهى . . حيث توسع الفقهاء فى وضع المسائل، واستنباط أحكامها، كما ظهر ذلك بصدق وبعمق فى أعمال مدرسة الرأى الفقهية عند أهل العراق بزعامة أبى حنيفة رضى الله عنه . فهؤلاء قد اعتمدوا أكثر ما اعتمدوا فى عملهم الفقهى الخصيب على قوة الافتراض والتخيل، فأكثروا من التفريع والتشقيق . . وعرفوا بالفقه التقديرى . . الذى تمخض عن حشود هائلة من المسائل الفقهية التى وقعت . . والتى ستقع والتى قد لا تقع . وكان الرأى القياسى مشكاتهم الهادية التى كشفت لهم النقاب عن مجاهيل تلك الأحكام ، ووسعت نطاق مجالهم فى الاستنباط بصورة لم يسبق لها مثيل ، ولم يلحق بها بديل . وكان ابن جرير الطبرى خاتمة المطاف فى دورة الاستنباط الحر . . والاجتهاد المطلق بين الفقهاء جميعا . . إذ كان رحمه الله تعالى يعتمد فى فقاهته وأحكامه على أصول وقواعد خاصة . . ولم يكن فى عصره من يلزمه بتقليد ، أو ينكر عليه المستحدث الجديد . ومذهب الطبرى الفقهى ـ وإن كان من المذاهب البائدة التى لم يقدر لها البقاء . . نظرا لقلة الأتباع ، وانقراض التلاميذ ، وضحالة المؤلفات وتشتتها ـ إلا أنه يعتبر فى رأى علماء التشريع الفصل الأخير فى قصة الاجتهاد التى بدأت بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأجلاء . . وقد طغت بعده موجة عارمة من الجمود الفقهى ، والتقليد المذهبى . . لا يزال العالم الإسلامى يعيش فى مدها حتى وقتنا الحاضر . وذلك على الرغم مما ظهر من محاولات مبشرة لإحياء الاجتهاد ، وفتح بابه المغلق .

ولا شك أن كل عصر من العصور الفقهية كان ينتظم مجتهدين ومقلدين . . فالمجتهدون هم الذين كانوا يدرسون الكتاب والسنة دراسة حرة طليقة تخلق فيهم الوعى الاستنباطى الجرىء ، وتبعث لديهم المقدرة العلمية على إصدار الأحكام . . أخذا من ظواهر النصوص . . أو فهما من معقولاتها . .

أو قياسا على نظرائها وأمثالها . أما المقلدون فهم هؤلاء الطبقة التى تمثل دائما الأكثرية الساحقة من الأمة .. والذين لم تتح لهم مؤهلات الاجتهاد ، ولا مواهب الفقهاء .. فلما توفى الإمام الطبرى فى أوائل القرن الرابع الهجرى اختفى من مسرح الفقه المجتهدون المستنبطون ، واحتل مكانهم المقلدون من الخاصة والعامة على السواء .. ونعنى بالتقليد هنا تلقى الأحكام عن إمام معين ، واعتبار أقواله حجة ملزمة ، ورأياً واجب الطاعة .. حتى لكأنها نصوص مقدسة .. أو شريعة منزلة ..

ولقد ذر قرن هذا التقليد فى أفق الأمة الإسلامية فى مطلع القرن الرابع الهجرى بعد وفاة الطبرى . فاختلف تبعا لذلك نوع الدراسة الفقهية التى كانت سائدة فيما قبل ..

فبعد أن كان طلاب الفقه يضعون فى رأس منهجهم العلمى دراسة الكتاب والسنة دراسة مستفيضة واعية تؤهلهم للنظر الحر ، والفتوى الجريئة ، ويعتبرون أن الكتاب والسنة ركيزتان للاستنباط لا غنى عنهما ، ولا مناص منهما . اتخذت الدراسة فى عصر التقليد وجهة أخرى ووضعت فى حسابها نهجا دراسيا آخر .. فكان الفقيه يضع نصب عينيه دراسة كتب معينة ، لإمام معين ، له طريقته الخاصة ، واتجاهه المعروف به ، بحيث لا يحيد الدارس عن ذلك قيد أنملة ، ولا يحدث نفسه بالتحول عنه ، أو التحلل منه مهما ظهر له من جانب خصومه فى المذهب ، من حجج دامغة ، أو أدلة مقنعة .

فإذا وعى الدارس من ذلك ما شاء أن يعى ، وألم بمذهب إمامه إلماما كافيا صار من العلماء ، الذين يشار إليهم بالبنان ، ويسير بذكرهم الركبان . فإذا علت همته إلى ما فوق ذلك فإنه يؤلف كتابا فى إطار المذهب ، أو يختصر منه مؤلفا ، أو يشرح مختصرا ، أو يجمع متفرقا . ثم لا يجد الفقيه بعد ذلك من نفسه الجرأة على أن يقتحم باب الاجتهاد الموصد ، ولا تتطاول همته إلى أن يفتى فى مسألة ما ، بغير ما يفتى به إمامه ، حتى لكأن الحق كل الحق فى مذهبه ، والباطل كل الباطل فيما وراء ذلك !

ولقد بلغ الأمر ببعض المقلدين حد السرف والغلو ، ومن هؤلاء ، طليعة الفقهاء الحنفية فى دور التقليد ، وهو أبو الحسن عبيد الله الكرخى فقد قال : كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهى مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ . وهذا القول بما فيه من تهجم على مصادر التشريع الأساسية يرينا إلى أى مدى عطل الجمود الفكرى قدرات الفقهاء ، وأصابها بالشلل والتوقف ، كما يرينا البون الشاسع والهوة السحيقة بين تلك

العقليات المقلدة ، وبين أمثالها من المتحررين المجتهدين .

ومنهم على سبيل المثال الإمام الشافعي رضى الله عنه ، فقد كان له من حرية الرأى وشجاعة الفكر ما جعله يملى مذهبه القديم فى بغداد ، ثم يظهر له من الدليل ما جعله يملى مذهبا جديداً مخالفاً لمذهبه القديم ، فى مصر ، فكان يقول اليوم رأيا ، ويقول غدا ما يخالفه حسبما يهديه إليه اجتهاده .

ولم يكن الشافعي فى ذلك بدعا بين المجتهدين ، فقد سبقه إلى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى قضى فى عام من الأعوام بحرمان الإخوة الأشقاء من الميراث مع الإخوة لأم ، وأم ، وزوج . . ثم وأشرك الإخوة جميعا فى ثلث المال فى العام التالى وقال فى ذلك قولته المأثورة : « ذاك على ما قضينا ، وهذا على ما نقضى » ، وكان الرأى المتفق عليه فى عصر النهضة الفقهية التى سبقت عصر التقليد ما نقل عن الأئمة جميعا : « إذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » .

وهذا اعتراف صريح منهم بجواز الخطأ والنسيان عليهم ، وإمكان القصور العلمى فى مداركهم .. ولكن ظهور التقليد بعد ذلك بهذه الصورة الجافة العقيم ، جعل المقلدين يخلعون على أئمتهم صفات تشبه العصمة ، ويضعونهم فوق الخطأ والقصور مما جعل الكرخى يقول ما قال . .

ثم يحذو حذوه الإمام الجوينى والد إمام الحرمين فقد شرع فى تأليف كتاب سماه « المحيط » ، واختط لنفسه فى تأليفه طريقة المجتهدين الأحرار الذين يستقون أحكامهم مباشرة من الكتاب والسنة . . وما إن أتم منه ثلاثة أجزاء حتى انتقده البيهقى المحدث المشهور . . برسالة بعث بها اليه يبين له أن علل الأحاديث لا يمكن أن يلم بها الإخصائيون فى علم الحديث . . فلم يقو الجوينى على احتمال هذا النقد ، واستسلم فى يأس لقيود التقليد الثقيلة . . وألقى القلم والقرطاس من يده . . ولم يتم تصنيف المحيط وقال بعد أن دعا للبيهقى : هذه بركة العلم ! ! مع أن الإمام الجوينى كانت لديه القدرة على الاستنباط والاجتهاد . . ولكن شبح التقليد الذى كان يخيم على محيط الأمة إذ ذاك كان أقوى من أن تحمله عزيمة ذلك الإمام .

ولقد كان ظهور التقليد على مسرح الفقه فى أعقاب النهضة الفقهية التى بلغت ذروتها فى عصر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الشائعة ـ بمثابة رد فعل طبيعى لتلك الحركة العلمية الدائبة التى تمثلت فى ذلك النتاج الفقهى الرائع للأئمة المجتهدين . حيث بسط الفقه نفوذه على كل مظاهر الحياة الإسلامية فى ذلك

الحين ، ودان لسيادته الأمراء والحكام والولاة والخاصة والعامة وامتلأت آذان المجتمع الإسلامى بذلك الرنين الهائل الذى فجرته قوة الاستنباط الفقهى فى شتى المجالات .

فقد تلقف الناس تراث الأئمة الأربعة وتلامذتهم بكل عناية واهتمام . . ووجدوا فيه كفاية لكل متطلباتهم ، وجوابا عن كل أسئلتهم . . والحق أنه لم يكن تمت أفق من آفاق الحياة العملية إلا حاق فيه المجتهدون بأحكامهم ، ولا جانب من جوانب المجتمع إلا ارتادوه ببحثهم وتنقيبهم ، حتى خلفوا فى جنبات الفقه مراعى ممرعة للمنتجعين ، وحتى لكأنهم كانوا يصنفون لعصر غير عصرهم ،، ويلبون حاجات أجيال وراء جيلهم .. فكان من طبائع الأشياء أن تصاب الحركة الفقهية بعد عصر النهضة بجمود وهدوء . على قدر ما تمتع به الفقهاء المجتهدون من حرية فى الفكر ، وصراحة فى الحكم .

وهذا هو الذى كان . . فقد اكتفى الفقهاء المقلدون بما وقع فى أيديهم من تراث موروث . . ووجدوا فيه غذاءهم الفقهى الناضج الماثل . . الذى يوفر عليهم الجهد والوقت . . فلم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن جديد . . ولا الكشف عن المستحدث المفيد وبلغ بهم هذا الحال إلى حد إغلاق باب الاجتهاد . . فضيقوا على أنفسهم ما كان واسعا . . وأغلقوا دونهم منفذا حيويا . . وقالوا : ما ترك الأولون للآخرين شيئا . . واعتقدوا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان وأن الخير كل الخير فى التقليد والاتباع ، والشر كل الشر فى الاجتهاد والابتداع ، وسرت تلك النزعة الهدامة فى الأمة سريان النار فى الهشيم ، وباتت تهدد كل متحرر بالمروق عن الدين ، والاتهام بالبدعة ، وتنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور على كل من يتصدى للاستنباط الحر . . والاجتهاد الطليق .

وساعد على إذكاء تلك الشرارة الخطرة .. عوامل زادت الطين بلة . . والمريض علة .. فقد ظهر لكل مذهب أعوان خطرون ، لهم من ذكائهم . ومراكزهم الاجتماعية . ما مكنهم من حفظ مذاهب أئمتهم فى تعصب وولاء .. فدونوها بعناية . . وانحازوا لها فى عصبية . وفرعوا على أصـــولها ، وبوبوا فصولها ومسائلها .. ولقد وثق الحكام وذوو السلطان بهؤلاء التلاميذ ، وكان لهم عندهم الحظوة والزلفى . . فقربوهم من مجالسهم . واتخذوا منهم نداماهم وسمارهم ..وانتهز هؤلاء التلاميذ تلك الفرصة المواتية . . فمكنوا لمذاهبهم من الذيوع والشيوع .. واستطاعوا بذكائهم صبغ الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بلون مذهبهم الخاص ،وسيادة إمامهم المتبع.

ورأى الشعب ذلك . . والناس على دين

ملوكهم - كما يقولون فانغمس بدوره فى تيار التبعية المذهبية . ثم جرفه ذلك إلى هاوية العصبية الإمامية . . فصار يخطىء بعضهم بعضا . . ويمتنع بعضهم عن الصلاة خلف مخالفه فى المذهب ، بل . . وأحيانا يتحرج البعض من تزويج البعض المخالف ! !

ثم وقف هذا التعصب المذهبى فى الفقه حجر عثرة فى وجه من يحدث نفسه بالطموح العلمى والتحرر الفقهى ، ولذلك أحجم كثير من الفقهاء عن المخاطرة بالتورط فى باب الاجتهاد واكتفى أكبرهم قدرا ، وأعلاهم ذكرا بأن يكون « مجتهد مذهب » يفتى على أصول إمامه ويسير فى إطار فقهه ، فيرجح أحد الرأيين المأثورين على الآخر . . أو يخرج حكما لحادثة جديدة . . على وفاق حكم لإمامه فى حادثه مشابهة . . أو مقاربة . . ويلتزم بطريقة إمامه فى الاجتهاد ، واستقراء الأدلة وترتيب بعضها على بعض ، ولا يخرج عن هذا النطاق إلا نادرا فى مسائل .

وكان للقضاة فى دور التقليد دور هام فى تركيز الاتجاه التقليدى فى الفقه . . فقد لاحظ الناس فى فترة من الفترات أن القضاء تأثر بالأغراض والأهواء الخاصة . فكان القاضى يفتى تارة برأى الإمام ، ويفتى تارة أخرى بما يخالفه لإمام آخر حسبما تمليه مصلحته الخاصة . . فمال الرأى العام إلى أن يتقيد القاضى بمذهب مدون لا يحيد عنه ولا يقضى بدونه .

وكان للجانب السياسى أثره فى نصرة مذهب على مذهب ومقاومة تيار الحرية الفكرية فى مجال الفقه . فحينما يتعصب السلطان لمذهب ما تكون له الغلبة والتقدم ، ولغيره الضمور والاختفاء . حدث هذا فى عهد محمود ابن سبكتكين ونظام الملك فى بلاد المشرق حينما تعصبوا لمذهب الشافعى ، كما تعصب لنفس المذهب فى بلاد مصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب . وعلى نفس هذا النهج سار حكام الأتراك بالنسبة لمذهب أبى حنيفة . . أينما حلوا ، وحيثما بسطوا سلطانهم ؛ فكانوا ينشئون المدارس لهذا المذهب ويحبسون على طلابها الأعطيات والمنح . . كما كانوا يقصرون وظائف القضاء والفتوى على أبناء هذا بالذات . بينما يبعدون أبناء المذاهب الأخرى عن تلك المناصب ويرونهم دون الأولين علما وعملا .

وأخيرا ، فإن تدوين المذاهب بأيدى الثقات الأعلام . . كان له أثره الحاسم فى تهيئة عوامل البقاء والخلود لمذاهب أئمتهم فقد حمل ذلك طوائف الأئمة على اعتناق مدونات المذهب الذى يتعشقونه ، والإمام الذى يرتضونه . . ورأوا فى هذه المدونات الفقهية الجامعة صمام الأمان ضد تهجم الأدعياء . . وتطاول المتكلفين . . فاعتصموا

القرآن الكريم
" كما أثنى عليه الحق سبحانه "

للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى

فى ما كنا نحفظ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم قوله يثنى على ربه عز وجل : « لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ـ كلمات كريمة دون العشر هى من جوامع الكلم التى لا يقولها إلا نبى . إنها الغاية فى الأدب مع الحق سبحانه ، وفى مراعاة ما يليق بجلاله تعالى وكماله ، فشطرها الأول إقرار بالعجز ، عجز أفصح الخلق ، عن توفية الله حقه من الثناء ، وشطرها الثانى تقرير للحقيقة الكبرى : أن محامده عز وجل لا يقدرها قدرها على الحقيقة إلا هو سبحانه .

وفى الكلمات الشريفة لطائف قد تمر فلا تلحظ ، فضمير الجمع فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا نحصى ثناء عليك » ، يدل على أن الأمر يتجاوز ذات النبى الكريم ومقدرته إلى الأمة بل والبشرية كلها ومقدرتها ، وضمائر الجلالة والتفويض إلى الله ، المنطوى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أنت كما أثنيت على نفسك » ، يفيد أن صفاته عز وجل التى دلت عليها أسماؤه الحسنى فى القرآن الكريم ، لا يعرف مدى جلالها وكمالها إلا هو سبحانه ، فكل تصور للعظمة الإلهية مثلا هو دون

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

بنصوص هذه الكتب يحفظونها كما يحفظون قرآنهم ، ويشرحون معانيها كما يشرحون حديث نبيهم ، ويتمسكون بالمأثور فيها بكل قوتهم ؛ فإذا ما ظفروا فى مسألة من المسائل بنص مروى عن الإمام . . خرست لذكره الألسن ، وتعطلت لسماعه الأفهام وأمسكت لروايته العقول عن تجوالها حول الحقائق والروايات ، والآثار والمسندات . . وصار من القضايا المسلمة : أن ما فى النصوص مقدم على ما فى الشروح ، وما فى الشروح مقدم على ما فى الحواشى والتعليقات . ولا يزال الفكر الإسلامى إلى يومنا هذا يعيش حياته الفقهية عالة على الأولين يأخذ مما أخذوا ويترك ما تركوا وذلك على الرغم من وموض بوارق من الأمل تبشر ببزوغ فجر جديد لنهضة فقهية . . نتطلع إليها بكل لهفة ، ونترقبها بفارغ الصبر .

محمد محمد الشرقاوى

ما يتمثل فى اسم الله (العظيم) ، وكل تصور لحكمته تعالى هو دون ما يدل عليه اسمه (الحكيم) ، وقس على ذلك سائر أسمائه الحسنى سبحانه .

والقرآن الكريم كلام الله وكتابه الذى يخاطب به عباده ويتعرف إليهم فى آياته ، فى لغة اختارها سبحانه وأعدها طبق سننه تعالى فى تطور اللغات على مر الأحقاب والعصور ، حتى صارت قابلة لتحمل ما أراد سبحانه أن يحملها من معنى لهداية العرب ثم لهداية البشرية إليه سبحانه وإلى دينه الذى يطابق الفطرة : (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم). ولولا أن الإنسان طرف مخاطب بالقرآن ما أمكن أن توجد لغة تتحمل معانى كلام الله . ولولا أن القرآن أنزله الله لهداية البشرية التى علم سبحانه أن سترقى بفضله فى العقل والعلم إلى ما يؤهلها بالتدريج لفهم كتابه ، ما اقتضت الحكمة الإلهية أن يجىء القرآن مطابقاً لسنن الله فى فطرة عالم الشهادة ، ومبصرا بالفطرة فى عالم الغيب بالقدر الذى يكفى لتنجية الإنسان من الهلاك الذى لابد يؤدى إليه الجهل بالله والكفر به سبحانه وبأحكامه ، والتعبير البيانى عن هذا كله هو الذى يجعل القرآن معجزاً للبشرية ، مهما بلغت من الأدب والعلم ، أن تأتى بسورة مثله ، ويوجب على الإنسان تمام الدقة والاحتياط فى فهم القرآن وفقهه .

ولن يبلغ الإنسان من تقدير القرآن ما ينبغى له إلا إذا اهتدى بما وصفه الله به وما أثنى به عليه ، ناظراً فى كل صفة يتدبرها ويتطلب السر الذى من أجله وصف الله بها كتابه العزيز .

ولعل خير ما يبدأ به من هذا أن ننظر نظرة إجمالية فيما أثنى الله به على القرآن الكريم وهناك لهذا سبيلان: سبيل استخلاص وجوه ثناء الله على كتابه من سوره حسب ترتيب نزول الوحى بها ، وسبيل استخلاصها من سوره حسب ترتيبها التوقيفى فى المصحف الشريف ؛ وفى هذه الحالة يكون هناك ابتداءان حسب أى طرفى المصحف يبدأ منه الباحث : طرف الطوال من السور أم طرف القصار ؛ فهذه طرق ثلاث كل منها كاف شاف وياحبذا لو أمكن سلوكها جميعها للمقارنة بينها فيما تؤدى إليه من ترتيب لصفات القرآن ومحامده ، وأكبر الظن أن كلا منها سيكون له مزاياه فى التبصير بخصائص القرآن .

ولنضرب لذلك مثلا بنظرة فى أول وصف للقرآن نلقاه إذا سلكنا على التتابع كلا من الطرق الثلاث . ففى طريق ترتيب السور حسب نزول الوحى بها نلتقى فى آخر سورة القلم ـ ثانية تلك السور قوله تعالى : (وإن

يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ، ويقولون إنه لمجنون . وماهو إلا ذكر للعالمين) ولا يدرى فى هاتين الآيتين الكريمتين أى الثناءين على القرآن أعظم وأفخم : الثناء عليه بأنه الذكر لا ذكر غيره يساميه أو يدانيه ؟ أم الثناء عليه بأنه ذكر للعالمين على هذا التعميم العجيب الذى يشمل الإنس قاطبة بل والجن ، لا فى عصر بذاته أو قطر ، ولكن فى جميع الأقطار وفى كل العصور ! ؟

وفى طريق ترتيب السور فى المصحف الشريف نلتقى فى طرف الطوال منها فى الآية الثانية من سورة البقرة قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الآيات . وفى طرف القصار من السور نلتقى أول ما نلتقى قوله تعالى فى الآيات الأولى من سورة البينة : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . فيها كتب قيمة) فقد توالى الثناء من الله على كتابه فى كل من هذين الموطنين الكريمين .

القرآن هو الكتاب لا كتاب يدانيه فى سموه ، ليس فى ذلك شك ، وليس فى شىء حواه القرآن شك . ثم هو هدى لمن آمن وعمل به فاتقى بذلك الضلال والخسار ، واستوثق من أن الله هاديه ومؤتيه النجاة والفوز على الإطلاق والدوام ، ووصف الاهتداء بالقرآن وعاقبته تؤديه الآيات الثلاث التى تلى آية وصف القرآن ، ونفى الشك بشطريه المذكورين آنفا يؤديه قوله تعالى (لا ريب فيه) بوجهيه حسب مرجع الضمير . فهو يرجع إما إلى معنى الجملة (ذلك الكتاب) وإما إلى الكتاب ، وإذن فهو يفيد المعنيين على الجمع لا على التخيير ، فكذلك ينبغى أن نفهم كل عبارة قرآنية تفيد فى فصيح العربية أكثر من معنى لا يمنع منه مانع . وهذا من خصائص كلام الله الذى لو شاء لأنزل العبارة نصا فى معنى واحد إن كان وحده هو المراد ، وهى خاصة بكلام الله ، إذا روعيت فى فهمه جلت من إعجاز القرآن وجها جديداً عجيبا ، وذهبت بكثير من الخلافات بين أهل التفسير ، وبالإبهام الذى يوهمه إيرادهم معانى العبارة الواحدة على التخيير بالحرف (أو) بدلا من إيرادها على الجمع بحرف (الواو) . هذا عن ثناء الله على كتابه فى آية سورة البقرة .

أما ثناؤه سبحانه على كتابه فى آيات سورة البينة فهو منصب على صحف القرآن ؛ فهى إذ يتلوها الرسول ، حجة الله البينة على عباده ، ورسالته البينة إليهم ، وهى مطهرة ، وهو

وصف عجيب جامع ، يؤكد من ناحية نفى الريب عن القرآن كالذى فى آية سورة البقرة، ويزيد من ناحية أخرى نفى التحريف عن صحف القرآن نفسها ، فلا يدخل فيما خط فيها خطأ ما . وهذا جانب عجيب من الحفظ الذى وعد الله به مؤكداً فى قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ـ جانب حققه ويحققه الواقع ، وحفظ يذهب بكل ما أثاره أو يثيره أعداء الإسلام أمثال (جلد تسيهر) من شبهة مبنية على عدم النقط والشكل فى مصاحف سيدنا عثمان لحكمة لله فى ذلك بالغة، هى احتمال المصحف عصرئذ لجميع القراءات التى نزل بها القرآن وتلقاها الصحابة من فم الرسول عليه الصلاة والسلام .

وكما وصف الله صحف القرآن بأنها مطهرة ، وصفها بأن فيها كتبا قيمة . نزهها عن العيب بالوصف الأول ، وأثبت الكمال لما فيها بالوصف الثانى . فالسور فى تلك الصحف كتب . طويلها كتاب ، وقصيرها كتاب . واللفظ فى العربية يفيد المعنيين المناسبين للطويل منها والقصير . فالطويل منها كتاب بالمعنى المألوف ، والقصير منها كتاب بالمعنى الذى نطلق عليه الآن كلمة خطاب . وكل منها بعد ذلك كتاب قيم بالمعنى الذى وصف الله به كتابه فى مفتتح سورة الكهف ؛ فهو مستقيم فى ذاته ، قيم ووصى على ما يناظره من الكتب السابقة المنزلة ، والكتب اللاحقة المؤلفة . ثم هى مجتمعة قيمة على الناس ، تهديهم إلى الحق والخير وتحذرهم مصارع الباطل والإثم .

والآن : تأمل واعجب معى من الترابط الوثيق بين ذلك الثناء المتوالى ، على تطاول فترات ما بين نزول الوحى به ! فسورة القلم التى أثنى الله فيها على القرآن بأنه الذكر ، وذكر للعالمين ، هى ثانية السور المكية . وسورة البقرة التى أثنى الله فيها على القرآن بأنه الكتاب ، لا ريب فيه، وأنه هدى، هى أولى السور المدنية . فبين نزول الوحى بالثناءين نحو عشر سنين . وسورة البينة التى أثنى الله فيها على القرآن بأن صحفه مطهرة من الباطل ومن التحريف ، وأن سورها كتب وكتب قيمة ، بكل ما يدخل تحت ذلك من معنى، هى رابعة عشرة السور المدنية ، كأنها فيها واسطة عقدها البالغ عدد سوره ثمانيا وعشرين ؛ ففترة ما بينها وبين سورة البقرة تقرب من خمس سنين . ومع ذلك فالنجوم القرآنية الكريمة تبدو فى ترابطها وترابط الثناء فيها على القرآن كأنما نزلت متتالية متتابعة ، وذلك يتبين بتأملها ، لا بالترتيب السابق وحده ولكن بأى ترتيب تشاء بين السور الثلاث . لكن البدء من طرف

ترتيب النزول هو الأولى بالتتبع التاريخى وليس يهم - فيما يبدو - أن تتطلب بعد ذلك ثناء الله على القرآن من أى طرف المصحف شئت . فلنتبع النظرة السابقة بنظرة أخرى ولننظر ماذا تسفر عنه .

إن السورة التى تلى سورة القلم وفيها ثناء على القرآن هى سورة التكوير ، سابعة السور من حيث ترتيب النزول ، وهنا نلتقى ثناء سورة القلم قد تكرر فيما يبدو فى قوله تعالى : « إن هو إلا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم » ، وهذا أمر له دلالته من غير شك. إن الله قد أثنى على القرآن بأنه ذكر للعالمين مرتين متتاليتين فى أول سورتين مكيتين أثنى الله فيهما على كتابه . فالصفة الأساسية الأولى للقرآن الكريم إذن أن الله أنزله ذكراً للعالمين عامة . وهذا تقرير لعمومية رسالة القرآن غير تقرير عمومية رسالة من أنزل عليه القرآن ، محمد عليه الصلاة والسلام فى نحو قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، والأمران طبعاً متلازمان يثبت أحدهما بثبوت الآخر ، لكن سبق تقرير عمومية القرآن على تقرير عمومية رسالة الرسول هو نص على أن الأصل فى هذا الوصف العظيم الذى تميز به الإسلام من بين الأديان هو عمومية الكتاب ، وأن عمومية رسالة الرسول إنما جاءت بالتبع ، لأنه صلى الله عليه وسلم هو المكلف من عند الله بتبليغ القرآن : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، ثم بتبيين القرآن مسمى باسمه الذى كان أول ما أثنى الله به عليه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون » .

ومن رحمة الله بعباده أن قرر صفة الإسلام الأساسية هذه من طرفيها : طرف القرآن كتاب الله ، وطرف الرسول الذى أرسل بالقرآن ، وأنه سبحانه لم يكل إلى عباده أن يستنتجوا عمومية أحد الطرفين بالاقتصار على تقرير عمومية الآخر ، حتى لا يكون لأحد عذر فى أن يزعم أن الإسلام دين خاص بالعرب الذى نزل بلسانهم ، أو أن العصر قد تطور وتقدم وراء ما جاء به القرآن كما يزعم بعض أهل هذا العصر يبررون بذلك مخالفة كتاب الله فيما جاء به من أحكام بينها ونفذها الرسول عملياً ، حتى إذا أدت المخالفة إلى مشاكل لاقبل للناس بها ، تلمسوا حل تلك المشاكل فى غير إزالة أسبابها من مخالفة الكتاب والسنة . وهيهات أن يجدوا لها حلا إلا بالرجوع إليهما والوقوف عند شرع الله .

والسورة من طرف القصار ، التى تلى سورة البينة وأثنى الله فيها على القرآن هى سورة الطارق . إذ يقول سبحانه فيها : « إنه لقول

فصل وما هو بالهزل » . على وجه التوكيد هكذا مرتين ، بعد القسم على ذلك مرتين فى قوله تعالى : « والسماء ذات الرجع . والأرض ذات الصدع » ، وهو قسم عظيم لم يتبين بالعلم إلا بعض سره ؛ وليس هذا محل النظر فيه اللهم إلا بالتنبيه إلى حسن التناسب فى القسم بالسماء على صفة للقرآن المنزل من السماء ، وفى القسم بالأرض على صفة للقرآن المنزل لأهل الأرض ، الذين كثيراً ما يهزلون فى الجد ، ويتخبطون فى الحق لا يدرون بعيداً عن القرآن كيف يفرقون بين الحق والباطل فى أمور الحياة ، فالقرآن على وجه القطع يفصل لهم بين الحق والباطل ، وبين الرشد والغى ، يقسم لهم على ذلك خالقهم الذى أنزله هدى وبينة لهم إذ يقول سبحانه : « والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل » ، ولكن الناس عن القرآن وآياته غافلون !

ثم نأتى ، فى خاتمة هذه النظرة الثانية ، إلى ما أثنى الله به على القرآن ثانى مرة فى سورة البقرة ، أولى السور الطوال حسب الترتيب التوقيفى ، فبعد آيات معدودة من قوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، نلتقى قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » ،

فانظر كيف أن الله بعد أن نفى كل ريب عن كتابه ، تحدى أهل الريب أن يأتوا بسورة من مثله ، مستعينين بمن شاءوا إلا بالله القادر وحده على مثل كتابه ، وهى آخرة آيات التحدى : فهما ثناء لا ثناء يعدله بانفراد القرآن من بين الكتب المنزلة بأنه ـ حتى فى أقصر سوره ـ معجز للخلق أجمعين فى جميع العصور ، إذ القرآن مخاطب به البشرية إلى يوم الدين، وقد يظن أن هذا التحدى الأخير فى العهد المدنى تكرار للتحدى الأخير فى العهد المكى فى آية سورة يونس : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

ففى كل من الآيتين الكريمتين جاء الأمر (فأتوا) يتحدى المرتابين بسورة ، مثل القرآن فى سورة يونس ، و (من مثله) فى سورة البقرة ، فهل لزيادة الحرف (من) مغزى يزيد فى قوة التحدى ؟

إن ضمير الجلالة للمتكلم فى آية البقرة ، بدلا من ضمير الرسالة المستتر فى فعل الأمر (قل) يجعل التحدى مباشرا من الله فى آية البقرة ، بدلا من أن يكون من الله بواسطة الرسول فى آية يونس ، وهذا لا شك يجعل وقع التحدى أقوى ما يكون ، فلا ينبغى قط أن يفهم قوله تعالى (من مثله) على وجه يجعل وقع الحرف (من) مضعفا للتحدى ،

فيكون فى مغزاه منافيا لمغزى ضمير الجلالة فى قوله تعالى (مما نزلنا على عبدنا) . وهذا هو ما يكون لو أرجع الضمير فى (من مثله) إلى الرسـول المكنى عنه بعبدنا بدلا من القرآن رده إلى الاسم الموصول (ما) الدال على القرآن الكريم فى قوله تعالى (مما نزلنا) فشتان ثم شتان بين التحدى بسورة من مثل القرآن فى آخر صور التحدى الباقى على الدهر ، والتحدى بسورة من مثل النبى فى أمته كما ذهب إليه بعض كبار المفسرين فى القديم وفى الحديث .

فالمثلية التى هى ركن للتحدى فى قوله تعالى (من مثله) هى إذن مثلية القرآن كما عليه جمهور المفسرين ، لا مثلية النبى كما عليه قليل منهم .

وفى هذه الحالة يمتنع أن تكون (من) بيانية إذ تصبح زائدة لا مغزى لها ، لأن (فأتوا بسورة مثله) أصرح وأخصر من (فأتوا بسورة من مثله) عند اتحاد المعنى . وليس فى القرآن حرف زائد ، حذفه خير من وجوده ، أو حذفه ووجوده سواء ، كما قرره الفخر الرازى فى القديم ، والأستاذ الأكبر السابق الشيخ تاج فى الحـديث . لكن إذا كانت (من) تبعيضية كأن قد قيل - فأتوا بسورة بعض مثله - كان فى التحدى تساهل وإرخاء يزيده قوة إلى القوة التى يزيدها ضمير الجلالة للمتكلم . كأنهم لما عجزوا عن المثلية التامة لسورة من القرآن طولبوا على وجه التعجيز بسورة تشبه أن تكون مثل القرآن أسلوباً ومعنى ، وهذا لا شك ترق فى التحدى فى آخر صوره ، تجاوز به الذروة التى بلغها فى آية سورة يونس .

فهذه سلسلة أخرى من ثناء الله على كتابه ، بدأت كما بدأت الأولى بأنه ذكر للعالمين توكيدا أو تبيينا لحكمة الله فى إنزاله ، وانتهت بأنه معجز للبشر أن يأتوا بما يمكن أن يدنو من مثل أقصر سورة فيه . فماذا يا ترى يسفر عنه البحث لو استمر يتتبع ثناء الحق سبحانه على قرآنه الكريم ؟

محمد أحمد الغمراوى

كيف يهتمون بكتاب الله

" قصة أندلسية ذات مغزى كبير "

للدكتور محمد رجب البيومى

نقرأ فى بعض المقالات الدينية ـ فضلا عن الأدبية والتاريخية ـ آيات قرآنية نسى أصحابها فأتوا بها على غير وجهها الصحيح ، وقد يكون الخطأ فى حرف واحد ، ولكنه مع ذلك خطأ فادح جسيم ، وما أبرىء نفسى ، فقد زللت فى بعض ما كتبت اعتماداً على الذاكرة الكليلة دون رجوع إلى المصحف ، فأنا حين أنحى باللائمة على هؤلاء إنما أذكر نفسى بما فرطت .

أذكر أن فضيلة المغفور له الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية لقينى ذات يوم غاضباً صاخباً ، وعهدى به الهادىء النفس الباسم الثغر ، وما كدت أستمع إليه حتى أعلن أنه قد وقع على خطأ قرآنى فى مقال لى بإحدى المجلات وكنت إذ ذاك طالباً بكلية اللغة ؛ وكان مما قاله : إذا كان أبناء الأزهر لا يحرصون على ضبط الآيات فسلام على الإسلام ! وقد حاولت أن أعتذر إليه بما يتحمل من القول فعد الاعتذار جريمة ثانية ، وما زلت أذكر غضبته العاتية كلما قرأت مقالا يحمل بعض الخطأ لكاتب خذله النسيان !

فكأنه بهذا الموقف ترك بنفسى ذكرى تتكرر بتكرر هذه الأخطاء ! رحمة الله ونضر مثواه ، ونحن نعلم أن الجيل الماضى كان أشد حرصاً على استظهار الكتاب الحكيم ، وأعظم اعتداداً بتلاوته واهتماما بترتيله وتجويده ثم خلف اليوم خلف لا يكادون يعرفون من الكتاب غير ما يقرءونه فى كتب المدارس الابتدائية والثانوية ـ إلا من عصم الله ـ فواجب الدعوة إلى الاهتمام بحفظ القرآن فى أيامنا هذه محتوم مسروض ، وإن كنا لا نيأس من رحمة الله فقد قال عز وجل فى محكم آياته : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» اوصدق الله .

على أنى قرأت بالأمس القريب حادثة تاريخية ذكرت بها شفيعاً فى جوار ربه ، وهى مما يشير إلى مزيد الاهتمام بالقرآن بل مما يدل على أعظم الحرص على سلامة لفظه وصحة ضبطه وفى ذكراها عظة لمن كان له قلب ! وإن حوادث التاريخ لذات دلائل وعظات للمعتبرين !

نحن الآن فى بلنسية بالأندلس ! وقد قامت بها أسواق الوراقة مزدحمة متراصة تمتلىء بالمخطوطات ، ويؤمها القارئون من شتى الأصقاع ، هذا للشراء ، وهذا للقراءة ،

وهذا للنسخ ، وأمام كل مكتبة قماطر وكراسى وأقلام ومحابر ؛ وقوم من العلماء يتباحثون ويتناقشون ! فإذا طرق أسماعهم صوت عال لدلال محترف ، قطعوا أحاديثهم ، وأخذوا ينصتون ! إذ كان لكل مكتبة دلالها الذائع ، وهو داعية محنك ذو صوت جهير ، يصيح بين الفينة والفينة ليقول : جاءنا اليوم كتاب مشرقى وضعه فلان وأهداه إلى فلان ، وهو فى عدد كذا من الصفحات ، يبحث فى علم كذا من العلوم وقد كتبه فلان بخطه ! فإذا أتم الدلال نداءه بعد أن يكرره مثنى وثلاث ورباع ؛ توافد الناس أرسالا إلى المكتبة يسألون عن الكتاب الجديد متلهفين ، فإذا وقع موقع القبول منهم تهافتوا على شرائه ، فيتقدم أحد الراغبين ويعين ثمناً محدداً فيأتى الدلال ويصيح بأعلى صوت : كتاب كذا يشتريه فلان بعشرين فمن يزيد ؟ ! فيتقدم ثان ويعلن شراءه بثلاثين فيصيح الدلال : أصبح الثمن ثلاثين فمن يزيد ؟ ! وتدور المساومة فى يوم مجموع له الناس ! حتى ليصبح ثمن الكتاب مائة دينار وقد يزيد !

أما الحادثة النادرة فى سوق الوراقة فهى شراء مصحف كريم كتبه محمد بن عبد الله بن غطوس الأنصارى بخطه ! وله شأن عجيب .

لقد كان ابن غطوس أشهر بائع المصاحف فى بلنسية ، وله شهرة جاوزتها إلى حواضر الأندلس ! إذ كان مما يزين المكاتب فى دور العلماء بغرناطة وأشبيلية ومرسية وقرطبة أن يكون مصحف ابن غطوس فى حوزة عالم يفخر بمكتبته ويضعها موضع المباهاة بين النظراء ؟ وابن - بعد غطوس - جهير المكانة فى بلده له شارع خاص بسوق الوراقين لا يحتاج إلى تعريف ، فإن كثرة زائريه من المشترين قد أغنوه عن كل إعلان ، لذلك كان لا يقيم الدلالين ، وما حاجته إليهم ، والسلعة رائجة ، والرجل رنان الصيت طائر الدوى !

دلف إليه زائر راغب من بلد بعيد ، تحمل مشقة السفر أربعين يوما ليشترى أحد مصاحفه ، وآنس فيه ابن غطوس رقة ودماثة فجعل يعرض عليه ما بالحانوت من المصاحف ، وكان أطباقا فوق أطباق ، فأخذ الزائر الحصيف ، يقلب كل مصحف يعرض عليه تقليب الفنان الواعية ، ثم يدلى بملاحظات فنية فى اختيار اللون ، وحجم القلم ومساحة الورق ، ومراعاة الأبعاد ، وتخطيط الإطار ، ونوع الحبر ، متطلعا إلى مصحف يأتى كما يريد تذهيبا وتنميقا وهندسة ، فتأكد ابن غطوس أن الرجل نساخ محنك ، وأن مطلبه عزيز ، فأسر فى أذنيه ، ليس فى الحانوت طلبتك ، فانتظر حتى ينتهى اليوم ، وأصحبك إلى مكتبة المنزل .

ولم يكن المنزل منزلا ، وإنما كان معرضا

فنيا من معارض الجمال الخطى الباهر ، بعدة باحات واسعة تحمل مرافع من خشب ، تختلف طولا وعرضا ، وقد فتح كل مصحف من وسطه فظهرت منه صفحتان متقابلتان تدلان على قدره الفنى كتابة وورقا وحبرا وتخطيطا وشكلا ، وقد وضع فى إطار زجاجى رقيق يشف عما تحته ، دون أن يمسه الناظر بكفه ؛ على نحو ما نرى اليوم فى معرض المصاحف الأثرية بدار الكتب المصرية.

وقد سطعت رائحة مسكية من الحروف جعلت المنزل روضة فواحة العبير وكانت مثار دهشة لدى المشترى، فتساءل عنها فأخبره ابن غطوس أنه يخلط الحبر بالمسك والعنبر فى المحابر، لينتقل أريجها إلى الحروف والكلمات، ثم تلفت الزائر فوجد طائفة من الأقلام فى شتى الأوضاع منها الضئيل الرشيق والمتوسط المعتدل ، وذو الضخامة النسبية ، فأخذ يسأل الناسخ عن سر هذا التنوع فى السمات والحجوم، فعرف أن البسملة لها القلم المتوسط ، وكذلك اسم السورة وعدد آياتها ونوعها مكية أو مدنية ، وأن آيات القرآن لها القلم الرشيق تكتب به فتأتى رشيقة منسقة ! . وأن القلم ذا الضخامة النسبية تكتب به الصفحة الأولى « قرآن كريم لا يمسه إلا المطهرون » كتب بخط فلان ! أما المحابر فقد تعددت ألوانها من حمراء وخضراء وسوداء وصفراء وغيرها ، فلم يفت المشترى أن يسأل عن ذلك أيضا فأجابه ابن غطوس بأن للحروف المداد الأسود وأما الضمة فلها مداد أحمر ، والكسرة لها مداد أخضر والسكون له مداد أصفر ، والفتحة لها مداد أزرق ! فيتعجب الزائر لهذا الولع الغريب بالإتقان ثم تساءل كيف يتنقل الناسخ فى الكلمة الواحدة بين أربع محابر على الأقل ليأتى بألوان مختلفة للضمة والفتحة والكسرة والسكون ؟! .

فقال ابن غطوس : هذا ما عهدت الله عليه مهما كلفنى من الصعاب. وإن الأمر ليقتضينى فى بعض الأحوال أن أنسخ الصفحة الواحدة فى ليلة كاملة ! إذ أتبين خطأ يسيرا فى الشكل لبعض الحروف فلا أشوه الصفحة بالتغيير ، بل أتركها وأبدأ صفحة جديدة أحترز فيها عن خطأ أختها حتى تأتى على الوجه الأكمل ! وذلك ما أخذت به نفسى منذ التزمت بنسخ كتاب الله ، وتقديمه للمكاتب والقارئين .

فاختار الزائر مصحفاً كبيراً راقه ، وتساءل عن ثمنه ، فقال ابن غطوس فى اعتداد : إن ثمنه مائتا دينار لا تنقص ولا تزيد ! فابتسم المشترى وقال فى سماحة : والله إنها لقليل إزاء ما تتحمل من العناء ! ثم دفع الثمن وحمل المصحف الكريم .

لم تتم الرواية فصولا ؛ إذ أن المشترى توجه

إلى بلدته وكانت على مسيرة أربعين يوماً من بلنسية ، ولكن الناسخ شك فى وجود خطأ بالشكل توهمه فى بعض الآيات فى إحدى مصاحفه ! وخاف أن يكون مصحف الرجل ذا الخطأ المتوهم ، فأرق ليله الطويل وظل يفكر فى الأمر كمشكلة مدلهمة تسد عليه منافذ الأفق ، حتى إذا أسفر الصباح هيأ راحلته ويمم شطر المشترى فأم بلدته بعد أربعين يوماً ذات جهد وعناء ! وسأل متعجلا عن صاحبه فأرشد إليه ، وباغته قبل السلام بقوله :

أين المصحف ؟ فدهش المشترى وقال : انطق بتحية الإسلام يا رجل ؟ لقد اشتريت منك المصحف ولم أسرقه ولم أغتصبه ! ففيم التعجل بالسؤال ؟ ! !

قال ابن غطوس فى انفعال : توهمت خطأ فى شكل حرف منه فسرت إليك هذه الأيام الأربعين لأبرىء ذمتى بين يدى الله !

تعجب السامعون ، وسارع المشترى بإحضار مصحفه ، فأقبل عليه ابن غطوس فى لهفة وعمد إلى آية من سورة الزخرف فقرأها ، ثم أخرج مطواة ذات حد رقيق من جيبه ، وعالج بعض الشكل حتى تحول من ضمة إلى سكون ، ثم قال : الحمد لله برئت ذمتى !! والتفت إلى الناس قائلا : هى سكون لا ضمة ، وقد نسيت أن أصلح الأمر مع التفاتى إليه حين الكتابة ؟ وها أنذا تحملت مسيرة أربعين يوماً لأكفر عن هذا النسيان ! وإذا كان اللون الأصفر الخاص بالسكون ليس معى فعلى المشترى أن يبحث عنه ليتناسق الشكل بالمصحف الكريم ! ثم كر راجعاً فى دهشة الناظرين !

تلك حادثة تاريخية لم أخترعها فتلحق بالأسطورة ، ولكنى نقلتها بتعبيرى الخاص عن (الوافى بالوفيات للصفدى) وقد كان لها فى نفسى أكبر موقع ، لما تدل عليه من كمال الحرص ، وشدة اليقظة ، وتمام الحذر فى صحة كتاب الله ، وذلك ما يجب على كل مسلم أن يلتزمه ، فيتخذ من هذه القصة وما ينحو نحوها موضع العبرة ومناط الاحتذاء ، وأذكر أنى كنت أرويها فى مجلس علمى حافل فقال أحد الحاضرين ما معناه : إن تغييرا بحركة فى كتاب الله يقلب المعنى رأساً على عقب كما لو قرأ قارىء مثلا: إن الله برىء من المشركين ورسوله ـ بجر لفظ الرسول ـ بل إن القارىء ليكفر بذلك إن تعمد !

وقال قائل آخر : إن ما يقال فى تغيير الحركات يقال فى غيرها من لوازم المد والحذف والفك والإدغام ؛ فإن لام الأمر مثلا إذا مدت فى النطق انتقل الأسلوب من الأمر إلى النهى والأمثلة أوضح من أن تذكر ، ثم خاض الحاضرون فيما ينحو هذا المنحى

الحديث ، وأطرف ما سمعته فى هذا المجال ماحكاه زميل متضلع عن بعض ما وقع عليه من نوادر الخطأ فى نقل كتاب الله .

قال الزميل : إن كتاب الله ـ كما كان يقول بعض السلف ـ غالب غير مغلوب ، بمعنى أن التحرز فى الحفظ والتشدد فى الاستظهار لا يمنعان الخطأ ، فقد كان الإمام أبو بكر العربى فقيه الأندلس ومحدثها ومفسرها أحفظ أهل عصره لكتاب الله ولكنه فى تفسيره ، قد خذله حفظه القوى فى آية من آيات سورة التوبة فرواها على غير وجهها ومضى يفسر الآية كما توهم لا كما دونت فى كتاب الله ، وإليكم ما جاء فى تفسيره المسمى بأحكام القرآن :

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعقلون

قال ابن العربى (١) ، نفى الله عنهم العقل لنفى فائدته من الاعتبار والاستبصار وقد ينفى الشىء بانتفاء فائدته ، إذا الشىء إنما يراد لمقصوده فإذا عدم فكأنه لم يوجد » .

قال ذلك المفسر الكبير ، ونسى أن صحة الآية « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

ولو تأمل القارىء لعلم أن السياق يتطلب (يعلمون) وحدها ؛ إذ أن الذى يجهل كتاب الله ويطلب الاستجارة حيث يسمع كلام الله فيدرك مرماه رجل يوصف بعدم العلم لا بعدم العقل إذ لو فقد عقله ما استفاد شيئا من سماع كلام الله ! وقد دل خطأ المفسر على مزية صريحة لكتاب الله تجعل تأليفه فوق مدارك العلماء من الأفذاذ .

قلت لصاحبى بعد أن استمتعت بطريقته النادرة : إن ابن العربى قد اعتمد على الذاكرة فى تفسيره ، وهذا موضع زلته إذ ماكان له أن يعتمد فى مهمته الخطيرة على غير النص المكتوب وسبحان من تفرد بالكمال . ؟

د . محمد رجب البيومى

---

(١) المجلة : المفسر هو الصوفى ابن عربى أما ابن العربى فمحدث .

نظرة الإسلام فى الكفاءة بين الزوجين

• للأستاذ محمد الأحمدى أبو النور

هذه إحدى المسائل الهامة التى يثور بشأنها الجدل أو الحديث بين الحين والحين فى مدى ما يجب أن يكون بين الزوجين من تكافؤ وتماثل فى الدين والنسب والمال والعمل والوسط الاجتماعى .

وللإسلام فيها روحه السمحة وتشريعه الحكيم الذى لا يسامى فيه بتشريع أو فلسفة ، والذى يحقق للزواج آيته النفسية ، وغايته الاجتماعية : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ؟ !

ويقتضينا الإنصاف أن نميط اللثام بكلمة سواء عن تلك الروح التى قد يحول البعد عنها بقصد أو بغير قصد دون زواج قد يكون منه الخير الكثير للفرد والمجتمع .

وبين يدى هذه المسألة نقدم أمرين لامفر من ذكرهما بادىء ذى بدء :

الأول : أن توفر الأساس الدينى لدى مريد الزواج هو الركن الذى يشاد عليه صرح الحياة الزوجية ، وهو السياج الذى يحميها من عوامل الوهن والانحراف ولذا فله الاعتبار الأول والأهم فى معيار الكفاءة بين المرء وزوجه ، بل كان هذا الأساس فى موضوع الكفاءة موضع اتفاق بين العلماء والفقهاء .

الثانى : أن الحرية الشخصية فى الاختيار حق لكل من الزوجين بالنسبة الآخر ، وأن التنازل عن بعض المظاهر التقليدية أو العرفية حق لكل منهما كذلك ، متى تم عن رضا نفسى كامل كما سيتبين بعد قليل .

ومجموع هذين الأمرين يمثل لنا العامل الفعال فى إمداد الحياة الزوجية بما تتطلبه من تكيف وتوافق ، وبما تندفع به دواماً نحو مرافىء السكينة والمودة والرحمة تحقيقاً لما يشير إليه المولى سبحانه فى قوله :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

وتوفيراً للمناخ النفسى الملائم الذى تستطيع الأسرة أن تؤدى من خلاله دورها الإيجابى فى المجتمع وفى الحياة . !

ونستطيع بعد هذا أن نفتح صحف السنة المطهرة لنتجلى منها رأى الشريعة وروحها فى هذه المسألة :

المبدأ العام :

يفيء عنه قوله صلى الله عليه وسلم :

«تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١).

وقوله صلى الله عليه وسلم :

«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد »!؟ قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه ؟ ! قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات (٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه :

« يا على : ثلاث لا تؤخرها ، الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفئاً » (٣) .

(١) رواه البخارى ٩/١١٠ من الفتح ، ومسلم ١٠/٥١، ٥٢ من النووى ، والترمذى ١/١٢٨ ، وأبو داود ٢ / ٢١٩ ، والنسائى ٦/٦٥ ، ٦٨ ، وابن ماجه ١/٢٩٣ ، والدار قطنى ٢/٤١٧ ، والحاكم فى المستدرك ٢/١٦١ وابن قتيبة فى عيون الأخبار ٤/١ .

(٢) رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب وأورد له رواية أخرى ١/١٣٨ وابن ماجه ١/٣١٠ ، وأبو داود فى المراسيل ص ٢٥ .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث غريب وما أرى إسناده متصلا ١ / ١٢٧ ، لكن أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وأقره الذهبى ٢/١٦٢ ، ١٦٣ .

وفى الحديثين الأولين تقرير لمبدأ الكفاءة ، وإن الناحية الدينية فيه هى الأساس الذى ينبغى أن يراعى بادىء ذى بدء .

وفيهما أيضاً بيان لما يترتب على إغفال هذا الجانب أو الاعتداد بغيره من الفساد الاجتماعى المستطير .

ومن هنا قال العلماء تعليقاً على الحديث الثانى : إن فيه حجة لمالك على الجمهور فإنه يراعى الكفاءة فى الدين فقط (١) .

وفى ضوء هذين الحديثين يمكن أن نفهم نهيه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثالث عن تأخير زواج الأيم التى تجد لها كفئاً ، وذلك حتى لا يكون التأخير سبباً فى أغفال الجانب الأساسى والاعتداد بما عداه من الجوانب الثانوية الأخرى .

فى المجال التطبيقى :

هذا من ناحية المبدأ ، أما فى مجال التطبيق فهاك ما يلى :

١ ــ ثبت فيما رواه البخارى فى باب الكفاءة أن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية بنت عم النبى صلى الله عليه وسلم كانت زوجا للمقداد بن الأسود .

وذكر ابن حجر أن المقداد كان من حلفاء قريش ، ومتبنى للأسود بن عبد يغوث

(١) انظر السندى على ابن ماجه ١/٣١٠ ونفع قوت المغتذى على جامع الترمذى ١/١٢٨

الزهرى ، ولذا كان ينسب إليه وهو فى الحقيقة ابن عمرو الكندى . ثم قال : فلولا أن الكفاءة لا تعتبر بالنسب لما جاز له أن يتزوجها ؛ لأنها فوقه فى النسب . وللذى يعتبر الكفاء فى النسب أن يجيب بأنها رضيت هى وأولياؤها فسقط حقهم من الكفاءة . وهو جواب صحيح إن ثبت أصل اعتبار الكفاءة فى النسب [١] .

٢ — تزوج على بن الحسين أم ولد لبعض الأنصار ، فلامه عبد الملك فى ذلك ، فكتب إليه :

« إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة .وأتم النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم ؛ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأة عبده (٢) ! ؟

فقال عبد الملك :

إن على بن الحسين يتشرف من حيث يتضع الناس (٣) . ! ؟

أرأيت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبادئه وسيرته ؟ ! وكيف مضى الصحابة والتابعون على أثره بالسلوك النبيل فى هذا الأمر الجليل ؟ ! .

وإلى أى مدى كانت ثورية الإسلام فى إرساء قيم جديدة ، وفى إحداث تغييرات جذرية فى العلاقات الاجتماعية منذ زمن بعيد!

ولقد كان شيئا نكرا أن تتزوج هاشمية ممن دونها فى الحسب أو النسب فضلا عن أن تتزوج متبنى ، أو يتزوج هاشمى ممن لا تطاوله فضلا عن أن تكون أمة أو أم ولد .

بيد أن الإسلام الذى رفع لأول مرة فى التاريخ لواء الأخوة بين الأرقاء والسادة « إخوانكم خولكم » والذى أبان أن الله خلق الناس جميعا من نفس واحدة « كلكم لآدم وآدم من تراب » ـ هو الذى ساوى بين هؤلاء جميعاً فى ميزان الحق والواجب وهو الذى رفع الله به الخسيسة ، وأتم النقيصة ، وهو الذى لم يجعل لابن البيضاء على ابن السوداء فضلا إلا بالتقوى . !

ذلك وقد أرسى الإسلام قيما جديدة فيما يتعلق بالمال والعمل ، فألغى ما تعارف عليه الناس من تقسيم المجتمع إلى طبقات بحسب الثراء أو بحسب نوعية العمل . !

أما الثراء فما ينبغى أن يكون مناطاً فى تقويم المرء أو فى الكفاءة بين زوجين رضى كل منهما الآخر ، ورضينا فى كل منهما دينه وأمانته ، ثم يراد للتقاليد والأعراف أن

---

(١) فتح البارى ٩/١٠٨ ، ١١٠ .

(٢) يعنى بذلك مارية التى أهداها إليه المقوقس ، وزينب بنت جحش التى كانت زوج زيد بن حارثة مولاه صلى الله عليه وسلم ومتبناه .

(٣) عيون الأخبار ٤ / ٨

تحول دون إمضاء هذا الزواج استناداً فقط إلى عدم التكافؤ المادى ؟ !

يالله . ! أى شىء يوزن بالعقل الحكيم ، والخلق الكريم ، والسلوك السوى ؟ !

لقد هتف بهذا الذى زيغ إليه أبو طالب - عم النبى صلى الله عليه وسلم - فى تزويجه بخديجة الواسعة الثراء حين قال :

وهو وإن كان فى المال قلا ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مستردة وهو والله لا يوزن به فتى من قريش إلا رجحه » .

وأما العمل فقد قرر الإسلام أنه واجب :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وأنه شرف مهما كانت نوعيته :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً » .

(إن أطيب الكسب كسب الرجل من عمل يده) .

وأنه لا بد أن تتنوع الأعمال سعياً فى عمارة الأرض ، وقياماً بواجب الخلافة عن الله فيها : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

وأنه لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ؟ !

ولا يسوغ لمسلم أن يحقر أخاه المسلم لمظهره أو نسبه أو عمله ! !

وإذا فلا يجوز لأسرة أن تمنع زواجا يستوفى شرائطه استهجاناً لعمل الزوج أو الزوجة . .

ومن هنا جاء قوله صلى الله عليه وسلم لبنى بياضة :

« يا بنى بياضة ، أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه » . قال أبو هريرة راوى الحديث : وكان يعنى أبا هند حجاما (١) .

وقد روى البخارى بسنده عن سهل ابن سعد الساعدى قال :

مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن ينكح ، وأن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع ؟ ! قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ماتقولون فى هذا ؟ قالوا حرى إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا [٢] ؟ !

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وصححه وأقره الذهبى ٢/١٦٤ ، وابن القيم فى زاد المعاد ٤/٢٢ ، والهيثمى فى زوائد ابن حيان ص ٣٠٥ ، وأبو داود فى سننه بزيادة « وإن كان فى شىء مما تداوون به خير فالحجامة ٢/٢٣٣ .

(٢) البخارى ٩/١١٠ ، ١١١ و ١١/٢٣١ =

وقد ذكر ابن كثير أن سعيد بن المسيب زوج ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة وأنها كانت من أحسن النساء ، وأكثرهم أدبا ، وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج وكان فقيرا - وأن سعيد بن المسيب أرسل إليه فضلا عن هذا بنفقة طائلة .

ذلك فى الوقت الذى خطبها عبد الملك ابن مروان لابنه الوليد فأبى (١) .

وبهذا وذاك يتضح لنا أن التقارب فى الحرفة أو المال لا ينبغى أن يكون مشترطا فى الكفاءة بين الزوجين . ولئن سلمنا جدلا بهذا فإن الاشتراط يفقد قيمته متى رضى كل منهما بالآخر على حاله ، متنازلا عن حقه .

وقد روى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال :

جاءت فتاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ماصنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شىء » .

من هذا وذاك تستبين لنا روح الإسلام فى هذه المسألة ، وأن الزواج بما شرع له من أهداف سامية ، وغايات نبيلة ، ينبغى أن تكون نظرة الكفاءة فيه بين الزوجين إلى الأمور التى بها يحقق التعاون بينهما الوصول إلى أهدافه وغاياته .

وذلك فى تقديرى ينحصر فى أمرين :

الأول : الخبرة والكفاءة العلمية والعملية كل حسب ميدانه ومجاله - والنضج النفسى والعقلى ، والمستوى الخلقى والدينى .

الثانى : الطاقة المادية على تحمل أعباء الأسرة ، وتسيير دفتها والتعاون مع الطرف الآخر على سراء الحياة ولأوائها .

وهذا الأمر شرط فى إمضاء الزواج وتنفيذه ، وقد قال تعالى : وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

أما الأول فمقوم للشخص وأساس للرضا به وقبوله وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إذا جاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه . » الحديث .

وفرق بين أن يكون المال شرطا وبين أن يكون مقوما ! .

وما يرفضه الإسلام هو أن يكون شىء

= من الفتح وذكر ابن حجر فى الموضع الأول أن المار الثانى ربما كان جعيل ابن سراقة ، وفى الموضع الثانى أن المار الأول ربما كان عيينة بن حصن أو الأقرع ابن حابس .

(١) البداية والنهاية ٩ / ١٠٠

من الحسب أو النسب أو الثراء مقوما أساسيا للشخص سيما عند اعتبار الكفاءة بين زوجين !.

فمنذ جاء الإسلام أعلن - كما أشرنا أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنه لا فضل لعربى على عجمى بحسب أو نسب أو جاه أو ثراء، وإنما بالتقوى والعمل الصالح.. وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم ذوى قرباه أن يأتى الناس يوم القيامة بأعمالهم، ويأتوهم بأحسابهم. وجاء قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) معبرا عن ذلك أروع تعبير. !

وإذا كانت التقوى والعمل الصالح هى المقومة للشخص عند الله فما أحراها أن تكون هى المقومة عند الناس سيما فى أمر خطير كالزواج.

وما أروع الأمثلة التى سقناها فى التطبيق لهذا المبدأ والإبانة عنه !. ؟

محمد الأحمدى أبو النور

لفت نظر

فى مقال للأستاذ الدكتور مختار القاضى نشر فى عدد جمادى الآخرة ١٣٨٧ من هذه المجلة، تحت عنوان (نظام الرق) وردت العبارة الآتية:

« أن نظام الرق والعمل به لا يزال موجوداً فعلا فى بعض البلاد الشرقية وخاصة فى المملكة العربية السعودية ، وهى دولة تطبق الشريعة الإسلامية فى المعاملات المدنية والجنائية ... » ص ٣٦٥.

كما جاء فى المقال نفسه:

« إن نظام الرق وجد فى الإسلام وأصبح جزءاً لا يتجزأ منه » ص ٣٦٨.

وإدارة البحوث والنشر تلفت النظر إلى أنه لا توجد شواهد من الواقع على صحة ما ذهب إليه الكاتب فى العبارة الأولى، وأن العبارة الثانية لا تستقيم إلا على معنى أن للرق أحكامه فى الفقه الإسلامى ، وقد كانت هذه الأحكام تهدف إلى إلغائه، وذلك ما يؤيده الواقع الفعلى لمنطق الإسلام وتاريخه ؟

مدير البحوث والنشر
دكتور عفيفى عبد الفتاح

الجهاد العربي المشترك خلال التاريخ

للأستاذ الدكتور عبّاس حلمي اسماعيل

يرتكز المجتمع العربى الإسلامى فيما يرتكز على الجهاد الطويل المشترك الذى جمع العرب منذ آلاف السنين، فقد سكن العرب وطنهم وقاموا بأعمال مشتركة من هجرات وغزوات وصناعة وتجارة وعلم وأدب وفن. ذلك أن الوطن العربى الأول. وهو شبه الجزيرة العربية لما أخذ فى الجفاف طفق سكانه يهجرونه إلى المناطق العامرة، وإلى الهجرات العربية تعزى تلك الحضارات العريقة فى العراق ولبنان واليمن.

وحدثت أولى هذه الهجرات فى الألف الرابعه قبل الميلاد، وحملت معها قبائل الكنعانيين الذين نزلوا بأرض فلسطين. أما الهجرة الثانية فحدثت فى الألف الثانية قبل الميلاد، وحملت معها العموريين إلى العراق فى الشرق الأوسط وسورية فى الغرب. وتمت الهجرة الثالثة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حاملة الجماعات العبرانية والآرامية إلى ما يعرف باسم الهلال الخصيب. وفى القرن السابع قبل الميلاد خرجت الهجرة الرابعة، وقوامها الطلائع العربية التى انتشرت فى منطقة الهلال الخصيب: شرقا نحو أرض العراق، وغربا نحو سورية وفلسطين.

وأخيرا انبعثت الهجرة العربية الإسلامية فى القرن السابع الميلادى، تحمل الإسلام وثقافته، واندفع العرب بحماستهم الدينية ومصالحهم المشروعة يتوغلون إلى مناطق بعيدة، فوصلت هجراتهم إلى جزر البحر المتوسط وشمال إفريقية، واتخذوا أنهار النيل والنيجر والكنغو طرقا لهم.

واستقرت منهم جماعات كبيرة فى غرب إفريقية وفى شرقها وفى إفريقية الاستوائية، ووصلوا فى آسيا إلى أقصى الشرق، ونشروا الإسلام والعروبة فى جزر الهند الشرقية، ووصلوا حتى جزر الفيلبين.

وأتاحت الدعوة الإسلامية للأمة العربية فرصة للوحدة الدينيه والتقاليد العربية، ومن أهم النتائج التى حققتها الفتوح العربية الصبغة العربية، بفضل من استقر بين الخليج والمحيط من عرب، وبفضل من أسلم من أهلها، وبذلك انفسح مفهوم الوطن العربى، فلم يعد قاصرا على شبه الجزيرة العربية، وإنما شمل كل المنطقة الممتدة من الخليج إلى المحيط التى ألف بين شعوبها أواصر أخرى إلى جانب وحدة الدين واللغة، إذ خضعت لحكومة عربية واحدة خضوعا أصبح جزءا من تراثها.

وحقق العرب وحدة شاملة طويلة العمر عميقة الأثر، طوال عهد الأمويين وفى مطلع حكم العباسيين، بفضل نظام الخلافة، الذى رسموه لهذه الوحدة الخالدة، وبلغ من إيمان المسلمين بهذا النظام الفريد؛ أن أصبح هاما فى نظرهم، لا يتصورون إسلاما بغير خلافة، ولا يفهمون دولة إلا على هذا النحو، والسر فى هذا أن الخلافة لم تكن نظاما فرضه غالب على مغلوب، فضلا عن أنها رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا، نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ونظام دستوره الشريعة الإسلامية الغراء. والواقع أن الخلافة نظام خاص بالإسلام، خلقته الضرورة ومنطق الأحداث وتقرر بتأثير البيئة والظروف؛ فلم يكن وليد نظام سياسى سابق عند العرب، بل كان الأول من نوعه عندهم، فهو نظام قائم بنفسه له شخصيته واستقلاله.

وبلغ من تقديرهم للخلافة، أن اعتبروا انحلالها اضمحلالا لوحدة الأمة العربية فى عصور الضعف. ذلك أنه حدث منذ منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أن استولى الأتراك على بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وغدا فى أيديهم مقاليد السلطة، فانبثقت نزعات انفصالية فى بعض أقاليم الدولة، ومع هذا ظلت الخلافة محتفظة بسلطاتها الدينية، ولم ينقطع الولاء العميق الذى جمع قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها حول شخص الخليفة، ولم تكن الدويلات التى نشأت حدوداً طبيعية تفصل أمما بعضها عن بعض.

وثمة عامل آخر ساعد على الجهاد المشترك فى الوطن العربى هو أن النظم التى استخدمها العرب فى حكم هذا الوطن امتازت بالمرونة، فأخذ العرب من النظم والتقاليد القومية ما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية الوضاءة، حتى أصبحت النظم العربية بمضى الزمن متلائمة مع كل بيئة، ومتناغمة مع كل ثقافة، ومن ثم أحست شعوب الوطن العربى براحة نفسية كبرى فى ظل الحكم العربى الإسلامى، ولم تشعر أبداً بأنه حكومة غريبة عنها. يضاف إلى ذلك أن النظم العربية اتجهت منذ البداية إلى إشراك أهالى البلاد فى حكوماتها المحلية، مهما كان لونهم أو دينهم، على خلاف النظم اليونانية والرومانية، فاستعان العرب بأهل الذمة الذين أسهموا فى بناء الحضارة العربية الإسلامية.

وبعد ما تفتت الدولة العباسية فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) نهض الأتراك السلاجقة، وأدت انتصاراتهم الباهرة إلى إحياء الدولة العباسية، بعد أن بثوا فيها روحا جديدة، فجاهد السلاجقة ضد البيزنطيين والصليبيين، وما تصدى له السلاجقة من

توحيد العالم العربى ومواصلة الجهاد الدينى أضحى من أصول السياسة التى التزمها سلاطين الدول التى تفرعت عن الدولة السلجوقية ، مثل دولة الزنكيين ودولة الأيوبيين ، حتى امتد أثر هذه السياسة إلى المماليك والعثمانيين.

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بدأ الصليبيون فى غزو البلاد العربية ، من أجل إقامة وحدات سياسية وسط الوطن العربى ، تمكن الأوربيين من احتكار تجارة الشرق ، وإذا كان الصليبيون قد نجحوا إلى حد ما فى تحقيق مآربهم ،فذلك مرجعه إلى ضعف العرب وتفككهم ؛ والدليل على ذلك ؛ أنه بمجرد أن وحد عماد الدين زنكى إمارتى الموصل وحلب ؛ تمكن من الاستيلاء على إحدى الإمارات الصليبية فى الشرق وهى إمارة « الرها » شمالى الشام؛ ثم عندما نجح صلاح الدين فى توحيدالموصل ودمشق والقاهرة ؛ هزم الصليبيين فى موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٧٨ م) واسترد بيت المقدس .

وعندما بدأت الفرقة تدب بعد وفاة صلاح الدين ؛ تمكن الصليبيون مرة أخرى من الاعتداء على العالم العربى ؛ فمنذ بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) اتجهت الحملات الصليبية إلى مصر ؛ مركز التموين والإمداد ؛ والقلب النابض للعالم العربى ؛ للإفادة من مركزها التجارى ؛ والوصول إلى البحر الأحمر ؛ والسيطرة على تجارة الشرق . غير أن تلك الحملات الصليبية ؛ وأشهرها حملة لويس التاسع ملك فرنسا ؛ باءت بالفشل الذريع .

أما فى الغرب الإسلامى ، فقد نجح يوسف ابن تاشفين ، المؤسس الحقيقى لدولة المرابطين، فى توحيد كلمة سكان المغرب ، فتمكنوا من وقف توغل الفرنج فى الأندلس ، ونجحوا فى منع الممالك المسيحية فى أسبانيا، من الاشتراك فى الحملات الصليبية التى أعدت للاستيلاء على بيت المقدس ، وقدموا إلى بغداد ، يدعون إلى الجهاد ضد الصليبيين ، بعد الحملة الأولى . وثمة دولة مغربية أخرى ، هى دولة الموحدين ، وكان أعظمهم قوة يعقوب ابن يوسف بن عبدالمؤمن ، وهوالذى جرت بينه وبين صلاح الدين الأيوبى مراسلات بشأن التعاون ضد الصليبيين ، واشترك فعلا المغاربة فى الحروب ضدالصليبيين فى المشرق .

وعندما بدأ المغول يتطلعون إلى غزو العراق والبلاد العربية المجاورة لها ، تناسى المماليك والأيوبيون خلافاتهم ، واتفقوا على محاربة التتر ، على أن يكون للماليك مصر والجزء الجنوبى من فلسطين ، ويكون الأيوبيين بقية فلسطين والشام . انتصر المغول فى البداية ، واحتلوا العراق، وأسقطوا

الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) كما غزوا الشام، ولكنهم هزموا بعد سنتين فى موقعة «عين جالوت»، واضطروا إلى الفرار من الشام والعراق، بفضل الوحدة الجهادية التى تمت بين المسلمين من المماليك والأيوبيين. وقد ساعد انتصار «عين جالوت» على انتقال زعامة العالم العربى الإسلامى إلى مصر والشام، وأكد هذه الزعامة وقوى من شأنها انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة على عهد «الظاهر بيبرس»، فأخذ يفد إلى مصر رسل الملوك والحكام من مختلف أنحاء العالم العربى، مثل الحجاز واليمن، يظهرون ولاءهم.

على أن هذه الزعامة التى تحققت لمصر، ألقت على كواهلها أعباء خطيرة، فيما يتعلق بحماية الوطن العربى من الصليبيين، فحاربهم بيبرس واستولى على أنطاكية. واستولى قلاوون على طرابلس، واستولى الأشرف خليل على عكا سنة ٦٩٠ هـ (سنة ١٢٩١ م) وهى آخر معقل للصليبيين فى الشرق، وبسقوطها تحولت المقاومة الصليبية إلى قبرص ضد البلاد العربية. وقد تكررت حوادث مهاجمة القبارصة لسفن مصر والشام فى القرن التاسع الهجرى (أوائل القرن الخامس عشر الميلادى) مما جعل السلطان المملوكى برسباى يستولى عليها. وفضلا عن ذلك، فإن القوى العربية لم تقف مكتوفة الأيدى أمام ذلك الخطر الصليبى، الذى شارك فيه الأحباش والبرتغاليون وملوك النوبة المسيحيون، للإيقاع بالعرب من الشمال والجنوب، من ذلك ما قام به السلطان الغورى من إرسال حملته البحرية، لمحاربة البرتغاليين فى البحر الأحمر سنة ٩١٤ هـ (سنة ١٥٠٨ م) وهى الحملة التى لم توفق فى مهمتها. كذلك سعت مصر لدى الكنيسة القبطية، لتجعل ملك الحبشة يخفف من إيذائه للجالية العربية الإسلامية فى بلاده.

وفى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) جاء الفتح العثمانى للعالم العربى، ففرض الأتراك العثمانيون وحدة على العرب، تختلف عن تلك الوحدة التى كانت وليدة شعور العرب بقوميتهم فى صدر الإسلام وفى أيام الأمويين والعباسيين. ولما فشل الأتراك فى الاندماج فى الأمة العربية، والاصطباغ بالعروبة، تحولت دولتهم إلى دولة عسكرية، همها تثبيت حكمها، وابتزاز أكبر قدر من المال والخيرات من العالم العربى.

ثم استيقظ العرب وزاد شعورهم بقوميتهم، فبدأ الصراع الكبير بينهم وبين الأتراك، مما ساعدهم على تحرير أنفسهم من الحكم التركى العثمانى. ولكن الأتراك العثمانيين كانوا قد أحاطوا الشرق العربى بعد فشلهم أمام البرتغاليين بسياج منيع عن العالم

الخارجى ، على أساس أن هذا السياج من وسائل الدفاع عن الشرق العربى فتدهورت أحوال هذا الشرق ، وانعزل تماما عن التيارات الاقتصادية والسياسية والفكرية العالمية ، وأصيب الشرق العربى بركود شامل ، وكأنه قد أعد ليكون مناطق نفوذ واستغلال من جانب الغرب الأوربى فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) .

وبدأ الاستعمار الأوربى الحديث للعالم بالحملة الفرنسية على مصر ، وعن طريق الحملات المختلفة تمكن الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون من استعمار معظم البلاد العربية واشترك العرب فى النضال المرير ضد الاستعمار فتحرر كثير من البلاد العربية ، وهم الآن يواصلون الجهاد المشترك لتحرير الأجزاء التى لازالت تعانى من الاستعمار الأوروبى . ومن أمثلة الجهاد العربى المشترك : تعاونت الجيوش العربية مع شعب فلسطين أمام العدوان الصهيونى ، وكذلك تضامنت الأمة العربية مع الشعب العربى فى مصر لرد العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على قناة السويس وأرض مصر ، وتأييد الشعب العربى لشعب الجزائر فى كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى ، وللجنوب العربى ضد بريطانيا ، ومن ذلك أيضا المثل الذى ضربه العمال العرب ، عندما امتنع عمال ميناء نيويورك تنفيذا لمؤامرة صهيونية أمريكية ، عن تفريغ بضائع الباخرة العربية كليوبترة .

وفى أواخر صفر سنة ١٣٨٧هـ (٥ يونيو سنة ١٩٦٧) تعرضت البلاد العربية لاعتداء إسرائيلى بالتعاون مع الاستعمار ، لتحطيم الوجود العربى ، وإخضاع الأمة العربية كلها من المحيط إلى الخليج للإرادة الصهيونيـــة الاستعمارية . وسرعان ما أدرك العرب أنه لا بد من الجهاد المشترك بكافة الأسلحة : العسكرية والسياسية والاقتصادية ، لمجابهة المؤامرة ، لا سيما أن الخطر يهدد الأقطار التى تبعد آلاف الأميال عن إسرائيل بنفس القدر الذى يهدد الأقطار المتاخمة لإسرائيل وأن العدو الذى تواجهه الأمة العربية لا يتمثل فى إسرائيل وحدها ، بل لعله يتمثل أساسا فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اللتين زودتا إسرائيل بكل أنواع المساعدات ماديا وعلميا وعسكريا وسياسيا .

وأدركت شعوب الأمة العربية بحسها المرهف أن أقوى سلاح لمواجهة العدوان الوقوف صفا واحدا ، ومن هنا انهارت كل مشروعات الاستعمار فى الترويج للزعم القائل بأن موقف عرب المغرب يختلف عن موقف عرب المشرق من الخطر الصهيونى . فالجندى الجزائرى يقف جنبا إلى جنب مع شقيقه الجندى المصرى على خط النار ، وفى المغرب بادرت الجماهير

بمقاطعة العناصر الصهيونية التى تعيش فى ربوعه وتستغل ثروات الشعب هناك، وقاتل الجنــدى العراقى ببسالة جنبا إلى جنب مع شقيقه الأردنى ، وفى السعودية أعلنت الحكومة عدم تزويد الدول المتواطئة مع إسرائيل بالنفط ، وأضرب العمال فى ليبيا لوقف ضخ النفط حتى لا يصل إلى الدول التى ساعدت على العدوان ، وفى لبنان لم تستطع أية سفينة أمريكية أو بريطانية أن تفرغ شحنتها فى بيروت ، وشارك الشعب الكويتى فى المعركة المصيرية بجيشه وماله ، وفى السودان انبثقت الدعوة إلى توحيد الصف بعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم ، وتنسيق الجهود بين الدول العربيـــة ، بغض النظر عن تفاوت نظمها الاجتماعية ودرجة تطورها السياسى .

والإسلام دين القوة ، ولهذا قال السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر الخرطوم « لابد أن نبنى قواتنا العسكرية ، لندفع عنا العدوان ، فالسياسة بدون قوة لا تحقق شيئاً ، ولابد أن نتحدث من مركز القوة » ولندع الله سبحانه وتعالى أن يهزم أعداءنا ، كما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام : « اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » ؟

عباس حلمى اسماعيل

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

النزعة الدينية فى حياة الشعوب

للأستاذ الدكتور مختار القاضى

لست أدرى على وجه التحقيق كيف أعلل تلك النزعة العامة التى هيمنت على البشرية منذ القديم فجعلتها تعتقد بوجود قوة عليا تهيمن على البشر وتخضعه لها ، وذلك بصرف النظر عن الاسم الذى أعطى لهذه القوة . أما أن هذه النزعة موجودة فعلا وقديمة ومستقرة فهذا أمر خارج عن الشك بعيد عن الجدل . يقوم حول مصدر الشعور بوجود هذه القوة .

هل مصدره العقل ؟ هل مصدره الكتب السماوية والرسل ؟ هل مصدره الإيحاء ؟ قد يستطيع الإنسان أن يقطع بأن النزعة الدينية الأولى كان مبعثها تلك التعاليم التى صحبت آدم بعد هبوطه من السماء ، إذ مما لا شك فيه أن آدم كان يدين لله بالطاعة ثم عصاه ثم تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وإذن فقد كان آدم ذا صلة بالله وهو القوة العليا التى كانت تهيمن عليه فى السماء ثم فى الأرض . وقد انتشرت هذه العقيدة بين بنيه فهذا هابيل بن آدم يخاطبه أخاه قابيل فيقول له « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين » (سورة المائدة) .

هذه النزعة الدينية التى صحبت الإنسان الأول إنما قامت دون شك على رسالة آدم الدينية ثم انتشرت بين بنيه وأحفاده ، فلما تفرقوا فى الآفاق بقيت هذه النزعة أو أثر منها فى الجماعات المتناسلة من هؤلاء .

قد يكون هذا التعليل كافيا بالنسبة للجماعات الأولى التى لم يبعد بها العهد بدرجة تكفى لنسيان هذه النزعة ومصدرها . ولكننا نجد مجتمعات تطاول بها العمر وابتعدت عن حياة آدم الأولى ، تدين لقوة ما بالولاء والخضوع وتنسج حول هذه القوة قصصا وتنشىء لها معابد وهياكل وتقيم لها سدنة وكهانا ورعاة ، فانظر مثلا حياة اليونان ، يعتقدون فى إله السماء : زوس ، ومن دون زوس آلاف من الآلهة حكى عن بعضها هوميروس فى شعره وحياة المصرين القدامى مليئة بالآلهة كست واوزيريس وحوريس وإيزيس ورع وآمون .

وقد يقال فى تعليل ذلك أنه كلما تنوسيت رسالة السماء بعث الله للبشر رسولا يجددها ، ومع ذلك فإن هذا لا يصدق إلا على بعض الجماعات التى تولاها الله برسالاته المتعددة

وبعث فى بيئتها رسلا متقاربى العهد كصالح فى ثمود وشعيب فى أهل مدين وموسى وعيسى فى بنى إسرائيل، فكل هؤلاء أرسلوا فى بقعة تكاد تكون واحدة وهى الشرق، بل أنها لا تتجاوز فى الأغلب جزيرة العرب وما حولها فماذا يقال عن تلك الجماعات التى تسكن أواسط إفريقيا واستراليا ونيوزيلنده ولاتزال تسكن أمريكا، وتدين لقوة ما بالخضوع والعبادة؟ وليس هذا فى القديم فحسب، بل أنها تدين إلى الآن لهذه القوة، فكيف نعلل هذا الوجود الدينى مع أن العهد قد تطاول بهؤلاء الناس تطاولا يكفى لنسيان هذه القوة؟

ربما يستطيع الإنسان أن يجد تعليلا لذلك فى قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»!

يقول بعض المفسرين: إن الله قد أودع فى ذرية آدم من قبل أن يخلقوا بشراً مايعلمهم أنه خالقهم وأنه ربهم وأخذ عليهم العهد والميثاق. فإذا صح قول هؤلاء المفسرين — وهو عندى صحيح — أمكن القول بأننا عثرنا على مصدر هذه النزعة الدينية العامة فى حياة الشعوب قديمها وحديثها، فمصدر هذه النزعة وحى إلهى قديم، وبهذا الوحى يتصرف الناس على اعتبار وجود قوة تهيمن عليهم وتتصرف فى مقاديرهم أما أن هذه القوة فى نظرهم هى الله أو هى ذلك التمثال أو الكواكب أو النار أو غيرها، فهذه تفاصيل لا تقدح فى اعتقادهم فى وجود قوة عليا.

ولعل المعتزلة من أصحاب الفرق الإسلامية قد تأثروا بهذا النظر فقالوا: إن الله أودع فى عقل الإنسان ملكة يعرف بها الحسن والقبيح فإذا عرف الحسن اتبعه، وإذا عرف القبيح اجتنبه وانتهوا إلى أن معرفة الله وعبادته باعتباره خالق الإنسان وسبب وجوده ورب نعمته أمر حسن يعرف بالعقل، والكفر به أمر قبيح يعرف كذلك بالعقل فيجب على الإنسان أن يتجنبه دون حاجة إلى رسول مرسل ولا كتاب منزل.

هذا الرأى صحيح فى أحد جوانبه، وهو معرفة الله بالعقل. والقرآن كله يشير إلى أن الله يمكن أن يعرف بالعقل والتأمل والتدبر والكشف وما رسالة الرسل إلا نذير لهؤلاء الذين يخرجون عن مقتضى العقل وتأكيد لما استقر فى العقل. ولكن الجانب الآخر من المبدأ غير صحيح، وهذا الجانب هو أن يؤاخذ الإنسان بعدم عبادته لله لمجرد أن العقل يهديه إلى وجود إله، ذلك بأن العقول قد تتفاوت فتغلبها الغرائز وحب الشر، فجعل الله المؤاخذة على الكفر مقرونة بوجود رسول ينذر الناس ويردهم إلى حكم العقل.

وهـذا ما فطن إليه الماتريدية وأودعوه مذهباً وسطا يقول إن العلم بالله يكون عن طريق العقل ولكن الالتزام بالتكاليف الدينية لا يكون إلا عن طريق الرسالة لقوله تعالى: « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وهذا المبدأ قال به أنصار القانون الطبيعي من فلاسفة اليونان ، كما نادى به أرسطو وغيره .

هذا بالنسبة لمصدر النزعة الدينية فى حياة الشعوب أما أثر هذه النزعة فما لا شك فيه أنها تفعل فى غرائز البشر ما تفعله الكرات البيضاء الموجودة فى الدم ضد الأمراض . فالنزعة الدينية لا شك فى أنها تلطف فعل الغرائز ونحن إذا تأملنا هذه الغرائز وجدناها خلقت لتحافظ على كيان الإنسان فتحفظ ذاته ونوعه ، فغريزة حب السيطرة ، والتملك والغيرة ، والغريزة الجنسية التى تقرب الذكر من الأنثى ، وجدت كلها للمحافظة على ذات الإنسان فلا يموت ، وعلى نوعه فلا ينقرض ، ولكن هذه الغرائز حين توجد فى كل إنسان لابد أن تؤدى إلى الاحتكاك بين الناس كما هى الحال بين البهائم فيقتل القوى الضعيف ، وينتهى الأمر إلى الاحتكام إلى قانون الغابة . من أجل ذلك شرع الدين ليلطف هذه الغرائز ويجعل منها قوة بناءة لا هدامة ، ومن أجل ذلك جعل الله عباده يشعرون بوحى منه ، وميثاق أخذه عليهم فى عالم الغيب قبل أن يولدوا لأب وأم أن يعبدوه وأن يعترفوا بوجوده ؛ ذلك بأن مجرد شعورهم بوجود قوة عليا كاف فى ذاته لأن يوجد عند الإنسان ضميرا يحاسبه وملكة يميز بها بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح .

وإذا كانت النزعة الدينية متأصلة فى نفس الإنسان منذ أوحى بها الله إلى خلقه فى عالم الغيب ؛ وجددها فى نفوسهم بالرسل والرسالات ؛ وكان فى كل ذلك فائدة للبشر ، وكان على كل قادر أن ينمى هذه النزعة الهادفة إلى الخير المانعة للشر فى نفسه وفى نفس غيره ، وأن يخلص هذه النزعة مما يندس معها من الغرائز الهدامة ليكون الدين خالصاً للخير ، يؤتى أكله كل حين بإذن ربه .

دكتور مختار القاضى

تطوّر الزِّى الأزهرى

للأستاذ ابراهيم محمّد الفحام

مقدمة :

كان القاضى أبو يوسف يعقوب بن حبيب الانصارى ، صاحب الإمام أبى حنيفة ، الذى تولى القضاء فى خلافة الرشيد ، أول من جعل للعلماء زياً خاصاً يعرفون به . ولما كان السواد شعار العباسيين ، فقد كانت العمائم والطيالس السود ، من أهم ما تميز به ذلك الزى .

وقد ظل ذلك الزى يحتفظ بملامحه الأولى ، عبر العصور المختلفة ، فلم يطرأ عليه من التغير إلا الشىء الطفيف ، الذى لم يتجاوز سعة الثياب ، وأحجام العمائم . وأنواع الأنسجة وألوانها .

الزى الأزهرى فى العصر الفاطمى :

عندما أنشىء الجامع الأزهر فى بداية العصر الفاطمى ، كان نبذ السواد — شعار العباسيين — من أهم التطورات التى طرأت على الأزياء جميعاً ، ومنها زى العلماء . فاستبدلت به الألوان الزاهية والناصعة ، كالألوان الذهبية والخضراء والبيضاء . وصارت تخلع على كبارهم خلع من الصوف الأبيض ، يرتدون تحتها أردية خضراء ، تتسع فتحاتها على الأكتاف .

وكان من دونهم من العلماء : يرتدون الفرجيات الخضراء أو البيضاء ، الطويلة الأكام .

ويروى أن الحاكم بأمر الله خلع على القاضى على بن النعمان ثياباً بيضاء متنوعة ، وعمامة ورداء مذهبين . ولما قلد مالكا بن سعيد الفارقى القضاء خلع عليه عمامة وطيلساناً مذهبين . كما كانت تخلع على العلماء والقضاة أحيانا خلع تدخل فى نسيجها الخيوط الذهبية والفضية ، أو الخيوط المتعددة الألوان .

فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

استرد السواد مكانته من زى العلماء ، منذ بداية العصر الأيوبى . . ومع ذلك فقد ظل للونين الأبيض والأخضر مكانتهما من ذلك الزى . وكانت هنالك فروق فى هيئات الزى وألوانه ، تميز بين مناصب العلماء ومذاهبهم . وكانت تلك الفروق تحددها خلع السلطان .

وكان أجل ما يخلعه السلطان على كبار العلماء والقضاة ما يكون أبيض اللون ،

تحته رداء أخضر . وكان قاضى القضاة الشافعى يمتاز بطرحة سوداء ، تستر عمامة من نفس اللون ، وتنسدل على ظهره بين الكتفين ، مع ميل إلى الكتف اليسرى ، ثم منح هذا الامتياز بعدذلك لزميله الحنفى . أما الخطباء فكانت تخلع عليهم أردية وعمائم سوداء .

وكان العلماء يبالغون أحياناً فى تضخيم عمائمهم ، التى كانت تتدلى من الواحدة منها ذؤابة ترسل بين الكتفين ، مائلة إلى الكتف اليسرى . وقد ذكر ابن بطوطة أنه شهد قاضى الإسكندرية فى المسجد وعلى رأسه عمامة لم ير أضخم منها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكادت لضخامتها تخفى وراءها المحراب .

ومنذ سنة ٧٧٣ هـ - أى فى زمن السلطان الأشرف شعبان - صارت عمائم الأشراف من العلماء وغيرهم ، تميز بعلامة خضراء .

وكان بعض العلماء يلبس فوق ثيابه دلقاً متسع الأكمام طويلها مفتوحاً فوق الكتفين بغير تفريج ، وسابلا حتى القدمين . كما كان بعضهم يستبدل بالدلق فرجية مفرجة من الأمام من أعلاها حتى أسفلها ، ومزررة بالأزرار .

وقد تغلب اللون الأبيض على سائر الألوان حتى صار هو اللون الغالب على أزياء العلماء والقضاة ، صيفاً وشتاء . إلا أن ثيابهم كانت تصنع من القطن صيفاً ، ومن الصوف فى الشتاء وقد ظل الأمر على ذلك حتى أذن لهم السلطان سيف الدين برقوق ٧٩٩ هـ ، بلبس الصوف الملون فى الشتاء . ولم يكن منهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب عليه الحرير .

فى العصر العثمانى :

بدأت الألوان تفقد أهميتها ودلالتها فى ذلك العصر . وكان يخلع على كبار العلماء نوع من المعاطف الثمينة يسمى (الكرك) يصنع من الحرير أو الجوخ ، ويبطن بفراء السمور . وقد ظلت عمائم العلماء تتسم بالضخامة . وكان معظمها من النوع الذى يسمى (المقلة) المحكم اللف . كالعمائم التى تتوج شواهد بعض الأضرحة ، والعمائم التى يتعمم بها قساوسة الأقباط حتى الآن .

وكان بعضهم يحلى عمامته بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلى ، منه عذبتان تمس إحداهما الصدر ، وتبقى معلقة أمامه من ناحية الكتفين بينما تمس الثانية الكتف الأخرى .

وكانت أزياء سائر العلماء ، تختلف من حيث الفخامة ، باختلاف درجات ثرائهم ، ومراكزهم الرسمية وكانت تغلب عليها الفرجيات ، ذات الأكمام الواسعة الطويلة ،

وأما نعالهم فكان يغلب عليها اللونان الأحمر والأصفر بينما كان ذلك محرماً على غير المسلمين.

وكان بعض العلماء يؤثر ارتداء الثياب الخشنة كالزعابيط المصنوعة من الصوف غير المسبوغ.

أثناء الاحتلال الفرنسى :

حاول نابليون أن يدخل تغييراً محدوداً على الزى الأزهرى ، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل . وذلك عندما أراد أن يضفى الألوان الثلاثة التى تمثل شعار الثورة الفرنسية على طيالس العلماء ! وهى الألوان الزرقاء والبيضاء والحمراء :

ويروى الجبرتى فى حوادث اليوم العشرين من ربيع الأول سنة ١٢١٣ أن نابليون ما كاد يضع هذا الطيلسان على كتفى الشيخ الشرقاوى ، حتى امتقع لونه ، وثارت ثائرته ورمى به على الأرض فى حدة. وحاول المترجم عبثا أن يقنعه وسائر العلماء بقبول تلك الطيالس ، فقد رفضوا ذلك رفضا قاطعا ، وذكروا أنهم لو قبلوها لضاع قدرهم عند الله وعند إخوانهم المسلمين. كما رفضوا أن يضعوا على صدورهم علامة (الجوكار) التى تحمل تلك الألوان ، وطلبوا منهم مهلة لدراسة الأمر .

فاستدعى نابليون الشيخ السادات نقيب الأشراف، وأهدى إليه خاتما من الماس وظل يلاطفه ، حتى أحضر العلامة وأوثقها بفرجيته فلم يعترض، ولكنه رفعها بعد ذلك ، عندما غادر المكان .

فى عصر محمد على وأسرته :

ظلت أزياء العلماء فى بداية عصر محمد على، على ما كانت عليه فى العصر العثمانى ، وظل كبار العلماء يرتدون الكرك السمور الفاخر الذى يخلع عليهم عند توليتهم وظائفهم وفى بعض المناسبات الأخرى ، ويحلون عمائمهم بأوشحة من الكشمير والحرير ، وقد شبه كلوت بك فى كتابه (لمحة عامة إلى مصر) تلك العمائم بالكرات الضخمة ، وذكر أن العذبات التى كانت تتدلى منها على جوانب وجوههم ، ثم تنسدل على أكتافهم ، كانت تضفى على ملامحهم كثيرا من الجلال والوقار.

ومع مر الأيام أخذت الفرجية الواسعة ، ذات الكمين الطويلين تحل محل الكرك السمور، كما بدأت العمائم تفقد بعض ضخامتها.

والواقع أن تطور الزى الأزهرى كان يتم ببطء ، وفى أضيق الحدود . ويفهم مما ذكره الشيخ محمد عبد الجواد القاياتى ، فى كتابه (نفحة البشام فى رحلة الشام) الذى ألفه أثناء نفيه عقب الثورة العرابية إلى لبنان أن ذلك التطور اقتصر على تضييق الكساوى وتصغير العمائم .

وكان بعض العلماء يحتفظون في منازلهم بحوامل خاصة، توضع عليها العمائم عند خلعها صونا لها وكان الحامل، الذي كان يسمى كرسي العمامة، يعد من أهم القطع التي يضمها جهاز العروس.

وكان التعمم على الطرابيش من أهم ما طرأ على عمائم العلماء في ذلك العصر وقد ظهر الطربوش في مصر أول مرة سنة ١٨٢٣ عندما اتخذه محمد على زيا له ولجيشه أسوة بالجيش العثماني: وقد ظل العلماء يتحاشونه زمنا طويلا، ثم أخذوا يتعممون عليه في أواخر عهده وازداد إقبالهم عليه في عهد عباس الأول. وعندما أصدر أمرا إلى موظفي الحكومة المصرية، بأن يقتدوا في أزيائهم بموظفي الباب العالي.

وقد ظل العلماء أمداً طويلا ينتعلون النعال الصفر والحمر وحدها. ويتجنبون النعال السود.

وقد أثيرت في أوائل هذا القرن مناقشة حامية بين الشيخ سليم البشري والشيخ الشنقيطي عندما شوهد الأخير ينتعل حذاء أسود وانضم إلى الشيخ البشري زميلاه الشيخ البسيوني أمام الخديوي عباس والشيخ الرافعي، واستعان الجانبان في نقاشهما بكثير من الشواهد التاريخية والدينية. وقد نظم الشيخ الشنقيطي إثر ذلك قصيدة طويلة هجا فيها على الأخص الشيخ البشري.

نظام كساوي التشريف.

ظلت عادة خلع الكساوي على العلماء عند توليتهم مناصبهم، وفي بعض المناسبات الأخرى سائدة حتى نهاية حكم محمد على. ثم استبدلت بها رواتب نقدية تمنح لهم سنويا. وفي عهد والي مصر محمد سعيد باشا أعيد تنظيم منح تلك الكساوي بإرادة سنية صدرت في سنة ١٢٧٢ هـ. (١٨٥٥ م.) ووضع نظام موحد لها، فأصبحت تتكون من فرجيه من الجوخ محلاة بالقصب. وشريط من القصب أيضاً يلف حول العمامة.

وفي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م.) أصدر الخديوي إسماعيل أمراً عالياً تضمن بعض الإصلاحات في محيط الأزهر كما نص على تقسيم العلماء إلى ثلاث درجات يمنح أصحاب الدرجة الأولى منهم كساوي تشريف من الخديوي.

وبمقتضى الأمر العالي الصادر في سنة ١٨٧٣ والمعدل بأمر آخر في سنة ١٨٩٥ حدد عدد تلك الكساوي بمائة كسوة، مع تقسيم مستحقيها إلى ثلاث درجات، وتحديد عدد كل فئة من أولئك المستحقين.

وفي سنة ١٨٩٦ صدر أمر عال بتقسيم كساوي التشريف إلى قسمين: كساوي

تشريف علمية تمنح للعلماء، وكساوى تشريف مظهرية تمنح (لمن يمتاز بعلو المنزلة بين الناس) مثل نقيب الأشراف، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وشيخ السجادة الوفائية (ومن يكون من أرباب البيوتات المنتسبة للعلم ، ومن أهله ، ولا ئقاً لنيل كسوة التشريف) .

وقد نص القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ المسمى (قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والعلمية الإسلامية) ، على أن يكون من اختصاص مجلس الأزهر الأعلى النظر فى طلب منح كساوى التشريف العلمية كما وضع أسساً جديدة لمنح تلك الكساوى .

وفى سنة ١٩٢٠ صدرت لائحة جديدة برفع عدد الكساوى إلى مائة وخمسين كسوة تقسم على ثلاث درجات ، مع إيضاح شروط استحقاق كل منها ، على أن تصنع الكساوى من جوخ بنفسجى داكن ، مع تطريز العلمية منها بالقصب الأصفر ، وتطريز المظهرية منها بالقصب الأبيض ، وإلغاء شريط العمامة .

نقد ذلك النظام :

تعرض ذلك النظام لنقد بعض العلماء الذين أنفوا من أن يتشرف العالم بغير علمه وعمله ، كما وجدوا فيه وسيلة لتسلط الحاكم على ضمائر العلماء ، وحملهم على التزلف إليه .

وكانت الكساوى المظهرية أكثر تلك الكساوى تعرضا للنقد . وقد ذكر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى رأيه فيها فى كتابه : (العلم والعلماء ونظام التعليم) الذى نشره سنة ١٩٠٢ بقوله (أنشئت هذه الكساوى حطا من قدر العلم ، ومساعدة على انتشار الجهل ، ونصرة لأهل البطالة ، ومن هم على الحقيقة عالة على المجتمع الإنسانى . لا وظيفة ولا عمل ولا حيثية لهؤلاء .

تخلى بعض الطوائف عن الزى الأزهرى:

أدت فوضى التزيى بهذه الأزياء ، وإساءة بعض الطوائف والأفراد إليها ، إلى ارتفاع بعض الأصوات مطالبة بالتخلى عنه ، وخاصة بين صفوف طلاب دار العلوم الذين كانوا يتزيون بذلك الزى .

وقد بلغ التمرد على ذلك الزى ذروته فى شهر يناير سنة ١٩٢٦ عندما أفسحت صحيفة (كوكب الشرق) صفحاتها للدعاة إليه من الطلاب ، وكان أقوى سند لهم فى دعوتهم تلك الفتوى التى حصلوا عليها من الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر بأن (الدين لا يكلف أحداً إلا بما يستر عورته ، وله أن يلبس بعد ذلك ما يشاء) . أما الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ الأزهر ، فقد رفض - عندما قصدوه - أن يصدر لهم فتوى مماثلة .

وقد بلغ عدد الطلاب الذين استجابوا لتلك الدعوة ، خلال أسابيع قلائل ، ستمائة طالب .

ولم يبق محتفظاً بالزى القديم سوى مائة منهم فقط ، فاضطر وزير المعارف إلى إصدار أمر بفصل كل طالب لا يعود إلى التزيى بزيه القديم فى موعد أقصاه ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٦

وفى ذلك اليوم فوجىء الطلاب بالجنود يمنعون غير المعممين منهم من دخول الدار فعمدوا إلى التزيى بالزى القديم ، حتى إذا ما دخلوا الدار خلعوه ، واستبدلوا به الزى الجديد ، وفشل الجنود فى إخراجهم بالقوة وظلوا معتصمين بالدار لمدة ثلاثة أيام ، اضطروا بعدها للخروج ، عند ما منع عنهم الماء والطعام .

وإزاء إصرار الطلبة ، اضطرت وزارة المعارف إلى الخضوع لرغباتهم ، وأسدل الستار نهائياً على ذلك الحادث ، عندما صدر قرار وزارى فى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧ بأن يلقب طلاب دار العلوم وخريجيه بلقب (الأفندى) بعد أن كانوا يلقبون بلقب (الشيخ) .

وقد شجع نجاح حركة أولئك الطلاب ، بعض الطوائف الأخرى ، التى كانت تتزيا بذلك الزى ، على الاقتداء بهم ، وكان فى مقدمة تلك الطوائف موظفو مجلس المديرية بالزقازيق . ثم تبعتهم جماعات أخرى من الموظفين ، خريجى الأزهر ودار العلوم ، الذين كانوا يشغلون وظائف غير دينية .

وعاماً بعد عام ، أخذت تلك الدعوة تتسرب إلى معقل ذلك الزى نفسه ، فاستجاب لها البعض ، وأنكرها آخرون ، حتى انتهى الأمر إلى ما نراه اليوم من تآخى الزيين القديم والحديث ، بين جدران الأزهر .

إبراهيم محمد القمام

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

ليلة القدر

للأستاذ محمد النادى البدرى

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

* * *

سورة القدر من السور المكية التى تناولت الجملة على منكرى نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى ، كما تناولت ميزة الليلة التى أنزل فيها وأفضليتها .

والناظر فى هذه السورة يلمح منهجاً فى تناول هذين الأمرين جديراً بالوقوف على نواحى الروعة فيه ، فللجو النفسى للمؤمنين بالقرآن والكافرين به دور ، ولتخير الكلمات والألفاظ أثر ، وللتعبير والأسلوب خاصية ، وللمضمون العام دلالة ، وللتكرار ميزة وفضيلة ، والاهتمام بما ليس من جنس ما أنكر الجاحدون هدف ، ومجموع ذلك أو جميعه يقربنا من تأويل سورة القدر أو تفسيرها ، ويزيدنا إيماناً بجلال الكتاب المبين وجماله ، ومعرفة بليلة القدر وفضيلتها .

الجو النفسى :

لقد دأب أهل الكفر على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنكار أن القرآن من عند الله عز وجل ، فقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، وقالوا : تنزلت به الشياطين ، وقالوا : « إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر » ، فكان الافتراء حصاد ألسنتهم الحداد على رسول الله ، وكان الإيذاء المحموم ، المستعر بضراوة العداوة ، وطغيان الشرك ، وقسوة الكفر ، مسلكهم مع المؤمنين ، فأنزل الله هذه الآيات فى هذا الجو النفسى المحيط برسول الله والمؤمنين ، رداً على الكفار فى زعمهم الباطل ، ودحضاً لمفترياتهم ، وتسلية لرسول الله والمؤمنين ، ليشرح صدورهم ويفتح للدعوة قلوبهم ، ويزيدهم إيماناً إلى إيمانهم .

رد المفتريات :

افتتح الله عز وجل سورة القدر بهذه الآية : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » مستخدماً الضمائر فى التعبير ، تعظيماً لمصدره ، وتأكيداً لنباهة شأن المنزل وشهرته . إذ لم يتقدم ما يدل عليه أو يشير إليه ، وأسند الإنزال إليه جل جلاله ، وأكد اختصاصه دون غيره به ، ثم جعل تتمة السورة كلها فى تعظيم الليلة التى

كانت ظرفا لإنزاله ، مع أنها ليست من جنس ما أنكروا ، دلالة بالتعبير والمضمون الكلى للسورة على أن كون القرآن من عند الله من البدهيات التى لا تحتاج إلى دليل ، لأن المنكرين أنفسهم أقاموا الدليل على عكس ما أنكروا ، وأقاموا مع ذلك الدليل على دوافع النكران : وهو الحقد والاستكبار والعناد .

فالتاريخ يحدثنا أن منهم من كانوا يتسللون فى ظلمات الليل يسترقون الاستمتاع بسماعه ، ويروى عنهم أن منهم من اعترف بجماله وجلاله ، وأن بعض رءوسهم شهد بحلاوته وطلاوته وأنه يعلو ولا يعلى عليه ، ويحكى التاريخ عنهم أنهم كانوا يباعدون بين تابعيهم وبين الاستماع إليه ، حتى لا يستجيبوا لملكاتهم ويسلموا لفطرتهم ، وقالوا : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ، فهم مضطربون فى أنفسهم ، متناقضون فى دعواهم بين مقام من البلاغة والبيان لا ترقى إليه ملكاتهم ، واستكبار وعناد وحقد يطمس معالم الحق فى قلوبهم . ومثل هؤلاء لا يحفل بهم ولا يؤبه لهم ، فكان رد الله عليهم فى نصه ولفظه ، ودلالته ومعناه ، إهمالا لدعوى الجحود وتعظيما لشأن ما جحدوا بتعظيم الزمن الذى أنزل فيه .

ليلة القـــدر :

الليلة : واحـدة الليل ، وهى من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، وقد صاحب الليل والليلة فى القرآن الكريم كثير من أعمال الطاعات ، وفضائل القربات ، وتنزل الآيات ، وتمحيص المؤمنين ، وإفحام الكافرين ، ففى الليل يتحنث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعبد ، ويحث المسلمين على قيامه « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وفى الليل أسرى برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وفى الليل يتنزل على رسول الله كتاب الهداية والفرقان .

والقدر : من معانيه التقدير ، والعظمة والشرف ، والتضييق ، والمماثلة والتساوى ، وما يقدره الله من القضاء .

وقد ذهب المفسرون مذاهب شتى فى تفسير معنى (ليلة القدر) أخذا من المعنى اللغوى ، فقالوا : هى ليلة التقدير : لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد خطة نبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه ... وهى ليلة العظمة والشرف لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة ، وهى ليلة جليلة بجلالة ما وقع فيها من إنزال القرآن » .

وهى ليـــلة الضيق ، لأن الفضاء يضيق بازدحام الملائكة فيها .

فهى ليلة لم يعلم غاية فضلها وشرفها إلا الله ، وقد شاء أن يقرب معنى العظمة والشرف إلى الإفهام فوصفها بالصفات الموضحة هذه : « ليلة القدر خير من ألف شهر » « سلام هى حتى

مطلع الفجر » كما أضفى عليها صفات دالة فى سورة الدخان « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة .. » فيها يفرق كل أمر حكيم .. « رحمة من ربك .. » فهى ليلة خير وبركة ، ورحمة ، وفضل وحكمة.

والقدر بمعنى الشرف والعظمة ـ هو والله أعلم ـ أنسب المعانى للنسق القرآنى ، وسياق الآيات ، وما ترشد إليه آية الدخان .

فهى ليلة خلقها الله على قدر وشرف تمهيدا لإنزال القرآن فيها فلما أنزله الله عز وجل أضفى على قدرها قدرا وعلى شرفها شرفا ، أوهى ليلة اكتسبت قدرها وشرفها من مكانة ما أنزل فيها.

يوحى أسلوب السورة بما يزكى الرأى الأول فقد عبر عنها وكأنها معلومة للسامع ومعروفة للقارىء ، ومشهورة بين الناس « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » كما يقول الإنسان لمخاطبه ـ ولله المثل الأعلى ـ : زرتك ليلة عرس فلان ... وما اشتملت عليه السورة من أسلوب التفخيم والتعظيم « وما أدراك ما ليلة القدر » وتصوير أفضليتها على الشهور الكثيرة « ليلة القدر خير من ألف شهر » وتكرار التعبير عنها بالاسم الظاهر فى ثلاث آيات متتابعات لكل مرة ميزة منفردة بها ، وفضيلة مقصورة عليها ، ووصفها بالبركة فى سورة الدخان ... فلو أن مبعث قدرها وشرفها هو إنزال القرآن فحسب فإننا نجد ظرفا آخر للإنزال لم يحظ بهذه المكانة ، وهو شهر رمضان فى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » فهى صفات للقرآن وحسب ، إلا إذا قلنا : إن ليلة القدر فى رمضان كله ، وأن كل ليلة من لياليه هى ليلة القدر ... ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض المؤمنين على الحرص عليها ويخص القيام فيها بعظيم الثواب والأجر ، ويغلب وجودها فى العشر الأواخر من رمضان ، مما يدل على أنها ليلة مخصوصة من بين ليالى الشهر ، على أن ذلك لا ينفى ألبتة أنها اكتسبت من المنزل فيها فضلا وشرفا بصريح قوله عز وجل « تنزل الملائكة والروح فيها » فى أعقاب الآيات السابقة عليها ، بيانا لسبب أفضليتها وشرفها .

وسنة الله فى خلق الرسل على عينه ، واصطناعهم لنفسه ، ورفع مقامهم بأصل الخلقة والنشأة ثم إعلاء قدرهم بالإصطفاء للرسالة ، يؤكد سنته فى اختيار ظروف الرسالة وأمكنة العبادة ، كما يقوى جانب اصطناع هذه الليلة ومنحها المكانة المناسبة للمنزل فيها ومثله فى حياة الناس اختيار الإنسان الأوعية النفيسة لمقتنياته وهداياه الغالية ، فهى نفيسة بنفسها وأكثر نفاسة بما يحفظ فيها .

ولو نظرنا إلى جلال القرآن وما اشتمل عليه ، والملائكة الأطهار كتبته ، والسفرة الكرام حملته ، والروح الأمين مبلغه ، والمنزل عليه وهو المصطفى من بين خلقه ، وما جاء

به من الدين القيم ، وما يهدف إليه من خير البشرية فى الدين والدنيا . . لو نظرنا إلى ذلك كله لوجدناه عظيما بذاته ، عالى القدر بنفسه ، فماذا يمنع من أن يكون الوقت الذى أنزل فيه له هذه الخاصية لتكمل الصورة ، وتناسق الأجزاء . ؟

من نفحات الله :

فليلة القدر نفحة من نفحات الله إلى خلقه سماها تسمية تحمل حقيقة مسماها ، لأنها تسمية من يخلق ما يشاء ويختار ، من شهر اختاره موسما للطاعة وربيعا للعبادة وسماه فى كتابه من بين الأشهر جميعا ، فهى ليلة من ذلك الشهر لم تتعين من بين لياليه ، والجمهور على أنها فى أوتار العشر الأواخر منه ، والكثيرون على أنها فى ليلة السابع والعشرين.

وأيا ما كان وقت هذه الليلة ، فالذى لا شك فيه أنها إحدى ليالى شهر رمضان ، وهو شهر الدربة على الطاعة . والإخلاص فى العبادة ومجاهدة النفس ، ومغالبة الهوى والانقطاع إلى الله بصيام النهار ، وقيام الليل ، وتلاوة القرآن ، والتفكر فى آلاء المنعم واستحضار عظمة الخلق ، فهى محاطة بالعمل الصالح ، والتماسها وثواب العمل فيها طلبة التوابين الأوابين.

وإن من فضل الله على خلقه ، وتوفير أسباب الطاعة لهم اخفاء هذه الليلة من ليالى هذا الشهر ، توفرا على صالح العمل ، واستزادة فى تحصيل التقوى ، وما أخفى الله عز وجل على خلقه أمرا إلا ادخر لهم بهذا الخفاء أجرا ، أو وقاهم به شرا .

وإذا كانت ليلة القدر هى واسطة العقد فى شهر رمضان ، فهل يظهر جمال الواسطة ونفاستها إلا انتظام العقد ، وتناسق الحبات؟

تلك ليلة القدر عند الله ، فما هى ليلة القدر عند خلقه ؟ .

إنها العمل له . . وقوة الإيمان به ، إنها الرغبة فى التوفيق للعمل بدينه ، والاستمساك بكتابه والاعتصام بحبله . إنها الوفاء بمواثيقه ، والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه . . إنها التعرض لنفحاته بالإخلاص فى طاعته .

أيها المسلمون .

« إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها » وشهر رمضان من صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وليلة القدر فيه نفحة من نفحات الله من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

فبادروا إلى التماس نفحات الله فى أحب الليالى إليه ، وأكثروا فيها من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا » ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

محمد الشاذلى البهوى

السواك ورمضان

للأستاذ على الجندى

فى اللغـة :

السواك ـــ بكسر السين ـــ : يطلق على الفعل ، كما يطلق على العود الذى يتسوك به ، ومثله المسواك .

والسواك : مذكر ، قال الليث : وتؤنثه العرب ، وأنكر عليه الأزهرى ذلك ! وقال : هو من أغاليطه القبيحة !

وقال صاحب المحكم : يذكر ويؤنث .

ويقال : ساك فمه سوكا ، وسوكه تسويكا ؛ فإن قلت : استاك ، أو تسوك لم تذكر الفم ولا العود : أى المسواك ، وجمعه : سوك ، ككتاب وكتب . وذكر صاحب المحكم : سؤك بالهمز أيضاً .

وقال النووى : السواك : مأخوذ من ساك : إذا دلك ، وقيل : من جاءت الإبل تستاك : أى تتمايل هزالا .

السواك جاهلية وإسلاما :

والسواك كان معروفا للعرب فى جاهليتهم ! وكان الصحابة فى الإسلام يغدون ويروحون والمساويك على آذانهم !

وكانت أمهات المؤمنين ـ رضى الله عنهن ـ يكثرن من استعماله ! وهو معدود من فضائل المرأة العربية التى اهتدت بالفطرة : إلى أن ثغرها مظهر نظافتها وطهارتها وأناقتها ، ومجلى حسنها وجمالها وملاحتها ، ودليل صحتها وسلامتها من الأمراض والآفات ، وسبب وثيق من أسباب حب زوجها لها وقربه منها ، لذلك كان من أقبح ما جاءت به المدنية الحاضرة ، إباحة شرب الدخان للمرأة ، التى لاتعد امرأة بدون ثغر واضح ، براق الثنايا ، طيب النكهة ! فانظر كيف غلب الحمق على المرأة العصرية المثقفة ، فتأتى إلى موضع اللثم والتقبيل والنطق ، إلى أجمل ما فيها فتهجنه ! وإلى أحسن ما فيها فتقبحه ، وإلى أطيب مافيها فتخبثه ! أين هى من قول الشاعر :

نظرت إليها والسواك قد ارتوى
بريق عليه الطرف منى باكى
تحدره من فوق در منضد
سناه لأنوار البروق يحاكى
فقلت وقلبى قد تقطع غيرة
أيا ليتنى قد كنت عود « أراك »
فقالت أما ترضى السواك ؟ أجبتها :
وحقك مالى حاجة « بسواك »

وأصلح ما اتخذ السواك من خشب

« الأراك » و « أصول الجوز » ونحوهما ، وينبغي ألا يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كانت سماً ! وينبغي القصد والرفق فى ذلك الأسنان به حتى لا يذهب بطلائها ، والأفضل أن يبل بماء الورد .

رأى الطب فى السواك :

ومن منافع السواك - كما عرف بالتجربة والمشاهدة - أنه يطيب الفم ، ويصقل الأسنان ، ويشد اللثة ويقطع البلغم ، ويجلو البصر ، ويذهب الحضر «البيوريه» ، ويصح المعدة ، ويصفى الصوت ، ويعين على هضم الطعام ، ويحمل على اشتهائه ! أطبق على ذلك الأطباء القدامى !

والأطباء المحدثون يفضلونه على « معاجين الأسنان» فقد أكد علماء جامعة « ميتشجان » أن المعاجين التقليدية مضللة للناس ، لأنها لاتحتوى على مضاد للجراثيم ! وفى « واشنطن » جاء فى دستورها الطبى : إن نسبة تسوس الأسنان ، لا تتغير باستعمال فرشاة الأسنان بالمعاجين العادية أو بدونها على حين أن أبحاث جامعات ألمانيا كشفت أن جذور نبات عرق الذهب « المسواك » الذى كان يستخدمه العرب فى تنظيف أسنانهم ، به مادة قاتلة لجراثيم الفم ! وقد أزاح هذا البحث العلمى الستار عن سر سلامة أسنانهم .

استعمال السواك عامة :

وقد ورد الحث على استعماله فى الأحاديث الشريفة ، منها : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » ، رواه البخارى ومسلم .

وعن عائشة — رضى الله عنها — : « أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان لا يرقد ليلا ولا نهاراً فيستيقظ إلا تسوك » .

وصح عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه استاك عند موته !

والأحاديث فى ذلك كثيرة .

استعماله فى رمضان:

وقد اختلف العلماء فى ذلك على ستة أقوال: أحسنها وأولاها بالقبول ، وأدناها إلى الحكمة الشرعية ، وأدناها إلى روح الاجتماع : أنه لا بأس به للصائم مطلقاً ، رطباً كان أم يابساً ، قبل الزوال وبعده ؟

وهو مروى عن الإمام على ، وابن عمر ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وإبراهيم النخعى ، وابن سيرين ، وأبى حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى ، وابن علية ؛ أخذا من الأحاديث الصحيحة .

وقد جاء عن عامر بن ربيعة قال: « رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالا أحصى يتسوك فى رمضان » .

رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس : « أن النبى - صلى الله عليه وسلم - تسوك وهو صائم » .

قالوا : وهذا يدل على استحباب السواك للصائم من غير تقييد بوقت دون وقت ، فإن السواك نوع من التطهر المشروع لأجل الرب - سبحانه وتعالى - لأن مخاطبة العظماء مع طهارة الأفواه تعظيم لاشك فيه ، ولأجله شرع السواك ! وليس فى « الخلوف » تعظيم ولا إجلال ، فكيف يقال: إن فضيلة الخلوف تربى على تعظيم ذى الجلال بتطييب الأفواه ؟ !

ويقول ابن القيم: ويستحب - أى السواك - للمفطر والصائم فى كل وقت ، لعموم الأحاديث فيه ، ولحاجة الصائم إليه ، ولأنه مرضاة للرب ، ومرضاته مطلوبة فى الصوم أشد من طلبها فى الفطر ، ولأنه مطهرة للفم ، والطهور للصائم من أفضل أعماله !

وفى البخارى ، قال ابن عباس : « يستاك أول النهار وآخره » ثم قال : وأجمع الناس على أن الصائم يتمضمض وجوبا واستحبابا.

والمضمضة أبلغ من السواك ، وليس لله غرض فى التقرب إليه بالرائحة الكريهة ! ولا هى من جنس ما شرع التعبد به ، وإنما ذكر طيب « الخلوف » عند الله يوم القيامة حثاً منه على الصوم ، لا حثاً على إبقاء الرائحة ، بل الصائم أحوج إلى السواك من المفطر !

وأيضاً فإن السواك لا يمنع طيب « الخلوف » عند الله يوم القيامة بإزالته فى الدنيا ، بل يأتى الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من ريح المسك ، علامة على صيامه ، كما أن الجريح يأتى يوم القيامة ، وريح جرحه ريح المسك ، وهو مأمور بإزالته فى الدنيا .

وأيضاً فإن النبى صلى الله عليه وسلم علم أمته ما يستحب لهم فى الصيام وما يكره لهم ولم يجعل السواك من القسم المكروه ، وهو يعلم أنهم يفعلونه ، وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول ، وكانوا يشاهدونه يستاك وهو صائم مراراً كثيرة تفوت الإحصاء ، ويعلم أنهم يقتدون به .

هذا أفضل ما قيل فى استياك الصائم ، ورحم الله الشوكانى حيث يقول : وللفقهاء فى السواك آداب وهيئات لا ينبغى للفطن الاغترار بشىء منها ، إلا أن يكون موافقاً لما ورد عن الشارع ، ولقد كرهوه فى أوقات وعلى حالات حتى كاد يفضى ذلك إلى ترك هذه السنة الجليلة واطراحها !

ولعل فى ما أوردناه ما يقنع هؤلاء المتزمتين الذين يتركون أفواههم بلا تطهير ، فيؤذون أنفسهم ، ويؤذون مخالطيهم ، ويسيئون إلى فضيلة الصيام ، ويفتحون لأعداء الدين بابا للطعن فيه ، ولا حجة لهؤلاء المتنطعين إلا التمسك بظاهر الأقوال دون النفوذ إلى سرها ولبابها ، والله طيب لا يقبل الا الطيب ، نظيف يحب النظافة ، جميل يحب الجمال !

على الجندى

ما يقال عن الإسلام

الجغرافيا الإسلامية

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

Le Monde Islamique, Essai de Geographie Religieuse
par : Xavier de Planhol

الجغرافيا الدينية علم جديد لا يكاد عمره يزيد على نصف قرن ، فقد ولد فى أواخر القرن التاسع عشر ، واشتدت أواصره فى القرن العشرين ، ومن فروعه علم الجغرافيا الإسلامية . والجغرافيا الدينية علم يبحث فى العلاقة بين الجغرافيا وبين الظواهر الدينية المختلفة ، ومن جملتها الظواهر الإسلامية . فهناك علاقة وثيقة بين البيئة الجغرافية من حيث الجو والمناخ والتربة وما يعيش عليها من نبات وحيوان وإنسان وبين تشكل الظواهر الدينية . أو هكذا يزعم هذا العلم .

وينبغى التمييز بين هذا العلم وبين علم آخر نشأ عند العرب فى ازدهار حضارتهم وهو « علم الجغرافيا عند العرب » ، وكيف تصور الجغرافيون من علماء العرب هذا العلم ، وكيف ألفوا فيه الكتب . وما هى الأقاليم السبعة فى نظرهم ، وغير ذلك . ولعل أفضل كتاب يلخص جهود العرب فى هذا الميدان ، ويوضح ما أسهم فيه جغرافيوهم عبر العصور الإسلامية المختلفة ، هو كتاب : « تاريخ الأدب الجغرافى عند العرب » من تأليف العالم المستشرق كراتشوفسكى باللغة الروسية ، وقد ترجم بتكليف من الجامعة العربية وقام بالترجمة الأستاذ صلاح الدين هاشم وراجعها على الروسية بليائف . وهو كتاب قيم جامع ننصح بقراءته ، والاستفادة منه . ومن هذا يتضح أن الجغرافيا الإسلامية ، أو الدينية ، شىء ، وعلم الجغرافيا فى ذاته - سواء بحث فيه العرب أم غيرهم من العلماء - شىء آخر .

وقد ألف فى الجغرافيا الدينية جماعة كثيرون ، وانبرى للتأليف فى الجغرافيا الإسلامية الأستاذ جزافييه دى بلانول بعنوان « العالم الإسلامى ، محاولة فى الجغرافيا الدينية » والبحث محاولة لا شك فى ذلك ، ومحاولة طيبة ، ولكنه لا يعدو أن يكون أكثر من محاولة ، يجانبها التوفيق والسداد والوصول إلى الحقيقة تارة ، وقد يوفق صاحبها تارة أخرى .

ذلك أن الحقيقة فيما يختص بالأديان وبخاصة السماوية أنها هبة من السماء ورسالات ربانية لهداية البشر . ولما كان الحق لا يتعدد فإن الرسالات لا يختلف بعضها عن بعض ولا تتعدد

ولذلك صرح الله تعالى بأن الدين واحد فقال : « إن الدين عندالله الإسلام » وذلك من لدن إبراهيم حتى محمد . ويتلخص هذا الإسلام فى مبادىء لا تختلف من دين إلى آخر ، وهى الاعتراف بوجود الله ووحدانيته، والإيمان بالبعث واليوم الآخر ، وإرسال الرسل مبشرين ومنذرين لعدم كفاية العقل وحده بالهدى والسير فى الطريق المستقيم . وهذه المبادىء الثلاثة تعم جميع الأديان السماوية ، وليست نابعة من طبيعة البيئة الجغرافية ، ولذلك نجد أن الأديان الثلاثة وهى اليهودية والنصرانية والإسلام تتواجد فى منطقة واحدة فى آن واحد ، كما هى الحال فى الجزيرة العربية قبل نزول الإسلام . وقد أجلى اليهود من مكة والمدينة بعد نزول القرآن لأسباب تاريخية ، ولكن الأديان الثلاثة تعايشت أزمنة طويلة فى الشرق الأوســـط سواء فى فلسطين والشام أم فى العراق أم فى مصر وشمال إفريقية . وكذلك فى الشرق الأقصى نعنى فى أطراف آسيا ، وفى أندونيسيا بوجه خاص، حيث نجد الإسلام إلى جانب المسيحية والبوذية ، ومعنى ذلك أن البيئة الجغرافية الواحدة تتسع لعدة أديان مختلفة ، مما يدل على أن البيئة ليست هى خالقة الأديان ، بل إن الأديان هى التى تفرض نفسها على البيئة .

والدليل على ذلك : الإسلام نفسه الذى انتشر - فى مدة قصيرة من الزمن لا تتجاوز نصف قرن - شرقا وغربا ، فى بيئات متباينة، منها الصحراوية الشبيهة ببلاد العرب التى نبع الإسلام منها ، ومنها الزراعية المعتدلة المناخ ، وهـــذه البلاد هى أكثر البلاد التى انتشر الإسلام فيها ، ومنها الجبلية الوعرة الشديدة البرودة شتاء . وما بالك ببلاد أفغانستان مثلا التى امتد الإسلام إليها فى صدر الدولة الأموية ، ولا تزال هذه البلاد تدين بالإسلام حتى اليوم .

وقد امتداد الإسلام إلى مناطق لم يكن يتصور أن ينتشر فيها ، إذا سلمنا بوجهة النظر القائلة بأن الإسلام يمتد فى شريط أو حزام لا يتجاوز المنطقة المعتدلة . حقا هذا هو الأغلب الأعم ومع ذلك فهناك مناطق خارجة عن هذا الحزام امتد إليها الإسلام لظروف تاريخية كما ذكرنا عن أفغانستان . وفى الوقت الذى ظهر فيه الدين الإسلامى فى أوائل القرن السابع الميلادى ، ثم أخذ فى الانتشار فى أثناء القرنين السابع والثامن بوجه خاص حين كان فى عنفوان شبابه وقوته ، لم تكن تلك المناطق الباردة مأهولة بالسكان ، ولا كانت محل مطامع أصحاب الحضارات والمدنيات ، على العكس من ذلك ؛ كان يسكن المناطق الشمالية الباردة قوم أقرب إلى التوحش منهم إلى التحضر ، وكانوا يسمون (المتبربرين) ، وكانت غزواتهم السبب فى إنهاك قوى الامبراطورية الرومانية ، كما هو معروف .

ولم تمتد المسيحية إليهم إلا فى عصر متأخر، ولما تحضرت تلك البلاد بعض الشىء، وتنصرت، كانت شوكة الإسلام قد ضعفت فى عصور التأخر والاضمحلال. ومع ذلك فإذا كان الإسلام قد ضعف وانحسر غربا، وزال من الأندلس فى القرن الخامس عشر، فإنه قوى وانبعث وامتد فى القرن نفسه شرقا نحو الشمال، وتوغل فى أوربا على يد الأتراك العثمانيين حتى بلغ بولندا، ولا يزال فيها حتى الآن بعض المسلمين، ليس السبب إذن راجعا إلى البيئة الجغرافية من حيث ذاتها فى عدم انتشار الإسلام إلى تلك المناطق، كلا بل الظروف التاريخية هى السبب فى ذلك.

كل ذلك لا ينفى أن الأشكال الفرعية للدين تتأثر بالبيئة الجغرافية إلى حد كبير، إن لم يكن تأثراً كاملا، وبخاصة فى طراز المعابد التى يرتادها أصحاب كل دين، مثال ذلك أنه عند اشتداد الحر يصلى المسلمون فى العراء، أو فى صحن المسجد المكشوف للسماء، أو فى سطح المسجد، على حين أنهم فى الشتاء القارس والمطر الشديد لا بد لهم من الالتجاء إلى أماكن تقيهم البرد والمطر.

هذه بعض الملاحظات العامة على الجغرافيا الدينية.

ولننظر الآن فى الكتاب الذى نعرضه؛ فنجد أنه يشتمل على ثلاثة أبواب، الأول: فى المدن الإسلامية وتخطيطها وكذلك فى الأرض الزراعية، والثانى: فى الفرق والملل الموجودة فى البلاد الإسلامية، والثالث: فى التوسع أو الانتشار للإسلام.

وإذا كان لنا ما نعلق به على البحث الخاص بالمدن، فإن علاقته بالدين الإسلامى كانت وثيقة فى الأزمنة السالفة وإلى عهد قريب. أما بعد النمو الصناعى، وإلغاء الأسوار التى كانت تحيط بالمدن، واصطناع الأساليب الحديثة فى المعيشة وهى أساليب نمطية عالمية، وازدياد عدد سكان المدن زيادة فاحشة، كل ذلك جعل المدينة الإسلامية تتخذ هيئة عالمية لا تختص بها دولة دون أخرى. وإنك لتسير فى القاهرة الحديثة أو الدار البيضاء فى مراكش وكأنك تسير فى مدينة أوربية، عمارات شاهقة، وشوارع واسعة فسيحة. وهذا هو الحال فى أى مدينة سكنية جديدة تبنى على الأنظمة الحديثة، مثل مدينة ناصر فى شمال القاهرة.

حقا هناك أحياء فى المدن الإسلامية لا تزال تحمل الطابع القديم التقليدى، تجد ذلك مثلا فى القدس العربية القديمة، وفى بعض الأحياء القديمة فى القاهرة والتى هى فى سبيلها إلى الزوال، وفى تونس وفى الجزائر وغيرها من المدن التى تمتاز بضيق الدروب، وتوسط المسجد الجامع، وكثرة الحمامات العامة.

وبمناسبة الحمامات نقول إن المسلمين كانوا يعنون عناية خاصة بالنظافة، ولها كذلك

وجه دينى فى التطهر من الجنابة، ولذلك كثرت فى المدن الإسلامية، وهى ليست كما يقول المؤلف موروثة عن الرومان، لأن المسيحيين كرهوا الحمامات وكانوا أقرب إلى الرومان من المسلمين. والطريف أن المسيحيين فى أسبانيا وفى فرنسا كانوا يمتنعون فى العصر الوسيط عن بناء الحمامات سواء العامة منها أم الخاصة الموجودة فى البيوت نكاية فى المسلمين، وابتعادا عن التشبه بهم. ولا تزال الفنادق القديمة فى فرنسا وانجلترا خالية من الحمامات، إلى أن قامت الأبنية الحديثة العصرية فتحررت من تلك الأفكار البالية، وتخلصت المدن من مظاهرها القديمة التى كانت عليها تخلصا يكاد يكون تاماً.

لذلك كان البحث فى المدن الإسلامية كما ذهب إليه المؤلف منطبقا على المدينة فى حالتها القديمة. وفى ذلك يذكر ثلاث مميزات أساسية تختص بها المدن الإسلامية:

الأولى خضوع أحياء المدينة لسلم من المراتب يتركز حول محور معين هو المسجد الجامع، حيث يقع قلب التجمع، وفى جوار ذلك نجد السوق الكبير بدروبه ودكاكينه وخاناته وفنادقه التى ينزل فيها أصحاب القوافل من التجار. وهناك توجد فى الغالب الحمامات العامة. وهنا يضيف المؤلف ما نصه: «وإذا كان الحمام غريبا فى أصله عن الإسلام، فقد اصطنعه المسلمون كما اصطنعه الساسانيون من حضارات البحر الأبيض. وإذا كان كثيرا من التعاليم تحرمه فتحكم عليه بعبارات معتدلة تارة وعنيفة تارة أخرى باعتبار أنه مكان وضيع ومباءة للفضائح حيث يبعث العرى على الفساد، فإن منفعته فى الطهارة من الجنابة له من يصطنعه ويخصص له فى نهاية الأمر مكانا أساسيا فى المدن».

الخاصة الثانية للمدينة الإسلامية هى: تصنيف المتاجر وترتيبها بحيث تكون كل مجموعة من المتاجر المتشابهة منفصلة عن غيرها، وتقع كل مجموعة منها فى سوق، وتتسلسل هذه المتاجر من المسجد الجامع فنجد حوله تجارة البخور والعطور ثم يليها تجارة الكتب والتجليد، وعلى مقربة منها نجد أشرف المتاجر وهى تجارة الأنسجة القطنية والحريرية ثم نجد صناع الجلود والأحذية والنعال ويلى ذلك تجار السجاجيد والأبسطة والشراشف والحلى، وعلى مبعدة من ذلك يأتى سوق الغذاء من لحوم وخضر وفاكهة، وهكذا إلى أن تنتهى سلسلة المتاجر التى تحتاج إليها المدينة.

والخاصة الثالثة: تقسيم المدينة بحسب الأجناس والأديان، وكانت هذه القسمة واضحة منذ ظهور الإسلام وانتشاره، فإن القبائل العربية التى كانت تنزل فى البلاد

المختلفة كانت تختط لنفسها أحياء خاصة بها ، هذه قيسية وهذه يمنية ، وهكذا .

وقد تطورت المدن ونمت سواء في العصور القديمة أم في العصر الحاضر ولكن نموها الأخير أصبح سريعاً يقلب تخطيطها رأساً على عقب . ولهذا التطور أسلوبان: الأول : هدم المدينة وبناؤها من جديد على طراز جديد ، والثانى: إنشاء مدينة جديدة إلى جانب القديمة . ولا شك أن النمو المتزايد للسكان ، والأخذ بالنظم الصناعية ، وتحسين الصحة العامة ، وكل ذلك جعل المدن عموماً تتخذ هيئة جديدة تخالف ما كان معهوداً فى القديم .

* * *

وعند ظهور الإسلام كان العرب ، ولا يزالون ، بدواً وتجاراً ولم يكونوا من زراع الأرض يستقرون فيها ؛ فلما امتدت رقعة الإسلام وشملت بلاداً زراعية تعتمد فى جباية خراجها على غلة الأرض ، تأثرت الحياة الزراعية بالتعاليم الدينية . وسنقتصر فى الحديث على أمرين واضحين يبرزان هذا الأثر هما: زراعة العنب وتربية الخنازير ، ذلك أن الخمر قد نهى عن شربها فى الإسلام ، وأمر الناس باجتنابها فى الآية المعروفة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ، أما لحم الخنزير فإنه محرم تحريماً صريحاً أى بلفظ التحريم ، بنص القرآن . ولذلك فإن البلاد الإسلامية على الرغم من أنها لم تحرم زراعة الفواكه فى البساتين ، فإنها لم تتوسع فيها وبخاصة العنب أو الكروم حتى لا يكون مصدراً لصناعة الخمر . ومع ذلك فقد كانت أديرة النصارى تقوم بهذه الصناعة لأنها غير محرمة عندهم . وفى الجزائر مثال واضح للتأثير الجغرافى على الدين ، أو على العكس كما قدمنا فى أول هذا المقال من التأثير الدينى على الجغرافيا ، فإن الجزائر عندما خضعت لفرنسا فى القرن الماضى وإلى منتصف هذا القرن ، ضعفت شوكة الإسلام حتى كاد ينقرض ، اتسعت فيها مزارع العنب التى يستخرج منها النبيذ ويصدر إلى فرنسا . فلما استقلت الجزائر واستعادت عروبتها وإسلامها قررت أن تقوم بزراعة الأرض قمحاً بدلا من مزارع الكروم .

وتربية الخنازير محرمة ، وكل مسلم يعرف أن لحمها لا ينبغى أن يؤكل ، ولذلك فإنها لا ترى فى الدول الإسلامية اللهم إلا إذا كانت فيها جالية من النصارى تقوم بتربيتها واتخاذ لحومها فى الأطعمة بأشكال مختلفة . وعلى الرغم من أنها مصدر ثروة حيوانية واقتصادية فإنها لا تستخدم بتاتاً فى البلاد الإسلامية .

إن الجغرافيا الإسلامية بحث جديد طريف جدير بعناية الباحثين من علماء الإسلام فى العصر الحديث ، نوجه إليه الأنظار ونحث على الاهتمام به ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

المذاهب الفقهيّة
"في الشّفعة والرّهن"

عرض وتعليق : للأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

بحثان فى الفقه المقارن لموضوعى الرهن والشفعة ضمهما غلاف واحد على هذا الترتيب، وإن كانت الشفعة فى العنوان تأخذ منه الموقع الأول .

وموضوع الرهن مع مقـــدمة البحثين وفهرس الرهن يستغرق الصفحات من ١ — إلى ١٠٠ — ثم تبدأ الشفعة بترقيم جديد يبدأ من — ١ — وينتهى بـ — ٩٥ —

والمؤلف فضيلة الشيخ إبراهيم دسوقى الشهاوى أستاذ الفقه المقارن فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

وقد تميزت دراسة هذين الموضوعين بظاهرة محببة .

تلك هى عرض النتاج الذى يقوم على التقنين الوضعى عرضا مقارنا على ما تمخضت عنه أفكار الفقهاء الإسلاميين رضوان الله عليهم أجمعين .

والخطة التى انتهجها فضيلة المؤلف هى : تحديد المفهوم العلمى لموضوع البحث تحديداً منطقيا على الأسلوب الذى توارثناه عن الأماجد من الباحثين الإسلاميين، ثم بحث الموضوع فى أجزائه بحثا مرتبا معتمداً على مراجع موثقة .

وقد بدأ فضيلته البحثين بمقدمة عرض فيها اختلاف الفقهاء وسببه وأثره عرضا خاطفا آثر فيه ألا يشق على الطلاب أو يزيدهم رهقا .

وفى هذه المقدمة علل فضيلة المؤلف - فيما علل - لقضية « اختلاف الفقهاء رحمة » فقال : « فإن من الناس من تهون عليه روحه ويصغر فى عينه ماله ويرضى بفقدان كل عزيز لديه فى سبيل الوصول إلى رضى ربه والتحقق من امتثال أمره . ومنهم من يكون على نقيض هذا يؤثر راحته على كل شىء ويرى القليل فيما يتصل بالدين كثيراً والسهل الخفيف صعبا ثقيلا ، فوجود الشريعة جامعة بين التشديد

والتخفيف يفتح لهذا الضعيف منفذاً يشع منه بصيص الأمل على نفسه ويمكنه من السير مع إخوانه الأقوياء».

ويبدو - فى تقديرى - أن وصف الثانى بالضعف غير ملائم فى مجال المقابلة ، ثم إن واقع الموصوف ليس منسقا مع الرحمة .

على أن الموضوعية الأصيلة فى اختلاف الفقهاء مدارها الدليل وقوته والبرهان ورجحانه بعد إعمال الفكر وتقليب المسألة على شتى الوجوه .

والجدير بأن ينسجم واقعة مع الرحمة ذلك الذى قال فيه فضيلة المؤلف :

وقد نص العلماء على جواز التقليد فى النوازل لمن كان يقلد مذهب إمام معين ونزلت به نازلة يرى فيها إمامه رأيا فيه شدة ويرى غيره من الأئمة رأيا فيه تخفيف يتناسب مع حالته وظرفه الذى هو فيه فإن له فى هذه الحالة أن يقلد المخفف ولا حرج عليه».

وبعد المقدمة عالج فضيلة المؤلف موضوع الرهن مبتدئاً بتحديد مفهومه فى اللغة وفى الاصطلاح الفقهى فى نظر المذاهب الاربعة المعروفة مختارا بعد المقارنة تعريف المالكية وانتقل إلى الرهن فى القوانين الوضعية التى تنوعه إلى رهن حيازة ،رهن تأمينى، وعرض النوعين فى خصائصهما وقارنهما بالنظام الإسلامى مبينا مواطن الاتفاق والاختلاف وانتهى فضيلته إلى أن الرهن التأمينى لم يكن معروفا لدى الباحثين الإسلاميين وقد أنشأته القوانين الوضعية . وهو خاص بالعقار ولا يشترط فيه قبض المرهون ونقل حيازته إلى المرتهن بل يظل فى يد مالكه ، وللمرتهن حق تتبع العقار المرهون فى يد أى حائزله لاستيفاء الحق من الثمن عند الأجل إذا لم يوف الراهن الدين .

ثم عرض هذا النوع من الرهن تخريجا على قواعد الفقهاء وفق المقاييس الأصولية وانتهى به العرض إلى أن الشريعة الإسلامية لا تتأبى على هذا النوع من الرهن لالتقائه مع هدف الرهن فى الإسلام الذى شرع استيثاقا بالدين مع إمكان تلافى ما قد يلتوى به عن الهدف من وسائل الاستيثاق المتعددة والتتبع المستيقظ .

وبعد أن بين حكم الرهن وحكمة مشروعيته طرق آراء الفقهاء فى حكم الرهن فى الحضر وأدلة كل فريق وناقشها ، ثم اختار القول بجواز الرهن فى الحضر مطلقا ، وعلل ذلك بأن : « حرص النفس البشرية على ما بيدها يدعوها إلى عدم البذل إلا إذا وثقت أن ما بيدها سيرجع إليها دون نقصان ، فالرهن فى الحضر كما فى السفر لا يقوم غيره مقامه» .

وانتقل إلى حكم «انتفاع المرتهن بالمرهون» وعرض وجهات نظر المذاهب حيال المرهون ثم اختار ما ذهب إليه البعض من حل انتفاع المرتهن بالمرهون المركوب أو المحلوب أو

الصالح للخدمة إذا لم يأذن الراهن وكان ذلك يقدر على النفقة فى حالة امتناع الراهن عن الإنفاق على المرهون لقوة أدلة هذا الرأى ولموافقته لروح التشريع ولما فيه من المحافظة على حقوق الراهنين والمرتهنين فى تقدير المؤلف .

وكأن فضيلته استشعر تمرد التعليل فحاول ترويضه وسياسته فى الهامش بتوجيه أدلة الجمهور توجيها ينسجم مع ما اختاره مسلما بسلامة النصوص التى استند إليها الجمهور فى تقرير وجهة نظرهم والتى بدت صامدة فى عناد واستعصاء أمام اتجاه فضيلته .

وقد عزز فضيلة المؤلف اختياره بتقديم فتوى لفضيلة الشيخ « يوسف الدجوى » رحمه الله .

والملاحظ فى الفتوى أن فضيلة الشيخ الدجوى أورد الحل بصيغة التمريض حيث قال : « إن التحريم متفق عليه فى غير مسألة المركوب والمحلوب أما فيهما فقد قيل بالحل ولكن الجمهور على خلافه » .

ولعل الشيخ الدجوى أحس بشىء من الحرج فقال مختتما كلامه :

« وبعد : فالمؤمن ينظر لنفسه ويستفتى قلبه وإن أفتاه المفتون ويدع ما يريبه إلا مالا يريبه »

وبعد أن لمس فضيلة المؤلف انتفاع المرتهن بالمرهون فى القوانين الوضعية عالج جانب ضمان المرهون فى حالتى التعدى وعدمه مقدما الآراء وأدلتها مختارا ما اطمأن إليه .

ولارتباط بيع الوفاء بالرهن قدم بيع الوفا وقصر العرض على ثلاثة أقوال اختارها وناقشها ، وزيادة فى الفائدة ذكر أقوال فقهاء المذاهب فى الهامش ، وأنهى البحث بتلخيص لبيع الوفاء فى القوانين الوضعية والأدوار التقنينية التى مر بها مع المقارنة بآراء فقهاء الإسلام .

ثم اتجه فضيلة المؤلف إلى بحث الشفعة فاستهله بالتعريف اللغوى والاصطلاحى فى نظر فقهاء المذاهب وبين حكمها بالنسبة للشفيع فى موازينهم ، وانتهى العرض باختيار الرأى الذى يثبت الشفعة حقا للشريك والجار اعتمادا على قوة أدلته والملاءمة لروح العدل والإنصاف ، وبعد أن بين حكمة مشروعية الشفعة وسببها الشرعى قدم الشفعة من جانبها التاريخى والقانونى ثم بين من تثبت له الشفعة فى دراسة مقارنة اتخذت طابع تقديم الرأى وسنده من النصوص الشرعية الموجهة والحجج العقلية أيضا وانتهى الاختيار بعد عرض الآراء إلى قول الحنفية بثبوت الشفعة للجار الملاصق الذى لا شركة له فى حقوق المبيع وللجار الذى له شركة فى حقوقه لقوة أدلتهم ولأن العمل به تحقيق المقصود من الشريعة وهو رفع الضرر ما أمكن وخصوصا عند الجار الذى أوصى الله ورسوله على رعايته ومعاملته معاملة حسنة ولا شك أن تشريع

الشفعة له لرفع الضرر عنه من المعاملة الحسنة التى أوجبها الله تعالى له ».

وأتبع فضيلة المؤلف اختياره ببيان من تثبت له الشفعة فى القانون الوضعى مقارنا بين اتجاهين مشيرا إلى مزايا الاتجاهات الفقهية للتشريع الإسلامى.

وبعد أن حدد المفهوم الفقهى للعقار وضاهاه بمفهومه فى القانون الوضعى أردف ذلك بعرض وجهات النظر الفقهية والقانونية لكل من العقار فى حالاته المختلفة والمنقول والأشجار والزرع والثمار ثم عرج على حالات انتقال ملكية المشفوع فيه ومدى ثبوت الشفعة فى كل حالة وانتهى التطواف إلى « القول بعدم ثبوت الشفعة فيما انتقل ملكه إلى المشفوع عليه بعقد لا معاوضة فيه لقوة دليله ولأن مايثبت بعقود لا معاوضة فيها يبدو المقصود منه تبرعا ابتغاء وجه الله تعالى والغالب فى التبرعات أن المتبرع يلاحظ نفع المتبرع له بذات المتبرع به، فأخذه منه بالشفعة فيه ضرر عظيم لا يساويه الضرر الذى يلحق المشفوع عليه، فالمصلحة فى عدم استحقاق الشفعة عليه ».

ثم عقد فضيلة المؤلف مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى فى انتقال ملك ما تثبت فيه الشفعة إلى المشفوع عليه موضحا أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما واختتم البحث بعرض أقوال الفقهاء فى ميراث الشفعة مقارنة بآراء القانونيين.

وكانت الرغبة مشتاقة إلى قلم فضيلة المؤلف مشبعا تطلعها إلى الإلمام بالشفعة فى المرافق كالممر ونحوه وحق الشفعة للغائب والصغير ومن أذن فى البيع لشريكه.

ولعله حال دون ذلك التقيد بالمنهج الدراسى الذى كنا نأمل أن يراعى فيه تجديد الموضوعات فى مادة « الفقه المقارن » حتى تكتمل لدى الدارسين والمتطلعين موسوعة علمية تضم أبواب الفقه الإسلامى. ذلك التراث الجليل الفريد.

ومن أولى من كلية الشريعة الإسلامية، باحتمال هذه التبعة والنهوض بها ؟؟.

ومع أن فضيلة المؤلف قد أثبت فى الهوامش « بعض » ما رجع إليه من مؤلفات؛ فقد كانت حاجة طلاب المرحلة الجامعية ماسة إلى ثبت مراجع تتطلبه طبيعة الدراسة فى هذه المرحلة وفى مادة « الفقه المقارن » بخاصة. ؟

يوسف عبد الهادى الشال

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

— ١٢ —

كتاب : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للشيخ علاء الدين على المتقى الهندى المتوفى سنة ٩٧٥ هـ ١٥٦٧ م (عشرة أجزاء - الطبعة الثانية ١٣٦٤ - ١٩٤٥) بحيدر أباد .

إن استعراضا سريعا لاهتمام المسلمين ، فى مختلف العصور ، بالحديث وعلومه ، ليدل على مكانة الأحاديث النبوية فى الإسلام وقيمتها العلمية والدينية والحضارية . ولقد بذل العلماء المسلمون جهوداً لا مثيل لها - فى تاريخ أى علم - فى خدمة علم الحديث ، رواية ودراية ، ومنذ القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث نشاطاً كبيراً ، وتناولت شتى نواحى العمل لتأليفه وترتيبه وتبويبه فأتت إلى الوجود الصحاح الستة التى تلقاها المسلمون بكل قبول واستحسان ، واستمر هذا النشاط فى كل عصر .

وقد وضع شيخ الإسلام العلامة السيوطى كتابا كبيراً قصد فيه إلى جمع الأحاديث النبوية بأسرها ، وسمى كتابه الكبير (جمع الجوامع) . فجاء الشيخ علاء الدين على المتقى ، ورتب أحاديث (جمع الجوامع) مبوبة على الأبواب الفقهية بادئا بقسم الأقوال النبوية منه ، ثم بقسم الأحاديث الفعلية ، وسمى تأليفه (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) .

فمن ظفر به فقد ظفر بجمع الجوامع مبوبا على طريقة الفقهاء وجامعا لجميع أحاديث الأقوال والأفعال التى أودعها السيوطى فى جمع الجوامع ، وكذلك فى جامعه الصغير المقتضب من كتابه الكبير أو ذيلة المسمى (زيادة الجامع) حتى قال الشيخ أبو الحسن البكرى : « للسيوطى منة على العالمين ، وللمتقى منة عليه » . وأما رموز (كنز العمال) لأئمة الاحاديث فهى رموز السيوطى كما أن ألفاظ كل حديث فيه ، هى ألفاظه .

وقبل أن نذكر نماذج من أبواب (كنز العمال) نلقى نظرة عابرة على نظام تبويبه ، لتكون عونا على الإحاطة بمحتوياته ومميزاته بين الكتب ، ونفعه للدارسين :

(ا) حرف الهمزة : وفيه ستة كتب : كتاب الإيمان والإسلام ، كتاب الاذكار ، كتاب الأخلاق ، كتاب إحياء الموات ، كتاب

الإجارة كتاب الإيلاء. وفي الكتاب الأول ثلاثة أبواب : باب في تعريف الإيمان والإسلام ، حقيقة ومجازا ، وباب في الاعتصام بالكتاب والسنة ، وباب في اللواحق المشتملة على فصول من صفات الله المتشابهات وخطرات القلب وتقلبه الخ . وفي الباب الأول أربعة فصول : فصل في حقيقة الإيمان والإسلام ، وفصل في المجاز والشعب ، وفصل في فضلهما ، وفصل في أحكامهما ، وفي الإيمان بالقدر وصفات المؤمنين والمنافقين .

(ب) حرف الباء : وفيه كتاب البيع ، وهو يشتمل على أربعة أبواب : باب في الكسب وفضيلته وأنواعه وآدابه وأحكامه، وباب في الاحتكار والتسعير وباب في الربا وأحكامه وباب في ذكر أحاديث بر الوالدين وبر الأولاد .

(ج) حرف التاء : وفيه كتابان : كتاب في التوبة وكتاب في التفليس .

(د) حرف الجيم : ويشتمل على كتاب الجهاد وأحكامه وفضائله .

(ه) حرف الحاء : وفيه أربعة كتب ، كتاب الحج والعمرة وكتاب الحدود وكتاب الحضانة وكتاب الحوالة .

(و) حرف الخاء : وفيه كتاب الخلافة والإمارة والقضاء ، وكتاب خلق العالم ، وكتاب الخلع .

(ز) حرف الدال : وهو يضم كتاب الدعوى وكتاب الدين .

(ح) حرف الذال : وفيه كتاب الذبح.

(ط) حرف الراء : وفيه كتابان : كتاب الرضاع ، وكتاب الرهن .

(ى) حرف الزاى : وفيه كتاب الزكاة . وهو يشتمل على ثلاثة أبواب ، باب في الوجوب والترغيب فيها والترهيب عن منعها وبيان أحكامها ، وباب في السخاء والصدقة وآدابها وأنواعها ومصرفها ، وباب في فضل الفقر والفقراء ، وذم السؤال وآداب طلب الحاجة وقبول العطاء . وكتاب الزينة وهو يشتمل على بيان أنواع الزينة والتجمل من الاكتحال والادهان والحلق والتطيب وغيره .

(ك) حرف السين : وفيه كتاب السفر وكتاب السحر وهو يشتمل على بيان أنواع السحر والعين والكهانة والعرافة وغيرها .

(ل) حرف الشين : وفيه ثلاثة كتب ، كتاب الشفعة وكتاب الشهادات وكتاب الشمائل ، وهو يشتمل على أربعة أبواب ، باب في حليته صلى الله عليه وسلم ، وباب في شمائل تتعلق بأخلاقه وأفعاله صلى الله عليه وسلم ، وباب في شمائل تتعلق بالعبادات وباب في شمائل تتعلق بالعادات والمعيشة .

(يتبع)

محي الدين الألوائي

أنباء وآراء

● عقدت لجنة الموسوعة المفهرسة للأحاديث النبوية بمجمع البحوث الإسلامية، أولى جلساتها، ووضعت خطة لعملها، ووزعت موضوعات البحث على السادة أعضاء اللجنة.

● من بين الموضوعات التى سوف تطرح للبحث فى المؤتمر الرابع للمجمع موضوع (حكم المتخلفين عن الجهاد فى الإسلام)

«ذكرى نزول القرآن»

يوافق يوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم، وهى ذكرى مقدسة، يجب على المسلمين أن يولوها من العناية والرعاية ما يليق بجلالها وقدسيتها.

وقد توجهت المجلة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بسؤال حول هذه الذكرى، وواجب المسلمين نحوها، وإلى أمة القرآن توجيهات فضيلة الإمام الأكبر:

تعود المسلمون أن يحتفلوا بليلة السابع والعشرين من رمضان من كل عام على اعتبار أنها ليلة القدر، وهى الليلة التى شرف الله الوجود كله بابتداء نزول القرآن الكريم فيها وهو الدستور السماوى الذى رسم للأمة الإسلامية طريقها نحو العزة والكرامة، فيه عز الدنيا وسعادة الآخرة «كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وقد شرف الله قدر هذه الليلة ووصل الأرض فيها بأسباب السماء قال تعالى: «إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر».

وتطالعنا هذه الليلة المباركة هذا العام وقد إكتمل مرور أربعة عشر قرنا على ابتداء نزول القرآن الكريم وهى مناسبة - لعمرى - ليست بالهينة وليس للمسلمين أن يتركوها تمر كما يمر غيرها من الليالى:

أولا : على المسلمين أن يتعمقوا فى فهم كتاب الله ، هـــذه المعجزة الخالدة التى تحدى بها الله أساطين أهـل البيان فعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو بسورة منه .

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

ثانيا : على المسلمين أن يحكموا كتاب الله فى كل أمورهم فالقرآن ليس كتابا يتلى للتعبد بآياته فحسب بل هو تشريع سماوى بنى مجتمعا إسلاميا من أقوى المجتمعات فى فترة زمنيــة قصيرة، فى ثلاث وعشرين سنة وهى لا تساوى شيئاً فى عمر الزمان ، فمبادىء الإسلام التى احتواها القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية الشريفة أنقذت الأمة العربية وغيرها من الأمم التى استضاءت بنور الإسلام مما كانت تعانيه من ظلم وطغيان .

تناولت تشريعات القرآن الكريم الأسرة فأحكمت تنظيمها ، والمجتمع فبينت علاقات أفراده بعضهم ببعض ، والحكم فبينت أسسه وعلاقات الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم والشعوب ، وسنت للسلم وللحرب مبادىء ووضعت أحكاما لم تصل إليهـا بعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان أرقى حضارات القرن العشرين .

ثالثا : ودور الأزهر فى هذا المجال دور خطير فعليه وعلى أبنائه ورجاله فى شتى نواحى الحياة أن يبصروا الناس بدينهم وأن يبينوا لهم ما خفى عليهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه .

عليهم أن يكونوا رسلا مبشرين ومنذرين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله - ليست رسالة الأزهرى - أيا كان - درسا يلقى فى معهد أو خطبة تلقى فوق منبر أو موعظة تقال فى مجمع من الناس بل إن رسالة الأزهرى أجل من ذلك وأخطر .

إن الأزهر قد اختاره الله سبحانه أن يحمل رسالة الإسلام فهما لها وتبشيراً بها ودعوة إليها وتبيانا لما تحتويه من مبادىء وتشريعات حتى يتبين الرشد من الغى فتسود مبادىء الحق والعدل والسلام .

ولعل رمضان هـذا العام مناسبة مواتية للقيام بهـذا الواجب الدينى والإنسانى حتى نكون جديرين بقول الله سبحانه وتعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

تصحيح : فى العدد السابق (شعبان) حدث خطأ مطبعى فى صفحة ٥٤٤ سطر ٩ وصحته (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ...)

اللهم أعطنى إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة .

"Lord, grant me such faith and certainty as will never renegade to disbelief, such grace as to confer on me the honour of Your distinction in both this life and the Hereafter."

اللهم ما قصر عنه رأيى ولم تبلغه مسألتى ولم تبلغه نيتى من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك فإنى راغب إليك فيه ، وأسألك برحمتك يارب العالمين .

"Lord of the Creation, by Your mercy I am desirous of all good that is beyond my thinking, my request and my intention, which You have yet promised or actually given to anyone of Your Creation, and I implore You to give it to me".

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان .

"Lord, this is my prayer and it rests with You to answer; and these are the pains I take and it rests with You to acknowledge my trust in You".

At the close of day he said :

أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها . رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر . رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر .

"Into evening enter we and all sovereignty, all belonging to Allah, praise be to Him. There is no God other than Allah alone. He has no partner. His are both sovereignty and glory, and He has power over all things. Lord, let me have the best of this night and all that follows it, and shield me from the evil intricate in this night and all that follows it. Lord, in You I seek refuge from laziness and distressful old age, and from the scourge of Hell and the torment in the long home".

In the morning he said the same, substituting 'evening' with 'mornig' and 'night' with 'day'.

When he went to bed he said :

الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم من لا كافى له ولا مؤوى .

"Praise be to Allah who has given us food and drink, sufficed us and furnished us with a home. How many there are of those in want of a provider and shelterer".

باسمك اللهم أحيا وأموت .

"In Your name, Lrod, I live, and in Your name I die".

سمع الله لمن حمده . اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد .

"Allah hears those who praise Him. O Allah our Lord, praise be to You as much as will fill the entire heaven and the entire earth and whatever else You wish."

Prostrating himself to say 'Glory be to my Lord the Most High', he added :

اللهم لك سجدت وبك آمنت وبك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين .

"Lord, to You I prostrate msself, believing in You and submitting and surrendering to You. Down falls my face in adoration to Him that has created it, given it shape and visited it with hearing and sight. Blessed to Allah the best of creators.

Between the two prostrations he said :

اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني .

"Lord, forgive me my sins, have mercy on me, propitiate me, guide me and provide for me."

Before he got through his devotions with peace-making he said :

اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

"Lord, in You I seek refuge from the doom of Hell, the punishment in the grave, the affliction of the antichrist and the trail of life and death."

Following his devotions, the noble Prophet, blessing and peace be on him, was in the habit of calling on Allah from his heart in impressive prayer that betrayed a great soul and gave Muslims wonderful examples of communion between man and his Maker. Among these are :

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وترد بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني من كل سوء .

"Of Your presence, Lord, I ask You such mercy as will guide my heart, decide me upon my course of action, repiece the dispersion of my affairs, restore all that I miss, elevate my renown, purify my work, inspire me aright, reunite me with those among whom I feel at home, and dreserve me from whatever sort of harm."

From the Tradition of the Prophet :

PRAYER (الدعاء) – III

By : Soliman Barakat

SELECTED PRAYERS OF THE PROPHET

During and following daily devotions

Having uttered the initiatory 'Allah is most Grand' the Prophet, blessed be he, used to pause a little upon one or the like of these prayers :

اللهم نقني من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم اغسلني من خطاياى بالماء والثلج والبرد .

"Lord, cleanse me of my wrongs as thoroughly as white is cleansed of defilement. Lord, wash me of my sins with water, snow and hail."

إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدنى لأحسنها إلا أنت. وقنى سوء الأعمال وسىء الأخلاق لا يقى سيئها إلا أنت .

"My prayers and my devoutness, my life and my death are all for Allah, Lord of the Creation. No partner has He. Thus I am commanded, being the first of Muslims. Lord, guide me to the best works and the best manners that none but You guides to, and guard me from bad works and bad manners that none but You guards from."

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك .

"Glory be to You and praise, Lord. Blessed be Your name and exalted Your magnificence. Other than You there is no God."

When he bowed to say 'Glory be to my Lord the Great', the Prophet added :

اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت ، أنت ربى . خشع سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى لله رب العالمين

"Lord, to You I bow, believing in You, and resigning to you reposing trust in You. You alone are my Lord. My hearing and my sight, my flesh, my blood and even my bones, all in awe and reverence submit to Allah, Lord of the Creation."

When ho raised, he said :

studies of Negroes' economic conditions show with ample evidence a close re'ationship between racial segregation and class stratification. Most American Negroes, for example, are manual workers or are employed in poorly paid service occupations.(1) Michael Harrington indicates that the poverty that the Negro suffers is unique because it has a long history in the country of plenty, and it is imposed upon the Negro by the white man.

"If these people are not starving, they are hungry, and sometimes fat with hunger, for that is what cheap foods do. They are without adequate housing and education and medical care... To live in Harlem is to be a Negro is to participate in a culture of poverty and fear that goes far deeper than any law for or against discrimination.(2)

Politically, even with the Federal Government support, the Negro is deprived from full practice of his political rights as an American citizen.

By the early years of the twentieth century most of the 90 percent of Negroes who lived in the South were effectively disfranchised, constrained, and segregated by a complex set of 'Jim Crow' laws and customs that extended to churches and schools, to housing and jobs, to eating and drinking, . . . to virtually all forms of public transportation, to sports and recreations, to hospitals, orphanages, prinsons and asylums, and ultimately to funeral homes, morgues, and cemeteries.(1)

Socially, the intermarriage between whites and Negroes is prohibited by laws in twenty'nine states. In the rest of the states it is considered taboo by social customs and traditions. However, intermarriage between whites and Negroes is not one among the goals that Negroes strive to achieve. Intimate social intercourse with whites does not exist except in some few areas such as artistic occupations, entertainment, and athletic fields where the colour line is not drawn sharply.

(To be continued)

---

(1) Ely Chinoy, Sociology : An Introduction to Sociology, Random House, New York, 1961, p. 167.

(2) Michael Harrington, The Other America, Penguin Books, Baltimore, Maryland, 1964, pp. 9-79.

(1) Ely Chinoy, op. cit., p. 174.

opportunity of education to the extent that he might remain slave. Even a century after the Negro's Emancipation, along with Negroes' struggle and Suppreme Court decision to improve the Negro's conditions, research findings indicate that the American Negro does not enjoy equal opportunity of education. Kardiner and Ovesey point out that although education in the United States is compulsory, the Negro children are deprived from similar learning opportunities like the white children, particularly in rural communities.(1) A survey of school performance of Negroes in the graduating classes of thirty-two public high schools in eleven northern and western states showed that while Negroes comprised about 35 per cent of the total, only about 2 per cent of them were represented in the academically highest quarter of their various classes. This reflects a difference not only in socio-economic status, but in motivation and general cultural environment.(2) It is also of great importance that the content of education offerred to lower-class Negro students seems that it does not meet their actual needs, which in turn may lead them to grow up aimless, with no incentive to work hard, nor have they hope in the future for better life. This is because education seems to them to be unrelated to any part of their background, their history and their environment. The values taught in the school are not theirs, and the teacher's class and orientation are not consistent with lower class Negroes. This may help us, to some extent, understand why the Negro student does not have the interest in education that the white student has. The fact that the American society has not provided good jobs for Negroes may belittle the motivation of Negro students to pursue more education.

Concerning the economic condition of the Negroes in America, they were not more favorable than their lot of education. Negroes were not prepared to occupy any leading job in the American economic system to the extent that some of the Negroes after the Emancipation Proclamation was issued by Abraham Lincoln an January 1, 1863, had to remain as slaves laborers.(1) Many

---

(1) Ibid., p. 64.

(2) Earl Rabb (ed.) American Race Relations Today, Anchor Books, Doubleday and Company, Inc., Garden City, New York, 1962, p. 19.

(1) John F. Cuber, Sociology : A Synopsis of Principles, Appleton-Century-Crofts, Inc., New York, 1955, p. 337.

associated with race still persists and there is no conformity or clarity in regard to the question of who is Negro. The term Negro has been defined in some states by a general statute, in some other states it has been defined in accordance with the particular subject which is treated such as education or marriage.

The second factor contributing to the complication of the American Negro racial problems is the impossibility for a Negro to cross the line of race to be considered with for the colour of his skin that he wears all the time, and he never be able to hide it. If a person is excluded from full participation in the society in which he lives because he speakes a different language, his nationality background, or because he embraces a religion different from that of the majority, he might be able, if he wants, to expose himself to the culture of the majority and he can pass the way to the majority range and be assimilated. But if the person is excluded for physical differences, such as the Oriental or the Negro, he may be jailed in what sociologists call "Caste System. A person may work his way up in the stratification structure from unskilled laborer to professional, but he cannot work his way up from Negro to white.(1) Thus the racial uniform that the Negro wears all the time intensifies the racial awareness, and has a tremendous effect on the way that he perceives himself and others. Consequently this race awareness lends itself to racial segregation.

The Effect of Segregation on the Negroes

History indicates that Negroes were brought to the New World (U. S. A.) as slâves, and they were assigned the manual work. Their activities were controlled by their masters, and history records indicate that they were deprived culturally, economically, politically and socially.

The Negro was brought to the United States with his own African culture, yet when measured by the American culture, he was considered illiterate and ignorant. The Negro's culture was destroyed by his master as Kardiner and Ovessey point out in their book,The Mark of Oppression, and he was forced to adopt a new language, a new religion, and new way of life.(2) He was given a scant

(1) Kimball Young and Raymond W. Mack, Sociology and Social Life, American Book Company, New York, 1959, p. 208.

(2) Abram Kardiner and Lional Ovessey, The Mark of Oppression, Meridian Books, The World Publishing Company, Cleveland and New York, 1962, p. 47.

The Black Man in America

BY

DR. IBRAHIM M. SHALABY

Althoug there is no empirical evidence to prove the theory of "pure race" or that of "innate racial differences", many societies are plagued by race problems or ethnic prejudice.

As a pluralistic society, the United States is composed of heterogeneous groups, which may be considered by some sociologists as a source of strength. On the other hand, the wide variety of racial and cultural groups in America leads to a great deal of difficulties which the American society encounters to integrate all its racial and ethnic groups in a coherent social order. George Counts — the well-known American sociologist — in one of his lectures, stated that the race and ethnic problems in America are the blemish in American democracy. Some Americans are excluded from complete participation in the social activities on the basis of racial differences such as American Indians, Orientals and the Negroes. Some others are segregated against on the basis of nationality background such as Irish, Italians and Syrians. Some others isolate themselves voluntarily on the basis of religion such as the Amish. Among these minority problems in America, the Negro racial problem is, perhaps, the most acute one for two factors : first, there is a great deal of ambiguity concerning race definition. For example, one-sixteenth Negro blood turns a person to be a "Negro" in the State of Virginia, where as a full blood Negro associated with wealth in Brazil is considered a "Branco" (white). In Missouri, for instance, one eighth or more Negro blood is the criterion of being a Negro, while Georgia and a number of other states classify as colored all persons with any ascertainable trace of Negro blood in their veins. The state of Virginia does likewise, but makes an exception for individuals having one-fourth or more Indian blood and less than one-sixteenth Negro blood.(1) The myth

---

(1) Brewton Berry. Race and Ethnic Relations, Houghton Mifflin Company. The Riverside Press Cambridge, Boston, 1958, p.p. 29-30.

Islamic conquests were not for the sake of colonisation and collecting taxes, but they were means of guidance, liberation, puirfication and reformation.

The Preaching and Propagatig of Islām

The doctrines of Islam were first proclaimed to the people of Arabia in the seventh century, by Mohamed the Prophet who united the scattered tribes into a nation which poured forth over three continents to show the way of right and truth. Syria, Palestine, Egypt, North Africa and Persia were the first to accept this faith. Spreading westward to Spain and eastward beyond India, the followers of the Prophet found themselves, one hundred years after his death, at the head of the state greater than that of Rome at the zenith of its power.

Although in later period, due to the misdeeds of certain rulers, this great Islamic state was split up and its political power diminished, because of the conquests of the Saljuk Turks in the 11th century and the Mongols in the 13th century, still its spiritual conquests went on uninterruptedly. Islam had gained a footing in Sumatra and commenced its triumphant progress through the islands of the Malay Archipelago.

Now the Islamic faith covers the majority of Africa. It extends from Morocco to Zanzibar, from the West African Coast to China on the East Asian Coast. Outside the limits of strictly Islamic countries that contain a large Muslim population, there are some few small communities of Muslims in non-Muslim countries as well. Such are spread all over the world, in Lithuania, Cape Colony in South Africa, the West Indies and Guiana. In recent years Islam has found adherents in England, North and South America, Australia and Japan.

The spread of Islam over so vast a portion of the globe is due to various causes : social, political and religious. But among these one of the most powerful factors has been the unremitted efforts of the Muslim Awlias (pioneers) and preachers. They preached Islam by logical persuasion, good examples and by kind and generous treatment of non-Muslims. Islam spread by noble behaviour and by Islam's irresistible appeal to human heart and mind, They carried their faith into the centre of Africa, China and East Indies.

(to be Continued)

Another religion, too, co-existed with Idolism in Arabia. It was Judaism which wās introduced by the Jews, who fled in great numbers from Roman persecution especially under the Emperor Hadrian. Those Jews lived in different parts of Arabia for generation, during which they mixed with the Arabs. That broadened the religious views of the Arabs and that paved the way for the new monotheistic religion. They learnt from the Jews much about resurrection, paradise and hell.

Soon after the beginning of the third century, when there was difference between the Emperor and the Church, disorder and persecutions obligied great numbers of Christians to seek shelter in Arabia, the country of liberty. There were also two great christian states bordering Arabia : The Roman and Abyssinian states. So Christianity had likewise made good Progress among the Arabs before Islam and the tribes which adopted it either in the north of Arabia or in the south had already reached an advanced intellectual standard.

Monotheists are those Arabs who, in pre-Islamic days persisted on the religion of Abraham and of his son Ismāil ; without drifting into Idolism. They were called Hanifites or men of the Orthodox creed. The Islamic Call was essentially only an extension or continuation of Abraham's call. The Orthodox Hanifites who found idolism contradictory to Reason, used to pass a period at the site of cave in Mecca called Cave of Hera, as an act of devotion to God and in the interest of Divine communion.

THE ADVENT OF ISLAM

It was an act of kindness and mercy of God to send His Message to take people back to the right path, which had been previously acknowledged by His Apostles Abraham, Moses and Jesus. Thus He sent Mohamed to the whole world with a universal message and a comprehensive call. The nature of such universal legislation is to be integrăl, complete, ever green, and fit for all peoples and all times, so as to afford a solution to every problem and a way of life to every community. Such are the characteristics of the Divine Lāw after the revelation ceased and such are the traits of its messenger who was the seal of all prophets. It was a great merit to human kind that the light of God has emerged in a central spot between the east and the west to enable the easterners as well as the westerners, lost in the darkness of ignorance to find their way to right and truth, by the guidance of its illuminating light. Thus the

The moral effect of such a state of affairs must be nothing except agitation and hostility. On the other hand, people were kept in ignorance and darkness, and all this yielded confusion and division within each nation, which in turn, led to spiritual disharmony.

THE ARABS

The Arabs of Arabia, the greatest western peninsula of Asia, were living under no better conditions. They were tribes of different attitudes, but they were all the same in one respect, that was, they were slaves of bad habits. They were so low in their moral affairs that a great number of them used to bury their daughters alive for fear of poverty or bad behaviour. In religious affairs they were so ridiculous that some of them used to make their own gods from some sweet substance, when they were afterwards hungry they ate them. They practised usury on a large scale and with high interests which went sometimes to a hundred per cent. When the debtors were unable to pay, and that was most often the case, they were enslaved or obliged to force their wives and daughters to commit certain sins, to be able to collect some money to pay the debt. The consequences of such a state of affairs are very clear. In short, the causes of human development and unity were of no existence at all.

NAME OF ARABIA

The name Arabia is derived from "Araba" a small district in the province of Tehama where dwelt Ismail, the son of Abraham and Hagar. The cheif province in connection with the history of Islam is Hedjàz which contains the famous cities of Mecca and Medina. Mecca claims the distinction of being the birthplace of the Prophet Mohamed and possesses the celebrated holy place of the Kaaba. Medina was the home of the Prophet for the last ten years of his life and in it he was laid to rest.

RELIGIONS OF THE ARABS

The principal religions that prevailed among the Arabs before the advent of Islam were : idolism, Judaism, Christianity and Monotheism.

Idolism was the predominant religion in Arabia. Every tribe had its own idol to which sacrifices and offerings were made. There were in fact as many idols as there were tribes The Kaaba contained about 360 idols. Idolism is prehaps the phase through which must pass every backward primitive community before it comes to Monotheism.

THE RELIGION OF ISLAM

BY

M. ABDEL MONEIM YOUNIS

NAME OF ISLAM

The word Islam means "submission to the Divine Will". A Muslim is one who makes his peace with God and man. Peace with man is not only to refrain from evil or injury to another but also to do good to him. Thus, Islam is the religion for promoting peace and goodwill. Its two basic doctrines, the unity of God and the unity of brotherhood of the human race, afford positive proof of its being true to its name.

Among the religions of the world, Islam enjoys the distinction of bearing a significant name. The root-meaning of the word Islam is to enter into peace. One of the names of God is As-salam, which means Author of Peace. The residence of the righteous after death is Dar-us-Salam which means abode of peace. A Muslim's salutation is Assalam-o-Alaikum, that is, to say "Peace be unto you".

Some people mistakingly call this religion "Mohamedanism", after the name of the Holy Prophet Mohamed. As a matter of fact the Prophet Mohamed stated during his lifetime, that he was only a servant of God and His messenger. The purpose of this is to prevent any believer in Islam to extend his respect and love for any earthly creature like Mohamed to the extent of worship. God only deserves to be worshipped by His creatures.

International Situation Before Islam

To throw full light on the religion of Islam, allow me to give a brief summary of the social situations which were prevailing in the whole universe just before the rise of Islam.

During that particular time, there were two great powers in the whole universe, the Persian Empire in the east and the Roman Empire in the west. These to powers were actively hostile towards each other and were more or less permanently at war. They were, therefore, actually weak though appeared to be otherwise. The leaders led very luxurious lives, accumulating wealth, and the majority of the people had to live in poverty and servitude.

وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » . (البقرة ١٨٧)

"It is made lawful for you to go unto your wives on the night of the fast. They are raiment for you and ye are raiment for them. Allah is aware that ye were deceiving yourselves ih this respect and He hath turned in mercy toward you and relieved you. So hold intercourse withe them and seek that which Allah hath ordained for you, and eat and drink until the white thread becometh distinct to you from the black theread of the dawn. Then strictly observe the fast till nightfall and touch them not while you keep to mosques. These are the limits imposed by Allah, so approah them not. Thus Allah expondeth His revelations to mankind that they may ward off (evil) " SII, V 187.

The number of days of fasting either 29 or 30 days according as the lunar month of Ramandan may contain. The lunar months are not always the same with regard to their number of days. But the duration of fasting day is from dawn to sunset. Regarding this point a question arises about such countries or places in which the days are sometimes very long, and it would be beyond the ability of ordinary man to abstain from food and drink from dawn to sunset. According to the view of muslim Jurisprudents it is allowed to keep the fast only for such hours of fasting in ordinary places.

It is pertinent to observe here that doing good to others is enjoined in addition to keeping fast. At the end of the month of Ramadan, and on the day of the Id-ul-Fitr (the festival which celebrates the close of the month of fasting) each head of a family has to give away in alms, for himself and for every member of his houshold a measure of wheat, barely, rice or any other grain or the value of the same. This is the compelsury form of charity according to a majority view of Muslim Jurisprudents and scholars. It was said the fast would be suspended untill such charity was paid to serve its purpose of bringing joy to the hearts of the poor on that day. Thus he who is able to renounce the lawful satisfaction of his desires in obedience to the Commandments of his Lord, certainly acquires the power to renounce unlawful gratification, and to guard themselves morally, spiritually and physically against evil.

drink. It is reported that the Prophet said :

«عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، قلت : لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» .

(My Lord wanted to honour me by giving me as much gold as to cover the plains of Mecca, I said : No my Lord but enough to let me eat one day and go hungry one day ; When I suffer hunger I would appeal to You and remember You ; and when I get satisfied I would thank You and praise You). Fasting creats discipline in life and unity of intention and action among the Muslims. It will help them to keep order and regularity in their everyday life.

The month of Ramadan was chosen to be the month of fasting because God, the Almighty wanted to honour such a month, in which the revelation of the Holy Quran began for the guidance of humanity, by prescribing in it such a noble worship about which the Prophet said :

«قال تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى» .

(God says : the benefit of every man's actions goes back to him, except fasting ; It is for Me, and I shall take care of its reward for him who abstains from his eating and drinking for My own sake).

In addition to the moral elevation and spiritual development, fasting has its physical advantages. It is a well-know teaching of the Prophet that hunger is the best cure to many ailments. This is a fact proved and defended nowadays by medical experts. Fasting is prescribed to the able bodied and the strong, as a means of chastening the spirit by imposing a restraint on the bady.

Those who bear in mind the excesses of the pre-Islamic Arabs in their pleasures as well as their vices, will appreciate the value of the regulation and comprehend how wonderfully adapted it is for keeping in check the animal propensities of man especially among semi-civilised races.

The rule of abstinence from eating, drinking etc. is restricted to the day only, but it is allowed to refresh the system during the night of the fast. The Holy Quran says :

«أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم

oldster, menstruating woman, the woman bleeding after childbirth or pregnent and who breast feed their child (if they fear harm).

Islam observes the nature and the needs of human kind, in its all systems. Therefore, we find clear and detailed rules in the case of people who are required to keep fasting and those who are excepted from it. The traveller and the sick who is hoping recovery are allowed not to fast and they shall make up for their missing days of fasting in later times when there are no difficulties. The Quran says :

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . . . »

(. . . . And for him who is sick among you, or on a journey (he shall fast) the same number of other days. . . .) .

As regards the mensturating woman and that in confinement, they have to break fasting and they shall make up for it in like numberse of days. The very old man or woman, the ill who suffer from an incurable disease, and those workers who are engaged in hard jobs to earn their necessary livelihood — all of them are allowed not to fast on redemption of feeding a poor for each day of Ramadan. The Holy Quran Said :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

(. . . And for those who find it extremely hard there is a redemption: the feeding of a man in need . . .) The pregnant and the women who breast feed, are allowed to break fasting if they anticipate harm for themselves or for their babies, and they shall feed a man in need for each day ; like the case of the oldster and the incurably ill. God the Almighty desires the ease for His creatures and He desires not hardship for them.

Fasting is prescribed to teach people keeping duty to God, patience and power of will. Experience in these kinds of conduct help the man to face the difficulties of life, overcome bad desires, and fight the evil tendencies toward anger and revenge. Life is a mixture of prosperity and hardship ; and man has to equip himself with patience and trust in God so that he could bear the burden of life. Therefore, fasting was prescribed for one whole month to teach people that kind of patience and trust in God which help him to overcome the hardships of life.

Through fasting the rightiousness and virtue could be originated in the heart of man and it may help him to appreciate the favours of God. When we suffer hunger and thirst we tend to know the grace of God in granting us our food and

« الصيام جنـة — أى وقاية من السيئات والخطايا - فإذا كان يوم صـوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم »

(Fasting is a guard-against evils and sins - so when fasting, let no one abuses others or raises noise. And if one abuses him or fights with him (let him abstain from counter action) and just say : I am fasting).

Fasting of Ramadan is made obligatory in the Holy Quran, the Sunna (the tradition of the Prophet) and by the unanimous consensus of Muslims. The Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

(O you who believe, Fasting is prescribed for you, as it was prescribed for those before you, so that you may guard against evil) . And :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ،.. » .

(The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a guidance to men and clear proofs of the guidance and the criterion. So whoever of you is present in the month, let him fast therein. . . . .)

As regards the tradition of the Prophet, he said :

« بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت » .

(Islam is built on five pillars : to witness that there is no God but Allah and Muhammad is the messenger of Allah, keeping up prayer, almsgiving, fasting in Ramadan and pilgrimage). It is also reported that a man asked the Prophet :

« يا رسول الله أخبرنى عما فرض الله على من الصيام ؟ »

(O messenger of Allah ! Tell me what is enjoined on me of fasting) ? The prophet answered : [شهر رمضان] (Fasting in the month of Ramadan). The man enquired : [هل على غيره] (Any other fasting is enjoined on me) ? The Prophet answered : [لا إلا أن تطوع] (No except that you wish to volunteer) .

Regarding the consensus of Muslims, they agreed unanimously upon the prescription of fasting in Ramadan, that it is one of the pillars of Islam and that who disbelieves in it, is considered as a disbeliever in Islam itself. Fasting is obligatory on the Muslims who are sane, mature, sound and dweller. A woman should be, moreover, free from menses and childbirth blood. So, fasting is not required from the small child, the sick, traveller, the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Ramadân 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	December 1967

Fasting : Its Definition and Objective

By : A.M. Mohiaddin Alwaye

Though fasting is defined as abstinence from eating, drinking and sexual intercourse, it is prescribed for nobler objectives. The Quranic verse which prescribes fasting begins by this call : «يا أيها الذين آمنوا» (O you who belive) and ends by these words : « لعلكم تتقون » (so that you may guard against evil) and « ولعلكم تشكرون » (so that you may be grateful). This is an indication that fasting is abstinence from all bad deeds that is incompatible with faith or with keeping duty to God. Thus mere abstinence from eating, drinking and sexual intercourse from dawn until sunset, as defined by some jurisprudents, is not the objective of fasting that is rightly acceptable to God.

Whoever puts his trust in anybody other than God, or he who is behaving sinfully, or he who sets out plots and intrigue, or harbours envy and hate, or tries to disunite Muslims -- the fasting of all such people is liable to be inacceptable. Likewise is the fasting of those who aid the oppressors and the injust, or those who abuse others by tongue or by action. The prophet said :

« من لم يدع قول الزور ، والعمل به : فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »

(He who does not quit false testimony and acting by it, God shall have no consideration of his fasting by mere abstinence from eating and drinking). He also said :

« رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش »

(How many a fasting person, who does not get any result of his fasting but hunger and thirst). It is also reported that the prophet said :

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥٦١	مرحباً بربيع القلوب للأستاذ أحمد حسن الزيات
٥٦٤	تحيـة رمضان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
٥٦٦	رمضان شهر النصر للأستاذ عبد الحميد المسلوت
٥٧١	الصوم وأثره فى المجتمع للأستاذ حسن جاد
٥٧٦	الصيـام والجهـاد للأستاذ محمد الدسوقى
٥٧٩	نداءات وصيحات . . فمالنا لانستجيب ؟ للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٥٨٣	ظهور التقليد على مسرح الفقه للأستاذ محمد محمد الشرقاوى
٥٨٨	القرآن الكريم كما أثنى عليه الحق سبحانه للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
٥٩٥	كيف يهتمون بكتاب الله ؟ للدكتور محمد رجب البيومى
٦٠٠	نظرة الإسلام فى الكفاءة بين الزوجين للأستاذ محمد الأحمدى أبو النور

الصفحة	الموضوع
٦٠٦	الجهاد العربى المشترك خلال التاريخ للأستاذ الدكتور عباس حلمى اسماعيل
٦١٢	النزعة الدينية فى حياة الشعوب للأستاذ الدكتور محمد مختار القاضى
٦١٥	تطور الزى الأزهرى للأستاذ محمد ابراهيم الفحام
٦٢١	ليـلة القـدر للأستاذ محمد النادى البدرى
٦٢٥	السـواك ورمضان للأستاذ على الجندى
٦٢٨	الجغرافيا الإسلامية للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٦٣٣	الـكتب : ـ المذاهب الفقهية فى الشفعة والرهن للأستاذ يوسف عبد الهادى الشال ـ المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ـ ١٢ ـ للأستاذ محيى الدين الألوائى
٦٣٩	أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Fasting : Its Definition and Objective	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — The Religion of Islam	*M. Abdel Moneim Younis*	6
3 — The Black Man in America . .	*Dr. Ibrahim M. Shalaby*	10
4 — The Prayer — III	*Soliman Barakat*	14

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ شوال ١٣٨٧ هـ ـ يناير سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مضى ربيع القلوب: فهل ترك فيها أثره؟

بقلم: أحمد حسن الزيات

مضى ربيع القلوب كما يمضى نيسان ربيع الطبيعة. وإذا كان نيسان يخلف من ورائه فى الأرض الخصب والنماء والكلأ والنضارة فيرتع فى خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرة من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود؟

المفهوم من حكمة الصوم فى شريعة الله أن يكون هذا. ولكن الواقع أن رمضان كان فى حياة أكثر الناس ثلاثين عيداً تبتدىء بليلة الهلال وتنتهى بيوم الفطر، تمتعوا فيها بملذات الحس ومسرات النفس؛ فتفننوا فى الطعام والشراب، وتدفقوا فى اللهو والأنس، حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء، ومن الهداية إلى التيه، لا يملكون الزاد الذى يبلغهم الأمن، ولا يجدون الدليل الذى يجنبهم الضلال.

لذلك كان المسلمون فى توديع رمضان جد مختلفين: فمنهم المتقون والقرويون والذين لم تقس قلوبهم على جفاف المادية وكلب العيش، وهؤلاء يودعونه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات تريد أن تنقضى، وخيرات توشك أن تنقطع، كأنما يعتقدون أن باب

السماء فى غيره مغلق، وأن وجه الأرض من بعد ربيعه جديب ؛ فإذا بدأ الربع الأخير منه ظهر الحزن عليه صادقا فى الوجوه ناطقاً على الأفواه ؛ إذ يتمثلونه محتضراً يقاسى غصص الموت ، فيتفجع عليه الصائمون فى البيوت ، والمصلون فى المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمسحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون سراً وجهراً : لا أوحش الله منك يا شهر البر والذكر والفكر والرجاء .

ومنهم الخلعاء والمجان والذين فى قلوبهم مرض وفى إيمانهم ضعف . وهؤلاء يودعون فى رمضان قيداً ثقيلا غلهم عن الشهوات الخسيسة ، فهم يفرحون لوداعه فرح السجين إذا أطلق والمحروم إذا نال . ومن هؤلاء أكثر الشعراء ، وتمردهم على رمضان معروف ، وابتهاجهم بشوال مأثور ، فمن قول الفرزدق :

فإن شال شوال نشل فى أكفنا
كئوساً تعادى العقل حين تسالمه

إلى قول ابن المعتز :

أهلا بفطر قد أتاك هلاله
فالآن فاغد إلى المدام وبكر

إلى قول شوقى :

رمضان ولى ، هاتها يا ساقى
مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ولا أحب أن أخوض فى حماقات هؤلاء المجان فإنهم ليسوا من رمضان ولا من أهله . إنما أسوق حديثى إليكم أيها الذين صاموه بالتقوى، وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحسرات ، وشيعوه بالدموع ، وأبدؤه بهذه الأسئلة : هل أنتم يوم ودعتموه خير منكم يوم استقبلتموه ؟ هل تشعرون بعد أن أديتم فريضة هذا الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ، وأن أهواءكم غدت أرفع ؟ وهل تحسون أثر أولئك كله فى دنياكم الخاصة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفساً بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون بالإيجاب وإلا لما حزنتم على انقضاء رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع .

فلماذا إذن لا تجعلون سائر الأشهر كشهر رمضان ؟ لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الإثم وباطنه . فتغلوا أيديكم عن الأذى ، وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى القهوة لتوسعوا

النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا فى الأنس بالأصدقاء ، لتوفروا كثيراً من الأنس بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك فى رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة ؟

هذا السكير الذى استطاع أن يهجر الخمر ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلأ جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج ، وقد علم بالاختبار أن هذا الهجر قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذى ترك التدخين ثلاثين يوما فأراح صدره ، وسكن أعصابه ، وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره ، وقد رأى أن فى طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوى الذى كان وهو صائم يمر باللغو كريما ، فيقابل الذنب بالمغفرة ، والسيئة بالحسنة ، والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوئام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ما جنى من خيره فى أربعة أسابيع ما لم يجنه من غيره فى العام كله ؟

وهذا التاجر الذى راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله فى التجارة ، فلم يطفف الكيل ولم يخسر الميزان ولم يقارف الاحتكار ولم يغش البضاعة ولم يرفع السعر ، ثم تحقق من جدوى ذلك عليه فى رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه ، لماذا لا يلزم نفسه ذلك فى كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغنى الذى ذاق فى رمضان ألم الجوع ، وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق ، وأن العوز فى أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟

وهذا الموظف الذى عود أنامله طوال رمضان أن تساقط حبات المسبحة ليسبح ، وأن تبسط سجادة الصلاة فى أوقاتها ليصلى ، فنسى أن يمد عينيه إلى جيب المواطن ليرتشى ، أو يديه إلى خزانة الدولة ليختلس ، وذكر أنه إنسان كمله الله بالعقل وجمله بالخلق وهذبه بالضمير ، لم لا يذكر فى شوال أن أنامله التى تمسك القلم وهو مفطر كانت تمسك المسبحة وهو صائم ، وأن ربه الذى كان يخشاه فى رمضان لا تأخذه سنة ولا نوم فى سائر الأشهر ؟

إن رمضان سنة لا شهر ، وذخيرة لا نفقة ، ومصحة لا ملهى ، ورياضة لا متاع ،

نروض فيه أنفسنا على الخير لتمرن عليه ، ونعالجها به من الشر لتبرأ منه ، وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقضى أثره الطيب بانقضائه ؛ فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطق الأشياء فى الواقع . فإن المريض الذى يطلب العافية فى مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للمدة التى يقضيها فى المصحة ، وإنما يطلبها لتكون عماداً قويا لما وهن من جسمه ، وزادا صحياً لما بقى من عمره ، وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر إلا وهو فى المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى إلا وهو فى رمضان ، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو فى العيد .

خذوا إذن من ربيع القلب ما تأخذه الأرض من ربيع الطبيعة . خذوا لعبوس حياتكم من طلاقته ، ولسموم طبيعتكم من طراءته ، ولجدب دنياكم من خصوبته ، ولاضطراب عيشكم من سكينته ، ولاعوجاج سلوككم من استقامته ، ولميوعة مجتمعكم من صلابته ، ولشتات كلمتكم من وحدته .

وذلكم هو الزاد الإلهى الذى تخرجون به من رمضان لغذاء القلب والروح . وخدمة الوطن والأمة ، وعدة العمل والجهاد .

وبهذه النية وهذه العزيمة تكونون خلقاء أن تهنئوا بحزنكم فى وداع شهر الصوم ، وبفرحكم فى استقبال عيد الفطر . فإن الحزن على رمضان تقوى وبر ؛ لأنه حزن على خير مضى وأنس فات ؛ وإن الفرح بالعيد عبادة وشكر ، لأنه فرح ببشرى نزول الوحى وذكرى يوم بدر ؟

أحمد حسن الزيات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر وسئل . رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة فقال: يكفر السنة الماضية والباقية . وقال عليه الصلاة والسلام عن التسع الأوائل من ذى الحجة : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام .

تحية عيد الفطر

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

يطلع على المسلمين اليوم هلال شـــوال فيستقبلون به يوما من أيام الإسلام ، يوما عزيزاً كريما جعله الله عيدا للمسلمين يفرحون فيه بنعمة الله عليهم وقد أتموا فريضة من أجل الفرائض فى الإسلام هى فريضة صيام رمضان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة يوم فطره وفرحة يوم لقاء ربه ـ فعيد الفطر المبارك يحتفل فيه المسلمون بفضل الله عليهم وقد جاهدوا النفس والهوى وانتصروا على ملذات الحياة شهرا كاملا صفت فيـــه نفوسهم وطهرت به قلوبهم وارتفعوا بإيمانهم وصيامهم ، إلى مصاف الملائكة الأطهار . وهم اليوم ضيوف على ربهم يتمتعون بما لذ وطاب من طيبات ما أحله الله لهم ، ولهم فى الآخرة الجزاء الأوفى على استجابتهم لأمر ربهم وأداء فريضة الصيام خالصة لله رب العالمين .

أيها المسلمون :

ونحن نستقبل اليوم عيد الفطر المبارك ، عيد البر والخير والتراحم والتعاطف نذكر أنفسنا بصـلة أرحامنـا وذوى قرابتنـا قال تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خـير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها « الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » .

ولا تنسوا فى هـذا اليوم العظيم اليتامى والمساكين والبؤساء والمحرومين. مدوا إليهم يد المعونة وامسحوا عنهم دمعة البؤس والحرمان حتى يشعر الجميع بأن هذا اليوم عيد . فإنه من أجل ذلك شرع الإسلام زكاة الفطر لتـكون نوعا من التـكافل الاجتماعى فى يوم العيد وبها يخلص صوم الصائمين ويطهر مما عساهم أن يكونوا قد ألموا به فى أيام رمضان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » .

واليوم ونحن نحتفل بعيد الفطر المبارك نذكر أخـوة لنا أكرهوا على ترك بلادهم لاجئين أو مهاجرين إلى أجزاء أخرى من الوطن الإسلامى ، فليكن أهل المدينة المنورة

أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا فى هذا السبيل ، فقد تآخوا مع المهاجرين ، وكانوا يؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وامتدحهم القرآن الكريم بهذا الخلق الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى مسجلا لهم هذا العمل الجليل : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

أيها المسلمون من أقصى الدنيا إلى أقصاها - لقد وحد الفطر بيننا فكان المسلمون اليوم فى عيد - وبالأمس وحد الصوم بيننا . وهكذا جميع شعائر الإسلام توحد بين المسلمين وتجعلهم أمة واحدة . قال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

فلنأخذ من تعاليم ديننا درسا لتوحيد الكلمة وجمع الصف أمام أعداء العروبة والإسلام الذين اغتصبوا جزءاً عزيزاً من أرضنا العربية فى فلسطين ، وجثموا على صدورنا فى أجزاء متفرقة من بلادنا الإسلامية ولنتجه جميعاً فى هذا اليوم الكريم - ونحن ضيوف رب كريم - أن يمدنا بنصره وتأييده فهو سبحانه العزيز القهار . قال تعالى : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

جعل الله أيام المسلمين كلها أعيادا ووفق الجميع قادة وشعوبا إلى ما فيه عزة الإسلام ونصر المسلمين . « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وكل عام وأنتم بخير .

شيخ الأزهر

حسن مأمون

تحقيق في قضية مشهورة
عن رواية الحديث

للأستاذ محمد محمد المدني

اشتهر عن كثير من العلماء : أن بعض الخلفاء الراشدين كانوا لا يسارعون فى قبول رواية الحديث ، بل يدققون ويشترطون أن تؤيد الرواية التى تصل إليهم من أحد الصحابة برواية أخرى تشد أزرها وتوثقها ، أو بيمين يحلفها ذلك الراوى الصحابى أنه سمع ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والخلفاء الراشدون الذين يروى عنهم ذلك هم :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه
وعمر بن الخطاب رضى الله عنه
وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه

— فأما أبو بكر الصديق ؛ فقد روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ وهو بصدد الترجمة له : أنه كان أول من احتاط فى قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث — أى أن تأخذ نصيباً من الميراث من تركة ميت هى جدته — قال أبو بكر : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس . فقال له أبو بكر : هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بذلك ، فأنفذه لها أبو بكر .

ويؤخذ من هذا أن أبا بكر رضى الله عنه توقف فى قبول رواية المغيرة ، مع أنه صحابى ، ولم يسارع إلى الحكم للجدة بنصيب من الميراث كما طلبت حتى علم بهذه السنة النبوية من محمد بن مسلمة مضموماً إلى المغيرة .

— وأما عمر بن الخطاب ؛ فقد أخرج مسلم عن أبى سعيد : أن أبا موسى سلم — ذات يوم — على عمر من وراء الباب ثلاثا ، فلم يؤذن له ، فرجع ، فأرسل عمر فى أثره فقال : لم رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع» ، قال عمر : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك — أى لأعاقبنك — قال أبو سعيد : فجاءنا أبو موسى ممتقعاً لونه ونحن جلوس ؛ فقلنا : ماشأنك ، فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم ؛ فقلنا : نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم فأخبره .

وروى أيضا عن هشام عن أبيه عن المغيرة ابن شعبة : أن عمر استشارهم فى إملاص المرأة - أى فى التسبب من إسقاطها جنينها من ضربة أو نحوها - فقال المغيرة : قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة — وهى العبد أو الأمة ، أى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى على من تسبب فى إسقاطها بأن يقدم عبدا أو أمـــة على سبيل الدية أو التعويض للمرأة المجهضة أو لوالد الجنين الذى أسقط - فقال عمر للمغيرة : إن كنت صادقا فائت بواحد يعلم ذلك : قال : فشهد محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك - فى مثل هذه القضية .

وأما على بن أبى طالب ، فقد روى عن أسماء بن الحكم الغزارى أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ، نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به ، أى أخذت به دون تردد فنفعنى الله به وكان إذا حدثنى غيره استحلفته ، فإذا حلف صدقته ، وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له .

وبذلك يتبين أن كلا من عمر رضى الله عنه ، وعلى كرم الله وجهه ، كانا يتوثقان كما كان أبو بكر يتوثق فى رواية الحديث وقبوله : هذا باستحلاف الراوى ، وذاك بطلب الشاهد المؤيد للرواية .

* * *

وقد أدى ذلك بكثير من الباحثين إلى أن يقرروا أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة كانت لهم خطة خاصة فى قبول الرواية لم تكن لغيرهم ، وأن هذا لون من ألوان الحرص على الدقة فى رواية الحديث ، ودفع الناس عن التجرؤ فى شأنه دون توثق وتحفظ . ولا شك أن التأكد من صدق الحديث بالتثبت فى الرواية أمر محمود يجب على كل مؤمن ، ولكن هذا الاشتراط من الخلفاء الثلاثة يثير مناقشة فى أمرين هامين :

أحدهما : هل يجوز التردد فى قبول رواية الصحابى ؟

الثانى : أليس جمهور أهل العلم متفقين على العمل بخبر الواحد ؟ فما بال أبى بكر وعمر وعلى لا يقبلونه حتى من الصحابى ؟

وتحقيق القول فى ذلك يتبين مما يأتى :

١ — من المعروف أن الصحابة جميعا عدول ، لأن الله تعالى شهد لهم بالعدالة فى كتابه كما هو رأى أهل السنة ، ومن المعروف أيضا أنهم كانوا يتقبلون رواية الواحد منهم دون أن يخالجهم شك فى صدق روايته ، وإن كان بعضهم قد يناقش متن الحديث

المروى أحيانا ، ودراسة المتن شىء ، وإنكار الرواية شىء آخر .

٢ — وقد رويت أحاديث كثيرة رواية آحادية لكل من هؤلاء الخلفاء الأجلاء رضى الله عنهم فقبلوها دون تردد ، ولم يطبقوا عليها ذلك الذى قيل : إنهم يشترطونه من شهادة راو آخر ، أو من يمين يحلفها الراوى الواحد .

فأبو بكر رضى الله عنه ، كان ـ كما يقول ابن القيم ـ إذا ورد إليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه ما قضى به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ، فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، وإن لم يجد سنة سنها النبى صلى الله عليه وسلم جمع الناس فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به .

ويقول المرحوم الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) :

« ... ولقد عرضت على أبى بكر حوادث كثيرة رجع فيها إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها أنه طلب ممن أخبره عن رسول الله راويا آخر يشهد له إلا هذه الحادثة ، بل ذكر الرازى فى المحصول : أن أبا بكر قضى بقضية بين اثنين فأخبره بلال أنه عليه السلام قضى فيها بخلاف قضائه فرجع » .

وقد قبل عمر رضى الله عنه الحديث الذى رواه له عبد الرحمن بن عوف من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى شأن الوباء : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .

وأخرج البيهقى عن هشام بن يحيى المخزومى أن رجلا من ثقيف أتى عمر بن الخطاب فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت ، ألها أن تنفر قبل أن تطهر ؟ فقال : لا ، فقال له الثقفى : إن رسول الله أفتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت ، فقام إليه عمر فضربه بالدرة وهو يقول : لم تستفتوننى فى شىء أفتى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقد عمل عمر رضى الله عنه برواية آحادية هى التى رواها له عبد الرحمن بن عوف عن الوباء ، وفى ذلك يقول ابن شهاب : وأخبرنا سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر إنما انصرف بالناس ـ فلم يمض بهم إلى الشام يومئذ ، بل عاد أدراجه من الطريق ـ وذلك لما سمع حديث عبد الرحمن بن عوف .

وقد قبل عمر رواية الثقفى من الخبر الثانى ، وإنما ضربه بالدرة لأنه وهو يعلم أن

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتوى فى ذلك، ما كان ينبغى له أن يستفتى غيره .

وهناك أحاديث غير ما ذكرنا قبلها عمر من راويها الصحابى دون أن يشترط أن يؤتى له براد آخر .

وأما على رضى الله عنه فقد قبل رواية المقداد بن الأسود فى حكم المذى من غير تحليف له ، ونرى فى الخبر الذى روى عنه أنه كان يستحلف ، ومع ذلك لم يستحلف أبا بكر ، بل قال فى لغة رقيقة مهذبة : « وحدثنى أبو بكر - وصدق أبو بكر - » فالخبر نفسه يدل على أنه كان يقبل رواية الآحاد ، وإن كان يستحلف الراوى فى بعض الأحيان .

بهذا كله يتبين أن الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم كانوا يقبلون خبر الآحاد ويعملون به كغيرهم من الصحابة ، لا يشترطون راوياً آخر أو توثيقا بالحلف إلا فى بعض الأحيان.

وقد صح أن عمر رضى الله عنه عوتب فى شأن أبى موسى حيث طلب منه أن يأتيه براو آخر يشهد بما قال ، فأجاب عمر : إنى لم أتهمه ولكنى رأيت أن أتثبت وصرح بذلك لأبى موسى نفسه فيما بعد ، إذ قال له : أما إنى لم أتهمك لكنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ولما كان ما روى عن الخلفاء الثلاثة من الجرى على خطة الاستشهاد والاستيثاق متعارضا مع ما روى عنهم من قبول رواية الواحد من الصحابة دون تردد ؛ رأينا العلماء يحاولون تأويل مواقف هؤلاء الخلفاء فيما انفردوا به من هذه الخطة فى بعض الأحيان عن غيرهم ، وعن أنفسهم فى أكثر الحالات:

فالشافعى رحمه الله تعالى يعرض للأخبار التى رويت عن عمر فى التثبت ثم يقول : إن عمر قد رويت عنه أخبار بقبوله خبر الراوى الواحد، فلا يجوز أن يقبل مرة خبر الراوى الواحد ، ولا يقبله مرة أخرى .

ويذكر أن موقفه مع أبى موسى إنما كان على سبيل الحيطة وزيادة التأكد ، فإن أبا موسى ثقة أمين ، ويستدل لذلك بقوله لأبى موسى « إنى لم أتهمك ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله » .

والغزالى فى المستصفى يقول :

« أما توقف أبى بكر فى حديث المغيرة فى توريث الجدة ، فلعله كان هناك وجه اقتضى التوقف ، وربما لم يطلع عليه أحـــد ، أو لينظر أنه حكم مستقر أو منسوخ ، أو ليعلم: هل عند غيره مثل ما عنده ليكون الحكم أوكد ، أو خلافه فيندفع ، أو توقف فى انتظار استظهار بزيادة كما يستظهر الحاكم بعد شهادة اثنين على غرم الحكم إن لم يصادف الزيادة ، لا على غرم الرد ، أو أظهر التوقف

لئلا يكثر الإقدام على الرواية عن تساهل ، ويجب حمله على شىء من ذلك ، إذ ثبت منه قطعاً قبول خبر الواحد وترك الإنكار على القائلين به » .

* * *

والأرجح فى نظرنا أن الخلفاء الثلاثة فيما روى عنهم من الاستيثاق على الحديث ، إنما كانوا يفعلون ذلك فى الأحوال التى تشبه أحوال الفصل فى القضاء بالبينة ، والبينة تكون بشهادة اثنين ، أو بدعوى مؤيدة باليمين إذا لم تجد معارضة :

فأبو بكر كانت أمامه امرأة تطلب نصيبا من الميراث ، فإذا حكم لها بذلك فقد أنقص حق الوارثين الآخرين بمقدار ما أعطاها ، فلما أخبره المغيرة بما علم من سنة رسول الله فى ذلك نزل هذه الرواية منزلة الشهادة ، ومن المعروف أن الرواية يقبل فيها الواحد؛ لكن الشهادة لابد فيها من اثنين ـ فلما نزلها منزلة الشهادة ـ لاعتبارقام لديه ، كأن يكون المغيرة له صلة قرابة بالمرأة المطالبة بالميراث ـ طلب راويا آخر ليكون بمثابة الشاهد الآخر فى قضية ، ليحكم فيها بالبينة ، ولا شك أنه كان يسعه رضى الله عنه الاعتماد على المغيرة رضى الله عنه ، كراو لا كشاهد ، ومن ثم لا يكون محتاجا إلى غيره ، ولكنه لما عسى أن يكون قام لديه عند النظر فى الأمر ، أراد أن يحتاط أتم الاحتياط فنزل الرواية منزلة الشهادة .

ويمكن أن يقال مثل ذلك فى قضية أبى موسى مع عمر ، فإن أبا موسى كان مدعوا من أمير المؤمنين ليسأله عن بعض الشئون ، فلما ذهب إلى عمر وطرق بابه فلم يجب ، وعاد ، حتى إذا سأله أمير المؤمنين روى له الحديث الذى رواه ، رأى عمر أن حق أمير المؤمنين فى الاستجابة إلى دعوته يجب أن يكون مؤكدا، وأن من دعى إليه ثم انصرف دون لقائه لمثل ما علل به أبو موسى ، إنما يكون فى موقف المدافع عن نفسه فى تصرف متصل بحق ولى الأمر ، وحق النظام العام فى الطاعة وعدم اتخاذ مظهر مناف لها كان صاحبه معذورا ، فأراد عمر أن يجد من مثل ذلك، فجعلها شهادة ولم يجعلها رواية ، وكأنه يقول لأبى موسى ؛ إنى لا أتهمك بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشاى أن أتهمك بذلك فأنت صاحب رسول الله ، وأنت الثقة الأمين ، ولكنك جئت بقول اعتذرت به عما فعلت ، فوقفك أقرب إلى موقف الشاهد منه إلى موقف الراوى فائتنى بآخر يروى ما رويته . وإلا فعلت بك وفعلت ..

ويرجح ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل كلمة « البينة » فيما قاله لأبى موسى ،

وذلك إذ يقول « لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك وأفعلن » .

فالأمر إذن فى نظر عمر أمر تحقيق فى واقعة ، ومحاسبة على صنيع معين ، قبل أن يكون أمر رواية يكتفى فيها براو واحد .

وعلى مثل هذا يحمل كلام الإمام على كرم الله وجهه ، فإن ما نسب إليه من الاستحلاف أشبه بأن يكون فى القضايا التى يكون فيها دعوى تحتاج إلى بينة ، ثم لا توجد البينة ، فتؤازر الدعوى بيمين من المدعى ، ولم يذكر الظرف الذى قال فيه الإمام على ذلك ، فالأرجح أنه قاله فى مثل هذا الظرف القضائى .

وبذلك نعلم أن الصحابة كلهم عدول فى نظر بعضهم إلى بعض ، وأن الخلفاء الثلاثة لم يكن لهم خطة خاصة اشترط شرطا كالذى ذكروه فى قبول خبر الواحد ، وبالله التوفيق ؟

محمد محمد المدنى

« وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا »

ذكر المحب الطبرى أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت :

لما نزلت « تبت يدا أبى لهب وتب » أقبلت العوراء بنت جميل بن حرب « حمالة الحطب » ولها ولولة وفى يدها فهر «أى حجر» وهى تقول :

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر لما رآها :

يا رسول الله : قد أقبلت وإنى أخاف أن تراك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها لن ترانى وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال الله عز وجل :

« وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » فوقفت على أبى بكر فقالت : يا بن أبى قحافة . ما شأن صاحبك ينشد فى الشعر فقال : والله ما صاحبى بشاعر . فقالت أليس قد قال : « فى جيدها حبل من مسد» فما يدريه ما جيدها؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : قل لها هل ترين عندى أحدا ؟ فقال لها أبو بكر ...

فقالت : أتهزأ بى يا ابن أبى قحافة ؟ والله ما أرى عندك أحدا . وقد بلغنى أنه يهجونى. ووالله لو وجدته لضربته بهذا الفهر . فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ماهجاك فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها ...

أبو بكر الصديق للأستاذ على الطنطاوى ص ٥٦

نفحات القرآن

الحذر والخوف وقاية من سوء العاقبة

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ... » .
آية ١٠٢ سورة هود

١ — لدينا آية من آيات الزجر ، والترهيب ... وبعض الناس يزعم أن آيات الترهيب لمجرد الوعظ فى الجانب الروحى . وأنها لا تتصل بالدنيا ، ولا بشئون الحياة فى هذه الدنيا ... بل تحكم الوهم فى بعض الرءوس ، فزعموا القرآن كله كذلك ! !

ولكن العقول الرشيدة ، والأذهان الواعية تستمع إلى القرآن كله ، وهى فى أفق أوسع من هذا الأفق المظلم ... فهى تدرك أن القرآن كله إطار محكم للحياة الأولى ، ومنهج للسير فيها على الهدى نحو الحياة الآخرة فى غير تعثر ولا ضلال .

فإذا صادفتنا آية فى مجال الوعظ والترهيب كالتى معنا أدركت فى بداهة أنها لتقويم شخصية الإنسان : بتهذيب روحه ، وغرس العبرة فى قلبه ، وتكوينه على نمط إنسان يحكمه ضمير يقظ ، ويتجه به فى مسلك محمود ، ويربأ به عن الإسفاف .

ومن ذلك يكون الهدف الروحى تصحيحاً لأنانية الإنسان ، وتكميلا لبنائه المعنوى ورابطاً بين الأفراد ، حتى تتكون منهم الجماعة المتماسكة ، التى يعصمها دين الله من التصدع ، ويشد صفوفها بالوحدة التى لا يغمز فيها غامز ، ولا يطمع فيها ماكر خبيث .

٢ — وفى الآية التى معنا تطبيق لهذه التوجهات ... فإن الله - ذكر لنا فيما يسبق هذه الآية : أنه لا يظلم الناس شيئاً ، وأنه يأخذ بعذابه الأليم كل قرية أو نفس ظلمت نفسها . . الخ ... ثم جاءتنا الآية المذكورة معنا بتذكير حق ، وعبرة ناطقة بما جرى على الأسلاف الذين غفلوا عن الموعظة ، وأعرضوا عن النداء ...

ويطلب الله منا فى طى هذا القصص أن نستفيد من الواقع السابق ، حتى لا نتخطى حياتنا فى سكرة كما تخطوها ، ولا تضيع منا فرصة كما ضاعت منهم ... ففاتتهم الحياة كأن لم يعيشوها ، وخسروا دنياهم كأن لم يتمكنوا من العمل فيها .

٣ — ثم لماذا تخلفت عقولهم ، وغفل وعيهم وهم أناس كغيرهم من الناس ؟ ؟

جواب ذلك فى قوله تعالى : « إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » ، يعنى : أن العبرة ، والانتفاع بمعالم الهداية ، فيما خلق الله ، وبما ذكره الأنبياء والرسل إنما يكون لمن يخاف عذاب الآخرة ... فذلك الخوف هو مثار التفكير ، ومناط الاتعاظ .

إذ الإنسان الواعى حينما يتعلق نظره بمشاهد الكون ، وينظر إلى دنيا السابقين وما جرى عليهم فيها وبقيت آثاره فى الأطلال ، والآثار : حينذاك يقيس نفسه عليهم ، ويساوره الخوف على نفسه مما وقع لأسلافه .

وحينما يصغى إلى تذكير الله بتلك الأحداث ... وما وراء هذا التذكير من تقرير الحساب ، والجزاء : حينذاك يبادر إلى الحيطة ، ويسبق إلى الفرصة ، ويدرك ما يستطيعه من أسباب الوقاية والنجاة من سوء العاقبة ، حتى لا يتردى فى مهالكهم ، ولا يودع حياة خاسرة ، ويستقبل ندامة موجعة بسبب ظلمه لنفسه ، وعدم خوفه من سوء عقباه .

هذا الخوف هو منشأ العبرة ... وهو وسيلة الحيطة .. وحينما لا يكون خوف ولا تفكير فى الاحتياط يكون البلاء ، والشقاء ، ولا محالة ، فيما يقع من الإنسان على نفسه .

٤ — هذا الخوف هو أصل الإيمان . . وهو نداء الضمير ، وهو الإيحاء بالتقوى ، وتحاشى المعصية .

والقرآن يردد على مسامعنا زواجره ، ويبث فى نفوسنا مخاوفه . وكل ذلك للوصول بنا إلى الإيمان .. وللوصول بنا عن طريق الإيمان إلى النجاة مما لا نحبه لأنفسنا ، ولا يرضاه الله لعباده لو أرادوا لأنفسهم الخير حقا .

وكثيراً ما يحركنا القرآن من جمود العاطفة ويبعث فينا الحساسية فيقول « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » . ويقول : « إنما يذكر أولوا الألباب ، فذكر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم » . وهكذا مما يهز القلوب رعبا ، وخشية .

أما من لا خوف عنده فلا حظ له من العظة وإن ملأت مسامعه ، ولا خشية عنده من سوء العاقبة وإن تراءت له المخاوف كلها

رأى العين : لأنه كمخلوق من الجماد ، فلا قلب له ، ولا سمع عنده ، والقرآن يسجل عليه ذلك بقوله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » يعنى وهو حاضر الوعى .

هـذه توعيات تتعلق بمن يخاف ، ومن لا يخاف .

والخوف الذى يمتدحه القرآن ويدعو إليه إنما هو خوف العبد من ربه ، وخشيته من غضبه وحسابه ، وهذا الخوف هو فى حقيقته الشجاعة ، والاعتزاز بالله ، والرضوخ لأمره ثم هو شموخ على كل باطل . . وتعاظم عن كل نقيصة ، ومع هـذه التوعيات الكثيرة فقد صارحنا القرآن بأن تبعة الإنسان واقعة عليه . . وأنه متروك بعد ذلك لاختياره ، وفى هذا قوله سبحانه : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » .

وهذا تهديد مزعج . . ومعناه : قد ظهر لكم ما رسم الله بحكمته فى شئونكم ، فعليكم تبعة ما تختارونه لأنفسكم .

نفهم من ذلك : أن الخوف سياج من التهور ، ولياذ بالإيمان . وذلك مبدأ طبيعى ولـكن الأنفس قـد تتشاغل عنه ، وتتلهى فى متعها ، أو جهالتها . . فيكون القرآن مذكراً لنا ، ومعنياً بنا .

٥ ـــ وهناك مبدأ فوق مبـدأ الخوف والطمع كمالا ، وقربا إلى الله . . وهو مبدأ الإيمان المحض ، تقديسا لله ، وتعلقا بمحبته ، دون تطلع إلى ثواب ، ولا خوف من عقاب .

وأين ذلك الإيمان المحض ؟ هـو إيمان الملائكة ، والخواص من عباد الله كالمرسلين والأنبياء ، والصديقين فأولئك هم السابقون وهم المقربون .. وهم الذين سبقت لهم الكلمة الحسنى من الله : بأنهم عن النـار مبعدون ، فلا يرونها ، ولا يسمعون حسيسها ـ صوتها ـ وهم عند ربهم فى مقام أمين . وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون .

وهؤلاء مع كمال إيمانهم ..ومع ما بشرهم به ربهم من رضوانه لا يغترون بمالهم عند الله من مفازة بل عندهم الخوف ، وفيهم الرجاء لأن هذا مقام الإنسانية أمام عظمة الله ،وهو موقف الشاكرين إزاء فضل الله: وكلما اقترب العبد من ربه أدرك من مهابة الله مالم يدركه البعيد ولذلك حسب بعض الصحابة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخاف ،لأن الله وعده بالمغفرة ... فقالوا للرسـول : كيف تخاف يا رسول الله وقد غفـــر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر؟، فقال لهم : ـ أنا أخوفكم من الله ، أفلا أكون عبدا شكورا » .

٦ ـــ فإذا كانت ذكريات الخوف من الحساب والجزاء تتمثل أمام الناس فى مجال

الوعد ، والوعيد ،فذلك مجال الجهادفىالعمل الصالح ، الناتج فى الدين والدنيا وهو المجال لذى يستطيع دخوله كل مجاهد بعمله ونشاطه ولكل درجات مما عملوا .

ونود أن يفهم القارىء أن حديثنا عن الحذر والخوف ،والحيطة ليس قاصرا على التوجيه نحو العبادة ، بل هو مما نسميه الآن تخطيطا واسعا فى الجانب الروحى،والجانب الدنيوى

وكان الاقتصار فى مقام الزجر على ذكر الآخرة لأنها الغاية العظمى فوق كل غاية ولأننامطالبون بتتبع النظام الدينى الذى قامت عليه شريعة العمل فى الحياة كلها .

لحق علينا أن نرضاها ونأخذ بها وما ينبغى أن نتوخى للدنياسياسة تتعارض، أوتتراخى عن سياسة الدين فى شىء فإن هذا التراخى أشبه بالفصل بين الأسباب والمسببات ... أو هو فى الحق كتزييف للمقدمات ، وقطع لها عن النتائج . وعلماء العقليات لايستسيغون الشذوذ عن المقدمات ، ليحصلوا منها على نتائج صحيحة : إلا أن يكون ذلك فى عرف المجانين !!

فهكذا تسير شئون من الحياة الدنيا على المنهج المرسوم فى شئون الدين ونضرب المثل من الواقع :

إذا لم أحذر من العدو ، ولم آخذ حيطتى من عدوانه ، كنت غير مكترث وتعرضت لأضراره .

إذا لم أكترث باللص ولم آخذ الحيطة لبيتى ، كنت عرضة لصولته، وبغيه على أهلى ومالى، إذا لم أحسب حساب الأزمات المالية ولم أقتصد من اليوم للغد . فأنى عرضة لأزمات تتحكم فى راحتى ، وفى كرامتى .

فهذا كله مما يقتضينا الحذر ، والحيطة كما علمنا ربنا فى كتابه الذى هو دستور الحياة للمؤمنين الصادقين .

وللحديث بقية إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكى

بين معانى العيد وذكريات شوال

للأستاذ حسن جاد

كل عبادة صحيحة يمتد تأثيرها إلى ما بعد وقتها من سائر الأوقات، وتنعكس آثارها على سلوك صاحبها فى كل حين. والعبادة التى ينتهى أثرها بانتهاء وقتها عبادة ناقصة لم تؤد على وجهها الصحيح الذى ينبغى أن تؤدى عليه.

وشهر شوال يجئ بعد عبادة الصوم فى رمضان، وقد راض الصائم نفسه فيه على الصبر والعزيمة، والعفة والفضيلة، وعودها القدرة على كبح جماح شهواتها، وقتل سعار نزواتها، وألزمها أدب الظاهر والباطن، وحسن مراقبة الله فى السر والعلن. فإذا صح ذلك منه فى رمضان فحرى به أن ينسحب على شوال وما بعده من الشهور، ما تعوده من إخلاص، وما استقام له من خلق، وما تطبع به من الصبر والعزم، وما غرسه الصوم فى نفسه من تقوى ومراقبة، وإحساس بالمحرومين.

فأول ما يوحى به شوال أنه التجربة الأولى التى تواجه الصائم بعد رمضان، والمرآة التى تعكس حقيقة صيامه، وإن صحيحا أو باطلا؛ فمن لم يختلف سلوكه فيه عن رمضان، فهو الصائم الحق الذى أدى الفريضة خير أداء؛ لأن الصوم هو الشحنة الروحية السنوية التى يتزود بها العبد لسائر شهور العام. فمن لم يتزود بهذه التعبئة، لم يجده صومه، ولا حاجة لله به. فالله الذى يعبد فى رمضان هو الذى يعبد فى شوال؛ وخسر أولئك الذين يطلقون العنان لشهواتهم بعد انتهاء رمضان، كأنما نشطوا من عقال، وكأن السلوك المستقيم له زمن معين، فهم يرددون مع الشاعر:

رمضان ولى هاتها يا ساقى
مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ولأن شهر شوال هو التجربة الأولى التى يواجهها العبد بعد شهر الصيام، كانت غرته (عيدا) للمسلمين ينعمون فيه بما أفاء الله عليهم من نعمه السابغة، ورضاه العميم، جزاء لما أخلصوا له فى الصوم، واستجابوا لما فرضه عليهم؛ وهو عيد المخلصين الذين أحسنوا عبادة الصوم، واصطحبوا آثارها فى شوال؛ فهم يتصدقون على المحرومين فى هذا اليوم، ويتبادلون التهنئات، ويتناولون الزيارات، ويصلون الأرحام، ويعطفون

على الأيتام ، ويتطهرون من أدران البغض والخصام ، ويشكرون الله على ما هداهم .

وليست مظاهر العيد بعد ذلك إلا رموزا لأسمى المعانى ، وإشارات لأشرف الأهداف ، وتوجيهات لعزة المسلمين .

فمن وراء تطهير الجسوم من الدنس المادى ، يجب أن تتطهر النفوس من رجسها المعنوى ؛ وقبل أن نجدد الثياب علينا أن نجدد العهد والميثاق ، والنوايا والأخلاق .

وحين تنطلق مع أضواء الفجر الأول من شوال أصوات المسلمين فى كل بقاع الأرض ، مجلجلة بنشيد واحد يهز أركان الدنيا ، وتتجاوب به آفاق الوجود ، نشيد العزة والقوة والنصر : الله أكبر الله أكبر . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

حين يجتمع المسلمون على هذا النشيد ، ويصطفون فى صلاة العيد ؛ نرى ما يوجههم إلى وحدة العقيدة والمبدأ ، ووحدة الكلمة والوسيلة ، ووحدة الغاية والهدف ، ووحدة الصف والجماعة ، حتى يكونوا قوة على أعدائهم ، ويداً على من سواهم ، ولتكون كلمتهم هى العليا ، ولتكون لهم السيادة فى الأرض ، والعزة فى الوطن ، والحرية فى الحياة ...

والعرب والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون إلى هذه المعانى ، ليستعيدوا مجدهم ، ويستنقذوا أوطانهم ، ويستردوا ما تنقصه الأعداء من أطراف أرضهم ؛ وليكونوا جديرين بما وعده الله من النصر لعباده الذين اعتصموا بحبله جمياً ، ولم يتفرقوا .

ومن دلائل استدامة السلوك فى رمضان أن التعبد بالصوم لا ينقطع بعده ، بل يظل مظهراً من مظاهر الطاعة والاستقامة ، فقد شرعت السنة إتباع رمضان بأيام من شوال ، وورد أن الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار .

على أن شهر شوال أول أشهر الحج ، وكأنما كان رمضان شهر التهيئة والإعداد لهذه الفريضة ، ففيه تخلية للنفوس من شهواتها ، وتصفية للأرواح من كثافتها ، وتجلية للقلوب من أصدائها ، وهجرة من مفاتن الدنيا وملاذها ؛ للهجرة إلى بيت الله ، وقد استعدت النفوس للتجلية بعد التخلية ، وأصبحت قابلة لأن تكون محلا للتجلى الإلهى . والإشراق الربانى ، ومشاهدة رب البيت لا البيت نفسه .

وليس العيد فى مطلعه إلى جانب ما أشرنا إليه من معانيه ، إلا ابتهاجا بهذا التهيؤ ، وفرحا بهذا الصفاء ، واسترواحا من الحرمان ، واستجماما لاستئناف الرحلة إلى الله ، ومتابعة المسير فى طريقه .

ولقد كان للجاهليين يومان فى كل عام يلعبون فيهما ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله أبدلكم خيراً منهما ، عيد الفطر وعيد الأضحى) ؛ والملاحظة أن عيد الفطر بعد فريضة الصوم ، وعيد الأضحى بعد فريضة الحج ؛ شكراً لله على توفيقه ، وابتهاجا بهذا التوفيق فى العبادة .

على أن العيد هو المعنى الذى يكون فى اليوم لا اليوم نفسه ، كما يقول مصطفى صادق الرافعى : « إنه جمع الأمة فى إرادة واحدة على حقيقة عملية ... وإثبات وجودها الروحى فى أجل معانيه ... إنه استرواح القوة من جدها ، وإشعار الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام ... إنه يوم الشعور الواحد فى نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ... إنه تعليم الأمة كيف تتسع روح الجوار ، وتمتد ، حتى يرجع البلد العظيم وكأنه لأهله دار واحدة ... إن الأمة تنشىء لنفسها بالأعياد أياماً تعمل عمل القواد العسكريين فى قيادة الشعب ، يقوده كل يوم منها إلى معنى من معانى النصر ... » .

وفى مقام الحديث عن ذكريات شوال نذكر ما قيل من أن العرب كانوا يتطيرون من عقد الزواج فيه ، حتى أبطل الرسول عليه السلام هذه الطيرة ، فتزوج بعائشة رضى الله عنها فيه . قالت : « تزوجنى رسول الله فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، فأى نسائه كان أحظى عنده منى ؟ » .

وفى السنة الثالثة من الهجرة حدثت نكسة المسلمين فى (أحد) ، وكان ذلك فى شوال ، وما كانت هذه الهزيمة إلا درساً لهم ، استفادوا به فى تصحيح السلوك ، وجمع الصفوف ، وتلافى الأخطاء ؛ ذلك لأنهم كانوا قد خالفوا عن أمر الرسول ، وخرجوا عن طاعة القائد ، وشغلوا عن الله بعرض الدنيا ؛ فامتحنهم ليردهم إليه .

وفى السنة الخامسة ، وفى ذلك الشهر نفسه كانت غزوة (الخندق) التى صح فيها إخلاص المؤمنين ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واجتمعت كلمتهم ، وخلصت نيتهم ، فجابهوا جحافل اليهود والمشركين الذين حاصروهم بالمدينة .

فقد ألب اليهود خارج المدينة ، قريشاً بمكة والقبائل العربية الأخرى ، على المسلمين فى المدينة ، حتى أجلبوا من هؤلاء جميعاً نحو عشرة آلاف ؛ فاضطر المسلمون إلى حفر الخندق بينهم وبين المشركين ، والتحصن بالمدينة من دونهم ؛ ولكن دسائس اليهود خارجها استطاعت أن تصل إلى من بقى منهم داخل المدينة ، وهم بنو قريظة ، حيث نقضوا عهدهم مع الرسول ، وأصبحوا يهددون ظهور المسلمين .

وهنا زلزل المؤمنون زلزالا شديداً ، وتحرج موقفهم تحرجا كبيراً ، فأمامهم الأحزاب وخلفهم بنو قريظة .

ولكن الله الذى لا يخلف وعده بالنصر لعباده المؤمنين الصادقين ، رد غدر بنى قريظة فى نحورهم ، وسلط على الأحزاب ريحا قوضت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وفرقت شملهم ، وردتهم على أعقابهم خائبين ؛ وأمد رسوله والمؤمنين من حوله بجنود من عنده وأيدهم بنصره ، وكفاهم شر القتال ؛ ثم أوحى إلى رسوله أن يؤدب بنى قريظة على خيانتهم للعهد ، ونقضهم للميثاق ، فحاصر المسلمون حصونهم ، حتى رضوا بحكم الله من فوق سبع سموات ، على لسان سعد بن معاذ ، الذى قضى بقتل رجالهم ، وسبى نسائهم .

وهكذا تطهرت المدينة نهائيا من جميع اليهود ، فقد كان بنو قريظة آخر من بقى فيها منهم بعد بنى النضير وبنى قينقاع :

وفى ذلك يقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار . وبلغت القلوب الحناجر . وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

ثم يقول جل شأنه : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب . فريقا تقتلون . وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم . وأرضا لم تطأوها . وكان الله على كل شىء قديرا » .

فالله أكبر ، ولا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ؟

حسن جاد

« دعاء »

لو كانت لى دعوة مستجابة لدعوت للوالى بصلاح الحال ، لأن فى صلاحه صلاح الرعية . (الإمام أحمد بن حنبل)

عيد الفطر واحتفال المسلمين به

للأستاذ طلعت حسين سليمان

دأب المسلمون منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الاحتفال بعيد الفطر المبارك احتفالا كبيرا ، فكانوا يخرجون زكاة الفطر قبل ظهور هلال شوال وهى قدر مخصوص فرضه الإسلام للفقراء فى ذلك العيد سدا لعوزهم ودعوة إلى المشاركة فى السرور بالعيد وسنحاول فى هذا المقال إلقاء الضوء على كيفية إحتفال المسلمين بهذا العيد فى بعض بلاد العالم الإسلامى .

عيد الفطر فى مصر :

كان عمرو بن العاص يحتفل بهذا العيد احتفالا كبيرا ويشاركه فى هذا الاحتفال المسلمون فى مصر ، وفى العصر الطولونى أيضا احتفل الشعب المصرى بعيد الفطر المبارك وكان آل طولون فى ليلة العيد (١) يظهرون فى زى حسن ومعهم السلاح والأعلام ، كما ترتفع أصوات الأبواق والطبول لمقدم هذا العيد ، كما احتفل الأخشيديون بهذا العيد احتفالا عظيما كاحتفالهم بالأعياد الإسلامية والمواسم الأخرى.

وفى العصر الفاطمى كان الخليفة يركب فى هذا العيد بالمظله واليتيمة (١) ولباسه فى هذا اليوم الثياب البيضاء الموشحة ويخرج من باب العيد إلى المصلى ثم يتقدم صاحب بيت المال لغرس المصلى بالطراحات ثم يعلق سترين يمنة ويسرة ، على الستر الأيمن سورة الفاتحة والأعلى . وعلى الأيسر قد كتبت الفاتحة والغاشية ثم يدخل الخليفة من شرقى المصلى إلى مكان يستريح فيه قليلا يخرج إلى الصلاة فيصلى بالتكبيرات المسنونة والقوم من ورائه وبعد الانتهاء من الصلاة يصعد ويقف الوزير أسفل المنبر ومعه قاضى القضاة وصاحب الباب وقائد العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وحامل الرمح ونقيب الأشراف ، ثم يخطب الخليفة خطبة بليغة ؛ فإذا فرغ نزل إلى المكان الذى خرج منه ويركب فى زيه الفخم إلى قريب من القصر ويتقدمه الوزير ويدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك وقد مد سماط طوله عشرين

---

(١) كتاب حضارة مصر الإسلامية تأليف الدكتور حسن احمد محمود طبع مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٠ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(١) كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبع دار الكتب المصرية عام ١٩٣٣ ص ٩٤ ، ص ٩٥ .

قصبة عليه أنواع مختلفة من كعك العيد مثل الخشنكنان (١) والبستندود فيدخل الناس ويأكلون دون منع أو حجر وكانت العادة فى هذا العصر أن يمد سماطان فى هذا العيد السماط الأول كان يعد ليلا وطوله ثلاثمائة ذراع وعرضه سبعة أذرع وعليه من أنواع المآكل أشياء كثيرة، ويحضر إليه الخليفة أول صلاة الفجر. أما السماط الثانى فكان يمد بعد صلاة العيد ويحضره الخليفة والوزير والأمراء فيأكلون وقراء الحضرة فى خلال ذلك يتلون القرآن ويبقى السماط ممدودا إلى قرب صلاة الظهر حتى ينفذ جميع ما عليه، وكانت دار الفكرة فى هذا العصر والتى تقع بالقرب من المشهد الحسينى تستهلك مقادير كبيرة من الدقيق والسكر وغيره مما كان يستخدم فى صناعة أنواع من الكعك والحلوى ومما كان يصنع لهذا العيد قصران من حلوى زنة كل منها سبعة عشر قنطارا فى أحسن شكل، عليها صور الحيوان المختلفة ويحملان إلى قاعة الذهب ويوضعان فى طرفى السماط، كما كان الخليفة الفاطمى يخلع فى هذا العيد على جميع أرباب الوظائف من الأمراء والكبراء والأشراف ما ناسب كلا منهم.

وفى العصر الأيوبى كان يحتفل بعيد الفطر احتفالا كبيراً، فكان السلطان يركب من باب قصره وينزل من منفذه من الاصطبل إلى الميدان الملاصق له وقد ضرب له فيها صوان (١) على أكمل ما يكون من الهيئة، ويحضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصلى به العيد ويخطب فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب وخرج من باب الميدان والأمراء والمماليك يمشون من حوله وعلى رأسه العصائب السلطانية والغاشية محمولة أمامه، والجتر وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكابر الأمراء المقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه وخلفه الجنائب وعلى رأسه العصائب السلطانية وأرباب الوظائف كلهم خلفه، ويطلع من باب الاصطبل إلى الإيوان الكبير حيث يمد سماط كبير حافل بالأطعمة ويخلع السلطان فى هذا اليوم على حامل الجتر وأمير السلاح والاستادار والجاشنكير وجماعة من أرباب الوظائف وناظر البيوت ونحوهم.

أما فى عصر المماليك فقد كانت الدولة تحتفل رسميا بعيد الفطر المبارك، ففى آخر أيام رمضان يصعد ناظر الخاص (٢) إلى القلعة،

(١) الخشنكنان: الكعك.

(١) كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى جـ ٤ ص ٤٦.

(٢) كتاب المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ص ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.

فى موكب كبير وبصحبته عـــدد كبير من الحمالين يحملون خلع العيد لحملها إلى السلطان وفى هذه الليلة ـ ليلة العيد ـ يدخل الأمراء جميعا على السلطان للتهنئة وتقبيل يده ، فإذا أشرق الصباح واستهل أول أيام العيد نزل السلطان من قصره إلى الحوش السلطانى لتأدية صلاة العيد ، وذلك فى موكب من أفخم المواكب السلطانية وبعد أن يصلى السلطان صلاة العيد ويسمع الخطبة يعود إلى الإيوان الكبير حيث يمد سماط حافل بالأطعمة بلغت تكاليفه فى بعض السنوات خمسين ألف درهم وأخيراً يخلع السلطان على الأمراء وعلى أرباب الوظائف فى الدولة ، كما يفرج عن بعض المساجين بمناسبة العيد المبارك .

وكان المصريون فى عصر سلاطين المماليك يفضلون أكل السمك المشقوق « البكلاه » فى أول أيام عيد الفطر وهى عادة مستمدة من الأوضاع التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، وفى الصباح المبكر لأول أيام العيد كانوا يهرعون بعـــد تأدية صلاة العيد إلى (القرافة) لزيارة الأموات كما كانوا يقصدون شاطىء النيل حيث يستأجرون المراكب للنزهة ، وفى كلتا الحالتين تحدث مفاسد كثيرة تتعارض مع مبادىء الأخلاق والدين مما حدا بحكومة المماليك إلى المناداة فى الشوارع ليلة العيد بمنع الناس ـ لاسيما النساء من الخروج إلى القرافة وركوب المراكب بالنيل طوال العيد وتهديد من يفعل ذلك بإحراقه هو والنوتى والمركب !

أما فى أيام الحملة الفرنسية على مصر فقد كان المصريون يحتفلون بعيد الفطر المبارك احتفالا عظيما بإطـــلاق المدافع ، كما كانوا يجتمعون صباح هـذا اليوم [١] فى المساجد وفى الأزهر الشريف حيث يؤدون صلاة العيد وهم يلبسون ملابسهم الجديدة ، فإذا فرغوا من الصلاة قصدوا ونساءهم إلى القرافة لزيارة القبور وكان الفرنسيون يطوفون على أعيان البلد ليهنئوهم بالعيد السعيد ويجاملوهم فى هذه المناسبة الدينية الكبيرة .

وفى القرن التاسع عشر كان المصريون يحتفلون بعيد الفطر المبارك احتفالا كبيرا وفى أول يوم من أيام العيد يلبسون ثيابهم الجديدة ويحتشدون فى المساجد ويقومون بصلاة ركعتين وهى سنة العيد وبعد الصلاة يلقى الإمام خطبة العيد وبعد الانتهاء منها يلتقى الأصـــدقاء فى المسجد أو فى الشارع أو فى منازل بعضهم لتقديم التهانى ؛ وكان العامة من الشعب يحرصون على إرتداء ملابس جديدة كاملة فى هذا العيد ولما كان يصعب أحيانا حصول بعضهم على ملابس جديدة

---

(١) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار تأليف عبد الرحمن الجبرتى ج ٣ ص ٤٨ .

فقد كانوا يكتفون بارتداء أحذية جديدة فى هذا العيد المبارك.

عيد الفطر فى مكة:

وصف الرحالة الأندلسى ابن جبير (١) فى رحلته - احتفال المسلمين بليلة العيد وصلاة العيد، نبين كيف أن صوامع المسجد الحرام كانت تضاء كما كان يضاء سطح المسجد وسطح قبة زمزم وكان أكثر الناس فى هذه الليلة بين طواف وصلاة وتهليل وتكبير ودعاء حتى صلاة الفجر بينما كان المؤذن فى أعلى قبة زمزم يكبر ويهلل؛ أما فى صباح العيد فيلبس الناس أثوابهم الجديدة وكان أول من يبكر فى الحضور إلى الكعبة وفتح بابها هم الشيبيين - وهم من أشراف مكة وكانت لهم سدنتها وخدمتها والإشراف على راحة الحجاج - ثم يتكاثر الناس على المسجد لصلاة العيد ثم يحضر أمير مكة وبنوه عن يمينه ويساره ووزيره وحاشيته وقوفا على رأسه ثم يأتى الشعراء وينشدونه شعرا حتى يحين وقت الصلاة فيؤديها الحاضرون ثم يلقى خطيب المسجد من فوق المنبر خطبة العيد ثم يقبل الناس بعد ذلك بعضهم على بعض بالمصافحة والتسليم ثم يقومون بزيارة الكعبة والتبرك بها وكان من عاداتهم فى ذلك اليوم زيارة جبانة المعلى حيث مدافن الشهداء والصحابة.

عيد الفطر فى الهند:

يحتفل المسلمون فى الهند (١) بعيد الفطر المبارك احتفالا كبيرا، وتستكمل فى هذا اليوم مظاهر الأبهة والفرح فى منازلهم ومتاجرهم ومحلاتهم وتزدان البيوت والمساجد بأنوار مضيئة وشموع منيرة وفى الصباح الباكر ليوم العيد يتوجه المسلمون الهنود مكبرين مهللين إلى ساحة الصلاة المعروفة فى الهند باسم «عيد كاه»، أو فى المساجد وكان يرتدى كل منهم أفخر أنواع الملابس وبعد الفراغ من الصلاة وخطبة العيد يتناول الجميع التهانى والتمنيات ثم يقومون بزيارة الأساتذة والكبار فى بيوتهم كما كانت تقام فى هذا اليوم المبارك اجتماعات عامة فى المدن الكبرى يحضرها الزعماء المسلمون وبعض كبار رجال الدولة.

وكان يقام فى دلهى عاصمة الهند حفل رسمى فى الميدان الفسيح أمام جامع دلهى التاريخى المواجه للقلعة الحمراء التاريخية يتبادل فيها المسلمون التهانى والتحيات مع مواطنيهم من من الطوائف الأخرى وكان يوم عيد الفطر

---

(١) كتاب رحلة ابن جبير الأندلسى طبعة بغداد سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ص ١١٥، ص ١١٦.

(١) مقال الأستاذ محى الدين الألوائى «عيد الفطر فى الهند»، نشر فى مجلة منبر الإسلام شوال سنة ١٣٨٦.

عطلة رسمية فى كل أنحاء الهند تعطل فيه المصالح الحكومية والمكاتب الرسمية والمتاجر والحوانيت ، وكان المسلمون فى معظم الأماكن فى الهند يخرجون زكاة الفطر صباح يوم العيد قبل التوجه للصلاة لتوثيق الروابط الروحية والتآلف بين القلوب وحتى لا يكون هناك حرمان فى هذا اليوم السعيد .

عيد الفطر فى الصين:

منذ عهد الدولة الأموية بدأ الإسلام ينتشر فى الصين وشرع المسلمون الصينيون يلقنون مبادىء الإسلام لأنصارهم على مر العصور، كما شيدوا المعاهد والمساجد والمدارس فى الصين ، وفى القرن السابع عشر كثرت المساجد التى ألحقت بها المعاهدالعلمية والدينية وكان المسلمون الصينيون يحتفلون بعيد الفطر المبارك احتفالا عظيما وكان يوم العيد يوم سرور وفرح عندهم فيقابل بعضهم بعضا بالابتسامات ، وكانت صلاة العيد تتأخر عندهم فبعد طلوع الشمس تطلق المدافع كل ربع ساعة مرة(١) فى الساعة الثامنة وفى أثناء هذا الوقت أى ما بين طلوع الشمس والساعة الثامنة يتناول المسلمون شيئاً من الأرز وشيئاً من التمر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المتبع عندهم ألا يصلى أحد صلاة العيد إلا فى ملبس جديد وإذا حان وقت الصلاة لا يذهب أفراد الأسرة إلى المسجد وحدانا كعادتهم فى الصلوات الخمس بل ينتظرون حتى يجتمعوا جميعاً ويخرجون دفعة واحدة إلى المسجد وبيد كل منهم شعلة من البخور السلكى وكانوا يوزعون صدقة الفطر عند باب المسجد على المستحقين وكان المسجد وأروقته تكتظ بالمصلين حتى أنه لا يجد المتأخر موضعاً لقدم وإذا حان وقت الصلاة خرج العلماء يتبعهم الحجاج وأعيان البلد إلى باب المسجد الخارجى ثم يتوجهون إلى القبلة مهللين بصوت عال ثم يدخلون إلى المسجد وكان العلماء يلبسون فى هذا اليوم المبارك الطيلسان الأخضر وهو الزى الذى يختصون به فى يوم العيد فإذا تمت الصلاة انصرفوا إلى منازلهم وتلك هى التقاليد القومية التى يرعاها المسلمون فى الصين .

وهكذا كان المسلمون فى جميع بقاع العالم الإسلامى يحتفلون بعيد الفطر المبارك احتفالا كبيراً عبر العصور ولا يزالان يحتفلون به بين مظاهر التبجيل والاحترام حتى يومنا هذا.

طلعت حسين سليمان

(١) كتاب نبذة عن الصين تأليف سعيد لنجوغن من مطبوعات المفوضية الصينية ببغداد عام ١٩٤٦ ص ٥٨ .

العالم العربى والمعتدون عليه

للدكتور محمد غلاب

كانت تلك النكسة المؤقتة خير أستاذ أيقظ الغافلين من هذه الأمة ونبههم إلى واجباتهم الحقيقية الكاملة ، ولا غرو فقد « جزى الله الشدائد كل خير » .

وتلك الواجبات هى أن يعمل كل فرد من أفرادها مسترشداً بالمبادىء العالية التى يجب أن يستنير بها كل من هو فى مثل موقفنا ، وهى القوة المعنوية والصبر ، والعمل ، والتفانى فى عزة الوطن ، ونبذ الأنانية . وتلك هى الوسائل المثلى للتغلب على المحن ، والسيطرة على الكوارث ، ورد الضربات إلى صدور المعتدين ونحورهم دون أن تترك أدنى أثر فى معنوياتنا سوى الحذر والاحتياط ، وعدم الالتداغ من جحر واحد مرتين ، وانتزاع النفس من الأثرة البغيضة والفردية المقيتة والتشبث بالعزة والكرامة إلى حد يكفى لتجنب أية كبوة وأية نكسة مدى الحياة وليس هذا من باب الأخيلة أو الأوهام ، فنحن نعلم من خلال دراستنا المتشعبة أن هذا النوع من النكسات المؤقتة لا يلبث أن يثمر - دائماً لدى الشعوب الأصيلة الشديدة المراس القوية العزيمة التى لا تقبل الفناء - خير الثمار وهو يجعلها أكثر واقعية وأشد حذراً من الخيال والعواطف ، وأكثر انتباها إلى الحقيقة العملية . ولا ريب أن هذا كله ينتهى بها إلى صلابة الإرادة وقوة العزيمة وجدية النظرات التى تلقيها على كل من حولها وماحولها ، ويدفعها إلى القسوة تجاه المهملين والمتهاونين ، وذلك لأن من طبيعة إسهام المعادن النقية فى المحن تقوية شكائمها الدينية والخلقية والوطنية ، ومن آيات صحة مانقول أننا نشاهد شعبنا العريق يغلى من الحماس ، ويتلاحم حول قادته المخلصين النبلاء كأنه يتوق إلى التوحيد بهم ؛ وجعل نفسه معهم وحدة بسيطة لا تقبل القسمة ولا الانقسام ليردوا معاً كيد العدوان إلى نحره ، وليسارعوا إلى رفض خديعته المكشوفة التى تدعوهم إلى التفاوض معه لتحقيق السلام الزائف .

وكأنى بالشعوب العربية - وهى ترفض المفاوضات - لا تتوخى المصلحة العملية فحسب ، وإنما هى تنعطف مندفعة إلى غاية أرفع من تلك المصلحة قدراً ، وأسمى مكانة ، وهى الكرامة التى لا يدانيها كل ما فى الحياة من أعراض وأغراض . ومن أنصع البراهين على ذلك أنك إذا تحدثت مع أحدهم فى شأن هذا العرض المهين الذى يريد أعداؤنا أن

يجرونا إليه سمعت بقلبك إباء قلبه قبل أن تسمع أذناك عبارات لسانه .

ومن العجب العجاب أن العاطفة الوطنية متماثلة لدى جميع الشعوب ، وفى كل الأمكنة والأزمان . وإن كنت فى ريب من هذا فتأمل ملياً فى هذه الأبيات الملتهبة الفاتنة التى تفيض منها العزة والكرامة والحماسة والوطنية متزاحمة على أسبقية البروز ، وأولوية الصدارة ، والتى رد بها الشاعر الفرنسى الخالد (فكتور هوجو) على بعض النفوس الضعيفة المهينة التى كانت تروج للأخوة بين الفرنسيين والألمان على أثر انهزام الأولين فى الحرب السبعينية فقال ما ترجمته :

« عند ما سنظفر بالانتصار سنرى . أما الآن فأظهروا لهم الاحتقار الذى يتفق مع آلامنا ... إن إعلان السلام لا يكون صريحاً من جانب الذين اعتدى عليهم ولم يثأروا لأنفسهم بعد ، لننتظر دورنا فى سد السبل عليهم ، ولنضعهم تحت أقدامنا أولا ثم نمد إليهم أيدينا بعد ذلك » :

غير أنه إذا كان مد الأيدى بعد النهوض من الكبوة ورد اللطمة إلى الأعداء ، يمكن أن يتحقق بين فرنسا وألمانيا ، فهل يكون من الممكن وقوع ذلك منا نحو إسرائيل ولو بعد رد الصاع صاعين والأخذ بالثأر عن هذا العدوان الغادر ؟ وقبل الإجابة على هذا التساؤل ينبغى الرجوع إلى عبارات يهودى فرنسى مفعم بالحماس ليهوديته ، ولكنه بعيد النظر ، وقاد القريحة وهو (بيرنارو لازار) الذى - فى كتابه المعنون (ضد السامية) والذى تناول فيه تاريخ حركة معاداة السامية وأسباب وجودها والذى أعيد نشره فى باريس فى سنة ١٩٣٤ - يتساءل لماذا كانت اسرائيل ممقوتة دائما فى كل زمان ومكان ؟ ثم يقدم إلى القراء تحليل هذه الظاهرة العامة على النحو التالى :

إن الشعب الإسرائيلى ليس شعبا اجتماعيا ، فمنذ اليوم الذى شرد فيه خلال الشعوب والدول تمزقه عواطف الزمن شذر مذر ، وتذره رياح الظروف المتباينة ، لم يكف قط عن تعمد اعتزاله جميع بنى الإنسان ، بل أراد أن يمتاز عنهم جميعا بكل الشارات والعلائم الممكنة ، وجعل نفسه غير قابل لتبادل الامتصاص . وقد استولت عليه كبرياء وحشية شرسة استخلصها من اقتناعه برفعته وقد جعلته هذه الكبرياء الزائفة يتابع طريق العظمة الموهومة . ولم يغفر له العالم هذا الشذوذ بل جعله يدفع ثمن هذه الخطة البغيضة التى تحمله مثلا على تجنب تماس بقية البشر بحجة أنهم أنجاس . وقد رد لهم الناس فى كل مكان جزاء هذا الاحتقار المصنوع فحددوا إقامتهم فى حى معين من كل مدينة أو كادوا يفعلون ذلك . وكانوا يكرهون روح الدول التى يعيشون فيها ، فاضطرت هذه الدول إلى طردهم ومطاردتهم فى كل مكان .

ولم يكتف اليهود بذلك ، بل أحرقوا كتاب فيلسوفهم ابن ميمون الذى كان يريد أن يفتح لهم الباب الموصل إلى تفكير العصر . وجازاهم الناس على ذلك بإحراق التلمود ، وأخيراً استشاطوا سخط المهيمنين فى بعض الأصقاع فأحرقوهم أحياء .

ذلك تعليل أحد المؤلفين اليهود أنفسهم ، وهو تعليل عقلى تاريخى مرض للغاية لاسيما أنه ينبذ تلك الحجة الزائفة التى يتخذها البعض شرحا لهذا النفور العام الذى تكنه البشرية لإسرائيل ، وهى حجة الجنسية السامية ، لأن الجنسية لا دخل لها فى كل هذا . ومن آيات ذلك أن موقف اليهود بإزاء بقية الشعوب السامية هو نفس الموقف بإزاء الشعوب الأخر ، ومن ثم فإن ذلك المؤلف يود ـ والمنطق يؤيده فى ذلك ـ أن يستبدل الدارسون كلمة (ضد السامية) بكلمة (ضد الإسرائيلية) .

على أنه إذا كانت إسرائيل لم تستطع على مر التاريخ حتى الآن ، أن تظفر بالاتساق أو بحسن التفاهم مع أى شعب من شعوب العالم ، فإننا نشاهد اليوم أنها ـ مع كبوت الحقد والانتقام التى أرهقتها قرونا طويلة ـ قد انزوت فى صورة الصهيونية تحت حماية الاستعمارين الأمريكى والبريطانى اللذين وجدا فيها الآلة الطيعة الصالحة لأن تبذر فى العالم العربى أثناء نهوضه وتقدمه بذور الشقاق وفقدان الثقة على أمل أن تكون تلك البذور عقبة كأداء فى سبيل الاشتراكية الإسلامية التى جعلت تظلل العرب برايتها الخفاقة بقدر ما أخذت تغيظ الاستعمار وتضايقه وتملأ صدره بالحقد والحفيظة لأنها لا تتفق ألبتة مع رأس ماليته الجشعة المؤسسة على الربح المفرط والاستفادة الشخصية إلى ما وراء حدودها المعقولة ، ولو على حساب شقاء الآخرين، بل سحقهم وفنائهم والتى هى مؤسسة قبل ذلك على التفرقة العنصرية ، والتمييز بين الطبقات بهيئة مفزعة تتحقق فيها السيادة والعبودية بأجل مظاهرهما ، وبالتالى هى تنتج شمول الظلم الفردى والطبقى بأفدح صوره وتأصل البغض ، وزوال الأمن الاجتماعى.

ولم يكتف الاستعمار المقيت بأن خلق من إسرائيل فى قلب الأمة العربية وجوداً غير شرعى وجعل ينفخ فيها من روحه الجهنمية المدنسة قوة شريرة خبيثة ، ويمدها بالمال والعتاد وينفث فيها سموم الدسائس لتنقلها إلى الشرق الأوسط كحامل جراثيم الأمراض المعدية الذى ينقلها إلى غيره دون أن يصاب بها ، لم يكتف الاستعمار بهذا كله بل اختفى وراءها فى الخامس من يونيو الماضى وهاجم الأمم العربية بكل ثقله ، ولم تكن إسرائيل فى ذلك العدوان الغادر المنافق سوى رأس الحربة كما يقولون .

ومن نتائج هذه الحماية الماجنة التى لاتزال

تستمتع بالقوة الوحشية الموقوتة ، أن هذه الربيبة العاهرة تتجرأ على الصياح فى وقاحة لا نظير لهـــا بأنها ستحتفظ بثمار العدوان المشترك بين الحامية والمحمية وكأننا ـ ونحن نسمع هذا العواء المسعور المتماثل من جونسون وموشى ديان ـ نستعيد عبارات « ماكسيمليان هاردين » الذى كان يصوغ معانى الاستعمار الألمانى فى نظرياته الزائفة إذ يقول :

« ما معنى وما فائدة هذا الضجيج ، وذلك الصراخ بالاحتجاج والسخط مادام أن القوة قد خلقت لنا الحق فيما نعمل ؟ . وهل يوجد قوى واحد خضع للادعاءات المجنونة الصادرة عمن هو أضعف منه ؟ . .

ومن الغريب المدهش أن الاستعمار الذى هاجمنا اليوم ـ لكى يثبت الصهيونية فى قلب الشرق الأوسط ـ قد استعمل الحيـــلة ، ثم القوة بصورة أبرع وأفدح من أولئك الألمان الذين قاتلهم بالأمس . وذلك لأن حيـــل الاستعمار الجهنمية هى أدخل فى باب الالتواء واللولبية من سوالفها إلى حد أن إقـرار الصهيونية فى فلسطين قـد ملأ عقـول الناس أول الأمر بالدهش الممتزج بالقلق على المستقبل ومن أصداء تلك الدهشة التى جلجلت فى العالم المحايد ، صدى صوت ذلك الكاتب الفرنسى الشهير « رولان دور جيليس » الذى سجـل فى سنة ١٩٢٨ فى كتابه الذى عنوانه « قافلة بلاجمال » ما يلى : أن الحكومة البريطانيـة إبان الحرب العالمية قد قررت نزولا على إرادة المستر بلفور ـ أن تؤسس فى فلسطين مأوى قوميا للشعب اليهـــودى ، ووافق الحلفاء فى اجتماع « سان ريمو » على ذلك التعهد الذى ظفر بتصديق عصبة الأمم عليه بعد عامين من تاريخ ذلك الاجتماع .

غير أنه لم يكن فى وسع أحد مهما تكن جرأته على الحق ـ أن يجرد العرب من ممتلكاتهم باسم مبادىء الرئيس ويلسون لكى يمحو ظلما مضى عليه نحـو ألفين من السنين ، لأنه على هذا الأساس يستطيع العرب أن يطالبوا بالأندلس ويستطيع الإنجليز أن يطالبوا بكاليه « وإذن فقد اكتفت عصبة الأمم بذلك الحل غير الشرعى الواضح الالتواء والمختفى وراء اسم « المأوى القومى لليهود » ، والذى استطاع أن يسمح بالجـزم للمسلمين واليهود بأن فلسطين هى فى الوقت ذاته للأولين والآخرين . ولكن أى تهديد ينتظر المستقبل من هذه اللولبية » ؟ .

ومما ينبغى أن نلفت إليه الأنظار هنا أن الأشخاص الأذكياء أمثال ذلك الكاتب الآنف الذكر قد استطاعوا أن ينظروا إلى الأمام بعد أن تبينوا منـــذ سنة ١٩٢٨ ما سيقع فى سنة ١٩٤٨ ثم فى سنة ١٩٥٦ ثم فى سنة ١٩٦٧ والباقى فى علم الله وبين يديه وحده . وكل ذلك كان كامنا فى تلك العبارة الخالدة

التي عبر بها كاتبنا « دولان دورجيليس » وهي ولكن أي تهديد ينتظر المستقبل » .

ولا يفوتنا هنا أيضا أن نسجل أن كل هذه الكوارث والمصائب هي من ثمار سياسة بريطانيا الجهنمية العجوز قبل أن تميز أمريكا في السياسة بين « التمر والجمر » .

ومما لا شك فيه أنه قبل تغلغل هذه الجراثيم الصهيونية الخطرة الفتاكة في فلسطين ، لم يكن هناك مسوغ ولا داع لاشتعال لهب الحرب في الشرق الأوسط الذي لم تكن شعوبه تشغل إلا بالمطالبة باستقلالها وحريتها في تقرير مصيرها وذلك هو الذي روع الاستعمار وأزعجه .

والجهود التي كان المصلحون المحدثون والزعماء الوطنيون يبذلونها في الكشف عن الأسباب الحقيقية لتقهقر العالم الإسلامي ، وإماطة اللثام عن العناصر الأساسية لهذا الدين وإبانة صورته الصحيحة وروح الاشتراكية والتقدمية ودعوته إلى الاتحاد والتماسك ، والواضحة في جميع تصرفات أعلامه الأولين الذين اتخذوا من الكتاب والسنة نبراسهم الوضاء . وبالإجمال كل المبادىء التي تقض مضاجع المستعمرين والرأسماليين الغربيين . ـ كان من الطبيعي أن يحاول هؤلاء المستعمرون وقف تيارها وعرقلة سير تلك النهضة الباهرة التي شعت في مصر وسطعت أضواؤها على بقية شقيقاتها من الدول العربية ، وقد حدث ذلك بالفعل ، فاحتفظوا لهذه الربيبة غير الشرعية بالقيام بهذا الدور الخبيث ، وهي الآن تؤدي مهمتها على أحسن ما يرضي سادتها المنافقين الذين يختفون وراءها ويقومون بكل شيء معلنين أنهم على الحياد وأنهم لا يقدمون إليها إلا ما يحميها من العرب الظالمين المعتدين « وإذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولكن ما الحيلة وقد فقد الشرف عند هؤلاء القوم فقدانا تاما ولم يبق لهم من معالم الإنسانية كثير ولا قليل . والنتيجة من هذا المسلك الوضيع هي أن كل فرد من الأمة العربية ، بل من جميع الشعوب النامية وغير المنحازة قد أصبح يحس بأنه مهدد في أعز عزيز لديه وهو استقلاله أو امتلاك التصرف في مصيره أو سيادته على ممتلكاته .

غير أن هذه الكوارث وتلك النكبات لها على الأمم العربية فضل لا يجحد وهو إفهامها معنى الوباء الحديث الذي هو الاستعمار المعاصر، والذي يتخذ صوراً متنوعة ويمكن أن يكون عسكريا وماليا وإقطاعيا وجمهوريا بل أدبيا ، ولكنه في كل مكان هو السرطان الذي يقضم لحوم الأمم ويمتص دماءها وفيما يتعلق بنا ، هو يتركز في الرأسمالية الأمريكية الملتهمة الجشعة ، وفي الالتوائية البريطانية وفي جيرمانية بون المتوحشة في أعماق طبيعتها والشرسة في معاملاتها .

وأياً كان ، فإن من العبث المعدوم الفائدة

أن يتحدث المرء عن الأخلاق أو الدين مع المستعمرين المعتدين فقد طلقوا كل هذا منذ وقت بعيـــد وفصلوا بين الروحيات والدنيويات ، بل إنهم قد مكنوا الثانية من سحق الأولى والقضاء عليها ، وقد أعلنوا - باسم ما يدعونه « بالضرورة الحيوية » - أنهم فى حاجة إلى تشرب كل أسواق الأرض وإخضاع بل تحطيم كل من يقاوم سيادتهم .

وعندهم أن هذه الضرورة لا تحتمل الانتظار حتى يستشار القانون فى أمرها . وكثيراً ما التقينا فى تاريخ العصور الماضية بهذا التعبير وهو « الضرورة لا قانون لها » ولكن الفرق بين الحالتين هو أن الشعوب الغابرة لم تكن تلجأ إلى هذه الضرورة إلا ساعة الخطر . ولطالما ارتكبت باسمها جرائم ، وتكشفت باسمها بطولات ، والذى يبدو لنا من خلال تاريخ تلك الشعوب عظيما يستحق الخلود هى الشعوب التى دفعت عن نفوسها وصمة الإفراط فى تفسير الضرورة ، وابتعدت عن استغلالها أو سوء استعمالها . ومن شواهد إعجاب التاريخ بالمعتدلين ، وتفضيله إياهم على المغالين أن الثورة الفرنسية ظلت ولا تزال تتلألأ فى سماء التاريخ باسم « كارنو » إمام المعتدلين فيها ، أضعاف ما ظفر به فزع « روبيسبير » وأعوانه ، مع أن اعتدال الأول لم يكن تهاوناً فى وطنيته ، ولا نقصاً فى شجاعته ، ولا قصوراً فى سياسته أو فى مقدرته الحربية . وكذلك إفراط الثانى فى القسوة لم يكن لغاية خاصة أو هوى شخصى فى نظر التاريخ الفرنسى حيث أطلق عليهما كليهما اسم « غير قابل للفساد » .

ومن ثم ، فإن التاريخ سيحتفظ إلى الأبد بذكريات جرائم الصهيونيين فى فلسطين الذين جردوا أصحابها من ممتلكاتهم ولكن لا من روحهم المعنوية ، ولا من وطنيتهم المتغلغلة فى أعماق نفوسهم ، وإنما ظلت وستبقى أبداً شديدة الشبه بـ « بولونيا » التى مزقت وقسمت فى القرن الثامن عشر بين النمسا وبروسيا وروسيا القيصرية والتى صمدت ضد المقاومة والمجالدة حتى ظفرت بحريتها وتكاملها بعد الحرب العالمية الأولى .

ومما لا ريب فيه أن التاريخ الذى لا يقسى ، ولا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، سينتقم من الطغاة المعتدين بأن يسجل فى لوحات الخزى والعار أسماء ممزقى فلسطين إلى جانب ممزقى بولونيا . ولكن من حسن حظ فلسطين أن نهضة العالم الإسلامى والعربى من جهة ، ويقظة الضمير العالمى وثورته الملتهبة ضد الطغيان الأمريكى فى الشرق الأوسط وفيتنام من جهة ثانية لن تغضى عن تحرير فلسطين ، كما أغضى العالم القديم عن تحرير بولونيا ، وإنا لبزوغ نور الصبح لمرتقبون ؟

الدكتور محمد غلاب

عبرة من التاريخ

للأستاذ عبد الحميد المسلوت

فى حياة الأفراد والجماعات وفى تاريخ الأمم والشعوب لحظات نصر تذكرها النفوس فى نشوة غامرة .

وفيها كذلك فترات من الهزيمة وظواهر نكسة لا تلتفت إليها القلوب إلا أحست بالغمز الموجع والوخز الأليم .

والحياة نفسها لا يمكن أن تكون لونا واحدا يسر أو نمطا مطردا بسوء . بل هى دائما مزيج من الحلو والمر والخير والشر والانتصار والانكسار .

على أن العقل الحصيف والفكر المشرق المستنير يأخذ من عبرة الهزيمة ودرس النكسة أضعاف ما يأخذه من ثمرات النصر وآثار الغلبة .

فما من هزيمة فى حياة أمة ناضجة متوثبة إلا أكسبتها مرانا وتجربة وأثارت فيها مشاعر اليقظة وأكسبتها من القوة ما حقق لها الهدف وسار بها فى نجاح إلى الغاية المرجوة .

وفى تاريخ الإسلام تبرز العبرة واضحة وتتجلى الحكمة لامعة فقد انتصر المسلمون فى بدر وكسبوا جيش قريش وشتتوا شمله وقتلوا رجاله وأسروا أبطاله . ولكن تجارة قريش وصلت إلى مكة سالمة لم تمس بسوء .

هل تسكت قريش على ما أصابها من نكبة وما لحقها من هزيمة ؟

هل ترضى بهذا الدرس القاسى الذى طاش هيبتها وأزرى بكرامتها وأصاب سمعتها فى الصميم ؟

لقد دفعها الحقد والغيظ وأغراها الحزن والكمد بتجهيز جيش كثيف لحرب المسلمين تنفق فى سبيله هذه التجارة وتسترخص من أجل هذه الغاية ما تحوى هذه التجارة من ربح ورأس مال ، ولم تكن التجارة قليلة ، ولا كانت الأموال ضئيلة . فهى ألف بعير وخمسون ألف دينار ، رضوا بأن تنفق فى سبيل غايتهم الشريرة وأحقادهم المدمرة ، والله تعالى يقول : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

لقد اختارت قريش أربعة من رؤسائهم وذوى الرأى والمكانة فيهم وبعثتهم فى قبائل العرب يستنفرونها للقتال ويستحثونها للقضاء

على المسلمين ، وقد استطاع هؤلاء بما أوتوا من ذرابة لسان وخداع بيـان أن يثيروا الحفائظ ويورثوا الأضغان وأن يعملوا على تأليف جيش قوى من قريش وتهامة وكنانة عدته ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعـير . يتقدم هذا الجيش الـكبير نساء شديدات متحمسات للقتل والثأر يندبن قتـلى بدر وينحن عليهم لإثارة الأحقـاد والآلام فى نفوس القرشيين .

وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خروج قريش فى أحلافهم ونزولهم فى مكان قريب من المدينـــة ، فبث عيونه ونشر أرصاده ليجمعوا أخبارهم ويعرفوا عددهم ويقفوا على ما جمعوه من عدد وما رصدوه من قوة . فلما عادوا إليه وحدثوه بمـا رأوا قال لهم لا تذكروا للناس من أمرهم شيئا : حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أجول وبك أصول .

هنا تبدو حكمة القيادة وروعة ما تتحلى به من إيمان ، فالرسول صلى الله عليه وسـلم يدرك خطر هـذه القوة الشريرة ويعلم تماما مدى ما تحمل قلوب هؤلاء الناس من غيظ وحنق ، وهو يخشى أن يدب فى نفوس بعض أشياعه رعب أو فزع فيحرص على أن لا يطالعهم بهذه القوة قبل أن يجعل النفوس على استعداد للقائها وهو لا ينسى ربه فى هذا الموطن فيعتمد عليه ويلتمس منه الحول والطول .

ثم هـــو مع ذلك كله لا ينفرد برأى ولا يستبد بتوجيه . بل يحرص على أن يتعرف إلى آراء الجميع واتجاهات أصحابه .

نزل المشركون وعلى رأسهم أبو سفيان ابن حرب فى مكان بظاهر المدينة فى يوم الخميس الثالث عشر من شوال ورعت إبلهم آثار الحرث والزرع حتى لم يتركوا شيئا أخضر ، وباتت وجوه الأوس والخزرج عليهم السلاح فى المسجد بباب النبى صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من إيقاع قريش وهجمتها أثناء الليل . ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا ليلة الجمعة . فلما أصبح واجتمع الناس خطبهم وقص عليهم رؤياه وقال بعد حمـــد الله والثناء عليه : (أيها الناس . إنى رأيت فى منامى رؤيا ـ رأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن سيفى ذا الفقار (١) انفصم من عند ظبته (٢) ورأيت بقرا تذبح ورأيت كأنى مردف كبشا . فقال الناس يارسول الله فما أدلتها؟ قال: أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها وأما انفصام

(١) ذو الفقار : سيف ذو حزوز مطمئنة عن متنه وكان للعاص بن منبه الذى قتل يوم بدر كافرا وقد صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم صار إلى على .

(٢) ظبة كثبة : حد السيف .

سيفى عند ظبته فصيبة فى نفسى وأما البقر المذبح فقتلى فى أصحابى . وأما أنى مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله تعالى.

وبدأت مرحلة الشورى فيما يلزمه المسلمون من نهج أو يتبعون من خطة إزاء هذا الجيش المهاجم . فرأى بعض أصحاب الرسول عدم الخروج والتحصن بالمدينة ، وكان صلى الله عليه وسلم يميل إلى هذا الرأى وقال للناس : امكثوا فى المدينة واجعلوا النساء والذرارى فى الآطام ، فإن دخلوا علينا قاتلناهم فى الأزقة فنحن أعلم بها منهم ورموا من فوق الصياصى والآطام . ومنهم من رأى الخروج ومناجزة العدو ، ورغب فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً فى الشهادة ولقاء العدو .. وقال رجال من أهل السن والتجربة : يا رسول الله إنا نخشى أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر فى ثلاثمائة فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، وقد كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله به فساقه الله إلينا فى ساحتنا .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمع إلى هذه الرغبات المتلهفة فى أناة وصبر ، وقال مالك بن سنان : يارسول الله ، نحن والله بين إحدى الحسنيين إما أن يظفرنا الله بهم فهذا الذى تريد فيذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر فلا يبقى منهم إلا الشريد وإما أن يرزقنا الله الشهادة ، والله يا رسول الله ما نبالى أيهما كان ، إن كلا لفيه الخير .

أى جيش يكون فيه هذا الإيمان القوى وهذا اليقين الجازم فى الله والثبات الرائع على العقيدة ثم لا يكون النصر حليفه مهما كان قليل العدد ضعيف العدد !

إن قوة الجيش تكمن دائما فى عزائم أفراده وإيمانهم بنبل الغاية وسداد الهدف ، فإذا اجتمع لهم الإيمان وتوفر فيهم العزم انطلقوا لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم !! هذا الفارس القوى المؤمن حمزة بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة ، ويقول رجل مؤمن : يا رسول الله أنا أشهد أن البقر المذبح قتلى فى أصحابك وأنا منهم فلم تحرمنا الجنة ؟! فوالله الذى لا إله إلا هو لأدخلنها فقال له الرسول : بم ؟ قال : إنى أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف فقال صدقت فاستشهد يومئذ ، وقال آخر : نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبح . نرجو أن نذبح فى القـــوم وتذبح فينا فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار .

وتكلم كثيرون يطلبون الخروج ويصرون عليه ، فلما أبوا إلا ذلك لم يكن مناص من

النزول على رأيهم والخضوع لمشورتهم، فصلى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم الجمعة وقد وعظهم وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا وقال لهم : استفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله وعليكم بالذى أمركم به فإنى حريص على رشدكم ، إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف ، وهو ما لا يحبه الله ولا يعطى عليه النصر والظفر . أيها الناس : إنه قد قذف فى قلبى أنه من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنوبه ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته .

ثم شخص الرسول بهم وعدتهم ألف مقاتل منهم مائة دارع ولم يكن معهم إلا فرسان أحدهما له صلوات الله عليه والآخر لأبى بردة، وفى أثناء الطريق رجع زعيم المنافقين عبدالله ابن أبى بن سلول ومعه ثلث الجيش قصدا إلى إضعاف الروح الحربية عند المسلمين ولكن الرسول لم يلق له بالا ولم يدع نذر الهزيمة تتسلل إلى نفوس أصحابه ، بل سار بمن تبقى معه إلى أحد ، وفى يوم السبت الخامس عشر من شوال عبأ جنده وسوى صفوفهم وجعل الجبل خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة على الجبل خلف جيشه لحماية ظهره خشية أن يغير خيالة المشركين عليهم من خلف ظهورهم ولرمى العدو كذلك بالنبال من أعلى الجبل ، وقال صلى الله عليه وسلم للرماة : احموا عناظهورنا فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوه وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم إنى أشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل .

وسرعان ما نشب القتال فحمل المسلمون على أعدائهم حملة صادقة وتواثب العدد القليل بما يحمل من قوة العزم وصدق الإيمان على العدو المدنس بظلمة الشرك وكبرياء الجهل وقسوة الكفر بالله ، فلم تلبث الدائرة أن دارت على المشركين وانهزموا هزيمة شنيعة ساحقة ولم يظفر الله نبيه فى موطن مثل ما ظفره فى يوم أحد ، وقتل كبش الكتيبة طلحة بن أبى طلحة حامل لواء المشركين ، قتله على بن أبى طالب فحمل لواء الشرك من بعده ابنه أبو شيبة فرماه حمزة بن عبد المطلب فقتله فتقدم لحمله أخو طلحة وهو أبو سعد فقتله سعد بن أبى وقاص ، وجاء بعده مسافع بن طلحة فجند له

عاصم بن ثابت ، وجاء بعده أخوه الآخر ، وهو الحارث بن طلحة فقتله أيضا عاصم .

وهنا ينبغي أن نقف قليلا نستوحى العبرة التى تشرق عبر القرون الطويلة وتلتمع من خلال الأحقاب الممتدة . ينبغى أن نقف قليلا لنستوعب الدرس الذى يجب أن يعيه كل مناضل فى سبيل الحق مجاهد من أجل الكرامة وعزة الإنسان ، ينبغى أن نفكر وأن نتأمل كيف تحول هذا النصر إلى هزيمة وكيف انقلبت بسمة النصر إلى عبوس قاتم وتشاؤم مرير .

لما هزم المشركون تبعهم المسلمون يعملون فيهم أسلحتهم ورماحهم وينتهبون عسكرهم ويجمعون ذخائرهم . فقال بعض الرماه لبعض : لم تقيمون ههنا لغير شىء . قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون ويغنمون فاغنموا معهم وقال بعضهم إن رسول الله حذركم من هذا . وقال آخرون لم يرد الرسول هذا ، وانطلقوا حتى لم يبق مع أميرهم وهو عبد الله ابن جبير إلا دون العشرة .

وهكذا دخل على المسلمين الشر وتسللت إليهم الهزيمة من حيث لا يحتسبون . فلم يكد خالد بن الوليد وكان يومئذ قائد خيل المشركين يلحظ تفرق المسلمين وانكبابهم على جمع الغنائم حتى هجم على بقية الرماة فقتلهم وهاجم الجيش الإسلامى من الخلف ثم كر عليهم أبو سفيان من الأمام حتى حصر المسلمون واختل نظامهم وأصيبوا أصابة فادحة وكانوا ما بين قتيل وجريح ومنهزم ولله الأمر من قبل ومن بعد .

لقد حذرهم الرسول فخالفوا أمره ولم يقفوا عند حدوده فكانت النتيجة أن أصيبوا هذه الإصابة القاتلة وجرح الرسول فى أكثر من موضع من جسمه وكسرت رباعيته ورماه ابن قميئة فشجه فى وجنته حتى غاب فيها حلق المغفر ، وصرع الرسول كذلك وأشيع أنه قتل ، وفرح المشركون وأرجف المنافقون وقالوا لو كان نبيا ما قتل وثبت بين يدى الرسول ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهى دون وجهك ونفس دون نفسك وعليك السلام غير مودع .

أليس فى هذا عبرة لأولئك الضعاف المتخاذلين الذين قد يدب فى نفوسهم دبيب اليأس والخور عند أول صدمة ، إن هذه الهزيمة على بشاعتها وقسوتها كان لها أكبر الأثر فى بناء معنوية الأمة وصون قدرتها واختبار بلائها وتعويدها على الهزيمة والنصر والكر والفر (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

والله تعالى يعاتب المسلمين ويذكرهم بعواقب المخالفه بقوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم

فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) .

ولما أفاق الرسول صلى الله عليه وسلم من غشيته جعل ينادى أصحابه فرجعوا إليه وأخذوا يقاتلون دونه ورأت فاطمة ما فى وجه أبيها فبكت وعانقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه وأتى على بماء وأراد النبى أن يشرب فلم يستطيع ونظر أبو سفيان فلم يجد الرسول قتل فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال وموعدنا العام القادم . ولم يؤسر أحد من المسلمين فى هذه الغزوة وبلغ عدد القتلى من المسلمين خمسا وستين قتيلا منهم حمزة عم النبى وقد مثلوا به وانتزعوا كبده وجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه ، ومنهم عبد الله بن جحش ابن عمة الرسول ، وكان يقول قبل الموقعة إنى سألت الله تعالى فقلت اللهم إنى أقسم عليك أن نلتى العدو غدا فيقتلونى ويبقرونى ويمثلون بى فألقاك مقتولا قد صنع هذا بى فتقول فيم صنع بك هذا فأقول فيك يارب ، وقد قاتل حتى قتل ومثل به ودفن هو وخاله حمزه فى قبر واحد ولما عاد النبى صلى الله عليه وسلم أقبلت حمنة بنت جحش فقال لها يا حمنة احتسبى فقالت من يا رسول الله قال خالك حمزة فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه هنيئا له الشهادة قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخوك قالت إنا لله وإنا إليه راجعون غفر الله له ورحمه هنيئا له الشهادة قال لها احتسبى قالت من قال زوجك مصعب ابن عمير ، قالت واحزناه فنظر صلى الله عليه وسلم إلى من حوله قائلا إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لأحد !!

هذه ملامح من غزوة أحد وصورة من هزيمة المسلمين فى يوم أحد فأين القوة المهاجمة التى التى تكثرت واستطالت أين القوة التى ظنت أنها هزمت المسلمين فلم تعد تقوم لهم قائمة وحطمت معنويتهم فلم يعد فى استطاعتهم أن يقفوا أمامهم أو يجرؤوا على لقائهم .

لقد تحولت هزيمة المسلمين إلى نصر وتفوقهم إلى وحدة واختلافهم إلى وفاق .

إن الشدائد تصهر الأمم والمحن التى تلم بالشعوب المؤمنة العاقلة جديرة أن تحول ضعفها إلى قوة وتفككها إلى ترابط والتئام .

وما كانت حياة أمة ولا حياة فرد صورة واحدة من النصر أو نمطا فريدا من الهزيمة ولكن لا بد من تنوع الصورة والحكيم الرزين من يأخذ العبرة من كل لون ويجابه الحياة بما يستلزمه واقعها من صبر واحتمال .

عبد الحميد محمود المسلوت

من صفحات الأندلس :

فقيه كبير يعتز بكرامته

للدكتور محمد رجب البيومى

تعرض الحكم بن هشام فى حكمه الشاق إلى مصاعب مرهقة ، وقلاقل مزلزلة ! فلم تمض سفينته رخاء سهلة تعبر النهر الهادىء ، ولكنها وجدت من الأعاصير العاتية ما أحاط بها الموج من كل مكان ، ولولا عزيمته القاهرة ، وحيلته الماكرة لكان من المغرقين .

ولو أن الأقدار الحاسمة شاءت له أن يلى الأمر بعد جده عبد الرحمن الداخل . لواصل السير فى سنن مرسوم فلم تعترضه من الفجاءات الدامية ما يضطرب بنهجه أو يعصف باستقراره ، إذ أنه كان قريب الشبه به خطة ونزوعا ! ولكنه جاء بعد والده هشام ! وهو أمير كان ذا منحى خاص فى الحكم يقف موقف النقيض من منزعى أبيه وولده ! كان هشام يستشعر فى داخله مرضاً جسمياً يظن أنه سيودى به دون ارتقاب لسلطان ممتد الأعوام متصل الأيام ، وقد تسلط عليه هذا الشعور فنحا به منحى هو إلى الزهد أقرب منه إلى الرغبة ، فظن حكمه سحابة صيف عن قريب تقشع ، وتخيل الآخرة بميزانها وصراطها وحسابها تدنو منه سائلة عما صنع لنفسه وللناس ! وقد أجبره هذا الشعور الجاد أن يحيط أمره برجال الدين ومشيخة الفقهاء من أكابر عصره ، فجعل منهم مجلس شورى لا يقطع أمراً دون الرجوع إليه والاطمئنان لصحته من الوجهة الدينية كما يراه السادة الفقهاء ! ورأى الفقهاء أنفسهم ذوى الأمر والنهى فاستشعروا عزة ومنعة . وتغلغلوا بنفوذهم فى كل جانب من جوانب الحياة ورأى الناس سيطرتهم الشاملة ونفوذهم البعيد فأصبحوا موضع الرجاء ومناط الأمل فى المجتمع الأندلسى وأصبح الشأن شأنهم فيما يأخذون ويتركون ! دام لهم ذلك كله فى عصر هشام فرضعوا أفاويق المجد سعداء شاكرين !

ولكن هشاماً يمضى إلى ربه ليترك ابنه الحكم أميراً من بعده ، والأمير الشاب وقد كان فى السادسة والعشرين من عمره لم تصقله التجارب الشخصية صقلا يعى فيه منطق الأحداث عن مصادمة واختبار ، إلا أنه مع هذه الحداثة الباكرة كان قوى العزم صلب العود ، صعب المكسر ، وقد وازن بين مسلكى أبيه وجده ، فغاظه أن يصبح والده مغلوباً على أمره بين أناس يراهم الأمير الجديد بعيدين عن دائرة السلطان ، مغتصبين

نفوذ صاحب الكلمة فى الأندلس! هذا رأى الحكم فيهم واعتقاده مخطئاً كان أم مصيباً وفى نطاق هذا الرأى صمم على أن يجانب الفقهاء!

وقد كان الأمير - مع ذلك - صاحب ثقافة وعلم يقرأ كثيراً ويبحث عن نفائس المؤلفات فى شتى الأقطار ويجاذب العلماء والأدباء حديث العقل والشرع والأدب دون أن يتعدى بهم دائرة السمر العلمى والبحث الفكرى! وهو مع ذلك شجاع يولع بالصيد، ويخرج إلى الخلوات مجربا فنون احتياله فى أسر الوحوش، وله طائفة من الندماء فيهم المغنى والأديب الشاعر والفيلسوف! فالأمير متسع الأفق جم الأفانين، ومثله فى عزمه وبأسه وثقافته وبعد آماله وانفساح مراميه لا يسهل منه القياد.

موقف شائك صعب يتربص بالأمير وخصومه! ولابد أن تقع الواقعة الحمراء بين الفريقين إن أخفقت أساليب الكياسة والمصانعة وهى لا محالة واقعة، فالخلاف من الاتساع وبعد الهوة بحيث لا تجدى معه أساليب الاحتيال والكياسة إذا أجدت فى موقف آخر، ولا سيما أن كلا الفريقين مقتنع بحقه، مصمم عليه، ولابد لأحدهما أن يتغلب فينحسم الخلاف!

وتفسير هذا الموقف واضح فى ذاته إذا عرفنا أن الحق فى هذه القضية يدعيه كل فريق لنفسه عن حمية واعتقاد! فالحكم فى صميم أطوائه يرى نفسه حفيد الداخل، له أن يتمتع بجميع ما يتمتع به الحاكم المطلق ذو الكلمة النافذة والأمر المطاع، لا معقب لحكمه، ولا راد لمشيئته! ولم لا؟ ومعاصره هرون الرشيد فى المشرق يقوم فى مملكته مقاما لا يتسامى إليه سواه، وقد أطاح بالبرامكة فى يوم وليلة وهم ما هم قوة شكيمة ونفوذ سلطان، فسلم له الحكم خالصا دون شريك! ومهما تمكن الفقهاء فى عهد أبيه فامتدت كلمتهم إلى حيث يريدون، ومهما عظمت رئاستهم فى الدولة، وامتد صيتهم إلى القريب والبعيد من الأصقاع فلن يبلغوا مبلغ البرامكة فى المشرق، وقد عصف بهم الرشيد عصفا لم يبق لهم من أثر فما نهض منهم ناهض، ولئن تشبث الفقهاء بأماكنهم فى الحكم فسيلقون فى الأندلس ما لقى البرامكة فى بغداد.

تلك هى أحاسيس الحكم تتقد فى نفسه جمراً يتوقد! أما الفقهاء فلا ينظرون إلى الأمر من زاويته ولكنهم يعلمون أن الإسلام دين الشورى وأن الخلافة الراشدة لم تكن حكما مطلقا انفرد به أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على دون استشارة وإذعان، وأن الله عز وجل حين قال « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إنما جعل القرآن والسنة مصدرى الحكم ، وجعل أولى الأمر من العلماء قوامين على الحكام والسلاطين ، يقومون المعوج ويهدون بالحق وبه يعدلون، وما عبد الرحمن الداخل فى رأيهم إلا غاصب متجبر ، قام بالأمر عن رهبة وجبروت تخالف منهج الخلافة الراشدة ، وأسكت الشورى بمقبض سيفه ، وبغى جنده ، ورهبة بطشه ، وها هو ذا الحكم يحذو حذوه ، ويراه المثل الأعلى فى الإمارة دون أبيه ، ولئن تطامنوا له فنفضوا أيديهم من الأمر ، ليعيدن عهد الداخل . بل ربما زاد عليه ، فهو ذو ثقافة واطلاع ، وله فى العلوم مشاركة تفتح أمامه منافذ الدهاء والاحتيال.

تلك هى معضلة الحق الملتبس فى هذه القضية العويصة ! والحق واحد لا يتعدد إذا نظر إليه بعين الرأى لا الهوى وأتى إليه من باب الإسلام الصريح دون تأويل وتعليل ، ولكنه فى هذه القضية يتعدد باختلاف المنازع وتضارب الأهواء فكلا الفريقين حريص على الرياسة والجاه يتلمس لها أسباب الظفر والتأييد ! ولا بد من الاصطدام !

وقد بدأت الحرب المتوقعة بالدعايات المرجفة والشائعات المغرضة ، فضت الألسنة تتحدث عن خروج الحكم للصيد واصطحابه الندماء واستماعه للغناء ، وقراءته للكتب الفلسفية ، وزاد الأمر حتى تحدث المرجفون عن مجالس الخمر والكأس ، وألحان الولوع والصبابة ، وحديث الجوارى والغلمان !

وذهب قوم يتحسرون على عهود الفضيلة والكرامة ، ويتوقعون قيام الساعة فى عصر الحكم لما يرتكب من محارم ويقترف من آثام ! ثم مضى الحديث إلى العامة فى الأزقة والدروب ، وفى الناس رغبة كامنة فى انتقاد الرؤساء والعلية من الحاكمين فما يكادون يلمون بشىء يسوء عن ذى إمارة أو جاه إلا أذاعوه مضخما مكبرا ، ومضوا يتناقلونه فى تزيد ومبالغة حتى طفح الكيل ، وأصبح حديث الأمير مضغة الأفواه وسمر السوقة والدهماء ، وحرص الفقهاء على استمرار الذائعة بما يعلنون من سخط حتى تجرأ العامة ، فقابلوا موكب الأمير بالتصفيق والسخرية ، واتهموه فى خلقه ودينه وقذفوه بالحصباء ! فصار فى مأزق يتطلب الخلاص ، وأخذ يتلمس من الضيق فرجا ، دون أن يعرف مأتاه ، حتى صحا ذات يوم على ثورة هائجة تقتحم القصر ، يقودها جماعة الفقهاء وكان الثوار من أهل الربض الجنوبى لقرطبة ، فأخذوا يحطمون النوافذ ، ويشعلون النار ودافع حرس الأمير عن حرمه أكرم دفاع ، ولكن الثورة تشتد ، والتحطيم يتوالى

والفوضى تتفاقم ، حتى خيل للثائرين أن ساعة الحكم قد دنت ، ونظر الأمير فوجد الخطب يدهمه عن شمال ويمين ، فتفتق ذهنه عن حيلة بارعة هي أن ينسحب بعض الحرس متظاهرين بالانضمام إلى العامة حيث يأتون مساكن الربض فيشعلون بها النيران .

ونظر الثائرون فوجدوا النار تشتعل عن كثب في منازلهم ، وعلموا أن نساءهم وأطفالهم وأموالهم أصبحت طعمة للهيب ففروا إلى ديارهم يطفئون الحريق ، ولكنهم وقعوا بين فكي الكماشة إذ أطبق عليهم جيش الحرس ممن كانوا يشعلون النار ومن أخذوا يتعقبونهم حين تركوا القصر ، وكان ذهول المفاجأة باعث التفرق والاضطراب فحصدتهم سيوف الحكم حصدا وأخذتهم رماحه دون شفقة أو هوادة حتى فني عدد كبير من الثائرين ، وهدمت دورهم ، وصلب ثلاثمائة من رؤسائهم مدلاة رءوسهم إلى أسفل تنكيلا وإرهابا ! وذاق الفقهاء من الهول والشدة ما تركهم جزر السيوف ، تسيل دماؤهم في الطرقات . ومن نجا من المعركة لحسن حظه آثر الهروب والاختفاء كيلا يلحقه الموت العاجل ! ثم أمر الحكم بهدم منازل الربض وترحيل من بقي من أهله إلى شمال أفريقية حيث نزلوا بفاس !

انتهى الصراع على وجه حاسم ، وخمدت ثورة الفقهاء خموداً لا قيامة بعده ! وكان الفقيه المالكي الكبير طالوت بن عبد الغفار المعافري ممن أسهموا في الثورة إسهاما خطيرا ثم كتبت له النجاة فلاذ بالفرار مستخفيا لدى بعض معارفه من أهل الكتاب ! وظن الأيام ستسعفه بالعفو والمرحمة حين تهدأ الثائرة ، وتصبح الثورة أثراً بعد عين ولكن الزمن يمضي دون أن يطرأ جديد على موقفه الضائق ، والفقيه يتقلب على مثل الجمر حين يرى الكتابي يتحمل إيواءه ونفقته شهراً وراء شهر دون أن يستطيع مكافأته ! وهو أمر إن امتد إلى عام فلن يعقل أن يطول به الأمد إلى عام آخر ! وماذا وراء الانتظار والترقب ، والدنيا دنيا الحكم إن شاء أطلقه وإن شاء أراحه من كدر الاختفاء ، لا بد إذن من مواجهة الموقف ، فوقوع الشر أهون من انتظاره ! وبخاصة إذا كان أبو البسام القرطبي هو وزير الحكم وقد كان تلميذ الفقيه الكبير ، عنه أخذ ، وعلى يده تعلم ، حتى جلى وبرز !! فهو إذن طريقه إليه يشفع في أمره ويهون من خطبه ، وعسى أن تأتي الريح بما تشتهي السفينة المرهقة بعد إعصار عنيف .

بعث الفقيه إلى تلميذه الكبير وأعلمه بمأساته طالباً شفاعته ! وكان الوزير من الإسفاف الخلقي والضعف النفسي بحيث تخيل

أن العثور على أستاذه سيصبح زلفى لأميره، فعجل بلقائه، وذهب يدعى له أنه بث عيونه وأرصاده حتى عثر على طالوت المعافرى مختفيا فى بيت أحد صحابته من أهل الذمة! وقد بذل فى الكشف عن مخبئه ما بذل حتى اهتدى إلى مكانه! ثم قال للحكم فى ابتسام ماكر؟ كيف رأيك إذن ياسيدى فى كبش سمين على مذود، منذ عام طويل!

قال ابن البسام ذلك وجهل أن الحكم منذ هدأت الثورة كان يستشعر الندم على إفراطه فى الانتقام، ويعلل نفسه بأنه اضطر إلى ذلك اضطرارا حين رأى الثوار يطلبون رأسه ولا يرضون بغير إراقة دمه! وقد مالت نفسه إلى الصفح بعد خمود العاصفة! فما إن وقعت عينه على طالوت حتى أجلسه إلى كرسى بجواره وقال له فى عتاب مهذب:

«يا طالوت: أخبرنى لو أن أباك أو ابنك مالك هذا القصر أكان يزيد فى البر والإكرام على ما كنت أفعله بك، هل قدمت على قط لحاجة فى نفسك أو لغيرك إلا سارعت إلى إسعافك؟ ألم أعدك فى علتك مرات؟ ألم تتوف زوجتك فقصدت إلى بابك ومشيت فى جنازتها راجلا من الربض ثم انصرفت معك راجلا حتى أدخلتك منزلك فماذا بلغ منك، وهذا لى عندك، إن لم ترض إلا بسفك دمى وهتك سترى وإباحة حرمتى»!

قال ذلك الحكم متوقعا أن يسمع من صاحبه ما يشبه الاعتذار! ولكن طالوت كان معتقدا فى قرارة نفسه أن الحكم لا يصلح للإمارة، وأن ثورة الفقهاء حق لا مرية فيه فأجاب فى اعتداد:

«ما أجد لنفسى فى هذا الوقت مقالا خيرا لى من الصدق، أبغضتك لله فلم ينفعك عندى كل ما صنعته لأجلى».

اكتأب الحكم لرد طالوت، غير أن شعوره النفسى بكراهية الانتقام قد تغلب عليه فقال فى لهجة المتسامح الراغب يستعطف الفقيه:

«اعلم يا طالوت أن الذى أبغضتنى من أجله قد صرفه عن عقابك، فانصرف آمنا فى حفظ الله والله لا تركت برك وما كنت عليه فى جانبك طيلة حياتى إن شاء الله وليت الذى كان لم يكن!».

لقد كان الأليق بطالوت أن يقنع بالسكوت، وبخاصة إذا كان هو الساعى بادىء ذى بدء إلى استرضاء الأمير، ولكن ثورته النفسية قد أخرجته عما يليق فقال فى غير اكتراث: —

تقول ليت الذى كان لم يكن أما أنا فأقول لو لم يكن كان خيراً لك!!

فأطرق الحكم متضايقا وأراد أن يغير مجرى الحديث فقال للفقيه المغضب!

أين ظفر بك أبو البسام؟

فقال طالوت ، والله ماظفر بى ، أنا أظفرته بنفسى لصلة علمية كانت بينى وبينه ! فهو تلميذى فقال الحكم متعجباً ؟ وأين استترت فى عامك الطويل ؟ !

فقال طالوت : كنت عند رجل من أهل الكتاب رعى مكانى وصان ذمامى !

فظهر الغضب فى وجه الأمير ثم التفت إلى وزيره يقول فى استهزاء وسخرية !

« يا أبا البسام ، رجل من أهل الكتاب حفظ فيه محله من الدين والعلم ، وخاطر بنفسه وأهله وماله وولده معى ، وأردت أن تنشبنى فيما أنا نادم عليه ، اخرج عنى بعيداً ، فوالله لا رأيت لك وجهاً أبداً » فخرج الوزير مدحوراً معزولا إلى حيث لا رجعة !

رأى طالوت وسمع ! فأدركه من الغضب على تلميذه العاق ما ظهر فى احمرار وجهه ولمعان عينيه ، ثم غلى شعوره فنهض قائما غير منتظر إذن الحكم !

ولكن الأمير سعى خلفه مودعا ، وقال له فى هدوء : سأصلك وأبرك ، ولك أن تغضبنى كما تشاء ! فلم يجب الفقيه بشىء !!

لقد تصرف كلا الرجلين بوحى خالص من اعتقاده وإذا كنا نكبر فى الأمير الأندلسى تسامحه وعفوه وترفعه ، فإننا نكبر فى الفقيه المالكى استعصامه بما يعتقد أنه الحق حين برقت الأسنة ولمعت السيوف دون تراجع أو استخذاء ! وياله من موقف !

د. محمد رجب البيومى

قال تعالى :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وفى المأثور :

من اعتز بغير الله ذل .

هلال شوّال

للأستاذ علي الجندي

ويسمى – أيضاً – هلال الفطر ، وهلال عيد الفطر .

وهو أحب الأهاليل إلى النـاس بعامة ، وإلى الشعراء بخاصة ، لأن معظم الصائمين المخلصين ، يفرحون : بأن الله – تعالى – وفقهم لأداء هذه الفريضة السامية ، وكتب لهم الستر فيها ؛ فخرجوا منها مبتهجين محبورين ، مصداقاً للحديث الشريف : « للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه » .

وأما الشعراء فيرفع عنهم قيود الصيام ، ويخلى سراحهم ، فيرتعون ويلعبون وينطلقون كما شاءت لهم أهواؤهم ؛ ولا سيما أن العيد كانت له رسوم وعادات فى اللهو والتحرر لا يخل بها أمثالهم ، كما كان مورداً من موارد ارتزاقهم بما يفيضه الخلفاء والأمراء والولاة والعمال عليهم : من الخلع السنية والعطايا الفائقة ، مقابل رفعهم إلى ساحاتهم أشعار المدائح والتهنئات ! وحسبنا من ذلك : أن أشجع السلمى دخل إلى الرشيد فى يوم عيد من أعياد الفطر فأنشده :

استقبل العيد بعمر جديد
مدت لك الأيام حبل الخلود
مصعداً فى درجات العلا
نجمك مقرون بنجم السعود
واطو رداء الشمس ما أطلعت
نوراً جديداً كل يوم جديد
تمضى لك الأيام ذا غبطة
إذا أتى عيد طوى عمر عيد !

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم .

ولهذه المكانة المرموقة ، والمنزلة العالية ، كان هلال شوال مضرب المثل للشىء البهيج ، الذى يسر به الناس ، ويحتفلون بالنظر إليه !

وفى هذا المعنى يقول الطائى الأكبر أبو تمام فى وصف مصلوب :

رمقوا أعالى جذعه فكأنما
رمقوا الهلال عشية الإفطار

ويقول ابن المعتز فى وصف إنسان جميل :

مر بنا والعيون ترمقه
فى قد غصن ، وحسن تمثال
خلته – والعيون تأخذه
من كل فج – هلال شوال

ويقول أبو محمد البطليوسى فى وصف فرس :

كأن هلال الفطر لاح بوجهه
فأعيننا شوقا إليه تميل

ويقول الوأواء الدمشقي متغزلا - يصف قوس الحاجب - وهو عادة يشبه بالنون في تقوسه :

كأن بقوس النون تحت نقابها
هلالا بدا للفطر في غرة الشهر

ولهذا لم يكن عجيباً أن يكون هذا الهلال بالذات ، موضع عناية الشعراء ، فيذكرونه كثيراً ويستنون في وصفه إلى أبعد الغايات !

يقول ابن المعتز :

وهلال شوال يلوح ضياؤه
وبنات نعش وقف بإزائه (١)
كبنانة من مخلص لما بدا
وجه الوزير دعا بطول بقائه (٢)

ويقول السري الرفاء - وهو من المكثرين في وصفه :

قد جاء شهر السرور شوال
وغال شهر الصيام مغتال
أما رأيت الهلال يرمقه
قوم لهم - أن رأوه - إهلال (٣)
كأنه قيد فضة حرج
فض عن الصائمين فاختالوا (١)

ويقول :

وكأن الهلال نون لجين
غرقت في صحيفة زرقاء

ويقول :

ولاح لنا الهلال كشطر طوق
على لبات زرقاء اللباس

ويقول :

ولاح هلال الفطر نضوا كأنه
سنان لواه الطعن في رأس عامل (٢)

ويقول الوأواء الدمشقي :

ولاح هلال الفطر نضوا كأنه
بدو غرار السيف من أسفل الغمد (٣)

ومن اللطائف أن عبد الجليل بن وهبون الشاعر المرسي الأندلسي ، كان يساير جارية له قد قبضت على شماله - وقد بزغ هلال الفطر - فقال :

يا هلال استتر بوجهك عني
إن مولاك قابض بشمالي
هبك تحكي سناه خد بخد
قم فجئني لقده بمثال

---

(١) بنات نعش : قسمان : بنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى ، وكل منهما : سبعة كواكب : أربعة منها نعش .

(٢) البنانة : واحدة البنان ، وقد جرت العادة أن الداعي يرفع يديه عند الدعاء إلى السماء .

(٣) الإهلال : رفع الصوت بالتلبية .

(١) حرج : ضيق .

(٢) عامل الرمح : صدره .

(٣) الغرار كسحاب : حد الشيء .

ومن الطرائف : أن الملك المعظم عيسى الأيوبى الشاعر الأديب ، الملقب بمأمون بنى أيوب ، كان قد طلع إلى مئذنة جامع دمشق ، لرؤية هلال شوال ومعه القاضى والشهود ، فلم ير الهلال أحد منهم ! ولكن رأته جارية من محظياته ! فقال الملك المعظم لابن القصار الشاعر : قل فى ذلك شيئا ، فقال ابن القصار :

توارى هلال الأفق عن أعين الورى
وغطى بستر الغيم - زهوا - محياه
فلما أتاه - لاجتلاء - شقيقه
تبدى له دون الأنام لحياه

فأجازه الملك المعظم بجائزة سنية !

ومن الملح : ما ذكره على بن ظافر الأزدى ؛ قال : اجتمعت ليلة مع القاضى الشاعر أبى الحسن بن النبيه ، ومعنا جماعة من شعراء مصر ، فأنشدهم ابن النبيه قول مؤيد الدين الطغرائى فى هلال الفطر :

قوموا إلى لذاتكم يانيام
وأترعوا الكأس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءكم
بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال ابن النبيه ، لو شبه الهلال بمنجل يحصد نرجس النجوم ، لكان أولى !

ثم قال بديها :

انظر إلى حسن هلال بدا

فقلت :

يمحق من أنواره الحندسا

فقال :

كمنجل قد صيغ من فضة

فقلت :

يحصد من زهر الدجى نرجسا

قال ابن ظافر : ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين ، يدركهما الناقد البصير ، فقلت :

أما ترى الهلال يخفى أنجم الأفق
بنور وجهه الوسيم
كمنجل من فضة يحصد من
روض الظلام نرجس النجوم

ويقول ابن ظافر أيضا : أخبرنى أبو عبدالله ابن المنجم بما معناه : صعدت إلى سطح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة من الناس : فصادفت الأديب الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس ، وعلى بن مفرج ابن المنجم ، وابن مؤمن ، وشجاعاً المغرابى ، فانضممت إليهم .

فلما غابت الشمس وفاتت ، ودفنت فى المغرب حين ماتت ؛ وتطرز جدار الأفق بعلم هلاله ، وتحلى زنجى الليل بخلخاله ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس ، وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الحال ، فأنشد ابن المنجم :

وعشاء كأنما الأفق فيــه
لا زورد مرصع بنضار

قلت لما دنت لمغربها الشمس
ولاح الهلال للنظار

أقرض الشرق صنوه الغرب دينا
راً فأعطى الرهان نصف سوار

وأنشد ابن قلاقس :

لا تظن الظلام قد أخذ الشمس
وأعطى النهار هـذا الهلالا

إنما الشرق أقرض الغرب دينا
راً فأعطاه رهنه خلخالا

وقد فضلت الجماعة شعر ابن المنجم ، لتنصيفه السوار ، لأنه يكون أشبه بالهلال من الخلخال !

ومن النكت : أن بعض العراقيين القدامى شهد عند بعض القضاة برؤية هلال الفطر ، فلم يقبل شهادته ، فقال يهجوه ! :

إن قاضينا لأعمى
أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن الـ
ـعيد أموال اليتامى

وهذا اللون يسمى في «البديع» بالاستتباع . وهو المدح أو الذم بشيء يستتبع المدح أو الذم بشيء على وجه آخر .

ويقول بعض الشعراء أيضا في بعض القضاة :

يا قاضيا بات أعمى
عن الهلال السعيد

أفطرت في رمضان
وصمت في يوم عيد

وهذا غيض من فيض مما أمدنا به رمضان المبارك وعيدفطره السعيد ؛ من ألوان الأدب الممتع الجميل ، نرجو الله أن يتقبل صيامنا وقيامنا ، ويجعل أيامنا أعيادا ومواسم ، وثغورا بواسم ، وهو السميع المجيب ؟

علي الجندي

أباطيل ضاعت بينها الحقائق

للدكتور محمد محمد خليفه

ضاع الكثير من حقائق فجر الإسلام التاريخية وراء بعض نزعات الشيعة أو مكايد السبئية ، أو نزغات الإسرائيليين ، أو تضليل السياسة ، أو حب المال والجاه ، أو الخوف من غضبة السلطان ، أو التعلق بأذيال حاطبي الليل ممن لم يعنو بتحقيق أو تدقيق ، فوراء كل ذلك أو بعض ذلك اختفت الحقائق ، أو لبست أثوابا نسجتها يد الهوى والتمويه ، وظلت تخدع بها الأجيال حقبا وقرونا .

وليس من السداد بل ولا من الدين أن تقطع الحقائق أشواطها فى الحياة وهى بين دخان الكذب والخداع حتى تصل إلى عصر التحقيق ، فتجمد أمامها العقول وتستسلم لزيفها البصائر .

لقد عنى الباحثون فى عصور التدوين بالتنقيب عن رجال الحديث ورواته ليخلصوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من شوائب الدس والوضع ، ولينقوا المصدر الثانى من مصادر الشريعة الإسلامية مما علق به من إسفاف منتحلى الأحاديث ، وإقحامهم فى أحاديث الرسول ما لم يقله الرسول ، ولم يدع العلماء فى عصور التدوين جانبا لم يحققوه مما يكشف عن رواة الأحاديث ورواياته وما يمكن أن يعتد به منها مما عبر الزمن عن طريق الحفظ أو التدوين ، هكذا فعل المحققون من علماء الحديث » .

وكان ينبغى أن يشهد عصر التدوين كذلك اتجاها إلى التحقيق وراء رواة التاريخ ورواياته حتى تأخذ حقائق التاريخ سبيلها إلى الأجيال !

وإذا كانت منزلة التاريخ أقل من منزلة الحديث لأن التاريخ ليس من مصادر شريعتنا فإن مما لا شك فيه أن تاريخنا الإسلامى تناول مرحلة من مراحل هذه الشريعة ، فالكشف عن كذب راوية من رواة التاريخ فى حدث من الأحداث أو موقف من المواقف يعرضه للاتهام إذا روى حكما من أحكام الإسلام عن خليفة من الخلفاء أو قاض من القضاة ، وبخاصة وأن بعض رواة التاريخ ممن روى الحديث .

ومن ثم كان من الواجب أن يجد التاريخ شيئا من العناية التى وجدها الحديث من التحقيق والتدقيق .

وإذ كان التاريخ لم يجد من عصور التدوين عناية وتحقيقا كما وجد الحديث ، فإن واجب عصرنا وفيه الكثير من علماء التاريخ ، أن يبحث بين ما خلفه الرواة لينقى الحقائق التاريخية من زيف الدس الذى جمع ، وذلك يتطلب دراسة حال الرواة ، واتجاهات العهود التى عاشوا فيها ، واتجاهات الرواة أنفسهم ، ومدى تأثرهم بسلطان تلك العهود أو إغرائها.

وبكل ذلك وغير ذلك يمكن تجريد حقائق تلك الحقبة العزيزة على نفوس المسلمين مما عسى أن يكون قد ألم بها فسترها ببوارق الزيف والتمويه .

وإن الكثير من رواة تاريخ الصدر الأول قد فتحوا برواياتهم أبواب الطعن للطاعنين الذين اقتحموا تاريخ الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأظهروهم فى صورة المتهالكين على الدنيا المندفعين وراء شهوة الحكم والسلطان .

وما أكثر الثغرات التى وجدها الطاعنون فى تاريخ فجر الإسلام .

١ — فالخلاف الذى ذكره الطبرى وابن الأثير بين عمر بن الخطاب والحباب بن المنذر يوم السقيفة كان ثغرة من الثغرات نفذ منها أولئك الذين أولعوا بالتشويه فقدموا صورة غير كريمة لرجلين من أعظم رجال الطلائع الإسلامية الأولى وقد استسلما لنزق الشيطان فتدافعا بالأيدى حتى أوشكا أن يثيراها فتنة يعمل فيها السيف عملها ، ويعيد العصبية الجاهلية إلى العرب صاخبة مبيدة كما كانت وكل ذلك وجثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ووري قبره الشريف .

مثل هذه الرواية من الطبرى وابن الأثير تحتاج إلى بحث يجلى حقيقتها .

ولسنا نشك فى أن هنالك فتنة كانت فى السقيفة ولا نشك فى أن خطباء صالوا فيها وجالوا ولا نشك فى أن خطبهم دارت حول الموازنة بين المهاجرين والأنصار وأيهما أولى بالخلافة .

ولكن الذى نشك فيه هو حدة الخلاف ، وذلك الاشتجار والتشابك والتدافع .

على أن الخلاف الذى كان لم تكن بواعثه شهوة الحكم والسيطرة ، وإنما هو خلاف فى الرأى حول زعامة المسلمين ولأى الفريقين يجب أن تكون ، ولكل وجهة ، فالمهاجرون حين يرون تقديمهم فى القرآن على الأنصار فى قوله تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، يرون أن تقديم الذكر يوحى بتقديم المكانة ، وذلك يجعل لهم الأولوية فى الخلافة وتحمل مسئولياتها ، وحين يسمعون وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فى مرض موته حيث قال : يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا يرون

فى ذلك إيحاء بأن الخلافة فى المهاجرين .

وحين يرون تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر فى الصلاة وهو فى مرض الموت يرون أن التقديم فى الصلاة إيذان بالتقديم للخلافة .

وهم ، وفيهم أول من أسلم من الرجال وأول من أسلم من الصبيان ، يرون لهذه الأسبقية أثرها الذى لا يجحد فى أحقيتهم بالخلافة .

وهم ، وفيهم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمومة وأبناء عمومة وأحفاد وفيهم من عذب واضطهد وأوذى فى سبيل الإسلام، يرون أنهم أحق بزعامة من يدينون بهذا الدين.

وإلى جانب كل هذا يرون أن العرب الذين دانوا لزعامة قريش فى الجاهلية ، ثم دانوا لها فى الإسلام بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم من بينهم قد لا يقبلون زعامة أوسى أو خزرجى ، وبخاصة وأن الأوس والخزرج قد يختلفون فيما بينهم إذا وضعت الخلافة فى قبيلة منهما دون الأخرى ولكل هذا يرى المهاجرون أنهم أولى بالخلافة .

وأما الأنصار فهم يرون أنهم كانوا الحماة الذائدين عن الرسول الذين آووه ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه ولهم عددهم وثراؤهم وسيوفهم فهم لكل ذلك أهل للخلافة .

على هذه الصورة كانت وجهات النظر ، ولو أن الموقف كان عنيفاً وحاداً كما يرى الكثير من المؤرخين لما استسلم الأنصار بهذه السرعة لبيعة أبى بكر بعد أن بايعه عمر وأبو عبيدة حيث لم يغادر أبو بكر السقيفة حتى بايعه الأنصار جميعاً سوى سعد بن عبادة الذى غادر المدينة على أثر موقف السقيفة إلى الشام .

وإن مبادرة الأنصار لبيعة أبى بكر تدل أوضح الدلالة على أن الخلاف لم يكن عميقاً كما صوره بعض المؤرخين واستغله أصحاب الأهواء للغض من مكانة السابقين الأولين من المهاجر والأنصار .

— ٢ —

ويتصل ببيعة أبى بكر موقف على من تلك البيعة ، وما اخترعه بعض الرواة مما لا يتفق مع دين على وكرامته حيث قيل : إن عليا حمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ، وطاف بها على مجالس الأنصار تسألهم نصرة على على أبى بكر ، فكانوا يقولون لها: « يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به » .

وبهذا عرض هؤلاء المؤرخون مقام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمهزلة تعف عن التردى فيها المرأة العربية فضلا عن

بنت رسول الله ، إذ كيف تسمح السيدة فاطمة لنفسها أن تنزل إلى ميدان الدعاية داعية بنفسها لعلى ضد أبى بكر على تلك الصورة من الاستجداء ، وإن مقام على ليس فى حاجة إلى أن يعرفه الأنصار حتى تطوف بهم لتعرض فضله وأحقيته بالخلافة وكيف ترضى كرامة على مثل هذا الموقف .

وقد أسرف بعض المؤرخين فى تصوير موقف على من الامتناع عن بيعة أبى بكر فقال بعضهم : إنه لم يبايع إلا بعد موت فاطمة لتشبثها باستخلاف على ، واختلفوا فى المدة التى عاشتها السيدة فاطمة بعد أبيها وربطوا بيعة على بوفاتها ،

وروى بعضهم أن عمر بن الخطاب أراد أن يحمل عليا قسرا على بيعة أبى بكر ولكن أبا بكر أبى ذلك .

وكل ذلك إمعان منهم فى تصوير على فى صورة المخالف لاستخلاف أبى بكر ، كما صوروا موقف الهاشميين وهم يؤيدون عليا ويمتنعون عن بيعة أبى بكر ،

وإذا كان هؤلاء قد أسرفوا فى تصوير امتناع على عن البيعة فقد أنصف بعضهم الحقيقة فذكر أن عليا كان فى بيته حينما وافاه نبأ جلوس أبى بكر للبيعة ، فخرج فى قميص له دون إزار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطىء حتى بايعه .

وهذه الرواية تنقض الروايات السابقة وتدل على مبادرة على ببيعة أبى بكر .

— ٣ —

ويقدم بعض الرواة صورة لأبى سفيان وقد أقبل على بنى عبد مناف وفيهم على والناس يبايعون أبا بكر فقال أبو سفيان : إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان أين الأذلان على والعباس ؟

ثم أنشد متمثلا :

ولا يقيم على ضيم يراد به
إلا الأذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

ثم يقول الراوى : إن عليا لم يسمع ذلك حتى قال لأبى سفيان : يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئاً إنى وجدت أبا بكر أهلا لها ،

وهذا يصور لنا أن الفتنة بعد أن سكنت بين المهاجرين والأنصار أراد أن يشعلها أبو سفيان بين آل عبد مناف وتيم بن مرة آل أبى بكر .

وليس من المعقول أن يقول أبو سفيان هذا فيسعى به للإيقاع بين على وأبى بكر ، وهو يعلم أن عليا لا يسمح لأبى سفيان بأن

البقية على صفحة ٦٩٩

الإمام ابن حزم

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

— ٤ —

مؤلفات ابن حزم :

لقد تمخضت حياة ابن حزم العلمية عن مؤلفات كثيرة فى الحديث والفقه وأصوله والسيرة النبوية والملل والنحل ، والأخلاق ، والمنطق ونحوها ، وبعضها يصل إلى حد المعلمات ، وهى ترتفع به إلى درجة العلماء المنتجين الخالدين الذين أسهموا فى الثقافة الإسلامية بخاصة ، والتراث الإنسانى بعامة وقد قدمنا عن ابنة أبى رافع أنه قال : إنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وإليك أهمها .

(١) كتاب « المحلى » فى الفقه على مذهبه واجتهاده ، وطريقته فى الاستنباط ذكر فيه ألفين وثلاثمائة وثمانى مسألة ، وقد شرح كتابه هذا شرح إمام فقيه مجتهد ، حافظ مطلع تارة يوافق فيه الأئمة ، وتارة يخالفهم فى كتاب سماه « المحلى » ومن أراد أن يطلع على سعة أفق هذا الإمام وعلمه بالقرآن والأحاديث والسنن فليرجع إلى هذا الكتاب وشرحه ، ولا تعجب إذا كان حظى بثناء بعض كبار أئمة العلم فى الإسلام قال الإمام العز ابن عبد السلام فيه : « مارأيت فى كتب الإسلام فى العلم مثل « المحلى » لابن حزم (١) والمغنى لابن قدامة » (٢) .

ولابن حزم فى هذا السفر الضخم آراء فى التكافل الاجتماعى فى الإسلام يعبر فيها حائزاً قصب السبق فى هذا المضمار وكلها مما فهمه من نصوص القرآن والسنة ، وما ترمى إليه من مقاصد وغايات شريفة ، وإليك بعض هذه الآراء ننقلها بنصها من كتابه هذا .

قال فى كتابه هـذا : « وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ،

---

(١) قد طبع « المجلى » وشرحه طبعاً جيداً فى أحد عشر جزءاً كبيراً فى مصر سنة ١٣٤٩ هـ .

(٢) « المغنى » للإمام العلامة شيخ الإسلام موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢ هـ ومؤلفه وإن كان حنبلياً إلا إنه يعتبر من كتب الفقه المعدودة التى تجمع أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من فقهاء الصحابة ومن بعدهم ، وقد طبع هو والشرح الكبير فى إثنى عشر مجلداً كبيراً .

ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ، ثم دلل لذلك فقال : برهان ذلك قول الله تعالى « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » ، وقال تعالى : « وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » .

فأوجب الله تعالى حق المساكين ، وابن السبيل ، وما ملكت اليمين مع حق ذى القربى ، وافترض الإحسان إلى الأبوين وذى القربى ، والمساكين ، والجار وما ملكت اليمين ، والإحسان يقتضى كل ما ذكرنا ومنعه إساءة بلا شك ، وقال تعالى : « ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين » فقرن الله إطعام المسكين ، بوجوب الصلاة ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة فى غاية الصحة أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » .

قال أبو محمد - يعنى ابن حزم - : ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعا عريان ضائعاً ، فلم يغثه فما رحمه بلا شك ، وروى فى هذا أحاديث منها ما رواه عن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال : إن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » أو كما قال رواه البخارى فهذا هو نفس قولنا .

واستدل أيضا بما رواه بسنده عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه مسلم ، قال ابن حزم : من تركه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه يعنى لأعدائه .

وهكذا نرى أن ابن حزم جعل إسلامه لأعدائه كإسلامه للفقر ، والعرى ، والجوع وهى ولا شك من الأعداء وهو فهم مستقيم منه ، واستدل أيضا بما رواه بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » رواه مسلم .

قال ابن حزم فهذا إجماع الصحابة رضى الله عنهم يخبر بذلك أبو سعيد ، وبكل ما فى هذا

الخبر نقول ، واستدل أيضا بما رواه بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » وروى بسنده عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه » وعن ابن عمر أنه قال : « فى مالك حق سوى الزكاة » ، وصح عن الشعبى ، ومجاهد ، وطاووس وغيرهم كلهم يقول : « فى المال حق سوى الزكاة » (١) ...

وبحسبنا هذا النقل فى بيان سبق بعض علماء الإسلام ودعوته إلى العدالة الاجتماعية ، قبل أن تعرف الحضارة الحديثة ذلك ببضعة قرون مع اهتدائه فى كل ما يقول بهدى القرآن والسنة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « تركت فيكم شيئين لن تضلوا إن اعتصمتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

(٢) كتاب « الإحكام فى أصول الأحكام » وهو كتاب فى أصول الفقه نهج فيه كما هو دأبه منهج التقصى والاستيعاب فى إيراد الحجج وبسط القول فى الاستدلال لما يراه كما فعل حينما عرض لإفادة خبر الواحد العدل الضابط القطع واليقين وهو مطبوع .

(٣) « الايصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام فى الواجب ، والحلال والحرام ، والسنة والإجماع » أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين فى مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها وهو كتاب كبير يقع فى بضع وعشرين مجلداً . قال تلميذه ابن المغربى : صحبت ابن حزم سبعة أعوام ، وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب «الفصل» ، وقرأنا عليه من كتاب الإيصال سبع مجلدات فى سنة ست وخمسين - يعنى وأربعمائة - وهو أربعة وعشرون مجلدا .

(٤) كتاب « الجامع » فى صحيح الحديث باختصار الأسانيد .

(٥) السيرة النبوية وهى فى مجلد سلك فيها مسلك التحقيق والاعتماد على المأثور وهو مطبوع .

(٦) « الفصل فى الملل والنحل » وهو يعتبر من المراجع القيمة فى تاريخ النحل والأديان والفرق والمذاهب وهو يدل على سعة علم الرجل ومعرفته بالمذاهب والفرق الإسلامية وغيرها وهو كتاب حافل فى بضع مجلدات وهو مطبوع .

---

(١) المجلى والمحلى ج ٦ ص ١٥٦ - ١٥٨ .

(٧) كتاب «إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابيين : التوراة والإنجيل» بين فيه تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل وهذا معنى لم يسبق إليه .

(٨) كتاب «الالتباس لما بين الظاهرية وأصحاب القياس» .

(٩) كتاب «الصادع» فى الرد على من قال بالتقليد .

(١٠) كتاب «شرح أحاديث الموطأ» .

(١١) كتاب «أسماء الله الحسنى» ذكره الغزالى وأثنى عليه .

(١٢) كتاب «التلخيص والتخليص» فى المسائل النظرية .

(١٣) كتاب فى «الإجماع ومسائله» على أبواب الفقه .

(١٤) كتاب «فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعى جمهور العلماء وما انفرد به كل واحد» ، ولم يسبق إلى ما قاله وقد ذكر اسم هذا الكتاب فى أثناء الفرائض من المحلى وكأنه يريد بتأليفه هذا أنه حينما انفرد عن الأئمة ببعض الآراء ليس ببدع فى هذا بين الفقهاء ، فكبار الأئمة على هذا .

(١٥) كتاب «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه» بألفاظ أهل العلم وطريقتهم لا بألفاظ أهل الفلسفة ومثله بالأمثلة الفقهية وهو إن كان إبداعا يدل على قوة فى التفكير وحسن التصرف إلا أنه لم يخل فيه من أغلاط «فإنهم زعموا أنه ذل هنالك ،وضل فى سلوك المسالك ، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض (١) وبحسبنا هذا القدر من مؤلفاته .

«وفاته» وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتأليف والإنتاج ، المليئة بالاضطهاد والتشريد .

توفى آخر نهار يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة من الهجرة وكانت وفاته ببلدة «لبلة» وقيل بقرية «منت ليشم» وهى قرية ابن حزم من أعمال لبلة فرحمه الله رحمة واسعة ، وجازاه كفاء ما قدم للعلم ، والثقافة الإسلامية ، والمعارف الإنسانية من انتاج مذكور مشكور

[١] وفيات الأعيان ج٢ ص ٢١، ٢٢ ، تذكرة الحافظ ج ٣ ص ٣٢٥ ، ٣٢٧

دكتور محمد محمد أبو شهبة

ابن فرناس

أوّل رائد للطيّران

للأستاذ محمد علي الطعمي

نشأ فيلسوفا بارعا ، ومفكراً أديباً ، وشاعراً مغلقاً ، وخطيباً مفوهاً ، وألمعياً نافذ الذكاء ، فذاع صيته ، واتجهت إليه الأنظار ، وأصبح مثلا يتحدث عنه السمار والركبان وذوو الألباب النيرة .

كان له أسلوب خاص ، ونظريات هادفة ، ومبتكرات هامة ، لم يسعها الزمن الذى نشأ فيه ، فتحدته البيئة ، وقسى عليه الفقهاء ، وعاشوا ضده خصوما عتاة ، يدبرون له المكائد ، وينشرون حوله الشائعات ، ليفلوا من عزيمته المتوهجة الجبارة .

تعلم كما يتعلم أبناء الأندلس فى المعاهد العلمية ، وأخذ عن الشيوخ نصيباً من الفقه والتفسير واللغة والأدب ، ثم اعتزل الدراسة اعتزالا كلياً ، وحبس نفسه بين الجدران ، وأخذ يغوص وراء التجارب ، ويقلب النظريات ، ويتعمق فى الرياضة والفلك حتى تمخضت بحوثه عن حدث لم يخطر على بال .

لقد اخترع آلة دقيقة ، أسماها على حد تعبيره « ذات الحلق » مهمتها تحديد طلوع الشمس وغروبها ومنازل القمر ، ولما انتهى من تصميمها أهداها إلى الأمير عبد الرحمن ابن الحكم ، فسر بها سروراً عظيما ، وتقبلها شاكراً ، وكافأه عليها مكافأة سخية .

لم يكتف عباس بن فرناس بهذا النصر الذى أحرزه ، ونال به إعجاب السلطان ، فراح يواصل التنقيب على ضوء الشمس والمصباح ، حتى اهتدى إلى اختراع ثان أسماه « الميقاتة » بها تعرف الأوقات ، وساعات الليل والنهار ، وأرسلها إلى الأمير محمد ابن عبد الحكم مشفوعة بهذه الأبيات :

ألا إننى للدين خير أداة
إذا غاب عنكم وقت كل صلاة
ولم تر شمس بالنهار ولم تنر
كواكب ليل حالك الظلمات
بيمن إمام المسلمين محمد
تجلت عن الأوقات كل صلاة

كان لهذا النجاح صدى عميق فى نفسية ابن فرناس ، وكان صدى عميق فى مختلف الدوائر العلمية التى قالت عنه ، إنه مخاريق أشبه بالمعجزات ، ومعجزات أشبه بالمخاريق ، والتى اعتبرته تحدياً فكرياً انطلق بكل ما أوتى من قوة ، ليزيل رواسب التخلف والسلبية التى رانت على ابن الأرض أحقابا من الزمان .

ثم ماذا ؟ ؟

إن ابن فرناس لم يقنع بهـذا المجد الذى حققه ، فراح يهز قريحته هزا ، غير وان ولا كليل حتى اهتدى إلى اختراع ثالث ، سبق به الغربيين والشرقيين على حد سواء ، وكان سبباً فى تربعه على قمة المعالى والعوالى ، وبلوغه الشهرة التى أذهلت العالم ، وجعلته يستيقظ من نومه ، ويقف على قدميه متوثباً حيران .

لقد كان هذا الاختراع الخلاق مذهلا حقا ، ألهم الإنسانية المعرفة التى مهدت لهـا أن تبنى صروحا فى الهواء ، تعيش فيها وعليها آمنة مطمئنة ، غيرعابئة بالزوابع وأعاصير الرياح .

إن ابن فرناس اليوم فارس على خطير ، نجح أكثر من مرة فى اكتشافات تجريبية صاخبة ، وهاهو يعلن فى مساجد قرطبة وساحاتها ، أنه يستطيع أن يطير بين السماء والأرض كالطيور تماما ، وأنه سيفعل ذلك فى موعد حدده للجماهير زمانا ومكانا ...

ذهل الناس من هذا النبأ العظيم ، وتلقوه بالتكذيب والتلفيق ، وانتظروا ساعة الصفر بنفوس متشوقـة ، وقلوب تفيض بالتحضر وحب الاطلاع .

وجاءت الساعـة الرهيبة ، وفيها خرج ابن فرناس ، فوجـد كتلا بشرية وناسا متكدسين كالرمال ، وكان منظره يبعث على الدهشة والتأمل ، وصفه المؤرخون الذين شاهدوه فقالوا :

« وكسا ابن فرناس نفسه بالريش ، ومد لنفسه جناحين على وزن وتقـدير قدره ، ثم صعد إلى ربوة عالية بناحية الرصافة ، واندفع منها فى الهواء طائرا لحلق فيه حتى وقع فى مكان على مسافة بعيدة » .

عاد هذا الفيلسوف من طيرانه إلى الأرض سالما ، بعد أن حقق نظريته العلمية أمام الجموع الغزيرة ، فاندفع إليه الشعب الهادر ، وحمله الشباب على أكتافه بين تصفيق حاد ، وهتاف منقطع النظير .

ونتيجة لهذه التجربة الخطيرة ، ذاع صيت هـذا الطيار فى الآفاق ، واحتلت شخصيته مكانا مرموقا ، وأغدق عليه الحكام العطاء ، وقربوه إلى أبوابهم ، فشد هذا من عزمه ، وفتق مشاعره ، وجعله ينشد الشعر الجزل الفخم ، ويلحنه فى مهارة على قيثارته ، التى رقصت لها الارواح والأجسام ، لحسده العزال ، وحاولوا مجاراته فعجزوا ، فوشوا به لدى السلطات القائمة ، وطلبوا محاكمته ، زاعمين أنه ملحد وزنديق ، وله صلات مريبة بالشياطين والعفاريت .

وقف ابن فرناس أمام هيئة المحكمة التى شكلت برئاسة سليمان الغافقى ، ووجهت إليه

التهم ، وشهد عليه رجال من العوام ، وأعطت المحكمة للمتهم الفرصة ليدافع عن نفسه ،فقال: إن هذه شائعات أطلقها عليه العلماء ليكسبوا احترام الرأى العام الذى خسروه ، لكى يفهموا الجماهير الواعية أنهم حماة العقيدة وعمد الإسلام ، والجماهير تعلم أن هؤلاء تجار جشعون وأقزام قصرت وتقصر هممهم عن متابعة البحث العلمى الصحيح ، والاختراعات البناءة ، فضاقوا ذرعا بكل جديد، وأخذوا يلفقون عليه الأباطيل باسم الدين ، ودين الله واضح ليس فيه غموض ولا يحتاج إلى أوصياء ، ينفخون بطونهم ظلما وعدوانا ، وقال عباس : إنه كان ينتظر من زملائه العلماء أن يخلعوا عليه وساما تقديريا ، نظير تجاربه المثمرة التى تهدف إلى خدمة المجتمع ، وقد تريحه من ركوب الخيل والبغال والحمير وتجعله يقطع أطول المسافات فى ساعات معلومات .

ورأت المحكمة أن المتهم - ابن فرناس - لم يرتكب خطأ دينيا يحاسب عليه ، ولم يأت نكرا يستوجب عقابه ، غاية ما هنالك هو مجدد وبحاثة ومخترع ، والدين لا يحرم التجديد والبحث والاختراع ، ورأى القضاة أن المدعين من الفقهاء آلمتهم حرية التفكير ، وانبثاق القريحة ، فأرادوا بهذا الفيلسوف كيدا وألصقوا به تهمة الإلحاد ، ومن ثم فهو برىء مما نسب إليه ، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب .

هل سكت العلماء عند هذا الحد ولقموا أنفسهم حجرا ، أم أنهم ظلوا يداورون ويحاورون ، ليدخلوا هذا الرجل المتحرر ، غياهب السجن ، ويشفوا غليل صدورهم المكبوت !!.

الواقع يقول : إنهم لم يسكتوا ولم يقنعوا ببراءة ابن فرناس فراحوا يؤلبون عليه بعض الولاة حتى اعتقل من جديد وشكلت له محكمة ثانية ، لتنظر فى خرافاته وأوهامه ، وما أثاره من خزعبلات جعلت الناس يتساءلون عنها ويتهافتون ، ويبدو أن هيئة المحكمة جرفها تيار العلماء فأوشكت أن تحكم على هذا البطل بالإعدام ، لولا أن تدخل الأمير محمد الحاكم الذى لم ترقه هذه الهنات ، وأمر بأن تعقد مناظرة علنية وعامة بين العلماء وابن فرناس،وبذلك ينحسم الجدل وتوضع الأمور فى نصابها .

وعقدت المناظرة ودارت حامية ساخنة ، وطبعا انهزم فيها خصومه ، وثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أنهم فهموا هذه الاختراعات بالمقلوب ، والبحوث بالعكس ، حين قالوا عن طيران الإنسان : إنه حرام ويكفر من يمارسه ، بينما الإسلام يعتبر هذا المجهود البطولى عملا فنيا رائعا ، ويثيب رواده المتقدمين .

ويبدو أن للسياسة ضلعا فى تدبير هذه المؤامرات التى حيكت ضد ابن فرناس قصدا لإخماد عبقريته ، ودفنا لموهبته التى شقت طريقا معبدا نحو الأمجاد ، وعلى أعلى المستويات .

لكن الحقيقة لم تمت ـ وكان ابن فرناس محظوظا ، فقد زادته هذه المحاكمات قدرا ، ورفعته إلى مكانة مرموقة . لم تخطر على بال العلماء .فأطلق سراحه،وأصبح حرا فيما يقول ويفكر ويخترع ، وهؤلاء وهؤلاء ينظرون إليه بالإعجاب والإكبار .

لقد شهد أبناء قرطبةعام ٨٥٠ م أول طيار عربى يقوم بجولة فى ربوع سمائها ،واستطاع بمهارته الفائقة ،وإيمانه بالعلم أن يكون رائد الطيران الأوحد ،رغم الجمود والتأخر اللذين أصابا العقل البشرى فى هذه الأيام .

إن العبقرية العربيةهى التى فجرت بحوافزها هذه الانتصارات الساحقة ، وهى وحدها ، التى استطاعت أن تقفز بطاقاتها إلى سلالم الشهرة والخلود ، وتلقى على هذا العالم مزيدا من الإشعاعات الضوئية كانت له على مر الأيام مشاعل لألاءة ، أخرجته من حبس الذهن وقيد العقل ، وجمود الفكر .

تحية إلى ابن فرناس ،صاحب القلب الكبير والموهبة الخالدة . . ؟

محمد على الطمى

(بقية المنشور على صفحة ٦٩١)

يمزق عرى الأخوة الإسلامية بينه وبين أبى بكر وليس من المعقول كذلك أن يتقبل على والعباس هذين الوصفين اللذين رماهما بهما أبو سفيان.

كل هذه الروايات تكشف عن المجتمع الإسلامى والحقد يفعل أفاعيله فيه ، وكأن تعاليم الإسلام لم تهذب ولم تغير من طباع الجاهلية الحمقاء التى كانت تسيطر على تصرفات العرب ومثل هذه الأباطيل أضاعت بين ظلماتها الحقائق ، وصورت الرعيل الأول من المسلمين فى صورة يأباها دينهم وماطبعهم عليه هذا الدين .

وإلا فأى فرق بين أخلاق تلك الطلائع الإسلامية ، وبين أخلاق أحط الساسة ممن لا يصيدون إلا فى الماء العكر ؛ لقد كانت أباطيل المؤرخين شرا على تاريخ الإسلام حين فتحت الطريق لأرباب الأهواء فأمعنوا فى الكيد للإسلام وللصفوة النقية من رجاله.

فهل آن لعلماء التاريخ فى عصرنا أن يهبوا جهدهم وحياتهم وأقلامهم وعقولهم لاستخلاص الحقائق التاريخية التى ضاعت بين دخان الأباطيل ؟ .

د. محمد محمد خليفة

خفايا فى زوايا اللغة والأدب

للأستاذ على السباعى

— ١ —

هذه تعقيبات استخلصتها من المعاجم العربية المتداولة بيننا مطبوعة ومخطوطة ومن الكتب الأدبية المعتد بها ، أنبه فيها إلى ما وقع فيه الناشرون والمحققون أو المؤلفون من خطأ فى الضبط أو التفسير . أو الوزن أو التنظير ، وأكمل ما فات المعاجم تدوينه من كلمات أنكرها المحققون المعاصرون وهى فى الزوايا — وكم فى الزوايا من خفايا — أو أنكروا ورودها وصحتها وهى فى المظان الموثقة ، والمراجع الحقة الصادقة ، أوأثبتوها فى مؤلفاتهم مولدة أو دخيلة وهى عربية فصيحة ولو بالتجوز أو الاشتقاق ، وأنقض ما حصره اللغويون والنحويون من أوزان جعلوها نادرة أو شاذة وما هى كذلك بعد أن اطلعت فى قراءاتى على مثل كثيرة تجعلها إما قليلة فصيحة وإما صالحة للقياس عليها ، والله الموفق للسداد والصواب يجزى من يخدم لغة القرآن خير الجزاء .

وسأنهج فى تعقيباتى هذه نهج الزمخشرى فى أساسه ، والفيومى فى مصباحه ، ومجمع اللغة فى معجمه الوسيط فأعتد بأول حروف الكلمة وثانيها ، وهو المستعان وأهل الهداية والتوفيق:

---

١ — أُبَىّ : بضم الهمزة وفتح الباء وتشديد الياء جاء فى الاشتقاق تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون طبع الخانجى ص ٤٤٩ (أبى) تصغير أب : واحد الآباء أو تصغير أب وهو المرعى ويقتضى القياس أن يكون الأخير (أبيب) وقد خطأ المحقق المؤلف فى (جلى) تصغير جل ص ٣١٢ ولم يمسسه هنا بشىء .

٢ — أجأ : جاء فى الصحاح تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار (أجأ) وينسب إليهما الأجئيون مثال (الأجعيون) وكذلك قال اللسان والتاج ونموذج الجزء الأول من المعجم الكبير للمجمع ولا أرى التمثيل بالأجعيين سليما إذ عادة اللغويين أن يمثلوا أو يزنوا بمعروف مشهور وليس فى اللغة (أجع) ولم أقف فى المعاجم فى باب العين فصل الهمزة إلا على إمع وإمعة : من يقول ـ لضعف رأيه وعقله ـ أنا مع الناس ،

وقد أحسن صاحب القاموس إذ قال (أجأ) جبل لطيء وبزنته ، وقرية بمصر ويؤنث فيهما ، وبقوله صحح محقق الصحاح إليهما بألها .

٣ — أخصى : ذكر القاموس أخصى : تعلم علماً واحداً ، وجرت أساليب المعاصرين بإخصائى فى القلب وإخصائيين فى الحنجرة والأذن ، وهكذا يقولون لكل من تخصص فى علم أو فن إخصائى فى كذا وأنكر الأب أنستاس الكرملى عضو المجمع سابقاً شرح القاموس وقال : إن فيه تحريفاً والصواب أخصى . معل معلا واحداً مستنداً فى إنكاره : إلى قول اللسان (معل) : معل الحمار وغيره يمعله معلا : إستل خصييه ، وإلى أن المعاجم كلها لم تذكر فى المادة (خصا) ما يقرب من معنى التعلم ، واللسان على إسهابه فى المادة إذ بلغ كلامه فيها ورقة كاملة لم يشر إلى هذا الذى ذكره القاموس ورأى أن الصواب استعمال اختصاصى أو متخصص أو مختص، وأن نكون على حذر فيما يرويه لغوى منفرد ناقل لا مشافه للعرب متحدث معهم .

وقد صادفت حين قرأت اللسان كلمتين انفرد فى شرح الثانية وتبع ابن سيده فى الأولى .

الأولى : فى اللسان (عجب) والعجب بالفتح والعجب بالضم : من كل دابة ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب وقد أنكر المصحح فى الهامش الضم لأن التهذيب والصحاح والمصباح والقاموس ومختار الصحاح اكتفت بالفتح ولم يذكر الضم إلا المحكم فى جزئه الأول المطبوع ولم ينتبه محققاه إلى إنكار مصحح اللسان الذى اعتبر (العجب) بالضم زيادة من الناسخ اغتر بها شارح القاموس فقال : وبالضم قد رجعت إلى مخطوطة اللسان بمكتبة الحرم المكى وهى أصح ما رأيت من مخطوطاته فلم أجد الكلمة مكررة بالضم ، وظنى أن اللسان لو طبع على نمطها — وهى مخطوطة فى سنة ١١٨٢ هـ — لخلت طبعته من أخطاء كثيرة ، وبياض متعدد وتحريفات مشوشة .

ومن العجيب أن اللسان فى (عجم) كرر هذا التحريف حين تكلم على العجم بمعنى العجب إذ قال : (وعجم الذنب وعجمه جميعاً وهو أصله وهو العصعص ، وزعم اللحيانى أن ميمها بدل من الباء فى عجب وعجب ونقل الفائق للزمخشرى فى (عجب) رأى اللحيانى فى ضم العين ، وقد قرأت باب فعل وفعل بالفتح والسكون ـ وبالضم والسكون باتفاق فى المعنى فى إصلاح المنطق لابن السكيت فلم أقف على هذه الكلمة بين أمثلة الباب ومن أجل ذلك أوافق مصحح اللسان فى إنكاره العجب بالضم . أصل الذنب .

الثانية : فسر اللسان فى (حبل) الحبلان : الليل والنهار وقد اعتمد ابن منظور فى تفسيره على بيت نسبه خطأ لمعروف بن ظالم وغير فى الرواية فقال :

ألم تر أن الدهر يوم وليلة
وأن الفتى يمسى بحبليه عانيا

والبيت نقلا عن التكملة للصاغانى فى (غور) لزهير بن جناب الكلبى هو :

ألم تر أن الدهر يوم وليلة
وأن الفتى يسعى لغاريه عانياً

الغاران : الفم والفرج

فأنت ترى اللسان غير يسعى بيمسى وحبليه بغاريه ، وفسر الحبلين بالليل والنهار وتفسيره غير متسق ولا منسجم فى المعنى ، واغتر به مؤلفوا المعجم الوسيط فرووا ونسبوا كما روى ونسب وفسروا كما فسر .

أما الأساس فى (غور) وإصلاح المنطق تحقيق الأستاذين شاكر وهرون ص ٣٩٦ فلم ينسبا البيت وغيرا الروى فجعلاه باء لا ياء وما بعد البيت يرد رويهما :

يروح ويغدو والمنية قصره
ولا بد من يوم يسوق الدواهيا

قصره : آخر أمره

ضلالا لمن يرجو الفلاح وقد رأى
حوادث أيام تحط الروابيا
أصبن سليمان الذى سخرت له
شياطين يحملن الجبال الرواسيا

٤ — أسفت : روى الصحاح واللسان فى (سنت) ومعجم الشعراء للمرزبانى فى ص ١ ، ٣٨٣ والسيرة لابن هشام والاشتقاق لابن دريد بيتا ينسب لمطرود بن كعب الخزاعى أو عبد الله بن الزبعرى .

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف

وقالوا إن فى البيت اقواء لأن الروى فى الأبيات قبله مكسور ، ولكن الرواية كما فى السيرة ج ١ ص ١٤٤ وكما فى الروض الأنف ج ١ ص ٩٤ وكما فى هامش الاشتقاق ص ١٣ .

قوم بمكة مسنتين عجاف

وبهذه الرواية يسلم البيت من الاقواء ، وأول الشعر كما فى معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٣٨ .

يأيها الرجل المحول رحله
هلا حللت بآل عبد مناف

ونسب الشعر فى السيرة والروض الأنف والاشتقاق ، والصحاح ، واللسان لابن الزبعرى .

٥ — أصر : ذكر الأساس فى المادة (ومضى فلان إلى المأصر بكسر الصاد وهو مفعل من الأصر أو فاعل من المصر بمعنى الحاجز وما بعد أو فى كلامه ينقل إلى مادة (مصر) ليكون فى موضعه .

٦ — أقر : موضع بضم أوله وثانيه أو جبل ـ روى اللسان والصحاح فى (أقر) والأساس فى (ثرى) بيت ابن مقبل :

وثروة من رجال لو رأيتهم
لقلت إحدى حراج الجر من أقر

بجر ثروة وهو معطوف على مرفوع ولم يتنبه محقق الصحاح إلى صحة الضبط مع أنه روى فى الهامش ما قبله مرفوعا :

منا خناذيذ فرسان وألوية
وكل سائمة من سارح عكر
فينا كراكر إخوان مضبرة
فيها دروء إذا شئنا من الزور

الخنذيذ : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى، كراكر: كثيرون ، مضبرة: مجتمعة ، دروء: اعتراض ، الزور : عوج فى الزور ، حراج: شجر ملتف، الجسر: المكان الغليظ فى سفح الجبل. أنظر ديوانه ص ٨٩ والمعانى الكبير ص ٩٠٨ ويروى اللسان فى (ثور) وثورة من رجال .

وقال : قالوا ثورة رجال كثروة رجال ولا يقال ثورة مال إنما هو ثروة مال فقط وقال التبريزى فى تهذيب الألفاظ فالثورة : الرجال يثورون .

٧ ـــ الطرف : قال الصحاح الطرف : العين ولا يجمع لأنه مصدر وقال القاموس (اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يجمع وقيل أطراف) وأرى أنه اسم لا يحول بينه وبين الجمع مصدريته وفى بيت ابن مالك .

وما لتوكيد فوحد أبدا
وثن واجمع غيره وأفردا

ـــ تجويز لجمع غير المؤكد وقد وقفت على تثنيته فى بيت لكعب الملقب بالمخبل القيسى فى الأغانى ج ٢١ ص ١٦٠

تحدث طرفانا بما فى صدورنا
إذا استعجمت بالمنطق الشفتان

ويروى المرزبانى فى معجمه ص ٢٣٥ الصدر : يبين طرفانا الذى فى نفوسنا .

والمعنى قريب من قريب .

٨ ـــ الاقتحاش: (فى القاموس: الاقتحاش التفتيش يقال لأقتحشنه فلأنظرن أسخى هو أم لا ؟ وهذا أحد ماجاء على الافتعال متعديا وهو نادر) قال التاج أهمله الجوهرى وصاحب اللسان قال الفراء والصواب الانقحاش : التفتيش يقال لأنقحشنه فلأنظرن أسخى هو أم لا ؟ وأصل المادة نقحش كنهمس على وزن فعلل ولا ندرة فى تعديه .

والنظر فى قول القاموس من جهتين أنه :

(ا) استحدث مادة لم تذكرها المعاجم وصوبها الفراء بالانقحاش ولم يذكر اللسان والصحاح والجمهرة الانقحاش أيضاً .

(ب) حكم على تعـــدى افتعل بالندرة والشذوذ ويرد حكمه ماجاء منه متعديا فى القرآن مثل : اشترى ، اتقى ، اتخذ ، ابتلى ، اضطر ، اصطفى ، اختار وهذا أحد ما جاء متعديا إلى مفعولين يجوز فى ثانيهما الجر بحرف (واختار موسى قومه سبعين رجلا) أى من قومه ، ابتغى ، اعتدى ، اكتسب ،

امترى ، ازداد ، افتدى ، اجتبى ، اجتنب ، اعتزل ، احتمل ، اصطاد ، اقترف ، انتظر ، استمع ، استبق ، اعترى ، احتنك ، انتبذ ، اطلع ، اصطنع ، التقط ، اصطلى ، اعتد ، اشتهى ، التقح ، احتسب ، ارتقب .

اجترح ، امتحن ، ازدجر ، ادكر اقتبس ، التمس ، ابتدع .

وفى المعاجم - كل الجبن عرضا أى اعترضه واشتره ولا تسأل عمن فعله ، اقترض عرضه اغتنابه ، اختبط البعير بيده الأرض ، انتفش الشيء : استخرجه ، اختظر المدينة : رسمها وخططها ، احتلب الشاة : حلبها ، اعتنق الإسلام : لزمه ، انتهج السبيل : سلكه وقد أنكر محقق معاصر معجمية هذا الفعل لكنى وقفت عليه فى الأساس، وهكذا لو استقرينا أفعال الافتعال المتعدية لوجدناها تربى على المئات وقد أطلت الكلام فى تعديها لتكرار القاموس الكلام على لزومها أو ندرة تعديها.

٩ — القتو : بفتح القاف وسكون التاء جاء فى القاموس (واقتواه : استخدمه شاذ لأن أفتعل لازم ألبتة) فى عبارته مؤاخذات الأولى حسبانه أن التاء زائدة وهى أصلية ، والثانية : وزنه الفعل على افتعل والصواب على افعل كارعوى ، وأجأوى من الرعوى : الكف عن القبيح ، والجودة : حمرة تضرب إلى السواد مما قدم فيه الإعلال على الإدغام والثالثة: حكمه بأن افتعل لازم ألبتة وماذكر من افتعل المتعدى آنفا كفيل بإبطال حكمه القاطع بلزوم الافتعال .

١٠ — أنن : فى اللسان (قال الجوهرى وأما قولهم أنا فهو اسم مكنى وهو للمتكلم وحده وأنما يبنى على الفتح للفرق بينه وبين أن التى هى حرف ناصب للفعل والألف الأخيرة إنما هى لبيان الحركة فى الوقف وقول الجوهرى بالقصر إنما يبنى على الفتح والألف الأخيرة لبيان الحركة فى الوقف غير مفهوم والمشهور أن أنا ضمير مبنى على السكون والبيت الذى ساقه اللسان لإسقاط الألف فى أنا عند التوسط لا يصلح شاهدا لإسقاطها كتابة أو نطقا لإنه من الوافر دخل فى تفعيلة الأولى العقل إسكان الخامس المتحرك وقد روى اللسان أول الشطر الثانى جميعا وفى اللسان وديوان حميد الهلالى .حميدا ولم يفسيه الأساس (ذرى) ولا اللسان (أنن) ونسبه الصاغانى فى التكملة (أنن) إلى حميد بن بحدل الكلبى خال يزيد بن معاوية وما صنعه العلامة الميمنى من إثباته لحميد الهلالى فى ديوانه وشكه فى ضبط الحاء فى حميد بالضم والفتح لا محل له .

(يتبع) على السباعى

مايقال عن الإسلام

الإســـــــلام

للدكتور أحمد فؤاد الاهوانى

Islam ; by Tritton, London, 1962, pp 200

كتاب بقلم الأستاذ تريتون فى مائتى صفحة ـ لندن ـ الطبعة الربعة ١٩٦٢

يعنى الغربيون بالكتابة عن الإسلام والتعريف به ، ليطلع أهل بلادهم على هذا الدين الذى يؤمن به ربع سكان الكرة الأرضية.

والكتب التى يصدرها علماء الأديان الشرقية، أو المستشرقون ثلاثة أصناف : صنف بسيط ميسر لعامة الجمهور من المثقفين ؛ وصنف ثان يستخدمه طلبة المدارس فى الجامعات والمعاهد ولذلك كان تأليفه أدق وأعمق وأضخم بعض الشىء ؛ وصنف ثالث مطول أكاديمى وهو للخاصة فقط .

والكتاب الذى نعرضه الآن من الصنف الثانى، كان مؤلفه أستاذا للغة العربية فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، ويبدو أن الكتاب مقرر أو كان مقرراً على طلاب الدراسات الشرقية والإسلامية ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥١ ، وأعيد طبعه أربع مرات .

وكتاب تريتون يدرس الإسلام من جهة الحضارة والتاريخ أكثر مما يدرسه من ناحية العقيدة . ويقع فى أحد عشر فصلا : الثلاثة الأولى منها عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وعن العبادات ، وعن الحديث والسنة . ويبحث الفصل الرابع فى تطور العقيدة وتأثرها بالأفكار الفلسفية ، والخامس عن الشريعة والعرف ، والسادس عن الفرق ، والسابع عن التصوف ، والثامن عن الدولة من جهة الخلافة ونظم الحكم ، والتاسع عن الحياة الاجتماعية والأفكار الشعبية ، والعاشر عن الحركات الحديثة فى الإسلام ، ثم خاتمة .

من الواضح أن المؤلف يعرف العربية والإسلام معرفة جيدة غير مستغربة عن أستاذ للغة العربية ، فضلا عن معرفته لأحوال بعض الدول الإسلامية معرفة وثيقة دقيقة . مثال ذلك أنه يقول فى المقدمة : إن المسلمين يكرهون أن يسموا (الأمة المحمدية) ، لأن هذا الاصطلاح يوحى بأنهم يعبدون الرسول . وهذه ملاحظة صحيحة ، وهى أساسية

لمن يكتبون عن الإسلام ، ويمكن توجيهها بالنسبة لكتاب المستشرق (جب) «المحمدية» Mohammedanism .

أسلوب المؤلف واضح ، وعباراته قصيرة موجزة ، ولكنها مشرقة . وهو لا يغرق نفسه فى التفصيلات ولا يناقش القضايا بل يقرر الآراء . وهذا ثمرة التدريس . ولما كان المؤلف يكتب لقراء مسيحيين أو يهود ، وكان هو نفسه غير مسلم ، فلم يكن من الطبيعى أن يؤمن بالإسلام ، لا بكتابه ولا برسوله . وليس لنا أن نرغم أحدا على الإسلام أو نكرهه على قبوله ، فالهداية من الله ، كما جاء فى القرآن أن الرسول نفسه لن يستطيع أن يهدى أحداً إن أحب ذلك ، ولكن الله يهدى من يشاء . غير أننا نعترض على سوق الحوادث ، وعلى ترتيب المقدمات التى تؤدى إلى النتائج ، وعلى إغفال المصادر التى لم ينكرها المؤلف . وعلى رأس هذه المصادر القرآن نفسه ، وكان عليه أكثر اعتماده فى ذكر حياة الرسول . ففى صفحة ١٣ يقول : « حاول محمد فى مكة أن يخلق فى ذهن أتباعه إطارا دينيا ، أما فى المدينة فقد ولد دين جديد » .

In Mecca Muhammad had tried to create a religions frame of mind in his adherents ; in Medina a new religion was born.

والصواب أن يقال إن الدين الإسلامى نزل من أول الأمر على محمد وهو فى مكة ، ولم يتغير منذ نزوله حين كان فى مكة إلى أن هاجر إلى المدينة . ذلك أن رسالته جاءت متدرجة ، ولم تكن هجرته مفاجئة . فى أول الأمر قام بإنذر أهله وعشيرته ، واستمر على ذلك بضع سنوات يبشر بالإسلام سرا إلى أن أمر بإعلان الدعوة . ثم عرض نفسه على القبائل وعلى العرب الذين كانوا يفدون للحج ، فآمن به من أهل المدينة ستة نفر فى السنة الأولى ، وفى السنة الثانية ضعف هذا العدد ، وفى السنة الثالثة زهاء سبعين . كيف إذن يقال : إن دينا جديدا ولد بالمدينة ؟ مع أن تعاليم الدين ثابتة منذ البداية ، وهى الإقرار بوجود الله ووحدانيته وإرساله الرسل والأنبياء والبعث فى الآخرة ، وهذه التعاليم الأساسية التى تمثل جوهر الدين موجودة فى السور الأولى التى أنزلت على النبى فى مكة . ويحلو للكثير من المستشرقين أن يرتبوا القرآن المترجم بحسب نزوله التاريخى ، وفى ترجمة « رودويل » وهى تلك التى اختارها المؤلف ، نجده يبدأ بسورة العلق ثم بالمزمل والثامنة هى الفاتحة والعاشرة الصمدية وهى كلها سور تشتمل على المبادىء الأساسية للإسلام .

يمضى المؤلف فيسرد تأسيس محمد للدولة فى المدينة ، وكيف ألف بين المهاجرين

والأنصار ، والأوس والخزرج ، إلى أن قال : « وكان يطمع أن يكسب اليهود إلى جانبه ، ولكن حين ضاع منه هذا الأمل حول القبلة من بيت المقدس إلى المدينة ، ثم أخرج اليهود من المدينة ، وشرع الآن يسمى نفسه نبيا وادعى أنه إنما كان يكرر الرسالة التى أنزلها الله على إبراهيم » .

وهذا افتئات على التاريخ الثابت ؛ فإن محمداً أصبح نبياً منذ أن تلقى الوحى فى أول الآيات المنزلة وهى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » فلما أخبر السيدة خديجة بهذا الخبر ، صدقته ، وآمنت به ، وثبتته على الإيمان . ثم انقطع عنه الوحى فترة ، ونزلت عليه سورة المزمل ، وبعد ذلك سورة المدثر وفيها أمر بإنذار أهل مكة وتخويفهم عذاب النار إن لم يؤمنوا . وهكذا نرى أن السياق التاريخى يدل على أنه نبى مرسل منذ بدء الرسالة ونزول الوحى ، لا منذ هجرته إلى المدينة ، ولو سلمنا بما يقوله المؤلف ، فليبين لنا : فيم كانت الهجرة ؟ ! وهذا وحده يبين تناقض المؤلف ، وتهافت رأيه ، وافتراءه على التاريخ .

ويبدو أن الدافع الخفى فى هذا التناقض ، وفى هذه البلبلة ، يرجع إلى اعتبار المستشرقين محمداً مجرد إنسان ، عبقرى ، ادعى النبوة ، واصطنع كلاما سماه قرآنا ، فإذا اتبع المستشرقون هذا الفرض ، وقعوا فى مأزق آخر وهو تفسير المصدر الذى استقى منه محمد هذه المعلومات الدقيقة عن الأديان الأخرى وعقائدها ، وعن أخبار الأمم الماضية ، وهو الأمى البسيط .

* * *

ويقول المؤلف إن الله فى الإسلام مباين للعالم ، منفصل عنه ، خالق له ، وأن النظر إلى المخلوقات وما فيها من عجائب يفضى إلى الاعتقاد بوجود الله . إنه تعالى القوى القادر ولذلك يجب على الإنسان أن ينحنى خضوعاً له واستسلاماً ، ومن هنا جاء اسم الإسلام ، وهو مصدر مشتق من الاستسلام .

يحلو للمستشرقين تفسير الإسلام بمعنى الاستسلام والخضوع ، حتى ينتهوا إلى هذه النتيجة وهى أن المسلمين فى طبعهم الخضوع لغيرهم ، وليس لهم على أنفسهم سلطان . ولكن هذا المعنى وإن كان أحد معانى الإسلام ، إلا أنه لا يدل على الاستسلام لغير الله ، بل على الاستسلام لله فقط ، والعبودية له وحده . وحقيقة الإسلام أنه الخلوص والنقاء ، فالإسلام هو الدين الخالص البرىء من الشوائب . إنه الدين الحق . ولما كان الدين واحداً لا يتغير منذ أنزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء حتى محمد ، فان الدين عند الله الإسلام ، وكان إبراهيم حنيفاً

مسلماً ، وذهب المحققون من الباحثين إلى أن معنى الإسلام من « أسلمت وجهى لله » أى أن يتحول الإنسان من النظر إلى شهواته التى تفتنه لكى يتجه إلى الله تعالى . فالإسلام ضرب من التحول يأخذ بيد المرء من الطريق الإنسانى الدنيوى إلى الطريق الربانى، وحين انصرف المسلمون عن ملذات الدنيا وزخرفها إلى طلب رضا الله ، مضحين حتى بحياتهم فى سبيل الظفر بالخلود فى نعيم الجنة ، ارتفع صوت الإسلام ، إذ لم يكن للمسلمين وجهة سوى الله تعالى .

إن الذى يثبت أبصار المسلمين على النور الإلهى تمسكهم بكتاب الله ، وتلاوته ، والأخذ بما جاء فيه ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه . فكان القرآن النبراس الذى به يهتدون ، والنور الذى على هداه يستضيئون ، وقد أجمع المسلمون على أن معجزة الإسلام الوحيدة هى القرآن الذى تحدى العرب أهل الفصاحة والبلاغة . ولا يزال القرآن حتى اليوم معجزاً بنظمه وترتيبه ومعانيه .

فإذا جاء المستشرقون يطعنون فى القرآن من جهة البلاغة فليس لكلامهم وزن ، لجهلهم باللغة العربية وأسرارها ومواطن البلاغة فيها . ولذلك فإن الذى يتقن منهم معرفة العربية لا شك يعجب بالقرآن ولا يستطيع الطعن فيه من جهة بلاغته ونظمه كما اعترف بذلك مثلا المستشرق أربرى ، وله ترجمة للقرآن لم يرض أن يسميها ترجمة بل تفسيرا. ولكن مؤلف هذا الكتاب لا يعترف بالقرآن ولا ينفك يردد الأقاويل التى عدل عنها كثير من المستشرقين فى الوقت الحاضر ، وهى أن القرآن من عمل محمد . ومن أغرب المفتريات والافتراضات التى لا سند لها ولا أساس قوله صفحة ١٦ : (وفى القرآن قصص ذات مغزى ، وهى قصص غير شائقة كما هو معروف عنها عادة ، إذ تكرر الأفكار بعينها مرة بعد مرة ، مما يوحى بأن محمداً لم يكن راضيا عن الصورة الأدبية لهذا القصص واحتفظ بمسوداته مع النص النهائى) .

ومبعث الخطأ فى تفكير المؤلف أنه يحسب محمدا يماثل الأدباء والفنانين الذين يصنعون آثارهم الأدبية على هيئة (مسودات) ، يعدلون فيها حتى تستقيم فى صورتها النهائية . ولكن محمدا لم يكن ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحى يوحى إليه .

وليس أبلغ فى الرد على ما ذكره المؤلف من نقل كلامه الذى قرره بعد أسطر قليلة ، وفيه يقول: إننا لا ينبغى أن ننسى أن الأصل فى القرآن التلاوة والسماع. وما يقوله المؤلف صحيح ، لأن القرآن نزل على محمد منجما فى عشرين عاما بواسطة جبريل الذى كان يقرئه

ويعيد النبي ما يتلى عليه فيحفظه ، ثم يتلوه بدوره على صحابته فيحفظونه ، وهذا معنى « القرآن » المشتق من أول لفظة من أول آية أنزلت وهي « اقرأ » . غير أن القرآن ليس مجموعة من السور والآيات التي تتلى من صفحة الذاكرة فقط ، ولكنه أيضا كتاب ولذلك كان للقرآن صورتان في آن واحد ، المسموعة المتلوة المنطوقة ، والمبصرة المكتوبة المقروءة ، والصورة الأولى منذ أنزل حتى اليوم لها الأولوية والتفضيل ولم يكن الصحابة في حياة الرسول يحفظون القرآن عن طريق ما كان مكتوبا في الصحف وإنما كانت الصحف هي صدور المسلمين الذين ينطقون بكلام الله .

أما المصاحف المعروفة ورقا كانت أم جلدا أم حجارة ـ فليست « ناطقة » بكلام الله ، وما وظيفتها سوى تثبيت القرآن خشية الضياع أو الزيادة والنقصان ، وهذا ما فعله النبي في حياته حين اتخذ كتابا للوحي يدونونه في صحف ، ويأمرهم كلما نزل الوحي بآيات أن توضع بعد هذه الآيات أو تلك ، وكان زيد بن ثابت أكثر الكتاب اشتغالا بهذه المهمة ، على أن هذا التدوين لم يبدأ إلا في وقت متأخر نسبيا من نزول الوحي كذلك لم يعرف أن النبي كان يحتفظ بمصحف ، وإنما كان بعض المسلمين ممن يعرف القراءة والكتابة يحتفظ بصحف لاستعماله الخاص ولم تظهر الحاجة إلى « مصحف » يضم بين دفتيه كل القرآن إلا بعد وفاة الرسول ، وبعد حرب اليمامة التي أعلنها الخليفة أبو بكر على مسليمة الكذاب ، والتي مثل فيها كثير من المسلمين منهم سبعون من « حملة القرآن » عندئذ اقترح عمر على أبي بكر أن يجمع الصحف وكلف زيد بن ثابت بهذه المهمة لأنه هو نفسه كان حافظا للقرآن ومن حملته ، وظل هذا المصحف عند حفصة زوجة النبي وابنة عمر بن الخطاب هذا المصحف هو الذي رجع إليه عثمان حين أمر بنسخ أربعة مصاحف أرسلها إلى الأمصار .

الموضوعات الباقية على كثرتها معروفة يسيرة لأنها مجرد عرض تاريخي وحضاري للإسلام . حتى إذا بلغنا الفصل الأخير الذي يتحدث عن الحركات الحديثة في الإسلام والتي يعرض فيها أهم التيارات الإصلاحية في الهند ومصر وغيرها من البلاد ، نجد في صفحة ١٦٧ ما نصه :

« إن ضغط الأفكار الغربية قد أحدث تغييراً واحداً في الفكر الإسلامي . ففي العصر الوسيط تجاهل المسلمون أنظمة الفكر الأخرى ، أما اليوم فعليهم أن يردوا على حجج الخارجين عنهم ضد عقيدتهم . لذلك فإنهم يجتهدون في بيان أن الإنسانية والأخلاقية والعقل الحقيقية إنما يعبر عنها

أسمى تعبير فى الشريعة الإسلامية وعقيدتها . وهم يسلمون بأن دينهم فى الوقت الحاضر ليس كما ينبغى ، وأن الإصلاح ضرورى ، ولكنهم يلحون فى القول بأن الإسلام وحده كما ينبغى أن يكون هو الذى يحقق حاجات البشرية . لقد تغيرت الظروف مما يحتاج إلى بعض التغيير فى النظام الدينى » .

ونحن نختلف مع المؤلف فى نظرته التاريخية وفى حكمه على الإسلام فى الوقت الحاضر .

ولم يحدث أن سلم أحد من المسلمين بأن الإسلام اليوم فى عقيدته وشريعته ليس كما ينبغى .

إن الإسلام حين أخذ فى الانتشار منذ القرن الأول وبخاصة فى القرن الثانى للهجرة ، اصطدم بثقافات تختلف تماماً عن تعاليمه ، وتخص من تلك الثقافات الفلسفة اليونانية التى انتقلت إلى الاسكندرية من جهة وإلى جنديسابور فى فارس من جهة أخرى ، وكانت أساس المنطق والعلوم الرياضية والطبيعية والطب ، من جهة أن العلم كان جزءاً من شجرة الفلسفة . ويدلنا التاريخ على أن المسلمين لم يتحرجوا من اصطناع هذه الفلسفة المشتملة على العلوم ، فتلقفوا تلك الفلسفة وترجموها فى عصر الترجمة ، واستفادوا منها فى فلسفة العقيدة نفسها حتى قيل إن علم الكلام قد ابتلع الفلسفة فى جوفه . ليس إذن من الصحيح ما قاله المؤلف من أن المسلمين تجاهلوا فى ذلك الزمان الفكر الغربى . على أن اصطناع المسلمين قديما للفلسفة وللعلوم لم يغير من طبيعة العقيدة ، وذلك لاختلاف المجالين وهما العلم والدين ، والحكمة والشريعة .

إن ما يحدث الآن يكاد يكون شبيهاً بما حدث قديما . فإن الإسلام يلتقى منذ القرن الماضى ويكاد يصطدم اصطداماً عنيفا بالحضارة الغربية ، ولذلك كان لابد ثمرة هذا الاحتكاك من التفاعل بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الغربى الحديث . وليس معنى ذلك أن يتغير الدين ، وإنما الذى يمكن أن يتغير ، وقد تغير بالفعل ، هو فتح باب الاجتهاد ، والتحرر من التقاليد التى قيدت المسلمين وليست من طبيعة الدين ، وهذا هو جوهر الحركات التى تسمى بحركات الإصلاح والتجديد ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

شريعة الإسلام
العمل والعمال

عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال

هذا بحث فى جزأين . يحتوى الجزء الأول على خمس وسبعين صفحة والثانى على ست وثلاثين ومائة صفحة ، ومؤلفه الأستاذ جمال الدين عياد .

وقد اتخذ المؤلف نهجه فى البحث بتقسيم الموضوع إلى مراحل يمسك بعضها بعضا .

وعلى غير عادة المؤلفين بدأ بحثه دون تمهيد للموضوع بتقديم كاشف يأنس به القارىء قبل رحلته مع الكتاب .

والجزأ الأول يتناول بالبحث :

معنى العمل وتعريف العامل - فضل العمل - شبهات حول بعض الحرف - العمل الحرام.

وفى معنى العمل وتعريف العامل جعل قاعدة بحثه الرجوع إلى مدلول كلمة « العمل » فى اللغة ومدى التقائه بكل من الحرفة والمهنة معتمداً على كتب اللغة وعلى استعمال كلمة « عمل » وبعض مشتقاتها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وانتهى به المسير إلى « أن بعض مفسرى الحديث النبوى لم يروا بأسا بأن يمتد لفظ العامل حتى يشمل الخليفة وهو رأس الدولة الإسلامية . فبهذا فسر ابن حجر والقسطلانى والنووى كلمة عامل فى قوله عليه السلام « ما تركت بعد نفقة عيالى ومئونة عاملى صدقة » إذ قال القسطلانى أراد بعامله القيم على الأرض .. أو الخليفة بعده ، وقال ابن حجر « المراد بالعامل فى هذا الحديث القيم على الأرض والأجير ونحوهما أو الخليفة بعده ، وقال النووى « هو القائم على الصدقات والناظر فيها وقيل كل عامل للمسلمين من خليفة وغيره لأنه عامل النبى ونائبه فى أمته » .

وابتدأ الفصل الثانى الذى عقده لبيان فضل العمل فى الإسلام بتوضيح نظرة الإسلام إلى العمل ومدى اختلافها عما كان سائدا قبل الإسلام حيث كانت الأنفة من بعض الحرف والمهن حتى أشرق الإسلام

بنوره فرد النفوس إلى طبيعتها وسما بالعمل إلى مستوى رفيع إذ جعله لونا من ألوان العبادة يتقرب به العامل إلى ربه على ركيزة النية الصادقة ، وقدم بين يدى عرضه طائفة من النصوص الموجهة والأعمال المؤكدة للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وقد تطلبت طبيعة الموضوع أن تتصل سياسة الإسلام فى الحث على العمل بالنهى عن المسألة فأورد بعض نصوص الأحاديث التى تنهى مشددا عن المسأله .

وامتد الحديث إلى أن دعوة الاسلام إلى التوكل لا تتنافى مع الحث على العمل وإنما تعنى الجمع بين العمل وبين الثقة فى الله سبحانه وتعالى بحيث يقبل العامل على العمل من تجارة وزراعة وغير ذلك مما يحتمل الكسب والخسارة وهو يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الرازق الذى لا يتخلى عن عباده .

وأعتقد أن المجال كان متطلعا إلى تجلية الآثار النفسية المترتبة على الاستجابة إلى دعوة الاسلام إلى التوكل إيجابا وسلبا .

كما أنه كان من المفيد أن يتناول المؤلف فى هذا المجال مفهوم التواكل وموقف الاسلام منه حتى تبدو الصورة مكتملة المعالم .

وختم المؤلف الفصل بقوله « إنه لم ترد أحاديث فى تفضيل حرفة على سائر الحرف إنما فضل الاسلام عمل اليد فحسب « ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » وهذا التفضيل لا يعنى أن حرفة تتميز على حرفة وإنما يعنى كما قال ابن حجر : إن ما باشره الشخص بنفسه أفضل مما باشره بغيره ؛ ومع هذا فربما جاز لنا أن نقول : إن الأعمال - فى نظر الاسلام - متفاضلة لأن روح الاسلام التى تقدر العلم وترفع قدر العلماء ما كانت لتسوى قط بين من يعمل بعقله ويده ومن يعمل بيده وحدها ، أو بين من يطبق العلم على العمل ومن ليس له من العلم والخبرة شىء . وعلى هذا الأساس يجوز أن يفضل العمل التجارى عملا زراعيا أو يفضل العمل الصناعى عملا تجارياً » .

وكان أولى أن يقدم المؤلف الأساس الذى تقوم عليه نظرة الإسلام إلى تفاضل الأعمال فى شكل قاعدة .

ويبدو فى تقديرى أن الأعمال لا تكتسب أفضليتها من ذات العمل ونوعه وإنما تكتسبها من قيمة الطاقة المبذولة فيه والأثر المترتب عليه ومدى نفعه فى الحياة .

وفى الفصل الثالث عالج «شبهات حول بعض الحرف ، أثارتها نصوص واردة فوجه النصوص توجيها سليما يتفق وروح الإسلام ومعطيات العقل معتمداً على مراجع ذات قيمة .

وإن كان موقفه فى « الحجامة » يخالف الخطة التى انتهجها حين أراد أن يوفق بين الأحاديث التى تبيح كسبها والتى تحرمه أو تكرهه إذ قال :

فأما ما ذهب إليه ابن الجوزى من أن الحجامة إنما كرهت لأنها من الأشياء التى تجب على المسلم للمسلم إعانته بها عند الاحتياج فما كان ينبغى أن يأخذ على ذلك أجرا ، فهو قول غير صحيح لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أحل لنفر من المسلمين أخذ الأجر على شفاء لديغ . وشفاء اللديغ كالحجامة وانتشال الغريق من الأمور التى تجب على المسلم للمسلم » .

ورد رأى ابن الجوزى على الأساس الذى ذكره المؤلف يبدو غير مقنع . لأن إباحة الرسول أخذ الأجرة على شفاء اللديغ يمكن أن يحمل فى هدوء وارتياح على أن المعالج كان فى حاجة إلى الأجر ومتفرغا لذلك العمل ويأتيه الأجر دون مسألة أو فرض .

وبذا يبدو ما قدره ابن الجوزى سليما من الناحية المنطقية والإنسانية . إذ تقدم المعالج الخبير تلبية لنداء الضرورة واجب يفرضه الواقع . وقد كانت الحجامة أسلوبا من أساليب العلاج المجدى وقتذاك والمجتمع فى حاجة إليه . واتخاذ العلاج سلعة تجارية عمل غير إنسانى يمكن أن ينسحب عليه وصف التحريم أو الكراهة حسب معطيات المواقف .

وفى الفصل الرابع والأخير من الجزء الأول عرض المؤلف أنواع الكسب الحرام معتمدا على أمهات كتب الحديث والفقه وانتهى به المطاف إلى علاقة الأجرة بالثواب الأخروى مقررا أن أخذ الأجرة على العمل المؤدى لا يذهب بالثواب الأخروى للعامل ما دام لديه من الإخلاص ورقابة الله وإرضائه رصيد .

وقد خصص المؤلف الجزء الثانى من بحثه لما يمكن أن نسميه « سياسة العمل فى الإسلام » فقدم فى الفصل الخامس وأول فصول هذا الجزء موضوع - اختيار العمال فى الإسلام - مسترشدا بالنصوص الواردة التى استخلص منها « ان اختيار العمال فى الإسلام إنما يقوم على الكفاءة من قوة وأمانة فلا المودة ولا القرابة ولا الجاه ولا المال تصلح مسوغا للعمل أو تقدم الضعيف على القوى والخائن على الأمين وفى هذا يقول عمر : « من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

وتناول فى الفصل السادس واجبات العمال وقد أقامها على الخبرة والأمانة وما تمتدان إليه من تجويد وإتقان وبين

مدى مسئولية العامل فى حالة الضرر الذى يلحق العمل الموكول إليه فقال :

يفرق الفقهاء بين الضرر الناشىء عن تقصير أو أهمال أو خيانة لامانة العمل والضرر الناشىء بسبب خارج عن الارادة فالضرر الأول يضمنه العامل والثانى لا يضمنه .

وقد ألحق بالنوع الأول الضرر الناشىء عن قصور فى خبرة العامل بالعمل دون أن يسند ذلك الإلحاق بمتكأ قانونى .

وفى الفصل السابع بين حقوق العمال ولخصها فى حق تيسير العمل معالجة للبطالة ، حق الأجر ومتى وكيف يستوفيه العامل ، تأمين العامل من الأرهاق وكفالته عند العجز وكفالة زوجه وأولاده بعد وفاته . واستتبع ذلك أن يربط المؤلف بين قيمة الكفالة وبين نوع العمل الذى كان يمارس قبل العجز أو الوفاة فقال :

ومن الملاحظ أن كفالة العامل أو سد حاجته عند عجزه عن العمل قد تكون بالرخيص كما تكون بالغالى النفيس فهل تكفل الدولة العمال على اختلاف أقدارهم بمستوى واحد أو تكفلهم بدرجات متفاوتة تفاوت أقدارهم وأقدار المناصب التى كانوا يشغلونها ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل بقوله : وهذه مسألة لم تعرض لها المراجع الإسلامية ولا نجد نصا صريحا بشأنها غير أن العدل الذى أمر به الله يقتضى أن يأخذ كل إنسان بقدر ما أعطى وعليه فلا يجوز أن يعطى من أكلت الدولة شبيبته أو من قدم لها الجليل من الخدمات مثل من لم يعط غير اليسير ولهذا ربما جاز لنا أن نقول إن كفالة الدولة للعمال لا يجوز أن تكون بمستوى واحد . وإنما يجب أن تتفاوت بتفاوت الأعمال التى انجزوها كما وكيفاً .

وهذا بطبيعة الحال لا يمنع الدولة من أن تقرر حدا أدنى لكفالة تضمن حياة طيبة مهما يقل مستوى خدماتهم السابقة .

وختم المؤلف بحثه ببيان العلاقات الإنسانية فى مجال العمل وتوصيات الإسلام التى تدور كلها حول محور الرفق والإحسان ورفع مستوى العامل استنادا إلى النصوص الموجهة والوقائع العملية الشارعة .

وقد كان من الأوفق تيسيرا على القارىء أن يضم الجزأين غلاف واحد . وبخاصة إذا لوحظ أن الجزء الأول استوعب خمسا وسبعين صفحة والثانى مائة وستا وثلاثين صفحة ؟ .

يوسف عبد الهادى الشال

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيى الدين الألوائى

- ١٣ -

كتاب : كنز العمال فى سنن الأقـوال والأفعال للشيــخ
علاء الدين المتقى الهندى ـ المتوفى سنة ٩٧٥ هـ ١٥٦٧م .
(عشرة أجزاء ـ الطبعة الثانية ١٢٦٤ — ١٩٤٥)
حيدر آباد — الهند

(تتمة المقـال السابق)

م — حرف الصاد : وفيه أربعة كتب ، كتاب الصلاة وهو مشتمل على ستة أبواب، وستة عشر فصلا ، وكتاب الصوم ، وفيه بابان وثمانية فصول ، وكتاب الصحبة ، وفيه ثلاثة أبواب : باب فى الترغيب فى الصحبة وآدابها ، وباب فى الترهيب عنهـا ، وباب فى حقوق تترتب على الصحبة من حق الجار وآداب الركوب وعيادة المريض والاستئذان والسلام وآدابه والمصافحة وحق المجالس وغيره وكتاب الصيد .

ن — حرف الضاد : وفيـــه كتاب الضيافة وآدابها .

س — حرف الطاء : وفيه أربعة كتب كتاب الطهارة : وفيه خمسة أبواب ، وأربعة عشر فصلا ، وكتاب الطلاق ، وكتاب الطب (وفيه بيان عن الرقى والطاعون والوباء) . وكتاب الطيرة والفال والعدوى .

ع — حرف الظاء : وفيه كتاب الظهار .

ف — حرف العين : وفيه ثلاثة كتب كتاب العلم وكتاب العارية وكتاب العظمة والقـــدرة .

ص — حرف الغـين : وفيه كتابان : كتاب الغضب وكـتاب الغزوات .

ق — حرف الفاء : وفيه أربعة كتب كتاب الفرائض ، وكتاب الفراسة وكتاب الفضائل وكتاب الفتن .

ر — حرف القاف : وفيه أربعة كتب كتاب القيامـة وهـو مشتمل على أبواب فى عـلاماتها وخروج الدجال ونزول عيسى

عليه السلام وخروج المهـــدى والدابة ويأجوج ومأجوج ونفخ الصور والبعث والميزان والحساب وغيرها من الأمور التى تحدث بعد القيامة ، وكتاب فى القرض والمضاربة ، وكتاب فى القصاص والديات ، وكتاب فى القصص .

ش ــ حرف الكاف: وفيه كتاب الكفالة

ت ــ حرف اللام : وهو مشتمل على أربعة كتب ، وهى : كتاب اللقطة ،وكتاب اللقيط ، وكتاب اللهو واللعب والتغنى ، وكتاب اللعان .

ث ــ حرف الميم : وفيه أربعة كتب : كتاب المزارعة ، وكتاب المعيشة ، وهو يشتمل على أبواب فى آداب الأكل والشرب واللباس والنوم ، وآداب دخول البيت وخروجه وآداب التنعيل والمشى ، وكتاب المواعظ والحكم ، وكتاب الموت ومايتعلق به ، وفيه الأحاديث المتعلقة بسؤال القبر وعذابه وزيارة القبور والتعزية .

خ ــ حرف النون ، وفيه كتاب النكاح، وهو مشتمل على أبواب فى الترغيب فيه وآدابه وأحكامه ، وبيان نساء المحارم وحق الزوج على المرأة وبالعكس ، وكذلك أبواب فى التسمية والكنى والحقيقة والختان وغير ذلك .

ذ ــ حرف الهاء : وفيه كتابان ، كتاب الهبة وكتاب الهجرتين .

ض ــ حرف الواو : وفيه ثلاثة كتب كتاب الوصية وكتاب الوديعة وكتاب الوقف .

ظ ــ حرف الياء : وفيه كتاب اليمين والنذر ، وأخيرا خاتمة فى المتفرقات .

ومن فوائد كتاب « كنز العمال » أنه بمثابة عون كبير للمراجع الفقهية ، فكما ينتفع به علماء الحديث والأصوليون والفقهاء ينتفع به الباحثون فى التشريع الإسلامى ومصادره.

وأن ترتيبه على منوال الأبواب الفقهية قد أغنى الكثير ، من الطالبين والدراسين ، عن مراجعة مراجع كثيرة ، واعترف العلماء بمجهود الشيخ علاء الدين على المتقى، كما صرح هو بنفسه فى مقدمة كتابه نقلا عن السيوطى فى ديباجة جمع الجوامع :

« هذا كتاب شريف حافل ، ولباب منيف رافل ، بجميع الأحاديث الشريفة النبوية كافل قصدت فيه إلى استيعاب الأحاديث النبوية ، ترصدت مفتاحا لأبواب المسانيد العلية ، وأسوق فيه لفظ المصطفى بنصه ، وأطوق كل خاتم بفصه ، وأتبع متن الحديث من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ، ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين » .

محيي الدين الألوائي

أنباء وآراء

ذكرى نزول القرآن

● حضر الرئيس جمال عبد الناصر الحفل الختامى الكبير الذى أقيم بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم فى مسجد الجامع الأزهر .

● وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة إلى العالم الإسلامى بهذه المناسبة التاريخية الشريفة . شرح فيها بعض أسرار القرآن وتعاليم الكتاب الكريم مبيناً واجب المسلمين فى هذه المرحلة الدقيقة .

● احتفــل الأزهر الشريف بمسجد مولانا الإمام الحسين بذكرى نزول القرآن وتحدث فى الحفل السيد حسين الشافعى نائب الرئيس وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

● احتفلت المعاهد الأزهرية فى ليلة السابع والعشرين من رمضان بذكرى نزول القرآن ، وعقدت مسابقات فى حفظ القرآن الكريم ومناقشات فى علوم القرآن .

● أقيمت احتفالات كبرى فى جميع مساجد الجمهورية العربية المتحدة حضرها السادة المحافظون — كل فى محافظته — بوصفهم نوابا عن الرئيس جمال عبد الناصر وقد استمرت هذه الاحتفالات التى اشتركت فيها جميع الهيئات الدينية والشعبية ببرامج ضخمة لمدة عشرة أيام كاملة من ٢٠ رمضان إلى آخر الشهر الكريم .

● أقيمت فى المدة من ٢٠ رمضان إلى آخـــر الشهر معارض للمصاحف الخطية والتاريخية كمصحف سيدنا عثمان ومصحف الإمام جعفر الصادق ومصحف الإمام حسن البصرى رضى الله عنهم .

مجمع البحوث الإسلامية

● يدرس مجمع البحوث الإسلامية فى الوقت الحاضر اعداد تفسير للقرآن الكريم يكون صالحا للترجمة إلى اللغات الأجنبية .

● يدرس مجمع البحوث الإسلامية حالياً فكرة إنشاء رابطة عالمية لخريجى الأزهر الشريف تقوم بمهمتها فى التعريف بالإسلام.

● تتخـذ الإجراءات لشغل مناصب عضوية بمجمع البحوث الإسلامية الخـالية .

آراء :

نشرت مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى رجب سنة ١٣٨٧ هـ مقالا لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى بعنوان ـ رأى جديد فى معنى آية كريمة ـ والآية هى قوله تعالى من سورة يوسف: « ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا ، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى » .

وجاءنا من الأستاذ محمد البربرى الكلمة التالية فى تفسير الآية الكريمة :

« ودخل معه السجن فتيان » .

رآهما يوما مهمومين ، فسألها شأنهما ، قال أحدهما :

« إنى أرانى أعصر خمرا » .
يعصر عنبا . فيئول خمرا ـ وقال الآخر :
« إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه » .

قال المفسرون فى الأول: ... هو صاحب شراب الملك ـ أخذا من قوله سبحانه ـ أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ـ وقال المفسرون فى الثانى : هو صاحب طعام الملك . أخذاً من قوله سبحانه : وأما الآخر فيصلب ، فتأكل الطير من رأسه ـ أى عقابا على خيانته أو إهماله فى تقديم طعام الملك .

ومعنى فتيان . غلامان . قال الأول كلمته . وتبعه الآخر ـ . فهما اثنان ـ فكيف نطقا معا بكلمة « نبئنا بتأويله ـ .. ؟

يمكن أن يجاب . بأن كلامنهما ـ قال نبئنا بتأويله .

ويمكن أن يجاب ـ بأن همهما ـ واهتمامهما جعلاهما ينطقان معا. نبئنا بتأويله . ويتحدان فى القول ـ عبارة وزمنا .

« نبئنا بتأويله » هل المقصود تأويل الرؤيا ـ لو كان لقالا : نبئنا بتأويلها ـ أم أن الكلام على أن الرؤيا بمعنى « الحلم » وهو مذكر ـ فقيل : بتأويله ـ أم المقصود بتأويله ـ أى الكلام الذى حدثاه به ؟

هذا أقرب . وأضمن للمعنى ؛ لأنه لم يحتج إلى تفسير الرؤيا بمعنى الحلم ـ ولأن ما قالوه هو كلام « ولا كلام » أما كونه رؤيا . أو حلما ـ فكلاهما ـ يختلف عن الآخر ـ

ولا اتفاق على واحد منهما ـ وتأويل الضمير. بالـكلام يشملهما ـ فهو أصح . .

والعبارة ـ مؤداها .

قال أحدهما: أرانى ـ رأيت وكأنى أعصر خمرا ـ وقال الآخر: أرانى ـ وكأنى. رأيت أنى أحمل فوق رأسى خبزاً ـ والحال أننا فى ضيافة النوم . وقطعا لم يكن هذا حالنا ـ على وجه الحقيقة .

هذا كلامنا . عما حدث لنا . وهمنا . فنبئنا ـ أخبرنا ـ بتأويله ـ بتأويل كلامنا وما قد يؤول إليه فى عالم الحقيقة .

ولما كان « التأويل » هو إلحاق « معنى » للكلام . لايدل عليه ظاهره ـــ وإنما « يتوسم » منه دلالات ـــ على هـــذا المعنى « المتوسم » الذى سوف يؤول إلى حقيقة .

وهذا التوسم فى ظواهر الأشياء للدلالة . على ما تهدف إليه من خفايا « علم » وترى « إنك من المحسنين » لهـذا العلم . المجيدين له .

فالضمير فى « بتأويله » عائد إلى « الكلام » الذى هو « حال » ما أخبرا به من حال .

وهو « كتوسم » سمات الوجه . وقسماته «وتأويلها » إلى أمور . لا تلبث أن تبين واضحة فى عالم « الواقع والحقيقة » وهو ما يسمونه (بعلم الفراسة) .

* * *

ولما رأى همهما فى صورة من الذكر ـ أشفق بحالها ـ وأراد أن يطمئنهما ـ على أنه سوف « يؤول » لها رؤياهما ـ فى صدق ـ

« لا يأتيكما طعام ترزقانه . إلا نبأتـكما بتأويله قبل أن يأتيكما . ذلـكما مما علمنى ربى» .

إلا أخبرتكما « بتوسمى » فيـه ما عساه أن يكون . من واقع ما علمنى ربى ـ وهبنى ـ من الإحاطة بما يتبع عادة فى السجون من تقديم الطعام ـ فى الأيام .

أى مما علمنى ربى من « التوسم » بمعنى «التوقع» لما عساه أن يكون .

وعلى كل فهو ليس «علم غيب » كما ذهب اليه المفسرون ولـكنه حذق وبراعة يصلان حتى الصدق فى توقع الأمور ويحدث حتى الآن مع كثير من المقربين ولعله السبب الذى أطلق على بعض الناس عبارة من أولياء الله ! .

وبهذا تتحد كلمة « بتأويله » في المعنى في الأولى والثانية وليس كما ذهب إليه المفسرون من تحميل الأولى معنى والثانية معنى آخر : كما ذهبوا في تفسير قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها » من أن « همها » غير همه من غير مبرر ولا ترجيح .

قال « أما أحدكما فيسقي ربه خمرا » .

ويلاحظ ما بين « التوسم » وهو سقي الخمر وما بين الرؤيا ـ أعصر خمرا ـ وربه أي ملكه الذي أمر بسجنه .

قال : « وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه » .

ويلاحظ ما بين التوسم ، وهو أكل الطير من رأسه وما بين الرؤيا أحمل فوق رأسي خبزا فإنه مما يحمل الطير على النزول عليه والأكل ، فالتوسم ، والتوقع ليسا من علم الغيب في شيء والله أعلم ؟

الكلمة الطيبة

أهدى إلينا الشاعر / سيد عبد الرؤوف سيد مفتش اللغة العربية بأسيوط قصيدة بعنوان الكلمة الطيبة يقول فيها :

تجيء شهدا بلسما وقد تكون علقما
كل له منها نصيب قدر ما تكلما
يلقاك هذا غاضبا بها وذاك باسما
كم كلمات قربت عرسا وأخرى مأتما
القبح لفظ موحش والحسن معشوق اللمى
فاختر جميل الكلما ت واجتهد أن تسلما
كن مشرقا بكلمة وابسم ولا تجهما
إني نذرت الصوم عن فحش : أعني صائما

والمجلة ترحب : بالكلمة الطيبة ـ بالفكرة النيرة ـ بالرأي الهادف .

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

concern and sorrow, disablement and laziness, cowardice and avarice, and from falling into debt or under constraint) and Allah will drive away your sorrow aud help you to settle your debt."

ألظوا بياذا الجلال والإ كرام .

"Stick to (Allah the Lord in all majesty and glory.)"

اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم واستغفرك مما تعلم .

"Say, (Lord, confirm me in good, increase me in determination to keep aright, inspire me to render due thanks for Your favours, arouse me to comely worship, and grant me a truthful tongue and a pure heart. I seek Your refuge from the evil of all that You know to be evil, ask You of the good of all that You know to be good, and beg Your pardon for all that You know to be sinful)."

إن وافقت ليلة القدر قولوا : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنى .

"When it is the Night of Qadr, say : (All-forgiving Lord, how it pleases You to pass over sins. Do forgive me my sins, Lord.)

Continued from pag 11

to build a new one for their own. Nor, can one predict that those who move away and try to build a new way of life if they would borrow some cultural elements from outside or they would go back to their past and revive their glory in the past. Nor is it significant whether their glory in the past is real or imaginary. What is really significant to the oppressed is the break with the oppressor in order to relief themselves.

When an individual who is under chronic stress, receives repeated information which indicates that his mazeway does not lead to action which reduces the level of stress, he must choose between maintaining his present mazeway and tolerating the stress, or changing the mazeway in an attempt to reduce the stress. Changing the mazeway involves changing the total Gestalt of his image of self, society and culture, of nature and body, and of ways of actions.(1)

(1) Anthony Wallace, Revitalization Movements", American Anthropologist, Vol. 58, April. 1956, P. 267.

In answer to a Muslim who complained to him of insomnia, the Prophet said :

إذا أويت إلى فراشك فقـل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد أو أن يبغى على أحد . عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . لا إله إلا أنت .

"When you go to bed say, (O Allah, Lord of the seven heavens and all that they shadow, of the earths and all that they bear, of the devils and all that they lead astray : abide by me and protect me from that mischief of all Your Creation lest they should misuse me or do me an ill turn. Mighty are those in Your protection, and exalted is Your praise. You alone are worthy of worship ; there is no other God but You.)"

In answer to a Muslim who complained from thrilling nightmares, the Prophet said :

قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عبـــاده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

'Say, (I seek refuge in Allah's prefect words from His wrath and His punishment, from the mischief of the men He created and from both the promptings and the presence of devils.)"

من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله ولا حـول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : حسبك،هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان .

"Whoever says on leaving home, (In the name of Allah. In Allah I repose trust. Allah alon gives lease to might and power) will be answered, (Well. Guided you shall be, sufficed and protected) and Satan will turn away from him."

دعوة ذى النون فى بطن الحوت ما دعا بها أحد قط إلا استجيب له : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

"There shall be no one who calls on Allah with the prayer of Dhu-n-Nun* from the whale's belly but Allah shall hear him : (There is no other God than You. Glory be to You ; I have done wrong.) "

قل إذا اصـبحت وإذا أمسيت . اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبـــة الدين وقهر الرجال يذهب الله عنك الغم ويقضى الدين .

"Say morning and evening, (Lord, in You I seek refuge from

* *Jonah.*

هلال خير ورشد (٣ مرات) . آمنت بالذى خلقك (٣ مرات)

"A crescent and portent of good and maturity (3 times). I believe in Him who has created you (3 times).

On hearing thunder and thunderbolts

اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تملكنا بعذابك، عافنا قبل ذلك

"Lord, You will not kill us with Your wrath or destroy us with Your torment, but deal us security in advance."

On seeing a cloud in the horizon the Prophet desisted from work. If he happened to be at his devotions he lighted them. And he said:

اللهم إنى أعوذ بك من شرها

"Lord, I seek refuge in You from its evil."

If it rained, however, he said :

اللهم صيبا هنيئا

"Lord, let it be a joyful rainstorm."

On the blowing of the wind

اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به

"Lord, of You I ask the good in it, the best of it and the grace behind its sending; and in You I seek refuge from the evil of it, the evil it carries and the evil behind its sending."

Prophetic Teachings as regards Prayer

من قال إذا أصبح وإذا أمسى : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا كان حقا على الله أن يرضيه

"It is incumbent on Allah to appease him who morning and evening says, (We accept Allah for Lord, Islam for faith, and Muhammad, blessed be he, for Prophet.)"

إذا أويت إلى فراش فقل : اللهم أسلمت نفسى ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك . لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك . آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى الذى أرسلت .

"When You go to bed say, (O Allah, in both trust and awe of You I commit my soul to You, turn my face to you, commend my cause to You and seek to lean upon You. Nowhere but still under You is there escape or shelter from You. I believe in both Your Book that You have revealed and Your Prophet whom You have sent.)"

وهون علينا السفر . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن سوء المنظر فى المال والأهل

"In the name of Allah. Lord, You are the companion on the road and the successor to home. O Allah, shrink for us the way and lighten for us the journey. O Allah, in You I seek refuge from wearisome travel, dismal return and misshapen appearance among property and kins."

In sorrow and distress

لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم

"There is no other God than Allah the Great, the Clement. There is no other God than Allah the Lord of the Glorious Throne. There is no other God than Allah the Lord of heavens the earth and of the Throne of Grace."

يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث

"O Living One and all-subsisting, for Your mercy I cry."

الله الله ربى . لا أشرك به شيئاً

"Allah alone is my Lord. I worship none besides Him."

On eating and drinking

الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين

"Praise be to Allah who has given us food and drink and made us Muslims".

On wearing a new dress

الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى

"Praise be to Allah who has given me clothing both to veil my nakedness and to be an ornament to my appearance.

On entering the mosque

اللهم صل على محمد . ربى اغفر ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك

"Lord, bless Muhammad. O Allah forgive me my sins and admit me to Your mercy."

On leaving the mosque

اللهم صل على محمد . رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك

"Lord, bless Muhammad. O Allah, forgive me my sins and admit me to Your bounty."

On seeing the crescent

اللهم أهله علينا باليمن والأيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله

"Lord, let her be for us an ominous beginning of prosperity and increased faith and a new lease of safety and surrender to You. Allah is my Lord and Yours also (O crescent)."

From the Tradition of the Prophet :

Selected Prayers of the Prophet

By : Soliman Barakat

(Continued from the Previous Issue)

When he awoke in the night he said:

لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمـــدك
استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك . اللهم زدنى
علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتنى . وهب لى
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

"There is no other God than You. Glory be to You, Lord, and praise. Forgive me my sins and have mercy on me. Lord, increase me in knowledge and do not cause my heart to go astray after You have guided me. Grant me mercy from Your presence ; You are the Munificent Giver."

When he got up in the morning

الحمدلله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور

"Praise be to Allah who has given us life after death, and before whom all shall be assembled."

On leaving and returning home

The Prophet used to say, when going out :

بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك
من أن نزل أو نضل أو نظلم او نظلم أو نجهل
أو يجهل علينا

"In the name of Allah. In Allah I repose my trust. Lord, in You we seek refuge lest we should fall, go astray, do wrong or get wornged, or, in ignorance, smite or get smitten."

On his home-comming he saide:

اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج.
بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا
توكلنا

"Lord, bless my entrance and my leaving. In the name of Allah we pass in and in the name of Allah we leave, and in Him we repose trust." Then he invoked peace on the household.

On journeying

The moment he set foot in the stirrup of his mount, the Prophet said :

بسم الله . اللهم أنت الصـــاحب فى السفر
والخليفة فى الأهل . اللهم أزو لنـا الأرض

good job? Can I get a good job if I work hard? Whom do I want to be like? All such questions create a great difficulty in the Negro's life. "Without question, the African slave's loss of his own name — slaves were given new names by the traders or by their new masters - was even more devastating, for in pre-literate society, a man's name is considered an essential part of his personality."(1)

From early childhood, the Negro child is conscious of being Negro, and he knows that he is black, and black means lazy, dirty and poor. His parents, as an ideal, was already spoiled; nor can he find the ideal in his culture because his culture was already smashed, not even his history in America can provide him with a hero with hom he can identify himself, because his history in America was a sad one of slavery and bonds.

Then, what is the answer to this Negro child's dilemma? "It is therefore quite natural," Kardiner and Ovesey point out, "that the Negro ideal should be white. However, accepting the white ideal is a recipe for perpetual self-hatred, frustration, and for trying one's life to unattainable goals. It is a formula for living life on the delusional basis of 'as if.' The acceptance of the white ideal has acted on the Negro as a slow but comulative and fatal psychological poison "(1).

(1) Ibid., P. 84.

It is a dilemma for the American Negro that his life is pervaded by anxiety, fear frustration, poverty, and loss of identity which might lead to hatred of and untrust in others and self. The responses of Negro individuals to segregation show a great deal of variety. Some accept the status quo with the feeling of bitterness and discomfort. Some others hide their anxiety by addiction to dopes and/or alcohol. Some others might be ablc to store their hostility and maintain self-equilibrium; and some others might express their hostility in the way of violence against the majority or against some other minority groups, or more even against themselves. Some others might move away from the segregational situation by attending the "Nation of Islam". However, when people are oppressed and frustrated, no one can predict if they would violate against the oppressor, addict to alcohol, indulge into crimes, or withdraw away from the oppressor's way of life and try

(1) Abram Kardiner and Lionel Ovesey, The Mark of Oppression, Merdian Books, The world Rublishing Conpany, Clevel and New York, 1962, p. 47.

(continued on page 16)

obvious to realize the harmful effect on the Negro's personality when his culture, his family unit and his self-esteem were destroyed. "...The major effects on the Negro slave of being a slave include a loss of his self-esteem, the destruction of his culture, and the forced adoption of foreign, that is, American, culture traits. The unity of the family was destroyed to facilitate the buying and selling of individual slaves. Women assumed the central role in the slave culture"(1).

What dramatizes this effect on the Negro's personality is his strong awareness of being a Negro, which means in other words "inferior". Goodman found out the Negro childrsn become usually, by the age of four, aware of being Negroes; and that awareness of being a Negro is a problem in itself(2). "You live in a city all your life, but you are never home. Maybe that is what it means to be a Negro".(3) This feeling of inferiority is incorporated in the Negro child's mind by the way that white society treats him even more by his parents' failure to exemplify a good character for him to identify himself with.

In the white society "the Negro is judged to be fundamentally incorrigible and he is, therefore, kept in a slum existence which, in its turn, leaves the imprint upon his body and soul which makes it natural for the white man to believe in his inferiority."(1) On the other hand, the Negro parents have failed to help their children solve the problem of identification, for the Negro parents themselves have become to believe that they are actually inferior. The writings of James Baldwin show this problem quite clearly. Baldwin confessed that his father "had had a terrible life. He was defeated long before he died because, at the bottom of his heart, he really believed what white people said about him."(2)

Who am I? What is my name? Do I need to work hard to get a

---

(1) Bertram P. Karon, The Negro Persanality, Springer Publishing Company, INC., New york, 1958, P. 10.

(2) Marry E. Goodman, Race Awareness in Young Children, Cambridge, Adison-Wesley, 1952.

(3) B. P. Karon. op. cit., p. 1.

(1) Gunnar Myrdal, An American Dilemma. Harper and Row Publishers, New York and Evanston, 1944, p. 101.

(2) Charles E. Silberman, Crisis in Black and White, Random House, New York, 1964, p. 71.

The Black Man in America

DR. IBRAHIM M. SHALABY

— II —

The Reaction of Negroes to Segregation

The minority groups in any society have no uniformity in their reactions to segregation. The case of Negroes in the United States is a good example of the variety of responses to segregation. However, George Eaton Simpson and J.Milton Yinger in their book, Racial and Cultural Minorities, subsumed the diversity of reaction to discrimination under three categories: acceptance, aggression and avoidance. Charles E. Lincoln, in his dissertation, The Black Muslims in the United States, used the same categories. In a different way yet still the same, Thomas F. Pettigrew, classifies the diversity of reactions to oppression into: moving toward, against, or away from the oppressor.(1) Organizations such as the National Association for the Advancement of Colored People, Student Non-Violent Co-ordinating Committee, National Urban League and the likes can be classified under the first category. Violators and subversive organizations can be classified under the second category. Under the third category which is "moving away from the oppressor" a movement such as the "Nation of Islam in the United States can be classified. Although these categories are over-simplified; they are still useful as guiding marks in the field of human behavior as reaction to segregation. To be sure, the segregational situations differ widely from place to place, and each individual with his unique biological endowments and his environmental experiences responds to segregation with great differences from others.

The Mark of Oppression upon Negro's Personality

Culture is one fo the basic determining factors of individual personality, for it shapes the individual responses to situations that he encounters. Then it would be quite

(1) Thomas F. Pettigrew, A profile of the Negro American, D. Van Nostrand Company, INC., Prinseton, New Jersey, 1964, p. 27.

Muhammed after Jesus to terminate the line of Prophets. Islam then did not come to pull down past religions but to confirm them and correct any interpolations. It admitted the past function and role of Judeism and Christianity and their respective contributions to human welfare.

This right attitude of the Islamic Call was a strong factor in converting to Islam from Judaism and Christianity many of the Arab tribes. They found in the New Faith, in addition to the right Monotheism, a wonderful system combining all that was essential and general in past religious legislations with much that was new and consonant with human nature.

ISLAM AMONG THE RELIGIONS

Islam is the last of the great religions, those mighty movements which have revolutionized the world and changed the destinies of nations. It is also an all-inclusive religion which contains within itself all religions which went before it. One of its most striking characteristics is that it requires its followers to believe that the great religions that preceded it have been revealed by God. It is a fundamental principle of Islam that a Muslim must also believe in all the prophets who came before the Holy Prophet Muhammed.

There is yet one more characteristic of Islam which gives it a special place among religions. In addition to being the last religion and an all-inclusive religion, it is the perfect expression of the Divine Will. Thus it is the great mission of Islam to bring about the peace in the world by establishing a brotherhood of all the religions together to gathar all the religious truths contained in them, to correct their errors and to separate the true from the false, to preach the eternal verities which had not before been preached on account of the special circumstances of any race of society in the early stages of development, and last of all to meet all the moral and spiritual requirements of an ever-advancing humanity.

ISLAM AS THE GREATEST UNIFYING FORCE

If unification be the true basis of human civilization not of one nation but of humanity as a whole, then Islam is undoubtedly the greatest civilizing force that the world has ever known or is likely to know. Thirteen centuries ago it was Islam that introduced into the world a new idea of the unity of the human race as a whole, not of the unity of this or that nation. It obliterated differences of colour, race, language, geographical sboundrries and even differences of culture.

(to be continued)

his physical desires. This teaches him the lesson that instead of being the slave of his desires, he should be their master. In addition to that fasting has its physical advantages. It exercises a very good effect upon health in general. Medical authorities accept that abstaining from food at times not only greatly assists in curing diseases, but can even prevent their occurence. In addition to its spiritual, moral and physical values, fasting has also a social value. It teaches us that all Muslims are equal in spite of individual financial circumstances.

(4) "Al Hajj" is the performance of pilgrimage to Mecca at least once in a person's lifetime, if he possesses the means. If he does not, it is not as obligatory as the previous duties. The Hajj is not a pilgrimage in the ordinary sense. it is a commemoration of a great event in the spiritual life of Abraham. It is a symbol of the journey of life, and an annual re-enactment of the principles of equality and brotherhood. It is also a "rally" of an international association of co-religionists. There, male and female, the rich and the poor alike, appear in the congregation for worship and in the sacred place of the Kaaba, clothed in a simple white garment. Here the prince and the peasant pray together in the same place and indeed sit in the same ranks. No one has any right of precedence in the House of God. Pilgrimage is a yearly gathering of believers at a certain time every year of all nations, languages and colours, brought together from all parts of the world, to pray in that sacred place towards which their faces are set in every hour of private worship in their distant homes. No stretch of religious genuis could have conceived a better expedient for impressing on the minds of the faithful a sense of their common life and of their brotherhood in the hands of faith. Here in a supreme act of common worship, the Negro of the west coast of Africa meets the Chinese from the eastern coast of Asia. The American and the European each recognizes his brother in Islam from the far east. At the same time throughout the whole Islamic world the hearts of believers are lifted up in sympathy with their more fortunate brethren gathered together in the sacred city, as in their homes they celebrate the festival of "Id-el-Abha".

FAITH IN REVEALED BOOKS

Islam acknowledges the revealed books primarily the Torah and the Gospel. These are stated to have been divinely revealed to Moses and Jesus respectively for the guidance af humanity in part. God sent

When the convert accepts, and learns, the simple teaching of Islam, he is then instructed in the following four duties and creeds, which are the remaining pillars of Islam :

(1) observance of praying five times a day (at dawn, mid-day, mid-afternoon, sunset, and evening). Prayers are a form of worship, the expression both of praise and of supplication. For the believer, prayers provide the opportunity for the glorification of the Giver of all good and of all Mercy of His grace and his Bounty. Islam also enjoins prayers as a means of the moral elevation of man. Very effective, both in winning and retaining, is the ordinance of the daily prayers five times a day. The religion of the Muslim is continually present with him, and in the daily prayer, manifests itself in a solemn and impressive ritual, which cannot leave either the worshipper or the spectator unaffected.

(2) Payment of the legal alms.

Every religion has preached charity. In Islam there is some method or regularity given to this institution. Islam makes charity obligatory and binding upon all Muslims. Here we have a brotherhood into which the rich cannot enter unless he is willing to give part of his possessions for the support of the poor and the needy members of the community. This duty reminds the Muslim that the faithful are brothers. The alms is not imposed upon a man against whom there are debts equal of exceeding the amount of his whole property, nor is due upon the necessaries of life. The amount of this legal alms is 2 ½ per cent of the annual savings inculding the value of ornaments and jewelry.

(3) Fasting for one month in every lunar year. This duty is a piece of standing evidence against the theory that Islam is a religious system that attracts by pondering to the self-indulgence of man. Fasting is obligatory for every Muslim. It is not a suffering, but a discipline for the control of passions and development of spiritual powers by self-denial. During fasting a Muslim is not allowed to eat or drink or use the physical privileges of marriage between dawn and sunset. He must also abstain from vain talk and angry disputes and from luxuries and indulgences of all kinds. Those who are sick or on a hard journey are excused, but must feed the needy or else carry out the obligation later when able to do so.

Fasting has many advantages. It is a moral elevation just as physical exercise strengthens man physically, moral exercise through fasting strengthens the moral side of his life. Through fasting man has to conquer

THE RELIGION OF ISLAM – II

BY

M. ABDEL MONEIM YOUNIS

The Holy Quran says, "There is no compulsion in religion". This trumpets forth loudly the peaceful spirit of Islam. The use of force and compulsion is, then, totally for bidden. There is not even a single verse in the Holy Qur'an which directly or even indirectly encourages the alternative of death or Islam for the non-Muslims.

There is a misconception that Islam was spread by sword. This is absolutely incorrect. There is no verse in the Holy Qur'an which sanctions or encourages aggression. Injunction to take recourse to sword is only for defence.The early Muslims had to fight for the sake of self-preservation. After leaving their homes to save their lives, the merciless enemies followed them. At last, when all peaceful means and treaties had failed, the Muslims were obliged to take to arms. They fought and fought, till there was no danger left, to retard free growth and expansion of Islam. So Islamic wars were entirely defensive because Islam is essential for peace and even in fighting, the aim was nothing but peace

The invasion of European countries by the turks was due to the ambition of certain rulers for mere power. It was not actually on account of spiritual spread of Islam. So, Islam cannot be blamed for the misdeeds of those particular rulers.

ISLAMIC PRINCIPLES

Islam is a religion that is essentially rationalistic, in the widest sense of this term. The definition of rationalism a system that bases religious beliefs on principles furnished by the reason, applies to it exactly. It is true that Prophet Mohamed, who possessed the ardour of faith and the fire of conviction, brought forward his reform as a revelation. The religion he propagated has all the marks of a collection of doctrines founded on the data of reason.

To believers, the Islamic creed is summed up in behalf of the unity of God and in the Mission of His Prophet Mohamed, which is the first pillar of Islam. The simplicity and the clearness of this teaching are certainly among the most obvious forces at work in the religion and the missionary activity of Islam.

provided to teachers and students, particularly in the cloisters of it. Even after the introduction of regular educational institutions, a mosque remained a place of instructions. Learning of the Qur'an by heart and its detailed and comprehensive study formed the starting-point of Islamic learning and the study of the Traditions of the Prophet came next. In principle, therefore, there was not much of a difference between a educational institution and a mosque. The latter served as a school and the teacher was taking his place often beside a pillar with pupils seated in front in a row or semi-circle. It was not unusual for a teacher to live in the mosque itself where a separate room was provided to him.

The early mosques that were established in the newly conqured territories were, likewise, centres of daily, Juma and Id prayers, and of educational, political and social activities, subject to modifications dictated by local conditions. Among the important mosques of the different lands of Islam, which have played a leading role in the spread of Islam and building of a healthy Islamic society, are the Holy mosque of Mecca, the mosque of the Prophet at Madina, the Al-Aqsa mosque, and the mosque of Umar at Jerusalem, Grand mosque at Damascus, the mosques of Amr bin Al-Aas, Al-Azhar and Ibn Tulun at Cairo, the the great mosques at Cordova and at Granada in Spain, the mosques of Isfahan, Shiraz, Bagdad and Constantinople, the early mosques of Indian Sub-continent and Iran, to name only a few. The role of these mosques has been, in the long history, a circle within the sphere of calling to Allah and spreading the message of Islam in its simplicity, equality and purity.

actions throughout the prayer. This absolute obedience to the Imam is the most inperative part of the prayer and the slightest breach of it would expose the defaulter to a charge of inexcusable negligence.

The strictly enforced procedure of the congregation was expected to inculcate in the community a spirit of disciplined behaviour and a high sense of responsibility. Apart from the merit of the divine service and the cultivation of the spirit of community life, the prayer offered the best opportunity for the discussion of the day-to-day affairs of the community. Problems relating to an individual or the community as a whole would come up for review at the gatharing of the residents of a locality or a village five times a day. Almost throughout the history of Islam, as we know from the literary sources, this character of the mosque as a place of divine service and pupblic assembly has more or less remained unchanged.

By the rapid expansion of the Islamic state, the centres of political activities shifted from the mosque and it became a more of a sanctuary; but could not completely cast off its old character and it still continued to be visited for purposes other than that of worship. That is why even after the center of palitical activities shifted from the mosque, it remained to be the nucleus of the religious and social activitils of the community. This multi-purpose character of the mosque was clearly manifested in the history of the glorious mosque of Al-Azhar. It has remained for many canturies as a proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

The educational character of the mosque of Al-Azhar raised it to the position of a most important educational institution in the world, and it has attracted students and research scholars from different countries. The system of education adopted by this mosque since its inception was a complete and natural one. It was the teaching centre of all branches of Islamic studies, Arabic literature and other sciences i. e. geography, astronomy, engineering, mathematics, medicine etc. It is recalled that the most famous University of Al-Azhar was first housed in this mosque more than one thousand years ago.

The mosque could thus become a permanent venue for prayer-house, a educational centre, a community hall and, sometimes, a hostel too for students. It is the mosque in which all facilities of lodging were

early mosque of the Prophet at Madina. Thus, in the early dayes of Islam, the mosques were centres of daily worship of the Muslims, and of the social and political administration. Islam is an exceedingly simple religion and has the minimum of doctrine and ritual. Its central theme is the belief in the Oneness of God and the apostleship of the Prophet. This doctrine of absolute submission to the Almighty and of entire dependence on His grace found expression in the daily prayers and was well reflected in the mosque, or the prayer house of Islam.

The Holy Quran laid down the designation of the mosque as the House of God and its function as a place for the worship of God, in the following verse :

وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . [الجن]

(And verily the mosques are for God only ; hence invoke not anyone else with God therein) 72 : 18. It removed, as it was intended to do, all the barriers of caste, colour, race and nationality. There could be no distinction in the prayer - hall between white and black, high and law, old and young, rich and poor, master and servant. The prayer and the prayer - house have provided a frame - work that has proved capable of binding people of diverse races and cultures into a single brotherhood.

The mosques have always played an important role in the educational life of the Muslims, and the Islamic concepts of equality and brotherhood have found therein the true and complete demonstration. This phenomenon was, to a great extent, due to the true character of the prayer which required adherence to the community. The prayer could be performed anywhere, but it was better if offered in a mosque. A prayer offered in congregation was considered to be far more meritorious then the one offered in private. This stress on the community spirit in Islam, ultimately aiming at the cultivation of the spirit of equality and cooperation in the social life.

The mosque is, in fact, a meeting place of the people of the locality or the village. Here, at the appointed five times in the course of the day they would form a congregation and offer worship, led by a person called 'Imam' (leader), who is supposed not only be better qualified than the rest in learning and wisdom, but would also be known to lead a life of piety and righteousness. All the worshippers, whatever their status in life, would stand shoulder to shoulder in a straight line behind the Imam in one or more rows. They would implisitly obey him as one man in all his

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL-ZAYAT

Shawwâl 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	January 1967

THE MOSQUE IN ISLAMIC SOCIETY

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The mosque ('Masjid' in Arabic) is supposed to provide ultimate fulfilment of the greater human values in the individual character and community spirit, that lies at the root of the Islamic prayer. The Arabic term Masjid literally means a place where one prostrates oneself, before God, or in other words, completely surrenders to Him. Since all places are equal for God and complete resignation and submission unto Him could be shown anywhere, a sanctuary was not considered a fundamental necessity; but prayer in Islam was, however, not intended to be a mere ritual; it was something more.

The prayer (Salat) represented a whole way of life. That is why the mosque of the Prophet at Madina became the place where the Muslims' community life manifested itself in all its nobler aspects. All the important activities affecting their daily life took place in the mosque. Here they assembled for prayer behind the Prophet; here the Prophet delivered his addresses and speeches which contained regulations affecting the religious, social and political life of his followers; here he used to sit and talk to people who came to him; here he received the delegates from other parts of Arabia calling upon him; and here were important matters discussed, cases heard and justice administered.

The general character of the mosque was determined from the

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٦٤١	مضى ربيع القلوب : فهل ترك فيها أثره ؟ للأستاذ أحمد حسن الزيات
٦٤٥	تحية عيد الفطر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
٦٤٧	تحقيق فى قضية مشهورة عن رواية الحديث للأستاذ محمد محمد المدنى
٦٥٣	الحذر والخوف وقاية من سوء العاقبة للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٦٥٧	بين معانى العيد وذكريات شوال للأستاذ حسن جاد
٦٦١	عيد الفطر واحتفال المسلمين به للأستاذ طلعت حسين سليمان
٦٦٦	العالم العربى والمعتدون عليه للدكتور محمد غلاب
٦٧٢	عبرة من التاريخ للأستاذ عبد الحميد المسلوت
٦٧٨	فقيه كبير يعتز بكرامته للدكتور محمد رجب البيومى
٦٨٤	هلال شوال للأستاذ على الجندى
٦٨٨	أباطيل ضاعت بينها الحقائق للدكتور محمد محمد خليفه
٦٩٢	الإمام ابن حزم – ٤ – للأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٦٩٦	ابن فرناس أول رائد للطيران للأستاذ محمد على الطعمى
٧٠٠	خفايا فى زوايا اللغة والأدب – ١ – للأستاذ على السباعى
٧٠٥	الإسلام للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٧١١	الكتب : – شريعة الإسلام العمل والعمال عرض وتعليق الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال
٧١٥	– المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين – ١٣ – للأستاذ محيى الدين الألوائى
٧١٧	أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Mosque in Islamic Society	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — The Religion of Islam II	*M. Abdel Moneim Younis*	5
3 — The Black Man in America II .	*Dr. Ibrahim M. Shalaby*	9
4 — Selected Prayers of the Prophet	*Soliman Barakat*	12

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء التاسع ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ ذو القعدة ١٣٨٧ هـ ـ فبراير سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يا لَعِزَّةِ الإسلام لذلة العُرُوبة !

بقلم : أحمد حسن الزيات

ربنا رب العزة ، وديننا دين القوة ، ورسولنا رسول الجهاد ، وأدبنا أدب الحماسة ، وعلمنا علم الحياة ، وتاريخنا تاريخ البطولة ، وجندنا جند الفتوح ، فمن أين تأتينا الذلة والاستكانة ، ويصيبنا الخور والهزيمة ، ويخالجنا اليأس والقنوط ، وتعترينا أدواء الأمم الحقيرة من تخاذل وتواكل ، ومن تحاسد وتباغض ، ومن خيانة وغش ، ومن اختلاس ورشوة ؟

يأتينا كل هذا متى نسينا الله واتبعنا غير سبيل المؤمنين ، تلك السبيل التى قال فيها الرسول صلوات الله عليه : « تركتكم على الواضحة ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك »

ولقد نسينا الله وزاغت قلوبنا عن نهج رسوله ، فأخذنا التقية وتركنا التقوى ، وعرفنا الأثرة وأنكرنا الإيثار ، واقتضينا الحق ومطلنا الواجب ، وخدمنا الأسرة وأهملنا الأمة ، وعبدنا النفس وكفرنا الناس ، وحفظنا الدنيا وأضعنا الآخرة ، وتحللنا من قيود الدين لننطلق فى الأرض انطلاق السائمة فى المرعى ، تشطح وتنطح وترعى وتنزو لا يوجهها إلا الغريزة ولا يدفعها إلا الشهوة .

أجل ، نسينا أنفسنا حتى غدونا مسلمين من غير إيمان ، وعربا من غير عروبة . ولو بقينا على إسلام محمد وأبى بكر وعمر ، وعلى عروبة خالد وسعد وعمرو ، لما صرنا

من جهلنا بالدين وعجزنا فى الدنيا على أخلاق العبيد ، يطأطأ إشرافهم فلا يندى لهم جبين ، وتنقص أطرافهم فلا يحمى لهم أنف . وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو فيتواكلون تواكل الأخوة دب فيهم الحسد ، وتجمعهم الخطوب فتفرقهم دواعى الهوى والطمع .

إن الله الذى كتب الذلة على بنى إسرائيل جعل العزة له ولرسوله وللمؤمنين . فلو كنا مؤمنين بقرآننا على سماحته وهداه ، كما يؤمن اليهود بتلمودهم على قسوته وضلاله ، لما انقلبت عزتنا ذلة وكثرتنا قلة ، ولما بلغ بنا الهوان أن إسرائيل تطأ بأقدامها النجسة بعض وطننا المقدس فتخرب المدن وتقتل الأبرياء وتستحيى النساء وتشرد الآمنين وتنتهك المساجد وتنهب الأموال وتحتل القدس ، ثم يكون لها فى الأمم المتحدة صوت كصوت الأقوياء ، وفى عالم السياسة رأى كرأى الأعزة . فالعلة إذن لهذا الانقلاب هى ضعف القوة الروحية ، وفقدان التربية الدينية . « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وبركات الله السماوية والأرضية هى خيراته الروحية والمادية من عزة ونصرة وقوة وثروة.

إن البيت المسلم لا يذكر فيه اسم الله ولا تتلى فيه آياته ؛ فالأم لا تقيم الصلاة ، والأب لا يعرف المسجد ، والأولاد لا يجدون القدوة الحسنة فى أبويهم فينشأوا مسلمين باللفظ ملحدين بالمعنى ، لا يخشون الله ، ولا يقرأون القرآن ، ولا يؤدون الشعائر ، ولا يفقهون الدين . فإذا تركوا البيت إلى المدرسة وجدوا قشور الدين وقصور المنهج وضعف المعلم : فالمنهج يجعل للدين حصتين فى الأسبوع ، ولا يجعل له فى الامتحان وزنا فى السنة ، فينصرف التلميذ عن درسه ، لأنه لا يقدم ولا يؤخر فى حساب نجاحه . والمعلم يعلمه على أنه نافلة فى المنهج وصفر فى الامتحان ، فيعرض صوراً للشعائر من غير شعور ، ويلقى سوراً من القرآن من غير إبانة ، ثم لا يجد من علمه ولا من تقواه ما يبعثه فى نفوس الأطفال ليكون عوضاً لهم عما فقدوه فى الأسرة ، فتضعف ثقتهم به وتقل هيبتهم له ، وينتشر عليه أمر النظام فينفق أكثر الحصة فى إسكات المتكلم وإسكان المتحرك وإقرار المضطرب . ثم تساور الطلاب الشكوك وتهاجمهم الشبهات فى الجامعة فلا يجدون من أساتذتهم من يجلوها لهم أو يدفعها عنهم ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، ولأن الدليل الحائر لا يخرج التائه من التيه . لذلك أصبح الإسلام رسما محيلا فى قلوب بعض ، وصورا شوهاء فى أذهان بعض . فالخاصة قنعوا بمظهره ثم جعلوا شرعهم غير شرعه ، ودستورهم غير دستوره ، وقبلتهم غير قبلته . والعامة عبثوا بجوهره فقلبوه

صوفية جاهلة ، لاصلة بين شعوذتها وعباداته، ولا نسبة بين سلبيتها ومعاملاته .

وهؤلاء وأولئك لا يجدون فى أنفسهم معنى الإسلام الصحيح ولا مغزى الإيمان الصادق فيفقدون النور الذى يهدى، والطريق الذى يؤدى ،والغاية التى تجمع ، والقبلة التى توحد . وحينئذ يصبحون كما هم اليوم ضعفاء على العدو أقوياء على الصديق ، يمشون فى أرضهم الغنية وهم جياع ، ويعيشون فى وطنهم العزيز وهم أذلة ، ويبلغ بهم الشتات أن يقف مائة مليون عربى أمام مليونى يهودى وقفة المهزوم يسأل الرحمة، والمظلوم يطلب العدل. ولو كانوا من الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم لصدق فيهم قول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا » ، ولكان لهم حق النصر على من قال وهو أصدق القائلين : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

إن التربية الدينية هى رياضة المجتمع الإسلامى على الرجوع إلى النهج الذى سنه الله فى كتابه، وبينه الرسول فى سنته ، واتبعه الصدر الأول فى سلوكه ، فبلغ بالعرب البداة الجفاة زعامة الدنيا فى السياسة والملك ، وقيادة العالم فى الحضارة والعلم ، وإمامة الدول فى العدالة والحكم ، وريادة الأمم فى الجهاد والتضحية . وهذه الرياضة لا تدرك بخطب المساجد ، ولا عظات المحافل ولا مقالات الصحف ، فقد ملت الآذان هذا الكلام لطول اعتياده وكثرة ترداده وسوء عرضه . إنما تدرك بالأسوة الحسنة فى البيت ، والتنشئة الروحية فى المدرسة ، والحياة الخلقية فى البيئة . والسبيل إلى ذلك كله إعداد الأم التقية ، وتخريج المربى الصالح ، وتهيئة الجو الملائم ، ووضع الحوافز والجوائز لحفظ القرآن . وجعل الدين مادة إجبارية فى الامتحان ، وأخذ الأطفال بعزائم الله منذ الصغر ، والإفادة من الشاشة والمسرح فى تصوير الشمائل المحمدية فى مواقف الإحسان والعدل، وتمثيل الفتوة الإسلامية فى مشاهد الحق والخير ، وتجسيد الخلال العربية فى ميادين الجهاد والمروءة ، وتطهير المجتمع من عوامل الفساد فى الصحافة والإذاعة والكتاب والشارع ، وترغيب النشء فى بيوت الله بالمنظر الحسن والفراش النظيف والدرس المشوق والخطبة البليغة ، وإقامة المعسكرات الخلوية ، يجتمع فيها الشباب للرياضة الروحية، على نحو ما يفعلون فى الرياضة البدنية . وإنشاء منظمة قيادية فى الأزهر تسن منهجا لرعاية العقيدة وتنميتها فى نفوس الطلاب ثم تقوم على تنفيذه فى الأسرة والمدرسة والجامعة . وهذه المنظمة المرجوة ستكون الشكنة المحمدية لجند الله ، أسلحتها المصاحف لا القذائف ، ووسيلتها الحياة لا الموت ، وغايتها التعمير لا التدمير ، وغنيمتها الخير للناس والسلام على الأرض . وإن القائد

الصالح المصلح جمال عبد الناصر قد دعا في ميثاقه وخطبه إلى رجوع الأمة إلى رحاب الله ، وبناء المجتمع على قواعد الدين ، فهو حرى أن يكون من وراء هذه المنظمة ، يؤيدها بالرعاية لتقوم ، ويمدها بالدعاية لتنتشر ، فيضم إلى ثكنات القوة العسكرية ، ثكنة القوة الأزهرية ، ليجمع بين أسلحة المادة وسلاح الروح ، ويوائم بين مادة العلم وروحية الدين ، ويبعث في القلوب الزائغة ما مات فيها من فضائل الإسلام ومناقب العروبة ، ليعود مجتمعنا كما كان في صدر الدعوة حيا بالجهاد ، قويا بالصبر ، نقيا بالفطرة ، متآلفا بالحب، متضامنا بالمروءة، متعاملا بالتقوى ، لا يحقد فيه الفاقد على الواجد ، ولا ينام به الغنى الطافح أو القوى الطامح ملء جفنيه وإخوته في الدين أو النسب، لائذون بملاجىء البؤس ، معذبون في إسار العدو ، لا يجدون الولى الذى ينصر ، ولا السخى الذى يجود .

لقد قطعت التربية المادية بين النفوس وذلك الينبوع الإلهي الذي يفيض على الموات فيحيا ، وعلى الجديب فيخصب ، وعلى الصلب فيلين ، وعلى الخامد فينشط ، وعلى العليل فيصح ، حتى أصبحت من الجفاف تتناكر تناكر الغرباء وتتدابر تدابر العدو، وتتلمس جوانبها المظلمة فلا تجد فيها شعاعا لقول الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ولا أثرا لقول الرسول الكريم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فالابن يعق أباه ، والأخ ينكر أخاه ، والصديق ينافق صديقه، والتاجر يغش زبونه ، والعامل يزيف عمله ، والموظف يقتل ضميره ، والمجتمع الذى يتألف من هذه الرذائل القاتلة لا يقوى وإن كثر عدده ، ولا يغنى وإن توفر مدده ؛ فإن مائة مليون صفر لا تزيد قيمتها على قيمة صفر واحد؛ وإنما فوق الأرض وما تحتها من مال وركاز لا ينفع الشعب إذا لم يكن لله وللوطن .

إن علاج هذه الرذائل بالنظم والقوانين علاج مسكن ، يخفف الألم ولا يحسم الداء . إنما العلاج الناجع هو النور لمن أظلم عليه الليل ، والدليل لمن استبهم أمامه الطريق ، والأمان لمن ساورته مخاوف الحياة . وكل أولئك في كتاب الله الذى أنزله هدى للناس ورحمة ، وجعله للمسلمين رباطا وعدة . وإن هذه المنظمة الأزهرية التي اقترحها إذا أنشئت على الأسس الصحيحة كانت خليقة بأن تبنى للعرب المجتمع المثالى الذى يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير ، فلا تجد فيه متى يكتمل بناؤه ، المخازى التي تقترف في الدواوين ، ولا المآسى التي تمثل في البيوت، ولا المهازل التي تشاهد في الطرق ، ولا المساوىء التي تحدث في التعامل، ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن، ويفرح المؤمنون بنصر الله ؟

أحمد حسن الزيات

احتفال الأزهر بذكرى نزول القرآن الكريم

إلى أمـــة القـــرآن

كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :

فلقد شاء الله سبحانه وهو اللطيف بعباده الخبير بهم أن يجعل لهم دستوراً يضمن لهم به السعادة فى الدنيا والهناءة فى الحياة وحسن العافية فى الآخرة . فكان أن أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ، وهكذا يجئ القرآن وينزله المولى وحيا إلى رسوله منذ أربعة عشر قرنا فيكون حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم .

لقد جاء كتاب الله إلى البشر أجمعين ليبنى قوتهم على الحق ولينشىء عواطفهم على الفضيلة والخير وليجعل الصلة القوية والترابط الفذ فى المجتمع قائما على التعاون على البر والتقوى ، فكان جديراً أن يكون ضياء الحياة ونور الدنيا ومقوم عوجها وسبيل هدايتها لأنه كتاب الحياة المفعمة بالحركة المتجددة على الدهر تلكم الحياة التى تمضى على الصراط المستقيم ما اتبعته وتمسكت به وأخذت بنظمه وتوجيهاته :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا » .

نعم أيها الناس فى أنحاء الدنيا : إن القرآن الكريم هداية الله للحياة ، كلها وآيات القرآن آيات بينات ناطقة ، تعرف الناس بربهم وتتولى إليه قيادهم ، فلئن كانت آيات الله فى الكون صامتة يستنبط الناس منها الفكرة ويأخذون منها العـــبرة ، فهاهى ذى آيات القرآن تبين فى نطق وتوضح فى عمق لتهدى الضال وتأخذ بيد الحائر .

ولقد نزل القرآن الكريم والعالم كله يجهل سبل الخير حيث كان الناس قد غلب عليهم الهوى وتحكمت فيهم الشهوات وتقطعت بينهم الأوصال وبعدوا عن منابع الحق وأصوله فكان لابد من هدى يهديهم ومن كتاب يرشدهم ويأخذ بأيديهم ويسعد الأمم جميعا ما بقيت الدنيا فكان من لطف الله بعباده ورحمة المولى بالبشرية أن بعث الله رسوله

بالهدى ودين الحق وكان أن أوحى إليه الكتاب المبين : « قرآنا عربيا غير ذى عوج » .

والقرآن منذ نزل كان ولا يزال القيم على الإنسانية يخطط لها شئون الحياة كلها فهو يعرض لنا المبادئ الكلية ويأخذ بأيدينا إلى القواعد العامة ويحدد أمامنا الأصول الشاملة ويكلف المولى سبحانه رسوله الأمين أن يبين لنا هذه المبادئ ، وأن يوضح هذه القواعد وأن يفسر هذه الأصول : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

ولقد جعل القرآن الكريم من البشرية جماعة مترابطة متلاحمة متعاطفة بما وفق بينهم من روابط الحب والأخوة الصادقة بدعوته إلى التوحيد فى كل شىء وحفاظا على التآلف المنشود لخير البشرية والناس أجمعين: « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

ومن ثم ينزع القرآن بالناس إلى أفق أعلا وإلى تعامل أسمى إذ يباعد بينهم وبين العنصرية التى تفرق ولا تجمع وتبدد ولا تبقى على خير طالما كان الهوى طريقا والبغى سبيلا .

إن القرن العشرين منذ بدأ وهو يوشك أن يقارب النهاية ما زالت الأمم تتخبط فيه باحثة عن منابت الحرية ومغارسها طالبة لسبل العدل والعمل المستقيم الذى يضمن الخير للناس وهم مع هذا وذاك لا يهتدون إليها سبيلا ولا يعرفون إلا الحياة المستبدة التى لا تقوم إلا على القهر والقوة والغلبة ، والقرآن الكريم هو الثورة البناءة التى تأخذ بيد الناس إلى غايتهم العليا وبيد الإنسانية إلى قمتها المشرقة .

فبالقرآن صلح شأن الإنسانية وعز سلطانها فلقد كان القرآن الكريم صاحب الأثر البناء فى قيام الحضارة الإسلامية التى كانت مصدر الخير فى العالم كله ومصدر الإشعاع للنور على البشرية جمعاء .

هذا هو شأن الحضارة الإسلامية التى استمدت عناصرها ومقوماتها من القرآن فما أجدرنا ونحن نحتفل بهذه الذكرى ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن ما أجدرنا أن نعود إلى الأخذ من منابع الحياة الصافية وأن نعود إلى أصولنا القوية التى أصلحت بها البشرية ، فيوم أن كان القرآن دليل العمل وكان كتاب هذه الحياة فتح المسلمون العقول والقلوب والأعصار ونشروا به حضارة كانت خير حضارة للناس ولذا كانوا جديرين يومذاك بأن يكونوا خير أمة أخرجت للناس : « كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . ما أجدرنا أن نعود إلى كتاب الله فنستهديه العمل ونأخذ منه مصابيح الحياة ونستمد منه ما نضمن به السعادة للفرد وللمجتمع وما يجعلنا دائما نمضى فى طريق العزة بما نأخذ لأنفسنا من أسباب القوة فى الروح وفى المادة فيرهبنا الأعداء وتستقيم لنا الدنيا ، وما أحرانا جميعا ونحن المسلمين والعرب فى أنحاء الدنيا أن نجتمع على قلب رجل واحد مؤتلفين لامختلفين لتكون لنا القوة ومعنا البأس فنحمى بذلك الحق - فتتهاوى أمام هذه المعانى فئات البغى والعدوان وتتساقط إزاءها أهداف الضالين المضلين المدمرين المنحرفين أعداء الإنسانية والدين .

ولا مطمع لنا فى نصر إلا إذا تذرعنا بمبادىء الإيمان الصحيح قولا وعملا وعقيدة وسلوكا وبذا نشق الطريق إلى النصر بعزائم قوية لا يفلها الباطل ولا تزعزعها الأعاصير ولا تؤثر فيها قوى الشر وإن تجمعت وتكاتفت فإن المولى يقول : « يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » .

وثقوا أيها المسلمون جميعا فى أنحاء الأرض أننا ما نضيع أمورنا ولا يضعف شأننا بل ولا نضل طريقنا إلا حين نجعل القرآن على هامش حياتنا ، ولذا فقد كان فرضا علينا واستقامة لحياتنا أن نجعل العمل بالقرآن موضع عنايتنا وأن يكون دستورنا فى أعمالنا وإمامنا فى حياتنا ولنحرص جميعا على أن يكون القرآن أساسا لثقافتنا وحضارتنا وأن نستضىء بنور القرآن وأن نستهديه فى كل شئوننا وأن نجعله رائدنا فى كل حياتنا وأن نمضى معه فى كل أمورنا ويوم يكون هذا سبيلنا يكون الله معنا ويكون الطريق المستقيم طريقنا ومناهجه خطتنا وحينئذ نطمع فى نصر الله ونرجو رحمته وتكون لنا القوة والعزة والكرامة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » . « وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » أيد الله أمتنا وشد أزر قائدنا والذين يعملون من أجل دين الله وهم الذين يقول الله فى شأنهم : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » . « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن مأمون

كلمة
السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم :

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

أيها الناس :

فى هذا اليوم العظيم ، وأنا حاضر إليكم لنحتفل جميعا بهذه المناسبة ، أحسست فى نفسى رهبة ، وما كنت أحس برهبة فى لقاء مع الناس ، رهبة تحدد مسئولية الكلمة ولكن الرهبة - هذه المرة - وصلت إلى مستوى الخشية ، إننى ، هنا ، أقف وأستشعر أن هناك أربعة عشر قرنا تنظر إلينا وتحكم علينا .

إنى أيضا أستشعر رهبة أخرى حينما أقف فى بيت الله إلى جوار الحسين رضى الله عنه وبين علماء أجلاء ، يعلمون من أمر الدين وأمر القرآن أكثر مما أعلم ، وخشية يقف أمامها كل ما ذكرت حينما أتكلم عن القرآن الكريم الذى وصفه الله بقوله : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » ، فاللهم ، يا رب ، اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى ، يفقهوا قولى .

أيها الناس :

ونحن نحتفل بهذه المناسبة التاريخية المقدسة مناسبة مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم العظيم ، تمر البلاد فى شدة هى سنة الحياة ، نزل القرآن الكريم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة وعشرين عاما هى جيل من الزمن بما فيه من حلو ومر ، وشدة ورخاء ، فما كان هذا الرخاء سبباً للغرور ، ولا كانت تلك الشدة سبباًلليأس ، فكل من عندالله ، وهوسبحانه يرسم الطريق لرسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، وهو الأسوة التى نتأسى بها .

فى هذه الذكرى ، أعود إلى ما هز هذا الفؤاد . . . فؤاد هذا الإنسان العظيم حينما نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام وأخذه بشدة جعلته يحس أنه فى مجال علوى أمام حدث كبير ، وهل كان من الهين أن يكون الرسول صلوات الله وسلامه عليه على هذه الموجة المناسبة للاستقبال العظيم الذى يستقبل به دستور البشرية .

إنى أتذكر فى هذه اللحظة يوما من عام

١٩٥٤ كنت فيه بين حجاج بيت الله الحرام أسير بين منى ومكة ، أرى جبلا عظيما أخذ على كل مشاعرى . وجاء اليوم الذى صعدت فيه لكى استوحى من هذا المكان الطاهر الذى كان يتعبد فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . غار حراء وتصورت هذه الأيام التى كان فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يتعبد فيها الليالى الطوال بروح خالصة نقية مناسبة لهذا الاستقبال العظيم حينما جاءه جبريل فقال له : اقرأ : قال ما أنا بقارىء ، قال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .

إن هذا كله يطرح بيننا اليوم ، ونحن فى هذه الشدة وبين الأحداث التى هزتنا هزا عنيفا ، نستشعر ما حدث فى هذه الأيام حينما انتهت المعركة ، وأحس الناس ، أنهم - بعد أن هزمتهم الأحداث ، يريدون أن يعرفوا الطريق واتجهوا جميعا بقلوبهم ونفوسهم إلى الله عز وجل أولا وآخرا .

لقد تجمعت هذه القلوب لتقول : إننا نسير فى المعركة ، وسنجند كل قوانا : اقتصادية كانت أم عسكرية . وتأتى أولا وآخرا القوة الروحية المعنوية . ومن هنا فى مسجد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رحاب الأزهر الشريف نقول للعالم أجمع : إن قوتنا الروحية لا يمكن أن تغلب أبدا . إن الله معنا أولا وآخرا .

أيها الأخوة :

إننا نريد أن نتدبر أمرنا فى ضوء القرآن وكيف يكون السبيل إلى أن نجعل هذا القرآن يبنى أمة صامدة قوية لا تعرف الهزل . إن هذا القرآن الكريم يدعو إلى الرحمة وهى الغرض الأول والأخير من الإسلام ورسالته .

إن الله سبحانه . له سبيله فى تدريب الناس وفى تكوين الفرد ، وفى إعداد المجتمع ليكون جديرا بهذا القرآن وتلك الرسالة ، وحينما يسمينا - سبحانه - مسلمين يريد لكل فرد منا أن يعلن على الملأ فيقول : إننى برىء من كل عبودية إلا لله إننى خليفة الله فى هذه الأرض . . إننى سيد لهذه الأرض . . إننى حر لا يستعبدنى مال ، ولا يستعبدنى هوى ولا جاه ولا سلطان ، ولا يستعبدنى فرد لأنى حر . وهذه هى الحرية بأوسع معانيها .

وعلى المسلم تكاليف ، وعليه عمل طويل فى التربية الإسلامية ليكون جديرا بالإسلام جديرا بالقرآن . جديرا برسوله . جديرا بربه الذى كرمه ومن عليه بنعمة الإسلام .

هذا الذى أعلن إسلامه أو بالأحرى الذى أعلن حريته لابد أن يلتزم بأسلوب الأحرار ، وفى مجال التدريب والتكوين فإن الله يفرض عليه أسلوبا رحيما لينا هادئا فى تكوين الفرد فيفرض عليه الصلاة لتكون صلة بينه وبين ربه . . تؤدى إلى المحبة ، فلا يخطىء فى أى

تصرف من تصرفاته ، بل يشعر أن الله معه وقريب منه . وهذا أسلوب فى التربية لا يسبقه أسلوب ، وبهذا التدريب يكون عبدا ربانيا.

أيها الناس :

يأتى الأمر الثانى من أسلوب التربية للفرد فى الصوم . فالصوم دلالة النصر والصبر لأن الذى لا ينتصر على نفسه لا يكون قادرا على أن ينتصر على عدوه . ولذلك فإن الصوم ليس حرمانا من الطعام والشراب والشهوات ، ولكنه تدريب على الصبر والنصر . وفيه تدريب هو السبيل الوحيد لأن ننتصر على أنفسنا فننتصر على عدونا .

أيها النـاس :

رسالة الإسلام أمانة فى عنق كل مسلم فكلكم ممثلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حمل هذه الرسالة وهذه الأمانة وحين يقول الله سبحانه « وكذلك جعلناكم أمـــة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » نستشعر المسئولية .

أيها الناس :

بعد الصوم تأتى الزكاة . وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه قام محاربا من أجلها ، والإنسان لن يكون نافعا فى مجتمعه إلا إذا كان مشاركا فيه وباذلا له من ذاته . والصوم هو المدخل السلبى لما هو أفضل إيجابية وهو الزكاة « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وفى هذا المجال يتضح الجانب الاجتماعى الخطير للإسلام العظيم .

فلا يتصور الفرد أن الصلاة والصوم وحدهما طريق يؤديه إلى الجنة فهذا إسلام ناقص ما لم يتأيد ويكتمل بجانبه الاجتماعى فيكون المسلم أخا للمسلم وقوة له فإن كانت حرب فكلهم أخوة فى هذه الحرب ، وإن كان جهاد فكلهم أخوة فى هذا الجهاد على اختلاف ديارهم ، وبذلك لا يمكن لقوة أن تفت فى عضد المسلمين أو تنال من العرب الذين يعتبرون — بحق — النواة القوية حاملة القرآن والمتكلمة بلغته ، وإذا عز العرب عز الإسلام .

إننا نعلن هنا فى هذا المسجد أننا إذا أعلينا القرآن ، وتخلقنا بخلق القرآن كنا جديرين بهذه الأمانة ، جديرين بهذه الرسالة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

إن الزكاة مجالها طبقة ليس لها حدود وإنفاق فى سبيل الله ليس له حدود .

وإذا كان — بعد ذلك — هناك مجال لأن تجتمع هذه المجموعات البشرية المؤمنة ففى الحج الأكبر ، إنه قمة المعركة الإسلامية حينما يجتمع المسلمون جميعاً تحت الخيام يسيرون من مكان إلى مكان كالمجاهدين والمحاربين يتحركون فى أوقات الليل والنهار ليشهدوا منافع لهم ، وبذلك يتدرب المسلم خطوة خطوة فيكون عبدا ربانيا .

هذا الاجتماع يعبر عن الرابطة الحقيقية

وأقول لكم :

مهما كان لنا من القوة فلابد للقوة من عقيدة تدفعها ، ولابد للعقيدة من قوة تحميها وبهذا وحده يمكن أن يعود الإسلام إلى مكانته ويعود المسلمون إلى الصدارة بالعلم ، وبالإيثار وبالتضحية وبالعمل الجاد يشعرون أنهم كل لا يتجزأ .

إنني أعتبر الجهاد ركنا سادسا من أركان الإسلام لا يمكن أن ينفصل أبدا. قال تعالى : « كتب عليكم القتال » كما قال : يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .

إنى أتذكر فى هذا الموضع قول الله لرسوله ونبيه وأشرف الخلق : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .

فالطريق ليس سهلا إنه طريق العـــزة والكرامة وله تضحياته والتزاماته ولذلك فإن الثلاثة والعشرين عاما التى مر فيها نزول القرآن آية آية ساعد هذا النزول الذى توالى مع الأحداث ، أن ينفعل الكل انفعالا حقيقيا بآيات القرآن فعاشها أحداثا وعاشها عملا وعاشها جهادا. وكان الإيمان الذى هز الجبال وجعل هذه الزمرة الصادقة تنطلق انطلاق الصاروخ فتمد رقعة الإسلام إلى مئات الأميال وتذهب فى كل موقع وكل مكان وجاءت إلى مصر وقضت على دولة الروم هنا فى الفسطاط هنا عند جامع عمرو . وفى هذا المجال أقول كلمة: إن الفسطاط كلمة إغريقية بمعنى «المعسكر» هى « فسطيطز » وعربها العرب الأول إلى فسطاط وهكذا حينما اندفع الإسلام وتقدم كان يعترف بما هو قائم من لغات وحضارات يأخذ منها ويعطيها، فحين تقدم فى شمال إفريقية وصل إلى « القيروان » وهى كلمه تعنى المعسكر بلغة فارسية ثم امتد بهم الطريق حتى وصلوا « الرباط » وكانت أول كلمة بمعنى المعسكر تستعمل بعد أن قطع المسلمون طريقا طويلا ساروا فيه على ما تعارف به الناس فليسوا بالمعقدين ولا الذين يتحرجون من أن يأخذوا العلم من مكانه حتى يكون هناك عرف جديد يبنى قيما جديدة ولغة جديدة وحضارة جديدة فنكون تبعا لغيرنا كما كنا تبعا لأوربا وللحضارة الحديثة .

نتوجه فى هذه اللحظات المباركة إلى الله عز وجل بقلوب ملؤها الخشوع والإيمان أن يأخذ سبيلنا وأن ينصرنا نصرا مؤزرا وأن يكون لنا سندا وعونا، وأن يرينا الحق حقا لنتبعه والباطل باطلا لنتجنبه .

يارب :

إن هذه أمتك وهؤلاء عبادك وحملة قرآنك فلمن تتركهم !؟ ألا لأعداء أنبيائك وقتلتهم.

يارب :

بهذا اليوم ، وبحق القرآن ، أكرمنا ، كما أكرمت سلفنا ، وخـــذ بيدنا فإنك بالإجابة جدير .

يا أرحم الراحمين ارحمنا وتقبل منا .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

قضيّة السّجع ونظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد العمراوى

— ١ —

قضية السجع فى القرآن الكريم جزء من قضية النظم فيه . وقضية النظم هى قضية إعجاز الأسلوب . فقضية السجع إذن ينبغى أن ينظر فيها فى ضوء إعجاز الأسلوب فى القرآن المجمع على إعجازه من قدامى المفسرين وعلماء البيان وعلماء الكلام إلا من ابتلاه الله بفصاحة أو بفلسفة فقال فيه بالصرفة غرورا كإبراهيم النظام .

والإمام أبو بكر الباقلانى صاحب كتاب إعجاز القرآن الذى قيل قديما أنه لم يكتب فى موضوعه مثله ، قد جمع بين البصر بالكلام والبيان جميعا . فأما أنه من كبار أهل البيان فيشهد له أسلوبه فى كتابه وما ضمنه من قضايا بيانية ونقد . وكونه من كبار علماء الكلام هو الذى حمله على تأليف كتابه ليذود شبهات أهل الشك والإلحاد فى زمنه عن إعجاز القرآن آية الله الباقية . ومعجزة رسوله الخالدة ، حين ذهبت معجزات الأنبياء قبله ولم تثبت يقينا إلا عن طريق القرآن .

وقد أنكر الإمام الباقلانى أن يكون فى القرآن الكريم سجع لأنه رأى السجع قرين التكلف أو يكاد . ورد عليه إنكاره هذا وشدد عليه النكير الدكتور عبد الرءوف مخلوف فى مقالات ثلاث (١) لم يحاكمه فيها إلى تعريف السجع عند أهل عصر الباقلانى ولكن إلى تعريف محدث استنبطه الأستاذ على الجندى ، لو اتخذ معيارا لمسجوع الكلام لكان القرآن الكريم سجعا أكثره حتى سوره الطوال كالبقرة ــ أطول سوره ــ يصبح أكثرها سجعا ، وهذا لم يقل به أحد من قبل.

فالتعريف الوارد فى المقال الأول قد اكتفى فى تحقيق السجع باتحاد الروى فى العبارتين وإن اختلف الوزن ، أو باتحاد الوزن وإن اختلف الروى . أما الاتحاد فيهما معا فإنه يحقق السجع فيهما من باب أولى .

هذا التعريف قد خالف ما اصطلح علماء البيان عليه فى السجع . فهم لا يسمون سجعا ما اختلف رويه واتحد وزنه . وإنما يسمونه ازدواجا . وما اتحد رويه واختلف وزنه يعيبونه بقدر ما بين الوزنين من اختلاف .

(١) نشرت فى أعداد شوال ١٣٨٦ وجمادى الأولى ورجب ١٣٨٧ .

لكن الاقتصار على اتحاد الروى من غير نظر إلى ما بين العبارتين من اختلاف فى الطول يدخل فى السجع ما لا يمكن أن يكون منه ، لا فى العرف الجارى قبل هـذا التعريف المستحدث ، ولا فى الذوق الأدبى الذى نشأ على مراعاة الروى وتقارب معقول بين العبارتين فى الطول ، بل إن الشيخ حسين المرصفى حين عرف السجع فى الجزء الثانى من كتابه الممتع الوسيلة الأدبية اشترط الروى والوزن جميعا كالباقلانى ، وعد الاختلاف فى الوزن عيبا فى السجع يكون إذا قصرت ثانية العبارتين عن أولاهما أكبر منه إذا طالت عنها .

فما كان يراه الباقلانى فى القرن الرابع الهجرى لم يكن رأيا خاصا به بل كان عرفا استمر فيما يبدو حتى القرن الثالث عشر عصر الشيخ المرصفى .

فليس الباقلانى إذن هو الذى ضيق تعريف السجع لينفيه عن القرآن ، وليس هناك فائدة جديدة تجتنى من توسيع التعريف حتى يكاد يشمل أكثر النثر الفنى أو يشمل على أى حال أكثر القرآن الكريم ، بل هـذا التوسع فى التعريف يذهب بالضابط الذى كان معتبراً إلى اليوم فى تمييز السجع من غيره كالازدواج ، والفن كالعلم يكون أرقى كلما كانت وسائل التمييز فيه أكثر وأدق .

والإمام الباقلانى حين أنكر وجود السجع فى القرآن أراد أن ينزه القرآن عن عيب كثيراً ما يكون فى الكلام المسجوع ، ألا وهو التكلف وإخضاع المعنى للصيغة إذا لم يتيسر التعبير عن المعنى المراد بسجع يجىء عفو الخاطر .

فالسجاع كثيراً ما يضطر إلى تحوير معناه ليلائم السجعة المواتية ، كالشاعر الذى إذا لم يطاوعه الوزن أو القافية فى التعبير عن معناه عدل المعنى ليلائم الوزن أو القافية عنده ، وإذا كان هـذا معروفا فى السجع والشعر ، وقد برأ الله القرآن من الشعر - لا القرآن نفسه بنفسه كما يقول الدكتور - لقد أراد الإمام الباقلانى أن يبرىء القرآن أيضا من مظنة التكلف أن تخطر على بال مسلم ناشىء أو غير ناشىء شاد أو غير شاد فى الأدب .

فخاطر كهذا قد يكون ثغرة يدخل منها الشيطان على المسلم يشككه فى قرآنه أن يكون سلم من التحريف ، إن لم يكن وسيلة لتشكيكه فيه أنه من عند الله . وأسرار القرآن فى الأسلوب وفى المعنى هى من الكثرة بحيث لا بد أن يخفى بعضها على أى إنسان مهما تعمق فى الأدب أو فى العلم أو فى الفقه .

والشيطان من وراء الإنسان يحرك فيه الغرور والاعتزاز بنفسه الأدبية أو عقله الأديب ، ويوحى إليه أنه قادر على مثل

القرآن فى بعض آيه أو قصار سوره ، فإن لم يكن فهو قادر على التعبير عن معنى الآية بسجع خلا من التكلف الذى توهمه فيها . فإن لم يكن واعتقد فيها ما ينبغى للقرآن من التنزيه عن العيب ، قامت الشبهة حياله تكدر عليه اطمئنانه الدينى حتى تزول .

وقد عرفت شيخا متأدبا كان متصلا بالرافعى رحمه الله قام التعريف الاصطلاحى للرسول والنبى يثير شبهة فى نفسه من ناحية قوله تعالى فى سورة مريم (واذكر فى الكتاب موسى ، إنه كان مخلصا ، وكان رسولا نبياً) . (واذكر فى الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبياً) . كيف جمع الله الوصفين لموسى وإسماعيل عليهما السلام وأحد الوصفين مستلزم الآخر؟ إن الرسول نبى حسب التعريف الكلامى للرسول ، فما الحاجة إلى الوصف بالنبوة ، وهو داخل فى الوصف بالرسالة ؟ أى أن الشيطان قام يوسوس إليه أن الكلمة (نبيا) فى الآيتين الكريمتين إن هى إلا حشو ! وأظن الرافعى رحمه الله علل حكمتها بأنها من باب التوكيد ، وأذكر أن جوابه لم يزل الشبهة من نفس صاحبها فكتب إلى (الرسالة) فى عهدها الأول ، فى باب بريدها الأدبى ، يستغيث من نزغ كان يكفى فى درء شره عنه أن يلجأ إلى أصل تنزيه القرآن عن كل نقص وعيب ، فيتنبه إلى أن الكلمة الكريمة لا يمكن أن تكون حشوا إذ القرآن منزه عن الحشو وعن الحرف الزائد ، فكل كلمة وكل حرف فيه لمعنى ولحكمة ، وإلا لما كان معجزاً فى جملته وتفصيله ، وإذن فلابد هناك من حكمة فى جمع الله سبحانه الوصفين متتابعين لرسوليه موسى وإسماعيل ، وإن لم يتبينها هو ولم يقنعه فيها جواب الرافعى ، ولعله لو كان فعل ذلك كان ينتبه إلى أن الشبهة نشأت عن تعريف اصطلاحى لم يرد لا فى اللغة ولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن النبوة فى اللغة أصلها الإنباء ، وفى الدين أصلها الإنباء بالغيب عن الله ، ومنه القراءة المتواترة (وجعلنى نبيئا) فى الآية (٣٠)من سورة مريم ، ومنه قوله تعالى عن سيدنا عيسى أيضاً «وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم » .

وإذن فالنبى هو الذى يطلعه الله على ماشاء من الغيب الذى لا يعلمه إلا هو سبحانه ، وهى صفة لا تتوافر فى كل رسول ، وإذن فالنبى فى اللغة وفى الشرع غير الرسول . كل منهما يوحى إليه لكن الموحى به يختلف فالرسول يوحى إليه شرع يبلغه للناس ، والنبى يوحى إليه بأنباء من الغيب قد يبلغها أولا يبلغها للناس وكثيراً ما يوحى إليه أيضا بإحياء دين جاء به رسول سبق ، كأنبياء بنى إسرائيل من

بعد موسى ، لكنه على كل حال يتميز بخبر غيب يوحى إليه فإذا جمع للرسول بين الرسالة والإنباء بالغيب كان رسولا نبيا .

فانظر كيف تعرض الشبهة للمسلم من المعنى الاصطلاحى كما فى هذا المثل ، أو من الواقع الغالب كما فى واقع التكلف فى السجع فى العصر الذى عاش فيه الباقلانى إلى القرن الذى نعيش فيه ، حتى لقد أدت كثرة التكلف فى سجع أول هذا القرن وآخر القرن قبله إلى غلبة استرزال السجع والتنفير منه حتى لا تكاد تطلع على شىء منه فى أدب الكاتبين اليوم ، اللهم إلا من قلم محسن مجيد يتوقى تكلفه بحسن بصره بمواقع الكلم .

فالطريقة المثلى لتزييف تعريف السجع الذى أورده الإمام الباقلانى وبنى عليه نفى السجع عن القرآن ليست محاولة إحلال تعريف مستحدث محله ، وإدخال البلبلة بذلك فى ضوابط الأدب العربى ، ولكن هى إثبات أنه تعريف خاص بالباقلانى لا بعصره . فلو أن الدكتور الفاضل استطاع أن يثبت أن السجع عند أدباء القرن الهجرى الرابع لم يكن كما عرفه الباقلانى ، أو أنه خلا من التكلف فى ذلك العصر فلم يكن للباقلانى أن يتخوف أو يخشى الشبهة من ناحيته على القرآن ، لكان قد ذهب بالمبرر الذى من أجله رأى الباقلانى أن يحل مقام القرآن عن أسلوب يكثر من أصحابه التكلف فيظن ظان أن القرآن فيه من تكلف السجع شىء . حتى الدكتور الفاضل كاد ينسب تكلف السجع للقرآن ، إن لم يكن نسبه إليه فعلا ، حين يقول فى مقاله الثالث إن القرآن (يلجأ إلى الأسجاع ويعمد إليها ويقصدها قصدا حتى ليترك مألوف الاستعمالات اللغوية وكثيرها إلى نادرها . ومن ذلك أن يفرد ما حقه الجمع ، أو يجمع ما أولى به الإفراد ، أو يؤخر ما من شأنه أن يتقدم ، أو يؤثر تقديم ما الأصل فيه أن يتأخر ، أو يؤخر ما لم يكن ثمة مانع من أن يتقدم ، ليتحقق بذلك الصنيع التناغم الصوتى المتماثل فى رءوس الآى . ويكون من وراء ذلك كله إضافة عنصر من عناصر الفن اللغوى إلى ما تضمنه النص من دلالة . ذلك — فيما نرى (أى فيما يرى الدكتور) — تعليل لبعض ما جاء فى القرآن الكريم من عدول عن الأشهر إلى المشهور ، وعن كثير الاستعمال إلى القليل وإلى النادر) !

هذا بالضبط هو ما أراد الإمام الباقلانى أن يجنب المسلم أن يظنه بالقرآن . لقد ضن رضى الله عنه بمقام القرآن أن يظن به تكلف السجع ، فكيف به لو اطلع على دعوى مخالفة القرآن ما هو أصل فى اللغة إلى ما هو شاذ ، فيفرد ما حقه الجمع ، أو يجمع

ما الإفراد أولى به ، إلى آخر هذا الذى نسبه الدكتور إلى القرآن يعمد إليه ويقصد ! كأنه قد غفل عن أن المتكلم فى القرآن هو الحق سبحانه ، فكل ما فى القرآن مراد بالبداهة لله عز وجل ، وليس هناك قصد وعمد إلى قول دون قول أو أمر دون أمر . والذى يقوله الحق سبحانه فى كتابه العزيز هو الأصل فى اللغة وهو المرجع ، لا ما يقوله الفراء وأبو البقاء ، أو يتقوله مستشرق مثل بركلمان .

إن القرآن هو الحجة على علماء العربية وعلى غيرهم ، وهو الحكم ، فإذا هم قصر بهم علمهم أو فهمهم عن إدراك حكمة الله فيما أنزل أو عبر فى كتابه من حيث المعنى وأسلوب التعبير عنه ، فالعيب عيبهم ، والخطأ خطؤهم وحسابهم على الله حين قالوا فى كتابه بالرأى ولم يهتدوا بما وصف الله به كتابه ، وبما أثنى به عليه ، الله سبحانه بقوله « والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » ، وهم يقولون إنه عدل عما هو الأصل فى العربية إلى غيره ، كأنهم أعلم بالعربية وأقدر عليها منه سبحانه !

الله سبحانه يقول « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وهؤلاء ومن لف لفهم يقولون ما يستتبع أن كتابه سبحانه غير محكم !

وإلا فكيف يمكن أن يكون تفصيل آيات القرآن قد وقع فى دائرة الإحكام إذا كان قد خالف ما هو أصل فى العربية ، فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم ابتغاء الحفاظ على التناغم أو التوافق بين رءوس الآى ؟ إن هؤلاء قد كشفوا بمثل هذه الأقوال عن أنفسهم أنهم نحاة بحت ، ليس لهم ما لمثل الإمام عبد الظاهر من البصر بالبيان وأساليبه فيدركوا سر التقديم والتأخير والإفراد والجمع وما إلى ذلك فى محكم الآى ومعجز الكتاب .

إذا كان القول بالسجع فى القرآن يجر إلى مثل هذه الأقوال فهو قول ينبغى تجنبه ويكون الإمام الباقلانى على حق فى إنكاره بالحدود التى حددها له . إن الموقف الذى يؤدى بأهله إلى نسبة الشذوذ للقرآن الكريم هو موقف باطل من غير شك ويتحتم رفضه حتى من غير حل ما أشكل عليهم مما سموه شذوذا عن الأصل فى العربية ، إذ يكفى فى رفضه أنه يضاد الأصل الأصيل فى الإسلام أصل إعجاز القرآن ؟ .

محمد أحمد الغمراوى

فى إعجاز القرآن

للأستاذ محمد النادى البدرى

شهد شهر التنزيل حفاوة بالغة بالكتاب المنزل فوق ما اعتاد المسلمون الحفاوة به فى مثل هذا الشهر ، بغية الوقوف على عجائبه ، والتعرف على جوانبه ، والكشف عن نواحى الإعجاز فيه ، وشارك فى العناية ببيان أسرار هذا الإعجاز كثير من المتخصصين فى علوم الدين واللغة والحياة ، فجلوا بالعلم غوامض من عجائب قدرة الله يقوى بها إيمان المؤمن ، ويلين لها قلب الجاحد . وعلى الرغم من ذلك الجهد المشكور ، ومن الجهود السابقة للسالفين من العلماء فإن الحصيلة كانت أشبه بما يحمل المخيط إذا أدخل البحر ، وظل إعجاز القرآن الكريم فوق الإدراك العقلى الذى يهدى البشر إلى فض أسرار هذا الكون .

فقضية إعجاز القرآن الكريم ، وبيان أسرار هذا الإعجاز قد شغلت العلماء الأقدمين فأفرغوا طاقاتهم فى التدليل عليها ، كل حسب ثقافته وعقليته وملكته ونزعته فى فهم أسرار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه ، ومن هذا الاختلاف نشأ اختلاف المنهج فى التدليل على قضية الإعجاز وإن اتفقوا جميعا على أن بلاغة القرآن وفصاحته هى موطن الإعجاز وموضع البحث وذلك لأمرين :

أحدهما : قرب عهد هؤلاء العلماء بتفوق ملكة البيان والولوع باللسان العربى بيئة وزمنا ، وقربى لدى الخلفاء وحظوة .

والآخر : ما حفل به القرآن الكريم من آيات التحدى الصريح لأرباب البلاغة والفصاحة ، ببلاغة الكتاب المبين وروعة بيانه وإحكام نسجه ، ونبل أهدافه ، وسمو مقاصده ، وتبكيت المكابرين والسخرية بعجزهم عن معارضته .

فيقول : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » .

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

ثم يقول : « قل لئن اجتمعت الإنس

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ... » .

كل ذلك تحد صريح ببلاغة القرآن لمشركى العرب من قوم الرسول الذين بلغوا شأوا بعيدا فى مضمار البلاغة والفصاحة وسحر البيان، فهو تحد للملكات وللفطر ، فيما جبلت عليه الفطرة ، وبرعت فيه الملكة .

وينتقل القرآن الكريم بالعرب الفصحاء نقلة أخرى يستثير بها دواعى المعارضة والتحمس لها بآيات التقريع والتبكيت والسخرية فيقول تعظيما لشأن القرآن وتفخيما لأمره : « ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم .. » « ق والقرآن المجيد .. » «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .. » إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين » « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .. » « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله.. » ويمعن فى تبكيتهم ويكشف عن عجزهم فيقول: « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . » « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون .. » « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . » وغير ذلك كثير من الآيات حفزت العلماء قديما وحديثا إلى بيان أوجه الإعجاز فى نطاق هذا التحدى باعتباره الأساس فى التدليل على صدق الرسالة التى جاء بها محمد ابن عبد الله إلى جانب إخباره عن المغيبات ، وقصه لأحوال الأمم السابقة وأخبارهم على لسان رسول أمى ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه .

فتوفر هذه الأسباب ووضوحها وتمكن دواعيها لديهم صرف اهتمامهم إلى العناية بإعجاز هذا القرآن من هذا الجانب .

ولم تختلف نظرة المحدثين إلى الإعجاز البلاغى للقرآن عن نظرة الأقدمين إلا بمقدار ما أضافوا إليها من مستحدثات المعرفة والثقافات الإنسانية والربط بينها وبين النسق القرآنى بمراعاة لوازم العلاقة بين المعنى والوجدان وبين الوحى والبصيرة بما لا تدركه ولا تبلغه بلاغة الإنسان ..

ولقد تجاوز البحث فى أسرار الإعجاز نطاق التذوق البلاغى والتفوق البيانى إلى دائرة البحث العلمى المعملى بفضل التقدم العلمى فى كل ما يتصل بالكون ويحقق حكمة الله فى تسخير ما خلق لخدمة البشر ، فاهتدى الباحثون بإشاراته إلى مواطن البحث فى السموات والأرض والإنسان والحيوان والنبات فانكشف لهم من أسرار الحكمة

الإلهية والقدرة وسعة العلم بأن القرآن تنزيل من حكيم حميد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتلك شهادة من لم يتخذه كتابا ممن لا يدينون بالإسلام ، وذلك ليس استدلالا بشهادتهم على صدقه قدر ما هو استدلال بالقرآن نفسه على شهاداتهم مصداقا لقول الله عز وجل « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وقد عرض المتخصصون في مناسبات الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على إنزال القرآن ثمرات من البحوث والدراسات العلمية التي أرشد إليها الكتاب المعجز منسوبة إلى أصحابها من غير الملة .

وقرأها الناس أو استمعوا إليها وكلها آيات من الإعجاز في الطب وعلوم الطبيعة والحياة تزيدهم إيمانا مع إيمانهم بأن كل ما يشتمل عليه القرآن تنزيل ممن أحسن كل شيء خلقه ، وأحاط بكل ما في الكون علما ، وأن آيات الإيمان به فيما خلق هي آياته فيما أنزل .

والمتتبع لآيات الكتاب الحكيم يلحظ قوة الربط بين الكلام عن الكتاب المنظور الماثل في كل ماخلق الله في السموات والأرض من الإنسان والحيوان والنبات ، والشمس والقمر والنجوم المسخرات ، والرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض وكل ما يعيش بالكائن الحي ويعيش به الكائن الحي . . يلحظ قوة الربط بين هذا الكتاب المنظور وكتاب الله المنزل كما جاء في مفتتح سورة الرعد إذ يقول : المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون . الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ....» إلى آخر الآيات التي تناولت مظاهر القدرة والحكمة وسعة العلم ، مما يشهد بصدق الرسول في دعوى الرسالة ، ووحدانية الله في تصريف هـــذا الملك .

ولسوف يمضي على نزول القرآن الكريم قرون وقرون ، والبحث في أسرار إعجازه على قدم وساق في كل مجال من مجالات الحياة دون أن يستوعب البحث كل جوانب الإعجاز ويظل تألق هذا الإعجاز في صدق وعدالة بحفظه دون أن يلحقه تحريف أو تزييف ، أو يصاب بآفة من آفات التغيير والتبديل ، أو يقع اختلاف بين الناس فيه ، فبعد أربعة عشر قرنا شهدت فيها الأمة تواطؤا صليبيا ضاريا سخر كل طاقاته وإمكانياته لإطفاء نور الله ، وكان القضاء على الإسلام أمنيتهم وهدفهم بالثقافة المدسوسه ، والسياسة الخبيثة ، والقوة الطاغية . ومع ذلك باءت محاولاتهم بالفشل

وظل القرآن هو القرآن ، حتى التزام كيفية أدائه وتلاوته المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ظلت وسوف تظل مظهرا روحانيا من مظاهر الإعجاز تتجلى روعته فى معرفته بالتلاوة فى سمع الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم . ومن هنا يمكن القول بأن القرآن الكريم معجز بما هو به قرآن . أما سر هذا الإعجاز فليبحث عنه الباحثون فى كل مظهر من مظاهر هـذا الوجود . . كلها آيات من أسرار إعجازه .

أما الغاية من هذا الإعجاز فهى التى يجب أن تكون قضية المسلمين الأولى ، وهى قضية الإيمان الصحيح المستلزم للتوفيق بين العلم والعمل ، والإيمان القلبى والواقع الملموس .

ولنسأل أنفسنا : هل يكفى أن نحتفل بالقرآن قولا : نعدد مناقبه ، وننشيد بحفظه ونتغنى بروعته وجماله ، ونباهى ببلاغته وإعجازه ونفخر على الدنيا بأحكام نسجه وسعة علمه . . ؟

إن القرآن كتاب هداية ، ومنهج عمل الإيمان الحق به هو العمل بما جاء فيه ودعا إليه ، وتطبيق أحكامه واتخاذه شرعة وإماما هو الخطوة المخلصة والتكريم الصادق له .

وليس بعد التدليل على أنه من عند الله ، وأنه حجة لرسوله صلى الله عليه وسلم ومعجزة لرسالته . . ليس بعـــد ذلك إلا الإيمان به بالنسبة للجاهـد ، والعمل بمقتضاه بالنسبة للمقصر ، والاهتداء بهديه بالنسبة للمنصرف عنه والمعرض ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

هذه هى الغاية الأصيلة من الحفاوة به بعد أن تحددت أهـدافه ، وعرفت مقاصده ، ووضحت سبيله بعد البحث العقلى المجرد ممن يدينون بالإسلام وممن لا يدينون به ، وقد أكد رسول الله صلى الله عليـه وسلم هذه الأهداف والمقاصد والسبل فيما روى عن على رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله : إن أمتك ستفتتن من بعدك فسأل ـ أو سئل ـ ما المخرج من ذلك ؟ فقال : كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ، ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله ، وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، فيه خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، وهو الذى سمعته الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ، ولا تنقضى عبره ، ولا تفنى عجائبه . . . ولمثل هـــذا فليعمل العاملون ؟

محمد الشاذلى البدرى

من هدى السنة

الحث على تآخي المسلمين وتناصرهم

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما[1]

« الشرح والبيان »

« عبد الله بن عمر » هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى المدنى أحد الأئمة الأعلام ، وأحد السبعة المكثرين من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته ، هاجر مع أبيه وهو ابن عشر سنين فشب وترعرع فى ظل الإسلام .

عرض على النبى صلى الله عليه وسلم بغزوة بدر الكبرى فاستصغره ، ثم بأحد فرده أيضا ثم بالخندق فأجازه وكان سنه يومئذ خمس عشرة سنة كما ثبت فى الصحيح ، وشهد بيعة الرضوان والغزوات بعدها ، وقد أثنى عليه النبى عليه صلوات الله وسلامه ووجهه إلى الازدياد من العبادة فقال : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » فكان لا ينام بعد ذلك من الليل إلا قليلا .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن كثير من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين ، وكان من المتصدرين للفتوى والرواية ، ومن أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره : ينزل حيث نزل ، ويصلى حيث صلى ، ويقف حيث وقف ، وكان كأبيه زاهدا فى الدنيا ولم تفتنه زهرتها توفى سنة ثلاث ، أو أربع ، أو سبع وسبعين عن سبع وثمانين عاما فرضى الله عنه وأرضاه .

« المسلم أخو المسلم » المسلم هو المعتنق لدين الإسلام وهو الدين العام الخالد الذى

---

(١) صحيح البخارى كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ... وصحيح مسلم كتاب الأدب — باب تحريم الظلم .

جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذى يعتبر خاتم الأديان وأكملها وأوفاها ، إن الدين عند الله الإسلام » .

والمراد بالأخوة : الأخوة فى الإسلام ، وهذه الأخوة الدينية فوق الأخوة النسبية ، وسواء فيها الحر والعبد ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والغنى والفقير ، والعربى وغير العربى وعلى هذه الأخوة قام الإسلام ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان أول عمل قام به أنه آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكان عملا أوفى على الغاية فى الحكمة والحنكة السياسية ، فقد كان لهذا العمل الفذ آثاره البعيدة فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، وبهذه الأخوة كانوا يترافقون ، ويتعاونون ، ويتناصرون على الأعداء ، بل وكانوا بها يتوارثون حتى نسخ ذلك فيما بعد لما استقر المسلمون ، وعز الإسلام فصار التوارث بالقرابة قال عز شأنه « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم » (١) ولهذه الأخوة حقوقها المؤكدة وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بعض هذه الحقوق بقوله « لا يظلمه ولا يسلمه » .

الظلم : نقص الحقوق أربابها ، ويطلق على وضع الشىء فى غير موضعه ، فمن حق المسلم على أخيه المسلم أن لا ينتقصه حقه ، ولا ينتهك حرمته فى دين ، أو نفس أو عرض أو مال وفى حجة الوداع صدع النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الحقوق فقال : « فإن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ثم قال : ألا هل بلغت ؟ قلنا نعم ، قال : اللهم اشهد » ، رواه البخارى ومسلم ، وبذلك قرر الإسلام حقوق الإنسان قبل أن يعرف العالم الحديث ذلك ببضعة عشر قرنا .

« ولا يسلمه » بضم الياء ، يقال : أسلم فلان فلانا إذا ألقاه إلى الهلكة ، ولم يحمه من عدوه ، أى لا يسلمه لأعدائه ، أو يدعهم ينكلون به ، بل يجب عليه أن ينصره ولا سيما إذا استنصر به ، ويدفع عنه ظلم الأعداء ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكذلك لا يسلمه فيما ينزل به من غوائل ومصائب وكرب بل عليه أن يساعده ويأخذ بيده حتى ينقذه مما ألم به ، وفى رواية أخرى لمسلم : « ولا يخذله » أى لا يترك نصره ومعونته إذا احتاج إليه وذلك فى كل ما هو حق ، وفيها أيضا « ولا يحقره » فاحتقار المسلم للمسلم حرام ويتنافى مع حقوق هذه الأخوة ، روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال

(١) الأنفال الآية ٧٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا [١] ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاثا - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله ، وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحقوق لأنها الأهم ، فهي رمز إلى وحدة المسلمين وتعاونهم في السراء والضراء ، وبها تكون العزة ، والغلبة على الأعداء ، ولله العزة ولرسوله ، وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » .

« ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » :

هذا حق آخر من حقوق الأخوة الدينية ، فمن سعى في قضاء حاجة أخيه في الله وفي الوطن قضى الله سبحانه له حاجته وهو في معنى قوله في حديث لمسلم « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ، وهو مظهر من مظاهر التعاون على الخير ، وهذه عدة من رسول الله صادقة لا محالة ، ومن أصدق قيلا من الله ورسوله ؟

« ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة » :

الكربة بضم الكاف : الغمة ، والكرب الغم الذي يأخذ بالنفس - كما في القاموس - وكربات بضم الكاف والراء جمع كربة ويجوز فتح الراء ، وسكونها ، والكربة تجمع على كرب أيضا وبها جاءت رواية الإمام مسلم ، والكرب يجمع على كروب .

وهذا حق آخر من حقوق الأخوة وهو مظهر من مظاهر التعاون في الضراء والتكافل بين المسلمين ؛ وسواء أكان تفريجة الكربة بماله ، أو مساعدته ، أو جاهه ، أو أزالها بإشارته ورأيه أو نحو ذلك كإبلاغها لمن يقدر على تفريجها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإن من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدمية على الصراط يوم القيامة » (١) .

« ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » :

وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي : « ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة » وهو أعم من الأول وأشمل وهذا حق آخر من حقوق الأخوة وهو الستر على أخيه المسلم ، وهو أمر مندوب إليه إلا أن الحديث ليس

---

[١] هو أن يزيد في ثمن السلعة ولا رغبة له في شرائها بل ليغر غيره ويخدعه .

(١) أخرجه البيهقي ، والطبراني ، والترمذي في الشمائل النبوية .

على إطلاقه وظاهره ، فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالأذى والإفساد ، وإنما صدر ذلك منه على سبيل الهفوة والزلة . أما المعروف بالإفساد والأذى ، والذى مرن على المعاصى والفسق والفجور ، والاستهتار بالقيم الدينية والخلقية فالمستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولى الأمر ليقيم عليه العقوبة ، لأن الستر على مثل هذا يجرئه على الاسترسال فى الإيذاء والإفساد ، وانتهاك الحرمات . ويجعل غيره يتجاسر على مثل فعله .

وهذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت . أما معصية رآه عليها ، وهو بعد متلبس بها ، فتجب المبادرة إلى إنكارها عليه ، ومنعه منها إن قدر على ذلك امتثالا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم فى صحيحه . وقوله : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعملون ، ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب » رواه الإمام أحمد فى سنده وقد جاءت الأجزية فى الثلاثة من جنس العمل ، وليس فى الحديث مخالفة لقوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » رواه الشيخان لأن التفاوت حاصل بالكيفية ، وشتان ما بين كربة الدنيا وكربة الآخرة ، وما بين ستر العبد على أخيه وستر الله عليه .

وقد تكفل هذا الحديث الشريف بالإفصاح عن بعض الحقوق التى تقتضيها الأخوة فى الله وفى الدين ، وتكفلت الأحاديث الأخرى ببيان غيرها فمن ذلك ما ورد فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس » رواه البخارى ومسلم ، وروى مسلم فى صحيحه بسنده أن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « حق المسلم على المسلم ست . . » فذكر هذه الخمسة زاد « وإذا استنصحك فانصح له » إلى غير ذلك من الحقوق

(وبعد) : فيا أيها المسلمون فى مشارق الأرض هذا هو نبيكم صلوات الله وسلامه عليه يدعوكم إلى هدى من هديه ، ويذكركم بالأخوة الإسلامية التى تميزتم بها عن غيركم من أهل الملل والشعوب ، أخوة لا تنحاز فى زمان ولا مكان ، وإنما هى أخوة عامة شاملة وصدق الله حيث يقول : « إنما المؤمنون إخوة » أخوة جمعت بيننا فى الآلام ، والآمال والمشاعر والأهداف وفى الحديث الصحيح

قال النبي صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم .

ألا ما أشد حاجتنا فى هذا العصر الذى تكالبت علينا فيه عوامل الشر والفساد ، والهدم والتخريب ، إلى أن نكون يدا واحدة وعلى قلب رجل واحد ، وأن نتناصر ونتعاون على الأعداء من إسرائيل ومن وراءها ، حتى نجليهم عن أرض الإسلام والعروبة ، ونعيد الأرض المغتصبة إلى أبنائها الشرعيين الذين شردوا فى الصحارى والقفار ، بينما الصهاينة يتمتعون بخيرات الأرض الطيبة المباركة أرض فلسطين الشهيدة .

يا أيها المسلمون : إن بيت المقدس ثانى مسجد وضع فى الأرض ، وثالث المساجد المشرفة التى تشد إليها الرحال ، وأولى القبلتين ، ومهاجر الأنبياء ، ومسرى خاتم المرسلين يستصرخ بكم ، ويستغيث ، فهلموا إليه خفافا وثقالا ، وشيبا وشبابا حتى تستخلصوه من قبضة السفاحين الأفاكين ، وماذلك على عزيمتكم بعزيز

محمد محمد أبو شهبة

المرء يعرف فى الأنام بفعله
وفعائل الحر الكريم كأصله
لا تستغيب فتستغاب فربما
من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها
مادمت فى جد الكلام وهزله

« الإمام البوصيرى »

أدب ودين :

عاطفة الأبوة
بين جموح الغريزة وقيادة الدين

للأستاذ حسن جاد

عاطفة الأبوة من أقوى العواطف الإنسانية وأنبلها وأسماها . بل لعلها أقواها لشدة اتصالها بالغريزة ، وأسماها لتجردها من الغرض ، وأنبلها لنقائها من الأنانية ، وأبقاها لتعلقها بسر الوجود .

فالأولاد زينة من زينات الحياة ، وشهوة من شهوات الدنيا ، تتعلق بها القلوب ، وتهيم النفوس ، ويفتتن الناس ، يقول الله سبحانه : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة » .

والإسلام - بحكمته الهادية - لا يدع الغرائز والعواطف تعمل عملها المطلق ، وتندفع فى جموحها إلى غاياتها الطليقة ، ومداها البعيد ، حتى تورد أصحابها موارد العطب والهلاك ، وتهوى بهم فى المهاوى السحيقة من العواقب الوخيمة ؛ كما أنه لا يكبت هذه العواطف ، أو يصرف عنها ، أو ينفر منها ؛ ولكنه ينظم عملها ، ويوجه سلوكها ، ويهذب مشاعرها ، ويكبح جماحها ، ويقودها إلى الخير والفلاح ، فى اعتدال بين الإفراط والتفريط ، وقصد بين المغالاة والتقصير .

وكما تجمح هذه العاطفة الأبوية نحو الأبناء عند بعض الناس ، فتندفع فى غلواء الحب إلى أبعد المدى ، حتى تكون فتنة ووبالا ؛ تنحرف أحيانا عن طبيعتها ، حتى تتحجر فى بعض النفوس ، فتستحيل إلى شر عظيم .

لقد تحجرت هذه العاطفة النبيلة فى نفوس الجاهليين ، فكان منهم من يئد البنات خوفا من السبى ، أو خشية من العار ، حتى قال بعضهم :

إنى وإن سيق إلى المهر

أحب أصهارى إلى القبر

ومنهم من وأد المعيبة تشاؤما من عيبها كالكسحاء . ومنهم من قتل أولاده خشية الإنفاق ، وخوفا من الفقر ، لا فرق فى ذلك بين الذكر والأنثى .

ويمتد هذا الانحراف مع الزمن ، حتى نرى شاعراً كإسحاق بن خلف يتحدث عن ابنته ، فيقول :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقاً
والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ
وكنت أبقى عليها من أذى الكلم

فالشاعر هنا تجمح عاطفة الأبوة فى نفسه ، حتى يدفعه حبه الجارف لابنته إلى تمنى موتها خوفا عليها من الذلة والمهانة ؛ حتى إذا استجاب القدر لأمنيته ، ووقع ما تمناه ، أخذ يقول فى بكائها :

قد كنت أخشى عليها أن تقدمنى
إلى الحمام فيبدى وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقنى
يهدا الغيور إذا ما أودت الحرم
للموت عندى أياد لست أنكرها
أحيا سروراً وبى مما أتى ألم

وقد نهى القرآن الكريم عن هذا الاندفاع القاتل ، واليأس الكافر ، والإشفاق المميت . وكان من دقائقه فى التعبير ، ولطائفه فى البيان ، أن قال فى جانب الفقر الواقع فعلا : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » فقدم ذكر الآباء على الأبناء فى ضمان الرزق ، تطمينا لنفوسهم التى تضيق بالفقر الواقع . وقال فى جانب توقعهم نزول الفقر بأبنائهم : « ولا تقتلوا ألاودكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » ، فقد ذكر الأولاد تثبيتاً لأفئدتهم التى تتوجس فقر أولادهم ، وتطمينا لهم على مستقبلهم ، ودفعا لما يتوقعونه من إملاقهم .

وكانت عاطفة الأبوة المشبوبة ـ وما تزال ـ فتنة لكثير من الناس ، توقعهم فى الحرج ، وتصرفهم عن الواجب ، وتشغلهم عن حقوق الله . وتقعد بهم عن الضرب فى مناكب الأرض طلباً للرزق ، أو الخروج للجهاد ابتغاء مرضاة الله .

هذا أبو خالد القنانى يقعد به عن الجهاد ، الخوف على بناته ، حيث يقول

لقد زاد الحياة إلى حبا
بناتى ، إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى
وأن يشربن رنقاً بعد صاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى
وفى الرحمن للضعفاء كاف
أبانا من لنا إن غبت عنا
وصارا لحى بعدك فى اختلاف ؟

وعلى هذا النحو من الافتتان بالأبناء والخوف على البنات ، نجد حطان بن المعلى يقول مع صاحبه ، محققا القول المأثور : « الأولاد مجبنة مبخلة » :

لولا بنيات كزغب القطا
ردِدن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع
فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى من الغمض

وهكذا يجعل ضعف الأولاد وسيلة للزومهن ، والقعود عن السعى ، مع أنه داع ملح للضرب فى الأرض ، واقتحام الصعاب ، وركوب الأهوال ، فى سبيل إسعادهن . كما يقول الشاعر الآخر :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح

وكما جعل إسحق بن خلف وجود البنت سبباً فى حبه للحياة ، ومقاساته للأهوال واقتحامه للدياجى ، التماساً للغنى والمال :

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أقاس الدجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها
فيهتك الستر عن لحم على وضم

والإسلام لا يقر الاندفاع المفضى إلى التواكل ، ولا يرضى عن ذاك الجموح الذى يصد عن طلب الرزق ، أو يثبط عن الواجب ، أو يبطىء عن الجهاد ، أو يفتن المرء فى دينه بإيثاره الأبناء والركون إليهم ، على طاعة الله والاستجابة لأمره ، فيقول الله سبحانه فى كتابه :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

ويحذر من فتنة الاندفاع فى حب الأبناء ، فيقول : « ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ، كما يقول : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » .

وليس يعنى هذا أن الإسلام يصرف عن حب الأبناء ، أو ينفر من عاطفة الأبوة ، أو يريد من الآباء أن يكونوا غلاظ الأكباد قساة القلوب ، إنما يريد ـ كما قلنا ـ تعديل هذه العاطفة وتهذيبها وتوجيهها إلى الخير ، بحيث لا تصرف عن الواجب ، ولا تقود إلى هلاك .

فالإسلام أبر بالطفولة ، وأعطف على البنوة ، وأحنى على الأولاد ، وأرحم بالصغار وأحرص على إشاعة الرحمة والحنان .

إنه يدعو إلى هذا الحب ، ويبارك تلك العاطفة ، ولكنه يعصمها من الفتنة ، ويحميها من الانحراف ، وينأى بها عن التفريط فى الحقوق والواجبات ، ويسمو بها عن الأثرة التى تفقد المؤمن الثقة بالله الذى لا يضيع أحدا من خلقه .

يقول حبيبة البصرى حين خرج للجهاد : (فكرت فى بناتى ، فقلت : لأمسكن عن الخروج الليلة لتفقدهن ، فلما كنت فى جوف الليل ، استسقت بنية لى ، فقالت : يا أبت اسقنى ، فلم أقم ، فلما كانت الثانية ، قامت أخية لها أسن منها ، فسقتها ، فصممت على الخروج ، وعلمت أن الله غير مضيعهن) .

وكما حارب الإسلام وأد البنات ، ونعى عليه وحذر منه ، كما فى قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » ، وكما يقول « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم » نعى على تلك العاطفة الجاهلية التى تؤثر الذكر على الأنثى ، والتى لا تزال إلى اليوم تستبد بكثير من الناس : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون » .

ويقول : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قـــدير » .

وفى ظلال الإسلام الرحيمة عرف الناس حقوق الأولاد على آبائهم ، وما ينبغى لهم من لين الجانب ، ورقة القلب ، وحلاوة الكلمة ، وحسن التلطف ، وإظهار المودة .

ومن شريعته الحكيمة العادلة أدركوا ما يجب لهم من الإنفاق عليهم ، وحسن الرعاية لهم ، وتربيتهم تربية صالحة ، وتنشئتهم تنشئة كريمة .

لقد كان الرسول صلوات الله عليه ، القدوة المثالية ، والأسوة الحسنة ، لسمو الإنسانية المتمثلة فى حبه للأطفال ، وملاطفته للصغار ، ورحمتـه بالأولاد ، ونفوره ممن لا يرحمهم ؛ وفيما رسمه للآباء مما أوجبه عليهم لأبنائهم ، حتى فى اختيار أسمائهم .

يقول عليه السلام : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » .

ويقول فى واجب العناية بأدبهم وحسن تربيتهم : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

ولقد كان من حكمته عليه السلام وإدراكه النفسى الرفيع لأصول التربية السليمة ، ومعرفته بدخائل النفوس وأدوائها ، أن أمر بالعدل بين الأولاد فى الهدايا والمداعبة والحنان والإحسان ، فإن التفاضل بينهم يؤدى إلى التباغض والعقوق : « أعدلوا بين

أبنائكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف ».

أما العطف على الأولاد، وإشعارهم بالمحبة، وإسعادهم بالمودة، وإيناسهم بالكلمة الهاشة، والقبلة الحانية. واللقاء المؤنس، فحسبنا ما يحدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه « قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : تقبلون صبيانكم ؟ فقال الصحابة : نعم، فقالوا : ولكنا والله ما نقبل. فقال الرسول : أو أملك إن كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة ؟ ».

وقبل عليه السلام . الحسن رضى الله عنه وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر الرسول الرحيم، ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم».

وما ورد من حبه للحسن والحسين ومداعبته لهما، واحتماله فى رضا وبشاشة، عبثهما معه حتى وهو فى الصلاة، معروف مشهور.

وبمثل هذا يغرس الإسلام عاطفة الأبوة الجياشة بالحب والحنان فى قلوب الآباء، ويقويها وينميها، ويباركها ويزكيها ؛ على ألا تكون فتنة جامحة، تصد عن الواجب، أو تصرف عن الخير، أو تفتن عن الدين ؛ أو تحول بين الأب وبين ما يتطلبه الإيمان من العمل والسعى، والجهاد فى سبيل الله وفى سبيل الوطن.

إنه حينئذ يردها إلى الاعتدال، ويوجهها إلى الحق والعدل والخير، إنه صمام الأمان لثوران العواطف، وفوارق الغرائز، ونزوات النفوس ؟

حسن جاد

« وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم »

قرآن كريم

سلوك متمرد يكشف القرآن مصدره

للأستاذ محمود محمد شبكه

ليس بين أيدى البشر كتاب أصدق من القرآن الكريم ولا أوثق منه ، وحين يتحدث تطمئن النفس إلى حديثه ، إذ هو التنزيل من الحكيم العليم .

وقد تحدث عن الإنسان فى جانبيه : الجانب المنظور والآخر غير المنظور ، وأقصد بالجانب المنظور ذلك الهيكل المرئى المركب من أمشاج العظم واللحم والدم وما بينها مما يكون جسد الإنسان ، والآخر غير المنظور هو ما يسمى بالنفس تارة وبالروح تارة أخرى

وقد التقى حديث القرآن فى الجانب المنظور بمقدرات العلم التقاء باهرا ومعجزا زاد المؤمنين إيمانا بأن القرآن من عند الله وأفحم المعاندين والمكابرين .

فإذا تحدث فى الجانب غير المنظور اطمأننا إلى حديثه كل الإطمئنان وأخذناه مسلمة من المسلمات ؛ فالقرآن تنزيله والإنسان من خلقه وهو العليم الحكيم .

وكما قال سبحانه فى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ » .

وسلوك الإنسان يتصل إتصالا مباشرا بالجانب غير المنظور باعتباره مصدره ودافعه ومن ثم يكون السلوك تعبيرا صحيحا عن النفس فى ميزان التقويم والتقدير .

ولله المثل الأعلى ؛ فكما يجرى العلماء تجاربهم على ألوان معينة من الحيوانات للاستفادة منها فى خدمة الإنسان ، قدم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم نماذج لقطاع من قطاعات البشر ، شاءت حكمته أن يكون ذلك القطاع صارخا فى جنوحه وانحرافه . . على الرغم مما أفاءه من نعم تترى ، كيما يعتبر الإنسان من هذه النماذج فيأخذ ويدع على انسجام مع تعاليم السماء ومعطيات الحق ، وما يدعو إليه العقل الرشيد لا حسبما يميل به الهوى وتتطلع إليه الشهوات ويمليه دافع التمرد والعناء .

وقطاع البشر الذى يتجسد فيه التمرد والعناد وانحراف السلوك ، أولئك الذين حلت عليهم اللعنة جزاء وفاقا ، فعاشوا جراثيم مشتتة ، تقلق الإنسانية فى مشرق الأرض ومغربها بما ابتدعت من أساليب الإقلاق وبما أوحى به جنوحها من أنانينة ، وليس أصدق من كتاب يكشف عن تلك النفسية ويعريها ليتملى العالمون مساربها ومتجهاتها ، وحتى يكون

رجع ذلك التملى حذرا من تلك النفسية ويقظة من شرورها ، ومحاولة التوقى من أوصابها .

ويقفز إلى ذهنى ، وأنا أسجل هذه الكلمات إجابة أستاذ من أساتذة التاريخ فى جامعة برلين عن سؤال لأحد طلابه عن أكبر غلطة وقع فيها (هتلر) . إذ قال الأستاذ : إن أكبر غلطة وقع فيها (هتلر) هى عدم القضاء على اليهود فى ألمانيا قضاء تاما ! .

وأعود سريعا إلى حديثى فأقول :

إننا باستعراضنا لكتاب الله نعثر على نماذج عارية لتلك النفسية الشقية المضطربة ، والتى تعكس شقوتها واضطرابها على العالم بأسره

وأول ما يطالعنا من تمردهم بالغ الذروة فى الكنود والحماقة أيضا ذلك الموقف الذى وقفوه من سيدنا موسى عليه السلام بعد أن خلصهم من إذلال فرعون الذى أذاقهم ألوان المتاعب والمكاره وأدركهم الله بعنايته وسلك بهم سبيل النجاة . فما إن عبر بهم البحر وزال عنهم الفزع والرعب إذا بهم يطلبون إلى موسى غريبا ! بعد إذ رأوا قوما يعبدون أصناما .

ويحكى القرآن الكريم ذلك الواقع لتلك النفسية المتناقضة الكنود فيقول .

« وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » .

وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام أخذ يفتح عقولهم وأفكارهم بمحسوس الأساليب ، ويسعفه ربه بالآيات البينات ويهيء لهم أسباب العيش الرضى والنعم الوفيرة . . فلم يزدهم ذلك إلا تشبثا بميول مضحكة وذات دلالة أيضاً .

ويقدم القرآن ذلك الموقف العجيب فيقول :

« وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين » .

بعد هذا العرض الوصفى لآيات الله ونعمه على أولئك المشاكسين يعرض موقفهم فيها فيقول : « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج

لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ... » ؟؟ !!

ويتطلعون إلى التماسك تحت لواء الملك ، ويمد الله لهم فى الأمل ويهيء لهم وسائل تحقيقه ، وحين يجد الجد ويأخذ الله عليهم طريق العمل إذا هم ينكصون نكوصا مجللا بعار الجبن الرعديد ، صوره الكريم فى آيات من سورة البقرة تقول :

« ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » .

وتمضى بهم الأيام والأجيال ومعهم عادتهم من الجبن والخور لا تتخلى عنهم ولا يتخلون عنها ، حتى نلتقى بتلك العادة مجسمة يعريها القرآن الكريم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين بعد قرون متطاولة ، فيقول فى حفدتهم :

« لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وظاهرة أخرى واضحة تبدو مميزة لتلك النفسية ، تلك هى شغفهم بالمال وكلبهم عليه ومحاولة الاستكثار منه بشتى الأساليب ومختلف الحيل ، والخبراء الاقتصاديون يرجعون نشأة الربا وابتكاره إلى أولئك الذين تفننوا فى أكله بالباطل .. وفكرة إنشاء البنوك ولدت مع هذه النزعة الخبيثة ، وكانت الهدف منه دون ما اعتبار لقيمة من القيم النظيفة أو رعاية لحرمة من الحرم ، ويصور القرآن هذه الظاهرة فيقول :

« وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون » .

وفى آية أخرى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » .

وجاء تلمودهم الذى وضعوه يرسم منهجهم حيال غيرهم فى التعامل فيظهر بها لايدع مجالا للشك تلك النفسية واتجاهاتها البغيضة .

وتعاليم التلمود كلها توجب على اليهودى أن يستحل فى معاملة غيره كل وسيلة قبيحة كالسرقة والظلم والغش بل والقتل أيضاً ؛ إن قتل الأعمى كما يقول الربانيون منهم قربان إلى الله يرضيه ويثيب عليه ، لأن الأميين[1]

(١) يريدون بالأميين غير اليهود .

أعداء الله واليهود وهم بهائم لاحرمة فى قتلهم بأى وسيلة !! وسرقة اليهودى أخاه حرام، ولكنها جائزة بل واجبة مع الأمى، لأن كل خيرات العالم خلقت لليهود فهى حق لهم عليهم تملكها بأى طريقة .. وإذا انتصر اليهود فى موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن آخرهم ومن يخالف ذلك فقد خالف الشريعة وعصى الله (١)

ثم هم بعد ذلك يحلمون ..!!

يهدفون فى حلمهم إلى السيطرة التامة على مقدرات العالم توطئة للتسلط الباغى المستعبد، ويصرحون بذلك فى البرتوكول الأول إذ ورد فيه صراحة:

لقد أقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من عندنا على أساس بلوتقراطى، ولقد أقمنا الارستقراطية الجديدة على الثروة التى تتسلط عليها وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا، ولقد عاد النصر أيسر فى الواقع، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لاغنى لنا عنهم، كنا دائما نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساسا أى نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع وشرههم ونهمهم، والحاجات المادية للإنسانية، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع - وحده - مستقلا بنفسه أن يحطم طليعة الشعب، وبذلك نضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من قوة طليعته (١)»

ويقصدون بالأساس البلوتقراطى الحكم على أساس الغنى والثروة، فالبلوتقراطية حكومة الأقلية الغنية التى تملك الثروة.

وهم - لاشك - الذين يسيطرون على معظم الثروة وتوجيهها فى مختلف مجالات النشاط حتى مجال الإنتاج الحربى.

كما أنهم يقصدون بالأرستقراطية الطبيعية والوارثية خرافة أنهم شعب الله المختار، تلك التى يعبر عنها القرآن الكريم ويرد عليها بقوله تعالى «وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ..»

هذا السلوك كما صوره القرآن. ثم كما رسمه التلمود منهجا للتعامل يعكس نفسية من طراز غريب، ونطمئن كثيرا إلى وصفها بأنها نفسية اختلطت فيها الحيوانية التى لا تعرف غير لغة الظفر والغاب بلون من ألوان البشرية، فكانت من ذلك المزيج العجيب ..!!

فهل لنا أن نطمئن إلى تعبير القرآن الكريم عن أولئك؟ إذ يقول فيهم فى سورة البقرة الآية ٦٥: «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» وفى سورة المائدة الآية ٦٠ «قل هل أنبئكم

(البقية على ص ٧٥٩)

---

(١) برتوكولات حكماء صهيون للأستاذ خليفه التونسى ص ٥٩، ٦١، ٦٢

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠

نفحات القرآن

الخوف وقاية من الهلاك

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) ذلك يوم مجموع له الناس .

(ب) وذلك يوم مشهود .

آية ١٠٢ هود

سبقت الآية بقول الله تعالى « إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » .

١ — والآن يقول الله تعالى « ذلك يوم مجموع له الناس » وفى هذه الآية مراحل : الأولى : وصف لليوم الآخر الذى جعل الله الإيمان به ، وبما يجرى فيه من حساب ، وجزاء : ركنا من أركان العقيدة الدينية ، فى جميع الشرائع السماوية ، ومن لم يؤمن به فهو الذى لا يخاف عذابه ، ووصفه الآن ، بجمع الناس فيه ، لأنه الموعد المحتوم ، الذى يلتقى فيه بين يدى الله — تعالى — أهل الدنيا جميعا منذ عمرت الأرض بالإنسان إلى أن ينفخ إسرافيل نفخته الأولى ، فيصعق الله كل مخلوق فى الكون : إلا من شاء الله بقاءهم إلى موعد قريب . ثم يصير الكون خرابا كأوله ، ويتردد فيه النداء من جانب الله « لمن الملك اليوم ؟ ؟ . . والجواب كذلك من جانبه تعالى « لله الواحد القهار » فلا سلطان ، ولا أمير ، ولا كبير ولا صغير . ولا غنى ولا فقير . وإنما هو عالم تقوضت معالمه ، وتلاشت ملامح الوجود فيه ، وبقى فيه وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

ثم يأذن الله بالنفخ فى الصور مرة ثانية ، فهب الخلق من أجداثهم ، ومن مواطن استقرارهم ليعرضوا على ربهم ويقرأ كل امرئ كتابه ، ويشهد ميزانه ، ويعرف مآله ، فما يغيب أحد عن هذا الموقف ، ولا يتفرقون بعيدين كما كانوا فى دنياهم مبعثرين هنا وهناك . بل هم فى الموقف على قدم وساق فى ذلك اليوم المجموع له الناس ، بين يدى رب الناس .

٢ — وذلك هو اليوم المشهود الذى يحضره الملائكة ، يحضره الإنس والجن ،

ويحضره كل من درج فى هذه الحياة الدنيا . يحضرونه ويشهدون فيه تصريف الله بين خلقه وسيعلم المكذبين به أن هذا هو اليوم الذى تحدث عنه الرسل ، وأكدوه كأنه حاضر لديه ، وذكروا أهواله كأنها مرسومة بين أيديهم .. فآمن به يومذاك من آمن ، وكفر به من كفر .

أما الآن فقد شهدوه ، واستوى علمهم به . ومهما كان من تطاول الزمن على أهل الدنيا ، فقد انطوى ذلك الزمن . كأنه يوم أو بعض يوم . وإنما أخره الله لحكمة سبق بها قضاؤه ، ولم يعاجل به خلقه حتى حان حينه ، وآذنت حياة الدنيا بالانتهاء وذلك تقدير العزيز العليم .

٣ ــ المرحلة الثانية : شأن الناس وقد ضمهم الميقات المعلوم . . ويقول الله فى ذلك « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » فالناس فى موقف القضاء صامتون فى رهبة شاملة وأهوال مذهلة ، ولكل منهم شأن يغنيه عن أمه ، وأبيه ، وزوجته وبنيه . فلا تتكلم نفس إلا بإذنه .

وهنا تتعارض الآيات الكثيرة فيما تفيده فآيتنا صريحة فى أن الله يأذن لبعض الأنفس بالكلام دون البعض . وآية أخرى تقول : « هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وآية ثالثة تقول « وأقبل بعضهم على بعض ، يتلاومون » يعنى أن الكفار يتبادلون الملامة ويلقى بعضهم تبعة كفره على من كان قرينه وأليفه . وآية رابعة تقول « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » وهكذا مما يفيد أن هناك كلاما . وما يفيد ألا كلام فى الموقف وذلك مثار التوقف عن الفهم الصحيح عند أناس من الناس .

وللعلماء عن هذا جواب أول ــ وهو أن يوم القيامة طويل أو فيه مواقف متعددة .. ففى بعض المواقف لا يؤذن لأحد بالكلام إطلاقا . . وفى بعضها يأذن الله لمن يأذن . . بخصوص الكلام الطيب كشفاعة الشفعاء من عباده لمن يريد الله أن يعفو عنه أو يخفف حسابه من عباده .. وفى بعض المواقف يتيح الكلام لمن يتحسرون على ما فاتهم أو يتلاومون فيما بينهم ، فإن ذلك نفسه نوع من العذاب الذى ينزل بهم .. وعلى هذا الجواب لا يكون فى الآيات تناقض أو لا يتعثر الفهم فى توجيهها .

٤ ــ وللعلماء كذلك جواب : ثان ، هو أن الكلام هناك غير معدوم ، ولكن النفى معناه : عدم فائدته بالنسبة للكفار ، فهم لا ينطقون بكلام يفيدهم .. وكل ما يحصل من الندم ، والاعتذار ، وطلب الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا : لا يفيدهم شيئاً ، لأن الإنذار قد سبق ، والتحذير كان بليغا فى الدنيا ، والحياة كانت محدودة بأجلها المسمى . ولكن لم تغن الآيات والنذر .

فاليوم لا يجديهم كلام ، وكله مهدر ،

وكأنه لم يحصل منهم كلام ، ولا يجدون حميما يواسيهم ، ولا شفيعا يترفق بهم ..

٥ — وبعد هذا الموقف الذى يكون الناس فيه على أشد ما ينتابهم من الرعب والفزع ما عدا الصالحين المقبولين الذين أحسنوا أعمالهم ، فأحسنوا بذلك إلى أنفسهم. وطمأنهم ربهم ، فلم يحزنهم الفزع الأكبر .

نقول : بعد ذلك يبدو التفاوت بين أهل الموقف جميعاً .

وهذا بيان الله فى قوله تعالى « فمنهم شقى .. وسعيد » كانوا فى صعيد واحد .. ولكن المصير قد تميز بينهم حسبما قضى الله فى شأنهم ففريق يستحق النار .. لأنه كان فى دنياه بعيداً عن جانب الله .. وكان فى مسلكه تحت الوعيد بعذاب الله .

وفريق كان فى دنياه على صراط الله . فهو فى مسلكه فى ظلال الوعد الكريم « ففريق فى الجنة .. وفريق فى السعير » .

٦ — ثم يزيدنا الله تفصيلا بشأن كل من الفريقين ، لزيادة الإقناع بما وراء الحساب من جزاء ، وليقف بكل فريق عند مصيره الذى كان يتغافل عنه .. ويبدأ بذكر الأشقياء لأن هذا المقام مقام الزجر ، والإنذار ، والترهيب « فأما الذين شقوا : ففى النار .. لهم فيها زفير أو شهيق » هم فى النار على أوضاع مبتذلة .. وفى كربات مضاعفة ، يتنسمون من الأنفاس شهيقا حارا تضيق به صدورهم .. وزفيرا يخرجونه لهبا من أفواههم فهم فى اختناق .. وهم دائما على ضيق ، وجزع ، وليس لديهم أمل فى نهاية ، وهم خالدون فى النار أبدا كما عرفوا من خلود السماوات ، والأرض فى اعتبارهم أن الدنيا لا تنتهى ولا يفجؤهم فيها موت ، وإذا ماتوا فالدنيا بعدهم خالدة ، ولا بعث هناك ، ولا حساب ، ولا عذاب وزعموا هذا .

ربما كان المراد من هذا الخلود هو خلود السماء والأرض الحادثتين بعد فناء هذه الدار الأولى ، كما يحدثنا الله عن ذلك بقوله تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات يعنى وتبدل السماوات المعهودة من قبل .

٧ — يستثنى الله من هذا الخلود فى النار ما يشاء .. وذلك أن بعض المعذبين فى النار ليسوا كفارا ، وإنما هم من العصاة فى أديانهم السماوية منذ كانت الأديان السماوية قائمة إلى نهايتها فأولئك العصاة إذا لم تكن لهم توبة مقبولة ، ولم يصادفهم عفو كريم ، ويدخلون النار قبل الجنة وبعد خروجهم من النار يدخلون الجنة بفضل الله ، فيكون عذابهم هذا شقاء سابقا ، ولكنه شقاء محدود ، لا يترتب عليه خلودهم فى النار ، والتعبير بالخلود لا يشملهم كما يشمل الكافرين وهؤلاء العصاة من أهل الإيمان : يكون عذابهم فى النار أخف من عذاب الخالدين فيها لأن مبدأ الإيمان يفرق بينهم وبين من لم يؤمنوا

وهذه عـــدالة الله فى خلقه « إن ربك فعال لمـا يريد .

٨ — وأما الفريق الثانى : وهم السعداء الذين عاشوا فى دنياهم على صراط مستقيم فيتحدث الله عنهم بقوله : وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » .

فهذا وعد كريم يسجله الله على نفسه للمؤمنين فيسميهم سعداء ، ويقرر لهم الخلود فى الجنة والخلود كذلك مقدر بالأمد الذى لا نهاية له ، ويضرب الله المثل بخلود السماوات والأرض فى اعتبارنا ظاهر . . ونحن نعتبر الزمن الطويل لكل شىء مقياساعرفياً للخلود فنقول ـ مثلا : لا أفعل كذا ما دامت السموات والأرض. لا أحدث فلانا طول الزمن إلى اليوم الآخر والقصد من ذلك الإعراب عن الاستمرار الطويل .

وهذا الخلود فى الجنة يستثنى الله منه من دخلوا النار سابقا ، فقد فاتهم زمن أول ، وهو زمن وجودهم فى العذاب أولا .

فالخلود بالنسبة للعصاة فى النار منقطع عن آخره ، ودخولهم الجنة متأخرين عن السابقين يعتبر سعادة لهم .

والخلود فى الجنة يكون من أول زمنها إلى أمد غير محدود بالنسبة لمن حرم الله عليهم النار ، كالملائكة ، والرسل ، ومن أخبرنا القرآن بأن لهم العاقبة الحسنى ، وأن الله قال فيهم : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى : أولئك عنها ـ عن النار ـ مبعدون ، لا يسمعون حسيسها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » .

والخلود فى الجنة بالنسبة لغيرهم مقطوع من أوله وهم الذين تحدثنا عنهم من أهل المعاصى .

٩ — وخلاصة هذا : أى من دخل الجنة لا يخرج منها ، سواء أكان خالدا من أول زمنها . . أو من بعد تطهيره فى جهنم من سابق ذنوبه .

وكما تفاوت الناس فى اللحاق بالجنة يتفاوت نعيمهم فيها بنسبة أعمالهم الطيبة « ولكل درجات مما عملوا » وعلى أى حال : فللإيمان ثمراته ، والمثوبة من الله لعبده عطاء غير مجزوز ، يعنى غير مقطوع ، بل هو نعيم أبدى لا نهاية له .

وقد ظن بعض السلف أن الاستثناء المذكور فى الخلود فى النار فى قوله تعالى « ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، إلى قوله : إلا ما شاء ربك » . ظنوا أن الخلود فى النار ينتهى كله بفناء الكفار فيها ، فتغلق أبوابها ، ولم يعد لها عمل . . ولكن ذلك الرأى مرفوض عند الجمهور ولا قيمة له أمام الأدلة البالغة من الكثرة والقوة حد اليقين التام :

وللحديث تكملة ؟

عبد اللطيف السبكى

عبد الرشيد ابراهيم
داعية الإسلام فى آسيا

للدكتور محمد رجب البيومى

من الناس من تقرأ حياتهم فتخالها أسطورة خرافية لما حوت من غرائب الشجاعة وعجائب الجهاد مما يتعذر فى العادة أن يقوم به فرد واحد ، فأنت إذا قرأت تاريخ جمال الدين الأفغانى ظننت أن الرجل معجزة خارقة ، إذ كيف استطاع وحده أن يبعث أول صيحة مدوية ترج العالم الإسلامى فى كافة أقطاره رجاً !

فتراه وهو الأعزل الفرد يهز الأفغان وفارس ومصر وتركيا ، ويتنقل فى شتى ربوع الإسلام ليوقد جذوة تشتعل وتستطير حتى استطاع أن يضع معانى جديدة يعتنقها أبناء الأمة المحمدية ، ويطمس معانى أخرى من التواكل والجمود والانعزال كان المعتقد أنها من لباب الدين وهو منها براء ! هذا الرجل معجزة حقاً ! ولو لا أنه رئى بالعين وسمع بالأذن وألف بالقلم وخطب باللسان ؛ لقال القائلون : إن وجوده يستحيل .

(بقية المنشور صفحة ٧٥٤)

بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل»وفى سورة الأعراف الآية ١٦٦ : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » .

أما كيف اختلطت فيهم عناصر الطبيعتين فعلم ذلك عند الله حتى هذه اللحظات ، وقد تكشف الدراسات النفسية إذا وجهت توجيها واعيا وصادقا إلى ذلك فى المستقبل .

ولا يخاطبنى أدنى شك فى صدق عبارة القرآن الكريم وصدق مدلولها أيضا ، وقدرة الله مطلقة لاحد لها .

وأما أحلامهم فهى خيالات تفكير مريض يجدف فى تيه الأوهام ، والحق أعلى مما يؤملون ، وصدق الله العلى القدير « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » . ؟

محمود محمد شبكة

لنا أن نضم إلى أسطورة جمال الدين أسطورة أخرى شابهت الأساطير فى غرائب ما أبدعت وعجائب ما أثمرت ! تلك هى أسطورة الداعية الرحالة المجاهد الصابر الدءوب « عبد الرشيد إبراهيم » فقد ناهز المائة من عمره المبارك مجاهدا فى سبيل الله حتى التحق بالرفيق الأعلى فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٤ وكان فى جميع أدوار حياته مثال الدأب المتواصل والكفاح النشيط ، يجاهد روسيا القيصرية بسلاح الإيمان والعزيمة ، ويرحل إلى الحجاز ليتعمق دروس الشريعة واللغة ، ويصل إلى تركيا ليوجه جهود الخلفاء إلى نصرة المستضعفين من أبناء الإسلام ، ويسافر إلى الهند والصين واليابان ليعلن كلمة الله فى ربوع نائية لا تكاد تعرف عن الإسلام غير النزر الضئيل ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يقنع الآلاف باعتناق الدين الإسلامى ، لينهض بعد ذلك داعية غيوراً يشرح شعائر الوضوء والصلاة والزكاة ! ويبنى المساجد باذلا الجهد فى جمع التبرعات من شتى ربوع الإسلام ليعلن كلمة الله فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، ثم يزور مصر ليؤكد صلاته بأقطاب الفكرة الإسلامية ويشرح أحوال المسلمين فى أقاصى آسيا من بلاد الصين واليابان ومنشوريا وكوريا ، وكلها قد كانت ميدانا لجولات الشيخ التبشيرية ، ورحلاته الدينية !

فإذا ذهب مصل إلى مسجد الإسلام بطوكيو عجب حين يرى الرجل الأسطورة فى الخامسة والتسعين من عمره ينهض قبل شروق الفجر فيقيم صلاة التهجد ثم يؤم الناس فى صلاة الصبح ولا يكاد يفرغ من تسبيحه حتى يتحلق عليه جماعة من حوارييه ليشرح لهم سور القرآن وأحاديث الرسول فإذا أشرقت الشمس انتقل إلى حجرة الدراسة الملحقة بالمسجد ليجد نفرا من صبيان المسلمين يستقبلونه فيقوم لهم بدور المعلم يكتب لهذا لوحة ، ويسمع من ذلك سورته ثم لا يستنكف أن يكون فى هذه السن المتقدمة وبعد هذا الجهاد المتواصل معلم صبيان تقرأ على يديه مبادىء اللغة العربية . ويحفظ الناشئة قصار السور من جزء (عم) وبعض المأثور من حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وهو من كبار زعماء الإسلام فى ثلاثة أجيال ناهزت القرن !! وإذا كنا فى مطلع هذا المقال قد ذكرنا جمال الدين فإنما تعمدنا ذلك لنؤكد ما كان بين الداعيتين من صداقة وطيده ، ونوضح كيف التقيا فى جهة وافترقا فى جهة . التقيا فى ناحية الشعور الحاد بوجوب نهضة الإسلام ويقظة بلاده ثم التنقل فى شتى الأصقاع المحمدية لإيقاظ الغافلين وتنبيه

النائمين ، وافترقا فى مسلك الدعوة ومنحاه فقد كان جمال الدين ثائرا مضطرما يريد أن يغير معالم الدنيا فى لحظة عين ، فهو لا يهدأ له قرار إذ يرى أمثلة مؤلمة من الخضوع والاستكانة والاحتلال فيشعل الثورات مختارا جنودها من تلاميذ بررة أمدهم بروحه ونفث فيهم من حميته ، أما عبد الرشيد فقد آثر أن يكون جنديا يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، يؤلف فى صمت ويعظ فى هدوء ويرحل فى مثابرة ، ويترك للأيام أن تنضج بذوره الطيبة دون تعجل ، وقد أحسن الله عاقبته فعمر فى الإسلام حتى شاهد نوره يمتد على يديه إلى مطارح نائية كانت تعمه فى الظلمات ، وماماتت حتى استطاع فى سنة ١٩٣٩ م أن يجبر البرلمان اليابانى على الاعتراف بالإسلام واحدا من أديان الدولة الرسمية ! وبهذا الاعتراف بنى الشيخ الكبير مسجدين لا مسجدا! ، وقد نشرت جريدة البلاغ خلاصة ما تم بصدد ذلك إذ جاء ما نصه فى أحـــد أعداد مارس سنة ١٩٣٩ :

« أرسل الأستاذ عبدالرشيد إبراهيم رئيس الجمعية الإسلامية بطوكيو يقول إن وزير المعارف فيها عرض فى أول يوم من مارس ١٩٣٩ على البرلمان اليابانى مشروع قانون يسمى -زيزال أراكى- يقضى باعتبار الدينين البوذى والمسيحى دينين رسميين فى اليابان ، فاعترض بعض الأعضاء قائلين وأين الإسلام ؟ ثم دوت أصوات المعارضة عن شمال ويمين وطالت المباحثات فى ذلك ثلاثة أيام وانتهت برد المشروع إلى وزارة المعارف حتى يضمنه الاعتراف بالدين الإسلامى مع الدينين البوذى والمسيحى ، وقد تم ذلك وصادق عليه البرلمان فلما ذاع هذا الخبر ونشرت الجرائد اليابانية ما دار من المناقشات فيه أخذ الناس يأتون إلى المسجد أفواجا ويطلبون من الجمعية الإسلامية فى طوكيو كتبا فى الإسلام باللغة اليابانية ! » .

ولقد كنا نصلى الجمعة ذات يوم فى مسجد الأستاذ عبد الوهاب عزام رحمه الله فحدث المصلين عن دعاة الإسلام فى العصر الحديث وتطرق إلى الشيخ عبد الرشيد ، فكان مما قاله آنذاك: إن من العجيب العاجب أن يصدر الشيخ عبد الرشيد مؤلفه (عالم إسلام) فلا يذيع وينتشر ويترجم ويعم كل مكتبة إسلامية مع أنه يجمع مشاهداته الشخصية البصيرة فى شتى ربوع الإســـــلام فى آسيا وأوربا وإفريقيا ! ويصف أدواء المسلمين وعللهم بما لم يتيسر الإلمام به لأحد إلا أن يكون الأمير شكيب أرسلان ! ونحن نرى الآن طبعات متكررة لرحلة ابن بطوطة وأمثاله فأى شىء تكون رحلة ابن بطوطة إذا قيست

برحلة أكبر داعية فى العصر الحديث ! لقد كان ابن بطوطة يرحل ليتزوج ويرى ويتمتع دون أن يكون له هدف غير تسطير الخرافات والكرامات وتدوين ما يسمع من الأعاجيب أما عبد الرشيد فقد ركب البر والبحر والجو ليدعو إلى الله وكم احتمل عنت ذوى الجهالة وسفاهة أولى الضلالة ، ثم أصدر الكتب النافعة ودون رحلاته المائعة فلم تجد من الذيوع ما وجدته رحلات الغرائب والخرافات مهما بولغ فى تقديرها .

هذا بعض مايحضرنى من حديث الدكتور عزام رحمه الله ، وقد كانت صلته وثيقة بالشيخ الكبير إذ سارع إلى التعرف عليه حين قدم إلى مصر ، فأسعده بزيارة بيته بحلوان عدة مرات ، ثم رثاه بكلمة متواضعة نشرها بإمضاء مستعار بمجلة الثقافة العدد ٣١٢ جاء فيها بقلم عزام :

« وكان مجلسه يجمع المختلفين فى المآرب والمذاهب على الإعجاب به والعجب منه : من مصغ إلى شيخ مسلم يتحدث عن جماعات المسلمين ويصف أدواءهم وأدويتهم ، ومن منصت إلى عجائب وغرائب الأوطان ، ومن مكبر لهذا الشيخ الوقور لا تقعد به السن عن الأسفار البعيدة ، بل رأيت الصبيان يتطلعون إلى مجلسه ليروا الرحالة التركى الهرم الذى جاب مشارق الأرض ومغاربها ورأيتهم يسرعون إليه متعجبين حين طلب ماء ليشرب إذ علموا أنه لا يشرب الماء مجتزءاً عنه بالشاى وكانت إحدى أمانيه أن يرى مسجداً فى طوكيو فاستجاب الله له فأراه فى اليابان مسجدين » .

وإذا كان الدكتور عزام أحد كتاب العرب المعجبين بعبد الرشيد ، فقد كان محمد عاكف شاعر الإسلام فى تركيا ـ وهو أيضا صديق عزام ـ يقاسمه الإعجاب بالرحالة الداعية حتى جعله بطلا مثاليا لإحدى قصصه الأدبية الهادفة إذ تخيله واعظا وقورا يقوم بين المسلمين فى مسجد سليمان القانونى فيشرح للناس بالمسجد الجامع أدواء المسلمين وعللهم ويدعوهم إلى الرشاد بعد الغى واليقظة بعد النوم ثم قال عنه فيما نقله الدكتور عزام من ترجمة « منظومة عاكف » : « وأسرعت الجماعة نحو الكرسى ، فياعجبا ! من علا الكرسى ؟ شيخ آلهى السيما ، كأنما ينبض قلبه فى جبينه تحيط لحيته الطاهرة الناصعة وعمامته البيضاء الشاهقة بجبهته الواسعة ووجهه الذى يرف عليه ضوء الصباح كما تحيط الهالة بالبدر ! رب ما هذه الصباحة ؟ وما هذه المهابة . وماهاتان العينان بل الشهابان السماويان اللذان يحرقان الإدراك بشعاع واحد منهما ، واهالهذه الحزمة النورانية الجاثشة من عينيك ، ولهذه الأرواح المسكينة التى تهفو إليك . .

« لا تحسبوا أنى ارتقيت هذا الكرسى لأعظ ، لست عالما فلا يخدعكم هذا الزى ، حسبكم علماؤكم يفقهونكم فى دينكم ويفتونكم فيما يشكل من أموركم ، ولكن سلونى ماشئتم عن العالم الإسلامى فما تركت به بقعة إلا زرتها وطوفت فى أرجائها ، جبت ما بين أقصى المشرق والمغرب الأقصى ولم أدع موطنا للمسلمين فى آسيا وأوربا وأفريقية إلا يممته وتعرفت ماضيه وحاضره ! وقد حطمتنى الأسفار المتمادية ، وقتلتنى الرحلات المتوالية ولم أصبر على المضى فى طريقى لولا نداء لا ينقطع ينبجس من أعماق نفسى ألا تقف، تقدم ، امض فى سبيلك ، نداء غيرتى على دينى، الغيرة التى تضطرم كالبركان بين جوانحى فلا أطيق وقوفا ، ولا أثبت فى مكان ولا يقيدنى حب النفس والوطن والأهل والولد ، إنها لا تثنينى عن عزمى ، ولا تعدل بى عن مقصدى . لا أبغى غير هذا . ذلكم كل أملى لا أبغى سواه » .

ذلك إيجاز بليغ لحياة الداعية الكبير !! لقد أردت أن أكتب عنه فتأخرت إذ تقدم إلى ذلك عاكف العظم ثم جاء عزام الغيور فأصاب فى ترجمته وأبدع ، وهما بعد أولى بالحديث عنه فقد جالساه وشافهاه ! وليس لى غير أن أستعيد ! على أنى بعد هذه الإلمامة القصيرة ببعض مناحى هذه الشخصية الكبيرة أنتقل إلى الحديث عن تاريخه الشخصى ، ليتحدد الإطار العام لصورة خلابة ذات بهاء مشرق وسمت بديع !!

* * *

حين كانت القيصرية الروسية فى قمة طغيانها العنصرى كان المسلمون فى مجاهل سبيريا يعانون أشق ضروب العنت والاضطهاد وقد ولد الشيخ عبد الرشيد بمدينة تارا بسبيريا سنة ١٨٤٦ فى أسرة تعتز بإسلامها . ولا يزيدها النكال العنصرى إلا تمسكا بدينها القويم ، فأتيح له أن يتلقى دراسة بصيرة على أيدى أناس يفهمون رسالة الإسلام حق الفهم ثم أريد له أن يتزود من معين الثقافة الإسلامية بالحجاز فارتحل فى الثامنة عشر إلى مكة وأخذ فى مدى عشرين عاما يغذى نفسه بمصادر العربية الصحيحة ، ويجالس حملة هذا الدين فى مهده الأول مستعيدا تاريخه الأزهر فى مرابعة الوضيئة وكانت كل خطاه ما بين مكة والمدينة تذكره بتاريخ السلف فتوقد فى صدره حمية مشتعلة وغيرة متيقظة ، وكأنه قد عز عليه فى مغتربه المكى أن يترك أبناء وطنه فى مجاهل سبيريا يتعرضون إلى من يزعزع عقائدهم بشبهات باطلة وأراجيف مختلفة دون أن يجدوا من يميز لهم الخبيث من الطيب فى منطق واضح وإيمان سديد فكر راجعا إلى بلده مزودا بحصيلة وافية من

المعارف الدينية الصحيحة ولم تمض غير سنوات حتى عبق أريجه وفاح عرفه فانتخب قاضيا بالمحكمة الشرعية ثم وكيلا للإفتاء الدينى ولم يكن ممن تخدرهم عليا المناصب فيؤثرون الراحة على الجهاد بل جعل منصبه أداة توجيه وإصلاح لجاهر القيصرية بوجوب العمل على مساعدة المسلمين ومساواتهم بغيرهم إذ هم سواء فى الحقوق والواجبات ، ولكن كلمة الحق تصم الآذان وتثير الحفائظ لدى المغرضين فدبروا أمرهم للوقيعة به ، وقد لمح خيوط المكيدة تحاك بليل، ففر إلى استانبول مقر الخلافة العثمانية وجهر بمآسى قومه فى بلاد القيصرية ونشر رسالات مدعمة بالوقائع والأسانيد حتى إذا هدأت الحال بعض الشىء لم يرض المنصب فى دولة الخلافة وارتحل ثانية إلى مضمار الجهاد فى وطنه وكافح وجالد حتى استطاع أن يستخرج رخصة بإصدار رسائل مؤقتة تقوم مقام الصحافة ، وأخذ يوالى رسائله باللغة التركية القازانية تحت عناوين « المرآة » و« الصيحة » وغيرهما وضم إليه الطبقة المستنيرة من أبناء دينه فكانوا يجمعون المسلمين فى كل بلاد الروس ليقرءوا عليهم نشرات عبد الرشيد ، وهى دعوات جريئة إلى الإصلاح الدينى والتمسك بمبادىء الإسلام واليقظة المنتبهة إلى ما يدبره الصليبيون من مكايد سافرة لا تلتثم بقناع ، ثم شاء أن يجعل للغة العربية نصيبا من دعوته لتصل رسالته إلى أبناء الإسلام فى الشرق والغرب فأصدر بعض رسائله المتتابعة بالعربية تحت عنوان « التلميذ » وأسمع بها مأساة قومه فى كل صقع عربى ! وليته وجد سميعا ؛ فإن قراء العربية من المسلمين كانوا فى شغل شاغل بكوارثهم الاستعمارية عن إخوانهم فى بلاد الروس ثم شاءت الاقدار أن تندحر جيوش روسيا أمام اليابان فاشتغلت القيصرية بنفسها عن التعصب قليلا وينهض المسلمون بقيادة عبد الرشيد إلى كتابة المقالات الموقظة ونشر الدعوات التحريرية ثم رأى الشيخ أن يقوم بجهاده التبشيرى فتعددت رحلاته منذ سنة ١٩٠٥ إلى تركستان ومنشوريا وبلاد المغول واليابان وكوريا والصين وسنغافوره وجزائر ما وراء الهند ليعلم الناس أن الإسلام دين المستقبل وأنه أول دين يهتف بالحرية والإخاء والمساواة ، فلاقى من الصعوبات الخطيرة ما يؤود العصبة أولى القوة فكيف بفرد واحد يسافر بعيدا إلى مطارح مجهولة دون عضد من مال أو رفيق ! ولكنه حصر رسالته فى التبشير الإسلامى لا يبالى على أى جنب كان فى الله مصرعه ، وإذا كان الله لا يضيع أجر العاملين فقد لمس المجاهد الكبير من بشائر التوفيق ما زاده إيمانا وحماسة ، حتى ذعرت منه دوائر التبشير المسيحى بآسيا

وعدته ـ وهو الوحيد الفقير الأعزل ـ خطرا على جمعياتها التبشيرية ، ومؤسساتها المالية ذات المورد الضخم والرعاية الكبرى من أمم غالبة تتحكم بالمال والقوة والبطش فى عصر كانت أوربا فيه صاحبة الأمر وباعثة الحضارة والمدنية والعلم كما يحلو لأذنابها أن يذيعوا ذلك عنها فى كل مكان!! ولعل جهاد عبد الرشيد وحده مما يعطى للعالم أجمع أكبر دليل لا يقبل الشك على أن الإسلام ينتشر بمبادئه وحدها وأن عوامل بقائه كامنة فى تعاليمه ، وإلا فبأى سلاح ضم هذا الداعية الغيور إلى الإسلام آلافا من الناس غير سلاح المنطق والإقناع والدعوة إلى الله بالموعظة ومجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ؟ ! لقد كان بعض القسس من مبشرى المسيحية فى الصين يرى انتصارات عبد الرشيد الرائعة فيكتب إلى وزارة الخارجية فى بلاده ليسر إليها بأن المسيحية تعانى كثيرا من جهود عدو يزحف عليها بقوته !

وقد فهمت وزارة الخارجية الأمر على غير وجهه فبعثت تتساءل عن قوة هذا العدو ومدى نفوذه الحربى فإذا الإجابة المخزية تعلن أنه شيخ واحد ذو منطق وإيمان !

ولم يضن الشيخ على أحد بتجاريبه فى الدعوة ومعلوماته الحية مستمدة مما رأى وشاهد فنشر رحلاته فى مجلدين كبيرين تحت عنوان (عالم إسلام) ثم اشتغل بالتحرير فى أمهات الصحف الإسلامية بتركيا وفى طليعتها مجلتا « معلومات » و « والصراط المستقيم » !

ولك أن تدهش حين تجد الرجل يترك مجال المنبر والقلم ليشترك فى ساحة الحرب حين تدفعه الرغبة الملحة فى نصر الإسلام ، فقد أسهم فى حرب طرابلس ضد العدوان الطلياني سنة ١٩١٢ وحين قامت الحرب العالمية الأولى أخذ مكانه فى الجبهة الإسلامية فنشط إلى القوقاز مع الجيش العثمانى ثم دلف إلى المانيا للاتصال بأسرى المسلمين هناك ، وما زال يجوب الأقطار من شرق إلى غرب حتى انتهت الحرب على غير ما يود ، فلم ييأس فى شىء بل ترك ميدان الحرب ليعود مبشرا فى اليابان ! وما زالت جهوده تتوالى حتى أسلم على يديه المئات والآلاف وحتى أصبح الإسلام معترفا به فى بلاد الشمس المشرقة وحتى ارتفعت فى طوكيو مئذنتان عاليتان فى مسجدين كبيرين تردد كلتاهما فى اليوم الواحد خمس مرات هتاف الإسلام الخالد: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ! إنا لنعلم أن بعض كتاب القصص الروائية يبحثون عن بطل جرىء تكون له وقائع مذهلة تجذب القارئين فهل ينهض أحدهم إلى كتابة قصة عبد الرشيد وهى ببطولاتها الرائعة تغنى عن الاختلاق والافتعال ، أو ليس لهم أسوة فى محمد عاكف حين جعل عبد الرشيد بطل قصته الخالدة فتحدث عنه وهو حى ليقدم المثال الرائع والأنموذج الفريد ؟

د. محمد رجب البيومى

الأرض الحرام

للأستاذ علي الخطيب

تتوسط مكة أرضا حراما مركزها الكعبة بيت الله العتيق وحرمه الآمن ، ومن كل جهة حول الكعبة تمتد تلك الأرض وتنبسط رقعتها غير أنها في الشرق - شرق البيت - ذات مساحة أبسط عرضا من التي في غربه ، وبينما تكاد تكون أقرب إلى « التربيع » في الشرق نجدها تمتد في الغرب في ضيق شيئاً بعد شيء حتى تكاد تمثل شكل مثلث ذي زاوية حادة تنتهي في الغرب كما ترى في الرسم ص ٧٦٧ .

تجمع هذه الأرض بين السفح والجبل والسهل والوعر والمدينة والقرية ، فاستحال بناء سور يطوقها فبقيت في أطرافها معالم منصوبة تشير إلى تلك الحدود .

إن رب هذه البلدة الذي حرمها ولم يحرمها الناس وبانتصار الإسلام انتهت تماما حرمة عدة أراض جعلها العرب - حول أصنامهم - حراما في جاهليتهم ، فبقيت حرمة الله في تلك الأرض وحدها لا يشركها غيرها في أحكام التحريم .

إن سلام هذه المنطقة وأمنها استوجب ظواهر تحريمية ثلاثا :

أولها : تحريم القتال فوقها ، فلا تنطلق فيها نار ، ولا يشهر فيها سلاح « فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له : إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب (١) » فليس لأحد أن يشير بها فتنة على أي وجه كان ، وظاهرة تحريم القتال هذه جعلت البقعة حرما آمنا للناس أجمعين .

ثانيها : تحريم اقتلاع نباتها أو قطع شجر فيها من ذلك النوع الذي ينبت بأصله كالطرفاء (٢) والغيلان ، والبقل البري أخضر كان أو يابساً ، ولو استنبته الناس ، وتحريم هذه الفصائل أعطاها أمنا في تلك المنطقة فلا يختلى خلاها ، ولا يعضد شجرها [٣] .

---

(١) من حديثه عليه الصلاة والسلام ، البخاري شرح القسطلاني ص ٣٠٥ ج ٣ .

(٢) الطرفاء من فصيلة الأثل لكنه أدق منه عودا ، وأقل صلابة ، وذو شوك ، والغيلان : شجر السمر .

(٣) من حديثه عليه السلام المرجع السابق ص ٣٠٦ ج ٣ ، ومعنى يختلى : يجز ، خلاها : كلأها الرطب .

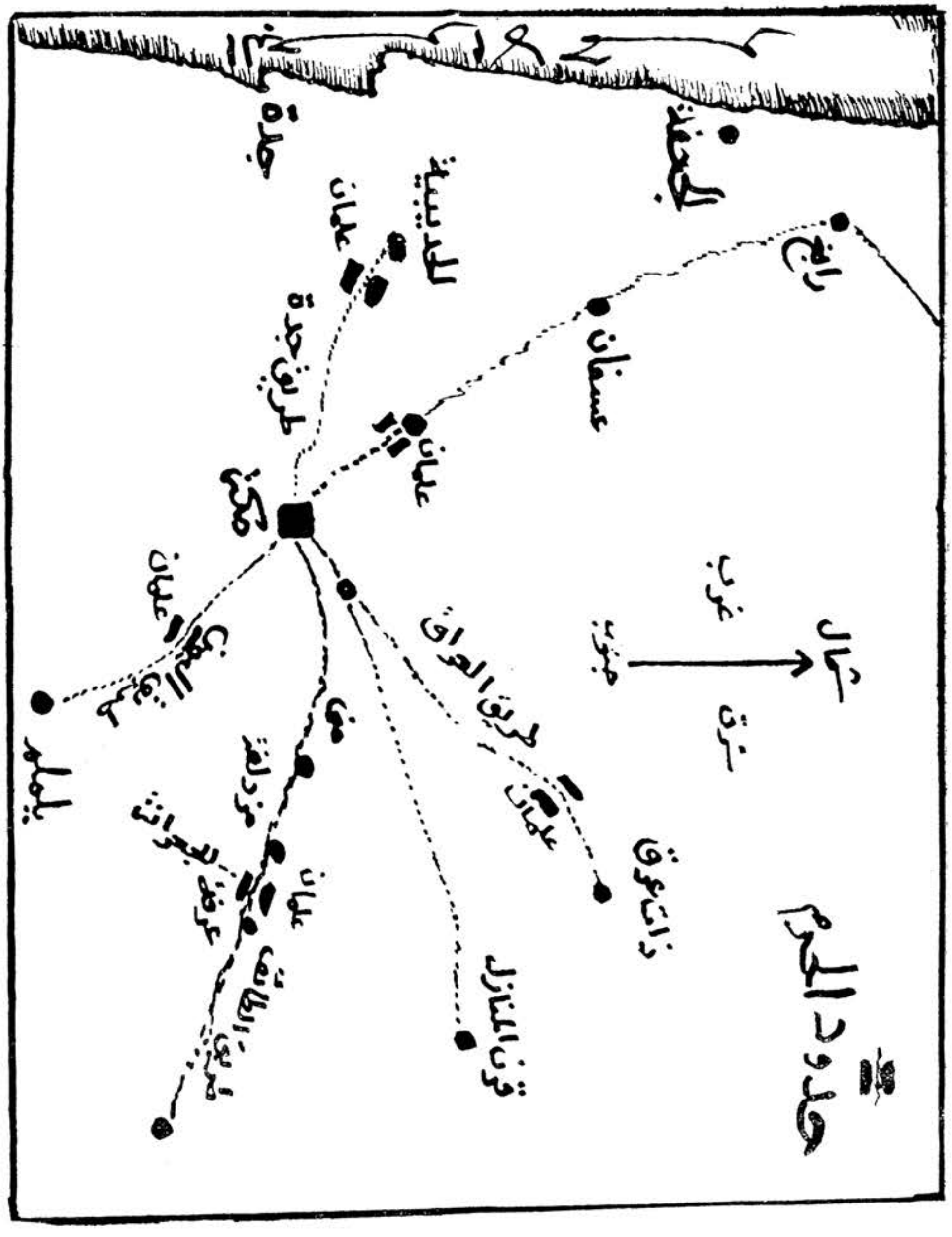

حدود الحرم نقلا عن « إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك »

ثالثها : تحريم الصيد وقتل أى حيوان برى متوحش مما يستأنسه النـــاس ، ولا يستأنس بطبعه(١) على شريطة ألا يكون مؤذيا(٢). فنجا داخلها من القنص والمطاردة الغزال والأرنب البرى، والضفدعة والسلحفاة والضبع ، والثعلب والضب وحمام مكة ، والحرم ، ويمامها ، والعصفور ، والهدهد وحمار الوحش ، وبقره ونعامه والفيل ..الخ

وكما حرم التعرض له حرم التعرض لبيض البيوض منها .

ولقد تكتسب هذه الحيوانات حصانة الحرمة خارج المنطقة الحرام بالنسبة لإنسان معين هو « المحرم بحج أو المحرم بعمرة » طيلة مدة إحرامه ، فإنه « يمنع بالإحرام كما يمنع بالحرم » أذى هذا الحيوان وصيده . فما صيد منه بالحرم ، أوصاده محرم من خارج الحرم أو ذبحه محرم لغير محرم من هذه الحيوانات، أو دله عليه ليصيده ، أو صاده رجل حلال خارج الحرم بنية إهدائه لمحرم . فكل ذلك ميتة لا يحل أكله .

ولقد أهدى له صلى الله عليه وسلم « عضو من لحم صيد فرده ، وقال : إنا لا نأكله إنا حرم . (١)

وأتى عليه الصلاة والسلام ببيض النعام فقال : «إنا قوم حرم أطعموه أهل الحل». (٢)

بهذه الظواهر فضلت تلك الأرض على غيرها ، ولو أبيحت حرمتها لا ستوت بغيرها من البقاع فضاع فيها أمن الساكن، وسلامة الوحش ، والنبات ، وليست جريمة التعدى هنا متساوية بمثيلتها فى مكان آخر . إنها هنا ـ بعد الجريمة ـ تبديد لحرمة البقعة التى أكد الله أمنها ووثقه ، وأعلمه الناس أجمعين .

ولقد شاءت إرادة الله ألا يجعل سببا أو أسبابا تكفر خطيئة الحرب والقتال فيها ، وما كان ذلك إلا لعظم تلك الجريرة وبيان غضب الله على من يثير فيها فتنة قتال، ودعوى حرب .

---

(١) يذبح المستأنس بالحرم كالإبل والبقر والغنم

(٢) أما المؤذى فيجب التخلص منه حتى يظل للحرم أمنه وسلامته لذلك وجب التخلص من : أسد ، وفهد ، وصقر ، وباشق وزنبور ، ونسر ، وذئب ، ونمر ، والأصل فى إباحة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خمس من الدواب يقتلهن (أى الإنسان) فى الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور » وقيس ما تقدم عليه .والحديث الشريف رواه الإمام البخارى صـ ٢٧٧ جـ ١ باب ما يقتل المحرم من الدواب

(١) ٢٠ جـ ٥ نيل الأوطار للشوكانى من رواية الإمام أحمد .

(٢) ص ٨١ جـ ٥ نيل الأوطار للشوكانى رواه كل من الإمام أحمد ومسلم وأبو داود .

وشاء سبحانه أن يكون لصيد الحيوان المحرم صيده أو قتله أو إحداث أمر به يتلفه «كفارة» هي جزاء تقره «محكمة» من عضوين يشترط فيهما : الإسلام ، والعدالة ، والعلم بقانون الجزاء في الصيد ، هذا القانون الذي يتمثل في أحد الإلزامات الآتية :

١ — شراء حيوان من الإبل أو البقر أو الغنم مماثلا في القدر والصورة إن أمكن ، أو القدر في الجملة لهذا الحيوان التالف الممنوع صيده ، ثم يأتي به الجاني سليما إلى منى (١) أو مكة فيذبحه بأحـــدهما ، ثم يوزع في المساكين .

٢ — أو يقوم المقتول في يوم تلفه بمكان التلف بطعام فيقال مثلا : هذا الصيد غزال فقيمته في هـذا المكان أردب قمحاً فيشتريه الجاني ، ويوزعه على مساكين المحل الذي وقعت به الجناية ، فيعطى كلا منهم مدا أي مقدار كفين متوسطتين مبسوطتين .

٣ — أو يصوم عن كل مد من هذه الأمداد يوما في أي مكان وزمان يريد ، وإذا انتهت الأمداد إلى كسر في الأخير صام عنه يوما كاملا .

(١) بلدة قريبة من مكة جهة الشرق .

والجاني مخير فيما يلتزم به من هذه الثلاث [١] وفي ذلك كله يقول تعالى :

«يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، يأيها الذين آمنو لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل (٢) ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة . وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما . واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٣)

على الخطيب

(١) قال في بلغة السالك : والحاصل أن الصيد إن كان له مثل سواء كان مقررا عن الصحابة أولا فإنه يخير فيه بين المثل والإطعام والصيام ؛ وما لا مثل له لصغره فقيمته طعاما أو عدله صياما على التخيير ا هـ ج ١ ص ٢٧٩

(٢) مثل ذلك .

(٣) المـائدة الآيات ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

فى الحج امتحان ومكافأة

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

إذا تتبعنا الفرائض والنوافل التى استفاضت بها الشريعة الغراء وجدنا أن أساس الابتلاء بها، والامتحان فيها واحد لا يختلف فى جوهره وإن تعددت المظاهر، وتنوعت الأشكال. ألا وهو تكليف المرء عكس ما ألف، وضد ما اعتاد وذلك ليظهر من خلال المقاومة لسلطان العادة، والتحلل من سيطرة المألوف مدى ما تنطوى عليه العـــزيمة من مضاء، وما يتسلح به الضمير من قوة وإيمان.

ولنضرب لذلك الأمثال: فشريعة الجهاد المسلح فى سبيل المبـدأ والعقيدة، وما يحف بها من مـكاره، وما يعتورها من أخطار ومخاوف. قد تؤدى إلى الهلـكة والبوار. إنما هى إلزام للمرء بالخروج عن عادة الأمن التى ألفها. والانفكاك من نعمة الهدوء والسلام التى استنام إليها، وطابت حياته بها.. فسر الابتلاء هنا.. إنما هو فى مجانبة ما درج عليه المرء من حب الذات، وإيثار الملذات. مع شحذ الهمة لركوب الأخطار، وخوض العثار، ومقارعة الأقـران بالحديد والنار تحصيلا لما يترتب على ذلك من آثار كبار.. فى نصرة الحق ودحر الباطل، ونشر رسالة الصلاح والإصلاح بين العالمين.

وإذا أخذنا فى اعتبارنا التكليف بالصلاة. أو بالسعى فى طلب العيش، وتحصيل الأرزاق ألفينا أن مناط المحنة فى تلك الأعمال اليومية المتجددة للدين والدنيا معا. إنما هو فى ترك الراحة والـكسل، وموادعة القعود والدعة واستبدال ذلك بالنشاط الدائب، والعمـل الجاد لأداء صلوات تامة الأركان، موفورة الاطمئنان، أو اكتساب أرزاق من وجهها المشروع، ولو توسل لذلك بالعرق والدموع وهذا لا يخرج عن امتحان المرء بغير ما اعتاد وبضد ما ألف.. ومثل هـذا. يقال عن الصيام الذى يتمثل فى الإمساك الحازم عن شهوات المـرء المـألوفة، وعاداته الغذائية المعروفة ليضع فى مكان ذلك تجـردا أشبه بتجرد الملائكة. وروحانية متسامية تزرى بالمـادة وأهلها، وتحى فى صعيد النفس براعم المثل العليا، والقيم الإنسانية الخالدة. فابتلاء الصائم يتركز أساسا على الامتحان بما يخالف المـألوف، وهجر جرت عليه التقـــاليد الدارجة.. على صورة تختبر بها العزائم الصلبة وتبتلى بها السرائر الحية، وصدق الله تعالى حـين قال: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين

من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

وهكذا كلما قلبت النظر ، أو أنعمت الفكر فى لون من ألوان العبادات، أو شكل من أشكال الطاعات . . وجدت أن محور المحنة والابتلاء فيها يتجمع .. فى نقل الإنسان من عادة ألفها . . أو تقليد درج عليه . . إلى عكس ما ألف ، وضد ما اعتاد .

تجد ذلك فى الزكاة التى توجب فى مال الغنى الخروج عن حق معلوم .. للسائل والمحروم ، والمساهمة فى أعمال البر والخير بالقدر الذى تسمح به النفس ، وتجود به اليد . . فوق حقوق السائلين ، ومؤونة المحرومين . . وذلك مع ملاحظة أن الناس اعتادوا الحرص الشديد على المال ، والضن به على غير الأهل والعيال .

ولا شك أن هذا التكليف بضد المألوفات، وعكس المعتادات ، لا يقصد به العنت والإرهاق ، وإنما يستهدف تحقيق الصالح الخاص والعام ، ويعمل على توفير الخير كما علمه الله للفرد والجماعة .

وما الحج فى صورته الشكلية ، وأبعاده الضمنية ، إلا صورة اتسقت مع سائر العبادات فى إطار المحنة ، وارتكزت على نفس القاعدة التى استقامت عليها سائر الطاعات ، فنسجت على منوال الامتحان بالأضداد ، والتكليف بخلاف العادات ، تجد هذا فى كل ركن من أركانه ، وفى كل نافلة من نوافله ؛ ففى أول خطوة على طريق الحج ؛ حين يستفتحه الحاج بالإحرام ؛ تبدو هذه الفكرة أوضح من الشمس فى رابعة النهار .

ذلك لأن الإحرام هو التجرد من كل مخيط، وخلع مظاهر الزينة والزخرف ؛ مع النية الخالصة والقصد إلى العبادة ؛ ليخلص من كل ذلك إلى صورة المساواة المطلقة التى برأ الله الناس عليها والتى سيلقى الناس ربهم بها ؛ حيث لا طبقية ولا عنصرية ، ولا فوارق ، ولا أجناس ؛ الكل عباد لرب واحد . . فى مظهر واحد ؛ ومخبر واحد ؛ وفى ملبس فطرى ساذج ؛ وفكر دينى عميق ؛ لا يغطون رأسا ، ولا ينتعلون خفاً ـ وهذا باستثناء المرأة التى يحل لها ذلك ـ ولا يقتلون صيدا ، ولا يقطعون شجرا ولا حشيشاً رطبا بقصد الإتلاف ، ولا يقصرون شعرا ، ولا يحلقون رأسا ، ولا يطيبون عضوا ، ولا يقلمون ظفرا . . فهذه أعمال تبدو فيها ظواهر المخالفة الطبيعية للعادات المعتادة ، والتقاليد المألوفة ، ومن هنا كان وجه المحنة ، وملمح الابتلاء .. لأن هذا الصنيع أدل على تجشم الصعاب فى مقاومة النفس ، ومغالبة الطبع ؛ للظفر بالغاية المثلى ، التى نصبها الإسلام على الطريق السوى .

والحج فى مجموعه تكرار لتلك الصورة الامتحانية، فى أشكال متنوعة. فهو فرض عملى ومالى.. ينتظم الجسم والروح والقلب فى اختبار متكامل.. تسود فيه الإرادة على العادة. ويعلو فيه الإيمان الحق على نوازع النفس ومطالب الجسد، فالحاج يهجر استقراره الذى ركز عليه حياته، ويجفو عيشه الناعم الذى رف عليه بين أهله وذويه وهو لا يدرى: ماذا سيدهمه من تقلبات الجو، أو عثرات الطريق، ويمم وجهه إلى واد غير زرع عند بيت الله المحرم فى هجرة إلى الله أولا وآخرا لا إلى دنيا يصيبها مستعذبا فى ذلك العذاب، لا لشىء إلا لأن ربه دعاه فأجاب، وأمره فائتمر.. وبعد أن كان المال عزيزا عليه.. أثيرا لديه.. صار يخرج عنه لفقراء الحرمين فى طواعية واختيار وبعد أن كان ولده وفلذة كبده ألزم له من ظله، وأقرب إليه من نفسه. انفصل الظل عن جسمه، وفارق الأصل فرعه. ابتغاء رضوان الله. وطمعا فى مثوبته، وخوفا من عذابه. وهو بين هذا وذاك يغالب عادات ما أطيبها، ويقاوم مألوفات ما أعذبها.

وهذا هو سر المحنة فى تلك الرحلة لتحصيل منافع كثيرة رتبها الله على تلك العبادة المقدسة بقوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم...».

فإذا ما انتقل الحاج إلى البيت الحرام، يطوف به ثم إلى الصفا والمروة، يعلوهما حينا ويهبط ساعيا بينهما حينا آخر؛ حتى يتم أشواطه السبعة؛ ثم إلى عرفات واقفا بها؛ وسط الحجيج، غارقا بين الضجيج والعجيج؛ ثم إلى المشعر الحرام داعيا فيه، متبركا به؛ ثم إلى المزدلفة نائما فيها ليلته؛ ثم إلى منى راميا جمرته، ذابحا نسكه مقيما ليله، لا يخطر بباله عن تلك الأشكال المادية التى صيغت فيها تلك الشعائر؛ أى إحساس بعبادة ذواتها، أو تقديس أحجارها، وإنما يتمثل فى هذا المقام بقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود: «إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك» كما رواه الشيخان.

فالحاج الصادق الإيمان.. لا يخالجه شك فى أن ذات الله تعالى فوق الأشكال والصور، وأنه أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وأنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، كما عبر عن ذلك علماء التوحيد بقولهم: «كل ما خطر عن الله ببالك، فالله بخلاف ذلك».

والحاج يلحظ فى عبادته لربه، أن مركز الإجلال والإكبار هو الكعبة بيت الله الحرام؛ وفيها استفاض التعظيم على ما جاورها من أماكن ومعالم؛ ومصدر ذلك أن الله تعالى وضعها للناس ليهديهم من ضلال، وترشدهم

من عماية ، ولتكون مثابة للناس وأمنا يأوى إلى فيئها الآمن العاكف والباد . إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا . فالكعبة فى هيئتها الظاهرة ، بناء مربع تقريبا يرتفع خمسة عشر مترا من أحجار صماء زرقاء ، ويحمل فى ركنه الشرقى الحجر الأسود الذى وضعه إبراهيم عليه السلام ليكون علامة البدء والنهاية لكل شوط حتى لا يشتبه العد على الطائفين ؛ وهم فى دوامة الزحام ، أو نشوة الهيام ، حين تعصف بأرواحهم الذكرى ، وهم يحومون حول البيت الحرام . . كما يحوم الفراش الهائم فى مسابح النور ، وأمواج الضياء .

ويمثل هذا الشعور الصادق بطبائع الأشياء ؛ يعطى الحاج سائر الشعائر الحسية ، ذات الهياكل المادية ، حظها من الواقعية القائمة على تنزيه المعبود عن الشبيه والمثيل ، والزمان والمكان . ليس كمثله شىء وهو السميع والبصير . فالصفا والمروة موضعان متقاربان يثيران فى مخيلة الساعى بينهما ذكرى السيدة هاجر ووليدها إسماعيل عليهما السلام ، فيتمثل أطيافا من جلال الإيمان مع بساطة الحياة ؛ كما إنه عند الجمرات الثلاث يستعير من تليد الدهر صلابة عزم إبراهيم وولده وزوجته عليهم السلام فى مطاردتهم للشيطان الرجيم حين عرض لهم بالوسوسة ، مع الامتثال المطلق لأمر الشارع العظيم .

وفى ذلك يقول الإمام الغزالى رحمه الله : « وأما رمى الجمار فليقصد به الرامى الانقياد للأمر . . إظهارا للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك . ثم يقصد به التشبيه بإبراهيم الخليل .

واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى ، وفى الحقيقة ترمى وجه الشيطان وتقصم ظهره » .

وهنا أيضا يبدو وجه المحنة واضحا حين تستسلم أيها الحاج لتعليمات الحج ورسومه وأشكاله . ما فهمت فيها . . وما لم تفهم ، وما اهتضمت من حكمته ، وما لم تهتضم ، وتعزو كل ذلك إلى الحكمة الإلهية التى قد يسمو على الألباب منالها ، ويعز على الأفهام استشفافها . . ومن هذا الاستسلام ينبثق الإسلام ، وتنبع حقيقة الإيمان . أما المكافأة على هذا الامتحان القاسى الذى ابتلى به الحاج بعكس مألوفاته ، وضد عاداته فحسبنا فى ذلك أن نروى ما اتفق عليه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وما رواه البخارى عنه صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . . ؟

محمد محمد الشرقاوى

انتشار الإسلام فى طبرستان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

يقع إقليم طبرستان إلى الجنوب من بحر قزوين ، ويحده من الغرب إقليم الديلم أو كيلان ، ومن الشرق إقليم جرجان ، ومن الجنوب قومس والرى وإقليم الجبال . والسمة المميزة لإقليم طبرستان هى كثرة الجبال العالية التى يتألف معظمها من جبال البرز ، وقد استمدت البلاد تسميتها من مظهرها الطبيعى ؛ لأن معنى (طبر) فى لغة تلك البلاد (الجبل) و (ستان) تعنى الناحية ، فمعنى طبرستان ، ناحية الجبل أو بلاد الجبل ، ويقع هذا الإقليم ضمن المناطق الشمالية لامبراطورية إيران الحديثة ، ويطلق عليه فى هذه الأيام إقليم (مازندران) .

ساعدت الطبيعة الجبلية لهذه البلاد على انقسامها إلى عدة وحدات سياسية ، كل وحدة عبارة عن جبل تسيطر عليه أسرة ، وغالبا ما يحمل الجبل اسم الأسرة الحاكمة . من هذه الوحدات جبل (فاذوسبان) ، والصيغة الفارسية له (پادوسبان) ، وپادوسبان اسم الأسرة الحاكمة التى ساد رؤساؤها هذه الناحية لفترة طويلة . ومن هذه الوحدات (الرويان) وكان يطلق على حاكمه لقب (الاصبهبذ) .

ومن هذه الوحدات أيضا جبل (دماوند) أو (دنباوند) وكان حاكمه يعرف (بالمصمغان) . لعبت هذه الجبال ووعورتها دوراً دفاعياً هاماً ضد محاولات الفتح الإسلامى ؛ فقد استعصت هذه الجبال لفترة طويلة على الجنود المسلمين لعدم معرفتهم بمسالكها ، ولكونهم لم يتمرسوا على أساليب القتال فى مثل هذه البيئات الجبلية .

كانت بلاد طبرستان محكومة بعدة أسر تمتع كل منها بحكم شبه مستقل فى ظل الدولة الساسانية ، ولذا فهى تعتبر فى مجموعها إحدى الوحدات السياسية التى تألفت منها الامبراطورية الساسانية التى أخذت الدولة الإسلامية تهاجمها فى عهد الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فإنه بعد موقعة نهاوند سنة ٢١ هـ اتجهت الجيوش الإسلامية صوب طبرستان ، وقد استطاعت هذه الجيوش أن تحقق بعض الانتصارات المحلية ، وأخذت الإتاوة من أهالى بعض النواحى وأعطتهم عهود صلح وأمان .

واصلت الجيوش الإسلامية محاولاتها فى عهد الدولة الأموية ، وواصلت البلاد

مقاومتها ، وكانت أهم المحاولات فى هـذا العهد هى المحاولة التى قادها يزيد بن المهلب فى سنة ٩٨ هـ ، فإنه يذكر عنـه أنه فى هذا التاريخ قاد حملة كبيرة إلى هـذه الجهات ، وبعد عدة معارك اضطر يزيد إلى الانسحاب من البلاد مكتفيا بصلح عقده مع رؤسائها ، وكان هذا الصلح ، شأنه فى ذلك شأن ما تم فى عهد بن الخطاب ، لا يتسم بصفة الدوام .

هكذا انتهى العهد الأموى ولم تحدث فيه حملة كبيرة ذات أثر إلا حملة يزيد بن المهلب التى لم تستطع أن تخضع طبرستان للحكم المباشر للدولة الإسلامية ، وبالتالى فمن الممكن القول بأنه حتى ذلك التاريخ كان الدين السائد فى طبرستان لا يزال هـو الدين المجوسى ، ولكن ملامح هذه الصورة تغيرت بصورة حاسمة فى العصر العباسى .

بدأت المرحلة الجدية لفتح بلاد طبرستان ونشر نور الإسلام فيها فى عهد الخليفة العباسى المنصور (١٣٦ – ١٥٨) ففى سنة ١٤١ نقض أهل طبرستان العهد المعقود بينهم وبين المسلمين فكتب هذا الخليفة إلى المهدى أن يغزو هذه البلاد . وجد الجيش الإسلامى من أهل طبرستان جبهة متضامنة ، ولذا كان من الصعب عليـه أن يحرز نصرا حاسما . حينئذ وجه المنصور قائده عمر بن العـلاء ، وكان عمر هذا على دراية تامة بمسالك البلاد وطرقها ؛ الأمر الذى مكنه من أن يلحق هزيمة ساحقـة بالأصبهبذ ملك الرويان ، وكان اسم هذا الأصبهبذ خورشيد ، وقد وافته منيته بعد الاستسلام .

بموت خورشيد هـــذا سقطت أسرة « جيلانشاه » التى حكمت فى طبرستان مائة وتسعة عشر عاما ، وقد أخذت بنات خورشيد وأعطيت إحداهن للعباس بن محمد الهاشمى فسماها أمة الرحمن ، وكان له منها ولده إبراهيم .

بعد القضاء على مقاومة الأصبهبذ خورشيد واصلت الجيوش الإسلامية توغلها فى إقليم طبرستان ، وكان الهدف فى هذه المرة هو المصمغان صاحب دماوند الذى سبق أن تحالف مع خورشيد فى مواجهة الزحف الإسلامى ، وفى هذه الجولة أيضاً استطاعت القوات الإسلامية أن تحرز النصر على أعدائهم المجوس .

كان من الضرورى مواصلة الجهود حتى يتم إخضاع إقليم طبرستان بصورة كاملة ؛ فإنه قد حدث بعد موت الأصبهبذ خورشيد واستسلام المصمغان أن ثار الأصبهبذ شروين صاحب حصن فريم ، وهو حصن منيع . حدث ذلك فى سنة ١٤٢ ، وقد قتل شروين من كان ببلاده من المسلمين . وجه الخليفة المنصور إلى المتمرد الجديد قوة على رأسها أبو الخصيب ، مولى الخليفة ، وحازم بن خزيمة

ورح بن حاتم حاصر الجنود المسلمون الحصن مدة طويلة ، ثم فتحوه بحيلة أبى الخصيب ، فقتلوا من بالحصن من المقاتلة ، وسبوا الذرية ، ويقال إن شروين كان معه سم شربه فمات .

أقام أبو الخصيب فى الإقليم ، ووضع على أهل البلاد الخراج والجزية ، وقد جعل أبو الخطيب مقامه بمدينة سارية التى أنشأ فيها مسجدا جامعا ، وكذلك فعل بمدينة آمل .

والمسجد الجامع الذى بناه أبو الخصيب بمدينة سارية هو أول بناء إسلامى فى طبرستان ، ويستطيع الباحث أن يحدد أوائل سنة ١٤٣ على أنه هو الوقت الذى أنشىء فيه هذا المسجد الذى أصبح رمزا الدين الجديد الذى وفد على المجوسية التى كانت لها السيادة على هذا الإقليم . من الآن فصاعدا سيسير انتشار الإسلام فى هذه البلاد جنبا إلى جنب مع اندماجها السياسى فى الدولة الإسلامية .

وهكذا ، ابتداء من سنة ١٤٣ أصبحت طبرستان فى جملتها ضمن أقاليم الإمبراطورية الإسلامية وإن لم يعتنق أغلب أهل البلاد الدين الإسلامى . كان أبو الخصيب أول ولاة طبرستان ، وتلاه أبو خزيمة الذى فرق الجنود فى المدن المختلفة ، جاعلا فى كل مدينة عددا يتفق مع أهميتها تحت رياسة أحد القواد . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه حتى ذلك التاريخ كانت بعض المناطق الجبلية لا تزال ممتنعة على المسلمين ، ومن ثم ظلت محتفظة بكيانها السياسى .

يستطيع الباحث أن يتصور حالة الإسلام بطبرستان فى ذلك الطور المبكر ، وهذه الحالة لا تختلف عن مثيلاتها فى الأقاليم الأخرى ، أول عهدها بالفتح الإسلامى ، فقد أخذت الجاليات الإسلامية ، عسكرية ومدنية ، تستوطن الإقليم ، كما نشط الدعاة المسلمون فى دعوة أهل البلاد لاعتناق الدين الإسلامى وبذا تهيأت الفرص لمجوسى طبرستان أن يتعرفوا على الدين الجديد عن كثب ، ومما لا شك فيه أن عددا من هؤلاء المجوس قد اعتنق الدين الإسلامى آنذاك عن اقتناع وعقيدة ، ومعنى هذا ضرورة استمرار المحاولات حتى يصبح الدين الإسلامى دين الأغلبية فى البلاد .

فى سنة ١٨٩ ذهب الخليفة هارون الرشيد إلى مدينة الرى ، ومن هناك بعث برسالتين : فى الأولى أمان لشروين أبى قارن ، وفى الثانية أمان لونداهرمز جد مازيار ، فقدم ونداهرمز على الرشيد وقبل الأمان وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج ، وضمن على شروين مثل ذلك فقبل ذلك منه الرشيد ، ووجه معه هرثمة ابن أعين فأخذ ابنه قارن وشهريار بن شروين رهينتين ، وقدم على الرشيد أيضا سعيد الحرشى

ومعه أربعمائة بطل من أهالى طبرستان فأعلنوا إسلامهم بحضرة الخليفة .

أظهر زعماء طبرستان الاستسلام وخضعوا للأمر الواقع بعد أن أدركوا عدم جدوى المقاومة .

مات الاصبهذ شروين فى عهـــد الخليفة المأمون ، وخلفه ابنه شهريار ، وقـد قام صراع بين شهريار هذا والوالى عبد الله بن خرداذبة ، وقـد انتصر الأخير على خصمه وأرغمه على الاستسلام .

مات ونداهرمز ، وقام مقامه ابنه قارن ، وقد عاون قارن هذا الخليفة المأمون فى محاربة البيزنطيين ، فحاز رضاه ، ولـكنه أبى أن يعتنق الإسلام ، بعـــد ذلك مات قارن ، وخلفه ابنه مازيار ، اعتنق مازيار هـذا الدين الإسلامى ولذا لقب بمولى أمير المؤمنين وكنى بأبى الحسن ، وفوق هذا ولاه الخليفة أعمال طبرستان ، وجعل له مرتبة الاصبهبذ ، وبمساعدته افتتح موسى بن حفص بن عمر ابن العلاء جبال شروين ، وهى أمنع جبال طبرستان وأصعبها منالا .

يعتبر مازايار بن قارن أول وال عباسى من أهـل طبرستان نفسها ، ولعل الخليفة المأمون كان يهدف من وراء ذلك إلى وضع حد للمتاعب بيد أن الحوادث أثبتت فيما بعد أن إسلام مازيار وإخلاصه لم يكونا حقيقيين ، فقد ارتد عن الإسلام فى سنة ٢٢٤ ، وأمر أتباعه من المجوس بهدم المساجد وإزالة الآثار الإسلامية .

كتب الخليفة المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار والقضاء على حركته ، وقد اخمدت هذه الحركة فعلا ، وأحضر مازيار إلى عاصمة الخلافة العباسية حيث مات بعـد أن ضرب ضربا مبرحا .

تمثل ثورة مازيار آخر مقاومة مجوسية فى وجه الفتح الإسلامى ، وبالقضاء على مازيار وثورته تمتع العباسيون بالسيادة على طبرستان إلى حين ، فقد افتتحت البلاد سهلها وجبلها ، وتولاها عبد الله بن طاهر وابنه طاهر من بعده ، وقد استمرت طبرستان تحت سيطرة آل طاهر حتى منتصف القرن الثالث من الهجرة .

وكان الصراع الدامى هو طابع العلاقات بين العباسيين ومنافسيهم العلويين .

فى هـذا الصراع استطاع العباسيون أن يلحقوا بمنافسيهم عدة هزائم ، وإزاء ذلك لم يجد الأخيرون بدا فى سبيل النجاة بحياتهم من ترك العراق والحجاز والهجرة إلى مناطق بعيدة عن متناول أيدى العباسيين ، وكان نصيب طبرستان من أولئك اللاجئين كبيرا .

وفى طبرستان نشط أولئك العلويون ، الذين أخذوا يفدون على طبرستان فى العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى - أقول نشط أولئك العلويون فى دعوة أهل البلاد إلى اعتناق الدين الإسلامى ، واتباع المذهب الشيعى . استجاب كثير من أهل البلاد ، وخاصة من الطبقات الدنيا للدعوة واعتنقوا الدين الإسلامى مصطنعا بالاتجاه الشيعى . اندمج الوافدون مع مواطنى طبرستان ، وفى نفس الوقت أخذت المساجد تظهر فى مختلف أنحاء البلاد ، كما أخذت أسماء الجيل الجديد تحمل السمات الإسلامية .

وهكذا يمكن القول أن طبرستان أصبحت منطقة إسلامية فى منتصف القرن الثالث من الهجرة ، وهذا لا يعنى أن الدين المجوسى قد قضى عليه تماما فى ذلك التاريخ ، إذ مما لاشك فيه أن البعض قد ظل متمسكا بعقيدته القديمة ولكن هذا البعض يعتبر أقلية بالنسبة لمن اعتنقوا الدين الإسلامى . وفى منتصف القرن الثالث من الهجرة ، وعلى وجه التحديد فى شهر رمضان من سنة ٢٥٠ كتب بعض أهالى طبرستان صفحة جديدة فى تاريخ البلاد، وذلك حينما ثاروا ضد السيادة العباسية ، وقد ترتب على ذلك أن قامت الدولة العلوية فى طبرستان تحت قيادة الزعيم العلوى الحسن بن زيد ، وقد قدر لهذه الدولة أن تعمر حوالى أربعين سنة .

هذه هى قصة انتشار الإسلام فى طبرستان، ولاشك أن وراء هذه القصة الكثير من الجنود المجهولين والعزاء الكبير لأسماء أولئك الجنود الذين طواهم النسيان أن جهودهم قد كللت بالنجاح .

حامد غنيم أبو سعيد

« من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

(الإمام الشافعى)

التعليم الإسلامي في إفريقيا

حاضره ومستقبله

للأستاذ محمد جلال عباس

— ٤ —

انتهينا فى المقالات الثلاث السابقة من استعراض مراحل التطور التى مر بها التعليم الإسلامى فى إفريقية ، فتبين لنا أن دور النشأة قد ارتبط بدخول الإسلام وانتشاره وأن ازدهار التعليم الإسلامى فى إفريقية قد ارتبط بنشأة الممالك والإمبراطوريات الإسلامية التى ازدهرت من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر ، ثم أصابه تدهور ارتبط بالضعف والتفكك اللذين أصابا التنظيم السياسى للمسلمين فى القارة ، ثم عاوده الازدهار على يد الطرق الصوفية ابتداء من القرن الثامن عشر ، ولئن كان هذا الازدهار قد طبعته الحياة الصوفية ومفاهيمها إلا أنه كان عصر استمرار لتقاليد التعليم الإسلامى إلى أن أتى الاستعمار فى أواخر القرن التاسع عشر فعمل ساسته على القضاء بشتى الوسائل على التعليم الإسلامى بقصد وقف انتشار الإسلام والقضاء عليه لإخلاء السبيل للحكم الاستعمارى والتبشير المسيحى ، غير أن حركات الإصلاح التى قامت فى مراكز الثقافة الإسلامية فى مصر والجزائر والمغرب قد وصلت بأفكارها إلى قلب القارة الافريقية فساعدت على استمرار هذا التعليم الإسلامى مكافحا للحفاظ على الثقافة العربية والإسلامية فى إفريقية فيما يلى الصحراء .

تراث الاستعمار والثقافة الدينية :

ثم كانت موجة الاستقلال التى اجتاحت البلاد الأفريقية فى السنوات العشر الأخيرة ، فأخذت الدول الأفريقية تعاود تخطيط سياستها التعليمية بما يتفق مع العهد الجديد الذى دخلته ، ولكن هذا التخطيط الجديد للسياسة التعليمية قد تأثر بعوامل متعددة أهمها ما ورثته تلك الدول من تقاليد تعليمية أرسيت قواعدها فى عهد الاستعمار وأصبح الأمر يتطلب زمنا طويلا أو ثورة شاملة للتخلص من هذا التراث الاستعمارى ، ومن أهم ما ورثته الدول الإفريقية من العهد الاستعمارى تقاليد محاربة التعليم الإسلامى وسياسة إضعافه وذلك ما لم تستطع هذه الدول بعد استقلالها أن تتخلص منه نهائيا لسببين رئيسيين :

أولها : كان غالبية القائمين على شئون التعليم ممن تربى فى أحضان الاستعمار وامتلأ بالولاء الذهنى والعاطفى للحضارة الغربيةذات الطابع العلمانى ، أو ممن تربى فى كنف الإرساليات التبشيرية التى أفسدت العقيدة وزعزعت القيم الحضارية الأصيلة للشئون الأفريقية .

وثانيهما : أن الدول الأفريقية التى سلكت طريق الاشتراكية قد اتخذت من حرفية الماركسية ما دفعها إلى محاربة الدين وبالتالى الحفاظ على السياسة الاستعمارية فى محاربة التعليم الإسلامى بالذات متأثرة فى ذلك أيضا بالدعايات الاستعمارية والاستشراقية والتبشيرية المضادة للإسلام ، ومتخوفة من نشوء نزاع طائفى على أساس دينى على مثال ما أثاره الاستعمار بين المسلمين فى عهد حكمه .

وكانت النتيجة أن التخطيط التعليمى الذى سارت فيه الدول الأفريقية بعد استقلالها قد تناول الإصلاح فى بعض جوانب التعليم وأهمل إصلاح التعليم الإسلامى الذى يشكل فى واقع الحياة الأفريقية عنصرا هاما تجب العناية به وتوجيهه الوجهة التى يخدم بها مصالح الشعوب فى عهد استقلالها .

اختلاف موقف الدول من التعليم الإسلامى :

وعلى الرغم من هذا الاتجاه العام نحو إهمال التعليم الإسلامى فقد اختلف وضع التعليم الإسلامى من دولة لأخرى باختلاف نسبة المسلمين وقوتهم السياسية والاجتماعية وباختلاف السياسة العامة للحكومات التى انعكست على موقفها من التعليم الإسلامى ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقسم الدول الأفريقية إلى المجموعات التالية :

١ — دول تبنت حكوماتها التعليم الإسلامى وبدأت تقويه وتوجهه الوجهة التى تفيد مستقبل الحياة فيها مثل الصومال وموريتانيا حيث يكون المسلمون ١٠٠ ٪ من سكانها وتعد حكومتا هاتين الدولتين حكومات إسلامية صرفة.

٢ — دول تركت التعليم الإسلامى يزدهر على يد جمعيات إسلامية قوية تساندها الحكومات كالحال فى نيجيريا الشمالية والكمرون ، أو تقف منها موقف الاحترام لهذا النوع من التعليم ولا تحاربه بل وتعترف بوجوده نتيجة لقوة الأغلبية الإسلامية فيها ووزنها السياسى الهام كما هو الحال فى السنغال وجمهورية النيجر.

٣ — دول تقف من التعليم الإسلامى الأهلى موقفا سلبيا لا تؤيده ولا تحاربه بل تتركه وشأنه ، مثال ذلك سيراليون وساحل العاج وتوجو فى غرب أفريقية ، وأوغنده وكينيا وتنزانيا وشرق أفريقية حيث تقوم الجمعيات الإسلامية القوية بجهودها فى إحياء التعليم الإسلامى الأصلى ونشره حسب

إمكانياتها ووفقا لرغبات المسلمين الذين يكونون غالبية أو نسبة كبيرة من السكان .

٤ — دول تحارب حكوماتها التعليم الإسلامى بصورة علنية سافرة مثل جمهورية تشاد التى - على الرغم من الأغلبية العظمى الاسلامية التى تكون سكانها فإن حكومتها الموالية للاستعمار والصهيونية - تحاربه حربا علنية وتمنع قيامه بالقوة وهناك دول أخرى تحارب التعليم الاسلامى حربا خفية عن طريق تشجيع وتقوية جانب التعليم التبشيرى مثل جمهورية أفريقية الوسطى وغانا وليبيريا .

٥ — دول تترك التعليم الإسلامى وشأنه بحكم أغلبيتها الإسلامية ولكن مخاوفها من وجوده تجعلها ترقب خطواته خشية أن يتجه اتجاها لا يتفق مع السياسة العامة لهذه الدول مثل جمهوريتى مالى وغنيا حيث اعترفت فى نظم تعليمها بوجـــود التعليم الأسلامى فى صورة تعليم (فرانكو اراب) أى عربى فرنسى ليساير خطة الدولة فى نشر التعليم مع الحفاظ على اللغة الرسمية ، كما أنهما عنيتا فى التعليم الحكومى بإدخال دراسة اللغـــة العربية ضمن مناهج الدراسة وتضمينها بعض دروس القرآن والحديث والدين .

ويتضح لنا من هذا التقسيم أن الدول والأقاليم التى بها أغلبية إسلامية قوية يسير التعليم الاسلامى فى طريق الازدهار بينما نجد الدول التى تخضع لحكم الأقليات الموالية للغرب أو التى تدين بالولاء للتبشير تحارب التعليم الإسلامى حربا علنية أو خفية .

الأوضاع الحالية :

ولا يتسع المقال هنا لاستعراض الأوضاع التعليمية فى كل دولة من الدول الافريقية ولكن هناك ظواهر مشتركة نجملها فيما يلى :

أولا : التنظيم والتمويل :

١ — أن التعليم الإسلامى تضطلع به جمعيات أهلية فى كل أنحاء أفريقية المدارية غربها وشرقها باستثناء الصومال وموريتانيا والنيجر وشمال نيجـــريا حيث تضطلع الحكومات بجانب منه .

٢ — أن تمويل التعليم الإسلامى تمويل ذاتى لا يلتى أى معونات مالية حكومية أو من الخارج إلا فى حدود ضيقة للغاية .

ثانيا : المراحل الدراسية .

١ — يقتصر التعليم الإسلامى على المراحل الاولى وأعلاها المرحلة التى تعادل التعليم الثانوى فى كل البلاد الافريقية باستثناء نيجيريا حيث يوجد معهد عال للدراسات الاسلامية فى كانو بشمال نيجيريا وفى الصومال حيث يوجد معهد للدراسات الإسلامية فى مقديشيو

٢ — أن الأزهر بمصر والزيتونه بتونس والقرويين بالمغرب تستقبل جميعا طلاب الدول الأفريقية لاستكمال دراستهم الإسلامية

وإن كان للأزهر النصيب الأكبر من هؤلاء الطلاب .

ثالثا : المناهج الدراسية :

١ ــ لا توجد مناهج موحدة أو ثابتة وإنما تختلف المناهج باختلاف الدول وباختلاف الجمعيات التى تتبعها المدارس ، وكثيرا ما تعتمد على اجتهاد المعلمين أنفسهم

٢ ــ أن العلوم الدينية غالبة على التعليم الإسلامى ، وأن التبحر فيها كثيرا ما لا يتناسب مع مستوى التلاميذ الدارسين أو حتى مؤهلات بعض المعلمين القائمين بتدريس هذه العلوم .

٣ ــ يستثنى من ذلك المدارس التى تتبع بعض الجمعيات الإسلامية الكبرى مثل الاتحاد الثقافى الإسلامى فى غينيا ومالى والسنغال ، وجمعية الأخوة الإسلامية فى سيراليون وجمعيات التعليم المختلفة فى نيجيريا الشمالية ـ تلك الجمعيات التى طورت مناهجها لحد ما لكى تلائم مقتضيات العصر واحتياجات التلاميذ فى مستقبل حياتهم بإدخال دراسة اللغة الرسمية الأجنبية (الإنجليزية فى سيراليون ونيجيريا والفرنسية فى مالى وغينيا والسنغال) ودراسة الحساب والمواد الإجتماعية وبعض المواد العلمية المبسطة . ولكن هذا التطوير غير كامل .

حقيقة المشكلة الكبرى :

هــذه الظواهر المشتركة التى تميز التعليم الإسلامى فى إفريقية وتلك السياسات المختلفة تكشف لنا عن نقاط ضعف واضحة فيه سواء من حيث تنظيمية أو كفاءته للمهمة الجليلة التى يضطلع بها فى الحياة الإفريقية ، وتؤدى بذلك إلى مواجهة صعاب عديدة تحتاج إلى جهود لحلها .

وتتمثل المشكلة الكبرى التى تؤدى إلى ضعف التعليم الإسلامى فى إفريقية فى عدم اعتراف معظم الحكومات الافريقية بهذا التعليم وما تمنحه مدارسه من شهادات كمؤهل للعمل والمشاركة فى مجالات الحياة المختلفة لمواصلة الدراسة فى المراحل التعليمية الأولى ويرجع ذلك لأسباب متعددة أهمها :

١ ــ اقتصار التعليم الإسلامى على العلوم الدينية أو تركيزه عليها بحيث يتحدد أفق المتخرجين فى المدارس الإسلامية فى هذه العلوم الدينية دون غيرها من العلوم المدنية اللازمة للحياة .

٢ ــ عدم وجود مناهج دراسية ثابتة وكتب مقررة يعتمد عليها فى التعليم .

٣ ــ نقص المدرسين المؤهلين علميا وتربويا للاضطلاع بمهمة التعليم . واعتماد المدارس على المجتهدين من المعلمين الذين

يغلب عليهم الحماس للدين فيجعلهم يغفلون جوانب التأهيل للحياة .

٤ — عدم وجود مؤسسات محلية أو إقليمية أو منظمات لها كيانها الرسمى تتبنى هذه المدارس وتعترف بشهاداتها .

العمل للمستقبل :

وتقع مسئولية حل هذه المشكلة وإزالة أسبابها — على عاتق الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية ، وإذ لا ننكر جهود الأزهر فى تزويد الجمعيات الإسلامية والمدارس فى كل من الصومال ونيجيريا وسيراليون وتوجو بالوعاظ والمعلمين ، وإذ نرقب بتقدير عظيم إقبال أبناء الدول الإفريقية على الدراسة فى الأزهر الذى يقدم المنح الدراسية والتسهيلات الدراسية والإقامة ؛ إلا أن هناك واجبا أسمى على الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية أن يضطلعا به باعتبارهما مركز إشعاع الثقافة الاسلامية ، وبما لهما من كيان علمى معترف به .

فإن كسب اعتراف الحكومات بالتعليم الإسلامى سيمنح هذا التعليم قوة دافعة على التطور ، ويجعله يسهم إسهاما فعالا فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين فى أنحاء القارة الإفريقية مما يرفع مستواهم المادى والمعنوى ويقوم كيانهم الاجتماعى والسياسى ولا يتأتى ذلك إلا بوسيلتين رئيسيتين :

الأولى : دراسة علمية إحصائية للوضع بقصد التعرف على حقائقه وإمكانياته القائمة وللكشف عن أوجه الضعف بصورة دقيقة مع تقصى أسبابها الحقيقية تمهيدا لوضع خطة للتغيير الشامل والتوجيه الثورى النابع من الواقع .

الثانية : تكوين هيئة إسلامية إفريقية تشترك فيها الحكومات والمنظمات تضع خطة التعليم بما يتلاءم مع مصالح المسلمين وبما لا يتعارض مع اتجاهات الدول ، وتكون له الصفة الاستشارية ، والقدرة على تقديم العون المادى والفنى للمنظمات والحكومات المعنية بالتعليم الإسلامى .

* * *

وبناء على الدراسة العلمية للأوضاع وفى إطار الخطة المأمولة يمكن للأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية الموقر عن طريق الهيئة المتخصصة أن يقوما بدور إيجابى فعال يضمن مستقبل التعليم الإسلامى فى إفريقية بما يجعله يؤدى رسالته فى حياة الشعوب الإفريقية ويسهم بنصيبه الواجب فى تخليص القارة من آثار الاستعمار والأخذ بيد شعوبها لتحقق لها الكرامة التى أرادها الله للإنسان بدينه القويم . .

محمد جلال عباس

خفايا فى زوايا اللغة والأدب

للأستاذ على السباعى

— ٢ —

١١ — الهندب : بضم أوله وسكون ثانيه ، قال القاموس واللسان : (وابن الهيدبى شاعر) والصواب كما فى هامش المخصص ج ١٥ ص ٢٠٨ : وابن هندابة شاعر واسمه زياد بن حارثة بن عوف شاعر فارس كندى .

١٢ — الهندب : وقال القاموس أيضا : (هندابة بالكسر أم أبى هندابة) والصواب أم ابن هندابة كما فى هامش المخصص السابق .

١٣ — أوراه : أراه قال شفاء الغليل : أوراه بمعنى أراه عامية لكن الزمخشرى قال عند تفسيره (سأريكم دار الفاسقين) : (وقرأ الحسن سأوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال : أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لى وأنره لأستبينه) وهى القراءة التى يقتضيها رسم المصحف المتداول بيننا الآن (طبع المساحة ودار الكتب) وعدها أبو البقاء العكبرى فى كتابه (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جمع القرآن) شاذة إذ قال (قرئ فى الشاذ بواو بعد الهمزة وهى ناشئة عن الإشباع وفيها بعد) ولعل البعد عنده نشأ من أن الإشباع بابه ضرورة الشعر ويؤيد الزمخشرى رأيه بما قرره فى الأساس (ورى) سمعتهم يقولون أورنيه بمعنى أرنيه وهو من الورى أى أبرزه بمعنى بينه وأظهره وبرأى الزمخشرى يكون استعمالها صحيحا ويؤخذ الوعد والوعيد من الفحوى والمضمون ، فإذا قال المتكلم غاضبا لمخاطبه : (سأوريك ما يقطع منك الأنفاس ، ويسوى بك الأرض) كان وعيدا ، وإذا قال فرحا (سأوريك ما تقر به عينك ، ويملأ قلبك سروراً) كان قوله للبشرى والمسرة .

١٤ — أيه إيه : اسم فعل بمعنى زد فى حديثك الخاص وينون على معنى زد فى مطلق الحديث وأيه : صوت يقال أيهت بالفرس إذا دعوتها ، وأيه القانص بالصيد : زجره قال البعيث :

فصبحه عند الشروق غدية
كلاب ابن عمار عطاف وأطلس
محرجة حص كأن عيونها
إذا أيه القناص بالصيد عفرس

وقد روى الثانى محـــرجة حصا ولكن ابن برى قال الرواية بالرفع وروى الكلسان والصحاح والتاج إذا أذن والرواية فى شعره إذا أيه ، والضمير فى فصبحه عائد على حمار الوحش ، وفى عيونها عائد على الكلاب وتذكيره فى بعض المصادر تحريف ووهم ، والمعاجم كلها تثبت أن (أيه) يتعدى بالباء كما سبق لكنى قرأت فى ديوان حميد الهلالى طبعة العلامة الميمنى قصيدة صوب نسبتها إلى أبى داود فيها :

كهز الردينى بين الأكف
جرى فى الأنابيب ثم اضطرب
غدونا نريد به الآبدات
نؤيه بين هاب وهب

ما يدل على تعديها بنفسها ، و (أيوه) كلمة يجيب بها الندل : صبيان المقاهى والفنادق من يطلبونهم لمطاليبهم ، ويظن بعضهم أنها عامية ، ولكن الشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل) جوز استعمالها وصحتها مستندا إلى قول الزمخشرى فى الكشاف عند تفسيره قوله (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى) (إى بمعنى نعم فى القسم كما كان هل بمعنى قـــد فى الاستفهام خاصـــة وسمعتهم يقـــولون فى التصـــديق (أيو) فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده) والناس تزيد عليه هاء السكت فتصير (إيوه) فليس غلطا كما توهم بعضهم .

١٥ — بحث : قرأت فيما سبق من مجلة الأزهر الغراء مقالا لنحوى عظيم عاب فى آخره أن جمع كبير مفتشى اللغة العربية بحثا على أبحاث معتمدا فى نقده على قول النحويين إن (أفعال) لم يسمع فى جمع فعل مفتوح الفاء ساكن العين صحيحها إلا فى قول الله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) آية ٤ الطلاق وإلا فى قول الأعشى :

وجدت إذا اصطلحوا خيرهم
وزندك أثقب أزنادها

وإلا فى قول الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ومستندا إلى أن جمهورهم لا يقيس جمع فعل السابق على أفعال .

وقرأت فى محضر مؤتمر مجمع اللغة العربية (الدورة ٢٦ لسنة ٥٩-١٩٦٠) قول عضو من السادة الأعضاء فى ص ٦٤ (تكررت كلمة أجاد فى المحاضرة وأحب أن أقول إن فعل يجمع على أفعل أو فعول ولكنه لا يجمع على أفعال إلا فى كلمات قليلة مثل زند وأزناد) وقول العضو نفسه فى ص ٦٥ (جمع نهر على أنهار غير صحيح لأن أنهر جمع نهر) وقول عضو آخر فى الصفحة ذاتها (بحثت عن الألفاظ التى جمعت من فعل إلى أفعال فلم أعثر إلا على

حوالى ثلاثين كلمة نشرتها فى مجلة المجمع العلمى بدمشق .

وأرى أن حكم النحويين بندرة أو شذوذ هذا الجمع فى الثلاثة السابقة لامعنى له ولا حق فيه بعد أن استعمل القرآن خمسة منه : ألف وآلاف ، وحبر وأحبار ، وحمل وأحمال ، ومشج : خلط وأمشاج ، ونهر وأنهار ، ونحن نعلم أن القرآن لا يأتى بالشاذ ولكن يأتى بالقليل ، وراجع قول الدنوشرى ص٢٧٥ من الجزء الثانى من حاشية يس على التصريح ، والمواهب الفتحية جـ ١ ص ٥٥ نقلا عن ابن عرفة وهو يرد على أبى عمرو .

وأرد على من قال بعدم صحة أنهار بآية ١٥ من سورة القتال «فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى» ، إلى غير ذلك من عشرات الأنهار فى آى القرآن ويقول على كرم الله وجهه فى اللسان (مجد) أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد .

وأرد على من لم يعثر إلا على حوالى ثلاثين كلمة باستنباط أكثر من هذا مرتبا الكلمات بحسب أبواب اللسان شارحا ما غمض منه بنقطتى التفسير من علامات الترقيم :

فمن باب الهمزة : بدء : خير نصيب فى جزور الميسر وأبداء ، جزء وأجزاء ، شطء : ما خرج حول أصل الشجرة وأشطاء قرء : حيض أو طهر وأقراء ، نسىء : تأخر الحيض وأنساء .

ومن الباء : نقب : طريق بين جبلين وأنقاب ، ورب : وجار الوحش وأوراب ووطب : سقاء اللبن وأوطاب ، وغب : سقط المتاع وأوغاب ، وقب : أحمق وأوقاب .

ومن التاء : — أمت : مرتفع من الأرض وآمات ، خبت : مطمئن من الأرض وأخبات ، خرت : ثقب وأخرات ، مرت : مفازة وأمرات ، وقت وأوقات .

ومن الثاء : — برث : أرض سهلة وأبراث ، دمث : أرض سهلة وأدماث ، دعث : أول المرض وأدعاث .

ومن الجيم : — خرج : إتاوة وأخراج ، عفج : معى وأعفاج ، مشج : كل شيئين مختلطين وأمشاج .

ومن الحاء : — شبح : شخص وأشباح ، قزح : تابل وأقزاح ، ندح : ما اتسع من الأرض وأنداح .

ومن الخاء : — جبخ : حجر وأجباخ ، فرخ وأفراخ .

ومن الدال : — ثمد : ماء قليل وأثماد ، رأد : غصن رطب وأرءاد أو أراد ، وزند وأزناد ، صلد : صلب أملس وأصلاد ، عضد وأعضاد ، ويقول اللسان : ولا يكسر على غير ذلك فى جميع لغاته ، علد : عصب العنق

وأعلاد ، فرد وأفراد ، قرد : عنق وأقراد، لغة فى كرد ، لحد وألحاد ، نجد وأنجاد ، ورد وأوراد ، وغد وأوغاد ، وفد وأوفاد (عن المصباح) .

ومن الذال :ــ نبذ : شىء قليل وأنباذ.

ومن الراء :ــ أجر وآجار ، أير وآيار، بزر وأبزار ، بعر وأبعار ، بكر وأبكار ، ثأر وآثار ، جفر : ما عظم من الشاء واستكرش وأجفار، حبر وأحبار، حفر وأحفار، خطر: إبل كثيرة وأخطار ، زهر وأزهار ، سحر وأسحار ، سطر وأسطار ، شعر وأشعار ، صفر : خال وأصفار ، عمر : حياة وأعمار ، غمر وأغمار ، فكر وأفكار ، قدر وأقدار ، نبر : هرى الطعام وأنبار ، نسر وأنسار عن القاموس فى (القرذع) ، نهر وأنهار ، وكر وأوكار .

ومن الزاى :ــ نشز : ما ارتفع من الأرض وأنشاز ، وفز : ألا يطمئن فى قعوده وأوفاز .

ومن السين :ــ أمس وآماس ، رأس وأرءاس أو وآراس ، رغس: نعمة وأرغاس، رمس وأرماس ، عجس القوس: موضع السهم وأعجاس ، غرس وأغراس ، قلس : قىء وأقلاس ، كدس: عرمة من الطعام وأكداس.

ومن الشين :ــ عرش وأعراش ، كبش وأكباش ، وخش : رذل ساقط وأوخاش .

ومن الصاد :ــ حفص : زبيل من أدم وأحفاص، شحص : شاة ذهب لبنها وأشحاص، شخص وأشخاص ، عرص : وسع بين الدور وأعراص .

ومن الضاد :ــ أرض وآراض ــ ولم تجىء فى القرآن جمعا ــ ، برض : قليل من الماء وأبراض ، بعض وأبعاض ، عرض وأعراض، غرض: حزام القتب وأغراض، غمض : منخفض من الأرض وأغماض ، نقض : ما نقضته وأنقاض ، وفض : عجلة وأوفاض .

ومن الطاء :ــ رهط وأرهاط ، مشط وأمشاط .

ومن العين :ــ ربع وأرباع ،سجع وأسجاع سمع وأسماع ــ ولم يجىء فى القرآن جمعا ــ ، ضبع : وسط العضد بلحمه وأضباع ، لطع: حنك وألطاع مرع : كلأ وأمراع .

ومن الغين :ــ رفغ : أصل الفخذ من باطن وأرفاغ ، صبغ وأصباغ .

ومن الفاء :ــ ألف وآلاف ، أنف وآناف ، شنف وأشناف ، صنف وأصناف، طنف وأطناف ، ظلف وأظلاف ، لجف : محبس السيل وألجاف ، نصف وأنصاف .

ومن القاف :ــ سبق وأسباق ، شدق وأشداق ، عمق وأعماق ، مأق وآماق ، محق: ذهاب البركة وأمحاق ، مزق وأمزاق ، معق: أرض لانبات فيها وأمعاق ،وسق: حمل وأوساق

(البقية على صفحة ٨٠٠)

ما يقال عن الإسلام

الخلافة والإمامة

للدكتور أحمد فؤاد الإهوانى

حين بلغ محمد عليه السلام سن الأربعين ، نزل عليه الوحى بالغار ، واصطفاه الله نبيا ، ثم أمره بإبلاغ الرسالة وإنذار قومه فأصبح إلى جانب كونه نبيا رسولا . وحين عذب واضطهد أمره الله بالهجرة ، فذهب إلى المدينة وأصبح نبيا ، ورسولا ، وحاكما .

كان رئيس الجماعة الإسلامية كلها يتصرف فى الشئون السياسية ، ويقود الحرب والغزوات ، إلى أن فتحت مكة ودانت معظم بلاد العرب للإسلام .

وحيث كان الإسلام فى جوهره دينا ودنيا ، فلا غرابة أن يجمع الحاكم فى شخصه بين الإمامة الفقهية الشرعية وبين القيادة السياسية . فالسياسة نفسها قائمة على الشرع ومستمدة منه ولذلك قيل : « السياسة الشرعية » . وكل فرد من أفراد المسلمين مكلف أن يهتم بأمور الدين والسياسة ، بحكم أن كل مسلم مطالب بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولكن اتساع رقعة الإسلام ، ونمو الدول الإسلامية ، ورقى الحضارة ، واتساع العمران ، كل ذلك أدى إلى التخصص فى الأعمال ، بحيث ينقطع كل فرد إلى عمله يتوافر عليه ليتقنه ، وعندئذ ظهرت المناصب السياسية المتخصصة .

ولم يتم هذا التخصص دفعة واحدة ، إذ فى عهد الخلفاء الراشدين كان الجمع تاما بين هذه المناصب . فقد كان أبو بكر إمام المسلمين فى الصلاة ، وفى الفقه وفى الحكومة وهو الذى قام بحروب الردة ، ووجه بعد ذلك الجيوش إلى الشام . ولكن خلافته لم يطل زمانها وكان عمر فقيها كبيراً ، له آراء حاسمة فى التشريع الإسلامى ، بحكم ظهور أمور لم تكن معهودة زمان النبى صلى الله عليه وسلم حتى ينزل بشأنها الوحى . فكان ممن أفتى فى الأمور الجديدة التى ظهرت بعد اتساع الفتوحات . والحق أن عمر ثبت قواعد الإسلام بتشريعاته وطريقة تنفيذها ، كذلك يعد أعظم حاكم سياسى فى الإسلام من الناحية الحربية والإدارية والتنظيمية . وقل مثل ذلك عن عثمان وعن على . ويسمى

هؤلاء الأربعة فى التاريخ بالخلفاء الراشدين، كان حكمهم مثاليا لم يجر مثله فى الإسلام بعد ذلك. سموا بالخلفاء لأن النبى حين حضرته الوفاة فى مرض الموت سئل أن يستخلف فلم يعين شخصا بعينه، وترك الأمر للسلمين يختارون من يشاءون. ومن المعروف أن المهاجرين والأنصار اختلفوا بعد موت النبى، فقال الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير»، إلى أن تمت البيعة لأبى بكر. وقد كان لقب الأمير معروفا فى حياة النبى، بمعنى رئيس الجند، وكان النبى يعهد بإمارة الجند لشخص بعينه إذا مات يسمى شخصا آخر يتولى الإمارة.

فالألقاب التى أطلقت على الحكام بعد موت النبى هى: أمير المؤمنين، والخليفة، والإمام، أشيعها أمير المؤمنين، ثم الخليفة لأنه خليفة رسول الله. أما عمر فهو خليفة رسول رسول الله، ثم قيل الخليفة اختصارا، وسميت حكومة الأربعة الأوائل بالخلفاء الراشدين. أما الإمام فإنه اسم يطلقه الشيعة على الحكام الذين يستمدون سلطتهم من مصدر دينى.

ومع ذلك فإنها كانت تدل على معنى واحد فى الصدر الأول، إلا أن التطور التاريخى أكسب كلا منها معنى مختلفا عن الآخر، ولم يحدث التمييز الدقيق بين هذه المعانى إلا بعد مرور عصور تاريخية طويلة وأحداث كبرى. وحين بدأ - فى بداية القرن الثالث - تدوين العلوم والبحث فى الشروط التى ينبغى توافرها فى الحاكم، وضع العلماء - إن فى كتب الفقه أو فى علم الكلام - هذا المبحث تحت باب «الإمامه» ويقصدون بها الخلافة اللهم إلا فى كتب الشيعة فإنهم لا يقولون إلا بالإمامة. وتميزت السنة وعلماؤها بالقول بالخلافة، واختصت الشيعة بالامامة، حتى إذا أطلقت الإمامة أو قيل الإمام انصرف الذهن إلى الشيعة. ولو أن أهل السنة كثيرا ما يطلقون - حتى فى الوقت الحاضر لفظ - الإمام على الزعيم أو المفكر الدينى، كما قيل عن الأستاذ الإمام مثلا، ويقصدون به الشيخ محمد عبده.

وقد صدر قريبا كتاب للقاضى «عبد الجبار» المعتزلى «عن الامامة». توفى عبد الجبار سنة ٤١٥ هجرية أى فى أوائل القرن الخامس وكتابه هو الجزء العشرون المتمم لكتاب المغنى، الموسوعة الكبرى فى علم الكلام. وهو لا يقصد من الإمامة إلا ما نعنيه بالخلافة وقد كشف هذا الكتاب النقاب عن السبب الذى سمى من أجله الفصل الخاص بالسياسة فى علم الكلام بالامامة. فقد ذهبت الشيعة إلى أن الإمام، وهو أمير المؤمنين على ابن أبى طالب، له الحق أن يكون إماما بالنص والتعيين، إما بالاسم أو بالصفة، اعتمادا على حديث النبى عليه الصلاة والسلام فى الخطبة التى قال فيها عند غدير (خم): من كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللهم وال

من والاه إلى آخر هذا الحديث ، ومعنى ذلك عند الشيعة أن الإمامة لا تكون إلا بالنص والتعيين ، وهم يضيفون إلى هذا الأساس مفاهيم أخــرى لم يرض بها أهل السنة فنهضوا للرد عليها من الناحية النظرية الشرعية اعتمادا على الحديث والإجماع والقياس وكتاب « عبد الجبار » الذى يقع فى زهاء سمائة صفحة كبيرة عبارة عن إبطال مذهب الإمامة عند الشيعة ، وإثبات صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، وأن الإمامة تكون بالاختيار لا بالنص . على هذا الأساس أشتهر المبحث فى كتب علم الكلام بالإمامة سواء عند أولئك الذين سبقوا القاضى عبد الجبار مثل : أبى على الجبائى ، ، وأبى القاسم البلخى ، ، « والكعبى » وغيرهم ممن يذكرهم فى كتابه وينقل عنهم ، أم عند علماء الكلام الذين جاءوا بعده مثل : النسفى فى عقائده ، وهو يقول فى هذا الصدد : « وأفضل البشر بعد نبينا : أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ثم ذو النورين ، ثم على المرتضى على هذا الترتيب . والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وإمارة . المسلمون لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ... الخ » هذه الآراء وما ورد بعدها عن الإمامة ، وشروط الإمام وصفاته ، إنما هى تلخيص لما ورد فى كتاب القاضى الذى كان على الرغم من اعتزاله شافعيا . ومن هنا كانت أهميته البالغة فى الكشف عن آراء أهل السنة القائلين بالخلافة فى مقابل الشيعة القائلين بالإمامة .

فالخلافة والإمامة بحثان سياسيان وشرعيان فى غاية الأهمية منذ ظهور الإسلام حتى زمن قريب ، عندما غربت شمس الخلافة من تركيا ، وأصبح المسلمون فى أرجاء العالم ولأول مرة فى التاريخ بغير خليفة ، كما أخذ المسلمون بالنظم الحديثه المتطورة فى السياسة والحكم .

ولم تظهر فى التاريخ الإسلامى سوى كتب قليلة تبحث فى نظام الحكم ، فقد ذكرنا كيف تعرض الفقهاء وعلماء الكلام لهذا المبحث حتى القرن السادس . وقد ظهرت منذ القرن الخامس عدة كتب تبحث فى هذا الموضوع من الناحية السياسية ، على رأسها كتاب « الماوردى » فى الأحكام السلطانية ، وهو أشهر كتاب فى هذا الموضوع يصور نظام الحكم كما كان متبعاً فى الواقع . وفى نفس الوقت كتب الفلاسفة كالفارابى وابن مسكويه وابن سينا فى السياسة بطريقة مثالية ، نقلا فى الغالب عن النظم اليونانية بما يشبه الطوبيات أو المدن الفاضلة .

وأسهم المستشرقون بالكتابة عن النظم السياسية ، وأفضل ما ألف فى هذا الموضوع كتاب الأستاذ « روزنتال » الذى صدر فى طبعته الأولى سنة ١٩٥٨ . وأعيد طبعه سنة ١٩٦٢ وهو يستعرض فيه النظريات السياسية فى الإسلام ، وجعل عنوانه : « الفكر السياسى فى الإسلام فى العصر الوسيط »

بلغ به إلى ابن خلدون المتوفى فى أوائل القرن التاسع الهجرى . وقد ساق الفصل الأخير حتى القرن التاسع الهجرى ، أو الخامس عشر الميلادى ، حيث تحدث عن الدوانى ، وهو محمد بن أسعد جلال الدين ، ولد بدوان من أعمال فارس ، ودرس بشيراز ، وله كتاب اسمه (أخلاق جلالى) باللغة الفارسية ، توفى بعد ابن خلدون بقرن من الزمان أى ٩٠٨ هـ. لخص كتاب نصير الدين الطوسى، ووفق بين السياسة التى صورها الفلاسفة وتلك التى عرضها الفقهاء.

ويمتاز كتاب روزنتال بتطبيق مناهج البحث الأوربية الحديثة على علم السياسة والحكم فى الإسلام . وهو يبدأ بفصل عن السعادة ، وأن كل المفكرين فى الإسلام فى العصر الوسيط كانوا يطلبونها ، حتى أصبحت فكرة السعادة الأرسطية خاصة للعصر الوسيط كله الإسلامى والمسيحى على السواء ، ويبدو أن المؤلف ابتدأ بتقديم هذا الفصل لأنه يقيم السياسة على مبدأ أخلاقى ساد عند اليونانيين وهو « السعادة » ولكن الأخلاق اليونانية ممثلة فى أرسطو بوجه خاص ، إذا كانت تعتمد على السعادة باعتبار أنها الغاية القصوى للإنسان التى ليس وراءها غاية ، وإذا كان الفلاسفة المسلمون قد اعتمدوا على هذا الكتاب (الأخلاق لأرسطو) اعتمادا كبيرا وعلى مبادئه وتقسيماته ، مما هو واضح من النظر إلى تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ، أو الكتب التى ألفها الفارابى وابن سينا وغيرهما ، فإن الفكر الإسلامى الأصيل كان ينبع من مبادىء مغايرة فى صميمها وفى محورها للفلسفة اليونانية ، ذلك أن جوهر الإسلام ، والأساس الذى يعتمد عليه ، هو الرحمة ، أو العدل ، أو التقوى ، أو رضا الله فإن نظر الانسان من الزاوية الربانيـة فهو يطلب رحمة الله ، وغفرانه ورضوانه وفضله وعدله ، وإن نظر من الزاوية الانسانية راح يطلب المساواة والعدالة التى تحققها ، وزينة الحياة الدنيا ومتاعها ولذتها . أما السعادة التى يطلبها اليونانيون والتى تأثر بها بعض الإسلاميين ، ومنهم الغزالى ، فهى « بخاصة » القوة العاقلة فقط . أما القوتان : الشهوانية والغضبية فتحقيقهما لا يبلغ بالمرء السعادة بل اللذة . مهما يكن من شىء فإن المسلمين فى الصدر الأول ما كانوا يعرفون هذه السعادة اليونانية ، حتى إن الأوصاف القرآنية للجنة شملت فيما اشتملت أوصافا حسية للذة والنعيم مما يترتب على الاستمتاع بها . فان يحاول المستشرقون أن ينزعوا عن الاسلام كل فضل ، وأن يرجعوا بجميع الأفكار إلى الفلسفة اليونانية فهو التحيز ، والتحيف ، ومحاولة هدم الاسلام بتحطيم قيمه .

فإذا ما انتقلنا إلى الفصل الثانى حتى الخامس رأينا المؤلف يحدثنا عن طائفة من المؤلفين فى السياسة على طريقة أهل السنة ، ويختار الماوردى . ثم الغزالى ، ثم ابن جماعة ،

هم ابن تيمية . ولسنا نعترض على هذا الاختيار، فهو يأخذ بمثلين بارزين للفكر السياسى المتعلق بالخلافة ، وفى الوقت نفسه لا يغفل غيرهم ممن كتب فى هذا الموضوع ، بل يذكرهم فى ثنايا عرضه لأولئك الممثلين . وفى الفصل الثالث يتحدث عن الحكومة والوزارة ويقيم ذلك على مفاهيم أخلاقية ، ويختم هذا الفصل بعرض كتاب الفخرى لابن طباطبا . وفى الفصل الرابع يعرض نظرية الدولة القائمة على القوة بحسب ما جاء عند ابن خلدون .

نقول : إن المؤلف فاته أن يتناول جانبا أساسيا له منزلته فى الفكر السياسى الأصيل وهو رأى الفقهاء والمتكلمين . وقد سبق التنويه بكتاب القاضى عبدالجبار ، وهو جدير بالعرض ، ويمثل آراء إسلامية أصيلة تعتمد على القرآن والسنة والإجماع والقياس . ولعل عذره فى ذلك أن الكتاب لم يكن معروفا ولم يكن قد صدر بعد . ولكن ما نأخذه حقا على المؤلف هو الخلط بين الخلافة والإمامة ، وبين الخليفة والإمام ، كما ورد فى صفحات كثيرة نذكر منها ص ٥٩ ، وص ٦٢ من طبعة سنة ١٩٦٢ ، فهذا مثلا صاحب الفخرى يقول فى استهلال الفصل الأول : « أما الكلام على أصل الملك وحقيقته وانقسامه إلى رياسات دينية ودنيوية من خلافة وسلطنة وإمارة وولاية ، وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن ومذاهب أصحاب الآراء فى الإمامة فليس هذا الكتاب موضوعا للبحث عنه . » ويتضح من ذلك التقابل بين الخلافة والإمامة من جهة ، والفصل بين الخلافة والسلطنة من جهة أخرى .

أما الأسس الأخلاقية التى تقوم عليها الدولة، وينبغى توافرها فى الحاكم ، فإنها مستمدة من القرآن والسنة ، ولذلك فهى إسلامية صميمة ، وليست منقولة عن اليونان ، أو الفرس . وقد ذكر الماوردى شروطا سبعة ينبغى توافرها فى الحاكم (ويسميه الإمام ، وقد عرفنا العلة فى ذلك) . أولها العدالة ، وثانيا العلم المؤدى إلى الاجتهاد ، والثالث والرابع يمكن جمعهما فى شرط واحد هو الصحة لا المرض والعجز . والخامس الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح . والسادس الشجاعة والنجدة ، والسابع النسب . فأين ذلك من الأخلاق اليونانية التى تحاول إعلاء الفضيلة العاقلة على سائر الفضائل الأربع .

وإذا كان الفلاسفة قد خاضوا فى نظريات الحكم ، فلم يقدر لهذه النظريات أى تأثير ، لتجافيها عن الروح الإسلامى من جهة ، وابتعادها عن النظر إلى الواقع وحل مشكلاته من جهة أخرى . فلا تزال الخلافة القائمة على الاختيار والبيعة وإجماع أهل الحل والعقد ، هى أمثل نظريات الحكم سواء منذ الصدر الأول فى الإسلام أم فى الوقت الحاضر؟

د . أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

التأمين
وموقف الشريعة الإسلامية منه

عرض وتعليق : الأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

عنوان الكتاب كاف فى التعريف بموضوعه ، ومؤلفه هو الأستاذ محمد السيد الدسوقى المحرر الأول بالمجمع اللغوى .

وقصة الكتاب يلخصها الأستاذ على على منصور رئيس لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى تقديمه للكتاب :

تقدم لهذا البحث أحد الشباب الذين يقومون بالدراسات العليا فى كلية دار العلوم ؛ إذ قيد التأمين موضوعا لدراسته ثم مضى تحت إشراف أستاذه يعالج الموضوع من جميع جوانبه . وكان ذلك منذ أعوام خلت وقبل أن يقدم (التأمين) لمجمع البحوث الإسلامية ليرى فيه رأيه .

فلما فرغ صاحب البحث من إعداده وكان مجمع البحوث قد بدأ يدرس الموضوع لم يثنه ذلك عن أن يقدمه إلى أستاذه الذى أقره ثم كونت لجنة علمية من كبار الأساتذة لامتحانه فيه .

وقد قوم الأستاذ على على منصور الكتاب تقويما مركزا فقال :

وفى سبيل تهيئة الفرصة لإطلاع أعضاء مجمع البحوث على ما استطاع المؤلف بجهده المحدود أن يصل إليه رجاء أن يصدر المجمع رأيه بعد الاطلاع على كل بحث كتب فى التأمين تقدم صاحب البحث إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية راجيا أن يتولى المجلس نشر بحثه إن كان فى تقدير المجلس جديرا بالنشر .

ورأى المجلس أن البحث يعرض لمشكلة من المشكلات التى تواجه المجتمع الإسلامى ، فأحاله إلى لجنة خبراء العلوم لترى رأيها فيه . وقد قررت اللجنة بعد دراسة البحث أن ينشر ، ولكن لا على أنه تعبير عن رأى المجلس بل مساهمة من المجلس فى نشر البحوث التى تلقى ضوءا على موضوع التأمين الذى هو محل بحث مختلف الهيئات الإسلامية .

وقبل أن يعالج المؤلف موضوعه قال فيما قال معبرا عن هدف الكتاب :

ولا أدعى أن رسالتى حسمت الرأى فى الموضوع ، وكل ما أطمح إليه أن تساعد

فى الوصول إلى رأى جماعى فى مشكلة التأمين.

ومنهج المؤلف فى بحثه يتمثل فى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة وملاحق :

ففى التمهيد عرض لأمرين هما : فكرة التأمين ثم تاريخه وتطوره .

وفى الفصل الأول : تحدث عن تعريف التأمين وناقش تعريفاته الكثيرة وبين أنواع التأمين ووظائفه كما يراها فقهاء التأمين .

وعرض فى الفصل الثانى: التأمين من الناحية الفنية مبيناً عناصره وأركانه وخصائص عقد التأمين ونظرياته العامة .

وفى الفصل الثالث : ناقش فقهاء التأمين فيما يدعونه من أن التأمين التجارى يقوم على التعاون وأنه يحقق فى مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية ما لا يحققه التأمين التعاونى ، ثم عرض للغرر فى عقد التأمين وبين مدى تأثيره على العقد .

وفى الفصل الرابع : تناول عرض آراء فقهاء الشريعة فى التأمين مع تحليلها ومناقشتها .

وفى الفصل الخامس : وازن بين آراء فقهاء الشريعة وفقهاء القانون ووضح كيف ناقض فقهاء التأمين أنفسهم فى تطبيق معنى التعاون على التأمين التجارى موضحا أن الفقه التأمينى فى بلادنا صورة من الفقه الأجنبى وأن هذا الضرب من التعامل بقوانينه ونظمه لا يشبه صورة من صور المعاملات الفقهية المعروفة مثل المضاربة وولاء الموالاة ونظام العواقل والوعد الملزم عند المالكية .

وبين بعد هذا أن الشريعة الإسلامية قد كفلت لكل فرد فى المجتمع الإسلامى - دون تفرقة - بين الأجناس والأديان حياة كريمة فاضلة يسودها الأمن ويرفرف عليها الإخاء والتكافل فى جميع ألوانه وصوره .

وأوضح أن الشريعة الإسلامية لا ترفض نظام التأمين من حيث المبدأ ولكن من حيث كونه نظاما تجاريا ، وذكر الأسباب التى اعتمد عليها فى الحكم على التأمين التجارى بعدم الجواز شرعا .

أما ماسوى التأمين التجارى من ألوان التأمين مثل التأمين الاجتماعى والتأمين التعاونى فعمل مشروع يدعو إليه الدين ويحض عليه .

وقد اقترح المؤلف نظاما للتأمين يتمشى مع مبادئ شريعتنا ويحقق رسالة التأمين كما يجب أن تكون .

وختم هذا الفصل برد الحجج التى يتذرع بها فقهاء التأمين والاقتصاد فى بقاء شركات تجارية التأمين .

وفى الخاتمة أثبت أهم النتائج التى أسفر عنها بحثه وأتبعها ببعض المقترحات التى تتصل بمعالجة القضايا الحديثة فى ضوء الشريعة الإسلامية الغراء .

أما ملاحق الرسالة فهى صور للشروط العامة لبعض وثائق عقود التأمين ليعطى للقارئ صورة للمبادئ والقواعد التى تسير عليها شركات التأمين .

ومراجع البحث التى اعتمد عليها المؤلف تنبىء بمقدار المكابدة التى عاناها فى رحلته الشاقة، إذ تناول التأمين تناولا جذريا فعرض تاريخه مشيرا إلى أنه لم تكن له فى الدراسات الفقهية القديمة ذكر . وأقدم فقيه تحدث عن التأمين هو ابن عابدين فى حاشيته كما تحدث عنه فى رسالته المسماة « أجوبة محققة عن أسئلة مفرقة » ولم يتكلم إلا عن التأمين البحرى الذى كان فى عصره والذى يختلف إلى حد كبير عن التأمين البحرى الحالى لأنه كان أول نوع من أنواع التأمين يعرف فى بلادنا عن طريق التجار الأجانب .

ولدى مناقشته فقهاء التأمين ذكر أن الحقيقة التاريخية تؤكد أن التأمين بدأ فى أول أمره نظاما تعاونيا صرفا، وقد مر بمراحل مختلفة وأشكال متنوعة ، وفى العصر الحديث تنبه أصحاب رءوس الأموال فى أوربا وأمريكا إلى استغلال أموالهم فى هذا المجال فصار التأمين عملا تجاريا ومصدرا من مصادر الثروة لدى طائفة من الناس ولما استفحل خطرهم فى الحياة الاقتصادية أخذ المشرعون فى مختلف الدول يضعون التشريعات التى تحد من انطلاق هؤلاء الناس فى هذا المجال وتحافظ على حقوق الطرف المذعن أو الطرف الضعيف وهو دائما المستأمن لأنه يوقع على عقد مطبوع.

ومع الزحف الاستعمارى امتد نشاط شركات التأمين خارج بلادها لا رغبة فى أداء رسالة اجتماعية ، ولكن رغبة فى المال وسعيا وراء السيطرة والاستغلال » .

ثم قدم آراء بعض الاقتصاديين الأوربيين الذين يشجبون هذا اللون من التأمين لقيامه على التجارة البحتة والاستغلال المرهق .

ثم عرض لعقد التأمين من جانب الغرر الماثل فيه عرضا عميقا ومستأنيا أيضا فقال :

إن من معانى الغرر فى اللغة الخطر والخداع والتمويه معتمدا على تصريف المادة فى «القاموس» وأما الغرر فى رأى الفقهاء فهو الذى يكون مستور العاقبة أو الذى لا يدرى هل يحصل أم لا ؟ كالطير فى الهواء والسمك فى الماء وكل ما لا يوثق بتسليمه فالشىء المعدوم أو الذى لا يوثق بتسليمه أو المجهول يدخله الغرر ، وهو منهى عنه من التعامل بين الناس لما فيه من ظلم ولما يجره من شقاق ، وقد عده الإمام ابن تيمية من الميسر لأنه يفضى إلى مفسدة الميسر التى هى العداوة والبغضاء مع ما فيه من أكل مال الغير بالباطل .

وإذا كانت حاجة الناس فى بعض العصور والأزمان تدعو إلى التيسير وعد ما كان غررا فى زمن ليس غررا فى زمن آخر ؛ فإن هذا مشروط بملاءمته للقواعد الكلية التشريعية التى أهمها عدم أكل المال بالباطل وأنه لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام .

ثم عرج المؤلف على رد ما حاوله بعض المحدثين من نفى الغرر عن عقد التأمين فقال:

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر خاص بالبيع فما كان بيعا وفيه عذر فهو منهى عنه وما كان غير بيع وفيه غرر فليس منهيا عنه ، غير أن هذا لا يساعد عليه مفهوم الغرر لغة أو اصطلاحا ولا يتمشى مع فهم الفقهاء وتطبيقاتهم لمعنى الغرر فقد طبقوه على كل معاملة لا يستطيع فيها أحد الطرفين معرفة مدى ما يعطى أو يأخذ وقت العقد .

ولم يغفل المؤلف محاولة أخرى حاولها أولئك المحدثون اعتمادا على رأى للإمام مالك فقال :

« وإذا كان بعض الباحثين قد ذهب إلى أن التأمين التجارى اليوم أصبح ضرورة اجتماعية واقتصادية هامة وأن الإمام مالك قد قال بجواز الغرر فى العقد إذا دعت إليه ضرورة وكان معاوضة مالية . ومادام عقد التأمين عقد معاوضة مالية وهو ضرورة يجوز أن يدخله الغرر أخذا برأى مالك ... إذا كان بعض الباحثين قد ذهب إلى هذا الرأى فإن التأمين التجارى ليس ضرورة لا سبيل اليها بمعنى أنه لابد منه ، والدول التى ألفت هذا النظام تعترف بأنه ليس امرا ضروريا يجب الحفاظ عليه فليس التأمين - إذن - ضرورة يصح معها التجاوز عما نهى من الغرر ويكون الأخذ برأى مالك فى جواز الغرر فى حالة الضرورة وتطبيقه على التأمين غير صحيح لأنه لا ضرورة تدعو إلى ذلك .

والخلاصة أن عقد التأمين عقد احتمالى وأن عنصر الغرر ملازم لهذا العقد، ومن الخصائص التى يتميز بها وأنه لا توجد ضرورة تجوز الغرر فيه ، وهذا كله يجعل الغرر فى التأمين مفسدا العقد ومنهيا عنه.

وقد وقف المؤلف وقفة طويلة مع فتوى الشيخ محمد عبده فأوضح أمرين فى تلك الوقفة :

الأول : الدهاء الذى اصطبغ به سؤال السائل وعدم اشتمام رائحة التأمين فيه .

الثانى : جواب الشيخ محمد عبده الذى اعتمد فى التجويز على عنصر المضاربة

وقال المؤلف : « لماذا كان السائل رجلا أمريكيا يدير شركة تجارية للتأمين وليس رجلا مسلما يسعى لمعرفة حكم دينه فى هذا اللون من التعامل ؟

إن الذى لا ريب فيه أن هذا السائل لا يهمه أن يحرص المسلمون على أحكام دينهم وأن يأخذوا بها فى أقوالهم وأفعالهم ولكنه يرمى من وراء ذلك تحقيق مصلحته فقط .

إن هذا المدير الاجنبي قد وجد فى المسلمين عزوفا عنه لارتيابهم وعدم اطمئنانهم دينيا إلى مايدعوهم إليه فلم يجد وسيلة أجدى من أن يعرض الأمر على المفتى وقدم سؤاله إليه بصيغة لبقة فلم ترد فيه كلمة « التأمين » ولذا لم ترد فى الإجابة أيضا ، وقد جاءت الفتوى محققة لما يتطلع إليه المدير الأجنبي فطار بها فرحا واتخذها كما اتخذها سواه من أصحاب الشركات سلاحا يجذبون به العملاء ومن يرغبونهم فى التأمين !.

ولكن مع هذا لا تعدو هذه الفتوى دليلا على حل التأمين على الحياة لأنها اعتبرته من المضاربة الجائزة شرعا ، وهذا غير صحيح لأن التأمين لا يشبه المضاربة فى شيء ، فليست هذه الفتوى - إذن - سندا لحل التأمين وإن زعم بعض فقهاء التأمين أن الشيخ محمد عبده قد دعا إلى التأمين » .

وكان المؤلف صادقا مع ضميره إذ أنهى الفصل بما قرره المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية من أن :

١ — التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ — نظام المعاشات الحكومى ومايشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول أخرى ، كل هذا من الأعمال الجائزة .

٣ — أما أنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات أياً كان وضعها فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين ، مع الوقوف قبل إبداء الرأى على آراء علماء المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية بالقدر المستطاع .

وبعد : فالمؤلف جدير بالتقدير لما بذله من جهد فى جوب الدروب والمنعطفات مع رحلته الشاقة المضنية تزامله الأمانة العلمية والنقاش الجاد الأصيل ؟

يوسف عبد الهادى الشال

تنبيه واستدراك

فى صفحة ٧٢٣ من هذا العدد سطر ١٦ عمودا حدث سهو فى آية كريمة وصحتها : « وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا » فعلى السادة القراء استدراك هذا .

أنباء وآراء

احتفال الأزهر بذكرى نزول القرآن :

● أقام الأزهر احتفالا رسميا بدأ به احتفالات الدولة بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر الدعوة إلى حضور هذا الاحتفال الذى أقيم بمسجد الإمام الحسين رضى الله عنه .

وقد حضر الاحتفال السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف وشئون الأزهر ، كما حضره كبار رجال الدولة وسفراء الدول العربية والإسلامية والمهتمون بالشئون الاسلامية .

وفى تمام الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس ٢٠ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ بدىء الحفل بآيات من القرآن الكريم ، ثم قدم فضيلة الإمام الأكبر نبذة عن فكرة الاحتفال وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير الشئون العامة والعلاقات الخارجية بالأزهر فى إلقاء كلمته (نص الكلمة منشور بالعدد)

ثم تقدم الدكتور عبد العزيز كامل فألقى كلمة تحدث فيها عما يجب أن نستفيد به من الاحتفالات بالقرآن الكريم ، وأن الواجب على الأمة الاسلامية أن تأخذ من القرآن كل مقوماتها واتجاهاتها إجتماعيا وإقتصاديا وسياسيا وكل جوانب الحياة .

ثم ارتجل السيد حسين الشافعى نائب الرئيس حديثاً قلبياً منفعلا بإيمانه الصادق وحماسته للقرآن واتجاهه إلى أن يكون دستورنا الحى الذى نستمد منه حياتنا ومقوماتنا ومثلنا ، وأشار إلى أنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها (نص الكلمة منشور بالعدد) .

وختم الحفل بآيات من القرآن الكريم .

القرآن كتاب الحياة :

● أصدر الأزهر - بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن - كتاباً عن القرآن الكريم يقع فى ثمانين صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على ثلاثين موضوعا منها نزول القرآن - الأطوار التى مر بها جمع القرآن وتدوينه - مقاصد القرآن - العقائد - الأخلاق - الأحكام - الحريات - الجانب التشريعى فى القرآن - مكانة الأسرة - العبادات - حاجة العالم إلى القرآن .

وقد أشرف المكتب الفنى لقسم الوعظ بالأزهر على إصدار هذا الكتاب .

جوهر القرآن:

كتاب باللغة الإنجليزية ألفه الأستاذ محي الدين الألوائى ونشرته جامعة الأزهر وهو يقع فى جزأين صغيرين .. الأول يحتوى على التعريف بالقرآن وجمعه وجوهر تعاليمه وعلى أصول العقائد وأركان الإسلام والجزء الثانى يحتوى علـى الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية فى الإسلام

وقد قررت جامعة الأزهر تدريس هذا الكتاب فى بعض كلياتها وإهدائه إلى الجامعات الأخرى .

● يحرص الأزهر على أن يكون الاحتفال بذكرى بدء نزول القرآن سنويا استجابة لتطلع النفوس المؤمنة التى تحب أن يظل القرآن الكريم متألقا فى القلوب وموجها رشيدا لسلوك الأمة .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر فى مكتبه وفدا كبيرا يمثل الطوائف المسيحية فى الجمهورية العربيه المتحدة ، حاملا لفضيلة الإمام ولجميع المسلمين تهنئة المسيحين بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، وأعلن الوفد تضامن المسيحين ضد العدوان الاسرائيلى على الأديان والاماكن المقدسة .

● تبادل التهنئة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر مع ملوك ورؤساء الدول العربيه والاسلامية وكبار رجال المسيحية بمناسبة عيد الفطر المبارك وعيد الميلاد المجيد ، والكل يتجه إلى الله العلى القدير أن ينصرنا على أعداء الانسانيه وكل من عاونهم أو كان معهم .

● رشح مجلس جامعه الازهر فضيلة الاستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعه الازهر لنيل جائزة الدولة التقديرية فى الآداب

مناقشة السياسة الدينية بمجلس الأمة :

● طلب أكثر من ١٢٠ عضوا بمجلس الأمه مناقشة السياسة الدينية فى الدولة وستبدأ المناقشة فى أوائل الشهر الحالى . ومن بين التوصيات التى أعدها الأعضاء ضرورة تدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم

الأوقاف تدعم الدعوة الاسلاميه :

● قرر السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الاوقاف وشئون الازهر إنشاء صندوق لاستثمار الاموال التى تحصل الاوقاف عليها من أعيانها المختلفه فى دعم الدعوة الاسلامية ورسالة الدين فى كل مكان

وستكون موارد الصندوق من ريع أراضى الاوقاف التى تديرها الهيئة العامة للإصلاح الزراعى وما تحصل عليه من المحافظات والمجالس المحليه وأموال البدل وأى هبات أخرى وينتظر أن يكون رأس مال الصندوق أكثر من ثمانية ملايين جنيه .

مجمع البحوث الاسلامية :

يتخذ مجمع البحوث الاسلامية خطوات علمية بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم، منها وضع موسوعة قرآنية تضم كافة المعلومات الخاصة بالقرآن واقتراح موضوعات للكتابة فيها على مستوى علمى رفيع، وتحقيق ونشر المخطوطات العلمية الخاصة بالقرآن وعلومه .

● أصدر مجلس مجمع البحوث الاسلامية توصية إلى جميع قراء القرآن الكريم بأن يلتزموا قراءة واحدة فى المجلس الواحد فى المحافل العامة والاذاعة والتلفزيون ومجالس القراءة التى لا يقصد بها تعليم القراءات ، وذلك تجنبا لما يؤدى إليه الجمع بين القراءات المختلفة من تطريب غير لائق وبلبلة للسامعين

● تبرع السيد الأستاذ عبد الله كنون - من المغرب - عضو مجمع البحوث الاسلامية بمكافأة عضويته بالمجمع عن عام ١٩٦٧ للمجهود الحربى للقوات المسلحة بالجمهورية العربية.

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

بقية المنشور على صفحة ٧٨٧

ومن الكاف :ـ ورك وأوراك .

ومن اللام :ـ أهل وآهال ، بغل وأبغال عن المصباح ، جفل : خثى الفيل وأجفال ، حبل وأحبال ، حمل وأحمال ، دحل : نقب ضيق الفم ثم يتسع من أسفل وأدحال . رذل وأرذال ، رطل وأرطال ، سحل : ثوب لا يبرم غزله وأسحال ، شغل وأشغال ، شكل وأشكال ، ضحل : ماء قليل وأضحال ، طبل وأطبال ، محل وأمحال ، نجل : نز وأنجال ، نذل وأنذال ، نسل وأنسال ، هجل : مطمئن من الارض وأهجال ، وحل وأوحال ، وعل وأوعال ، وغل وأوغال : خسيس .

ومن الميم :ـ وغم : حقير وأوغام ، وهم وأوهام .

ومن النون :ـ جفن وأجفان ، دجن وأدجان ، صفن : وعاء الخصية وأصفان ، وزن وأوزان .

ومن الهاء :ـ سته : دبر وأستاه .

ومن الواو والياء :ـ رأى وأرآء أو آراء ، صعو : طائر صغير وأصعاء ، مهو : سيف رقيق وأمهاء ، نأى وأنئاء أو آنـاء ، نحو وأنحاء ، نزو : وثبان وأنزاء .

وأرى بعد أن وقفت على هذا العدد الكثير من الكلمات التى جمعت على أفعال الحكم بإبطال الشذوذ أو الندرة والقياس عليه فيما لم يرد له جمع شأنه شأن فعول أو أفعل فلا مانع من أن نجمع الكلمات (قمح ، وشرح ، وفصل وختم ، ورقم ، نجل : ولد) على أقماح ؛ شروح ، وفصول ، أختام ، وأرقام وأنجال والكلمة الأخيرة لمجمعنا الموقر فى مثل هذا .

يتبع

على السباعى

Besides, levi Eshkol, the Israeli Prime Minister stated that his country would never return to its former frontiers after it had usurped new strategic lands.

This, however, gives a clear picture of the expansionist schemes of zionism, but the Arab people will never accept this, because this move is a flagrant aggression against Islam and Christianity.

The Islamic world as well as the Christian one denounce the expansionist tendencies of zionism and will do what they can to thwart these aims.

(Continued from page 7)

mankind, gains fresh lustre when brought under the search-light of unbiased criticism.

CONCLUSION

In conclusion, it is clear that the greatest miracle in the whole universe is the Holy Qur'an. Every syllable is of divine origin eternal and uncreated as God. The Prophet Mohamed himself neither read nor wrote. His being illiterate enhances the marvel of his revelation.

Islam is in fact an ideology, a system of life, which is universal in its approach. and eternal in its application. It is universal because the message of Islam is not confined to Arabs or Asians. It is for mankind at large. It is also eternal in its application because its religio-ideology has been ordained for humanity by Divine Will as revealed in its final and comprehensive shape through God's last Prophet Mohamed. God says in the Holy Qur'an "This day have I perfected for you your religion, completed my favour to you, and chosen for you Islam as your religion". 5 : 3

that the partition of Palestine threatened their dignity and Arabism, it undermined the Arabs rights in their homeland and gave to a foreign power a right that was not its own. All the Arab people defended their rights in Palestine.

As soon as the British Mandate on Palestine expired on May 14th, 1948, David Ben Gurion declared the creation of the Jewish State.

There was no alternative before the Arabs except armed conflict since they regarded Palestine as an integral part of the Arab world. At the beginning the war balance was in favour of the Arabs, but certain shameful incidents occurred which turned the tide in favour of the Jews, thus Israel became a thorn in the side of the Arab nation, and the Arab refugee problem remained a humanitarian tragedy in the Arab world.

The zionist leaders left no chance, since the establishment of Israel, to declare that they want to expand their territorial frontiers so as to absorb all world Jews.

In 1951 Ben Gurion stated that he was not satisfied with the narro strip of land Israel occupied in Palestine; he declared that the creation of Israel was the beginning of our independence. He called for the seizure of Jerusalem for without it the state is meaningless, and said that the map of Palestine is not our state's, we have a bigger map that the younger generations have to correct, a map that shows the Jewish state in its historical borders from the Euphrates to the Nile, we would not accept our present frontiers.

The Israeli Reformist Party Chairman Vladimir Jobotinsky said in the Jewish veterns congress on October 28th, 1955 : "We will drive the Arabs out of Palestine and Jordan and make them return to their deserts; we shall establish our state first on both banks of the Jordan, then beyond the frontiers of Palestine.

These zionist racialist leaders went further in their racist policies and statements one of them called Norman Bentwitch stated that it was impossible to confine our state to the present frontiers of Palestine, Jews could spread into the neighbouring countries from Iraq to Egypt because God gave this land to His chosen people.

Following the recent aggression in June 1967 — radio Israel called the Israeli Head of State Zalman Shaezar as the first president of the United Jerusalem, it called the west bank of the Jordan as Western Israel.

no effort in enlisting the support of foreign governments for Jews in their struggle to create a national home.

During that congress a Jewish flag was set as well as a national anthem, and several Jewish and zionist organizations were established.

It was reported that Sir Moses Montifury made a suggestion to Mohammad Ali to establish a Jewish national home. Some Jews bought citrus farms near Jaffa. But when Hertzel assumed the leadership of the zionist movement he went further in this idea.

He paid attention to the Jewish affairs during the trial of Alfred Drefous — a French officer — and exploited this incident to further the Jewish interests, and declared that Jewish problem was a national as well as international one.

When Lord Arthur J. Balfour gave his ill-advised Declaration Nov. 2nd, 1917, he unintentionally paved the way for the expansionist aims of zionism. Balfour was misled into giving that declaration, because Palestine was not British colony; even he used the word Jewish national home instead of a Jewish state, since a state implies sovereignty and independence.

The Arabs protested against and condemned that declaration as invalid.

During the Second World War, the zionist organizations entered a new stage in their struggle to create a Jewish state. In that time the Allied Powers decided to put Palestine under the British Mandate in order that Britain could fulfil Balfour Declaration.

This Mandate implied that the Allied Powers approved the Declaration, so Britain had no choice but to fullfil it.

Despite all this, the zionists started a new campaign to consolidate the position of the Jews in the world. They urged the British to publish what was called—the White paper—to explain Balfour Declaration.

They, however, made great efforts to win the support of the U. S. A. to their case, and they succeeded, for the American government supported the establishment of a Jewish state in Palestine. This enraged the Arab countries and led to their opposition to this attempt.

In the face of the Arabs opposition, zionist leaders took the issue to the United Nations which called for the formation of special fact-finding committees. Some of these committees supported zionist claims. The Arabs decided to face the situation unrelentlessly; they declared

Religion Condemns the Expansionist Zionist's Aims

BY

DR. GAMAL ELDIN ELRAMADY

The Israeli attempt to annex the old city of Jerusalem enraged the Islamic as well as the Christian worlds, and led to violent reactions all over the world, because this move is considered as a flagrant violation against the sanctity of religion and the grand ideals.

However, the Israeli expansionist intentions are not new, but they appeared with the establishment of the world Zionist organization which advocates the supremacy of the jewish race over all other races.

Since its beginning, zionism sticks to these expansionist intentions. At Bazil, where the first world zionist congress was held August 1897, Theodore Hertzel, the father of zionism declared that the return to Zion-Palestine should be prece-eded by the return to Jewry, Chaim Weizman referred to this by saying : Jewry and zionism are inseparable, and that zionism cannot be destroyed without the wiping out of Jewry.

During that congress, the cornerstone of zionism and its expansionist schemes was laid down, and the zionist movement was transferred into a political organization.

Hertzel in his book the 'Jewish State' published 1896, referred to the establishment of a semetic state and said that this state would ease anti-semitic feelings, because this state would absorb large numbers of homeless jews. Hertzel called for the establishment of a home anywhere. He asked the then British Colonial Secretary Joseph Chamberlain to provide the Jews with a land to make it their national home, he then suggested Cyprus or Sinai pennensula as a place for this purpose. But Chamberlain refused that idea.

The Jewish Congress however, passed several resoultions calling for the restoration of the Land of Israel with its historical frontiers, and the gathering of all Jews in their ancient home. The Congress also called for large-scale immigration to Palestine and the awakening of national feelings among world Jewry. The world Jewish Congress spared

Egyptians, and tobacco and corn from American Indians.

The intellectual life of the world, as far as science and learning are concerned, is definitely internationalized.

Children everywhere are guarded from diphteria by the vaccine that a Japanese scientist and a German scientist have discovered. They are protected from smallpox by an Englishman's work. They are saved from rabies by Louis Pasteur's discovery.

(3) Of great significance is the fact that achievements are not confined to any specific group or race. One needs only to remember his history studies to know that Egypt is the cradle of civilization, to know about the Sinic civilization, the Indic civilization, the Hellenic civilization, and the Islamic civilization.

Now then, can anyone tell us, scientifically, who is Negro, who is white ? who is black and who is brown ? Who is superior and who is inferior ?

If our measures have failed to render us the right answer let us have it from the Holy Qur'an :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

" O mankind ! Lo ! We have created you from a male and a female, and have made you nations and tribes that ye may know one another.

Lo ! the noblest of you, in the sight of Allah, is the best in conduct.

Lo ! Allah is Knower, Aware(1).

(1) Verse No. 13. Surat Al-Hujurat (The Private Apartments.)

all other people whom they call Gentiles.

In order to shed more light on our problem of superiority, I should like to summarize some findings of scientists. In the anatomical approach scientists say: "It is obviously impossible, then, to arrange the races in any evolutionary order, for none proves, on close examination, to be consistently more simian than the others".[1]

Some scientists claimed that the size of the brain has been offered as evidence of superiority of certain races. But recently, many scientists have come to these findings.

"The preliterate Eskimos have an average of 1535 cc, and a range of 1418 cc to 1624; and other peoples of simple culture, such as the Polynesians, Chukchee, Kaffirs, and Javanese can boast of large cranial capacity. If we followed the reasoning of the racialist, we should have to acknowledge the Eskimos as our intellectual superiors, and even the extinct and primitive Neanderthal man would rate as our equal; perhaps even our superior. In short, the mere size of the brain appears to give no indication of the capacities or the achievements of ethnic groups any more than it does for individuals within any particular group"[1].

Also, we cannot depend on the achievemenets of the various races to prove superiority for many reasons :

(1) We do not have acceptable standards to measure the peoples' achievements. We cannot judge Oriental people by those things in which Westerners excel. "The fact is that no racial or ethnic group excels in all things but each has its own interests and values, goals toward which it strives, and channels into which its efforts are directed"[2].

(2) Any civilization which its people are proud of, and to which theypoint as a proof of their superiority, is not completely confined to the discoveries of one group. For example : all countries have learned these things from Chinese : silk, paper, porcelain, tea, kites, umbrellas, screens, fans, goldfish, grapefruit, soybeans, and many other things.

What has been said about China's contribution can be said about all countries. We have come to know about cotton from India, soap from ancient Gaul, tanned leather, embalming art, and glass from ancient

(1) Ibid., p. 67.

(1) Ibid., p. 68.

(2) Ibid., pp. 69—70.

he is *an Indian.* And what is the Indian ?

He is "an individual with black, coarse hair, yollow-brown skin, wide cheek bones, and a high bridged, convex nose."*(1)*

Of great importance is the fact that almost in every city, if not in every twon, all over the world, we can find many people who would fit this description ; yet we do not call them "Indians" ! ! on the other hand, we can certainly find a considerable number among the Indians who do not fit this definition, nevertheless, we call them "Indians"!

The Negro has been also defined by biologists as "an indvidual having dark skin color, wooly hair, broad nose, thick lips and various other delimiting physical features."*(2)*

Now then, why is it that one-sixteenth Negro blood turns a person to be a *Negro* in Virginia, whereas, a full blood Negro associated with wealth in Brazil wil turn him to be a "Branco" white ?

If a black man lives in South Africa, for instance, he is regarded inferior and segregated against by the white man who imposes upon him the policy of *Apartheid*, but if the same Negro moves to Hawaii, he will be viewed as a Hawaiian.

Is it a sound criterion that segregation is practiced against Negroes because they are black, or against the Indians because they are brown?!!

Now then, one may ask the white woman : why does she want her eyes black ? And why does she want to get her skin tanned brown ?

It seems to me that segregation behavior is guided by nothing but unqualified racial superiority,

RACIAL SUPERIORITY

Who is superior ?

Let us examine another problem. the problem of racial superiority which has been set up as a huge barrier between people, and has led them blindly to prejudice, antagonism, and segregation.

Superiority was claimed by aristocrats in Greece to the common man. Aristotle was convinced that some men are born to be masters and others slaves ; and he reasoned that it was entirely proper and natural that the Greeks should govern the barbarians. Superiority was also claimed by the Nordic of Germany to all other people; by Jews to

---

(1) Ibid, p. 29.

(2) Brewton Berry, *Race and Ethnic Relations,* Houghton Mufflin Company, Boston : 1958, p. 29.

kinds of jobs as whites. They must carry passes when they move around; and they may not buy homes outside their reservation. Interracial marriages are strictly prohibited. Negroes are forbidden to belong to a Union, or to strike; they may not patronize the same theatres or hotels that whites use, or sit on benches in parks and stations which are reserved for Europeans. Segregation, in short, has been extended to cover every aspect of life, and has the full force of the government behind it."

The American Indians are segregated against in their home land, America. Isolation is imposed upon them and they are forced to live in reservations.

Now let us stop for a moment and ask this question :

On what bases are these minority people segregated against ?
Indeed no one can give a genuine answer to that question. No one dare to render us scientifically any kind of logic or innate differences between the black man and the white, or between the Indian and the white which may justify segregation. It seems to me it is nothing but Ethnocentrism. It is nothing whatsoever but the ungrounded, and the unjust racial superiority.

ETHNOCENTRISM

Ethnocentism is the *emotional attitude* that one's own group is the center of everything, and all others are scaled with reference to it. (1)

Throughout human history man has shown an interest in himself and in members of his own group or clan. Members of any society are usually inclined to believe that their race is superior to others; and thier way of thinking is not only the best for themselves but the right way for others. "It is virtually inevitable that a person will use the judgments and thoughtways of his own culture in thinking about other cultures. It is practically unavoidable, therefore, that persons tend to conclude that their cultural ways are the best ways of thinking and of doing. As a result, mosf persons come to regard other cultures with contempt and distrust."(2)

Consequently, our world today is plagued by segregation which is based on cultural bias and racial prejudice. For example, the American Indian is segregated against because

---

(1) W. G. Summer, *Folkways*, Ginn and Company Boston, 1906. p. 13.

(2) John F. Cuber, *Sociology*, Appleton-Century-Crofts, INC., p. 90

ETHNOCENTRISM AND ISLAM

By

DR. IBRAHIM M. SHALABY

Our world today is disturbed by wars : hot wars in some spots, and cold wars everywhere. It is a pity to admit that our world-in spite of our advances in science and technology-is still suffering from unjust war, corruption, racketeering, crime, delinguency, poverty, illiteracy, alcoholism, drug addiction, mental disorder, ethnocentrism, antagonism and racial problems.

More than two million Arabs have been unjustly dismissed from their home-land to huddle in the desert in poverty and idleness.

Ten million black people of South Africa have been exploited, dominated economically and politically by white minority of European descent who constitute only 20 per cent of the population. The white government of South Africa has imposed a policy known as *Apartheid* which means "apartness". This unfair policy of *apartheid* calls for complete separation between the white minority and the black majority. It imposes the biological, terri'orial, social, economic educational, and political separation.

A white professor, Dr. John E. Holloway, of the University of South Africa has written in defense of his government's policy, "The racial groups in South Africa", he maintains, "are so vastly different in civilization, culture, ways of thinking, and standards of living that *apartheid* is the only humane, feasible, and reasonable way to resolve the difficulties."[1] In his book, *Race And Ethnic Relations*, Brewton Berry summarizes the conditions of segregation against the black man in South Africa : "Segregation has been extended and enforced. The courts severely punish any kind of race mixing, and advocates of integration find themselves accused of treason. With few exceptions Negroes in South Africa are denied the right to vote or to live in white neighborhoods. They may not hold public office, attend schools with whites, ride the same buses or hold the same

(1) "Apartheid," in The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 306, July 1956, p.p. 26.

than marriage came to save the situation. Thus polygamy is a sort of remedial law in Islam, which comes into operation when necessity arises.

Islam does not enforce polygamy. Monogamy is the general rule and polygamy is a provision for urgent emergencies, as the conditions of life necessitate, where no disabilites stand in the way, with due regard to piety, so that there may be no violence to human nature. If a man can be content with one wife, Islam does not compel him to resort to polygamy,

Islam simply permits polygamy, if one cannot live in happiness and piety with one wife. Sometimes the wife may be barren or has incurable sickness or is unable to fulfill the duties of marriage due to physical inability. In any of these cases it is evident that it is necessary to resort to polygamy instead of having illegal relations.

The best check, indeed, has been provided in the very verse of the Holy Qur'an which is held to authorize polygamy. That verse was revealed in a past occasion, but the principles in it remain. It was after the battle of Uhud, when the Muslim community was left with many orphans and widows and some captives of war. Their treatment was to be governed by principles of the greatest humanity and justice.

The verse says :

"If you fear ye shall not be able to deal justly with the orphans, marry women of your choice, two or three or four; But if ye fear that ye shall not be able to deal justly (with them), then only one, or (a captive) that your right hands possess, That will be more suitable, to prevent you from doing injustice".

So it enjoins to marry the orphans if you are quite sure you will, in this way, protect their interests and their property, with perfect justice to them and to your own dependents if you have any. If not, make other arrangements for the orphans. The unrestricted number of wives of the "Times of Ignorance" was now strictly limited to a maximum of four, provided you could treat them with perfect equality, in natural things as well as in affection and immaterial things as obligatory on man. In case a man feared that he could not act justly between his wives, then he was directed to be content with one wife only.

There is another verse that assures that man is never able to be fair and just to all wives.

Thus the Islamic system of marriage, harmonizing with the practical needs and requirements of

(Continued on page 16

THE RELIGION OF ISLAM – III

BY : M. ABDEL MONEIM YOUNIS
Director of the Cultural Centre for Diplomats, Ministry of Culture, U. A. R.

EQUALITY BEFORE GOD

Although all religions have preached the brotherhood of man, in Islam the principles of democracy, fraternity and equality have been put into actual practice in a reasonable manner. Islam teaches that all men are equal before God whether their skin be white, black, yellow or brown. There is no distinction between Arab and non-Arab. There is no question of nobility of birth and no scope for priestly monopoly. God mentions in the Holy Qur'ān that only those persons are nobler and dearer to Him are those who practise virtues by helping the poor, the old, the helpless, and desire for others what they have for themselves. Goodness is the only criterion of worth. Muslims do not believe that any priest, pastor or saint can intervene or mediate between the individual worshipper and his Creator, nor can anyone grant indulgence or absolution from sins. In congregational worship any Muslim of good character can be the leader of prayers.

POLYGAMY

(having more than one wife)

Islam was not revealed to meet the requirements of a particular race or age. With its world-wide mission, Islam had to look for the requirements of all ages, countries and civilizations. It is a universal religion. Islam enjoins marriage whether monogamous (means having one wife) or polygamous (having more than one wife).

Polygamy has its uses and abuses. Islam allows it under restrictions and within limits and at the same time guards against its abuses.

The natural causes that go to prove the necessity of polygamy are many. I'll mention some of them.

The events of the world sometimes give rise to circumstances that cause appreciable decrease in the number of men. Intertribal or international wars often lead to the same result and leave numberless members of the weaker sex without home or protection. With all our refined ideas of chivalry and broadmindedness, no other institution

(Will they then not meditate on the Quran, or are there locks on the hearts ?) 47 : 24.

With a view to understanding the significances of the Holy Quran we should remember the following points :

The original text of the Qur'an is still preserved in all its original language word by word. Records of revelation and order of revelation of the Holy Qur'an were so faithfully made that even today one can say with precision the actual time and place of revelation of each verse.

The Qur'an was received by its followers through authentic and successive transfer from generation to another in writing and by heart.

The language of the Quran is in the living Arabic so that it can be safely presumed that no interpolation or change is possible. The case is not so with regard to old and extince languages.

The text of the Qur'an is not mixed with the traditions of the Prophet or with commenteries of the interpretors. So there is no fear of mixing the words of God with human interpretation. The Qur'an, as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the last one thousand and four hundred years.

It is the original source of Islamic theology, Jurisprudence, culture and civilization. The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and it intended to unite mankind, not to divide them :

« ولقد ضربنا للناس فى هـذا القرآن من
كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآناً عربياً غير
ذى عوج لعلهم يتقون » الزمر ٢٧ - ٢٨

(And verily We have coined for mankind in this Qur'an all kinds of similitudes, that haply they may reflect; A Quran in Arabic, containing no crookedness, that haply they may ward off (evil)). 39 : 27-28.

assimilation of the message of the Qur'an. But translations and commentaries of the Qur'an, which are now available in different languages, will help only to acquire some general knowledge of this Divine Book. The true spirit of this eternal miracle of Islam may not be felt without complete knowledge of Arabic and the life of the Prophet who was the practical example and the interpretor of the Qur'an.

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل ٤٤) .

(And We have revealed unto thee the Rememberance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them, and that haply they may reflect) 16 : 44.

The Holy Qur'an is a composite whole and not a collection of unrelated fragments. Each word, each verse, each chapter and each part must, therefore, be studied with reference to the whole. The whys and wherefores of selection and use of a particular word or expression for expressing a particular idea should be carefully ascertained and the greatest care and emphasis should be given to realise import of choice of Divine atributes. Each verse must be read with reference to its context and verses immeadiately preceding and following it without losing significance of its sequence with its preceding and following verses. The Holy Qur'an is basically addressed to intelligent understanding and it invites man to look at every thing in the universe and to reflect upon it carefully. The knowledge of the Holy Qur'an is the highest knowledge and to acquire this a calm and quite surrounding, purity of faith and the highest concentration of the mind are necessary pre-requisites. The following verses of the Qur'an give guidance to the purpose and the method of studying it :

« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » الأعراف ٢٠٤

(And when the Qur'an is recited, give ear to it and pay heed that ye may obtain mercy) 7 : 204.

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » الأنفال ٢

(They only are the (true) believers whose hearts feel fear when Allah is mentioned, and when the revelations of Allah are recited unto them they increase their faith, and who trust in their Lord;) 8 : 2.

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد ٢٤

head of its laws. It contains the fundamentals of the law of nature which governs man. The Qur'an and original nature are in perfect harmony because the true religion is defined in the clear verses of Qur'an as the, Fitrat'(فطرة)or Nature of God, the Quran says :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الروم ٣٠

(So set thy purpose for religion as a man by nature upright — the nature (framed) of Allah, in which He hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not —) 30:30

If any conflict between Qur'an and Nature appears, it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Qur'an is not perfect. Some people try to interpret the Qur'an to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God. The Holy Qur'an directly revealed from the Creator of Fitrat, and the Will of God made manifest in His Creation. So the Qur'an would lead to discoveries of the secrets of Nature, and a careful study of Nature will help the proper interpretation and understanding of the Qur'an. Whenever any contradiction between human knowledge and the Holy Qur'an arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Qur'an unfolds itself gradually like a flower leaf.

Qur'an is the Divine guidance to all mankind. The guidance is alike for all without distinction of race, time, place or colour. It calls this Universal guidance Islam. It means complete and unqualified submission to God. The entire teachings of the Qur'an is based on this Cardinal principle. The Qur'an is not only laid down the law of relation of man to God but it also regulated the proper relation between man and his fellow-beings. Besides the fundamental principles of faith and the practical devotions, Qur'an distinctly defined the rules of transactions, punishments, moralities and political, social and economical systems.

The purpose of studying the Qur'an must be seeking knowledge and practical guidance in the aspects of life. The knowledge of Arabic language and literature is the key to the proper understanding and

(Alif. Lâm. Mîm. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off evil) 2 : 1 — 2

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . » الاسراء : ٩

(Lo ! this Qur'an guideth unto that which is straightest and giveth tidings unto the believers who do good works that theirs will be a great reward) 17 : 9

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . الحجر : ٩

(Lo ! We even We, reveal the Reminder and lo ! We verily are its Guardian) 15 : 9

It has been revealed to prophet Muhammad (peace be on him) in parts at different times and occasions, during a period of twenty-three years. The Qur'an was divided into thirty parts and one hundred and fourteen chapters. Sometimes a single verse, sometimes a few verses together and sometimes a complete chapter was revealed. The arrangement of the chapters and the order of the verses were made under the direction of the Prophet himself. All the chapters of the Qur'an had been recorded in writing before the death of the Prophet, and many Muslims had committed the whole Qur'an to memory in his life time.

The arrangement of chapters and parts and even putting notations and punctuations — as it now — was done under the direct guidance and supervision of the Prophet. During the Caliphate of the third Caliph Usman, when the copies of the text of the Holy Qur'an were made in different parts of the Caliphate, apprehending that there may be dispute as to the accuracy and authenticity of these copies, he collected all these copies, verified them and made several authenticated copies of the Holy Quran, based on Abu Bkr's (the first Caliph) collection and the testimony of those who had the whole Qur'an by heart, and distributed these copies in different parts of his Caliphate. The original copies of Usman have been very carefully preserved and millions of copies are produced in all parts of the world exactly in the form and order of those copies, which is regarded as the arrangement of the Prophet himself. The Divine guarantee of preserving the purity of the Holy Quran has survived the test over fourteen hundred years and civilization has reached a stage when it can be safely presumed that no future interpolation is possible.

The Holy Qur'an is the first source of Islam and the fountain—

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Dhu'l-Qa'dah 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	February 1968

THE HOLY QUR'AN

(On the Occasion of the 14,00th Anniversary of the revelation of the Qur'an)

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The Holy Qur'an is the last of all revealed Books from God to the guidance of mankind. Humanity has been receiving guidance from God directly, through revelation received by the prophets, since the birth of man on this earth. The office of Prophethood was made final with the complition of revelation of the Holy Qur'an. The Qur'an calls people to believe not only in the prophethood of Muhammed (Peace be on him) and the revelation of the Qur'an, but it enjoins the belief in previous revelations and prophets. Thus the belief in previous revelations and prophets is a fundamental of the Quranic Call. Being the last revealed Book, the Qur'an contains Universal and Eternal truths previously revealed to mankind at various stages of its development.

Qur'an correctly interprets life, guides humanity in the right path and keeps the tourch of progress burning ever-fresh and bright through all ages to come. When such a complete and well-formulated Divine constitution guarantees preservation of its original purity there will no longer be need for further revelation. The Holy Qur'an speaks cleary on this point in the following verses :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. » البقرة ١ — ٢

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧٢١	يا لعزة الإسلام لذلة العروبة ! للأستاذ أحمد حسن الزيات
٧٢٥	(احتفال الأزهر بذكرى نزول القرآن الكريم) إلى أمة القرآن لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
٧٢٨	كلمة السيد / حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
٧٣٢	قضية السجع ونظم القرآن الكريم ـ ١ ـ للدكتور محمد أحمد الغمراوى
٧٣٧	فى إعجاز القرآن للأستاذ محمد النادى البدرى
٧٤١	الحث على تآخى المسلمين وتناصرهم للدكتور محمد محمد أبو شهبة
٧٤٦	عاطفة الأبوة بين جموح الغريزة وقيادة الدين للأستاذ حسن جاد
٧٥١	سلوك متمرد يكشف القران مصدره الأستاذ محمود محمد شبكة
٧٥٥	الخوف وقاية من الهلاك للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٧٥٩	عبدالرشيد إبراهيم : داعية الإسلام فى آسيا للدكتور محمد رجب البيومى
٧٦٦	الأرض الحرام للأستاذ على الخطيب
٧٧٠	فى الحج امتحان ومكافأة للأستاذ محمد محمدالشرقاوى
٧٧٤	انتشار الإسلام فى طبرستان للدكتور حامد غنيم أبو سعيد
٧٧٩	التعليم الإسلامى فى أفريقيا ـ ٤ ـ للأستاذ محمد جلال عباس
٧٨٤	خفايا فى زوايا اللغة والأدب ـ ٢ ـ للأستاذ على السباعى
٧٨٨	ما يقال عن الإسلام ـ الخلافة والإمامة للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٧٩٣	الكتب : ـ التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه عرض وتعليق الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال
٧٩٨	أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — The Holy Qur'an	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — The Religion of Islam III	*M. Abdel Moneim Younis*	6
3 — Ethnocentrism and Islam.	*Dr. Ibrahim M. Shalaby*	8
4 — Religion Condemns the Expansionist Zionist's Aims.	*Dr. Gamal Eldin Elramady*	13

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« بدل الاشتراك »
٤٠ قرشا في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر ـ السنة التاسعة والثلاثون ـ ذو الحجة ١٣٨٧ هـ ـ مارس سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الذى شرعه الله

بقلم : أحمد حسن الزيات

أذن هلال ذى الحجة فى المسلمين بالحج فأتوا بيت الله من كل فج عميق ومن كل قطر سحيق رجالا وعلى كل ضامر، وفوق كل عائم وطائر، ليشهدوا المؤتمر الإسلامى الإلهى الذى فرض الله شهوده على كل مسلم مرة فى العمر، ليؤلف القلوب فى ذات الله، ويؤاخى الشعوب فى نسب الحق. ويستعرض علائق الناس فى كل عام فيوشجها بالإحسان، ويوثقها بالتضامن، وينضح من منابعه الأولى على الآمال الذاوية فتنضر، وعلى العزائم الخابية فتذكو؛ ثم يجمع الشكاوى المختلفة من شفاه المنكوبين بالسياسة المادية والمدنية الآلية والمطامع الاستعمارية، فيؤلف منها دعاء واحدا تجأر به النفوس المظلومة جؤارا تردده الصحراء والسماء.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى شهود هذا المؤتمر! لقد طالما حصرهم المستعمرون فى أوطانهم المغصوبة ثم قطعوا بينهم الأسباب، وحرموا عليهم التواصل، وفصلوا حاضرهم عن الماضى الملهم، والمستقبل الواعد، بطمس التاريخ، وقتل اللغة، وإطفاء الدين، فلم تكن لهم جمعة إلا فى موسم الحج لو خلوا بينهم وبينه، ويسروا لهم اللقاء فيه، ولكن الحوائل كانت تحول فى العلن، والحبائل

كانت تنصب فى السر ، فلم يكن للحج تلك الحكمة التى أرادها الله من شرعه، ولا للمسلمين تلك الرادة التى يردها عليهم من نفعه .

كان ذلك والشمل شتيت والرأى مختلف والقوة مبعثرة والوطن محتل والإرادة أجنبية فلما خشع الاستعمار ، وخضع البغاة ، وجلا الدخيل وأصبح الحكم خالصاً للإسلام فى الدول العربية الأربع عشرة ، والعاهليات الإسلامية الخمس ، لم يعد يفصل بين المسلم وأخيه من المغرب إلى المشرق إلا تخــوم جغرافية ورسوم سياسية لا تقطع قلبا عن قلب ، ولا تمنع يداً عن يد ، ولا تحبس لسانا عن لسان ، ولا تحول بين أخوة النسب وإخوان العقيدة أن يتلاقوا فى ميقات الله على أم القرى ليذكروا اسمه جل وعز فى أيام معلومات على ما أفضل عليهم من نعمة الإسلام ووحدة الإيمان وإجابة إبراهيم [١] وتفدية إسماعيل وبعثة المصطفى خاتم الرسل وفاتح العالم الجديد .

* * *

إن الحج والزكاة هما الركنان الاجتماعيان من أركان الدين ، يقوم عليهما الأمر بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والجماعة ، كما يقوم على الثلاثة الأركان الأخرى الأمر بين المرء وربه وبين المرء وقلبه ، فالزكاة تقيم نظام المجتمع على التعاطف والرحمة ، والحج يقيمه على التعارف والألفة ، فيحقق الأول معنى الإخاء بنفى العقوق ، ويحقق الآخر معنى المساواة بمحو الفروق ، والإخاء والمساواة شعار الإسلام وقاعدة السلام وملاك الحرية ومعنى المدنية الحق وروح الديمقراطية الصحيحة .

كان الحج ولا يزال مطهر الدنيا ؛ يرحض عن جوهرها أوزار الشهوات وأوضار المادة .

وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة تبرد عليه الأكباد الصاديه، وترفه لديه الأعصاب المرهقة .

وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن ؛ تأنس فيه الروح إلى مــوطن الإلهام ، ويسكن الوجدان إلى منشأ العقيدة ، وينبسط الشعور بذلك الإشراق الإلهى فى هذه الأرض السماوية

وكان الحج ولا يزال موعد المسلمين فى أقطار الأرض على (عرفات) يتصافقون على الوداد ، ويتآلفون على البعاد ، ويقفون سواسية أمام الله حاسرى الرءوس ، خاشعى النفوس ، يرفعون إليه دعوات واحــدة فى كلمات واحدة ، تصعد بها الأنفاس المضطرمة المؤمنة تصعد البخور من مجامر

---

(١) إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى حكاية عن إبراهيم : « رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » .

الطيب ، أو العطور من نوافح الروض ، هنالك يقف المسلمون فى هذا الحشر الدنيوى حيث وقف صاحب الرسالة وحواريو النبوة وخلفاء الدعوة وأمراء العرب وملوك الإسلام وملايين الحجيج من مختلف الألوان والألسن فيمزجون الذكرى بالذكر ، ويصلون المنظر بالفكر ، ويذكرون فى هذه البقعة المحدودة وفى تلك الساعة الموجودة ، كيف اتصلت هنا السماء بالأرض ، ونزل الدين على الدنيا وتجلى الله للإنسان ، ونبتت من هذه الصحراء الجديبة جنات الشرق والغرب وثمرات العقل والقلب ، وبينات الهدى والسكينة .

إن فى كل بقعة من بقاع الحجاز أثراً للفداء ورمزاً للبطولة ؛ فالحج إليها إيحاء بالعزة ، وحفز إلى السمو ، وحث على التحرر ، وتذكير بالوحدة . هنا غار حراء مهبط الوحى ، وهنا دار الأرقم رمز التضحية ، وهنا غار ثور منشأ المجد وهذا هو البيت الذى احتبى بفنائه أبو بكر وعمر وعلى وعمرو وسعد وخالد ، وهذا هو الشعب وذاك مجر أذيال الغطاريف من بنى هاشم وبنى أمية . وتلك هى البطحاء التى درج على رمالها قواد العالم وهداة الخليقة !

* * *

« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، وشرط الاستطاعة قد تحقق للكثير فى هذا العهد لعموم الرخاء وحصول الأمن ، فأنت تستطيع بالمال اليسير وفى الزمن القصير أن تحج على الباخرة أو السيارة أو الطائرة دون أن تعرض حياتك للموت ، وثروتك للنهب وصحتك للمرض .

لقد كان الحج لرهقه الشديد وجهاده الجاهد يكاد يكون مقصوراً على الطبقات الخشنة من الزراع والصناع والعمال ، أما الناعمون المترفون من ذوى الرأى وأصحاب الزعامة فما كانوا يقدمون عليه ولا يفكرون فيه . فظل جدواه على المسلمين ضئيلا لا يتعدى الحدود الخاصة من قضاء المناسك وأداء الزيارة .

فماذا يمنع رؤساء العرب وزعماء المسلمين أن يتوافوا على ميعاد الله فى أرض رسوله ليحققوا حكمة الحج بالتشاور فى أمور دينهم وشؤون دنياهم على النية الصادقة والرأى الجامع والغرض المشترك ؟

إن فى حجهم البيت زمنا بعد زمن إعلاء لشأن الملة وإغراء بأداء الفريضة وسعيا لجمع الكلمة وسبيلا إلى عموم الوحدة وإن البيت العتيق الذى انبثق منه النور ونزل من سمائه الفرقان وانتظم عليه الشمل ، لا يزال منارا للأمة ومثارا للهمة ومشرق الأمل الباسم بالعصر الجديد والمستقبل السعيد .

أحمد حسن الزيات

منزلة الحج بين أركان الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

بمناسبة موسم الحج المبارك ذكرت الحديث الشريف الذى يقول :

« بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

وخطرت لى فى شأن هذا الحديث الشريف خواطر :

فقلت : ما السر فى إتيان ركن الحج آخر الأركان كلها ؟ هل ذلك لأنه متأخر فى الرتبة عنها ، وبذلك تكون الصلاة أفضل منه ، وتكون الزكاة أفضل منه ، ويكون الصيام أفضل منه ؟ وهل يمكن الاستئناس فى ذلك بأن الشهادتين جعلتا أول الأركان ، وهما أفضل من كل ركن سواهما ؟

وأجبت نفسى قائلا : كلا . إن ذكر هذه الأركان على هذا الترتيب الذى جاء فى الحديث الشريف ، إنما كان رعاية للترتيب المنطقى بينها ، لا رعاية لجانب الفضل والخيرية. وذلك أن أول ما يحقق إسلام المرء هو أن يشهد مخلصاً أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فإذا شهد بذلك فقد دخل فى دين الإسلام ، وأصبح واحداً من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وهو بمقتضى هذه الشهادة قد آمن بأن له ربا هو الله الذى خلقه وأنعم عليه ، وهو الذى يملك ناصيته ، ويملك نفعه وضره ، فينتقل العقل من هذه النقطة إلى وجوب عقد صلة بين هذا الإله المنعم القادر ، النافع الضار ، وبين عبده الذى آمن به ، واذعن لسلطانه ، وأفرده بالألوهية دون كل ما سواه ، ومن سواه ، وهذه الصلة تتمثل فى « إقامة الصلاة » أى فى القيام بها حق القيام من حيث العناية والمواظبة ، وفى أدائها مقومة لا خلل فيها ، من حيث الدقة والإحكام ، وفى إقامة صرحها ، والتحصن بها ، من حيث تقبل ما توحى به من تقويم وتهذيب .

وهذه الصلاة هى رسم رسمه الله تعالى لعباده من حقه أن يرسمه لأنه هو الخالق المنعم المتفضل المعبود بحق ومن واجب عباده أن يتقبلوه وينفذوه ، لأنهم عابدون ، مقرون بالنعمة ، مؤمنون بالوحدانية ، متجهون إلى أداء واجب الشكر ، لمن أنعم .

فالمنطق العقلى يقضى بأن تكون هذه الصلة هى الخطوة التالية لخطوة : الاعتراف بالإله

الواحد ، وبالرسول الذى أرسله ليؤدى عنه ويبلغ .

وما كان يمكن أن تكون الصلاة ، التى هى الصلة بين العابد والمعبود إلا تالية لعرفان العابد للمعبود .

ولما كان صلاح الإنسان فى هذه الدنيا مشروطا بصلاح ما بينه وبين الله ، وبصلاح ما بينه وبين الناس : كان لابد لمن حقق الصلة بالله عن طريق الصلاة ، أن يحقق الصلة بالناس عن طريق البذل مما أعطاه الله ، فى سبيل الوجوه التى بها يصلح أمر الناس ، ولذلك كانت (الزكاة) هى الخطوة التالية للصلاة ، لأنها إصلاح للصلة بين المرء وبين الناس ، فهو يبذل بعض ماله فى سبيلهم : فيعترف حين يبذل بأنه واحد فى مجتمع ، وعن هذا المجتمع صدر كسبه وربحه ، ولولا هذا المجتمع ما استطاع الربح عن طريق التجارة لو كان تاجراً ، ولا عن طريق الزراعة لو كان زارعا ، ولا عن طريق الصناعة لو كان صانعاً .

فهو إذن مدين للمجتمع بنجاحه فى تجارته، أو زراعته ، أو صناعته ، مدين للمجتمع بتحقيق كفايته ، ثم بتحقيق فائض فوق هذه الكفاية ، فلا أقل من أن يمنح مجتمعه بعض هذا الفائض فى صورة « زكاة » يأخذها الفقير والمسكين ، أو الغارم الذى استدان فى سبيل عمل الخير ، لأن الفقير والمسكين كلاهما عضو فى المجتمع لم يحقق كفايته ، ولأن الغارم عضو فى المجتمع جاد بما عنده فى سبيله ، وتنفق حصيلتها أيضاً فى سبيل الله ، وهو كل مايصلح عليه أمر الأمة من جهاد عسكرى أو سياسى أو فكرى .

ولم يكن من المنطق أن يطالب الإنسان بالزكاة التى يعتبرها الإسلام طهرة للمال ونماء، إلا بعد أن يتحقق له الإيمان بمن يطهره وينميه ، وبعد أن تتحقق له الصلة الروحية بالصلاة .

ويأتى بعد ذلك ركن الصيام . والصيام تضحية جزئية بالنفس ، من حيث إنه تضحية بشهوات النفس ورغائبها إلى حين ، وإلزام لها بلون من ألوان الإذعان لله ، والمراقبة له ، وهو يلتقى بالزكاة من جهة أن الزكاة تضحية جزئية بالمال .

والإنسان قد يهون عليه تضحية جزء من ماله ، ويصعب عليه تضحية مطلب من مطالب نفسه ، فإذا مرن على التضحية بالمال، وذاق لذته ، كان متهيئاً للتضحية ببعض مطالب النفس ، فيأتى الصوم .

ومن هنا كان المنطق العقلى يقضى بالصوم بعد الزكاة ، لا بالزكاة بعد الصوم .

أما الحج ففيه كل هذه الأركان على أكمل وجه :

ــ فيه توحيد الله تعالى والإيمان به إيماناً صادقا ، والتصديق بما جاء به رسوله صلى الله

عليه وسلم ، فإن أبرز مشاعر الحج هي التهليل والتكبير والتلبية ، ولسان الحاج لا يفتر عن ذلك أينما حل ، أو رحل . وهو حين يؤدى مناسك حجه وعمرته يتتبع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فعله حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى الرمل ، وهو إسراع الناس بالمشى عند الطواف ، أراد أن يمنع الناس من ذلك بحجة أن الرمل إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهراً مقصوداً ليرى منه المشركون أن المؤمنين أقوياء أصحاء ، لأنهم كانوا يقولون : لقد طحنتهم حمى يثرب ، فظنوا بهم الضعف ، فأراد المسلمون أن يظهروا بمظهر القوة فى طوافهم ، فكان ذلك الرمل ، أى الإسراع ، هكذا رأى عمر أولا ثم عاد إلى نفسه فقال : لا ينبغى أن نبطل شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعل الرمل مشروع تعبدا ، أو لحكمة غير هذه لا نعلمها ، وبذلك بقى الرمل من سنن الطواف ، وهذا اقتداء واتباع للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكثير من أفعال الحج كذلك وقد قال عمر فى تقبيل الحجر الأسود : والله إنى لأعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ولو أننا تتبعنا الكثير من أعمال الحج من طواف وسعى ورمى وإحرام لوجدناها كلها إنما تنبعث عن مبدأ الإيمان بالله والتصديق برسوله والرضا بما يحكمان به ، وذلك لأنها أمور تعبدية قد لا تظهر حكمتها لكثير من الناس فطاعة الله فيها هى بذاتها آية على صدق الإيمان بالله إلها واحدا ، ومشرعا حكيما ، وصدق الإيمان برسوله نبياً هادياً ، ومبلغاً يتبع ما يوحى إليه .

ــ وفى الحج تؤدى الصلوات المفروضة ويزداد المصلى قربا إلى الله بقربه من الكعبة المشرفة التى جعلها الله قبلة للمسلمين يولون شطرها وجوههم حيثما كانوا .

فالمصلى حين يتجه إلى الكعبة وهو فى بلده يهفو قلبه إلى هذه القبلة ، ويشعر نحوها بالتعظيم والاجلال ، وبالشوق والحنين ، فإذا حج وطاف بالبيت وتمتع برؤية الكعبة المشرفة ، وصلى متجها إليها وليس بينه وبينها فاصل بعد كان بينه وبينها آلاف الأميال ، لاشك أنه حينذاك يشعر بالقرب ولذته ، فيكون الاتجاه فى الحج محسوسا ملموسا .

ثم إن المصلى يظل يعبد الله زمانا وهو بعيد عن حرمه وبيته ، فإذا حج فقد دعى بهذا الحج إلى زيارة بيت الله ، فمثله كمثل رجل سمع من بعيد بعظيم من العظماء ، فجعل يتصور عظمته ، ويعمل كل ما يرضيه على بعده ، ثم تلقى دعوة منه ليزوره فى بيته ،

فلا شك أنه يجد من الفرحة واللذة والصلة والقرب والأنس أضعاف ما كان يجد وهو بعيد ، « ولله المثل الأعلى » .

وإذن فروح الصلاة وسرها وعمق معناها الذى توحى به ، كل ذلك يتهيأ فى الحج أكثر مما يتهيأ قبله ، وبه تتوطد الصلة بين العابد والمعبود على أكمل وجه .

— وفى الحج بعد ذلك بذلك بذل المال والجود به ، وهو المعنى الذى تصدر عنه الزكاة ، بل إن بذل المال فى سبيل الحج يقترن بأن الإنسان يترك عمله ومصادر رزقه ، ويتخلى عن كل مورد من موارده ، ولو إلى حين ، كى يؤدى فريضة الحج ، فالتضحية فى الحج تضحية مزدوجة ، لأنها تضحية فى المورد ، وتضحية فى الصرف ، أما الزكاة فإنها تضحية فى الصرف فقط .

— وفى الحج أيضا رقابة النفس كرقابة الصائم : إن من يفرض الحج على نفسه يجب أن يلتزم بأدب الحج التزاما قويا ، فهو فى حالة إحرام مادى حينا ، ومعنوى دائما ، فإذا كان الصائم يمتنع بعض يوم عن رغباته وشهواته ، فإن الحاج يكف عن قبل ذلك طول نهاره وطول ليله ، ويمتد به هذا الحرمان أياما ، وربما امتد أسابيع .

وصورة الاحرام المادى صورة حاسمة فى فطم النفس الإنسانية عن هواها ، ذلك أنه يرمز إلى خروج المرء عن أهم ملابسات حياته ، ويكتفى بردائه وإزاره ، كأنه شخص قد سجى فى كفنه ، فيذكر بذلك نهاية الحياة ، ومصيره بعـــدها ، وتلك عظة ما بعدها عظة .

والاحرام المعنوى الذى لا يفارقه الحاج هو ذلك الشعور الملازم له بأنه ضيف الله فى حرمه ، وأنه إنما قدم تاركا أهله وماله وجميع مصالحه ، ليلتمس من الله رحمته ورضوانه ، وليتطهر من ذنوبه ، تحقيقا للأمل الشريف المنبعث من قوله صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

بهذا يتبين أن تأخير الحج فى الذكر بعد الأركان الأربعة السابقة عليه ؛ ليس تأخير منزلة ورتبة ، وإنما هو تأخير ترتيب منطقى حسب مراتب الوجود كما قلنا ، وبالله التوفيق ؟

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

تثبيت النبى ﷺ وأمته على كمال الإيمان

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء .
(ب) ما يعبدون ، إلا كما يعبد آباؤهم من قبل . آية ١٠٩ (هود)
(ج) وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص .

١ ـ (ا) فى الآيات السابقة على هذه الآية ذكريات رهيبة عن أشقياء الناس الذين يحشرون إلى جهنم بسبب كفرهم « فأما الذين شقوا : ففى النار ، لهم فيها زفير ، وشهيق » .

وفى الآيات ذكريات طيبة عن الذين يسعدون فى الجنة بسبب إيمانهم ، وطاعتهم لربهم «وأما الذين سعدوا : ففى الجنة ،خالدين فيها ، ما دامت السموات والأرض » .

وغير خاف علينا ـ كما أسلفنا غير مرة ـ أن هذه الذكريات ليست لمجرد العلم بما جرى على السابقين من الأمم... بل القصد الأهم من ذلك : هو توجيهنا إلى حسن الاختيار لأنفسنا قبل أن تضيع منا فرص الحياة ، وهذا التوجيه من فضل الله علينا ، ومن حبه الخير لنا .. فهو يستحثنا على إدراك هذا الخير ، والتعلق به ، معتبرين بما جرى على الغير ، وورد فى هذا القصص .

٢ ـ وفى هذه الآية يوجه الله خطابه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصيغة الإفراد « فلا تك فى مرية » ، والخطاب للنبى فى مثل هذا خطاب لأمته ، كما هو مقرر فى منهج التشريع الدينى نحو : « يا أيها النبى اتق الله ، ولا تطع الكافرين والمنافقين » ، « يا أيها النبى:قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين» ، « قل يا أيها الكافرون : لا أعبد ما تعبدون» .

وتطبيقا لذلك التعميم فى الخطاب يأمر الله النبى وأمته بالثبات على الحق الذى بعث به ، وذلك بأسلوب النهى عن الشك فى بطلان عبادة الكافرين « فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء » يا محمد : لا تكن أنت ، ولا أمتك

فى شك من بطلان عبادة الكافرين للأصنام أو للملائكة ، أو للكواكب ، أو غير ذلك مما يعرف عنهم ، فإن وحدانية الله بالألوهية ، وبالربوبية ، واستحقاقه للعبادة الحقة دون سواه ، أمر مفروغ منه ، وليس ذلك مجال بحث ، ولا موضع جدل « إن الحكم لواحد رب السموات والأرض ، وما بينهما ، ورب المشارق » وهذا مقطع الجدل ، الذى ينتهى إليه العقل الباحث الواعى .

٣ — (ب) « ما يعبد هؤلاء : إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » .

عبادة هؤلاء المبطلين أشبه بعبادة آبائهم من قبل . . وربما كان لآبائهم ، وأسلافهم شئ من العذر فى فترات الجهالة الأولى . . ولكن ما عذر هؤلاء الخلف ، الذين يزيغون عن الحق ، بعد أن بعث إليهم رسول منهم ، فبلغ ، وبين ، وبشر ، وأنذر ، وكانت أسماعهم فى صمم عن الدعوة ، وقلوبهم فى غفلة عن الوعى ، فتوارثوا الضلالة باختيارهم ، وتقلدوها بعصبيتهم ، وعكفوا عليها فى كبريائهم حتى لم يجد معهم التقبيه ، ولا حرك شعورهم التحذير ، واستحبوا عماهم على الهدى الذى جاءهم .. فباطلهم واضح ، وكفرهم صراح .

فكيف يتردد النبى . أو المؤمنون فى النفور من هذا ، أو تساورهم شبهة فى عدم صحة عبادة الكافرين ذلك ما لا يتلاءم مع الإيمان .

٤ — ثم هل كان النبى صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى هذا التوجيه . أو كان يخشى منه شك فى بطلان عبادة الكافرين لغير الله ؟

نعم : كان النبى صلوات الله عليه ـ على أكمل الإيمان بأن أولئك جميعا على باطل . ولكن الله يتعهده بمثل هذا التوجيه . زيادة فى تثبيته على الايمان . وزيادة فى عصمته من الوهن فإن النبى مع بلوغه مبلغ الكمال فى عقيدته ، وفى عصمته . لا يستغنى عن رعاية الله له وكان كثيرا ما يسأل الله الرعاية ، والعصمة والتوفيق ، فى ضراعة وخشوع بين يدى الله نحو قوله فيما يؤثر عنه : يا مقلب القلوب والأبصار . ثبت قلبى على دينك يا الله يا حى يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال ، والإكرام ، لا إله إلا أنت يا الله ... الخ » .

والقرآن يقرر هذا فى قوله تعالى « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا » يعنى : لولا تثبيتنا لك على الحق ، ولولا عصمتنا لك من ملاينة الكفار فيما يطلبونه من متابعتك لهم لكان يخشى عليك أن تزل قدمك فى خداعهم لك ولو قليلا منك .

ولكن ذلك لم يقع شىء منه بسبب تثبيتنا لك .

وهذا المعنى تفصح عنه كلمة لولا فإنها بحسب وضعها اللغوى تدل على وجود شرطها وامتناع الجواب بسبب وجود الشرط فالركون

إليهم لم يحصل منك يا محمد ، لأن التثبيت حاصل لك من الله سبحانه ، وهو حاصل على وجه الدوام فلا يحصل منك ركون إليهم كذلك على وجه الدوام .

وهذا التثبيت الذى تحفك به عناية الله يعتبر مزيدا فى كمال النبوة ، ورفعا لشأنها .

وفى الآثار النبوية ما يشهد لذلك ، كقوله عليه السلام « ما من كامل : إلا وعند الله أكمل منه » ، وكطلبه منا أن نصلى عليه كلما سمعنا ذكره ! « ... إنما البخيل من سمع ذكرى ولم يصل على » وكقوله صلوات الله عليه : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على » وهكذا مما يدل فى وضوح على أن الرسول محمدا يطمح إلى المزيد من فضل الله عليه ، ولا بأس بذلك على مقام النبوة بالنسبة له . ولغيره من الرسل والأنبياء صلى الله وسلم عليهم جميعا .

٥ — وإذا تذكرنا أن النبى مبلغ لنا وأن الأمر له لأمته كانت التوصية له ولأمته كذلك ، وكان التثبيت من الله ضرورات الأمة فى دينها ليكون توحيدها قد خالصا من شوائب النقص . ونحن نرى القرآن يجدد دعوة المؤمنين إلى الثبات على إيمانهم ، فيقول مثلا « يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ، ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب - الكتب - الذى أنزل من قبل » ويقول « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا » الآية - فهذه توعية للمؤمنين بالثبات على الحق وفعل الخيرات . مع أن الفرض فيهم أنهم مؤمنون يفعلون كل ذلك ولكن التوعية شأن حيوى لمن يريد العصمة من زلل العقيدة والعمل .

٦ — وهل التوصية ، والتوعية تقف بنا عند الحذر من كفر قريش وحدها ، كما هو مساق الآية فى أولها » .

مرجع الأمر فى ذلك كله هو تثبيت عقيدة الإيمان الحق فكل عقيدة تنطوى على الشرك بالله ، أو التردد فى شىء مما جاء من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من أصول الدين وفروعه : فهى فى حيز الباطل الذى اندمجت فيه قريش بوثنيتها أو سبقت إليه أمة أخرى بتحريفها لكتب الله ، أو بنسبتها إلى الله شريكا فى أمره ، أو نسبت إليه ولدا من خلقه والكفر كله ملة واحدة : وإن تعددت ألوانه ، وتنوعت مذاهبه .

والمخالفون لدعوة الإيمان الخالص فى معزل عن هداية الله ومهما جادلوا ، أو ألحوا فى مزاعمهم فإن الله لا يقيم لهم يوم القيامة حجة ، ولا يعتبر لأعمالهم شأنا ، وإن حسبوها خيرا ينفعهم هنالك ، .

٧ ـ (ح) « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » .

هؤلاء البعيدون عن دعوة الله إلى الإيمان الحق سيلقون حسابا وجزاء فإذا كان أهل الإيمان سيحاسبون ، وسيجزون على القليل، وعلى الكثير من أعمالهم فأهل الكفر يلقون كذلك جزاءهم ، ولن يخفى على الله شيء من أعمالهم .

وإذا كان للمؤمنين مزيد من الثواب عند ربهم كما وعدهم من فضله ، وكرم عطائه ؛ فإن العصاة والكافرين يوفيهم الله نصيبهم فى الدارين طبقا لعدله فى خلقه .

فلهم فى الدنيا أرزاق ، وحظوظ ، لا يهضم الله عبده فيما قسم له من متاع فى حياته الأولى ولهم فى الآخرة جزاء مرصود لهم ، ولكل امرئ جزاؤه غير منقوص .

وهنا لمحة جميلة ، وهى أن الله يهددهم ليزجرهم عن تمردهم ، ومع هذا فلن يزيدهم عن العذاب الذى جلبوه على أنفسهم . وقال « غير منقوص » ولم يقل : إنه عذاب مزيد وهذه مرحمة من الله بعباده . . حيث يبصرهم ـ أولا ـ بحسن التوجيه إلى الخير ، ويحذرهم من التمادى فى الشر . ثم ينبه إلى أن غضبه عليهم لا يخرج بهم عن عدله فيهم ، فجزاؤهم بالعذاب مطابق لأعمالهم « كل نفس بما كسبت رهينة » « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

وقديما قال العلماء : أعذر من أنذر . وهذا هو قول الله تعالى « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وهو بعينه التوكيد المذكور آخر الآية « وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » فلن يغيب عن علمه شيء ، ولن يفلت من حسابه عبد من عباده .

وبعد هذه التوعيات التى تحتويها الآيات، ويراد منها التثبيت على الإيمان تبدو لنا هذه التوعيات ـــ ثانيا : فى قوله سبحانه « فاستقم كما أمرت ، ومن تاب معك ، ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير » فذلك إستئناف لتثبيت النبى وأمته على الإيمان .

غير أن الأسلوب فى الآية السابقة كان من قبيل التطهير للعقيدة من شائبة الريبة فيما عليه الكافرون .

وهذا الأسلوب الجديد بيان لما يتجلى به الإيمان المطلوب منا .

فوقفنا بين أمرين ـ أحدهما : تطهير القلوب ، وقد بيناه ـ والثانى : غرس المبادئ الحقة فى الأنفس ، وإقامة البناء على أساس من التقوى .

ونظرة منا إلى الآية « فاستقم كما أمرت » تكشف لنا فى وضوح عن أمور خمسة مطلوبة من ـــ النبى صلى الله عليه وسلم ـــ ومن كل مؤمن اطمأنت عقيدته ، وأصبح متجها إلى العمل بمقتضاها .

تلك الأمور الخمسة أولها : الاستقامة على نحو ما أمره الله من ملازمة الحق وتجنب الريبة فيما يعلمه عن بطلان الكفر ، وعبادة الكافرين لآلهتهم .

وهذا التكليف يتعلق بالنبي عملا ويتعلق به تبليغا للمؤمنين . . ولعل هذا تكليف إجمالى بكل ما يعهده من مطالب الإيمان .

والأمر الثانى من الخمسة : نهى عن الطغيان . . والطغيان هو مجاوزة الطريق المرسوم له وهو كذلك نزل الاعتدال فى معاملة الغير ، والأخذ بغير ما طلب منه فى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يعزز توصيته للنبي وأمته بهذا الاعتدال فيقول « إنه بما تعملون بصير » يعنى مطلع ، ومحاسب ومجاز ، على كل ما يصدر منكم .

والنبي والمؤمنون يعلمون هذا حق العلم . . ولكنه لا يستغنى عن التوجيه والتثبيت على كمال العقيدة ، وتمام الطاعة . ثم تأتى الأوامر الثلاثة بعد ذلك زدياة فيما يراد له من الكمال ، وفيما يطلب منه ، وسنعود إلى تفصيلها إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكى

عن أبى مويهة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل يا أبا مويهة إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معى فخرج ، وخرجت معه حتى جاء البقيع ،فاستغفر لأهله طويلا ثم قال : « ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا ، يتبع آخرها أولها ، والآخرة شر من الأولى» ثم أقبل على فقال : « يا أبا مويهة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا ، والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة » فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فقال : « لا والله يا أبا مويهة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة . »

من هدى السنة

من حقوق الإنسان

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الإمامان الجليلان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، وأبو الحسين مسلم ابن الحاج العشيرى فى صحيحهما بسندهما — واللفظ للبخارى — عن أبى بكرة — رضى الله عنه — قال :

« خطبنا النبى — صلى الله عليه وسلم — يوم النحر قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر قلنا : بلى ، قال : أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : أليس ذو الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » (١) .

وقد روى البخارى نحو هذا الحديث عن ابن عباس ، وابن عمر رضى الله عنهما .

« الشرح والبيان »

من هو أبو بكرة ؟

هو الصحابى الجليل أبو بكرة نفيع بن الحارث ابن كلدة الثقفى ، وكنى بأبى بكرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما حاصر ثقيفا بالطائف فى السنة الثامنة للهجرة أمر مناديا ينادى : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » فكان من أجاب وسارع إلى دعوة الإسلام نفيع هذا فقد تسور حصن الطائف من الداخل

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب العلم ـ باب قول النبى : رب مبلغ أوعى من سامع ، وكتاب الحج ـ باب الخطبة أيام منى ، وفى كتاب الأضاحى ـ باب من قال : الأضحى يوم النحر ، = صحيح مسلم ـ كتاب القسامة ، والمحاربين ، والقصاص ، والديات ـ باب تغليظ تحريم الدماء ، الأعراض ، والأموال .

ثم تدلى ببكرة من الخارج فكنى بذلك ، وكان ثالث ثلاثة وعشرين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين ، منهم : المنبعث وكان عبداً لعثمان بن عامر بن معتب ، وكذا مرزوق ، والأزرق زوج سمية والدة زياد بن عبيد الذى صار يقال له: زياد بن أبيه ، والأزرق أبو عقبة وكان لكلدة الثقفى ، ثم حالف بنى أمية لأن النبي صلى الله عليه وسلم دفعه لخالد بن سعيد بن العاص ليعلمه الإسلام ، ووردان وكان لعبد الله بن ربيعة وآخرون(١) ولما جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع كل واحد منهم إلى من يعوله ويعلمه شرائع الإسلام ، ولما أسلم أهل الطائف فيما بعد وجاءوا إلى النبي طائعين طالبوا بعبيدهم هؤلاء فقال لهم رسول الله «هؤلاء عتقاء الله» وقد خرج لأبى بكرة البخارى ومسلم وغيرهما فرضى الله عنه وأرضاه .

« خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر » .

كان ذلك فى حجة الوداع ، وسميت كذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها بقوله : «خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » رواه الإمام مسلم ، وتسمى حجة الإسلام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد الهجرة غيرها ، وتسمى أيضاً حجة البلاغ ، لأن النبي بلغ الناس فيها شرع الله فى الحج قولا وعملا ، وذكرهم بالمهم من شرائع الإسلام وحقوق الإنسان بما ذكر فى هذا الحديث وغيره ، وأشهد الله والناس على ذلك .

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية الخطبة يوم النحر ، وإلى هذا ذهب بعض كبار الأئمة الفقهاء ، وإذا صح الحديث وجب المصير إليه ، ولا يلتفت لقول من خالف ، والحق أحق أن يتبع ، وقد ثبت عن الأئمة الأربعة أنهم قالوا : إذا صح الحديث فهو مذهبى واضربوا بقولى عرض الحائط !! وهذا المبدأ هو الجدير بأئمتنا الأعلام الأجلاء .

وقد بينت الروايات الأخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راكبا ناقته ليسمع الناس ، وأن أحد الصحابة كان آخذاً بخطامها كيلا تتحرك أو تضطرب ، قيل إنه بلال ، وقيل أبو بكرة راوى القصة وهو الذى صوبه ورجحه الحافظ بن حجر فى الفتح .

« قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ » .

الدراية العلم ، أى أتعلمون جواب هذا السؤال وهذا لون من ألوان الخطاب وأسلوب من أساليب التربية المحمدية يقصد به استحضار فهومهم ، وجذب انتباههم لما سيلقى عليهم

---

(١) فتح البارى جـ ٨ صـ ٣٧ .

من الجواب فيتمكن من نفوسهم غاية التمكن وأيضاً فيه تفخيم وتنبيه إلى عظم المسئول عنه وهذا ليس بعجيب ممن أنزل الله عليه القرآن الذى أوفى على الغاية فى البيان والإعجاز، وأساليب الخطاب .

« قالوا : الله ورسوله أعلم » .

هذا من حسن أدب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لأنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب ، وأنه ليس مراده مطلق الإخبار بما يعرفونه بدليل قولهم : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه .

« فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه » .

وكان سكوته صلى الله عليه وسلم مبالغة فى التشويق لما سيلقى إليهم ، وإعطائهم فرصة لأعمال الفكر ، وإشحاذ الفهم ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس أنهم لم يفوضوا فى الجواب وأنهم أجابوا بعد كل سؤال ونصها عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : « يا أيها الناس ، أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ! قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ! قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ... » ، ثم رفع رأسه فقال : « اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت » .

وقد أجاب بعض العلماء بأنهما واقعتان ، وأنهم فوضوا فى إحداهما ، وأجابوا فى الأخرى وهذا الجواب ليس بشىء لأن الخطبة فى يوم النحر إنما تشرع مرة واحدة ، والصحيح فى الجواب أن نقول : أنهم فوضوا أولا بقولهم الله ورسوله أعلم فلما سكت صلى الله عليه وسلم بادر بعضهم بالجواب دون البعض فاقتصر أبو بكرة فى روايته على الأول ، واقتصر ابن عباس على الثانى ، وقد يكون المحيطون بأبى بكرة فوضوا فنقل ذلك ، والمحيطون بابن عباس أجابوا فنقل ذلك قال : « أليس يوم النحر ؟ » قلنا : بلى .

روى بنصب لفظ « يوم » على أنه خبر أى أليس اليوم يوم النحر ، ويجوز الرفع على أنه اسم ليس أى أليس يوم النحر هذا اليوم ، وبلى : حرف يجاب به النفى فهى تنفى النفى فيصير مثبتا كأنهم قالوا : إنه يوم النحر فقال : « أى شهر هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ؟ ... فقال : « أليس ذو الحجة » ؟ قلنا : بلى .

ما قلناه فى السؤال والجواب آنفا يقال هنا كذلك ، وقد جاء لفظ « ذو الحجة » بالرفع على أنه إسم ليس ، والخبر محذوف أى أليس ذو الحجة هذا الشهر ؟ ، وقد جاءت رواية الإمام مسلم « أليس ذا الحجة » ؟ على أنه خبر واسم ليس محذوف أى أليس

الشهر ذا الحجة ؟ وما قلناه فى « بلى » يقال هنا وفيما بعده قال : « أى بلد هذا » ؟ ... إلى قوله : « أليست بالبلدة الحرام » ؟ قلنا : بلى .

وفى رواية الإمام مسلم « أليس البلدة » والمراد بها مكة شرفها الله تعالى وهى المرادة بقول الحق تبارك وتعالى : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها » وهو علم عليها بالغلبة ، كما أن البيت علم بالغلبة على الكعبة المشرفة ، ومعنى « الحرام » أن الله حرمها من يوم أن خلق السماوات والأرض فلا يسفك فيها دم إنسان، ولا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها كما ورد ذلك فى الصحيحين (١) وغيرهما .

وإنما وصف البلد بالحرام وهى مؤنثة لأن اسم الحرام اضمحل منه معنى الوصفية وصار اسما .

« قال : فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، إلى يوم تلقون ربكم» .

العرض بكسر العين : هو موضع المدح والذم من الإنسان سواء أكان فى نفسه أم فى سلفه ، ومعنى حرام : محرم ، وفى الكلام محذوف يصحح الكلام أى فإن سفك دمائكم ، وأخذ أموالكم ، وثلب أعراضكم والتعدى عليها حرام . لأن الحل والحرمة لا يتعلقان بذوات الأشياء ، والمعنى لا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يأخذ بغير وجه حق بعضكم أموال بعض ، ولا يتعدى بعضكم على عرض بعض ، وقد جاء التعبير النبوى الكريم على أبلغ ما يكون لأنه جعل دماء النـــاس واحدة وأموالهم واحدة ، وأعراضهم واحدة فمن سفك دم غيره فكأنما سفك دم نفسه ، ومن أفسد مال غيره فكأنما أفسد مال نفسه ، ومن تعدى على عرض غيره فكأنما تعدى على عرضه ، وتكاد تجمع الروايات على توسيط الأموال بين الدماء والأعراض مع أن الإنسان قد يغار على عرضه أكثر مما يغار على أخذ ماله ، ولذلك سر وهو بيان أن حرمة التعدى على الأموال لن تقل عن حرمة التعدى على الأعراض ، ولو أنه أخرها لربما توهم البعض أن ذلك لعدم الاهتمام بها .

وفى تشبيه حرمة الحقوق الثلاثة بحرمة اليوم ، والشهر ، والبلد ، توكيد وتغليظ لهذه الحرمة ، وهذا التشبيه ليس من تشبيه الأدنى بالأعلى ، أو الأضعف بالأقوى ، وإنما الأمر

---

(١) صحيح البخارى - كتاب الحج - باب لا يحل القتال بمكة ، وباب لا يعضد شجر الحرم ، صحيح مسلم - كتاب الحج - باب تحريم مكة وتحريم صيدها ، وخلاها ، وشجرها ، ولقطتها إلا لمنشد على الدوام .

على العكس ؛ إذ أن مناط التشبيه فى قوله صلى الله عليه وسلم ظهوره عند المخاطبين ؛ لأن تحريم البلد ، والشهر ، واليوم كان ثابتا فى نفوسهم ، مقرراً عندهم فى جاهليتهم بخلاف الأنفس ، والأموال ، والأعراض ، فكانوا يستبيحونها فى الجاهلية ، فجاء الشارع الحكيم فبين لهم أن تحريم دم المسلم وماله ، وعرضه أعظم من تحريم البلد ، والشهر ، واليوم ، وليس أدل على هذا مما رواه ابن ماجه عن عن عبد الله بن عمر قال: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده : لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى منك: ماله ودمه ، وأن يظن به خيراً » وقد قرر النبى صلى الله عليه وسلم حرمة هذه الأشياء فى حديث آخر رواه مسلم وفيه : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » كما قرره بخلقه وسيرته ، وزاد الأمر تأكيدا بهذه الخطبة فى حجة الوداع ، فى يوم النحر الذى هو يوم الحج الأكبر عند فريق من العلماء.

ومثل المسلم فى هذه الحقوق والحرمة الذمى والمعاهد وفى الحديث الذى رواه البخارى : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته لم يرح رائحة الجنة » وقد صير الإسلام العظيم من هذه المبادىء السامية أسلوبا عمليا، وواقعيا حينما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية لكل الأجناس والطوائف ، وقد كانت هذه الحقوق مصانة غاية الصيانة ، ولا سيما فى عصور الإسلام الأولى يوم أن كان الوازع الدينى قويا فى النفوس ، ويوم كان المسلمون حكاما ورعية وقافين عند حدود الله وتشريعاته على حين كانت « أوروبا » أنذاك فى بربرية همجية لا تصان فيها دماء ، ولا أعراض ، ولا أموال ، ولا حقوق وهكذا نجد أن الإسلام سبق إلى تقرير حقوق الإنسان قبل أن يقرر العالم الحديث ذلك بقرابة أربعة عشر قرنا !! « ألا هل بلغت»؟ قالوا : نعم : قال : « اللهم اشهد » .

تقرير من النبى العظيم للناس أن يشهدوا له ويقروا له بالبلاغ ، وهو الصادق المصدوق عند الله وعند الناس ، حتى تنقطع المعذرة ، ولا يكون لأحد حجة ، وحتى يكون أسوة حسنة لكل من يأتى بعده من الخلفاء ، والملوك ، والرؤساء ، والرعاة «فليبلغ الشاهد» يوم من حضر معى من غاب فإن هذا البلاغ واجب ، ثم علل ذلك بأن بعض من يبلغ قد يكون أوعى للنص ، وأشد فهما له ، واستفادة واستنباطا للحكم والأحكام منه من السامع ، ورب حامل فقه ليس بفقيه !! «وبعد» فلعلك أيها القارىء المنصف ازددت إيمانا بعظمة الإسلام ، ونبى الإسلام ، ومبادىء الإسلام !

د. محمد محمد أبو شهبة

صيام الحج

للأستاذ على الخطيب

صيام رمضان فرض عام ينتظم المسلمين جميعا فلا يخص فردا دون آخر ولا جماعة دون جماعة ، بل يشمل كل مسلم مكلف ذكرا كان أو أنثى فيناط به أداؤه ويجب عليه التزامه فهو - إذن - « طاعة عامة » يرجو المؤمن بأدائها ثواب الله ومغفرته ، وليس « قربة خاصة » يواجه بها المسلم أو المسلمة « خطأ معيناً » لتكفره له وتمحوه عنه ، وصيام رمضان - من جهة أخرى - لا يستعاض عنه ، ولا يستبدل به شيء غيره طالما كان المخاطب به مكلفا لم يرتفع عنه التكليف ، فهو فى مقامه طاعة عامة واجبة ثابتة مدى الدهر .

وفى هذه الكلمة عرض لصيام آخر يختلف عن صيام رمضان فى الناحيتين :

فهو من ناحية ليس « طاعة عامة » شاملة يخاطب بها كل مكلف من المسلمين والمسلمات بل هو « قربة خاصة » يلتزم بأدائها فرد أو أفراد وقعوا فى أخطاء معينة فكان هذا الصيام شفيعهم فى محو هذه الأخطاء التى ارتكبوها فى ظروف خاصة .

وهو من ناحية أخرى ليس الكفارة الوحيدة فى بابها ؛ بل تقف إلى جوارد كفارات أخر يجد المسلم فيها « تنويعاً » يرفع عنه الحرج ويتلاقى مع طاقته فيقبل على ما يستطيع أداؤه منها .

وهناك ستة من أنواع الصوم فى الشريعة الإسلامية يلازمها هذان الوصفان :

ثلاثة منها تستوعب شئونا دينية كلها فى الحج وهى التى نتحدث عنها فى هذا المقال وثلاثة أخر تستوعب شئونا اجتماعية لا تعتبر أخطاء فى عبادات ، وإنما هى أخطاء فى علاقات المسلمين بعضهم ببعض . وهذه أصوام الحج :

١ - صيام التمتع :

فترة الإحرام التى يؤدى أثناءها المحرم شعيرة الحج أو العمرة يتجنب فيها وجوبا « كل شيء يتنعم به أو يزال به عن النفس أذى » ولذلك فهو يكتفى فى جانب الثياب بقطعتين منها لشراء أسفله وأعلاه وينتعل من ألوان الأحذية ما كان غير ساتر لقدمه كنعل يكشف عن أجزائها (١) . وفى جانب التنعم ليس له

---

(١) سئل رسول الله صلى عليه وسلم : مايلبس المحرم . ؟ قال : لا يلبس المحرم القميص ، ولا العمامة ولا البرنس ، ولا السراويل ، ولا =

أثناء الإحرام أن يحلق شعره أو يقصره أو يتعطر كما عليه أن يتجنب النساء .

وفترة الحرمان هذه من الناس من يطيلها اختيارا لا حيث يقبل عليها طائعا كل أشهر الحج(١) ابتداء من شوال إلى الثالث أو الرابع عشر من ذى الحجة ، برغم أن الشريعة رخصت فى أمرها وسهلت فيه حتى أن الحاج يستطيع أن ينوى الإحرام بحجه ويؤدى أركانه كاملة تاسع ذى الحجة فيطوف ويسعى ويقف بعرفه فيقضى محرما خمسة أيام على الأكثر .

فأما الإحرام بالعمرة فلا يستغرق وقته أكثر من نصف نهار . ولا تختص العمرة بزمن فأى أيام السنة صالح لأدائها .

والناس فى الحج ضروب :

فمنهم من يستطيع أن يؤدى ـ فى أشهر الحج ـ حجا فقط لا عمرة معه ، ويعرف فى مصطلح الفقهاء « بالمفرد » لأدائه شعيرة واحدة .

ومنهم من يستطيع فيها أو فى غيرها من شهور العام أداء عمرة فقط فهو أيضا «مفرد».

وثالث يستطيع أن يؤدى الحج والعمرة معا بعمل واحد ، لا ينفرد فيه الحج عن العمرة ، ولا العمرة عن الحج بعمل ، ويسميه الفقهاء « قارنا » .

ورابع يستطيع فى أشهر الحج أن يحرم بعمرة ، ويؤدى شعائرها فى أقل من نهار ثم يتحلل ويظل حلالا يتمتع بما حرم على غيره من طيب ، وزوجة ، وزينة ، وملبس إلى أن يحل الثامن أو التاسع من ذى الحجة فيحرم بحج ، ويعرف فى عـــرف الفقهاء « بالمتمتع » .

واوضح أن الثالث والرابع قد اكتسب فرصة ، وأسقط مشقة وخـرج من ضيق إلى سعة .

فالثالث : إذ قرن الحج بالعمرة لم يتكلف عبء عملين ، واستفاد بنهجه ذاك إسقاط مشقة ما كانت لترفع عنه لو أفـــرد الحج عن العمرة .

والرابع وجد فرصة تمتع خلالها فى أشهر الحج بما لا يتمتع به « الفـرد » دون رهق أو نصب وكل قد أدى الواجب لم ينقصه شيئا

= ثوبا مسه ورس ، ولا زعفران ، ولا الخفين إلا أن لا يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين . اهـ الحديث رواه الجماعة صـ ٢ جـ ٥ نيل الأوطار طبعة أولى . المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٧ هـ . الورس الوارد فى الحديث نبات أصفر طيب الرائحة يصبغ به

(١) للحج أشهر معلومات روى البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال: وأشهر الحج التى ذكرها الله تعالى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة اهـ بخارى . شرح القسطلانى جـ ٣ صـ ١٣٦ - ١٣٨ .

والذين أحرموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته الشهيرة فى السنة العاشرة من الهجرة حجة الوداع - كان فيهم من أفرد حجا ومن أفرد عمرة ، ومن قرن حجا بعمرة ، وقد تيسر لكل ما نوى .

غير أن « التيسير يقابله «تكليف » واجب يشير إليه قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم . تلك عشرة كاملة » (١) .

نصت الآية الكريمة على ما يجب فى التمتع . والقران يشاركه فى إسقاط المكلفة وعبء العمل ، ففيه أيضا متعة ، ولذلك قاس الفقهاء القارن على المتمتع . ووجب على الأول ما وجب على الآخر .

قال الصحابى الجليل عمران بن حصين رضى الله عنه : نزلت آية المتعة فى كتاب الله . وفعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم ينزل قرآن يحرمها ، ولم ينه عنها حتى مات (٢) .

والواجب على المتمتع والقارن هنا أحد أمرين ، يجب الثانى منهما إذا لم يتيسر الأول

(ا) الهدى .

(ب) الصيام :

فأما الهدى فأيسره شاة أو ما شاء من النعم : إبل أو بقر ، أو غنم ، يذبحها أو ينحرها بمنى أو مكة ، وإن تفضل باختيار الأكثر لحما ، والأسمن شحما لكان مستجيبا لدعاء الخير لأهل بلد غير ذى زرع .

وأما الصيام فعشرة أيام كاملة تؤدى على فترتين :

الأولى : صيام ثلاثة أيام منها فى أشهر الحج ، وما من شك فى أن توزيعها على بساط أشهر الحج ليس فيه عسر أداء مطلقا ولاسيما والتتابع فيها ليس واجبا : فقط لا يصوم أحدها يوم الأضحى أو فى اليومين بعده (١٠ ، ١١ ، ١٢ من ذى الحجة) وعليه أن يتمها قبل العودة لوطنه .

الثانية : سبعة أيام يصومها إذا استقر بوطنه : « وسبعة إذا رجعتم » قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما : « وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم (١) » أى بلدانكم ولا تتابع واجب فى هذه أيضا ، فدين الله يسر ومن كل قدر طاقته ، ولا مكان لفهم أحد أن الثلاثة إذا لم تتيسر بالحج تكون سبعة فى الوطن فقد أرادها الله عشرا كاملة وقال: « فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » صدق الله العظيم .

وللفقهاء حجة قوية فى قياس القران على

---

(١) البقرة ١٩٦ .

(٢) ص ٢٣٣ تفسير ابن كثير م ١

(١) ص ١٣٦ البخارى شرح القسطلانى ج٢

المتعة وإلزام المتمتع والقارن بأحد الأمرين (١) ويذكرون فى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فى حجة الوداع مفردا قطعا، وإنما تمتع أوقرن. وقد ساق عليه الصلاة والسلام هديا كما ذبح عليه السلام البقر عن نسائه وكن متمتعات (٢).

وخرج عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلى مكة حاجا حتى إذا كان بالبيداء أهل بالحج والعمرة معا وقال : ما شأن الحج والعمرة إلا واحد ، ثم اشترى الهدى من قديد ، وعبد الله رضى الله عنه من أئمة الأمة القدوة .

٢ ـ صيام الصيد :

ونلم به هنا فى إلمامة سريعة فقد أفضنا فيه فى مقالنا السابق (الأرض الحرام) (٣) وقد قلنا : إن سلام هذه الأرض الحرام استوجب ظواهر تحريمية ثلاثة هى :

١ ـ تحريم القتال فوقها .

٢ ـ تحريم اقتلاع نبات أو اقتلاع شجر مما ينبت بأصله فيها .

٣ ـ تحريم صيد أى حيوان برى متوحش لا يستأنسه الناس ولا يستأنس بطبعه شريطة ألا يكون مؤذيا . كذلك حرم التعرض لبيض ذى البيض منه .

فهذا الحيوان يحرم صيده على أى إنسان داخل الأرض الحرام سواء أكان محرما أم غير محرم ، كما يحرم صيده ، أو المساعدة فى صيده خارج الأرض الحرام ـ على محرم فإذا صاد محرم أو غيره صيدا منها داخل الحرم أو صاده محرم خارج الحرم فعليه (جزاء) تقرره محكمة من عضوين مسلمين عادلين عالمين بقانون جزاء الصيد الذى يتمثل فى أحد الإلزامات الآتية :

١ ـ شراء حيوان مماثل فى القدر والصورة، أو فى القدر لهذا الحيوان التالف يذبح فى منى أو مكة للمساكين .

٢ ـ أو يقوم المقتول ـ يوم تلفه ـ بمكان التالف بطعام يوزع على مساكين المكان فيعطى كل منهم مدا .

٣ ـ أو يصوم عن كل مد من هذه الأمداد يوما فى أى زمان ومكان يريد ، وإذا انتهت الأمداد إلى كسر صام عنه يوما ، والجانى مخير فى اختيار ما يراه منها وفى ذلك يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله

---

(١) لم يخالف هذا الحكم من العلماء إلا دواد الظاهرى فلم ير على القارن دما ولا صياما .

(٢) يريد: ما شأن الحج والعمرة فى العمل إلا واحد راجع ص ٢١٦ ج ٣ البخارى : قسطلانى .

(٣) انظر عدد ذى القعدة من هذا العام .

بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم . ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره . عفا الله عما سلف . ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » .

٣ ــ صيام الفدية :

قلنا : إن فترة الإحرام يتجنب فيها المحرم « كل شىء يتنعم به أو يزيل به عن النفس أذى » وذلك أن شعائر الحج تستوجب هذا الزهد كما تستدعى البعد تماما عن الرفث والفسوق ومماراة الناس . قال تعالى : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ـ ١٩٧ البقرة » . وإذا سعى المحرم إلى شىء مما حرم عليه أثناء فترة الإحرام ولم يكن مما يفسد حجه (١) ، كأن يرتدى قميصاً أو يتعطر ، أو يحلق شعره لزمته فدية من صيام أو صدقة أو نسك . يجب على الحاج أيها شاء ، ولا تلزمه جميعاً :

فأما الصيام فأيام ثلاثة .

وأما الإطعام فلستة مساكين لكل مسكين مدان من القوت الغالب لأهل البلد الذى يخرج فيه تلك الصدقة فيملأ مجمع يدين متوسطتين لإنسان وسط مرتين (١) .

وأما النسك فذبح لشاة أو أعلى .

ولا تختص الفدية بأنواعها الثلاثة بزمان أو مكان ، فيجوز للحاج أن يصوم بمكة أو ببلدته ، كما يجوز له أن يطعم أو يذبح بالمكان والزمان الذى يريد قال تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أو نسك ـ ١٩٦ البقرة » .

ونسوق هنا الحادثة الطريفة التى كانت سبباً فى التوضيح والتفسير والبيان :

كان ذلك فى العام السادس من الهجرة ، والرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه فى الطريق إلى مكة لأداء العمرة (٢)، وفيهم الصحابى الجليل كعب بن عجرة بن أمية البلوى حليف الأنصار رضوان الله عليهم ، وقد أحرم بعمرة، وقضى محرما زمنا أمسك فيه على نفسه وضرب بزينتها ، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) للحج مفسدات كالجماع ومقدماته .

(١) يمكن استبدال ذلك بإعداد غداء وعشاء مساو للمدين لكل منهم عند المالكية .

(٢) اعتمر عليه الصلاة والسلام أربعاً : عمرته التى صده فيها المشركون عن البيت من الحديبية ، وعمرته بعدها بعام على ما صالحوه عليه ، وعمرته حين قسم غنائم حنين من الجعرانة ، وعمرته مع حجه .

وقد بلغه خبره ، وقال له : لقد أصابك بلاء ثم دعا له بحلاق ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفدية .

وفى هذه الحادثة نزلت الآية : «فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك» .

وتولى الرسول عليه الصلاة والسلام شرح الفدية بصيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نسك بذبح شاة أو غيرها .

قال كعب رضى الله تعالى عنه فى الآية : نزلت فى خاصة وهى لكم عامة .

وبيان القرآن الكريم بدأ بالأسهل فالأسهل فى جانب الطاقة المادية للمرء .

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب إرشاد بتقديم الأفضل فالأفضل والأفضل ما عم خيره الناس لذا قال عليه الصلاة والسلام لكعب : انسك شاة أو أطعم ستة مساكين ، أو صم ثلاثة أيام .

وفى كل خير . وقد نسك كعب بشاة[1] ؟

على الخطيب

---

(١) أنظر فى مراجع الحادثة :

(ا) صحيح البخارى بشرح العلامة القسطلانى المجلد الثالث ص ٢٨٧ - ٢٨٨-٢٨٩ المطبعة الأميرية . الطبعة السابعة ١٣٢٣ هـ .

(ب) صحيح مسلم بهامش صحيح البخارى المتقدم . المجلد الخامس ص ٢٣٣ - ٢٣٧ .

(ج) تفسير الامام الجليل ابن جرير الطبرى فى شرح الآية الكريمة : فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ... الآية .

(د) تفسير العلامة ابن كثير القرشى فى الآيه .

روى قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

صعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، ومعه أبو بكر وعثمان فرجف بهم فضربه (عليه الصلاة والسلام) برجله قال أثبت أحد فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان .

ص ١٤ ج ٤ صحيح البخارى مطابع الشعب ١٣٧٨

ما أُخذ بالقوّة لا يُستردّ بغير القوّة

للدكتور علي العماري

كلمة صريحة واضحة، وصادقة، وكل يوم يمر، وكل حدث يحدث الآن فى مشكلتنا الحاضرة، وكل كلمة يقولها الأعداء . . . كل ذلك يزيد هذه الكلمة وضوحا وصدقا .

وهى – مع كل ذلك – تمثل حياة المجتمعات التى لا تدين بغير القوة أصدق تمثيل .

وقد كانت للعرب فى جاهليتهم كلمات كثيرة تشبهها، من ذلك مثلهم السائر « إن الحديد بالحديد يفلح . . .

وهذه كلمة مقبولة سائغة فى المجتمعات البدائية التى لا تعرف غير السيف حكما، ولا ترجع فى خصوماتها إلى نظم مدونة، ودساتير حاكمة، وحقوق إنسانية تربطها بغيرها من الجماعات .

ولكن الذى يؤسف له أشد الأسف أن الدول التى أخذت من الحضارة بأوفر نصيب، لا تختلف شيئا فى هذا السلوك عن أية جماعة كانت تحكمها شريعة الغاب، لأن الأخلاق والمثل العليا لم تعرف طريقها بعد إلى هذه الدول التى أعمتها مطامعها وتحكمت فيها أهواؤها، فلم تدن بغير حكم القوة، ولم تفهم إلا لغة السيف والمدفع، وقد كان طبيعيا أن تدين دولنا التى تقدس رسالات السماء، وتحترم الأخلاق الإنسانية بهذا المبدأ أيضا، لأن صاحب الخلق النبيل لا يستطيع أن يعيش بين جماعة من اللصوص، وقطاع الطرق إلا إذا ملك القوة التى تحمى حماه من سطواتهم .

وإذا كان زهير بن أبى سلمى قد صدق فى قوله :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فقد صدق شاعرنا شوقى أيضا فى قوله :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

نعم . قد صدر الأول عن بيئته الجاهلية التى كانت تعيش على الغارات والثارات والتى يمثلها قول شاعرهم :

ومن ربط الجحاش فإن فينا
قنا سلبا وأفراسا حسانا

وكن إذا أغرن على قبيل
وأعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الرباب على حلول
وضبة إنه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا
إذا ما لم نجد إلا أخانا

فإن شاعرنا (شوقيا) وإن قال حكمته فى معرض التبرير لحروب النبى صلى الله

عليه وسلم فإنه قالها بعد ما شاهده فى عصره من حياة منحرفة سيطرت على إنسان القرن العشرين .

ومنذ قديم دعت الرسالات السماوية ، ودعا الحكماء والفلاسفة والمصلحون إلى أن يسود الحق والعدل والتسامح علاقات الأفراد والجماعات : جاء فى الإنجيل (أحبوا مبغضيكم) وجاء فى آيات كثيرة من القرآن الكريم الترغيب فى العفو والصفح فى إيثار الحق ، وروى عن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم : (اعف عمن ظلمك ، وأعط من حرمك ، وأحسن إلى من أساء إليك) .

ولكن كل ذلك لم يكن له أثر فى واقع الدول التى تحكمها أطماعها ، وبخاصة الدول الغربية التى عاشت وتعيش على استغلال الشعوب والاستئثار - دونها - بخيرات بلادها .

بل ربما صح لنا أن نقول أن أثر كل ذلك فى علاقات الأفراد بعضهم مع بعض كان ضعيفا فى الأعم الأغلب .

فالتاريخ والمشاهدات ، وتجاربنا الخاصة ، كل أولئك يؤكد لنا أن كل فرد قدر على شىء أخذه ، وقلما يرده عن ذلك دين يعصمه ، أو خلق ينأى به عن استلاب حقوق الآخرين ، وقد عبر شاعرنا المتنبى عن ذلك أصدق تعبير حين قال :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفـــة فلعلة لا يظلم

ولذلك يبلغ فى نظره إلى الناس مبلغا يهولنا حين يقول :

ومن عرف الأيام معرفتى بها
وبالناس روى رمحه غير راحم

ولا سبب لكل ذلك إلا أن سلطان الدين عند كثير من الناس أضعف من سلطان المطامع والأهواء والشهوات .

والإنسان قد يكون كثير الصلاة ، كثير الصيام والقيام ، ولكنه يضعف أمام أطماعه النفسية ، وأمام أهوائه مع نفسه ، ومع ذوى قرابته .

والدين ليس فى كثرة الصيام والصلاة ، ولكنه فى العدل والإنصاف :

الدين إنصافك الأقوام كلهم
وأى دين لآبى الحق إن وجبا
والمرء يعييه قود النفس مصحبة
للحق، وهو يقود العسكر اللجبا

وقد أشار المعرى إشارة بليغة إلى هذا السلوك الإنسانى حين قال :

سبح وصل وطف بمكة جاهدا
سبعين لا سبعا فلست بناسك
جهل الديانة من إذا عرضت له
أطماعه لم يلف بالمتماسك

هذا شأن الأفراد .

أما شأن الدول فلا مجال فيه - فيما عرفنا من أحداث التاريخ - للمثل العليا ، والأخلاق

الإنسانية السامية ، وإنما تحكم علاقاتها القوة ، والقوة وحدها .

هؤلاء مشركوا مكة أخرجوا محمدا وصحبه من ديارهم وأموالهم ، وألجئوهم إلى أن يعيشوا فى بلد آخر بعيدين عن مكة أحب بلاد الله إليهم .

ثم صدوهم - بعد ست سنوات من ذلك التاريخ - عن دخول هذا البلد حين جاءوا طامعين أن يدخلوه معتمرين ، ووقفوا على مرمى البصر من البيت الحرام .

ولكن هؤلاء المشركين أنفسهم خضعوا وذلوا حين جاءهم هذا النبي بجيش مــلأ أسماعهم بصلصلة السيوف ، وأعمى أبصارهم بغبار المعركة الفاصلة .

فلسفة القوة هى الفلسفة التى ينبغى أن يعيش عليها الناس فى مجتمعاتنا الحديثة ، لأن العدل والحق والخلق والسلام كلمات تعيش فى بطون الكتب ، وعلى أفواه المخادعين من ساسة الدول التى تملك القوى المادية والمعنوية ، وبها تسيطر على مستقبل الشعوب ومقدراتها .

وإذا كان الإسلام قد حثنا على العفو ، وحبب إلينا الصفح ، فإنه أيضا دعانا إلى أن نعد القوة لأعدائنا ، وهدانا طريقنا فى آيات صريحة واضحة ، إذ يقول القرآن الكريم (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الباب) ويقول (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) . ونبينا الكريم يخبرنا أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولقد تشعب بنا القول حين نظرنا لكلمة السيد الرئيس التى جعلناها عنوانا لهذه الكلمة على أنها كلمة عامة تضع أساسا لعلاقات الأفراد والجماعات .

أما حين ننظر إليها على أنها قيلت فى ظروف خاصة ، وفى مواجهة أقوام مخصوصين ، فإننا لا نجد منها بديلا ، ذلك أننا نرمى بأنظارنا فى كل زاوية من زوايا هذا العالم الذى نعيش فيه اليوم ، فلا نجد لغير القوة سلطانا .

ونركز نظرنا على هذه الشراذم من شذاذ الآفاق الذين جاءوا ليأخذوا ديارنا وأموالنا ويشردونا كل مشرد ، ثم يجدون أنصارا أقوياء من تجار الحروب ، وسفاكى الدماء ، وأعداء السلام ، فنأسف أشد الأسف لأن شعوبنا العربية والإسلامية لم تأخذ بفلسفة القوة فى كل شأن من شئونها ، وفى كل عصر ومصر .

وما نظن إلا أن كل شعوبنا وحكوماتنا أدركت هذه الحقيقة التى لا تحتاج إلى جدل أو خلاف فتعمل جاهزة منذ الآن على وقف أكثر دخلها لتقوية جيوشها ، بل إننا لنطمع أن تقتطع من ضروريات حياتها - لا أقول كما لياتها - ما تنفقه فى الاستعداد للحرب التى لا نشك لحظة واحدة أنها واقعة .

وربما كان من أشنع الخطأ أن يتوهم أى مواطن من هذه الشعوب أننا نستطيع أن نحصل على حقوقنا كاملة أو ناقصة عن طريق

السياسات التى ماعرفناها إلا ماكرة مخادعة ، تخضع للقوة أكثر مما تخضع للمنطق، وتستجيب للكفاح أكثر مما تستجيب للحق ، وترهب الناب والظفر ، ولا تحفـــل بالأخلاق والفضائل .

إن الإسلام الذى ندين به نهانا فى كثير من نصوصه عن الإنغماس فى الترف ، لأن الترف يفقد الأمم صفات القوة ، ويجعلها ترهب النضال ، وتستكين ، وبين لنا حقيقة الحياة ، وأنها غارة وزائلة لئلا نحرص عليها الحرص الذى يحملنا على كراهية الموت ، والنفور من الاستشهاد فى سبيل الحق .

وهو فى الوقت ذاته أمرنا أن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة ، ومن رباط الخيل ، وحبب إلينا أن نكون أعزاء، بل جعل العزة لنا دون غيرنا ، فيتحتم علينا أن نحرص على أن تبقى هذه العزة فينا ، وأن نبذل فى سبيلها ما تريده منا من النفوس والنفائس .

وتاريخ أجدادنا حافل بالمواقف العظيمة التى تؤكد لنا أنهم كانوا يستهينون بكل شىء ليظفروا بالنصر على أعدائهم ، وليستردوا حقا سلب ، أو بلد غصب .

وأقوال شعرائهم وحكمائهم شاهدة بأنهم ما كانوا يرون وسيلة لا ستخلاص حقوقهم من أيدى أعدائهم غير القوة ، وأنهم أدركوا أن العدو المدل بقوته ما كان يرده عن صلفه وكبريائه غير منازلته بكمال العدة والعدد .

وكم لهم من كلمات حكيمة لا تخرج فى مضمونها عن هذه الكلمة الحاسمة الحازمة التى قالها رئيسنا عبد الناصر : (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) .

ولا أشك فى أن أسعد يوم يراه كل مسلم، وكل عربى هو اليوم الذى نسترد فيه كل حقوق شعوبنا ، ولكن هذه السعادة تكون أوفى وأجمل حين يكون استرداد هذه الحقوق عن طريق قوتنا التى نقهر بها أعداءنا .

إن النفوس كلها ظامئة ليوم الثأر ، ولن يهيأ لها الظفر بأعدائها حتى تعمل كل الشعوب وكل الحكومات على إيجاد الوسائل التى تكفل هذا الظفر ، فهل لنا أن نحرم أنفسنا من كل طيبات الحياة ، شعوبا وحكومات لنعد جيوشاً وشعوبا قادرة كل القدرة على خوض أعنف المعارك وأقساها ؟

وهل لنا أن نتأكد أن هذا واجب لا تفرضه علينا الأديان والأوطان فحسب ، وإنما يفرضه علينا ـ مع أولئك ـ مكاننا بين هذه الأمم التى لا تفهم إلا لغة السيف والمدفع ؟

وربما كان أقسى ما يصيب نفوسنا أن تتخيل أن واحدا من أمتنا يستريب فى صدق هذه الكلمة : ما أخـــذ بالقوة لا يسترد بغير بالقوة ؟

علي العماري

طريقة القرآن فى الدّعوة والإقناع

للأستاذ أحمد مصنا

لكل دعوة ناجحة هدف، وتتميز الدعوات فى نسبة النجاح علوا وإنخفاضا تبعاً لأصالة الهدف وصلته بالمدعوين أنفسهم، وإذا بحثنا بعض الدعوات التى لم يكتب لها النجاح، نجد أن السبب الرئيسى لفشلها: إما عدم وجود هدف حقيقى لها، وأما لأن الأهداف التى توخاها أصحابها تركزت حول أشخاصهم ومنافعهم، أما المدعون فكانوا فى نظرهم آلات حاولوا استخدامها للوصول إلى أغراضهم ومطامعهم.

والدارس لرسالات الأنبياء جميعاً — وهم خير الدعاة فى هذا الوجود — تبرز أمامه حقيقة ناصعة، تلك هى وضوح الهدف وتحديد الغاية، وتؤازرها حقيقة أخرى لا تقل عنها وضوحا وهى أن الهدف لا يتعلق بشخص الرسول فى كثير أو قليل، وإنما المنفعة كلها فى قبول الدعوة التى تعود على المدعوين، وتحقق لهم السعادة عن طريق تثبيت إنسانيتهم، وتوثيق العلاقة بينهم وبين خالقهم، واستخدام ما وهبهم الله من نعمة العقل والإدراك فى المجال الذى طلب إليهم أن يستخدموا هذه النعمة فيه.

وإذا كانت أصالة الهدف هى حجر الزاوية فى نجاح الدعوة فمما لا شك فيه أن هذه الأصالة وحدها لا تؤدى إلى النجاح المرجو، وإنما لابد من عوامل أخرى تتكاتف معها على إنتاج الثمرة وإنضاجها، وسنحاول فى هذا المقال أن نستخلص «طريقة القرآن الكريم فى الدعوة والإقناع» وأن نتلمذ على خير كتاب أهدى للناس من رب الناس، نتعلم منه ما يلزمنا كدعاة، وما يجب أن نتخذه من خطوات لنتجنب العثار والزلل.

ومنهجنا فى هذه المحاولة هو تتبع الآيات الكريمة التى غلب على ظننا أنها ترشد إلى الغاية من بحثنا هذا.

والتى جمعناها تبويبنا لآيات القرآن الحكيمة تحت عنوان «طريقة القرآن فى الدعوة والإقناع».

وبدراسة هذه الآيات يتبين لنا أن هناك عناصر لابد من توفرها فى الدعوة نفسها، وعناصر لابد من توفرها فى الداعى، وعناصر لابد من توفرها فى طريقة الدعوة أو الوسيلة التى يحاول الداعى أن يصل — بواسطتها — إلى إقناع المدعو، وبمجموع هذه العناصر تفلح الدعوة وتؤتى ثمارها.

١ — عناصر الفلاح فى الدعوة :

أما عناصر الدعوة وما يجب أن تكون عليه فنجدها فى قول الله تبارك وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٤ .

فالدعوة لابد وأن تكون خيرة ، وأن ترسم الطريق إلى المعروف ، وأن تغلق الباب المؤدى إلى المنكر ، وهى أمور ثلاثة لا يجادل أحد فى حاجة الجماعة الإنسانية إليها .

ويجب أن تكون الدعوة ذاتها هى الهدف ، وليست وسيلة لشىء آخر يرجوه المدعو ، وبهذا تظل حية باقية لأن حياتها غير مستمدة من خارجها ، ونجد ذلك فى قول الله تبارك وتعالى : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ... » الأنعام ٥٠ .

وبذلك أعلن القرآن الكريم أن الدعوة التى جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه مطلوبة لذاتها ، وأن الداعى إليها لا يملك شيئا مما يدفع الناس إلى أمر من الأمور أو يغريهم به ؛ فليس بصاحب مال حتى يطمع الناس فى أن يفيض عليهم من كرمه ، ولا يعلم الغيب المجهول حتى يتبعه الناس أملا فى نفع أو خوفا من ضرر ، وهو إنسان مثلهم وليس ملكا حتى ينجذب الناس إليه وإلى دعوته لأنه من جنس آخر متميز على جنسهم ، وبهذا جمع الكتاب الكريم كل ما يمكن أن يخطر بالبال من أسباب تدعو إلى اعتناق فكرة أو اتباع مبدأ ، ونفاها كلها عن الرسول الصادق صلوات الله وسلامه عليه لتظل الدعوة إلى الدين ناصعة بيضاء تطلب لذاتها ، ولا تكون سبيلا إلى غاية أخرى .

ويؤيد هذا أن ما جاء فى القرآن وطلب من رسول الله محمد أن يقوله لم يكن جديدا فى باب الدعوات ، وإنما هو تكرار لما حدث من أزمان متطاولة وعلى لسان رسول الله نوح عليه السلام ؛ إذ يحكى القرآن عنه أنه قال لقومه : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ... » هود : ٣١ .

وهى نفس الألفاظ التى طلب من الرسول الكريم محمد أن يقولها لقومه .

ويرشد الكتاب الكريم إلى أن سمو الدعوة ووضوحها لا يغنى عن وجوب حمايتها والاستعداد دائما للدفاع عنها ، ومن هنا كان أمر الله للمسلمين فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » الأنفال ٦٠ .

والتهيئو لحماية الدعوة وأخـذ العدة للدفاع عنها لا يجوز أن يؤدى إلى الاغترار بالقوة ووضعها فى غير موضعها ، فالدعـوة للخير ، ومن الخير أن يجنح الداعى إلى السلم إذا جنح الغير إليه ، وهو ما تنطق به الآية الـكريمة « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » الأنفال : ٦١

وما دامت الدعوة خيرة وتسعى لإشاعة الخير ، فيجب أن يظل الطريق إليها مفتوحة لـكل إنسان ، وألا يشفع الاختلاف فى المبدأ أو العقيدة فى الصد عنها، وليس هناك ما هو أقوى فى الدلالة على ذلك من قول الله تبارك وتعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » التوبة : ٦

والدعـوة التى يرجى لها النجاح ، ويأمل صاحبها فى إقبال الناس عليها واستجابتهم لها لا بد أن تـكون فى وسع المدعوين وفى دائرة استطاعتهم ، وهذا ـ ولاشك ـ منطق العقل قبل أن يـكون منطق العدل ، ومن هنا كان التشريع الألهى المعبر عنه فى قوله جل شأنه « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»البقرة٢٨٦. وهو مبدأ روعى تطبيقه فى كل تشريعات الإسلام المختلفة .

٢ ـــ عناصر الفلاح فى الداعى

أما صفات الذى يتصدى لدعوة الناس إلى الخير ، ويحمل لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر ، فقد فازت من القرآن الـكريم بنصيب كبير . ومـن أهم العناصر التى يجب أن تتوفر فى الداعى أن يـكون قـدوة حسنة فى فعله ، فلا يكون تصرفه مناقضا لمـا يدعو إليه ، ويتجلى هذا فى قول الله سبحانه : «يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقـولوا مالا تفعلون » الصف ٣،٢ ومن هنا كان نعى القرآن على بنى اسرائيل فى الآية الـكريمة : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتـــلون الـكتاب أفلا تعقلون . » البقرة : ٤٤

ومـا يجب أن يتحلى به الداعى كـذلك لين الجانب وطيب الخلق ، والمحاولة الجاهـدة فى معالجة اعوجاج المدعوين ، فيأنس الغير إليه ، ويلتف الناس حـــوله ، ولا يكتفى الـكتاب الـكريم بتقرير ذلك ، وأنما يطلب التطبيق العملى لهذا الخلق،ويرشد إلى ماينبغى أن يـكون لتثبيت الصلة المنتجة بين الداعى والمـدعو ، من العفو عن المسىء ، وأغاثة الملهوف ومساعدته على الخـروج مما عسى أن يقع فيه من مأزق ، واحترام إنسانيته وشعوره بإشراكه فى تدبير أمور جماعته مـا يقوى ثقته بنفسه ، ويجعـله يحس بأنه شىء فى المحيط الذى يعيش فيه ،وبذلك يتفانى فى خدمته وإصلاح شأنه ، كل ذلك نجـده

فى قول الله تبارك وتعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » . آل عمران ١٥٩ .

ولا يظن إنسان أن القرآن قد حدد نوع الصلة التى ينبغى أن تكون بين الرسول والمؤمنين بدعوته فحسب ، فقد طلب من الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يقول لأهل الكتاب « ... تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبدا إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله... » آل عمران ٦٣ . وأن يقول لمن كفروا بالله « . . . من يرزقكم من السموات والأرض قل لله ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون » سبأ ٢٤ ، ٢٥ .

وسبق أن قلنا أن الدعوة ما دامت خيرة وللخير فعلى الداعى أن يستجيب لمن ينشد السلام فيجنح للسلم إذا جنح الغير إليه ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا تحلى بالرحمة وحب الخير لأعدائه وهناك الآية الكريمة التى تنطق بالسمو النفسى لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة لجميع من أرسل إليهم ، وهى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة : ١٢٨ .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى أن حرص الداعى على منفعة المدعو وسعادته ، وتطلعه إلى استجابته لصوت الحق ، يجب ألا يخرج به إلى الإفراط فى التمنى أو الإغراق فى الأمل مما يكون له أثر سيء على نفسه إذا لم يتحقق رجاؤه أو يثمر أمله ، نجد ذلك الإرشاد فى قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » الأنعام : ٣٥ .

ومن أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الداعى الصراحة المطلقة والأمانة العامة فى إنارة الطريق أمام المدعوين حتى لا يخدعوا فيه ولا ينتظروا منه أكثر مما يملك ، ومن هنا أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يعلن للملأ أنه لا يملك شيئاً من أسباب الضر أو النفع ، يقول الحكيم جل شأنه : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » الأعراف : ١٨٨ . ويقول : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى... » الأنعام : ٥٠ . ويقول : « قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا » . الجن . ٢١ .

وقد قص علينا الكتاب الكريم بعض المواقف التى كانت بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبين الكافرين من أهل مكة ، وكل ما حدث فيها كان تطبيقاً لهذا المبدأ الجليل ، اقرأ قول الله تبارك وتعالى: « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » الإسراء : ٩٠ - ٩٣ .

ولم يسقط القرآن من حسابه ما يجب أن يكون عليه الداعى من التعفف عما فى أيدى الناس الذين يوجه إليهم دعوته ، ولا تخفى الحكمة العالية من ذلك ، لما نعلمه من أثر المال وحبه فى اتجاه أصحابه وتصرفاتهم ، ذلك الأثر الذى أوضحه الكتاب الكريم وبينه فى قوله عز وجل :

« أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون » الطور : ٤٠ ، ن : ٤٦

ولما نعلمه - كذلك - من أثر العطاء فى سياسة الداعى نفسه وتقييد حريته تبعا لما يحسه بالنسبة لصاحب اليد عليه ، وقد يفسر هذا ويلقى عليه ضوءا كاشفا ما حكاه الكتاب الكريم عن رسول الله نوح عليه السلام من قومه لقوله : « ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقوا ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون » هود : ٢٩

فرفضه طرد المؤمنين بعد بيان أنه لا يتقاضى أجراً على دعوته غنى عن الشرح والتعليق ، ومن هنا طلب من الرسول محمد - صلوات الله وسلامه عليه - أن يطمئن المدعوين إلى أنه لن يتقاضى منهم أجراً على دعوته ، يقول الله تبارك وتعالى :

« ... قل لا أسألكم عليه أجرا ، إن هو إلا ذكرى للعالمين» الأنعام : ٩٠

ويقول سبحانه :

« قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » الفرقان : ٥٧

ويقول أيضاً :

« ... قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ... » الشورى : ٢٣

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد» سبأ : ٤٧

« قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » ص : ٨٦

ولم يكن ذلك هو موقف خاتم الأنبياء فحسب ، وإنما هو موقف السابقين من

إخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ يحكى القرآن الكريم قول نوح عليه السلام لقومه:

« فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » يونس : ٧٢

ويحكى قول هود لعاد :

« يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، إن أجرى إلا على الذى فطرنى ، أفلا تعقلون » هود : ٥١

ويحدثنا الكتاب الكريم عن أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، فنقرأ فى سياق القصة :

« وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، قال: ياقوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون » يس : ٢٠ ، ٢١

ونجد أن كلا من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وجه إلى قومه هذا البيان :

« وما أسألكم عليه من أجر ، إن أجرى إلا على رب العالمين » .

الشعراء : ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠

(للحديث بقية)

أحمد ابراهيم مهنا

القرآن متعة العامة والخاصة

لو أنك خاطبت الأذكياء بالواضح المكشوف لنزلت بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم فى الخطاب ، ولو أنك خاطبت العامة باللمحة والإشارة لجئتهم من ذلك بما لا تطيقه عقولهم ، فلا غنى لك أن تخاطب كلا منهما بغير ما تخاطب به الآخرى . . فأما أن جملة واحدة تلقى إلى هؤلاء وأولئك فيراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا فى القرآن الكريم فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام لا يلتوى على أفهامهم ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ؟ » .

الدكتور محمد عبد الله دراز

بتصرف من كتابه (النبأ العظيم) ١٠٧

كيف سما الإسلام بالنفوس؟

للدكتور محمد رجب البيومي

يظن بعض أساتذة الأخلاق أن قواعد السلوك الإنسانى مستمدة من العرف العام للمجتمع وحده ، وما زالت تتطور وتتبدل متأثرة بالتجارب الإنسانية حتى رست — أو كادت — ترسو على أصول راسخة أوحى بها الرأى العام الاجتماعى دون تأثر بهداية الأديان! وتلك نظرية براقة فى وجهها الظاهر إذ تعتمد على مقدمات وضيئة خادعـــة ولكنها فى صميمها الخالص لا تستند إلى منطق يستقر على أساس وطيد .

فنحن نجد فى تاريخ الجماعات البشرية أعلاما ضرب بهم المثل فى السؤدد والنبل . وواتتهم السيادة من أنبه طريق للشرف والجاه ، حتى ليظن من يتلقف أخبارهم الذائعة أنهم بلغوا فى السلوك الإنسانى قمة لا تتطاول وشأوا لا يتاح ! ثم تفحص ما يأتيك من أنبائهم المتداولة فتجد بعض مالا يرضيك ! وتحاول أن تجد تفسيراً لذلك ، فترى أن النفس البشرية مهما سما معدنها الخلقى بحاجة ماسة إلى هداية عليا تنحدر من السماء كما ينحدر المزن على الربا الظامئة فيحيي الأرض بعد ممات !

ونحن — فى محيط التاريخ العربى — نجد بين أعلام الجاهلية أفذاذاً تفردوا بضروب من النبالة الخارقة فى مجتمعهم ، حتى سارت بأحاديثهم الركبان ، ولقد كان العربى الحر فى جاهليته يتجافى عن مواقع الملق والرياء فلا يمدح إنسانا دون اعتقاد أصيل بما يقول إذ أن كرامته الصريحة تأبى عليه أن يصف رجلا ما بما ليس فيه ، قادحا أو مادحا ! فإذا اجتمعت الألسن العربية على تقدير إنسان ثم ضربت به المثل فى السؤدد والشرف والحلم ، فلن يكون هذا الإجماع أكذوبة ملفقة ، ولكنه رأى تأصل فى النفوس بروائع بارزة من أخلاق هذا السيد الماجد ، يعرفها القريب والبعيد ، حتى لا تحتاج إلى تدليل ، وهذه الروائع البارزة لا يمكن أن تتاح عفواً بلا تعب ، بل لابد من تكاليف السيادة ، وتبعات الوجاهة حتى تبلغ بصاحبها ما يريد إذ أن الأمر يطرد دائما على نحو ما قال العربى القديم .

وإن سيادة الأقـــوام ، فاعـلم
لها صعـــداء مطلبها طويل

وكان قيس بن عاصم المنقرى من أنبه

السادات ذكرا ، وأخلدهم مأثرة. فهو شاعر قوى العارضة ،وهو فارس مقدام لا يتراجع دون غنم ، وهو كريم أريحى يتدفق بالعطاء حتى لتأتيه إليه الوفود من أقصى الجزيرة واثقة فى فتونه وأريحيته ! ثم هو بعد ذلك مضرب المثل فى الحلم ، والحلم جماع الأخلاق وسيدها الأمثل يحتاج صاحبه إلى ركائز من الفضائل المختلفة تؤازره وتسانده حتى يعتصم بسيد الأخلاق .

وما زلنا حتى اليوم - إذا اضطررنا إلى الاستشهاد فى مواقف التأبين عند فقد عظيم أو رحيل زعيم - لانجد فيما نتمثل به من الشعر أفضل مما اشتهر فى رثاء قيس بن عاصم المنقرى إذ يقول ناعيه :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من غادرته غرض الردى
إذا زار عن شحط ديارك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ولا نجد فى مجال التنويه به - أفضل من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين قدم قيس إلى المدينة معلنا إسلامه : هذا سيد أهل الوبر ، ثم بسط له رداءه الشريف فجلس عليه تكريما لما ذاع من فضائل كرمه وأحاديث أريحيته ، وكان الرسول عليه السلام أعرف الناس بسادات العرب ، فلا يعقل أن يصف رجلا بما ليس فيه ! وكانت أريحية الكرم وهامة النفس ، وعلو الهمة مما تنزل لديه صلى الله عليه وسلم أكرم منزل ، ولأجلها احتفل بقيس فى مجلسه ! وهو احتفاء سجلته كتب الحديث والسيرة المطهرة فحاز شرف الخلود !

وثانية نقولها فى مجال التنويه بقيس ! تلك هى شهادة الأحنف بن قيس ، وكان رضى الله عنه هو الآخر مضرب المثل فى الحلم ، كما هو كقرينه قيس بن عاصم من معادن العرب النفيسة التى ازدادت رفعة ووضاءة بنور الإسلام ! وقد قيل للأحنف: من أين أخذت هذا الحلم ؟ فقال فى مباهاة : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقرى ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال الأحنف . لقد قتل ابن أخيه ابناله ، فأتى إليه بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه ، فقال فى هدوء ، أذعرتم الفتى ، ثم أقبل عليه فقال ، فى أسف : يا بنى نقصت عددك ، وأوهنت ركنك ، وفتت فى عضدك ، وأشمت عدوك وأسأت قومك. ثم سكت مليا ونظر إلى من حوله فقال: خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته وانصرف الجمع وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه .

هذا الهدوء الرزين لا يتسنى لغير حليم فسيح الصدر تعود أن يكظم غيظه حيث

لا يستطيع أقوى الأقوياء أن يسيطر على نفسه! ولقد هال الأحنف - وهو الحليم الراسخ - أن يرى الوالد فلذة كبده تتشحط فى دمائها ثم لا يحرك ساكنا! ولو كان المقتول ابن أخيه والقاتل ابنه لقلنا إن الرجل الداهية قد استجاب إلى نداء الدم فى مسارب قلبه، وتظاهر بالحلم لينقذ فتاه من القصاص، ولكن القتيل فلذة كبده! وذلك ماراع الحاضرين! وما جذب من الأحنف كل انتباه حتى اتخذ قيسا أستاذا يستهديه!

هذا السيد العربى العريق بما تأثل فى نفسه من شمائل عالية صار بها موضع السيادة فى قومه، وصاحب السيرورة فى القبائل والبطون! كانت أخلاقه المعترف بسموها فى حاجة ماسة إلى هداية السماء وقد جاء الإسلام لينقذه من الظلمات إلى النور. لأن أخلاق الجاهلية لدى السادة مع ما اكتمل لهم من عناصر الفتوة وركائز الحلم وذخائر النبل كانت فى حاجة قوية إلى من يسمو بها؛ فهى إن اكتملت فى موضع، فقد نقصت فى موضع ولن تكون الأخلاق كاملة تامة دون أن تتشح بقلادة الإسلام ولك أن تسألنى عما كان ينقص هذا الشريف الحليم الماجد من عناصر الإنسانية النبيلة التى كملت لديه بهداية محمد صلى الله عليه وسلم، ولى أن أجيب بما يرضيك:

كانت الغيرة على النساء فى المجتمع العربى من أعنف العواطف البدوية وأحدها اضطراما فما تسقط فتاة فى يد مغير حتى يتلظى أهلوها حقدا وحفيظة، وحتى يعبئوا أكبر القوى لإنقاذها، وقد تشتعل الحرب بين قبيلتين مرارا بسبب سبية أسرت فى غيبة ولى أمرها، وكان مما امتحن به قيس بن عاصم أن أغار فارس من قبيلة «يشكر» على خيام بنى سعد، فسبى منهم نساء، وساق أموالا.

وكان فى النساء «رميم بنت جندل» وهى ابنة أخى قيس بن عاصم! فجاء الخبر فى تميم بأن ابنة أخيه قد سيقت أخيذة فى بنى سعد! وأصبحت حليلة لفارس سعدى يقال له عمرو! فتعاظم قيسا الأمر، وغضب على بنى سعد أن خارت عزائمهم دون العدوان فلم يدفعوا المغيرين حتى اغتصبوا النساء، وسلبوا الأموال ثم أعد عدة الرحيل، وسار مغيظا إلى بنى يشكر يسألهم رد الأخيذة، فقابله صاحبها بهدوء وتحفظ، وأعلن أنه اصطفاها لنفسه عن اختيار ورضا منها، وله أن يسألها فإن رضيت مفارقته قدمها إليه طائعا! واستمع قيس إلى صاحبه فوقع حديثه منه موقع الرضا، واطمأن إلى أن ابنة أخيه لن تخذله فى مشهد القوم، وسترجع معه إلى ديارها مصونة مكرمة، ولكنه فوجىء بها تختار عمرا اليشكرى، وتندى جبينه

بالعرق ، ثم ارتحل مغضبا حنقا تهتاج فى صدره بواعث الثورة والحفيظة وآلى على نفسه أن يئد كل بنت تولد له كيلا يضطر إلى أن يقف هذا الموقف الكريه ، ورأى الناس سيد تميم يئد بناته فاتبعوه بغير إحسان حتى كانت تميم صاحبة السبق فى هذا المضمار ، وبين خيامها وئدت الكثرة الكاثرت من البنات! ولم لا وقيس يئد فى حفيظة واضطرام . .

لم يكن قيس فى أطواء نفسه يحس بشاعة جرمه ! فهو يرى الوأد كرامة لقبيلته وعزة لنفسه ، وكان له من السيطرة والرئاسة ما جعل قومه يعتقدون أنه يأتى فضيلة لا رذيلة ، وقد كان تقدمه فى السيادة والشرف المتعارف عليهما بين القبائل مما يجعل جريمته محمدة ، إذ أن العرف الإجتماعى قد جرى حينئذ على قبول هذا الجرم ، فعده عملا مشروعا إن لم يكن مستحبا مرغوبا ! ! وإن شذ عن هذا العرف السائد أفراد رزقوا سلامة النظرة ، وقوة البصيرة ، فقد روى التاريخ « أن صعصعة بن ناجية » جد الفرزدق كان يستهجن صنيع قيس ، ويراه سبة نكراء ، وقد بادر فافتدى إحدى بناته من الوأد ، وأشتراها كى تصبح فى كنفه دون أن تقع مسئولية أخطائها — إن حدثت — على قيس بن عاصم ! وهى همامة نفس تفىء عن نظر بصير !

ثم جاء الإسلام وأشرق نوره فمنع الموءودة أن تقتل وسأل عنها : بأى ذنب قتلت ، واضطر قيس بن عاصم أن يراجع نفسه فيما صنع ، وأخذت هداية الدين تكشف عن العيون غشاوات كثيفة حجبت أشعة العقل ورانت على الفطر السليمة فطمست لألاءها ، واحتاجت إلى من يزيل عنها الضباب ، فأخذ بنو تميم يتنبهون إلى ما جرهم قيس إليه من شطط جموح ، ورأى قيس أنه كان نائما ، وأن الإسلام قد أيقظه من ضجعة طويلة الرقاد ، فتعاظمه ما أسلف من جرائر ووفد على رسول الله مسلما ، فهش له صاحب الخلق العظيم مرحباً ، ثم رأى قيس أن يعترف بزلته فى حديث دار بينه وبين عمر بن الخطاب فقوبل بالاستنكار ، وأشار عليه عمر أن يعتق رقبة عن كل واحدة وئدت ! ومع أن الإسلام يجب ما قبله ، فقد أراد الفاروق بذلك أن يريح قلب قيس من خواطره ، والرجل سيد واسع الثراء وفى عتق الرقاب ما يزيل الشكوك ، ويطمئن النفوس .

ولقد تناقلت الكتب حديث قيس بن عاصم عن الموءودة فى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن ننقله كما جاء فى مصادره إيثاراً لبلاغته وتسجيلا لموقف دقيق تتخذ منه العبرة البالغة إذا وجدت المعتبر .

« حدث الكلبى قال : وفد قيس على رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به فى الموءودات اللائى وأدهن من بناته فى الجاهلية ، فأخبر أنه ما ولد له قط بنت إلا وأدها ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة فى البنات فما ولدت لى بنت إلا وأدتها ، وما رحمت منهن موءودة إلا بنية كانت لى ، ولدتها أمها وأنا فى سفر ، فدفعتها إلى أخوالها فكانت فيهم حتى قدمت فسألت أمها عما تم فى حملها ، فأخبرتنى أنها ولدت ولدا ميتا ... ومضى على ذلك سنون ، حتى كبرت البنت ويفعت ، وكنت عند أمها ذات يوم فرأيتها ، وقد ضفرت شعرها ، وجعلت فى قرنها شيئاً من خلوق ، ونظمت عليه ودعا ، وألبستها قلادة جزع ، وجعلت فى عنقها مخنقة بلح ، فقلت من هذه الصبية ؟ لقد أعجبنى جمالها ولبسها ، فبكت وقالت : هذه ابنتك ، كنت قد أخبرتك أنى ولدت ولدا ميتا ، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ، فأمسكت عنها حتى شغلت أمها ، ثم أخرجتها ، فحفرت لها حفرة ، وجعلتها فيها ، وهى تقول : يا أبه ! ما تصنع بى ؟ فجعلت أقذف التراب عليها وهى تقول: يا أبه أمغطى أنت بالتراب أم تاركى أنت وحدى ومنصرف عنى ؟ وكم حاولت أن تزيح عن لحيتى ما علق بها من أثر التراب ، بيد أنى كنت أقذف التراب عليها وأهيله ، حتى واريتها وانقطع صوتها ، فما رحمت أحدا ممن وأدت غيرها ، فدمعت عين النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن هذه لقسوة ، وإن من لا يرحم لا يرحم »(١).

هذا ما ذكرته الكتب من أمر قيس ولو كان من سوقة الناس ، لقيل عنه أعرابى فدم غليظ القلب لا يبالى ماذا يصنع ؟ ولكنه كان رجلا ذا مجادة يهتز للأريحية ، ويسعى للمحمدة ، وقد ساد قومه بمآثره ، وجرى المثل بمحامده حتى صار قدوة رجل عظيم كالأحنف بن قيس ! ! وإنسان يضعه الناس هذا الموضع لابد أنه كان ذا ذخائر قيمة من الفضائل ؛ فإذا اقترف وأد البنات مع ذلك فقد قدم الدليل على فساد ما اصطلح عليه العرف الاجتماعى العام ، ونادى بأفصح بيان بأنه لا بد لدنيا الناس من هداية الله . وقد عذره المنصفون فيما كان يأتيه بعد إذ أقلع عنه واستغفر ربه ونبيه ، وبذلك أسدل الستار على ماض يتأسف على مآسيه ، ويود أن يمحوه الحاضر بالندم والمتاب ، فظل سيد القوم فى إسلامه كما كان السيد فى الجاهلية ولكن سيادة الإسلام كانت نقية ساطعة ، وسيادة الجاهلية كانت ذات وضر كريه .

---

(١) ليس الكلبى ثقة فيما يحدث عن رسول الله ولا عن العرب لاتهامه بالشعوبية .

[على الخطيب]

وفد قيس بن عاصم ذات يوم على أبى بكر الصديق فسأله أن يصف نفسه فقال : أما فى الجاهلية فما هممت بريبة قط ، ولم أر إلا فى خيل مغيرة أو نادى عشيرة ،أو حامى حرمة وأما فى الإسلام فقد قال الله تعالى « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » وموضع الشاهد من هذا القول أن الرجل لم يكن يعتد الوأد أديبة ، ولم يجل بخاطره أنه جريرة تلطخ فاعلها ، ولو فطن إلى ذلك لتحاشاه ، فهو فى صميم نفسه طالب سؤدد وعاشق أمجاد ،بين أناس صرحاء لا يصفون فردا بغير مايستحق من الخلال ، وقد تغنى قيس بمآثره فيما روى عنه من الشعر بديوان الحماسة فبرأ خلقه من الدنس ، وعقله من الأفن وفاخر بأرومته الأصلية ، كما باهى ببلاغته قومه وشيعته ، ثم تمدح بأريحيته العالية حين يحفظ جاره ويحميه دون أن يكلف نفسه البحث عن بعض مثالبه فتلك سبة ترديه . وكان مما قال .

إنى امرؤ لا يعترى خلقى
دنس يفنده ولا أفن
من منقر فى بيت مكرمة
والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم
بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم
وهم لحفظ جواره فطن

ولعمرى إن قال الرجل هذه الأبيات فى الإسلام فقد صدق ، أما إذا سبقت بها الجاهلية ، فقد كان فى حاجة إلى من يقول له أن عقلك لم يبرأ من الأفن بعد وستجد سلامته الصحيحة حين تتخلق بآداب القرآن وتستمع مطيعا إلى رسول الله ؟

محمد رجب البيومى

الهـــلال

هل يثبت بالرؤية أو بالحساب ؟

للمستشار : علي علي منصور

تختلف أوائل الشهور الهجرية باختلاف مطالع الهلال فى البلاد الإسلامية وترتب على ذلك فى السنوات الأخيرة إن اختلفت مواعيد الاعياد والمواسم الدينية فهل من سبيل إلى توحيد مواقيت العبادات فى جميع البلاد الإسلامية ؟ وما حكم الشرع فى ذلك ؟

سؤال كثر الجدل حوله فلنحاول الإجابة عنه وبالله التوفيق :

العبادات المفروضة فى الإسلام أربع : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، ولنسارع فنخرج الزكاة عن موضوع الحديث فليس لها موعد محدد وإنما هى واجبة على كل من توفر عنده النصاب فائضا عن جميع حوائجه وحال عليه الحول . فلامحل للخلاف حول وقت إخراجها .

أما الصلاة : فلا يمكن توحيد مواقيت أدائها . ولنضرب مثلا بصلاة الظهر فيبدأ عند زوال الشمس أى فى منتصف النهار ، أى نصف الوقت بين الشروق والغروب . ومعروف أن النهار فى نصف الكرة الأرضية يقابله فى نفس الوقت ليل فى النصف الآخر من الكرة الأرضية فمحال أن نفرض على سكانه أن يصلوا الظهر فى منتصف الليل بغية توحيد الميقات . والشرع والعقل يأبيان ذلك .

أما الصوم والحج : فهما مدار الحديث ومنشأ الخلاف حول مواقيتها راجع إلى اختلاف مطالع الأهلة فى مختلف البلاد . فشهر الصوم هو رمضان يبدأ بميلاد هلاله وينتهى بميلاد هلال شوال . والخلاف بين مطلع الهلال فى مراكش مثلا وهى فى أقصى الغرب ، وبين أندونيسيا فى أقصى الشرق لا يزيد على تسع ساعات وقد يرى الهلال فى إحداهما دون الأخرى أو قبلها تبعا لاختلاف أفق كل منهما ، وقد يولد الهلال فى بلد ما ولكن تتعذر رؤيته بالعين المجردة أو حتى بالتلسكوب لوجود غيم وسحاب ولذا أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين فى بقاع الأرض المختلفة إلى الطريقة المثلى لتحديد بدء الصوم أى بدء شهر رمضان فقال (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم

عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) ولذا درجت البلاد الإسلامية المختلفة على التماس رؤية هلال رمضان فى ليلة الثلاثين من شعبان أى مساء ٢٩ شعبان .

وفرع فقهاء الإسلام على ذلك أنه إذا رأى الهلال اثنان عدلان وناقشهما قاضى البلد أو حاكمها واقتنع بما قالا أعلن بدء رمضان أما إذا لم يقتنع ولم يحكم فلمن رأى الهلال أن يصوم وكذا من يصدقه .

ونظراً لانعدام وسائل المواصلات فى الماضى حيث لم يكن برق ولا تليفون ولا إذاعة كان كل بلد وكل قطر يصوم ويفطر وفقا لرؤية الهلال فى أفقه، ويروى عن ابن عباس قوله أنه قدم عليهم بالمدينة من كان بدمشق وأخبر أنهم رأوا الهلال فى اليوم السابق على اليوم الذى رؤى فيه بالمدينة وصام كل قطر وفق ما ثبت لديه من رؤية ولم ير الصحابة فى ذلك شيئا .

أما الآن وقد أصبح من اليسير نقل أخبار الرؤية من مختلف البلاد إلى بعضها البعض فى أقل من ساعة بواسطة التليفون أو الإذاعة فقد كثر الجدل حول إمكان توحيد بدء صوم رمضان ونهايته وكذا بدء شهر ذى الحجة بغية توحيد وقت هاتين الفريضتين الصوم والحج أم لا ؟ وهو ما تحدث فيه الفقهاء قديما .

ومناط البحث أمران لا ثالث لهما :

أولهما : ما حكم الشريعة الإسلامية فى اختلاف مطالع القمر ؟ وهل يعتد بهذا الاختلاف فى إثبات أوائل وأواخر الشهور العربية ومن ثم يترتب على ذلك اختلاف البلاد الإسلامية فى صومها وفطرها وحجها أم أنه لا اعتبار ولا اعتداد لاختلاف مطالع القمر فى إثبات وتحديد الشهور العربية فيمكن توحيد البلاد الإسلامية وجمعها على مواقيت واحدة ؟

ثانيهما : هل يعول على الحساب الفلكى فيجعل مناطا لإثبات الشهور رغم عدم رؤية الهلال أو يؤخذ به كوسيلة مساعدة للتحقق من صدق شهود الرؤية أو أن الحساب الفلكى لا يعتد به من الناحية الشرعية فى كلا الحالين ، ولا بد إذن من التعويل على رؤية الهلال وحدها سواء بالعين المجردة أو بالآلات المكبرة والمقربة (تلسكوب) ؟

عن الأمر الأول يرى الحنابلة عدم اعتبار المطالع القمرية فى الأحكام الشرعية أى عدم الاعتداد باختلاف تلك المطالع ويقولون إنه إذا ثبت الشهر فى بلد من البلاد الإسلامية عم حكمه سائر البلاد التى نقل إليها بطريق صحيح ، دون حاجة إلى حكم يصدر من حاكم البلد التى لم ير فيها الهلال .

وهذا الرأى هو المعول عليه عند المالكية

والحنفية وهو مذهب جماعة من الشيعة الإمامية والزيدية أما الشافعية فيعتدون باختلاف المطالع القمرية ، ولكن يوافقون من سبقوا فى حالة ما إذا نقل خبر ثبوت الرؤية فى بلد ما إلى قطر آخر فأقر حاكمها أو قاضيها ثبوت الشهر لأن حكم الحاكم يرفع اختلاف المطالع .

والخلاصة أن مذاهب أهل السنة الأربعة ومذاهب بعض أئمة الشيعة متفقة على أنه إذا ثبت الشهر لدى أية حكومة إسلامية ، ونقل هذا الثبوت إلى سائر البلاد الإسلامية الأخرى فأقرته حكوماتها ، فإنه يعم حكمه رغم اختلاف مطالع الهلال .

والرأى عندى أن يجمع المسلمون على عدم الاعتداد باختلاف المطالع توحيدا لمواقيت الصوم والفطر والحج وغيرها من مواسم الأحكام الشرعية اتباعا لقول الله (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

أما عن الأمر الثانى وهو مدى إمكان التعويل على الحساب الفلكى فنقول :

أولا : يعتمد التقويم الهجرى على الشهور القمرية وأول المحرم من السنة الأولى للهجرة هو يوم الجمعة الموافق ١٦ يوليو سنة ٦٢٢م وذلك وفقا للتقويم اليوليانى . والسنة الهجرية اثنا عشر شهرا بنص الآية والشهر القمرى هو الفترة الزمنية بين ميلاد هلالين متتالين وتبدأ هذه الفترة فى لحظة اجتماع الشمس والقمر على طول واحد عند الاقتران ويمكن معرفة هذه اللحظة بما وصل إليه علم الديناميكا (علم الحركة) من قواعد حسابية حديثة مقررة . وقد تحقق العلماء من ذلك بشأن حركة الأرض والشمس والقمر فى أواخر القرن الماضى بفضل المخترعات الحديثة وأصبحت حقائق علمية لا يعتورها أدنى شك بحيث يمكن الجزم بوقت ميلاد القمر فى مختلف الآفاق ولسنوات مقبلة .

أما رؤية الهلال بالعين المجردة أو بالأجهزة المقربة (تلسكوب) فإنها قد لا تتيسر فى جميع الأحوال والظروف . فقد يحدث أن يغرب الهلال فى وقت غروب الشمس فيطغى ضوء الشمس على القمر وقد يغرب الهلال بعد غروب الشمس بفترة وجيزة وهو ما يسمى بفترة المكث القصيرة .

ثانيا : العلوم الحديثة والقديمة تعتمد على تحديد الشهور العربية الهجرية على طريقتين والفارق بينهما فى متوسط الشهر الهجرى القمرى ٨ ر ٢ ثانية فى كل سنة بمعنى أن هذا الفارق إذا تراكم لا يكون يوما واحدا إلا كل ٣٤٠٠ سنة قمرية فى حين أن الحساب فى التقويم الجريجورى الميلادى الشمسى يجعل الفارق يتكون كل ٤٠٠٠ سنة ميلادية مما يقطع بأن الحساب الفلكى القمرى أدق وأهدى سبيلا

مصداقا لقول الله تعالى (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) .

والطريقة الأولى هي طريقة الحساب الفلكى القمرى وقد اعترف به دوليا ومتوسط الشهر القمرى فيها هو ٢٩ يوما و ١٢ ساعة ٤٤ دقيقة ٨ ر ٢ ثانية وهى تنص على المواقيت الفعلية لميلاد الهلال خلال السنة الميلادية .

والطريقة الثانية : تعتمد على التعداد وتتخذ متوسط الفترة الزمنية للشهر القمرى أساسا لها والفرق بينهما طفيف كما ذكر ويمكن التعويل على إحداهما دون التعويل على الحساب الفلكى الشمسى الجريجورى .

ثالثا : النصوص الشرعية الإسلامية فيها الكثير مما يساعد على التعويل على الحساب الفلكى القمرى لتحديد الشهور الهجرية إلى جانب رؤية الأهلة وفيها ما يجيز الاعتماد على الحساب الفلكى وحده .

أ ــ الآية الشريفة : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم رمضان وكيفية تحديده قال الحديث التالى :

ب ــ الحديث الشريف : (أنا أمة لا نحسب فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) وفى رواية فى مسلم فإن غم عليكم فاقدروا له فظاهر نص الحديث قد يدل على أن علة الالتجاء إلى وسيلة رؤية الهلال هى كون الأمة العربية إذ ذاك كانت أمية لا تعرف الحساب (أى علم الفلك) والقاعدة الشرعية أن العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما فاذا ما أجمع علماء الفلك من الطبيعة الجوية وعلم الحركة من المسلمين على أن المخترعات الحديثة وما تعلموه من حسابها يمكنهم من تحديد مواعيد ميلاد الهلال طول العام الهجرى مقدما بل ويمكنهم تحديد ذلك لفترات طويلة متكررة كل منها ثلاثين عاما وجب الأخذ بتلك الوسائل .

جـ ــ ولعل ما حمل بعض علماء الشريعة فى الماضى على عدم التعويل على الحساب الفلكى فى علم النجوم عدم المعرفة وعدم التحقق من دقته ، ثم ظاهر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (من أتى كاهنا أو منجما فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) والمقصود من الحديث هو عدم تصديق ما يزعمه الكهان والمنجمون من معرفة المستقبل والغيب عن طريق الادعاء بمعرفة أسرار النجوم ، لأن القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ينص صراحة على أن الله سبحانه وتعالى اختص بعلم الغيب وأوحى إلى رسوله آيات كثيرة فى هذا الصدد منها

(لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) ويذهب إلى هذا الرأى الإمام تقى الدين السبكى الشافعى حيث قال فى حاشية الطحاوى على كتاب مراقى الفلاح ص ٣٤١ المراد بالحديث من يخبر بالغيب أو يدعى ذلك فمصدقه كافر، أما أمر الأهلة فليس من قبيل الإخبار بالغيب أو الادعاء بمعرفته ألا ترى قوله تعالى: «وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب».

(د) معنى لفظ الرؤية فى الحديث (صوموا لرؤيته) ليس المقصود منه الرؤيا بالعين بل المقصود التحقق من أى طريق وكثير من الآيات القرآنية تورد الرؤية بمعنى العلم واليقين (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم ..) والمحقق أن الرسول لم ير بعينه حادثة الفيل لأنها كانت عام مولده فالمعنى ألم تعلم يا محمد علم اليقين مما سمعته فى عصرك عن حادثة الفيل.

ويؤيد ذلك ما ورد فى ص ٣٧٤ من حاشية الشروانى على تحفة ابن حجر نقلا عن البصرى ما نصه (فإن ظاهرة الاكتفاء بالعلم هو المراد بالرؤية فى النص ووجهة المصنف فى ذلك معقولة إذ الرؤية مطلوبة للعلم بالهلال فمتى حصل العلم بغيرها فقد حصل المقصود شرعا)

(هـ) والشافعية يأخذون بالوسائل العلمية فى إثبات الهلال فيقولون (الحاسب الذى يحسب الأهلة بحساب الفلك متى اثبتت الهلال وجب عليه الصوم وعلى من يصدقه والحاسب يعتمد على منازل القمر وتقدير سيره (ص ٣٠٧ حاشية الشيراملى وفى الصحيفة نفسها نقلا عن بن قاسم على تحفة بن حجر يقول (وعمل الحاسب شامل للحالات الثلاثة وجود الرؤية وعدم وجود الرؤية مع إمكانها، وعدم الرؤية مع عدم إمكانها.

(و) ومن الأحناف من قال بذلك أيضا وهو محمد بن سلمة (قول أهل الحساب بعد أن يتفق جماعة منهم على ذلك يعتبر وقيل يعمل بقول أهل الحساب مطلقا قلوا أو كثروا) حاشية الطحاوى ص ٣٤١ والثابت الأمر أن الحساب الفلكى القمرى بطريقته معتمد من جميع الدول وجميع علماء الفلك.

والخلاصة: أن النصوص الشرعية تجيز التعويل على الحساب الفلكى القمرى فى كل ما ذكر وكذا يمكن توحيد مواعيد الصوم والحج وغيرها فى جميع البلاد الإسلامية ووسيلة ذلك أن تتفق الدول العربية والإسلامية على اتخاذ أفق بلد معين أساسا للرصد والحساب الفلكى مثل مكة أو المدينة أو القاهرة لتوسط كل منها بقية البلاد الإسلامية.

على على منصور

صور من المعارك البيانية

للأستاذ عبد الحميد محمود المسلوت

كانت دعوة الإسلام إلى الحق والعدل ، والإخاء والمحبة ، وصيحته المدوية بالناس وتوجيههم إلى عبادة الواحد القهار ، والنظر فى ملكوت الله وما أودع فى هذا الكون من أسرار ومزايا ... كانت هذه الدعوى نورا مبينا بدد ظلام الإنسانية ، وحدثا فذا هز أمة عاتية كانت تعيش فى دياجير الغفلة وتسبح فى بحر لجى من الجهالة والقسوة . تعبد الحجارة وتركع للأصنام ولا تعرف لأمر الدين وجهة صحيحة أو غاية مستقيمة ، وتتبع ماجمد عليه الآباء وتلقفته عن القدماء .

لا ترى أن هناك حقا أسمى مما اعتادته ، ولا عدلا أرفع مما درجت عليه وألفته ، فما خالفه فهو باطل يجب أن يقاوم وابتداع ينبغى أن يحارب ، والإلف إذا أصبح جزءاً من الطبيعة وأمراً ملازما للجبلة كان من العسير انتزاعه أو التغلب عليه .

ومن هنا نصبت الحرب لصاحب الدعوة وبادرت بالعداء لمبلغ الرسالة لأنه نقض إلفها وحارب عادتها ، وصنعوا له من أساليب الكيد ، وضروب الحقد وفنون الحرب ما يبعث على الدهشة ويدعو إلى الغرابة .

ذلك لأن العادة أصبحت لديهم جزءاً من العقيدة والسنن الذى ورثوه منذ أجيال يصعب عليهم أن ينزلوا عنه أو يتركوه فى لحظات .

ومن هنا لم يعرضوا أمر الدعوة على موازين العقل ولا مقاييس الإدراك والفهم ليؤمنوا عن بينة أو ليجحدوا عن بينة ، بل نصبوا للحرب من أول الأمر ميدانا مهتاج الشرور ملتهب الأضرار والأوزار لأن الذى كان يدفعهم إلى الحرب ويغريهم بالتمرد ، العصبية للموروث والحرص على القديم المألوف .

كانت الدعوة من أول الأمر تقوم على الحجة والإقناع ومخاطبة القلب ، والوصول إلى العقل بالبيان الرفيق والأسلوب المهذب الكريم والرأى السليم المستقيم وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى بواكير الدعوة يؤيد هذا ويؤكده . فهو يقول لهم : (يابنى عبد المطلب . يابنى عبد مناف . يابنى زهرة يابنى تيم . يابنى مخزوم . يابنى أسد أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى . قالوا نعم أنت عندنا

غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط . قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

ويقول لهم كذلك : (إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذى لا إله إلا هو لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون . وإنها للجنة أبداً أو النار أبدا وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد).

هذه الدعوة التى كانت تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة وتعتمد على الإقناع والجدال بالتى هى أحسن . قوبلت من هؤلاء بالحرب الفاجرة والأحقاد الغادرة والخصومات العنيفة . آذوه وآذوا أصحابه . وفتنوهم فى أموالهم ووتروهم فى أنفسهم وأبنائهم وتعاقدوا من أجل ذلك على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب مقاطعة تامة فلم يكونوا ينكحون إليهم ولا ينكحونهم ولا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى أكلوا أوراق الشجر من الجوع . وانصب على الرسول وأتباعه من ألوان الهول وفنون الأذى والضر ما تعى به الجبال : يقول عتبة بن غزوان لقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا من طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا . ولقد التقطت بردة فشققتها نصفين فائتزرت بنصفها وائتزر سعد بن مالك بنصفها الآخر . ثم رأيتنا اليوم ومامنا أحد إلا صار أميراً على مصر من الأمصار . وإنى أعوذ بالله أن أكون عند نفسى عظيما وعند الله حقيرا .

حاربوا الرسول بالكلام القاسى والادعاء والافتراء، وقالوا مجنون بعض آلهتنا اعتراه وطامع غره المال وخدعه الجاه، وقالوا أحيانا شاعر نتربص به ريب المنون وكاهن يستحلى أحاديث الغابرين ويكتتب أخبار السالفين .

والقرآن الكريم يجادلهم ويسير معهم فى حوار آسر ويطالعهم بأسلوب محكم رصين إذ يقول « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزل الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما » ويقول لهم القرآن فى أسلوب آخر لينفى عن نفوسهم الشبهة ويزيل من صدورهم كل ريبة « فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين » ثم يؤكد القرآن لهم فى أسلوب قاطع حازم أن الرسول لا يستطيع أن يخترع الأقاويل أو يبتدع الأحاديث لأنه يوقن أن الله تعالى رقيب عليه ومحيط به ، فهو لا يفر من حكمه ولا يهرب من سلطانه « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم

لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ».

ومعارك القرآن مع هؤلاء الجاحدين المعاندين الذين لا يصيخون لعقل ولا يخضعون لحجة تمثل أسمى وأروع ما ينبغى أن تكون عليه المعارك من أدب وما يجب أن تحرص عليه من سمت مهذب حكيم، وهو بهذا يضرب المثل للانسانية جمعاء لتعرف السبل إلى كسب المعارك والخام الخصم والجائه إلى الرضى والقبول والتسليم ولو بعد حين.

إن القرآن يميل فى جدله وحجاجه أحيانا إلى التشكيك ليدفعهم إلى التروى ويغريهم بالتعقل والتفكير حين يقول لهم (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) فمع أنهم تائهون فى أودية الضلال سادرون فى الغى تلفهم أغشية سميكة من الغفلة لم يقل لهم القرآن فى هذه الآية إنهم ضالون حتى يلتى عليهم درسا بليغا فى أدب الخصومة وأسلوب الحوار ولغة المجادلة، وليبين لهم أن السفه فى العداوة والعنف فى مجاذبة الرأى ومصاولة الحديث ليس وراءه إلا غمط الحق واشتعال نار العداوة.

ومن هذا الأدب قوله تعالى: وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار، لم يقل لهم فى ظاهر الأسلوب إن العاقبة الطيبة والنهاية الكريمة للمؤمنين، بل قال لهم ضمنا ودلالة بفحوى الكلام إذا صرتم إلى مواقف الإحصاء ومقام العد والحساب فسيعلم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله لمن تكون عاقبة الدار، أهى للذين أخلصوا قلوبهم لله وآمنو برسوله وصدقوا بوعده ووعيده أم الذين أصموا آذانهم وأعموا عيونهم وأغلقوا قلوبهم عن كل إنذار أو تبشير.

وإذا أنكر المنكرون رسالة الرسول وجحدوا نبوته وتماروا فى صدقه بعد أن استبانت لهم السبل ووضحت أمامهم البراهين والأدلة فإن القرآن الكريم يحاكمهم إلى رب العالمين الذى يملك ناصية الخلق وبيده زمام العباد «ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم».

وما أبدع هذا الحجاج اللطيف والتبكيت الذى يلدغ فى هدوء وسكينة (وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون».

والقرآن يقول للضالين الغافلين إنما خدعكم فى هذا الضلال وصرعكم فى سبيل الغى والفتون أنكم وجدتم آباءكم على أمة فأنتم على آثارهم مقتدون، ولو تعلقتم فيما دعيتم إليه وتبصرتم فيما أنتم عليه لتبين لكم ضلالكم وغوايتكم كما ضلوا هم وغووا (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون).

كان القرآن بسمته الآسر وبيانه الساحر

ومنطقه الخلاب وروعة تأثيره وسرعة نفاذه إلى الأعماق أقوى سلاح للدفاع وللهجوم ولهذا بهر العرب وهم أمراء الكلام وأرباب البلاغة وامتلك نواصيهم وأطلق من قلوبهم الحاقدة المعاندة أبلغ الإعجاب وأروع الثناء . فقال فيه الوليد بن المغيرة وقد أخذ بلبه جلاله ونفذ إلى قلبه جماله (والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمغدق وإن أسفله لمثمر وما يقول هذا بشر) .

وهذا عتبة بن ربيعة يقف أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجال التحدى والإنكار فلا يزيد الرسول على أن يقرأ « حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » إلى أن وصل إلى قوله تعالى: « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فإذا بعتبة يصيح من أعماقه مناشدا الرسول ربه ورحمه أن يكف من فرط ما راعه وشدة ما تملكه من الرعب والفزع .

كانت معركة القرآن مع هؤلاء القوم معركة حجة وإقناع وإن كانوا قد تجافوا المنطق وتنكروا للحجة ، ويتضح أسلوب المعركة وتبدو طرائقها سافرة من قوله تعالى لرسوله (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

فالحكمة والموعظة الحسنة أساس الدعوة وعماد المحاجة .

وكان القرآن فى دعوته إلى الحق ، وجداله مع المعاندين وحرصه على أن تصل الهداية إلى القلوب ويتمكن النور من النفوس . يتجه أحياناً إلى أسلوب الترغيب فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . والوعد بحياة هانئة ناعمة تنتظر الطائعين المؤمنين « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابية . إنى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .

فالترغيب والتبشير له نفوس تسر به وترتاح إليه . وقد تجد فيه الشفاء لما يساورها من سقم وما ينتاشها من مرض .

وكان يسلك فى أحيان أخرى أساليب الإنذار وطرائق التهديد والوعيد لقوم قست قلوبهم وغلظت أكبادهم واستسلموا لشياطين السوء والغى ووساوس اللهو والفساد التى تعربد فى صدورهم وتنبح فى أعماقهم « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » ويقول جل شأنه

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

فهو فى هذا الأسلوب المحكم القوى يدعوهم إلى استعمال العقل والإنصات إلى المنطق المتزن ويحذرهم من أن يكون همهم المتعة التى تقسى القلب ، وتبلد المشاعر أو يصير هدفهم الأكل والشرب كما تأكل الأنعام .

وهذا أيضاً لون من ألوان التخويف يثير الرعب فى القلوب الجاحدة . ويلقى الذعر فى الأنفس الضالة المعاندة ويجعل أولئك الذين لجوا فى طغيانهم يكفون عن هذا اللجاج « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به مافى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » .

وإذا جاء مارد متمرد غمره الله بالنعم ووهبه المال والبنين . ثم ولى عن الحق وأدبر وانصرف عن الهداية وأعرض وطغى واستكبر وقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، نجد القرآن يفحمه بالأسلوب القاصم ويرد عليه ردا يزلزل أركانه ويهدم كيانه « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر » .

وإذا عجبوا من أن يكون الرسول بشرا . يقول لهم : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

وينذرهم ويتوعدهم وينبههم إلى ما حاق بأمثالهم من الساخرين المستهترين « ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » .

وإذا عجبوا من أنه بشر مثلهم يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ليس معه ملك يؤيده أو كنز يسنده أو جنة يأكل منها رد عليهم القرآن « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها . وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » .

كانت المعركة أولا معركة القرآن يحمل وحده عبئها ويتولى توجيهها ويعرض آراء المخالفين ويكر عليها داحضا مفندا مسفها أحلامهم ساخرا مبينا لهم فساد آرائهم وضلال مقاييسهم . ثم أخذت المعركة لونا آخر هو حرب الأشعار والقصائد ؟

عبد الحميد محمود المسلوت

قضيّة السّجع ونظم القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور محمد أحمد العمراوي

– ٢ –

القرآن الكريم والفطرة ـ التي جرى العرف بتسميتها الطبيعة تقليداً للغرب ـ كلاهما من عند الله ، وهما معدنا الحق للإنسان ، عليه أن يتطلبه فيهما وحدهما ، فإن تطلبه في غيرهما أخطأه ، وضل .

وقد عرف علماء الفطرة في العصر الحديث كيف يتطلبون الحق في الفطرة ، وأكبر ما يهديهم إليه ، بعد الدقة والاحتياط في الاستقراء والاستنباط ، أنهم يتحاكمون إليها ، عن طريق التجارب العلمية والأرصاد ، عند ما يختلفون في تفسير وقائعها وظواهرها وعند الاستيثاق من صحة التفسير ولو لم يختلفوا فيه ، فإن هي حكمت للتفسير ، فرضا كان أو نظرية ، قبلوه واستمروا في اختباره عن نفس الطريق حتى يثبت ، وإذا حكمت عليه بتكذيبها النتيجة التي كانوا استنتجوها بواسطته نبذوه وإن عز ، والتمسوا تفسيرا غيره يشمل النتيجة الجديدة التي أدت إلى نبذ التفسير القديم وهكذا يستمر تحاكمهم إلى الفطرة بنفس الطريقة حتى يصلوا إلى التفسير الصحيح ، أي إلى سنة من سنن الله التي فطر عليها الخلق .

وسننه سبحانه لا تتبدل ولا تتحول كما أخبر الله في القرآن الكريم ، وكما أثبتت التجارب العلمية والأرصاد التي لا تكاد تحصى كثرة منذ بدأ عصر العلم الحديث ، فعلماء الفطرة حين يتحاكمون إليها ويخضعون لحكمها بطريقتهم تلك إنما يتحاكمون في الواقع إلى الله فاطر الكون وفاطر الإنسان .

والقرآن كتاب الله أنزله هدى للناس ، وعلوم الفطرة بحقائقها ويقينياتها تفسير لآياته المتعلقة بالكون ، أي تفسير لجزء منه ، والمطابقة بينه وبينها تامة كاملة وإن احتاجت في إظهارها ودراستها إلى نفس الدقة والاحتياط اللذين تلقاهما الفطرة من علمائها في دراستها وتطلب أسرارها ، وكذلك الأمر في سائر القرآن : يحتاج إلى مثل ذلك من أهله عند دراسته لتطلب أسراره ، لكنه لم يلق ذلك منهم إلا في ميدان الفقه فقه الأحكام الشرعية أما ما عدا ذلك من مجالات الدرس والبحث المتعددة فيه فهي كنوز لم تستفتح بعد : كل يقول فيها بالرأي ويأخذ فيها بالظن ، فيما عوج منها ، من غير امتحان ولا اختبار

ولا تدقيق يليق بمقام القرآن وجلاله وقدسه. وأحق المجالات بتمام الدقة والاحتياط عند تناولها بالدرس والبحث هي تلك التي لا دخل لعلوم الفطرة فيها، وإذن لا يكون هناك حكم ولا مرجع لمعرفة الحق والصواب فيها إلا القرآن.

وقضايا الفن والأدب لا تتناولها علوم الفطرة بدرس ولا بحث، فلم يبق إلا أن تكون داخلة تحت حكم القرآن؛ أى لابد للإنسان فيها من الرجوع إلى القرآن الكريم والاحتكام إليه عند الاختلاف فيما هو حق وصواب وخير فى الفن والأدب، من ناحية الوجهة والغاية، ومن ناحية الجمال والمتعة. فالفن والأدب أمس بروح الإنسان وأفعل فى سلوكه وخلقه من العلم بمعناه الحديث الشامل لعلوم الفطرة، فهما من ناحية الوجهة والغاية داخلان فى حكم الدين بالضرورة وحكم القرآن، وإلا كانا شرا ووبالا وعونا للشيطان على الإنسان. وفعلهما وتأثيرهما راجع إلى مبلغ الجمال والمتعة فيهما. فكان من حكمة الله ورحمته أن جعل الفطرة تموج بالجمال فى السماء وفى الأرض حتى لا يشغل الإنسان بفنه عنها، وفنه ليس بشىء إلى فنها، وحتى تكون المتعة بجمال الفطرة فى متناول كل إنسان، غير متوقفة على الاقتناء وثمنه كما هو الحال فى فن الإنسان. أما الأدب ومبلغ الجمال فيه والمتعة به فقد جمع الله للإنسان من ذلك فى القرآن الكريم ما لا حد ولا حصر له، إذ جعله معجزة دينه الخالدة الباقية على الدهر، من ناحية أسلوبه ومن ناحية معناه، وإن شغل علماء البيان بإعجاز أسلوبه عن إعجاز معناه، وجعلوا نظمه مدار بحوثهم فى إعجازه، من غير أن يرسوا من محيطه على ساحل، أو يصلوا من سره إلى قرار.

وليس من الممكن الإحاطة بأسرار إعجاز القرآن، لا من ناحية المعنى ولا من ناحية الأسلوب، فهذا هو لازم الاعجاز فيهما، وقد دل النبى عليه الصلاة والسلام على هذا فى كل من الناحيتين فى كلمات جامعة هى على قلتها آية فى البيان، فقال عن القرآن إنه (لا يخلق على كثرة الرد) كناية عن إعجاز الأسلوب، وإنه (لا تنقضى عجائبه) كناية عن إعجاز المعنى. وبين كل من الكلمتين الكريمتين إشتراك فى الدلالة كل تدل إلى حد ما على ما تدل عليه الأخرى: فإعجاز المعنى له دخل فى أن القرآن الكريم لا تنقضى طلاوته مهما كثرت تلاوته، وعجائب النظم والأسلوب داخلة فى عجائب القرآن التى لا تنقضى. وكلتا الكلمتين الكريمتين تشير على كل حال إلى أن الإحاطة بأسرار الإعجاز فى كل من ناحيتيه أمر غير ممكن.

وهذا يفتح للبحث أبوابا لا تنتهى فى كل

من المجالين ، من غير حاجة إلى هدم ما بناه الأولون من علماء البيان لإقامة بحوث جديدة على أنقاضه ، كالدعوة إلى استعمال الفواصل فى الشعر استناداً إلى معنى الفاصلة فى اللغة ، وقد خص بها القرآن اتفاقا كما خصت القوافى بالشعر فيما ذكر صاحب الاتقان فى كلامه على فواصل الآى إذ يقول « وكما يمتنع استعمال القافية فيه — أى فى القرآن — يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه » .

ومثلها الدعوة إلى توسيع تعريف السجع بما يخالف ما جرى عليه العرف من قديم ، كأنما الغرض إدخال أكثر القرآن الكريم فى دائرة السجع مراغمة لما كان عليه السجع فى كلام العرب منذ العصر الجاهلى إلى اليوم كما تدل عليه النصوص المأثورة من قديم ، وهى على أى حال العمدة والحجة فى هذا ، كالمأثور من خطبة هانئ بن مسعود فى يوم ذى قار التى رواها صاحب الأغانى فى الجزء العشرين فى خبر وقعة ذى قار ، والمأثور عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى حديث الإحدى عشرة امرأة اللاتى جلسن « فتعاهدن وتعاقدن على ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا » وهو المعروف بحديث أم زرع أو أبى زرع الذى رواه البخارى فى (باب حسن المعاشرة مع الأهل) من الجزء السابع .

على أن الحكم فى مسألة الخلاف بين نفاة السجع عن القرآن والقائلين به قريب ، إذا كان القائلون به فى القرآن ينفون عنه التكلف الذى كثيراً مايقترن بالسجع فى كلام الناس ، والذى من خوف ظنه بالقرآن نفى النافون السجع عنه ، فإن المسألة تصبح مسألة خلاف على التسمية ، ويفقد الخلاف أهميته ما دام الطرفان أجمعا على تنزيه القرآن عن التكلف الذى نهى الله نبيه ونزهه عنه فى قوله تعالى: « قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين ، إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين » فى خاتمة سورة ص أما إذا كانوا لا يخلون سجع القرآن من تكلف فقد حكموا على أنفسهم بأنهم قد أخطأوا حتما إذ يكونون قد خرجوا على النص القرآنى السابق وعلى نص الحديث الصحيح الذى أنكر فيه النبى على المتحاكمين إليه سجعهم الذى تكلفوه فى الخطأ كما كان الكهان يتكلفونه ، ثم يكون القائلون بالسجع بعد ذلك قد نسبوا إلى القرآن العزيز ما يعارض أصل اعجازه أو ما يطلق لسان الملحد فيه ، وجعل إعجاز القرآن فى كل من أسلوبه ومعناه منارا يجب على كل باحث أن يهتدى به فى كل دراسة تتعلق بالقرآن من قريب أو بعيد ، لأن مخالفته تعرض صاحبها للخطر والخطأ حتما ، فالرجوع إليه والاسترشاد به أشبه برجوع

عالم الفطرة إلى الفطرة فى التجربة العلمية لتحكم على فرضه أو نظريته أخطأ هى أم لا يزال فيها رجاء أن تكون صوابا .

لكن القول بالسجع فى القرآن قد جنى على قائليه إذ ورطهم فى الاستشهاد عليه بما يقتضى نسبة التكلف إليه، قصدوا ذلك أم لم يقصدوا. فمن ذلك استشهادهم بتقديم هرون على موسى فى الآية (٧٠) من سورة طه (فألقى السحرة سجدا ، قالوا آمنا برب هرون وموسى) . الامام الباقلانى يقول أن ليس فى القرآن ما هو سجع صرف ، بل فى كل ما يشبه السجع فائدة دائما — فائدة فوق صورة السجع . ويقول فى إعجاز القرآن « الكلام فى تفصيل هذا خارج من غرض كتابنا والا كنا نأتى على فصل فصل من أول القرآن إلى آخره ونبين فى الموضع الذى يدعون الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى » . وليته فعل ولو فى عدد محدود من المواضع التى يدعونها لكنه لم يتعرض إلا لهذا الموضع من سورة طه إذ يقول : « وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هرون عليهما السلام فى موضع وتأخيره فى موضع لمكان السجع ولتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه . وهى أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة » « فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهار الاعجاز على الطريقين جميعا » .

والدكتور الفاضل صاحب مقالات (السجع والقرآن والباقلانى) لم ينصف الباقلانى حين تعقبه بقوله : « أى إعجاز فى أن يقال مرة : (موسى وهرون) ومرة أخرى : (هرون وموسى) ما لم يكن وراء ذلك تحقيق لغاية أو اعتبار لمعنى ؟ » . والغاية ذكرها الباقلانى، وأنها تحققت لا فى الكلمتين منزوعتين هكذا كما أوردهما الدكتور ، ولكن فى القصة كلها التى وردت الكلمتان فيها تبعا لما يقتضيه النظم المعجز فى كل قصة للدلالة على أن أعجاز النظم غير مقصور فى القصة الواحدة على صورة واحدة إذا سبق سابق إليها فقد أعجز من وراءه ، ولكنه ممكن على صور متعددة وإن خرجت كلها عن مقدور البشر. وتحقق الاعجاز فى القصة الواحدة على تعدد صورها هو برهان واضح على إعجاز الأسلوب فى القرآن ، وإن كنا لا نرى الإمام الباقلانى قد أصاب فى أن المعنى فى كل صورة متحد من جميع الوجوه .

على أن تقديم هارون على موسى فى آية طه فيه معنى ، وله حكمة غير التى ذكر الباقلانى، على جلال ما ذكر . فموسى عليه السلام ليس أفضل من هارون من كل وجه ، لأن هارون عليه السلام يفضل موسى فى فصاحة اللسان

بنص القرآن فى مثل قوله تعالى على لسان موسى فى الآية (٣٤) من سورة القصص (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رداً يصدقنى، إنى أخاف أن يكذبون. قال سنشد عضدك بأخيك). وفصاحة اللسان لها شأنها فى أمر التبليغ. فتقديم ذكر هارون إشارة إلى هذا الفضل فيه والميزة له على أخيه فى سورة لم يسبق لهذه الميزة فيها ذكر، إذ كل ما ذكر فيها دعاء موسى عليه السلام أن يحل الله عقدة من لسانه. وجاءت آية القصص تبياناً لهذه الإشارة، لأن سورة القصص متأخرة فى ترتيب النزول عن سورة طه. وعند أهل الكتاب، كما هو مذكور فى ٧:٧ من سفر الخروج، أن هارون كان أكبر من موسى سنا بثلاث سنوات. فهذه فائدة أخرى تفيدها الإشارة من يتطلب لها حكمة إن لم يكن قرأ من القرآن ما يفيده الحكمة الأولى. فهاتان حكمتان تكفى إحداهما لتعليل تقديم هارون على موسى فى آية سورة طه وليتبين أن الشاهد الذى اعتمد عليه القائلون بالسجع الصرف فى القرآن إنما يشهد لعكس ما ذهبوا إليه. ولا يدرى كيف غابت الحكمة الأولى عن الإمام الباقلانى.

ومثل الآية (٧٠) من سورة طه الآية (١٢٩): «ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما، وأجل مسمى»، فقد قيل إن الفصل فيها بين المعطوف والمعطوف عليه كان لمراعاة الفاصلة فى رءوس الآى، وهذا قول مردود لاقتضائه التكلف المنافى لأصل إعجاز القرآن، وإذن فلابد من معنى يفيده هذا النظم الكريم العجيب لا يستفاد لو جاء التركيب عاديا وقيل: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، لكان لزاما. ولا ينبغى مطلقا إن خفى علينا المعنى المفاد أن نستر جهلنا وراء القول بمراعاة الفاصلة كما يفعل القائلون بالسجع الصرف فى القرآن. والمعنى طبعاً مرتبط بالآية قبلها «أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم؟ إن فى ذلك لآيات لأولى النهى!» فالحق سبحانه يعجب - بتشديد الجيم - من قريش فى هذه الآية كيف تصر على تكذيب الرسول ولا تخشى الهلاك أن ينزل بهم كما نزل بمثل عاد وثمود الذين يمشى رجال قريش فى مساكنهم إذا رحلوا إلى اليمن والشام فى تجاراتهم. ثم يبين سبحانه فى الآية بعدها أن الهلاك الذى يستلزمه الإصرار على الكفر إنما حال دون تعجيله لقريش أمران: كلمة سبقت من الله ألا يعجله لهم، وأجل مسمى عنده سبحانه إذا انقضى قبل أن يؤمنوا نزل الهلاك بهم، فانظر الآن هل فى التركيب العادى الذى يزعمون أن الآية شذت عنه ما يفيد هذا الإنذار بعد ذلك التعجيب؟

إنه لا يفيد إلا أن الكلمة التى سبقت، والأجل المسمى مجتمعين هما سبب عدم نزول العذاب، فإن تضمن إنذاراً فهو لا يقع من المصرين على الكفر ذلك الوقع الذى يهزهم ويحملهم على التفكير، إن المعطوف (وأجل

مسمى) يكاد يكون لغوا فى التركيب العادى الذى يقولون إنه الأصل ، إذ يكفى فى تعليل عدم نزول العذاب أن تكون كلمة سبقت . وهو فى الآية إنذار شديد وتحديد لموعد النزول لأنه مسمى عند الله ، فى إيهام على السامع يملأ نفسه خوفا لاحتمال أن يكون الموعد قريبا ، لقد وردت الكلمات نفسها مجتمعة من غير أى انتقاص فى المعنى وذلك فى آية (١٤) من سورة الشورى إذ يقول الله سبحانه : « ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم » ؛ فقارن بين هذه وبين التركيب الذى يؤثرونه نحوياً فى الآية السابقة من سورة طه ، وانظر ماذا فعل استبدال حرف بحرف فى رفع العبارة من مرتبة الكلام العادى إلى مرتبة الإعجاز .

وإيثار السجع جنى على الفراء إذ يسوى بين (ناخرة) و (نخرة) فى المعنى فى الآية (١١) من سورة النازعات ، ويفضل القراءة الأولى على الثانية وهما من عند الله ، ولا شك أن منكرى البعث كانوا بين منكر يراه مستحيلا بعد أن بدأ الجسم يبلى ، ومنكر يراه مستحيلا بعد أن استحكم فيه البلى فجاءت القراءتان تمثلان الإنكارين جميعا .

لكن الأدهى والأمر أن يحمل إيثار السجع فى القرآن كلا من الفراء والزركشى على زعم إفراد ما أصله أن يجمع فى قوله تعالى « فى جنات ونهر » فى آخر سورة القمر . يقول الفراء (الأصل الأنهار وإنما وحد لأنه رأس آية) ، كما نقل الدكتور فى مقاله الثانى ، لقد جاءت (الأنهار) فى آيات كثيرة فى وصف الجنات التى يجزى الله بها المتقين لكن مع (من تحتها) لا مع الحرف (فى) حتى فرعون يقول : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) فيما حكى الله عنه فى الآية (٥١) من سورة الزخرف ، فكيف تصور الزركشى والفراء أن يقول سبحانه « إن المتقين فى جنات وأنهار » فيهزأ ملحد ويتساءل كيف يكون مقام المتقين فى الأنهار ، صحيح أن نهر قد تأتى مفتوحة الهاء لكنها لهذه الشبهة لا تصلح معنى للكلمة فى آية سورة القمر . ولو أن الزركشى والفراء اختبرا رأيهما بالرجوع إلى أصل إعجاز القرآن لتبين لهما خطؤه ، وإذن لتذكرا أن من معانى (نهر) بفتح الهاء (السعة) كما فى القاموس ويكون معنى الآية الكريمة إن المتقين فى جنات وسعة والسعة على التنكير فى قول الله سبحانه تجعل نعيم المتقين فى الجنات غير ذى حدود .

لقد كان للزركشى والفراء إذن مندوحة عن القول بإفراد القرآن ما أصله الجمع إيثاراً منهما للسجع ورعاية الفاصلة ، فكان قولهما مع إمكان تجنبه ومجىء الفاصلة تبعاً للمعنى شاهدا آخر على بعد نظر الإمام الباقلانى حين قال بإنكار السجع فى القرآن ؟

محمد أحمد الغمراوى

انتشار الإسلام في أذربيجان

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

أذربيجان ، وقت ظهور الإسلام ، هى تلك المنطقة التى تقع إلى الشمال الغربى من إقليم الجبال ، وتشترك حدودها الغربية مع إقليم الجزيرة فى الجنوب ، وبلاد أرمينية فى الشمال . أما الحدود الشمالية فإنها تتاخم إقليم الران ، ونجد فى الشرق ، وإلى أقصى الشمال ، إقليم جيلان فبلاد موقان ، ومنطقة أذربيجان بهذا الوضع تكاد تكون آخر امتداد للدولة الساسانية فى هذه المنطقة ؛ إذ لا يليها من جهة الشمال الغربى سوى إقليم أرمينية الذى انتزعه أنو شروان من بلاد الروم قبل ظهور الإسلام ، وإذا أردنا تحديد هذه المنطقة فى الخريطة الجغرافية المعاصرة فمن الممكن القول بأن الجزء الأكبر منها يقع ضمن إيران الحديثة ، فى أقصى الشمال الغربى أما الأطراف الشمالية لأذربيجان فإنها أصبحت ضمن مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتى كما اقتطعت تركيا بعض الأجزاء الغربية .

من الناحية السياسية كانت أذربيجان إحدى المناطق المكونة للامبراطورية الساسانية ، هذا مع أنها كانت تتمتع فى نطاق هذه الامبراطورية بما يشبه الاستقلال الذاتى ، وذلك تحت رياسة حاكم يطلق عليه لقب « المرزبان » . أما من جانب العقيدة فإن المجوسية ، وهى عبادة النيران ، كانت الدين الذى يدين به أهل أذربيجان ، أو الأغلبية الساحقة منهم ، أما الجنس الذى كان ينتسب إليه أهل الإقليم إبان السنين الأولى للإسلام فهو الجنس الكردى .

فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذت الإمبراطورية الفارسية تتهاوى أمام زحف الجيوش الإسلامية المنتصرة ، وقد استطاعت الدولة الإسلامية ، بصفتها السياسية ، أن تبسط سيادتها على الأقاليم الفارسية من الجنوب إلى الشمال ، وكان إقليم أذربيجان من المناطق التى توجهت إليها الجيوش الفاتحة فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الفتوحات الإسلامية .

اختلف المؤرخون حول الوقت الذى اتجهت فيه الجيوش الإسلامية لفتح أذربيجان ، ولكن هذا الاختلاف ليس من الخطورة بمكان ، إذ أنه محصور بين سنة ١٨ وسنة ٢٢ من الهجرة . وكما اختلف المؤرخون حول توقيت أول حملة عسكرية وجهتها الدولة الإسلامية إلى هذه البلاد ، فإنهم اختلفوا بالتالى فى اسم الصحابى الذى فتح هذه البلاد . وتوفيقا بين وجهات النظر المتضاربة يمكننا القول بأن أولى الحملات حدثت فى سنة ١٨ هـ ،

وكانت تحت قيادة عتبة بن فرقد ، وقد توالت الحملات بعد ذلك وكان أبعدها أثراً تلك التى قادها حذيفة بن اليمان فى سنة ٢٢ هـ .

ومهما يكن ، فقد كان من نتيجة الحملة الأولى كتاب أمان من عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان ، بموجبه منحوا الأمان « على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم » لم يلتزم أهل أذربيجان بهذا الاتفاق ، وكانت نتيجة نقضهم له أن توجهت إلى الإقليم حملات أخرى كان من أهمها تلك التى قادها حذيفة ابن اليمان .

توغل حذيفة فى أذربيجان حتى وصل إلى أردبيل ، عاصمة الإقليم ، وهناك تصدى المرزبان بجموعه للجيش الإسلامى ، وبعد قتال شديد تصالح الفريقان . أصبح على أهل أذربيجان ، بموجب هذا الصلح ، أن يدفعوا للدولة الإسلامية جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم ، وفى مقابل ذلك أمن أهل أذربيجان على أنفسهم وعلى حريتهم فى ممارسة شعائر عقيدتهم .

رغم هذا التسامح الدينى وهذه المرونة السياسية قامت فى أذربيجان عدة حركات مناوئة للسيادة الإسلامية ، سواء أكان ذلك فى العام الأخير من خلافة عمر بن الخطاب ، أم فى عهد عثمان بن عفان . وقد استطاعت الدولة الإسلامية أن تتغلب على مثل هذه الحركات ، محافظة بذلك على المكاسب التى حققتها .

ويمكننا القول أن العلاقة بين الدولة الإسلامية وإقليم أذربيجان فى الفترة الأولى ، أى أواخر عهد عمر مع أوائل عهد عثمان ، كانت ذات صبغة سياسية ، إذ لم تسجل المراجع التاريخية التى بين أيدينا أية محاولة لدعوة أو حمل أكراد أذربيجان على اعتناق الدين الإسلامى . ليس معنى هذا أن المسلمين لم يسبق لهم أن دعوا الأكراد إلى الإسلام ، إذ أنه من المعروف أن المسلمين كانوا يلتزمون بخطوات محددة مع أهالى البلاد المراد فتحها ، خطوات تصاعدية تترتب اللاحقة منها على عدم قبول السابقة ، وهذه الخطوات هى : الإسلام فالجزية ثم أخيراً السيف — ولكن الذى نعنيه أنه فى أثناء تلك المرحلة الأولى تجمدت العلاقة بين الطرفين عند الحدود السياسية .

تجاوزت العلاقة فيما بعد النطاق السياسى إلى الجانب العقيدى ، ويمكن توقيت هذا التطور بالعام الثالث من خلافة سيدنا عثمان ، فقد أتى الأشعث بن قيس إلى هذا الأقليم فى صحبة الوليد بن عقبة وذلك فى سنة ٢٥ هـ بعد انصراف الوليد بقى الأشعث فى أذربيجان وقد استطاع أن يتغلب على حركات التمرد التى قام بها الأكراد ، وأتى بجماعات عربية وأسكنها فى الإقليم ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام .

قوبل هذا الاتجاه الجديد بالاستجابة من

قبل الأكراد ، وقد ذهب بعض المؤرخين فى المدى الذى وصلت إليه هـذه الاستجابة إلى درجـــة القول بأن عامل الخليفة على ابن أبى طالب على أذربيجان (أى بعد حوالى عشرة أعوام من ابتداء دعوة أهـل البلاد إلى اعتناق الدين الإسـلامى) وجد أكثر الأذربيجايين قد أسلموا وقرأوا القـرآن . لا يستطيع الباحث أن يطمئن إلى هذا القول ويبدو أن الخـبر يحوطه شىء من المبالغة ، ولعل هـذا هو ما أحس به البلاذر فقدم الخـبر بكلمة « يقال » .

ومع هذا فإن ما يستطيع أن يستنتجه الدارس مطمئنا هو أن الأكراد قد استجابوا لدعوة الإسـلام بصورة كبيرة . ومن ثم كانت الخطوة التالية ، وهى بنـاء مسجد فى أردبيل ، وهذا المسجد هو أول بناء من نوعه فى عاصمـة أذربيجان ، ويمكن اعتبار سنة ٣٨ ﻫ الوقت التقريبى الذى تم فيه إنشاء هذا المسجد .

واصل المسلمون نشاطهم فى دعوة الأكراد إلى الإســـلام ، فنى رسالة للخليفة على ابن أبى طالب إلى سعد بن عبادة ، عامله على أذربيجان ، يقول له فيها : « وعلم من قبلك مما علمك الله » . وتمشيا مع نفس الاتجاه أتى بجماعات جـديدة من العرب وأسكنوا فى مدينة أردبيل .

وهكذا أصبح للإسلام فى مطلع العهد الأموى أتباع كثيرون فى أذربيجان ، وهؤلاء الأتباع يتكونون بصفة رئيسية من عنصرين : العرب الذين وفدوا على البلاد واتخذوا مستقراً دائماً لهم ، والأكراد ، أهل البلاد الأصليين ، الذين نبذوا المجوسية واعتنقوا الإسلام ، استجابة للدعوة التى وجه إليها المسلمون نشاطهم بعد السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان .

اجتذبت الثروات الطبيعية التى كانت تجود بهـا بلاد أذربيجان الكثير من الجماعات العربية ، فهاجروا إليها واتخذوها وطنا لهم . ففى مرند ، قرية صغيرة من قرى هذا الإقليم ، استقر حلبس أبو البعيث وأسرته ، وفى أرمية ، مدينة قديمة فى هذا الإقليم ، استقر صدقة بن على بن صدقـة بن دينار وذريته ، وأما تبريز ، من المدن الرئيسية فى الاقليم ، فقد نزلها الرواد الأزدى .

وجعل الهمدانيون منازلهم فى الميانج وخلباثا ، وأما نريز ، إحدى القرى ، فقد استوطنها مر بن عمرو الموصلى الطائى ، ونزل جماعة من كندة فى بعض نواحى هذا الإقليم أيضا . كل هذا بجانب مدينة أردبيل التى استوعبت عـددا كبيراً من أولئك العرب النازحين .

والنتيجة الطبيعة لهذه الظاهـرة ، ظاهرة استطان العرب فى مختلف نواحى أذربيجان هى ازدياد معتنقى الإسلام من الأكراد ليس معنى هـذا أن الطريق قد أصبح ممهدا تمـاما لاستقرار الدين الإسلامى فى أذربيجان ، فقد

ظهرت فى مفتتح القرن الثالث الهجرى حركة ارتداد عن هذا الدين تزعمها بابك الخرمى الذى عمل على إحياء المجوسية . التف حول بابك أنصار كثيرون ، وقد استطاع فريق المرتدين أن يلحق بالمسلمين سلسلة من الهزائم اضطر الأخيرون من جرائها إلى التخلى عن بعض المراكز التى سبق أن ازدهر فيها الإسلام.

نجح المسلمون فى القضاء على هذه الحركة ، وذلك بقتل صاحبها فى سنة ٢٢٣ ، ومن ثم واصل الإسلام انتشاره واستقراره فى هذا الإقليم ، وقد انعكس ذلك فى العديد من المساجد التى لا تكاد تخلو منها مدينة أذربيجانية يبدو أن مسلمى أذربيجان كانوا على جانب كبير من التمسك بتعاليم دينهم ، الأمر الذى حمل المقدسى (القرن الرابع الهجرى) إلى القول عن مدينة موغان ... هى مع تبريز (مدينة أخرى) روضتان (وللرحاب يقصد المنطقة التى تشمل أذريجان وأرمنية والران) فى الإسلام مفخران . وفى مناسبة أخرى يقول المقدسى أيضا عن مجلس أحد العلماء « وقد غص بالناس قياما وقعودا » .

أنجبت أذربيجان للعالم الإسلامى الكثير من العلماء ، لكل منهم مكانته المرموقة فى العلم الذى وجه إليه اهتمامه، والذى نستطيع أن نسجله هنا هو أن علماء أذربيجان ، إبان القرون الثلاثة الأولى من الإسلام ، كانوا من أتباع المذاهب السنية ، وخاصة مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

تأثرت أذربيجان بالتطورات السياسية التى هبت على الدولة الإسلامية ، ففى المرحلة الأولى ،وحتى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، كانت هذه المنطقة إحدى ولايات الحكومة المركزية ، سواء كان مركز هذه الحكومة هو المدينة أو دمشق أو بغداد . بعد ذلك ، وابتداء من سنة ٢٧٦ أخذت أذربيجان تتمتع بحكم شبه مستقل ، نفس الاتجاه الذى ساد معظم أنحاء العالم الإسلامى فى تلك الفترة - استمرت أذربيجان محافظة على استقلالها الداخلى تحت حكم بنى الساج أسرة من أشرو سنة فيما وراء النهر ، حتى سنة ٣١٥ . عادت أذربيجان بعد ذلك إلى تبعيتها السابقة للخلافة العباسية ، ولكن ذلك لم يعمر طويلا إذ حالما استقل بها بنوسلار فى سنة ٣٣٠ ، وقد استمر حكم هذه الأسرة الديلمية للبلاد حوالى قرنين .

نتيجة لحكم هذه الأسرة بدأت الاتجاهات الشيعية ، وخاصة المذهب الزيدى ، تفد إلى الأقليم مع الجماعات الديلمية التى كانت تعتنق التشيع ، ومن ثم أصبحت أذربيجان وطنا لكل من السنيين والشيعيين ، لن نحاول تتبع العلاقات بين أنصار كل من الاتجاهين حتى لا نخرج عن النطاق الأساسى لهذا الحديث ، وهو انتشار الإسلام فى أذربيجان

دكتور حامد غنيم أبو سعيد

مايقال عن الإسلام

محيي الدين بن عربي

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

يتفق مرور تسعة قرون على وفاة الفيلسوف الصوفي محي الدين بن عربي، ولذلك رأى المجلس الأعلى للفنون الإسهام في هذه الذكرى بإصدار كتاب يضم بين دفتيه بحوثا عن جوانبه المختلفة بأقلام كبار المفكرين في مصر والذى أعلمه أن الكتاب الآن في المطبعة وهو وشيك الصدور.

وقد صدر في نفس الوقت كتاب باللغة الإنجليزية عن ابن عربي في زهاء ثلثمائة صفحة من القطع الكبير، من تأليف عالم مستشرق. وهو مستشرق بمعنى الكلمة، لأنه يعيش في أقصى الشرق، أو في الشرق الأقصى، وسبق الحديث عنه بصدد كتاب آخر له. إنه «ايزوتسو» من اليابان، بجامعة كيو، بطوكيو. ومع ذلك فإنه لم يؤلف هذا الكتاب في اليابان، ولكنه عبارة عن محاضرات ألقاها، أو أعدها، حين كان يدرس بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة مكجيل بكندا، في العام الدراسي ١٩٦٥ ١٩٦٦. وقد صدر الكتاب، وطبع، في أواخر سنة ١٩٦٦، في اليابان (١)

ليس الكتاب إذن مساهمة في ذكرى ابن عربي ولعل المؤلف لم يكن يدري بما يدور في القاهرة عن هذه الذكرى. وأكبر الظن أن أصحاب الشأن بالقاهرة يجهلون صدور هذا الكتاب ومن أجل ذلك أحببت أن أنوه عنه، وبخاصة لأن صاحبه ينوي أن يتابع هذه الدراسة بجزء آخر يوازن فيه بين فلسفة ابن عربي وبين الطاوية، وهو المذهب الذى أنشأه لاوتسو. وهي مقارنة طريفة مفيدة، وإنا لها لمنتظرون.

ولسنا ندري لم اختار المؤلف ابن عربي نموذجا للتصوف الإسلامي، وعلماً على الصوفية، على الرغم من اعتراض كثير من الفقهاء في الإسلام على هذا المذهب وفضلا عن ذلك فهناك أعلام من المتصوفة المتقدمين والمتأخرين كانوا أكثر من ابن عربي شهرة، وأذيع صيتا، وأعظم أثراً، مثل الغزالي، وابن الفارض، والجنيد، وغيرهم، وكانوا أصحاب مذاهب في التصوف، وفي الوقت نفسه أقرب إلى روح الإسلام.

وابن عربي هو أبو بكر محي الدين بن محمد علي بن عربي الطائي الحاتمي، وسمي الشيخ

(1) To shihiko Izutsu, The Key Philose phical Concepts in Sufism and Taoism, Ibn Arabi and Lao-Tzu-Tokyo 1966.

الأكبر ، وله طريقة لا تزال موجودة تسمى الطريقة الأكبرية ولد بمرسية إحدى ولايات الأندلس سنة ٥٦٠ هجرية ، ثم توجه إلى اشبيلية ، وأخذ العلم على ابن بشكوال . ثم رحل إلى المشرق حيث مكث بمكة زمنا، وتنقل بين مصر والشام والعراق ، ووصل إلى قونية وهناك تزوج بوالدة صدر الدين القونوى . وبعدذلك رحل إلى الشام ، وتوفى سنة ٦٣٨ هجرية ، ودفن بسفح جبل قاسيون بالصالحية،ولا يزال قبره هناك مزاراً وذكرى.

ويمكن إجمال المآخذ على ابن عربى ، والتى من أجلها حكم بتكفيره فى أمرين أساسيين، القول بعدم الخلق ، أو بأن الله والعالم وجهان الحقيقة واحدة وشىء واحد ، والقول بأن الله يتجلى فى هذا العالم . والرأيان يتنافيان مع صريح القرآن ، وتعاليم الإسلام ، وجوهر الأديان . فالأديان السماوية من يهودية ونصرانية وإسلام متفقة على أن الله كان موجوداً منذ الأزل ،ولم يكن العالم موجوداً ثم خلقه من عدم ، لا من طينة سابقة وإلا كان العالم قديما . ويشهد بذلك آيات كثيرة فى القرآن ، مثل قوله تعالى « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » . وفعل التكوين هو الخلق .

حقاً العقل البشرى من طبيعته إرجاع الأشياء إلى أسبابها ، ومن جملة الأسباب نشأة شىء عن شىء آخر، وبخاصة فى الكائنات الحية ، فالشجرة أصلها بذرة ، تنمو وتكبر حتى تصبح شجرة ، يتساقط منها بذور تكون أشجاراً جديدة وهكذا . غير أنه من شراهة العقول ، وهذه خاصية فى الإنسان ، البحث عما وراء الواقع ، أو ما وراء الطبيعة ، وطلب العلة الأولى والسبب الأول . ولذلك وقف الفلاسفة عند هذه العلة الأولى ، وقالوا لا يمكن أن نمضى فى سلسلة الأسباب إلى ما لا نهاية له ، ولابد من علة أولى كما ذهب إلى ذلك أرسطو ، أو « أول» كما قال أفلوطين صاحب مدرسة الاسكندرية ، أو « صانع » كما قال أفلاطون . مهما يكن من شىء فإن القول بعلة أولى ، أو صانع ، أو موجود أول ، أو واحد ، كل ذلك من قبيل المحاولات العقلية التى تدرجت فى الفلسفة اليونانيـــة واستمرت زهاء عشرة قرون ، ولكنها وإن بدت مقنعة للعقل إلا أنها لا تشفى القلب ، ولا ترضى أصحاب الفطر السليمة لذلك كان طريق الدين مباينا لطريق العقل ، الدين يعتمد على الوحى ، والعقل يعتمد على النظر والفكر . وقد أمرنا الدين الإسلامى بالنظر والتفكير للاعتبار ، وللسلوك فى أمور الدنيا ، وهناك أمور من قبيل الغيب لم يفصح الدين عنها ، باعتبار أن الإنسان بحكم إنسانيته عاجز عن الوصول إلى كنهها . ومن هذه الأمور الخلق ، والذات الإلهية . ولذلك جاء فى الأثر : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا

فى ذاته فتهلكوا . وبعد موقف الإمام أحمد ابن حنبل متفقا مع حرفية الإسلام ، ذلك أنه عندما سئل فى محنته عن القرآن أقديم هو أو مخلوق ، لم يجب بل قال : القرآن كلام الله لا أقول قديما أو مخلوقا . ومعنى ذلك أنه لا يرضى بهذه المصطلحات المستحدثة ، ويقف عند المأثور فقط . فهو يرى الاتباع لا الابتداع .

ومضت عجلة التاريخ ، متقدمة إلى الأمام واضطرت الحضارة الإسلامية إلى اصطناع الأفكار الجديدة ، وتفسيرها فى إطار التعاليم الإسلامية ، ووقف المسلمون منها مواقف ثلاثة ، فئة تنكرها وتكفر الآخذين بها ، وفئة تجيزها وتؤولها ولا ترى بها بأساً ، وفئة ثالثة متوسطة متوقفة عجزت عن الانحياز إلى القدماء أو المحدثين .

وقد وقف المسلمون من ابن عربى هذه المواقف الثلاثة ، فرقة كفرته ، وفرقة قدرته وأكبرته ، وفرقة توقفت فى شأنه . وصدرت فى أمره فتاوى خطيرة .

ذكر القارىء البغدادى فى كتابه مناقب ابن عربى ما نصه: « الأمر العظيم الذى اتهم به الشيخ محي الدين هو أنه ذكر فى ديباجة الفصوص ، أما بعد فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبشرة رأيتها فى العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وست مائة بمحروسة دمشق وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب ، فقال لى : هذا كتاب فصوص الحكم خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به.. » وهذا النص الطويل موجود فى مقـــدمة الفصوص ، ومن أجله كفر بعض الفقهاء ابن عربى لاتهامه بأن الرؤيا غير صادقة ، وأن الوحى قد انقطع بموت الرسول ، والقول باتصال التنزيل من الله إلى الرسول إلى الأولياء قول باطل لا يتفق مع منقول ولا مع معقول .

وبصرف النظر عن أن الفصوص ليست من كلامه بل نزلت عليه وحياً ، فإنها مكتوبة بطريقة رمزية ، تحتاج إلى تأويل . والرمز فى اصطلاح المحدثين هو « المجاز » فى اصطلاح القدماء قال بعض المدافعين عنه قديما : « وأما الكلمات المجازية الصادرة عنه ، فإنها وإن تراءت للقاصرين أنها مخالفة للشرع الشريف ، فهى فى الحقيقة عين الشريعة ، ولباب الحقيقة ، عند ذوى العرفان » .

وقد سلك الأستاذ ايزوتسو فى دراسة ابن عربى مسلكا جديدا ، فهو يبدأ بفصل عنوانه « الحلم والحقيقة » . يريد أن يقول: إن هذا العالم الذى نعيش فيه عالم مظاهر ، فهو حلم ، وليس حقيقة . أما عالم الباطن ، عالم الحقيقة ، فهو الحق ، هو الله . وبين الظاهر والحقيقة درجات . وفى هذا ينقل ايزوتسو عن ابن عربى الحديث المشهور : « الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا » .

قال ابن عربى فى نص كلمة نورية فى حكمة يوسفية : « فاعلم أنك خيال ، وجميع . ما تدركه مما تقول فيه ليس أنا ، خيال . فالوجود كله خيال فى خيال . والوجود الحق إنما هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا من حيث أسماؤه .... فما فى الكون إلا مادلت عليه الأحدية . وما فى الخيال إلا ما دلت عليه الكثرة » .

فى تفسير ايزوتسو أن العالم عند ابن عربى ليس وهما ينبغى علينا اطراحه ، ولكنه خيال ، تجليات ، ودرجة من درجات الحقيقة والعالم له صور مختلفة وخصائص وأحوال وألوان ، تبدو للوهم والخيال ، وتعبر عن الحقيقة إذا استطاع العارف أن ينظر إلى هذه الصور والألوان والخصائص لا فى ذاتها بل على أنها تجليات مختلفة للحقيقة ، وإذا استطاع شخص ما أن يصل إلى هذه المرتبة ، فهو الرجل الذى غاص فى أعماق الأسرار ، وسار فى الطريقة. ذلك أن بلوغ الحقيقة لا بد لها من سلوك الطريقة . والطريقة فى الطاوية تسمى « طاو » أو « تاو » وتعنى الطريقة .

والطريقة عند ابن عربى ، أو الطريق ، يختلف عن غيره من المتصوفة . إنه الطريق الذى سلكه الأنبياء ، طريق الرؤيا . وكان بدء الوحى عند الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة . والنبى صاحب رؤيا ، ورؤية . صاحب رؤيا لأنه يرى حلما فى المنام ، كالرؤيا التى رآها ابراهيم من أنه يذبح ابنه . وصاحب رؤية لأنه ينفذ من الرؤيا المحسوسة إلى ما وراءها من حقيقة . فالرؤيا رمز ، والرؤية بصر بالحقيقة ، وتأويل للرموز . ولكن العامة حين يرون الرؤى ، ويرون هذا العالم نفسه بما فيه من مظاهر ، يعتقدون أن عالم المحسوسات والمادة حقائق ثابتة .

وقد فسر القاشانى وله شرح على الفصوص أن العوالم تتدرج فى خمس مراتب من الوجود

(١) عالم الذات وهو عالم الغيب المطلق

(٢) عالم الصفات والأسماء عالم الحضرة الألوهية .

(٣) عالم الأفعال ، أو الحضرة الربوبية

(٤) عالم الأمثال والخيال (٥) عالم المحسوسات والمشاهدات ولا ريب أن عالم الخيال هو المرتبة المتوسطة بين عالم الحس وعالم ماوراء الحس.

والله هو الاسم الذى يطلق على الرب وبه يعرف عند جمهور الناس ، أما الخواص فإنهم يطلقون عليه اسم الحق ، أو الحق المطلق ، وهو من قبيل الغيب ، لا يعرف ، لأنه محجوب، وليس رأى ابن عربى فى الواقع جديدا ، إذ نشأت مباحث كثيرة كلامية وفلسفية تدور حول هذا الموضوع ، أيمكن أن يعرف الله بصفات ثبوتية موجبة أم لا يمكن معرفته سوى بصفات السلوب ولم يكن من الغريب أن يصف الحق بصفات سلبيه ، على ماجرت به عادة السابقين .

ولكن إذا شاء أحـــد أن يعرف الله ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟ السبيل ليس كذلك جديدا ، ابتكره ابن عربى ، فهو طريق سلكه غيره من السابقين ، اعتماداً على المأثور من «قول الرسول عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه » وهذا هو موضوع الفصل الثالث من كتاب ايزوتسو ، الذى يختمه بقوله : لا يزال ثمة سؤال هام وهو : هل حقا يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه بعمق ؟ والجواب عن هذا السؤال أمر نسبى ، فإذا أخذت عبارة عرف نفسه بالمعنى الحرفى الدقيق كان الجواب بالنفى ، أما إذا أخذت بمعنى واسع كان الجواب بالإيجاب ، وفى ذلك يقول ابن عربى أنت على صواب إن قلت نعم وعلى صواب إن قلت لا .

ويبدأ الفصل الرابع بتلخيص ماسبق عرضه فى الأمور الآتية : (١) أن الحق المطلق له مظهران متقابلان الخفى والمتجلى . (٢) أن الحق بالمعنى الأول يظل دائما سرا خفيا لا يمكن كشفه . (٣) أن الحق فى مظهره المتجلى إنما هو الذى يمكن للإنسان معرفته باسم الله أو الرب . (٤) بين هذين المظهرين توجد منطقة يقال للأشياء إنها موجودة أو غير موجودة ، وهو عالم المثال . ومن هـــذا ينطلق إلى الإله الخفى والإله المتجلى ، أو إلى التنزيه والتشبيه .

لعل أدق فكرة وأعوصها تحليلا وعرضا هى فكرة الخلق ، التى أفرد لها المؤلف الفصل الثامن ، وفيها يرى أن المحور الذى يدور عليه تفكير ابن عربى هو الحق المطلق ، وذلك فيما ذكره ابن عربى فى فص حكمة فتوحية فى كلمة صالحية حيث يقول : « اعلم وفقك الله أن الأمر مبنى فى نفسه على الفردية ولها التثليث ، فهى من الثلاثة فصاعدا . فالثلاثة أول الأفراد .

وعن هذه الحضرة الإلهية وجد العالم فقال تعالى : « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ... » الخ . قال ايزوتسو: ولكن الواحد إذا اعتبر من جهة مظهره الظاهرى كان له ثلاثة مظاهر :

١ ـــ الذات لا فى إطلاقها بل فى مظهرها المتجلى .

٢ ـــ والإرادة ويتصل بها المريد .

٣ ـــ والأمر ، ويعتبر الله هو الآمر ، وبالذات والإرادة والأمر تفسر فكرة الخلق ، ومن الذات الأحدية تنشأ المثل الثابتة منذ الأزل فى العلم الإلهى ، ومن الإرادة ينشأ فعل التكوين ، بالأمر الإلهى ، أى كن فيكون . وهكذا تنشأ الكثرة عن الوحدة .

لقد شغل ابن عربى الناس بين محبذ ومنكر ، ولا يزال شاغلا لهم ، ولا شك أن الكتاب الذى نعرضه يقدم وجهة نظر جديرة بالاعتبار

أحمد فؤاد الأهوانى

الكتب

دفاع عن السّنة
وردّ شُبَه المستشرقين والكتّاب المعاصرين

عرض وتعليق :
الأستاذ يوسف عبد الهادي الشال

مؤلف الكتاب فضيلة الدكتور محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

وموضوعه كما أوضح العنوان : رد الشبه التي أثارها المستشرقون ومن لف لفهم من الكتاب المعاصرين حول السنة النبوية المطهرة .

ونهج المؤلف فى عرضه لمادة كتابه هو متابعة كتاب « أضواء على السنة المحمدية » والرد على ما ورد فيه من شبهات أثارها مؤلفه ومن نقل عنهم .

وقد مهد فضيلة المؤلف هذه المتابعة ببيان منزلة السنة من الدين ووظيفتها فقال :

القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين والسنة هى الأصل الثانى ، ومنزلة السنة من القرآن أنها مبينة وشارحة له تفصل مجمله وتوضح مشكله وتقيد مطلقه وتخصص عامه وتبسط ما فيه من إيجاز .

ثم أخذ يستدل على هذه القضية ويقدم الأمثلة .

ولم ينس فضيلة المؤلف أن السنة قد تستقل بالتشريع فألمح إلى ذلك فى بضعة سطور قال فيها :

وقد تستقل السنة بالتشريع أحيانا وذلك كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وتحريم سائر القرابات من الرضاعة - عدا ما نص عليه فى القرآن - إلحاقا لهن بالمحرمات من النسب ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وتحليل ميتة البحر والقضاء باليمين مع الشاهد إلى غير ذلك من الأحكام التى زادتها السنة عن الكتاب » .

وأوضح المؤلف حجية السنة بطائفة من الأدلة وأنهى هذه الفقرة مبينا أن حديث « عرض السنة على القرآن » مكذوب فقال : أما الحديث الذى برويه القائلون بعدم استقلال

السنة بالتشريع وهو « إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه » فقد بين أئمة الحديث وصيارفته أنه موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم وضعته الزنادقة كى يصلوا إلى غرضهم من إهمال الأحاديث ، وقد عارض هذا الحديث بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له ، لأنا وجدنا فى كتاب الله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ووجدنا فيه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ووجدنا فيه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يكذب هذا الحديث ويرده .

ثم انتقل المؤلف إلى عناية الصحابة بالأحاديث والسنن عناية فائقة وحرصهم عليها حرصهم على القرآن الكريم فحفظوها وفهموها وعرفوا مغازيها ومراميها ، وقد بلغ من حرصهم أنهم كانوا يتناوبون فى هذا السماع حيث يجدون فى ذلك لذة وروحا قائمين على الاعتقاد واليقين أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحى يوحى .

وكما عنوا بالاستماع عنوا كذلك بالتبليغ استجابة للرسول الكريم وحضه على ذلك بمثل قوله صلوات الله وسلامه عليه « نضر الله أمرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » وفى خطبته المشهورة فى حجة الوداع « ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه » .

وقد اقتضت طبيعة العرض أن يتناول المؤلف قضية « النهى عن كتابة الأحاديث فى العصر النبوى » وأن يعلل لذلك . وقد اكتفى بعرض وجهات نظر العلماء السابقين ـ رضوان الله عليهم ـ فى هذا الموضوع والتى تتلخص فى أن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة الأحاديث كان خشية أن يلتبس على البعض بالقرآن الكريم أو أن يكون شاغلا لهم عنه ولا سيما أن القوم كانوا أميين ، أو أن النهى كان لمن يوثق بحفظه . أما من أمن عليه اللبس بأن كان قارئا أو كاتبا أو خيف عليه النسيان وعدم الضبط لما سمع فلا حرج عليه فى الكتابة . وعلى هذا يحمل ما ورد من الروايات الثابتة الدالة على الإذن فى الكتابة لبعض الصحابة .

ومن العلماء من يرى أن أحاديث الإذن ناسخة لأحاديث النهى إذ النهى كان فى مبدأ الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن بالأحاديث أو خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ثم لما أمن ذلك نسخ النهى .

ثم أردف الآراء بقوله : ولعل النهى مما يؤيد القول بالنسخ أن بعض أحاديث الإذن متأخرة فى التاريخ ..

وقد كان المجال يتقاضى فضيلة المؤلف أن يبلور الآراء فى رأيه وليس ذلك بعزيز عليه لصحبته الطويلة للسنة المطهرة ودراستها .

ثم عرض لتدوين الحديث وأطواره هذا التدوين مستخلصا من عرضه أن السنة لم يطل العهد بعدم تدوينها . وأن التدوين بدأ بصفة خاصة فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وأنه قوى وغلظ عوده فى عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين وأنه أخذ صفة العموم فى أواخر عصر التابعين ولم يزل يقوى ويشتد حتى بلغ عنفوانه واستوى فى القرن الثالث الهجرى خاتمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية . خيرية الإيمان والعلم والعمل والهدى والفلاح والاستقامة على الجادة .

وأسلمه ذلك إلى الحديث عن عناية المحدثين بالنقد القائم على الأسس السليمة يستوى فى ذلك سند الحديث ونصه «بحيث لم يدعوا زيادة لمستزيد . وقد خلفوا لنا فى نقد الرجال ثروة هائلة ضخمة ... ولم يكتفوا فى نقدهم للرجال بالتجريح الظاهرى بل عنوا أيضاً بالنقد النفسى عنايتهم بنقد النصوص وكذلك عنوا بفقه الأحاديث وفهمها ولم يكونوا زوامل للأخبار لا يفقهون لها معنى كما زعم بعض المتخرصين على المحدثين والرعيل الأول من أئمة الحديث الذين جمعوه وغربلوه ونخلوه حتى صار نقياً من الشوائب والغرائب . كانوا أهل فقه ودراية بالمتون ... »

وبعد هذا التمهيد المبسوط انتقل المؤلف إلى متابعة كتاب «أضواء على السنة المحمدية» والرد على ما اشتمل عليه ..

ويمكن تركيز هذه المتابعة فى :

(١) زعم صاحب الكتاب موضوع الرد أن العلماء لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية والدرس وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث الأمر الذى يرتب عليه التشكيك فى نصوص وردت عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) تجنى صاحب الكتاب على بعض الصحابة وبخاصة «أبو هريرة» رضى الله عنه واتهامهم اتهاما صارخا ..

فبالنسبة للأمر الأول بين فضيلة المؤلف أن علماء الحديث بذلوا جهدهم وأدوا واجبهم وأولوا الحديث عناية فائقة لم يعرف التاريخ لها نظيرا ؛ إذ قامت على قواعد منهجية لنقد كل من السند والمتن وقدم أمثلة تطبيقية تؤكد ذلك المنهج مبيناً أن علماء الحديث توسعوا فى نقد السند أكثر من توسعهم فى نقد المتن وذلك لاعتبار دينى لاحظوه عند الاكتفاء بصلاح الراوى وتقواه وعدالته ظاهراً وباطنا وضبطه وحفظه وتوقيه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نص هو أصل ومرجع فى الدين ، فمتى توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة والتحرج من التزيد كان احتمال

الكذب والاختلاق بعيداً جداً إن لم يكن ممتنعا.

وقد ركز المؤلف الرد على الزعم أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى موضحا أن الرواية بالمعنى فى الأحاديث الطويلة فى الكلمة والكلمتين والثلاث وقلما تكون الرواية بالمعنى فى جميع ألفاظ الحديث. وقدم الشواهد متعددة على صدق هذه الحقيقة من بينها حديث (بدء الوحى) وهو من الأحاديث الطويلة لا تكاد تجد الرواة اختلفوا فيه إلا فى بعض ألفاظ قليلة نادرة ، على أن المحدثين قد تحوطوا تحوطا بالغا فى الرواية بالمعنى بعامة يؤدى إلى نتيجة صادقة هى :

أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بمحكم لفظها وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلى وأن ما عسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى ألفاظ قليلة قد تنبه له العلماء وبينوه .

وقدم فضيلة المؤلف براهين علمية تؤازر ما يمليه منطق الإيمان من التسليم بالحديث ما دام السند موثقا لم يلج مجاله تجريح ومن بين الأمثلة التى ساقها حديث (الذباب) المشهور والذى رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه ولم يجد لأحد من نقاد الحديث طعنا على سنده وهو فى درجة عالية من الصحة وظل نصه موضع الطعن من المتساهلين حتى كانت الفتوح العلمية فدعمت إيمان المؤمنين به . وأورد التحقيق العلمى الذى نشره الدكتوران : محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسن فى مجلة الأزهر عدد رجب لسنة ١٣٧٨ هـ .

وبالنسبة لتجنى صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية) على بعض الصحابة وفى مقدمتهم أبو هريرة رضى الله عنه ، ناقش المؤلف ما عرضه صاحب الكتاب مناقشة طويلة ، انتهى منها إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا بدعا من الناس ولا هم بالمعصومين ولكنهم بفضل تربية الرسول لهم كانوا من طراز خاص سام من البشر فى دينهم وخلقهم واكتمال شخصيتهم وأنهم بهذا الإعداد النبوى استأهلوا حمل الرسالة المحمدية وتبليغها إلى الناس كافة .

ودعوى صاحب الكتاب أنه لم ير أبا هريرة بين الصحابة مردودة تاريخيا . إذ الثابت أنه ممن هاجر بين الحديبية والفتح إذ قدم على على النبى مهاجراً من بلده سنة سبع وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه وكان عريف أهل الصفة .

وقد أنهى فضيلة المؤلف مطافه بقوله :

إن مؤلف ـ أضواء على السنة المحمدية ـ لم يقصد من ورائه إلا الطعن فى السنة والأحايث والتقليل من شأنها والغض من كتب الأحاديث ودواوينه المشهورة ، وأنه إذا كان فيه حق قليل ففيه باطل وغث كثير ؟

يوسف الشال

المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين

للأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١٤ —

كتاب المحصل : المسمى بمصدق الفضل للشيخ شهاب الدين أحمد الهندى المتوفى سنة ٨٤٩ هـ

(الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بحيدر آباد)

تناولنا فى الأعداد السابقة نماذج من مؤلفات علماء الهند المسلمين ، باللغة العربية فى التفسير والحديث والفقه والتصوف وغيرها . وكانت هذه المؤلفات دلائل ساطعة على أثر الدعوة الإسلامية فى قلوب الأمم المؤمنة بها ومدى مساهمة هذه الدعوة فى نشر اللغة العربية وتمكينها بين المسلمين . فقد استطاع كثير من علماء العجم أن يسوغوا أفكارهم فى القالب العربى ، ونجحوا فى استعمال قواعد اللغة العربية فى محلها . ولكن المعرفة بقواعد لغة واستعمالها لا تدل على إتقان التعبير الطبيعى والمقدرة عليه بأسلوب كأسلوب صاحب تلك اللغة ، حتى قيل فى شأن المتنبى والمعرى : إن أسلوبهما ليس عربيا خالصا ، وإنهما لم يجريا على أساليب العرب فى نظمهما [١] .

ومن بواعث الغبطة والسرور أن جماعة من علماء الهند قد برعوا فى اللغة العربية وآدابها وأتحفوا المكتبة العربية بكتب قيمة ، نثراً ونظما ، فى مختلف العصور ومنهم حسن بن محمد الصغانى ، إمام فقه اللغة والأنساب ومرتضى بن محمد الزبيدى ، صاحب تاج العروس فى شرح القاموس وشاعر العربية الهندى المعروف مسعود ابن سعد ، الذى قال عنه عميد اللغة العربية فى عصره ، رشيد الدين الوطواط ، فى كتابه (حدائق السحر) إن أشعار مسعود بن سعد تحمل روعة الخيال والانسجام والجودة ، ثم نقل نماذج من شعره ، وجاء فى مطلع إحدى قصائده ما يلى :

ثق بالحسام فعهده ميمون
واركب وقل للنصر كن فيكون

وفى هذا العدد اخترت كتابا عربيا أدبيا ، لأديب هندى مسلم ، بغية أن يلقى ضوءاً

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٥ .

على مدى عون الإسلام على تمكين العجم من تذوق اللغة العربية وعلومها وفنونها ونثرها ونظمها ، فإن الإسلام هو الذى فتح أبواب اللغة العربية ، على مصاريعها ، أمام الأمم والشعوب ، ولا يزال يكسب المجالات الجديدة لهذه اللغة وآدابها فى ربوع العالم ، وسيبقى شأنه هذا إلى يوم الدين ، كما أشار إليه الحق تعالى ، فى كتابه الحكيم : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وقبل أن نقوم باستعراض سريع لهذا الكتاب الذى نحن بصدده ، أرى من المناسب أن نلقى نظرة عامة على الشعر العربى ، وشعراء العربية ، فى الهند لأن كتاب « الخصل » المسمى « بمصدق الفضل » هو شرح عميق ومفصل لقصيدة « بانت سعاد » المعروفة ، لكعب بن زهير فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم . وعندما قدر للشعر العربى أن يتجاوز حدود الصحراء كان يتبنى الحركة العلمية والأدبية فى اللغة العربية مشاهير علماء العجم ، مثل الزمخشرى وعبد القادر الجرجانى وبديع الزمان الهمذانى وأبو بكر الخوارزمى وحسن الصغانى وغيرهم ممن نالوا مكانة بارزة فى العلم والأدب . وقد دخلت اللغة العربية الهند مع دخول صوت الإسلام إليها ، ولكن ازدهرت العربية وآدابها بعد أن توثقت الروابط العلمية والأدبية منذ العصور الأولى لحكم العباسيين ، وتكاثرت الزيارات بين علماء الهند والعرب ومجالسهم العلمية ، وترجمت الآداب والعلوم الهندية إلى العربية وبالعكس .

ومنذ القرن الثامن الهجرى ، شهدت الهند شعراء من أهلها (فى اللغة العربية والذوق العربى) بالرغم من بعدهم عن مهد العربية وطبيعتها . ونقدم فيما يلى نماذج من شعراء العربية الهنود وأشعارهم لتكون مدخلا إلى ترجمة مؤلف « مصدق الفضل » الذى كانت له ملكة فى الشعر العربى وعروضه وقوافيه .

وأشرنا إلى الأديب الهندى مسعود بن سعد ، الذى كان عالما فاضلا مقتدرا على البيان فى اللغات الثلاث ، العربية والفارسية والهندية وقد ولد فى عهد السلطان فيروز شاه تغلق الذى حكم الهند فى القرن الثامن الهجرى ، وله دواوين شعرية باللغة العربية ، وذكرها رشيد الدين الوطواط فى « حدائق السحر » بالتفصيل ، وكان مسعود يعقد مجالس للشعر العربى يجتمع فيها عشاق اللغة من شتى نواحى الهند .

ومن أمثلة أشعاره :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها
وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه
على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبى طال ليلى وليس لى
من الهم منجاة وفى الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان فى الجو طالعا
فهل ممكن أن الغزالة تطلع

ومن شعراء العربية الهنود ، القاضى عبدالمقتدر المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، والشيخ أحمد التهانيسرى من معاصرى القاضى عبد المقتدر ، والأستاذ محمد مؤمن الشيرازى ، المتوفى سنة ١١٠٨هـ ، والسيد عبدالجليل البلكرامى ، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ ، والشيخ غلام على آزاد البلكرامى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ ، كما صرح به العلامة صديق حسن خان فى كتابه « أبجد العلوم » . وترك عدد كثير من الشعراء الهنود فى العربية دواوينهم ، فبعضها مطبوع ومتداول وبعضها لم ير النور بعد .

وكان أسلوب الشعر العربى واتجاه الحب الوطنى يغلبان أشعار غلام على آزاد . ويقول فى كتابه « سبحة المرجان » الذى يصور فيه رحلته إلى الحجاز وزيارته للأراضى المقدسة : « إن أول أرض أشرقت بنور محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد جزيرة العرب ، إنما هى أرض الهند . وهو يقول فى معرض مدحه وطنه وتفوق بلاده على سائر الأصقاع متحمساً بروح الإسلام وحب الوطنية :

قد أودع الخلاق آدم نوره
متلألئا كالكوكب الوقاد
والهند مهبط جدنا ومقامه
قول صحيح جيد الأسناد
فسواد أرض الهند ضاء بداية
من نور أحمد خيرة الأمجاد(١)

واستطاع الشاعر بفضل ذوقه ومقدرته فى الأدبين ، الهندى والعربى ، أن ينقل الخيال الشعرى الهندى إلى العربية ، كما قارن بين بحور الشعر الهندى وقوافيه ببحور الشعر العربى وقوافيه . ومن الأبيات العربية التى يتجلى فيها الخيال الهندى ، وتشبيهات الأدب الهندى واستعاراته هذان البيتان :

نيلوفر طرفك السكران من سنة
بشأنه قلبى المشتاق يهتم
فعم أمسى حذاء البدر منفتحا
وعم أضحى حذاء الشمس ينضم(٢)

ثم شرح بنفسه معانى البيتين فقال : « إن للنيلوفر نوعين النوع الشمسى والنوع القمرى ، أما الشمسى فيتفتح فى ضوء الشمس ويذبل فى ضوء القمر ، ولكن القمرى يتفتح فى ضوء القمر ويذبل عند طلوع الشمس ، ووجه الشبه بين العين والنيلوفر ، هو أن النيلوفر إنما يضرب لونه إلى حمرة مثل العين تعلوها خيوط حمراء عند السهر . وهكذا تشكو امرأة جميلة إلى زوجها الذى قضى الليلة المقمرة بعيداً عنها ، ثم تشبه جمالها بالشمس وتشير بالبدر إلى ضرتها ، فتقول: ما لهذه العين لا تنام فى الليلة المقمرة ولكنها

(١) سبحة المرجان ص ٢٤ .
(٢) « « ص ٢٥٣ .

تنام نهاراً ، ولا تقوم فى وجه شمس الجمال ».

وقد ذكر العلامة صديق حسن خان الدواوين العديدة لشعراء العربية الهنود فى كتابه « أبجد العلوم » (١) وبعد هذه الإشارة السريعة إلى اهتمام علماء الهند بالشعر العربى وتراثهم فيه ، نعود إلى ترجمة مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده : ولد شهاب الدين أحمد بن شمس الدين بن عمر فى مدينة دولت آباد » بالهند ، وتتلمذ على القاضى عبد المقتدر ابن القاضى ركن الدين الشريحى ، وتبحر فى العلوم الشرعية وتمسك بمسالك الصوفية وأصبح فيما بعد خليفة سلطان المشايخ ورأس السلسلة النظامية الجشتية الشيخ نظام الدين الدهلوى . وكان يقول عنه شيخه القاضى عبد المقتدر : هو رجل مخه علم وعظمه علم ولقب فى عصره « بملك العلماء » . ومن مؤلفاته فى اللغة العربية « الإرشاد » فى النحو « وبديع البيان » فى علم البلاغة ، « وشرح الكافية » و « وشرح على أصول البزدوى » ورسالة فى تقسيم العلوم ورسالة فى مناقب السادات . وله تفسير كبير وقيم فى عدة أجزاء فى الفارسية باسم « البحر المواج » . وتوفى فى سنة ٨٤٩ هـ فى مدينة « جونفور » ودفن فيها . رحمه الله .

(يتبع) **محيى الدين الألوائى**

(١) ستصدر طبعته الجديدة فى القاهرة قريبا .

« إنما بعثت معلما »

خرج الرسول عليه السلام ذات يوم فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه وفى الثانى جماعة يعلمون الناس ، فقال « أما هؤلاء فيسألون الله فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم .

أنباء وآراء

● وردت إلى إدارة المجلة البرقية التالية :

الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأزهر .

مقالك (يا لعزة الإسلام لذلة العروبة) جدير بأن يدرس فى المدارس والجامعات ، إذ باتباعه نصر الله والفتح .

محمود على قراعة ـ مصر الجديدة

المجلة : مقال (يا لعزة الإسلام لذلة العروبة) افتتاحية عدد ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ

فى محيط الأزهر :

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سماحة الحاج إبراهيم ما رئيس الاتحاد الإسلامى الصينى فى ماليزيا ، وقد دار الحديث حول العمل على نشر الإسلام فى ماليزيا .

وقد صرح الضيف الكبير بقوله : لقد سررت كثيراً بما رأيت من معالم النهضة العظيمة فى مصر الحبيبة ، وإنى آمل أن يتبوأ المسلمون العرب مكانة الزعامة كما كانوا فى الماضى حيث كانت النهضة والازدهار وتعاليم الدين الحنيف ، وإنى أعبر لفضيلتكم عن مدى امتنانى فى أن أكون ضيفاً فى هذا البلد العظيم ، وأغتنم الفرصة فأحيى كل فرد فى بلد ناصر العظيم ، وأشكر فضيلتكم .

وقد رد فضيلة الإمام الأكبر مرحبا بضيفه قائلا : يسعدنى أن أستقبلكم فى الأزهر وأن أرحب بكم كل الترحيب .. والأزهر يرحب دائما بإخوانه المسلمين الذين يزورونه وينهلون من علومه الإسلامية .

والأزهر كان ولا يزال موئلا لنشر الدعوة الإسلامية بواسطة مبعوثيه والاتصالات الشخصية التى تربطنا بإخواننا المسلمين ... واستطرد فضيلته قائلا : وأنا لست غريباً عن مسلمى ماليزيا ومسلمى الصين ؛ فقد وفقنى الله لزيارة الصين ، والتقيت هناك بكبار المسلمين ، ولا أزال على اتصال بهم ، ونسأل الله أن يجعلنا إخوة متحابين متساوين فى الحياة والحقوق والواجبات ، وأن ينصرنا على أعدائنا .. أعداء الإنسانية والحياة .

وباسم الأزهريين جميعا أرحب بكم .

● أوفد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون وفدا من العلماء إلى الهيئات المسيحية، وفى طليعتها البابا كيرلس السادس وذلك للشكر على تهنئتهم المسلمين فى شخص الإمام الأكبر شيخ الأزهر، بمناسبة الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم.

وقد تناول حديث الشيخ عبد الحكيم سرور رئيس الوفد مع قداسة البابا بيانا عن مدى سماحة الإسلام وحرصه على أهل العهد والذمة ممثلا فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة...» ومن أجل ذلك فإن المسلمين أبدا، يحافظون على أهل الكتاب من المسيحيين وغيرهم، ويرعونهم حق الرعاية..

مؤتمر القرآن :

● عقد فى الباكستان فى الفترة من ١١ إلى ١٤ من ذى القعدة ١٣٨٧ هـ مؤتمر إسلامى كبير بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم. واشتركت فيه تسع عشرة دولة إسلامية ومثل الجمهورية العربية المتحدة فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ومن الأبحاث التى عرضت على المؤتمر :

١ — تنمية القرآن للقوى العقلية.

٢ — متابعة السلف للعلوم الطبيعية والمباحث الفلسفية من القرآن الكريم.

٣ — الإسلام والسلام العالمى.

٤ — الأساس الإسلامى للتعاون العالمى

مؤتمر إسلامى بالهند لمناصرة الشعوب العربية :

أعلن أساتذة وطلاب الجامعة العثمانية بحيدر آباد بالهند تأييدهم الكامل للشعب العربى بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر، كما طالبوا بالانسحاب الفورى لقوات الغدر الإسرائيلية من الأراضى العربية.

وذلك فى مؤتمر كبير عقد بمناسبة زيارة وفد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية برئاسة السيد محمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس، والذى يقوم بزيارة الهند والملايو والفلبين وبلاد الشرق الأقصى وأفريقيا وآسيا.

مدينة ناصر للبعوث الإسلامية :

● التقى رجال الفكر والدين مع طلاب البعوث الإسلامية بمدينة ناصر وذلك فى سلسلة ندوات ومحاضرات أعدتها وأشرفت عليها إدارة المدينة.

جمهورية موريتانيا الإسلامية :

● قرر المؤتمر الثالث لحزب الشعب الموريتاني الذى عقد فى نواكشوط عاصمة جمهورية موريتانيا الإسلامية .. قرر اعتبار اللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية وقبل كانت اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية لموريتانيا .

تعديل دستور السودان :

● وافقت الجمعية التأسيسية ـ من حيث المبدأ ـ على مشروع قرار بتعديل الدستور السودانى بحيث يصبح السودان جمهورية إسلامية واللغة الرسمية الوحيدة هى اللغة العربية .

اندونسيا :

● أعرب الجنرال سوهارتو القائم بأعمال الرئيس الأندونيسى عن تأييده لتشكيل حزب إسلامى جديد يطلق عليه اسم الحزب الأندونيسى الإسلامى .

مجمع البحوث الإسلامية :

● تعمل الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ـ فى الوقت الحاضر ـ على جمع رسائل مركزة حول الموضوعات المتصلة بالعدوان الإسرائيلى وقضية فلسطين من النواحى الدينية والتاريخية والإنسانية .. وتخاطب فى هذا الصدد ـ بالإضافة إلى السادة أعضاء المجمع ـ كبار المفكرين ورجالات السياسة والاقتصاد والدين فى العالم الإسلامى .

● من البحوث التى ستعرض على المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية : جمع القرآن وتدوينه ـ القرآن والمجتمع ـ شخصية المسلم ـ حكم المتخلفين عن الجهاد .

مؤتمر دينى عالمى يعقد فى براغ

● استقبل فضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضى . وكيل الأزهر بمكتبه السيد اندريه جياك عضو الجمعية الوطنية لجمهورية تشيكوسلوفاكيا واستاذ علم اللاهوت بالكلية اللوثرية .

وقد دار الحديث حول الإسلام والمسيحية وموقفهما من الاشتراكية كنظام اجتماعى يهدف إلى خير الإنسان . ودور رجال الدين فى سبيل سلام الإنسانية ، وقد وجه الضيف الزائر الدعوة إلى الأزهر للاشتراك فى المؤتمر الدينى العالمى الذى سيعقد فى براغ آخر مارس . ويتضمن جدول أعماله مناقشة أزمة الشرق الأوسط . والمشاكل العالمية ؟

عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى

فهرس أبجدى

للمجلد التاسع والثلاثين لمجلة الأزهر . سنة ١٣٨٧ هـ

الموضوع	صفحة
(أ)	
أباطيل ضاعت بينها الحقـائق	٦٨٨
أبعاد معركة لها ما بعدها	١٥٤-٢٩٧-٣٨٣
ابن فرناس أول رائد للطـيران	٦٩٦
الأرض الحرام	٧٦٦
أبو الحسن الفالى لا أبو على القالى	١٢٨
الآثار الإسلامية فى بيت المقدس قبل الفتح العمرى	٤٠٨
الآثار الإسلامية فى بيت المقدس بعد الفتح العمرى	٤٩٢
أثر الدين فى تطوير المجتمع	٢٩٢
احتفال الأزهر بذكرى نزول القرآن الكريم	٧٢٥
اختلافات المجتهدين	٢٧٣
الأخلاق فى الإسلام	٢٤٤
أدب الكدية	١١٤
الأزهر	٢٠٣
أسباب عظمة العرب	٢٧
استقلال الشريعة الإسلامية عن القانون الرومانى ومنطق اليونان	١٩٤
الإسلام	٧٠٥
الإسلام الحديث	٣٠٨
الإسلام والمسلمون فى العصر الحاضر	٣٨٧ - ٤٦٠
الالتزام الخلقى أو الواجب	٤١١
الإمام ابن حزم ...	٢٨٧-٥٢٠-٦٩٢
إلى أمة القرآن	٧٢٥
إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان	٤٦
إنتشار الإسلام فى أذربيجان ...	٨٥٦
انتشار الإسلام فى طبرستان	٧٧٤
أهل الحديث من الفقهاء	٢٨١
آية الأسراء	٤٥٤
(ب)	
بإيماننا تنتصر	١٦٠
البطل والميدان فى رسالات الله ...	١٠٩
البيت البكرى وفضيلته فى الإسلام ...	١٨
بين الشريعة الإسلامية والقانون الرومانى ـ نظام الرق ـ ...	٣٦٥-٥٢٨
بين معانى العيد وذكريات شوال ...	٦٥٧
بين يدى الله « شعر »	١٠٤
بيان إلى الأمة العربية	١٣٣

الموضوع	صفحة
(ت)	
التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه (كتاب)	٧٩٣
تثبيت النبي وأمته	٨٠٨
تحقيق في قضية مشهورة عن رواية الحديث	٦٤٧
تحية رمضان	٥٦٤
تحية عيد الفطر	٦٤٥
تطور الزى الأزهرى	٦١٥
التعليم الإسلامى فى أفريقيا	٧٧٩
التمسك بقيم الدين	٤٢٥
توحيد المناهج الدينية فى العالم الإسلامى	٥٥٦
التوحيد والوحدة	٣٣٧
التوكل على الله بين النظرية والتطبيق	٢٤٠
(ج)	
الجبال فى القرآن الكريم	٦٨
الجغرافيا الإسلامية	٦٢٨
الجهاد بالمال فوق الجهاد بالنفس ...	٤٠١
الجهاد العربى المشترك خلال التاريخ	٦٠٦
الجهاد عدة الإسلام وقوة المسلمين ...	١٢٩
(ح)	
الحث على تآخى المسلمين وتناصرهم	٧٤١
الحذر والخوف وقاية من سوء العاقبة	٦٥٣
حول فكرة تلحين القرآن	٨٩
حول مشروع قانون الأحوال الشخصية	١٠٦
(خ)	
خفايا فى زوايا اللغة والأدب	٧٠٠ - ٧٨٤
الخلافة والإمامة	٧٨٨
الخوف وقاية من الهلاك	٧٥٥
خواطر من وحى المعركة	٢٢٥
(د)	
دره مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز	٧-٢٢٩-٣٢٤
دراسة فى قضية تعدد الزوجات (كتاب)	٥٤٦
دروس من المعركة	٣٥٦
دروس الهجرة	٥
دعائم الحضارة الإسلامية (المكتبات)	٦٤ - ١٩٩
دعوات الإصلاح للنحو العربى قبل ابن مضاء	٥١٥
دفاع عن السنة (كتاب)	٨٦٥
دور الأزهر فى معركة المصير ...	١٤٠
دور المثل العليا فى المرحلة الحالية ...	١٦٦

الموضوع	الصفحة
(ذ)	
ذكرى نزول القرآن	٦٣٩
(ر)	
رابطة عالمية لخريجي الأزهر (رأى)	٥٥٨
رأى جديد فى معنى آية كريمة ...	٤٠٥
رسائل محمد صلى الله عليه وسلم ونصوص معاهداته	٣٧١-٤٣٩
رسول الله نوح عليه السلام	٢٣
رمضان شهر النصر	٥٦٦
رواسب الكفر تركزت فى بنى إسرائيل	١٥٠ ، ٣٤٥
(ز)	
زعماء الخيانة والغدر	١٤٨
(س)	
السجع والقرآن والباقلانى ٢٦٠ —	٤٣٥
سلوك متمرد يكشف القرآن الكريم مصدره	٧٥١
السماحة هى سر السعادة	٤٨٥
السهولة فى شعر الرثاء	٥٩
السواك ورمضان	٦٢٥
(ش)	
شاعر الإسلام محمد إقبال	٣٢١
شعراء عرفتهم (عبد الحميد الديب)	١٨٩ ، ٥٢٤
شريعة الإسلام - العمل والعمال ... (كتاب)	٧١١
(ص)	
صور من المعارك البيانية	٨٤٥
الصوم وأثره فى المجتمع	٥٧١
الصيام والجهاد	٥٧٦
صيام الحج	٨١٨
(ض)	
الضمير	٥٠١
(ط)	
طريقة القرآن فى الدعوة والإقناع	٨٢٨
(ظ)	
ظهور التقليد على مسرح الفقه ...	٥٨٣
الظواهر الجوية فى آية النور	٣٦٠
(ع)	
عاطفة الأبوة	٧٤٦
العالم العربى والمعتدون عليه	٦٦٦

الموضوع	صفحة
عبد الرشيد إبراهيم داعية الإسلام في آسيا	٧٥٩
عبرة من التاريخ	٦٧٢
العلم والحضارة في الإسلام	٢٧٧
علم الغيب وتحضير الأرواح	٢٥٠ - ٤١٧
عن الصهيونية في التاريخ	٣٤٩
عيد الفطر واحتفال المسلمين به ...	٦٦١

(غ)

الموضوع	صفحة
غارثور في الشعر الحديث	٣٧

(ف)

الموضوع	صفحة
فقيه كبير يعتز بكرامته	٦٧٨
في إعجاز القرآن	٧٣٧
في الحج امتحان ومكافأة	٧٧٠

(ق)

الموضوع	صفحة
القاموس الإسلامي (كتاب) ...	٤٧١
قراءة القرآن بالألحان	١٧٠
القرآن الكريم كما أثنى عليه الحق سبحانه	٥٨٨
قرارات حكماء صهيون	١٦٣ - ٣٥٢ - ٤٤٥
قضية ترجمة القرآن الكريم	١٨٥
قضية السجع ونظم القرآن الكريم ...	٨٥٠

(ك)

الموضوع	صفحة
كتاب الشهاوي في مصطلح الحديث (كتاب)	٣٩٣
كلمة السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية في الاحتفال بنزول القرآن	٧٢٨
كيف سما الإسلام بالنفوس؟ ...	٨٣٤
كيف يهتمون بكتاب الله؟	٥٩٥

(ل)

الموضوع	صفحة
لصوص في عهد الرسول	٥٤٣
لقاء الإسلام والنصرانية في القدس	٤٨١
ليلة القدر	٦٢١

(م)

الموضوع	صفحة
المؤتمر الذي شرعه الله	٨٠١
المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين	٧٧ - ٢٠٩، ٣٠٣ - ٣٩٥، ٤٦٦ - ٥٥١، ٦٣٧ - ٧١٥
ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة	٨٢٤
مثالب اليهود كما يصورها القرآن الكريم	١٣٦
محمد الرجل وعقيدته	١١٩
محيي الدين بن عربي	٨٦٠
المذاهب الفقهية في الشفعة والرهن (كتاب)	٦٣٣
مرحبا بربيع القلوب	٥٦١
المسلمون في نظر أنفسهم	٥٢٧
مصير بيت المقدس	٣٤٠

الموضوع	صفحة
مضى ربيع القلوب فهل ترك فيها أثره؟	٦٤١
مقبرة الغزاة «شعر»	٤٥٨
مكانة الفقه الإسلامى	٢٦٨-٤٢٠
من إعجاز القرآن التاريخى	٥٠٨
من حقوق الإنسان	٨١٣
منزلة الحج بين أركان الإسلام ...	٨٠٤
من القرى الثلاث إلى القارات الثلاث	١
منهج الرازى فى تفسيره	٣٣-٢٥٣
موسوعة مفهرسة الأحاديث النبوية	٥٥٦

(ن)

الموضوع	صفحة
نحن أولى بسليمان من الصهاينة ...	٤٩٦
النحو الأندلسى فى محيط القرآن الكريم	٥٠
نداءات وصيحات	٥٧٩
النزعة الدينية فى حياة الشعوب ...	٦١٢
نظرة الإسلام إلى المال	٩٣
نظرة الإسلام فى الكفاية بين الزوجين	٦٠٠

(هـ)

الموضوع	صفحة
هذه هى العبرة فهل من معتبر؟ ...	٤٨٨
هل وضع النحو على أساس صحيح؟	٤٣٠-٥٣٢
هل يوم الفصح هو يوم عاشوراء؟ ...	٧٣
هلال شوال	٦٨٤
الهلال: هل يثبت بالرؤية أو بالحساب	٨٤٠

(و)

الموضوع	صفحة
واجب الشعوب الإسلامية	١٤٥
وصية جعفر الصادق لأحد المريدين	٨٣
وعد الآخرة ومصير بنى إسرائيل ...	٣٨٧
ومضات من التصوف الروحى فى أدب المهاجرين	٩٩

(ى)

الموضوع	صفحة
اليهود من كتابهم المقدس: أعداء الحياة الإنسانية	٤٤٨
يا لعزة الإسلام لذلة العروبة	٧٢١

إستدراك

سقط لفظ «عمر» فى الحديث الشريف ص (٨٢٣) وصحته وأبو بكر وعمر وعثمان

death, Judgment, and Fate with all the good and the evil it stores. When again Gabriel asked him about Snrrender, the Prophet gave him the afore-named five principles as a different answer to different question.

Another example from the Tradition is that once the Prophet happened to be dividing gifts among the believers when he overlooked a man. One of the noble Companions saw this and would not pass it over in silence, so that twice did he draw the Prophet's attention to it saying that the man was a believer. However, twice also did Prophet say to him that the man was rather a Muslim than a Believer.

As for the interrelation of Faith and Surrender, here is an instance from the Tradition of ihe Prophet. Once asked about man's best accomplishment, he said, "That is Islam." When again asked about the noblest aspect of Islam, he said, "That is Faith."

However, the Faith of Islam claims to govern both belief and behaviour, belief being the foundation and the outset, and behaviour being the structure and the application of theory. Without its mate, neither belief alone will make a true believer. As to surrender, it can never be taken to mean passivity or inattentiveness. And it is in accordance with their tenacity or laxity of the precepts of Islam that men vary in the degree of their fidelity. Thus is interpreted what the theologians mean by saying that Faith is diminishable and expansible.(1)

---

(1) Ref. Books :—

١ — صحيح البخارى .　　٢ — إحياء علوم الدين للغزالى .

٣ — الإيمان للدكتور عبد الحليم محمود (طبعة المكتبة الثقافية) .

٤ — تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول .

the Last Day, Resurrection after All His attributes, omniscience, words and will are as old and as proof against change and accidence as He; and, objective as are their purports, they are inseparable from Him. Not only the Creation but also their acts both in the whole and in detail are of His innovation, design and predestination, and He is all-knowing of them all.

As for Faith and Surrender, some look on them as one thing and others as two, though of more or less separation or integrality. Literally, faith means belief, while surrender signifies giving in to another's power or control. Faith is then particular to the heart, even though the tongue is its translator, while surrender reigns the heart, the tongue and the abilities.

According both to the Qur'an and to the Tradition, Faith and Surrender are treated as practically equivalent, as distinct from one another, and as two interrelated things. These are examples of the usage of the two terms to indicate the same meaning :

a) from the Qur'an

فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (الذاريات)

It means : "We saved all the faithful of the town — but one household of Muslims did We find in." (35 & 36/51).

وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . (يونس)

It means: "Moses said, If you believe in Allah, my people, and have surrendered yourselves to Him, in Him alone, then, put your trust." (84/10)

b) from the Tradition

The Prophet, may Allah's blessing and peace be on him, said that Islam is based on five principles (q. v.). Yet, once asked about Faith, he gave them as answer.

The following are examples of the use of the two terms to denote two distinct significances :

a) from the Qur'an

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم . (الحجرات)

It means: "The Arabs of thedesert declare, "We are true believers. "Say," You are not. Rather say, 'We profess Islam' for faith has not yet found its way into your hearts."

(14/49)

b) from the Tradition

When, in the form of a man, Gabriel came to the Prophet and asked him what Faith is, the Prophet said it is to believe in Allah, His Angels, His Books, His Apostles,

From the Tradition of the Prophet :

FAITH

BY : SOLIMAN BARAKAT

The Prophet, blessed be he, said : « بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » .

(Islam is based on five principles: avowal that there is no god but Allah and that Muhammad is His Apostle, performance of prayer, giving the poor-due, pilgrimage to the House (Ka'ba), and fasting during Ramadan.)

The greatest concern of Islam is to draw men's attention to the oneness of God (Allah), exalted be He, and not to the proof of His existence. Islam does not make of Allah's existence a matter to dispute about, for Allah stands self-proven and needless of His creation to prove His own existence. As for all that it says in the Glorious Book which seems to some as the counting of evidences of Allah's existence, such verses are essentially and in the first place meant to reveal sides of His power and grace. It is true that they can serve as logical argument, even according to Aristotelian logic, so that from them follow necessarily the conclusion that this universe cannot have come into being without its Maker, that is, Allah. Yet, it would scarcely be Qur'anic to think that way of verses that, in particular, made no question of Allah's existence.

Islam urges men into monotheism. Yet, this is what it tells Muslims of Allah. He is the One and peerless Creator of all that we know and that we do not ; He is the Eternal God, preceded by none and succeeded by none ; He is exalted above matter and space ; He is neither a body nor an acciedent ; He is far above subjection to regions ; and He ascended His Throne in a Divine manner which rebuts all that contradicts His Divinity. Being the Maker of this world, He is alive, all-able and all-knowing. He is the willer of all that He accomplishes. He hears all even the ant's motion and sees all even the inmost thoughts. Just as His existence is different from that of any other being, so is His language which is characterised neither by sound nor by letter.

forsakes the missionaries after responding to them if he desires to practice polygamy, but was forbidden from doing so. But, as a matter of fact, the African does not know from the very beginning that they forbid polygomy, nor does he respond while he is single and abandons them when he wishes to marry more than one woman.

However, we do not hear at the present time such excuses for polygamy or restricted marriage. If they were mentioned occasionally this would be a sort of apology for the failure of missionaries. But they know that it is a weak excuse, so they seek another one to repeat nowadays. They my find that it is more credible and more suitable to the recent developments in the African continent to make the excuse of national bigotry between the coloured and the whites or between Africans in general and Europeans inculding the imperialists and the missionaries.

We have read, in more than one book of the missionaries, this pretext which they make to account for their failure and success of the Islamic Call. They already concealed it because its declaration would hold imperialism responsible for their failure while it adhered to African countries without the least intention of abandoning an inch of land it occupied. Once the imperialists were compelled to evacuate the African countries, the missionaries became free to put responsibility on imperialism, and so many missionaries turned to call for the freedom of Afrian peoples, denouncing discrimination in the rights of races and colours.

The missionaries did not forget that they were whites belonging to the race of imperialists. If imperialism carried its responsibility as it departed or was planning to depart, what would be the use of the missionaries work ? Are they to abandon their mission and depart on the heals of imperialism ? Or, will they stay and ask their contributors to continue their aid after being acquainted with the strong barrier existing between Europeans and Africans ? This barrier which becomes stronger in the time of independence movements and revivals of freedom in the awakening Muslim and non-Muslim African countries.

(to be Continued)

IN DEFENCE OF ISLAM

BY

ABDUL KHALIQ AMER

Within the period of a few hundred years, the Islamic Call extended from Mecca to the borders of India and China in the east, and the coasts of the Atlantic Ocean in the west. Most of the inhabitants there adopted the Islamic faith.

Within less than fifty years, Islam spread among the peoples of Africa who were connected to Islamic countries. Later, in the ninetheenth century A. D. European imperialism appeared and witnessed the spread of Islam among Africans. Missionaries supported by the influence of imperialism and the funds of governements and religious groups, tried to overtake Islam but failed to do so. One hundred and fifty years later, in spite of their rich and powerful propaganda they failed to convert even one tenth of those who had embraced Islam through faith and not through propaganda or persuasion.

Formerly, those who were ignorant of Islam claimed that the spread of the Call in its inception was carried out by the strenght of the sword. It was a fabricated lie which can be refuted by one single glance at the world map. He who casts that look shall realize that the country which was claimed to have been conquered by the sword of Muslims - that is Andalus, has no Muslim, while there are three hundred million Muslims living nowadays in China, India and Indonesia where the Islamic conquest did not penetrate further than its borders.

Recently, missionaries accounted for their failure and the success of Islam on the grounds that Islam permits polygamy. They alleged that the African embraces Islam because it allows him to marry and enjoy more than one woman, while they forbid him to that, so he turns his back on them. This is another lie which can be abolished by an experiment similar to the first, because Islam forbids drink which is easier to practice than polygamy, and yet he does not avoid it (Islam). It may be easy for the African to indulge in whatever drink he desires, while it is not easy to have as many wives and concubines as he wants. One may claim that the African

III. Human needs.

A) Three conditions must be met — before learning can occure :

1 - a need or drive exists in the individual

2 - a goal or desired end is perceived by the individual as offering satisfaction of the need

3 - "the individual makes an effort to attain the goal or desired end

4 - Satisfaction strengthens behavior

B) Motives and goals in learning.

1 - Learning is best accepted by the learner when motivated by goals accepted by the learner as a result of his needs

C) Repetition and the learning process.

1 - "Without attention, interest, meaning and a goal, repetition is useless."

D) Multiple learning.

1 - Learning experiences planned for a particular objective often result in a variety of learning outcomes.

E) Emotional upsets and anxiety.

1 - Emotional upsets and anxiety interfere with effective work.

G) Transfer of learning.

1 - Transfer of learning will take place when the old learning and the new are related.

H) Individual differences.

1 - Differences are inevitably found among people with regard to every human characteristic involved in learning.

I) Similarity of learning at all levels.

1 - Since learning takes place by the same methods at all levels, the same basic epproach to educational methodology applies at all levels, with appropriate adjustment for maturity.

Here we see the continuous process of learning which has outlined for those in the day-school. However, the educators, who have applied the findings of psychology to education, do not hesitate to extend these principles to any age level. Since learning takes place by the same process at all (age) levels, with appropriate adjustments to differences of maturity, the principles of learning which have been regarded as suitable for youth become, through correlation of scientific research of human growth and development, equally adaptable to those who have left the public school system.

If we were to render the foundations for continuity, it may be well to reflect upon some of the basic issues which the proponents of curriculum development have suggested as important. Most educators have come to accept three major directions of human development : physical, Social and those factors which relate to personality.

The following outline sketches in the important factors for each are :

I. How people live.

A) Physical factors of development.

1 - People grow and develop as a whole.

2 - Unique patterns of development within growth sequences

3 - Differences of energy transmutations

4 - The effects of physical disabilities on personality and learning.

5 - Self concept of one's perceptions of physical growth

B) Social factors.

1 - Man's effectiveness depends on his relations with others

2 - These outside factors affects his efforts

C) Personality factors.

1 - All forms of development are interrelated

2 - Man reacts as a whole to situations

3 - Man is constantly changing-is dynamic, not static

4 - Continuity of learning must occur within the individual.

Since the pattern of growth and development is unique for each person, continuity must be built upon the profile of each person's own growth.

II. Principles of learning.

A) Two major processes : maturation and learning

B) Principles :

1 - Readiness for learning - Learning is a function of the readiness to learn, that is, a function of the mental, physical, educational, and social maturity of the learner. New material to be learned must be based on the understanding of the relationships with material which has gone on before, other factors: "experience, maturation, previous knowledge and motivational factors.

was the research which Edward Thorndike carried out in the early part of this century. According to Overstreet in his book, *The Mind Alive :* These researches, in short, show that mental rigidity and stagnation are not the fated conditions of adulthood : We no longer think it strange that adults are returning to night school to finish their educations, or to join a group which is trying to keep current on developments, or to find companions with whom to delve in the arts, crafts, or interest area.

Educationalists have been suddenly awakened from the illusion that education is only for the young and pummelled into the realization that education has become the "open sesame" for all ages to the full life.

Closely related to the concept of continuity are the "developmental tasks" advocated by Havighurst. He suggests that the emphasis on the subject matter be reduced and focused rather on the students. They should be given prime consideration in working the areas of knowledge, skills, and attitudes. This melting together of student and "things to be learned" places the teacher in the position of being a human engineer where he watches process and person and helping the latter go through the former.

The Adult Education Yearbook for 1958, which postulates our concept as "continuity", defines it as ''continuity of learning experiences and stresses" the ongoing process rather than the formal administrative or even the sequences of curricular activities. The emphasis is placed less upon how the school is organized into grades and levels, less upon what learning activities are prescribed at each level, and more upon what happens to the learner as he goes from level to level, and reacts to the various learning activities. Following these precepts, one can clearly see those deficiencies which will have to be remedied before an effective adult education program can be proposed. One, that areas of concern to adults (Havighurts has recommended some) must be arranged in some sequence that adults find them challenging and satisfying. Second, that an orientation program should be initiated to help the adult accept an organization and pilosophy which are sensitive to his needs. Third, that education no longer can be "writ small" but now must be accepted as 'writ large"; we in education must look at total education from the cradle to the grave. If education is a continuous process, and the proof indicated this to be true, then a teacher becomes a participant in the learning process with child, youth and adult.

ADULT EDUCATION IS IMPERATIVE

By

DR. IBRAHIM M. SHALABY

« إقرأ باسم ربك الذى خلق ،
خلق الإنسان من علق ،
إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ،
علم الإنسان ما لم يعلم . »

It means : "Read : In the name of thy Lord who createth,

Createth man from a clot.

Read : And thy Lord is the Most Bounteous,

Who teacheth by pen,

Teacheth man that which he knew not."

(From the Holy Qur'an, Sura Al Alaq, Verses 1 - 5.)

Adult Education is imperative in our rapidly changing culture. According to Toynbee,[1] a civilization survives only so long as it makes adequate response to the challenges of its time. In a slowly changing culture, much of the learning that one needs to adapt to his environment can take place in childhood and youth. Any further lerning can be acquired incidentally during a normal lifetime. In a rapidly changing culture, systematic lifelong learning becomes necessary because the rate of change requires faster adaptations than can be made incidentally in a normal lifetime.

Changes in technological processes, in communications, in knowledge, in social organization, and in patterns of living, are now so frequent and continuous that modern man must constantly learn new ideas, new facts, new skills, and importantly, new attitudes and values to keep up with the flow of life.

The impact of these forces make adult learning as important today as was the need for universal education for children over a century ago.

At one time we heard such cliche's in our society as "I'm too old to change my way of thinking," 'I wish I were young enough to learn," etc. These thoughts were accepted and governed the lives of the bulk of our society even though its members were learning and changing. Perhaps one of the greatest events which invalidated this mores

---

(1) A. J. Toynbee, *A Study of History,* Oxford University Press, New York, 1947, p. 548.

sewen clothes and shunning all kinds of luxury, ornamentation, obscene talk and offences. As regards women pilgrims they are clad in a long garment reaching Talbiya from head to foot and revealing only the face and palm of the hands. The second aspect of Ihram is the call of Talbiya (تلبية) . Entering the state of Ihram the pil rim shall raise his voice and say : (لبيك اللهم لبيك) "Here I am, O my Lord at your presence". This is the sign of obedience to show that the pilgrim is resigning himself completly to the ordinance of God.

The other important requirement is making circuits round the ka'ba, called "Tawaf"(طواف). When the pilgrim reaches Mecca, goes round the ka'ba seven times beginning from the side of the 'Black Stone'. The next step is 'running' (سعى) between Safa and Marwa seven times beginning with Safa and ending with Marwa. Then the pilgrim starts for going 'Arafath' (عرفة) provided he reaches his destination on the ninth day of the month of Dhu'l Hijja. The devotion of standing at Arafath is the most important of all pilgrimage actions, so that the Prophet Said : (الحج عرفة) "Pilgrimage is standing at Arafath".

When the pilgrim leaves Arafath he passes by the place known as "Al-Muzdalifa" (المزدلفة). The pilgrim reaches the area of "Mina" (منى) on the morning of the tenth day of the month of Dhu'l Hijja, in which the pilgrim casts seven stones known as : "Jamrathul Aqaba" (جمرة العقبة). Then the pilgrim performs the sacrifice of a sheep, a goat, a cow or even a camel according to the means of him. This ceremony concludes the pilgrimage and the pilgrim now is allowed to shave or cut short his hair and to replace pilgrims clothes by the usual dress.

Before leaving Mecca he has to perform the circuits round the ka'ba as a fare-well salute to the Sacred House. It is called (طواف الوداع) " The fare — well circuits ". It is regarded a highly meritarious acts to drink of the water of the famouse well near the ka'ba, known as "Zum Zum" well, and go to Al-Medina to visit the Shrine of the Prophet. Then the pilgrim returns back with heart — felt pleasure and satisfaction.

Differences of colour, race and nationality are levelled off and real bond among them is sincere brotherhood. In the conference of pilgrimage Muslims meet in the service of God exchanging ideas, investigating their problems and strengthening the bonds of fraternity and unity. The pilgrimage also adds to man's knowledge and experience. The Qur'an sayes :

« وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » .

It means : "And (remember) when We prepared for Abraham the place of the (holy) House, saying. Ascribe thou no thing as partener unto Me, and purify My House for those who make the round (there of) and those who stand and those who bow and make prostration. And proclaim unto mankind the pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel ; they will come from every deep ravine. That they may witness things that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days." 22 : 26 — 28

The pilgrimage was enjoined in the 9th year after Hijra. This is to be performed in the first nine days of Dhu'l Hijja. The Holy Qur'an honourns the months of pilgrimage and calls them the Sacred months because fighting, war and aggression were prohibitted in those months since the building of the sacred house. The Holy Qur'an declares :

« إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

It means : "Lo ! the number of the months with Allah is twelve months by Allah's ordinance in the day that He created the heavens and the earth. Four of them are sacred : that is the right religion so wrong not yourselves in them." 9 : 36

The months of pilgrimage are Shawwal, Dhu'l Quadah, Dhu'l Hijja and Muharram. This tradition was meant to give security to the pilgrims and visiters to Mecca.

The first thing to be done in pilgrimage is the entry into the state of pilgrimage by 'Ihram' (إحرام). Ihram has two aspects : the first is to declare the intention to perform pilgrimage for the sake of God. The intention combined with casting off all seamed and

The four corners of the ka'ba indicate the cardinal points of the compass. There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created the ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point. Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the ka'ba corresponds with the pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth.

The following is the prayers of Ibrâhim from the Holy Quran :

وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم . ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

It means : " And when Abraham Said : My Lord ! Make safe this territory, and preserve me and my son from serving idols. My Lord ! Lo ! they have led many of mankind astray. But whoso followeth me, he verily is of me. And whoso disobeyeth me—still Thou art Forgiving, Merciful. Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy holy House, Our Lord ! that they may establish proper worship; so incline some hearts of men that they may yearn toward them; and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful ". 14 : 35-37.

The first objective of all kinds of worship is obedience and gratitude to God. They are prescribed for happiness here in this life and the life to come. Pigrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and wrong ; and it reminds him of the over throw of the idols and establishment of the worship of the One God. The pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot ; that he is one of a great company of believers ; united by one Faith filled with the same hopes reverencing the same things worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims ; a conference that is called for by God for the noble purposes. There around and inside the sacred House of "the land made safe." (البلد الأمين) , the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the world.

other to submit himself to his father's wish; both of them submitting to the Will of Allah. Just as Ibrahim's knife was about to descent to his son's throat he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal, and a Divine Voice commanded him : "This animal will be sacrificed and not your son" Then taking the ram which had miraclously appeared he obediently made a sacrifice to his Lord who had put him to this particular sacrifice. It was this man and his son who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage.

It is something wonderful and unforgettable to gaze upon the ka'ba, for here is concentrated the adoration of millions. The ka'ba is an enescapable part of the Islamic religion. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the ka'ba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less. There are many traditions and legends surrounding the ka'ba and 'Black Stone' but it is accepted by all Muslims that the ka'ba is the first sancturay to be erected on earth and was rebuilt by Ibrâhim and his son Ismâil. The Black Stone being the only original stone left after many centuries and many reconstructions. Historical references to the kab'a is very limited before Islam, and only begins at the time of Muhammad (peace be on him), when the ka'ba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood. It is reported that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarrelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it, and he himself placed it in its position. Thanks to his wisdom, every one was pleased and no one was offended.

Before Islam, the ka'ba became a place of heathen worship and when the Prophet conqured Mecca there was found nearly 400 idols around the ka'ba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolators forbidden to enter Mecca. In the year 10th A. H. the Prophet led the first pilgrimage in which no idolator was present. At this time the guardianship of the ka'ba entrusted to Uthman, and the Banu shaiba have retained this title untill the present day. The ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square which stands on a marble base in the middle of the great mosque of Mecca. In the eastern corner of the room is the Black Stone(الحجر الأسود)

are wrong in doing so." They ruplied : "Our fathers did so, so do we". One day, while he was walking to his father's house the day gradually faded, night came and a star appeared, when he saw this star he said : "That is my Lord". But when it set he said : "O I do not love things that set." Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord." When this also set he said : 'Surely if may Lord does not guide me I shall go astray and become one of lost." Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all." But this also set and when it did so he said : "O my people ! I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth."

After this, there came a time when the people left the town and Ibrâhim remaind behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. There he broke them into pieces and scattered them all except one large idole into whose hand he put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Ibrâhim of the deed and questioned him saying : "Are you the man who did this to our gods ? ". Ibrâhim answered them : "Surly the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak !". The people were confused and said : "You know well that they cannot speak". Then Ibrâhim replied : "Do you then, disregarding Allah, the Lord of the Universe, worship those things that cannat help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

After the furnace test, Ibrâhim had to make a supreme sacrifice. He was going to sacrifice his only son Ismâil to his Lord who had put him to such a hard and severe test. In a dream he was commanded by Allah to sacrifice his son. When he told his son of his dream, he understood and told his father that he must do what he thought he had to do. Together they went to a certain place in the valley of "Mina" and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and exposed his throat to his father's knife. Ibrâhim stood over his son, knife in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the

is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither."
3 : 96 — 97.

One of the major significances of the pilgrimage is that it reminds us of the fine example of the great prophet Ibrâhim. There is much to know about this wonderful man who called 'Khalil Allah' (خليل الله) "the friend of Allah". His life was very long and spent in the service of his Lord. The faith which Ibrâhim taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad, the last of all prophets taught is the faith of the One God, Allah. Ibrâhim was the father of the upright religion. As the Holy Qur'an says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

It means : "Abraham was not a Jew, nor yet a Christian ; but he was an upright man who had surrendered to (Allah), and he was not of the idolaters." 3 : 67.

In order to understand the true significance of the pilgrimage and the 'Eid al Adha' (the sacrificial feast which takes place on the 10th Dhûl Hijja), we must recall Ibrâhim's life and his sacrifices. He showed us that we must submit to the Will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves in the process of strengthening our faith and character. From the very beginning, Ibrâhim's life was separated from others by the hand of Allah. At his birth his mother had to hide in a cave to escape the soldiers of king 'Namrod' who, because of a certain, dream, had ordered the killing of all new-born children who were male. When still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future life.

He taught his people that there is a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond limited, human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, nobody is asked for help or mercy save Him. He is the Creator of this Universe, and there is no creator but He, no partner to Him. He is the only One who is distinguished by worship and He is Sole Cherisher of humankind. If one follows the logical and simple proofs set out by the prophet Ibrâhim to his people then one comes up to the ultimate conclusion that from him spread out the eternally vibrant rays of Islam. No wonder that Ibrâhim is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Qur'an tells off many happening in Ibrâhim's life. One day Ibrâhim asked his people : "What are these idols you worship ? You

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYAT

Dhu'l-Hijjah 1387	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	MARCH 1968

AL-HAJJ – THE PILGRIMAGE

ITS SIGNIFICANCE, OBJECT AND RITES

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

Pilgrimage is a fundamental ordinance of practical devotions in Islam. It is a unique journey through which the pilgrim reaches, with his soul and body, the Ka'ba, the first place of worship appointed by God for mankind. The pilgrimage to Mecca carries the Muslim back to cradle of his faith, the memory of the prophet Ibrâhim, his son prophet Ismâil, the prophet Muhammad (peace be on them) and the early believers. The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot, keep alive in the bosom of each some spark of the Divine fire which lighted up the earth in that age of darkness. In order to keep alive in the Muslim world the memory of the birth place of Islam, the Qur'an directed that during prayers the Muslim should turn his face towards ka'ba, as the glorious centre which saw the first glimmerings of the light of truth. It was rebuilt by the prophet Ibrâhim and his son Ismâil. Ibrâhim is known in history as the father of the prophets, the enemy to polytheism, the destroyer of idols and the symbol of unitarian faith. The Holy Qur'an says :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

It means : "Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to [illegible] and wh[illegible]oever entereth it

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٨٠١	المؤتمر الذى شرعه الله للأستاذ أحمد حسن الزيات
٨٠٤	منزلة الحج بين أركان الإسلام للأستاذ محمد محمد المدنى
٨٠٨	تثبيت النبي وأمته على كمال الإيمان للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٨١٣	من حقوق الإنسان للدكتور محمد محمد أبو شهبة
٨١٨	صيام الحج للأستاذ على الخطيب
٨٢٤	ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة للدكتور على العمارى
٨٢٨	طريقة القرآن فى الدعوة والإقناع للأستاذ أحمد مهنا
٨٣٤	كيف سما الإسلام بالنفوس ؟ للدكتور محمد رجب البيومى
٨٤٠	« الهلال » هل يثبت بالرؤية أو بالحساب ؟ للأستاذ على على منصور
٨٤٥	صور من المعارك البيانية للأستاذ عبد الحميد محمود المسلوت
٨٥٠	قضية السجع ونظم القرآن الكريم ــ ٢ ــ للدكتور محمد أحمد الغمراوى
٨٥٦	انتشار الإسلام فى أذربيجان للدكتور حامد غنيم أبو سعيد
٨٦٠	ما يقال عن الإسلام محيى الدين بن عربى للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٨٦٥	الكتب : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين : عرض وتعليق الأستاذ يوسف عبد الهادى الشال
٨٦٩	المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين ــ ١٤ ــ للأستاذ محيى الدين الألوائى
٨٧٣	أنباء وآراء للأستاذ عبد اللطيف عبد العظيم مصطفى
٨٧٦	الفهرس العام

English Section

Subjects	Contributors	Page
1 — Al-Hajj — The Pilgrimage its significance, object and rites	*A. M. Mohiaddin Alwaye*	1
2 — Adult Education is Imperative . .	*Dr. Ibrahim M. Shalaby*	8
3 — In Defence of Islam	*Abdul-Khaliq Amer*	12
4 — Faith	*Soliman Barakat*	14

الثمن أربعون مليما

مطبعة الأزهر